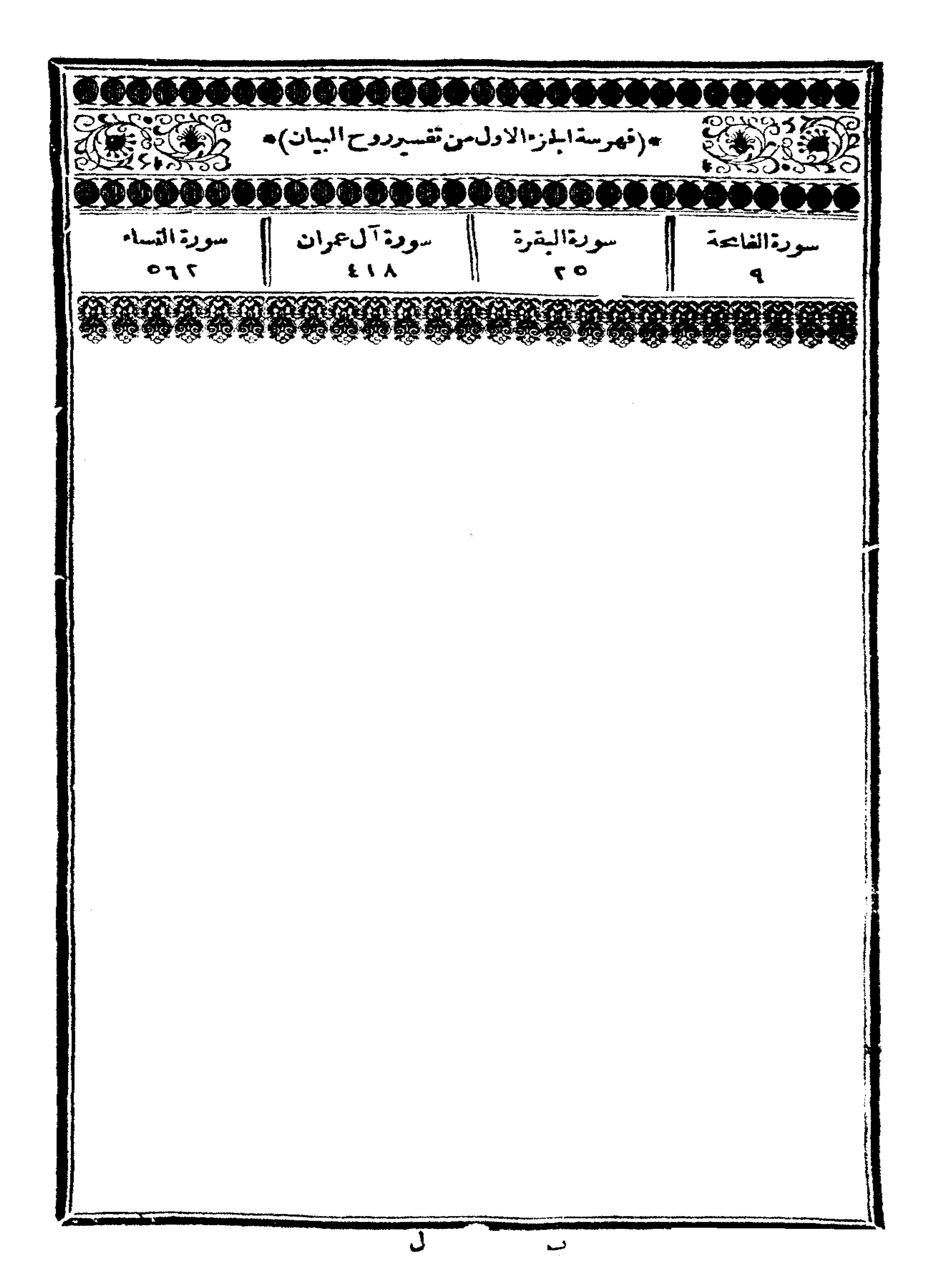
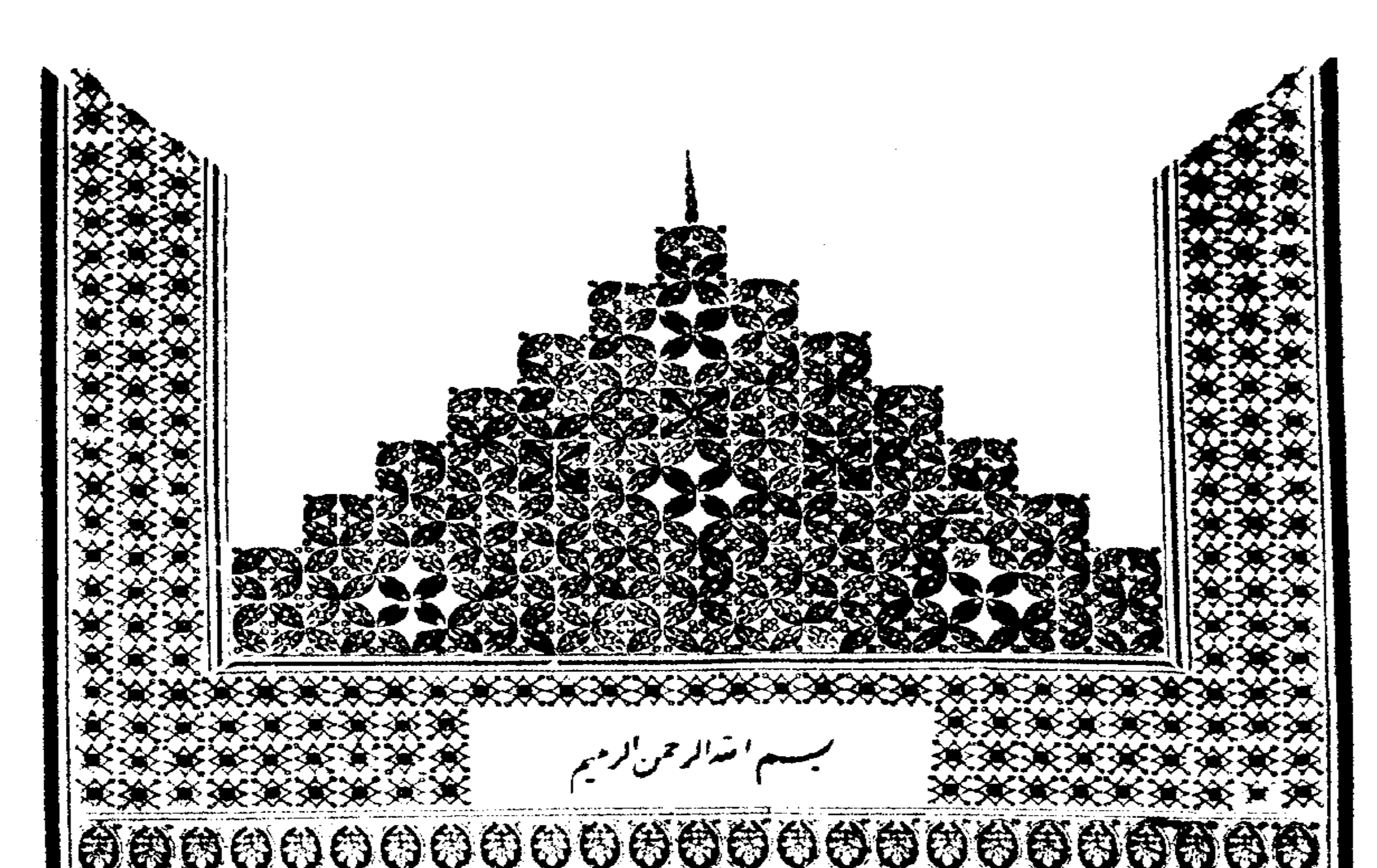
الجزء الاول من كتاب تفسير القرآن
المسمى بروح البيان للفاضل
الكامل الشيخ
اسمعيل حقى
افندى

٢



(فهرسة الجزء الاول من تفسير روح البيان)

سورة الفاتحة	سورة البقرة	سورة آل عمران	سورة النساء
٩	٣٥	٤١٨	٥٦٢



الحمد لله الذى أظهر من نسخة حقائقه الذاتية الكمالية نقوش العوالم والاعلام * وأخرج من نون الجمع الذاتى أنواع الحروف والكلمات والكلام * أنزل من مقام الجمع والتنزيه قرآنا عربيا غير ذى عوج * وجعله معجزة باقية على وجه كل زمان ساطعة البراهين والحجج * والصلاة والسلام على من هو فاتح باب الحضرة فى العلم والعين واليقين * سيدنا محمد الذى كان نبيا وآدم بين الماء والطين * وعلى آله وأصحابه المتخلقين بخلق القرآن * ومن تبعهم باحسان الى آخر الزمان (وبعد) فيقول العبد الفقير سمى الذبيح الشيخ اسمعيل حقى الناصح المهاجر * كلأه الله من فتن الغدايا والعشايا والهواجر * لما أشار الى شيخى الامام العلامه * واستاذى المجتهد الفهامه * سلطان وقته ونادرة زمانه * حجة الله على الخلق بعلمه وعرفانه * مطلع أنوار العناية والتوفيق * وارث أسرار الخليل على التحقيق * المشهود له بسر التجديد * فى رأس العقد الثانى من الالف الثانى * معدن الالهام الربانى السيد الثانى * الشيخ الحسيب النسيب سمى ابن عفان نزيل قسطنطينيه * أمده الله وأمدنا به فى السر والعلانيه * بالنقل الى برج الاولياء مدينة بروسا * صينت عن تطاول يد الضراء والبوسى * فى العشر السادس من العشر العاشر من العقد الاول من الالف الثانى * ولم أجد بدا من الوعظ والتذكير * فى الجامع الكبير والمعبد المنير الشهير * وقد كان منى حين انتواء الاقامة ببعض ديار الروم * بعض صحائف ملتقطة من صفحات التفاسير وأدوات العلوم * مشتملة على ما يزيد على آل عمران * من سور القرآن * لكنها مع الاطناب الواقع فيها كانت متفرقة كايادى سبا * جزء منها حوته الدبور وجزء منها حوته الصبا * أردت أن ألخص ما فرط من الالتقاط * وأخلص الاوراق المتفرقة من مساقطات

الالفاظ

الالفاظ والحروف والنقاط * وأتمم اليه انتداء ما سنح لي من المعارف * وأجعله في خط ما التقطته
من اللطائف * وأسرد بأغلاقه البراعه * وان كنت قليل البضاعة قصير الباع * ماليه الى آخر
النظم الكريم * ان امهلني الله العظيم الى قضاء هذا الوطر الجسيم * وأبقى للناس قدر ما حررته
بين الاسابيع والشهور * وأفرزته بالتسويد أثناء السماور * ليكون ذخرا للآخرة يوم لا ينفع مال
ولا بنون * وشفيعا لي حين لا يجدي نفعا غير الصاد والنون * وأسأل الله تعالى أن يجعله من
صالحات الاعمال وخالصات الآثار * وباقيات الحسنات الى آخر الاعمار * فانه اذا أراد بعبد
خيرا حسن عمله في الناس * وأهل الخيرات هي بمنزلة العين من الراس * وهو اساس (أعوذ بالله
من الشيطان الرجيم) اعلم ان الحكمة في التعوذ الاستئذان وقرع الباب لان من أتى باب ملك
من الملوك لا يدخل الا باذنه كذلك من أراد قراءة القرآن انما يريد الدخول في المناجاة مع الحبيب
فيحتاج الى طهارة اللسان لانه قد تنجس بفضول الكلام والبهتان فيطهره بالتعوذ قال أهل
المعرفة هذه الكلمة وسيلة المتقربين واعتصام الخائفين وعتق المجرمين و رجعى الهالكين
ومباسطة المحبين وهو امتثال قول رب العالمين في سورة النحل فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من
الشيطان الرجيم فالاستعاذة مقدمة على القراءة عند عامة المسلمين وقولهم الجزاء متأخر عن
الشرط فيلزم أن يؤخر الاستعاذة قلنا المعنى اذا أردت القراءة وهو تأويل شائع جار مجرى
الحقيقة العرفية ثم المختار قول الجمهور وهو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو أثبت رواية
وفي الحديث هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ وان كان استعيذ بالله أوفق
دراية لمطابقته المأمور به في قوله فاستعذ وأول ما نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم الاستعاذة والبسملة وقوله تعالى اقرأ باسم ربك (أعوذ) بمعنى التجئ
بناه ميخواهم او أستعصم نكاه داشت ميخواهم او أستجير أمان ميخواهم او أستعين يارى
ميخواهم او أستغيث فريادرس ميخواهم * والعوذ والعياذ مصدران كاللوذ واللياذ والصوم
والصيام وقول القائل أعوذ اخبار عن فعله وهو في التقدير سؤال الله عز وجل من فضله أي
أعذني يا رب وفي العدول الى لفظ الخبر فائدة التفاؤل بالوقوع كأنه وقع الاعاذة فيخبر عن
مطاوعه وثمرته ما في التفسير الكبير ان بين الرب وعبده عهدا قال الله أوفوا بعهدي أوف
بعهدكم فكأنه يقول أنا مع نقص البشرية وفيت بعهد عبوديتي وقلت أعوذ بالله وأستغفر الله
فأنت مع كمال الكرم والفضل أولى أن تفي بعهد الربوبية وتعيذني (بالله) مذهب أهل الحقائق
في عدم الاشتقاق لانه لا سبيل الى كنه معرفته ولذا قال السعد التفتازاني في حواشي
الكشاف اعلم أنه كما تحيرت الاوهام في ذاته وصفاته فكذا في اللفظ الدال عليه من أنه
اسم أو صفة مشتق أو غير مشتق علم أو غير علم الى غير ذلك قال مولانا جلال الدين قدس سره
* ذات اورا درتصور كنج كو * تادرآيد درتصور مثل او * واعلم أن كلمات الاستعاذة ثلاث
صفاتية وأفعالية وذاتية كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك
من عقوبتك وأعوذ بك منك فاختير اسم الجلالة الجامع لتتناول عبارة الاستعاذة أنواع
الاستعاذة قال في التفسير الكبير الشرور اما من الاعتقاديات ويدخل فيها جميع المذاهب
الباطلة وعقائد فرق الضلال الاثنتين والسبعين فرقة واما من الاعمال البدنية فمنها ما يضر

فى الدين وهو منهيات التكاليف وضبطها كالتعذر ومنها ما ضرره لا فى الدين كالامراض
والآلام والحرق والغرق والفقر والعمى والزمانة وغيرها من البلايا والنوازل ويقرب أن
لا يتناهى فأعوذ بالله يتناول الاستعاذة من كلها فعلى العاقل اذا أراد الاستعاذة أن يستحضر
هذه الاجناس الثلاثة وأنواعها المتناولة فاذا عرف عدم تناهيها عرف أن قدرة الخلق لا تفى
بدفعها فحمله عقله أن يقول اعوذ بالله القادر على كل المقدورات من جميع المخاوف والآفات
قيل كل العلوم فى الكتب الاربعة وعلومها فى القرآن وعلومه فى الفاتحة وعلومها فى البسملة
وعلومها فى الباء ففى التفسير الكبير لان المقصود من العلوم وصول العبد الى الرب فباء
الالصاق فى بالله تلصقه اليه وسيجىء أسرار الباء فى البسملة ان شاء الله تعالى (من الشيطان) أى
المبعد من رحمة الله تعالى عن ابن عباس رضى الله عنه لما عصى لعن وصار شيطانا فدل على أنه
انما سمى بهذا الاسم بعد لعن الله له وأما قبله فاسمه عزازيل أو نائل وانما لم يقيد المستعاذ منه
بشئ من قبائحه ومضاره كالهمز واللمز واللمس والوسوسة والنزغة وغيرها لتذهب الهمة كل
مذهب ليستعاذ من شره عموما قال فى روضة الاخبار الشياطين ذكور واناث يتوالدون
ولا يموتون بل يخلدون والجن ذكور واناث يتوالدون ويموتون والملائكة ليسوا بذكور
ولا اناث ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون فثبت بهذا أن للشيطان والجن حقيقة ووجودا
ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة والاطباء ونحوهم (حكى) أن الامام الغزالى
محيى السنة كان مفتى الثقلين فسألهم يوما عن الحوادث قالوا ان الزمخشرى صنف كتابا
فى التفسير وبلغ الى النصف فطلب منهم أن يأتوا به فأتوه فكتب جميع ما ألفه ثم وضعوا النسخة
فى مكانها فلما جاء الزمخشرى اليه أراه اياه فتعجب الزمخشرى وتحير وقال ان قلت هولى وأنا
ما أتمه وما اطلع عليه أحد غيرى فن أين جاء هذا وان هو لغيرى فالتوارد فى اللفظ والمعنى والوضع
والترتيب فى هذا القدر من الكتاب لا يقبله العقل قال الامام هو لك وقد وصل الينا من أيدى
الجن وكان الزمخشرى ينكر الجن فاعترف فى مجلسه ولا يلزم من هذا علم الجن بالغيب كما لا يخفى
قال تعالى تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ثم حقيقتهم عند من لم
يقل بالمجردات هى أجسام هوائية وقيل نارية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة كصور
الحيات والعقارب والكلاب والابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير والطير وبنى آدم لها
عقول وافهام تقدر على الاعمال الشاقة كما كانوا يعملون لسليمان عليه السلام المحاريب
والتماثيل والجفان والقدور وعند من قال بها مجردات أرضية سفلية وذلك لان المجردات أعنى
الموجودات الغير المتحيزة ولا الحالة فى المتحيز اما عالية مقدسة عن تدبير الاجسام وهم الملائكة
المقربون ويسميها المشائيون عقولا والاشراقيون أنوارا عالية قاهرة أو متعلقة بتدبيرها
ويسميها المشائيون نفوسا سماوية والاشراقيون أنوارا مدبرة وأشرفها حملة العرش وهم الآن
أربعة ويوم القيامة ثمانية ثم الحافون حوله ثم ملائكة الكرسى ثم ملائكة السموات طبقة
طبقة ثم ملائكة كرة الاثير والهواء الذى فى طبع النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم ملائكة
البحار ثم الجبال ثم الارواح السفلية المتصرفة فى الاجسام النباتية والحيوانية وهذه قد تكون
مشرقة الهيئة خيرة وهى المسماة بصالحى الجن وقد تكون كدرة شريرة وهى الشياطين كذا

فى تفسير الفاتحة للفنارى والظاهر أن المراد بالشيطان ابليس وأعوانه وقيل عام فى كل متمردعات مضل عن الجادة المستقيمة من جن وانس كما قال الله تعالى شياطين الانس والجن (الرجيم) أى المرمى من السموات بالقاء الملائكة حين لعن أو المرمى بشهب السماء اذا قصدها هذه صفة مذمومة للشيطان وله فى القرآن أسماء مشؤمة وصفات مذمومة فأجمع مساويه هو الرجيم لانه جامع لجميع ما يقع عليه من العقوبات فلذلك خص به الابتداء من بين تلك الاسماء والصفات يقال ظهور حقيقة الاستعاذة لا يمكن بمجرد القول بل لابد من حضور القلب وموافقة القول بالحال والفعل وأن لا يقول لسانك أعوذ بالله وفعلك وحالك أعوذ بالشيطان وذلك بمشاركة النفس مع الشيطان فى ارتكاب المعاصى والطغيان واستعاذة العارف من رؤية غير الله تعالى وحجاب الكثرة فان الشيطان يهرب من نور العارف (حكى) أن أباسعيد الخراز قدس سره رأى ابليس فى المنام فأراد أن يضربه بالعصا فقال يا أباسعيد أنا لا أخاف من العصا وانما أخاف من شعاع شمس المعرفة اذا طلعت من سماء قلب العارف قالوا فى الاستعاذة من الشيطان اظهار الخوف من غير الله وهو يخل بالعبودية قلنا اتخاذ العدو عدوا تحقيق للمحبة والفرار من غير الله الى الله تتميم للعبودية والامتثال لامر الله تقديم للطاعة والخوف ممن لا يخاف الله اظهار للمسكنة كما قيل أخاف من الله أى من عذابه وغضبه وأخاف ممن يخاف الله أى من سوء دعائه وأخاف ممن لا يخاف أى من سوء أفعاله قال المولى جلال الدين قدس سره * آدمى را دشمن پنهان بسيست * آدمى با حذر عاقل كسيست * وفى التفسير الكبير أن أعوذ بالله رجوع من الخلق الى الخالق ومن الحاجة التامة لنفسه الى الغنى التام بالحق فى تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات ففيه سر ففروا الى الله وفيه دلالة أن لا وسيلة الى القرب من حضرة الرب الا بالعجز والعجز منتهى المقامات قال الحسن من استعاذ بالله على وجه الحقيقة وهو ما يكون بحضور القلب جعل الله بينه وبين الشيطان ثلثمائة حجاب كل حجاب كما بين السماء والارض وعن ابن عباس رضى الله عنه قال خرج النبى عليه الصلاة والسلام ذات يوم من المسجد فاذا هو بابليس فقال له النبى ما الذى جاءبك الى باب مسجدى قال يا محمد جاءبى الله قال فلماذا قال لتسألنى عما شئت فقال ابن عباس رضى الله عنه فكان أول شئ سأله الصلاة فقال له يا ملعون لم تمنع أمتى عن الصلاة بالجماعة قال يا محمد اذا خرجت امتك الى الصلاة تأخذنى الحمى الحارة فلا تندفع حتى يتفرقوا قال عليه السلام لم تمنع امتى عن العلم والدعاء قال عند دعائهم يأخذنى الصمم والعمى فلا يندفع حتى يتفرقوا قال عليه السلام لم تمنع أمتى عن القرآن قال عند قراءتهم أذوب كالرصاص قال لم تمنع امتى عن الجهاد قال اذا خرجوا الى الجهاد يوضع على قدمى قيد حتى يرجعوا واذا خرجوا الى الحج أسلسل وأغلل حتى يرجعوا واذا هموا بالصدقة توضع على رأسى المناشير فتنشرنى كما ينشر الخشب والشيطان مسلط على طبيعة بنى آدم بالاكل والشرب فاذا تركهما الانسان فقد اجتهد فى قطع شهوة البطن وشهوة الفرج فلا يكون اذا مداخلة للشيطان اصلا وأما النفس فسبب اصلاحها هو الصلوات الخمس لان فرضيتها لاصلاح النفس لان فيها تذللا بثلاث طبقات بعقد اليد بين يدى الملك الاعظم وبالركوع له وبالسجود فالنفس تصلح بالخضوع والخشوع والتذلل قال وهب بن منبه لما خرج نوح من السفينة جاء ابليس عليه اللعنة

فقال نوح يا عدو الله أي أخلاق بني آدم أعون لك ولجنودك على ضلالهم وهلاكهم قال ابليس اذا وجدنا من بني آدم شحيحا حريصا حسودا جبارا عجولا تلقفناه تلقف الاكرة فان اجتمعت فيه هذه الاخلاق سميناه شيطانا مريدا لان هذه الاخلاق من أخلاق رؤس الشياطين وفي الخبر أن ابليس عليه اللعنة يرفع الدنيا كل يوم في يديه فيقول من يشتري ما يضره ولا ينفعه ويهمه ولا يسره فتقول أصحاب الدنيا نحن فيقول لا تعجلوا فانها معيوبة فيقولون لا بأس بها فيقول ثمنها ليس بدراهم ولا دنانير انما ثمنها نصيبكم من الجنة واني اشتريتها بأربعة أشياء بلعنة الله وغضبه وعذابه وقطيعته وبعت الجنة بها فيقولون يجوز لنا ذلك فيقول أريد أن تربحوني على ذلك وهو بأن توطنوا قلوبكم على أن لا تدعوها أبدا فيقولون نعم فيأخذونها فيقول الشيطان بئست التجارة (قال الحافظ) مجو درستي عهد از جهان سست نهاد * كه اين عجوزه عروس هزار داماد است (قال الشيخ سعدي) برمرد هشيار دنيا خس است * كه هر مدتي جاي ديكر كس است * منه بر جهان دل كه بيكانه ايست * چو مطرب كه هر روز در خانه ايست * نه لايق بود عشق با دلبرى * كه هر بامدادش بود شوهرى * وسئل النبي عليه السلام عن وسوسة الشيطان فقال عليه السلام السارق لا يدخل بيتا ليس فيه شيء فذلك من محض الايمان وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الفرق بين صلاتنا وصلاة أهل الكتاب وسوسة الشيطان لانه فرغ من عمل الكفار لانهم وافقوه والمؤمنون يخالفونه ويحاربونه والمحاربة تكون مع المخالفة (حكي) أن رجلا من أهل خراسان خرج نحو العراق وكان يتردد الى عالم من علمائها حتى علمه أربعة آلاف حديث من الحكمة فلما أراد الانصراف استأذن من استاذه فقال له الاستاذ أعلمك كلمة خيرا لك من أحاديثك قال وما هي قال هل يكون في خراسان ابليس قال نعم قال وهل يوسوسكم قال نعم قال وما تصنعون في وسوسته قال نرده قال ان وسوس ثانيا قال نرده قال اذا اذا كم عدو الله وشغلكم عن الطاعة فلا تشتغلوا برد وسوسته ولكن كونوا معه كالغريب مع كلب الراعي واستعيذوا بالله وانه كلب من الكلاب عصمنا الله واياكم من كيده وشره (بسم الله الرحمن الرحيم) الاصح المقبول عند متأخري الحنفية أن البسملة آية فذة ليست جزأ من سورة انزلت للفصل والتبرك بالابتدا كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهي مفتاح القرآن وأول ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ وأول ما نزل على آدم عليه السلام وحكمة تأخرها عن الاستعاذة تقدم التخلية بالمعجمة على التحلية والاعراض عما سوى الله على الاقبال والتوجه اليه (بسم الله) كانت الكفار يبدؤن بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات والعزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل فلذلك قدر المحذوف متأخرا أي باسم الله اقرأ أو أتلو أو غير ذلك مما جعلت التسمية مبدأ له قالوا أودع جميع العلوم في الباء أي بي كان ما كان وبي يكون ما يكون فوجود العوالم بي وليس لغيري وجود حقيقي الا بالاسم والمجاز وهو معنى قولهم ما نظرت شيأ الا ورأيت الله فيه أو قبله ومعنى قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله فان قلت ما الحكمة والسر في أن الله تعالى جعل افتتاح كتابه بحرف الباء واختارها على سائر الحروف لا سيما على الالف فانه أسقط الالف من الاسم وأثبت مكانه الباء في بسم فالجواب

To: www.al-mostafa.com

أن الحكمة في افتتاح الله بالباء عشرة معان أحدها أن في الالف ترفعا وتكبرا وتطاولا وفي
الباء انكسارا وتواضعا وتساقطا فمن تواضع لله رفعه الله وثانيها أن الباء مخصوصة بالالصاق
بخلاف أكثر الحروف خصوصا الالف من حروف القطع وثالثها أن الباء مكسورة أبدا
فلما كانت فيها كسرة وانكسار في الصورة والمعنى وجدت شرف العندية من الله تعالى كما قال
الله تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي ورابعها أن في الباء تساقطا وتكسرا في الظاهر
ولكن رفعة درجة وعلو همة في الحقيقة وهي من صفات الصديقين وفي الالف ضدها أما رفعة
درجتها فبأنها أعطيت نقطة وليست للالف هذه الدرجة وأما علو الهمة فانه لما عرضت عليها
النقط ما قبلت الا واحدة ليكون حالها كحال محب لا يقبل الا محبوبا واحدا وخامسها أن
في الباء صدقا في طلب قربة الحق لانها لما وجدت درجة حصول النقطة وضعتها تحت قدمها
وما تفاخرت بها ولا يناقضه الجيم والياء لان نقطهما في وضع الحروف ليست تحتهما بل في وسطهما
وانما وضع النقط تحتهما عند اتصالهما بحرف آخر لئلا يشتبها بالخاء والتاء بخلاف الباء فان
نقطتها موضوعة تحتها سواء كانت مفردة أو متصلة بحرف آخر وسادسها أن الالف حرف علة
بخلاف الباء وسابعها أن الباء حرف تام متبوع في المعنى وان كان تابعا صورة من حيث ان
موضعه بعد الالف في وضع الحروف وذلك لان الالف في لفظ الباء يتبعه بخلاف لفظ الالف فان
الباء لا يتبعه والمتبوع في المعنى أقوى وثامنها أن الباء حرف عامل ومتصرف في غيره فظهر لها
من هذا الوجه قدر وقدرة فصلحت للابتداء بخلاف الالف فانه ليس بعامل وتاسعها أن الباء
حرف كامل في صفات نفسه بأنه للالصاق والاستعانة والاضافة مكمل لغيره بأن يخفض الاسم
التابع له ويجعله مكسورا متصفا بصفات نفسه وله علو وقدرة في تكميل الغير بالتوحيد
والارشاد كما أشار اليه سيدنا علي رضي الله عنه بقوله انا النقطة تحت الباء فالباء له مرتبة
الارشاد والدلالة على التوحيد وعاشرها أن الباء حرف شفوي تنفتح الشفة به ما لا تنفتح بغيره
من الحروف الشفوية ولذلك كان أول انفتاح فم الذرة الانسانية في عهد ألست بربكم بالباء
في جواب بلى فلما كان الباء أول حرف نطق به الانسان وفتح به فمه وكان مخصوصا بهذه المعاني
اقتضت الحكمة الالهية اختياره من سائر الحروف فاختارها ورفع قدرها وأظهر برهانها
وجعلها مفتاح كتابه ومبدأ كلامه وخطابه تعالى وتقدس كذا في التأويلات النجمية واسم الله
ما يصح أن يطلق عليه بالنظر الى ذاته أو باعتبار صفة من صفاته السلبية كالقدوس أو الثبوتية
كالعليم أو باعتبار فعل من أفعاله كالخالق ولكنها توقيفية عند بعض العلماء كما في شرح
المشارق لابن الملك ثم المختار أن كلمة الله هو الاسم الاعظم فان سأل سائل وقال ان من شرط
الاسم الاعظم أنه ان دعي الله به أجاب واذا سئل به أعطى فنحن ندعو به ونسأل فلم نر الاجابة
في أكثر الاوقات قلنا ان للدعاء آدابا وشرائط لا يستجاب الدعاء الا بها كما أن للصلاة كذلك
فأول شرائطه اصلاح الباطن باللقمة الحلال وقد قيل الدعاء مفتاح السماء وأسنانه لقمة
الحلال وآخر شرائطه الاخلاص وحضور القلب كما قال الله تعالى فادعوا الله مخلصين
له الدين فان حركة الانسان باللسان وصياحه من غير حضور القلب ولولة الواقف على الباب
وصوت الحارس على السطح أما اذا كان حاضرا فالقلب الحاضر في الحضرة شفيع له قال

الشيخ مؤيد الدين الجندي قدس سره ان للاسم الاعظم الذي اشتهر ذكره وطاب خبره ووجب ماسه وحرم نشره من عالم الحقائق والمعاني حقيقة ومعنى ومن عالم الصور والالفاظ صورة ولفظا أما حقيقته فهي احدية جمع جميع الحقائق الجمعية الكمالية كلها وأما معناه فهو الانسان الكامل في كل عصر وهو قطب الاقطاب حامل الامانة الالهية خليفة الله وأما صورته فهي صورة كامل ذلك العصر وعلمه كان محرما على سائر الامم لما لم تكن الحقيقة الانسانية ظهرت بعد في أكمل صورته بل كانت في ظهورها بحسب قابلية كامل ذلك العصر فحسب فلما وجد معنى الاسم الاعظم وصورته بوجود الرسول صلى الله عليه وسلم أباح الله العلم به كرامة له (الرحمن) الرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا هو التفضل والاحسان أو ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد أو القريب فان أسماء الله تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادى التي هي انفعالات فالمعنى العاطف على خلقه بالرزق لهم ودفع الآفات عنهم لا يزيد في رزق المتقي لقبيل تقواه ولا ينقص من رزق الفاجر لقبيل فجوره بل يرزق الكل بما يشاء (الرحيم) المترحم اذا سئل أعطى واذا لم يسأل غضب * وبني آدم حين يسأل يغضب * واعلم أن الرحمة من صفات الذات وهي ارادته ايصال الخير ودفع الشر والارادة صفة الذات لان الله تعالى لو لم يكن موصوفا بهذه الصفة لما خلق الموجودات فلما خلق الخلق علمنا أن رحمته صفة ذاتية لان الخلق ايصال خير الوجود الى المخلوق ودفع شر العدم عنهم فان الوجود خير كله قال الشيخ القيصري اعلم أن الرحمة صفة من الصفات الالهية وهي حقيقة واحدة لكنها تنقسم بالذاتية والصفاتية أي تقتضيها أسماء الذات وأسماء الصفات وكل منهما عامة وخاصة فصارت أربعا ويتفرع منها الى أن يصير المجموع مائة رحمة واليها أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان لله مائة رحمة أعطى واحدة منها لاهل الدنيا كلها وادخر تسعا وتسعين الى الآخرة يرحم بها عباده فالرحمة العامة والخاصة الذاتيتان ما جاء في البسملة من الرحمن الرحيم والرحمة الرحمانية عامة لشمول الذات جميع الاشياء علما وعينا والرحيمية خاصة لانها تفصيل تلك الرحمة العامة الموجب لتعيين كل من الاعيان بالاستعداد الخاص بالفيض الاقدس والصفاتية ما ذكره في الفاتحة من الرحمن الرحيم الاولى عامة الحكم لترتبها على ما أفاض الوجود العام العلمي من الرحمة العامة الذاتية والثانية خاصة وتخصيصها بحسب الاستعداد الاصلي الذي لكل عين من الاعيان وهما نتيجتان للرحمتين الذاتيتين العامة والخاصة انتهى كلامه قالوا لله تعالى ثلاثة آلاف اسم ألف عرفها الملائكة لا غير وألف عرفها الانبياء لا غير وثلثمائة في التوراة وثلثمائة في الانجيل وثلثمائة في الزبور وتسعة وتسعون في القرآن وواحد استأثر الله به ثم معنى هذه الثلاثة آلاف في هذه الاسماء الثلاثة فمن علمها وقالها فكانما ذكر الله تعالى بكل أسمائه وفي الخبر ان النبي عليه السلام قال ليلة اسري بي الى السماء عرض علي جميع الجنان فرأيت فيها أربعة أنهار نهرا من ماء ونهرا من لبن ونهرا من خمر ونهرا من عسل فقلت يا جبريل من أين تجيء هذه الانهار والى أين تذهب قال تذهب الى حوض الكوثر ولا أدري من أين تجيء فادع الله تعالى ليعلمك أو يريك فدعا ربه فجاء ملك فسلم على النبي عليه السلام ثم قال يا محمد

غمض عينيك قال فغمضت عيني ثم قال افتح عينيك ففتحت فاذا أنا عند شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء ولها باب من ذهب أحمر وقفل لو أن جميع ما في الدنيا من الجن والانس وضعوا على تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس على جبل فرأيت هذه الانهار الاربعة تخرج من تحت هذه القبة فلما أردت أن أرجع قال لي ذلك الملك لم لا تدخل القبة قلت كيف أدخل وعلى بابها قفل لا مفتاح له عندي قال مفتاحه بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت من القفل وقلت بسم الله الرحمن الرحيم انفتح القفل فدخلت في القبة فرأيت هذه الانهار تجري من أربعة أركان القبة ورأيت مكتوبا على أربعة أركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله ورأيت نهر اللبن يخرج من هاء الله ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن ونهر العسل يخرج من ميم الرحيم فعلمت أن أصل هذه الانهار الاربعة من البسملة فقال الله عز وجل يا محمد من ذكرني بهذه الاسماء من امتك بقلب خالص من رياء وقال بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الانهار وفي الحديث لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وفي الحديث أيضا من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن أن يدنس كان عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا مشركين وذكر الشيخ احمد البوني في لطائف الاشارات أن شجرة الوجود تفرعت عن بسم الله الرحمن الرحيم وان العالم كله قائم بها جملة وتفصيلا فلذلك من أكثر من ذكرها رزق الهيبة عند العالم العلوي والسفلي وكتب قيصر ملك الروم الى عمر رضي الله عنه ان بي صداعا لا يسكن فابعث الي دواء ان كان عندك فان الاطباء عجزوا عن المعالجة فبعث له عمر رضي الله عنه قلنسوة فكان اذا وضعها على رأسه سكن صداعه واذا رفعها عن رأسه عاد صداعه فتعجب منه ففتش في القلنسوة فاذا فيها كاغد مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الاكبر في الفتوحات اذا قرأت فاتحة الكتاب فصل بسملتها معها في نفس واحد من غير قطع وعن محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم حاكيا عن جبريل عليه السلام حاكيا عن ميكائيل عليه السلام حاكيا عن اسرافيل عليه السلام قال الله تعالى يا اسرافيل بعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة فاشهدوا علي اني قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت له عن السيئات ولا أحرق لسانه بالنار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب يوم القيامة والفزع الاكبر ويلقاني قبل الانبياء والاولياء أجمعين

(سورة فاتحة الكتاب)

وجه التسمية بفاتحة الكتاب اما لافتتاح المصاحف والتعليم وقراءة القرآن والصلاة بها واما لان الحمد فاتحة كل كلام واما لانها أول سورة نزلت واما لانها أول ما كتب في اللوح المحفوظ واما لانها فاتحة أبواب المقاصد في الدنيا وأبواب الجنان في العقبى واما لان انفتاح أبواب خزائن أسرار الكتاب بها لانها مفتاح كنوز لطائف الخطاب بانجلائها ينكشف جميع القرآن لاهل البيان لان من عرف معانيها يفتح بها أبواب المتشابهات ويقتبس بسناها أنوار الآيات وسميت بأم القرآن وأم الشيء أصله لان المقصود من كل القرآن تقرير امور أربعة اقرار بالالوهية والنبوة واثبات القضاء والقدر لله تعالى فقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم يدل على

الالوهية وقوله مالك يوم الدين يدل على المعاد وقوله اياك نعبد واياك نستعين على نفي الجبر والقدر
وعلى اثبات أن الكل بقضاء الله تعالى وسميت بالسبع المثاني لانها سبع آيات أو لان كل آية
منها تقوم مقام سبع من القرآن فمن قرأها أعطي ثواب قراءة الكل أو لان من فتح فاه بقراءة آياتها
السبع غلقت عنه أبواب النيران السبعة هذه وجوه التسمية بالسبع وأما بالمثاني فلانها
تثنى في كل صلاة أو في كل ركعة بالنسبة الى الاخرى أو المراد تشفع في كل ركعة بسورة حقيقة
أو حكما أو لان نزولها مرتين مرة في مكة ومرة في المدينة وسميت بسورة الصلاة وسورة الشفاء
والشافية وأساس القرآن والكافية والوافية وسورة الحمد وسورة السؤال وسورة الشكر
وسورة الدعاء لاشتمالها عليها وسورة الكنز لما روي ان الله تعالى قال فاتحة الكتاب كنز من
كنوز عرشي (الحمد لله) لامه للعهد أي الحمد الكامل وهو حمد الله لله أو حمد الرسل أو كمل أهل
الولاء أو للعموم والاستغراق أي جميع المحامد والاثنية للمحمود أصلا والممدوح عدلا والمعبود
حقا عينية كانت تلك المحامد أو عرضية من الملك أو من البشر أو من غيرهما كما قال تعالى وان
من شيء الا يسبح بحمده والحمد عند الصوفية اظهار كمال المحمود وكماله تعالى صفاته وأفعاله وآثاره
قال الشيخ داود القيصري الحمد قولي وفعلي وحالي أما القولي فحمد اللسان وثناؤه عليه بما
أثنى به الحق على نفسه على لسان أنبيائه عليهم السلام وأما الفعلي فهو الاتيان بالاعمال البدنية
من العبادات والخيرات ابتغاء لوجه الله تعالى وتوجها الى جنابه الكريم لان الحمد كما يجب
على الانسان باللسان كذلك يجب عليه بحسب كل عضو بل على كل عضو كالشكر وعند كل
حال من الاحوال كما قال النبي عليه السلام الحمد لله على كل حال وذلك لا يمكن الا باستعمال
كل عضو فيما خلق لاجله على الوجه المشروع عبادة للحق تعالى وانقيادا لامره لا طلبا لحظوظ
النفس ومرضاتها وأما الحالي فهو الذي يكون بحسب الروح والقلب كالاتصاف بالكمالات
العلمية والعملية والتخلق بالاخلاق الالهية لان الناس مأمورون بالتخلق بأخلاق الله تعالى
بلسان الانبياء عليهم السلام لتصير الكمالات ملكة نفوسهم وذواتهم وفي الحقيقة هذا حمد الحق
أيضا نفسه في مقامه التفصيلي المسمى بالمظاهر من حيث عدم مغايرتها له وأما حمده ذاته
في مقامه الجمعي الالهي قولا فهو ما نطق به في كتبه وصحفه من تعريفاته نفسه بالصفات الكمالية
وفعلا فهو اظهار كمالاته الجمالية والجلالية من غيبه الى شهادته ومن باطنه الى ظاهره ومن علمه
الى عينه في مجالي صفاته ومحال ولاية أسمائه وحالا فهو تجلياته في ذاته بالفيض الاقدس
الاولي وظهور النور الازلي فهو الحامد والمحمود جمعا وتفصيلا كما قيل

لقد كنت دهرا قبل أن يكشف الغطا * اخالك أني ذاكر لك شاكر
فلما أضاء الليل أصبحت شاهدا * بأنك مذكور وذكر وذاكر

وكل حامد بالحمد القولي يعرف محموده باسناد صفات الكمال اليه فهو يستلزم التعريف اه
كلامه والحمد شامل للثناء والشكر والمدح ولذلك صدر كتابه بأن حمد نفسه بالثناء في لله والشكر
في رب العالمين والمدح في الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ثم ليس للعبد أن يحمده بهذه الوجوه
الثلاثة حقيقة بل تقليدا ومجازا أما الاول فلان الثناء والمدح بوجه يليق بذاته أو بصفاته
فرع معرفة كنههما وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علما وما قدروا الله حق قدره وأما الثاني

فكما أن النبي عليه السلام لما خوطب ليلة المعراج بأن أثن علي قال لا أحصي ثناء عليك وعلم أن لا بد من امتثال الامر واظهار العبودية فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهو ثناء بالتقليد وقد أمرنا أيضا أن نحمده بالتقليد بقوله قل الحمد لله كما قال فاتقوا الله ما استطعتم كذا في التأويلات النجمية (قال السعدي رحمه الله) عطا يست هرموى از وبر تنم * چكونه بهرموى شكرى كنم * وذكر الشيخ الامام حجة الاسلام الغزالي رحمه الله في منهاج العابدين أن الحمد والشكر آخر العقبات السبع التي لا بد للسالك من عبورها ليظفر بمبتغاه وأول ما يحرك العبد لسلوك طريق العبادة يكون بخطرة سماوية وتوفيق خاص الهي وهو الذي أشار اليه صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم بقوله ان النور اذا دخل قلب العبد انفتح وانشرح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها فقال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فاذا خطر بقلب العبد أول كل شيء أن له منعما بضروب من النعم وقال انه يطالبني بشكره وخدمته فلعله ان غفلت يزيل نعمته ويذيقني نقمته وقد بعث الي رسولا بالمعجزات وأخبرني بأن لي ربا عالما قادرا على أن يثيب بطاعته ويعاقب بمعصيته وقد أمر ونهى فيخاف على نفسه عنده فلم يجد في طريق الخلاص من هذا النزاع سبيلا سوى الاستدلال بالصنعة على الصانع فيحصل له اليقين بوجود ربه الموصوف بما ذكر فهذه عقبة العلم والمعرفة استقبلته في أول الطريق ليكون في قطعها على بصيرة بالتعلم والسؤال من علماء الآخرة فاذا حصل له اليقين بوجود ربه بعثته المعرفة على التشمر للخدمة ولكنه لا يدري كيف يعبده فيتعلم ما يلزمه من الفرائض الشرعية ظاهرا وباطنا فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرائض انبعث للعبادة فنظر فاذا هو صاحب ذنوب كما هو حال أكثر الناس فيقول كيف أقبل على الطاعة وأنا مصر متلطخ بالمعاصي فيجب أن أتوب اليه ليخلصني من أسرها وأتطهر من أقذارها فأصلح للخدمة فيستقبله ههنا عقبة التوبة فلما حصلت له اقامة التوبة الصادقة بحقوقها وشرائطها نظر للسلوك فاذا حوله عوائق عن العبادة محدقة به فتأمل فاذا هي أربع الدنيا والخلق والشيطان والنفس فاستقبلته عقبة العوائق فيحتاج الى قطعها بأربعة أمور التجرد عن الدنيا والتفرد عن الخلق والمحاربة مع الشيطان والنفس وهي أشدها اذ لا يمكنه التجرد عنها ولا أن يقهرها بمرة كالشيطان اذ هي المطية والآلة ولا مطمع أيضا في موافقتها على الاقبال على العبادة اذ هي مجبولة على ضد الخير كالهوى واتباعها له * نمى تازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان * كه با نفس وشيطان بر آيد بزور * مصاف پلنكان نيايد زمور * فاحتاج الى أن يلجمها بلجام التقوى لتنقاد فيستعملها في المراشد ويمنعها عن المفاسد فلما فرغ من قطعها وجد عوارض تعترضه وتشغله عن الاقبال على العبادة فنظر فاذا هي أربعة رزق تطلبه النفس ولا بد وأخطار من كل شيء يخافه أو يرجوه أو يريده أو يكرهه ولا يدري أصلاحه في ذلك أم فساده والثالث الشدائد والمصائب تنصب عليه من كل جانب لا سيما وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومضارة النفس والرابع أنواع القضاء فاستقبلته ههنا عقبة العوارض الاربعة فاحتاج الى قطعها بأربعة بالتوكل على الله في الرزق والتفويض اليه في موضع الخطر والصبر عند الشدائد والرضا بالقضاء فاذا قطعها نظر فاذا

النفس فاترة كسلى لاتنشط ولاتنبعث للخير كما يحق و ينبغي وانما ميلها الى غفلة ودعة و بطالة بل الى سرف وفضول فاحتاج الى سائق يسوقها الى الطاعة وزاجر يزجرها عن المعصية وهما الرجاء والخوف فالرجاء فى حسن ماوعد من الكرامات والخوف من صعوبة ماأوعد من العقوبات والاهانات فهذه عقبة البواعث استقبلته فاحتاج الى قطعها بهذين الذكرين فلما فرغ منها لم ير عائقا ولاشاغلا و وجد باعثا وداعيا فعانق العبادة بلزام الشوق فنظر فاذا بدو بعد كل ذلك آفتان عظيمتان هما الرياء والعجب فتارة يرائى بطاعته الناس وتارة يستعظم ذلك و يكرم نفسه فاستقبلته ههنا عقبة القوادح فاحتاج الى قطعها بالاخلاص وذكر المنة فاذا قطعها بحسن عصمة الجبار وتأييده حصلت العبادة له كما يحق و ينبغي ولكنه نظر فاذا هو غريق فى بحور نعم الله من امداد التوفيق والعصمة فخاف أن يكون منه اغفال للشكر فيقع فى الكفران و ينحط عن تلك المرتبة الرفيعة التى هى مرتبة اغذية الخالصين فاستقبلته ههنا عقبة الحمد والشكر فقطعها بتكثيرهما فلما فرغ منها فاذا هو بمقصوده ومبتغاه فيتنعم فى طيب هذه الحالة بقية عمره بشخص فى الدنيا وقلب فى العقبى ينتظر بريده يوما فيوما و يستقذر الدنيا فاستكمل الشوق الى الملا الاعلى فاذا هو برسول رب العالمين يبشره بالرضوان من عند رب غير غضبان فينقلونه فى طيبة النفس وتمام البشر والانس من هذه الدنيا الفانية الى الحضرة الالهية ومستقر رياض الجنة فيرى لنفسه الفقيرة نعيما وملكا عظيما (قال الشيخ سعدى قدس سره) عروسى بود نوبت ماتمت * كرت نيك روزى بود خاتمت (قال خسرو عند وفاته) زدنيا ميروذ خسرو بزراب همى كويد * دلم بكرفت ازغربت تمناى وطن دارم (رب العالمين) لما نبه على استحقاقه الذاتى لجميع المحامد بمقابلة الحمد باسم الذات اردفه بأسماء الصفات جمعا بين الاستحقاقين وهو أى رب العالمين كالبرهان على استحقاقه جميع المحامد الذاتى والصفاتى والدنيوى والاخروى والرب بمعنى التربية والاصلاح أما فى حق العالمين فيربيهم بأغذيتهم وسائر أسباب بقاء وجودهم وفى حق الانسان فيربى الظواهر بالنعمة وهى النفس و يربى البواطن بالرحمة وهى القلوب و يربى نفوس العابدين بأحكام الشريعة و يربى قلوب المشتاقين بآداب الطريقة و يربى أسرار المحبين بأنوار الحقيقة و يربى الانسان تارة بأطواره وفيض قوى أنواره فى أعضائه فسبحان من اسمع بعظم و بصر بشحم وأنطق بلحم وأخرى بترتيب غذائه فى النبات بحبوبه وثماره وفى الحيوان بلحومه وشحومه وفى الاراضى بأشجاره وأنهاره وفى الافلاك بكواكبه وأنواره وفى الزمان بسكونه وتسكين الحشرات والحركات المؤذية فى الليالى وحفظك وتمكينك من ابتغاء فضله بالنهار فيا هذا ربيك كأنه ليس له عبد سواك وأنت لاتخدمه أو تخدمه كأن لك ربا غيره * والعالمين جمع عالم والعالم جمع لاواحد له من لفظه قال وهب لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منهم وما العمران فى الخراب الا كفسطاط فى صحراء وقال الضحاك ثلثمائة وستون ثلثمائة منهم حفاة عراة لايعرفون خالقهم وهم جن و جهنم وستون عالما يلبسون الثياب مر بهم ذو القرنين وكلمهم وقال كعب الاحبار لايحصى لقوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان الله تعالى خلق الخلق أربعة أصناف الملائكة والشياطين والجن والانس ثم جعل هؤلاء عشرة أجزاء تسعة منهم الملائكة

وواحد الثلاثة الباقية ثم جعل هذه الثلاثة عشرة أجزاء تسعة منهم الشياطين وجزء واحد
الجن والانس ثم جعلهما عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن وواحد الانس ثم جعل الانس مائة
وخمسة وعشرين جزأ فجعل مائة جزء في بلاد الهند منهم ساطوح وهم أناس رؤسهم مثل رؤس
الكلاب ومالوخ وهم أناس أعينهم على صدورهم وماسوخ وهم أناس آذانهم كآذان الفيلة
ومالوف وهم أناس لا يطاوعهم أرجلهم يسمون دوال باى ومصيركلهم الى النار وجعل اثنى
عشر جزأ منهم في بلاد الروم النسطورية والملكانية والاسرائيلية كل من الثلاث اربع
طوائف ومصيرهم الى النار جميعا وجعل ستة أجزاء منهم في المشرق يأجوج ومأجوج وترك
وخاقان وترك حدخلج وترك خزر وترك جرجير وجعل ستة أجزاء في المغرب الزنج والزط
والحبشة والنوبة وبربروسائر كفار العرب ومصيرهم الى النار وبقي من الانس من أهل
التوحيد جزء واحد فجزأهم ثلاثا وسبعين فرقة اثنتان وسبعون على خطر وهم أهل البدع
والضلالات وفرقة ناجية وهم أهل السنة والجماعة وحسابهم على الله تعالى يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء وفي الحديث ان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين فرقة وتفرق أمتي على
ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار الا فرقة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من هم على ما أنا
عليه وأصحابي يعني ما أنا عليه وأصحابي من الاعتقاد والفعل والقول فهو حق وطريق موصل
الى الجنة والفوز والفلاح وما عداه باطل وطريق الى النار ان كانوا ابا حيين فهم خلود والا فلا
(الرحمن الرحيم) في التكرار وجوه احدها ما سبق من أن رحمتي البسملة ذاتيتان ورحمتي
الفاتحة صفاتيتان كالبنات والثاني ليعلم أن التسمية ليست من الفاتحة ولو كانت منها لما
أعادهما لخلو الاعادة عن الفائدة والثالث أنه ندب العباد الى كثرة الذكر فان من علامة حب
الله حب ذكر الله وفي الحديث من أحب شيأ أكثر ذكره والرابع أنه ذكر رب العالمين فبين أن
رب العالمين هو الرحمن الذي يرزقهم في الدنيا الرحيم الذي يغفر لهم في العقبى ولذلك ذكر بعده
مالك يوم الدين يعني أن الربوبية اما بالرحمانية وهي رزق الدنيا وأما بالرحيمية وهي المغفرة
في العقبى والخامس أنه ذكر الحمد وبالحمد تنال الرحمة فان أول من حمد الله تعالى من البشر ادم
عطس فقال الحمد لله وأجيب للحال يرحمك ربك ولذلك خلقتك فعلم خلقه الحمد وبين أنهم ينالون
رحمته بالحمد والسادس أن التكرار للتعليل لان ترتيب الحمد على هذه الاوصاف امارة علية
ما أخذها فالرحمانية والرحيمية من جملتها الدلالتهما على أنه مختار في الاحسان لا موجب وفي ذلك
استيفاء أسباب استحقاق الحمد من فيض الذات برب العالمين وفيض الكمالات بالرحمن الرحيم
ولا خارج عنهما في الدنيا وفيض الاثوبة لطفا والاجزية عدلا في الآخرة ومن هذا يفهم وجه
ترتيب الاوصاف الثلاثة والفرق بين الرحمن الرحيم اما باختصاص الحق بالاول أو بعمومه
أو بجلائل النعم فعلى الاول هو الرحمن بما لا يصدر جنسه من العباد والرحيم بما يتصور صدوره
منهم فهذا كما روى عن ذي النون قدس سره وقعت ولولة في قلبي فخرجت الى شط النيل فرأيت
عقربا يعدو فتبعته فوصل الى ضفدع على الشط فركب ظهره وعبر به النيل فركبت السفينة
واتبعته فنزل وعدا الى شاب نائم واذا أفعى يقربه تقصده فتواثبا وتلادغا وماتا وسلم النائم
(ويحكى) أن ولد الغراب اذا خرج من القشر يكون كلحم أحمر ويفر الغراب منه فيجتمع

عليه البعوض فيلتقمه الى أن ينبت ريشه فعند ذلك تعود الام اليه ولهذا قيل
* يارازق النعاب فى عشه * وأما على أن الرحمن عام فقيل كيف ذلك وقلما يخلو أحد بل حالة له
عن نوع بلوى فنا الحوادث منها مايظن أنه رحمة ويكون نقمة وبالعكس قال الله تعالى فعسى أن
تكرهوا شيأ الآية فالاول كما قال

ان الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء أى مفسده

وكل منها فى الظاهر نعمة والثانى كحبس الولد فى المكتب وحمله على التعلم بالضرب وكقطع اليد
المتأكلة فالابله يعتبر بالظواهر والعاقل ينظر الى السرائر فما من بلية ومحنة الا وتحتها رحمة
ومنحة وترك الخير الكثير للشر القليل شر كبير فالتكاليف لتطهير الارواح عن العلائق
الجسدانية وخلق النار لصرف الاشرار الى أعمال الابرار وخلق الشيطان لتميز المخلصين من
العباد فشأن المحقق أن يبنى على الحقائق كالخضر عليه السلام فى قصة موسى عليه السلام معه
فكل مايكره الطبع فتحته أسرار خفية وحكمة بالغة فلولا الرحمة وسبقها الغضب لم يكن وجود
الكون ولما ظهر للاسم عين وأما على أن الرحمن المنعم بجلائل النعم فانما أتبعه بالرحيم لدفع توهم
أن يكون طلب العبد الشئ اليسير سوء أدب كما قيل لبعضهم جئتك لحاجة يسيرة قال اطلب لها
رجلا يسيرا فكأن الله يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت عنى ولكنى رحيم فاطلب منى حتى
شراك نعلك وملح قدرك (قال الشيخ السعدى قدس سره العزيز) تحالست اكرسر برين
درنهى * كه بازآيدت دست حاجت تهى * قال أهل الحقيقة الحضرات الكلية المختصة
بالرحمن ثلاث حضرة الظهور وحضرة البطون وحضرة الجمع وكل موجود فله هذه المراتب
ولا يخلو عن حكمها وعلى هذه المراتب تنقسم أحكام الرحمة فى السعداء والاشقياء والمنعمين
بنفوسهم دون أبدانهم كالارواح المجردة وبالعكس والجامعين بين الامرين وكذا من أهل
الجنة من هم سعداء من حيث نفوسهم بعلومهم دون صورهم لكونهم لم يقدموا فى جنة الاعمال
مايستوجبون به النعيم الصورى وان كان فنزر يسير بالنسبة الى من سواهم وعكس ذلك
كالزهاد والعباد الذين لاعلم لهم فان أرواحهم قليلة الحظ من النعيم الروحانى لعدم المناسبة
بينهم وبين الحضرات العلية الالهية ولهذا لم تتعلق هممهم زمان العمل بما وراء العمل بل
ظنوه الغاية فوقفوا عنده واقتصروا عليه رغبة فيما وعدوا به ورهبة مما حذروا منه وأما
الجامعون بين النعيمين تماما فهم الفائزون بالحظ الكامل فى العلم والعمل كالرسل عليهم الصلاة
والسلام ومن كملت وراثته منهم اعنى الكمل من الاولياء (قال المولى جلال الدين قدس سره)
هر كبوترمى برددرمذهبى * وين كبوترجانب بى جانبى (مالك يوم الدين) اليوم فى العرف
عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفى الشرع عما بين طلوع الفجر الثانى وغروب
الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت لعدم الشمس ثم أى مالك الامر كله فى يوم الجزاء فاضافة
اليوم الى الدين لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الى ماوقع فيها من الحوادث كيوم
الاحزاب ويوم الفتح وتخصيصه اما للتعظيم وتهويله أو لبيان تفرده باجراء الامر فيه وانقطاع
العلائق بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية ففى ذلك اليوم لايكون مالك ولا قاض ولا مجاز
غيره واصل الملك والملك الربط والشد والقوة فلله فى الحقيقة القوة الكاملة والولاية النافذة

والحكم

والحكم الجارى والتصرف الماضى وهو للعباد مجاز اذ الملك لهم بداية ونهاية وعلى البعض لا الكل وعلى الجسم لا العرض وعلى النفس لا النفس وعلى الظاهر لا الباطن وعلى الحى لا الميت بخلاف المعبود الحق اذ ليس لملكه زوال ولا لملكه انتقال وقراءة مالك بالالف أكثر ثوابا من ملك لزيادة حرف فيه (يحكى) عن أبي عبد الله محمد بن شجاع الثلجى رحمه الله تعالى أنه قال كان من عادتى قراءة مالك فسمعت من بعض الادباء أن ملك ابلغ فتركت عادتى وقرأت ملك فرأيت فى المنام قائلا يقول لم نقصت من حسناتك عشرا أما سمعت قول النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن كتب له بكل حرف عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات فانتبهت فلم اترك عادتى حتى رأيت ثانيا فى المنام أنه قيل لى لم لا تترك هذه العادة أما سمعت قول النبى صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن فخما مفخما أى عظيما معظما فأتيت قطربا وكان اماما فى اللغة فسألته ما بين المالك والملك فقال بينهما فرق كثير أما المالك فهو الذى ملك شيأ من الدنيا وأما الملك فهو الذى يملك الملوك قال فى تفسير الارشاد قرأ أهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذى هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلى فى أمور العامة بالامر والنهى وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين انتهى والكل وجوه ترجيح ذكرت فى التفاسير فلتطالع ثمة والوجه فى سرد الصفات الخمس كأنه يقول خلقتك فأنا الله ثم ربيتك بالنعم فأنا رب ثم عصيت فسترت عليك فأنا رحمن ثم تبت فغفرت لك فأنا رحيم ثم لا بد من الجزاء فأنا مالك يوم الدين * وفى التأويلات النجمية الاشارة فى مالك يوم الدين أن الدين فى الحقيقة الاسلام يدل عليه قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام والاسلام على نوعين اسلام بالظاهر واسلام بالباطن فاسلام الظاهر باقرار اللسان وعمل الاركان فهذا الاسلام جسدانى والجسدانى ظلمانى ويعبر عن الليل بالظلمة وأما اسلام الباطن فبانشراح القلب والصدر بنور الله تعالى فهذا الاسلام الروحانى نورانى ويعبر عن اليوم بالنور فالاسلام الجسدانى يقتضى اسلام الجسد لاوامر الله ونواهيه والاسلام الروحانى يقتضى استسلام القلوب والروح لاحكام الازلى وقضائه وقدره فمن كان موقوفا عند الاسلام الجسدانى ولم يبلغ مرتبة الاسلام الروحانى فهو بعد فى سير ليلة الدين متردد ومتحير فيرى ملوكا وملاكا كثيرة كما كان حال الخليل عليه السلام فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ومن تنفس صبح سعادته وطلعت شمس الاسلام الروحانى من وراء جبل نفسه من مشرق القلب فهو على نور من ربه واضح فى كشف يوم الدين فيكون ورد وقته أصبحنا وأصبح الملك لله فيشاهد بعين اليقين بل يكاشف حق اليقين أن الملك لله ولا مالك الا مالك يوم الدين فاذا تجلى له النهار وكشف بالمالك جهارا يخاطبه وجاها ويناجيه شفاها اياك نعبد واياك نستعين ومن لطائف مالك يوم الدين أن مخالفة الملك تؤول الى خراب العالم وفناء الخلق فكيف مخالفة ملك الملوك كما قال الله تعالى فى سورة مريم تكاد السموات يتفطرن منه والطاعة سبب المصالح كما قال تعالى نحن نرزقك والعاقبة للتقوى فعلى الرعية مطاوعة الملوك وعلى الملوك مطاوعة ملك الملوك لتنتظم مصالح العالم ومن لطائفه أيضا أن مالك يوم الدين بين أن كمال ملكه بعدله حيث قال ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ فالملك المجازى ان كان عادلا كان حقا

فدرّت الضروع ونمت الزروع وان كان جائرا كان بالطلاق فارتفع الخير (يحكى) أن أنوشروان
انقطع في الصيد عن القوم فانتهى الى بستان فقال لصبي فيه أعطني رمانة فاعطاه فاستخرج من
حبها ماء كثيرا سكن به عطشه فأعجبه وأضمر أخذ البستان من مالكه فسأله أخرى فكانت عفصة
قليلة الماء فسأل الصبي عنه فقال لعل الملك عزم على الظلم فتاب بقلبه وسأله أخرى فوجدها
أطيب من الاولى فقال الصبي لعل الملك تاب فتنبه انوشروان وتاب بالكلية عن الظلم فبقى اسمه
مخلدا بالعدل حتى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تفاخر فقال ولدت في زمن الملك
العادل قال الفنارى في تفسير الفاتحة بل لعله تفاخر بزمنه النورانى حتى ولد فيه مثله وذكر
انوشروان دليلا على نورانية زمانه حيث لا يتصور في الكافر المسلط أحسن حالا من العدل
انتهى قال الامام السخاوى في المقاصد الحسنة حديث ولدت في زمن الملك العادل لا أصل له
ولا صحة وان صح فاطلاق العادل عليه لتعريفه بالاسم الذي كان يدعى به لا الوصفية بالعدل
والشهادة له بذلك أو وصفه بذلك على اعتقاد المعتقدين فيه أنه كان عادلا كما قال الله تعالى فما
أغنت عنهم آلهتهم أي ما كان عندهم آلهة ولا يجوز أن يسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
يحكم بغير حكم الله عادلا انتهى كلام المقاصد * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالوالى
يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل الا زال عن مكانه
فان كان مطيعا لله في عمله مضى فيه وان كان عاصيا لله انخرق به الجسر فيهوى في جهنم مقدار
خمسين عاما كذا في تذكرة الموتى للامام القرطبي (قال السعدى) شها زورمندى مكن بر جهان *

كه بر يك نمط مى نماند جهان * نماند ستمكار بدروزكار * بماند برو لعنت پايدار (اياك نعبد)
بنى الله سبحانه اول الكلام على ما هو مبادى حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه
والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وتأثير سلطانه ثم قفى بما هو منتهى أمره وهو
أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من
الواصلين الى العين دون السامعين للاثر وفيه اشارة أيضا الى أن العابد ينبغى أن يكون نظره الى
المعبود أولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت منه بل من حيث انها نسبة
شريفة ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب
القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من أحوالها الا من حيث انها ملاحظة
له ومنتسب اليه ولذلك فضل ما حكى عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن
كليمه حيث قال ان معى ربى سيهدين وتقديم المفعول لقصد الاختصاص أي نخصك بالعبادة
لا نعبد غيرك والعبادة غاية الخضوع والتذلل وعن عكرمة جميع ما ذكر في القرآن من العبادة
التوحيد ومن التسبيح الصلاة ومن القنوت الطاعة وعن ابن عباس رضى الله عنه ان جبريل
عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم قل يا محمد اياك نعبد أي اياك نوحد ونرجو لا غيرك
والضمير المستكن في نعبد وكذا في نستعين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضرى صلاة الجماعة
وله ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل
ببركتها وتجاب ولهذا شرعت الجماعة قال الشيخ الاكبر والمسك الاذفر قدسنا الله بسره الاطهر
في كتاب العظمة اذا كنى العبد عن نفسه بنون نفعل فليست بنون التعظيم واذا كنى عن الحق

تعالى بضمير الافراد فان ذلك لغلبة سلطان التوحيد فى قلب هذا العبد وتحققه به حتى سرى فى كلمته فظهر ذلك فى نطقه لفظا كما كان عقدا وعلما وشاهدة وعينا وهذه النون نون الجمع فان العبد وان كان فردانى اللطيفة وحدانى الحقيقة فانه غير وحدانى ولا فردانى من حيث لطيفته ومركبها وهيكلها وقالبها وما من جزء فى الانسان الا والحق تعالى قد طالب الحقيقة الربانية التى فيه أن تلق على هذه الاجزاء ما يليق بها من العبادات وهى فى الجملة وان كانت المدبرة فلها تكليف يخصها او يناسب ذاتها فلهذه الجمعية يقول العبد لله تعالى نصلى ونسجد والك نسعى ونحفد واياك نعبد وأمثال هذا الخطاب ولقد سألنى سائل من علماء الرسوم عن هذه المسئلة وكان قد حار فيها فأجبته بأجوبة منها هذا فشفى غليله والحمد لله اه كلام الشيخ قدس سره وانما خصص العبادة به تعالى لان العبادة نهاية التعظيم فلا تليق الا بالمنعم فى الغاية وهو المنعم بخلق المنتفع وباعطاء الحياة الممكنة من الانتفاع كما قال تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم الآية وخلق لكم ما فى الارض جميعا ولان أحوال العبد ماض وحاضر ومستقبل ففى الماضى نقله من العدم والموت والعجز والجهل الى الوجود والحياة والقدرة والعلم بقدرته الازلية وفى الحاضر انفتحت عليه أبواب الحاجات ولزمته أسباب الضرورات فهو الرب الرحمن الرحيم وفى المستقبل مالك يوم الدين يجازيه بأعماله فصالحه فى الاحوال الثلاثة لا تستتب الا بالله فلا مستحق للعبادة الا الله تعالى ثم قوله نعبد يحتمل أن يكون من العبادة ومن العبودة والعبادة هى العابدية والعبودة هى العبدية فمن العبادة الصلاة بلا غفلة والصوم بلا غيبة والصدقة بلا منة والحج بلا اراءة والغزو بلا سمعة والعتق بلا اذية والذكر بلا ملالة وسائر الطاعات بلا آفة ومن العبودة الرضا بلا خصومة والصبر بلا شكاية واليقين بلا شبهة والشهود بلا غيبة والاقبال بلا رجعة والايصال بلا قطيعة وأقسام العبادة على ما ذكره حجة الاسلام فى كتابه المسمى بالاربعين عشرة كما أن الاعتقادات التى قبلها عشرة فالمعتقدات الذات الازلية الابدية المنعوتة بصفات الجلال والاكرام الذى هو الاول والآخر والظاهر والباطن أى الاول بوجوده والآخر بصفاته وأفعاله والظاهر بشهاداته ومكوّناته والباطن بغيبه ومعلوماته ثم التقديس عما لا يليق بكماله أو يشين بجماله من النقائص والرذائل ثم القدرة الشاملة للممكنات ثم العلم المحيط بجميع المعلومات حتى بدبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء وما هو أخفى منه كهواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر ثم الارادة بجميع الكائنات فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل أو كثير الا بقضائه ومشيئته مريد فى الازل لوجود الاشياء فى أوقاتها المعينة فوجدت كما أرادها ثم السمع والبصر لا يحجب سمعه بعد ولا رؤيته ظلام فيسمع من غير أصمخة وآذان ويبصر من غير حدقة وأجفان ثم الكلام الازلى القائم بذاته لا بصوت ككلام الخلق وأن القرآن مقروء ومكتوب ومحفوظ ومع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى وأن موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله من غير شكل ولا لون ثم الافعال الموصوفة بالعدل المحض فلا موجود الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله اذ لا يتصاف لغيره ملكا ليكون تصرفه فيه ظلما فلا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه فعل فكل نعمة من فضله وكل نقمة من عدله ثم اليوم الآخر والعاشر النبوة المشتملة على ارسال الملائكة وانزال الكتب وأما

العبادات العشرة فالصلاة والزكاة والصوم والحج وقراءة القرآن وذكر الله في كل حال وطلب الحلال والقيام بحقوق المسلمين وحقوق الصحبة والتاسع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعاشر اتباع السنة وهو مفتاح السعادة وامارة محبة الله كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (قال المولى الجامي) يانبي الله السلام عليك * انما الفوز والفلاح لديك * كر نرفتم طريق سنت تو * هستم از عاصيان امت تو * مانده ام زير بار عصيان پست * افتم ازپاي اكر تكيري دست * وجاء في بيان مراتب العباد المتوجهين الى الله أن الانسان اذا فعل برا ان قصد به امرا ما غير الحق كان من الاحرار لامن العبيد وان لم يقصد أمرا بعينه بل يفعله لكونه خيرا فقط أو لكونه مأمورا به لامطلقا بل من حيث الحضور منه مع الآمر فهو الرجل فان ارتقى بحيث لا يقصد بعمله غير الحق كان تاما في الرجولية فان كان بحيث لا يفعل شيأ الا بالحق كما ورد في قرب النوافل صار تاما في المعرفة والرجولية وان انضم الى ما سبق حضوره مع الحق في فعله بحيث يشهده بعين الحق لا بنفسه من حيث اضافة الشهود الى الله والفعل والاضافة اليه لا الى نفسه فهو العبد المخلص الخالص عمله فان ظهرت عليه غلبة أحكام هذا المقام والذي قبله وهو مقام بي يسمع غير متقيد بشيء منها ولا بمجموعها مع سريان حكم شهوده الاحدي في كل مرتبة ونسبة دون الثبات على أمر بعينه بل ثابتا في سعته وقبوله كل وصف وحكم عن علم صحيح منه بما اتصف به وما انسلخ عنه في كل وقت وحال دون غفلة وحجاب فهو الكامل في العبودية والخلافة والاحاطة والاطلاق كذا في تفسير الفاتحة للصدر القنوي قدس سره قال في التأويلات النجمية في قوله اياك نعبد رجع الى الخطاب من الغيبة لانه ليس بين المملوك ومالكه الا حجاب ملك نفس المملوك فاذا اعبر من حجاب ملك النفس وصل الى مشاهدة مالك النفس كما قال أبو يزيد في بعض مكاشفاته الهي كيف السبيل اليك قال له ربه دع نفسك وتعال فللنفس اربع صفات امارة ولوامة وملهمة ومطمئنة فأمر العبد المملوك بأن يذكر مالكه باربع صفات بالصفة الالهية والربوبية والرحمانية والرحيمية فيعبر بعد مدح الالهية وشكر الربوبية وثناء الرحمانية وتمجيد الرحيمية بقوة جذبات هذه الصفات الاربع من حجاب مالك الصفات الاربع للنفس فيتخلص من ظلمات ليلة رين نفسه بطلوع صبح صادق مالك يوم الدين فيبقى العبد عبدا مملوكا لا يقدر على شيء فيرحمه مالكه ويذكره بلسان كرمه على قضية وعد فاذكروني أذكركم وينادبه ويخاطب نفسه يا أيتها النفس المطمئنة ثم يجذبه من غيبة نفسه الى شهود مالكية ربه بجذبة ارجعي الى ربك فيشاهد جمال مالكه ويناديه نداء عبد خاضع خاشع ذليل عاجز كما قرأ بعضهم مالك يوم الدين نصبا على نداء اياك نعبد واعلم أن النفس دنيوية تعبد هواها الدنيوي لقوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه والقلب أخروي يعبد الجنة لقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى والروح قربي يعبد القربة والعندية لقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر والسر حضرتي يعبد الحق تبارك لقوله تعالى على لسان نبيه عليه السلام الاخلاص سر بيني وبين عبدي لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل فلما أنعم الله على عبده بنعمة الصلاة قسمها بينه وبين عبده كما قال تعالى على لسان نبيه عليه السلام قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها الى ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فتقرب العبد

بنصفه

بنصفه الى حضرة كماله بالحمد والثناء والشكر على صفات جماله وجلاله وتقرب الرب على مقتضى كرمه وانعامه كما قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا بنصفه الى خلاص عبده من رق عبودية الاغيار باخراجه من ظلمات بعضها فوق بعض من هوى النفس ومراد القلب وتعلق الروح بغير الحق الى نور وحدانيته وشهود فردانيته فأشرقت أرض النفس وسموات القلب وعرش الروح وكرسي السر بنور ربها فآمنوا كلهم أجمعون بالله الذى خلقهم وهو مالكهم وملكهم وكفروا بطواغيتهم التى يعبدونها واستمسكوا بالعروة الوثقى وجعلوا كلهم واحدا وقالوا اياك نعبد واياك نستعين كرر اياك للتنصيص على اختصاصه تعالى بالاستعانة أيضا والاستعانة طلب العون ويعدى بالباء وبنفسه أى نطلب العون على عبادتك أو على مالا طاقة لنا به او على محاربة الشيطان المانع من عبادتك أوفى أمورنا بما يصلحنا فى دنيانا وديننا والجامع للاقاويل نسألك أن تعيننا على اداء الحق واقامة الفروض وتحمل المكاره وطلب المصالح وتقديم العبادة على الاستعانة ليوافق رؤس الآى وليعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واياك نعبد لما اورثه العجب اردف اياك نستعين ازالة له وافناء للنخوة ففى الجمع بينهما افتخار وافتقار فالافتخار بكونه عبدا عابدا والافتقار الى معونته وتوفيقه وعصمته وفيه أيضا تحقيق لمذهب أهل السنة والجماعة اذ فيه اثبات الفعل من العبد والتوفيق من الله كالخلق ففيه رد الجبرية النافين للفعل من العبد بقوله اياك نعبد ورد المعتزلة النافين للتوفيق والخلق من الله بقوله اياك نستعين ثم تحقيقهما من العبد أن لا يخدم غير الله ولا يسأل الا من الله (حكى) عن سفيان الثورى رحمه الله أنه أم قوما فى صلاة المغرب فلما قال اياك نعبد واياك نستعين خر مغشيا عليه فلما أفاق قيل له فى ذلك فقال خفت أن يقال فلم تذهب الى أبواب الاطباء والسلاطين وفى تخصيص الاستعانة بالتقديم اقتداء بالخليل عليه السلام فى قيد النمرود حيث قال له جبريل عليه السلام هل لك من حاجة فقال أما اليك فلا فقال سله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى بل زدت عليه فان الخليل قيد رجلاه ويداه لا غير فأما أنا فقيدت الرجلين فلا اسير واليدين فلا أحركهما وعينى فلا أنظر بهما وأذنى فلا أسمع بهما ولسانى فلا أتكلم به وأنا مشرف على نار جهنم فكما رضى الخليل بغيرك معينا لا أريد الا عونك فاياك نستعين وكأنه تعالى يقول فنحن أيضا نزيد حيث قلنا ثمة يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وأما أنت فقد نجيناك من النار وأوصلناك الى الجنة وزدناك سماع الكلام القديم وأمرنا نار جهنم تقول لك جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى (قال المولى جلال الدين قدس سره) زآتش عاشق ازين رواى صفى * ميشود دوزخ ضعيف ومنطفى * كويدش بكذر سبك اى محتشم * ورنه زآتشهاى تو مرد آتشم * (اهدنا الصراط المستقيم) بيان المعونة المطلوبة كأنه قيل كيف أعينك فقال اهدنا الصراط المستقيم وأيضا ان التعقيب بالدعاء بعد تمام العبادة قاعدة شرعية قال فى التيسير اياك نعبد اظهار التوحيد واياك نستعين طلب العون عليه وقوله اهدنا لسؤال الثبات على دينه وهو تحقيق عبادته واستعانته وذلك لان الثبات على الهداية أهم الحاجات اذ هو الذى سأله الانبياء والاولياء كما قال يوسف عليه السلام توفنى مسلما وسحرة فرعون توفنا مسلمين والصحابة وتوفنا مع الابرار وذلك لانه لا ينبغى أن يعتمد على ظاهر الحال فقد يتغير فى المآل

كالابليس وبرصيصا وبلعم بن باعورا (قال المولى جلال الدين قدس سره) صد هزارا بليس وبلعم درجهان * همچنين بودست پيدا ونهان * اين دورا مشهور كردانيد اله * تا كه باشند اين دو بر باقى كواه * اين دو دزد آويخت بر دار بلند * ورنه اندر قهر بس دزدان بدند * وفى تفسير القاضى اذا قاله العارف الواصل الى الله عنى به أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتميط غواشى أبداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك قال المولى الفنارى ومبناه أن السير فى الله غير متناه كما قال قطب المحققين ولا نهاية للمعلومات والمقدورات فما دام معلوم أو مقدور فالشوق للعبد لا يسكن ولا يزول وأصل الهداية أن تعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار فى قوله تعالى واختار موسى قومه والصراط المستقيم استعارة عن ملة الاسلام والدين الحق تشبيها لوسيلة المقصود بوسيلة المقصد أو لمحل التوجه الروحانى بمحل التوجه الجسمانى وانما سمى الدين صراطا لان الله سبحانه وان كان متعاليا عن الامكنة لكن العبد الطالب لا بد له من قطع المسافات ومس الآفات وتحمل المجافاة ليكرم بالوصول والموافاة ثم فى قوله اهدنا الصراط المستقيم مع أنه مهتد وجوه الاول أنه لا بد بعد معرفة الله تعالى والاهتداء بها من معرفة الخط المتوسط بين الافراط والتفريط فى الاعمال الشهوية والغضبية وانفاق المال والمطلوب أن يهديه الى الوسط والثانى أنه وان عرف الله بدليل فهنالك أدلة أخرى فعنى اهدنا عرفنا ما فى كل شيء من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وأفعالك والثالث أن معناه بموجب قوله تعالى وان هذا صراطى مستقيما طلب الاعراض عما سوى الله وان كان نفسه والاقبال بالكلية عليه حتى لو أمر بذبح ولده كابراهيم عليه السلام أو بأن ينقاد للذبح كاسمعيل عليه السلام أو بأن يرمى نفسه فى البحر كيونس عليه السلام أو بأن يتلمذ مع بلوغه أعلى درجات الغايات كموسى عليه السلام أو بأن يصبر فى الامر بالمعروف على القتل والشق نصفين كيحيى وزكريا عليهما السلام فعل وهذا مقام هائل الا أن فى قوله صراط الذين أنعمت عليهم دون أن يقول صراط الذين ضربوا وقتلوا تيسيرا ما وترغيبا الى مقام الانبياء والاولياء من حيث انعامهم ثم الاستقامة الاعتدالية ثم الثبات عليها أمر صعب ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم شيبتنى هود وأخواتها حيث ورد فيها فاستقم كما أمرت فان الانسان من حيث نشأته وقواه الظاهرة والباطنة مشتمل على صفات وأخلاق طبيعية وروحانية ولكل منها طرفا افراط وتفريط والواجب معرفة الوسط من كل ذلك والبقاء عليه وبذلك وردت الاوامر ونطقت الآيات كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الخ حرضه على الوسط بين البخل والاسراف وكقوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله مستشيرا فى الترهب وصيام الدهر وقيام الليل كله بعد زجره اياه ان لنفسك عليك حقا ولزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا فصم وأفطر وقم ونم وهكذا فى الاحوال كلها نحو قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ولم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وما زاغ البصر وما طغى ولما رأى صلى الله عليه وسلم عمر رضى الله عنه يقرأ رافعا صوته سأله فقال اوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال عليه السلام اخفض من صوتك قليلا وأتى أبا بكر رضى الله عنه فوجده يقرأ خافضا صوته فسأله فقال قد أسمعت من ناجيت فقال عليه السلام ارفع من صوتك قليلا وهكذا الامر فى باقى الاخلاق فان الشجاعة صفة متوسطة بين التهور والجبن والبلاغة

بين الايجاز المجحف والاطناب المفرط وشريعتنا قد تكفلت ببيان ميزان الاعتدال فى كل ترغيب
وترهيب وحال وحكم وصفة وخلق حتى عينت للمذمومة مصارف اذا استعملت فيها كانت
محمودة كالمنع لله والبغض لله والمستقيم على أقسام منها مستقيم بقوله وفعله وقلبه ومستقيم
بقلبه وفعله دون قوله أى لم يعلم أحدا ولهذين الفوز والاول أعلى ومستقيم بفعله وقوله دون قلبه
وهذا يرجى له النفع بغيره ومنها مستقيم بقوله وقلبه دون فعله ومستقيم بقوله دون فعله وقلبه
ومستقيم بقلبه دون قوله وفعله ومستقيم بفعله دون قوله وقلبه وهؤلاء الاربعة عليهم لا لهم وان
كان بعضهم فوق بعض وليس المراد بالاستقامة بالقول ترك الغيبة والنميمة وشبههما فان الفعل
يشمل ذلك انما المراد به ارشاد الغير الى الصراط المستقيم وقد يكون عريا عما يرشد اليه مثال
اجتماعها رجل تفقه فى أمر صلاته وحققها ثم علمها غيره فهذا مستقيم فى قوله ثم حضر وقتها
فاداها على ما علمها محافظا على أركانها الظاهرة فهذا مستقيم فى فعله ثم علم أن مراد الله منه من
تلك الصلاة حضور قلبه معه فأحضره فهذا مستقيم بقلبه وقس على ذلك بقية الاقسام
وفى التأويلات النجمية ان أقسام الهداية ثلاثة الاولى هداية العامة أى عامة الحيوانات الى
جلب منافعها وسلب مضارها واليه أشار بقوله تعالى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله
وهديناه النجدين والثانية هداية الخاصة أى للمؤمنين الى الجنة واليه الاشارة بقوله تعالى
يهديهم ربهم بايمانهم الآية والثالثة هداية الاخص وهى هداية الحقيقة الى الله بالله واليه
الاشارة بقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وقوله انى ذاهب الى ربى سيهدين وقوله الله
يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب وقوله ووجدك ضالا فهدى أى كنت ضالا فى تيه
وجودك فطلبتك بجودى ووجدتك بفضلى ولطفى وهديتك بجذبات عنايتى ونور هدايتى الى
وجعلتك نورا فأهدى بك الى من أشاء من عبادى فمن اتبعك وطلب رضاك فنخرجهم من ظلمات
الوجود البشرى الى نور الوجود الروحانى ونهديهم الى صراط مستقيم كما قال تعالى قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله والصراط المستقيم هو الدين القويم وهو ما يدل عليه القرآن
العظيم وهو خلق سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فيما قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ثم هو اما
الى الجنة وذلك لاصحاب اليمين كما قال تعالى والله يدعو الى دار السلام الآية واما الى الله تعالى
وهذا للسابقين المقربين كما قال تعالى الى صراط مستقيم صراط الله وكل ما يكون لاصحاب اليمين
يحصل للسابقين وهم سابقون على أصحاب اليمين بما لهم من شهود الجمال وكشف الجلال وهذا
خاصة لسيد المرسلين ومتابعيه كما قال تعالى قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن
اتبعنى (قال الشيخ قدس سره) برآتش فشانند سجاده ات * اكر جز بحق ميرود جاده ات *
(صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الاول بدل الكل والانعام ايصال النعمة وهى فى الاصل
الحالة التى يستلذها الانسان فأطلقت على ما يستلذه من نعمة الدين الحق قال أبو العباس بن
عطاء هؤلاء المنعم عليهم هم طبقات فالعارفون انعم الله عليهم بالمعرفة والاولياء أنعم الله عليهم
بالصدق والرضا واليقين والصفوة والابرار أنعم الله عليهم بالحلم والرأفة والمريدون أنعم الله عليهم
بحلاوة الطاعة والمؤمنون أنعم الله عليهم بالاستقامة وقيل هم الانبياء والصديقون والشهداء
والصالحون كما قال تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين وأضيف الصراط هنا الى العباد وفى قوله وان هذا صراطى مستقيما الى ذاته تعالى كما اضيف الدين والهدى تارة الى الله تعالى نحو أفغير دين الله وان الهدى هدى الله وتارة الى العباد نحو اليوم اكملت لكم دينكم وبهداهم اقتده وسره من وجوه الاول بيان أن ذلك كله له شرعا ولنا نفعا كما قال تعالى شرع لكم من الدين والثانى أنه له ارتضاء واختيارا ولنا سلوكا وائتمارا والثالث أنه أضافه الى نفسه قطعا لعجب العبد والى العبد تسلية لقلبه والرابع أنه أضافه الى العبد تشريفا له وتقريبا والى نفسه قطعا لطمع ابليس عنه كما قيل لما نزل قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين قال الشيطان ان لم أقدر على سلب عزة الله ورسوله أسلب عزة المؤمنين فقال الله تعالى فلله العزة جميعا فقطع طمعه كذا فى التيسير وتكرار الصراط اشارة الى أن الصراط الحقيقى صراطان من العبد الى الرب ومن الرب الى العبد فالذى من العبد الى الرب طريق مخوف كم قطع فيه القوافل وانقطع به الرواحل ونادى منادى العزة لاهل العزة الطلب رد والسبيل سد وقاطع الطريق يقطع على هذا الطريق لاقعدن لهم صراطك المستقيم الآية والذى من الرب الى العبد طريق آمن وبالامات كائن قد سلم فيه القوافل وبالنعم محفوف المنازل يسير فيه سيارته ويقاد بالدلائل قادته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الآية أى أنعم الله على أسرارهم بأنوار العناية وعلى أرواحهم بأسرار الهداية وعلى قلوبهم بآثار الولاية وعلى نفوسهم فى قمع الهوى وقهر الطبع وحفظ الشرع بالتوفيق والرعاية وفى مكايد الشيطان بالمراقبة والكلاءة والنعم اما ظاهرة كارسال الرسل وانزال الكتب وتوفيق قبول دعوة الرسل واتباع السنة واجتناب البدعة وانقياد النفس للاوامر والنواهى والثبات على قدم الصدق ولزوم العبودية واما باطنة وهى ما أنعم على أرواحهم فى بداية الفطرة باصابة رشاش نوره كما قال عليه السلام ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن أخطأه فقد ضل فكان فتح باب صراط الله الى العبد من رشاش ذلك النور * وأول الغيث رش ثم ينسكب * فالمؤمنون ينظرون بذلك النور المرشوش الى مشاهدة الغيث وينتظرون الغيث ويستعينون * اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم بجذبات ألطافك وفتحت عليهم أبواب فضلك ليهتدوا بك اليك فأصابوا بما أصابهم بك منك كذا فى التأويلات النجمية قال الشيخ صدر الدين القنوى قدس سره فى الفكوك فى تأويل الحديث المذكور ولاشك أن الوجود المحض يتعقل فى مقابلته العدم المضاد له فان للعدم تعينا فى التعقل لا محالة وله الظلمة كما أن الوجود له النورانية ولهذا يوصف الممكن بالظلمة فانه يتنور بالوجود فيظهر فظلمته من أحد وجهيه الذى يلى العدم وكل نقص يلحق الممكن ويوصف به انما ذلك من أحكام النسبة العدمية والية الاشارة بقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليه من نوره فظهر وخلق ههنا بمعنى التقدير فان التقدير سابق على الايجاد ورش النور كناية عن افاضة الوجود على الممكنات فاعلم ذلك انتهى كلام الشيخ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) بدل من الذين على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال وكلمة غير على ثلاثة أوجه الاول بمعنى المغايرة وفارسيته جز قال الله تعالى لتفترى علينا غيره والثانى بمعنى لا وفارسيته نا قال تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد

والثالث بمعنى الاوفار سيته مكر قال تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وصرفها ههنا على هذه الوجوه محتمل غير أن معنى الاستثناء مخصوص بقراءة النصب والغضب ثوران النفس عند ارادة الانتقام يعنى انه حالة نفسانية تحصل عند غليان النفس ودم القلب لشهوة الانتقام وهنا نقيض الرضا أو ارادة الانتقام أو تحقيق الوعيد أو الاخذ الاليم أو البطش الشديد أو هتك الاستار والتعذيب بالنار لان القاعدة التفسيرية أن الافعال التى لها أوائل بدايات وأواخر غايات اذا لم يمكن اسنادها الى الله باعتبار البدايات يراد بها حين الاسناد غاياتها كالغضب والحياء والتكبر والاستهزاء والغم والفرح والضحك والبشاشة وغيرها والضلال العدول عن الطريق السوى عمدا أو خطأ والمراد بالمغضوب عليهم العصاة وبالضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليهم هم الجامعون بين العلم والعمل فكان المقابل لهم من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى فى القاتل عمدا وغضب الله عليه ولعنه والمخل بالعلم جاهل ضال كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال أو المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى فى حقهم من لعنه الله وغضب عليه والضالون النصارى لقوله تعالى فى حقهم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وليس المراد تخصيص نسبة الغضب باليهود ونسبة الضلال بالنصارى لان الغضب قد نسب أيضا الى النصارى وكذا الضلال قد نسب الى اليهود فى القرآن بل المراد أنهما اذا تقابلا فالتعبير بالغضب الذى هو ارادة الانتقام لا محالة باليهود اليق لغاية تمردهم فى كفرهم من اعتدائهم وقتلهم الانبياء وقولهم ان الله فقير ونحن اغنياء وغير ذلك فان قلت من المعلوم أن المنعم عليهم غير الفريقين فما الفائدة فى ذكرهما بعدهم قلت فائدته وصف ايمانهم بكمال الخوف من حال الطائفتين بعد وصفه بكمال الرجاء فى قوله الذين أنعمت عليهم قال عليه السلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا واعلم ان حكم الغضب الالهى تكميل مرتبة قبضة الشمال فانه وان كان كلتا يديه المقدستين يمينا مباركة لكن حكم كل واحدة يخالف الاخرى فالارض جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه فلليد الواحدة المضاف اليها عموم السعداء الرحمة والجنان وللاخرى القهر والغضب ولوازمهما فسر حكم الغضب هو التكميل المشار اليه فى الجمع بين حكم اليدين والوقاية كصاحب الاكلة اذا ظهرت فى عضو واحد وقدر أن يكون الطبيب والده أو صديقه أو شقيقه فانه مع فرط محبته يبادر لقطع العضو المعتل لما لم يكن فيه قابلية الصلاح والسر الثالث التطهير كالذهب الممزوج بالرصاص والنحاس اذا قصد تمييزه لا بد وأن يجعل فى النار الشديدة والضلال هو الحيرة فمنها ما هى مذمومة ومنها ما هى محمودة ولها ثلاث مراتب حيرة أهل البدايات وحيرة المتوسطين من أهل الكشف والحجاب وحيرة أكابر المحققين وأول مزيل للحيرة الاولى تعين المطلب المرجح كرضا الله والتقرب اليه والشهود الذاتى ثم معرفة الطريق الموصل كملازمة شريعة الكمل ثم السبب المحصل كالمرشد ثم ما يمكن الاستعانة به فى تحصيل الغرض من الذكر والفكر وغيرهما ثم معرفة العوائق وكيفية ازالتها كالنفس والشيطان فاذا تعينت هذه الامور الخمسة حينئذ تزول هذه الحيرة وحيرة الاكابر محمودة لا تظنن ان هذه الحيرة سببها قصور فى الادراك ونقص مانع من كمال الجلاء هنا والاستجلاء لما هنالك بل هذه حيرة يظهر حكمها بعد كمال التحقق بالمعرفة والشهود ومعاينة سر كل وجود

والاطلاع التام على احدية الوجود وفي تفسير النجم غير المغضوب عليهم ولا الضالين هم الذين اخطأهم ذلك النور فضلوا في تيه هوى النفس وتاهوا في ظلمات الطبع والتقليد فغضب الله عليهم مثل اليهود ولعنهم بالطرد والتبعيد حتى لم يهتدوا الى الشرع القويم ووقعوا عن الصراط المستقيم أي عن المرتبة الانسانية التي خلق فيها الانسان في أحسن تقويم ومسخوا قردة وخنازير صورة أو معنى أولما وقعوا عن الصراط المستقيم في سد البشرية نسوا ألطاف الربوبية وضلوا عن صراط التوحيد فأخذهم الشيطان بشرك الشرك كالنصارى فاتخذوا الهوى الها والدنيا الها وقالوا ثالث ثلاثة نسوا الله فنسيهم هذا بحسب أول الحال وفيه وجه آخر معتبر فيه عارض المآل وهو أن يراد غير المغضوب عليهم بالغيبة بعد الحضور والمحنة بعد السرور والظلمة غب النور نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي من الرجوع الى النقصان بعد الزيادة ولا الضالين بغلبة الفسق والفجور وانقلاب السرور بالشرور ووجه ثالث يعبر في السلوك الى ملك الملوك وهو غير المغضوب عليهم بالاحتباس في المنازل والانقطاع عن القوافل ولا الضالين بالصدود عن المقصود (آمين) اسم فعل بمعنى استجب معناه يا الله استجب دعاءنا أو افعل يارب بني على الفتح كاين وكيف لالتقاء الساكنين وليست من القرآن اتفاقا لانها لم تكتب في الامام ولم ينقل أحد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم رضي الله تعالى عنهم أنها قرآن لكن يسن أن يقول القارئ بعد الفاتحة آمين مفصولة عنها لقوله عليه السلام علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وزاده علي رضي الله عنه توضيحا فقال آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده فسره أن الخاتم كما يمنع عن المختوم الاطلاع عليه والتصرف فيه يمنع آمين عن دعاء العبد الخيبة وقال وهب يخلق بكل حرف منه ملك يقول اللهم اغفر لمن قال آمين وفي الحديث الداعي والمؤمن شريكان يعني به قوله تعالى قد أجيبت دعوتكما قال عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقولها فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وسره مامر في كلام وهب أما الموافقة فقيل في الزمان وقيل في الاخلاص والتوجه الاحدي واختلف في هؤلاء الملائكة قيل هم الحفظة وقيل غيرهم ويعضده ماروى أنه عليه السلام قال فان من وافق قوله قول أهل السماء ويمكن أن يجمع بين القولين بأن يقولها الحفظة وأهل السماء أيضا قال المولى الفناري في تفسير الفاتحة ان الفاتحة نسخة الكمال لمن أخرج للاستكمال من ظلمة العدم والاستهلاك في نور القدم الى أنوار الروحانية ثم بواسطة النفخ الى عالم الجسمانية ليكمل مرتبة الانسانية التي لجمعيتها مظنة الانانية فاحتاج الى طلب الهداية الى منهاج العناية التي منها جاء ليرجع من الوجود الى العدم بل من الحدوث الى القدم فيفقد الموجود فقدانا لا يجده ويجد المفقود وجدانا لا يفقده ولما حصل لهم رتبة الكمال بقبول هذا السؤال كما قال ولعبدي ما سأل فأضافه الى نفسه بلام التمليك ثم ختم أكرم الاكرمين نسخة حالهم بخاتم آمين اشارة الى أن عباده المخلصين ليس لأحد من العالمين أن يتصرف فيهم بأن يفك خاتم رب العالمين ولهذا ايس ابليس فقال الاعبادك منهم المخلصين وعدد آيات سورة الفاتحة سبع في قول الجمهور على ان احداها ما آخرها انعمت عليهم لا التسمية أو بالعكس وعدد كلماتها في التيسير أنها خمس وعشرون وحروفها مائة وثلاثة وعشرون وفي عين المعاني

كلماتها سبع وعشرون وحروفها مائة واثنان وأربعون وسبب الاختلاف بعد عدم اعتبار البسملة اعتبار الكلمات المنفصلة كتابة أو المستقلة تلفظا واعتبار الحروف الملفوظة أو المكتوبة أو غيرهما وسئل عطاء أى وقت أنزلت فاتحة الكتاب قال أنزلت بمكة يوم الجمعة كرامة أكرم الله بها محمدا عليه السلام وكان معها سبعة آلاف ملك حين نزل بها جبريل على محمد عليهما السلام روى ان عيرا قدمت من الشام لابى جهل بمال عظيم وهى سبع فرق ورسول الله وأصحابه ينظرون اليها وأكثر الصحابة بهم جوع وعرى فخطر ببال النبى صلى الله عليه وسلم شئ لحاجة أصحابه فنزل قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى أى مكان سبع قوافل لابى جهل لا تنظر الى ما أعطيناك مع جلالة هذه العطية فلم تنظر الى ما أعطيته من متاع الدنيا الدنية ولما علم الله أن غنيه لم يكن لنفسه بل لاصحابه قال ولا تحزن عليهم وامره بما يزيد نفعه على نفع المال فقال واخفض جناحك للمؤمنين فان تواضعك أطيب لقلوبهم من ظفرهم بمحبوبهم ومن فضائلها أيضا قوله عليه السلام لو كانت فى التوراة لما تهود قوم موسى ولو كانت فى الانجيل لما تنصر قوم عيسى ولو كانت فى الزبور لما مسخ قوم داود عليهم السلام وأيما مسلم قرأها أعطاه الله من الاجر كأنما قرأ القرآن كله وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ومن فضائلها أيضا أن الحروف المعجمة فيها اثنان وعشرون وأعوان النبى صلى الله عليه وسلم بعد الوحى اثنان وعشرون وأن ليست فيها سبعة احرف ثاء الثبور وجيم الجحيم وخاء الخوف وزاى الزقوم وشين الشقاوة وظاء الظلمة وفاء الفراق فمعتقد هذه السورة وقارئها على التعظيم والحرمة آمن من هذه الاشياء السبعة وعن حذيفة رضى الله عنه أنه عليه السلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى المكتب الحمد لله رب العالمين فيسمعه ويرفع عنهم بسببه العذاب أربعين سنة وقد مر ما روى من ايداع علوم جميع الكتب فى القرآن ثم فى الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير الكل ومن قرأها فكأنما قرأ الكل قال فى التفسير الكبير والسبب أن المقصود من جميع الكتب علم الاصول والفروع والمكاشفات وقد علم اشتمالها عليها قال الفنارى وذلك لما علم أن أولها الى قوله تعالى مالك يوم الدين اشارة الى العقائد المبدئية المتعلقة بالالهيات ذاتا وصفة وفعلا لان حصر الحمد يقتضى حصر الكمالات الذاتية والوصفية والفعلية ثم بالنبوات والولايات لانهما أجلاء النعم أو أخصاؤها ثم الى العقائد المعادية لكونه مالكا للامر كله يوم المعاد وأوسطها من قوله اياك نعبد واياك نستعين الى أقسام الاحكام الرابطة بين الحق والعبد من العبادات وذلك ظاهر من المعاملات والمزاجر لان الاستعانة الشرعية اما لجلب المنافع أو لدفع المضار وآخرها الى طلب المؤمنين وجوه الهداية المرتبة على الايمان المشار اليه فى القسم الاول والاسلام المشار اليه فى القسم الثانى وهى وجوه الاحسان أعنى المراتب الثلاث من الاخلاق الروحانية المحمودة ثم المراقبات المعهودة فى قوله عليه السلام أن تعبد الله كأنك تراه ثم الكمالات المشهودة عند الاستغراق فى مطالع الجلال الرافع لكاف التشبيه الذى فى ذلك الخبر والدافع لغضب تنزيه الجبر وضلال نسبة القدر وهذه هى المسماة بعلوم المكاشفات والله أعلم بأسرار كلماته المبطنات

(سورة البقرة مدنية وآياتها مائتان وسبع وثمانون)

ان قلت أى سورة أطول وأيها أقصر وأى آية أطول وأيها أقصر قلت قال أهل التفسير أطول سورة في القرآن البقرة وأقصرها الكوثر وأطول آية آية الدين وأقصرها آية والضحى والفجر وأطول كلمة فيه كلمة فأسقيناكموه فان قلت ما الحكمة في أن سورة البقرة أعظم السور ما عدا الفاتحة الجواب لانه افصلت فيها الاحكام وضربت الامثال وأقيمت الحجج اذلم تشتمل سورة على ما اشتملت عليه ولذلك سميت فسطاط القرآن قال ابن العربي في أحكام القرآن سمعت بعض أشياخي يقول فيها ألف أمر وألف نهى وألف حكم وألف خبر ولعظم فقهها أقام ابن عمر رضى الله عنه ثماني سنين على تعلمها كذا في أسئلة الحكم قال الامام في التفسير الكبير اعلم أنه مر على لساني في بعض الاوقات أن هذه السورة الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسئلة فاستبعد هذا بعض الحساد وقوم من أهل الجهل والغي والعناد وحملوا ذلك على ما ألفوه من أنفسهم من التعلقات الفارغة عن المعاني والكلمات الخالية عن تحقيق المعاقد والمباني فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب قدمت هذه المقدمة لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمر ممكن الحصول قريب الوصول انتهى وانما سورت السور طوالا وأوساطا وقصارا تنبيها على أن الطول ليس من شرط الاعجاز فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهى معجزة اعجاز سورة البقرة ثم ظهرت لذلك التسوير حكمة في التعليم وتدريج الاطفال من السور القصار الى ما فوقها تيسيرا من الله تعالى على عباده وفي ذلك أيضا ترغيب وتوسيع في الفضيلة في الصلاة وغيرها كسورة الاخلاص من القصار تعدل ثلث القرآن فمن فهم ذلك فاز بسر التسوير فان قلت ما الحكمة في تعدد مواطن نزول القرآن وتكرر مشاهده مكيا مدنيا ليليا نهاريا سفريا حضريا صيفيا شتائيا نوميا برزخيا يعني بين الليل والنهار أرضيا سماويا غاريا مانزل في الغار يعني تحت الارض برزخيا مانزل بين مكة والمدينة عرشيا معراجيا مانزل ليلة المعراج آخر سورة البقرة الجواب الحكمة في ذلك تشريف مواطن الكون كلها بنزول الوحي الالهي فيها وحضور الحضرة المحمدية عندها كما قيل سر المعراج والاسراء به سير المصطفى في مواطن الكون كلها كأن الكون والعرش والجنان يسأل كل موطن بلسان الحال أن يشرفه الله تعالى بقدوم قدم حبيبه وتكتحل أعين الاعيان والكائنات بغبار نعال قدم سيد السادات ومفخر الموجودات لولاه ماشم الكون رائحة الوجود ومابدا من حضرة الكمون لمعة الشهود كما ورد بلسان القدس لولاك لولاك لما خلقت الافلاك

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) ان قلت ما الحكمة في ابتداء البقرة بالم والفاتحة بالحرف الظاهر المحكم الجواب قال السيوطي رحمه الله في الاتقان أقول في مناسبة ابتداء البقرة بالم أنه لما ابتدئت الفاتحة بالحرف المحكم الظاهر لكل أحد بحيث لا يعذر في فهمه ابتدئت البقرة بمقابله وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل ليعلم مراتبه للعقلاء والحكماء ليعجزهم بذلك ليعتبروا ويدبروا آياته كذا في خواتم الحكم وحل الرموز وكشف الكنوز للعارف بالله الشيخ المعروف بعلي دده واعلم أنهم تكلموا في شأن هذه الفواتح الكريمة وما أريد بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة أى من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه وهى سر القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله

تعالى

تعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها أو الالف الله واللام لطيف والميم مجيد أى أنا الله اللطيف
المجيد كما أن قوله تعالى الر أنا الله أرى وكهيعص أنا الله الكريم الهادى الحكيم العليم
الصادق وكذا قوله تعالى ق اشارة الى أنه القادر القاهر و ن اشارة الى أنه النور الناصر
فهى حروف مقطعة كل منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى والاكتفاء ببعض الكلمة
معهود فى العربية كما قال الشاعر قلت لها قفى فقالت ق أى وقفت وقيل ان هذه الحروف
ذكرت فى أوائل بعض السور لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التى هى ا ب ت ث فجاء
بعضها مقطعا وبعضها مؤلفا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على أنه منتظم من
عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا أنه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى
والقدر لا تواعند لهذا ما جنح اليه أهل التحقيق ولكن فيه نظر لانه يفهم من هذا القول أن
لا يكون لتلك الحروف معان وأسرار والنبى عليه السلام أوتى علم الاولين والآخرين فيحتمل
أن يكون الموسائر الحروف المقطعة من قبيل المواضعات المعميات بالحروف بين المحبين لا يطلع
عليها غيرهما وقد واضعها الله تعالى مع نبيه عليه السلام فى وقت لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبى
مرسل ليتكلم بها معه على لسان جبريل عليه السلام بأسرار وحقائق لا يطلع عليها جبريل ولا
غيره يدل على هذا ما روى فى الاخبار أن جبريل عليه السلام لما نزل بقوله تعالى كهيعص فلما
قال كاف قال النبى عليه السلام علمت فقال ها فقال علمت فقال يا فقال علمت فقال عين
فقال علمت فقال صاد فقال علمت فقال جبريل عليه السلام كيف علمت مالم أعلم وقال الشيخ
الاكبر قدس سره فى أول تفسير الم ذلك الكتاب وأما الحروف المجهولة التى أنزلها الله تعالى
فى أوائل السور فسبب ذلك من أجل لغو العرب عند نزول القرآن فأنزلها سبحانه حكمة منه حتى
تتوفر دواعيهم لما أنزل الله اذا سمعوا مثل هذا الذى ما عهدوه والنفوس من طبعها أن تميل
الى كل أمر غريب غير معتاد فينصتون عن اللغو ويقبلون عليها ويصغون اليها فيحصل المقصود
فيما يسمعونه مما يأتى بعد هذه الحروف النازلة من عند الله تعالى وتتوفر دواعيهم للنظر فى الامر
المناسب بين حروف الهجاء التى جاء بها مقطعة وبين ما يجاورها من الكلام وأبهم الامر عليهم من
عدم اطلاعهم عليها فرد الله بذلك شرا كبيرا من عنادهم وعتوهم ولغوهم كان يظهر منهم فذلك
رحمة للمؤمنين وحكمة منه سبحانه انتهى كلامه قال بعض العارفين كل ما قيل فى شرحها
بطريق النظر والاعتبار فتخمين النظر من قائله لا حقيقة الا من كشف الله له عن قصده تعالى بها
يقول الفقير جامع هذه المعارف واللطائف شكر الله مساعيه وبسط اليه من عنده اياديه قال
شيخى الاكمل فى هامش كتاب اللائحات البرقيات له بعدما ذكر بعض خواص الم على طريق
الحقيقة زاق فى أمثال هذا المتشابه أقدام الزائغين عن العلم وتحير عقول الراسخين فى العلم
وبعضهم توقف تأدبا مع الله تعالى ولم يتعرض بل قالوا آمنا به كل من عند ربنا وبعضهم تأولوا
لكن بوجوه بعيدة عن المرام والمقام بعدا بعيدا الا أنها مستحسنة شرعا ومقبولة دينا وعقلا وما
يذكر أى بالمقصود والمرام على ما هو عليه فى نفسه فى الواقع الا أولو الالباب لكن بتذكير الله
تعالى والهامه واطلاعه بخصوصالهم وتمييزالهم عما عداهم اختصاصا الهيا أزليا لهم من عند
الله لا بتفكر أنفسهم ونظر عقولهم بل بمحض فيض الله والهامه انتهى كلامه الشريف قدس

سره اللطيف وقال عبد الرحمن البسطامى قدس سره مؤلف الفوائح المسكية فى بحر الوقوف
ثم ان بعض الانبياء علموا أسرار الحروف بالوحى الربانى والالقاء الصمدانى وبعض الاولياء
بالكشف الجلى النورانى والفيض العلى الروحانى وبعض العلماء بالنقل الصحيح والعقل
الرجيح وكل منهم قد أخبر أصحابه ببعض أسرارها اما بطريق الكشف والشهود أو بطريق
الرسم والحدود والصحيح أن الله تعالى طوى علم أسرار الحروف عن أكثر هذه الامة لما فيها من
الحكم الالهية والمصالح الربانية ولم يأذن للاكابر أن يعرفوا منه الا بعض أسراره التى يشتمل
عليها تركيبها الخاص المنتج أنواع التسخيرات والتأثيرات فى العوالم العلويات والسفليات الى
غير ذلك انتهى كلام بحر الوقوف وفى التأويلات النجمية هيئة الصلاة التى ذكرت فى القرآن
ثلاث القيام لقوله تعالى وقوموا لله قانتين والركوع لقوله تعالى واركعوا مع الراكعين
والسجود لقوله تعالى واسجدوا واقترب فالالف فى الم اشارة الى القيام واللام اشارة الى الركوع
والميم اشارة الى السجود يعنى من قرأ سورة الفاتحة التى هى مناجاة العبد مع الله فى الصلاة التى
هى معراج المؤمنين يجيبه الله تعالى بالهداية التى طلبها منه بقوله اهدنا ثم اعلم ان المتشابه
كالمحكم من جهة أجر التلاوة لما ورد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف بل
ألف حرف ولام حرف وميم حرف ففى الم تسع حسنات (ذلك الكتاب) الم مبتدأ على انه اسم
القرآن على أحد الوجوه وذلك خبر اشارة الى الكتاب فيكون الكتاب صفة والمراد به الكتاب
الكامل الموعود انزاله فى الكتب المتقدمة وانما أشار بذلك الى ما ليس ببعيد لان الكتاب من
حيث كونه موعودا فى حكم البعيد قالوا لما أنزل الله تعالى على موسى التوراة وهى ألف سورة
كل سورة ألف آية قال موسى عليه السلام يا رب ومن يطيق قراءة هذا الكتاب وحفظه
فقال تعالى انى انزل كتابا أعظم من هذا قال على من يا رب قال على خاتم النبيين قال وكيف
تقرؤه أمته ولهم أعمار قصيرة قال انى أيسره عليهم حتى يقرأه صبيانهم قال يا رب وكيف تفعل
قال انى انزلت من السماء الى الارض مائة وثلاثة كتب خمسين على شيث وثلاثين على ادريس
وعشرين على ابراهيم والتوراة عليك والزبور على داود والانجيل على عيسى وذكرت
الكائنات فى هذه الكتب فأذكر جميع معانى هذه الكتب فى كتاب محمد وأجمع ذلك كله فى مائة
وأربع عشرة سورة وأجعل هذه السور فى ثلاثين جزأ والاجزاء فى سبعة أسباع ومعنى هذه
الاسباع فى سبع آيات الفاتحة ثم معانيها فى سبعة أحرف وهى بسم الله ثم ذلك كله فى الالف
من الم ثم أفتتح سورة البقرة أقول الم ولما وعد الله ذلك فى التوراة وأنزله على محمد عليه السلام
جحدت اليهود اعنهم الله أن يكون هذا ذلك فقال تعالى ذلك الكتاب كما فى تفسير التيسير ولهذه
الآية وجوه أخر من الاعراب ذكرت فى التفاسير فلتطالع ثمة (لا ريب) كائن (فيه) وقوله
ريب اسم لا وفيه خبرها وهو فى الاصل من رابنى الشئ اذا حصل فيك الريبة وهى قلق النفس
واضطرابها سمى به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفى الحديث دع ما يريبك الى
ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه وفى التفسير المسمى
بالتيسير الريب شك فيه خوف وهو أخص من الشك فكل ريب شك وليس كل شك ريبا والشك

To: www.al-mostafa.com

هو التردد بين النقيضين لا ترجيح لاحدهما على الآخر عند الشاك ولم يقدم الظرف على الريب لئلا يذهب الفهم الى ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه فان قلت الكفار شكوا فيه فلم يقروا بكتاب الله تعالى والمبتدعون من أهل القبلة شكوا فى معانى متشابهه فأجروها على ظاهرها وضلوا بها والعلماء شكوا فى وجوهه فلم يقطعوا القول على وجه منها والعوام شكوا فيه فلم يفهموا معانيه فما معنى نفى الريب عنه فالجواب أن هذا نفى الريب عن الكتاب لا عن الناس والكتاب موصوف بأنه لا يتمكن فيه ريب فهو حق صدق معلوم ومفهوم شك فيه الناس أولم يشكوا كالصدق صدق فى نفسه وان وصفه الناس بالكذب والكذب كذب وان وصفه الناس بالصدق فكذا الكتاب ليس مما يلحقه ريب أو يتمكن فيه عيب ويجوز أن يكون خبرا فى معنى الامر ومعناه لا ترتابوا كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج والمعنى لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا كما فى الوسيط والعيون (هدى) أى هو رشد وبيان (للمتقين) أى للضالين المشارفين التقوى الصائرين اليها ومثله حديث من قتل قتيلا فله سلبه وفى تفسير الارشاد أى المتصفين بالتقوى حالا او مآلا وتخصيص الهدى بهم لما أنهم المقتبسون من أنواره المنتفعون بآثاره وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس أى كلهم بيانا وهدى للمتقين على الخصوص ارشادا قال فى التيسير وكذلك يقال فى كل من انتفع بشيء دون غيره انه لك على الخصوص أى أنت المنتفع به وحدك وليس فى كون بعض الناس لم يهتدوا ما يخرجه من أن يكون هدى فالشمس شمس وان لم يرها الضرير والعسل عسل وان لم يجد طعمه الممرور والمسك مسك وان لم يدرك طيبه المأنوف فالخيبة كل الخيبة لمن عطش والبحر زاخر وبقى فى الظلمة والبدر زاهر وخبث والطيب حاضر وذوى والروض ناضر والحسرة كل الحسرة لمن عصى وفسق والقرآن ناه آمر وفارق الرغبة والرهبة والوعد متواتر والوعيد متظاهر ولذلك قال تعالى وانه لحسرة على الكافرين والمتقى اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة قال البغوى هو مأخوذ من الاتقاء وأصله الحاجز بين الشيئين ومنه يقال اتقى بترسه أى جعله حاجزا بين نفسه وبين ما يقصده وفى الحديث كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أى اذا اشتد الحرب جعلناه حاجزا بيننا وبين العدو فكأن المتقى يجعل امتثال امر الله والاجتناب عما نهاه حاجزا بينه وبين العذاب والتقوى فى عرف الشرع عبارة عن كمال التوقى عما يضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى من الكفر وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقية المأمور بها فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وأقصى مراتب هذا النوع من التقوى ما انتهى اليه هم الانبياء عليهم السلام حيث جمعوا رياستى النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى عالم الارواح ولم تصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق فى شؤن الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية

وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب أجمعين فهداية العام بالاسلام وهداية الخاص بالايقان والاحسان وهداية الاخص بكشف الحجب ومشاهدة العيان وفى التأويلات النجمية المتقون هم الذين أوفوا بعهد الله من بعد ميثاقه ووصلوا ما أمر الله به أن يوصل من مأمورات الشرع ظاهرا وباطنا يدل على هذا قوله تعالى وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم الى قوله واياى فاتقون أى اذا انتم اقررتم بربوبيتى بقولكم بلى يوم الميثاق أوفوا بعهدى الذى عاهدتمونى عليه وهو العبودية الخالصة لى اوف بعهدكم الذى عاهدتكم عليه وهو الهداية الى" وفى الرسالة القشيرية والمتقى مثل ابن سيرين كان له أربعون حبا سمنا فأخرج غلامه فأرة من حب فسأله من أى حب أخرجتها فقال لا أدرى فصبها كلها ومثل أبى يزيد البسطامى" اشترى بهمذان جانبا من حب القرطم فلما رجع الى بسطام رأى فيه نملتين فرجع الى همذان ووضع النملتين (وحكى) أن أبا حنيفة رحمه الله كان لا يجلس فى ظل شجرة غريمه ويقول فى الخبر كل قرض جر نفعا فهو ربا وقيل ان أبا يزيد غسل ثوبه فى الصحراء مع صاحب له فقال له نعلق الثوب فى جدار الكروم فقال لا نضرب الوتد فى جدار الناس فقال نعلقه فى الشجر فقال انه يكسر الاغصان فقال نبسطه على الارض فقال انه علف الدواب لا نستره عنها فولى ظهره حتى جف جانب ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر (الذين يؤمنون بالغيب) الجملة صفة مقيدة للمتقين ان فسر التقوى بترك مالا ينبغى مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل وموضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ماهو أصل الاعمال وأساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصى غالبا ألا يرى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام والايمان هو التصديق بالقلب لان المصدق يؤمن المصدق أى يجعله آمنا من التكذيب أو يؤمن نفسه من العذاب بفعله والله تعالى مؤمن لانه يؤمن عباده من عذابه بفضله واستعماله بالباء ههنا لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا أمن وطمأنينة قال فى الكواشى الايمان فى الشريعة هو الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان والاسلام الخضوع والانقياد فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن معه تصديق فقد يكون الرجل مسلما ظاهرا غير مصدق باطنا ولا يكون مصدقا باطنا غير منقاد ظاهرا قال المولى أبو السعود رحمه الله فى تفسيره هو فى الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة أنه من دين نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف فى ذلك أولا بد من انضمام الاقرار اليه للتمكن منه الاول رأى الشيخ الاشعرى ومن شايعه والثانى مذهب أبى حنيفة رحمه الله ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزأين له خلا أن الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل" بالاقرار فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا عندنا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل فى الكفر عند المعتزلة والغيب مصدر سمى به

الغائب توسعا كقولهم للزائر زور وهو ماغاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لايدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لادليل عليه وهو الذى اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الاحكام والشرائع واليوم الآخر واحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة الايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف أو بجعله مجازا عن الوثوق وهو واقع موقع المفعول به وان جعلت الغيب مصدرا على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل أى يؤمنون ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن به أى غائبين عن النبى صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة ويدل عليه أنه قال حارث بن نفير لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه نحن نحتسب لكم يا أصحاب محمد ما سبقتمونا به من رؤية محمد صلى الله عليه وسلم وصحبته فقال عبد الله ونحن نحتسب لكم ايمانكم به ولم تروه وان أفضل الايمان ايمان بالغيب ثم قرأ عبد الله الذين يؤمنون بالغيب كذا فى تفسير أبى الليث واما عن الناس أى غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم فالباء حينئذ للآلة وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل رجل شديد بياض الشباب شديد سواد الشعر مايرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحدنا فأقبل حتى جلس بين يدى رسول الله عليه السلام وركبته تمس ركبته فقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا فقال صدقت فتعجبنا من سؤاله وتصديقه ثم قال فما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره فقال صدقت ثم قال فما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت ثم قال فأخبرنى عن الساعة فقال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل قال صدقت قال فأخبرنى عن أماراتها قال أن تلد الامة ربتها وأن ترى العراة الحفاة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان قال صدقت ثم انطلق فلما كان بعد ثالثة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر هل تدرى من الرجل قلت الله ورسوله أعلم قال ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم وما أتانى فى صورة الا عرفته فيها الا فى صورته هذه وفى التأويلات النجمية يؤمنون بالغيب أى بنور غيبى من الله فى قلوبهم نظروا فى قول محمد صلى الله عليه وسلم فشاهدوا صدق قوله فآمنوا به كما قال عليه السلام المؤمن ينظر بنور الله واعلم أن الغيب غيبان غيب غاب عنك وغيب غبت عنه فالذى غاب عنك عالم الارواح فانه قد كان حاضرا حين كنت فيه بالروح وكذرة وجودك فى عهد ألست بربكم واستماع خطاب الحق ومطالعة آثار الربوبية وشهود الملائكة وتعارف الارواح من الانبياء والاولياء وغيرهم فغاب عنك اذ تعلقت بالقالب ونظرت بالحواس الخمس الى المحسوسات من عالم الاجسام وأما الغيب الذى غبت عنه فغيب الغيب وهو حضرة الربوبية قد غبت عنه بالوجود وما غاب عنك بالجود وهو معكم أينما كنتم انت بعيد منه وهو

قريب منك كما قال ونحن اقرب اليه من حبل الوريد انتهى كلام الشيخ نجم الدين قدس سره
(قال الشيخ سعدى) دوست نزديكتر ازمن بمنست * وين عجبتر كه من ازوى دورم * چه كنم
باكه توان گفت كه او * دركنارمن ومن مهجورم (ويقيمون الصلوة) الصلاة اسم للدعاء كما فى قوله
تعالى وصل عليهم أى ادع لهم والثناء كما فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون والقراءة كما فى
قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك أى بقراءتك والرحمة كما فى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم
والصلاة المشروعة المخصوصة بأفعال وأذكار سميت بها لما فى قيامها من القراءة وفى قعودها
من الثناء والدعاء وافعالها من الرحمة والصلاة فى هذه الآية اسم جنس اريد بها الصلوات
الخمس واقامتها عبارة عن المواظبة عليها من قامت السوق اذا نفقت أو عن التشمر لادائها من
غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد
أو عن أدائها فان قول المؤذن قد قامت الصلاة معناه اخذوا فى ادائها عبر عن ادائها بالاقامة
لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح أو عن تعديل أركانها
وحفظها من أن يقع فى شىء من فرائضها وسننها وآدابها زيغ من أقام العود اذا قومه وعدله وهو
الاظهر لانه أشهر والى الحقيقة أقرب وأفيد لتضمنه التنبيه على أن الحقيق بالمدح من راعى
حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على
الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون قال ابراهيم النخعى اذا رأيت رجلا يخفف
الركوع والسجود فترحم على عياله يعنى من ضيق المعيشة وذكر أن حاتما الزاهد دخل على عاصم
ابن يوسف فقال له عاصم يا حاتم هل تحسن أن تصلى فقال نعم قال كيف تصلى قال اذا تقارب وقت
الصلاة أسبغ الوضوء ثم أستوى فى الموضع الذى اصلى فيه حتى يستقر كل عضو منى وأرى
الكعبة بين حاجبى والمقام بحيال صدرى والله فوقى يعلم ما فى قلبى وكأن قدمى على الصراط
والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت خلفى وأظن أنها آخر الصلاة ثم أكبر تكبيرا
باحسان واقرأ قراءة بتفكر وأركع ركوعا بالتواضع وأسجد سجودا بالتضرع ثم أجلس على
التمام وأتشهد على الرجاء وأسلم على السنة ثم أسلمها للاخلاص وأقوم بين الخوف والرجاء ثم
اتعاهد على الصبر قال عاصم يا حاتم أهكذا صلاتك قال كذا صلاتى منذ ثلاثين سنة فبكى عاصم
وقال ماصليت من صلاتى مثل هذا قط كذا فى تنبيه الغافلين (قال السعدى) كه داند چو در بند
حق نيستى * اكر بى وضو درنمازايستى * قال فى تفسير التيسير المذكور فى الآية اقامة
الصلاة والله تعالى أمر فى الصلاة بأشياء باقامتها بقوله وأقيموا الصلاة وبالمحافظة عليها
وادامتها بقوله الذين هم على صلاتهم دائمون وبأدائها فى أوقاتها بقوله كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا وبأدائها فى جماعة بقوله واركعوا مع الراكعين وبالخشوع فيها بقوله الذين هم فى صلاتهم
خاشعون وبعد هذه الاوامر صارت الناس على طبقات طبقة لم يقبلوها ورأسهم أبو جهل
لعنه الله قال الله تعالى فى حقه فلا صدق ولا صلى وذكر مصيرهم فقال ماسلككم فى سقر قالوا
لم نك من المصلين الى قوله وكنا نكذب بيوم الدين وطبقة قبلوها ولم يؤدوها وهم أهل الكتاب
قال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف وهم أهل الكتاب أضاعوا الصلاة وذكر مصيرهم فقال
فسوف يلقون غيا وهى درجة فى جهنم هى أهيب موضع فيها تستغيث الناس منها كل يوم كذا

وكذا صرة ثم قال الله الا من تاب أى من اليهودية والنصرانية وآمن أى بمحمد وعمل صالحا
أى حافظ على الصلاة وطائفة أدوا بعضا ولم يؤدوا بعضا متكاسلين وهم المنافقون قال الله تعالى
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وذكر أن مصيرهم
ويل وهو واد فى جهنم لو جعلت فيه جبال الدنيا لماعت أى سالت قال النبى صلى الله عليه وسلم
من ترك صلاة حتى مضى وقتها عذب فى النار حقبا والحقب ثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون
يوما كل يوم ألف سنة مما تعدون قالوا وتأخير الصلاة عن وقتها كبيرة وأصغر الكبيرة ماقيل انه
يكون كأنه زنى بأمه سبعين كما فى روضة العلماء وطبقة قبلوها وهم يراعونها فى مواقيتها
بشرائطها وأسهم المصطفى صلى الله عليه وسلم قال تعالى ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى
الليل وقال تعالى قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين الآية وأصحابه كذلك
فذكرهم الله تعالى بقوله قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون وذكر مصيرهم فقال اولئك
هم الوارثون الذين يرثون الفردوس وهو أرفع موضع فى الجنة وأبهاه ينال المؤمن فيه مناه
وينظر الى مولاه قال الحكماء كن نجما فان لم تستطع فكن قمرا فان لم تستطع فكن شمسا اى مصليا
بجميع الليل كالنجم يشرق جميع الليل أو كالقمر يضىء بعض الليل أو كالشمس تضىء بالنهار ومعناه
فصل بالنهار ان لم تستطع بالليل كذا فى زهرة الرياض واعلم أن الجماعة من فروض الكفاية وفيها
فضل وليست بفرض عند عامة العلماء حتى اذا صلى وحده جاز وفاته فضل الجماعة وقال احمد بن
حنبل ان الجماعة فرض وليست بنافلة حتى اذا صلى وحده لم تجز صلاته غير أنها وان لم تكن فريضة
عندنا قالوا واجب على المسلم أن يتعاهدها ويحفظها قال تعالى يا قومنا أجيبوا داعى الله قال بعضهم
المراد من الداعى المؤذنون الذين يدعون الى الجماعة فى الصلوات الخمس وتارك الجماعة شر
من شارب الخمر وقاتل النفس بغير حق ومن القتات ومن العاق لوالديه ومن الكاهن والساحر
ومن المغتاب وهو ملعون فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان وهو ملعون على لسان الملائكة
لا يعاد اذا مرض ولا تشهد جنازته اذا مات قال النبى عليه الصلاة والسلام تارك الجماعة
ليس منى ولا آنا منه ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أى نافلة وفريضة فان ماتوا على حالهم فالنار
اولى بهم كذا فى روضة العلماء وقال فى نصاب الاحتساب قال عليه السلام لقد هممت أن آمر
رجلا يصلى بالناس وأنظر الى أقوام يتخلفون عن الجماعة فاحرق بيوتهم وهذا يدل على جواز
احراق بيت الذى يتخلف عن الجماعة لان الهم بالمعصية لايجوز من الرسول عليه السلام لانه
معصية فاذا علم جواز احراق البيت على ترك السنة المؤكدة فما ظنك فى احراق البيت على ترك
الواجب والفرض وما ظنك فى احراق آلات المعصية انتهى كلام النصاب هذا وعن ابن عباس
رضى الله عنه بعث الله نبيه عليه السلام بشهادة أن لا اله الا الله فلما صدق زاد الصلاة فلما صدق
زاد الزكاة فلما صدق زاد الصيام فلما صدق زاد الحج ثم الجهاد ثم اكمل لهم الدين قال مقاتل كان
النبى عليه السلام يصلى بمكة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشاء فلما عرج به الى السماء أمر
بالصلوات الخمس كما فى روضة الاخيار وانما فرضت الصلاة ليلة المعراج لان المعراج أفضل
الاوقات وأشرف الحالات وأعز المناجاة والصلاة بعد الايمان أفضل الطاعات وفى التعبد
أحسن الهيئات ففرض أفضل العبادات فى أفضل الاوقات وهو وصول العبد الى ربه وقربه

منه وأما الحكمة فى فرضيتها فلانه صلى الله عليه وسلم لما أسرى به شاهد ملكوت السموات
باسرها وعبادات سكانها من الملائكة فاستكثرها عليه السلام غبطة وطلب ذلك لامته فجمع الله
له فى الصلوات الخمس عبادات الملائكة كلها لان منهم من هو قائم ومنهم من هو راكع ومنهم
من هو ساجد وحامد ومسبح الى غير ذلك فأعطى الله تعالى اجور عبادات أهل السموات لامته
اذا أقاموا الصلوات الخمس وأما الحكمة فى أن جعلها الله تعالى مثنى وثلاث ورباع فلانه عليه
السلام شاهد هيا كل الملائكة تلك الليلة أى ليلة الاسراء اولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع فجمع
الله ذلك فى صور أنوار الصلوات عند عروج ملائكة الاعمال بارواح العبادات لان كل عبادة
تمثل فى الهيا كل النورانية وصورها كما وردت الاشارات فى ذلك بل يخلق الملائكة من الاعمال
الصالحة كما ورد فى الاحاديث الصحيحة وكذلك جعل الله اجنحة الملائكة على ثلاث مراتب
فجعل اجنحتك التى تطير بها الى الله موافقة لاجنحتهم ليستغفروا لك وأما الحكمة فى كونها
خمس صلوات فلانه عليه السلام بعد سؤاله التخفيف ومراجعته قال له الله تعالى يا محمد انهن
خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر حسنات فتلك خمسون صلاة وكانت خمسين على
من قبلنا فحطت ليلة المعراج الى خمس تخفيفا وثبت جزاء الخمسين تضعيفا وحكمة أخرى فى
كونها خمس صلوات أنها كانت متفرقة فى الامم السالفة فجمعها سبحانه لنبيه وامته لانه عليه
السلام يجمع الفضائل كلها دنيا وآخرة وامته بين الامم كذلك فأول من صلى الفجر آدم والظهر
ابراهيم والعصر يونس والمغرب عيسى والعشاء موسى عليهم السلام فهذا سر القرار على خمس
صلوات وقيل صلى آدم عليه السلام الصلوات الخمس كلها ثم تفرقت بعده بين الانبياء عليهم
السلام وأول من صلى الوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ولذلك قال زادنى ربى صلاة
أى الوتر على الخمس أو صلاة الليل فافهم وأول من بادر الى السجود جبريل عليه السلام ولذلك
صار رفيق الانبياء وخادمهم وأول من قال سبحان الله جبريل والحمد لله آدم ولا اله الا الله نوح
والله أكبر ابراهيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كل ذلك فى كشف الكنوز وحل الرموز وذكر فى الحكم الشاذلية وشرحها أنه لما علم الحق منك
وجود الملل لون لك الطاعات لتستريح من نوع الى نوع وعلم ما فيك من وجود الشره المؤدى الى
الملل القاطع عن بلوغ الامل فحجرها عليك فى الاوقات اذ جعل فى اليوم خمسا وفى السنة شهرا
وفى المائتين خمسة وفى العمر زورة ولكل واحدة فى تفاصيلها وقت لا تصح فى غيره كل ذلك رحمة
بك وتيسيرا للعبودية عليك وقد قيد الله الطاعات بأعيان الاوقات كى يمنعك عنها وجود
التسويف ووسع الوقت عليك كى تبقى صفة الاختيار (قال المولى جلال الدين) كر نباشد فعل
خلق اندر ميان * پس مكو كس را چرا كردى چنان * يك مثال اى دل پى فرقى بيار * تا بدانى
جبر را از اختيار * دست كان لرزان بود از ارتعاش * وانكه دستى را تو لرزانى زجاش *
هر دو جنبش آفريده حق شناس * ليك نتوان كرد اين با آن قياس * وفى التأويلات النجمية
بداية الصلاة اقامة ثم ادامة فاقامتها بالمحافظة عليها بمواقيتها واتمام ركوعها وسجودها
وحدودها ظاهرا وباطنا وادامتها بدوام المراقبة وجمع الهمة فى التعرض لنفحات ألطاف
الربوبية التى هى مودعة فيها لقوله عليه السلام ان لله فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها

فصورة الصلاة صورة التعرض والامر بها صورة جذبة الحق بأن يجذب صورتك عن الاستعمال لغير العبودية وسر الصلاة حقيقة التعرض ففي كل شرط من شرائط صورتها وركن من أركانها وسنة من سننها وأدب من آدابها وهيئة من هيئاتها سر يشير الى حقيقة التعرض لها ومن شرائط الصلاة الوضوء ففي كل أدب وسنة وفرض منه سر يشير الى طهارة يستعقبها لاقامة الصلاة ففي غسل اليدين اشارة الى تطهير نفسك عن تلوث المعاصي وتطهير قلبك عن تلطخ الصفات الذميمة الحيوانية والسبعية والشيطانية كما قال تعالى لحبيبه عليه السلام وثيابك فطهر جاء في التفسير أي قلبك فطهر وغسل الوجه اشارة الى طهارة وجه همتك من دنس ظلمة حب الدنيا فانه رأس كل خطيئة ومن شرائط الصلاة استقبال القبلة وفيه اشارة الى الاعراض عما سوى طلب الحق والتوجه الى حضرة الربوبية لطلب القربة والمناجاة ورفع اليدين اشارة الى رفع يد الهمة عن الدنيا والآخرة والتكبير تعظيم الحق بأنه أعظم من كل شيء في قلب العبد طلبا ومحبة وعظما وعزة ومقارنة النية مع التكبير اشارة الى أن صدق النية في الطلب ينبغي أن يكون مقرونا بتكبير الحق وتعظيمه في الطلب عن غيره فلا تطلب منه الا هو فان من طلب غيره فقد كبر وعظم ذلك المطلوب لا الله تعالى فلا تجوز صلاته حقيقة وكما لا تجوز صلاته صورة الا بتكبير الله فان قال الدنيا أكبر أو العقبى أكبر لا يجوز حتى يقول الله أكبر فكذلك في الحقيقة وفي وضع اليمنى على اليسرى ووضعهما على الصدر اشارة الى اقامة رسم العبودية بين يدي مالكه وحفظ القلب عن محبة ما سواه وفي افتتاح القراءة بوجهت اشارة الى توجهه للحق خالصا عن شرك طلبه غير الحق وفي وجوب الفاتحة وقراءتها وعدم جواز الصلاة بدونها اشارة الى حقيقة تعرض العبد في الطلب لنفحات ألطاف الربوبية بالحمد والثناء والشكر لرب العالمين وطلب الهداية وهي الجذبات الالهية التي توازي كل جذبة منها عمل الثقلين وتقرب العبد بنصف الصلاة المقسومة بين العبد والرب نصفين والقيام والركوع والسجود اشارة الى رجوعه الى عالم الارواح وسكن الغيب كما جاء منه فاول تعلقه بهذا العالم كان بالنباتية ثم بالحيوانية ثم بالانسانية فالقيام من خصائص الانسان والركوع من خصائص الحيوان والسجود من خصائص النبات كما قال تعالى والنجم والشجر يسجدان فالعبد في كل مرتبة من هذه المراتب ربح وخسران والحكمة في تعلق الروح العلوي النوراني بالجسد السفلي الظلماني كان هذا الربح لقوله تعالى على لسان نبيه عليه السلام خلقت الخلق ليربحوا علي لا لأربح عليهم ليربح الروح في كل مرتبة من مراتب السفليات فائدة لم توجد في مراتب العلويات وان كان قد ابتلي أولا بلاء الخسران كما قال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا الآية فبنور الايمان والعمل الصالح يتخلص العبد من بلاء خسران المراتب السفلية ويفوز بربحها فبالقيام في الصلاة بالتذلل وتواضع العبودية يتخلص من خسران التكبر والتجبر الذي من خاصيته أن يتكامل في الانسان ويظهر منه أنا ربكم الاعلى ويفوز بربح علو الهمة الانسانية التي اذا كملت في الانسان لا يلتفت الى الكون في طلب المكون كما كان حال النبي عليه السلام اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى فاذا تخلص من التكبر الانساني يرجع من القيام الانساني الى الركوع الحيواني بالانكسار والخضوع فبالركوع

يتخلص من خسران الصفة الحيوانية و يفوز بربح تحمل الاذى والحلم ثم يرجع من الركوع
الحيوانى الى السجود النباتى فبالسجود يتخلص من خسران الذلة النباتية والدناءة السفلية
و يفوز بربح الخشوع الذى يتضمن الفلاح الابدى والفوز العظيم السرمدى كما قال تعالى قد
أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون فالخشوع اكمل آلات العروج فى العبودية وقد
حصل فى تعلقه بالجسد النيرانى وليس لاحد من العالمين هذا الخشوع وبهذا السر أبت الملائكة
وغيرهم أن يحملن الامانة فأشفقن منها لان الاباء ضد الخشوع وحملها الانسان باستعداد
الخشوع وكمل خشوعه بالسجود اذ هو غاية التذلل فى صورة الانسان وهيئة الصلاة ونهاية قطع
تعلق الروح من العالم السفلى وعروجه الى العالم الروحانى العلوى برجوعه من مراتب
الانسانية والحيوانية والنباتية وكمال التعرض لنفحات ألطاف الحق وبذل المجهود وانفاق
الموجود من انانية الوجود الذى هو من شرط المصلين كقوله تعالى ويقيمون الصلاة (ومما
رزقناهم ينفقون) الرزق فى اللغة العطاء وفى العرف ماينتفع به الحيوان وهو تناول الحلال
والحرام عند أهل السنة والقرينة تخصصه ههنا بالحلال لان المقام مقام المدح وتقديم المفعول
للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآى وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهى
عنه وصيغة الجمع فى رزقنا مع أنه تعالى واحد لا شريك له لانه خطاب الملوك والله تعالى مالك
الملك وملك الملوك والمعهود من كلام الملوك أربعة أوجه الاخبار على لفظ الواحد نحو فعلت
كذا وعلى لفظ الجمع فعلنا كذا وعلى مالم يسم فاعله رسم لكم كذا واضافة الفعل الى اسمه على
وجه المغايبة امركم سلطانكم بكذا والقرآن نزل بلغة العرب فجمع الله فيه هذه الوجوه كلها فمما
أخبر به عن نفسه فقال تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا على صيغة الواحد وقال تعالى انا أنزلناه
فى ليلة القدر على صيغة الجمع وقال فيما لم يسم فاعله كتب عليكم الصيام وأمثاله وقال فى المغايبة
الله الذى خلقكم وأمثاله كذا فى التيسير و يقول الفقير جامع هذه اللطائف سمعت من شيخى
العلامة أبقاه الله بالسلامة أن الافراد بالنظر الى الذات والجمع بالنظر الى الاسماء والصفات
ولا ينافى كثرة الاسماء والصفات وحدة الذات اذ كل منها راجع اليها والانفاق والانفاد أخوان
خلا أن فى الثانى معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير
فرضا كان أو نفلا ومن فسره بالزكاة ذكر افضل أنواعه والاصل فيه أو خصصه بها لاقترانه بما
هى شقيقتها وأختها وهى الصلاة وقد جوز أن يراد به الانفاق من جميع المعادن التى منحهم الله
اياها من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ان علما لا ينال منه ككنز لا ينفق
منه واليه ذهب من قال فى تفسير الآية ومما خصصناهم من أنوار المعرفة يفيضون والاظهر أن
يقال المراد من النفقة هى الزكاة وزكاة كل شىء من جنسه كما روى عن أنس بن مالك زكاة الدار
أن يتخذ فيها بيت للضيافة كما فى الرسالة القشيرية قالوا انفاق أهل الشريعة من حيث الاموال
وانفاق أرباب الحقيقة من حيث الاحوال (قال المولى جلال الدين قدس سره) آن درم دادن
سخى را لايقست * جان سپردن خود سخاى عاشقست * وانفاق الاغنياء من أموالهم
لايدخرونها عن أهل الحاجة وانفاق العابدين من نفوسهم لايدخرونها عن وظائف الخدمة
وانفاق العارفين من قلوبهم لايدخرونها عن حقائق المراقبة وانفاق المحبين من أرواحهم

لا يدخرونها عن مجارى الاقضية والاقصر أن يقال انفاق الاغنياء اخراج المال من اليد
وانفاق الفقراء اخراج الاغيار من القلب ثم ذكر فى الآية الايمان وهو بالقلب ثم الصلاة وهى
بالبدن ثم الانفاق وهو بالمال وهو مجموع كل العبادات ففى الايمان النجاة وفى الصلاة المناجاة
وفى الانفاق الدرجات وفى الايمان البشارة وفى الصلاة الكفارة وفى الانفاق الطهارة
وفى الايمان العزة وفى الصلاة القربة وفى الانفاق الزيادة وقيل ذكر فى هذه الآية أربعة أشياء
التقوى والايمان بالغيب واقامة الصلاة والانفاق وهى صفة الخلفاء الراشدين الاربعة ففى
الآية بيان فضلهم التقوى لابى بكر الصديق رضى الله عنه قال الله تعالى فأما من أعطى واتقى
وصدق بالحسنى والايمان بالغيب لعمر الفاروق رضى الله تعالى عنه قال الله تعالى حسبك الله
ومن اتبعك من المؤمنين واقامة الصلاة لعثمان ذى النورين رضى الله تعالى عنه قال الله تعالى
أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الآية والانفاق لعلى المرتضى رضى الله تعالى عنه قال
الله تعالى الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار الآية وعند القوم أى الصوفية السخاء هو الرتبة
الاولى ثم الجود بعده ثم الايثار فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر
وأبقى لنفسه شيأ فهو صاحب جود والذى قاسى الضرورة وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار
وبالجملة فى الانفاق فضائل كثيرة وروى عن أبى عبد الله الحرث الرازى أنه قال أوحى الله الى
بعض أنبيائه انى قضيت عمر فلان نصفه بالفقر ونصفه بالغنى فخيره حتى أقدم له أيهما شاء فدعا نبى
الله عليه السلام الرجل وأخبره فقال حتى أشاور زوجتى فقالت زوجته اختر الغنى حتى يكون
هو الاول فقال لها ان الفقر بعد الغنى صعب شديد والغنى بعد الفقر طيب لذيذ فقالت لا بل أطعنى
فى هذا فرجع الى النبى عليه السلام فقال أختار نصف عمرى الذى قضى لى فيه بالغنى أن يقدم
فوسع الله عليه الدنيا وفتح عليه باب الغنى فقالت له امرأته ان أردت أن تبقى هذه النعمة
فاستعمل السخاء مع خلق ربك فكان اذا اتخذ لنفسه ثوبا اتخذ لفقير ثوبا مثله فلما تم نصف عمره
الذى قضى له فيه بالغنى أوحى الله تعالى الى نبى ذلك الزمان انى كنت قضيت نصف عمره بالفقر
ونصفه بالغنى لكنى وجدته شاكرا للنعماء والشكر يستوجب المزيد فبشره أنى قضيت باقى عمره
بالغنى (قال المولى جلال الدين قدس سره) هركه كارد كرد انبارش تهى * ليكش اندر مزرعه
باشد بهى * وانكه درانبار ماند وصرفه كرد * اسپش وموش وحوادثهاش خورد (قال الحافظ)
احوال كنج قارون كايام داد برباد * باغنچه باز كوييد تازر نهان ندارد * وفى التأويلات
النجمية ومما رزقناهم ينفقون أى من أوصاف الوجود يبذلون بحق النصف المقسوم من الصلاة
بين العبد والرب فاذا بلغ السيل زباه والتعرض منتهاه أدركته العناية الازلية بنفحات ألطافه
وهداه الى درجات قرباته فكما كان جذبة الحق للنبى عليه السلام فى صورة خطاب ادن فجذبة
الحق للمؤمن تكون فى صورة خطاب واسجد واقترب ففى التشهد بعد السجود اشارة الى
الخلاص من حجب الانانية والوصول الى شهود جمال الحق بجذبات الربانية ثم بالتحيات يراقب
رسوم العباد فى الرجوع الى حضرة الملوك براسم تحفة الثناء والتحنن الى اللقاء وفى التسليم عن
اليمين وعن الشمال اشارة الى السلام على الدارين وعلى كل داع جاهل يدعوه عن اليمين الى نعيم
الجنات أو عن الشمال الى اللذات والشهوات وهو فى مقامات الاجابات والمناجاة ودرجات

القربات مستغرق فى بحر الكرامات مقيد بقيد الجذبات كما قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما فاهل الصورة بالسلام يخرجون من اقامة الصلاة وأهل الحقيقة بالسلام يدخلون
فى ادامة الصلاة كقوله والذين هم على صلاتهم دائمون فقوم يقيمون الصلاة والصلاة تحفظهم
كما قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون بما لهم فى الغيب معدّ بقوله أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر فعلوا أن ما هو المعد لهم لا تدركه الابصار ولا الآذان ولا القلوب
التى رزقهم الله وليس بينهم وبين ما هو المعد لهم حجاب الا وجودهم فاشتاقوا الى نار تحرق عليهم
حجاب وجودهم فآنسوا من جانب طور صلاتهم نارا لان صلاتهم بمثابة الطور لهم للمناجاة فلما
أتاها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين فجعلوا ما رزقهم الله من
أوصاف الوجود حطب نار الصلاة ينفقونه عليها ويقيمون الصلاة حتى نودوا انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ومن لم يكن له نار تحرق فى نار جهنم الصلاة حطب
وجوده ووجود كل من يعبده من دون الله فلا بد له من الحرقة بنار جهنم الآخرة فالفرق بين
النارين أن نار الصلاة تحرق لب وجودهم الذى هم به محجوبون عن الله تعالى وتبقى جلد
وجودهم وهو الصورة والحجاب من لب الوجود لا من جلده وهذا سر عظيم لا يطلع عليه الا اولو
الالباب المحترقة ونار جهنم تحرق جلودهم ويبقى لب وجودهم لا جرم لا ترفع الحجب عنهم كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون لان اللب باق والجلد وان احترق بقى اللب كما قال تعالى كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها فمن أنفق لب الوجود وما يتدى منه الوجود من المال والجاه
فى سبيل نار الصلاة والقربة الى الله فينفق الله عليه وجود نار الصلاة كما قال لحبيبه عليه السلام
أنفق عليك فيبقى بنار الصلاة بلا انانية الوجود فتكون صلاته دائمة بنور نار الصلاة يؤمن بما
أنزل على الانبياء عليهم الصلاة والسلام (والذين يؤمنون) نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب وما قبله
الى قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون نزلت فى مؤمنى العرب (بما أنزل اليك) هو القرآن بأسره
والشريعة عن آخرها والتعبير عن انزاله بالماضى مع كون بعضه مترقبا حينئذ لتغليب المحقق
على المقدر أو لتنزيل ما فى شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما فى قوله تعالى انا سمعنا كتابا أنزل
من بعد موسى مع أن الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا
وفى الكواشى لان القرآن شئ واحد فى الحكم ولان المؤمن ببعضه مؤمن بكله انتهى ثم معنى
ما أنزل اليك هو القرآن الذى يتلى والوحى الذى لا يتلى فالمتلو هو هذه السور والآيات وغير
المتلو ما بين النبى عليه السلام من أعداد الركعات ونصب الزكوات وحدود الجنايات قال تعالى
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى والانزال فى هذه الآية بمعنى الوحى ويكون بمعنى
الاعلاء وهو النقل من الاسفل الى الاعلى وان حمل على الانزال الذى هو من العلو الى السفل
فمعناه انزال جبريل التبليغه كما قال تعالى نزل به الروح الامين يعنى أن الانزال نقل الشئ من أعلى
الى أسفل وهو انما يلحق المعانى بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها فنزول ما عدا الصحف من
الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله أعلم بأن يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا
روحانيا أو يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم (وما أنزل من

قبلك) التوراة والانجيل وسائر الكتب السالفة والايمان بالكل جملة فرض عين وبالقرآن
تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه على الكل عينا حرجا
بينا واخلالا بأمر المعاش قال في التيسير الايمان بكل الكتب مع تنافي أحكامها على
وجهين أحدهما التصديق أن كلها من عند الله والثاني الايمان بما لم ينسخ من أحكامها
(وبالآخرة) تأنيث الآخر الذي يقابل الاول وهو في المعدودات اسم للفرد اللاحق وهي
صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذا الدنيا والآخر
بفتح الخاء الذي يلي الاول وسميت الدنيا دنيا لدنوها من الآخرة وسميت الآخرة آخرة لتأخرها
وكونها بعد الدنيا (هم يوقنون) الايقان اتقان العلم بالشئ بنفي الشك والشبهة عنه نظرا
واستدلالا ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا وكذا العلوم الضرورية أي يعلمون علما قطعيا مزيحا
لما كان أهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم أن الجنة لا يدخلها الا
من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم الا أياما معدودات واختلافهم في أن نعيم الجنة هل
هو من قبيل نعيم الدنيا أولا وهل هو دائم اولا فقال فرقة منهم يجري حالهم في التلذذ بالمطاعم
والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا وقال آخرون ان ذلك انما احتيج اليه في هذه
الدار من أجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون
الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور وبناء يوقنون على الضمير
تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات أمر الآخرة على خلاف
حقيقته فان اعتقادهم في امور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين
فدل التقديم على التخصيص بأن ايقان من آمن بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك مقصور على
الآخرة الحقيقية لا يتجاوز الى ما أثبته الكفار بالاقرار من أهل الكتاب قال ابو الليث رحمه الله
في تفسيره اليقين على ثلاثة أوجه يقين عيان ويقين خبر ويقين دلالة فأما يقين العيان فهو
أنه اذا رأى شيأ زال الشك عنه في ذلك الشئ وأما يقين الدلالة فهو أن يرى الرجل دخانا ارتفع
من موضع يعلم باليقين أن هنالك نارا وان لم يرها وأما يقين الخبر فهو أن الرجل يعلم باليقين أن
في الدنيا مدينة يقال لها بغداد وان لم ينته اليها فههنا يقين خبر ويقين دلالة لان الآخرة حق
ولان الخبر يصير معاينة عند الرؤية انتهى كلامه ويقال علم اليقين ظاهر الشريعة وعين اليقين
الاخلاص فيها وحق اليقين المشاهدة فيها والعلم اليقين هو العلم الحاصل بالادراك الباطني بالفكر
الصائب والاستدلال وهذا للعلماء الذين يوقنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية الا مناسبة
الارواح القدسية فاذا يكون العلم عينا ولا مرتبة للعين الا اليقين الحاصل من مشاهدة المعلوم
ولا تزيد هذه المرتبة الا بزوال حجاب الاثنينية فاذا يكون العين حقا وزيادة هذه المرتبة أي حق
اليقين عدم ورود الحجاب بعده وعينه للاولياء وحقه للانبياء وهذه الدرجات لا تحصل الا بالمجاهدة
مثل دوام الوضوء وقلة الاكل والذكر أو السكوت بالفكر في ملكوت السموات والارض وبأداء
السنن والفرائض وترك ماسوى الحق والغرض وتقليل المنام والعرض وأكل الحلال
وصدق المقال والمراقبة بقلبه الى الله تعالى فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة كذا في شرح
النصوص المسمى بأسرار السر وربالوصول الى عين النور ثم ثمرة اليقين بالآخرة الاستعداد لها

فقد قيل عشرة من المغرورين من أيقن أن الله خالقه ولا يعبده ومن أيقن أن الله رازقه
ولا يطمئن به ومن أيقن أن الدنيا زائلة ويعتمد عليها ومن أيقن أن الورثة اعداؤه ويجمع لهم
تو با خود ببر توشه خويشتن * كه شفقت نيايد ز فرزند وزن * ومن أيقن أن الموت آت ولا
يستعد له ومن أيقن أن القبر منزله ولا يعمره ومن أيقن أن الديان يحاسبه ولا يصحح حجته ومن
أيقن أن الصراط ممره ولا يخفف ثقله ومن أيقن أن النار دار الفجار ولا يهرب منها ومن أيقن
أن الجنة دار الابرار ولا يعمل لها كما فى التيسير قال ذو النون المصرى اليقين داع الى قصر
الامل وقصر الامل يدعو الى الزهد والزهد يورث الحكمة والحكمة تورث النظر فى العواقب
قال ابو على الدقاق رحمه الله فى قول النبى عليه السلام فى عيسى ابن مريم عليهما السلام لو ازداد
يقينا لمشى فى الهواء اشار بهذا الحديث الى حال نفسه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لانه
فى لطائف المعراج أنه قال رأيت البراق قد بقى ومشيت وقال أبو تراب رأيت غلاما فى البادية
يمشى بلا زاد فقلت ان لم يكن معه يقين فقد هلك فقلت يا غلام أتمشى فى مثل هذا الموضع بلا زاد
فقال يا شيخ ارفع رأسك هل ترى غير الله تعالى فقلت الآن فاذهب حيث شئت قال ابراهيم
الخواص طلبت المعاش لاكل الحلال فاصطدت السمك فيوما وقع فى الشبكة سمكة فأخرجتها
وطرحت الشبكة فى الماء فوقعت أخرى فيها ثم عدت فهتف بى هاتف لم تجد معاشا الا أن تأتى الى
من يذكر الله فتقتلهم فكسرت القصبة وتركت كذا فى الرسالة القشيرية وذكر فى التأويلات
النجمية ان من تخلص من ذل الحجاب الوجودى تجدد عزة الايقان بالامور الاخروية وكان مؤمنا
بها من وراء الحجاب فصار موقنا بها بعد رفع الحجاب كما قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لان من كشف عنه غطاء الوجود لا يحجبه غطاء المحسوسات
الدنيوية عن الامور الاخروية فبكشف الحجب يتخلصون من مرتبة الايمان الى مرتبة الايقان
كما قال تعالى وبالآخرة هم يوقنون ولكن هذا خاص أى يوقنون بالآخرة دون ما أنزل على
الانبياء من الكتب فانهم لا يتخلصون من مرتبة الايمان بالله وكتبه أبدا وهذا سر عظيم
وما رأيت أحدا فرق بين هاتين المرتبتين وذلك لانه لا يمكن للانسان أن يشاهد الامور الاخروية
كلها بطريق الكشف فى الدنيا وأما بطريق المشاهدة فى العقبى فيصير موقنا بها بعدما كان
مؤمنا كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فأما ما يتعلق بذات الله تعالى
وصفاته فلا يمكن لاحد أن يشاهده بالكلية لانه منزه عن الكل والجزء فأرباب المشاهدة وان
فازوا بشهادة شهود صفات جماله وجلاله عين اليقين بل حق اليقين ولكن لم يتخلصوا من مرتبة
الايمان بما لم يشاهدوا بعد ولا يحيطون به علما الى ابد الآباد بل ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما
شاء (اولئك) الجملة فى محل الرفع ان جعل أحد الموصولين مفصولا عن المتقين خبرا له وكأنه لما
قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك أجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات
والا فاستئناف لا محل لها فكأنه نتيجة الاحكام السابقة والصفات المتقدمة وأولاء جمع
لا واحد له من لفظه بنى على الكسر وكاف الخطاب كالكاف فى ذلك أى المذكورون قبله وهم
المتقون الموصوفون بالايمان بالغيب وبسائر الاوصاف المذكورة بعده وفيه دلالة على أنهم
متميزون بذلك اكمل تميز مستقلون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد

للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله عزوجل (على هدى) خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كأنه قيل على هدى أى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كما تقول لو أبصرت فلانا لابصرت رجلا وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم فى ملابستهم بالهدى بحال من يعتلى الشئ ويستولى عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس فى العمل يعنى أكرمهم الله فى الدنيا حيث هداهم وبين لهم طريق الفلاح قبل الموت (من ربهم) متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها أى على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع أنواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ثم فى هذه الآية ذكر الهدى للموصوفين بكل هذه الصفات وفى قوله قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الى قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ذكر لهم الهداية بالاقرار والاعتقاد بدون سائر الطاعات بيانا لشرف الايمان وجلال قدره وعلو أمره فانه اذا قوى لم تطله نفس المخالفات بل هو الذى يغلب فيرد الى التوبة بعد التمادى فى البطالات وكما هدى اليوم الى الايمان يهدى غدا الى الجنان قال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم وذلك أن المطيعين يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم وهم على مراكب طاعاتهم والملائكة تتلقاهم قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وتتلقاهم الملائكة ويبقى العصاة منفردين منقطعين فى متاهات القيامة ليس لهم نور الطاعات ولا فى حقهم استقبال الملائكة فلا يهتدون السبيل ولا يهديهم دليل فيقول الله لهم عبادى ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ان أهل الجنة من حسن الثواب لا يتفرغون لكم وأهل النار من شدة العقاب لا يرحمونكم معاشر المساكين سلام عليكم كيف أنتم ان كان أشكالكم سبقوكم ولم يهدوكم فأنا هاديكم ان عاملتكم بما تستوجبون فأين الكرم كذا فى التيسير (قال السعدى) نه يوسف كه جندان بلا ديد وبند * جو حكمش روان كشت وقدرش بلند * كنه عفو كرد آل يعقوب را * كه معنى بود صورت خوب را * بكردار بدشان مقيد نكرد * بضاعات مزجاتشان رد نكرد * زلطفت همين جشم داريم نيز * برين بى بضاعت ببخش أى عزيز * بضاعت نياوردم الا اميد * خدايا زعفوم مكن نااميد

(وأولئك هم المفلحون) تكرير أولئك للدلالة على ان كل واحد من الحكمين مستبد فى تميزهم به عن غيرهم فكيف بهما وتوسط العطف بينهما تنبيه على تغايرهما فى الحقيقة وفائدة الفصل بين المبتدأ والخبر الدلالة على أن ما بعده خبر لا صفة وأن المسند ثابت للمسند اليه دون غيره فصفة الفلاح مقصورة عليهم لا تتجاوز الى من عداهم من اليهود والنصارى ولا يلزم من هذا أن لا يكون للمتقين صفة أخرى غير الفلاح فالقصر قصر الصفة على الموصوف لا العكس حتى يلزم ذلك والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والتركيب دال على معنى الشق والفتح والقطع ومنه سمى الزارع فلاحا لانه يشق الارض وفى المثل الحديد بالحديد يفلح أى يقطع والمعنى هم الفائزون بالجنة والناجون من النار يوم القيامة والمقطوع لهم بالخير فى الدنيا والآخرة وحاصل الفلاح يرجع الى ثلاثة أشياء * أحدها الظفر على النفس فلم يتابعوا

هواها والدنيا فلم يطغوا بزخارفها والشيطان فلم يفتنوا بوساوسه وقرناء السوء فلم يبتلوا
بمكروهاتهم * والثانى النجاة من الكفر والضلالة والبدعة والجهالة وغرور النفس ووسوسة
الشيطان وزوال الايمان وفقد الامان ووحشة القبور وأهوال النشور وزلة الصراط
وتسليط الزبانية الشداد الغلاظ وحرمان الجنان ونداء القطيعة والهجران * والثالث البقاء
فى الملك الابدى والنعيم السرمدى ووجدان ملك لا زوال له ونعيم لا انتقال له وسرور ولا حزن
معه وشباب لا هرم معه وراحة لا شدة معها وصحة لا علة معها ونيل نعيم لا حساب معه ولقاء
لا حجاب له كذا فى تفسير التيسير وقد تشبثت الوعيدية بالآية فى خلود الفساق من أهل القبلة
فى العذاب ورد بأن المراد بالمفلحين الكاملون فى الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على
صفتهم لا عدم الفلاح لهم رأسا كما فى تفسير البيضاوى قال الشيخ نجم الدين دايه قدس سره ذكر
هدى بالنكرة أى على كشف من كشوف ربهم ونور من أنواره وسر من أسراره ولطف من
ألطافه وحقيقة من حقائقه فان جميع ما أنعم الله به على أنبيائه وأوليائه بالنسبة الى ما عنده
من كمال ذاته وصفاته وانعامه واحسانه قطرة من بحر محيط لا يعتريه القصور من الانفاق أبدا
كما قال النبى صلى الله عليه وسلم يمين الله ملأى لا ينقصها نفقة سحاء الليل والنهار وفيه اشارة
لطيفة وهى أنهم بذلك الهدى آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون
وأولئك هم المفلحون الذين تخلصوا من حجب الوجود بنور نار الصلاة وشاهدوا الآخرة
وجذبتهم العناية بالهداية الى مقامات القربة وسرادقات العزة فما نزلوا بمنزل دون لقائه
وما حطوا رحالهم الا بفنائه فازوا بالسعادة العظمى والمملكة الكبرى ونالوا الدرجة العليا
وحققوا قول الحق وان الى ربك الرجعى اه كلام الشيخ فى تأويلاته (قال المولى جلال الدين
قدس سره) كرهمى خواهى كه بفروزى چو روز * هستئ همچون شب خود را بسوز *
هستيت در هست آن هستى نواز * همچو مس در كيميا اندر كداز (ان الذين كفروا) لما ذكر خاصة
عباده وخالصة أوليائه بصفاتهم التى أهلتهم للهدى والفلاح عقبهم أضدادهم العتاة المردة الذين
لا ينفع فيهم الهدى ولا تغنى عنهم الآيات والنذر وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس
بأعيانهم كأبى لهب وأبى جهل والوليد بن المغيرة وأحبار اليهود أو للجنس متناولا كل من صمم على
كفره تصميما لا يرعوى بعده وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة الستر
والتغطية وفى الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجىء الرسول صلى الله عليه وسلم به وانما عد
لباس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فان من صدق
النبى صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على أمثال ذلك اذ لا داعى اليه كالزنا وشرب الخمر لا لانه
كفر فى نفسه والكافر فى القرآن على أربعة أوجه احدها نقيض المؤمن قال الله تعالى الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله والثانى الجاحد قال تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين أى
جحد وجوب الحج والثالث نقيض الشاكر قال تعالى واشكروا لى ولا تكفرون والرابع المتبرئ
قال تعالى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض أى يتبرأ بعضكم من بعض كذا فى التيسير وقال
البغوى الكفر على أربعة أوجه كفر الانكار وهو أن لا يعرف الله أصلا ولا يعترف به وكفر
الجحود وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا

كفروا به وكفر العناد وهو أن يعرف بقلبه ولا يعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وكفر النفاق وهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع الانواع سواء في أن من لقي الله بواحد منها لا يغفر له انتهى كلام البغوي لكن الكلام في ابي طالب سيجيء عند قوله تعالى ولا تسأل عن أصحاب الجحيم (سواء عليهم) أي عندهم وهو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم وارتفاعه على أنه خبر لان وقوله تعالى (أأنذرتهم) يا محمد (أم لم تنذرهم) مرتفع على الفاعلية لان الهمزة وأم مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق معنى الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله عز وجل استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كأنه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم أخوه وابن عمه وأصل الانذار الاعلام بأمر مخوف وكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا كما في تفسير أبي الليث والمراد ههنا التخويف من عذاب الله وعقابه على المعاصي وانما اقتصر عليه لما انهم ليسوا بأهل للبشارة أصلا ولان الانذار أوقع في القلوب وأشد تأثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث لم يتأثروا به فلأن لا يرفعوا للبشارة رأسا أولى وانما لم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم أم أنتم صامتون لان انذارك وترك انذارك ليسا سواء في حقك لانك تثاب على الانذار وان لم يؤمنوا فأما في حقهم فهما سواء لانهم لا يؤمنون في الحالين وهو نظير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه يثاب به الآمر وان لم يعمل به المأمور وكان هؤلاء القوم كقوم هود الذين قالوا لهود عليه السلام سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين وقال تعالى في حق هؤلاء سواء عليهم الخ ويقال لهم في القيامة اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون وأخبر عنهم أنهم يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص فلما كان الوعظ وتركه سواء كان صبرهم في النار وتركه سواء وجزعهم فيها وتركه سواء وأنت اذا كان عصيانك في الشباب والشيب سواء وتماديك في الصحة والمرض سواء واعراضك في النعمة والمحنة سواء وقسوتك على القريب والبعد سواء وزيغك في السر والعلانية سواء أما تخشى أن تكون توبتك عند الموت واصرارك عند النزع وسكوتك سواء وزيارة الصالحين لك وامتناعهم سواء وقيام الشفعاء بأمرك وتركهم سواء كذا في تفسير التيسير (لا يؤمنون) جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب ثم هذا تخفيف للنبي عليه السلام وتفريغ لقلبه حيث أخبره عن هؤلاء بما أخبر به نوحا صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء في الانتهاء فانه قال تعالى لنوح عليه السلام بعد طول الزمان ومقاساة الشدائد والاحزان انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فدعا بهلاكهم بعد ذلك وكذلك سائر الانبياء وفي الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص

بأعيانهم فهى من المعجزات الباهرة وفى الآية اثبات فعل العباد فانه قال لا يؤمنون وفيه اثبات الاختيار ونفى الاكراه والاجبار فانه لم يقل لا يستطيعون بل قال لا يؤمنون فان قلت لما علم الله أنهم لا يؤمنون فلم امر النبى عليه السلام بدعائهم قلت فائدة الانذار بعد العلم بأنه لا ينجع الزام الحجة كما أن الله تعالى بعث موسى الى فرعون ايدعوه الى الاسلام وعلم أنه لا يؤمن قال الله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك فان قلت لما أخبر الله ورسوله أنهم لا يؤمنون فهلا اهلكهم كما أهلك قوم نوح بعد ما أخبر أنهم لا يؤمنون قلت لان النبى عليه السلام كان رحمة للعالمين كما ورد به الكتاب وقد قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم ان الاخبار بوقوع الشئ أو عدمه لا ينفى القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره فلا يلزم جواز تكليف ما لا يطاق قال الامام القشيرى من كان فى غطاء صفته محجوبا عن شهود حقه فسيان عنده قول من دله على الحق وقول من أعانه على استجلاب الحظ بل هو الى داعى الغفلة أميل وفى الاصغاء اليه ارغب وكما أن الكافر لا يرعوى عن ضلالته لما سبق من شقاوته فكذلك المربوط بأغلال نفسه محجوب عن شهود غيبه وحقه فهو لا يبصر رشده ولا يسلك قصده وقال أيضا ان الذى بقى فى ظلمات دعاويه سواء عنده نصح الراشدين وتسويلات المبطلين لان الله تعالى نزع من احواله بركات الانصاف فلا يصغى الى داعى الرشاد كما قيل وعلى النصوح نصيحتى * وعلى عصيان النصوح ‖ وفى التأويلات النجمية ان الذين كفروا أى جحدوا ربوبيتى بعد اقرارهم فى عهد ألست بربكم باجابة بلى وستروا صفاء قلوبهم برين ما كسبوا من أعمالهم الطبيعية النفسانية وأفسدوا حسن استعدادهم من فطرة الله التى فطر الناس عليها باكتساب الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وذلك بأن أرواحهم النفيسة لما نظروا بروزنة الحواس الخمس الى عالم الصورة الخسيسة حجبت عن مألوفاتها ومحابها ثم ابتليت بصحبة النفوس الحيوانية واستأنست بها ولهذا يسمى الانسان انسانا لانه أنيس فبمجاورة النفس الخسيسة صار الروح النفيس خسيسا فاستحسن ما استحسنت النفس واستلذ ما استلذ به النفس واستمتع من المراتع الحيوانية فانقطع عنه الاغذية الروحانية ونسى حظائر القدس وجوار الحق فى رياض الانس ولهذا سمى الناس ناسا لانه ناس فتاه فى أودية الخسران واستهوته الشياطين فى الارض حيران ولما نسوا الله بالكفران نسيهم بالخذلان حتى غلب عليهم الهوى وأوقعهم فى مهالك الردى فاصبحوا بنفوس أحياء وقلوب موتى سواء عليهم أأنذرتهم بالوعد والوعيد وخوفتهم بالعذاب الشديد أم لم تنذرهم لا يؤمنون بما أخبرتهم ودعوتهم اليه وأنذرتهم عليه لان روزنة قلوبهم الى عالم الغيب منسدة بقساوة حلاوة الدنيا وقلوبهم مغلوقة بحب الدنيا وشهواتها مقفول عليها بمتابعة الهوى كما قال تعالى أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فما تنسموا روائح الانس من رياض القدس بل هبت عليهم صرصر الشقاوة من مهب حكم السابقة وأدركهم بالختم على اقفالها كما قال تعالى ختم الله الآية انتهى ما فى التأويلات ومن أمثال الانجيل قلوبكم كالحصاة لا تنضجها النار ولا يلينها الماء

ولا

ولا تنسفها الريح (قال السعدى) چون بود اصل جوهرى قابل * تربيت را در واثر باشد *
هيچ صيقل نكو نداند كرد * آهنى را كه بد گهر باشد (ختم الله على قلوبهم) لما ذكر هؤلاء الكفار
بصفاتهم وحالاتهم ألحق به ذكر عقوباتهم فهو تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم
الكتم سمى به الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه لانه كتم له وبلوغ آخره ومنه ختم القرآن
نظرا الى أنه آخر فعل يفعل فى احرازه ولا ختم على الحقيقة وانما المراد به أن يحدث فى نفوسهم
هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصى واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم
وانهماكهم فى التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا يؤثر فيها الانذار
ولا ينفذ فيها الحق أصلا وسمى هذه الهيئة على الاستعارة ختما وقد عبر عن احداث هذه الهيئة
بالطبع فى قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم وبالاغفال
فى قوله ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء فى قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهى من حيث
ان الممكنات بأسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته أسندت اليه تعالى ومن حيث انها
مسببة عما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا
فطبع على قلوبهم وردت الآية الكريمة ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم فالختم
مجازاة لكفرهم والله تعالى قد يسر عليهم السبل فلو جاهدوا لوفقهم فسقط الاعتراض بأنه
اذا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم فمنعهم عن الهدى فكيف يستحقون العقوبة قال الشيخ
فى تفسيره واسناد الختم الى الله للتنبيه على أن اباءهم عن قبول الحق كالشئ الخلقى غير العرضى
انتهى وقال فى التيسير حاصل الختم عند أهل الحق عقوبة من الله تعالى لا تمنع العبد من الايمان
جبرا ولا تحمله على الكفر كرها بل هى زيادة عقوبة له على سوء اختياره وتماديه فى الكفر
واصراره يحرم بها من اللطف الذى سهل به فعل الايمان وترك العصيان يدل عليه أنهم بقوا
مخاطبين بالايمان بقوله تعالى آمنوا بالله ورسوله وملومين على الامتناع عنه لقوله تعالى فما لهم
لا يؤمنون ولو صاروا مجبورين وعن الايمان عاجزين لزال الخطاب وسقط اللوم والعتاب
كما فى الختم على الافواه يوم الحساب لما عجزوا به حقيقة عن الكلام لم يبق الخطاب
بالكلام وتحقيق المذهب اثبات فعل العبد وتخليق الله تعالى والقلوب جمع قلب وهو الفؤاد
سمى قلبا لتقلبه فى الامور وتصرفه فى الاعضاء وفى تفسير الشيخ القلب قطعة لحم متشكل
بالشكل الصنوبرى معلق بالوتين مقلوبا والوتين عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه
ويقال له الابهر وفى تفسير الكواشى القلب قطعة سوداء فى الفؤاد وزعم بعضهم أنه الشكل
الصنوبرى المعلق بالوتين مقلوبا وفى تعريفات السيد القلب لطيفة ربانية لها بهذا القلب
الجسمانى الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الايسر من الصدر تعلق وتلك اللطيفة هى
حقيقة الانسان (قال المولى الجامى) نيست اين پيكر صنوبرى دل * بلكه هست اين قفس
طوطى دل * كر تو طوطى ز قفس نشناسى * بخدا ناسى نه نسناسى * والمراد بالقلب
فى الآية محل القوة العاقلة من الفؤاد وقد يطلق ويراد به المعرفة والعقل كما قال ان فى ذلك
لذكرى لمن كان له قلب (و) ختم الله (على سمعهم) أى على آذانهم فجعلها بحيث تعاف استماع
الحق ولا تصغى الى خير ولا تعيه ولا تقبله كأنها استوثق منها بالختم عقوبة لهم على سوء

اختيارهم وميلهم الى الباطل وايثارهم والسمع هو ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد ههنا لانه أشد مناسبة للختم وهو المختوم عليه أصالة وفي توحيد السمع وجوه أحدها أنه في الاصل مصدر والمصادر لا تجمع اصلا حيث لها للواحد والاثنين والجماعة قال تعالى انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فان قالوا فلم جمع الابصار والواحد بصر وهو كالسمع قلنا انه اسم للعين فكان اسما لا مصدرا فجمع لذلك والثاني ان فيه اضمارا أي على مواضع سمعهم وحواسه كما في قوله تعالى واسأل القرية أي أهلها وثبت هذا الاضمار دلالة أن السمع فعل ولا يختم على الفعل وانما يختم على محله والثالث أنه أراد سمع كل واحد منهم والاضافة الى الجماعة تغني عن الجماعة وفي التوحيد أمن اللبس كما في قوله كلوا في بعض بطنكم أي بطونكم اذ البطن لا يشترك فيه والرابع قول سيبويه انه توسط جمعين فدل على الجمع وان وحد كما في قوله يخرجهم من الظلمات الى النور دل على الانوار ذكر الظلمات وتقديم ختم قلوبهم للايذان بأنها الاصل في عدم الايمان وتقديم حال السمع على حال أبصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال قالوا السمع أفضل من البصر لانه تعالى حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا أصم ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تلتقف من أصحابها (وعلى أبصارهم) جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وهو المراد ههنا لانه أشد مناسبة للتغطية (غشاوة) أي غطاء ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بها احداث حالة تجعل أبصارهم بسبب كفرهم لا تجتلي الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين وتصير كأنها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار ومعنى التنكير أن على أبصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الآيات قوله غشاوة مبتدأ مؤخر خبره المتقدم قوله وعلى أبصارهم ولما اشترك السمع والقلب في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار مما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة قال في التيسير انما ذكر في الآية القلوب والسمع والابصار لان الخطاب كان باستعمال هذه الثلاثة في الحق كما قال تعالى أفلا تعقلون أفلا تبصرون أفلا تسمعون (ولهم عذاب عظيم) أي عقوبة شديدة القوة ومنه العظم والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال أعذب عن الشيء اذا أمسك عنه وسمي العذاب عذابا لانه يمنع عن الجناية اذا تأمل فيها العاقل ومنه الماء العذب لما أنه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش أي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب يعني الفرات وهو الماء العذب مأخوذ من الرفت وهو قلبه وقيل انما سمي به لانه جزاء ما استعذبه المرء بطبعه أي استطابه ولذلك قال فذوقوا عذابي وانما ذاق الطيب على معنى أنه جزاء ما استطابه واستحلاه بهواه في الدنيا والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير قال في التيسير عظيم أي كبيرا أو كثيرا أو دائم وهو التعذيب بالنار أبدا ثم عظمه بأهواله وبشدة أحواله وكثرة سلاسله وأغلاله فتكون هذه الآية وعيدا وبيانا لما يستحقونه في الآخرة وقيل هو القتل والاسر في الدنيا والتحريق بالنار في العقبى ومعنى

التوصيف بالعظيم أنه اذا قيس سائر ما يجانسه قصر عنه بجميعه ومعنى التنكير أن لهم من الآلام نوعا عظيما لا يعلم كنهه الا الله عز وجل فعلى العاقل أن يجتنب عما يؤدى الى العذاب الاليم والعقاب العظيم وهو الاصرار على الذنوب والاكباب على اقتراف الخطيئات والعيوب قيل فى سبب الحفظ من هذه العقوبة التى هى الختم على الكيس فلا يمنعه عن حق ووضع الختم على اللسان فلا يطلقه فى باطل (قال السعدى) بكمراه كفتن نكو ميروى * كناه بزركست وجور قوى * مكو شهد شيرين شكر فايقست * كسى را كه سقمونيا لايقست * قال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل وما جلاؤها قال تلاوة القرآن وكثرة ذكر الله وذكر الموت وأمهات الخطايا ثلاث الحرص والحسد والكبر فحصل من هؤلاء ست فصارت تسعا الشبع والنوم والراحة وحب المال وحب الجاه وحب الرياسة فحب المال والرياسة من أعظم ما يجر صاحبه الى الكفر والهلاك (حكى) أن ملكا شابا قال انى لا أجد فى الملك لذة فلا أدرى أكذلك يجده الناس أم أنا أجده فقالوا له كذلك يجده الناس قال فماذا يقيمه قالوا يقيمه لك أن تطيع الله فلا تعصيه فدعا من كان فى بلده من العلماء والصلحاء فقال لهم كونوا بحضرتى ومجلسى فما رأيتم من طاعة الله فأمرونى وما رأيتم من المعصية فازجرونى عنها ففعل ذلك فاستقام له الملك اربعمائة سنة ثم ان ابليس أتاه يوما على صورة رجل وقال له من أنت قال الملك رجل من بنى آدم قال لو كنت من بنى آدم لمت كما تموت بنو آدم ولكنك اله فادع الناس الى عبادتك فدخل فى قلبه شئ ثم صعد المنبر فقال أيها الناس انى أخفيت عليكم أمرا حان اظهاره وهو أنى ملككم منذ كذا سنة ولو كنت من بنى آدم لمت ولكنى اله فاعبدونى فأوحى الله الى نبى زمانه وقال أخبره أنى استقمت له ما استقام لى فتحول من طاعتى الى معصيتى فبعزتى وجلالى لأسلطن عليه بختنصر ولم يتحول عن ذلك فسلطه عليه فضرب عنقه وأوقر من خزينته سبعين سفينة من ذهب (قال المولى جلال الدين قدس سره) جز عنايت كى كشايد چشم را * جز محبت كى نشاند خشم را * جهد بى توفيق خود كس را مباد * در جهان والله أعلم بالرشاد * وفى التأويلات النجمية فى الختم اشارة الى بداية سوابق أحكام القدر بالسعادة والشقاوة على وفق الحكمة والارادة الازلية المتعلقة كما قال تعالى فمنهم شقى وسعيد مع حسن استعداد جميعهم بقبول الايمان والكفر ولهذا المعنى خاطب الحق ذراتهم بخطاب ألست بربكم قالوا بلى جميعا ثم أودع الله الذرات فى القلوب والقلوب فى الاجساد والاجساد فى الدنيا فى ظلمات ثلاث وكانت روزنة القلوب كلها مفتوحة الى عالم الغيب بواسطة الذرات المودعات التى سمعت خطاب الحق وشاهدت كمال الحق الى وقت ولادة كل انسان كما قال عليه السلام كل مولود يولد على فطرة الاسلام فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وفيه اشارة الى ان الله يكل الاشقياء الى تربية الوالدين فى معنى الدين حتى يلقنوهم تلقين ما ألفوا عليه آباءهم من الضلالة فيضلوهم كما قال تعالى أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين فكانت تلك الشقاوة المقدرة مضمرة فى ضلالة التقليد والصفات النفسانية الظلمانية والهوى والطبيعة ثم جعل تأثيرها وظلمتها ورينها يتدرج الى القلوب فيقسيها ويسودها ويغطيها ويسد روزنتها الى الذرات فيعميها ويصمها حتى لا يبصر أهل الشقاوة ببصر الذرات من الحق ما كانوا يبصرون ولا يسمعوا بسمع

الذرات من الحق ما كانوا يسمعون فينكرون على الانبياء ويكفرون بهم ويعاندونهم اليه فيختم الله شقاوتهم بكفرهم هذا و يطبع به على قلوبهم كقوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فسر القدر مستور لا يطلع عليه أحد الا الله فيظهر آثار السعادة باقرار السعداء ويظهر آثار الشقاوة بانكار الاشقياء وكفرهم من القدر كالبذر فى الارض مستور فتظهر الشجرة منه وهو فى الشجرة مستور فيخرج مع الاغصان من الشجرة وهو فى الاغصان مستور حتى يخرج مع الثمرة من الاغصان وهو فى الثمرة مستور حتى يظهر من الثمرة فيختم ظهور البذر بالثمرة فكذلك سر القدر وهو بذر السعادة أو الشقاوة مستور فى علم الله تعالى فتظهر شجرة وجود الانسان منه والسعادة والشقاوة مستورة فيها فتخرج مع اغصان الاخلاق وهى مستورة فيها فتخرج مع ثمرة الاعمال وهى الاقرار والانكار والايمان والكفر فيختم ظهور سر القدر وهو السعادة أو الشقاوة بثمرة الايمان أو الكفر فيظهر سر القدر عند الختم بالسعادة أو الشقاوة فالذين ختم الله على قلوبهم انما ختم بخاتم كفرهم وان كان نقش خاتمهم هو الاحكام الازلية وسر القدر حتى حرموا من دولة الوصال وبه ختم على سمعهم حتى لم يسمعوا خطاب الملك ذى الجلال وعلى أبصارهم غشاوة من العمى والضلال فلم يشاهدوا ذلك الجمال والكمال فلهم حرمان مقيم ولهم عذاب عظيم لانهم منعوا من مرادهم وهو العلى العظيم فعظم العذاب يكون على قدر عظمة المراد الممنوع منه انتهى ما فى التأويلات (ومن الناس) لما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بشرح حاله وساق لبيانه ذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وثنى بأضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم أى المنافقون أخبث الكفرة وأبغضهم الى الله لانهم موّهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طوّل فى بيان خبثهم قال القاشانى الاقتصار فى وصف الكفار المصرين المطبوع على قلوبهم على آيتين والاطناب فى وصف المنافقين فى ثلاث عشرة آية للاضراب عن أولئك صفحا اذ لا ينجع فيهم الكلام ولا يجدى عليهم الخطاب وأما المنافقون فقد ينجع فيهم التوبيخ والتعيير وعسى أن يرتدعوا بالتشنيع عليهم وتفظيع شأنهم وسيرتهم وتهجين عاداتهم وخبث نياتهم وسريرتهم وينتهوا بتقبيح صورة حالهم وتفضيحهم بالتمثيل بهم وبطريقتهم فتلين قلوبهم وتنقاد نفوسهم وتزكو بواطنهم وتضمحل رذائلهم فيرجعون عما هم عليه ويصيرون من المستثنى فى قوله تعالى الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما والناس اسم جمع للانسان سمى به لانه عهد اليه فنسى قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ولذلك جاء فى تفسير قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود أى نساء للنعم ذكار للمحن وقيل لظهوره من آنس أى أبصر لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمى الجن جنا لاجتنانهم أى استتارهم عن أعين الناس وقيل هو من الانس الذى هو ضد الوحشة لانهم يستأنسون بأمثالهم أو تستأنس أرواحهم بأبدانهم وأبدانهم بأرواحهم واللام فيه للجنس ومن فى قوله (من يقول) موصوفة اذ لا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون أى يقرون باللسان والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى

القول بالمعنى المتصور فى النفس المعبر عنه باللفظ والرأى والمذهب مجازا ووحد الضمير فى يقول باعتبار اللفظ من وجمعه فى قوله آمنا وقوله وماهم باعتبار معناه لان كلمة من تصلح للواحد والجمع أن اللام فيه للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة والمراد بها عبد الله ابن أبى ابن سلول وأصحابه ونظراؤه من المنافقين حيث أظهروا كلمة الاسلام ليسلموا من النبى عليه السلام وأصحابه واعتقدوا خلافها وأكثرهم من اليهود فانهم من حيث انهم صموا على النفاق دخلوا فى عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها أبعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثانى (آمنا بالله) أى صدقنا بالله (وباليوم الآخر) والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى مالا يتناهى أى الوقت الدائم الذى هو آخر الاوقات المنقضية والمراد به البعث أو الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانه آخر الايام المحدودة اذ لا حد وراءه وسمى بالآخر لتأخره عن الدنيا وتخصيصهم للايمان بهما بالذكر له ادعاء أنهم قد حازوا الايمان من قطريه وأحاطوا به من طرفيه وايذان بأنهم منافقون فيما يظنون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهود أو كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وأن الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين أنهم آمنوا مثل ايمانهم وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم فان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم فكان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر (وماهم بمؤمنين) ما نافية عن ليس ولهذا عقب بالباء أى ليسوا بمصدقين لانهم يضمرون خلاف ما يظهرون بل هم منافقون وفى الحكم عليهم بأنهم ليسوا بمؤمنين نفى ما ادعوه على سبيل البت والقطع لانه نفى أصل الايمان منهم بادخال الباء فى خبرها ولذا لم يقل وماهم من المؤمنين فان الاول أبلغ من الثانى دلت الآية على أن الدعوى مردودة اذا لم يقم عليها دلائل الصحة قال قائلهم من تحلى بغير ما فيه فضح الامتحان ما يدعيه فان من مدح نفسه ذم ومن ذم نفسه مدح قال فرعون عليه لعنات الله وأنا من المسلمين فقيل وكنت من المفسدين وقال يونس عليه السلام انى كنت من الظالمين فقيل فلولا انه كان من المسبحين (قال الحافظ) خوش بود كر محك تجربه آيد بميان * تاسيه روى شود هركه دروغش باشد * (حكى) أن شيخا كان له تلميذ يدعى أنه أمين والشيخ يعلم منه خلاف ذلك وهو يرد على الشيخ فى ذلك ويدعى الامانة ويطلب منه أن يكشف له سرا من أسرار الله تعالى فأخذ الشيخ يوما تلميذا من أصحابه وخبأه فى بيت وعمد الى كبش فذبحه وألقاه فى عدل ودخل ذلك التلميذ المدعى فرأى الشيخ ملطخا بالدماء والعدل امامه والسكين فى يده فقال له ياسيدى ما شأنك فقال له غاظنى فلان يعنى ذلك التلميذ فقتلته يعنى التلميذ يعنى بقتله مخالفة هواه حتى لا يكذب الشيخ فتخيل التلميذ أنه فى العدل فقال الشيخ هذه أمانة فاستر على وادفن معى هذا المذبوح الذى فى هذا العدل فدفنه معه فى الدار وقصد الشيخ نكاية ذلك التلميذ وأن يفعل معه ما يخرجه وجاء أبو ذلك المخبوء يطلب ابنه فقال له الشيخ هو عندى فمضى الرجل فلما كبر على التلميذ نكاية الشيخ مشى الى والد ذلك المخبوء

وأخبره ان الشيخ قتله ودفنه معه ورفع ذلك الى السلطان فتوقف السلطان فى ذلك الامر لما يعرفه من جلالة الشيخ وبعث اليه بالقاضى والفقهاء وأخذ ذلك التلميذ بيد الشيخ ووقف الشهود حتى حضروا الى العدل فعاينوا الكبش وخرج التلميذ الخبوء وافتضح وندم حيث لا ينفعه الندم كذا فى الرسالة المسماة بالامر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط للشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فظهر من هذا أن الاسرار لا توهب الا للامناء والانوار لا تفيض الا على الادباء (قال الحافظ) حديث دوست نكويم مكر بحضرت دوست * كه آشنا سخن آشنا نكه دارد * وفى التأويلات النجمية ومن الناس هم الذين نسوا الله ومعاهدته يوم الميثاق فمنهم من يقول آمنا بالله يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم فان الايمان الحقيقى ما يكون من نور الله الذى يقذفه الله فى قلوب خواصه وباليوم الآخر أى بنور الله يشاهد الآخرة فيؤمن به فمن لم يتطر بنور الله فلا يكون مشاهد العالم الغيب فلا يعلم الغيب فلا يكون مؤمنا بالله وباليوم الآخر ولهذا قال وما هم بمؤمنين أى بالذين يؤمنون من نور الله تعالى وفيه معنى آخر وما هم بمستعدين للهداية الى الايمان الحقيقى لانهم فى غاية الغفلة والخذلان اه (يخادعون الله) بيان ليقول فى الآية السابقة وتوبيخ لما هو غرضهم عما يقولون أو استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ أى يخدعون وانما اخرج فى زنة فاعل للمبالغة وخداعهم مع الله سبحانه ليس على ظاهره لانه لا تخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف أو على أن معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته فى أرضه والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده ففيه رفع درجة النبى صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه خداعه واما أن صورة صنعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم من اجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده تعالى أخبث الكفار وأهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين أمر الله تعالى فى اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المخادعين فتكون المخادعة بين الاثنين والخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب أو يوهمه المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فيتجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذى اذا أمر الحارش يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا أن يطلعوا على أسرار المؤمنين فيذيعوها الى منابذيهم أى يشيعوها الى مخالفيهم وأعدائهم وأن يدفعوا عن أنفسهم ما يصيب سائر الكفرة من القتل والنهب والاسر وأن ينالوا به نظم مصالح الدنيا جميعا كان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاعطاء (والذين آمنوا) أى يخادعون المؤمنين بقولهم اذا رأوهم آمنا وهم غير مؤمنين وهو عطف على الاول ويجوز حمله على الحقيقة فى حقهم فانه وسعهم كذا فى التيسير (وما يخدعون الا انفسهم) النفس ذات الشئ وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحى به وللقلب لانه محل الروح أو متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء أيضا لشدة حاجتها اليه والمراد هنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان أن ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم أى يفعلون ما يفعلون والحال

أنهم مايضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم ومن حفظ على الصيغة قال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادع الا انفسهم لان ضرره لا يحيق الا بهم ووبال خداعهم راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون فى الدنيا ويستوجبون العقاب فى العقبى (قال المولى جلال الدين) بازرا ديدى تواى شطرنج باز • بازئ خصمت ببين پهن ودراز * وقيل يعاملهم على وفق ما عاملوا وذلك فيما يروى انهم اذا ألقوا فى النيران وعذبوا فيها طويلا بلا من الزمان استغاثوا بالرحمن قيل لهم هذه الابواب قد فتحت فاخرجوا فيتبادرون الى الابواب فاذا انتهوا اليها اغلقت دونهم وأعيدوا الى الآثار والتوابيت مع الشياطين والطواغيت قال تعالى انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا وفى الحديث يؤمر بنفر من الناس يوم القيامة الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله تعالى لاهلها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ما اعددت لاوليائك فيقول ذلك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بى بارزتمونى بالعظائم فاذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس وتظهرون خلاف ما تنطوى قلوبكم عليه هبتم الناس ولم تهابونى اجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم للناس ولم تتركوا لى يعنى لاجل الناس فاليوم أذيقكم أليم عذابى مع ما حرمتكم يعنى من جزيل ثوابى كذا فى روضة العلماء وتنبيه الغافلين (وما يشعرون) حال من ضمير ما يخدعون أى يقتصرون على خداع أنفسهم والحال أنهم ما يحسون بذلك لتماديهم فى الغفلة والغواية جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم فى الظهور كالمحسوس الذى لا يخفى الا على مؤوف الحواس وهذا تنزيل لهم منزلة الجمادات وحط من مرتبة البهائم حيث سلب منهم الحس الحيوانى فهم من قبيل فى حقهم بل هم أضل فلا يشعرون ابلغ وأنسب من لا يعلمون والشعور الاحساس أى علم الشئ علم حس ومشاعر الانسان حواسه سميت به لكون كل حاسة محلا للشعور والنكتة فيه أن المنافق عمل ما عمل وهو لا يعلم بوبال ما عمل والمؤمن يعلم به فاعذره عند ربه ثم فى هذه الآية نفى العلم عنهم وفى قوله وتكتمون الحق وأنتم تعلمون اثبات العلم لهم والتوفيق بينهما انهم علموا به حقيقة ولكن لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا وهو كقوله عز وجل صم بكم عمى فكانوا ناطقين سامعين ناظرين حقيقة لكن لم ينتفعوا بذلك فكانوا كأنهم صم بكم عمى فذو الآلة اذا لم ينتفع بها فهو وعادم الآلة سواء والعالم الذى لا يعمل بعلمه فهو والجاهل سواء والغنى الذى لا ينتفع بماله فهو والفقير سواء فاثبات العلم للكفار الزام الحجة وذكر الجهل اثبات المنقصة بخلاف المؤمنين فان اثبات العلم لهم اثبات الكرامة وذكر الجهل تلقين عذر المعصية كذا فى التيسير فعلى المؤمن أن يتحلى بالعلم والعمل ويجتنب عن الخطأ والزلل ويطيع ربه خالصا لوجهه الكريم ويعبده بقلب سليم وفى الحديث ان أخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم يجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم خيرا وانما يقال لهم ذلك لان عملهم فى الدنيا كان على وجه الخداع فيعاملون فى الآخرة على وجه الخداع كذا فى تنبيه الغافلين (قال السعدى) چه قدر آورد بنده خورد ريب

* كذ نبرقباد ارد اندام بيس * وفى التأويلات النجمية الاشارة أن الله تعالى لما قدر لبعض الناس الشقاوة فى الازل أثر بذر سر القدر المستور فى أعماله ثمرة مخادعة الله فى الظاهر ولا يشعر أن المخادعة نتيجة بذر سر القدر بطريق تزيين الدنيا فى نظره وحب شهواتها فى قلبه كما قال تعالى زين للناس حب الشهوات الآية فانخدع بزينة الدنيا وطلب شهواتها عن الله وطلب السعادة الاخروية فعلى الحقيقة هو المخادع المكور كما قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم فعلى هذا وما يخدعون الا أنفسهم حقيقة فى صورة مخادعتهم الله والذين آمنوا الانهم كانوا قبل مخادعتهم الله مستوجبين النار بكفرهم مع امكان ظهور الايمان منهم فلما شرعوا فى اظهار النفاق بطريق المخادعة نزلوا بقدم النفاق الدرك الاسفل من النار فأبطلوا استعداد قبول الايمان وامكانه عن أنفسهم فكانت مفسدة خداعهم ومكرهم راجعة الى أنفسهم وما يشعرون أى ليس لهم الشعور بسر القدر الازلى وأن معاملتهم فى المكر والخداع من نتائجه لان فى قلوبهم مرضا ومرض القلب ما يفهم من شعور بسر القدر (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) زاد يجىء متعديا كما فى هذه الآية ولازما كما فى قوله تعالى فأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون والمرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل فى أفاعيله ويؤدى الى الموت ومجاز فى الاعراض النفسانية التى تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصى وغير ذلك من فنون الكفر المؤدى الى الهلاك الروحانى لانها مانعة عن نيل الفضائل أو مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والآية الكريمة تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات أمر الرسول عليه السلام واستعلاء شأنه يوما فيوما فزاد الله غمهم بما زاد فى اعلاء أمره ورفع قدره وأن نفوسهم كانت مأوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبى عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بأن طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بأنه لا يؤثر فيها التذكير والانذار وبازدياد التكاليف الشرعية وتكرير الوحى وتضاعف النصر لانهم كلما ازداد التكاليف بنزول الوحى يزدادون كفرا وقد كان يشق عليهم التكلم بالشهادة فكيف وقد حفتهم الزيادات وهى وظائف الطاعات ثم العقوبة على الجنايات فازدادوا بذلك اضطرابا على اضطراب وارتيابا على ارتياب ويزدادون بذلك فى الآخرة عذابا على عذاب قال تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب والمؤمنون لهم فى الدنيا ما قال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وفى العقبى ما قال ويزيدهم من فضله * قال القطب العلامة أمراض القلب اما متعلقة بالدين وهو سوء الاعتقاد والكفر أو بالاخلاق وهى اما رذائل فعلية كالغل والحسد وأما رذائل انفعالية كالضعف والجبن فحمل المرض أولا على الكفر ثم على الهيئات الفعلية ثم على الهيئات الانفعالية ويحتمل أن يكون قوله تعالى فزادهم الله دعاء عليهم فان قلت فكيف يحمل على الدعاء والدعاء للعاجز عرفا والله تعالى منزه عن العجز قلت هذا تعليم من الله عباده أنه يجوز الدعاء على المنافقين والطرد لهم لانهم شر خلق الله لانه أعدلهم يوم القيامة الدرك الاسفل من النار وهذا كقوله تعالى قاتلهم الله ولعنهم الله (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) يصل ألمه الى القلوب وهو بمعنى المؤلم بفتح اللام على أنه اسم مفعول من الايلام وصف به العذاب للمبالغة وهو فى الحقيقة صفة المعذب بفتح الذال المعجمة

كما أن الجد للجاد فى قولهم جد جده وجه المبالغة افادة أن الالم بلغ الغاية حتى سرى من المعذب الى العذاب المتعلق به (بما كانوا يكذبون) الباء للسببية أو للمقابلة وما مصدرية داخلة فى الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده أى بسبب كذبهم المتجدد المستمر الذى هو قولهم آمنا الخ وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل أن العذاب الاليم لاحق بهم من أجل كذبهم نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم السامع بأن لحوق العذاب بهم من جهات شتى وأن الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه والكذب الاخبار بالشئ على خلاف ما هو به وهو قبيح كله وأما ما روى ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد به التعريض لكن لما شابه الكذب فى صورته سمى به واحدى الكذبات قوله انى سقيم أى ذاهب الى السقم أو الى الموت أو سيسقم لما يجد من الغيظ فى اتخاذهم النجوم آلهة قاله ليتركوه من الذهاب معهم الى عيداهم حتى يخلوا سبيله فيكسر أصنامهم والثانية قوله بل فعله كبيرهم هذا على الفرض والتقدير على سبيل الالزام كأنه قال لو كان الها معبودا وجب أن يكون قادرا على أن يفعله فاذا لم يكن قادرا عليه يكون عاجزا والعاجز بمعزل عن الالوهية واستحقاق العبادة فكيف حالكم فى العكوف عليه فهذا القول تهكم بعقولهم وثالثها قوله فى حق زوجته سارة رضى الله عنها هذه اختى والمراد منه الاخوة فى الدين وغرضه منه تخليصها من يد الظالم لان من دين ذلك الملك الذى يتدين به فى الاحكام المتعلقة بالسياسة أن لا يتعرض الا لذوات الازواج لان من دينه أن المرأة اذا اختارت الزوج فالسلطان أحق بها من زوجها واما اللاتى لا أزواج لهن فلا سبيل عليهن الا اذا رضين وأما قوله هذا ربى فهو من باب الاستدراج وهو ارخاء العنان مع الخصم وهو نوع من التعريض لان الغرض منه حكاية قولهم كذا فى حواشى ابن تمجيد * واعلم أن الكذب من قبائح الذنوب وفواحش العيوب ورأس كل معصية بها تتكدر القلوب وأبغض الاخلاق أنه مجانب للايمان يعنى الايمان فى جانب والكذب فى جانب آخر مقابل له وهذا كناية عن كمال البعد بينهما وفى الحديث مالى اراكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا أن يكذب الرجل فى الحرب فان الحرب خدعة أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته ليرضيها مثل أن يقول لا أحد أحب الى منك وكذا من جانب المرأة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفى معناها ما اذا ارتبط بمقصود صحيح له أو لغيره كما قيل بالفارسية دروغ مصلحت آميز به از راست فتنه انكيز * لكن هذا فى حق الغير وأما فى حق نفسه فالصدق أولى وان لزم الضرر (كما قال السعدى) تا نيك ندانى كه سخن عين صوابست * بايد كه بگفتن دهن از هم نكشايى * گر راست سخن گويى ودر بند بمانى * به زانكه دروغت دهد از بند رهايى * واعلم أن المراد بالكذب فى الحقيقة الكذب فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية كما للمنافقين ومن يحذو حذوهم ولا يصح الاقتداء بأرباب الكذب مطلقا ولا يعتمد عليهم فانهم يجرون الى الهلاك والفراق عن مالك الاملاك (قال فى المثنوى) صبح كاذب كاروانها را زدست * كه بپوى روز بيرون آمدست * صبح كاذب خلق را رهبر مباد * كو دهد بس كاروانها را بباد * قال القاشانى فى تأويل الآية فى قلوبهم حجاب

من حجب الرذائل النفسانية الشيطانية والصفات البشرية عن تجليات الصفات الملائكية * وفي التأويلات النجمية في قلوبهم مرض وهو التفات الى غير الله فزادهم الله مرضا أي زادهم من الالتفات على حرص خداعهم فحرموا من الوصول والوصال ولهم عذاب أليم من حرمان الوصول الى الله تعالى بما كانوا يكذبون بقولهم انا آمنا بالله فانهم ليسوا بمؤمنين حقيقة والايمان الحقيقي نور اذا دخل القلب يظهر على المؤمن حقيقته كما كان لحارثة لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا حارثة قال اصبحت مؤمنا حقا قال يا حارثة ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال أعرضت نفسي عن الدنيا أي زهدت وانصرفت فأظمأت نهارها وأسهرت ليلها واستوى عندي حجرها وذهبها وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون والى أهل النار يتضاعون وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبت فالزم (قال في المثنوى) أهل صيقل رسته اند از بو ورنك * هردمى بينند خوبي بى درنك * نقش وقشر علم را بكذاشتند * رايت عين اليقين افراشتند * برترند از عرش وكرسى وخلا * ساكنان مقعد صدق خدا * علم كان بنود زاو بى واسطه * آن نپايد همچو رنك ماشطه * (واذا قيل لهم) أي قال المسلمون لهؤلاء المنافقين (لا تفسدوا في الارض) اسناد قيل الى لا تفسدوا اسناد له الى لفظه كأنه قيل واذا قيل لهم هذا القول كقولك ألف ضرب من ثلاثة احرف والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع والفساد في الارض تهييج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال أمر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي الى ذلك من افشاء أسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليه وغير ذلك من فنون الشرور فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لا تفسدوا كما يقول الرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ماهذه عاقبته كانت الارض قبل البعثة يعلن فيها بالمعاصي فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم ارتفع الفساد وصلحت الارض فاذا أعلنوا بالمعاصي فقد أفسدوا في الارض بعد اصلاحها كما في تفسير أبي الليث (قالوا انما نحن مصلحون) جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فأنكروا كون ذلك فسادا وادعوا كونه اصلاحا محضا وهو من قصر الموصوف على الصفة مثل انما زيد منطلق قال ابن التمجيد ان المسلمين لما قالوا لهم لا تفسدوا توهموا أن المسلمين أرادوا بذلك أنهم يخلطون الافساد بالاصلاح فأجابوا بأنهم مقصورون على الاصلاح لا يتجاوزون منه الى صفة الافساد فيلزم منه عدم الخلط فهو من باب قصر الافراد حيث توهموا أن المؤمنين اعتقدوا الشركة فأجابهم الله تعالى بعد ذلك بما يدل على القصر القلبي وهو قوله تعالى (ألا) أيها المؤمنون اعلموا (انهم هم المفسدون) فانهم لما أثبتوا لانفسهم احدى الصفتين ونفوا الاخرى واعتقدوا ذلك قلب الله اعتقادهم هذا بأن أثبت لهم ما نفوه ونفى عنهم ما أثبتوا والمعنى هم مقصورون على افساد أنفسهم بالكفر والناس بالتعويق عن الايمان لا يتخطون منه الى صفة الاصلاح

من باب قصر الشئ على الحكم فهم لا يعدون صفة الفساد والافساد ولا يلزم منه أن لا يكون غيرهم مفسدين ثم استدرك بقوله تعالى (ولكن لا يشعرون) أنهم مفسدون للايذان بأن كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه قال الشيخ فى تفسيره ذكر الشعور بازاء الفساد أوفق لانه كالمحسوس عادة ثم فيه بيان شرف المؤمنين حيث تولى الله جواب المنافقين عما قالوه للمؤمنين كما كان فى حق المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الوليد بن المغيرة قال له انه مجنون فنفاه الله عنه بقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون ثم قال فى ذم ذلك اللعين ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم أى حلاف حقير عياب مشاء بين الناس بالنميمة بخيل للمال ظالم فاجر غليظ القلب جاف ومع ذلك الوصف المذكور هو ولد الزنا وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اتخذ ربه وكيلا على أموره بمقتضى قوله فاتخذه وكيلا فهو تعالى يكفى مؤنته كما قال أهل الحقائق ان خوارق العادات قلما تصدر من الاقطاب والخلفاء بل من وزرائهم وخلفائهم لقيامهم بالعبودية التامة واتصافهم بالفقر الكلى فلا يتصرفون لانفسهم فى شئ ومن جملة كمالات الاقطاب ومن الله عليهم أن لا يبتليهم بصحبة الجهلاء بل يرزقهم صحبة العلماء الادباء الامناء يحملون عنهم أثقالهم وينفذون أحكامهم وأقوالهم وذلك كما كان الكامل آصف بن برخيا وزير سليمان عليه الصلاة والسلام الذى كان قطب وقته ومتصرفا وخليفة على العالم فظهر منه ما ظهر من اتيان عرش بلقيس كما حكاه الله تعالى فى القرآن * وفى التأويلات النجمية واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض الاشارة فى تحقيق الآيتين أن الانسان وان خلق مستعدا لخلافة الارض ولكنه فى بداية الخلقة مغلوب الهوى والصفات النفسانية فيكون مائلا الى الفساد كما أخبرت عنه الملائكة وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها الآية فبأوامر الشريعة ونواهيها يتخلص جوهر الخلافة عن معدن نفس الانسان فأهل السعادة وهم المؤمنون ينقادون للداعى الى الحق ويقبلون الاوامر والنواهى وأهل الشقاوة وهم الكافرون المنافقون يمرقون من الدين ويتبعون الهوى واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض أى لا تسعوا فى افساد حسن استعدادكم وصلاحيتكم للخلافة فى الارض باتباعكم الهوى وحرصكم على الدنيا قالوا انما نحن مصلحون لا يقبلون النصيحة غافلين عن حقيقتها كما قال السعدى * كسى را كه پندار در سر بود * مپندار هرگز كه حق بشنود * زعلمش ملال آيد از وعظ ننگ * شقايق بباران نرويد زسنگ * فكذبهم الله تعالى بقوله الا انهم هم المفسدون يفسدون صلاح آخرتهم باصلاح دنياهم ولكن لا يشعرون أى لا شعور لهم بافساد حالهم وسوء أعمالهم وعظم وبالهم من خسار حسن صنيعهم وادعائهم بالصلاح على أنفسهم كما قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الآية (قال المولى جلال الدين قدس سره) اى كه خود را شيريزدان خوانده * سالها شد با سكى درمانده * چون كند اين سك براى تو شكار * چون شكار سك شدستى آشكار * (واذا قيل لهم) من طرف المؤمنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاعراض عما لا ينبغى وهو المقصود بقوله تعالى لا تفسدوا فى الارض والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله تعالى (آمنوا) حذف المؤمن به لظهوره أى آمنوا بالله وباليوم الآخر أو أريدا فعلوا الايمان (كما آمن الناس)

الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد محذوف أي آمنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما
مصدرية أو كافة أي حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام في الناس للجنس والمراد به
الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل أو للعهد والمراد به الرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم ومن معه أو من آمن من اهل بلدتهم أي من اهل جلدتهم كابن سلام وأصحابه والمعنى آمنوا
ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا من شوائب النفاق مماثلا لايمانهم (قالوا) مقابلين للامر بالمعروف
بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد أوصافهم الحسان (أنؤمن كما آمن السفهاء)
الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس الكاملين أو المعهودين أو الى الجنس بأسره
وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة عقل وسخافة رأي يورثهما قصور العقل
ويقابله الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه مع أنهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة
والوقار لكمال انهماكهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله
فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لا محالة ضلالا أو لتحقير شأنهم فان كثيرا من
المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال أو للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير
كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وأمثاله فان قيل كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم
أنؤمن كما آمن السفهاء قلنا فيه أقوال * الاول ان المنافقين لعنهم الله كانوا يتكلمون بهذا
الكلام في أنفسهم دون أن ينطقوا به بألسنتهم لكن هتك الله تعالى أستارهم واظهر أسرارهم
عقوبة على عداوتهم وهذا كما اظهر ما أضمره أهل الاخلاص من الكلام الحسن وان لم
يتكلموا به بالالسن تحقيقا لولايتهم قال الله تعالى يوفون بالنذر الى أن قال انما نطعمكم لوجه الله
وكان هذا في قلوبهم فأظهره الله تعالى تشريفا لهم وتشهيرا لحالهم هذا قول صاحب التيسير *
والثاني ان المنافقين كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك هذا قول البغوي * والثالث قول أبي السعود في الارشاد
حيث قال هذا القول وان صدر عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم لكن
لا يقتضي كونهم مجاهرين لا منافقين فانه ضرب من الكفر أنيق وفن في النفاق عريق لانه
محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بأن يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا
به من النفاق على معنى أنؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا
نؤمن كايمان الناس حتى تأمرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين لارادة المعنى
الاخير وهم يعولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز وجل (الا انهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون) أنهم هم السفهاء ولا يحيطون بما عليهم من داء السفه والمؤمنون بايمانهم واخلاصهم
هربوا من السفه ورغبوا في العلم والحق وهم العلماء على الحقيقة والمستقيمون على الطريقة وهذا
رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتم
جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر واعلم أن قوله تعالى وما
يشعرون في الآية الاولى نفي الاحساس عنهم وفي الثانية نفي الفطنة لان معرفة الصلاح
والفساد يدرك بالفطنة وفي الآية الثالثة نفي العلم وفي نفيها على هذه الوجوه تنبيه لطيف ومعنى
دقيق وذلك أنه بين في الاول أن في استعمالهم الخديعة نهاية الجهل الدال على عدم الحس وفي

الثانى أنهم لا يفطنون تنبيها على أن ذلك لازم لهم لان من لا حس له لا فطنة له وفى الثالث انهم لا يعلمون تنبيها على أن ذلك أيضا لازم لهم لان من لا فطنة له لا علم له فان العلم تابع للعقل كما حكى ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام أتى اليه جبريل بثلاث تحف العلم والحياء والعقل فقال يا آدم اختر من هذه الثلاث ما تريد فاختار العقل فأشار جبريل الى العلم والحياء بالرجوع الى مقرهما فقالا انا كنا فى عالم الارواح مجتمعين فلا نرضى أن يتفرق بعضنا عن بعض فى الاشباح أيضا فنتبع العقل حيث كان فقال جبريل استقرا فاستقر العقل فى الدماغ والعلم فى القلب والحياء فى العين (قال المولى جلال الدين قدس سره) جمله حيوانرا پى انسان بكش * جمله انسانرا بكش ازبهر هش * هش چه باشد عقل كل هوشمند * هوش جزوى هش بود اما نژند * لطف او عاقل كند مر نيل را * قهر او ابله كند قابيل را * فليسارع العاقل الى تحصيل العلم والمعرفة حتى يصل الى توحيد الفعل والصفة قال الامام القشيرى رحمه الله للعقل نجوم وهى للشيطان رجوم وللعلوم أقمار وهى للقلوب أنوار واستبصار وللمعارف شموس ولها على أسرار العارفين طلوع والعلم اللدنى هو الذى ينفتح فى بيت القلب من غير سبب مألوف من الخارج وللقلب بابان باب الى الخارج يأخذ العلم من الحواس وباب الى الداخل يأخذ العلم بالالهام فمثل القلب كمثل الحوض الذى يجرى فيه أنهار خمسة فلا يخلو ماؤه عن كدرة ما دام يحصل ماؤه من الانهار الخمسة بخلاف ما اذا خرج ماؤه من قعره حيث يكون ماؤه أصفى وأجلى فكذا القلب اذا حصل له العلم من طريق الحواس الخمس الظاهرة لا يخلو عن كدرة وشك وشبهة بخلاف ما اذا ظهر من صميم القلب بطريق الفيض فانه أصفى وأولى وقال الشيخ زين الدين الحافى رحمه الله والعجب ممن دخل فى هذه الطريقة وأراد أن يصل الى الحقيقة وقد حصل من الاصطلاحات ما يستخرج بها المعانى من كتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ثم لا يشتغل بذكر الله ومراقبته والاعراض عما سواه لتنصب الى قلبه العلوم اللدنية التى لو عاش ألف سنة فى تدريس الاصطلاحات وتصنيفها لا يشم منها رائحة ولا يشاهد من آثارها وأنوارها لمعة فالعلم بلا عمل عقيم والعمل بلا علم سقيم والعمل بالعلم صراط مستقيم (قال فى المثنوى) آنكه بى همت چه باهمت شده * وآنكه باهمت چه بانعمت شده * وفى التأويلات النجمية واذا قيل لهم أى لاهل الغفلة والنسيان آمنوا كما آمن الناس أى بعض الناس منكم الذين تفكروا فى آلاء الله تعالى وتدبروا آياته بعد نسيان عهد ألست بربكم ومعاهدة الله تعالى على التوحيد والعبودية فتذكروا تلك العهود والمواثيق فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به قالوا أى أهل الشقاوة منهم أنؤمن كما آمن السفهاء فكذلك أحوال أصحاب الغفلات مدعى الاسلام اذا دعوا من الايمان التقليدى الذى وجدوه بالميراث الى الايمان الحقيقى المكتسب بصدق الطلب وترك محبة الدنيا واتباع الهوى والرجوع الى الخلق والتمادى فى الباطل ينسبون أرباب القلوب وأصحاب الكرامات العالية الى السفه والجنون وينظرون اليهم بنظر العجز والذلة والقلة والمسكنة ويقولون انترك الدنيا كما تركه هؤلاء السفهاء من الفقراء فنكون محتاجين الى الخلق كما هم محتاجون ولا يعلمون أنهم هم السفهاء لقوله تعالى ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون فهم السفهاء بمعنيين أحدهما أنهم يبيعون الدين بالدنيا والباقى بالفانى لسفاهتهم وعدم رشدهم

والثانى انهم سفهوا أنفسهم ولم يعرفوا حسن استعدادهم للدرجات العلا والقربة والزلفى فرضوا بالحياة الدنيا ورغبوا عن مراتب أهل التقى ومشارب أهل النهى كما قال الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه فانه من عرف نفسه فقد عرف ربه ومن عرف ربه ترك غيره وعرف أهل الله وخاصته فلا يرغب عنهم ولا ينسبهم الى السفه وينظر اليهم بالعزة فان الفقراء الكبراء هم الملوك تحت الاطمار ووجوههم المصفرة عند الله كالشموس والاقمار ولكن تحت قباب العزة مستورون وعن نظر الاغيار محجوبون (قال فى المثنوى) مهر پاكان درميان جان نشان * دل مده الا بمهر دلخوشان * كر تو سنك صخره ومرمر شوى * چون بصاحب دل رسى كوهر شوى * انهم تحت قبابى آمنون * جز كه يزدانشان نداند آزمون *

(واذا لقوا الذين آمنوا) بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير أى هؤلاء المنافقون اذا عاينوا وصادفوا واستقبلوا الذين آمنوا بالحق وهم المهاجرون والانصار (قالوا) كذبا (آمنا) كايمانكم وتصديقكم روى أن عبد الله بن أبى المنافق وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضى الله عنهم فقال ابن أبى انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم أخذ بيد أبى بكر رضى الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد على رضى الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له على رضى الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله فقال له مهلا يا أبا الحسن أنى تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن أبى لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا ما فعلت فأثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك فنزلت الآية (واذا خلوا) أى مضوا أو اجتمعوا على الخلوة والى بمعنى مع أو انفردوا والى بمعنى الباء أو مع تقول خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه (الى شياطينهم) أصحابهم المماثلين للشيطان فى التمرد والعناد المظهرين لكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة فى الكفر أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم وكل عات متمرد فهو شيطان وقال الضحاك المراد بشياطينهم كهنتهم وهم فى بنى قريظة كعب بن الاشرف وفى بنى اسلم أبو بردة وفى جهينة عبد الدار وفى بنى أسد عوف بن عامر وفى الشام عبد الله بن سوداء وكانت العرب تعتقد فيهم أنهم مطلعون على الغيب ويعرفون الاسرار ويداوون المرضى وليس من كاهن الا وعند العرب أن معه شيطانا يلقى اليه كهانته وسموا شياطين لبعدهم عن الحق فان الشطون هو البعد كذا فى التيسير (قالوا انا معكم) انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم واعتقادكم لا نفارقكم فى حال من الاحوال وكأنه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين فى الاتيان بكلمة الشهادة وتشهدون مشاهدهم وتدخلون مساجدهم وتحجون وتغزون معهم فقالوا (انما نحن) أى فى اظهار الايمان عند المؤمنين (مستهزؤن) بهم من غير أن يخطر ببالنا الايمان حقيقة فنريهم

أنا نوافقهم على دينهم ظاهرا وباطنا وانما نكون معهم ظاهرا لنشاركهم في غنائمهم وننكح بناتهم ونطلع على أسرارهم ونحفظ أموالنا وأولادنا ونساءنا من أيديهم والاستهزاء التجهيل والسخرية والاستخفاف والمعنى انا نجهل محمدا وأصحابه ونسخر بهم باظهارنا الاسلام فرد الله عليهم بقوله (الله يستهزئ بهم) أي يجازيهم على استهزائهم أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه أو يعاملهم معاملة المستهزئ بهم أما في الدنيا فباجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان وأما في الآخرة فما يروى أنه يفتح لهم باب الى الجنة وهم في جهنم فيسرعون نحوه فاذا وصلوا اليه سد عليهم الباب وردوا الى جهنم والمؤمنون على الارائك في الجنة ينظرون اليهم فيضحكون منهم كما ضحكوا من المؤمنين في الدنيا فذلك بمقابلة هذا ويفعل بهم ذلك مرة بعد مرة (ويمدهم) أي يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وأمده اذا زاده وقواه لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كأملي لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم (في طغيانهم) متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل أمر والمراد افراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وفي اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتأييد لما أشير اليه من ترتب المد على سوء اختيارهم (يعمهون) أي يترددون في الضلالة متحيرين عقوبة لهم في الدنيا لاستهزائهم وهو حال من الضمير المنصوب أو المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لايدري أين يتوجه وفي الآيتين اشارات الاولى في قوله تعالى انا معكم وهي أن من رام أن يجمع بين طريق الارادة وما عليه أهل العادة لايلتئم له ذلك والضدان لايجتمعان ومن كان له من كل ناحية خليط ومن كل زاوية من قلبه ربيط كان نهبا للطوارق ومنقسما بين العلائق فهذا حال المنافق يتذبذب بين ذلك وذلك يعني أن المنافقين لما أرادوا أن يجمعوا بين عشرة الكفار وصحبة المسلمين وأن يجمعوا بين مفاسد الكفر ومصالح الايمان وكان الجمع بين الضدين غير جائز فبقوا بين الباب والدار كقوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وكذلك حال المتمنين الذين يدعون الارادة ولايخرجون عن العادة ويريدون الجمع بين مقاصد الدارين يتمنون أعلى مراتب الدين ويرتعون في أسفل مراتع الدنيا فلا يلتئم لهم ذلك قال عليه السلام ليس الدين بالتمني وقال بعثت لرفع العادات ودفع الشهوات وقال الدنيا والآخرة ضرتان فمن يبتغ الجمع بينهما فممكور ومغرور فمن رام مع متابعة الهوى البلوغ الى الدرجات العلا فهو كالمستهزئ بطريق هذا الفريق فكم في هذا البحر من أمثاله غريق فالله تعالى يمدهم في طغيان النفس بالحرص على الدنيا حتى يتجاوزوا في طلبها حد الاحتياج اليها ويفتح أبواب المقاصد الدنيوية عليهم ليستغنوا بها وبقدر الاستغناء يزيد طغيانهم كما قال الله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فكان جزاء سيئة تلونهم في الطلب الاستهزاء وجزاء سيئة الاستهزاء الخذلان والامهال الى أن طغوا وجزاء سيئة الطغيان العمه فيترددون في الضلال متحيرين لاسبيل لهم الى الخروج من الباطل والرجوع الى الحق * والاشارة الثانية في قوله تعالى الله يستهزئ بهم وهي ان ذلك يدل على شرف المؤمنين ومنزلتهم عند الله حيث ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولايحوج المؤمنين الى أن يعارضوهم باستهزاء

مثله فنساب الله عنهم واستهزأ بهم الاستهزاء الابلغ الذى ليس استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان مالا يوصف ودلت الآية على قبح الاستهزاء بالناس وقد قال لا يسخر قوم من قوم وقال فى قصة موسى عليه السلام قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فأخبر أنه فعل الجاهلين واذا كان الاستهزاء بالناس قبيحا فما جزاء الاستهزاء بالله وهو فيما قال النبى صلى الله عليه وسلم المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه * والاشارة الثالثة فى قوله تعالى ويمدهم فى طغيانهم يعمهون وهى أن العبد ينبغى له أن لا يغتر بطول العمر وامتداده ولا بكثرة أمواله وأولاده والله تعالى يقول فى أعدائه فى حق العمر ويمدهم وفى حق المال والبنين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين وكان طول العمر لهم خذلانا وكثرة الاموال والاولاد لهم حرمانا ولهم فى مقابلة هذا التمدد قال الله تعالى ونمد له من العذاب مدا وقد جعل الله لعدوه فى الدنيا ما لا ممدودا ولوليه فى الآخرة ظلا ممدودا وقال الله جل جلاله لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ان من نعمتى على أمتك أنى قصرت أعمارهم كيلا تكثر ذنوبهم وأقللت أموالهم كيلا يشتد فى القيامة حسابهم وأخرت زمانهم كيلا يطول فى القبور حبسهم وروى أن الله تعالى قال لحبيبه ليلة المعراج يا أحمد لا تتزين بلين اللباس وطيب الطعام ولين الوطاء فان النفس مأوى كل شر وهى رفيق سوء كلما تجرها الى طاعة تجرك الى معصية وتخالفك فى الطاعة وتطيع لك فى المعصية وتطغى اذا شبعت وتتكبر اذا استغنت وتنسى اذا ذكرت وتغفل اذا أمنت وهى قرينة للشيطان كذا فى مشكاة الانوار (أولئك) المنافقون المتصفون بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم أكمل تمييز بحيث صاروا كأنهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء وخبره قوله (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أصل الاشتراء بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاشياء ثم استعير للاعراض عما فى يده محصلا به غيره ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشئ طمعا فى غيره وهو ههنا عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية واشتروا الضلالة وهى الكفر والعدول عن الحق والصواب بالهدى وهو الايمان والسلوك فى الطريق المستقيم والاستقامة عليه مستعار لاخذها بدلا منه أخذا متصفا بالرغبة فيها والاعراض عنه أى اختاروها عليه واستبدلوها به وأخذوها مكانه وجعل الهدى كأنه فى أيديهم لتمكنهم منه وهو الاستعداد به فيلهم الى الضلالة عطلوه وتركوه والباء تصحب المتروك فى باب المعاوضة وهذا دليل على أن الحكم يثبت بالتعاطى من غير تكلم بالايجاب والقبول فان هؤلاء صاروا مشترين بترك الهدى وأخذ الضلال من غير التكلم بهذه المبادلة كما فى التيسير (فما ربحت تجارتهم) ترشيح للمجاز أى ما ربحوا فيها فان الربح مسند الى أرباب التجارة فى الحقيقة فاسناده الى التجارة نفسها على الاتساع لتلبسها بالفاعل أو لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران ودخلت الفاء لتضمن الكلام معنى الشرط تقديره واذا اشتروا فما ربحوا كما فى الكواشى والتجارة صناعة التجار وهو التصدى بالبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال (وما كانوا مهتدين) أى الى طريق التجارة فان المقصد منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح فى صفقة فربما يتدارك فى صفقة أخرى لبقاء الاصل

To: www.al-mostafa.com

وأما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين الاصل نائين عن طريق التجارة بألف منزل واعلم أن المهتدي هو الذي ترك الدنيا والعادة ثم اشتغل بوظائف الطاعة والعبادة لا من اتبع كل ما يهواه وخالط هواه بهداه (حكي) أنه كان للشيخ الاستاذ أبي علي الدقاق رضي الله عنه مريد تاجر متمول فمرض يوما فعاده الشيخ وسأل منه سبب علته فقال التاجر قمت هذه الليلة لمصلحة التهجد فلما أردت الوضوء بدا لي من ظهري حرارة فاشتد أمري حتى صرت محموما فقال الشيخ لا تفعل فعلا فضوليا ولا ينفعك التهجد ما دمت لم تهجر دنياك وتخرج محبتها من قلبك فاللائق لك أولا هو ذا ثم الاشتغال بوظائف النوافل فمن كان به أذى من رأسه من صداع لا يسكن ألمه بالطلاء على الرجل ومن تنجست يده لا يجد الطهارة بغسل ذيله وكمه قال بعض المشايخ من علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بحقوق الواجبات وهذا غالب في الخلق الا من عصمه الله ترى الواحد منهم يقوم بالاوراد الكثيرة والنوافل العديدة الثقيلة ولا يقوم بفرض واحد على وجهه فعلى العاقل تحصيل رأس المال ثم تحصيل الربح المترتب عليه وذلك بالاختيار لا بالاضطرار وقد أوجب الله على العباد وجود طاعته لما علم من قلة نهوضهم الى معاملته اذ ليس لهم ما يردهم اليه بلا علة وهذا حال أكثر الخلق بخلاف أهل المروءة والصفاء (قال في المثنوي) اختيار آمد عبادت را نمك * ورنه ميگردد بناخواه اين فلك * گردش او را نه اجر ونه عقاب * كه اختيار آمد هنر وقت حساب * ائتيا كرها مهار عاقلان * ائتيا طوعا بهار عاشقان * اين محب دايه ليك از بهر شير * وان دگر دل داده بهر آن ستير * فاوجب الله عليك وجود طاعته وما أوجب عليك بالحقيقة الا دخول جنته اذ الامر آيل اليها والاسباب عدمية فان تعللت النفس عن التشمير عما هي عليه من الاستغراق في كل دني وحقير فاعلم أن من استغرب أن ينقذه الله من شهوته التي اعتقلته عن الخيرات وأن يخرجه من وجود غفلته التي شملته في جميع الحالات فقد استعجز القدرة الالهية وقد قال الله تعالى وكان الله على كل شيء مقتدرا فأبان سبحانه ان قدرته شاملة صالحة لكل شيء وهذا من الاشياء وان أردت الاستعانة على تقوية رجائك في ذلك فانظر لحال من كان مثلك ثم أنقذه الله وخصه بعنايته كابراهيم بن أدهم وفضيل بن عياض وابن المبارك وذي النون المصري ومالك بن دينار وغيرهم من مجرمي البداية كذا في شرح الحكم العطائية (قال الحافظ) عاشق كه شد كه يار بحالش نظر نكرد * أي خواجه درد نيست وگرنه طبيب هست * قال القاشاني في تأويل الآية الهدى النور الثاني في قوله تعالى نور على نور وهو النور الفطري الازلي المراد من قول المحققين هو الاستعداد من فيضه الاقدس والضلالة ظلمة النشأة الحاجبة له بسلوك طريق المطالب الطبيعية الفاسدة والمقاصد الهيولانية الفاسقة بهوى النفس وتتبع خطوات الشيطان والربح هو النور الاول المقدس الكمالي المكتسب بالتوجه الى الحق والاتصال بعالم القدس والانقطاع والتبتل الى الله من الغير والتبري بحوله وقوته من كل حول وقوة حتى يخلص روح المشاهدة من أعباء المكابدة

بطلوع الوجه الباقي واحراق سبحاته كل ما في بقعة الامكان من الرسم الفاني وخسرانهم باضاعة الامرين هو الحجاب الكلي عن الحق بالرين كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وفي التأويلات النجمية الاشارة في الآية أن من نتيجة طغيانهم وعمههم أن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وأشربوا في قلوبهم الضلالة وتمكنت فكانت هذه الحال من نتيجة معاملتهم فلهذا أضاف الفعل اليهم وقال أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وانما قال بلفظ الاشتراء لانهم أخرجوا استعداد قبول الهداية عن قدرتهم وتصرفهم فلا يملكون الرجوع اليه فما ربحت تجارتهم لان خسران من رضي بالدنيا من العقبى ظاهر ومن آثر الدنيا والعقبى على المولى فهو أشد خسرانا وأعظم حرمانا فاذا كان المصاب بفوات النعيم محجبا بنار الجحيم فما ظنك بالمصاب بفقد المطلوب وبعد المحبوب ضاعت منه الاوقات وبقي في أسر الشهوات لا الى قلبه رسول ولا لروحه وصول لا من الحبيب اليه وفود ولا لسره معه شهود فهذا هو المصاب الحقيقي وما كانوا مهتدين لابطالهم حسن استعداد قبول الهداية (مثلهم) المثل في الاصل بمعنى النظير ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده أي المضروب كما ورد من غير تغيير ولا يضرب الا بما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن عجيب وفيها غرابة كقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلال ولما جاء الله بحقيقة حال المنافقين عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فان التمثيل ألطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل وأقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الابي كيف لا يلطف وهو ابداء للمنكر في صورة المعروف واظهار للوحشي في هيئة المألوف واراءة للمتخيل محققا والمعقول محسوسا وتصوير للمعاني بصورة الاشخاص ومن ثمة كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد ولامر ما أكثر الله في كتبه الامثال وفي الانجيل سورة تسمى سورة الامثال وفي القرآن ألف آية من الامثال والعبر وهي في كلام الانبياء عليهم السلام والعلماء والحكماء كثيرة لا تحصى * ذكر السيوطي في الاتقان من اعظم علم القرآن أمثاله والناس في غفلة عنه والمعنى حالهم العجيبة الشأن (كمثل الذي) أي كحال الذين من باب وضع واحد الموصول موضع الجمع منه تخفيفا لكونه مستطالا بصلته كقوله وخضتم كالذي خاضوا والقرينة ما قبله وما بعده فلا أنه وحد الضمير في قوله تعالى (استوقد نارا) نظرا الى الصورة وجمع في الافعال الآتية نظرا الى المعنى والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها والنار جوهر لطيف مضيء محرق حار والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة أي أوقد في مفازة في ليلة مظلمة نارا عظيمة خوفا من السباع وغيرها (فلما أضاءت) الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا أي أنارت النار (ما حوله) أي ما حول المستوقد من الاماكن والاشياء على أن ما مفعول اضاءت ان جعلته متعديا وحول نصب على الظرفية وان جعلته لازما فهو مسند الى ما والتأنيث لان ما حوله اشياء وأماكن وأصل الحول الدوران ومنه الحول للعام لانه يدور وجواب لما قوله تعالى (ذهب الله بنورهم) أي أذهبه بالكلية وأطفأ نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود

بالاستيقاد واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه تعالى واما لان الانطفاء حصل بسبب خفى أو أمر سماوى كريح أو مطر واما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا أخذه وما أخذه الله تعالى فأمسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذى هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور فى الجملة لعدم استلزام عدم القوى لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى (وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) فان الظلمة هى عدم النور وانطماسه بالمرة لاسيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمى وما بعده من قوله لا يبصرون لا يتحقق الا بعد أن لا يبقى من النور عين ولا أثر وترك فى الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى أفعال القلوب أى صيرهم فى ظلمات لا يبصرون ما حولهم فعلى هذا يكون قوله فى ظلمات وقوله لا يبصرون مفعولين لصير بعد المفعول الاول على سنن الاخبار المتتابعة للمخبر عنه الواحد وان حمل معناه على الاصل يكونان حالين من المفعول مترادفين أو متداخلين والمعنى أن حالهم العجيبة التى هى اشتراؤهم الضلالة التى هى عبارة عن ظلمتى الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وظلمة العقاب السرمدى بالهدى الذى هو النور الفطرى المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فأطفأها الله تعالى وتركه فى ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الابصار وفى التيسير والعيون ان المنافقين أظهروا كلمة الايمان فاستناروا بنورها واستعزوا بعزها وآمنوا بسببها فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمنوا على أموالهم وأولادهم فاذا بلغوا الى آخر العمر كل لسانهم عنها وبقوا فى ظلمة كفرهم أبد الابد وعادوا الى الخوف والظلمة (صم) أى هم صم عن الحق لا يقبلونه واذا لم يقبلوا فكأنهم لم يسمعوا والصمم انسداد خروق المسامع بحيث لا يكاد يصل اليها هواء يحصل الصوت بتموجه (بكم) خرس عن الحق لا يقولونه لما أبطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا والبكم آفة فى اللسان لا تمكن بها أن يعتمد مواضع الحروف (عمى) أى فاقدو الابصار عن النظر الموصل الى العبرة التى تؤديهم الى الهدى وفاقدوا البصيرة أيضا لان من لا بصيرة له كمن لا بصر له فالعمى مستعمل ههنا فى عدم البصر والبصيرة جميعا وهذه صفاتهم فى الدنيا ولذلك عوقبوا فى الآخرة بجنسها قال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما فلا يسمعون كلام الله ولا يخاطبون الله ولا يرونه والمسلمون كانوا سامعين للحق قائلين بالحق ناظرين الى الحق فيكرمون يوم القيامة بخطابه واقائه وسلامه (فهم لا يرجعون) أى هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون عن الضلالة الى الهدى الذى تركوه والآية فذلكة التمثيل ونتيجته وأفادت انهم كانوا يستطيعون الرجوع باستطاعة سلامة الآلات حيث استحقوا الذم بتركه وأن قوله تعالى صم بكم عمى ليس بنفى الآلات بل هو نفى تركهم استعمالها (قال السعدى) زبان آمد از بهر شكر وسپاس * بغيبت نكرداندش حق شناس * كذركاه قرآن وپندست كوش * به بهتان باطل شنيدن مكوش * دو چشم از پى صنع بارى نكوست * ز عيب برادر فروكير ودوست

* ثم ان الله تعالى ندب الخلق الى الرجوع بالائتمار بأمره والانتهاء بنهيه بقوله تعالى وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون فمن لم يرجع اليه اختيارا رجعوا اليه بالموت والبعث كما قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون ومن رجع اليه في الدنيا بفعله وحقق ذلك بقوله انا لله وانا اليه راجعون كان رجوعه اليه بالكرامة ويخاطب بقوله يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية (حكي) أن جبارا عاتيا في الزمن الاول بنى قصرا وشيده وزخرفه ثم الى بيمينه أن لا يدنو من قصره هذا أحد فمن وقع بصره عليه قتله فكان يفعل ذلك ويقتل حتى جاء رجل من أهل قريته فوعظه في ذلك فلم يلتفت الى تحذيره ولم يعبأ بقوله فخرج ذلك الرجل الصالح من قريته وبنى كوخا وهو بيت من قصب بلا كوة وجعل يعبد الله فيه فبينما هذا الجبار في قصره وأصحابه قيام بين يديه اذ تمثل له ملك الموت على صورة رجل شاب حسن الهيئة فجعل يطوف حول هذا القصر ويرفع رأسه اليه فقال بعض ندمائه أيها الملك انا نرى رجلا يطوف حول القصر وينظر اليه فتعالى الملك على منظرة فأبصره فقال هذا مجنون أو غريب عابر سبيل ولكن انزل اليه فازجره من نفسه فنزل اليه الرجل فلما أراد أن يرفع اليه السيف قبض روحه فخر ميتا فقيل للملك ان هذا قد قتل صاحبك فقال للآخر انزل اليه فاقتله فلما نزل وأراد أن يقتله قبض روحه فخر ميتا فرفع ذلك الى الملك فامتلأ غضبا وأخذ السيف ونزل اليه بنفسه فقال من أنت أما رضيت ان دنوت من قصري حتى قتلت رجلين من أصحابي فقال أو ما تعرفني أنا ملك الموت فارتعد الملك من هيبته حتى سقط السيف من يده قال نعم فتلك الآن وأراد أن ينصرف فقال له ملك الموت الى أين اني أمرت بقبض روحك فقال حتى أوصي أهلي وأودعهم فقال له لم لم تفعل في طول عمرك قبل هذا فقبض روحه فخر الملك ميتا ثم جاء ملك الموت الى ذلك الرجل الصالح في كوخه فقال له أيها الرجل الصالح أبشر فاني ملك الموت وقد قبضت روح الملك الجبار فاعلم ذلك وأراد أن يرجع فأوحى الله تعالى الى ملك الموت أن اقبض روح الرجل الصالح فقال له ملك الموت اني أمرت بقبض روحك قال فهل لك يا ملك الموت أن أدخل القرية فأحدث بأهلي عهدا وأودعهم فأوحى الله تعالى اليه أن أمهله يا ملك الموت فقال ان شئت فرفع الرجل الصالح قدميه ليدخل القرية فتفكر ثم ندم فقال يا ملك الموت اني أخاف ان رأيت أهلي أن يتغير قلبي فاقبض روحي فالله تعالى خير لهم مني فقبض روحه على المكان قال بعض العارفين والعجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه وهو مولاه الذي من عليه بكل خير وأولاه ويطلب ما لا بقاء له معه وهو ما يوافق النفس من شهوته وهواه وآخرته ودنياه فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور * وأسباب عمى البصيرة ثلاثة ارسال الجوارح في معاصي الله والتصنع بطاعة الله والطمع في خلق الله فعند عماها توجه العبد للخلق ويعرض عن الحق وفي التأويلات النجمية الاشارة في تحقيق الآيتين أن مثل المريد الذي له بداية جميلة يسلك طريق الارادة مدة وتعني بقاساة شدائد المجاهدة حتى تنور بنور الارادة فاستوقد نار الطلب فأضاءت ما حوله فرأى أسباب السعادة والشقاوة فتمسك بحبل الصحبة فلازم الخدمة والخلوة وعزفت نفسه عن الدنيا وأقبل على قمع الهوى فشرقت له من صفاء القلب شوارق الشوق وبرقت له من أنوار الروح بوارق الذوق فأمن مكر الله وانخدع بخداع النفس فطرقته

الهواجس وأزعجته الوساوس ثم رجع القهقرى الى ما كان من حضيض الدنيا فغابت شمسه
وأظلمت نفسه وانقطع حبل وصاله قبل وصوله وأخرج من جنة نواله بعد دخوله فبقدمي سآمه
وملاله عاد الى أسوأ حاله كما قال تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون صم يعني بآذان
قلوبهم التي سمعوا بها خطاب الله تعالى يوم الميثاق بكم بتلك الالسنة التي أجابوا ربهم بها بقولهم
بلى عمي بالابصار التي شاهدوا بها جمال ربوبيته فعرفوه فهم لا يرجعون الى منازل حظائر القدس
بل الى ما كانوا فيه من رياض الانس وذلك لانهم سدوا روزنة قلوبهم التي كانت مفتوحة الى
عالم الغيب يوم الميثاق بتتبع الشهوات واستيفاء اللذات والخدعة والنفاق فما هبت عليهم من
جناب القدس الرياح وما تنسموا نفحات الارواح فرضت قلوبهم ثم أرسل اليهم الطبيب الذي
أنزل الداء فأنزل معه الدواء كما قال تعالى وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين الذين
يصدقون الاطباء ويقبلون الدواء فلم يصدقوهم ولم يقبلوا الدواء ظلما على أنفسهم فصار الدواء
داء والشفاء وباء كما قال تعالى ولا يزيد الظالمين الا خسارا فلما لم يكونوا أهل الرحمة أدركتهم
اللعنة الموجبة للصمم والعمى لقوله تعالى أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم (أو)
مثل المنافقين (كصيب) أي كمثال أصحاب صيب أي مطر يصوب أي ينزل ويقع من الصوب وهو
النزول أصله صيوب والكاف مرفوع المحل عطف على الكاف في قوله كمثل الذي وأو للتخيير
والتساوي أي كيفية قصة المنافقين شبيهة بكيفية هاتين القصتين والقصتان سواء في استقلال
كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك
(من السماء) متعلق بصيب والسماء سقف الدنيا وتعريفها للايذان بأن انبعاث الصيب ليس من
أفق واحد فان كل أفق من آفاقها أي كل ما يحيط به كل أفق منها سماء على حدة والمعنى أنه صيب
عام نازل من غمام مطبق آخذ بآفاق السماء وفيه أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه
لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر قال الامام من الناس من قال المطر انما يحصل من ارتفاع
أبخرة رطبة من الارض الى الهواء فينعقد هناك من شدة برد الهواء ثم ينزل مرة أخرى وأبطل
الله ذلك المذهب هنا بأن بين أن ذلك الصيب نزل من السماء وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان
تحت العرش بحرا ينزل منه أرزاق الحيوانات يوحي اليه فيمطر ما شاء من سماء الى سماء حتى ينتهي
الى سماء الدنيا ويوحي الى السحاب أن غربله فيغربله فليس من قطرة تقطر الا ومعها ملك يضعها
موضعها ولا ينزل من السماء قطرة الا بكيل معلوم ووزن معلوم الا ما كان في يوم الطوفان من ماء
فانه نزل بلا كيل ولا وزن كذا في تفسير التيسير (فيه) أي في الصيب (ظلمات) أنواع منها وهي
ظلمة تكاثفه وتتابعه بتتابع القطر وظلمة اظلال ما يلزمه من الغمام المطبق الآخذ بالآفاق
مع ظلمة الليل وليس في الآية ما يدل على ظلمة الليل لكن يمكن أن تؤخذ ظلمة الليل من سياق الآية
حيث قال تعالى بعد هذه الآية يكاد البرق يخطف أبصارهم وبعده واذا أظلم عليهم قاموا
فان خطف البرق البصر انما يكون غالبا في ظلمة الليالي وكذا وقوف الماشي عن المشي انما يكون
اذا اشتد ظلمة الليل بحيث يحجب الابصار عن ابصار ما هو امام الماشي من الطريق وغيره وظلمة
سحمة السحاب وتكاثفه في النهار لا توجب وقوف الماشي عن المشي كذا في حواشي ابن
التمجيد وجعل المطر محلا للظلمات مع أن بعضها لغيره كظلمة الغمام والليل لما أنهما جعلتا من

توابع ظلمته مبالغة فى شدته وتهويلا لامره وايذانا بأنه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام ورفع ظلمات بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف لان الجملة فى محل الجر صفة لصيب على وجه (ورعد) هو صوت قاصف يسمع من السحاب (وبرق) هو ما يلمع من السحاب اذا تحاكت أجزاؤه وكونهما فى الصيب مع أن مكانهما السحاب باعتبار كونهما فى أعلاه ومصبه وملتبسين فى الجملة به ووصول أثرهما اليه فهما فيه والمشهور بين الحكماء أن الرعد يحدث من اصطكاك أجرام السحاب بعضها ببعض أو من اقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياها سوقا عنيفا والصحيح الذى عليه التعويل ما روى عن الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال أقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال عليه السلام ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث شاء الله فقالوا فما هذا الصوت الذى يسمع قال زجره حتى ينتهى الى حيث أمر فقالوا صدقت فالمراد بالرعد فى الآية صوت ذلك الملك لا عينه كما فى بعض الروايات من أن الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وأنه يحوز الماء فى نقرة ابهامه وأنه يسبح الله فاذا سبح الله لا يبقى ملك فى السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل القطر اه والمراد بالبرق ضربه السحاب بتلك المخاريق وهى جمع مخراق وهو فى الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا أريد أنها آلة تزجر بها الملائكة السحاب قال مرجع الطريقة الجلوتية بالجيم الشيخ الشهير بافتاده أفندى البورسوى التوفيق بين قول الحكماء وبين قوله صلى الله عليه وسلم ان الرعد صوت ملك على شكل النحل هو أنه يصيح من خارج هذا العالم ولكن يدخل فيه ويؤثر فى داخله فنحن نسمع من داخله كما أن واحدا اذا أكل شيأ فانما يحصل فى داخله رياح ذات أصوات فتفتؤها من الخارج وظهورها فى الداخل فكلام النبى صلى الله عليه وسلم ناظر الى مبدئها وكلام الحكماء ناظر الى مظهرها (يجعلون اصابعهم فى آذانهم) الضمير للمضاف المحذوف لان التقدير أو كاصحاب صيب كما سبق ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال كيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم فى آذانهم والمراد أناملهم وفيه من المبالغة ما ليس فى ذكر الانامل كأنهم يدخلون من شدة الحيرة أصابعهم كلها فى آذانهم لا أناملها فحسب كما هو المعتاد ويجوز أن يكون هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على النهج المعتاد وكذا الحال فى عدم تعيين الاصبع المعتاد أعنى السبابة وقيل لرعاية الادب لانها فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ألا ترى أنهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والمهللة وغيرهما ولم يذكر من أمثال هذه الكنايات لانها ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس فى ذلك العهد (من الصواعق) متعلق بيجعلون أى من أجل خوف الصواعق المقارنة للرعد وهى جمع صاعقة وهى قصفة رعد هائل تنقض معها شعلة نار لا تمر بشئ الا أتت عليه لكنها مع حدتها سريعة الخمود لطافتها (حكى) أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت قالوا بين السماء وبين الكلة الرقيقة التى لا يرى أديم السماء الا من ورائها نار فاذا تكون الصواعق تخرج النار فتشق الكلة ويكون الصوت منها كما فى روضة العلماء وقيل تنقدح من السحاب اذا اصطكت

أجرامه أو جرم ثقيل سحاب مفرغ من الاجزاء اللطيفة الارضية الصاعدة المسماة دخانا
والمائية المسماة بخارا حار حاد في غاية الحدة والحرارة لا يقع على شئ الا ثقب وأحرق ونفذ
في الارض حتى يبلغ الماء فانطفأ ووقف قالوا اذا أشرقت الشمس على أرض يابسة تحللت منها
أجزاء نارية يخالطها أجزاء أرضية يسمى المركب منهما دخانا ويختلط بالبخار ويتصاعدان معا
الى الطبقة الباردة فينعقد البخار سحابا ويحتبس الدخان فيه ويطلب الصعود ان بقي على طبيعته
والنزول ان ثقل وكيف كان يمزق السحاب تمزيقا عنيفا فيحدث منه الرعد ثم قد يحدث شدة
حركته ومحاكته فيحدث منه البرق ان كان لطيفا والصاعقة ان كان غليظا قال ابن عباس رضي الله
عنه من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على
كل شئ قدير فان أصابته صاعقة فعلي ديته وكان صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمع الرعد
وصواعقه اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك كذا في تفسير الشيخ وشرح
الشرعة (حذر الموت) منصوب بيجعلون على العلة أي لاجل مخافة الهلاك والموت فساد بنية
الحيوان (والله محيط) أصل الاحاطة الاحداق بالشئ من جميع جهاته وهو مجاز في حقه تعالى
أي محدق بعلمه وقدرته (بالكافرين) أي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط حقيقة فيحشرهم
يوم القيامة ويعذبهم والجملة اعتراضية منبهة على أن ما صنعوا من سد الآذان بالاصابع لا يغني
عنهم شيأ فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد بأس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين
موضع الضمير الراجع الى أصحاب الصيب الايذان بأن ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية
بسبب كفرهم (يكاد البرق) أي يقرب استئناف آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل
فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك (يخطف أبصارهم) أي يختلسها ويستلبها بسرعة
من شدة ضوئه (كلما أضاء لهم) كلما ظرف والعامل فيه جوابها وهو مشوا وأضاء متعد أي أنار
البرق الطريق في الليلة المظلمة وهو استئناف ثالث كأنه قيل كيف يصنعون في تارتي خفوق
البرق وخفيته أيفعلون بأبصارهم ما يفعلون بآذانهم أم لا فقيل كلما نور البرق لهم ممشى
ومسلكا (مشوا فيه) أي في ذلك المسلك أي في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف أن يخطف
أبصارهم وايثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما لكمال
دهشتهم (واذا أظلم عليهم) أي خفي البرق واستتر فصار الطريق مظلما (قاموا) أي وقفوا
في اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لحظة أخرى عسى يتسنى لهم
الوصول الى المقصد أو الالتجاء الى ملجأ يعصمهم (ولو شاء الله) مفعوله محذوف أي لو أراد أن
يذهب الاسماع التي في الرأس والابصار التي في العين كما ذهب بسمع قلوبهم وأبصارها (لذهب
بسمعهم وأبصارهم) بصوت الرعد ونور البرق عقوبة لهم لانه لا يعجز عن ذلك (ان الله على كل شئ)
أي على كل موجود بالامكان والله تعالى وان كان يطلق عليه الشئ لكنه موجود بالوجوب
دون الامكان فلا يشك العاقل أن المراد من الشئ في أمثال هذا ما سواه تعالى فالله تعالى مستثنى
في الآية مما يتناوله لفظ الشئ بدلالة العقل فالمعنى على كل شئ سواه قدير كما يقال فلان أمين على
معنى أمين على من سواه من الناس ولا يدخل فيه نفسه وان كان من جملتهم كما في حواشي ابن
التمجيد (قدير) أي فاعل له على قدر ما تقتضيه حكمته لا ناقصا ولا زائدا ثم ان هذا التمثيل

كشف بعد كشف وايضاح بعد ايضاح أبلغ من الاول شبه الله حال المنافقين فى حيرتهم وما خبطوا فيه من الضلالة وشدة الامر عليهم وخزيهم وافتضاحهم بحال من أخذته السماء فى ليلة مظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والموت هذا اذا كان التمثيل مركبا وهو الذى تقتضيه جزالة التنزيل فانك تتصور فى المركب الهيئة الحاصلة من تفاوت تلك الصور وكيفياتها المتضامة فيحصل فى النفس منه ما لا يحصل من المفردات كما اذا تصورت من مجموع الآية مكابدة من أدركه الوبل الهطل مع تكاثف ظلمة الليل وهيئة انتساج السحاب بتتابع القطر وصوت الرعد الهائل والبرق الخاطف والصاعقة المحرقة ولهم من خوف هذه الشدائد حركات من تحذر الموت حصل لك منه أمر عجيب وخطب هائل بخلاف ما اذا تمكنت لواحد واحد مشبها به يعنى ان حمل التمثيل على التشبيه المفرق فشبه القرآن وما فيه من العلوم والمعارف التى هى مدار الحياة الابدية بالصيب الذى هو سبب الحياة الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والاحزان وانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامّهم عما يقرع أسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد أذنه ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد يحرزونه بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم فى أمرهم حين عنّ لهم مصيبة بوقوفهم اذا أظلم عليهم فهذه حال المنافقين قصارى عمرهم الحيرة والدهشة فعلى العاقل أن يتمسك بحبل الشرع القويم والصراط المستقيم كى يتخلص من الغوائل والشيود ومهالك الوجود وغاية الامر خفية لا يدرى بم يختم قال رجل للحسن البصرى كيف أصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن ثم قال لا تسأل عن حالى ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على أى حال هم قال الرجل على حال شديد قال الحسن حالى أشد من حالهم فالموت بحرى والحياة سفينتى والذنوب خشبتى فكيف يكون حال من وصفه هذا يا بنى فلا بد من ترك الذنوب والفرار الى علام الغيوب وفى الحديث من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه تأمل كيف كان جزاء كل مؤمل ما أمل واعتبر كيف لم يكرر ذكر الدنيا اشعارا بعدم اعتبارها لخساستها ولان وجودها لعب ولهو فكأنه كلا وجود كما قيل * بر مرد هشيار دنيا خسست * كه هر مدتى جاى ديكر كسست * وانظر الى قوله عليه السلام فهجرته الى ما هاجر اليه وما تضمن من ابعاد ما سواه تعالى وتدبر ذكر الدنيا والمرأة مع أنهما منها اذ يشعر بأن المراد كل شئ فى الدنيا من شهوة أو مال واليه ترجع الاكوان وأن المراد بالحديث الخروج عن الدنيا بل وعن كل شئ لله تعالى (قال الحافظ) غلام همت آنم كه زير چرخ كبود * ز هر چه رنك تعلق پذيرد آزادست * يعنى عن كل شئ يقبل التعلق من المال والمنال والاولاد والعيال فلا بد من التعلق بمحبة الملك المتعال وفى التأويلات النجمية أو كصيب من السماء الاشارة فى تحقيق الآيتين أن الله تعالى شبه حال متمنى هذا الحديث واشتغالهم بالذكر وتتبع القرآن فى البداية وتجلدهم فى الطلب وما يفتح لهم من الغيب الى أن تظهر النفس الملالة وتقع فى آفة الفترة والوقفة بحال من يكون فى المفازة سائرا فى ظلمة الليل والمطر وشبه الذكر والقرآن بالمطر لانه ينبت الايمان والحكمة فى القلب كما ينبت

المـاء

الماء البقلة فيه ظلمات أي مشكلات ومتشابهات تظهر لسالك الذكر في أثناء السلوك ومعان دقيقة لا يمكن حلها وفهمها والخروج عن عهدة آفاتها الا لمن كان له عقل منور بنور الايمان مؤيد بتأييد الرحمن كما قال تعالى الرحمن علم القرآن فكما أن السير لا يمكن في الظلمات الا بنور السراج كذلك لا يمكن السير في حقائق القرآن ودقائقه ولا في ظلمات البشرية الا بنور هداية الربوبية ولهذا قال تعالى كلما أضاء لهم مشوا فيه يعني نور الهداية واذا اظلم عليهم قاموا يعني ظلمة البشرية ورعد أي خوف وخشية ورهبة تتطرق الى القلوب من هيبة جلال الذكر والقرآن كما قال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وبرق وهو تلألؤ أنوار الذكر والقرآن يهتدى الى القلوب فتلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله فيظهر فيها حقيقة القرآن والدين فتعرفها القلوب لقوله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول الآية ولما لاح لهم أنوار السعادة خرجوا من ظلمات الطبيعة وتمسكوا بحبل الارادة لينالوا درجات الفائزين ولكن يجعلون أصابعهم أي أصابع آمالهم الفاسدة وأمانيهم الباطلة في آذانهم الواعية من الصواعق ودواعي الحق حذرا من الموت موت النفس لان النفس سمكة حياتها ببحر الدنيا وماء الهوى لو أخرجت لماتت في الحال وهذا تحقيق قوله عليه السلام موتوا قبل أن تموتوا والله محيط بالكافرين فيه اشارة الى أن الكافر الذي له حياة طبيعية حيوانية لو مات بالارادة من مألوفات الطبيعة لكان أحياه الله تعالى بأنوار الشريعة كما قال تعالى أو من كان ميتا فأحييناه فلما لم يمت بالارادة فالله محيط بالكافرين أي مهلكهم ومميتهم في الدنيا بموت الصورة وموت القلب وفي الآخرة بموت العذاب فلا يموت فيها ولا يحيا يكاد البرق أي نور الذكر والقرآن يخطف أبصارهم أي أبصار نفوسهم الامارة بالسوء كلما أضاء لهم نور الهدى مشوا فيه سلكوا طريق الحق بقدم الصدق واذا أظلم عليهم ظلمات صفات النفس وغلب عليهم الهوى ومالوا الى الدنيا قاموا أي وقفوا عن السير وتحيروا وترددوا وتطرقت اليهم الآفات واعترتهم الفترات واستولى عليهم الشيطان وسولت لهم أنفسهم الشهوات حتى وقعوا في ورطة الهلاك ولو شاء الله أي لو كانت ارادته أن يهديهم لذهب بسمعهم أي بسمع نفوسهم التي تصغي الى وساوس الشيطان وغروره وأبصارهم أي أبصار نفوسهم التي بها تنظر الى زينة الدنيا وزخارفها كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ان الله على كل شيء قدير أي قادر على سلب أسماعهم وأبصارهم حتى لا يسمعوا الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ولا يبصروا المزخرفات الدنيوية والمستلذات الحيوانية لكيلا يغتروا بها ويبيعوا الدين بالدنيا ولكن الله يفعل بحكمته ما يشاء ويحكم بعزته ما يريد انتهى (يا أيها الناس) الآية مسوقة لاثبات التوحيد وتحقيق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام اللذين هما أصل الايمان والناس يصلح اسما للمؤمنين والكافرين والمنافقين والنداء تنبيه الغافلين أو احضار الغائبين وتحريك الساكنين وتعريف الجاهلين وتفريغ المشغولين وتوجيه المعرضين وتهييج المحبين وتشويق المريدين قال بعض العارفين أقبل عليهم بالخطاب جبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب أي يا مونس لا تنس أنسك بي قبل الولادة أو يا ابن النسيان تنبه ولا تنس حيث كنت نسيا منسيا ولم تك شيأ مذكورا خلقتك وخرتك طينا ثم نطفة ثم دما ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ولحوما وعروقا وجلودا وأعصابا

ثم جنينا ثم طفلا ثم صبيا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا وأنت فيما بين ذلك تتمرغ في نعمتي وتسعى في خدمة غيري تعبد النفس والهوى وتبيع الدين بالدنيا الا تنسى من خلقك وجعلك من لاشئ شيأ مذكورا كريما مشكورا علمك وقواك وأكرمك وأعطاك ما أعطاك فهذا خطاب النفس والبدن قال في التيسير واذا كان الانسان من النسيان ففيه عتاب وتلقين أما العتاب فكأنه يقول أيها الناس قابلتم نعمنا بالكفران وأوامرنا بالعصيان وأما التلقين للعذر فكأنه يقول أيها المخالف لنا ناسيا لا عامدا وساهيا لا قاصدا عذرناك لنسيانك وعفونا عنك لايمانك (اعبدوا ربكم) يقول للكفار وحدوا ربكم ويقول للعاصين أطيعوا ربكم ويقول للمنافقين أخلصوا بالتوحيد معرفة ربكم ويقول للمطيعين اثبتوا على طاعة ربكم واللفظ يحتمل لهذه الوجوه كلها وهو من جوامع الكلم كما في تفسير أبي الليث والعبادة استفراغ الطاقة في استكمال الطاعة واستشعار الخشية في استبعاد المعصية (الذى خلقكم) صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل معناه أطيعوا ربكم الذى خلقكم لخالقكم ولم تكونوا شيأ والخلق اختراع الشئ على غير مثال سبق (و) خلق (الذين من قبلكم) أى من زمن قبل زمانكم من الامم فمن ابتدائية متعلقة بمحذوف وفي الوصف به ايماء الى سبب وجوب عبادته تعالى فان خلق أصولهم من موجبات العبادة كخلق أنفسهم وفيه دلالة على شمول القدرة وتنبيه من سنة الغفلة أى انهم كانوا فمضوا وجاؤا وانقضوا فلا تنسوا مصيركم ولا تستصغروا تقصيركم (لعلكم تتقون) حال من ضمير اعبدوا أى راجين أن تدخلوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى ولعل للترجي والاطماع وهى من الله تعالى واجب لان الكريم لا يطمع الا فيما يفعل والاولون والآخرون مخاطبون بالامر بالتقوى وخص المخاطبين بالذكر تغليبا لهم على الغائبين كما في الكواشى وفيه تنبيه على أن التقوى منتهى درجة السالكين وهو التبرى من كل شئ سوى الله تعالى وان العابد ينبغي أن لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ويرجون رحمته (قال السعدى) اكر مردى ازمردئ خود مكوى * نه هر شهسوارى بدر برد كوى * يعني ليس كل عابد يخلص ايمانه بسبب عبادته (الذى جعل لكم الارض) صفة ثانية لربكم قال أهل اللغة الارض بساط العالم وبسيطها من حيث يحيط بها البحر الذى هو البحر المحيط أربعة وعشرون ألف فرسخ كل فرسخ ثلاثة أميال وهو اثنا عشر ألف ذراع بالذراع المرسلة وكل ذراع ست وثلاثون اصبعا كل اصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها الى بعض فللسودان اثنا عشر ألف فرسخ وللبيضان ثمانية وللفرس ثلاثة وللعرب ألف كذا في كتاب الملكوت وسمت وسط الارض المسكونة حضرة الكعبة وأما وسط الارض كلها عامرها وخرابها فهو الموضع الذى يسمى قبة الارض وهو مكان يعتدل فيه الزمان في الحر والبرد ويستوى الليل والنهار أبدا لا يزيد أحدهما على الآخر كما في الملكوت وروى عن علي كرم الله وجهه أنه قال انما سميت الارض أرضا لانها تتأرض ما في بطنها يعني تأكل ما فيها وقال بعضهم لانها تتأرض بالحوافر والاقدام (فراشا) ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا وهو الذى له طول وعرض فان كرية شكلها مع عظم

جرمها

جرمها مصححة لافتراشها (و) جعل (السماء) وهو ما علاك وأظلك (بناء) قبة مضروبة
عليكم وكل سماء مطبقة على الاخرى مثل القبة والسماء الدنيا ملتزقة أطرافها على الارض كما فى
تفسير أبى الليث (وأنزل من السماء ماء) أى مطرا ينحدر منها على السحاب ومنه على الارض وهو
رد لزعم أنه يأخذه من البحر (فأخرج به) أى أنبت الله بسبب الماء الذى أنزل من السماء (من
الثمرات) هى ههنا المأكولات كلها من الحبوب والثمار وغيرها مما يخرج من الارض
والشجر كما فى التيسير (رزقا لكم) وذلك بأن أودع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة منفعلة
فتولد من تفاعلهما أصناف الثمار فبين المظلة والمقلة شبه عقد النكاح بانزال الماء منها عليها
والاخراج به من بطنها أشباه النسل المنتج من الحيوان من ألوان الثمار رزقا لبنى آدم ومن للبيان
ورزقا أى طعاما وعلفا لكم ولدوابكم والمعنى ان الله تعالى انعم عليكم بذلك كله لتعرفوه بالخالقية
والرازقية فتوحدوه (فلا تجعلوا لله أندادا) جمع ند وهو المثل أى أمثالا تعبدونهم كعبادة الله
يعنى لا تقولوا له شركاء تعبد معه وعن ابن عباس رضى الله عنه لا تقولوا لولا فلان لاصابنى كذا
ولولا كلبنا يصيح على الباب لسرق متاعنا وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اياكم ولو فانه من
كلام المنافقين قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا (قال السعدى) اگر عز وجاه است اگر ذل
وقيد * من از حق شناسم نه از عمرو وزيد (وأنتم تعلمون) أن الله هو الذى خلقكم ومن قبلكم
وخالق السماء والارض وخالق الارزاق دون الاصنام فانها لا تضر ولا تنفع والوعظ الكاشفى أنه
قال فى الآية جعل لكم وقال رزقا لكم فلو قال لك فى القيامة فعلت كذا كله لكم فما فعلتم لى
فما تقول * وعن الشبلى رحمه الله أنه وعظ يوما الناس فأبكاهم لما ذكر من القيامة وأهوالها
فزجرهم أبو الحسين النورى فقال لا تفزعهم فان حسابه تعالى ليس بهذا الطول انما هو كلمتان
من ترا بودم تو كرا بودى * وأفادت الآية أنه ينبغى الاخلاص فى العبادة بترك ملاحظة
الاغيار وشهود خالق الليل والنهار (قال السعدى) گرت بيخ اخلاص در بوم نيست * درين
در كسى چون تو محروم نيست * وفى توصية رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا يا معاذ انى محدثك
بحديث ان أنت حفظته نفعك وان أنت ضيعته انقطعت حجتك عند الله تعالى يا معاذ ان الله
تبارك وتعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة
ملكا بوابا فيصعد عليه الحفظة بعمل العبد من حين أصبح الى حين أمسى له نور كنور الشمس
حتى اذا طلعت به الملائكة الى السماء الدنيا زكته وكثرته فيقول الملك الموكل للحفظة قفوا
واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرنى ربى أن لا أدع عمل من اغتاب
الناس يجاوزنى انه كان يغتاب الناس * زبان آمد از بهر شكر وسپاس * بغيبت نگرداندش
حق شناس قال عليه السلام ثم يأتى الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى
تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه أنا ملك الفخر انه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى
غيرى انه كان يفتخر على الناس فى مجالسهم * چه زنار مغ در ميانت چه دلق * كه در پوشى از بهر
پندار خلق * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام
وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا

واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم * فروتن بود هوشمند گزين * نهد شاخ پرميوه سر بر زمين *
قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد يزهو كما يزهو الكوكب الدري من صلاة وتسبيح وحج وعمرة حتى يجاوزوا به الى الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب فيه * چو روي بخدمت نهي بر زمين * خدا را ثنا گوي خود را مبين * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة الى أهلها فيقول لهم الملك الموكل به قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الحسد انه كان يحسد من يتعلم العلم ويعمل لله وكل من يأخذ نصيبا من العبادة كان يحسدهم ويعيبهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني * عقيله زين صعبتر در راه نيست * أي خنك آنكس حسد همراه نيست * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد من صيام وصلاة وزكاة وحج وعمرة فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل به قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا من عباد الله قط واذا أصابهم بلاء وضر كان يشمت فيهم أنا ملك موكل بالرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني * اشك خواهي رحم كن بر اشكبار * رحم خواهي بر ضعيفان رحم آر * قال عليه السلام ويصعد الحفظة الى السماء السابعة بعمل عبد من صلاة وصوم وفقه واجتهاد وورع لها دوي كدوي النحل وضوء كضوء الشمس معها ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون بها الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واقفلوا على قلبه أنا أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به ربي انه كان يعمل لغير الله انه أراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء * بروي ريا خرقه سهلست دوخت * گرش با خدا در تواني فروخت * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد من زكاة وصوم وصلاة وحج وعمرة وخلق حسن وذكر الله وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفوا بين يديه ليشهدوا له بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله عز وجل أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على قلبه انه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا فتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله كيف لي بالنجاة والخلوص قال اقتدي وعليك باليقين وان كان في عملك تقصير وحافظ على لسانك من الوقيعة أي الغيبة في اخوانك من حملة القرآن ولا تزك نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا بعمل الآخرة ولا تمزق الناس فيمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار ولا ترائي بعملك الناس (قال السعدي) اي هنرها نهاده بر كف دست * عيبها بر گرفته زير بغل * تا چه خواهي خريدن اي مغرور * روز درماندگي بسيم دغل * وعن أبي يزيد البسطامي قدس سره قال كابدت العبادة أي أتعبت نفسي فيها ثلاثين سنة فرأيت قائلا يقول يا أبا يزيد خزائنه مملوءة بالعبادة ان أردت الوصول اليه فعليك بالذلة والاحتقار والاخلاص في العمل (قال أبو يزيد قدس سره) چار چيز آورده ام شاها كه

دركنج تو نيست * نيستى وحاجت وجرم وگناه آورده ام * قال الملاطاب منه الهدية حين طلع مبشرات الحقيقة فلما عرض تلك الهدية قيل ادخل جئت بهدية عظمى وحصل الاستحقاق للدخول وفى التأويلات النجمية يا أيها الناس الاشارة فى تحقيق الآيتين أنه تعالى خاطب ناسى عهود يوم الميثاق والاقرار بربوبيته ومعاهدته أن لا تعبدوا الا اياه فخالفوه ونقضوا عهده وعبدوا الطواغيت من الاصنام والدنيا والنفس والهوى والشيطان فزل قدمهم عن جادة التوحيد ووقعوا فى ورطة الشرك والهلاك فبعث اليهم الرسول وكتب اليه الكتاب وحذرهم عن النسيان والشرك ودعاهم الى التوحيد والعبودية وقال اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم يعنى ذراتكم وذرات من قبلكم يوم الميثاق وأخذ مواثيقكم بالربوبية والتوحيد والعبادة فأوفوا بعهد العبودية بتوحيد اللسان وتجريد القلب وتفريد السر وتزكية النفس بترك المحظورات واقامة الطاعات المأمورات لعلكم تتقون عن شرك عبادة غير الله فيوفى الله بعهد الربوبية بالنجاة من الدركات ورفع الدرجات بالجنات والاكرام بالقربات والكرامات فى الآخرة كما أكرمكم فى الدنيا الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء فيه اشارة الى تعريفه بالقدرة الكاملة ومنته على عباده وفضيلتهم عنده على جميع المخلوقات أما تعريف نفسه بالقدرة الكاملة فقوله تعالى الذى جعل وأما منته على عباده فقوله تعالى لكم الارض فراشا والسماء بناء اى خلق هذه الاشياء لكم خاصة وأما فضيلتهم على جميع المخلوقات فأن خلق السموات والارض وما فيهما لاجلهم وسخره لهم لقوله تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فكان وجود السموات والارض تبعا لوجودهم وما كان وجوده تبعا لوجود شئ لا يكون مقصودا وجوده لذاته ولهذا السر امر الله تعالى ملائكته بسجود آدم عليه السلام وحرم على آدم وأولاده سجود غير الله ليظهر أن الملائكة وان كانوا قبل وجود آدم افضل الموجود فلما خلق آدم وجعله مسجودا لهم كان هو أفضل المخلوقات واكرمهم على الله تعالى ومتبوع كل شئ والكل تابع له وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم تحقيقه أن الماء هو القرآن وثمراته الهدى والتقى والنور والرحمة والشفاء والبركة واليمن والسعادة والقربة والحق اليقين والنجاة والرفعة والصلاح والفلاح والحكمة والحلم والعلم والآداب والاخلاق والعزة والغنى والتمسك بالعروة الوثقى والاعتصام بحبل الله المتين وجماع كل خير وختام كل سعادة وزهوق باطل الوجود الانسانى عند تجلى تجليات حقيقة الصفات الربانية كقوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فأخرج بماء القرآن هذه الثمرات من ارض قلوب عباده وكما أن الله تعالى من على عباده باخراج الثمرات رزقا لهم كان للحيوانات فيها رزق ولكن بتبعية الانسان وهذه الثمار لا تدركه العقول المشوبة بالوهم والخيال بل تدركه العقول المؤيدة بتأييد الفضل والنوال فلا تجعلوا لله أندادا فيه ثلاثة معان أولها أن هذا الذى جعلت لكم من خلق انفسكم وخلق السموات والارض وما فيها لكم ليس من شأن احد غيرى وأنتم تعلمون فلا تجعلوا لى أندادا فى العبودية وثانيها أنى جعلت السموات والارض والشمس والقمر كلها واسطة أرزاقكم وأسبابها وأنا الرزاق فلا تجعلوا الوسايط أندادا لى فلا تسجدوا للشمس ولا للقمر الآية وثالثها أنى خلقت الموجودات وجعلت لكل شئ حظا فى شئ آخر وجعلت حظ

الانسان فى محبتى ومعرفتى وكل محظوظ لو انقطع عنه حظه اهلك فلا تنقطعوا عن حظوظكم
من محبتى ومعرفتى بان تجعلوا الى أندادا تحبونهم كحبى فتهلكوا فى اودية الشرك يدل عليه قوله
تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله فالانداد هى الاحباب غير
الله ثم وصف الذين لم ينقطعوا عن حظ محبته بالايمان وقال والذين آمنوا أشد حبا لله يعنى الذين
اتخذوا من دون الله آلهة فى المحبة ما آمنوا حقيقة وان زعموا أنا آمنا فافهم جدا ولا تغتر
بالايمان التقليدى الموروث حتى يصح على هذا المحك (وان كنتم فى ريب مما نزلنا
على عبدنا) أى فى شك من القرآن الذى نزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم فى كونه
وحيا منزلا من عند الله تعالى والتنزيل النزول على سبيل التدريج وأنزل القرآن
جملة واحدة الى السماء الدنيا الى بيت العزة ثم منه على النبى صلى الله عليه وسلم مفرقا منجما فى
ثلاث وعشرين سنة ليحفظ فانه عليه الصلاة والسلام كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ففرق عليه
ليثبت عنده حفظه بخلاف غيره من الانبياء فانه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ الجميع من الكتاب
ولذا قالوا ان سائر الكتب الالهية انزلت جملة (فأتوا) جواب الشرط وهو أمر تعجيز
(بسورة) وحد السورة قطعة من القرآن معلومة الاول والآخر أقلها ثلاث آيات واعلم ان
سورة لكونها اقوى من الآية من سورة الاسد والشراب أى قوته هذا ان كانت واوها أصلية
وان كانت منقلبة عن همزة فهى مأخوذة من السؤر الذى هو البقية من الشئ فالسورة قطعة
من القرآن مفرزة باقية من غيرها (من مثله) أى سورة كائنة من مثل القرآن فى البيان الغريب
وعلو الطبقة فى حسن النظم فالضمير لما نزلنا أى ائتوا انتم بمثل ما أتى هو ان كان الامر كما زعمتم
من كونه كلام البشر اذ أنتم وهو سواء فى الجوهر والخلقة واللسان وليس هو أولى بالاختلاق
منكم ثم القرآن وان كان لا مثل له لانه صفة الله وكلام الله ووحى الله ولا مثل لصفاته كما لا مثل
لذاته لكن معناه من مثله على زعمكم فقد كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا كما فى التيسير
(وادعوا شهداءكم) جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة أو الناصر (من دون الله) اما
متعلقة بادعوا فالمعنى ادعوا متجاوزين الله من حضركم كائنا من كان للاستظهار فى معارضة
القرآن أو الحاضرين فى مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم وأشرافكم الذين تفزعون اليهم فى
الملمات وتعولون عليهم فى المهمات أو القائمين بشهاداتكم الجارية فيما بينكم من أمنائكم المتولين
لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة أو القائمين بنصركم حقيقة أو زعما من الانس
والجن ليعينوكم واما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على أنها ظرف
مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم أى ادعوا أصنامكم الذين
اتخذتموهم آلهة وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق متجاوزين الله فى اتخاذها
كذلك ودلت الآية على أن الاستعانة بالخلق لا تغنى شيأ وما يغنى رجوع العاجز الى العاجز فلا
ترفع حوائجك الا الى من لا يشق عليه قضاؤها ولا تسأل الا من لا تفنى خزائنه ولا تعتمد الا على من
لا يعجز عن شئ ينصرك من غير معين ويحفظك من كل جانب ومن غير صاحب ويغنيك من غير مال
فيذل أعداد الاعداء الكثيرة اذا حالك ويكثر عدد المال القليل اذا كفالك (ان كنتم صادقين)
فى أن محمدا تقوله من تلقاء نفسه وأن آلهتكم شهداؤكم وهو شرط جوابه محذوف تقديره

فافعلوا

فافعلوا أي فأتوا بسورة من مثله (فان لم تفعلوا) أي ما أمرتم من الاتيان بالمثل بعد ما بذلتم في السعي غاية المجهود (ولن تفعلوا) فيما يستقبل ابدا وذلك لظهور اعجاز القرآن فانه معجزة النبي عليه السلام اعتراض بين الشرط وجوابه وهذه معجزة باهرة حيث أخبر بالغيب الخاص علمه به عزوجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء يدانيه في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف (فاتقوا النار) أي ولما عجزتم عن معارضة القرآن ومثله لزمتكم الحجة أن محمدا رسول والقرآن كلامي ولزمكم تصديقه والايمان به ولما لم تؤمنوا واصررتم من أهل النار فاتقوها وفي الكشاف الصق اتقاء النار وضمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة فوضع فاتقوا النار موضع فاتركوا العناد (التي وقودها) أي حطبها وما يوقد به النار (الناس) أي العصاة (والحجارة) أي حجارة الكبريت وانما جعل حطبها منها لسرعة وقودها أي التهابها وبطء خمودها وشدة حرها وقبح رائحتها والصوقها بالبدن أو الحجارة هي الاصنام التي عبدوها وانما جعل التعذيب بها لتحقق أنهم عذبوا بعبادتها وليروا ذلها ومهانتها بعد اعتقادهم عزها وعظمتها والكافر عبد الصنم واعتمده ورجاه فعذب به اظهارا لجهله وقطعا لامله كاتباع الكبراء خدموهم ورجوهم وفي النار يصحبونهم ليكون أشق عليهم وأقطع لرجائهم فان قلت أنار الجحيم كلها توقد بالناس والحجارة أم هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نار شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا فأنذرتكم نارا تلظى ولعل للكفار الجن ولشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما أن لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب (أعدت للكافرين) أي هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم وفيه دلالة على أن النار مخلوقة موجودة الآن خلافا للمعتزلة وفي الآية اشارة الى أن ثمرة الاخذ بالقرآن والاقرار به وبمحمد صلى الله عليه وسلم هو النجاة من النار التي وقودها الناس والحجارة وفيه زيادة فضل القرآن وأهله قال البغوي عند قوله تعالى فأتوا بسورة قيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة وسميت سورة لان القارئ ينال بقراءتها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال يرجع أتباع ابليس كل عشية الى سيدهم فيقول كل واحد منهم بين يديه فعلت كذا وغررت فلانا الزاهد حتى يقول أصغرهم أنا منعت صبيا من الكتاب فيقوم ابليس بين يديه ويقعده الى جنبه فرحا بما فعل وقالت الحكماء حق الولد على أبويه ثلاثة أن يسمياه باسم حسن عند الولادة وأن يعلماه القرآن والادب والعلم وأن يختناه ثم ان القصد الاصلي هو العمل بالقرآن والتخلق بآدابه كما قيل * مراد ز نزول قرآن تحصيل سيرت خوبست نه ترتيل سورة مكتوب * وللقرآن ظهر وبطن ولبطنه بطن الى سبعة أبطن (قال المثنوى) تو ز قرآن اى پسر ظاهر مبين * ديو آدم را نبيند جز كه طين * ظاهر قرآن چو شخص آدميست * كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست * قال الشيخ نجم الدين فظاهره يدل على ما فسره العلماء وباطنه يدل على ما حققه اهل التحقيق بشرط أن يكون موافقا للكتاب والسنة ويشهدا عليه بالحق فان كل حقيقة لا يشهد عليه الكتاب والسنة فهي الحاد وزندقة لقوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقال أيضا في تأويل الآية وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا جعل الله اعراض المعرضين قباب غيرته لحبيبه المرسل لئلا

يشاهدوا من الله حبيبه وجعل اعتراض المعترضين سرادقات عزته لئلا يطلعوا على الله وكتابه وسماه عليه السلام بالعبد المطلق ولم يسم غيره الا بالعبد المقيد باسمه كما قال واذكر عبدنا أيوب واذكر عبدنا داود وغيرهما وذلك لان كمال العبودية ما تهيأ لاحد من العالمين الا لحبيبه عليه السلام وكمال العبودية فى كمال الحرية عما سوى الله وهو مختص بهذه الكرامة كما اثنى عليه بقوله مازاغ البصر وما طغى فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله أى الحاضرين معكم يوم الميثاق لانكم وانتم ومحمدا كنتم جميعا مستمعين خطاب ألست بربكم مجتمعين فى جواب بلى فلو كان محمد قادرا على اتيان القرآن من تلقاء نفسه فهو وأنتم فى الاستعداد الانسانى الفطرى سواء فأتوا بالقرآن من تلقاء انفسكم أيضا ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى هى القهر وسورة غضب الحق كما قال الله للنار انما أنت عذابى اعذب بك من أشاء من عبادى وقودها الناس انانية الانسان التى نسيان الله من خصوصيتها والحجارة أى الذهب لانه به يحصل مرادات النفس وشهواتها وما يميل اليه الهوى فعبر عما يعبده انانية الانسان بالحجارة لان اكثر الاصنام كان من الحجارة وعن انانية الانسان بالناس لانها انما طلبت غير الله وعبدته لنسيان الحق ومشاهدة يوم الميثاق ثم جعلها وقود النار اقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اعدت للكافرين خاصة ولكن يطهر المذنبون بها بتبعية الكافرين كما أن الجنة خلقت واعدت للمتقين ولكن يدخلها المذنبون من أهل الايمان بعد تطهيرهم بورود النار والعبور عليها بتبعية المتقين يدل عليه قول النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى خلقت الجنة وخلقت لها أهلها وبعمل أهل الجنة يعملون وخلقت النار وخلقت لها اهلها وبعمل أهل النار يعملون (وبشر الذين آمنوا) البشارة الخبر السار الذى يظهر به أثر السرور فى البشرة أى فرح يا محمد قلوب الذين آمنوا بأن القرآن منزل من عند الله تعالى فالخطاب للنبى عليه السلام وقيل لكل من يتأتى منه التبشير كما فى قوله عليه الصلاة والسلام بشر المشائين الى المساجد فى ظلم الليالى بالنور التام يوم القيامة فانه عليه السلام لم يأمر بذلك واحدا بعينه بل كل أحد ممن يتأتى منه ذلك (وعملوا الصالحات) أى فعلوا الفعلات الصالحات وهى كل ما كان لله تعالى وفى عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بأن مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأساس لا بناء عليه وطلب الجنة بلا عمل حال السفهاء لان الله تعالى جعل العمل سببا لدخول الجنة والعبد وان كان يدخله الله الجنة بمجرد الايمان لكن العمل يزيد نور الايمان وبه يتنور قلب المؤمن وكم من عقبة كؤد تستقبل العبد الى أن يصل الى الجنة وأول تلك العقبات عقبة الايمان انه هل يسلم من السلب أم لا فلزم العمل لتسهيل العقبات (أن لهم) أى بأن لهم (جنات) بساتين فيها أشجار مثمرة والجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم كذا قال الفراء ولفرط التفاف أغصان أشجارها وتسترها بالاشجار سميت جنة كأنها سترة واحدة لان الجنة بناء مرة وانما سميت دار الثواب بها مع أن فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما أنها مناط نعيمها ومعظم ملاذها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنات كثيرة مرتبة مراتب على استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنة من تلك الجنان ثم الجنان ثمان دار الجلال كلها من نور

مدائنها

مدائنها وقصورها وبيوتها وأوانيها وشرفها وأبوابها ودرجها وغرفها وأعاليها وأسافلها وخيامها وحليها وكل ما فيها ودار القرار كلها من المرجان ودار السلام كلها من الياقوت الاحمر وجنة عدن من الزبرجد كلها وهى قصبة الجنة وهى مشرفة على الجنان كلها وباب جنة عدن مصراعان من زمرد وياقوت ما بين المصراعين كما بين المشرق والمغرب وجنة المأوى من الذهب الاحمر كلها وجنة الخلد من الفضة كلها وجنة الفردوس من اللؤلؤ كلها وحيطانها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد وملاطها وما يجعل بين اللبنتين مكان الطين المسك وقصورها الياقوت وغرفها اللؤلؤ ومصاريعها الذهب وأرضها الفضة وحصباؤها المرجان وترابها المسك ونباتها الزعفران والعنبر وجنة النعيم من الزمرد كلها وفى الخبر ان المؤمن اذا دخل الجنة رأى سبعين ألف حديقة فى كل حديقة سبعون ألف شجرة على كل شجرة سبعون ألف ورقة وعلى كل ورقة لا اله الا الله محمد رسول الله أمة مذنبة ورب غفور كل ورقة عرضها من مشرق الشمس الى مغربها (تجرى من تحتها الانهار) الجملة صفة لجنات والانهار جمع نهر بفتح الهاء وسكونها وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل نهر مصر والمراد بها ماؤها فان قلت كيف جرى الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجرى فى غير أخدود وهو الشق من الارض بالاستطالة وأنزه البساتين وأكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار فى خلالها مطردة ولولا أن الماء الجارى من النعمة العظمى وأن الرياض وان كانت احسن شئ لا تجلب النشاط حتى يجرى فيها الماء والا كان السرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح لها وصور لا حياة لها ما جاء الله بذكر الجنات البتة مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها والانهار هى الخمر واللبن والعسل والماء فاذا شربوا من نهر الماء يجدون حياة ثم انهم لا يموتون واذا شربوا من نهر اللبن يحصل فى أبدانهم تربية ثم انهم لا ينتقصون واذا شربوا من نهر العسل يجدون شفاء وصحة ثم انهم لا يسقمون واذا شربوا من نهر الخمر يجدون طربا وفرحا ثم انهم لا يحزنون (قال فى المثنوى) آب صبرت جوى آب خلد شد * جوى شير خلد مهر تست وود * ذوق طاعت كشت جوى انكبين * مستى وشوق تو جوى خمر بين * اين سببها چون بفرمان تو بود * چار جوهم مر ترا فرمان نمود * وروى أنه كتب عرضا بسم الله الرحمن الرحيم على ساق العرش فعين الماء تنبع من ميم بسم وعين اللبن تنبع من هاء الله وعين الخمر تنبع من ميم الرحمن وعين العسل تنبع من ميم الرحيم هذا منبعها وأما مصبها فكلها تصب فى الكوثر وهو حوض النبى عليه السلام وهو فى الجنة اليوم وينتقل يوم القيامة الى العرصات ليسقى المؤمنين ثم ينقل الى الجنة ويسقى أهل الجنة أيضا من عين الكافور وعين الزنجبيل وعين السلسبيل وعين الرحيق ومزاجه من تسنيم بواسطة الملائكة ويسقيهم الله الشراب الطهور بلا واسطة كما قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا (كلما) متى (رزقوا منها) أى أطعموا من الجنة (من ثمرة) ليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة وانما المراد نوع من انواع الثمار ومن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة (رزقا) مفعول رزقوا وهو ما ينتفع به الحيوان طعاما (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) أى هذا مثل الذى رزقنا من قبل هذا فى

الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمر الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غير المعروف وليتبين لها مزية اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك وان كان فائقا فحين أبصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها فى الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة وهى تشبع السكن أى أهل الدار كان ذلك أبين للفضل وأجلب للسرور وأزيد فى التعجب من أن يفاجؤا ذلك الرمان من غير عهد سابق بجنسه وعموم كلما يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا فما عدا المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما فى الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين مارزقناه فى الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه ليس فى الجنة من أطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان أن لا تشابه بينهما أصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعى قطعا (وأتوا به) أى جيؤا بذلك الرزق والمرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا فالضمير الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا فى الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا أوفقيرا فالله أولى بهما أى بجنس الغنى والفقير (متشابها) فى اللون والجودة فاذا أكلوا وجدوا طعمه غير ذلك أجود وألذ يعنى لا يكون فيها ردى • وعن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها الى فرعها أى منضود بعضها على بعض أى متراكب ومجتمع ليس كاشجار الدنيا متفرقة أغصانها وثمرتها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى والعنقود اثنا عشر ذراعا ولو اجتمع الخلائق على عنقود لاشبعهم وجاء رجل من أهل الكتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون فقال نعم والذى نفس محمد بيده ان أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الاكل والشرب والجماع قال فان الذى يأكل له حاجة والجنة طيبة ليس فيها الذى قال عليه السلام حاجة احدهم عرق كريح المسك (ولهم فيها) أى فى الجنة (أزواج) أى نساء وحور (مطهرة) مهذبة من الاحوال المستقذرة كالحيض والنفاس والبول والغائط والمنى والمخاط والبلغم والورم والدرن والصداع وسائر الاوجاع والولادة ودنس الطبع وسوء الخلق وميل الطبع الى غير الازواج وغير ذلك ومطهرة أبلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بأن مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه وتعالى قال الحسن هن عجائزكم العمص العمش طهرن من قاذورات الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما خلق الحور العين من اصابع رجليها الى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها الى ثدييها من المسك الاذفر ومن ثدييها الى عنقها من العنبر الاشهب أى الابيض ومن عنقها الى رأسها من الكافور اذا أقبلت يتلألأ نور وجهها كما يتلألأ نور الشمس لاهل الدنيا (وهم فيها خالدون) اى دائمون أحياء لا يموتون ولا يخرجون منها قال عكرمة أهل الجنة ولد ثلاث وثلاثين سنة رجالهم ونساؤهم وقامتهم ستون ذراعا على قامة أبيهم آدم شباب جرد مرد مكحلون عليهم سبعون حلة تتلون كل حلة فى كل ساعة سبعين لونا لا يبزقون ولا يمتخطون وما كان فوق ذلك من الاذى فهو أبعد يزدادون كل يوم جمالا وحسنا كما يزداد أهل الدنيا هرما وضعفا لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم واعلم أن معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح

حسبما يقضي به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث
كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر
المؤمنون بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور وفي التأويلات النجمية وبشر الذين آمنوا
وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار أي يحصل لهم جنات القربة معجلة من
بذر الايمان الحقيقي وأعمالهم القلبية الصالحة والروحية والسرية بالتوحيد والتجريد والتفريد
من اشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص والهدى والقناعة
والعفة والمروءة والفتوة والمجاهدة والمكابدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والخوف
والخشية والرجاء والصفاء والوفاء والطلب والارادة والمحبة والحياء والكرم والسخاوة والشجاعة
والعلم والمعرفة والعزة والرفعة والقدرة والحلم والعفو والرحمة والهمة العالية وغيرها من
المقامات والاخلاق تجري من تحتها مياه العناية والتوفيق والرأفة والعطفة والفضل كلما رزقوا
منها من هذه الاشجار من ثمرة من ثمرات المشاهدات والمكاشفات والمعاينات رزقا أي عطفا
ومنحة وعطية قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وذلك لان اصحاب المشاهدات يشاهدون أحوالا
شتى في صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيظن بعضهم من المتوسطين أن هذا المشاهد هو الذي
يشاهده قبل هذا فتكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى هو حقيقة اخرى مثاله يشاهد
السالك نورا في صورة نار كما شاهد موسى عليه السلام نور الهداية في صورة نار كما قال اني آنست
نارا فتكون تارة تلك النار صفة غضب كما كان لموسى عليه السلام اذا اشتد غضبه اشتعلت
قلنسوته نارا وتارة يشاهد النار وهي صفة الشيطنة وتارة تكون نار المحبة تقع في محبوبات
النفس فتحرقها وتارة تكون نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم
فالصورة النارية المشاهدة متشابه بعضها ببعض كما قال تعالى وأتوا به متشابها ولكن السالك
الواصل يجد من كل نار منها ذوقا وصفة اخرى ولهم فيها ازواج أي لارباب الشهود في جنات
القربات أزواج من أبكار الغيب مطهرة من ملابسة الاغيار وهم فيها في اقتضاضها خالدون كما
قال عليه السلام ان من العلوم كهيئة المكنون لا يعلمها الا العلماء بالله فاذا نطقوا بها لا ينكرها
الا أهل الغرة بالله واعلم أن كل شيء يشاهد في الشهادة كما أن له صورة في الدنيا له معنى حقيقي في
الغيب ولهذا كان النبي عليه السلام يسأل الله تعالى بقوله اللهم أرنا الاشياء كما هي فتكون في
الآخرة صور الاشياء وحقائقها حاصلة ولكن الحقائق والمعاني على الصور غالبة فيرى في
الآخرة صورة شيء بعينه فيعرفه فيقول هذا الذي رزقنا من قبل فيكون الاسم والصورة كما
كانت ولكنها في ذوق آخر غير ما كنت تعرفه ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس شيء في
الجنة مما في الدنيا غير الاسماء وهذا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلمة يكلمها المسلم في
سبيل الله تكون بعد القيامة كهيئتها يوم طعنت انفجرت دما اللون لون الدم والعرف عرف المسك
فالآن لون ذلك الدم حاصل في الشهادة ولكن عرفه في الغيب لا يشاهد ههنا في الآخرة يشاهد
الصورة الدنيوية والمعاني الغيبية فافهم جدا واغتنم (ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة)
عن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت
اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله هذه الآية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان

من تخوف ما يعاب به ويذم وهو جار على سبيل التمثيل اى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيى أن يمثل بها لحقارتها (أن يضرب) أى يذكر النصب على المفعولية (مثلا ما) اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كأنه قيل مثلا ما من الامثال أى مثل كان فهى صفة لما قبلها (بعوضة) بدل من مثلا والبعوضة صغار البق سميت بعوضة لانها كأنها بعض البق (فما فوقها) أى فيذكر الذى هو أزيد منها كالذباب والعنكبوت أو فما دونها فى الصغر قيل انه من الاضداد ويطلق على الاعلى والادنى وهو دابة يسترها السكون ويظهرها التحرك يعنى لا تلوح للبصر الحاد الا بتحركها فان قلت مثل الله آلهتهم ببيت العنكبوت وبالذباب فأين تمثيلها بالبعوضة فما دونها قلت فى هذه الآية كأنه قال ان الله لا يستحيى أن يضرب مثل آلهتكم بالبعوضة فما دونها فما ظنكم بالعنكبوت والذباب قال الربيع بن انس ضرب المثل بالبعوضة عبرة لاهل الدنيا فان البعوضة تحيا ما جاعت وتموت اذا شبعت فكذا صاحب الدنيا اذا استغنى طغى وأحاط به الردى وقال الامام أبو منصور الماتريدى الاعجوبة فى الدلالة على وحدانية الله تعالى فى الخلق الصغير الجثة والجسم اكثر منها فى الكبار العظام لان الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من نحو البعوض والذباب وتركيب ما يحتاج من الفم والانف والعين والرجل واليد والمدخل والمخرج ما قدروا عليه ولعلهم يقدرون على تصوير العظام من الاجسام الكبار منها فالبعوضة أعطيت على قدر حجمها الحقير كل آلة وعضو أعطيه الفيل الكبير القوى وفيه اشارة الى حال الانسان وكمال استعداده كما قال عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته أى على صفته فعلى قدر ضعف الانسان أعطاه الله تعالى من كل صفة من صفات جماله وجلاله انموذجا ليشاهد فى مرآة صفات نفسه كمال صفات ربه كما قال من عرف نفسه فقد عرف ربه وليس لشئ من المخلوقات هذه الكرامة المختصة بالانسان كما قال تعالى ولقد كرمنا بنى آدم (قال فى المثنوى) آدم خاكى زحق آموخت علم * تا بهفتم آسمان افروخت علم * نام وناموس ملك را درشكست * كورئ آنكس كه درحق درشكست * قطرهٔ دل را يكى گوهر فتاد * كان بدرياها وگردونها نداد * چند صورت آخر اى صورت پرست * جان بى معنيت از صورت نرست * گر بصورت آدمى انسان بدى * احمد وبوجهل خود يكسان بدى * قال بعضهم ان الله تعالى قوى قلوب ضعفاء الناس بذكر ضعفاء الاجناس وعرف الخلق قدرته فى خلق الضعفاء على هيآت الاقوياء فان البعوض على صغره بهيئة الفيل على كبره وفى البعوض زيادة جناحين فلا يستبعد من كرمه أن يعطى على قليل العمل ما يعطى على كثير العمل من الخلق كما أعطى صغير الجثة ما أعطى كبير الجثة من الخلقة ومن العجيب أن هذا الصغير يؤذى هذا الكبير فلا يمتنع منه ومن لطف الله تعالى أنه خلق الاسد بغاية القوة والبعوض والذباب بغاية الضعف ثم أعطى البعوض والذباب جراءة أظهرها فى طيرانهما فى وجوه الناس وتماديهما فى ذلك مع مبالغة الناس فى ذبهما بالمذبة وركب الجبن فى الاسد وأظهر ذلك بتباعده عن مساكن الناس وطرقهم ولو تجاسر الاسد تجاسر الذباب والبعوض لهلك الناس فمن الله تعالى وجعل فى الضعيف التجاسر وفى القوى الجبن ومن العجب عجزك عن هذا الضعيف وقدرتك على ذلك الكبير (وحكى) أنه خطب المأمون فوقع ذباب على عينه فطرده فعاد مرارا حتى قطع عليه الخطبة فلما صلى أحضر أبا هذيل شيخ البصريين فى الاعتزال فقال له لم

خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت وأجازه بمال كذا فى روضة الاخبار وفى خلق
مثل الذباب حكم ومصالح قال وكيع لولا الريح والذباب لانتنت الدنيا ومن الاعاجيب أن هذا
الضعيف اذا طار فى وجهك ضاق به قلبك وتنغص به عيشك وفسد عليك بستانك وكرمك وأعجب
منه جراءتك مع ضعفك على مايورثك العار ويوردك النار فاذا كان جزعك هذا من البعوض
فى الدنيا فكيف حالك اذا تسلطت عليك الحيات والعقارب فى لظى قال القشيرى رحمه الله الخلق
فى التحقيق بالاضافة الى قدرة الخالق أقل من ذرة من الهباء فى الهواء وسيان فى قدرته العرش
والبعوضة فلا خلق العرش عليه أعسر ولا خلق البعوضة عليه أيسر سبحانه وتقدس عن لحوق
العسر واليسر واعلم أنه يمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل أعظم من كل
عظيم كما مثل فى الانجيل غل الصدر بالنخالة قال لاتكونوا كمنخل يخرج منه الدقيق الطيب
ويمسك النخالة كذلك أنتم تخرج الحكمة من أفواهكم وتبقون الغل فى صدوركم ومثل
مخاطبة السفهاء باثارة الزنابير قال لاتثيروا الزنابير فتلدغكم فكذلك لاتخاطبوا السفهاء
فيشتموكم وقال فيه ايضا لاتدخروا ذخائركم حيث السوس والارضة فتفسدها ولا فى البرية حيث
اللصوص والسموم فيسرقها اللصوص ويحرقها السموم ولكن ادخروا ذخائركم عند الله تعالى
وجاء فى الانجيل أيضا مثل ملكوت السماء كمثل رجل زرع فى قريته حنطة جيدة نقية فلما نام
الناس جاء عدوه فزرع الزوان وهو بفتح الزاى وضمها حب مر يخالط البر فقال عبيد الزراع
ياسيدنا أليس حنطة جيدة زرعت فى قريتك قال بلى قالوا فمن أين هذا الزوان قال لعلكم ان
ذهبتم لتلتقطوا الزوان تقلعوا معه حنطة دعوهما يتربيان جميعا حتى الحصاد فأمر الحصادين
أن يلتقطوا الزوان من الحنطة وان يربطوه حزما ثم يحرق بالنار ويجمعوا الحنطة الى الجرين
والتفسير الزراع أبو البشر والقرية العالم والحنطة الطاعة وزراع الزوان ابليس والزوان
المعاصى والحصادون الملائكة يتوفون بنى آدم وللعرب أمثال مثل قولهم هو أجمع من ذرة
يزعمون أنها تدخر قوت سبع سنين وأجرأ من الذباب لانه يقع على أنف الملك وجفن الاسد فاذا
ذب أى منع آب أى رجع وأسمع من قراد تزعم العرب أن القراد يسمع الهمس الخفى من مناسم
الابل أى اخفافها على مسيرة سبع ليال أو سبعة أميال وفلان أعمر من القراد وذلك انها تعيش
سبعمائة سنة وقيل أعمر من حية لانها لاتموت الا قتلا ويقال أعمر من النسر لانه يعيش ثلثمائة سنة
وفلان أصرد من جرادة أى أبرد لانها لاتظهر فى الشتاء أبدا لقلة صبرها على البرد وأطيش من
فراشة أى اخف منها وهى بالفارسية پروانه وأعز من مخ البعوض يقال لما لايوجد ويقال كلفتنى
مخ البعوض فى تكليف مالايطاق وأضعف من بعوضة وآكل من السوس وهو القمل الذى يأكل
الحنطة والشعير والدويبة التى تقع على الصوف والجوخ وغيره ما فتأكلها وبالجملة ان الله تعالى
يضرب الامثال للناس ولا يستحيى من الحق وله فى أمثاله مطلقا حكم ومصالح وما يتذكر الا أولو
الالباب (قال المولى جلال الدين قدس سره) بيت من بيت نيست اقليمست * هزل من هزل
نيست تعليمست * (فأما الذين آمنوا) بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم والفاء الدلالة على ترتيب
مابعدها الى مايدل عليه ماقبلها كأنه قيل فيضربه فأما الذين آمنوا (فيعلمون أنه) أى المثل
بالبعوضة والذباب (الحق) أى الثابت الذى لايسوغ انكاره (من ربهم) حال من الضمير

المستكن في الحق أو من الضمير العائد الى المثل أى كائنا منه تعالى فيتفكرون في هذا المثل الحق ويوقنون أن الله هو خالق الكبير والصغير وكل ذلك في قدرته وإعلم فيؤمنون به (وأما الذين كفروا) وهم اليهود والمشركون (فيقولون ماذا) أى ما الذى أو أى شئ (أراد الله بهذا) أى بالمثل الخسيس وفى كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له (مثلا) أى بهذا المثل فلما حذف الالف واللام نصب على الحال أى ممثلا أو على التمييز فأجابهم الله تعالى بقوله (يضل به) أى يخذل بهذا المثل والاضلال هو الصرف عن الحق الى الباطل واسناد الاضلال أى خلق الضلال اليه سبحانه مبنى على أن جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كانت أفعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم (كثيرا) من الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون ضلالة (ويهدى به) أى يوفق بهذا المثل (كثيرا) من المؤمنين لتصديقهم به فيزدادون هداية يعنى يضل به من علم منهم أنه يختار الضلالة ويهدى به من علم أنه يختار الهدى فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم قلت أهل الهدى كثير فى انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى أهل الضلال وأيضا فان القليل من المهديين كثير فى الحقيقة وان قلوا فى الصورة لان هؤلاء على الحق وهم على الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه السواد الاعظم هو الواحد على الحق (وما يضل به) أى لا يخذل بالمثل وتكذيبه (الا الفاسقين) أى الكافرين بالله الخارجين عن أمره والفسق فى اللغة الخروج وفى الشريعة الخروج عن طاعة الله بارتكاب الكبيرة التى من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الاولى التغابى وهو ارتكابها أحيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك فى تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذى عليه يدور الايمان (الذين ينقضون عهد الله) أى يخالفون ويتركون امر الله تعالى والنقض الفسخ وفك التركيب فان قلت من أين ساغ استعمال النقض فى ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين قيل عهد الله ثلاثة الاول ما أخذه على ذرية آدم عليه السلام بأن يقروا بربوبيته تعالى والثانى ما أخذه على الانبياء عليهم السلام بأن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والثالث ما أخذه على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه (من بعد ميثاقه) أى بعد توثيق ذلك العهد وتوكيده بالقبول فالضمير للعهد أو بعد توثيق الله ذلك بانزال الكتب وارسال الرسل فالضمير الى الله فالمراد بالميثاق هنا نفس المصدر لا نفس العهد (يحكى) عن مالك بن دينار رحمه الله أنه كان له ابن عم عامل سلطان فى زمانهم وكان ظالما جائرا فمرض ذلك الرجل ونذر وعهد على نفسه وقال لو عافانى الله تعالى مما انا فيه لا أدخل فى عمل السلطان أبدا قال فأبرأه الله من ذلك المرض فدخل فى عمل السلطان ثانيا فظلم الناس أكثر مما ظلمهم فى المرة الاولى فمرض ثانيا فنذر ثانيا أن لا يرجع الى عمل السلطان فبرئ ونقض العهد ودخل فيه وظلم أكثر مما ظلم فى المرتين فظهرت به علة شديدة فأخبر بذلك مالك بن دينار فزاره وقال يا بنى أوجب على نفسك شيأ وعاهد مع الله عهدا لعلك تنجو من هذه العلة فقال المريض عاهدت الله أن لو قمت من فراشى أن لا أعود الى عمل السلطان أبدا فهتف هاتف يا مالك انا قد جربناه مرارا فوجدناه كذوبا فلا ينفعه نذره أن جربناه بنفسه فأكذب نفسه فمات الفتى على هذه الحالة كذا فى روضة

العلماء (قال فى المثنوى) نقض ميثاق وشكست توبها * موجب لعنت شود در انتها *
(ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) محل أن يوصل النصب على أنه بدل من ضمير الموصول أى
ما أمر الله به أن يوصل وهو يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين
والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه
رفض خير أو تعاطى شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التى هى المقصودة
بالذات من كل وصل وفصل وفى الحديث اذا أظهر الناس العلم وضيعوا العمل به وتحابوا بالالسن
وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا الارحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم وقال صلى
الله عليه وسلم ثلاثة فى ظل عرش الله يوم القيامة امرأة مات عنها زوجها وترك عليها يتامى
صغارا فخطبت فلم تتزوج وقالت أقوم على أيتامى حتى يغنيهم الله أو يموت يعنى اليتيم أو هى
ورجل له مال صنع طعاما فأطاب صنعته وأحسن نفقته فدعا عليه اليتيم والمسكين ورجل وصل
الرحم يوسع له فى رزقه ويمد له فى أجله ويكون تحت ظل عرش ربه (ويفسدون فى الارض)
بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التى عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه (أولئك
هم الخاسرون) أى المغبونون بالعقوبة فى الآخرة مكان المثوبة فى الجنة لانهم استبدلوا النقض
بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالاصلاح وعقابها بثوابها قيل ليس من مؤمن ولا كافر الا وله
منزل وأهل وخدم فى الجنة فان أطاعه تعالى أتى أهله وخدمه ومنزله فى الجنة وان عصاه ورثه
الله المؤمنين فقد غبن عن أهله وخدمه ومنزله وفى التأويلات النجمية ان الله لا يستحيى أن
يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا بنور الايمان يشاهدون الحقائق والمعانى فى
صورة الامثلة فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون حيث أنكروا الحق فجعل
ظلمة انكارهم غشاوة فى أبصارهم فما شاهدوا الحقائق فى كسوة الامثلة كما أن العجم
لا يشاهدون المعانى فى كسوة اللغة العربية فكذلك الكفار والجهال عند تحيرهم فى ادراك
حقائق الامثال قالوا ماذا أراد الله بهذا مثلا فجهلهم زادوا انكارا على انكار فتاهوا فى أودية
الضلالة بقدم الجهالة يضل به كثيرا ممن اخطأه رشاش النور فى بدء الخلق كما قال عليه السلام ان
الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن اخطأه فقد
ضل فمن اخطأه ذلك النور فى عالم الارواح فقد أخطأه نور الايمان ههنا ومن اخطأه نور الايمان
فقد أخطأه نور القرآن فلا يهتدى ومن أصابه ذلك هنالك أصابه ههنا نور الايمان ومن أصابه
نور الايمان فقد أصابه نور القرآن ومن أصابه نور القرآن فهو ممن قال ويهدى به كثيرا وكان
القرآن لقوم شفاء ورحمة ولقوم شقاء ونقمة لانه كلامه وصفته شاملة للطف والقهر فبلطفه
هدى الصادقين وبقهره أضل الفاسقين لقوله وما يضل به الا الفاسقين الخارجين من اصابة
رشاش النور فى بدء الخلقة ثم أخبر عن نتائج ذكر الخروج ونقض العهود كما قال الله تعالى الذين
ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه أى الذين ينقضون عهد الله الذى عاهدوه يوم الميثاق على
التوحيد والعبودية بالاخلاص من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من أسباب
السلوك الموصل الى الحق وأسباب التبتل والانقطاع عن الخلق كما قال تعالى وتبتل اليه تبتيلا
أى انقطع اليه انقطاعا كليا عن غيره ويفسدون فى الارض أى يفسدون بذر التوحيد الفطرى

في ارض طينتهم بالشرك والاعراض عن قبول دعوة الانبياء وسقى بذر التوحيد بالايمان والعمل
الصالح اولئك هم الخاسرون خسروا استعداد كمالية الانسان المودعة فيهم كما تخسر النواة في
الارض استعداد النخلية المودعة فيها عند عدم الماء لقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات (كيف تكفرون) كيف نصب حالا من الضمير في تكفرون
أي معاندين تكفرون وتجحدون (بالله) أي بوحدانيته ومعكم ما يصرفكم عن الكفر الى
الايمان من الدلائل الانفسية والآفاقية والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الوقوع بل بمعنى
انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه لان التعجب من الله يكون على وجه التعجيب والتعجيب
هو أن يدعو الى التعجب وكأنه يقول ألا تتعجبون أنهم يكفرون بالله كما في تفسير أبي الليث وقال
القاضي هو استخبار والمعنى أخبروني على أي حال تكفرون (وكنتم امواتا) جمع ميت
كأقوال جمع قيل أي والحال أنكم كنتم أمواتا أي أجساما لا حياة لها عناصر واغذية ونطفا
ومضغا مخلقة وغير مخلقة قال في الكشاف فان قلت كيف قيل لهم أموات في حال كونهم جمادا
وانما يقال ميت فيما تصح منه الحياة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة لقوله تعالى بلدة
ميتا (فأحياكم) بخلق الارواح ونفخها فيكم في أرحام أمهاتكم ثم في دنياكم وهذا الزام لهم
بالبعث والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم أمواتا وان توارد عليهم في تلك
الحالة أطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما أشير اليه آنفا ثم لما كان المقام في الدنيا قد يطول
جاء بثم حرف التراخي فقال (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة
ظاهر وأما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحياة الثانية التي هي الحيوان الابدي والنعمة
العظمى (ثم يحييكم) للسؤال في القبور فيحيا حتى يسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين ويقال
من ربك ومن نبيك وما دينك ودل ثم التي للتعقيب على سبيل التراخي على أنه لم يرد به حياة البعث
فان الحياة يومئذ يقارنها الرجوع الى الله بالحساب والجزاء ويتصل به من غير تراخ فلا يناسب ثم
اليه ترجعون ودلت الآية على اثبات عذاب القبر وراحة القبر كما في التيسير (ثم اليه ترجعون)
بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم بأعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر واليه تنشرون من قبوركم
للحساب فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا أنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم
يميتهم لم يعلموا أنه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل
منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل به على صحتهما وهو أنه تعالى لما قدر أن
أحياهم أولا قدر أن يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس بأهون عليه من اعادته (هو الذي خلق لكم)
هذا بيان نعمة أخرى أي قدر خلقه لاجلكم ولانتفاعكم بها في دنياكم ودينكم لان الاشياء كلها
لم تخلق في ذلك الوقت (ما في الارض) أي الذي فيها من الاشياء (جميعا) نصب حالا من
الموصول الثاني وقد يستدل بهذا على أن الاصل في الاشياء الاباحة كما في الكواشي وقال في
التيسير أهل الاباحة من المتصوفة الجهلة حملوا اللام في لكم في قوله تعالى هو الذي خلق
لكم على الاطلاق والاباحة على الاطلاق وقالوا لا حظر ولا نهي ولا أمر فاذا تحققت المعرفة
وتأكدت المحبة سقطت الخدمة وزالت الحرمة فالحبيب لا يكلف حبيبه ما يتعبه ولا يمنعه
ما يريده ويطلبه وهذا منهم كفر صريح وقد نهى الله تعالى وأمر وأباح وحظر ووعد

وأوعد وبشر وهدد والنصوص ظاهرة والدلائل متظاهرة فمن حمل هذه الآية على الاباحة المطلقة فقد انسلخ من الدين بالكلية انتهى كلام التيسير (ثم استوى الى السماء) قصد اليها أى الى خلقها بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة شئ آخر فى تضاعيف خلقها أو غير ذلك ولا تناقض بين هذا وبين قوله والارض بعد ذلك دحاها لان الدحو البسط وعن الحسن خلق الله الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر أى الحجر ملء الكف عليها دخان يلتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعه ثم بسط منه الارض كذا فى الكواشى وقال ابن عباس رضى الله عنهما اول ما خلق الله جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة فى مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد أرضا والدخان سماء قالوا فالسماء من دخان خلقت وبريح ارتفعت وباشارة تفرقت وبلا عماد قامت وبنفخة تكسرت (فسواهن) أى أتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونات عن العوج والفطور لا أنه سواهن بعد أن لم يكن كذلك والضمير فيه مبهم فسر بقوله تعالى (سبع سموات) فهو نصب على أنه تمييز نحو ربه رجلا قال سلمان هى سبع اسم الاولى رقيع وهى من زمردة خضراء واسم الثانية ارفلون وهى من فضة بيضاء والثالثة قيدوم وهى من ياقوتة حمراء والرابعة ماعون وهى من درة بيضاء والخامسة دبقاء وهى من ذهب أحمر والسادسة وفناء وهى من ياقوتة صفراء والسابعة عروباء وهى من نور يتلألأ (وهو بكل شئ عليم) فيه تعليل كأنه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بأن من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج فى صدورهم من أن الابدان بعد ما تفتتت وتكسرت وتبددت أجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف يجمع أجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شئ منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان وفى هذه الآية اشارة الى مراتب الروحانيات فالاول عالم الملكوت الارضية والقوى النفسانية والثانى عالم النفس والثالث عالم القلب والرابع عالم العقل والخامس عالم السر والسادس عالم الروح والسابع عالم الخفاء الذى هو السر الروحى والى هذا أشار أمير المؤمنين على رضى الله عنه بقوله سلونى عن طرق السماء فانى أعلم بها من طرق الارض وطرقها الاحوال والمقامات كالزهد والتقوى والتوكل والرضا وأمثالها واعلم أن المراتب اثنا عشرة على عدد السموات والعروش الخمسة وكان الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره يقول للتوحيد اثنا عشر بابا فالجلوتية يقطعونها بالتوحيد لان سرهم فى اليقين والخلوتية يقطعونها بالاسماء لان سرهم فى البرزخ وهم يقولون بجنة الافعال وجنة الصفات وجنة الذات وذلك لان الجنات على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما سبع فاذا كان أربع منها لاهل اليقين أعنى الجلوتية فالثلاث لاهل البرزخ أعنى الخلوتية وهى الافعال والصفات والذات وفى التأويلات النجمية كيف تكفرون بالله اما خطاب توحيد للمؤمنين أى أتكفرون بالله وبأنبيائه وكنتم أمواتا ذرات فى صلب آدم فأحياكم باخراجكم من صلبه وأسمعكم لذيذ خطاب ألست بربكم وأذاقكم لذات الخطاب ووفقكم للصواب

بالصواب حتى قلتم بلى رغبة لا رهبة ثم يميتكم بالرجعة الى أصلاب آبائكم والى عالم الطبيعة
الانسانية ثم يحييكم ببعثة الانبياء وقبول دعوتهم ثم اليه ترجعون بدلالة الانبياء وقدم التوحيد
على جادة الشريعة الى درجات الجنات وأما خطاب تشريف للانبياء والاولياء أى أتكفرون
وكنتم أمواتا فى كتم العدم فأحياكم بالتكوين فى عالم الارواح ورشاش النور تخمر طينة
أرواحكم بماء نور العناية وتخمير يد المحبة بازهى صباح الوصال ثم يميتكم بالمفارقة عن شهود
الجمال الى مقبرة الحس والخيال ثم يحييكم أما الانبياء فبنور نور الوحى وأما الاولياء فبروح روح
نور الايمان ثم اليه ترجعون أما الانبياء فبالعروج وأما الاولياء فبالرجوع بجذبات الحق كما قال
تعالى ارجعى الى ربك فلما أثبت أن الرجوع اليه أمر ضرورى اما بالاختيار كقراءة يعقوب
ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم واما بالاضطرار كقراءة الباقين أشار الى أن الذى ترجعون اليه
هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا أى ما خلقكم لشئ وخلق كل شئ لكم بل خلقكم لنفسه كما
قال تعالى واصطنعتك لنفسى معناه لا تكن لشئ غيرى فانى لست لشئ غيرك فبقدر ما تكون لى
أكون لك كما قال عليه السلام من كان لله كان الله له وليس لشئ من الموجودات هذا الاستعداد
أى أن يكون هو لله على التحقيق وأن يكون الله له وفى هذا سر عظيم وافشاء سر الربوبية كفر
فلا تشتغل بما لك عن أن تبقى بلا هو ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات فيه اشارة
الى أن وجود السموات والارض كان تبعا لوجود الانسان وهو بكل شئ عليم أى عالم بخلق كل
شئ خلقه ولاى شئ خلقه وكل ذرة من مخلوقاته تسبح بحمد ذاته وصفاته وتشهد على أحديته
وصمديته وتقول ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك (قال المولى الجامى قدس سره) دوجهات
جلوكاه وحدت تو * شهد الله كواه وحدت تو * (واذ) مفعول اذكر مقدرة أى اذكر لهم
وأخبر وقت (قال ربك) وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها
المقصودة بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها لما أن ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه
بالطريق البرهانى ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كأنها
مشاهدة عيانا (للملائكة) اللام للتبليغ وتقديم الجار والمجرور فى هذا الباب مطرد لما فى
المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما أخر والملائكة جمع ملك
والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة وسموا بها لانهم وسايط بين الله وبين الناس فهم رسله لان أصل ملك
ملأك مقلوب مألك من الالوكة وهى الرسالة والملائكة عند أكثر المسلمين أجسام لطيفة قادرة
على التشكل باشكال مختلفة والدليل أن الرسل كانوا يرونهم كذلك وروى فى شرح كثرتهم ان
بنى آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار
وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء
السابعة ثم كل أولئك فى مقابلة الكرسى نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من
سرادقات العرش التى عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به
السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر
الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء فى مقابلة الذين
يحومون حول العرش كالقطرة فى البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه

السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى أجناسهم ولا مدة أعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا باريهم العليم الخبير على ما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وروى أنه صلى الله عليه وسلم حين عرج به الى السماء رأى ملائكة فى موضع بمنزلة شرف يمشى بعضهم تجاه بعض فسأل رسول الله جبريل عليهما السلام الى أين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا أدرى الا أنى أراهم منذ خلقت ولا أرى واحدا منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سأل واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا أدرى غير أن الله تعالى يخلق فى كل أربعة آلاف سنة كوكبا وقد خلق منذ ما خلقنى أربعمائة ألف كوكب فسبحانه من اله ما أعظم قدره وما أوسع ملكوته وأراد بهم الملائكة الذين كانوا فى الارض وذلك أن الله خلق السماء والارض وخلق الملائكة والجن وأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الارض والجن هم بنو الجان والجان أبو الجن كآدم أبو البشر وخلق الله الجان من لهب من نار لا دخان لها بين السماء والارض والصواعق تنزل منها ثم لما سكنوا فيها كثر نسلهم وذلك قبل آدم بستين ألف سنة فعمروا دهرا طويلا فى الارض مقدار سبعة آلاف سنة ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فأفسدوا وقتلوا فبعث الله اليهم ملائكة سماء الدنيا وأمر عليهم ابليس وكان اسمه عزازيل وكان أكثرهم علما فهبطوا الى الارض حتى هزموا الجن وأخرجوهم من الارض الى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوا الارض وصار أمر العبادة عليهم أخف لان كل صنف من الملائكة يكون أرفع فى السموات يكون خوفهم أشد وملائكة السماء الدنيا يكون أمرهم أيسر من الذين فوقهم وأعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان له جناحان من زمرد أخضر وكان يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله العجب فقال فى نفسه ما أعطانى الله هذا الملك الا لانى أكرم الملائكة عليه وأينما كل من اطمأن الى الدنيا أمر بالتحول عنها فقال الله تعالى له ولجنوده (انى جاعل) أى مصير (فى الارض) دون السماء لان التباغى والتظالم كان فى الارض (خليفة) وهو آدم عليه السلام لانه خلف الجن وجاء بعدهم ولانه خليفة الله فى أرضه أى أريد أن أخلق فى الارض بدلا منكم وأرفعكم الى فكرهوا ذلك لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة واعلم أن الله تعالى يحفظ العالم بالخليفة كما يحفظ الخزائن بالختم وهو القطب الذى لا يكون فى كل عصر الا واحدا فالبدء كان بآدم عليه السلام والختام يكون بعيسى عليه السلام والحكمة فى الاستخلاف قصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى أمره بغير واسطة لان المفيض تعالى فى غاية التنزه والتقدس والمستفيض منغمس غالبا فى العلائق الدنيئة كالاكل والشرب وغيرهما والعوائق الطبيعية والاوصاف الذميمة فالاستفاضة منه انما تحصل بواسطة ذى جهتين أى ذى جهة التجرد وجهة التعلق وهو الخليفة أيا كان ولذا لم يستتنبئ الله ملكا فان البشر لا يقدر على الاستفادة منه لكونه خلاف جنسه الا يرى أن العظم لما عجز عن أخذ الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الله تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من اللحم ويعطى العظم وجعل السلطان الوزير بينه وبين رعيته اذهم أقرب الى قبولهم منه وجعل المستوقد الحطب اليابس بين النار وبين الحطب الرطب * وفائدة قوله تعالى للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة أربعة أمور الاول تعليم المشاورة فى أمورهم قبل أن يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم

وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة (قال فى المثنوى) مشورت ادراك وهشيارى دهد * عقلها مر عقل را يارى دهد * كفت پيغمبر بكن اى راى زن * مشورت كالمستشار مؤتمن * ويقال أعقل الرجال لا يستغنى عن مشاورة أولى الالباب وأفره الدواب لا يستغنى عن السوط وأورع النساء لا تستغنى عن الزوج * والثانى تعظيم شأن المجعول بأن بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه * والثالث اظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وهو قوله أتجعل الخ وجوابه وهو قوله انى أعلم ما لا تعلمون الخ * والرابع بيان أن الحكمة تقتضى ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير كقطع العضو الذى فيه آكلة شر قليل وسلامة جميع البدن خير كثير فلو لم يقطع ذلك العضو سرت تلك الآفة الى جميع البدن وأدت الى الهلاك الذى هو شر كثير (قالوا) استئناف كأنه قيل فماذا قالت الملائكة حينئذ فقيل قالوا (أتجعل فيها) أى الارض (من يفسد فيها) كما أفسدت الجن وفائدة تكرار الظرف تأكيد الاستبعاد (ويسفك الدماء) أى يصبها ظلما كما يسفك بنو الجان والتعبير عن القتل بسفك الدماء لما انه أقبح أنواع القتل قال بعض العارفين الملائكة الذين نازعوا فى آدم ليسوا من أهل الجبروت ولا من أهل الملكوت السماوية فانهم لغلبة النورية عليهم واحاطتهم بالمراتب يعرفون شرف الانسان الكامل ورتبته عند الله وان لم يعرفوا حقيقته كما هى بل نازعت ملائكة الارض والجن والشياطين الذين غلبت عليهم الظلمة والنشأة الموجبة للحجاب وفى قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة بتخصيص الارض بالذكر وان كان خليفة فى العالم كله فى الحقيقة ايماء أيضا بأن ملائكة الارض هم الطاعنون اذ الطعن لا يصدر الا ممن هو فى معرض ذلك المنصب وأهل السموات مدبرات للعالم العلوى فما قالت الملائكة الارضية الا بمقتضى نشأتهم التى هم عليها من غبطة منصب الخلافة فى الارض والغيرة على منصب ملكهم وتعبدهم بما هم عليه من التسبيح والتقديس فكل اناء يترشح بما فيه وأما الاعتراض على فعل الحكيم والنزاع فى صنعه عند حضرته فمعفو عنه لكمال حكمته واتقان صنعته (قال فى المثنوى) زانكه اين دمها چه كر نا لايقست * رحمت من بر غضب هم سابقست * از پى اظهار اين سبق اى ملك * در تو بنهم داعيه اشكال وشك * تا بكويى ونكيرم بر تو من * منكر حلمم نيارد دم زدن * صد پدر صد مادر اندر حلم ما * هر نفس زايد در افتد در فنا * حلم ايشان كف بحر حلم ماست * كف رود آيد ولى دريا بجاست * وفى الفتوحات ان هاروت وماروت من الملائكة الذين نازعوا آدم ولاجل هذا ابتلاهما الله تعالى باظهار الفساد وسفك الدماء فافهم سر قوله عليه السلام دع الشماتة عن أخيك فيعافيه الله تعالى ويبتليك وأيضا من تلك الملائكة الطاعنين بسفك الدماء الملائكة التى أرسلها الله تعالى نصرة للمجاهدين وسفك الدماء غيرة على دين الله وشرعه كذا فى حل الرموز وكشف الكنوز (ونحن) أى والحال أنا (نسبح) أى ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين (بحمدك) على ما أنعمت علينا من فنون النعم التى من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام (ونقدس) تقديسا (لك) أى نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك فاللام للبيان كما فى سقيا لك متعلقة بمصدر محذوف ويجوز أن تكون مزيدة أى نقدسك قال فى التيسير التسبيح نفى ما لا يليق به

والتقديس اثبات ما يليق به وقال الشيخ داود القيصري قدس سره التسبيح أعم من التقديس لانه تنزيه الحق عن نقائص الامكان والحدوث والتقديس تنزيهه عنها وعن الكمالات اللازمة للاكوان لانها من حيث اضافتها الى الاكوان تخرج عن اطلاقها وتقع فى نقائص التقييد انتهى وكأنه قيل أتستخلف من شأن ذريته الفساد مع وجود من ليس من شأنه ذلك أصلا والمقصود عرض أحقيتهم منهم بالخلافة والاستفسار عما رجح بنى آدم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الفساد وكأنه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل (قال) الله (انى اعلم ما لا تعلمون) من الحكمة والمصلحة باستخلاف آدم عليه السلام وأن من ذريته الطائع والعاصى فيظهر الفضل والعدل فلا تعترضوا على حكمى وتقديرى ولا تستكشفوا عن غيبة تدبيرى فليس كل مخلوق يطلع على غيب الخالق ولا كل أحد من الرعية يقف على سر الملك وفى الآية تنبيه للسالك بان يتأدب بين يدى الحق تعالى وخلفائه والمشايخ والعلماء لئلا يظهر بالانانية واظهار العلم عندهم لانه سالك لطريق الفناء والفانى لا يكون كطاوس تعشق بنفسه وأعجب بذاته بل لا يرى وجوده أصلا فقد وعظنا الله تعالى بزجره للملائكة بقوله انى أعلم ما لا تعلمون (قال السعدى) نرود مرغ سوى دانه فراز * جون دكر مرغ بيند اندر بند * بند كير از مصائب دكران * تا نكيرند ديكران زتو بند * وفى التأويلات النجمية واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة انما قال جاعل وما قال خالق لمعنيين أحدهما أن الجاعلية أعم من الخالقية فان الجاعلية هى الخالقية وشئ آخر وهو أن يجعله موصوفا بصفة الخلافة اذ ليس لكل أحد هذا الاختصاص كما قال تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض أى خلقناك مستعدا للخلافة فأعطيناكها والثانى أن للجعلية اختصاصا بعالم الامر وهو الملكوت وهو ضد عالم الخلق لانه هو عالم الاجسام والمحسوسات كما قال تعالى ألا له الخلق والامر أى الملك والملكوت فانه تعالى حيث ذكر ما هو مخصوص بعالم الامر ذكره بالجعلية لامتياز الامر عن الخلق كما قال تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور فالسموات والارض لما كانتا من الاجسام المحسوسات ذكرهما بالخلقية والظلمات والنور لما كانتا من الملكوتيات غير المحسوسات ذكرهما بالجعلية وانما قلنا الظلمات والنور من الملكوتيات لقوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فيفيد أنهما من الملكوتيات لا من المحسوسات وأما الظلمات والنور التى من المحسوسات فانها داخلة فى السموات والارض فافهم جدا فكذلك لما أخبر الله تعالى عن آدم عما يتعلق بجسمانيته ذكره بالخلقية كما قال انى خالق بشرا من طين ولما أخبر عما يتعلق بروحانيته ذكره بالجعلية وقال انى جاعل فى الارض خليفة وفى انى جاعل اشارة أخرى وهو اظهار عزة آدم عليه السلام على الملائكة لينظروا اليه بنظر التعظيم ولا ينكروا عليه بما يظهر منه ومن أولاده من أوصاف البشرية فانه تعالى يقول ولذلك خلقهم وسماه خليفة وما شرف شيأ من الموجودات بهذه الخلعة والكرامة وانما سمى خليفة لمعنيين أحدهما انه يخلف عن جميع المخلوقات ولا يخلفه المكونات بأسرها وذلك لان الله جمع فيه ما فى العوالم كلها من الروحانيات والجسمانيات والسماويات والارضيات والدنيويات والاخرويات والجماديات والنباتات والحيوانيات والملكوتيات فهو بالحقيقة خليفة كل وأكرمه باختصاص كرامة ونفخت فيه من

روحي وما أكرم بها أحدا من العالمين وأشار إلى هذا المعنى بقوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم فلهذا
الاختصاص ما صلح الموجودات كلها أن تكون خليفة لآدم ولا للحق تعالى والثاني أنه يخلف
وينوب عن الله صورة ومعنى أما صورة فوجوده في الظاهر يخلف عن وجود الحق في الحقيقة
لأن وجود الانسان يدل على وجود موجده كالبناء يدل على وجود الباني ويخلف وحدانية
الانسان عن وحدانية الحق وذاته عن ذاته وصفاته عن صفاته فيخلف حياته عن حياته وقدرته
عن قدرته وارادته عن ارادته وسمعه عن سمعه وبصره عن بصره وكلامه عن كلامه وعلمه عن
علمه ولامكانية روحه عن لامكانيته ولاجهتيته عن لاجهتيته فافهم ان شاء الله تعالى وليس لنوع
من المخلوقات أن يخلف عنه كما يخلف آدم وان كان فيهم بعض هذه لأنه لا يجتمع صفات الحق
في احد كما يجتمع في الانسان ولا يتجلى صفة من صفاته لشيء كما يتجلى لمرآة قلب الانسان صفاته
وأما الحيوانات فانها وان كان لها بعض هذه الصفات ولكن ليس لها علم بوجود موجدها وأما
الملائكة فانهم وان كانوا عالمين بوجود موجدهم ولكن لا يبلغ حد علمهم الى أن يعرفوا أنفسهم
بجميع صفاتها ولا الحق بجميع صفاته ولذا قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وكان الانسان
مخصوصا بمعرفة نفسه بالخلافة وبمعرفة جميع أسماء الله تعالى وأما معنى فليس في العالم مصباح
يستضيء بنار نور الله فيظهر أنوار صفاته في الارض خلافة عنه الا مصباح الانسان فانه مستعد
لقبول فيض نور الله لأنه اعطى مصباح السر في زجاجة القلب والزجاجة في مشكاة الجسد
وفي زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها يضيء من صفات العقل ولو لم تمسسه نار النور وفي
مصباح السر فتيلة الخفاء فاذا أراد الله أن يجعل في الارض خليفة يتجلى بنور جماله لمصباح
السر الانساني فيهدي لنوره فتيلة خفاء من يشاء فيستنير مصباحه بنار نور الله فهو على نور من
ربه فيكون خليفة الله في أرضه فيظهر أنوار صفاته في هذا العالم بالعدل والاحسان والرأفة
والرحمة لمستحقيها وبالعزة والقهر والغضب والانتقام لمستحقيها كما قال تعالى يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال لحبيبه عليه
السلام بالمؤمنين رؤف رحيم وقال في حقه وحق المؤمنين محمد رسول الله والذين معه أشداء على
الكفار رحماء بينهم ولم يظهر هذه الصفات لا على الحيوان ولا على الملك وناهيك بحال هاروت
وماروت لما أنكرا على ذرية آدم من اتباع الهوى والقتل والظلم والفساد وقالا لو كنا بدلا منهم
خلفاء الارض ما كنا نفعل مثل ما يفعلون فالله تعالى انزلهما الى الارض وألبسهما لباس
البشرية وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير حق والزنا وشرب
الخمر قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا فشربا الخمر وسفكا الدم وزنيا وقتلا وسجدا للصنم
فثبت أن الانسان مخصوص بالخلافة وقبول فيضان نور الله فلو كان للملائكة هذه الخصوصية
لما افتتنا بهذه الاوصاف المذمومة الحيوانية والسبعية كما كان الانبياء عليهم السلام معصومين
من مثل هذه الآفات والاخلاق وان كانت لازمة لصفاتهم البشرية ولكن بنور التجلي تنور
مصباح قلوبهم واستنار بنور قلوبهم جميع مشكاة جسدهم ظاهرا وباطنا وأشرقت الارض
بنور ربهم فأزهق ظلمات هذه الصفات بجلال الظهور مع استعلاء النور فالملائكة من بدو الامر
لما نظروا الى جسد آدم شاهدوا ظلمات البشرية والحيوانية والسبعية في ملكوت الجسد بالنظر

الملكوتى الملكى ولم تكن تلك الصفات غائبة عن نظرهم قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقولهم هذا يدل على معان مختلفة منها أن الله انطقهم بهذا القول ليتحقق لنا أن هذه الصفات الذميمة فى طينتنا مودعة وجبلتنا مركبة فلا نأمن من مكر أنفسنا الامارة بالسوء ولا نعتمد عليها ولا نبرّيها كما قال تعالى حكاية عن قول يوسف عليه السلام وما أبرّئ نفسى انّ النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ومنها لنعلم أن كل عمل صالح نعمله هو بتوفيق الله ايانا وفضله ورحمته وكل فساد وظلم نعمله هو من شؤم طبيعتنا وخاصية طينتنا كما قال تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وكل فساد وظلم لا يجرى علينا ولا يصدر منا فذلك من حفظ الحق وعصمة الرب لقوله الا ما رحم ربى ومنها لنعلم أن الله تعالى من كمال فضله وكرمه قد قبلنا بالعبودية والخلافة وقال من حسن عنايته فى حقنا للملائكة المقربين انى أعلم ما لا تعلمون لكيلا نقنط من رحمته وننقطع عن خدمته ومنها لنعلم أن فساد الاستعداد أمر عظيم وبناء جسيم ومبنى الخلافة على الاستعداد والقابلية وليس للملائكة هذا الاستعداد والقابلية فلا نتغافل عن هذه السعادة ونسعى فى طلبها حق السعاية ومنها أن الملائكة انما قالوا أتجعل فيها الخ لانهم نظروا الى جسد آدم قبل نفخ الروح فشاهدوا بالنظر الملكى فى ملكوت جسده المخلوق من العناصر الاربعة المتضادة صفات البشرية والبهيمية والسبعية التى تتولد من تركيب أضداد العناصر كما شاهدوها فى أجساد الحيوانات والسباع الضاريات بل عاينوها فانها خلقت قبل آدم فقاسوا عليها أحواله بعد أن شاهدوها وحققوها وهذا لا يكون غيبا فى حقهم وانما يكون غيبا لنا لانا ننظر بالحس والملكوت يكون لاهل الحس غيبا ومنا من ينظر بالنظر الملكوتى فيشاهد الملائكة والملكوتيات بالنظر الروحانى كما قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وقال أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض فحينئذ لا يكون غيبا فالغيب ما غاب عنك وما شاهدته فهو شهادة فالملكوت للملائكة والحضرة الالهية لهم غيب وليس لهم الترقى الى تلك الحضرة وانّ فى الانسان صورة من عالم الشهادة محسوسة وروحا من عالم الغيب الملكوتى غير محسوس وسرّا مستعدا لقبول فيض الانوار الالهية فبالتربية يترقى من عالم الشهادة الى عالم الغيب وهو الملكوت وبسرّ المتابعة وخصوصيتها يترقى من عالم الملكوت الى عالم الجبروت والعظموت وهو غيب الغيب ويشاهد بنور الله المستفاد من سرّ المتابعة أنوار الجمال والجلال فيكون فى خلافة الحق عالم الغيب والشهادة كما أن الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أى الغيب المخصوص به وهو غيب الغيب أحدا يعنى من الملائكة الا من ارتضى من رسول يعنى من الانسان فهذا هو السرّ المكنون المركوز فى استعداد الانسان الذى كان الله يعلمه والملائكة لا يعلمونه كما قال تعالى انى أعلم ما لا تعلمون ومنها أن الملائكة لما نظروا الى كثرة طاعتهم واستعداد عصمتهم ونظروا الى نتائج الصفات النفسانية استعظموا أنفسهم واستصغروا آدم وذريته فقالوا أتجعل فيها يعنى فى الارض خليفة مع أنه يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك يعنى نحن لهذه الاوصاف أحق بالخلافة منه كما قال بنو اسرائيل حين بعث الله لهم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال فأجابهم الله تعالى بأن استحقاق الملك ليس بالمال انما هو بالاصطفاء والبسطة فى العلم والجسم فقال

ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء فكذلك هنا أجابهم الله تعالى بقوله اني أعلم مالا تعلمون اجمالا ثم فصله بقوله ان الله اصطفى آدم وبقوله وعلم آدم الاسماء كلها وبقوله مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي ليعلموا أن استعداد ملك الخلافة واستحقاقها ليس بكثرة الطاعات ولكنه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء فلما تفاخر الملائكة بطاعتهم على آدم من الله تعالى على آدم بعلم الاسماء ليعلموا أنهم ولو كانوا أهل الطاعة والخدمة فانه أهل العقل والمنة وأين أهل الخدمة من أهل المنة فبتفاخرهم على آدم صاروا ساجدين له ليعلموا أن الحق تعالى مستغن عن طاعتهم وعنته على آدم صاروا مسجودا لهم ليعلموا أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وفي قوله اني أعلم مالا تعلمون اشارة أخرى الى أنه كما يدل على أن لآدم فضائل لا يعلمها الملائكة فكذلك له رذائل وأوصاف مذمومة لا يعلمها الملائكة لانهم لا يعلمون منه أوصافا مذمومة هي من نتائج قالبه مشتركة مع الحيوانات مودعة في ملكوته غير أوصاف مذمومة تكون من نتائج النفس الامارة عند تتابع نظر الروح الى النفس حالة عدم استعمال الشرع من العجب والرياء والسمعة والحسد واشتراء الحياة الدنيا بالآخرة والابتداع والزيغوغة واعتقاد السوء وغير ذلك مما لا يشاركها الحيوانات فيه انتهى ما في التأويلات (وعلم آدم الاسماء كلها) قال وهب بن منبه لما أراد الله أن يخلق آدم أوحى الى الارض أي أفهمها وألهمها اني جاعل منك خليفة فنهم من يطيعني فأدخله الجنة ومنهم من يعصيني فأدخله النار فقالت الارض مني تخلق خلقا يكون للنار قال نعم فبكت فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة وبعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من زواياها الاربع من أسودها وأبيضها وأحمرها وأطيبها وأخبثها وسهلها وصعبها وجبلها فلما أتاها جبريل ليقبض منها قالت الارض بالله الذي أرسلك لا تأخذ مني شيأ فان منافع التقرب الى السلطان كثيرة ولكن فيه خطر عظيم كما قيل * بدريا در منافع بيشمارست * اكر خواهى سلامت دركنارست * فرجع جبريل عليه السلام الى مكانه ولم يأخذ منها شيأ فقال يا رب حلفتني الارض باسمك العظيم فكرهت أن أقدم عليها فأرسل الله ميكائيل عليه السلام فلما انتهى اليها قالت الارض له كما قالت لجبريل فرجع ميكائيل فقال كما قال جبريل فأرسل الله اسرافيل عليه السلام وجاء ولم يأخذ منها شيأ وقال مثل ما قال جبريل وميكائيل فأرسل الله ملك الموت فلما انتهى قالت الارض أعوذ بعزة الله الذي أرسلك أن تقبض مني اليوم قبضة يكون للنار فيها نصيب غدا فقال ملك الموت وأنا أعوذ بعزته أن أعصى له أمرا فقبض قبضة من وجه الارض مقدار أربعين ذراعا من زواياها الاربع فلذلك يأتي بنوه اخيافا أي مختلفين على حسب اختلاف ألوان الارض وأوصافها فنهم الابيض والاسود والاحمر واللين والغليظ فصار كل ذرة من تلك القبضة أصل بدن الانسان فاذا مات يدفن في الموضع الذي أخذت منه ثم صعد الى السماء فقال الله له أما رحمت الارض حين تضرعت اليك فقال رأيت أمرك أوجب من قولها فقال أنت تصلح لقبض أرواح ولده قال في روضة العلماء فشكت الارض الى الله تعالى وقالت يا رب نقص مني قال الله على أن أرد اليك أحسن وأطيب مما كان في ثم يحنط الميت بالمسك والغالية انتهى فأمر الله تعالى عزرائيل فوضع ما أخذ من الارض في وادي نعمان بين مكة والطائف بعدما جعل نصفه تلك

القبضة فى النار ونصفها فى الجنة فتركها الى ماشاء الله ثم أخرجها ثم أمطر عليها من سحاب الكرم
فجعلها طينا لازبا وصور منه جسد آدم واختلفوا فى خلقة آدم عليه السلام فقيل خلق فى
سماء الدنيا وقيل فى جنة من جنات الارض بغربيتها ككالجنة التى يخرج منها النيل وغيره من
الانهار وأكثر المفسرين أنه خلق فى جنة عدن ومنها أخرج كما فى كشف الكنوز وفى الحديث
القدسى خمرت طينة آدم بيدى أربعين صباحا يعنى أربعين يوما كل يوم منه ألف عام من أعوام
الدنيا فتركه أربعين سنة حتى يبس وصار صلصالا وهو الطين المصوت من غاية يبسه كالفخار
فأمطر عليه مطر الحزن تسعا وثلاثين سنة ثم أمطر عليه مطر السرور سنة واحدة فلذلك كثرت
الهموم فى بنى آدم ولكن تصير عاقبتها الى الفرح كما قيل ان لكل بداية نهاية وان مع العسر يسرا
* ان مع العسر چو يسرش قفاست * شادبرانم كه كلام خداست * وكانت الملائكة يمرون
عليه ويتعجبون من حسن صورته وطول قامته لان طوله كان خمسمائة ذراع الله أعلم بأى
ذراع وكان رأسه يمس السماء ولم يكونوا رأوا قبل ذلك صورة تشابهها فمر به ابليس فرآه ثم قال
لامر ما خلقت ثم ضربه بيده فاذا هو أجوف فدخل فيه وخرج من دبره وقال لاصحابه الذين معه
من الملائكة هذا خلق أجوف لايثبت ولا يتماسك ثم قال لهم أرأيتم ان فضل هذا عليكم ما أنتم
فاعلون قالوا نطيع ربنا فقال ابليس فى نفسه والله لا أطيعه ان فضل على ولئن فضلت عليه
لاهلكنه * عاقبت كرك زاده كرك شود * وجمع بزاقه فى فمه وألقاه عليه فوقع بزاق اللعين على
موضع سرة آدم عليه السلام فأمر الله جبريل فقور بزاق اللعين من بطن آدم فحفرة السرة من
تقوير جبريل وخلق الله من تلك القوارة كلبا وللكلب ثلاث خصال فأنسه بآدم لكونه من
طينه وطول سهره فى الليالى من أثر مس جبريل عليه السلام وعضه الانسان وغيره وأذاه من غير
خيانة من أثر بزاق اللعين وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة وسمى بآدم لكونه من أديم الارض
لانه مؤلف من أنواع ترابها ولما أراد الله أن ينفخ فيه الروح أمره أن يدخل فيه فقال الروح
موضع بعيد القعر مظلم المدخل فقال له ثانيا ادخل فقال كذلك فقال له ثالثا فقال كذلك فقال
ادخل كرها أى بلا رضا واخرج كرها ولذا لايخرج الروح من البدن الا كرها فلما نفخه فيه مارق
رأس آدم وجبينه وأذنيه ولسانه ثم مار فى جسده كله حتى بلغ قدميه فلم يجد منفذا فرجع
منخريه فعطس فقال له ربه قل الحمد لله رب العالمين فقالها آدم فقال يرحمك الله ولذا خلقتك
يا آدم فلما انتهى الى ركبتيه أراد الوثوب فلم يقدر فلما بلغ قدميه وثب فقال تعالى وخلق الانسان
عجولا فصار بشرا لحما ودما وعظاما وعصبا وأحشاء ثم كساه لباسا من ظفر يزداد جسده فى كل
يوم وهو فى ذلك ينطق ويتوج وجعل فى جسده تسعة أبواب سبعة فى رأسه أذنين يسمع بهما
وعينين يبصر بهما ومنخرين يجد بهما كل رائحة وفى فيه لسان يتكلم به وحنكا يجد به طعم كل
شئ وبابين فى جسده وهما قبله ودبره يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل عقله فى دماغه
وشرهه فى كليتيه وغضبه فى كبده وشجاعته فى قلبه ورغبته فى رئته وضحكه فى طحاله وفرحه
وحزنه فى وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم فلما سواه
ونفخ فيه من روحه علمه أسماء الاشياء كلها أى ألهمه فوقع فى قلبه فجرى على لسانه بما فى قلبه
بتسمية الاشياء من عنده فعلمه جميع أسماء المسميات بكل اللغات بأن أراه الاجناس التى خلقها

وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع
الدينية والدنيوية وعلمه أسماء الملائكة وأسماء ذريته كلهم وأسماء الحيوانات والجمادات وصنعة
كل شئ وأسماء المدن والقرى وأسماء الطير والشجر وما يكون وكل نسمة يخلقها الى يوم القيامة
وأسماء المطعومات والمشروبات وكل نعيم في الجنة وأسماء كل شئ حتى القصعة والقصيعة وحتى
الفسوة والفسية قال في كشف الكنوز اتفق جم غفير من أهل العلم على أن الأسماء كلها توقيفية
من الله تعالى بمعنى أن الله تعالى خلق لآدم علما ضروريا بمعرفة الألفاظ والمعاني وأن هذه
الألفاظ موضوعة لتلك المعاني وفي الخبر لما خلق الله آدم بث فيه أسرار الأحرف ولم يبث في أحد
من الملائكة فخرجت الأحرف على لسان آدم بفنون اللغات فجعلها الله صورا له ومثلت له بأنواع
الأشكال وفي الخبر علمه سبعمائة ألف لغة فلما وقع في أكل الشجرة سلب اللغات الا العربية فلما
اصطفاه بالنبوة رد الله عليه جميع اللغات فكان من معجزاته تكلمه بجميع اللغات المختلفة
التي يتكلم بها أولاده الى يوم القيامة من العربية والفارسية والرومية والسريانية واليونانية
والعبرانية والزنجية وغيرها قال بعض المفسرين علم الله آدم ألف حرفة من المكاسب ثم قال قل
لأولادك ان أردتم الدنيا فاطلبوها بهذه الحرف ولا تطلبوها بالدين وأحكام الشرائع وكان آدم
حراثا أي زراعا ونوح نجارا وادريس خياطا وصالح تاجرا وداود زرادا وسليمان كان يعمل
الزنبيل في سلطنته ويأكل من ثمنه ولا يأكل من بيت المال وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة
وكان أكثر عمله صلى الله تعالى عليه وسلم في البيت الخياطة وفي الحديث عمل الأبرار من الرجال
الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل كذا في روضة الأخيار وقال العلماء الأسماء
في قوله تعالى وعلم آدم الأسماء تقتضي الاستغراق واقتران قوله كلها يوجب الشمول فكما علمه
أسماء المخلوقات علمه أسماء الخالق تعالى فاذا كان تخصيصه بمعرفة أسماء المخلوقات يقتضي أن يصح
سجود الملائكة له فما ظنك بتخصيصه بمعرفة أسماء الحق وما الذي يوجب له (ثم عرضهم على
الملائكة) أي عرضهم أي المسميات وانما ذكر الضمير لأن في المسميات العقلاء فغلبهم والعرض
اظهار الشئ ليعرف العارض منه حاله وفي الحديث انه عرضهم أمثال الذر ولعله عز وجل
عرض عليهم من أفراد كل نوع ما يصلح أن يكون أنموذجا يعرف منه أحوال البقية وأحكامها
والحكمة في التعليم والعرض تشريف آدم واصطفاؤه واظهار الأسرار والعلوم المكنونة
في غيب علمه تعالى على لسان من يشاء من عباده وهو المعلم المكرم آدم الصفي كيلا يحتج الملك وغيره
بعلومهم ومعرفتهم وذلك رحمة الله التي وسعت كل شئ (فقال) الله عز وجل تبكيتا وتعجيزا للملائكة
وخطاب التعجيز بالأمر وهو الأمر باتيان الشئ ولم يكن اتيانه مرادا بل اظهار عجز المخاطب وان كان
ذلك مستحيلا كالأمر باحياء الصورة التي يفعلها المصورون يوم القيامة لاظهار عجزهم وتحصيل
لهم الندم ولا ينفعهم الندم (أنبئوني) أي أخبروني (بأسماء هؤلاء) الموجودات (ان كنتم
صادقين) في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم ويقال هذه الآية
دليل على أن أولى الأشياء بعد علم التوحيد تعلم علم اللغة لانه تعالى أراهم فضل آدم بعلم اللغة
ودلت أيضا أن المدعي يطالب بالحجة فان الملائكة ادعوا الفضل فطولبوا بالبرهان وعجزوا عن
الغيب فتبرعوا بالعبارات أي لا تعلمون أسماء ما تعاينون فكيف تتكلمون في فساد من لا تعاينون

فيا أرباب الدعاوى أين المعانى ويا أرباب المعرفة أين المحبة ويا أرباب المحبة أين الطاعة قال أبو بكر الواسطى من المحال أن يعرفه العبد ثم لا يحبه ومن المحال أن يحبه ثم لا يذكره ومن المحال أن يذكره ثم لا يجد حلاوة ذكره ومن المحال أن يجد حلاوة ذكره ثم يشتغل بغيره (قالوا) استئناف واقع موقع الجواب كأنه قيل فماذا قالوا حينئذ هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه اولا فقيل قالوا (سبحانك) أى نسبحك عما لا يليق بشأنك الاقدس من الامور التى من جملتها خلو أفعالك من الحكم والمصالح وهى كلمة تقدم على التوبة قال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك انى كنت من الظالمين وسبحان اسم واقع موقع المصدر لا يكاد يستعمل الا مضافا فاذا أفرد عن الاضافة كان اسما علما للتسبيح لا ينصرف للتعريف والالف والنون فى آخره (لا علم لنا الا ما علمتنا) اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه واشعار بأن سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتنا بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة لنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لأفضته علينا وما مصدرية أى الا علما علمتناه ومحله رفع بدل من موضع لا علم كقولك لا اله الا الله (انك انت) ضمير فصل لا محل له من الاعراب (العليم) الذى لا يخفى عليه خافية وهذه اشارة الى تحقيقهم لقوله تعالى انى أعلم ما لا تعلمون (الحكيم) المحكم لمبتدعاته والذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وافادت الآية أن العبد ينبغى له أن لا يغفل عن نقصانه وعن فضل الله واحسانه ولا يأنف أن يقول لا أعلم فيما لا يعلم ولا يكتم فيما يعلم وقالوا لا أدرى نصف العلم وسئل أبو يوسف القاضى عن مسألة فقال لا أدرى فقالوا له ترتزق من بيت المال كل يوم كذا كذا ثم تقول لا أدرى فقال انما ارتزق بقدر علمى ولو أعطيت بقدر جهلى لم يسعنى مال الدنيا (وحكى) أن عالما سئل عن مسئلة وهو فوق المنبر فقال لا أدرى فقيل له ليس المنبر موضع الجهال فقال انما علوت بقدر علمى ولو علوت بقدر جهلى لبلغت السماء (قال) استئناف أيضا (يا آدم انبئهم) أى أعلمهم (بأسمائهم) التى عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصير همهم عن بلوغ مرتبتها (فلما انبأهم بأسمائهم) روى أنه رفع على منبر وأمر أن ينبئ الملائكة بالاسماء فلما أنبأهم بها وهم جلوس بين يديه وذكر منفعة كل شئ (قال) الله تعالى (ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض) والاستفهام للتقرير أى قد قلت لكم انى أعلم ما غاب فيهما ولا دليل عليه ولا طريق اليه (وأعلم ما تبدون) تظهرون من قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها الآية (وما كنتم تكتمون) تسرون من قولكم لن يخلق الله خلقا أكرم عليه منا وهو استحضار لقوله تعالى انى أعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفى عليهم من أمور السموات والارض وما ظهر لهم من أحوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى من السؤال وهو أن يتوقفوا مترصدين لأن يبين لهم وهذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة لان الملائكة أكثر عبادة من آدم ومع ذلك لم يستحقوا الخلافة وتدل على أن العلم شرط فى الخلافة بل العمدة فيها وأن آدم أفضل من هؤلاء الملائكة لانه أعلم منهم والاعلم أفضل لقوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فالعلم أشرف جوهرا ولكن لا بد للعابد من العبادة مع العلم فان العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة الثمرة فالشرف للشجرة وهو الاصل لكن الانتفاع بثمرتها فى

حديث أبي ذر رضي الله عنه حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض
وشهود ألف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل ينفع القرآن الا بالعلم (قال
في المثنوي) خاتم ملك سليمانست علم * جمله عالم صورت وجانست علم * وفي الحديث النظر
الى وجه الوالد عبادة والنظر الى الكعبة المكرمة عبادة والنظر في المصحف عبادة والنظر في وجه
العالم عبادة من زار عالما فكأنما زارني ومن صافح عالما فكأنما صافحني ومن جالس عالما
فكأنما جالسني ومن جالسني في الدنيا أجلسه الله معي يوم القيامة وفي الحديث من أراد أن
ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذي نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف أي
يذهب ويجيء الى باب العالم الا يكتب الله له بكل قدم عبادة سنة ويبني له بكل قدم مدينة في الجنة
ويمشي على الارض والارض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا له وفي التأويلات النجمية وعلم
آدم الاسماء كلها الاسماء على ثلاثة أقسام قسم منها أسماء الروحانيات والملكوتيات وهي مقام
الملائكة ومرتبتهم فلهم علم ببعضها واستعدادا أيضا لأن ينبؤا عما لا علم لهم به فان الروحانيات
والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا والقسم الثاني منها أسماء الجسمانيات وهي مرتبة دون
مرتبتهم فيمكن انباؤهم لان الجسمانيات لهم كالحيوانيات بالنسبة الينا فانها مرتبة دون مرتبة
الانسان فيمكن للانسان انباء أحوالها والقسم الثالث منها الالهيات وهي مرتبة فوق مرتبة
الملائكة كما قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم فلا يمكن للانسان أن ينبئهم بها ولا يمكن لهم الانباء
فوق ما علمهم الله منها لانها غيب وليس لهم الترقي الى عالم الغيب وهو عالم الجبروت وهم أهل
الملكوت ولهم مقام معلوم لا يتجاوزون عنه كما قال جبريل عند سدرة المنتهى لو دنوت أنملة
لاحترقت وانما كان آدم مخصوصا بعلم الاسماء لانه خلاصة العالم وكان روحه بذر شجرة العالم
وشخصه ثمرة شجرة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام ما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة كما أن
الثمرة تعبر على أجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على أعلى الشجرة كذلك آدم عبر على أجزاء شجرة
الموجودات علوها وسفلها وكان في كل جزء من أجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة
فسمى كل شيء منها باسم يلائم تلك المنفعة والمضرة بعلم علمه الله تعالى وهذا من جملة ما كان الله يعلم
من آدم والملائكة لا يعلمون وكان من كمال حال آدم أن أسماء الله تعالى سبقت على منفعته ومضرته
فضلا عن أسماء غيره وذلك أنه لما كان مخلوقا كان الله خالقا ولما كان مرزوقا كان الله رازقا ولما
كان عبدا كان الله معبودا ولما كان معيوبا كان الله ستارا ولما كان مذنبا كان الله غفارا ولما
كان تائبا كان الله توابا ولما كان منتفعا كان الله نافعا ولما كان متضررا كان الله ضارا ولما كان
ظالما كان الله عدلا ولما كان مظلوما كان الله منتقما فعلى هذا فقس الباقي (واذ قلنا) أي اذكر
يا محمد وقت قولنا (للملائكة) أي لجميعهم لقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون (اسجدوا
لآدم) أي خروا له والسجود في الاصل تذلل مع تطامن وفي الشرع وضع الجبهة على قصد
العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له في الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة
سجودهم تفخيما لشأنه واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة
يوسف له وكان سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين أراد أن يسجد
له لا ينبغي لمخلوق أن يسجد لاحد الا لله تعالى ولو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لأمرت المرأة

أن تسجد لزوجها فتحية هذه الامة هي السلام لكن يكره الانحناء لانه يشبه فعل اليهود كما في الدرر وكان هذا القول الكريم بعد انبائهم بالاسماء قيل لما خلق آدم اشكل عليهم أن آدم أعلم أم هم فلما سألهم عن الاسماء فلم يعرفوا وسأل آدم فأخبر بها ظهر لهم أن آدم أعلم منهم ثم أشكل عليهم أنه أفضل أم هم فلما أمرهم بالسجود ظهر لهم فضله ومن لطف الله تعالى بنا أن أمر الملائكة بالسجود لأبينا ونهانا عن السجود لغيره فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن نقل الملائكة المقربين الى آدم وسجدته ونقلنا الى سجدته وخدمته وفي التأويلات النجمية في قوله اسجدوا ثلاثة معان أحدها انكم تسجدون لله بالطبيعة الملكية والروحانية فاسجدوا لآدم خلافا للطبيعة بل اعبدوا وارقوا انقيادا للامر وامتثالا للحكم والثاني اسجدوا لآدم تعظيما لشأن خلافته وتكريما لفضيلته المخصوصة به وذلك لان الله تعالى يتجلى فيه فمن سجد له فقد سجد لله كما قال تعالى في حق حبيبه عليه السلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله والثالث اسجدوا لآدم أي لاجل آدم وذلك لان طاعتهم وعبادتهم ليست بموجبة لثوابهم وترقي درجاتهم وفائدتها راجعة الى الانسان لمعنيين أحدهما أن الانسان يقتدي بهم في الطاعة ويتأدب بآدابهم في امتثال الاوامر وينزجر عن الاباء والاستكبار كيلا يلحق به اللعن والطرد كما لحق بابليس ويكون مقبولا محمودا مكرما كما كان الملائكة في امتثال الامر لقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون والثاني أن الله تعالى من كمال فضله ورحمته مع الانسان جعل همة الملائكة في الطاعة والتسبيح والتحميد مقصورة على استعداد المغفرة للانسان كما قال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض فلذلك أمرهم بالسجود لاجلهم وليستغفروا لهم (فسجدوا) أي سجد الملائكة لانهم خلقوا من نور كما قال عليه السلام خلقت الملائكة من نور والنور من شأنه الانقياد والطاعة وأول من سجد جبريل فأكرم بانزال الوحي على النبيين وخصوصا على سيد المرسلين ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة وقيل أول من سجد اسرافيل فرفع رأسه وقد ظهر كل القرآن مكتوبا على جبهته كرامة له على سبقه الى الائتمار والفاء في قوله فسجدوا لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك (الا ابليس) أي ما سجد لانه خلق من النار والنار من شأنها الاستكبار وطلب العلو طبعا وللعلماء في هذا الاستثناء قولان الاول أنه استثناء متصل لان ابليس كان جنيا واحدا بين أظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم وأكثر المفسرين على ان ابليس من الملائكة لان خطاب السجود كان مع الملائكة قال البغوي وهو الاصح قال في التيسير أما وصف الملائكة بأنهم لا يعصون ولا يستكبرون فذلك دليل تصور العصيان منهم ولولا التصور لما مدحوا به لكن طاعتهم طبع وعصيانهم تكلف وطاعة البشر تكلف ومتابعة الهوى منهم طبع ولا يستنكر من الملائكة تصور العصيان فقد ذكر من هاروت وماروت ما ذكر (قال في المثنوي) امتحان مي كرد شان ز يروزبر * كي بود سرمست راز ينها خبر * والقول الثاني أنه منقطع لانه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص قال تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه وعن الحافظ ان الجن والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جني (أبى) أي امتنع عما

أمر به من السجود والاباء امتناع باختيار (واستكبر) أى تعظم وأظهر كبره ولم يتخذه وصلة
فى عبادة ربه أو تعظيمه وتلقيه بالتحية والتكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره والاستكبار
طلب ذلك بالتشبع أى بالتزين بالباطل وبما ليس له وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا
عنه لظهوره ووضوح اثره (قال فى المثنوى) اين تكبر چيست غفلت از لباب * منجمد چون
غفلت يخ ز آفتاب * چون خبر شد ز آفتابش يخ نماند * نرم كشت وگرم كشت وتيز راند * قالوا
لما سجد الملائكة امتنع ابليس ولم يتوجه الى آدم بل ولاه ظهره وانتصب هكذا الى أن سجدوا
وبقوا فى السجود مائة سنة وقيل خمسمائة سنة ورفعوا رؤسهم وهو قائم معرض لم يندم من
الامتناع ولم يعزم على الاتباع فلما رآه عدل ولم يسجد وهم وفقوا للسجود سجدوا لله تعالى ثانيا
فصار لهم سجدتان سجدة لآدم وسجدة لله تعالى وابليس يرى ما فعلوه وهذا اباؤه فغير الله تعالى
صفته وحالته وصورته وهيئته ونعمته فصار أقبح من كل قبيح قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم قال بعضهم جعل ممسوخا على مثال جسد الخنازير ووجهه كالقردة
وللشيطان نسل وذرية والممسوخ وان كان لا يكون له نسل لكن لما سأل النظرة وأنظر صار له
نسل وفى الخبر قيل له من قبل الحق اسجد لقبر آدم اقبل توبتك وأغفر معصيتك فقال ما سجدت
لقالبه وحيا فكيف أسجد لقبره وميتا وفى الخبر ان الله تعالى يخرجه على رأس مائة ألف سنة
من النار ويخرج آدم من الجنة ويأمره بالسجود لآدم فيأبى ثم يرد الى النار (وكان من
الكافرين) أى فى علم الله تعالى أو صار منهم باستقباحه أمر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا
بأنه أفضل منه والافضل لا يحسن أن يؤمر بالتخضع للمفضول والتوصل به كما أشعر به قوله أنا
خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين
لا بترك الواجب وحده ومذهب أهل السنة أن الشقى قد يسعد والسعيد قد يشقى فالكافر اذا
أسلم كان كافرا الى وقت اسلامه وانما صار مسلما باسلامه الا أنه غفر له ما سلف والمسلم اذا كفر
والعياذ بالله كان مسلما الى ذلك الوقت لانه حبط عمله ثم انما قال من الكافرين ولم يكن حينئذ
كافر غيره لانه كان فى علم الله أن يكون بعده كفار فذكر أنه كان من الكافرين أى من الذين
يكفرون بعده وهذا كما فى قوله فتكونا من الظالمين ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وأنه
قد يفضى بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض فى سره وان الامر
للوجوب وان الذى علم الله من حاله أنه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتم
وان كان بحكم الحال مؤمنا وهى مسئلة الموافاة أى اعتبار تمام العمر الذى هو وقت الوفاة
فاذا كان العبرة بالخاتمة فليسارع العبد الى الطاعات فكل ميسر لما خلق له خصوصا فى آخر
السنة وخاتمتها كى يختم له الدفتر بالعمل الصالح * قالت رابعة العدوية لسفيان الثورى
رحمهما الله انما أنت أيام معدودة فاذا ذهب يوم ذهب بعضك ويوشك اذا ذهب البعض أن
يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل واعتبر ولا تقل ذهب لى درهم ودينار وسقط لى مال وجاه بل قل
ذهب يومى ماذا عملت فيه فان باليوم ينقضى العمر * واحتضر عابد فقال ما أسفى على دار
الاحزان وانما أسفى على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى وعن العلاء
ابن زياد قال ليس يوم يأتى من أيام الدنيا الا يتكلم ويقول يا أيها الناس انى يوم جديد وأنا على

ما يعمل

مايعمل في شهيد وانى لو غربت شمسى لم أرجع اليكم الى يوم القيامة قيل يارسول الله من خير الناس قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وخيف شره ولم يرج خيره * قال الحسن لجلسائه يامعشر الشيوخ ما ينتظر بالزرع اذا بلغ قالوا الحصاد قال يامعشر الشباب فان الزرع قد تدركه الآفة قبل أن يبلغ وأنشد بعضهم

الا مهد لنفسك قبل موت * فان الشيب تمهيد الحمام
وقد جد الرحيل فكن مجدا * لحط الرحل في دار المقام

وعن الحسن قال ابن آدم لا تحمل هم سنة على يوم كفى يومك بما فيه فان تكن السنة من عمرك يأتك الله فيها برزقك والا تكن من عمرك فاراك تطلب ماليس لك * وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال ماطلعت شمس الا وبجنبتيها ملكان يناديان وانهما ليسمعان من على ظهر الارض غير الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم ان ماقل وكفى خير مما كثر وألهى وماغربت شمس قط الا وبجنبتيها ملكان يناديان وانهما ليسمعان من على ظهر الارض غير الثقلين اللهم عجل لمنفق خلفا وعجل لممسك تلفا (قال في المثنوى) نان دهى از بهر حق نانت دهند * جان دهى از بهر حق جانت دهند (وقلنا يا آدم اسكن انت) قال القرطبي في تفسيره لاخلاف أن الله تعالى أخرج ابليس عند كفره وأبعده عن الجنة وبعد اخراجه قال يا آدم اسكن أى لازم الاقامة واتخذها مسكنا وهو محل السكون وليس المراد به ضد الحركة بل اللبث والاستقرار (وزوجك) حواء يقال للمرأة الزوج والزوجة والزوج أفصح كما في تفسير أبي الليث وانما لم يخاطبهما أولا تنبيها على أنه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له (الجنة) هى دار الثواب باجماع المفسرين خلافا لبعض المعتزلة والقدرية حيث قالوا المراد بالجنة بستان كان في أرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وأولوا الهبوط بالانتقال منه الى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وفيه نظر لان الهبوط قد يستعار للانتقال اذا ظهر امتناع حقيقته واستبعادها وهنا ليس كذلك واختلفوا في خلقة حواء هل كان قبل دخول الجنة أو بعده ويدل على الاول ماروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء على سرير من الذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعلى آدم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى أدخلوهما الجنة ويدل على الثانى ماروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه لما خلق الله الجنة واسكن فيها آدم بقى فيها وحده فألقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من الجانب الايسر ووضع مكانه لحما فخلق منه حواء ومن الناس من قال لا يجوز أن يقال خلقت حواء من ضلع آدم لانه يكون نقصانا منه ولا يجوز القول بنقص الانبياء قلنا هذا نقص منه صورة تكميل له معنى لانه جعلها سكنه وأزال بها وحشته وحزنه فلما استيقظ وجدها عند رأسه قاعدة فسألها من انت فقالت انى امرأة فقال ولم خلقت قالت لتسكن الى وأسكن اليك فقالت الملائكة يا آدم ما اسمها قال حواء قالوا ولم قال لانها خلقت من حى أو لانها أصل كل حى أو لانها كانت في ذقنها حوة أى حمرة مائلة الى السواد وقيل في شفتها وسميت مرأة لانها خلقت من المرء كما أن آدم سمى بآدم لانه خلق من أديم الارض وعاشت بعد آدم سبع سنين وسبعة أشهر وعمرها تسعمائة سنة وسبع وتسعون سنة * واعلم أن الله تعالى خلق واحدا من أب

دون أم وهو حوّاء وآخر من أم دون أب وهو عيسى وآخر من أب وأم أى أولاد آدم وآخر من غير أب وأم أى آدم فسبحان من أظهر من عجائب صنعه ما يتحير فيه العقول ثم اعلم أن الله تعالى خلق حوّاء لامر تقتضيه الحكمة ليدفع آدم وحشته بها لكونها من جنسه وليبقى الذرّية على ممرّ الازمان والايام الى ساعة القيام فان بقاءها سبب لبعثة الانبياء وتشريع الشرائع والاحكام ونتيجة لامر معرفة الله فان الله تعالى خلق الخلق لاجلها وفى الزوجية منافع كثيرة دينية ودنيوية وأخروية ولم يذكر الله تعالى فى كتابه من الانبياء الا المتزوجين وقالوا ان يحيى عليه السلام قد تزوج لنيل الفضل واقامة السنة ولكن لم يجامع لكون ذلك عزيمة فى تلك الشريعة ولذلك مدحه الله بكونه حصورا وفى الاشباه ليس لنا عبادة شرعت من عهد آدم الى الآن ثم تلك العبادة لا تستمر فى الجنة الا الايمان والنكاح قيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من المتأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب هذا كله لكون التزوج سببا لبقاء النسل وحفظا من الزنا والترغيب فى النكاح يجرى الى ما يجاوز المائة الاولى من الالف الثانى كما قال عليه السلام اذا أتى على أمتى مائة وثمانون سنة بعد الالف فقد حلت العزوبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وذلك لان الخلق فى المائتين أهل الحرب والقتل فتربية جرو حينئذ خير من تربية ولد وأن تلد المرأة حية خير من أن تلد الولد (كما قال السعدى) زنان باردار اى مرد هشيار * اكر وقت ولادت مار زايند * ازان بهتر بنزديك خردمند * كه فرزندان ناهموار زايند * (وكلا منها) أى من ثمار الجنة وجه الخطاب اليهما ايذانا بتساويهما فى مباشرة المأمور به فان حوّاء اسوة له فى الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيها ثم معنى الامر بهذا والشغل به مع أنه اختصه واصطفاه وللخلافة أبداه أنه مخلوق والذى يليق بالخلق هو السكون بالخلق والقيام باستجلاب الحظ (رغدا) أى اكلا واسعا رافها بلا تقدير وتقتير (حيث شئتما) أى مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر فى التناول من الشجرة المنهى عنها من بين أشجارها الفائتة للحصر (ولا تقربا) بالاكل ولو كان النهى عن الدنو لضمت الراء (هذه الشجرة) الشجرة نصب على أنه بدل من اسم الاشارة أو نعت له بتأويلها بمشتق أى هذه الحاضرة من الشجر أى لا تأكلا منها وانما علق النهى بالقربان منها مبالغة فى تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها البرّ والسنبلة وهو الاشهر والاجمع والانسب عند الصوفية لان النوع الانسانى ظهر فى دور السنبلة وعليها من كل لون وثمرها أحلى من العسل وألين من الزبد وأشد بياضا من الثلج كل حبة من حنطتها مثل كلية البقر وقد جعلها الله رزق أولاده فى الدنيا ولذلك قيل تناول سنبلة فابتلى بحرث السنبلة أو المراد الكرم ولذلك حرمت علينا او التين ولهذا ابتلاه الحق باللباس من ورقها كما ابتلاه بثمرها وهو البلاء الحسن وقيل غير ذلك والاولى عدم تعيينها لعدم النص القاطع (فتكونا من الظالمين) مجزوم على أنه معطوف على تقربا أو منصوب على أنه جواب للنهى والمعنى على الاول لا يكن منكما قربان الشجرة وكونكما من الظالمين وعلى الثانى ان تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين وأياما كان فالقرب أى الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين أى الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعصية أو نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل

بالكرامة والنعيم اوتعدوا حدود الله قال القرطبي قال بعض أرباب المعانى فى قوله ولا تقربا اشعار بالوقوع فى الخطيئة والخروج من الجنة وأن سكناه مافيها الايدوم لان المخلد لايحظر عليه شئ ولا يؤمر ولا ينهى والدليل على هذا قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة فدل على خروجه منها قال الشيخ نجم الدين قدس سره ان آدم خاطبه مولاه خطاب الابتلاء والامتحان والنهى نهى تعزز ودلال كأنه قال يا آدم أبحت لك الجنة ومافيها الا هذه الشجرة فانها شجرة المحبة والمعرفة والمحبة مطية المحنة وأن منعه منها كان تحريضا على تناولها فان الانسان حريص على مامنع فسكنت نفس آدم الى حواء والى الجنة ومافيها الا الى الشجرة المنهى عنها لانها كانت مشتهى القلب وكان للنفس فيها حظ ولا يزال يزداد توقانه اليها فقصدها حتى تناول منها فظهر سر الخلافة والحكمة والمحبة والتحقق بمظاهر الجمال والجلال كالتواب والغفور والعفو والقهار والستار والحاصل أنه لما علم الله تعالى أنه يأكل من الشجرة نهاه ليكون أكله عصيانا يوجب توبة ومحبة وطهارة من تلوث الذنب كما قال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فأورثه ذلك النهى عن أكل الشجرة عصيانا بسبب النسيان ثم توبة بسبب العصيان ثم محبة بسبب التوبة ثم طهارة بسبب المحبة كما ورد فى الخبر اذا أحب الله عبدا لم يضره الذنب أى حفظه من الذنب واذا وقع فيه وفقه للتوبة والندامة وكل زلة عاقبتها التوبة والتشريف والاجتباء فقيل هى زلة تنزيه واستحقاق آدم اللوم بالنهى التنزيهى من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين قال مرجع طريقتنا الجلوتية الشيخ الشهير بالهدائى قدس سره المراد بالدعوة الى الجنة الدعوة الى مقام الروح فى وجود بنى آدم كأنه قال لقلب الانسان يا آدم القلب اسكن أنت وزوجك وهى النفس الانسانية فى الروح بالطاعات والعبادات وكلا منها رغدا أى كلا من المعارف الالهية لان الروح مقام المعرفة التى تحصل بسبب الطاعات والعبادات حيث شئتما اى عمل أحببتما من الخيرات والصالحات ولا تقربا هذه الشجرة أى شجرة المخالفة فان هذا الخطاب لما كان يشمل عامة العباد الى يوم القيامة لم يحصر فى آدم وحواء عليهما السلام فينبغى للمؤمن أن يترقى الى الله تعالى بسبب الطاعات والعبادات ويجتنب عن المخالفات حتى لا يقع فى المهالك والدركات (قال فى المثنوى) * داروى مردى بخوار اندر عمل * تا شوى خورشيد گرم اندر حمل * جهد كن تا نور تو رخشان شود * تا سلوك وخدمتت آسان شود * تا جلا باشد مرين آينه را * كه صفا آيد زطاعت سينه را * (فأزلهما الشيطان عنها) أى اذهب آدم وحواء وأبعدهما عن الجنة يقال زل عن كذا اذا ذهب والازلال الازلاق والزلة بالفتح الخطأ وهو الزوال عن الصواب من غير قصد والمقصود حملهما على الزلة بطريق التسبب وهو بالوسوسة وبالغرور والدعاء فان قلت ابليس كافر والكافر لا يدخل الجنة فكيف دخل هو قلت منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء (فأخرجهما مما كانا فيه) من النعيم والكرامة ولم يقصد ابليس اخراج آدم من الجنة وانما قصد اسقاطه من مرتبته وابعاده كما أبعد فلم يبلغ مقصده قال الله تعالى فتاب عليه وهدى قال الشيخ صدر الدين قدس سره فى الفكوك لم يسمع آدم قول ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين او تكونا من الخالدين صدقه هو وزوجته وهذه القضية تشتمل على

To: www.al-mostafa.com

امرين مشكلين لم ارأحدا تنبه لهما ولا اجاب احد من اهل العلم الظاهر والباطن عنهما وهو أنه
عليه السلام بعد سجود الملائكة له بأجمعهم ومشاهدة رجحانه عليهم بذلك وبعلم الاسماء والخلافة
ووصية الحق له كيف اقدم على المخالفة وتشوّف بقول ابليس الا أن تكونا ملكين وكيف
لم يعلم ايضا أن من دخل الجنة المعرّفة بلسان الشريعة لم يخرج منها وأن النشأة الجنانية لا تقبل
الكون والفساد فهي لذاتها تقتضي الخلود وكانت هذه الحال تدل دلالة واضحة على أن الجنة التي
كان فيها ليست الجنة التي عرضها السموات والارض والتي أرضها الكرسيّ الذي هو الفلك
الثامن وسقفها عرش الرحمن فان تلك الجنة لا يخفى على من دخلها أنها ليست محل الكون
والفساد ولا أن يكون نعيمها موقتا ممكن الانقطاع فان ذلك المقام يعطي بذاته معرفة ما تقتضيه
حقيقته وهو عدم انقطاع نعيمها بموت أو غيره كما قال الله تعالى عطاء غير مجذوذ أي غير منقطع
ولا متناه فافهم فحال آدم وحوّاء في هذه القضية كحال بني اسرائيل الذين قال الله في حقهم
أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم الآية ولهذه المناسبة
والمشاركة أردف الحق قصة آدم في سورة البقرة بقصة موسى وبني اسرائيل مع ما بينهما من
طول المدة فراعى سبحانه في ذلك المضاهاة في الفعل والحال دون الزمان فهذا من اسرار القرآن
انتهى كلام الشيخ فان قلت ما الحكمة في أن الله تعالى لم يخلق الانسان في الجنة ابتداء ولم
ابتلاه بالخروج الى الدنيا قلت تعظيم النعم على العباد واجب فلو لم يخلقوا في الدنيا ابتداء ما عرفوا
قدر الجنة وقيل ليكونوا في الجنة على الجزاء لا على الابتداء وليأمنوا الزوال وقيل خلقنا في الدنيا
ليميز الله الخبيث من الطيب والمطيع من المخالف لاقتضاء الصفات الجلالية لأن الجنان ليست
من مظاهر الجلال ولو خلقنا وبقينا في الجنة لما ظهر فينا صفات الجلال كما لم تظهر في الملك
فالحكمة الالهية اقتضت خلق الانسان في الدنيا وظهور المخالفة منه ليظهر فيه الرحمة
والغفران فلو بقي آدم في الجنة لفاته نصف الكمال الذي هو التجليات القهرية فخرج ليتحقق
بمظاهر أسماء الجمال والجلال ثم يرد الى عالم الجنان كاملا مكملا بأنواع الفضائل والكمالات
والمقصود أيضا كما سبق تمييز الخبيث من الطيب وقد قدر الله تعالى أن يخرج من صلبه سيد
المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم واخوانه من الانبياء والاولياء والمؤمنين وخمر طينته بتراب كل
مؤمن وعدو فأخرجه الى الدنيا ليخرج من ظهره الذين لا نصيب لهم في الجنة قال الشيخ الكامل
المكمل على دده في هامش كشف الكنوز وحل الرموز وهو كتاب فريد في فنه وجدت تذكرة
السؤال من بعض الملاحدة على كرسي سيدي ابن نور الدين في مجلس وعظ بجامع آيا صوفية (من
كلام خواجه حافظ شيرازي) * من ملك بودم وفردوس برين جايم بود * آدم آورد درين دير
خراب آبادم * فأجاب الشيخ بديهة وفهم مراد الملحد عن السؤال فقال انت اخرجت آدم من
الجنة حيث هجت في صلبه باستعداد الفساد والالحاد ولو لم يخرج أبونا آدم لبقيت الملاحدة
زالضجرة في الجنة فاقتضت غيرة الحق خروجه * وسئل أبو مدين قدس سره عن خروج آدم من
الجنة على وجه الارض ولم تعدّى في اكل الشجرة بعد النهي فقال لو كان أبونا يعلم أنه يخرج من
صلبه مثل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لصار يأكل عرق الشجرة فكيف ثمرها المسارع في
الخروج على وجه الارض ليظهر الكمال المحمديّ والجمال الاحمديّ * وسأل خليل الرحمن

صلوات الله على نبينا وعليه فقال يارب لم أخرجت آدم فقال اما علمت أن جفاء الحبيب شديد * وقال مرجع طريقتنا الجلوتية الشيخ الشهير بافتاده أفندي سر خروج آدم من الجنة أنه رأى مرتبة من مراتب التوحيد أعلى من مرتبته التي هو فيها فسأل الهامن الله تعالى فقيل له لا تصل اليها الا بالبكاء فأحب آدم أن يبكي فقيل ان الجنة ليست موضع البكاء بل هي موضع السرور فطلب أن ينزل الى الدنيا فكون ما صدر عنه ذنبا بالنسبة اليه باعتبار قصور مرتبته عن المرتبة المطلوبة على نهج حسنات الابرار سيئات المقربين كذا في واقعات الهدائي قال الشيخ نجم الدين قدس سره والاشارة أن آدم عليه السلام أصبح محمول العناية مسجود الملائكة متوجا بتاج الكرامة ملبسا بلباس السعادة في وسطه نطاق القربة وفي جيده طوق الزلفة لا احد فوقه في الرتبة ولا شخص معه في الرتبة يتوالى عليه النداء كل لحظة يا آدم فلما جاء القضاء ضاق الفضاء (قال في المثنوى) * چون قضا آيد رود دانش بخواب * مه سيه كردد بكيرد آفتاب * فلم يمس حتى نزع لباسه وسلب استئناسه تدفعه الملائكة بعنف أن اخرج بغير مكث ولا بحث فازالهما بداالتقدير بحسن التدبير عنها اى عن تلك العزة والقرابة وكان الشيطان المسكين في هذا الامر كذئب يوسف لما أخذ بالجناية ولطخ فمه بدم كذب واخوته قد ألقوه في غيابة الجب فأخذ الشيطان لعدم العناية ولاح خرطومه بدم نصح كذب فاخرجهما مما كانا فيه من السلامة الى الملامة ومن الفرح الى الترح ومن النعمة الى النقمة ومن المحبة الى المحنة ومن القربة الى الغربة ومن الالفة الى الكلفة ومن الوصلة الى الفرقة وكان قبل أكل الشجرة مستأنسا بكل شئ ومؤانسا مع كل احد ولذلك سمي انسانا فلما ذاق شجرة المحبة استوحش من كل شئ واتخذ كل احد عدوا وهكذا شرط صحة المحبة عداوة ماسوى المحبوب فكما أن ذات المحبوب لا يقبل الشركة في التعبد كذا لا يقبل الشركة في المحبة ولهذا قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو وكذا كان حال الخليل في البداية يتعلق بالكوكب والقمر والشمس ويقول هذا ربي فلما ذاق شجرة الخلة قال لا أحب الآفلين اني برئ مما تشركون فانهم عدو لي الارب العالمين (وقلنا اهبطوا) خطاب لآدم وحواء وجمع الضمير لانهما اصلا الجنس فكأنهما الجنس كله وقيل هو لهما وخامسهم الطاوس وهذا الامر وان انتظمهم في كلمة فما كان هبوطهم جملة بل هبط ابليس حين لعن وهبوط آدم وحواء كان بعده بكثير الا أن يحمل على أن ابليس أخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة ودلت كلمة اهبطوا على أنهما كانا في جنة الخلد حيث امرا بالانحدار وهو النزول من علو الى سفل وقد سبق في الآيات السابقة ماسبق قال القرطبي في تفسيره ان التحقيق في اهباطه وبكاه في الارض ما قد ظهر من الحكمة الازلية في ذلك وهي نشر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الاخروي اذ الجنة والنار ليستا بدار تكليف فكانت تلك الاكلة سبب اهباطهما من الجنة فأخرجهما لانهما خلقا منها وليكون آدم خليفة الله في الارض ولله أن يفعل ما يشاء وقد قال اني جاعل في الارض خليفة وهذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة شريفة انتهى كلام القرطبي فهبوطه من الجنة هبوط التشريف والامتحان والتمييز بين قبضتي السعادة والشقاوة لان ذلك من مقتضيات الخلافة الالهية على ما في كشف الكنوز وذهب اكثر المفسرين على أن المعنى انزلوا استخفافا بكم لكن القول ما قالت حذام قال

المولى الشهير بابن الكمال فى رسالة القضاء والقدر عتاب آدم عليه السلام فى قوله تعالى ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب تلطيف لا عتاب تعنيف وتعذيب وتنزيله من السماء الى الارض بقوله اهبطوا (منها جميعا) تكميل وتبعيد تقريب كما فى قول الشاعر * سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * (بعضكم لبعض عدو) حال استغنى فيها عن الواو بالضمير أى متعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله والعدو يصلح للواحد والجمع ولهذا لم يقل اعداء فابليس عدو لهما وهما عدو لابليس والحية عدو لبنى آدم وهم عدو لها هى تلسعهم وهم يدمغونها وابليس يفتنهم وهم يلعنونه وكذا العداوة بين ذرية آدم وحواء بالتحاسد فى الدنيا والاختلاف فى الدين والعداوة مع ابليس دينية فلا ترتفع ما بقى الدين والعداوة مع الحية طبيعية فلا ترتفع ما بقى الطبع ثم هذه عداوة تأكدت بيننا وبينهم لكن حزبا يكون الله معهم كان الظفر لهم ثم قوله بعضكم لبعض عدو اخبار عن كونه أى التعادى لا أمر بتحصيله ولما قال بعضكم لبعض عدو قال آدم الحمد لله حيث لم يقل أنا لكم عدو والعدو هو المجاوز حده فى مكروه صاحبه (ولكم فى الارض مستقر) أى موضع قرار على وجهها او فى القبور ثم المستقر ثلاثة رحم الام قال تعالى فمستقر ومستودع اى مستودع فى صلب الاب واستقر فى رحم الام والثانى الدنيا قال تعالى ولكم فى الارض مستقر والثالث العقبى اما فى الجنة قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واما فى النار قال تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما الآية (ومتاع) أى تمتع بالعيش وانتفاع به (الى حين) الى آخر أعماركم وهو حين الموت او الى القيامة قال بعض العلماء فى قوله تعالى الى حين فائدة لآدم عليه السلام ليعلم أنه غير باق فيها ومنتقل الى الجنة التى وعد بالرجوع اليها وهى لغير آدم دالة على المعاد فحسب ولما هبطوا وقع آدم بارض الهند على جبل سرنديب ولذلك طابت رائحة اشجار تلك الاودية لما معه من ريح الجنة وكان السحاب يمسح رأسه فاصلع فاورث اولاده الصلع ووقعت حواء بجدة وبينهما سبعمائة فرسخ والطاوس بمرج الهند والحية بسجستان او باصفهان وابليس بسدّ يأجوج ومأجوج وسجستان أكثر بلاد الله حيات ولولا العربدة تأكلها وتفنى كثيرا منها لاخليت سجستان من اجل الحيات وكانوا فى أحسن حال فابتلى آدم بالحرث والكسب وحواء بالحيض والحبل والطلق ونقصان العقل والميراث وجعل الله قوائم الحية فى جوفها وجعل قوتها التراب وقبح رجلى الطاووس وجعل ابليس بأقبح صورة وأفضح حالة وكان مكث آدم وحواء فى الجنة من وقت الظهر الى وقت العصر من يوم من ايام الآخرة وكل يوم من ايامها كألف سنة من ايام الدنيا ذكر أن الحية كانت خادم آدم عليه السلام فى الجنة فخانته بأن مكنت عدوه من نفسها واظهرت العداوة له هناك فلما اهبطوا تأكدت العداوة فقيل لها أنت عدو بنى آدم وهم اعداؤك وحيث لقيك منهم احد شدخ رأسك قال عليه السلام اقتلوا الحيات واقتلوا ذات الطفيتين والابتر فانهما يخطفان البصر ويسقطان الحبل خصهما بالذكر مع أنهما داخلان فى العموم ونبه على ذلك لسبب عظيم ضررهما وما لم يتحقق ضرره فما كان منها فى غير البيوت قتل أيضا لظاهر الامر العام وما كان فى البيوت لا يقتل حتى يؤذن ثلاثة أيام لقوله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد أسلموا فاذا رأيتم منها شيأ فآذنوه ثلاثة أيام قال ابن الملك فى شرح المشارق والجن لا يكونه جمعا الطيفا يتشكل بشكل الحيات والجان من الحيات التى

نهى عن قتلها وهى حية بيضاء صغيرة تمشى ولا تلتوى والصحيح أنّ النهى عن قتل الحيات ليس مختصا بالمدينة بل ينهى عن قتل حيات البيوت فى جميع البلاد لانّ الله تعالى قال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية والابتر وذات الطفيتين تقتلان من غير ايذان سواء كانتا من حيات المدينة أم لا واذا رأى أحد شيأ من الحيات فى المساكن يقول أنشدكم بالعهد الذى أخذه عليكم نوح عليه السلام وأنشدكم بالعهد الذى أخذه عليكم سليمان عليه السلام أن لا تؤذونا فاذا رأى منها شيأ بعد فليقتله ومن خاف من مضرّة الحية والعقرب فليقرأ سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين فانه يسلم باذن الله تعالى واعلم أنّ ما كان من الحيوانات أصله الاذية فانه يقتل ابتداء لاجل أذيته من غير خلاف كالحية والعقرب والفأر والوزغ وشبهها وفى حواشى الخبازى على الهداية قتل الحيوان امّا لدفع المضرّة أو لجلب المنفعة * قال الفقير جامع هذه المجالس الانيقة يدخل فيه قتل نحلة العسل ودود القز ونحوهما اذا لم يكن جلب منفعتها بدون القتل فالحية أبدت جوهرها الخبيث حيث خانت آدم بأن أدخلت ابليس بين فكيها ولو كانت تنذره ما تركها تدخل به وقال ابليس أنت فى ذمّتى فأمر صلى الله عليه وسلم بقتلها وقال اقتلوها وان كنتم فى الصلاة يعنى الحية والعقرب والوزغة نفخت على نار ابراهيم عليه السلام من بين سائر الدوابّ فلعنت وفى الحديث من قتل وزغة فكأنما قتل كافرا والوزغة من ذوات السموم وتفسد الطعام خصوصا الملح واذا لم تجد طريقا الى افساده ارتقت السقف وألقت خرءها فيه من موضع يحاذيه لجبلتها على الخبث والافساد والفأرة أبدت جوهرها بأن عمدت الى حبال سفينة نوح عليه السلام فقطعتها والغراب أبدى جوهره حيث بعثه نبىّ الله نوح عليه السلام من السفينة ليأتيه بخبر الارض فأقبل على جيفة ونزل وكذا الحدأة والسبع العادى والكلب العقور كله فى معنى الحية والامر بقتل المذكور من باب الارشاد الى دفع المضرّة (قال السعدى) سنك بردست ومار برسر سنك * خيره رايى بود قياس ودرنك * وقال أيضا * ترحم بر پلنك تيزدندان * ستمكارى بود بر كوسفندان * وفى التأويلات النجمية انه لما استقرت حبة المحبة كالبذر فى قلب آدم جعل الله شخص آدم مستقر قلبه وجعل الارض مستقر شخصه وقال ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين أى التمتع والانتفاع لبذر المحبة بماء الطاعة والعبودية الى حين ادراك ثمرة المعرفة كقوله تعالى تؤتى أكلها كل حين باذن ربها وعلى التحقيق ما كانت ثمرة شجرة المخلوقات الا المعرفة لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أى ليعرفون وثمرة المعرفة وان ظهرت على أغصان العبادة ولكن لا تنبت الا من حبة المحبة كما أخبر النبىّ عليه السلام انّ داود عليه السلام قال يا رب لماذا خلقت الخلق قال كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لاعرف فثبت أنّ بذر المعرفة هو المحبة (قال فى المثنوى) آفتاب معرفت را نقل نيست * مشرق او غير جان وعقل نيست * (فتلقى آدم من ربه كلمات) الفاء للدلالة على أنّ التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المأمور به ومن ثمة قال القرطبىّ انّ آدم تاب ثم هبط واليه الاشارة بقوله تعالى اهبطوا ثانيا ومنه يعرف أنّ الامر بالهبوط ليس للاستخفاف ومشوبا بنوع سخط اذ لا سخط بعد التوبة فآدم أهبط بعد أن تاب الله عليه ومعنى تلقى الكلمات استقبالها بالاخذ

والقبول والعمل بها حين علمها فان قلت ما هى قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية (قال
الحافظ) زاهد غرور داشت سلامت نبرد راه * رند از ره نياز بدار السلام رفت * وعن ابن
مسعود رضى الله عنه أن أحب الكلام الى الله تعالى ما قال أبونا آدم حين اقترف الخطيئة
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر
الذنوب الا أنت وعن النبى صلى الله عليه وسلم أن آدم قال بحق محمد أن تغفر لى قال وكيف عرفت
محمدا قال لما خلقتنى ونفخت فى الروح فتحت عينى فرأيت على ساق العرش لا اله الا الله محمد
رسول الله فعلمت أنه أكرم الخلق عليك حتى قرنت اسمه باسمك فقال نعم وغفر له بشفاعته
أو الكلمات هى قول آدم عند هبوطه من الجنة يا رب ألم تخلقنى بيدك من غير واسطة قال بلى قال
يا رب ألم تسكنى جنتك قال بلى قال يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يا رب أرأيت ان
أصلحت ورجعت وتبت أراجعى أنت الى الجنة قال نعم فالكلمات هى العهود الانسانية
والمواثيق الآدمية والمناجاة الربانية من الخليفة الى حضرة الحق تعالى فتاب آدم الى الله
بالرجوع عن المعصية والاعتراف بذنبه والاعتذار بخطئه وسهوه (فتاب عليه) أى فرجع
الرب عليه بالرحمة وقبول التوبة وأصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن
المعصية الى الطاعة واذا وصف به البارى تعالى أريد به الرجوع عن العقوبة الى المغفرة والفاء
للدلالة على ترتبه على تلقى الكلمات المتضمن لمعنى التوبة وتمام التوبة من العبد بالندم على ما كان
وبترك الذنب الآن وبالعزم على أن لا يعود اليه فى مستأنف الزمان وبرد مظالم العباد وبارضاء
الخصم بايصال حقه اليه باليد والاعتذار منه باللسان واكتفى بذكر آدم عليه السلام لان حواء
كانت تابعة له فى الحكم ولذلك طوى ذكر النساء فى أكثر القرآن والسنن (انه هو التواب)
الرجاع على عباده بالمغفرة أو الذى يكثر اعانتهم على التوبة (الرحيم) المبالغ فى الرحمة وفى الجمع
بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب
عليه (قال فى المثنوى) مركب توبه عجايب مركبست * بر فلك تازد بيك لحظه زپست * چون
برارند از پشيمانى انين * عرش لرزد از انين المذنبين * قال ابن عباس رضى الله عنهما بكى آدم
وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ولم يقرب آدم
حواء مائة سنة وقال شهر بن حوشب بلغنى أن آدم لما هبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع
رأسه حياء من الله تعالى قالوا لو أن دموع أهل الارض جمعت لكانت دموع داود أكثر حيث
أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الارض جمعت لكانت دموع آدم أكثر
حيث أخرجه الله من الجنة (قال فى المثنوى) چون خدا خواهد كه ما يارى كند * ميل ما را
جانب زارى كند * اى خنك چشمى كه آن كريان اوست * وى همايون دل كه آن
بريان اوست * آخر هر كريه آخر خنده ايست * مرد آخر بين مبارك بنده ايست * باش چون
دولاب نالان چشم تر * تا زصحن جانت بر رويد خضر * فاذا كان حال من اقترف خطيئة دون
صغيرة هكذا فكيف حال من انغمس فى بحر العصيان والتوبة بمنزلة الصابون فكما أن الصابون
يزيل الاوساخ الظاهرة فكذا التوبة تزيل الاوساخ الباطنة والعبد اذا رجع عن السيئة وأصلح
عمله أصلح الله شأنه وأعاد عليه نعمته الفائتة * عن ابن أدهم بلغنى أن رجلا من بنى اسرائيل

ذبح عجلا بين يدي أمه فيبست يده فبينما هو جالس اذ سقط فرخ من وكره وهو يتبصبص فأخذه ورده الى وكره فرحمه الله لذلك ورد عليه يده بما صنع ولا ريب أن العمل الصالح يمحو الخطيآت * وفي التأويلات النجمية ان أول نبت أنبتته أمطار الالهامات الربانية من حبة المحبة في قلب آدم وطينة الانسانية كان نبات ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين لانه أبصر بنور الايمان أنه ظالم لنفسه اذ أكل حبة المحبة ووقع في شبكة المحنة والمذلة وان لم يعنه ربه بمغفرته ويتبه برحمته لم يتخلص من حضيض بشريته الذي أهبط اليه ويخسر رأس مال استعداد السعادة الازلية ولم يمكنه الرجوع الى ذروة مقام القربة فاستغاث الى ربه وقال ربنا مضطرا وكانت الحكمة في ابعاده بالهبوط هذا الاضطرار والدعاء فانه يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء فبسابقة العناية أخذ بيده وأفاض عليه سجال رحمته فتاب عليه انه هو التواب الرحيم التائبين فأخرج من نبات الكلمات شجرة الاجتباء وأظهر على دوحتها زهرة التوبة وأثمرتها ثمرة الهداية وهي المعرفة كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (قلنا) استئناف مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا (اهبطوا منها) أي من الجنة (جميعا) نصب على الحال من ضمير الجمع تأكيد في المعنى للجماعة من آدم وحواء وابليس والحية والطاوس كأنه قيل اهبطوا أنتم أجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد وكرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع في أمنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك ولان الاول دل على أن هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف فاختلف المقصود وكان يصح لو قرن المعنيان بذكر الهبوط مرة لكن اعترض بينهما كلام وهو تلقيه الكلمات ونيله قبول التوبة فأعاد الاول ليتصل المعنى الثاني به وهو الابتلاء بالعبادة والثواب على الطاعة والعقاب على المعصية قال في الارشاد والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدي الى النجاة والنجاح ومافيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا أوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين ثم ان في الآية دليلا على أن المعصية تزيل النعمة عن صاحبها لان آدم قد أخرج من الجنة بمعصية واحدة وهذا كما قال القائل

اذا تم أمر دنا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم

اذا كنت في نعمة فارعها * فان المعاصي تزيل النعم

قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (فاما يأتينكم مني) أي ان يأتينكم والفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر به (هدى) أي رشد وبيان شريعة برسول أبعثه اليكم وكتاب أنزله عليكم والخطاب في قوله يأتينكم لآدم والمراد ذريته وابليس وذريته لم يأتهم كتاب ولا رسول ولا يكون منهم اتباع وجواب الشرط هو الشرط الثاني مع جوابه وهو قوله تعالى (فمن تبع هداي) أي اقتدى بشريعتي وكرر لفظ الهدى ولم يضمر بأن يقال فمن تبعه لانه أراد بالثاني أعم من الاول وهو ما أتى به الرسل من الاعتقاديات والعمليات واقتضاه العقل أي فمن تبع ما أتاه من قبل الشرع مراعيا فيه ما يشهد به العقل من الادلة الآفاقية والانفسية (فلا خوف عليهم) في الدارين من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون)

من فوات مطلوب فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع أى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه
يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا أنه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن أصلا بل
يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله
وهيبته واستقصار الجد والسعى فى اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين
(والذين كفروا) عطف على من تبع الخ قسيم له كأنه قيل ومن لم يتبعه الخ وانما أوثر عليه
ما ذكر تنصيصا على الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة
الكفرة أى والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم (وكذبوا بآياتنا) المنزلة عليهم أو كفروا بالآيات
جنانا وكذبوا بها لسانا (أولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الكفر
والتكذيب (أصحاب النار) ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها وفى الصحبة معنى
الوصلة فسموا أصحابها لاتصالهم بها وبقائهم فيها فكأنهم ملكوها فصاروا أصحابها (هم فيها)
أى فى النار (خالدون) دائمون والجملة فى حيز النصب على الحالية ففى هاتين الآيتين دلالة على
أن الجنة فى جهة عالية دل عليه قوله تعالى اهبطوا منها وأن متبع الهدى مأمون العاقبة لقوله
تعالى فلا خوف الخ وأن عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وأن غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله
تعالى هم فيها خالدون فانه يفيد الحصر واعلم أن الشرف فى اتباع الهدى كما قيل * سك اصحاب
كهف روزى چند * پى نيكان كرفت ومردم شد * فالمؤمن بين أن يطيع الله فيثيبه بالنعيم
وبين أن يعصيه فيعاقبه بالجحيم ومن العجب أن الجمادات وغير المكلفين من العباد يخافون عذاب
الله ويقومون بحقوق الله ولا يخافه المكلفون كما روى عن مالك بن دينار رحمه الله أنه مر يوما
على صبى وهو يلعب بالتراب يضحك تارة ويبكى أخرى قال فهممت أن أسلم عليه فامتنعت
نفسى تكبرا فقلت يا نفس كان النبى صلى الله عليه وسلم يسلم على الصغار والكبار فسلمت عليه
فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا مالك بن دينار فقلت من أين عرفتنى ولم تكن رأيتنى
فقال حيث التقت روحى بروحك فى عالم الملكوت عرّف بينى وبينك الحى الذى لا يموت فقلت
ما الفرق بين العقل والنفس قال نفسك التى منعتك عن السلام وعقلك الذى بعثك عليه فقلت
ما بالك تلعب بهذا التراب فقال لانا منه خلقنا واليه نعود فقلت أراك تضحك تارة وتبكى أخرى
قال نعم اذا ذكرت عذاب ربى بكيت واذا ذكرت رحمته ضحكت فقلت يا ولدى أى ذنب لك حتى
تبكى فقال يا مالك لا تقل هذا فانى رأيت أمى لا توقد الحطب الكبار الا ومعها الحطب الصغار
(قال فى المثنوى) طفل يك روزه همى داند طريق * كه بكريم تا رسد دايه شفيق * تو نمى دانى
كه دايه دايكان * كم دهد بى كريه شير او رايكان * كفت فليبكوا كثيرا كوش دار *
تا برد شير فضل كردكار * والاشارة فى تحقيق الآيتين أن الله تعالى لما ابتلى آدم بالهبوط
الى الارض بشره بأن الهامه ووحيه لا ينقطع عنه ولا ينقطع عن ذريته هداه بواسطة أنبيائه
ووحيه وانزال كتبه فاما يأتينكم منى هدى فمن أتاه منهم هدى من الهامى ووحيى ورسولى
وكتابى فمن تبع هداى كما تبعه آدم بالتوبة والنوح والبكاء والاستغفار وتربية بذر المحبة بالطاعة
والعبودية حتى تثمر التوحيد والمعرفة فلا خوف عليهم فى المستقبل من وبال افساد بذر المحبة
من طينة الصفات الحيوانية والسبعية وابطال استعداد السعادة الابدية باستيفاء التمتعات

الدنيوية ولاهم يحزنون على هبوطهم الى الارض لتربية بذر المحبة اذهم رجعوا بقبس الهداية
وجذبات العناية الى أعلى ذروة حظائر القدس كما قال تعالى وان الى ربك الرجعى ثم ذكر من كفر
بهداه وجعل النار مثواه فقال والذين كفروا أى ستروا بذر المحبة بتعلقات الشهوات النفسانية
وظلموا أنفسهم بتكذيب الآيات البينات من الجهالة الانسانية حتى أفسدوا الاستعداد
الفطرى وكذبوا بآياتنا أى معجزات أنبيائنا وكتبنا وما أنزلنا على الانبياء بالوحى والالهام
والرشد فى تربية بذر المحبة وتثمير الشجرة الانسانية بثمار التوحيد والمعرفة والبلوغ الى درجات
القربات ونعيم الجنات والغرفات أولئك أصحاب النار نار جهنم ونار القطيعة هم فيها خالدون
لانهم خلدوا فى أرض الطبيعة واتبعوا أهواءهم فما انبتت بذر محبتهم بماء الشريعة فبقوا بافساد
استعدادهم فى دركات الجحيم وخسران النعيم خالدين مخلدين (يابنى اسرائيل) البنون اسم
للذكور والاناث اذا اجتمعوا واسرائيل اسم يعقوب عليه السلام ومعناه عبد الله لان اسرا
بلغة العبرانية وهى لغة اليهود بمعنى العبد وايل هو الله أى يا أولاد يعقوب والخطاب لليهود
المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم الذين كانوا حوالى المدينة من بنى قريظة والنضير وكانوا
من أولاد يعقوب وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما أنهم أوفر الناس نعمة وأكثرهم
كفرا بها (اذكروا نعمتى) الذكر بضم الذال بالقلب خاصة بمعنى الحفظ الذى يضاد النسيان
والذكر بكسر الذال يقع على الذكر باللسان والذكر بالقلب يكون أمرا بشكر النعمة باللسان
وحفظها بالجنان أى احفظوا بالجنان واشكروا باللسان نعمتى لان النعمة اسم جنس بمعنى
الجمع قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها (التى أنعمت) بها (عليكم) وفيه اشعار بأنهم
قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا أنهم أهملوا شكرها فقط وتقييد النعمة بكونها عليهم
لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما أنعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على
الكفران والسخط ولذا قيل لا تنظر الى من هو فوقك فى الدنيا لئلا تزدرى بنعمة الله عليك فان
من نظر الى ما أنعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر قال أرباب المعانى ربط سبحانه
وتعالى بنى اسرائيل بذكر النعمة وأسقطه عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى ذكره فقال
اذكرونى أذكركم ليكون نظر الامم من النعمة الى المنعم ونظر أمة محمد من المنعم الى النعمة والنعمة
مالم يحجبك عن المنعم (وأوفوا) أتموا ولا تتركوا (بعهدى) الذى قبلتم يوم الميثاق وهو عام
فى جميع أوامره من الايمان والطاعة ونواهيه ووصاياه فيدخل فى ذلك ما عهده تعالى اليهم
فى التوراة من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والعهد حفظ الشئ ومراعاته حالا فحالا والمراد منه
الموثق والوصية والعهد هنا مضاف الى الفاعل (أوف بعهدكم) أتمم جزاءكم بحسن الاثابة
والقبول ودخول الجنة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد وهو مضاف الى المفعول فان الله
عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعد لهم
بالثواب على حسناتهم وأول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله حقن المال
والدم وآخرها منا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث نغفل عن أنفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله
الفوز باللقاء الدائم كما قال القشيرى أوفوا بعهدى فى دار المحنة أوف بعهدكم فى دار القربة
على بساط الوصلة بادامة الانس والرؤية وأوفوا بعهدى بقولكم أبدا ربى ربى أوف بعهدكم

بجوابكم أبدا عبدى عبدى (واياى) نصب بمحذوف تقديره واياى ارهبوا (فارهبون) فيما تأتون وتذرون وخصوصا فى نقض العهد لا بارهبون لان ارهبون قد أخذ مفعوله والاصل ارهبونى لكن حذفت الياء تخفيفا لموافقة رؤس الآى والفاء الجزائية دالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل ان كنتم راهبين شيأ فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد لقوله أوف والوعيد لقوله واياى فارهبون دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وأن المؤمن ينبغى أن لا يخاف أحدا الا الله للحصر المستفاد من تقديم اياى (وآمنوا) يا بنى اسرائيل (بما أنزلت) افراد الايمان بالقرآن بالامر به بعد اندراجه تحت العهد لما أنه العمدة القصوى فى شأن الوفاء بالعهد أى صدقوا بهذا القرآن الذى أنزلته على محمد (مصدقا لما معكم) أى حال كون القرآن مصدقا للتوراة لانه نازل حسبما نعت فيها وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضى الايمان بما يصدقه قطعا (ولا تكونوا أول) فريق (كافر به) أى بالقرآن فان وزر المقتدى يكون على المبتدى كما يكون على المقتدى (قال فى المثنوى) هركه بنهد سنت بدأى فتا * تادر افتد بعد او خلق از عما * جمع كردد بروى آن جمله بزه * كاو سرى بودست وايشان دم غزه * أى لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم أن تكونوا أول من آمن به لما أنكم تعرفون شأنه وحقيقته بطريق التلقى مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون أبناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم أول كافر به ودلت الآية على أنه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة فكذبه يهود المدينة ثم بنو قريظة وبنو النضير ثم خيبر ثم تتابعت على ذلك سائر اليهود (ولا تشتروا بآياتى) أى لا تأخذوا لانفسكم بدلا منها (ثمنا قليلا) هى الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويعطونهم الرشا على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يجرون عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا فلما كان لهم رياسة عندهم ومآكل منهم خافوا أن يذهب ذلك منهم اى من الاحبار لو آمنوا بمحمد واتبعوه وهم عارفون صفته وصدقه فلم يزالوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويغيرون نعت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما حكى أن كعب بن الاشرف قال لاحبار اليهود ما تقولون فى محمد قالوا انه نبى قال لهم كان لكم عندى صلة وعطية لو قلتم غير هذا قالوا أجبناك من غير تفكر فأمهلنا نتفكر وننظر فى التوراة فخرجوا وبدلوا نعت المصطفى بنعت الدجال ثم رجعوا وقالوا ذلك فاعطى كل واحد منهم صاعا من شعير وأربعة أذرع من الكرباس فهو القليل الذى ذكره الله فى هذه الآية الكريمة (قال فى المثنوى) بود در انجيل نام مصطفا * آن سر پيغمبران بحر صفا * بود ذكر حليها وشكل او * بود ذكر غزو وصوم واكل او * (واياى فاتقون) بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا وأعاده لان معنى الاول اخشوا فى نقض العهد وهذا معناه فى كتمان نعت محمد أولان الخطاب بالآية الاولى لما عم العالم والمقلد أمرهم بالرهبة التى هى مبدأ السلوك وبالثانية لما خص أهل العلم أمرهم بالتقوى الذى هو منتهاه (ولا تلبسوا الحق

بالباطل

بالباطل) عطف على ماقبله واللبس بالفتح الخلط أى لاتخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه
وتكتبونه حتى لايميز بينهما أو لاتجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتبونه فى خلاله
أو تذكرونه فى تأويله (و) لا (تكتموا الحق) باضمار لا أو نصب باضمار أن على أن الواو للجمع أى
لاتجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه فقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل هو نهى عن التغيير وقوله
وتكتموا الحق هو نهى عن الكتمان لانهم كانوا يقولون لانجد فى التوراة صفة محمد صلى الله عليه
وسلم فاللبس غير الكتمان (وأنتم تعلمون) أى حال كونكم عالمين بأنكم لابسون كاتمون أو وأنتم
تعلمون أنه حق نبى مرسل وليس ايراد الحال لتقييد المنهى به بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل قد
يعذر وفى التيسير يجوز صرف الخطاب الى المسلمين والى كل صنف منهم وبيانه أيها السلاطين
لاتخلطوا العدل بالجور وأيها القضاة لاتخلطوا الحكم بالرشوة وكذا كل فريق فهذه الآية
وان كانت خاصة ببنى اسرائيل فهى تتناول من فعل فعلهم فمن أخذ رشوة على تغيير حق وابطاله
أو امتنع من تعليم ما وجب عليه أو أداء ما علمه وقد تعين عليه حتى يأخذ عليه أجرا فقد دخل فى
مقتضى الآية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تعلم علما لايبتغى به وجه الله لايتعلمه الا
ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة أى ريحها فمن رهب وصاحب التقوى
لايأخذ على علمه عوضا ولا على وصيته ونصيحته صفدا بل يبين الحق ويصدع به ولا يلحقه فى ذلك
خوف ولا فزع قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لايمنعن احدكم هيبة أحد أن يقول أو
يقوم بالحق حيث كان وفى التنزيل يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم (حكى) أن سليمان
ابن عبد الملك مر بالمدينة وهو يريد مكة فأقام بها أياما فقال هل بالمدينة أحد أدرك أحدا من
أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا له أبو حازم فأرسل اليه فلما دخل عليه قال له يا أبا حازم ماهذا
الجفاء قال له أبو حازم يا أمير المؤمنين وأى جفاء رأيت منى قال أتانى وجوه أهل المدينة ولم تأتنى
قال يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تقول مالم يكن ما عرفتنى قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك قال
فالتفت الى محمد بن شهاب الزهرى فقال أصاب الشيخ وأخطأت قال سليمان يا أبا حازم مالنا
نكره الموت فقال لانكم خربتم الآخرة وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنتقلوا من العمران الى الخراب
قال اصبت يا أبا حازم فكيف القدوم غدا على الله تعالى قال أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله
وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعرى مالنا عند الله قال اعرض
عملك على كتاب الله قال وأى مكان أجده قال ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال سليمان
فأين رحمة الله يا أبا حازم قال ان رحمة الله قريب من المحسنين قال له سليمان يا أبا حازم فأى عباد الله
أكرم قال أولو المروءة والنهى قال له سليمان فأى الاعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب
المحارم قال سليمان فأى الدعاء أسمع قال دعاء المحسن اليه للمحسن فقال أى الصدقة أفضل
قال على السائل البائس وجهد المقل ليس فيها من ولا أذى قال فأى القول أعدل قال قول الحق
عند من تخافه أو ترجوه قال فأى المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودل الناس عليها
قال فأى المؤمنين أحمق قال رجل انحط فى هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان
أصبت فما تقول فيما نحن فيه قال يا أمير المؤمنين اعفنى قال له سليمان لا ولكن نصيحة تلقيها الى
قال يا أمير المؤمنين ان آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة على غير مشورة

من المسلمين ولا رضاهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة فقد ارتحلوا عنها فلو شعرت ما قالوا وما قيل
لهم فقال رجل من جلسائه بئس ما قلت يا أبا حازم قال أبو حازم كذبت ان الله أخذ ميثاق العلماء
لتبيننه للناس ولا تكتمونه قال سليمان فكيف لنا أن نصلح قال تدعون الصلف وتمسكون بالمروءة
وتقسمون بالسوية قال له سليمان كيف لنا بالمأخذ قال تأخذه من حله وتضعه في أهله قال له سليمان
هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا وتصيب منك قال أعوذ بالله قال ولم ذاك قال أخشى أن أركن
اليكم شيأ قليلا فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات قال له ارفع الينا حوائجك قال تنجيني
من النار وتدخلني الجنة قال له سليمان ليس ذاك الي قال أبو حازم فمالي اليك حاجة غيرها قال
فادع لي قال أبو حازم اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخيري الدنيا والآخرة وان كان عدوك
فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى قال له سليمان عظني قال أبو حازم قد أوجزت وأكثرت ان كنت
من أهله وان لم تكن من أهله فما ينبغي أن أرمي عن قوس ليس لها وتر قال له سليمان أوص قال
سأوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك من حيث أمرك فلما خرج
من عنده بعث اليه بمائة دينار وكتب أن أنفقها ولك عندي مثلها قال فردها عليه وكتب اليه
يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن يكون سؤالك اياي هزلا أو ردي عليك بذلا ما أرضاها لك فكيف
لنفسي ان موسى بن عمران لما ورد ماء مدين وجد عليه رعاء يسقون ووجد من دونهم جاريتين
تذودان فسألهما فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما فلما تولى الى الظل
قال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير وذلك أنه كان جائعا خائفا لا يأمن فسأل ربه ولم يسأل
الناس فلم يفطن الرعاء وفطنت الجاريتان فلما رجعتا الى أبيهما أخبرتاه بالقصة وبقوله فقال
أبوهما وهو شعيب عليه السلام هذا رجل جائع وقال لاحداهما اذهبي فادعيه فلما أتته عظمته
وغطت وجهها وقالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فشق على موسى حين ذكرت أجر
ما سقيت لنا فلم يجد بدا من أن يتبعها لانه كان بين الجبال جائعا مستوحشا فلما تبعها هبت
الريح فجعلت تصفق ثيابها على ظهرها فتصف له عجزها وكانت ذات عجز وجعل موسى يعرض
مرة ويغض أخرى فلما عيل صبره ناداها يا أمة الله كوني خلفي وأريني بقولك فلما دخل على شعيب
اذا هو بالعشاء مهيأ فقال له شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى أعوذ بالله فقال شعيب
لم أما أنت جائع قال بلى ولكني أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من أهل بيت لا نبيع
شيأ من ديننا بملء الارض ذهبا فقال له شعيب لا يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف
ونطعم الطعام فجلس موسى فأكل فان كانت هذه المائة دينار عوضا لما حدثت وتحدثت فالميتة
والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحل من هذه وان كانت لحق لي في بيت المال فلي فيها نظراء
فان ساويت بيننا والا فليس لي فيها حاجة قال القرطبي في تفسيره بعد ايراد هذه الحكاية قلت
هكذا يكون الاقتداء بالكتاب والانبياء انتهى وقد اختلف العلماء في أخذ الاجرة على تعليم القرآن
والعلم لهذه الآية ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا والفتوى في هذا الزمان على جواز الاستئجار
لتعليم القرآن والفقه وغيره لئلا يضيع قال صلى الله عليه وسلم ان أحق ما أخذتم عليه أجرا
كتاب الله والآية في حق من تعين عليه التعليم فأبى حتى يأخذ عليه أجرا فأما اذا لم يتعين فيجوز
له أخذ الاجرة بدليل السنة في ذلك كما اذا كان الغسال في موضع لا يوجد من يغسل الميت غيره

كما فى القرى والنواحى فلا أجرله لتعينه لذلك وأما اذا كان ثمة ناس غيره كما فى الامصار والمدن فله الاجر حيث لم يتعين عليه فلا يأثم بالترك وقد يتعين عليه الا أنه ليس عنده ما ينفقه على نفسه ولا على عياله فلا يجب عليه التعليم وله أن يقبل على صنعته وحرفته ويجب على الامام أن يعين له شيأ والا فعلى المسلمين لان الصديق رضى الله عنه لما ولى الخلافة وعين لها لم يكن عنده ما يقيم به أهله فأخذ ثيابا وخرج الى السوق فقيل له فى ذلك فقال ومن أين أنفق على عيالى فردوه وفرضوا له كفايته وكذا يجوز للامام والمؤذن وأمثالهما أخذ الاجرة وبيع المصحف ليس بيع القرآن بل هو بيع الورق وعمل أيدى الكاتب وقالوا فى زماننا تغير الجواب فى بعض مسائل لتغير الزمان وخوف اندراس العلم والدين منها ملازمة العلماء أبواب السلاطين ومنها خروجهم الى القرى لطلب المعيشة ومنها أخذ الاجرة لتعليم القرآن والاذان والامامة ومنها العزل عن الحرة بغير اذنها ومنها السلام على شربة الخمور ونحوها فافتى بالجواز فيها خشية الوقوع فيما هو أشد منها وأضر كذا فى نصاب الاحتساب وغيره (قال فى المثنوى) عاشقانرا شادمانى وغم اوست * دست مزد واجرت خدمت هم اوست * غير معشوق ار تماشايى بود * عشق نبود هرزه سودايى بود * عشق آن شعلست كوچون برفروخت * هركه جز معشوق باقى جمله سوخت * (واقيموا الصلوة) خطاب لبنى اسرائيل أى اقيموها واعتقدوا فرضيتها وأدوها بشرائطها وحدودها كصلاة المسلمين فان غيرها كلا صلاة (وآتوا الزكوة) كزكاة المؤمنين فان غيرها كلا زكاة والزكاة من زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة فى المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم أو من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واعلم أن الكفار لا يخاطبون باداء ما يحتمل السقوط من العبادات كالصلاة والصوم ولا يعاقبون بتركها عند الحنفية فالتكليف عندهم راجع الى الاعتقاد والقبول (واركعوا مع الراكعين) أى فى جماعاتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس فان الصلاة كالغزو والمحراب كمحل الحرب ولا بد للقتال من صفوف الجماعة فالجماعة قوة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اجتمع من المسلمين فى جماعة أربعون رجلا الا وفيهم رجل مغفور له فالله تعالى اكرم من أن يغفر له ويرد الباقى خائبين خاسرين وانما فضلت صلاة الجماعة على الفذ بسبع وعشرين لان الجماعة مأخوذة من الجمع والجمع أقله ثلاثة وصلاة الانسان وحده بعشر حسنات وعشر حسنات فيها واحدة أصل والتسع تضعيف بفضل الله تعالى فاذا اجتمعت التضعيفات كانت سبعا وعشرين قال القرطبى فى تفسيره وتجب على من أدمن التخلف عن الجماعة من غير عذر العقوبة قال أبو سليمان الدارانى أقمت عشرين سنة لم أحتلم فدخلت مكة فأحدثت بها حدثا فما أصبحت الا احتلمت وكان الحدث أن فاتته صلاة العشاء بجماعة وفى الحديث ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد فرضا أحب اليه من الصلاة ولو كان شئ أحب اليه من الصلاة لتعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد وينبغى للمصلى أن يبالغ فى الحضور وكان السلف لو شغلهم ذكر مال يتصدقون به تكفيرا فالاصل عمل الباطن قال تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى أى من حب الدنيا أو كثرة الهموم ولا ينظر الله تعالى الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه فلا بد من دفع الخواطر (قال فى المثنوى) اول اى جان دفع

شرموش كن * وانكهان درجمع كندم كوش كن * بشنو ازاخبار آن صدر صدور * لاصلاة تم الا
بالحضور * قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى فى وصاياه للعارف الهدائى قدس الله سرهما
اذا شرعت فى الصلاة لا تتفكر فى غير اظهار العبودية وتتميمها فانه اذا تم العبودية يحصل المقصود
وأما فى غير الصلاة فليكن فكرك وملاحظتك نفى نفسك واثبات وحدانيته تعالى فانه المقصود
بالتوحيد ولا شئ أفضل من التوحيد ولذلك كان أول التكاليف فبعد قبول العبد التوحيد
كلف بالصلاة ثم كلف بالصوم لان فيهما اصلاح الطبيعة وبعدهما بالزكاة وفيها اصلاح النفس
بازالة شحها ثم بالحج وفيه نفع للطبيعة من جهة وللنفس من جهة بذل المال وقدم الثلاث الاول
لعمومها للاغنياء والفقراء وأما الاخيران فالفقراء سالمون منهما ثم قال اذا كان بيت الاغنياء
من الجواهر يكون بيت الفقراء من النور حتى يتمنوا أن يكونوا فقراء (قال فى المثنوى) مكرها
دركسب دنيا باردست * مكرها در ترك دنيا واردست * جيست دنيا ازخدا غافل بدن *
نى قماش ونقره وفرزند وزن * كوزه سر بسته اندر آب زفت * ازدل پر بادفوق آب رفت *
باد درويشى جو در باطن بود * بر سر آب جهان ساكن بود * وفى التأويلات النجمية وأقيموا
الصلاة بمراقبة القلوب وملازمة الخضوع والخشوع وآتوا الزكاة أى بالغوا فى تزكية النفس
عن الحرص على الامور الدنيوية والاخلاق الذميمة وتطهير القلب عن رؤية الاعمال السيئة
وترك مطالبة ماسوى الله فانه مع طلب الحق زيادة والزيادة على الكمال نقصان واركعوا مع
الراكعين أى اقتدوا فى الانكسار ونفى الوجود بالمنكسرين الباذلين الوجود لنيل الموجود
(أتأمرون الناس) الخطاب لليهود والامر القول لمن دونك افعل والمراد بالناس سفلتهم (بالبر)
أى الاعتراف بالنبى واتباع الادلة وهو التوسع فى الخير من البر الذى هو الفضاء الواسع والهمزة
تقرير مع توبيخ وتعجب (وتنسون انفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات لان اصل السهو
والنسيان الترك الا أن السهو يكون لما علمه الانسان ولما لم يعلمه والنسيان لما عزب بعد حضوره
كانوا يقولون لفقرائهم الذين لا مطمع لهم فيهم بالسر آمنوا بمحمد فانه حق وكانوا يقولون
للاغنياء نرى فيه بعض علامات نبى آخر الزمان دون بعض فانتظروا الاستيفاء لما ينالون منهم
ويؤخرون أمور أنفسهم فلا يتبعونه فى الحال مع عزيمتهم أن يتبعوه يوما وكذا حال من تمادى فى
العصيان وهو يقول أتوب عند الكبر والشيب وربما يفجؤه الموت فيبقى فى حسرة الفوت
(قال الحافظ) ديدى ان قهقهه كبك خرامان حافظ * كه زسر بنجه شاهين قضا غافل بود
(وأنتم تتلون الكتاب) أى والحال انكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته صلى الله عليه وسلم
الآمرة بالايمان به (أفلا تعقلون) أى أليس لكم عقل تعرفون به أنه قبيح منكم عدم اصلاح
أنفسكم والاشتغال بغيركم والعقل فى الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذى يشد به
وظيف البعير الى ذراعيه لحبسه عن الحراك سمى به النور الروحانى الذى به تدرك النفس العلوم
الضرورية والنظرية لانه يحبس عن تعاطى ما يقبح ويعقل على ما يحسن ومحله الدماغ لان
الدماغ محل الحس وعند البعض محله القلب لان القلب معدن الحياة ومادة الحواس وعند
البعض هو نور فى بدن الآدمى ثم هذا التوبيخ ليس على أمر الناس بالبر بل لترك العمل به فمدار
الانكار والتوبيخ هى الجملة المعطوفة وهى جملة تنسون أنفسكم دون ما عطفت هى عليه وهى

أتأمرون الناس بالبر ولا يستقيم قول من لا يجوز الامر بالمعروف لمن لا يعمل به لهذه الآية بل يجب العمل به ويجب الامر به وقد قال عليه السلام مروا بالمعروف وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه وهذا لانه اذا أمر به مع أنه لا يعمل به فقد ترك واجبا واذا لم يأمر به فقد ترك واجبين فالامر بالحسن حسن وان لم يعمل به ولكن قلما نفعت موعظة من لم يعظ نفسه ومن أمر بخير فليكن أشد الناس مسارعة اليه ومن نهى عن شئ فليكن أشد الناس انتهاء عنه وهذه الآية كما ترى ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وعدم تأثره وأن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الاحمق الخالى عن العقل والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق وتقيم غيرها لا منع الفاسق من الوعظ فان الاخلال بأحد الامرين المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر (يروى) أنه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف فى القلوب وكان كثيرا ما يموت من أهل مجلسه واحد أو اثنان من شدة تأثير وعظه وكان فى بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من أمر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما فى الطريق فقالت

أتهدى الانام ولا تهتدى * ألا ان ذلك لا ينفع

فيا حجر الشحذ حتى متى * تسن الحديد ولا تقطع

فلما سمعها الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفى الى رحمة الله تعالى (قال الحافظ) واعظان كين جلوه در محراب ومنبر ميكنند * چون بخلوت ميروند آن كار ديكر ميكنند * مشكلى دارم ز دانشمند مجلس باز پرس * توبه فرمايان چرا خود توبه كمتر ميكنند * قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة أسرى بى مررت على ناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم يجرون نصيبهم فى نار جهنم فيقال لهم من أنتم فيقولون نحن الذين كنا نأمر الناس بالخير وننسى أنفسنا قال الاوزاعى شكت النواويس الى الله تعالى ما تجده من جيف الكفار فأوحى الله اليها بطون العلماء السوء أنتن مما أنتم فيه وفى الحديث ما من عبد يخطب خطبة الا والله تعالى سائله عنها يوم القيامة ما أراد بها قال الشيخ افتاده افندى لو أن واعظا يرى نفسه خيرا من المستمعين يشكل الامر كذا اذا لم يكن من يصغى الى كلامه مساويا لمن يلطم على قفاه يشكل الامر فلذلك قال عليه السلام كم من واعظ يلعب به الشيطان اللهم الا أن يقول يتنعم بى المسلمون وان كنت معذبا فى النار فهو نوع فناء لكن يخاف أن يجد حظه فى ضمنه وقال أيضا من كان يعظ الناس اما أن يعتقد أنهم يعرفون ما يعرفه أو يعتقد أنهم لا يعرفون ما يعرفه فعلى الاول لا يحتاج الى وعظه وعلى الثانى قد أثبت لهم جهلا ولنفسه فضلا عليهم فهو محض كبر وبالجملة حيل النفس كثيرة لا تتيسر النجاة منها الا بمحض لطف الله تعالى وأدنى الحال أن يلاحظ قوله عليه السلام ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاسق فما دام لم يصل السالك الى الحقيقة لا يتخلص من الورطة قال عليه الصلاة والسلام الناس كلهم سكارى الا العالمون الحديث والمخلصون على خطر عظيم وانما الامن للمخلص بالفتح وهو الواصل الى التوحيد الحقيقى الثانى

عن القهر والكرم الخارج عن حد الوجود والعدم وهو الفناء الكلى وهم الذين أريدوا بقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ولا بد من رعاية الشريعة فى جميع المراتب فان الكمال فيها والا فهو ناقص ولذلك ان المجاذيب لا يخلون عن النقصان الا ترى أن الانبياء عليهم السلام لم يسمع عن واحد منهم عروض السفه والجنون فالكامل فى مرتبة الكمال يكون كامل العقل حتى يحصر بصر البائب فى حال استغراقه اللهم أوصلنا الى الكمال (واستعينوا) يا بنى اسرائيل على قضاء حوائجكم (بالصبر) أى بانتظار الظفر والفرج توكلا على الله تعالى أو بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس (والصلاة) أى التوسل بالصلاة والالتجاء اليها حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب كانهم أى بنى اسرائيل لما أمروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك روى أنه عليه السلام كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وروى أن ابن عباس رضى الله عنهما نعى له بنت وهو فى سفر فاسترجع وقال عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله وأجر ساقه الله ثم تنحى عن الطريق وصلى ثم انصرف الى راحلته وهو يقرأ واستعينوا بالصبر والصلاة (وانها) أى الاستعانة بهما (لكبيرة) لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه (الا على الخاشعين) أى المخبتين الخائفين والخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب أو الخشوع بالبصر والخضوع بسائر الاعضاء وانما لم يثقل عليهم لانهم يستغرقون فى مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجرى عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم وقرة عينى فى الصلاة لان اشتغاله عليه السلام بالصلاة كان راحة له وكان يعد غيرها من الاعمال الدنيوية تعبا (الذين يظنون) أى يوقنون لان الظن يكون يقينا ويكون شكا فهو من الاضداد كالرجاء يكون امنا وخوفا كما فى تفسير الكواشى (انهم ملاقوا ربهم) معاينوه وهو كناية عن شهود مشهد العرض والسؤال يوم القيامة وهو الوجه فيما روى فى الاخبار لقى الله وهو عليه غضبان وما يجرى مجراه وقيل أى يعلمون أنهم يموتون قال النبى عليه الصلاة والسلام من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه وأراد به الموت (وانهم اليه راجعون) أى ويعلمون أنهم راجعون يوم القيامة الى الله تعالى أى الى جزائه اياهم على أعمالهم وأما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين فالصبر على الاذى والطاعات من باب جهاد النفس وقمعها عن شهواتها ومنعها من تطاولها وهو من أخلاق الانبياء والصالحين قال يحيى بن اليمان الصبر أن لا تتمنى حالة سوى ما رزقك الله والرضا بما قضى الله من أمر دنياك وآخرتك وهو بمنزلة الرأس من الجسد (قال الحافظ) كوينند سنك لعل شود در مقام صبر * آرى شود وليك بخون جكر شود * ثم ان الله تعالى وصف جزاء الاعمال وجعل لها نهاية وحدا فقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وجعل جزاء الصدقة فى سبيل الله فوق هذا فقال مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة الآية وجعل أجر الصابرين بغير حساب ومدح أهله فقال انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقد وصف الله نفسه بالصبر كما فى الحديث ليس شئ أصبر على أذى سمعه من الله تعالى انهم ليدعون له ولدا وانه ليعافيهم ويرزقهم ووصف

الله بالصبر انما هو بمعنى الحلم وهو تأخير العقوبة عن المستحقين لها والفرق بين الحليم والصبور ان المذنب لا يأمن العقوبة فى صفة الصبور كما يأمنها فى صفة الحليم وقيل فى الخشوع أتريد أن تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع بأكل الخشن ولبس الخشن لكن الخشوع أن ترى الشريف والدنى فى الحق سواء وتخشع لله فى كل فرض افترض عليك ومن أظهر خشوعا فوق ما فى قلبه فانما أظهر نفاقا على نفاق قال سهل بن عبد الله لا تكون خاشعا حتى تخشع كل شعرة على جسدك وهذا هو الخشوع المحمود لان الخوف اذا سكن القلب أوجب خشوع الظاهر فلا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقا متأدبا متذللا وقد كان السلف يجتهدون فى ستر ما يظهر من ذلك وأما المذموم فتكلفه والتباكى ومطأطأة الرأس كما يفعله الجهال ليروا بعين البر والاجلال وذلك خدع من الشيطان وتسويل من نفس الانسان وكان عمر رضى الله عنه اذا تكلم أسمع واذا مشى أسرع واذا ضرب أوجع وكان ناسكا صدقا وخاشعا حقا كما فى تفسير القرطبى وقال فى التأويلات النجمية واستعينوا بالصبر عن شهوات النفس ومتابعة هواه والصلاة أى دوام الوقوف والتزام العكوف على باب الغيب وحضرة الرب وانها أى الاستعانة بهما لكبيرة أمر عظيم وشأن صعب الا على الخاشعين وهم الذين تجلى الحق لاسرارهم فخشعت له أنفسهم كما قال عليه الصلاة والسلام اذا تجلى الله لشئ خشع له وقال وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا فالتجلى يورث الالفة مع الحق ويسقط الكلفة عن الخلق الذين يظنون أى يوقنون بنور التجلى أنهم ملاقو ربهم أنهم يشاهدون جمال الحق وأنهم اليه راجعون بجذبات الحق التى كل جذبة منها توازى عمل الثقلين (يابنى اسرائيل اذكروا) اشكروا (نعمتى التى أنعمت) بها (عليكم) بانزال المن والسلوى وتظليل الغمام وتفجير الماء من الحجر وغيرها وذكر النعم على الآباء الزام الشكر على الابناء فانهم يتشرفون بشرفهم ولذلك خاطبهم فقال تعالى فضلتكم ولم يقل فضلت آباءكم لان فى فضل آبائهم فضلهم (و) اذكروا (انى فضلتكم على العالمين) من عطف الخاص على العام للتشريف أى فضلت آباءكم على عالمى زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلتهم أنبياء وملوكا مقسطين وهم آباؤهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه السلام وبعده قبل أن يغيروا وهذا كما قال فى حق مريم واصطفاك على نساء العالمين أى نساء زمانك فان خديجة وعائشة وفاطمة أفضل منها فلم يكن لهم فضل على أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى فى حقهم كنتم خير أمة أخرجت للناس كما فى التيسير فالاستغراق فى العالمين عرفى لا حقيقى قال بعضهم من آمن من أهل الكتاب بمحمد صلى الله عليه وسلم كانت له فضيلة على غيره وكان له أجران أجر ايمانه بنبيه وأجر اتباعه محمد صلى الله عليه وسلم وقد روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة يعطيهم الله الاجر مرتين من اشترى جارية فأحسن تأديبها فأعتقها وتزوجها وعبد أطاع سيده وأطاع الله ورجل من أهل الكتاب أدرك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به قال القشيرى أشهد الله بنى اسرائيل فضل أنفسهم فقال فضلتكم على العالمين وأشهد محمدا صلى الله عليه وسلم فضل ربه فقال قل بفضل الله وبرحمته وشتان بين من مشهوده فضل نفسه وبين من مشهوده فضل ربه وشهوده فضل نفسه قد يورث الاعجاب وشهوده فضل ربه يورث الايجاب ثم ان اليهود كانوا

يقولون نحن من أولاد ابراهيم خليل الرحمن ومن أولاد اسحق ذبيح الله والله تعالى يقبل شفاعتهما فينا فردّ الله عليهم فأنزل هذه الآية وقال (واتقوا) أى واخشوا يا بنى اسرائيل (يوما) يوم القيامة أى حساب يوم أو عذاب يوم فهو من ذكر المحل وارادة الحال (لا تجزى) أى لا تقضى فيه ولا تؤدى ولا تغنى فالعائد محذوف والجملة صفة يوم (نفس) مؤمنة (عن نفس) كافرة (شيأ) ماهن الحقوق التى لزمت عليها وهو نصب على المفعول به وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلى قال تعالى لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم وكيف تنفع وقد قال يوم يفر المرء من أخيه الآية (قال فى المثنوى) چون يفر المرء آيد من اخيه * يهرب المولود يوما من أبيه * زان شود هر دوست آن ساعت عدو * كه بت تو بود واز ره مانع او * وهذا فى حق الكفار فأما المؤمن فقد استثناه فقال يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم أى خال عن الشرك (ولا يقبل منها) أى من النفس الاولى المؤمنة (شفاعة) ان شفعت للنفس الثانية الكافرة عند الله لتخليصها من عذابه والشفاعة مصدر الشافع والشفيع وهو طالب قضاء حاجة غيره مأخوذ من الشفع لانه يشفع نفسه بمن يشفع له فى طلب مراده ولا شفاعة فى حق الكافر بخلاف المؤمن قال النبى عليه السلام شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى فمن كذب بها لم ينلها والآيات الواردة فى نفى الشفاعة خاصة بالكفار (ولا يؤخذ منها) أى من المشفوع لها وهى النفس الثانية العاصية (عدل) أى فداء من مال أو رجل مكانها أو قربة تنجو بها من النار والعدل بالفتح مثل الشئ من خلاف جنسه وبالكسر مثله من جنسه وسمى به الفدية لانها تساويه وتقابله وتجرى مجراه (ولاهم ينصرون) أى يعنون من عذاب الله تعالى ومن أيدى المعذبين فلا نافع ولا شافع ولا دافع لهم والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسى والنصرة ههنا أخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر ثم هذه الآية فى غاية البلاغة فانها جمعت ذكر الوجوه التى بها يتخلص المرء من النكبة التى أصابته فى الدنيا وهى أربع ينوب عنه غيره فى تحمل ما عليه أو يفتدى بمال فيخلص منها أو يشفع له شافع فيوهب له أو ينصره ناصر فيمنعه فقطعها الله عنهم جميعا وعن عكرمة انه قال ان الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول يا بنى انى أب لك فى الدنيا وقد احتجت الى مثقال حبة من حسناتك لعلى أنجو بها مما ترى فيقول له ولده انى أتخوف مثل الذى تخوفت أنت فلا أطيق أن أعطيك شيأ ثم يتعلق بزوجته فيقول لها فلانة انى زوج لك فى الدنيا فتثنى عليه خيرا فيقول لها انى أطلب منك حسنة واحدة تهبينها لى لعلى أنجو مما ترين فتقول لا أطيق ذلك انى أتخوف مثل الذى تخوفت منه فيقول الله وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى يعنى من أثقلته الذنوب لا يحمل أحد من ذنبه شيأ (قال السعدى) برفتند هر كس درود آنچه كشت * نماند بجز نام نيكو وزشت * بر آن خورد سعدى كه بيخى نشاند * كسى برد خرمن كه تخمى فشاند * وفى التأويلات النجمية يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ظاهره عام وباطنه خاص مع قوم منهم قد علم الله فيهم خيرا فاسمعهم خطابه فى السر فذكروا نعمته التى أنعم بها عليهم وهى استعداد قبول رشاش نوره يوم خلق الله الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فآمنوا بمحمد عليه السلام من خاصية قبول ذلك

الرشاش كما قال عليه السلام فمن أصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن أخطاه فقد ضل "وأنى فضلتكم على العالمين أى بهذه النعمة أى فضلتكم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بهذه النعمة عند رش النور وعلى من لم يصبهم ذلك النور من العالمين واتقوا يوما أى عذاب يوم يخوف الله العام بأفعاله كما قال واتقوا النار الخ ويخوف الخاص بصفاته كقوله انا نعلم ما يسرون وما يعلنون وقوله ليسأل الصادقين عن صدقهم ويخوف خاص الخاص بذاته كقوله ويحذركم الله نفسه وقوله اتقوا الله حق تقاته لا تجزى نفس عن نفس شيأ والامر يومئذ لله ولا يقبل منها شفاعة فى حق نفسها ولا فى حق غيرها بغير الاذن كقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ولا يؤخذ منها عدل أى فداء لانه ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى والسعى المشكور ما يكون ههنا ولا هم ينصرون لانهم ما نصروا الحق ههنا وقد قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم (واذ نجيناكم) خطاب لبنى اسرائيل أى اذكروا وقت تنجيتنا اياكم أى آباءكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم ومن عادة العرب يقولون قتلنا كم يوم عكاظ أى قتل آباؤنا آباءكم والنجو المكان العالى من الارض لان من صار اليه يخلص ثم سمى كل فائز ناجيا لخروجه من ضيق الى سعة أى جعلنا آباءكم بمكان حريز ورفعناهم عن الاذى (من آل فرعون) وأتباعه وأهل دينه وفرعون لقب من ملك العمالقة ككسرى الملك الفرس وقيصر الملك الروم وخاقان لملك الترك والنجاشى للحبشة وتبع لاهل اليمن والعمالقة الجبابرة وهم أولاد عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام سكان الشام منهم سموا بالجبابرة وملوك مصر منهم سموا بالفراعنة ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد فليس المراد الاستغراق بل الذين كانوا بمصر وفرعون موسى هو الوليد بن مصعب بن الريان وكان من القبط وعمر أكثر من أربعمائة سنة وقيل انه كان عطارا أصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام فدخل مصر فرأى فى ظاهرها حملا من البطيخ بدرهم وفى سوقها بطيخة بدرهم فقال فى نفسه ان تيسر لى أداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين أى العشارين أخذ بطيخة فدخل البلد وما معه الا بطيخة فباعها بدرهم ومضى لوجهه ورأى أهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى أحد سياستهم وكان قد وقع بها وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال أنا أمين المقابر فلا أدعكم تدفنونه حتى تعطونى خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع فى مقدار ثلاثة أشهر مالا عظيما ولم يتعرض له أحد قط الى أن تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فأبوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون أى الى ملك المدينة فقال من أنت ومن أقامك بهذا المقام قال لم يقمنى أحد وانما فعلت ما فعلت ليحضرنى أحد الى مجلسك فأنبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فأحضره ودفعه الى فرعون فقال ولنى أمورك ترنى أمينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت أحوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى أمره فى العدل والاصلاح فلما مات فرعون أقاموه مقامه فكان من أمره ما كان وكان فرعون يوسف عليه السلام ريان وبينهما أكثر من أربعمائة سنة (يسومونكم) أى

يبغونكم (سوء العذاب) وأقبحه بالنسبة الى سائره ويريدونكم عليه ويكلفونكم الاعمال
الشاقة ويذيقونكم ويدعون عليكم ذلك من سام السلعة اذا طلبها والسوم بمعنى البغاء ويبغى
يتعدى الى مفعولين بلا واسطة فلذلك كان سوء العذاب منصوبا على المفعولية ليسومونكم
والجملة حال من ضمير المفعول فى نجيناكم والمعنى نجيناكم مسومين منهم أقبح العذاب كقولك
رأيت زيدا يضربه عمرو أى رأيته حال كونه مضروبا بالعمرو وذلك أن فرعون جعل بنى اسرائيل
خدما وخولا وصنفهم فى الاعمال فصنف يبنون وصنف يحرثون ويزرعون وصنف يخدمونه
ومن لم يكن منهم فى عمل وضع عليهم الجزية وقال وهب كانوا أصنافا فى أعمال فرعون فذووا القوة
ينحتون السوارى من الجبال حتى قرحت أعناقهم وأيديهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها
وطائفة ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة منهم يضربون اللبن ويطبخون الآجر
وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج ضريبة ويؤدونها كل يوم فمن
غربت عليه الشمس قبل أن يؤدى ضريبته غلت يمينه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان
وينسجن وقيل تفسير قوله يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله تعالى (يذبحون أبناءكم)
كأنه قيل ما حقيقة سوء العذاب الذى يبغونه لنا فأجيب بأنهم يذبحون أبناءكم أى يقتلونهم
والتشديد للتكثير كما يقال فتحت الابواب والمراد من الابناء هم الذكور خاصة وان كان الاسم يقع
على الذكور والاناث فى غير هذا الموضع كالبنين فى قوله تعالى يا بنى اسرائيل فانهم كانوا يذبحون
الغلمان لا غير ولذا أريد به الصغار دون الكبار لانهم كانوا يذبحون الصغار (ويستحيون نساءكم)
أى يستبقون بناتكم ويتركونهن حيات وذكر النساء وان كانوا يفعلون هذا بالصغار لانه
سماهن باسم المآل لانهن اذا استبقوهن صرن نساء بعد البلوغ ولانهم كانوا يستبقون البنات
مع أمهاتهن والاسم يقع على الكبيرات والصغيرات عند الاختلاط وذلك أن فرعون رأى
فى منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس فأحاطت بمصر وأخرجت كل قبطى بها ولم تتعرض
لبنى اسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة والسحرة عن رؤياه فقالوا يولد فى بنى اسرائيل غلام يكون
على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل وجمع القوابل
فقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام يولد فى بنى اسرائيل الا قتل ولا جارية الا تركت ووكل
القوابل فكن يفعلن ذلك حتى قيل انه قتل فى طلب موسى اثنى عشر ألف صبى وتسعين ألف
وليد وقد أعطى الله نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه أولئك
المقتولين لو كانوا أحياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة ثم أسرع الموت فى مشيخة بنى
اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا ان الموت وقع فى بنى اسرائيل فتذبح صغارهم
ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون
عليه السلام فى السنة التى لا يذبح فيها وولد موسى فى السنة التى يذبحون فيها فلم يرد اجتهادهم
من قضاء الله شيأ وشمر فرعون عن ساق الاجتهاد وحسر عن ذراع العناد فأراد أن يسبق القضاء
ظهوره ويأبى الله الا أن يتم نوره (وفى ذلكم) اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء (بلاء)
أى محنة وبلية وكون استحياء نسائهم أى استبقائهن على الحياة محنة مع أنه عفو وترك للعذاب
لما أن ذلك كان للاسترقاق والاستعمال فى الاعمال الشاقة ولان بقاء البنات مما يشق على

الآباء ولاسيما بعد ذبح البنين (من ربكم) من جهته تعالى بتسليطهم عليكم (عظيم) صفة للبلاء وتنكيرهما للتفخيم ويجوز أن يشار بذلكم الى الانجاء من فرعون ومعنى البلاء حينئذ النعمة لان أصل البلاء الاختبار والله تعالى يختبر عباده تارة بالمنافع ليشكروا فيكون ذلك الاختبار منحة أى عطاء ونعمة وأخرى بالمضار ليصبروا فيكون محنة فلفظ الاختبار يستعمل فى الخير والشر قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير ومعنى من ربكم أى ببعث موسى وبتوفيقه لتخليصكم منهم والاشارة أن النجاة من آل فرعون النفس الامارة وهى صفاتها الذميمة وأخلاقها الردية فى يوم سوء العذاب للروح الشريف بذبح أبناء الصفات الروحانية الحميدة واستحياء بعض الصفات القلبية لاستخدامهن فى أعمال القدرة الحيوانية لا تمكن الا بتنجية الله كما قال عليه الصلاة والسلام لن ينجى أحدكم عمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضله وفى ذلكم أى فى استيلاء صفات النفس على القلب والروح بلاء عظيم وامتحان عظيم بالخير والشر فمن يهده الله ويصلح باله يرجع اليه الله فى طلب النجاة فينجيه الله ويهلك عدوه ومن يضلله ويخذله أخلد الى الارض واتبع هواه وكان أمره فرطا * ثم فى الآية الكريمة تنبيه على أن ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر فى المسار والصبر على المضار (كما قال الحافظ) اكر بلطف بخوانى مزيد الطافست * وكر بقهر برانى درون ماصافست * وسنته تعالى استدعاء العباد لعبادته بسعة الارزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان مراده تعالى رجوع العباد اليه طوعا وكرها فالاول حال الاحرار والثانى حال الاغيار (قال داود بن رشيد) من أصحاب محمد بن الحسن قمت ليلة فأخذنى البرد فبكيت من العرى فنمت فرأيت قائلا يقول يا داود أنمناهم وأقمناك فتبكى علينا فما نام داود بعد تلك الليلة كذا فى روضة الاخيار (قال فى المثنوى) درد بشتم دادحق تامن زخواب * برجهم درنيم شب باسوز وتاب * دردها بخشيد حق از لطف خويش * تا نخسبم جمله شب چون كاوميش * روى أن الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه أنزلت بعبدى بلائى فدعانى فماطلته بالاجابة فشكانى فقلت عبدى كيف أرحمك من شئ به أرحمك ومن ظن انفكاك لطفه تعالى فذلك لقصور نظره فى العقليات والعاديات والشرعيات أما العقليات فما من بلاء الا والعقل قاض بامكان أعظم منه حتى لو قدرنا اجتماع بلايا الدنيا كلها على كافر وعوقب فى الآخرة بأعظم عذاب أهل النار لكان ملطوفا به اذ الله قادر على أن يعذبه بأكثر من ذلك وأما العاديات فما وجدت قط بلية الا وفى طيها خير وحفها الطف باعتبار قصرها على نوعها اذ المبتلى مثلا بالجذام والعياذ بالله ليس كالاعمى وهما مع الغنى ليسا كهما مع الفقر واجتماع كل ذلك مع سلامة الدين أمر يسير وأما الشرعيات فقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضى اصطفاه وليخفف ألم البلاء عنك علمك بأن الله هو المبتلى اما اعتبارا بأن كل أفعاله جميل أو لانه عودك الفعل الجميل والعطاء الجزيل (و) اذكروا يا بنى اسرائيل (اذ فرقنا) فصلنا (بكم) أى بسبب انجائكم فالباء للسببية وهو أولى لان الكلام مسوق لتعداد النعم والامتنان وفى السببية دلالة على تعظيمهم وهو أيضا من النعم وقيل الباء بمعنى اللام كقوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق أى لان الله (البحر)

وهو بحر القلزم بحر من بحار فارس أو بحر من ورائهم يقال له اساف حتى حصل اثنا عشر مسلكا
بعدد اسباط بنى اسرائيل والسبط ولد الولد والاسباط من بنى اسرائيل كالقبائل من العرب وهم
أولاد يعقوب (فأنجيناكم) أى من الغرق باخراجكم الى الساحل (وأغرقنا) الغرق
الرسوب فى الشئ المائع ورسب الشئ فى الماء رسوبا أى سفل فيه والاغراق الاهلاك فى الماء
(آل فرعون) يريد فرعون وقومه للعلم بدخوله فيهم وكونه أولى به منهم (وأنتم تنظرون) بأبصاركم
انفراق البحر حين سلكتم فيه وانطباقه على آل فرعون بعد سلامتكم منه وأيضا تنظرون اليهم
غرقى موتى حين رماهم البحر الى الساحل قال القرطبى ان الله تعالى لما أنجاهم وأغرق فرعون
قالوا يا موسى ان قلوبنا لا تطمئن أن فرعون قد غرق حتى أمر الله البحر فلفظه فنظروا اليه روى
انه لما دنا هلاك فرعون أمر الله موسى عليه السلام أن يسرى ببنى اسرائيل من مصر ليلا فأمرهم
أن يخرجوا وأن يستعيروا الحلى من القبط وأمر أن لا ينادى أحد منهم صاحبه وأن يسرجوا
فى بيوتهم الى الصبح ومن خرج لطخ بابه بكف من دم ليعلم انه قد خرج فخرجوا ليلا وهم ستمائة
ألف وعشرون ألف مقاتل لا يعدون فيهم ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره والقبط
لا يعلمون ووقع فى القبط موت فجعلوا يدفنونهم وشغلوا عن طلبهم فلما أرادوا السير ضرب عليهم
التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخة بنى اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا ان يوسف
لما حضره الموت أخذ على اخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد
عليهم الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلمه أحد غير عجوز قالت لو دللت على قبره أتعطينى كل
ما سألتك فأبى عليها وقال حتى أسأل ربى فأمره الله باتياء سؤالها فقالت انى عجوز كبيرة لا أستطيع
المشى فاحملنى وأخرجنى من مصر هذا فى الدنيا وأما فى الآخرة فأسألك أن لا تنزل فى غرفة الا
نزلتها معك قال نعم قالت انه فى جوف الماء فى النيل فادع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله أن يؤخر
طلوع الفجر الى أن يفرغ من أمر يوسف فحفر موسى ذلك الموضع واستخرجه فى صندوق من
صنوبر وقالوا ان موسى استخرج تابوت يوسف من قعر النيل بالرفق وهو أول علم أوجده الله
بنفسه وعلمه آدم عليه السلام فتوارثه الانبياء آخرا عن أول ثم انه حمله حتى دفنه بالشام ففتح لهم
الطريق فساروا فكان هرون أمام بنى اسرائيل وموسى على ساقتهم فلما علم بذلك فرعون جمع
قومه فخرج فى طلب بنى اسرائيل وعلى مقدمته هامان فى ألف ألف وسبعمائة ألف وما ذكر
ليس فيها رمكة على رأس كل واحد منهم بيضة وفى يده حربة فسارت بنو اسرائيل حتى وصلوا الى
البحر والماء فى غاية الزيادة فأدركهم فرعون حين أشرقت الشمس فقال فرعون فى أصحاب موسى
ان هؤلاء لشرذمة قليلون فلما نظر أصحاب موسى اليهم بقوا متحيرين فقالوا لموسى انا لمدركون
يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا اليوم نهلك فان البحر أمامنا ان دخلناه غرقنا
وفرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا يا موسى كيف نصنع وأين ما وعدتنا قال موسى كلا ان معى ربى
سيهدين فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فأوحى الله اليه أن كنه
فضربه وقال انفلق يا أبا خالد فانفلق فصار فيه اثنا عشر طريقا كل طريق كالجبل العظيم فكان
لكل سبط طريق يأخذون فيه وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا فخاضت
بنو اسرائيل البحر وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا فقالوا ما لنا لا نرى

اخواننا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فقال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى
حتى نراهم فقال موسى اللهم أعنى على أخلاقهم السيئة فأوحى الله اليه أن قل بعصاك هكذا
وهكذا يمنة ويسرة فصار فيها كوى ينظر بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض فساروا حتى
خرجوا من البحر فلما جاز آخر قوم موسى هجم فرعون على البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى
البحر انفلق من هيبتى حتى أدرك عبيدى الذين أبقوا فهاب قومه أن يدخلوه وقيل له ان كنت
ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم أى ذكر أسود من الخيل ولم يكن
فى قوم فرعون فرس أنثى فجاء جبريل على أنثى وديق وهى التى تشتهى الفحل وتقدمه الى البحر
فشم أدهم فرعون ريحها فاقتحم خلفها البحر أى هجم على البحر بالدخول وهم لا يرونه ولم يملك
فرعون من أمره شيأ وهو لا يرى فرس جبريل وتبعته الخيول وجاء ميكائيل على فرس خلف
القوم يحثهم ويسوقهم حتى لا يشذ رجل منهم حتى خاضوا كلهم البحر ودخل آخر قوم فرعون
وجاز آخر قوم موسى وهم أولهم بالخروج فأمر الله البحر أن يأخذهم فانطبق على فرعون وقومه
فأغرقوا فنادى فرعون لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين القصة وقالت بنو
اسرائيل الآن يدركنا فيقتلنا فلفظ البحر ستمائة وعشرين ألفا عليهم الحديد فذلك قوله تعالى
فاليوم ننجيك ببدنك فلفظ فرعون وهو كأنه ثور أحمر فلم يقبل البحر بعد ذلك غريقا الا لفظه على
وجه الماء واعلم أن هذه الوقعة كما أنها لموسى عليه الصلاة والسلام معجزة عظيمة لأوائل بنى
اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هى عليه من رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم أن
يتلقوها بالاذعان لانه عليه السلام أخبرهم بذلك مع انه كان أميا لم يقرأ كتابا وهذا غيب لم يكن
لعلم عند العرب فاخباره به دل على انه اوحى اليه ذلك وذلك علامة لنبوته فما تأثرت أوائلهم
بمشاهدتها ورؤيتها حيث اتخذوا العجل الها بعد الانجاء ثم صار أمرهم الى أن قتلوا أنبياءهم
ورسلهم فهذه معاملتهم مع ربهم وسيرتهم فى دينهم وسوء أخلاقهم ولا تذكرت أواخرهم
بتذكيرها وروايتها حيث بدلوا التوراة وافتروا على الله وكتبوا بأيديهم واشتروا به عرضا
وكفروا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك فيا لها من عصابة ما أعصاها وطائفة ما أطغاها
وفى الآية تهديد للكافرين ليؤمنوا وتنبيه للمؤمنين ليتعظوا وينتهوا عن المعاصى فى جميع
الاوقات خصوصا فى الزمان الذى أنجى الله فيه موسى مع بنى اسرائيل من الغرق وهو اليوم
العاشر من المحرم وعن ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدم
المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم ما هذا اليوم الذى تصومونه فقالوا هذا يوم
عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فيه فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وأمر بصيامه رواه مسلم وهذا يدل بظاهره على أن النبى عليه السلام انما صام
عاشوراء وأمر بصيامه اقتداء بموسى عليه السلام على ما أخبر به اليهود وليس كذلك لما روته
عائشة رضى الله عنها قالت كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يصومه فى الجاهلية فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان

ترك صيام يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه (يحكى) أنه هرب أسير من الكفار يوم عاشوراء فركبوا في طلبه فلما رأى الفرسان خلفه وعلم أنه مأخوذ رفع رأسه الى السماء وقال اللهم بحق هذا اليوم المبارك أسألك أن تنجيني منهم فأعمى الله أبصارهم جميعا فنجا الاسير فصام ذلك اليوم فلم يجد ما يفطر عليه ويتعشى به فنام فأطعم وسقي في المنام فعاش بعد ذلك عشرين سنة لم يكن له حاجة الى الطعام والشراب قال النبي عليه السلام التمر وافضله فانه يوم مبارك اختاره الله من الايام من صام ذلك اليوم جعل الله له نصيبا من عبادة جميع من عبده من الملائكة والانبياء والمرسلين والشهداء والصالحين هذا في الصوم وأما الصلاة الواردة في يوم عاشوراء فقد ذكرها الشيخ عبد القادر قدس سره عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل فيه ومن صلى أربع ركعات في يوم عاشوراء يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وخمسين مرة قل هو الله أحد غفر الله له ذنوب خمسين عاما مستقبلا وبنى له في الملأ الأعلى ألف منبر من نور ويستحب احياء ليلة عاشوراء ففي الحديث من أحيا ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله بعبادة ملائكته المقربين والاشارة أن البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى هو القلب وقومه صفات القلب وفرعون هو النفس الامارة وقومه صفات النفس وهم أعداء موسى وقومه يطلبونهم ليقتلوهم وهم سائرون الى الله تعالى والعدو من خلفهم وبحر الدنيا أمامهم ولا بد لهم في السير الى الله من العبور على البحر ولا يخوضون البحر بلا ضرب عصا لا اله الا الله على البحر بيد موسى القلب فان له يدا بيضاء في هذا الشأن والا لغرقوا كما غرق فرعون وقومه ولو كانت هذه العصا في يد فرعون النفس لم يكن لها معجزة انفلاق البحر فاذا ضرب بيد موسى القلب بعصا الذكر ينفلق بحر الدنيا وماء شهواتها يمينا وشمالا ويرسل الله ريح العناية وشمس الهداية على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيعبر موسى القلب وصفاته فيجاوزونه وتنجيهم عناية الله الى الساحل وأن الى ربك المنتهى وقيل لفرعون النفس وقومه اغرقوا فادخلوا نارا كذا اصحاب التأويلات النجمية قدس الله تعالى نفسه الزكية (و) اذكروا يا بني اسرائيل (اذ واعدنا) وقت وعدنا وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي أو على أصلها فان الوعد وان كان من الله فقبوله كان من موسى وقبول الوعد شبه الوعد أو أن الله تعالى وعده الوحي وهو وعد المجيء للميقات الى الطور (موسى) مفعول أول لواعدنا (مو) بالعبرانية الماء (وشى) بمعنى الشجر فقلبت الشين المعجمة سينا في العربية وانما سمي به لان أمه جعلته في التابوت حين خافت عليه من فرعون وألقته في البحر فدفعته أمواج البحر حتى أدخلته بين أشجار عند بيت فرعون فخرجت جواري آسية امرأة فرعون يغسلن فوجدن التابوت فأخذنه فسمي عليه السلام باسم المكان الذي أصيب به وهو الماء والشجر ونسبه عليه الصلاة والسلام موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام (أربعين ليلة) أي تمام أربعين ليلة على حذف المضاف مفعول ثان أمره الله تعالى بصوم ثلاثين وهو ذو القعدة ثم زاد عليه عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وشهور العرب وضعت على سير القمر ولذلك وقع بها التاريخ فالليالي أول الشهور والايام تبع لها أو لان الظلمة أقدم من الضوء (ثم اتخذتم العجل) وهو ولد البقرة بتسويل السامري الها ومعبودا (من بعده) أي من بعد مضيه الى الميقات

وانما ذكر لفظة ثم لانه تعالى لما وعد موسى حضور الميقات لانزال التوراة عليه وفضيلة بنى
اسرائيل ليكون ذلك تنبيها للمعاصرين على علو درجتهم وتعريفا للغائبين وتكملة للدين كان
ذلك من أعظم النعم فلما أتوا عقب ذلك بأقبح أنواع الكفر والجهل كان ذلك فى محل التعجب فهو
كمن يقول انى أحسنت اليك وفعلت كذا وكذا ثم انك تقصدنى بالسوء والاذى (وأنتم ظالمون)
باشراككم ووضعكم الشئ فى غير موضعه أى وضع عبادة الله تعالى فى غير موضعها بعبادة العجل
وهو حال من ضمير اتخذتم (ثم عفونا عنكم) أى محونا جريمتكم حين تبتم (من بعد ذلك) أى من
بعد الاتخاذ الذى هو متناه فى القبح فلم نعاجلكم بالاهلاك بل أمهلناكم الى مجىء موسى فنبهكم
وأخبركم بكفارة ذنوبكم (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على
الطاعة فان الانعام يوجب الشكر وأصل الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته العجز
عن الشكر (قال السعدى) خردمند طبعان منت شناس * بدوزند نعمت بميخ سپاس
(واذ آتينا) أعطينا (موسى الكتاب والفرقان) أى التوراة الجامعة بين كونها كتابا وحجة
تفرق بين الحق والباطل كقولك لقيت الغيث والليث تريد الجامع بين الجود والجراءة فالمراد
بالفرقان والكتاب واحد (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه وهذا
بيان الحكمة دون العلة أى الحكمة فى انزاله أن يتدبروا فيه فيعلموا أن الله تعالى لم يفعل ذلك
به الا للدلالة على صحة نبوته فيهتدوا بذلك فى اتباع الرشد واذا فعلتم ذلك آمنتم بمحمد لانه قد أتى
من المعجزات بما يدلكم اذا تدبرتم على صحة دعواه النبوة (روى) أن بنى اسرائيل لما أمنوا من
عدوهم باغراق الله آل فرعون ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها فوعد الله
موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه انى ذاهب لميقات ربى آتيكم بكتاب فيه
بيان ما تأتون وتذرون وواعدهم أربعين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فلما أتى الوعد
جاء جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيأ الا حيى ليذهب بموسى الى ربه فلما رآه
السامرى وكان رجلا صائغا من أهل باجرمى واسمه ميخا ورأى مواضع الفرس تخضر من
ذلك وكان منافقا أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس
قال ان لهذا شأنا وأخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل وقيل انه عرف جبريل لان أمه حين
خافت عليه أن يذبح سنة ذبح فرعون أبناء بنى اسرائيل خلفته فى غابة وكان جبريل يأتيه
فيغذيه بأصابعه فكان السامرى يمص من ابهام يمينه عسلا ومن ابهام شماله سمنا فلما رآه حين
عبر البحر عرفه فقبض قبضة من أثر فرسه فلم تزل القبضة فى يده حتى انطلق موسى الى الطور وكان
السامرى معهم حين خرجوا من البحر وأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى
اجعل لنا الها كما لهم آلهة ووقع فى نفسه أن يفتنهم من هذا الوجه وكان بنو اسرائيل استعاروا
حليا كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فأهلك الله تعالى
فرعون وبقيت تلك الحلى فى أيدى بنى اسرائيل فلما ذهب موسى الى المناجاة عد بنو اسرائيل
اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما قالوا قد تم أربعون ولم يرجع موسى الينا فخالفنا
فقال السامرى هاتوا الحلى التى استعرتموها وان موسى أمرهم أن يلقوها فى حفرة حتى
يرجع ويفعل ما يرى فيها فلما اجتمعت الحلى صاغها السامرى عجلا فى ثلاثة أيام ثم ألقى فيها

القبضة التى أخذها من تراب سنبك فرس جبريل فخرجت عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر
كأحسن ما يكون فصار جسدا له خوار أى صوت كصوت العجل وله لحم ودم وشعر وقيل دخل
الريح فى جوفه من خلفه وخرج من فيه كهيئة الخوار فقال للقوم هذا الهكم واله موسى فنسى
أى أخطأ موسى الطريق وربه هنا وهو ذهب يطلبه فأقبلوا كلهم على عبادة العجل الا هرون مع
اثنى عشر ألفا اتبعوا هرون ولم يتبعه غيرهم وهرون قد نصحهم ونهاهم وقال ياقوم انما فتنتم به وان
ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى وقيل
كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشر وكانت فتنتهم فى تلك العشر فلما مضت الثلاثون ولم
يرجع موسى وظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامرى عكفوا على العجل يعبدونه
قال أبو الليث فى تفسيره وهذا الطريق أصح فلما رجع موسى ووجدهم على ذلك ألقى الالواح
فرفع من جملتها ستة أجزاء وبقى جزء واحد وهو الحلال والحرام وما يحتاجون وأحرق العجل
وذراه فى البحر فشربوا من مائه حبا للعجل فظهرت على شفاههم صفرة وورمت بطونهم فتابوا
ولم تقبل توبتهم دون أن يقتلوا أنفسهم هذه حالهم وأما هذه الامة فلا يحتاجون الى قتل
النفس فى الصورة وتوبتهم الحقيقية انما هى الرجوع الى الله بقتل النفس الامارة التى تعبد
عجل الهوى (قال فى المثنوى) اى شهان كشتيم ما خصم برون * ماند خصمى زو بتر دراندرون
* كشتن اين كار عقل وهوش نيست * شير باطن سخره خركوش نيست * نفس اژدرهاست
او كى مرده است * از غم بى آلتى افسرده است * كر بيابد آلت فرعون او * كه بامر
او همى رفت آب جو * آنكه او بنياد فرعونى كند * راه صد موسى وصد هارون زند *
واعلم أن تعيين عدد الاربعين فى الميعاد لاختصاصه فى الكمالية وذلك لان مراتب الاعداد أربع
الآحاد والعشرات والمئات والالوف والعشرة عدد فى نفسها كاملة كقوله تعالى تلك عشرة
كاملة واذا ضعفت العشرة أربع مرات وهو كمال مراتب الاعداد تكون أربعين وهو كمال
الكمال وهو أعداد أيام تخمير طينة آدم عليه السلام كقوله تعالى خمرت طينة آدم بيدى أربعين
صباحا فللاربعين خاصية وتأثير لم يوجد فى غيره من الاعداد كما قال صلى الله عليه وسلم ان خلق
أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك
الحديث كما ان انعقاد الطلسم الجسمانى على وجه الكنز الروحانى كان مخصوصا بالاربعين
كذلك انحلاله يكون باختصاص الاربعين سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله
تبديلا وأما اختصاص الليل بالذكر فى قوله أربعين ليلة فلمعنيين * أحدهما أن لليل خصوصية
فى التعبد والتقرب كقوله عليه السلام ان أقرب ما يكون العبد من الرب فى جوف الليل وهكذا
قوله عليه السلام ينزل الله كل ليلة الى السماء الدنيا الحديث ولهذا المعنى قال تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم ومن الليل فتهجد به نافلة لك الآية وقال تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام * والآخر أنه لو ذكر اليوم دون الليل يظن أنه موعود بالتعبد فى النهار دون الليل
وانما الليل جعل للاستراحة والسكون كقوله تعالى هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا فلما خص الليل بالذكر علم موسى عليه السلام أن التعبد فى الليل واليوم جميعا كذا
فى التأويلات النجمية قال الشيخ الشهير بافتاده أفندى قدس سره ان النبى عليه السلام لم يعين

الاربعين بل اعتكف فى العشر الاخير ثم فعل موسى عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر والخلوتية أخذوا من ذلك كذا فى واقعات الشيخ الهدائى قدس الله نفسه الزاكية قال فى التأويلات النجمية أيضا الشكر على ثلاثة أوجه * شكر بالاقوال وشكر بالاعمال وشكر بالاحوال * فشكر الاقوال أن يتحدث بالنعم مع نفسه اسرارا ومع غيره اظهارا ومع ربه افتقارا كما قال تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقوله صلى الله عليه وسلم التحدث بالنعم شكر * وشكر الاعمال أن يصرف نعمة الله فى طاعته ولا يعصيه بها ويتدارك ما فاته من الطاعات ويبادره من المعاصى كقوله تعالى اعملوا آل داود شكرا * وشكر الاحوال أن يتجلى المنعم بصفة الشكورية على سر العبد فلا يرى الا المنعم فى النعمة والشكور فى الشكر ويرى المنعم فى النعم والنعمة من المنعم والشكور فى الشكر والشكر من الشكور ويرى وجوده وشكره نعمتين من نعم المنعم ورؤية النعمة فتكون نعمة وجوده مرآة جمال المنعم ويكون شكره مرآة جمال الشكور ورؤية المنعم والنعمة نعمة أخرى الى غير نهاية فيعلم أن لا يقوم بأداء شكره ولا يشكره الا الشكور ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور (و) اذكروا يا بنى اسرائيل هذا هو الانعام الخامس (اذ قال موسى) وقت قوله (لقومه) الذين عبدوا العجل (يا قوم) أى يا قومى والاضافة للشفقة (انكم ظلمتم انفسكم) أى ضررتم انفسكم بايجاب العقوبة عليها ونقصتم الثواب الواجب بالاقامة على عهد موسى (باتخاذكم العجل) أى معبودا قالوا اى شئ نصنع قال (فتوبوا) أى فاعزموا على التوبة والفاء للسببية لان الظلم سبب للتوبة (الى بارئكم) أى من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة والتعرض لعنوان البارئية للارشاد بأنهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذى خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذى هو مثل فى الغباوة وأن من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بأن تسترد هى منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب قالوا كيف نتوب قال (فاقتلوا أنفسكم) أى ليقتل البرئ منكم المجرم وانما قال انفسكم لان المؤمنين اخوة وأخو الرجل كأنه نفسه قال تعالى ولا تلمزوا أنفسكم يعنى ذكر قتل الانفس وأراد به قتل الاخوات وهذا كما قال ولا تلمزوا انفسكم أى ولا تغتابوا اخوانكم من المسلمين كذا فى التيسير وتفسير أبى الليث والفاء للتعقيب وتوبتهم هى قتلهم أى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم كذا فى الكشاف وقال فى التفسير الكبير وليس المراد تفسير التوبة بقتل النفس بل بيان أن توبتهم لا تتم ولا تحصل الا بقتل النفس وانما كان كذلك لان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام أن توبة المرتد لا تتم الا بالقتل (ذلكم) أى التوبة والقتل (خير لكم عند بارئكم) انفع لكم عند الله من الامتناع الذى هو اصرار وفيه عذاب لما أن القتل طهرة من الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية (فتاب عليكم) خطاب منه تعالى أى ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم بارئكم أى قبل توبتكم وتجاوز عنكم وانما لم يقل فتاب عليهم على أن الضمير للقوم لما أن ذلك نعمة أريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم فان قلت انه تعالى أمر بالقتل والقتل لا يكون نعمة قلت ان الله نبههم على عظيم ذنبهم ثم نبههم على ما به يتخلصون من ذلك العظيم وذلك من النعم

فى الدين (انه) الله تعالى (هو التواب) أى الذى يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ فى قبولها منهم (الرحيم) كثير الرحمة للمطيعين امره حيث جعل القتل كفارة لذنوبهم (قال السعدي) فرومانده كانرا برحمت قريب * تضرع كنانرا بدعوت مجيب * روى أنهم لما أمرهم موسى بالقتل قالوا انصبر لامر الله فجلسوا بالافنية محتبين مذعنين وقيل لهم من حل حبوته أومد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردود توبته وأصلت القوم عليهم الخناجر أى جعلوا عليهم الخناجر ورفعوا وضربوهم بها وكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضى لامر الله قالوا ياموسى كيف نفعل فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهرون وبكيا وتضرعا وقالا يارب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة ونزلت التوبة وأمرهم أن يكفوا عن القتل فقتل منهم سبعون ألفا فكان من قتل شهيدا ومن بقى مغفورة ذنوبه وأوحى الى موسى عليه السلام انى أدخل القاتل والمقتول الجنة هذا على رواية أن القاتل من المجرمين على أن معنى قوله فاقتلوا أنفسكم ليقتل بعض المجرمين بعضا فالقاتل هو الذى بقى من المجرمين بعد نزول امر الكف عن القتل والا فالقاتل على الرواية الاخرى هو البرىء كما سبق فى تفسير الآية روى أن الامر بالقتل من الاغلال التى كانت عليهم وهى المواثيق اللازمة لزوم الغل ومن الاصر وهو الاعمال الشاقة كقطع الاعضاء الخاطئة وعدم جواز صلاتهم فى غير المسجد وعدم التطهير بغير الماء وحرمة اكل الصائم بعد النوم ومنع الطيبات عنهم بالذنوب وكون الزكاة ربع مالهم وكتابة ذنب الليل على الباب بالصبح وكما روى أن بنى اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها الى السارية وحبس نفسه على العبادة فهذه الامور رفعت عن هذه الامة تكريما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فالتوبة نعمة من الله انعم بها على هذه الامة دون غيرها ولها اربع مراتب فالاولى مختصة باسم التوبة وهى اول منزل من منازل السالكين وهى للنفس الامارة وهذه مرتبة عوام المؤمنين وهى ترك المنهيات والقيام بالمأمورات وقضاء الفوائت ورد الحقوق والاستحلال من المظالم والندم على ماجرى والعزم على أن لا يعود والمرتبة الثانية الانابة وهى للنفس اللوامة وهذه مرتبة خواص المؤمنين من الاولياء والانابة الى الله بترك الدنيا والزهد فى ملاذها وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس عن النفس هواها والمداومة على جهادها فالنفس اذا تحلت بالانابة دخلت فى مقام القلب واتصفت بصفته لان الانابة من صفات القلب قال تعالى وجاء بقلب منيب والمرتبة الثالثة الاوبة وهى للنفس الملهمة وهذه مرتبة خواص الاولياء والاوبة الى الله من آثار الشوق الى لقائه فالنفس اذا تحلت بالاوبة دخلت فى مقام الروح ومن أمارات الاواب المشتاق أن يستبدل المخالطة بالعزلة ومنادمة الاخدان بالخلوة ويستوحش عن الخلق ويستأنس بالحق ويجاهد نفسه فى الله حق جهاده ساعيا فى قطع تعلقاتها عن الكونين والمرتبة الرابعة وهى للنفس المطمئنة وهذه مرتبة الانبياء وأخص الاولياء قال تعالى ارجعى الى ربك وهى صورة جذبة العناية الربوبية نفوس الانبياء والاولياء تجذبهم من انانيتها الى هوية ربوبيته راضية اى طائعة تلك النفوس شوقا الى لقاء ربها مرضية اى على طريقة مرضية فى

السيل بها باذلة نفسها فى مشاهدة اللقاء طامعة لرفع الاثنينية ودوام الالتقاء قيل لما قدم الحلاج لتقطع يده قطعت اليد اليمنى اولا فضحك ثم قطعت اليد اليسرى فضحك ضحكا بليغا فخاف أن يصفر وجهه من نزف الدم فكب وجهه على الدم السائل ولطخ وجهه بدمه وأنشأ يقول

الله يعلم أن الروح قد تلفت * شوقا اليك ولكني أمنيها
ونظرة منك يا سؤلي ويا أملي * اشهى الي من الدنيا وما فيها
ياقوم اني غريب في دياركموا * سلمت روحي اليكم فاحكموا فيها
ما اسلم النفس للاسقام تتلفها * الا لعلمي بان الوصل يحييها
نفس المحب على الآلام صابرة * لعل مسقمها يوما يداويها

ثم رفع رأسه الى السماء وقال يا مولاي اني غريب فى عبادك وذكرك اغرب مني والغريب يألف الغريب ثم ناداه رجل وقال يا شيخ ما العشق قال ظاهره ما ترى وباطنه دق عن الورى * وفى التأويلات النجمية ان لكل قوم عجلا يعبدونه من دون الله قوم يعبدون عجل الدراهم والدنانير وقوم يعبدون عجل الشهوات وقوم يعبدون عجل الجاه وقوم يعبدون عجل الهوى وهذا ابغضها على الله فالله تعالى يلهم موسى قلب كل سعيد ليقول ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم اى ارجعوا الى الله بالخروج عما سواه ولا يمكنكم الا بقتل النفس فاقتلوا انفسكم بقمع الهوى لان الهوى هو حياة النفس وبالهوى ادعى فرعون الربوبية وعبد بنو اسرائيل العجل وبالهوى أبى واستكبر ابليس أو ارجعوا بالاستنصار على قتل النفس بنهيها عن هواها فاقتلوا انفسكم بنصر الله وعونه فان قتل النفس فى الظاهر يتيسر للمؤمن والكافر فأما قتل النفس فى الباطن وقهرها فأمر صعب لا يتيسر الا لخواص الحق بسيف الصدق وبنصر الحق ولهذا جعل مرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهداء وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رجع من غزو يقول رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وذلك لان المجاهد اذا قتل بسيف الكفار يستريح من التعب بمرة واحدة واذا قتل بسيف الصدق فى يوم ألف مرة يحيا كل مرة نفس على بصيرة أخرى وتزداد فى مكرها فلا يستريح المجاهد طرفة عين من جهادها ولا يأمن مكرها وبالحقيقة النفس هى صورة مكر الحق ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ذلكم خير لكم عند بارئكم يعنى قتل النفس بسيف الصدق خير لكم لان بكل قتلة رفعة ودرجة لكم عند بارئكم فأنتم تتقربون الى الله بقتل النفس وقمع الهوى وهو يتقرب اليكم بالتوفيق للتوبة والرحمة عليكم كما قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وذلك قوله فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم (قال فى المثنوى) عمرا كر بكذشت بيخش اين دمست * آب توبش ده اكر اوبى نمست * بيخ عمرت رابده آب حيات * تادرخت عمر كردد بانبات * (واذ قلتم) هذا هو الانعام السادس أى واذكروا يا بنى اسرائيل وقت قول السبعين من أسلافكم الذين اختارهم موسى حين ذهبوا معه الى الطور للاعتذار عن عبادة العجل وهم غير السبعين الذين اختارهم موسى أول مرة حين أراد الانطلاق الى الطور بعد غرق فرعون لاتيان التوراة (يا موسى لن نؤمن لك) لن نصدقك لاجل قولك ودعوتك على أن هذا كتاب الله وأنك سمعت كلامه وأن الله تعالى أمرنا بقبوله والعمل به (حتى نرى الله جهرة) أى عيانا الا ساتر بيننا وبينه كالجهر فى الوضوح والانكشاف

لان الجهر فى المسموعات والمعاينة فى المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية فكانها مصدر الفعل الناصب أو حال من الفاعل والمعنى حتى نرى الله مجاهرين أو من المفعول والمعنى حتى نرى الله مجاهرا بفتح الهاء (فأخذتكم الصاعقة) هى نار محرقة فيها صوت نازلة من السماء وهى كل امر مهول مميت أو مزيل للعقل والفهم وتكون صوتا وتكون نارا وتكون غير ذلك وانما احرقتهم الصاعقة لسؤالهم ما هو مستحيل على الله فى الدنيا ولفرط العناد والتعنت وانما الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الآخرة وللافراد من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا (وأنتم تنظرون) الى الصاعقة النازلة فان كانت نارا فقد عاينوها وان كانت صوتا فما الا فقد مات بعضهم اولا ورأى الباقون أنهم ماتوا ويسمى هذا رؤية الموت مجازا (ثم بعثناكم) أى احييناكم (من بعد موتكم) بتلك الصاعقة وقيد البعث بقوله من بعد موتكم مع أنه يكون بعد الموت لما أنه قد يكون من الاغماء او من النوم قال قتادة احياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم وكان ذلك الموت بلا أجل وكانت تلك الموتة لهم كالسكتة لغيرهم قبل انقضاء آجالهم ولو ماتوا بآجالهم لم يبعثوا الى يوم القيامة فان قلت كيف يجوز أن يكلفهم وقد أماتهم ولو جاز ذلك فلم لا يجوز أن يكلف اهل الآخرة اذا بعثوا بعد الموت قلنا الذى يمنع من تكليفهم فى الآخرة هو الاماتة ثم الاحياء وانما يمنع من ذلك لانه قد اضطرهم يوم القيامة الى معرفته والى معرفة ما فى الجنة من اللذات وما فى النار من الآلام وبعد العلم الضرورى لا تكليف فاذا كان المانع هو هذا لم يمتنع فى هؤلاء الذين أماتهم الله بالصعقة أن لا يكون قد اضطرهم واذا كان كذلك صح أن يكلفوا من بعد ويكون موتهم ثم الاحياء بمنزلة النوم أو بمنزلة الاغماء (لعلكم تشكرون) نعمة الحياة بالتوحيد والطاعة او لعلكم تشكرون وقت مشاهدتكم بأس الله بالصاعقة نعمة الايمان التى كفرتموها بقولكم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فان ترك النعمة لاجل طلب الزيادة كفران لها اى لعلكم تشكرون نعمة الايمان فلا تعودون الى اقتراح شئ بعد ظهور المعجزة * وأصل القصة أن موسى عليه السلام لما رجع من الطور الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه والسامرى ما قال وأحرق العجل وألقاه فى البحر وندم القوم على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى أن يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين من قومه من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربنا حتى يسمعنا كلامه فسأل موسى عليه السلام ذلك فأجابه الله ولما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا من موسى ذلك الغمام حتى دخل فيه وقال للقوم ادخلوا فكلم الله موسى يأمره وينهاه وكلما كلمه تعالى أوقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع أحد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل لا تفعل فعند ذلك طمعوا فى الرؤية وقالوا ما قالوا فأخذتهم الصاعقة فخروا صعقين ميتين يوما وليلة فلما ماتوا جميعا جعل موسى يبكى ويتضرع رافعا يديه الى السماء يدعو ويقول يا الهى اخترت من بنى اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودى بقبول توبتهم وماذا اقول لهم اذا أتيتهم وقد اهلكت خيارهم لو شئت اهلكتهم من قبل هذا اليوم مع اصحاب العجل اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى

أحياهم الله وردّ اليهم أرواحهم وطلب توبة بنى اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا أن يقتلوا انفسهم قالوا ان موسى عليه السلام سأل الرؤية فى المرّة الاولى فى الطور ولم يمت لان صعقته لم تكن موتا ولكن غشية بدليل قوله تعالى فلما افاق وسأل قومه فى المرّة الثانية حين خرجوا للاعتذار وماتوا وذلك لان سؤال موسى كان اشتياقا وافتقارا وسؤال قومه كان تكذيبا واجتراء ولم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت فانهم ظنوا أنه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام فى الجهات والاحياز المقابلة للرائى وهى محال وليس فى الآية دليل على نفى الرؤية بل فيها اثباتها وذلك أن موسى عليه السلام لما سأله السبعون لم ينههم عن ذلك وكذلك سأل هو ربه الرؤية فلم ينهه عن ذلك بل قال فان استقر مكانه فسوف ترانى وهذا تعليق بما يتصور قال بعض العلماء الحكماء الحكمة فى أن الله تعالى لا يرى فى الدنيا وجوه الاول أن الدنيا دار أعدائه لان الدنيا جنة الكافر الثانى لو رآه المؤمن لقال الكافر لو رأيته لعبدته ولو رآه جميعا لم يكن لاحدهما مزية على الآخر الثالث أن المحبة على غيب ليست كالمحبة على عين الرابع أن الدنيا محل المعيشة ولو رآه الخلق لاشتغلوا عن معايشهم فتعطلت الخامس أنه جعلها بالبصيرة دون البصر ليرى الملائكة صفاء قلوب المؤمنين السادس ليقدر قدرها اذ كل ممنوع عزيز السابع انما منعها رحمة بالعباد لما جبلوا عليه فى هذه الدار من الغيرة اذ لو رآه احد لتصدع قلبه من رؤية غيره اياه كما تصدع الجبل غيرة من أن يراه موسى والاشارة فى الآية أن مطالبة الرؤية جهرة هى تعرض مطالعة الذات عقلا فيوجب سوء الادب وترك الحرمة وذلك من أمارات البعد والشقاوة فمن سطوات العظمة والعزة أخذتهم الرجفة والصعقة اظهارا للعدل ثم افاض عليهم سجال النعم اسبالا للستر على هيئات العبيد والخدم وقال ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون اظهارا للتفضل ومن علامات الوصلة ودلالات السعادة التولى بمكاشفات العزة مقرونا بلاطفات القربة فمن اصلح حاله لم يطلق لسان الجهل بل اتى البيت من بابه وتأدب فى سؤاله وجوابه (قال فى المثنوى) بيش شاهان ميكنى ترك ادب * نار شهوت را ازان كشتى حطب * جون ندارى فطنت ونور هدى * بهر كوران روى را ميزن جلا * ولا بد من قتل النفس الامارة حتى تحكم فى عالم الحقيقة بما شئت قال القشيرى التوبة بقتل النفوس غير منسوخة فى هذه الامة الا أن بنى اسرائيل كان لهم قتل انفسهم جهرا وهذه الامة توبتهم بقتل انفسهم فى انفسهم سرا وأول قدم هو القصد الى الله والخروج من النفس لله قال ولقد توهم الناس أن توبة بنى اسرائيل كانت اشق وليس كما توهموا فان ذلك كان مرة واحدة وأهل الخصوص من هذه الامة قتلهم انفسهم فى كل لحظة كما قيل

ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

(وفى المثنوى) قوت از حق خواهم وتوفيق ولاف * تا بسوزن بركنم اين كوه قاف * سهل شيرى دانكه صفها بشكند * شير آنست آنكه خود را بشكند (وظللنا عليكم الغمام) هذا هو الانعام السابع أى جعلنا الغمام ظلة عليكم يابنى اسرائيل وهذا جرى فى التيه بين مصر والشام فانهم حين خرجوا من مصر وجاوزوا البحر وقعوا فى صحراء لا ابنية فيها امرهم الله تعالى بدخول مدينة الجبارين وقتالهم فقبلوا فلما قربوا منها سمعوا بأن أهلها جبارون اشداء قامة

أحدهم سبعمائة ذراع ونحوها فامتنعوا وقالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا
قاعدون فعاقبهم الله بأن يتيهوا في الارض أربعين سنة وكانت المفازة يعني التيه اثني عشر
فرسخا فأصابهم حر شديد وجوع مفرط فشكوا الى موسى فرحمهم الله فأنزل عليه عمودا من نور
يدلى لهم من السماء فيسير معهم بالليل يضيء لهم مكان القمر اذا لم يكن قمر وأرسل غماما أبيض
رقيقا أطيب من غمام المطر يظللهم من حر الشمس في النهار وسمي السحاب غماما لانه يغم السماء
أي يسترها والغم حزن يستر القلب ثم سألوا موسى الطعام فدعا ربه فاستجاب له وهو قوله تعالى
(وانزلنا عليكم المن) أي الترنجبين بفتح الراء وتسكين النون كان أبيض مثل الثلج كالشهد
المعجون بالسمن أو المن جميع ما من الله به على عباده من غير تعب ولا زرع ومنه قوله عليه الصلاة
والسلام الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين أي مما من الله على عباده والظاهر أن مجرد مائها شفاء
لانه عليه السلام اطلق ولم يذكر الخلط ولما روى عن أبي هريرة انه قال عصرت ثلاثة اكؤ وجعلت
ماءها في قارورة فكحلت منه جارية لي فبرئت باذن الله تعالى وقال النووي رأينا في زماننا
اعمى كحل عينه بمائها مجردا فشفي وعاد اليه بصره ثم لما ملوا من اكله قالوا يا موسى قتلنا هذا المن
بحلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فانزل الله عليهم السلوى وذلك قوله (والسلوى) هو
السماني كانت تحشره عليهم الريح الجنوب وكانت الريح تقطع حلوقها وتشق بطونها وتمعط
شعورها وكانت الشمس تنضجها فكانوا يأكلونها مع المن واكثر المفسرين على انهم يأخذونها
فيذبحونها فكان ينزل عليهم المن نزول الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وتأتيهم السلوى
فيأخذ كل انسان منهم كفايته الى الغد الا يوم الجمعة يأخذ ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت
لانه كان يوم عبادة فان أخذ أكثر من ذلك دود وفسد (كلوا) أي قلنا لهم كلوا (من طيبات)
حلالات (ما رزقناكم) من المن والسلوى ولا ترفعوا منه شيأ ادخارا ولا تعصوا امري فرفعوا
وجعلوا اللحم قديدا مخافة ان ينفد ولو لم يرفعوا لدام عليهم ذلك والطيب ما لا تعافه طبعا ولا تكرهه
شرعا (وما ظلمونا) أي فظلموا بان كفروا تلك النعمة الجليلة وادخروا بعد ما نهوا عنه وما ظلمونا
أي ما بخسوا بحقنا (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) باستيجابهم عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان
ينزل عليهم بلا مؤنة في الدنيا ولا حساب في العقبى فرفعنا ذلك عنهم لعدم توكلهم علينا (قال في
المثنوي) سالها خوردي وكم نامد زخور * ترك مستقبل كن وماضي نكر * قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا خيانة حواء لم تخن انثى
زوجها الدهر واستمر النتن من ذلك الوقت لان البادي للشيء كالحامل للغير على الاتيان به وكذلك
استمرت الخيانة من النساء لان ام النساء خانت بأن أغواها ابليس قبل آدم حتى اكلت من
الشجرة ثم اتت آدم فزينت له ذلك حتى حملته على أن اكل منها فاستمرت تلك الخيانة من بناتها
لازواجها (قال السعدي) كرا خانه آباد وهمخوابه دوست * خدارا برحمت نظر سوي اوست
* قال في الاشباه والنظائر الطعام اذا تغير واشتد تغيره تنجس وحرم واللبن والزيت والسمن اذا
انتن لا يحرم أكله انتهى والاشارة في الآية أنه تعالى لما أدبهم بسوط الغربة أدركهم بالرحمة في
وسط الكربة فأكرمهم بالانعام وظللهم بالغمام ومن عليهم بالمن وسلاهم بالسلوى فلا شعورهم
كانت تطول ولا أظفارهم كانت تنبت ولا ثيابهم كانت تخلق أو تتسخ وتدرن بل كانت تمر

صغارها حسب عوا اصغار والصبيان ولاشعاع الشمس كان ينبسط وكذلك سقته عن حال بينه وبين اختياره يكون ما اختاره خيرا له مما يختاره العبد لنفسه فما ازدادوا بشؤم الطبيعة الا الوقوع فى البلوى كما قيل كلوا من طيبات ما رزقناكم بأمر الشرع وما ظلمونا اذ تصرفوا فيها بالطبع ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالحرص على الدنيا ومتابعة الهوى قال فى التنوير وما أدخلك الله فيه تولى اعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليه فلا تكفر نعمة الله عليك فيما تولانيه من ذلك كان بعضهم يسير فى البادية وقد أصابه العطش فانتهى الى بئر فارتفع الماء الى رأس البئر فرفع رأسه الى السماء وقال أعلم أنك قادر ولكن لا أطيق هذا فلو قيضت لى بعض الاعراب يصفعنى صفعات ويسقينى شربة ماء كان خيرا لى ثم انى أعلم ان ذلك الرفق من جهته فقد عرفت ان مكر الله خفى فلا تغرنك النعم الظاهرة والباطنة ولكن عزمك على الشكر والاقامة فى حد ما أقامك الله فيه والاقتناع وتشبق وقد قال الشيخ أبو عبد الله القرشى من لم يكن كارها لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصى فهى حجاب فى حقه وسترها عنه رحمة فالنعمة كما انها سبب للسعادة كذلك هى سبب للشقاوة استدراجا (قال فى المثنوى) بنده مى نالد بحق ازدرد ونيش * صد شكايت ميكند از رنج خويش * حق همى كويد كه آخر رنج ودرد * مر ترا لابه كنان دوست كرد * اين كله زان نعمت كون ات زند * از در ما دور ومطرودت كند * فلا بد للمؤمن السالك من الفناء عن الذات والصفات والافعال والدور مع الامر الالهى فى كل حال حتى يكون من الصديقين واهل اليقين اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك واجعلنا من الذين معك فى تقلباتهم وكل معاملاتهم آمين آمين آمين بجاه النبى الامين (واذ قلنا) هذا هو الانعام الثامن لانه تعالى أباح لهم دخول البلدة وأزال عنهم التيه اى اذكروا يا بنى اسرائيل وقت قولنا لآبائكم اثر ما انقذتم من التيه (ادخلوا هذه القرية) منصوب على الظرفية اى مدينة بيت المقدس والقرية بفتح القاف وكسرها ما يجتمع فيه الناس اخذا من القرى (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) أى اكلا واسعا هنيئا على ان النصب على المصدرية أو هو حال من الواو فى كلوا أى راغدين متوسعين وفيه دلالة على ان المأمور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى قال فى التيسير أى ابحنا لكم ووسعنا عليكم فتعيشوا فيها انى شئتم بلا تضييق ولا منع وهو تمليك لهم بطريق الغنيمة وذكر الاكل لانه معظم المقصود (وادخلوا الباب) أى بابا من أبواب القرية وكان لها سبعة أبواب والمراد الباب الثانى من بيت المقدس ويعرف اليوم بباب حطة او باب التوبة التى كان يتعبد فيها موسى وهرون ويصليان مع بنى اسرائيل اليها (سجدا) أى ركعا منحنين ناكسى رؤسكم بالتواضع على ان يكون المراد به معناه الحقيقى او ساجدين لله تعالى شكرا على اخراجكم من التيه على أن يكون المراد به معناه الشرعى (وقولوا حطة) رفع بخبرية المبتدا المحذوف أى مسألتنا من الله أن يحط عنا ذنوبنا أو نصب أى حط عنا ذنوبنا حطة وقيل أريد بها كلمة الشهادة أى قولوا كلمة الشهادة الحاطة للذنوب (نغفر لكم) مجزوم على انه جواب الامر من الغفر وهو الستر أى نستر عليكم (خطاياكم) جمع خطيئة ضد الصواب أى ذنوبكم فلا نجازيكم بها لما تفعلون من السجود والدعاء وهم الذين عبدوا العجل ثم تابوا (وسنزيد المحسنين) ثوابا من فضلنا وهم الذين لم يعبدوا العجل والمحسن من

أحسن في فعله والى نفسه وغيره وقيل المحسن من صحح عقد توحيده واحسن سياسة نفسه واقبل
على أداء فرائضه وكف شره وقيل هو الفاعل ما يجمل طبعا ويحمد شرعا واخرج ذلك عن صورة
الجواب الى الوعد ايذانا بأن المحسن بصدد زيادة الثواب وان لم يقل حطة فكيف اذا قالها
واستغفر وانه يقول ويستغفر لا محالة أمرهم بشيئين بعمل يسير وقول صغير فالعمل الانحناء
عند الدخول والقول التكلم بالمقول ثم وعد عليهما غفران السيئات والزيادة في الحسنات (فبدل
الذين ظلموا) أي غير الذين ظلموا انفسهم بالمعصية ما قيل لهم من التوبة والاستغفار (قولا) آخر
مما لا خير فيه فاحد مفعولي بدل محذوف (غير الذي قيل لهم) غير نعت لقولا وانما صرح به مع
استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه روى انهم
قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية وهي لغتهم حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا
بامر الله تعالى وقال مجاهد طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فابوا ان يدخلوه سجدا فدخلوا
يزحفون على استاههم مخالفة في الفعل كما بدلوا القول واما المحسنون ففعلوا ما امروا به ولذا لم
يقل فبدلوا بل قال فبدل الذين ظلموا وظاهره انهم بدلوا القول وحده دون العمل وبه قال جماعة
وقيل بل بدلوا العمل والقول جميعا ومعنى قوله قولا غير الذي قيل لهم أي امرا غير الذي امروا
به فان امر الله قول وهو تغيير جميع ما امروا به (فأنزلنا) أي عقيب ذلك (على الذين ظلموا)
أي غيروا ما امروا به ولم يقل عليهم على الاختصار وقد سبق ذكر الذين ظلموا في الآية لانه سبق
ذكر المحسنين أيضا فلو أطلق لوقع احتمال دخول الكل فيه ثم هذا ليس بتكرار لان الظلم اعم من
الصغائر والكبائر والفسق لا بد وان يكون من الكبائر فالمراد بالظلم ههنا الكبائر بقرينة الفسق
والمراد بالظلم المتقدم هو ما كان من الصغائر (رجزا من السماء) أي عذابا مقدرا والتنوين
للتهويل والتفخيم (بما) مصدرية (كانوا يفسقون) بسبب خروجهم عن الطاعة والرجز في
الاصل ما يعاف ويستكره وكذلك الرجس والمراد به الطاعون روى انه مات في ساعة واحدة
أربعة وعشرون ألفا ودام فيهم حتى بلغ سبعين ألفا وفي الحديث الطاعون رجز ارسل على بني
اسرائيل او على من كان قبلكم فاذا سمعتم ان الطاعون بارض فلا تدخلوها واذا وقع بارض
وانتم بها فلا تخرجوا منها فرارا وفي الحديث أيضا اتاني جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى
بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشأم فالطاعون شهادة لامتي ورحمة لهم ورجس على الكافر
واعلم ان من مات من الطاعون مات شهيدا ويأمن فتنة القبر وكذا الصابر في الطاعون اذا مات
بغير الطاعون يوقى فتنة القبر لانه نظير المرابط في سبيل الله تعالى فالمطعون شهيد وهو من
مات من الطاعون والصابر المحتسب في حكمه وكذا المبطون وهو الميت من داء البطن
وصاحب الاسهال والاستسقاء داخل في المبطون لان عقله لا يزال حاضرا وذهنه باقيا الى
حين موته ومثل ذلك صاحب السل وكذا الغرق شهيد وهو بكسر الراء من يموت غريقا
في الماء وكذا صاحب الهدم بفتح الدال ما يهدم وصاحبه من يموت تحته وكذا المقتول
في سبيل الله وكذا صاحب ذات الجنب والحرق والمرأة الجمعاء وهي من تموت حاملا جامعا ولدها
وليس موت هؤلاء كموت من يموت فجأة أو من يموت بالسام أو البرسام والحميات المطبقة أو القولنج
أو الحصاة فتغيب عقولهم لشدة الألم ولورم أدمغتهم ولفساد أمزجتها واعلم ان الطاعون

مرض يكثر في الناس ويكون نوعا واحدا او الوباء وهو المرض العام قد يكون بطاعون وقد لا يكون وفي الحديث فناء أمتي بالطعن والطاعون قيل يا رسول الله هذا الطعن قد عرفنا فما الطاعون قال وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهادة قال ابن الاثير الطعن القتل بالرمح والوخز طعن بلا نفاذ وهذا لا ينافي قوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر غدة كغدة البعير تخرج في مراق البطن وذلك ان الجني اذا وخز العرق من مراق البطن خرج من وخزه الغدة فيكون وخز الجني سبب الغدة الخارجة والغدة هي التي تخرج في اللحم والمراق أسفل البطن وفي الحديث اذا بخس المكيال حبس القطر واذا كثر الزنا كثر القتل واذا كثر الكذب كثر الهرج والحكمة ان الزنا اهلاك النفس لان ولد الزنا هالك حكما فلذلك وقع الجزاء بالموت الذريع أي السريع لان الجزاء من جنس العمل ألا يرى ان بخس المكيال يجازى بمنع القطر الذي هو سبب لنقص أرزاقهم وكذا الكذب سبب للتفرق والعداوة بين الناس ولهذا يجازى بالهرج الذي هو الفتنة والاختلاط واعاعمت البلية أيضا وقعت لتكون عقوبة على اخوان الشياطين وشهادة ورحمة لعباد الله الصالحين اذ الموت تحفة للمؤمن وحسرة للفاسق ثم يبعثهم الله على قدر أعمالهم ونياتهم فيجازيهم والفرار من الطاعون حرام اذ الفرار نسيان الفاعل المختار كما قال ابن مسعود رضي الله عنه الطاعون فتنة على الفار والمقيم اما الفار فيقول بفراره نجوت واما المقيم فيقول أقمت فمت وفي الحديث الفار من الطاعون كالفار من الزحف والصابر فيه كالصابر في الزحف والزحف الجيش الذي يرى لكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيبا والمراد هنا الفرار من الجيش في الغزو ولكن يجب أن يقيد بالمثل أو الضعف فهذا الخبر يدل على أن النهي عن الخروج للتحريم وانه من الكبائر وليس بعيدا ان يجعل الله الفرار منه سببا لقصر العمر كما جعل الله تعالى الفرار من الجهاد سببا لقصر العمر قال تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا واما الخروج بغير طريق الفرار فرخص فيه لكن الرخصة مشروطة بشرائط صعبة لا يقدر عليها الا الافراد منها حفظ أمر الاعتقاد والتحرز من الاسباب العادية للمرض كالهواء الفاسد وغيره فهو رخصة لكن مباشرة الحمية لاجل الخلاص من الموت سفه وعبث لا يشك في حرمتها عوام المسلمين فضلا عن خواصهم قالوا في بعض الامراض سراية الى ما يجاوره باذن الله تعالى كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان من القرف التلف والقرف بالتحريك مداناة المرضى وأما قوله عليه السلام لا عدوى فانما هو نفي للتعدي طبعا كما هو اعتقاد أهل الجاهلية حيث كانوا يرون التأثير من طبيعة المرض لا نفي للسراية مطلقا والتسبب واجب للعوام والمبتدئين في السلوك والتوكل أفضل للمتوسطين وأما الكاملون فليس يمكن حصر أحوالهم فالتوكل والتسبب عندهم سيان (قال في المثنوى) درحذر شوريدن شور وشرست * رو توكل كن توكل بهترست * با قضا پنجه مزن اى تند وتيز * تا نكيرد هم قضا با تو ستيز * مرده بايد بود پيش حكم حق * تا نيايد زخم از رب الفلق * روى أن جالينوس دفع الى أصحابه قرصين مثل البنادق وقال اجعلوا أحدهما بعد موتي فوق الحديد الذي يعمل عليه الحدادون والآخر في حب مملوء من الماء ثم اكسروا الحب ففعلوا كما أوصى فذاب الحديد في الارض ولم يجدوا منه شيأ وانجمد الماء وقام بلا وعاء قال الحكماء أراد بذلك اني وان قدرت على اذابة

أصلب الاجساد واقامة الماء الذى من طبعه السيلان ماوجدت للموت دواء ولذا قال بعضهم

ألا يا أيها المغرور تب من غير تأخير * فان الموت قد يأتى ولو صيرت قارونا

بسل مات ارسطاليس بقراط بافلاج * وافلاطون ببرسام وجالينوس مبطونا

قال الشافعى رحمه الله أنفس مايداوى به الطاعون التسبيح ووجهه بأن الذكر يرفع العقوبة والعذاب قال تعالى فلولا انه كان من المسبحين وكذا كثرة الصلاة على النبى المحترم صلى الله تعالى عليه وسلم لكن مثل هذا انما يكون مؤثرا اذا اقترن بالشرائط الظاهرة والباطنة اذ ليس كل ذكر وصلاة شفيعا عند الحضرة الالهية (قال فى المثنوى) كر ندارى تو دم خوش در دعا * رو دعا ميخواه از اخوان صفا * هر كرا دل پاك شد از اعتدال * ان دعايش ميرود تاذو الجلال * آن دعاى بيخودى خود ديكرست * ان دعا زو نيست كفت داورست * آن دعا حق ميكند چون او فناست * آن دعا وآن اجابت از خداست * هين بجو اين قوم را اى مبتلا * هين غنيمت دار شان پيش از بلا (واذ استسقى موسى) نعمة أخرى كفروها أى اذكروا أيضا يا بنى اسرائيل اذ سأل موسى السقيا (لقومه) لاجل قومه وكان ذلك فى التيه حين استولى عليهم العطش الشديد فاستغاثوا بموسى فدعا ربه أن يسقيهم (فقلنا) له بالوحى ان (اضرب بعصاك) وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة نورا حملها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فأعطاها موسى (الحجر) اللام اما للعهد والاشارة الى معلوم فقد روى انه كان حجرا طوريا حمله معه وكان خفيفا مربعا كرأس الرجل له أربعة أوجه فى كل وجه ثلاث أعين أو هو الحجر الذى فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى مما رموه به من الادرة فأشار اليه جبريل ان ارفعه فان لله فيه قدرة ولك فيه معجزة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بنو اسرائيل ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمع موسى بأثره يقول ثوبى يا حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى أدرة وهى بالضم نفخة بالخصية * واما للجنس أى اضرب الشئ الذى يقال له الحجر وهو الاظهر فى الحجة أى أبين على القدرة فان اخراج الماء بضرب العصا من جنس الحجر أى حجر كان أدل على ثبوت نبوة موسى عليه السلام من اخراجه من حجر معهود معين لاحتمال أن يذهب الوهم الى تلك الخاصية فى ذلك الحجر المعين كخاصية جذب الحديد فى حجر المغناطيس (فانفجرت) أى فضرب فالفاء متعلقة بمحذوف والانفجار الانسكاب والانبجاس الترشح والرش فالرش أول ثم الانسكاب (منه) أى من ذلك الحجر (اثنتا عشرة عينا) ماء عذبا على عدد الاسباط لكل سبط عين وكان يضربه بعصاه اذا نزل فيتفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس (قد علم كل اناس) أى كل سبط من الاسباط الاثنى عشر (مشربهم) أى عينهم الخاصة بهم أو موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره فى شربه والمشرب المصدر والمكان والحكمة فى ذلك ان الاسباط كانت بينهم عصبية ومباهاة وكل سبط منهم لا يتزوج من سبط آخر وكل سبط أراد تكثير نفسه فجعل الله لكل سبط منهم نهرا على حدة ليستقوا منها ويسقوا دوابهم لكى لا يقع بينهم جدال ومخاصمة وكان ينبع من كل وجه من الحجر ثلاث أعين تسيل كل عين فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنى عشر

ميلا ثم ان الله تعالى قد كان قادرا على تفجير الماء وفلق البحر من غير ضرب لكن أراد أن يربط المسببات بالاسباب حكمة منه للعباد فى وصولهم الى المراد وليترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم فى المعاد ومن أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره فى عجائب صنعه فانه لما أمكن أن يكون من الاحجار مايحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع أن يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض أو لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك قال القرطبي فى تفسيره ماورد من انفجار الماء ونبعه من يد نبينا صلى الله عليه وسلم وبين أصابعه أعظم فى المعجزة فانا نشاهد الماء يتفجر من الاحجار آناء الليل وأطراف النهار ومعجزة نبينا عليه السلام لم تكن لنبي قبل اذلم يخرج الماء من لحم ودم (كلوا) على ارادة القول أى قلنا لهم أو قيل لهم كلوا (واشربوا من رزق الله) هو مارزقهم من المن والسلوى والماء فالاكل يتعلق بالاولين والشرب بالثالث وانما يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا ايذانا بأن الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام (ولا تعثوا فى الارض) العثى أشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا فى الفساد حال كونكم (مفسدين) فالمراد بهذه الحال تعريفهم بأنهم على الفساد لاتقييد العامل والالكان مفهومه مفسدا معنى تمادوا فى الفساد حال كونكم مصلحين وهذا غير جائز والاصل فى العثى مطلق التعدى وان غلب فى الفساد فيكون التقييد بالحال تقييدا للعامل بالخاص ودلت الآية على فضيلة أمة محمد صلى الله عليه وسلم فان بنى اسرائيل احتاجوا الى الماء فرجعوا الى موسى ليسأل واحتاجوا الى البقل والقثاء وسائر المأكولات ففعلوا ذلك وهذه الامة أطلق لهم أن يسألوا الله كل ما احتاجوه قال تعالى واسألوا الله من فضله وقال ادعونى استجب لكم وفيها بشارة عظيمة وسأل موسى ربه الماء لقومه بقولهم وسأل عيسى ربه المائدة بقولهم وسأل نبينا عليه الصلاة والسلام المغفرة لنا بأمر الله تعالى قال واستغفر لذنبك وللمؤمنين فلما أجاب الله لهما فيما سألاه بطلب القوم فلأن يجيب نبينا فيما سأله بأمره أولى وأفادت الآية أيضا اباحة الخروج الى الاستسقاء وهو انما يكون اذا دام انقطاع المطر مع الحاجة اليه فالحكم حينئذ اظهار العبودية والفقر والمسكنة والذلة وقد استسقى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج الى المصلى متواضعا متذللا متخشعا مترسلا متضرعا وروى عن جندب أن أعرابيا دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وقال يارسول الله هلكت الكراع والمواشى وأجدبت الارض فادع الله أن يسقينا فرفع يديه ودعا قال أنس رضى الله عنه والسماء كأنها زجاجة ليس بها قزعة فنشأت سحابة ومطرت الى الجمعة القابلة (قال فى المثنوى) تافرود آيد بلاى دافعى * چون نباشد از تضرع شافعى * تاسقاهم ربهم آيد خطاب * تشنه باش الله أعلم بالصواب * وعدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند أهل الطريقة لانه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه كما قال الشيخ المحقق ابن الفارض قدس سره

ويحسن اظهار التجلد للعدا * ويقبح غير العجز عند الاحبة

وفى الحديث ان تخلو الارض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام فبهم تسقون وبهم تنصرون مامات منهم أحد الا أبدل الله مكانه آخر * گرنداری تودم خوش دردعا * رودعا ميخواه ازاخوان صفا * وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم أنه قال ما عام بأمطر من عام ولكنه اذا عمل قوم بالمعاصي حوّل الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافي قال الشيخ الشهير بافتاده أفندي ترقى الطالب برعاية السنن وذكر أنه استسقى الناس مرارا في زمن الحجاج فلم ينزل لهم قطرة فقيل لهم لو دعا شخص لم يترك سنة العصر والسنة الاولى من العشاء لحصل المقصود والا لا يحصل وان دعوتم أربعين مرة فتفقدوا فلم يجدوا شخصا على الصفة المذكورة فرجع الحجاج الى نفسه فوجدها على ماذكر فدعا فنزل مطر عظيم في هذا الحين وحصل المقصود وهذا ببركة رعاية سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع أنه مشهور بالظلم ولا بدّ في الاستسقاء من تقديم التوبة والصدقة والصوم وأن يجعل صلحاء الناس وسيلة وشفيعا في ذلك ويستسقى للدواب العطاش والانعام السائمة والاطفال الضعيفة فلعلهم يسقون ببركتها وليكن الداعي ربه على يقين الاجابة لانّ ردّ الدعاء اما لعجز في اجابته أو لعدم كرم في المدعوّ أو لعدم علم المدعوّ بدعاء الداعي وهذه الاشياء منتفية عن الله تعالى فانه كريم عالم قادر لا مانع له من الاجابة وهو أقرب الى المؤمنين منهم يسمع دعاءهم ويقبل تضرعهم والدعاء مهما كان أعم كان الى الاجابة أقرب فانه لا بدّ أن يكون في المسلمين من يستحق الاجابة فاذا أجاب الله دعاء البعض فهو أكرم من أن يردّ الباقي وفي الحديث ادعوا الله بألسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله ومن لنا بتلك الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك وفي تفسير الفاتحة للفناري انّ استقامة التوجه حال الطلب والنداء عند الدعاء شرط قوي في الاجابة فمن زعم انه يقصد مناداة زيد وهو يستحضر غيره ثم لم يجد الاجابة فلا يلومنّ الا نفسه اذ لم يناد القادر على الاجابة وانما توجه الى ما أنشأ من صفات تصوراته بالحالة الغالبة عليه اذ ذاك (روي) أنّ فرعون قبل دعوى الالهية أمر أن يكتب على باب داره بسم الله فلما لم يؤمن دعا موسى قال الهي اني أدعوه ولا أرى فيه خيرا قال لعلك تريد اهلاكه أنت تنظر الى كفره وأنا الى ما كتبه على بابه فمن كتبه على سويداء قلبه ستين سنة أولى بالرحمة فاذا كان حال من كتبه على باب داره هكذا فكيف حال من نقشه على باب قلبه يستجاب دعاؤه لا محالة وأوّل شرائط الاجابة اصلاح الباطن باللقمة الطيبة وآخرها الاخلاص وحضور القلب يعني التوجه الاحدي والاشارة في تحقيق الآية أنّ الروح الانساني وصفاته في عالم القلب بمثابة موسى وقومه وهو يستسقي ربه ليرويهما من ماء الحكمة والمعرفة وهو مأمور بضرب عصا لا اله الا الله ولها شعبتان من النفي والاثبات تتقدان نورا عند استيلاء ظلمات صفات النفس وقد حملت من جنة حضرة العزة على حجر القلب الذي كالحجارة أو أشد قسوة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة لانّ كلمة لا اله الا الله اثنا عشر حرفا من كل حرف عين قد علم كل سبط من أسباط الصفات الانسانية وهم اثنا عشر سبطا من الحواس الخمس الظاهرة والحواس الخمس الباطنة والقلب والنفس والكل واحد منهم مشرب من عين حرف من حروف الكلمة قد علم مشربه ومشرب كل واحد حيث ساقه رائده وقائده فمشرب عذب فرات ومشرب ملح أجاج فالنفوس تردمناهل المنى والشهوات والقلوب تشرب من مشارب التقى والطاعات والارواح تشرب من زلال الكشوف والمشاهدات والاسرار تروى من عيون الحقائق بكأس تجلي الصفات عن ساقي وسقاهم ربهم شراب الاضمحلال في حقيقة الذات كلوا واشربوا كل

واحد

واحد من رزق الله بأمره ورضاه ولا تعثوا في الارض مفسدين بترك الامر واختيار الوزر وبيع الدين بالدنيا وايثار الآخرة على الاولى واختيارهما على المولى كذا في التأويلات النجمية

(واذ قلتم) تذكير لجناية أخرى لاسلاف بني اسرائيل وكفرانهم لنعمة الله عز وجل خاطبهم تنزيلا لهم مكان آبائهم لما بينهم من الاتحاد وكان هذا القول منهم في التيه حين سئموا من أكل المن والسلوى لكونهما غير متبدلين والانسان اذا داوم شيأ واحدا سئمه وتذكروا عيشهم الاول بمصر لانهم كانوا أهل فلاحة فنزعوا الى عكرهم عكر السوء واشتاقت طباعهم الى ما جرت عليه عادتهم فقالوا (يا موسى لن نصبر على طعام واحد) الطعام ما يتغذى به وكنوا عن المن والسلوى بطعام واحد وهما اثنان لانهم كانوا يأكلون أحدهما بالآخر فيصيران طعاما واحدا أو أريد بالواحد نفي التبدل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا وفي تفسير البغوي والعرب تعبر عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وقيل لن نصبر على الغنى فيكون جميعنا أغنياء فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض لاستغناء كل واحد بنفسه وكان فيهم أول من اتخذ العبيد والخدم (فادع لنا ربك) أي سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء (يخرج لنا) أي يظهر لنا ويوجد شيأ فالمفعول محذوف والجزم لجواب الامر فان دعوته سبب الاجابة أي ان تدع لنا ربك يخرج لنا (مما تنبت الارض) اسناد مجازي باقامة القابل وهو الارض مقام الفاعل وهو الله تعالى ومن تبعيضية وما موصولة (من بقلها) من بيانية واقعة موقع الحال من الضمير أي مما تنبته كائنا من بقلها والبقل ما تنبت الارض من الخضر والمراد أصناف البقول التي تأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها (وقثائها) أخو القثد وهو شئ يشبه الخيار (وفومها) وهو الحنطة لان ذكر العدس يدل على أنه المراد لانه من جنسه وقيل هو الثوم لان ذكر البصل يدل على أنه هو المراد فانه من جنسه قال ابن التمجيد في حواشيه وحمله على الثوم أوفق من الحنطة لاقتران ذكره بالبصل والعدس فان العدس يطبخ بالثوم والبصل (وعدسها) حب معروف يستوي كيله ووزنه (وبصلها) بقل معروف تطيب به القدور (قال) استئناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قال الله لهم أو موسى عليه السلام فقيل قال انكارا عليهم (أتستبدلون) أي أتأخذون لانفسكم وتختارون (الذي هو أدنى) أي أقرب منزلة وأدون قدرا (بالذي هو خير) أي بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الزائل دون الآتي الحاصل وخيرية المن والسلوى في اللذاذة وسقوط المشقة وغير ذلك ولا كذلك الفوم والعدس والبصل وأمثالها قال بعضهم الحنطة وان كانت أعلى من المن والسلوى لكن خساستها ههنا بالنسبة الى قيمتها وليس في الآية ما يدل قطعا على أنهم أرادوا زوال المن والسلوى وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال في صورة المناوبة لانهم أرادوا بقولهم لن نصبر على طعام واحد أن يكون هذا تارة وذاك أخرى (اهبطوا) أي انحدروا وانزلوا من التيه ان كنتم تريدون هذه الاشياء (مصرا) من الامصار لانكم في البرية فلا يوجد فيها ما تطلبون وانما يوجد ذلك في الامصار فالمراد ليس مصر فرعون لقوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم واذا وجب عليهم دخول تلك الارض فكيف يجوز دخول

مصر فرعون وهو الاظهر والمصر البلد العظيم من مصر الشئ يمصره أى قطعه سمى به لانقطاعه
عن الفضاء بالعمارة وقد تسمى القرية مصرا كما تسمى المصر قرية وهو ينصرف ولا ينصرف
فصرف ههنا لان المراد غير معين وقيل أريد به مصر فرعون وانما صرف لسكون وسطه
كهند ودعد ونوح أو لتأويله بالبلد دون المدينة فلم يوجد فيه غير العلمية (فان لكم ما سألتم)
تعليل للامر بالهبوط أى فان لكم فيه ما سألتموه من بقول الارض (وضربت عليهم الذلة) أى
الذل والهوان (والمسكنة) أى الفقر يسمى الفقير مسكينا لان الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة
أى جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب
لاتنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم كما يضرب الطين على الحائط فهو استعارة بالكناية فترى
اليهود وان كانوا مياسير كأنهم فقراء (وباؤا) أى رجعوا (بغضب) عظيم كائن (من الله)
أى استحقوه ولزمهم ذلك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أبوء بنعمتك على أى أقر بها وألزمها نفسى
وغضب الله تعالى ذمه اياهم فى الدنيا وعقوبتهم فى الآخرة (ذلك) أى ضرب الذلة والمسكنة
والبوء بالغضب العظيم (بأنهم) أى بسبب أن اليهود (كانوا يكفرون) على الاستمرار (بآيات
الله) الباهرة التى هى المعجزات الساطعة الظاهرة على يدى موسى عليه السلام مما عد وما لم يعد
وكذبوا بالقرآن ومحمد عليه السلام وأنكروا صفته فى التوراة وكفروا بعيسى والانجيل
(ويقتلون النبيين بغير الحق) كشعيب وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع أن قتل
الانبياء يستحيل أن يكون بحق الايذان بأن ذلك عندهم أيضا بغير الحق اذ لم يكن أحد معتقدا
بحقية قتل أحدهم عليهم السلام فان قيل كيف جاز أن يخلى بين الكافرين وقتل الانبياء قيل
ذلك كرامة لهم وزيادة فى منازلهم كمثل من يقتل فى سبيل الله من المؤمنين وليس ذلك بخذلان
لهم قال ابن عباس رضى الله عنه والحسن لم يقتل قط من الانبياء الا من لم يؤمر بقتال وكل من
أمر بقتال نصر فظهر أن لا تعارض بين قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق وقوله انا لننصر
رسلنا وقوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون مع أنه يجوز أن يراد به
النصرة بالحجة وبيان الحق وكل منهم بهذا المعنى منصور * روى أنهم قتلوا فى يوم واحد سبعين
نبيا (قال فى المثنوى) جون سفيها نراست اين كار وكيا * لازم آمد يقتلون الانبياء *
انبيارا كفته قوم راه كم * ازسفه انا تطيرنا بكم (ذلك) أى ما ذكر من الكفر بالآيات العظام
وقتل الانبياء عليهم السلام (بما عصوا وكانوا يعتدون) يتجاوزون أمرى ويرتكبون محارمى
أى جرهم العصيان والتمادى فى العدوان الى المشار اليه فان صغار الذنوب اذا دووم عليها
أدت الى كبارها كما أن مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تحرى كبارها وسقم القلب بالغفلة عن
الله تعالى منعهم عن ادراك لذاذة الايمان وحلاوته لان المحموم ربما وجد طعم السكر مرا فالغفلة
سم للقلوب مهلك فنفرة قلوب المؤمنين عن مخالفة الله نفرتك عن الطعام المسموم واعلم أن لله
مرادا وللعبد مرادا وما أراد الله خير فقوله اهبطوا أى عن سماء التفويض وحسن التدبير
منا لكم الى أرض التدبير والاختيار منكم لأنفسكم موصوفين بالذلة والمسكنة لاختياركم مع
الله وتدبيركم لانفسكم مع تدبير الله ولو أن هذه الامة هى الكائنة فى التيه لما قالت مقالة
بنى اسرائيل لشفوف أنوارهم ونفوذ أسرارهم قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أى عدلا

خيارا وفى التأويلات كما أن بنى اسرائيل لم يصبروا على طعام واحد كان ينزل عليهم من السماء وقالوا لموسى من خساسة طبعهم ما قالوا كذلك نفس الانسان من دناءة همتها لم تصبر على طعام واحد يطعمها ربها الواحد من واردات الغيب كما كان يصبر نفس النبى عليه السلام ويقول لست كاحدكم فانى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى بل يقول لموسى القلب فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض البشرية من بقل الشهوات الحيوانية وقثاء اللذات الجسمانية قال أتستبدلون الفانى بالباقى اهبطوا مصرا القالب السفلى من مقامات الروح العلوى فان لكم ما سألتم من المطالب الدنيئة وضربت عليهم الذلة والمسكنة كالبهائم والانعام بل هم أضل لانهم باؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بالواردات الغيبية والمكاشفات الروحانية بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق أى يبطلون ما يفتح الله لهم من أنباء الغيب فى مقام الانبياء وينكرون أسرارهم ذلك يعنى حصول هذه المقامات منهم بما عصوا ربهم فى نقض العهود ببذل المجهود فى طاعة المعبود وكانوا يعتدون من طلب الحق فى مطالبة ما سواه انتهى باختصار ثم ان فى الآية الكريمة دليلا على جواز أكل الطيبات والمطاعم المستلذات وكان النبى عليه السلام يحب الحلوى والعسل ويشرب الماء البارد العذب والعدس والزيت طعام الصالحين وفى الحديث عليكم بالعدس فانه مبارك مقدس وانه يرق القلب ويكثر الدمعة فانه بارك فيه سبعون نبيا آخرهم عيسى ابن مريم وكان عمر بن عبد العزيز يأكل يوما خبزا بزيت ويوما بعدس ويوما بلحم ولو لم يكن فيه فضيلة الا أن ضيافة ابراهيم عليه السلام فى مدينته لا تخلو منه لكان فيه كفاية وهو مما يخفف البدن فيخف للعبادة ولا تثور منه الشهوات كما تثور من اللحم والحنطة وأكل البصل والثوم وماله رائحة كريهة مباح وفى الحديث من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم والمراد بالملائكة الحاضرون مواضع العبادات لا الملازمون للانسان فى جميع الاوقات ومعنى تأذيهم من هذه الروائح وأنه مخصوص بها أو عام لكل الروائح الخبيثة مما يفوض علمه الى الشارع وهذا التعليل يدل على أنه لا يدخل المسجد وان كان خاليا من الانسان لانه محل الملائكة قال عليه السلام ان كنتم لا بد لكم من أكلها فأميتوها طبخا وقاس قوم على المساجد سائر مجامع الناس وعلى أكل الثوم ما معه رائحة كريهة كالبخر وغيره وانما كره النبى صلى الله عليه وسلم أكل البصل ونحوه لما أنه يأتيه الوحى ويناجى الله تعالى ولكن رخص للسائر ويقال كان آخر ما أكله النبى صلى الله عليه وسلم البصل ايذانا للامة باباحته والعزيمة أن يقتدى الرجل فى أقواله وأفعاله وأحواله برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال المولى الجامى) يا نبى الله السلام عليك * انما الفوز والفلاح لديك * كر نرفتم طريق سنت تو * هستم از عاصيان امت تو * مانده ام زير بار عصيان پست * افتم ازپاى اكر نكيرى دست * (ان الذين آمنوا) بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون بقرينة انتظامهم فى سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بأن تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعا أصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا (والذين هادوا) أى تهودوا من هاد اذا دخل فى اليهودية ويهود اما عربى من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب

يهودا كأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام ويقال انما سمى اليهود يهودا لانهم اذا جاءهم رسول أو نبى هادوا الى ملكهم فدلوه عليه فيقتلونه (والنصارى) جمع نصران كندامى جمع ندمان سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام أو لانهم كانوا معه فى قرية يقال لها ناصرة فسموا باسمها أو لاعتزائهم الى نصرة وهى قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام (والصابئين) من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الكواكب والملائكة فكانوا كعبدة الاصنام وان كانوا يقرؤن الزبور لاتؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم وجاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لم يسمى الصابئون صابئين فقال عليه السلام لانهم اذا جاءهم رسول أو نبى أخذوه وعمدوا الى قدر عظيم فأغلوه حتى اذا كان محمى صبوه على رأسه حتى يتفسخ كذا فى روضة العلماء (من) مبتدأ خبره فلهم أجر عظيم والجملة خبر ان (آمن) من هؤلاء الكفرة (بالله) وبما أنزل على جميع النبيين (واليوم الآخر) وهو يوم البعث أى من أحدث منهم ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللائق ودخل فى ملة الاسلام دخولا أصيلا (وعمل) عملا (صالحا) مرضيا عند الله (فلهم) بمقابلة ذلك والفاء للسببية (أجرهم) الموعود لهم (عند ربهم) أى مالك أمرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت أخبر أن هؤلاء اذا آمنوا وعملوا الصالحات لم يؤاخذوا بتقديم فعلهم ولا بفعل آبائهم ولا ينقصون من ثوابهم (ولا خوف عليهم) عطف على جملة فلهم أجرهم أى لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب (ولا هم يحزنون) حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما وتخصيصه من أخلص ايمانه وأصلح عمله دخل الجنة واعلم أن هذا الدين الحق حسنه موجود فى النفوس وانما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية والتقليد فكل مولود انما يولد فى مبدا الخلقة وأصل الجبلة على الفطرة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها استمر على لزومها ولم يفارقها الى غيرها كما قال عليه السلام ما من مولود الا وقد يولد على فطرة الاسلام ثم أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال ابن الملك فى شرح المشارق المراد بالفطرة قولهم بلى حين قال الله تعالى ألست بربكم فلا مخالفة بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام ان الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا والتحقيق أن الله تعالى لما أخرج ذرية آدم من ظهره وقال ألست بربكم آمنوا كلهم لما شاهدتهم الحق بالمعاينة لكن لم ينفع ايمان الاشقياء لكونهم لم يؤمنوا من قبل فاختلط السعيد والشقى ولم يفرق بينهما فى هذا العالم ثم انهم اذا نزلوا فى بطون الامهات تميز السعيد من الشقى لان الكاتب لا ينظر الى عالم الاقرار بل ينظر الى ما فى علم الله تعالى من أحوال الممكن من السعادة والشقاوة وغيرهما واذا ولدوا يولدون على فطرة الاسلام وهى فطرة بلى فههنا أربعة مقامات الاول علم الله وهو البطن المعنوى ويقال له فى اصطلاح الصوفية بطن الام وأم الكتاب والثانى مقام بلى ويقال له مولود معنوى والثالث بطن الام الصورى والرابع مولود صورى وهو صورة المولود المعنوى لذلك لا تميز السعيد من الشقى فيه كما لا تميز فى عالم ألست والبطن الصورى صورة علم الله لذلك تميز السعيد من الشقى فيها فلهذا قال معنى حديث النبى عليه السلام السعيد سعيد فى بطن أمه والشقى شقى فى بطن أمه ومعنى الخبر الآخر السعيد قد يشقى والشقى قد يسعد ومعنى الحديث

كل مولود يولد على فطرة الاسلام كذا حققه الشيخ بالى الصوفيوى قدس سره يقول الفقير جامع
هذه المجالس النفيسة قال شيخى العلامه أبقاه الله بالسلامه فى كتابه المسمى باللائحات البرقيات
لاح ببالى أن المراد ببطن الام على مشرب أهل التحقيق هو باطن الغيب المطلق الذاتى الاحدى
يعنى السعيد سعيد فى باطن الغيب المطلق أزلا وفى ظاهر الشهادة المطلقة أبدا ولم تتداخل
الشقاوة فى واحد منهما أصلا والشقى شقى فى باطن الغيب المطلق أزلا وفى ظاهر الشهادة المطلقة
أبدا ولم تتداخل السعادة فى واحد منهما أصلا الا أن السعيد قد تتداخله الشقاوة والشقى قد
تتداخله السعادة فى البرزخ الجامع بينهما فيكون السعيد الشقى سعيدا بالسعادة الذاتية
وشقيا بالشقاوة العارضية والشقى السعيد شقيا بالشقاوة الذاتية وسعيدا بالسعادة العارضية
والسبق فى الغاية للذاتى دون العارضى ويغلب حكم الذاتى على حكم العارضى ويختم به كما
بدئ به ويختم آخر نفس الشقى بالشقاوة العارضية بالسعادة الذاتية وتزول شقاوته العارضية
ويدخل فى زمرة السعداء أبدا ويختم آخر نفس السعيد بالسعادة العارضية بالشقاوة الذاتية
وتزول سعادته العارضية ويدخل فى زمرة الاشقياء أبدا والى هذا التداخل والعروض البرزخى
أشار بقوله السعيد قد يشقى والشقى قد يسعد والتبدل فى العارضى لا فى الذاتى والاعتبار
بالذاتى لا العارضى انتهى فمن انشرح قلبه بنور الله فقد آمن بالله لا بالتقليد والرسم والعادة
والاقتداء بالآباء وأهل البلد فلا خوف عليهم من حجب الانانية ولا هم يحزنون بالاثنينية لانهم
الواصلون الى نور الوحدة والهوية (واذ أخذنا ميثاقكم) تذكير لجناية أخرى لاسلاف بنى
اسرائيل أى اذكروا يا بنى اسرائيل وقت أخذنا العهد آباءكم بالعمل على ما فى التوراة وذلك
قبل التيه حين خرجوا مع موسى من مصر ونجوا من الغرق (ورفعنا فوقكم الطور) كأنه
ظلة حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق والطور الجبل بالسريانية وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم
بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل
فقطع الطور من أصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا ألقى عليكم فلما رأوا
أن لا مهرب لهم منها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود لئلا ينزل عليهم فصارت
عادة فى اليهود لا يسجدون الا على أنصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب
ثم رفع الجبل ليقبلوا التوراة لم يكن جبرا على الاسلام لان الجبر ما يسلب الاختيار وهو جائز
كالمحاربة مع الكفار وأما قوله تعالى لا اكراه فى الدين وأمثاله فمنسوخ بالقتال قال ابن عطية
والذى لا يصح سواه أن الله جبرهم وقت سجودهم على الايمان لانهم آمنوا كرها وقلوبهم غير
مطمئنة بذلك (خذوا) على ارادة القول أى فقلنا لهم خذوا (ما آتيناكم) من الكتاب
(بقوة) بجد وعزيمة ومواظبة (واذكروا ما فيه) أى احفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولا
تنسوه ولا تغفلوا عنه (لعلكم تتقون) رجاء منكم أن تكونوا متقين (ثم توليتم) أى أعرضتم
عن الميثاق والوفاء به والدوام عليه (من بعد ذلك) الميثاق المؤكد (فلولا فضل الله عليكم
ورحمته) عطفه بالامهال وتأخير العذاب (لكنتم من الخاسرين) أى من الهالكين ولكن
تفضل عليكم حيث رفع الطور فوقكم حتى تبتم فزال الجبل عنكم ولولا ذلك لسقط عليكم
والخسران فى الاصل ذهاب رأس المال وهو ههنا هلاك النفس لانها الاصل وقد من الله تعالى

على أمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث فرض عليهم الفرائض واحدا بعد واحدة ولم يفرض عليهم جملة فاذا استقرت الواحدة في قلوبهم فرض عليهم الاخرى وأما بنو اسرائيل فقد فرض عليهم بدفعة واحدة فشق عليهم ذلك ولذا لم يقبلوا حتى رأوا العذاب ثم ان الله تعالى أمر بحفظ الاوامر والعمل وبعدم النسيان والتضييع وقال واذكروا ما فيه وهو المقصود من الكتب الالهية لان العمدة العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان وترتيبها فان ذلك نبذ لها مثاله أن السلطان اذا أرسل منشورا الى واحد من أمرائه في ممالكه وأمره فيه أن يبني له قصرا في تلك الديار فوصل الكتاب اليه وهو لا يبني ما أمر به لكنه يقرأ المنشور كل يوم فلو حضر السلطان ولم يجد القصر حاضرا فالظاهر أنه يستحق العتاب بل العقاب فالقرآن انما هو مثل ذلك المنشور وقد أمر الله فيه عبيده أن يعمروا أركان الدين من الصوم والصلاة وغيرهما فجردة قراءة القرآن بغير عمل لا يفيد (قال في المثنوى) هست قرآن حالهاى انبيا * ماهيان بحر پاك كبريا * ور بخوانى ونه قرآن پذير * انبيا واوليا را ديده كير * روى أنه عليه السلام شخص ببصره الى السماء يوما ثم قال هذا أوان يختلس فيه العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شئ فقال زياد بن لبيد الانصارى كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا فقال صلى الله عليه وسلم ثكلتك أمك يا زياد هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغنى عنهم وفي الموطأ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لانسان انك في زمان كثيرة فقهاؤه قليل قراؤه يحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه قليل من يسأل كثير من يعطي يطولون الصلاة ويقصرون الخطبة يبدون فيه أعمالهم قبل اهوائهم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه يحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده كثير من يسأل قليل من يعطي يطولون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة يبدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم والاشارة في الآية ان أخذ الميثاق كان عاما كما كان في عهد ألست بربكم ولكن قوما أجابوه شوقا وقوما أجابوه خوفا ليتحقق أن الامر بيد الله في كلتا الحالتين يسمع خطابه من يشاء موجبا للهداية ويسمع من يشاء موجبا للضلالة فانه لا برهان أظهر من رفع الطور فوقهم عيانا فلما أو بقهم الخذلان لم ينفعهم اظهار البرهان وفي قوله خذوا ما آتيناكم بقوة اشارة الى أن أخذ ما يؤتى الله من الاوامر والنواهى والطاعات والعلوم وغير ذلك لا يمكن القوة الانسانية الا بقوة ربانية وتأييد الهى واذكروا ما فيه من الرموز والاشارات والدقائق والحقائق لعلكم تتقون بالله عما سواه ثم توليتم من بعد ذلك أى أعرضتم عن طريق الحق واتباع الشريعة باستيلاء قوة الطبيعة بعد أخذ الميثاق وسلوك طريق الوفاق ابتلاء من الله فلولا فضل الله عليكم ورحمته وهو سبق العناية في البداية وتوفيق اخذ الميثاق بالقوة في الوسط وقبول التوبة وتوفيق اظهار الثبات عليها في النهاية لكنتم من الخاسرين المصرين على العصيان المغبونين بالعقوبة والخسران والمبتلين بذهاب الدنيا والعقبى ونكال الآخرة والاولى كما كان حال المصرين منكم والمعتدين (ولقد علمتم) خطاب لمعاصرى النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود أى وبالله قد عرفتم يا بنى اسرائيل (الذين اعتدوا) أى تجاوزوا الحد ظلما (منكم) من أسلافكم محله نصب على أنه حال (في) يوم (السبت) أى جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وأصل السبت القطع لان اليهود أمروا بأن يسبتوا فيه أى

يقطعوا

يقطعوا الاعمال ويشتغلوا بعبادة الله ويسمى النوم سباتا لانه يقطع الحركات الاختيارية
وفيه تحذير وتهديد فكأنه يقول انكم تعلمون ما أصابهم من العقوبة فاحذروا كي لا يصيبكم
مثل ما أصابهم والقصة فيه أنهم كانوا في زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها ايلة بين المدينة
والشام على ساحل بحر القلزم حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل السبت
لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك اما ابتلاء لا ولئك القوم واما لزيارة السمكة التي كان في بطنها
يونس فبقي كل سبت يجتمعن لزيارتها ويخرجن خراطيمهن من الماء حتى لا يرى الماء من كثرتها
واذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقل البحر فلا يرى شئ منها ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال
انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال من أهل تلك القرية فحفروا الحياض حول البحر
وشرعوا منه اليها الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فأقبل الموج بالحيتان الى
الحياض فلا يقدرن على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها فاذا كان يوم الاحد يصطادونها فأخذوا
وأكلوا وملحوا وباعوا فكثرت أموالهم ففعلوا ذلك زمانا أربعين سنة أو سبعين لم تنزل عليهم
عقوبة وكانوا يتخوفون العقوبة فلما لم يعاقبوا استبشروا وتجرؤا على الذنب وقالوا ما نرى
السبت الا قد أحل لنا ثم استن الابناء سنة الآباء فلو أنهم فعلوا ذلك مرة أو مرتين لم يضرهم
فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكانوا نحوا من سبعين ألفا ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى
وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهك الحرمة وكان الناهون اثنى عشر ألفا فنهوهم عن ذلك
وقالوا يا قوم انكم عصيتم ربكم وخالفتم سنة نبيكم فانتهوا عن هذا العمل قبل أن ينزل بكم
البلاء فلم يتعظوا وأبوا قبول نصحهم فعاقبهم الله بالمسخ وذلك قوله تعالى (فقلنا لهم) قهرا (كونوا
قردة) جمع قرد كالديكة جمع ديك بالفارسية بوزينه وهذا أمر تحويل لانهم لم يكن لهم قدرة على
التحول من صورة الى صورة وهو اشارة الى قوله انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون
أي لما أردنا ذلك صاروا كما أردنا من غير امتناع ولا لبث (خاسئين) هو وقردة خبران أي كونوا
جامعين بين القردية والخسء وهو الصغار والطرد وذلك أن المجرمين لما أبوا قبول النصح قال
الناهون والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار وصبروا هما بذلك سنتين فلعنهم
داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون أتوا أبوابها فاذا
هي مغلقة لا يسمع منها صوت ولا يعلو منها دخان فتسوروا الحيطان ودخلوا فرأوهم قد صار
الشبان قردة والشيوخ خنازير لها أذناب يتعاوون فعرفت القردة أنسابهم من الانس ولم يعرف
الانس أنسابهم من القردة فجعلت القردة تأتي نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكي فيقول ألم
ننهكم عن ذلك فكانوا يشيرون برؤسهم أي نعم والدموع تفيض من أعينهم ودل ذلك على أنهم
لما مسخوا بقي فيهم الفهم والعقل ثم لم يكن ابتداء القردة من هؤلاء بل كانت قبلهم قردة وهؤلاء
حولوا الى صورتها القبيحة جزاء على قبيح أعمالهم وأفعالهم وماتوا بعد ثلاثة أيام ولم يتوالدوا
والقردة التي في الدنيا هي نسل قردة كانت قبلهم (فجعلناها) أي صيرنا مسخة تلك الامة
وعقوبتها (نكالا) أي عبرة تنكل من اعتبر بها أي تمنعه من أن يقدم على مثل صنيعهم (لما بين
يديها وما خلفها) أي لما قبلها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين
فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين فاستعير ما بين يديها للزمان الماضي وما خلفها

للمستقبل (وموعظة) اى تذكرة (للمتقين) الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم أو لكل متق سمعها فاللام للاستغراق العرفى على التقديرين (قال السعدى) نرود مرغ سوى دانه فراز * جون دكر مرغ بيند اندر بند * بند كير از مصائب دكران * تا نكيرند ديكران زتو پند * واعلم أن هذا البلاء والخسران جزاء من لم يعرف قدر الاحسان ومن يكافئ المنعم بالكفران يرد من عزة الوصال الى ذل الهجران وكان عقوبة الامم بالخسف والمسخ على الاجساد وعقوبة هذه الامة على القلوب وعقوبات القلوب أشد من عقوبات النفوس قال الله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم الآية هكذا حال من لم يتأدب فى خدمة الملوك وينخرط فى أثنيه السلوك ومن لم يحفظ بساط القربة بقدم الحرمة يستوجب الحرمان ويستجلب الخسران ويبتلى بسياسة السلطان ثم علامة المسخ مثل الخنزير أن يأكل العذرات ومن أكل الحرام فقلبه ممسوخ ويقال علامة مسخ القلب ثلاثة أشياء لا يجد حلاوة الطاعة ولا يخاف من المعصية ولا يعتبر بموت أحد بل يصير أرغب فى الدنيا كل يوم كذا فى زهرة الرياض وروى عن عوف بن عبد الله أنه قال كان أهل الخير يكتب بعضهم بثلاث كلمات من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته قال محمد بن على الترمذى صلاح أربعة أصناف فى أربعة مواطن صلاح الصبيان فى الكتاب وصلاح القطاع فى السجن وصلاح النساء فى البيوت وصلاح الكهول فى المساجد (واذ قال موسى لقومه) توبيخ آخر لاخلاف بنى اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت من أسلافهم أى واذكروا قول موسى عليه السلام لاجدادكم (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) هى الانثى من نوع الثور أو واحد البقر ذكرا كان أو أنثى من البقر وهو الشق سميت به لانها تبقر الارض أى تشقها للعرانة وسببه أنه كان فى بنى اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا فى ميراثه فطرحوه على باب المدينة أو حملوه الى قرية أخرى وألقوه بفنائها ثم جاؤا يطالبون بديته وجاؤا بناس يدعون عليهم القتل فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتيل على موسى وكان ذلك قبل نزول القسامة فى التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيا فيخبرهم بقاتله (قالوا) كأنه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال أولا فقيل قالوا (أتتخذنا هزوا) أى أتجعلنا مكان هزؤ وسخرية وتستهزئ بنا نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح بقرة ولا جامع بينهما قال بعض العلماء كان ذلك هفوة منهم وجهالة فما انقادوا للطاعة بذبحها (قال) موسى وهو استئناف كما سبق (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) لان الهزؤ فى أثناء تبليغ أمر الله جهل وسفه ودل أن الاستهزاء بأمر الدين كبيرة وكذلك بالمسلمين ومن يجب تعظيمه وأن ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد وليس المزاح من الاستهزاء قال أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه لا بأس بفكاهة يخرج بها الانسان من حد العبوس (روى) أنه قدم رجل الى عبيد الله بن الحسين وهو قاضى الكوفة فمازحه عبيد الله فقال جبتك هذه من صوف نعجة أو من صوف كبش فقال أتجهل أيها القاضى فقال له عبيد الله وأين وجدت المزاح جهلا فتلا هذه الآية فأعرض عنه عبيد الله لانه رآه جاهلا لا يعرف المزاح من الاستهزاء ثم ان القوم علموا أن ذبح البقرة عزم من الله وجد فاستوصفوها كما يأتى ولو انهم عمدوا

الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وكانت تحته حكمة والقصة أنه كان في بني اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها الى غيضة وقال اللهم انى استودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة عوانا أى نصفا بين المسنة والشابة وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى به الى السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى والدته ثلثه فقالت له أمه يوما ان أباك قد ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن يردها عليك وعلامتها أنك اذا نظرت اليها يخيل اليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تلك البقرة تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها لان صفرتها كانت صفرة زين لاصفرة شين فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله وقالت أيها الفتى البار لوالدته اركبنى فان ذلك أهون عليك فقال الفتى ان أمى لم تأمرنى بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة باله بنى اسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر على أبدا فانطلق فانك ان أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأمك فسار الفتى بها الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بأمه وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضا منى فانطلق بها الى السوق فأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتى انها أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة على أن استأمرها فقال الملك انى أعطيك اثنى عشر على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه وأخبرها بذلك فقالت ان الذى يأتيك ملك في صورة آدمى ليختبرك فاذا أتى فقل له أتأمر أن نبيع هذه البقرة أم لا فنفعل فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها أمسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بنى اسرائيل فلا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير فأمسكوها وقدر الله تعالى على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفونها حتى وصف لهم تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة والوجه في تعيين البقرة دون غيرها من البهائم أنهم كانوا يعبدون البقر والعجاجيل وحبب اليهم ذلك كما قال تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل ثم تابوا وعادوا الى طاعة الله وعبادته فأراد الله تعالى أن يمتحنهم بذبح ما حبب اليهم ليظهر منهم حقيقة التوبة وانقلاع ما كان منهم في قلوبهم وقيل كان أفضل قرابينهم حينئذ البقر فأمروا بذبح البقرة ليحصل التقرب لهم بما هو أفضل عندهم (قالوا) كأنه قيل فماذا قال قوم موسى بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا يا موسى (ادع لنا) سل لاجلنا (ربك يبين لنا) أى يوضح ويعرف (ما هى) ما مبتدأ وهى خبره والجملة في حيز النصب

يبين أى يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم مالم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فماههنا سؤال عن الحال والصفة تقول ماز يد فيقال طبيب أو عالم أى ماسنها وماصفتها من الصغر والكبر (قال) أى موسى عليه السلام بعد مادعا ربه بالبيان وأتاه الوحى (انه) أى الله تعالى (يقول انها) أى البقرة المأمور بذبحها (بقرة لا فارض) أى مسنة من القرض وهو القطع كأنها قطعت سنها او بلغت آخره (ولا بكر) أى فتية صغيرة ولم يؤنث البكر والفارض لانهما كالحائض فى الاختصاص بالانثى (عوان) أى نصف (بين ذلك) المذكور من الفارض والبكر (فافعلوا) أمر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ماقبله من بيان صفة المأمور به (ماتؤمرون) أى ماتؤمرونه بمعنى ماتؤمرون به من ذبح البقرة وحذف الجار قد شاع فى هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين (قالوا) كأنه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الثانى والامر المكرر فقيل قالوا (ادع لنا ربك يبين لنا مالونها) من الالوان حتى تتبين لنا البقرة المأمور بها واللون عرض مشاهد يتعاقب على بعض الجواهر (قال) موسى عليه السلام بعد المناجاة الى الله تعالى ومجىء البيان (انه) أى الله تعالى (يقول انها بقرة صفراء) والصفرة لون بين البياض والسواد وهى الصفرة المعروفة وليس المراد بها ههنا السواد كما فى قوله تعالى كأنه جمالة صفر أى سود والتعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته واما لان سواد الابل يعلوه صفرة (فاقع لونها) مبتدأ وخبر والجملة صفة البقرة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها يقال فى التأكيد أصفر فاقع كما يقال أسود حالك وفى اسناده الى اللون مع كونه من أحوال الملون لملابسته به مالا يخفى من فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما فى جد جده قيل كانت صفراء الكل حتى القرن والظلف (تسر الناظرين) اليها يعجبهم حسنها وصفاء لونها او يفرح قلوبهم لتمام خلقتها ولطافة قرونها واظلافها والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع أو توقعه وعن على رضى الله تعالى عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لان الله تعالى يقول تسر الناظرين ونهى ابن الزبير ومحمد بن كثير عن لباس النعال السود لانها تهم وذكر أن الخف الاحمر خف فرعون والخف الابيض خف وزيره هامان والخف الاسود خف العلماء وروى أن خف النبى عليه السلام كان أسود (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) أسائمة هى أم عاملة وفى الكشاف هذا تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها والاستقصاء شؤم وعن عمر بن عبد العزيز اذا أمرتك أن تعطى فلانا شاة سألتنى أضائن أم ماعز فان بينت لك قلت أذكر أم أنثى فان أخبرتك قلت أسوداء أم بيضاء فاذا أمرتك بشئ فلا تراجعنى وفى الحديث أعظم الناس جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم لاجل مسئلته (ان البقر تشابه علينا) أى جنس البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها نذبح فذكر البقر لارادة الجنس أولان كل جمع حروفه أقل من واحده جاز تذكيره وتأنيثه (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى البقرة المراد ذبحها وفى الحديث لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد (قال) موسى (انه) تعالى (يقول انها بقرة لاذلول) مذللة ذللها العمل يقال دابة ذلول بينة الذل بالكسر وهو خلاف الصعوبة وهو صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولم يقل ذلولة لان فعولا اذا كان وصفا لم تدخله الهاء كصبور (تثير الارض) أى تقلبها للزراعة وهى صفة

ذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة (ولا تسقى الحرث) أى ليست بستانية يسقى عليها بالسواقى ولا الاولى للنفى والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لاذلول تثير وتسقى على ان الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية كذا فى الكشاف قال الامام أبو منصور رحمه الله دلت الآية على ان البقرة كانت ذكرا لان اثارة الارض وسقى الحرث من عمل الثيران وأما الكنايات الراجعة اليها على التأنيث فللفظها كما فى قوله وقالت طائفة فالتاء للتوحيد لا للتأنيث خلافا لابى يوسف الا أن يكون أهل ذلك الزمان يحرثون بالانثى كما يحرث أهل هذا الزمان بالذكر (مسلمة) أى سلمها الله من العيوب أو معفاة من العمل سلمها أهلها منه أو مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شئ من الالوان ويؤيده قوله تعالى (لاشية فيها) أى لا لون فيها يخالف لون جلدها فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها والاصل وشية كالعدة والصفة والزنة أصلها وعد ووصف ووزن واشتقاقها من وشى الثوب وهو استعمال ألوان الغزل فى نسجه (قالوا) عندما سمعوا هذه النعوت (الآن) أى هذا الوقت بنى لتضمنه معنى الاشارة (جئت بالحق) أى بحقيقة وصف البقرة وما بقى اشكال فى أمرها (فذبحوها) الفاء فصيحة أى فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها بأن وجدوها مع الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهبا فذبحوها (وما كادوا) أى وما قربوا (يفعلون) والجملة حال من ضمير ذبحوا أى فذبحوها والحال أنهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه لخلصه ذبحوها بعد توقف وبطء قيل مضى من أول الامر الى الامتثال أربعون سنة فعلى العاقل أن يسارع الى الامتثال وترك التفحص عن حقيقة الحال فان قضية التوحيد تستدعى ذلك (قال فى المثنوى) تاخيال دوست دراسرار ماست * چاكرى وجان سپارى كار ماست * وفى الحكم العطائية اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا بالاستسلام لقهره وذلك يقتضى وجود الحفظ من الله تعالى حتى لا يلم العبد بمعصية وان ألم بها فلا تصدر منه واذا صدرت منه فلا يصر عليها اذ الحفظ الامتناع من الذنب مع جواز الوقوع فيه والعصمة الامتناع من الذنب مع استحالة الوقوع فيه فالعصمة للانبياء والحفظ للاولياء فقوله الآن جئت بالحق يدل على الرجوع من الهفوة وعدم الاصرار وهذا ايمان محض وفى التأويلات النجمية ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة اشارة الى ذبح بقرة النفس البهيمية فان فى ذبحها حياة القلب الروحانى وهذا هو الجهاد الاكبر الذى كان النبى عليه السلام يشير اليه بقوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وبقوله المجاهد من جاهد نفسه وقوله عليه السلام موتوا قبل أن تموتوا اشارة الى هذا المعنى قالوا أتتخذنا هزوا أى أتستهزئ بنا فى ذبح النفس وليس هذا من شأن كل ذى همة سنية قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين الذين يظنون أن ذبح البقرة أمر هين ويستعد له كل تابع الهوى أو عابد الدنيا قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى أى يعين أى بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق فأشار الى بقرة نفس لا فارض فى سن الشيخوخة تعجز عن سلوك الطريق لضعف المشيب وخلل القوى النفسانية كما قال بعض المشايخ الصوفى بعد الاربعين بارد ولا بكر فى سن شرخ الشباب فانه يستهويه سكره عوان بين ذلك أى عند كمال العقل قال تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة فافعلوا ما تؤمرون فانكم ان تقربتم الى الله بما أمرتم فان الله يتقرب اليكم بما وعدتم وانه لا يضيع أجر من أحسن عملا

في الشيب والشباب قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها يعني ما لون بقرة نفس تصلح للذبح
في الجهاد قال انه يقول انها بقرة صفراء اشارة الى صفرة وجوه أرباب الرياضات وسيما أصحاب
المجاهدات في طلب المشاهدات فاقع لونها اي في صفرة زين لا صفرة شين كما هي سيما الصالحين تسر
الناظرين من نظر اليهم يشاهد في غرتهم بهاء قد ألبس من أثر الطاعات ويطالع من طلعتهم آثار
شواهد الغيب من خمود الشهوات حتى أمن من أحوال البشرية بوجدان آثار الربوبية
كقوله تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود ان البقر تشابه علينا اشارة الى كثرة تشبه
البطالين بزي الطالبين وكسوتهم وهيئتهم وانا ان شاء الله لمهتدون الى الصادق منهم فالاهتداء
اليهم يتعلق بمشيئة الله وبدلالته كما كان حال موسى والخضر عليهما السلام فلو لم يدل الله موسى
لما وجده وقوله انها بقرة لا ذلول تثير الارض اشارة الى نفس الطالب الصادق وهي التي لا تحمل
الذلة تثيرها لها الحرص على أرض الدنيا لطلب زخارفها وتتبع هوى النفس وشهواتها كما قال
عليه الصلاة والسلام عز من قنع ذل من طمع وقال ليس للمؤمن أن يذل نفسه ولا تسقي الحرث
أي حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الحق فيصرف في حرث الدنيا فيذهب
ماؤه عند الخلق وعند الحق لقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من
نصيب مسلمة لا شية فيها أي نفس مسلمة من آفات صفاتها مستسلمة لاحكام ربها ليس منها طلب
غير الله ولا مقصد لها الا الله كما وصفهم الله تعالى بقوله للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله الى
قوله الحافا فذبحوها وما كادوا يفعلون يشير الى أن ذبح النفس ليس من الطبيعة الانسانية فمن
ذبحها من الصادقين بسيف الصدق كان ذلك من فضل الله تعالى وحسن توفيقه فاما من حيث
الطبيعة فما كادوا يفعلون (واذ قتلتم نفسا) هذا مؤخر لفظا مقدم معنى لانه أول القصة أي
واذ قتلتم نفسا وأتيتم موسى وسألتموه أن يدعو الله تعالى فقال موسى ان الله يأمركم الآيات
ولم يقدم لفظا لان الغرض انما هو ذبح البقرة للكشف عن القاتل وأضيف القتل الى اليهود
المعاصرين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لرضاهم بفعل أولئك وخوطبت الجماعة لوجود
القتل فيهم والقتل نقض البنية الذي بوجوده تنتفي الحياة والمعنى واذكروا يا بني اسرائيل وقت
قتل اسلافكم نفسا محترمة وهي عاميل بن شراحيل (فادارأتم فيها) أصله تدارأتم من الدرء
وهو الدفع أي تدافعتم وتخاصمتم في شأنها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر أي يدفع الفعل
عن نفسه ويحيل على غيره (والله مخرج ما كنتم تكتمون) أي مظهر لا محالة ما كتمتم وسترتم من
أمر القتل لا يترككم مكتوما مستورا فان قلت كيف أعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت قد
حكي ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكي الحاضر في قوله باسط ذراعيه (فقلنا) عطف
على فادارأتم وما بينهما اعتراض (اضربوه) أي النفس والتذكير على تأويل الشخص والانسان
(ببعضها) أي ببعض البقرة أي بعض كان أو بلسانها لانه آلة الكلام او بعجب الذنب لانه أول
ما يخلق وآخر ما يبلى ويركب عليه الخلق أو بغير ذلك من الاعضاء والبعض أقل من النصف
والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى روي انه لما ضربوه قام
باذن الله وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا ولم
يورث قاتل بعد ذلك ثم ان موسى عليه السلام أمرهم بضربه ببعضها وما ضربه بنفسه نفيا

للتهمة كي لا ينسب الى السحر أو الحيلة (كذلك) على ارادة القول أى فضربوه فحيي وقلنا كذلك فالخطاب فى كذلك للحاضرين عند حياة القتيل أى مثل ذلك الاحياء العجيب (يحيي الله الموتى) يوم القيامة فان قلت ان بنى اسرائيل كانوا مقرين بالبعث فما معنى الزامهم بقوله كذلك يحيي الله الموتى قلت كانوا مقرين قولا وتقليدا فثبته عيانا وايقانا وهو كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولكن ليطمئن قلبي ويجوز أن يكون الخطاب لمنكرى البعث فى زمان النبى عليه السلام والحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة حينئذ الى تقدير القول بل تنتهى الحكاية عند قوله تعالى ببعضها (ويريكم آياته) دلائله الدالة على انه تعالى على كل شئ قدير (لعلكم تعقلون) يقال عقلت نفسى عن كذا أى منعتها منه أى لكى تكمل عقولكم وتعلموا أن من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها وتمنعوا نفوسكم من هواها وتطيعوا الله فيما يأمركم به ولعل الحكمة فى اشتراط ما اشترط فى الاحياء من ذبح البقرة وضربه ببعضها مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا واسطة أصلا اشتماله على التقرب الى الله تعالى وأداء الواجب ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالد وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالى بثمنه كما روى عن عمر رضى الله عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب امارات لا تأثير لها لان الموتين الحاصلين فى الجسمين لا يعقل أن يتولد منهما حياة وان من رام أن يعرف اعدى عدوه الساعى فى اماتته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التى هى قوته الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا مسلمة من دنسها لاشية بها من قبائحها بحيث يصل أثره الى نفسه فيحيا به حياة طيبة ويعرف ما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارئ والجدال قال بعض أهل المعرفة فى قوله فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى انما جعل الله احياء المقتول فى ذبح البقرة تنبيها لعبيده ان من اراد منهم احياء قلبه لم يتأت له الا باماتة نفسه فمن أماتها بانواع الرياضات أحيا الله قلبه بأنوار المشاهدات فمن مات بالطبيعة يحيا بالحقيقة وكان لسان البقرة بعد ذبحها ضرب على القتيل وقام باذن الله وقال قتلنى فلان فكذلك من ضرب لسان النفس المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب بعداوة الذكر يحيي الله قلبه بنوره فيقول وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء (قال السعدى) عنان از دست نفس سركش بتان * كه عقلش تواند كرفتن عنان * تو بركرة توسنى دركر * نكر تا نپيچد زحكم تو سر * اكر پالهنك از كفت در كسيخت * تن خويشتن كشت وخون تو ريخت * فيجب علينا غاية الوجوب ان نقصد باحياء نفوسنا بالحياة الحقيقية واصلاح قلوبنا بالاصلاح الحقيقى واخلاص أعمالنا بالاخلاص الحقيقى فان المنظر الالهى انما هو القلوب والاعمال لا القصور والاموال كما ورد فى الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم بل الى قلوبكم وأعمالكم فالمعتبر هو الباطن والسرائر دون الصور والظواهر والعاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والجاهل من نسى نفسه واتبع هواه وما يعقل ذلك الا العالمون وما يعلمه الا الكاملون (قال السعدى) شخصم بچشم عالميان خوب منظرست * وز خبث باطنم

سر خجلت فتاده ديش * طاوس را بنقش ونكارى كه هست خلق * تحسين كنند او خجل از پاى زشت خويش * وقد سئل بعض المشايخ عن الاسلام فقال ذبح النفس بسيوف المخالفة ومخالفتها ترك شهواتها قال السرى السقطى ان نفسى تطالبنى مدة ثلاثين سنة أو أربعين سنة ان أغمس جوزة فى دبس فما أطعمتها ورىء رجل جالس فى الهواء فقيل له بم نلت هذا قال تركت الهوى فسخر لى الهواء وقيل لبعضهم انى أريد أن احج على التجريد فقال جرد أولا قلبك عن السهو ونفسك عن اللهو ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت (ثم قست قلوبكم) خطاب لاهل عصر النبى عليه السلام من الاحبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذكر ما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم أنتم تمترون والقسوة والقساوة عبارة عن الغلظ والصلابة كما فى الحجر وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وأن المواعظ لا تؤثر فيها (من بعد ذلك) أى من بعد سماع ما ذكر من احياء القتيل ومسخ القردة والخنازير ورفع الجبل وغيرها من الآيات والقوارع التى تميع منها الجبال وتلين بها الصخور (فهى) أى القلوب (كالحجارة) أى مثل الحجارة فى شدتها وقسوتها والفاء لتفريع مشابهتها لها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه كقولك احمر خده فهو كالورد (أو أشد) منها (قسوة) تمييز وأو بمعنى بل أو للتخيير أى ان شئتم فاجعلوها أشد منها كالحديد فأنتم مصيبون واو مالم تحمل على أصلها وهو الشك والتردد لما ان ذلك محال على علام الغيوب فان قلت لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه أبين وأدل على فرط القسوة من لفظ اقسى لان دلالته على الشدة بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للزيادة فى معنى الشدة بخلاف لفظ الاقسى فان دلالته على الشدة والزيادة فى القسوة بالهيئة فقط ووجه حكمة ضرب قلوبهم مثلا بالحجارة وتشبيهها بها دون غيرها من الاشياء الصلبة من الحديد والصفر وغيرهما لان الحديد تلينه النار وهو قابل للتليين كما لان لداود عليه السلام وكذا الصفر حتى يضرب منها الاوانى والحجر لا يلينه نار ولا شئ فلذلك شبه قلب الكافر بها وهذا والله أعلم فى حق قوم علم الله انهم لا يؤمنون (وان من الحجارة) بيان لفضل قلوبهم على الحجارة من شدة القسوة وتقرير لقوله أو اشد قسوة ومن الحجارة خبر ان والاسم قوله (لما) واللام للتأكيد أى لحجرا (يتفجر) أى يتفتح بكثرة وسعة (منه) راجع الى ما (الانهار) جمع نهر وهو المجرى الواسع من مجارى الماء والمعنى وان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير أى يتسبب (وان منها) أى من الحجارة (لما يشقق) أصله يتشقق أى يتصدع والصدع جعل الشئ ذا نواحى (فيخرج منه الماء) أى ينشق انشقاقا بالطول أو بالعرض ينبع منه الماء أيضا يعنى العيون دون الانهار (وان منها لما يهبط) أى يتردد وينزل من أعلى الجبل الى أسفله (من خشية الله) وهى الخوف عن العلم وهنا مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء اليهود لا تنقاد ولا تلين ولا تخشع ولا تفعل ما أمرت به (وما الله بغافل) بساه (عما تعملون) أى الذى تعملونه وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة فقلب الكافر أشد فى القساوة من الحجارة وأنها مع فقد أسباب الفهم والعقل منها وزوال الخطاب عنها تخضع له وتتصدع قال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا

من خشية الله وقلب الكافر مع وجود أسباب الفهم والعقل وسعة هيئة القبول لايخضع ولا يلين قالت المعتزلة خشية الحجر على وجه المثل يعني لو كان له عقل لفعل ذلك ومذهب أهل السنة ان الحجر وان كان جمادا لكن الله يفهمه ويلهمه فيخشى بالهامه فان لله تعالى علما في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لايقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره وان من شيء الا يسبح بحمده وقال والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويحيل علمه الى الله تعالى * روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عني فاني أخاف ان تؤخذ على فيعاقبني الله بذلك فقال له جبل حراء الى الي يارسول الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع نخلة من سواري المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية من فراق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحنت كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد ونزل رسول الله عليه السلام فاعتنقها فسكنت (قال في المثنوى) آنكه اوراتبود ازاسرار داد * كى كند تصديق اوناله جماد * وبينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى استنقذها منه أي استخلصها فالتفت اليه الذئب فقال من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري فقال الناس سبحان الله ذئب تكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أومن به وأبو بكر وعمر وعلى هذا انطاق الله جلود الكفار يوم القيامة وتسبيح الحصى في كفه عليه السلام وكلام الشاة المسمومة ومجيء الشجرتين اليه صلى الله عليه وسلم حتى يستتر بهما في قضاء حاجته ثم رجوعهما الى مكانهما وأمثال ذلك كثيرة ذكر الشيخ قطب وقته الهدائي الاسكداري في واقعاته انه كان يسمع في اثناء سلوكه من الماء الجاري ذكر يادائم يادائم (وفي المثنوى) نطق آب ونطق خاك ونطق كل * هست محسوس حواس اهل دل * فلسفى كو منكر حنانه است * از حواس اوليا بيكانه است * هركه اودردل شك و پيچانيست * درجهان اوفلسفى پنهانيست * قال بعض الحكماء معنى قوله ثم قست قلوبكم يبست ويبس القلب ان ييبس عن ماءين أحدهما ماء خشية الله تعالى والثاني ماء شفقة الخلق وكل قلب لايكون فيه خشية الله ولا شفقة الخلق فهو كالحجارة وأشد قسوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان أبعد الناس من الله القلب القاسي وقال أيضا أربعة من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وطول الامل والحرص على الدنيا والاشارة في تحقيق الآية ان اليهود وان شاهدوا عظيم الآيات فحين لم تساعدهم العناية لم تزدهم كثرة الآيات الاقسوة على قسوة فان الله أراهم الآيات الظاهرة فرأوها بنظر الحس ولم يرهم البرهان الذي يراه القلب فيحجزهم عن التكذيب والانكار يدل عليه قوله تعالى وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وهكذا حال بعض المكورين حين يشرعون في الرياضات يلوح لهم من صفاء الروحانية ظهور بعض الآيات وخرق العادات فاذا لم يكن مقارنا برؤية البرهان ليكون مؤيدا بالتأييدات الالهية لم يزدهم الا العجب والغرور وأكثر مايقع هذا للراهبين والمتفلسفة الذين استدرجهم الحق بالخذلان من حيث لايعلمون واعلم تشبيه قلوبهم بالحجارة لعدم اللين الى الذكر الحقيقي وهو مايتداركه الحق بذكره كقوله فاذكروني اذكركم ومراتب القلوب في القسوة متفاوتة فبعضها

بمرتبة الحجارة التي يتفجر منها الانهار وهو قلب يظهر عليه بغلبات أنواع الروح لصفائه بعض الاشياء المشبهة لخرق العادات كما يكون لبعض الرهابين والكهنة وبعضها بمرتبة وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وهو قلب يظهر عليه في بعض الاوقات عند انخراق حجب البشرية انوار الروح فيخبر به بعض الآيات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض الفلاسفة والشعراء وبعضها بمرتبة وان منها لما يهبط من خشية الله وهو قلب فيه بعض الصفاء فيكون بقدر صفائه قابل عكس أنوار الروح من وراء الحجب فيقع فيه الخوف والخشية كما يكون لبعض أهل الاديان والملل وهذه المراتب مشتركة بين قلوب المسلمين وغيرهم فالفرق بينهم أن أحوال هذه المراتب للمسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيدهم في قربهم بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلي انوار الحق كما قال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وبعض القلوب بمرتبة الحجر القاسي الذي لا يؤثر فيه القرآن والاخبار والحكمة والموعظة وهذا القلب مخصوص بالكافر والمنافق فانه قلب مختوم عليه وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم عاجلا وآجلا فأما عاجلا فأن يجعل انكاركم سبب مزيد قسوة قلوبكم فيقسيها بأعمالكم الفاسدة ويطبع عليها بطابع انكاركم قال عليه السلام ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن فان شاء اقامه وان شاء ازاغه وأما آجلا فيعاقبكم يوم القيامة على قدر سيآت أعمالكم كذا في التأويلات النجمية (أفتطمعون) كان عليه السلام شديد الحرص على الدعاء الى الحق وقبولهم الايمان منه وكان يضيق صدره بسبب عنادهم وتمردهم فقص الله عليه أخبار بني اسرائيل في العناد العظيم مع مشاهدة الآيات الباهرة تسلية لرسوله فيما يظهر من أهل الكتاب في زمانه من قلة القبول والاستجابة والخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما في قولك أتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله أأضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي اتسمعون أخبارهم وتعلمون أحوالهم فتطمعون ومآل المعنى أبعد أن علمتم تفاصيل شؤنهم المؤيسة منهم فتطمعون في (أن يؤمنوا) جميع اليهود أو علماؤهم فانهم متماثلون في شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا يتأتى من أخلافهم الا مثل ما أتى من أسلافهم فلا تحزنوا على تكذيبهم واللام في (لكم) لتضمين معنى الاستجابة اى في ايمانهم مستجيبين لكم أو للتعليل أى في أن يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم (و) الحال (قد كان فريق) كائن (منهم) أى طائفة ممن سلف منهم والفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط (يسمعون كلام الله) وهو ما يتلونه من التوراة (ثم يحرفونه) أى يغيرون ما فيها من الاحكام كتغييرهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما أمر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم أن تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم أن لا تفعلوا فلا بأس قال في التيسير الصحيح أنهم لم يسمعوا كلام الله بلا واسطة فان ذلك كان لموسى على الخصوص لم يشركه فيه غيره في الدنيا ومعنى يسمعون كلام الله أى التوراة من موسى بقراءته (من بعد ما عقلوه) أى من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته يقول كيف يؤمن هؤلاء وهم يقلدون أولئك الآباء فهم من أهل السوء الذين مضوا بالعناد فلا تطمعوا في الايمان منهم (وهم يعلمون) أى يحرفونه والحال انهم يعلمون أنهم كاذبون

مقترون (واذا لقوا) أى اليهود (الذين آمنوا) من أصحاب النبى عليه السلام (قالوا) أى منافقوهم (آمنا) كايمانكم وان محمدا هو الرسول المبشر به (واذا خلا) مضى ورجع (بعضهم) الذين لم ينافقوا اى اذا فرغوا من الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين (الى بعض) أى الى الذين نافقوا بحيث لم يبق معهم غيرهم (قالوا) أى الساكتون عاتبين لمنافقيهم على ما صنعوا (أتحدثونهم) تخبرونهم والاستفهام بمعنى النهى أى لا تحدثوهم يعنون المؤمنين (بما فتح الله عليكم) أى بينه الله لكم خاصة فى التوراة من نعت النبى عليه السلام والتعبير عنه بالفتح للايذان بأنه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه أحد (ليحاجوكم به) اللام متعلقة بالتحديث دون الفتح والضمير فى به لما فتح الله أى ليحتجوا عليكم به فيقطعوكم بالحجة ويبكتوكم (عند ربكم) أى فى حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا أى فى كتابه وشرعه والمحدثون به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض وهو المحاجة لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقلهم وركاكة آرائهم (أفلا تعقلون) متصل بكلامهم من التوبيخ والعتاب أى ألا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش وهو أن ذلك حجة لهم عليكم فالمنكر عدم التعقل ابتداء أو أتفعلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجوا الى التنبيه عليه فالمنكر حينئذ عدم التعقل بعد الفعل (أولا يعلمون) الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين أى أيلومونهم على التحديث مخافة المحاجة ولا يعلمون (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أى جميع ما يسرونه وما يعلنونه ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان فحينئذ يظهر الله للمؤمنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحى الى النبى عليه السلام فتحصل المحاجة والتبكيت كما وقع فى آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فأى فائدة فى اللوم والعتاب (ومنهم) أى من اليهود (أميون) لا يحسنون الكتب ولا يقدرون على القراءة والامى منسوب الى أمة العرب وهى الامة الخالية عن العلم والقراءة فاستعير لمن لا يعرف الكتابة والقراءة (لا يعلمون الكتاب) أى لا يعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا ما فيها من دلائل النبوة فيؤمنوا (الا امانى) جمع أمنية من التمنى والاستثناء منقطع لانها ليست من جنس الكتب أى لكن الشهوات الباطلة ثابتة عندهم وهى المفتريات من تغيير صفة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأنهم لا يعذبون فى النار الا أياما معدودة وأن آباءهم الانبياء يشفعون لهم وأن الله لا يؤاخذهم بخطاياهم ويرحمهم ولا حجة لهم فى صحة ذلك (وان هم) أى ما هم (الا يظنون) ظنا من غير تيقن به أى ما هم الا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يصلوا الى مرتبة العلم فأنى يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين (فويل) كلمة يقولها كل واقع فى هلكة بمعنى الدعاء على النفس بالعذاب أى عقوبة عظيمة وهو مبتدأ خبره ما بعده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنه انه واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره أى ذابت (للذين يكتبون الكتاب) المحرف (بأيديهم) تأكيد لدفع توهم المجاز فقد يقول انسان كتبت الى فلان اذا أمر غيره أن يكتب عنه اليه (ثم يقولون) لعوامهم (هذا) أى المحرف (من عند الله) فى التوراة روى أن أحبار

اليهود خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبى عليه السلام المدينة فاحتالوا فى
تعويق أسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبى عليه السلام فى التوراة وكانت هى
فيها حسن الوجه جعد الشعر أكحل العين ربعة أى متوسط القامة فغيروها وكتبوا مكانه طوال
أزرق سبط الشعر وهو خلاف الجعد فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه
مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه (ليشتروا به) أى يأخذوا لانفسهم بمقابلة المحرف (ثمنا)
هو ما أخذوه من الرشا بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل الزائغ وانما عبر عن المشترى الذى
هو المقصود بالذات فى عقد المعاوضة بالثمن الذى هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا
المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودة بالذات (قليلا) لا يعبأ به انما وصفه بالقلة اما لفنائه
وعدم ثوابه واما لكونه حراما لان الحرام لا بركة فيه ولا يربو عند الله كذا فى تفسير القرطبى
(فويل لهم) أى العقوبة العظيمة ثابتة لهم (مما كتبت ايديهم) من أجل كتابتهم اياه (وويل
لهم مما يكسبون) من أخذهم الرشوة وعملهم المعاصى وأصل الكسب الفعل لجر نفع أو دفع
ضر ولهذا لا يوصف به سبحانه * وفى الآيات اشارات الاولى أن علم الرجل ويقينه ومعرفته
وكمالاته مع الله لا يفيده الايمان الحقيقى الا أن يتداركه الله بفضله ورحمته قال الله تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا وان الله تعالى كلم ابليس وخاطبه بقوله
يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى وما أفاده الايمان الحقيقى اذ لم يكن مؤيدا من الله
بفضله ورحمته ولم يبق على الايمان بعد العيان فكيف يؤمن بالبرهان (قال فى المثنوى)
جز عنايت كه كشايد جشم را * جز محبت كه نشاند خشم را * جهد بى توفيق خود كس را مباد
* در جهان والله اعلم بالسداد * جهد فرعونى جو بى توفيق بود * هرجه او مى دوخت آن
تفتيق بود * والثانية أن العالم المعاند والعامى المقلد سواء فى الضلال لان العالم عليه أن يعمل
بعلمه وعلى العامى أن لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم وأن الدين ليس بالتمنى فالذين
ركنوا الى التقليد المحض واغتروا بظنون فاسدة وتخمينات مبهمة فهم الذين لا نصيب لهم من
كتبهم الا قراءتها دون معرفة معانيها وادراك أسرارها وحقائقها وهذا حال أكثر أهل زماننا
من مدعى الاسلام فالمدعى والمتمنى عاقبتهما خسران وضلال وحسرة وندامة ووبال (وفى
المثنوى) تشنه را كر ذوق آيد از سراب * جون رسد در وى كريزد جويد آب * مفلسان
كر خوش شوند از زر قلب * ليك آن رسوا شود در دار ضرب * والثالثة أن من بدل أو غير
أو ابتدع فى دين الله ما ليس منه فهو داخل فى الوعيد المذكور وقد حذر رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم أمته لما علم ما يكون فى آخر الزمان فقال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب
افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين كلها فى النار الا واحدة
فحذرهم أن يحدثوا من تلقاء انفسهم فى الدين خلاف كتاب الله او سنته او سنة اصحابه فيضلوا به
الناس وقد وقع ما حذره وشاع وكثر وذاع فانا لله وانا اليه راجعون (قال السعدى) تخواهى
كه نفرين كنند از پست * نكو باش تا بد نكويد كست * نه هر آدمى زاده از دد بهست
* كه دد ز آدمى زاده بد بهست * والرابعة أن بعض المتسمين بالصوفية ينضم الى الاولياء
وأرباب القلوب ظاهرا ثم لا يصدق الارادة ويميل الى أهل الغفلة ويصغى الى اقوالهم ويشتهى

ارتكاب أفعالهم وكلما دعته هواتف الحظوظ سارع الى الاجابة طوعا واذا قادته دواعي الحق تكلف كرها ليس له اخلاص في الصحبة في طريق الحق فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون من الالحاد عن الحق واعتقاد السوء واغراء الخلق واضلالهم فهم الذين ضلوا وأضلوا كثيرا (وفي المثنوى) صد هزاران دام ودانه است اى خدا * ما چو مرغان حريص بى نوا * دمبدم ما بسته دام نويم * هريكى كر باز وسيمرغى شويم * فعلى السالك أن يجتهد في الوصول الى الموجود الحق ويتخلص من الموهوم المطلق ولا يغتر بظواهر الحالات غافلا عن بطون الاعتبارات فان طريق الحق ادق من كل دقيق وماء عميق وفج سحيق وأجهل الناس من يترك يقين ما عنده من صفات نفسه التي لا شك فيها لظن ما عند الناس من صلاحية حاله قال حرث بن اسد المحاسبي رضى الله عنه الراضي بالمدح بالباطل كمن يهزأ به ويقال له ان العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح ويرضى بالسخرية به فالعاقل لا يغتر بمثله بل يجتهد الى أن يصل الى الحقيقة فويل لواعظ تكبروا فتخر بتقبيل الناس يده ورأى نفسه خيرا من السامعين ويتقيد بالمدح والذم اللهم الا أن يخرج ذلك من قلبه والمعيار مساواة المقبل واللاطم عنده بل رجحان اللاطم والضارب قال في مجلس وعظه جنيد البغدادي لولم اسمع قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر لما اجترأت على الوعظ فأنا ذلك الرجل الفاجر (وقالوا) أي اليهود زعما منهم (لن تمسنا النار) أي لا تصل الينا النار في الآخرة (الا أياما معدودة) قليلة محصورة سبعة أيام فانهم يقولون ان أيام الدنيا سبعة آلاف سنة فنعذب مكان كل ألف سنة يوما ويراد أربعين يوما مقدار عبادة آبائهم العجل قال أبو منصور رحمه الله تصرف الايام المعدودة الى العمر الذي عصوا فيه وهم لم يروا التعذيب الاعلى قدر وقت العصيان او كانوا لا يرون التخليد في النار كالجهمية او لانهم كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه فلا نعذب ابدا بل نعذب تعذيب الاب ابنه والحبيب حبيبه في وقت قليل ثم يرضى وهذا منهم باطل وعقوبة الكفر أبدا وثواب الايمان كذلك لان من اعتقد دينا انما يعتقده للابد فعلى ذلك جزاؤه للابد (قل) يا محمد تبكيتا لهم وتوبيخا (أتخذتم) بقطع الهمزة لانه ألف استفهام بمعنى التوبيخ والالف المجتلبة ذهبت بالادراج أي أأتخذتم (عند الله عهدا) خبرا ووعدا بما تزعمون فان ما تدعون لا يكون الابناء على وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد (فلن) الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف أي ان اتخذتم عند الله عهدا وأمانا فان (يخلف الله) الاخلاف نقض العهد (عهده) الذي عهده اليكم يعني يجز وعده البتة قال الامام أبو منصور لهذا وجهان أحدهما هل عندكم خبر عن الله تعالى أنكم لا تعذبون أبدا لكن أياما معدودة فان كان لكم هذا فهو لا يخلف عهده ووعده والثاني ألكم عند الله أعمال صالحة ووعدكم بها الجنة فهو لا يخلف وعده (أم تقولون) مفترين (على الله ما لا تعلمون) وقوعه وأم معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى أي الامرين المتساويين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما تحتيمه ان كان لكم عنده عهد فلا ينقض ولكنكم تخرصون وتكذبون روى أنهم اذا مضت تلك المدة عليهم في النار يقول لهم خزنة جهنم يا اعداء الله ذهب الاجل وبقي الابد فأيقنوا بالخلود (بلى) اثبات لما بعد النفي فهو جواب النفي ونعم جواب الايجاب أي قلتم لن تمسنا النار سوى الايام

المعدودة بلى تمكثون فيها أبدا بدليل قولهم هم فيها خالدون وبين ذلك بالشرط والجزاء وهما (من) فهو رفع مبتدأ بمعنى الشرط ولذلك دخلت الفاء فى خبره وان كان جوابا للشرط (كسب) الكسب استجلاب النفع واستعماله فى استجلاب الضر كالسيئة على سبيل التهكم (سيئة) من السيآت يعنى كبيرة من الكبائر (وأحاطت به خطيئته) تملكته واستولت عليه من جميع جوانبه من قلبه ولسانه ويده كما يحيط العدو وهذا انما يتحقق فى الكافر ولذلك فسر السلف السيئة بالكفر (فأولئك) الموصوفون بما ذكر من كسب السيآت واحاطة خطاياهم بهم أشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى فى كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ فى الضمائر الثلاثة (أصحاب النار) أى ملازموها فى الآخرة حسب ملازمتهم فى الدنيا لما يستوجبها من الاسباب التى من جملتها ما هم عليه من تكذيب آيات الله وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وهو خبر أولئك والجملة خبر للمبتدأ (هم فيها خالدون) دائمون فأنى لهم التفصى منها بعد سبعة أيام او أربعين كما زعموا والجملة فى حيز النصب على الحالية لورود التصريح به فى قوله تعالى أصحاب النار خالدين فيها ولا حجة فى الآية على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر (والذين آمنوا) أى صدقوا بالله تعالى ومحمد عليه السلام بقلوبهم (وعملوا الصالحات) أى أدوا الفرائض وانتهوا عن المعاصى (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لا يموتون ولا يخرجون منها أبدا جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة فى ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب أخرى والتبشير مرة والانذار أخرى فان باللطف والقهر يترقى الانسان الى الكمال ويفوز بجنة الجمال والجلال (حكى) أنه كان لشيخ مريد فقال له يوما لو رأيت أبا يزيد كان خيرا لك من شغلك فقال كيف يكون هو خيرا وهو مخلوق ويتجلى الخالق كل يوم سبعين مرة ثم بالآخرة ذهب مع شيخه الى أبى يزيد البسطامى فقالت امرأته لا تطلبوه فهو امر وذهب للحطب فوقفا فى طريقه فاذا هو حمل الحطب على أسد عظيم وبيده حية يضرب الاسد بها فى بعض الاوقات فلما رآه المريد مات وقال أبو يزيد لشيخه قد ربيت مريدك باللطف ولم ترشده الى طريق القهر فلم يتحمل لما رآنى فلا تفعل بعد اليوم وارهم القهر أيضا قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندى ان أبا يزيد برؤية القهر واللطف من الطريق كان مظهرا لتجلى الذات بخلاف المريد فلما رآه فيه لم يتحمل (قال فى المثنوى) عاشقم بر قهر وبر لطفش بجد * بو العجب من عاشق اين هر دو ضد * والله ار زين خار در بستان شوم * همچو بلبل زين سبب نالان شوم * اين عجب بلبل كه بگشايد دهان * تا خورد او خار را با گلستان * اين چه بلبل اين نهنگ آتشيست * جمله ناخوشها ز عشق او را خوشيست * والاشارة فى الآيات الى أن بعض المغرورين بالعقل من الفلاسفة والطبائعية وغيرهم لفرط غفلتهم ظنوا أن قبائح أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم لا تؤثر فى صفاء أرواحهم فاذا فارقت الارواح الاجساد يرجع كل شئ الى أصله فالاجساد ترجع الى العناصر والارواح الى حظائر القدس ولا يزاحمها شئ من نتائج الاعمال الا أياما معدودة وهذا فاسد لان العاقل يشاهد حسا وعقلا أن تتبع الشهوات الحيوانية واستيفاء اللذات النفسانية يورثها الاخلاق الذميمة من الحرص والامل والحقد والحسد والبغض والغضب والبخل والكبر والكذب وغير ذلك وهذه من صفات النفس

الامارة

الامارة بالسوء فتصير بالمجاورة والتعود أخلاق الروح فيتكدر صفاؤه وتتبدل أخلاقه الروحانية من الحلم والكرم والمروءة والصدق والحياء والعفة والصبر والشكر وغير ذلك بالاخلاق الحيوانية الشيطانية والذي يجتهد في قمع الهوى والشهوات يورث هذه المعاملات من مكارم الاخلاق وصفاء القلب وتحننه الى وطنه الاصلي وغير ذلك فلا يساوي الروح المتبع للنفس الامارة كما للعوام بعد المفارقة مع الروح المتبع لالهامات الحق كما يكون للخواص وبعضهم قالوا وان تدنست الارواح بقدر تعلقها بمحبوبات طباعها فبعد المفارقة بقيت في العذاب أياما معدودة على قدر انقطاع التعلقات عنها وزوال الكدورات ثم تخلص وهذا أيضا خيال فاسد وكذبهم الله بقوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته تظهر على مرآة قلبه بقدرها رينا فان تاب محي عنه وان أصر على السيآت حتى اذا أحاط مرآة قلبه رين السيآت بحيث لا يبقى فيه الصفاء الفطري وخرج منه نور الايمان وضوء الطاعات فأحاطت به الخطيآت فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وفيه اشارة أيضا الى بعض أرباب الطلب ممن يركن الى الشهوات الدنيا في أثناء الطلب فيتظفر عليه الشيطان ويغره بزهده فيوقعه في ورطة العجب فينظر الى نفسه بنظر التعظيم والى الخلق بنظر التحقير فيهلك أو يغتر بما ظهر في أثناء السلوك من بعض الوقائع الصادقة والرؤيا الصالحة وشيء من المشاهدات والمكاشفات الروحانية لا الربانية فيظن المغرور أن ليس وراء عبادته قربة وأنه بلغ مبلغ الرجال فيسكت عن الطلب وتعتريه الآفات حتى أحاطت به خطيئته فرجع القهقرى الى أسفل الطبيعة وأما الذين آمنوا من أهل الطلب وعملوا على قانون الشريعة باشارة شيخ الطريقة الصالحات المبلغات الى الحقيقة فأولئك أصحاب الوصول الى جنات الاصول خالدين فيها بالسير الى أبد الآباد فان المنازل والمقاصد وان كانت متناهية لكن السير في المقصد غير متناه بخلاف الذين أحاطت بهم خطيئتهم فانهم خالدون في نار القطيعة وان تنفعهم المجاهدات والنظر في المعقولات والاستدلال بالشبهات (واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل) في التوراة والميثاق العهد الشديد وهو على وجهين عهد خلقة وفطرة وعهد نبوة ورسالة واذ نصب باضمار فعل خوطب به النبي عليه السلام والمؤمنون ليؤديهم التأمل في أحوالهم الى قطع الطمع عن ايمان أخلافهم لان قبائح أسلافهم مما يؤدي الى عدم ايمانهم ولا تلد الحية الا الحية ومن ههنا قيل * اذا طاب اصل المرء طابت فروعه * أو اليهود الموجودون في عصر النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع أسلافهم أي اذكروا اذ أخذنا ميثاقهم بأن (لا تعبدون الا الله) أي أن لا تعبدوا فلما أسقط أن رفع تعبدون لزوال الناصب أو على أن يكون اخبارا في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد به الامر أي اذهب وهو أبلغ من صريح الامر والنهي لما فيه من ايهام أن المنهي حقه أن يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهي أي لا توحدوا الا الله ولا تجعلوا الالوهية الا لله وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قيل وأحلفناهم وقلنا بالله لا تعبدون الا الله (وبالوالدين احسانا) أي وتحسنون احسانا على لفظ تعبدون لانه اخبار أو وأحسنوا على معناه لانه انشاء أي برا كثيرا وعطفا عليهما ونزولا عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله (وذي القربى) أي وتحسنون الى ذي القرابة أيضا مصدر كالحسنى (واليتامى) جمع

يتيم وهو الصغير الذى مات أبوه قبل البلوغ ومن الحيوانات الصغير الذى ماتت أمه والاحسان بهم بحسن التربية وحفظ حقوقهم عن الضياع (والمساكين) بحسن القول وايصال الصدقة اليهم جمع مسكين من السكون كأن الفقر أسكنه عن الحراك أى الحركة وأثقله عن التقلب (و) قلنا (قولوا للناس) قولا (حسنا) سماه حسنا مبالغة لفرط حسنه أمر بالاحسان بالمال فى حق أقوام مخصوصين وهم الوالدان والاقرباء واليتامى والمساكين ولما كان المال لا يسع الكل أمر بمعاملة الناس كلهم بالقول الجميل الذى لا يعجز عنه العاقل يعنى وألينوا لهم القول بحسن المعاشرة وحسن الخلق وأمروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر أى وقولوا للناس صدقا وحقا فى شأن محمد عليه السلام فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموا أمره (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) كما فرضا عليهم فى شريعتهم ذكرهما تنصيصا مع دخولهما فى العبادة المذكورة تعميما وتخصيصا للخصيصة أخذنا عهدكم يا بنى اسرائيل بجميع المذكور فقبلتم وأقبلتم عليه (ثم توليتم) على طريقة الالتفات أى أعرضتم عن المضى على مقتضى الميثاق ورفضتموه (الا قليلا منكم) وهم من الاسلاف من أقام اليهودية على وجهها ومن الاخلاف من أسلم كعبد الله بن سلام وأضرابه (وأنتم معرضون) جملة تذييلية أى وأنتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق وليس الواو للحال لاتحاد التولى والاعراض فالجملة اعتراض للتأكيد فى التوبيخ وأصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض واعلم أن فى الآية عدة أشياء منها العبادة فمن شرط العبودية تفرد العبد لعبادة المعبود وتجرده عن كل مقصود فمن لاحظ خلقا أو استحلى ثناء أو استجلب بطاعته الى نفسه حظا من حظوظ الدنيا والآخرة أو داخله بوجه من الوجوه مزج أو شوب فهو ساقط عن مرتبة الاخلاص برؤية نفسه * حجاب راه توى حافظ ازميان برخيز * خوشا كسى كه ازين راه بى حجاب رود * ومنها الاحسان الى الوالدين وقد عظم الله حق الوالدين حيث قرن حقه بحقهما فى آيات من القرآن لان النشأة الاولى من عند الله والنشأة الثانية وهى التربية من جهة الوالدين ويقال ثلاث آيات أنزلت مقرونة بثلاث آيات ولا تقبل احداهما بغير قرينتها احداها قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول والثانية ان اشكر لى ولوالديك والثالثة أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة والاحسان الى الوالدين معاشرتهما بالمعروف والتواضع لهما والامتثال الى أمرهما وصلة أهل ودهما والدعاء بالمغفرة بعد مماتهما (قال السعدى) سالها بر تو بگذرد كه گذر * نكنى سوى تربت پدرت * تو بجاى پدر چه كردى خير * تا همان چشم دارى از پسرت * وفى التأويلات النجمية ان فى قوله وبالوالدين احسانا اشارة الى أن أعز الخلق على الولد والداه لاجل أنهما سببا وجوده فى الظاهر ولكن ينبغى أن يحسن اليهما بعد خروجه من عهدة عبودية ربه اذ هو موجد وجوده ووجود والديه فى الحقيقة ولا يختار على أداء عبوديته احسان والديه فكيف الالتفات لغيرهما * ومنها البر الى اليتامى * برحمت بكن آبش از ديده پاك * بشفقت بيفشانش از چهره خاك * وفى الحديث ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم فلا يقرب قصعتهم الشيطان وفى الحديث أيما من ضم يتيما من بين مسلمين الى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله عز وجل غفرت له ذنوبه البتة الا أن يعمل عملا لا يغفر ومن أذهب الله كريمتيه

فصبر واحتسب غفرت له ذنوبه قالوا وما كريمتاه قال عيناه ومن كان له ثلاث بنات أو ثلاث اخوات فأنفق عليهن وأحسن اليهن حتى يكبرن أو يمتن غفرت له ذنوبه البتة الا أن يعمل عملا لا يغفر فناداه رجل من الاعراب ممن هاجر فقال يا رسول الله أو اثنتان فقال صلى الله عليه وسلم أو اثنتان وقال صلى الله عليه وسلم كافل اليتيم أنا وهو كهاتين في الجنة وأشار بالسبابة والوسطى والسبابة من الاصابع هي التي تلي الابهام وكانت في الجاهلية تدعى بالسبابة لانهم كانوا يسبون بها فلما جاء الله بالاسلام كرهوا هذا الاسم فسموها بالمشيرة لانهم كانوا يشيرون بها الى الله بالتوحيد والمشيرة من أصابع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت أطول من الوسطى ثم الوسطى أقصر منها ثم البنصر أقصر من الوسطى فقوله عليه السلام أنا وهو كهاتين في الجنة وقوله في الحديث الآخر أحشر أنا وأبو بكر وعمر يوم القيامة هكذا وأشار بأصابعه الثلاث فانما أراد ذكر المنازل والاشراف على الخلق فقال نحشر هكذا ونحن مشرفون وكذلك كافل اليتيم يكون له منزلة رفيعة فمن لم يعرف شأن أصابع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حمل تأويل الحديث على الانضمام واقتراب بعضهم من بعض في محل القربة وهذا معنى بعيد لان منازل الرسل والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين مراتب متباينة ومنازل مختلفة كذا في تفسير القرطبي * ومنها البر الى المساكين وهم الذين أسكنتهم الحاجة وذلتهم وهذا يتضمن الحض على الصدقة والمواساة وتفقد أحوال المساكين والضعفاء وفي الحديث الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكان طاوس يرى السعي على الاخوات أفضل من الجهاد في سبيل الله * شنواهى كه باشى برا كنده دل * برا كنده كانرا زخاطر مهل * بريشان كن امروز كنجينه جست * كه فردا كليدش نه دردست تست * ومنها القول الحسن ولما خرج الطالب من عهدة حق العبودية وعمت رحمته وشفقته الوالدين وغيرهما لزمه أن يقول للناس حسنا يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة الى الله ويهديهم الى طريق الحق ويخالقهم بحسن الخلق وأن يكون قوله لينا ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر والسني والمبتدع من غير مداهنة ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضى مذهبه لان الله تعالى قال لموسى وهرون عليهما السلام فقولا له قولا لينا فليس بأفضل من موسى وهرون والفاجر ليس بأخبث من فرعون وقد أمرهما الله باللين معه فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفي (قال الحافظ) آسايش دوكيتى تفسير اين دوحرفست * بادوستان تلطف بادشمنان مدارا (وقال السعدى) درشتى نكيرد خردمند بيش * نه سستى كه ناقص كند قدر خويش * (واذ أخذنا ميثاقكم) أي واذكروا أيها اليهود وقت أخذنا اقراركم وعهدكم في التوراة وقلنا لكم (لا تسفكون دماءكم) لا يريق بعضكم دم بعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به أصلا أو دينا فلما بينهم من الاتصال القوى نسبا ودينا أجرى كل واحد منهم مجرى أنفسهم وقيل اذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لانه يقتص منه وهو اخبار في معنى النهي كأنه سورع الى الانتهاء فهو يخبر عنه (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أي لا يخرج بعضكم بعضا من دياره ولا تسبوا جيرانكم فتلجؤهم الى الخروج وفي اقتران الاخراج من الديار بالقتل ايذان بأنه بمنزلة القتل (ثم أقررتم) أي بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه وبوجوب المحافظة عليه (وأنتم تشهدون)

عليها تو كيد للاقرار كقولك فلان مقرّ على نفسه بكذا شاهد عليها أو أنتم اليوم أيها اليهود تشهدون على اقرار أسلافكم بهذا الميثاق (ثم أنتم) مبتدأ (هؤلاء) خبر ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذى خرجت به والمعنى أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون والناقضون المتناقضون يعنى أنكم قوم آخرون غير أولئك المقرين كأنهم قالوا كيف نحن نقيل (تقتلون أنفسكم) أى الجارين مجرى أنفسكم فهو بيان لقوله ثم أنتم هؤلاء (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) الضمير للفريق وهو الطائفة (تظاهرون عليهم) بحذف احدى التاءين حال من فاعل تخرجون أو من مفعوله مبينة لكيفية الاخراج رافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعنى تتقوون ظهوركم للغلبة عليهم (بالاثم) حال من فاعل تظاهرون أى ملتبسين بالاثم وهو الفعل الذى يستحق فاعله الذم واللوم (والعدوان) أى التجاوز فى الظلم ودلت الآية على أن الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه كذا فى التفسير الكبير (وان يأتوكم أسارى) أى جاؤكم حال كونهم مأسورين أى ظهروا لكم على هذه الحالة ولم يرد بها الاتيان الاختيارى والاسارى والاسرى جمع أسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل بمعنى المفعول من الاسر بمعنى الشد والايثاق والفرق أنهم اذا قيدوا فهم اسارى واذا حصلوا فى اليد من غير قيد فهم اسرى (تفادوهم) أى تخرجوهم من الاسر باعطاء الفداء والمفاداة تجرى بين الفادى وبين قابل الفداء (وهو) مبتدأ أى الشأن (محرم عليكم اخراجهم) محرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا عن اخراجهم والجملة خبر لضمير الشأن وذلك ان الله تعالى أخذ على بنى اسرائيل فى التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وأيما عبدا وأمة وجدتموه من بنى اسرائيل فاشتروه وأعتقوه وكان قريظة والنضير من اليهود أخوين وكذا الاوس والخزرج وهم اهل شرك يعبدون الاصنام ولا يعرفون القيامة والجنة والنار والحلال والحرام فافترقوا فى حرب ثم ووقعت بينهم عداوة فكانت بنو قريظة معينة للاوس وحلفاءهم أى ناصريهم والنضير معينة للخزرج وحلفاءهم فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قريظة مع الاوس والنضير مع الخزرج يظاهر كل قوم حلفاءهم على اخوانهم حتى يتسافكوا الدماء واذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم منها وبأيديهم التوراة يعرفون ما فيها مما عليهم وما لهم فاذا وضعت الحرب أوزارها افتدى قريظة ما كان فى أيدى الخزرج منهم وافتدى النضير ما كان فى أيدى الاوس منهم من الاسارى فعيرتهم العرب بذلك وقالوا كيف تقاتلونهم وتفدونهم فقالوا أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم قالوا فلم تقاتلونهم قالوا انا نستحيى أن يستذل حلفاؤنا فذمهم على المناقضة وتلخيصه أعرضتم عن الكل الا الفداء لان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم وفداء اساراهم فأعرضوا عن الكل الا الفداء (أفتؤمنون ببعض الكتاب) وهو الفداء والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام أى أتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب (وتكفرون ببعض) هو حرمة القتال والاخراج مع أن قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقى لكون الكل من عند الله داخلا فى الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض (فما جزاء) ذو

أى ليس جزاء (من يفعل ذلك) أى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان بالبعض (منكم) يا معشر
اليهود حال من فاعل يفعل (الا خزى) استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ أى ذل وهوان مع
الفضيحة وهو قتل بنى قريظة وأسرهم واجلاء بنى النضير الى اذرعات واريحاء من الشام وقيل
هو أخذ الجزية (فى الحيوة الدنيا) صفة خزى ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ماذكر لقطع
أطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار أنه لا أثر له أصلا مع الكفر بالبعض
(ويوم القيامة) يوم تقام فيه الاجزية (يردون) أى يرجعون والرد الرجع بعد الاخذ (الى أشد
العذاب) هو التعذيب فى جهنم وهو أشد من خزيهم فى الدنيا وأشد من كل عذاب كان قبله فانه
ينقطع وهذا لا ينقطع وفى الحديث فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وانما كان أشد
لما أن معصيتهم كانت أشد المعاصى (وفى المثنوى) هركه ظالمتر جهش باهولتر * عدل فرمودست
بدتررا بتر (وما الله بغافل) بساه (عما تعملون) من القبائح التى من جملتها هذا المنكر أى لا يخفى
عليه شئ من أعمالهم فيجازيهم بها يوم البعث تهديد شديد وزجر عظيم عن المعصية وبشارة عظيمة
على الطاعة لان الغفلة اذا كانت ممتنعة عليه سبحانه مع أنه اقدر القادرين وصلت الحقوق الى
مستحقيها (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة (الذين اشتروا الحيوة الدنيا)
واستبدلوها (بالآخرة) وأعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ماذكر من الكفر ببعض
أحكام الكتاب انما كان مراعاة لجانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدينية
والدنيوية (فلا يخفف عنهم العذاب) دنيويا كان أو أخرويا (ولا هم ينصرون) يمنعون من
العذاب بدفعه عنهم بشفاعة أو جبر اعلم أن الجمع بين تحصيل لذات الدنيا ولذات الآخرة ممتنع غير
ممكن والله سبحانه مكن المكلف من تحصيل أيتهما شاء وأراد فاذا اشتغل بتحصيل احداهما
فقد فوت الاخرى على نفسه فجعل الله ما أعرض اليهود عنه من الايمان بما فى كتابهم وما حصل فى
أيديهم من الكفر ولذات الدنيا كالبيع والشراء وذلك من الله نهاية الذم لهم لان المغبون فى البيع
والشراء فى الدنيا مذموم فأن يذم مشترى الدنيا بالآخرة أولى فعلى العاقل أن يرغب فى تجارة
الآخرة ولا يركن الى الدنيا ولا يسفك دمه بامتثال أوامر الشيطان فى استجلاب حظوظ النفس
ولا يخرج من ديار دينه التى كان عليها فى أصل الفطرة فانه اذا يضل ويشقى وفى قوله لا تسفكون
دماءكم اشارة أخرى الى أن العبد لا يجوز له أن يقتل نفسه من جهد أو بلاء يصيبه أو يهيم
فى الصحراء ولا يأتى البيوت جهلا فى ديانته وسفها فى حلمه فهو عام فى جميع ذلك وقد روى أن
بعض الصحابة رضى الله عنهم عزموا أن يلبسوا المسوح وأن يهيموا فى الصحراء ولا يأووا الى
البيوت ولا يأكلوا اللحم ولا يغشوا النساء فقال عليه السلام انى أصلى وأنام وأصوم وأفطر
وأغشى النساء وآوى الى البيوت وآكل اللحم فمن رغب عن سنتى فليس منى فرجعوا عما عزموا
قال تعالى وآت كل ذى حق حقه فالكمال فى التجاوز عن القيود والوصول الى عالم الشهود
وعين العارف لا ترى غير الله فى المرايا والمظاهر فمن أى شئ يهرب والى أين يهرب فأينما تولوا فثم
وجه الله ولذا قيل الذى يطلب العلم لله اذا قيل له غدا تموت لا يضع الكتاب من يده لكونه وفى
الحقوق مشتغلا به لله مخلصا له النية فلم ير أفضل مما هو فيه فيجب أن يأتيه الموت على ذلك واعلم
أيضا أن الاسارى أصناف شتى فمن أسير فى قيد الهوى فانقاذه بالدلالة على الهدى ومن أسير

فى قيد حب الدنيا فخلاصه باخلاص ذكر الموت (وفى المثنوى) ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز * چشم نركس را ازين كركس بدوز * ومن أسير بقى فى قيد الوسواس فقد استهوته الشياطين ففداؤه برشده الى اليقين بلوائح البراهين لينقذه من الشكوك والظنون والتخمين ويخرجه من ظلمات التقليد وما تعوّد بالتلقين ومن أسير تجده فى أسر هواجس نفسه ربط زلاته ففك أسره فى ارشاده الى اقلاعها ومن أسير تجده فى أسر صفاته وحبس وجوده فنجاته فى الدلالة على الحق فيما يحل عنه وثاق الكون ومن أسير تجده فى قبضة الحق فليس لاسيرهم فداء ولا لقتيلهم قود ولا لربطهم خلاص ولا منهم بدل ولا معهم جدل ولا اليهم لغيرهم سبيل ولا لديهم الا بهم دليل ولا بهم قرار ولا معهم قرار فهذا مقام الاولياء الكمل فمن اتخذ هذه الطريقة سبيلا نال فوق مراده ووصل الى مقام وداده وتخلص من الخزى الذى هو عمى القلب عن مشاهدة الحق والعمه فى تيه الباطل فى الدنيا والآخرة (قال فى المثنوى) اصل صد يوسف جمال ذو الجلال * اى كم از زن شو فداى آن جمال * اصل بيند ديده چون اكمل بود * فرع بيند ديده چون احول بود * سرمهٔ توحيد از كحال حال * يافته رسته زعلت واعتلال * ولا بد من العشق فى طريق الحق (وحكى) أن عجوزا أحضرت السوق قطعة غزل وقالت اكتبونى من مشترى يوسف حتى يوجد اسمى فى دفتر العشاق اللهم لا تحجبنا عن جمالك وعنك واجعلنا من الفائزين بنوالك ووصالك منك (ولقد آتينا) أى بالله لقد أعطينا بنى اسرائيل (موسى) لغة عبرانية قد سبق تفصيله عند قوله تعالى واذ واعدنا موسى الآية (الكتاب) أى التوراة جملة واحدة (وقفينا من بعده بالرسل) يقال قفاه به اذا أتبعه اياه أى أتبعنا من بعد موسى رسولا بعد رسول مقتفين أثره وهم يوشع وشمويل وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام (وآتينا عيسى) بالسريانية اليسوع ومعناه المبارك والاصح أنه لا اشتقاق له ولا مثال له فى العربية (ابن) باثبات الالف وان كان واقعا بين العلمين لندرة الاضافة الى الام (مريم) بالسريانية بمعنى الخادمة والعابدة قد جعلتها أمها محررة لخدمة المسجد ولكمال عبادتها ربما اعاها الحق تعالى فى كتابه الكريم مع الانبياء عليهم السلام سبع مرات وخاطبها كما خوطب الانبياء كما قال تعالى يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين فشاركها مع الرجال (البينات) المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل (وأيدناه) أى قويناه (بروح القدس) من اضافة الموصوف الى الصفة أى بالروح المقدسة المطهرة وهى روح عيسى عليه السلام وصفت بالقدس للكرامة لان القدس هو الله تعالى أو الروح جبريل ووصف بالطهارة لانه لم يقترف ذنبا وسمى روحا لانه كان يأتى الانبياء بما فيه حياة القلوب ومعنى تقويته به أنه عصمه من أول حاله الى كبره فلم يدن منه شيطان عند الولادة ورفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله وتخصيص عيسى من بين الرسل ووصفه بايتاء البينات والتأييد بروح القدس لما أن بعثتهم كانت لتنفيذ أحكام التوراة وتقريرها وأما عيسى فقد نسخ بشرعه كثيرا من أحكامها وحسم مادة اعتقادهم الباطل فى حقه ببيان حقيقته واظهار كمال قبح ما فعلوا به وما بين موسى وعيسى أربعة آلاف نبى وقيل سبعون ألف نبى (افكلما جاءكم) خاطب أهل عصر النبى عليه السلام بهذا وقد فعله أسلافهم يعنى لم يوجد منهم القتل

وان وجد الاستكبار لانهم يتولونهم ويرضون بفعلهم والفاء للعطف على مقدر يناسب المقام أى ألم تطيعوهم فكلما جاءكم (رسول بما لا تهوى) أى لا تريد (أنفسكم) ولا يوافق هواكم من الحق الذى لا انحراف عنه (استكبرتم) أى تعظمتم عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله (ففريقا) منهم (كذبتم) كعيسى ومحمد عليهما السلام (وفريقا تقتلون) كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وقدم فريقا فى الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر ولم يقل قتلتم وان أريد الماضى تنظيما لهذه الحالة فكأنها وان مضت حاضرة لشناعتها ولثبوت عارها عليهم وعلى ذريتهم بعدهم أو يراد وفريقا تقتلونهم بعد وانكم على هذه النية لانكم حاولتم قتل محمد عليه الصلاة والسلام لولا أنى أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة حتى قال عليه السلام عند موته ما زالت أكلة خيبر تعاودنى أى يراجعنى أثر سمها فى أوقات معدودة فهذا أوان قطعت ابهرى وهو عرق منبسط فى القلب اذا انقطع مات صاحبه وقصته أنه لما فتحت خيبر وهو موضع بالحجاز أهديت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله انى سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقى فيه قالوا نعم يا أبا القاسم قال هل جعلتم فى هذه الشاة سما قالوا نعم قال فما حملكم على ذلك قالوا أردنا ان كنت كاذبا أن نستريح منك وان كنت صادقا لم يضرك واعلم أن اليهود أنفوا من أن يكونوا أتباعا وكانت لهم رياسة وكانوا متبوعين فلم يؤمنوا مخافة أن تذهب عنهم الرياسة فما دام لم يخرج حب الرياسة من القلب لا تكون النفس مؤمنة بالايمان الكامل وللنفس صفات سبع مذمومة العجب والكبر والرياء والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه ولجهنم أيضا أبواب سبعة فمن زكى نفسه عن هذه السبع فقد أغلق سبعة أبواب جهنم ودخل الجنة وأوصى ابراهيم بن أدهم بعض أصحابه فقال كن ذنبا ولا تكن رأسا فان الرأس يهلك والذنب يسلم (قال فى المثنوى) تا توانى بنده شو سلطان مباش * زخم كش چون كوى شو چوكان مباش * اشتهار خلق بند محكمست * در ره اين از بند آهن كى كمست * وعن بعض المشايخ النقشبندية أنه قال دخلت على الشيخ المعروف بنده عمر الروشنى للعيادة فوجدته متغير الحال بسبب أنه داخله شئ من حب الرياسة لانه كان مشهورا فى بلدة تبريز مرجعا للاكابر والاصاغر فنعوذ بالله من الحور بعد الكور وفى شرح الحكم ادفن وجودك أى ما يكون سبب ظهور واختصاص بين الخلق من علم أو عمل أو حال فى أرض الخمول التى هى أحد ثلاثة أمور أحدها أن ترى ما جبلت عليه من النقص فلا تعتقد بشئ يظهر منك لعلمك بمساويك وخيانة نفسك الثانى أن تنظر اليك من حيث أنت فلا ترى لا قبالك الا النقص وتنظر الى مولاك فتراه أهلا لكل كمال فكل ما يصدر لك من احسان تنسبه اليه اعتبارا بما أنت عليه من خمول الوصف الثالث أن تظهر لنفسك ما يوجب نفى دعواها من مباح مستبشع أو مكروه لم يمنع درءا لعلة العجب لا تعزما تنفا عليه اذ كما لا يصح دفن الزرع فى أرض رديئة لا يجوز الخمول فى حالة غير مرضية (وقالوا) أى اليهود الموجودون فى عصر النبى عليه السلام (قلوبنا غلف) جمع اغلف مستعار من الاغلف الذى لم يختن أى هى مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق وأضرب وقال (بل لعنهم الله بكفرهم) أى خذلهم

وخلاهم وشانهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة (فقليلا ما يؤمنون) ما مزيدة للمبالغة أى فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب والفاء لسببية اللعن لعدم الايمان (ولما جاءهم كتاب) كائن (من عند الله) وهو القرآن ووصفه بقوله من عند الله للتشريف (مصدق لما معهم) أى موافق للتوراة فى التوحيد وبعض الشرائع قال ابن التمجيد المصدق به ما يختص ببعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما يدل عليها من العلامات والصفات لا الشرائع والاحكام لان القرآن نسخ أكثرها (وكانوا من قبل) أى قبل مجىء محمد صلى الله عليه وسلم (يستفتحون على الذين كفروا) أى يستنصرون به على مشركى العرب وكفار مكة ويقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته فى التوراة ويقولون لاعدائهم قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم (فلما جاءهم ما عرفوا) من الكتاب لان معرفة من أنزل هو عليه معرفة له والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير أن يتخلل بينهما مدة منسية (كفروا به) حسدا وحرصا على الرياسة وغيروا صفته وهو جواب لما الاولى والثانية تكرير للاولى (فلعنة الله على الكافرين) أى عليهم وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم والفاء للدلالة على ترتيب اللعنة على الكفر واللعنة فى حق الكفار الطرد والابعاد من الرحمة والكرامة والجنة على الاطلاق وفى حق المذنبين من المؤمنين الابعاد عن الكرامة التى وعديها من لا يكون فى ذلك الذنب ومنه قوله عليه السلام من احتكر فهو ملعون أى من ادخر ما يشتريه وقت الغلاء ليبيعه وقت زيادة الغلاء فهو مطرود من درجة الابرار لا من رحمة الغفار واعلم أن الصفات المقتضية للعن ثلاث الكفر والبدعة والفسق وله فى كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين أو المبتدعة أو الفسقة والثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى أو على القدرية والخوارج والروافض أو على الزناة والظلمة وآكلى الربا وكل ذلك جائز والثالثة اللعن على الشخص فان كان ممن ثبت كفرهم شرعا يجوز لعنه ان لم يكن فيه أذى على مسلم كقولك لعنة الله على فرعون وأبى جهل لانه ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا وان كان ممن لم يثبت شرعا كلعنة زيد أو عمرو أو غيرهما بعينه فهذا فيه خطر لان حال خاتمته غير معلوم وربما يسلم الكافر أو يتوب فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا ألا يرى أن وحشيا قتل عم النبى عليه السلام أعنى حمزة رضى الله عنه ثم أسلم على يد النبى عليه السلام وبشره الله بالجنة وهذه حجة من لم يلعن يزيد لانه يحتمل أن يتوب ويرجع عنه فمع هذا الاحتمال لا يلعن قال بعضهم لعن يزيد على اشتهار كفره وتواتر فظاعة شره لما أنه كفر حين أمر بقتل الحسين رضى الله عنه ولما قال فى الخمر

فان حرمت يوما على دين أحمد * فخذها على دين المسيح ابن مريم

واتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين رضى الله عنه أو أمر به أو اجازه أو رضى به كما قال سعد الملة والدين التفتازانى الحق أن رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره واهانته اهل بيت النبى عليه السلام مما تواتر معناه وان كان تفاصيله آحادا فنحن لا نتوقف فى شأنه بل فى ايمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه انتهى وكان الصاحب بن عباد يقول اذا شرب ماء بثلج

قعقعة الثلج بماء عذب * تستخرج الحمد من اقصى القلب

ثم يقول اللهم جدد اللعن على يزيد ويكف اللسان عن معاوية تعظيما لمتبوعه وصاحبه عليه السلام لانه كاتب الوحي وذو السابقة والفتوحات الكثيرة وعامل الفاروق وذي النورين لكنه اخطأ في اجتهاده فتجاوز الله عنه ببركة صحبة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال الحياط المتكلم ماقطعني الاغلام قال ماتقول في معاوية قلت أنا أقف فيه قال فما تقول في ابنه يزيد قلت ألعنه قال فما تقول فيمن يحبه قلت ألعنه قال افترى أن معاوية كان لايحب ابنه كذا في روضة الاخبار ثم اعلم أن اللعنة ترتد على اللاعن ان لم يكن الملعون أهلا لذلك ولعن المؤمن كقتله في الاثم وربما يلعن شيأ من ماله فتنزع منه البركة فلا يلعن شيأ من خلق الله لا للجماد ولا للحيوان ولا للانسان قال عليه السلام اذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه فالاولى أن يترك ويشتغل بدله بالذكر والتسبيح اذ فيه ثواب ولا ثواب في اللعن وان كان يستحق اللعن قال عليه السلام أريت النار وأكثر أهلها النساء فانهن يكثرن اللعن ويكفرن العشير فلو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم اذا رأت منك شيأ قالت ما رأيت منك خيرا قط قال علي كرم الله وجهه من أفتى الناس بغير علم لعنته السماء والارض وسألت بنت علي البلخي أباها عن القيء اذا خرج الى الحلق فقال يجب اعادة الوضوء فرأى رسول الله عليه السلام يقول لا يا علي حتى يكون ملء الفم فقال علمت أن الفتوى تعرض على رسول الله فآليت على نفسي أن لا أفتي أبدا كذا في الروضة (بئسما) مانكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس أي بئس شيأ (اشتروا) صفة واشترى بمعنى باع وابتاع والمراد هنا الاول (به) أي بذلك الشيء (أنفسهم) المراد الايمان وانما وضع الانفس موضع الايمان ايذانا بأنها انما خلقت للعلم والعمل به المعبر عنه بالايمان ولما بدلوا الايمان بالكفر كانوا كأنهم بدلوا الانفس به والمخصوص بالذم قوله تعالى (أن يكفروا بما أنزل الله) أي بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيته (بغيا) علة لأن يكفروا أي حسدا وطلبا لما ليس لهم كما أن الحاسد يطلب ماليس له لنفسه عما للمحسود من جاه أو منزلة أو خصلة حميدة والباغي هو الظالم الذي يفعل ذلك عن حسده والمعنى بئس شيأ باعوا به ايمانهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لاجل (أن ينزل الله) أو حسدا على أن فات الحسد يستعمل بعلى (من فضله) الذي هو الوحي (على من يشاء) أي يشاؤه ويصطفيه (من عباده) المستأهلين لتحمل أعباء الرسالة والمراد ههنا محمد صلى الله عليه وسلم كانت اليهود يعتقدون نبي آخر الزمان ويتمنون خروجه وهم يظنون أنه من ولد اسحق فلما ظهر أنه من ولد اسمعيل حسدوه وكرهوا أن يخرج الامر من بني اسرائيل فيكون لغيرهم (فباؤا) أي رجعوا ملتبسين (بغضب) كائن (على غضب) أي صاروا مستحقين لغضب مترادف ولعنة اثر لعنة حسبما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه (وللكافرين) أي لهم والاظهار في موضع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم (عذاب مهين) يراد به اهانتهم واذلالهم لما أن كفرهم بما أنزل الله كان مبنيا على الحسد المبني على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن أنزل الله عليه صلى الله عليه وسلم ودل أن عذاب المؤمنين تأديب وتطهير وعذاب الكفار اهانة وتشديد وأن المراتب الدنيوية والاخروية كلها من فيض الله تعالى وفضله فليس لاحد أن يعترض عليه

ويحسده على الالطاف الالهية فان الكمالات مثل النبوة والولاية ليست من الامور الاكتسابية التى يصل اليها العبد بجهد كثير وكمال اهتمام أما النبوة أى البعثة فاختصاص الهى حاصل لعينه الثابتة من التجلى الموجب للاعيان فى العلم وهو الفيض الاقدس وأما الولاية فهى أيضا اختصاص الهى غير كسبى بل جميع المقامات كذلك اختصاصية عطائية غير كسبية حاصلة للعين الثابتة من الفيض الاقدس وظهورها بالتدريج بحصول شرائطه وأسبابه يوهم المحجوب فيظن أنه كسبى بالتعمل وليس كذلك فى الحقيقة فلا معنى للحسد لكن الجاهلين بحقيقة الحال يطيلون ألسنتهم بالقيل والقال ولا ضير فانه رفع لدرجات العبد واقتضت سنة الله أن يشفع أهل الجمال بأهل الجلال ليظهر الكمال (قال الحافظ) درين چمن كل بيخار كس نچيد آرى * چراغ مصطفوى باشرار بولهبيست (وحكى) أن المولى جلال الدين لما فقد الشمس التبريزى طاف البلاد بالحرارة فى طلبه فمر يوما أمام حانوت ذهبى للشيخ صلاح الدين زركوب فقال له تعال يامولانا فدخل فى حانوته فقال لاى شئ تجزع وتدور وقال الافلاك اذا فقد شمسه يدور لاجله ليتخلص من ظلمة الفراق فقال الشيخ أنا شمسك قال مولانا من أين أعرف أنك شمسى فأخبره عن المراتب التى أوصله اليها الشيخ شمس الدين فقبل يده واعتذر وقال كان شمسى أرانى أولا بطانته فالآن أرانى وجهه فاشتغل عنده فوصل الى ماوصل ثم لما سمعه بعض أتباع مولانا أرادوا قتله وحسدوا عليه فأرسل اليهم مولانا ابنه سلطان ولد فقال الشيخ ان الله تعالى أعطانى قدرة على قلب السماء الى الارض فلو أردت لاهلكتهم بقدرة الله لكن الاولى أن نتحمل وندعو لاصلاح حالهم فدعا الشيخ فأمن سلطان ولد فلانت قلوبهم واستغفروا (قال فى المثنوى) چون كنى بر بى حسد مكر وحسد * زان حسد دل را سياهيها رسد * خاك شو مردان حق را زير پا * خاك بر فرق حسد كن همچو ما * وهكذا أحوال الانبياء والاولياء ألا يرى الى قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون وكان الاصحاب رضى الله عنهم يبكون دما من أخلاق النفس ولا يزالون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عما به يتخلصون من الاوصاف الذميمة ويتطهرون ظاهرا وباطنا طلبا للنجاة من العذاب المهين وأشد الفراق (واذا قيل لهم) أى واذا قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود أهل المدينة ومن حولها ومعنى اللام الانهاء والتبليغ (آمنوا بما أنزل الله) من الكتب الالهية جميعا (قالوا نؤمن) أى نستمر على الايمان (بما أنزل علينا) يعنون به التوراة وما أنزل على أنبياء بنى اسرائيل لتقرير حكمها ويدسون فيه أن ما عدا ذلك غير منزل عليهم واسندوا الانزال الى أنفسهم لان المنزل على نبى منزل على أمته معنى لانه يلزمهم (و) هم (يكفرون بما وراءه) أى سوى ما أنزل (وهو) أى والحال أن ماوراء التوراة (الحق) أى المعروف بالحقية الحقيق بأن يختص به اسم الحق على الاطلاق (مصدقا لما معهم) من التوراة غير مخالف له حال مؤكدة من الحق والعامل فيها ما فى الحق من معنى الفعل وصاحب الحال ضمير دل عليه الكلام أى أحقه مصدقا أى حال كونه موافقا لما معهم وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل نبى بقوله تعالى (قل) يا محمد تبكيتا لهم من جهة الله تعالى ببيان التناقض بين أقوالهم وأفعالهم (فلم) أصله لما اللام للتعليل دخلت على

ما التى للاستفهام وسقطت الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية (تقتلون أنبياء الله من قبل) صيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف أى قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلاى شئ كنتم تقتلون أنبياء الله من قبل وهو فيها حرام وأسند فعل الآباء وهو القتل الى الابناء للملابسة بين الآباء والابناء قال أبو الليث فى تفسيره وفى الآية دليل أن من رضى بالمعصية فكأنه فاعل لها لان اليهود كانوا راضين بقتل آبائهم فسماهم الله قاتلين حيث قال قل فلم تقتلون الآية (ان كنتم مؤمنين) جواب الشرط محذوف لدلالة ما سبق عليه أى ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وهو تكرير للاعتراض لتأكيد الالزام وتشديد التهديد (ولقد جاءكم موسى بالبينات) من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر واللام للقسم أى بالله قد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة من العصا واليد وفلق البحر ونحو ذلك (ثم اتخذتم العجل) أى الها (من بعده) أى من بعد مجيئه بها وثم للتراخى فى الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما فعلوا (وأنتم ظالمون) حال من ضمير اتخذتم أى عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة فى غير موضعها (واذ أخذنا ميثاقكم) أى العهد منكم (ورفعنا فوقكم الطور) أى الجبل قائلين لكم (خذوا ما آتيناكم بقوة) أى بجد واجتهاد (واسمعوا) ما فى التوراة سماع قبول وطاعة (قالوا) كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا (سمعنا) قولك ولكن لا سماع طاعة (وعصينا) أمرك ولولا مخافة الجبل ما قبلنا فى الظاهر فاذا كان حال أسلافهم هكذا فكيف يتصور من أخلافهم الايمان

(قال الفردوسى) زبد گوهران بد نباشد عجب * سياهى نباشد بريدن ز شب * ز بد اصل چشم بهى داشتن * بود خاك در ديده انباشتن (وأشربوا) أى والحال أنهم قد أشربوا (فى قلوبهم) بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون فى بطونهم نارا (العجل) أى حب العجل على حذف المضاف وأشرب قلبه كذا أى حل محل الشراب أو اختلط كما خالط الصبغ بالثوب وحقيقة أشربه كذا جعله شاربا لذلك فالمعنى جعلوا شاربين حب العجل نافذا فيهم نفوذ الماء فيما يتغلغل فيه قال الراغب من عاداتهم اذا أرادوا مخامرة حب أو بغض فى القلب أن يستعيروا لها اسم الشراب اذ هو أبلغ مساغا فى البدن ولذلك قالت الاطباء الماء مطية الاغذية والادوية (بكفرهم) أى بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة أو حلولية ولم يروا جسما أعجب منه فتمكن فى قلوبهم ما سوّل لهم السامرى وجعل حلاوة عبادة العجل فى قلوبهم مجازاة لكفرهم وفى القصص ان موسى عليه السلام لما خرج الى قومه أمر أن يبرد العجل بالمبرد ثم يذرّى فى النهر فلم يبق نهر يجرى يومئذ الا وقع فيه منه شئ ثم قال لهم اشربوا منه فمن بقى فى قلبه شئ من حب العجل ظهرت نحالة الذهب على شاربه (قل) توبيخا لحاضرى اليهود اثر ما بين أحوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون فى كل ما يأتون ويذرون (بئسما) بئس شيأ (يأمركم به) أى بذلك الشئ (ايمانكم) بما أنزل عليكم من التوراة حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف أى ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفى اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان بأنه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) بالتوراة واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا فقد علم أن من ادعى أنه مؤمن ينبغى أن يكون فعله مصدقا لقوله والا لم يكن مؤمنا قال الجنيد قدس سره

التوحيد الذى تفرد به الصوفية هو افراد القدم على الحدوث والخروج عن الاوطان وقطع
الحجاب وترك ما علم وما جهل وأن يكون الحق سبحانه مكان الجميع * طالب توحيد را بايد قدم بر
لا زدن * بعد ازان در عالم وحدت دم الا زدن * قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما
دخل على يعقوب النبى عليه السلام مبشر يوسف عليه السلام وبشره بحياته قال له يعقوب
على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال يعقوب عليه السلام الآن قد تمت النعمة على
يعقوب واعلم أن التوحيد أصل الاصول ومناط القبول ومكفر الخطايا ومستجلب العطايا
(حكى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب اسلام دحية الكلبى لانه كان تحت يده
سبعمائة من أهل بيته وكانوا يسلمون باسلامه وكان يقول اللهم ارزق دحية الكلبى الاسلام
فلما أراد دحية الاسلام أوحى الله الى النبى عليه السلام بعد صلاة الفجر أن يا محمد ان الله يقرئك
السلام ويقول ان دحية يدخل عليك الآن وكان فى قلوب الاصحاب شئ من دحية من وقت
الجاهلية فلما سمعوا ذلك كرهوا أن يمكنوا دحية فيما بينهم فلما علم ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم كره أن يقول لهم مكنوا دحية وكره أن يدخل دحية فيوحشوه فيبرد قلبه عن الاسلام فلما
دخل دحية المسجد رفع النبى صلى الله عليه وسلم رداءه عن ظهره وبسطه على الارض بين يديه
فقال دحية ههنا وأشار الى ردائه فبكى دحية من كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع رداءه
وقبله ووضعه على رأسه وعينيه وقال ما شرائط الاسلام اعرضها على فقال أن تقول أولا لا اله
الا الله محمد رسول الله فقال دحية ذلك ثم وقع البكاء على دحية فقال عليه السلام ما هذا البكاء
وقد رزقت الاسلام فقال انى ارتكبت خطيئة وفاحشة كبيرة فقل لربك ما كفارتها ان أمرنى
أن أقتل نفسى قتلتها وان أمر أن أخرج من جميع مالى خرجت فقال عليه السلام وما ذلك
يا دحية قال كنت رجلا من ملوك العرب واستنكفت أن تكون لى بنات لهن أزواج فقتلت
سبعين من بناتى كلهن بيدى فتحير النبى عليه السلام فى ذلك حتى نزل جبريل فقال يا محمد ان الله
يقرئك السلام ويقول قل لدحية وعزتى وجلالى انك لما قلت لا اله الا الله غفرت لك كفر ستين سنة
وسيئات ستين سنة فكيف لا اغفر لك قتل البنات فبكى عليه السلام وأصحابه فقال عليه السلام
الهى غفرت لدحية قتل بناته بشهادة أن لا اله الا الله مرة واحدة فكيف لا تغفر للمؤمنين
بشهادات كثيرة وبقول صادق وبفعل خالص (وفى المثنوى) اذكروا الله كار هر اوباش
نيست * ارجعى بر پاى هر قلاش نيست * (قال السعدى) كر بمحشر خطاب قهر كنند *
انبيا را چه جاى معذرتست * برده از روى لطف كو بردار * كاشقيا را اميد مغفرتست
(قل ان كانت لكم الدار الآخرة) أى الجنة (عند الله) ظرف للاستقرار فى الخبر أعنى لكم
(خالصة) حال من الدار أى سالمة لكم خاصة بكم (من دون الناس) فى محل النصب
بخالصة أى من دون محمد وأصحابه فاللام للعهد وتستعمل هذه اللفظة للاختصاص يقال
هذا لى من دون الناس أى انا مختص به والمعنى ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
(فتمنوا الموت) أى احبوه واسألوه بالقلب واللسان وقولوا اللهم أمتنا فان من أيقن بدخول
الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من دار البوار وقرارة الاكدار
ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوه بالتمنى (ان كنتم صادقين) فى قولكم

ان الجنة خاصة لكم فتمنوه وأصل التمني تقدير شيء في النفس وأكثر ما يستعمل فيما لا حقيقة له (ولن يتمنوه) أي الموت (أبدا) أي في جميع الزمان المستقبل لان ابدا اسم لجميع مستقبل الزمان كقط لماضيه وفيه دليل على أن لن ليس للتأبيد لانهم يتمنون الموت في الآخرة ولا يتمنونه في الدنيا (بما قدمت أيديهم) بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عليه السلام والقرآن وتحريف التوراة وخص الايدي بالذكر لان الاعمال غالبا تكون بها وهي من بين جوارح الانسان مناط عامة صنائعه ومدار أكثر منافعه ولذا عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة (والله عليم بالظالمين) بهم وبما صدر عنهم وهو تهديد لهم (روى) أن اليهود لو تمنوا الموت لغص كل واحد منهم بريقه اى لامتلأ فمه بريقه فمات من ساعته ولما بقي على الارض يهودي الا مات فقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا ولو وقع من أحد منهم تمني موته لنقل واشتهر فان قلت ان التمني يكون بالقلب فلا يظهر لنا أنهم تمنوه او لا قلت ليس التمني من أعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا وعن نافع جلس الينا يهودي يخاصمنا فقال ان في كتابكم فتمنوا الموت وانا أتمنى فمالي لا اموت فسمع ابن عمر رضي الله عنه هذا فدخل بيته وأخذ السيف ثم خرج ففر اليهودي حين رآه فقال ابن عمر أما والله لو أدركته لضربت عنقه توهم هذا الجاهل أنه لليهود في كل وقت انما هو لاولئك الذين كانوا يعاندونه ويجحدون نبوته بعد أن عرفوه فان قلت ان المؤمنين أجمعوا على أن الجنة للمؤمنين دون غيرهم ثم ليس أحد منهم يتمنى الموت فكيف وجه الاحتجاج على اليهود بذلك قلت ان المؤمنين لم يجعلوا لانفسهم من الفضل والشرف والمرتبة عند الله ما جعلت اليهود ذلك لانفسهم لانهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن الجنة خالصة لهم والانسان لا يكره القدوم على حبيبه ولا يخاف انتقامه بالمصير اليه بل يرجو وصوله الى محابه فقيل لهم تمنوا ذلك فلما لم يتمنوه ظهر كذبهم في دعاويهم ولان النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن تمني الموت قال لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي قال مقاتل

لولا بناتي وسيئاتي * لذبت شوقا الى الممات

فلا يلزمهم ما يلزم اليهود قال سهل بن عبد الله التستري قدس سره لا يتمنى الموت الا ثلاثة رجل جاهل بما بعد الموت او رجل يفر من اقدار الله عليه او مشتاق محب لقاء الله (قال في المثنوي) شد هواى مرك طوق صادقان * كه جهودانرا بدين دم امتحان * روى عن صاحب المثنوي أنه لما دنت وفاته تمثل له ملك الموت وقام عند الباب ولما رآه المولى قدس سره قال * بيشتر آبيشترآ جان من * بيك درحضرت سلطان من * قال بعض الملوك لابي حازم كيف القدوم على الله عز وجل فقال أبو حازم أما قدوم الطائع على الله فكقدوم الغائب على اهله المشتاقين اليه وأما قدوم العاصي فكقدوم الآبق على سيده الغضبان * انبيا زانتك آمد اين جهان * جون شهان رفتند اندر لامكان * جون مرا سوى اجل عشق وهواست * نهى لاتلقوا بأيديكم مراست * زانكه نهى از دانه شيرين بود * تلخ را خود نهى حاجت كى شود * واعلم أن الموت هو المصيبة العظمى والبلية الكبرى وأعظم منه الغفلة عنه والاعراض عن ذكره وقلة الفكر فيه وترك

العمل له وان فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر كما قيل كفى بالموت واعظا ومن ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة ومنعه عن تمنيها فى المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل ولكن القلوب الغافلة تحتاج الى تطويل الوعاظ وتزيين الالفاظ والا ففى قوله عليه السلام أكثروا ذكر هاذم اللذات وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ما يكفى السامع له ويشغل الناظر فيه فعلى العاقل أن يسعى للموت بالاختيار قبل الموت بالاضطرار ويزكى نفسه عن سفساف الاخلاق (قال السعدى قدس سره) اى برادر چو عاقبت خاكست * خاك شو پيش ازانكه خاك شوى * اللهم يسر لنا الطريق (ولتجدنهم أحرص الناس) من الوجدان العقلى وهو جار مجرى العلم خلا أنه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها واللام لام القسم اى والله لتجدن اليهود يا محمد أحرص من الناس (على حيوة) لا يتمنون الموت والتنكير للنوع وهى الحياة المخصوصة المتطاولة وهى حياتهم التى هم فيها لانها نوع من مطلق الحياة (ومن الذين أشركوا) عطف على ما قبله بحسب المعنى كأنه قيل أحرص من الناس وأفرد المشركون بالذكر وان كانوا من الناس لشدة حرصهم على الحياة وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم أنهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك (يود أحدهم) بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف أى يريد ويتمنى ويحب احد هؤلاء المشركين (لو يعمر ألف سنة) حكاية لودادهم ولو فيه معنى التمنى كأنه قيل ليتنى اعمر وكان القياس لو أعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله تعالى يود أحدهم كقولك حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على أنه مفعول يود اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبى والمعنى تمنى احدهم أن يعطى البقاء والعمر ألف سنة وهى للمجوس وخص هذا العدد لانهم يقولون ذلك فيما بينهم عند العطاس والتحية عش ألف سنة وألف نوروز وألف مهرجان وهى بالعجمية زى هزار سال وصح اطلاق المشركين على المجوس لانهم يقولون بالنور والظلمة (وما) حجازية (هو) أى احدهم اسم ما (بمزحزحه) خبر ما والباء زائدة والزحزحة التبعيد والانحاء (من العذاب) من النار (أن يعمر) فاعل مزحزحه اى تعميره (والله بصير بما يعملون) البصير فى كلام العرب العالم بكنه الشئ الخبير به اى عليم بخفيات أعمالهم من الكفر والمعاصى لا تخفى عليه فهو مجازيهم بها الاعالة بالخزى والذل فى الدنيا والعقوبة فى العقبى وهذه الحياة العاجلة تنقضى سريعة وان عاش المرء ألف سنة أو ازيد عليها فمن احب طول العمر للصلاح فقد فاز قال عليه السلام طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ومن احبه للفساد فقد ضل ولا ينجو مما يخاف فان الموت يجئ البتة واجمعت الامة على أن الموت ليس له سن معلوم ولا اجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على اهبة من ذلك مستعدا لذلك وكان بعض الصالحين ينادى بالليل على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفى فقد صوته امير تلك المدينة فسأل عنه فقيل انه مات فقال

ما زال يلهج بالرحيل وذكره * حتى أناخ ببابه الجمال

فأصابه متيقظا متشمرا * ذا أهبة لم تلهه الآمال

بانك طبلت نمى كند بيدار * تومكر مرده ئه دو خوابى * تو چراغى نهاده در ره باد * خانه در عمر سيلابى * فاصابة الموت حق وان كان العيش طويلا والعمر مديدا وهو ينزل بكل نفس راضية كانت او كارهة روى شارح الخطب عن وهب بن منبه أنه قال مرّ دانيال عليه السلام ببرّية فسمع يادانيال قف ترعجبا فلم يرشيأ ثم نودى الثانية قال فوقفت فاذا بيت يدعونى الى نفسه فدخلت فاذا سرير مرصع بالدرّ والياقوت فاذا النداء من السرير اصعد يادانيال ترعجبا فارتقيت السرير فاذا فراش من ذهب مشحون بالمسك والعنبر فاذا عليه شاب ميت كأنه نائم واذا عليه من الحلىّ والحلل مالا يوصف وفى يده اليسرى خاتم من ذهب وفوق رأسه تاج من ذهب وعلى منطقته سيف أشد خضرة من البقل فاذا النداء من السرير أن احمل هذا السيف واقرا ما عليه قال فاذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عاد بن ارم وانى عشت ألف عام وسبعمائة سنة وافتضضت اثنى عشر ألف جارية وبنيت اربعين ألف مدينة وخرجت بالجور والعنف والحق عن حدّ الانصاف وكان يحمل مفاتح الخزائن أربعمائة بغل وكان يحمل الىّ خراج الدنيا فلم ينازعنى أحد من اهل الدنيا فادّعيت الربوبية فأصابنى الجوع حتى طلبت كفا من ذرة بألف قفيز من درّ فلم أقدر عليه فمت جوعا يا اهل الدنيا اذكروا أمواتكم ذكرا كثيرا واعتبروا بى ولا تغرّنكم الدنيا كما غرّتنى فانّ اهلى لم يحملوا من وزرى شيأ انتهى (قال السعدى) بجون همه نيك وبد ببايد مرد * خنك انكس كه كوى نيكى برد * برك عيشى بكور خويش فرست * كس نيارد زبس زپيش فرست * عمر برفست وآفتاب تموز * اندكى ماند وخواجه غره هنوز * فعلى أهل القلوب القاسية ان يعالجوا قلوبهم بأمور أحدها الاقلاع عما هى عليه بحضور مجالس العلم والوعظ والتذكير والتخويف والترغيب وأخبار الصالحين فان ذلك مما يلين القلوب ويخشع فيها والثانى ذكر الموت فيكثر من ذكر هادم اللذات ومفرّق الجماعات وميتم البنين والبنات والثالث مشاهدة المحتضرين فان فى النظر الى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويطرد عن القلوب مسرّاتها ويمنع الاجفان من النوم والراحة من الابدان ويبعث على العمل فيزيد فى الاجتهاد والتعب ويستعد للموت قبل النزول فانه اشد الشدائد قيل لكعب الاحبار يا كعب حدّثنا عن الموت قال هو كشجرة الشوك أدخلت فى جوف ابن آدم فأخذت كل شوكة بعرق ثم اجتذبها رجل شديد الجذب فقطع ماقطع وأبقى ما ابقى وفى الحديث لو أنّ شعرة من وجع الميت وضعت على اهل السموات والارضين لماتوا أجمعين وانّ فى يوم القيامة لسبعين هولا وانّ أدنى هول ليضعف على الموت سبعين ضعفا (قل من كان عدوّا لجبريل) لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه عبد الله بن صوريا من اليهود يسكن فدك فقال يا محمد كيف نومك فانا أخبرنا عن نوم النبىّ الذى يجىء فى آخر الزمان فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم تنام عيناى وقلبى يقظان قال صدقت فأخبرنى عن الولد أمن الرجل يكون أو من المرأة قال أما العظم والعصب والعروق فمن الرجل وأما الدم واللحم والظفر والشعر فمن المرأة قال صدقت يا محمد قال فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شئ أو يشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شئ قال أيهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت يا محمد وسأله عن الطعام الذى حرّم اسرائيل على نفسه قال ان يعقوب مرض مرضا

شديدا فنذر ان شفاه الله حرم على نفسه أحب الطعام اليه وهو لحم الابل وأحب الشراب اليه وهو ألبانها قال صدقت يا محمد وسأله عن أول نزل الجنة قال الحوت قال صدقت يا محمد ثم قال بقيت خصلة ان قلتها آمنت بك واتبعتك اى ملك يأتيك بما تقول من الله تعالى فقال جبريل قال ذاك عدونا لانه ملك العذاب ينزل بالقتال والعذاب وكسر السفن والشدائد ورسولنا ميكائيل لانه ملك الرحمة ينزل بالغيث والبشر والرخاء فقال له عمر ما بدء عداوته لكم فقال عادانا مرارا كثيرة وكان من أشد عداوته لنا أن الله تعالى انزل على نبينا موسى عليه السلام ان البيت المقدس سيخرب فى زمان رجل يقال له بختنصر وأخبرنا بالحين الذى يخرب فيه فلما كان الحين الذى يخرب فيه بعثنا رجلا من اقوياء بنى اسرائيل فى طلبه فانطلق حتى لقيه غلاما مسكينا ببابل ليست له قوة فأخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال لصاحبنا ان هو أمره بهلاككم لا يسلطكم عليه وان لم يكن هذا فعلى اى حق تقتلونه فصدقه صاحبنا فتركه وكبر بختنصر وقوى فغزانا ثم غزانا فخرب بيت المقدس وقتلنا وأمر جبريل بوضع النبوة فينا فوضعها فى غيرنا فلهذا اتخذناه عدوا وميكائيل عدو جبريل فقال عمر رضى الله عنه لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله تعالى وجواب من محذوف أى من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته (فانه) يعنى جبريل (نزله) أى القرآن اضمره لكمال شهرته (على قلبك) زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحى فانه القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ أى حفظه اياك وفهمكه وحق الكلام ان يقال على قلبى لكنه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به لما فى النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة يعنى قل كما تكلمت به من قولى انه نزله على قلبك (باذن الله) بأمره وتيسيره (مصدقا لما بين يديه) أى موافقا لما قبله من الكتب الالهية فى التوحيد وبعض الشرائع حال من مفعول نزله (وهدى) أى هاديا الى دين الحق (وبشرى) أى مبشرا بالجنة (للمؤمنين) فلا وجه لمعاداته فلو أنصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه فى انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ثم عمم الشرط والجزاء ردا عليهم بقوله (من كان عدوا لله) أى مخالفا لامره عنادا وخارجا عن طاعته مكابرة (وملائكته ورسله وجبريل وميكال) أفردهما بالذكر لاظهار فضلهما كأنهما من جنس آخر أشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الجنس قال عكرمة جبر وميك واسراف هى العبد بالسريانية وايل هو الله ومعناها عبد الله أو عبد الرحمن (فان الله) جواب الشرط ولم يقل فانه لاحتمال أن يعود الى جبريل أو ميكائيل (عدو للكافرين) أى لهم جاء بالظاهر ليدل على أن الله انما عاداهم لكفرهم والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب فقال ابن صوريا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما جئتنا بشئ نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فأنزل الله (ولقد انزلنا اليك آيات بينات) واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله (وما يكفر بها) أى بالآيات التى توضح الحلال والحرام وتفصل الحدود والاحكام (الا الفاسقون) المتمردون فى الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات والاحسن أن تكون اللام اشارة الى أهل الكتاب قال الحسن اذا استعمل الفسق فى نوع من المعاصى وقع على أعظم ذلك النوع من كفر

أو غيره واعلم أنّ القرآن هو النور الالهي الذي كشف الله به الظلمات واليهود أرادوا أن يطفؤا نور الله والله متم نوره وليس لهم في ذلك الا الفضاحة والخزي كما اذا دخل الحمام ناس في ليل مظلم وفيهم الاصحاء وأهل العيوب فجاء واحد بسراج مضيء لا يسارع الى اطفائه الا اهل العيوب مخافة أن يظهر عيوبهم للاصحاء و يلحقهم مذمّة * شمع رخشنده دران جمع نخواهند كه تا * عيبشان درشب تاريك بماند مستور * واى آن وقت كه روشن شود اين راز چو روز * پرده برخيزد واين حال بيايد بظهور (أو) الهمزة للانكار والعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أكفروا بالآيات البينات وهي في غاية الوضوح (كلما عاهدوا عهدا) مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه (نبذه فريق منهم) أي رموا بالذمام أي العهد ورفضوه والفريق الطائفة ويكون للقليل والكثير واسناد النبذ الى فريق منهم لانّ منهم من لم ينبذه (بل أكثرهم لا يؤمنون) بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدّون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به وهذا ردّ لما يتوهم من أنّ النابذين هم الاقلون (ولما جاءهم رسول) هو النبي صلى الله عليه وسلم (من عند الله) متعلق بجاء (مصدق لما معهم) من التوراة (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) أي التوراة (كتاب الله) مفعول نبذ أي الذي أوتوه وهو التوراة لانهم لما كفروا بالرسول المصدق لما معهم فقد نبذوا التوراة التي فيها أنّ محمدا رسول الله وقد علموا أنها من الله (وراء ظهورهم) يعني رموا بالعناد كتاب الله وراء ظهورهم ولم يعملوا به مثل تركهم واعراضهم عنه بالكلية بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه (كأنهم لا يعلمون) جملة حالية أي نبذوه وراء ظهورهم متشبهين بمن لا يعلم أنه كتاب الله قيل أصل اليهود أربع فرق ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمن اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وجل بل أكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله سبحانه نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون وفيه اشارة الى أنّ من فعل فعل الجاهل وتعمد الخلاف مع علمه يلتحق بالجهال وهو والجاهل سواء فكما أنّ الجاهل لا يجيء منه خير فكذا العالم الذي لا يعمل ولذا قال النبي عليه الصلاة والسلام واعظ اللسان ضائع كلامه وواعظ القلب نافذ سهامه فالاول هو العالم الغير العامل والثاني هو العالم العامل الذي يؤثر كلامه في القلوب وتنتج كلمته ثمرات الحكمة والعبرة والفكرة فعلى العاقل أن يسارع الى الامتثال خوفا من بطش يد ذي الجلال ويقال الندامة اربع ندامة يوم وهي أن يخرج الرجل من منزله قبل أن يتغدّى وندامة سنة وهي ترك الزراعة في وقتها وندامة عمر وهو أن تتزوج امرأة غير موافقة وندامة الابد وهو أن يترك أمر الله ومجرّد قراءة الكتاب بترياق الظاهر لا يدفع سم الباطن فلا بدّ من العمل كما أنّ من كان ينظر الى كتب الطب وكان مريضا فادام لم يباشر العلاج لا يفيد نظره بالادوية وكان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن يعني يعمل بأوامره وينتهي عن نواهيه واعلم أنّ العمل بالعلوم الظاهرة لا يمكن الا بعد معرفة المراتب الاربع مثلا يعرف بالعلم الظاهر انّ حكم الزنا الرجم والجلد ولكن في الوجود الانساني محل يقتضي الوقاع والسفاح فاهل الارشاد يقمعون المقتضي المذكور عن ذلك المحل وكذا الحال في الاكل والشرب وغيرهما وان كان متبحرا في العلوم ومتفننا في القوانين

والرسوم فان كان لم يصلح حاله بالعمل فى تزكية النفس وتصفية القلب فانه لايعتبر بل جهله أغلب ونعم ماقيل * حفظت شيأ وغابت عنك أشياء * (حكى) أن نصير الدين الطوسى دخل على ولى من أولياء الله تعالى لاجل الزيارة فقيل له هذا عالم الدنيا نصير الدين الطوسى قال الولى ما كماله قيل ليس له عديل فى علم النجوم قال الولى الحمار الابيض أعلم منه فانحرف الطوسى وقام من مجلسه فاتفق أنه نزل تلك الليلة على باب بيت طاحونة فقال الطحان ادخل البيت فانه سيكون الليلة مطر عظيم حتى لولم يغلق الباب لاخذه السيل فسأل الطحان عن وجهه فقال لى حمار أبيض اذا حرك ذنبه الى جانب السماء ثلاث ليال تمطر السماء واذا حركه الى جانب الارض يقع المطر فلما سمعه اعترف بعجزه وصدق الولى وزال غيظه (وحكى) أن وليا قال لابن سينا أفنيت عمرك فى العلوم العقلية فالى أى مرتبة وصلت قال وجدت ساعة من ساعات الايام يكون الحديد فيها كالطين فقال الولى أخبرنى عن تلك الساعة فلما جاءت الساعة أخبره وأخذ بيده حديدا فنفذ فيه اصبعه فبعد مضى الساعة قال الولى هل تقدر على تنفيذ اصبعك أيضا قال لا فانه من خصائص تلك الساعة ولا يمكن فأخذه الولى ونفذ اصبعه فيه وقال ينبغى للعاقل أن لايصرف عمره الى الزائل الفانى فكما أن ابن سينا ادعى استقلال العقل فى طريق الوصول فالقى فى جهنم كذلك اليهود خذلهم الله أنفوا من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بما جاء به من عند الله وادعوا الاستقلال فخابوا وخسروا وبقوا فى ظلمة الجهل والكفر (قال فى المثنوى) اى كه اندر چشمهٔ شور ست جات * تو چه دانى شط وجيحون وفرات * واى آن زنده كه با مرده نشست * مرده كشت وزندكى از وى برست * (واتبعوا ماتتلوا الشياطين) أى نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا كتب السحرة التى تقرؤها وتعمل بها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية (على ملك سليمان) أى على عهد ملكه وفى زمانه فحذف المضاف وعلى بمعنى فى قال السدى كانت الشياطين تصعد الى السماء فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون فى الارض من موت وغيره ويأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا فى كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها فاكتتب الناس ذلك وفشا فى بنى اسرائيل أن الجن تعلم الغيب وبعث سليمان فى الناس وجمع تلك الكتب وجعلها فى صندوق ودفنه تحت كرسيه وقال لاأسمع أحدا يقول ان الشيطان يعلم الغيب الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثل الشيطان على صورة انسان فأتى نفرا من بنى اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لاتأكلونه أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسى وذهب معهم فأراهم المكان وقام ناحية فقالوا ادن قال لا ولكنى ههنا فان لم تجدوه فاقتلونى وذلك أنه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسى الا احترق فحفروا وأخرجوا تلك الكتب قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذه ثم طار الشيطان وفشا فى الناس أن سليمان كان ساحرا وأخذ بنوا اسرائيل تلك الكتب فلذلك أكثرما يوجد السحر فى اليهود فلما جاء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم برأ الله سليمان عليه السلام من ذلك وأنزل فى عذر سليمان واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان) بالسحر وعلمه يعنى لم يكن ساحرا لان الساحر كافر والتعرض لكونه كفرا للمبالغة

في اظهار نزاهته عليه السلام و كذب باهتيه بذلك (ولكن الشياطين كفروا) باستعمال السحر وتعليمه وتدوينه (يعلمون الناس السحر) أى كفروا والحال أنهم يعلمونه اغواء واضلالا روى أن السحر من استخراج الشياطين للطافة جوهرهم ودقة أفهامهم (وما) أى ويعلمون الناس الذى (أنزل على الملكين) أى ما ألهما وعلماه وهو علم السحر أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه كان مؤمنا كما قيل عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه وهذا كما اذا أتى عرافا فسأله عن شئ ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره وعنده ما يميز به صدقه من كذبه فهذا جائز قال الامام فخر الدين كان الحكمة فى انزالهما أن السحرة كانوا يسترقون السمع من الشياطين ويلقون ما سمعوا بين الخلق وكان بسبب ذلك يشتبه الوحى النازل على الانبياء فأنزلهما الله الى الارض ليعلما الناس كيفية السحر ليظهر بذلك الفرق بين كلام الله وكلام السحرة (ببابل) الباء بمعنى فى وهى متعلقة بأنزل أو بمحذوف وقع حالا من الملكين وهى بابل العراق أو بابل أرض الكوفة ومنع الصرف للعجمة والعلمية وأحسن ما قيل فى تسميتها ببابل أن نوحا عليه السلام لما هبط الى أسفل الجودى بنى قرية وسماها ثمانين فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة احداها اللسان العربى وكان لا يفهم بعضهم من بعض كذا فى تفسير القرطبى (هاروت وماروت) عطف بيان الملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وما روى فى قصتهما من أنهما شربا الخمر وسفكا الدم وزنيا وقتلا وسجدا للصنم فمما لا تعويل عليه لان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التى قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وذلك لان المراد بالملكين العقل النظرى والعقل العملى والمرأة المسماة بالزهرة هى النفس الناطقة الطاهرة فى أصل نشأتها وتعرضهما لها تعليمهما لها ما تستعد به فى النشأة الآخرة وحملها اياهما على المعاصى تحريضها اياهما بحكم الطبيعة المزاجية الى السفليات المدنسة لجوهرهما وصعودها الى السماء بما تعلمت منهما هو عروجها الى الملأ الاعلى ومخالطتها مع القدسيين بسبب انتصافها ونصحها كذا ذكره وجوه القوم من المفسرين يقول الفقير جامع هذه المجالس الشريفة قد تصفحت كتب أرباب الخبر والبيان وأصحاب الشهود والعيان فوجدت عامتها مشحونة بذكر ما يجرى من قصتهما وكيف يجوز الاتفاق من الجم الغفير على ما مداره رواية اليهود خصوصا فى مثل هذا الامر الهائل فأقول وصف الملائكة بأنهم لا يعصون ولا يستكبرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويفعلون ما يؤمرون دليل تصور العصيان منهم ولولا ذلك لما مدحوا به اذ لا يمدح أحد على الممتنع لكن طاعتهم طبع وعصيانهم تكلف على عكس حال البشر كما فى التيسير فهذا يقتضى جواز الوقوع مع أن فيما روى فى سبب نزولهما ما يزيل الاشكال قطعا وهو أنهم لما عيروا بنى آدم بقلة الاعمال وكثرة الذنوب فى زمن ادريس عليه السلام قال الله تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا فقالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغى لنا أن نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم فأهبطا بالتركيب البشرى ففعلا ما فعلا وهذا ليس ببعيد اذ ليس مجرد هبوط الملك مما يقتضى العصيان وذلك ظاهر والا لظهر من جبريل

وغيره ألا ترى أن ابليس له الشهوة والذرية مع أنه كان من الملائكة على أحد القولين لانها انما حدثت بعد أن محي من ديوانهم فيجوز أن تحدث الشهوة في هاروت وماروت بعد أن أهبطا الى الارض لاستلزام التركيب البشري ذلك وقد قال في آكام المرجان ان الله تعالى باين بين الملائكة والجن والانس في الصورة والاشكال فان قلب الله الملك الى صورة الانسان ظاهرا وباطنا خرج عن كونه ملكا وكذلك لو قلب الشيطان الى بنية الانسان خرج بذلك عن كونه شيطانا (روى) أنه لما استشفع لهما ادريس عليه السلام خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لكونه أيسر من عذاب الآخرة فهما في بئر بابل معلقان فيه بشعورهما الى يوم القيامة قال مجاهد ملئ الجب نارا فجعلا فيه وقيل معلقان بأرجلهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء الا أربع أصابع فهما يعذبان بالعطش قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره رائحة الشمع الذي يعمل من الشحم كريهة تتألم منها الملائكة حتى يقال ان هاروت وماروت يعذبان برائحته وأما الشمع العسلي فرائحته طيبة كذا في واقعات الهدائي قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتقوا الدنيا فوالذي نفسي بيده انها لأسحر من هاروت وماروت قال العلماء انما كانت الدنيا أسحر منهما لانها تدعوك الى التحارص عليها والتنافس فيها والجمع لها والمنع حتى تفرق بينك وبين طاعة الله وتفرق بينك وبين رؤية الحق ورعايته وسحر الدنيا محبتها وتلذذك بشهواتها وتمنيك بأمانيها الكاذبة حتى تأخذ بقلبك ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم أراد النبي عليه الصلاة والسلام ان من الحب ما يعميك عن طريق الحق والرشد ويصمك عن استماع الحق وان الرجل اذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له رادع من عقل أو دين أصمه حبه عن العذل وأعماه عن الرشد أو يعمي العين عن النظر الى مساويه ويصم الاذن عن استماع العذل فيه أو يعمي ويصم عن الآخرة وفائدته النهي عن حب ما لا ينبغي الاغراق في حبه (قال خسرو الدهلوي) بهر اين مردار چند دت كاه زاري كاه زور * چون غليواجي كه شش مه ماده وشش مه نرست * ثم في هذه القصة اشارة الى أنه لا يجوز الاعتماد الا على فضل الله ورحمته فان العصمة من آثار حفظ الله تعالى (كما قال في المثنوي) همچو هاروت وچو ماروت شهير * از بطر خوردند زهر آلود تير * اعتمادي بودشان بر قدس خويش * چيست بر شير اعتماد گاوميش * گرچه او باشاخ صد چاره كند * شاخ شاخش شير نر پاره كند * گر شود پر شاخ همچون خار پشت * شير خواهد گاو را ناچار كشت (وما يعلمان من احد) من مزيدة في المفعول به لافادة تأكيد الاستغراق الذي يفيده أحد والمعنى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما أنزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال أن الملكين ما يعلمان ما أنزل عليهما من السحر أحدا من طالبيه (حتى) ينصحاه اولا وينهياه عن العمل به والكفر بسببه و (يقولا انما نحن فتنة) وابتلاء من الله تعالى فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به أو اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان والفتنة الاختبار والامتحان يقال فتنت الذهب بالنار اذا اخترته بها لتعلم أنه خالص أو مشوب وهي من الافعال التي تكون من الله ومن العبد كالبلية والمعصية والقتل والعذاب وغير ذلك من الافعال الكريهة وقد تكون الفتنة في الدين مثل الارتداد والمعاصي واكراه الغير على

المعاصي

المعاصى وأفردت الفتنة مع تعدد الملكين لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطأة للمبالغة
كأنهما نفس الفتنة والقصر لبيان أنه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها لينصرف الناس
عن تعلمه (فلا تكفر) باعتقاد حقيته بمعنى أنه ليس بباطل شرعا وجواز العمل به ويقولان
ذلك سبع مرات فان أبى الا التعليم علماه (فيتعلمون) عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة
كأنه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى أى فالناس يتعلمون
(منهما) أى من الملكين (ما يفرقون به) أى بسببه واستعماله (بين المرء وزوجه) بأن يحدث
الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عندما فعلوا من السحر على حسب جرى العادة
الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء لا أن السحر هو المؤثر فى ذلك
قال السدى كانا يقولان لمن جاءهما انما نحن فتنة فلا تكفر فان أبى أن يرجع قالا له ائت هذا
الرماد فبل فيه فاذا بال فيه خرج نور يسطع الى السماء وهو الايمان والمعرفة وينزل شىء اسود
شبه الدخان فيدخل فى أذنيه ومسامعه وهو الكفر وغضب الله فاذا أخبرهما بما رآه من ذلك
علماه ما يفرق به بين المرء وزوجه ويقدر الساحر على أكثر مما أخبر الله عنه من التفريق لان ذلك
خرج على الاغلب قيل يؤخذ الرجل على المرأة بالسحر حتى لا يقدر على الجماع قال فى نصاب
الاحتساب ان الرجل اذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ما سواها فان المبتلى بذلك يأخذ حزمة
قصبات ويطلب فأسا ذا فقارين ويضعه فى وسط تلك الحزمة ثم يؤجج نارا فى تلك الحزمة حتى اذا
أحمى الفأس استخرجه من النار وبال على حده يبرأ باذن الله تعالى (وما هم) أى ليس الساحرون
(بضارين به) أى بما تعلموه واستعملوه من السحر (من احد) أى أحدا (الا باذن الله) الاستثناء
مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين أو من مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها
على النفى أو الضمير المجرور فى به أى ما يضرون به أحدا الا مقرونا بعلم الله وارادته وقضائه
لا بأمره لانه لا يأمر بالكفر والاضرار والفحشاء ويقضى على الخلق بها فالساحر يسحر والله
يكون فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من أفعاله ابتلاء وقد لا يحدثه وكل ذلك بارادته ولا
ينكر أن السحر له تأثير فى القلوب بالحب والبغض وبالقاء الشرور حتى يحول بين المرء وقلبه وذلك
بادخال الآلام وعظيم الاسقام وكل ذلك مدرك بالحس والمشاهدة وانكاره معاندة وان أردت
التفصيل وحقيقة الحال فاستمع لما نتلو عليك من المقال وهو أن السحر اظهار أمر خارق للعادة
من نفس شريرة خبيثة بمباشرة أعمال مخصوصة يجرى فيه التعلم والتعليم وبهذين الاعتبارين
يفارق المعجزة والكرامة واختلف العلماء فى حقيقة السحر بمعنى ثبوته فى الخارج فذهب
الجمهور الى ثبوته فيه وقالت المعتزلة لا ثبوت له ولا وجود له فى الخارج بل هو تمويه وتخييل ومجرد
اراءة ما لا حقيقة له يرى الحبال حيات بمنزلة الشعوذة التى سببها خفة حركات اليد أو اخفاء وجه
الحيلة وتمسكوا بقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ولنا وجهان الاول يدل على الجواز
والثانى يدل على الوقوع أما الاول فهو امكان الامر فى نفسه وشمول قدرة الله فانه الخالق وانما
الساحر فاعل وكاسب وأما الثانى فهو قوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه
وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله وفيه اشعار بأنه ثابت حقيقة ليس مجرد اراءة وتمويه
وبأن المؤثر والخالق هو الله وحده وأما الشعوذة وما يجرى مجراها من اظهار الامور العجيبة

بواسطة ترتيب آلات الهندسة وخفة اليد ولاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها مجازاً ولما فيها من الدقة لانه فى الاصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفى سببه ولذا يقال سحر حلال وأكثر من يتعاطى السحر من الانس النساء وخاصة فى حال حيضهم والارواح الخبيثة ترى غالباً الطبائع المغلوبة والنفوس الرذيلة وان لم يكن لهم رياضة كالنساء والصبيان والمخنثين والانسان اذا فسد نفسه أو مزاجه يشتهى ما يضره ويتلذذ به بل يعشق ذلك عشقاً يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله والشيطان خبيث فاذا تقرب صاحب العزائم والاقسام وكتب الروحانيات السحرية وأمثال ذلك اليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم فيقضون بعض أغراضهم كمن يعطى رجلا مالا ليقتل من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو ينال منه فاحشة ولذلك يكتب السحرة والمعزمون فى كثير من الامور كلام الله تعالى بالنجاسة والدماء ويتقربون بالقرابين من حيوان ناطق وغير ناطق والبخور وترك الصلاة والصوم واباحات الدماء ونكاح ذوات المحارم والقاء المصحف فى القاذورات وغير ذلك مما ليس لله فيه رضا فاذا قالوا كفراً أو كتبوه أو فعلوه اعانتهم الشياطين لاغراضهم أو بعضها اما بتغوير ماء واما بأن يحمل فى الهواء الى بعض الامكنة واما أن يأتيه بمال من أموال الناس كما يسرقه الشياطين من أموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه ويأتى به واما غير ذلك من قتل أعدائهم أو امراضهم أو جلب من يهوونه وكثيراً ما يتصور الشيطان بصورة الساحر ويقف بعرفات ليظن من يحسن به الظن أنه وقف بعرفات وقد زين لهم الشيطان أن هذا كرامات الصالحين وهو من تلبيس الشيطان فان الله تعالى لا يعبد الا بما هو واجب أو مستحب وما فعلوه ليس بواجب ولا مستحب شرعاً بل هو منهى حرام ونعوذ بالله من اعتقاد ما هو حرام عبادة ولاهل الضلال الذين لهم عبادة على غير الوجه الشرعى مكاشفات أحياناً وتأثيرات يأوون كثيراً الى مواضع الشياطين التى نهى عن الصلاة فيها كالحمام والمزبلة وأعطان الابل وغير ذلك مما هو من مواضع النجاسات لان الشياطين تنزل عليهم فيها وتخاطبهم ببعض الامور كما يخاطبون الكفار وكما كانت تدخل فى الاصنام وتكلم عابدى الاصنام قال العلماء ان كان فى السحر ما يخل شرطاً من شرائط الايمان من قول وفعل كان كفراً والا لم يكن كفراً وعامة ما بأيدى الناس من العزائم والطلاسم والرقى التى لا تفهم بالعربية فيها ما هو شرك وتعظيم للجن ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التى لا يفهم بالعربية معناها لانها مظنة الشرك وان لم يعرف الراقى أنه شرك وفى الصحيح عن النبى عليه السلام انه رخص فى الرقى ما لم تكن شركاً وقال من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل ولذا نقول انه يجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شئ من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقى أو يعلق عليه وفى أسماء الله تعالى وذكره خاصية قمع الشياطين واذلالهم ولانفاس أهل الحق تأثيرات عجيبة لانهم تركوا الشهوات ولزموا العبادات على الوجه الشرعى وظهر لهم حكم قوله تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض ولذا يطيعهم الجن والشياطين ويستعبدونهم كما استعبدها سليمان عليه السلام بتسخير الله تعالى واقداره (حكى) حضرة الهدائى قدس سره فى واقعاته عن شيخه حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندى انه أرسل ورقة الى سلطان الجن لاجل مصروع فامتثل أمره وعظمه وضرب عنق

المنازع لخلص المصروع (قال فى المثنوى) هم بيمبر فرد آمد در جهان * فرد بود وصد جهانش درنهان * عالم كبرى بقدرت سحر كرد * كرد خودرا در كهن نقشى نورد * ابلهانش فرد ديدند وضعيف * كى ضعيفست انكه باشه شد حريف * واعلم أن حكم الساحر القتل ذكرا كان أو أنثى اذا كان سعيه بالافساد والاهلاك فى الارض واذا كان سعيه بالكفر فيقتل الذكر دون الانثى فتضرب وتحبس لان الساحرة كافرة والكافرة ليست من أهل الحرب فاذا كان الكفر الاصلى يدفع عنها القتل فكيف الكفر العارضى والساحر ان تاب قبل أن يؤخذ تقبل توبته وان أخذ ثم تاب لا تقبل كما قال فى الاشباه كل كافر تاب فتوبته مقبولة فى الدنيا والآخرة الا الكافر بسب نبى وبسب الشيخين أو أحدهما وبالسحر ولو امرأة وبالزندقة اذا أخذ قبل توبته والزنديق هو الذى قال بقدم الدهر واسناد الحوادث اليه مع اعتراف النبوة واظهار الشرع هذا وأكثر المنقول الى هنا من كتاب آكام المرجان وهو الذى ينبغى أن يكتب على الاحداق لا على القراطيس والاوراق (ويتعلمون ما يضرهم) لانهم يقصدون به العمل أو لان العلم يجر الى العمل غالبا (ولا ينفعهم) صرح بذلك ايذانا بأنه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار باكاذيب من يدعى النبوة مثلا من السحرة أو تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع فى الجملة وفيه أن الاجتناب عما لا تؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التى لا يؤمن أن تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لم يعرف الشر من الناس يقع فيه وذكر فى التجنيس أن تعلم النجوم حرام الا ما يحتاج اليه للقبلة وفى الزوال ومن أحاديث المصابيح من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر واذا لم يكن فى تعلم مثل هذه العلوم خير فكذا امثال الكتب التى اشتملت عليها من كتب الفلاسفة وغيرها بل لا يجوز النظر اليها كما فى نصاب الاحتساب (ولقد علموا) أى هؤلاء اليهود فى التوراة (لمن اشتراه) أى من اختار السحر واستبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتداء (ماله فى الآخرة من خلاق) أى نصيب (ولبئس ما شروا به انفسهم) أى باعوها لان الشراء من الاضداد واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف أى والله لبئس ما باعوا به أنفسهم السحر أو الكفر وعبر عن ايمانهم بأنفسهم لان النفس خلقت للعلم والعمل والايمان (لو كانوا يعلمون) جواب لو محذوف أى لما فعلوا ما فعلوا من تعلم السحر وعمله أثبت لهم العلم أولا بقوله ولقد علموا ثم نفى عنهم لانهم لما لم يعملوا بعلمهم فكأنهم لم يعلموا فهذا فى الحقيقة نفى الانتفاع بالعلم لا نفى العلم (ولو أنهم) أى اليهود (آمنوا) بالقرآن والنبى (واتقوا) السحر والشرك (لمثوبة) مفعلة من الثواب وثاب يثوب أى رجع وسمى الجزاء ثوابا لانه عوض عمل المحسن يرجع اليه وهو مبتدأ جواب لو والتنكير للتقليل أى شئ قليل من الثواب كائن (من عند الله خير) خبر المبتدأ وأصله لأثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به أنفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم دلالة على اثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليها جلالا للمفضل من أن ينسب اليه (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله خير ومجرد العلم باللسان لا ينفع بدون أن يصل التأثير الى القلب ويظهر ذلك التأثير بالمسارعة الى

الاعمال الصالحة والاتباع للكتاب والسنة فمن أمر السنة على نفسه اخذا وتركا حبا وبغضا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة قال الشيخ أبو الحسن كل علم يسبق لك فيه الخواطر وتتبعها الصور وتميل اليه النفوس وتلذ به الطبيعة فارم به وان كان حقا وخذ بعلم الله الذى أنزله على رسوله واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده والائمة المبرئين من الهوى ومتابعته تسلم من الظنون والشكوك والاوهام والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه وماذا عليك أن تكون عبدا لله ولا علم ولا عمل بلا اقتداء وحسبك من العلم العلم بالوحدانية ومن العمل محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة قال بعض العلماء زيادة العلم فى الرجل السوء كزيادة الماء فى أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من الياقوت فما أشرف الوسيلة وما أخس المتوسل اليه والذى يحمل العبد على تعليم مالا يليق به وذكر ما يجب صونه انما هو ايثار الدنيا على الآخرة لكن الله تعالى يقول وما عند الله خير وأبقى فان أردت أن تعرف قدرك عند الله فانظر فيماذا يقيمك وذلك لان الاعمال علامات والاحوال كرامات والكرامات دليل والعلوم وسائل وقد جاء من سره أن يعرف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله فى قلبه فان الله ينزل العبد عنده حيث أنزله العبد من نفسه والانسان نسخة الهية قابلة للواردات الالهية فالنصف الاسفل منه بمنزلة الملك والنصف الاعلى بمنزلة الملكوت وبعبارة أخرى الطبيعة والنفس بمنزلة الملك والروح والسر بمنزلة الملكوت فاذا قطع العلائق بالعبادة الحقانية يتصرف فى عالم الملك والملكوت اللذين فى ملك وجوده وهو باب الملك والملكوت اللذين فى الخارج واعلم أن وصلة العلماء على قدر علمهم واستدلالهم ووصلة الكمل على قدر مشاهداتهم وعيانهم لكن لا على وجه مشاهدة سائر الاشياء فانه تعالى منزه عن الكيف والاين بل هى عبارة عن ظهور الوجود الحقيقى عند اضمحلال وجود الرائى وفنائه واول ما يتجلى للسالك الافعال ثم الصفات وأما تجلى الذات فلا يتيسر الا للآحاد فهو لا يكون الا بمحو الوجود وافنائه لكن ذلك الفناء عين البقاء وعن أبى يزيد البسطامى قدس سره كنت أعلم الاخلاص لبعض الفقراء وهو يعلمنا الفناء (قال السعدى)

تراكى بود چون چراغ التهاب * كه ازخود برى همچو قنديل ازآب *

(يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا) لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ارشاد للمؤمنين الى الخير (راعنا) المراعاة المبالغة فى الرعى وهو حفظ الغير وتدبير أموره وتدارك مصالحه كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيأ من العلم راعنا يا رسول الله أى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك وكانت لليهود كلمة عبرانية أو سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهى راعنا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها قطعا لالسنة اليهود عن التلبيس وأمروا بما هو فى معناها ولا يقبل التلبيس فقيل (وقولوا انظرنا) أى انتظرنا من نظره اذا انتظره (واسمعوا) وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة (وللكافرين) أى ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه (عذاب أليم) وجيع لما اجترؤا عليه من المسبة العظيمة وفى هذه الآية دليلان أحدهما على

تجنب الالفاظ المحتملة التى فيها التعريض وأما قولهم لا بأس بالمعاريض وهو أن يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيأ ومراده شئ آخر فانما أرادوا ذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن حاجة ولا ضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده بأن لا يتعرض لهم بما حرم من دمائهم وعراضهم وقدم اللسان فى الذكر لان التعرض به أسرع وقوعا وأكثر وخص اليد بالذكر لان معظم الافعال يكون بها (قال فى المثنوى) اين زبان چون سنك وهم آهن وشست * وآنچه بجهد از زبان چون آتشست * سنك وآهن رامزن برهم كزاف * كه زروى نقل وكاه از روى لاف * زانكه تاريكست وهرسو پنبه زار * درميان پنبه چون باشد شرار * عالمى رايك سخن ويران كند * روبهان مرده را شيران كند * والثانى التمسك بسد الذرائع وحمايتها والذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع فى ممنوع ووجه التمسك بها أن اليهود كانوا يقولون ذلك وهى سب بلغتهم فلما علم الله تعالى ذلك منهم منع من اطلاق ذلك اللفظ لانه ذريعة للسب قال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فمنع من سب آلهتهم مخافة مقابلتهم بمثل ذلك وقال تعالى واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الآية فحرم الله عليهم الصيد فى يوم السبت فكان الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا أى ظاهرة فسدوا عليها يوم السبت وأخذوها يوم الاحد وكان السد ذريعة للاصطياد فمسخهم الله قردة وخنازير وعن عائشة رضى الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله عليه السلام ان أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله قال العلماء فعل ذلك أوائلهم ليستأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدوا الله عند قبورهم فمضت لهم بذلك أزمان ثم انهم خلف من بعدهم خلف جهلوا اغراضهم ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها فحذر النبى عليه الصلاة والسلام عن مثل ذلك وشدد النكير والوعيد على من فعل ذلك وسد الذرائع المؤدية الى ذلك فقال عليه السلام اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد وقال اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد وقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البأس وقال عليه السلام ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه فجعل التعرض لسب الآباء والامهات كسب الآباء والامهات وقال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه فمنع عليه السلام من الاقدام على الشبهات مخافة الوقوع فى المحرمات وفى الحديث اذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه منكم حتى ترجعوا الى دينكم والعينة هو أن يبيع رجل من رجل سلعة بثمن معلوم الى أجل مسمى ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذى باعها به وسميت عينة لحصول النقد لصاحب العينة وذلك

ان العينة هو الحال الحاضر والمشترى انما يشتريها ليبيعها بعين حاضرة تصل اليه من فوره وفى
هذا الحديث ذم للزراع اذا كانت زراعتهم ذريعة لترك الجهاد قال عليه الصلاة والسلام
حين رأى آلة الحراثة فى دار قوم ما دخل هذا بيت قوم الا ذلوا وذلك لان الزراعة عمارة الدنيا
واعراض عن الجهاد فيستحق به الذل وعمارة الدنيا أصل فى حق الكفار عارض فى حق المسلمين
فان المسلمين يجعلونها وسيلة الى الآخرة وأما الكفار فيعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن
آخرتهم غافلون وقد قال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن أى بالنسبة الى ما أعد له من ثواب
النعيم وجنة الكافر أى بالاضافة الى ما هى له من عذاب الآخرة والقطيعة والهجران (ما يود
الذين كفروا) كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون أنهم يودون لهم الخير
فنزلت تكذيبا لهم والود حب الشئ مع تمنيه ونفى الود كناية عن الكراهة أى ما يحب الذين كفروا
(من أهل الكتاب ولا المشركين) من للتبيين لان الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب
والمشركون فكأنه قيل ما يود الذين كفروا وهم أهل الكتاب والمشركون فبين ان الذين كفروا
باق على عمومه وان المراد كلا نوعيه جميعا والمعنى ان الكفار جميعا لم يحبوا (ان ينزل عليكم)
أى على نبيكم لان المنزل عليه منزل على أمته (من خير) هو قائم مقام فاعله ومن مزيدة
لاستغراق الخير والخير الوحى والقرآن والنصرة (من ربكم) من لابتداء الغاية والمعنى أنهم يرون
أنفسهم أحق بأن يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون أن ينزل عليكم شئ من الوحى اما اليهود
فبناء على انهم أهل الكتاب وابناء الانبياء الناشئون فى مهابط الوحى وأنتم أميون وأما
المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات
الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذا قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
وهم كانوا يتمنون أن تكون النبوة فى أحد الرجلين نعيم بن مسعود الثقفى بالطائف والوليد بن
المغيرة بمكة ثم أجاب عن قول من يقول لم لم ينزل عليهم بقوله (والله يختص برحمته من يشاء) يقال
خصه بالشئ واختصه به اذا أفرده به دون غيره ومفعول من يشاء محذوف والرحمة النبوة والوحى
والحكمة والنصرة والمعنى يفرد برحمته من يشاء افراده بها ويجعلها مقصورة عليه لا لاستحقاقه
الذاتى الفائض عليه بحسب ارادته عز وجل لا تتعداها الى غيره لا يجب عليه شئ وليس لاحد
عليه حق وما وقع فى عبارة مشايخنا فى حق بعض الاشياء انه واجب فى الحكمة يعنون به انه
ثابت متحقق لا محالة فى الوجود لا يتصور أن لا يكون لا انه يجب ذلك بايجاب موجب (والله ذو
الفضل العظيم) أى على من يختاره بالنبوة والوحى لابتدائه بالاحسان بلا علة وهو حجة لنا على
المعتزلة فان المفضل عند الخلق هو الذى يعطى ويبذل ما ليس عليه لان الذى يعطى ما عليه يكون
قاضيا لا مفضلا ولو كان يجب عليه فعل الاصلح لكان المناسب أن يكون ذو العدل بدل قوله
ذو الفضل ثم فيه اشعار بأن ايتاء النبوة من الفضل وأن حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل
لمشيئته وما عرف فيه من حكمته فمن تعرض لرد ما من الله به على عباده المؤمنين فقد جهل
بحقيقة الامر وعباد الله المخلصون قسمان قوم أقامهم الحق لخدمته وهم العباد والزهاد وأهل
الاعمال والاوراد وقوم اختصهم بمحبته وهم أهل المحبة والوداد وكل فى خدمته وتحت طاعته
اذ كلهم قاصد وجهه ومتوجه اليه والعبودية صفة العبد لا تفارقه ما دام حيا ومن حقائق

العبودية اخراج الحسد من القلب قال بعض الحكماء بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه أولها انه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره والثانى أنه يتسخط قسمته تعالى ويقول لربه لو قسمت هكذا والثالث ان فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضله والرابع أنه خذل ولى الله لانه يريد خذلانه وزوال النعمة عنه والخامس أنه أعان عدوه يعنى ابليس واعلم أن حسدك لا ينفذ على عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك فى يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد فى صورة من يرمى حجرا الى عدوه ليصيب به مقلته فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود ويرميه أشد من الاولى فيرجع على عينه اليسرى فيعميها فيزداد غضبه ثالثا فيعود ويرميه فيرجع الحجر على رأسه فيشجه وعدوه سالم فى كل حال وهو اليه راجع كرة بعد أخرى وأعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون وهذا حال الحسود وسخرية الشياطين وقال بكر بن عبد الله كان رجل يأتى بعض الملوك فيقوم بحذائه ويقول احسن الى المحسن باحسانه فان المسىء سيكفيه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك وقال ان هذا الرجل يزعم أن الملك أبخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندى قال تدعو به اليك فانظر فانه اذا دنا منك وضع يده على أنفه أن لا يشم ريح البخر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده فقام بحذاء الملك فقال على عادته مثل ما قال فقال له الملك ادن منى فدنا منه واضعا يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه ريح الثوم فصدق الملك فى نفسه قول الساعى قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا لجائزة فكتب له كتابا بخطه الى عامل له اذا أتاك الرجل فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذى سعى به فاستوهب منه ذلك الكتاب فأخذه منه بأنواع التضرع والامتنان ومضى الى العامل فقال له العامل ان فى كتابك أن أذبحك وأسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى الله الله فى أمرى حتى أراجع الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل كعادته فتعجب منه الملك فقال ما فعلت بالكتاب قال لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته قال الملك انه ذكر لى انك تزعم انى ابخر فقال كلا قال فلم وضعت يدك على انفك قال كان اطعمنى طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال ارجع الى مكانك فقد كفى المسىء اساءته ونعم ما قيل * هر كه او نيك ميكند يابد * نيك وبد هر چه ميكند يابد * اللهم احفظنا من مساوى الاخلاق (ما) شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية اى اى شئ (ننسخ) ومحل قوله (من آية) نصب تمييزا والنسخ فى اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر أى ازالته ونسخت الكتاب أى نقلته من نسخة الى نسخة ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا أما الاول فكآية الرجم كما روى ان مما يتلى عليكم فى كتاب الله الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة فهو منسوخ التلاوة دون الحكم ومعنى النسخ فى مثلها انتهاء التكليف بقراءتها عند نسخ تلاوتها وأما الثانى فكآية عدة الوفاة بالحول قال تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج نسخت باربعة اشهر وعشر لقوله تعالى يتربصن بأنفسهن اربعة اشهر وعشرا وكمصابرة الواحد العشرة فى القتال نسخت بمصابرة الواحد للاثنين فهو منسوخ

الحكم دون التلاوة وهو المعروف من النسخ فى القرآن فتكون الآية الناسخة والمنسوخة ثابتتين فى التلاوة الا ان المنسوخة لا يعمل بها ومعنى النسخ فى مثلها بيان انتهاء التكليف بالحكم المستفاد منها عند نزول الآية المتأخرة عنها وحسن بقاء التلاوة مع نسخ الحكم ورفعه ليبقى حصول الثواب بقراءتها فان القرآن كما يتلى لحفظ حكمه لتيسير العمل به يتلى أيضا لكونه كلام الله تعالى فيثاب عليه وأما الثالث فكما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كان مما يتلى فى كتاب الله عشر رضعات يحرمن ثم نسخ بخمس رضعات يحرمن فهو منسوخ الحكم والتلاوة جميعا ومعنى النسخ فى مثلها بيان انتهاء التكليف بقراءتها وبالحكم المستفاد منها عند نسخها قال القرطبى الجمهور على ان النسخ انما هو مختص بالاوامر والنواهى والخبر لا يدخله النسخ لاستحالة الكذب على الله تعالى (أو ننسها) انساء الآية اذهابها من القلوب كما روى ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا البسملة فغدوا الى النبى عليه السلام وأخبروه فقال صلى الله عليه وسلم تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها روى ان المشركين أو اليهود قالوا ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ما يقول الا من تلقاء نفسه يقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا كما مر فى حد الزنا بايذائهما باللسان حيث قال فآذوهما ثم جعله منسوخا وأمر بامساكهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت ثم جعله منسوخا بقوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة يريدون بذلك الطعن فى الاسلام ليضعفوا عزيمة من أراد الدخول فيه فبين الله الحكمة فى النسخ بهذه الآية والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها أو حكمها أو كليهما معا الى بدل أو الى غير بدل (نأت بخير) أى بآية هى خير (منها) للعباد بحسب الحال فى النفع والثواب من الذاهبة وليس المقصود أن آية خير من آية لان كلام الله واحد وكله خير فلا يتفاضل بعض الآيات على بعض فى انفسها من حيث انه كلام الله ووحيه وكتابه بل التفاضل فيها انما هو بحسب ما يحصل منها للعباد (أو مثلها) فى المنفعة والثواب فكل ما نسخ الى الايسر فهو أسهل فى العمل وما نسخ الى الاشق فهو فى الثواب أكثر أما الاول فكنسخ الاعتداد بحول ونقله الى الاعتداد بأربعة أشهر وعشر وأما الثانى فكنسخ ترك القتال بايجابه وقد يكون النسخ بمثل الاول لا أخف ولا أشق كنسخ التوجه الى بيت المقدس بالتوجه الى الكعبة وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها أيضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب واعلم ان الناسخ على الحقيقة هو الله تعالى ويسمى الخطاب الشرعى ناسخا تجوزا فى الاسناد بناء على ان النسخ يقع به والمنسوخ هو الحكم المزال والمنسوخ عنه هو المتعبد بالعبادة المزالة وهو المكلف والحكمة فى النسخ ان الطبيب المباشر لاصلاح البدن يغير الاغذية والادوية بحسب اختلاف الامزجة والازمنة كذلك الانبياء المباشرون لاصلاح النفوس يغيرون الاعمال الشرعية والاحكام الخاتمية التى هى للنفوس بمنزلة العقاقير والاغذية للابدان فان اغذية النفوس وادويتها هى الاعمال الشرعية والاخلاق المرضية فيغيرها الشارع على حسب تغير مصالحها فكما أن الشئ يكون دواء للبدن فى وقت ثم قد يكون داء فى وقت آخر كذلك الاعمال قد تكون مصلحة فى وقت ومفسدة فى وقت وقس عليه حال المرشد والمسترشد فان التربية على القاعدة التسليكية بحسب

أحوال المشارب ولا يلقاها من المرشدين الا ذو حظ عظيم قال (في المثنوي) رمز ننسخ آية اوننسها * نأت خيرا در عقب مي دان مها * هر شريعت را كه حق منسوخ كرد * او گيا برد وعوض آورده ورد * اندرين شهر حوادث ميراوست * در عمالك مالك تدبير اوست * آنكه داند دوخت او داند دريد * هرچه را بفروخت نيكوتر خريد (ألم تعلم) الخطاب للنبي عليه السلام ومعنى الاستفهام تقرير أي انك تعلم (أن الله على كل شيء قدير) فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير (ألم تعلم) وخصه عليه السلام بالخطاب مع ان غيره داخل في الخطاب أيضا حقيقة بناء على ان المقصود من الخطاب تقرير علم المخاطب بما ذكر ولا أحد من البشر أعلم بذلك منه عليه السلام اذ قد وقف من أسرار ملكوت السموات والارض على ما لا يطلع عليه غيره وعلم غيره بالنسبة الى علمه عليه السلام ملحق بالعدم لان علم الاولياء من علم الانبياء بمنزلة قطرة من سبعة أبحر وعلم الانبياء من علم نبينا محمد عليه السلام بهذه المنزلة وعلم نبينا من علم الحق سبحانه بهذه المنزلة (أن الله له ملك السموات والارض) فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله أن الله على كل شيء قدير والملك تمام القدرة واستحكامها وتخصيص السموات والارض بالذكر وان كان الله تعالى له ملك الدنيا والآخرة جميعا لكونهما أعظم المصنوعات وأعجبها شأنا (وما لكم) أيها المؤمنون (من دون الله) أي سوى الله وهو في حيز النصب على الحالية من الولي لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا (من) زائدة للاستغراق (ولي) قريب وصديق وقيل وال وهو القيم بالامور (ولا نصير) أي معين ومانع والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور والمقصود التسكين لقلوب المؤمنين بأن الله وليهم وناصرهم دون غيره فلا يجوز الاعتماد الا عليه ولا يسع الالتجاء الا اليه والمعنى أن قضية العلم بما ذكر من الامور الثلاثة وهو العلم بأن الله على كل شيء قدير والعلم بأن الله له ملك السموات والارض والعلم بان ليس لهم من دون الله من ولي ولا نصير هو الجزم والايقان بأنه تعالى لا يفعل بهم في أمر من أمور دينهم أو دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء الى أقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في أمر النسخ (ام تريدون) أم معادلة للهمزة في ألم تعلم أي ألم تعلموا أنه مالك الامور وقادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما أراد أم تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام والمراد توصية المسلمين بالثقة به وترك الاقتراح عليه وهو المفاجأة بالسؤال من غير روية وفكر (أن تسألوا) وأنتم مؤمنون (رسولكم) وهو في تلك الرتبة من علو الشأن وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين بأموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤنه تعالى قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ (كما سئل موسى) مصدر تشبيهي أي نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية أي سؤالا مشبها بسؤال موسى عليه السلام حيث قيل له اجعل لنا الها وأرنا الله جهرة وغير ذلك (من قبل) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم متعلق بسئل جيء به للتأكيد (ومن يتبدل الكفر) أي يختره ويأخذه لنفسه (بالايمان) بمقابلته بدلا منه وحاصله ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الآيات الناسخة التي هي خير محض

وحق بحث واقترح غيرها (فقد ضل) أى عدل وحاد من حيث لا يدرى (سواء السبيل) عن
الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه فى تيه الهوى وتردى فى مهاوى الردى
وسواء السبيل وسط الطريق السوى الذى هو بين الغلو والتقصير وهو الحق وأكثر المفسرين
على ان سبب نزول الآية أن اليهود قالوا يا محمد ائتنا بكتاب الله جملة كما جاء موسى بالتوراة جملة
فنزلت كما قال يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء الى قوله جهرة فالمخاطبون بقوله
أم تريدون هم اليهود واضافة الرسول اليهم فى قوله رسولكم باعتبار أنهم من أمة الدعوة ومعنى
تبدل الكفر بالايمان ترك صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم للكفر عليه قال
الامام وهذا أصح لان الآية مدنية ولان هذه السورة من أول قوله يا بنى اسرائيل اذكروا
نعمتى حكاية عنهم ومحاجة معهم وفى الآية اشارة الى حفظ الآداب فمن لم يتأدب بين يدى مولاه
ورسوله وخلفائه فقد تعرض للكفر وحقيقة الادب اجتماع خصال الخير وعن النبى عليه
السلام قال حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن مرضعه ويحسن أدبه فانه مسؤل عنه
يوم القيامة ومؤاخذ بالتقصير فيه قال فى بستان العارفين مثل الايمان مثل بلدة لها خمسة من
الحصون الاول من ذهب والثانى من فضة والثالث من حديد والرابع من حبو كل والخامس
من لبن فما دام أهل الحصن يتعاهدون الحصن الذى من اللبن فالعدو لا يطمع فيهم فاذا تركوا
التعاهد حتى خرب الحصن الاول طمع فى الثانى ثم فى الثالث حتى خربت الحصون كلها فكذلك
الايمان فى خمسة من الحصون أولها اليقين ثم الاخلاص ثم أداء الفرائض ثم اتمام السنن ثم حفظ
الادب فما دام يحفظ الادب ويتعاهده فان الشيطان لا يطمع فيه فاذا ترك الادب طمع فى السنن
ثم فى الفرائض ثم فى الاخلاص ثم فى اليقين وينبغى أن يحفظ الادب فى جميع أموره من أمر
الوضوء والصلاة والبيع والشراء والصحبة وغير ذلك واعلم أن الشريعة هى الاحكام والطريقة
هى الادب وعامة من رد لعدم رعاية الادب كابليس وغيره من المردودين كما قيل * بى ادب
مردكى شود مهتر * كرچه اورا جلالت نسبست * باادب باش تا بزرك شوى * كه بزركى نتيجهٔ
ادبست * وسئل ابن سيرين أى الادب أقرب الى الله فقال معرفة ربوبيته والعمل بطاعته والحمد
على السراء والصبر على الضراء انتهى كلامه (ود كثير من أهل الكتاب) هم رهط من أحبار
اليهود وروى أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان
وعمار بن ياسر رضى الله عنهما بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم
فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد
فيكم قالوا شديد قال فانى قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود أما عمار فقد صبأ
أى خرج عن ديننا بحيث لا يرجى منه الرجوع اليه أبدا فكيف أنت يا حذيفة ألا تبايعنا قال
حذيفة رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين
اخوانا فقالوا واله موسى لقد أشرب فى قلوبكما حب محمد ثم اتيا رسول الله عليه السلام وأخبراه
فقال أصبتما خيرا وأفلحتما والمعنى أحب وأراد كثير من اليهود (لو يردونكم) أى أن يردوكم
فان لو من الحروف المصدرية اذا جاءت بعد فعل يفهم منه معنى التمنى نحو قوله تعالى ودوا لو تدهن
اى أن يصرفوكم عن التوحيد (من بعد ايمانكم) يا معشر المؤمنين (كفارا) أى مرتدين

حال من ضمير المخاطبين في يردونكم ويحتمل أن يكون مفعولا ثانيا ليردونكم على تضمينه معنى
يصيرونكم (حسدا) علة لقوله ود كأنه قيل ود كثير ذلك من أجل الحسد (من عند أنفسهم)
يجوز أن يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ارتدادكم من عند أنفسهم وقبل شهوتهم وأهوائهم لا من
قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم لانهم ودوا ذلك فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق
ويجوز أن يتعلق بحسدا أى حسدا منبعثا من أصل نفوسهم بالغا أقصى مراتبه (من بعد ما تبين
لهم الحق) أى من بعد ما ظهر لهم أن محمدا رسول الله وقوله حق ودينه حق بالمعجزات والنعوت
المذكورة في التوراة (فاعفوا) العفو ترك عقوبة المذنب يقال عفت الريح المنزل درسته وعفا
المنزل يعفو درس يتعدى ولا يتعدى ومن ترك المذنب فكأنه درس ذنبه من حيث انه ترك
المكافأة والمجازاة وذلك لا يستلزم الصفح ولذا قال تعالى (واصفحوا) فانه قد يعفو الانسان ولا
يصفح والصفح ترك التقريع باللسان والاستقصاء في اللوم يقال صفحت عن فلان اذا أعرضت
عن ذنبه بالكلية وقد ضربت عنه صفحا اذا أعرضت عنه وتركته وليس المراد بالعفو والصفح
المأمور بهما الرضاء بما فعلوا لان ذلك كفر والله تعالى لا يأمر به بل المراد بهما ترك المقاتلة
والاعراض عن الجواب عن مساوى كلامهم (حتى يأتى الله بأمره) أى يحكم الله بحكمه الذى
هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم أو قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير (روى) أن
الصحابة رضى الله عنهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يقتلوا هؤلاء اليهود الذين
كفروا بأنفسهم ودعوا المسلمين الى الكفر فنزلت الآية بترك القتال والاعراض عن المكافأة
الى أن يجيء الاذن من الله تعالى (ان الله على كل شيء قدير) فيقدر على الانتقام منهم وينتقم اذا
جاء أوانه (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) عطف على فاعفوا كأنه أمرهم بالصبر والمخالفة
واللجا الى الله تعالى بالعبادة والبر فالمراد الامر بملازمة طاعة الله تعالى من الفرائض والواجبات
والتطوعات بقرينة قوله (وما تقدموا لانفسكم من خير) فان الخير يتناول أعمال البر كلها
الا انه تعالى خص من بينها اقام الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر تنبيها على عظم شأنهما وعلو قدرهما
عند الله تعالى فان الصلاة قربة بدنية ليكون عمل كل عضو شكرا لما أنعم الله عليه في ذلك والزكاة
قربة مالية ليكون شكرا للاغنياء الذين فضلهم الله في الدنيا بالاستمتاع بلذيذ العيش بسبب سعتهم
في صنوف الاعمال وما تقدموا شرطية أى أى شيء من الخيرات صلاة أو صدقة أو غيرهما تقدموه
وتسلفوه لمصلحة أنفسكم (تجدوه) أى ثوابه وجزاءه لا عينه لان عين تلك الاعمال لا تبقى ولان
وجدان عينها لا يرغب فيه (عند الله) أى محفوظا عنده في الآخرة فتجدوا التمرة واللقمة فيها
مثل أحد ولفظ التقديم اشارة الى أن المقصود الاصلي والحكمة الكلية في جميع ما أنعم الله
تعالى به على المكلفين في الدنيا أن يقدموه الى معادهم ويدخروه ليومهم الآجل كما جاء في الحديث
ان العبد اذا مات قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم (ان الله بما تعملون بصير) أى عالم
لا يخفى عليه القليل ولا الكثير من الاعمال والعمل غير مقيد بالخير أو الشر فهو عام شامل
للترغيب والترهيب فالترغيب من حيث انه يدل على أنه تعالى يجازى على القليل من الخير كما
يجازى على الكثير والترهيب من حيث انه يجازى على القليل والكثير من الشر أيضا فلا يضيع
عنده عمل عامل وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه مر ببقيع الغرقد فقال السلام عليكم

أهل القبور أخبار ما عندنا ان نساءكم قد تزوجن ودوركم قد سكنت وأموالكم قد قسمت فأجابه هاتف يا ابن الخطاب أخبار ما عندنا ان ما قدمناه وجدناه وما أنفقناه فقد ربحناه وما خلفناه فقد خسرناه ولقد أحسن القائل

قدم لنفسك قبل موتك صالحا * واعمل فليس الى الخلود سبيل

(قال السعدى) تو غافل در انديشهٔ سود ومال * كه سرمايهٔ عمر شد پايمال * غبار هوا چشم غفلت بدوخت * سموم هوا كشت عمرت بسوخت * بكن سرمهٔ غفلت از چشم پاك * كه فردا شوى سرمه در چشم خاك * اعلم أنّ الانسان اذا مات انقطع عمله الا أن يبقى بعده واحد من الاولاد الاربعة التى لا ينقطع أجرها * الاول ما يتولد من مال الانسان كبناء المساجد والجسور والرباط والاوقاف وغير ذلك من الخيرات (كما قال السعدى فى البستان) از ان كس كه خيرى بماند روان * دمادم رسد رحمتش بر روان * نمرد آنكه ماند پس از وى بجاى * پل ومسجد وخان ومهمان سراى * هر آن كو نماند از پسش يادگار * درخت وجودش نياورد بار * وگر رفت وآثار خيرش نماند * نشايد پس مرگ الحمد خواند * والى هذا أشار عليه السلام بقوله من صدقة جارية فى حديث اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث * والثانى ما يتولد من العقل الراجح كالعلم المنتفع به واليه الاشارة بقوله عليه السلام أو علم ينتفع به قيل هو الاحكام المستنبطة من النصوص والظاهر انه عام يتناول ما خلفه من تصنيف أو تعليم فى العلوم الشرعية وما يحتاج اليه فى تعلمها قيد العلم بالمنتفع به لانّ ما لا ينتفع به لا يثمر أجرا كما ان كتم ما ينتفع به لا يثمر أجرا بل اثما وعذابا كما ورد فى الحديث من كتم علما يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار قال الامام السخاوى يشمل هذا الوعيد حبس الكتب عمن يطلبها للانتفاع بها * والثالث ما يتولد من النفس كالبنين والبنات واليه الاشارة بقوله عليه السلام أو ولد صالح يدعو له قيد عليه الصلاة والسلام بالصالح لانّ الاجر لا يحصل من غيره وأما الوزر فلا يلحق بالاب من سيئة ولده اذا كانت نيته فى تحصيل الخير وانما ذكر الدعاء له تحريضا للولد على الدعاء لابيه لا لانه قيد لانّ الاجر يحصل للوالد من ولده الصالح كلما عمل عملا صالحا سواء دعا لابيه أم لا كمن غرس شجرة يحصل له من أكل ثمرتها ثواب سواء دعا له من أكلها أم لم يدع وكذلك الام فان قلت ما التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام من سنّ فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة وقوله عليه السلام من مات يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمو عمله الى يوم القيامة قلنا السنة المسنونة من جملة العلم المنتفع به ومعنى حديث المرابط انّ ثواب عمله الذى قدمه فى حياته ينمو له الى يوم القيامة أما الثلاث المذكورة فى الحديث فانها أعمال تحدث بعد وفاته لا تنقطع عنه لانه سبب لها فيلحقه منها ثواب * والرابع ما يتولد من الروح وهى الاولاد المعنوية التى تولدت من التربية كأولاد المشايخ الكاملين من الصوفية المتشرعين المحققين وهذا القسم يمكن أن يندرج فيما قبله فافهم (وقالوا) نزلت فى وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا فى مجلس رسول الله عليه السلام مع اليهود فكذب بعضهم بعضا فقالت اليهود لبنى نجران لن يدخل الجنة الا اليهود وقال بنو نجران لليهود لن يدخلها الا النصارى فقال الله قال أهل الكتاب من اليهود والنصارى (لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى) لم يقل كانوا

حملا للاسم على اللفظ من وجمع الخبر حملا على معناه والهود جمع هائد أى تائب نحو إنا هدنا اليك وكانه كان فى الاصل اسم مدح لمن تاب منهم من عبادة العجل ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازما لجماعتهم كالعلم لهم والنصارى جمع نصران كسكران (تلك) أى ما قالوا بأن الجنة لا يدخلها الا من كان هودا أو نصارى (أمانيهم) أى شهواتهم الفاسدة التى تمنوها على الله بغير الحق لا حقيقة لها جمع امنية وهى ما يتمنى افعولة كالاعجوبة والتمنى التشهى والعرب تسمى الكلام العارى عن الحجة غنيا وغرورا وضلالا وأحلاما مجازا وجمع الامانى باعتبار صدورها عن الجميع من اليهود والنصارى ثم أومأ الله الى بطلان أقوالهم بقوله لنبيه عليه السلام (قل هاتوا) أصله آتوا قلبت الهمزة هاء وهو أمر تعجيزى أى أحضروا (برهانكم) حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ولم يقل براهينكم لان الدعوى كانت واحدة وهى نفى دخول غيرهم الجنة والحجة على تلك الدعوى واحدة (ان كنتم صادقين) فى دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت (بلى) اعلم أن قولهم لن يدخل الجنة الخ مشتمل على ايجاب ونفى اما الايجاب فهو أن يدخل الجنة اليهود والنصارى واما النفى فهو أن لا يدخل الجنة غيرهم فقوله بلى اثبات لما نفوه فى كلامهم فكأنهم قالوا لا يدخل الجنة غيرنا فأجيبوا بقوله بلى يدخل الجنة غيركم وليس الامر كما تزعمون (من أسلم وجهه لله) أى أخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيأ فان اسلام شئ الشئ جعله سالما له بأن لا يكون لاحد حق فيه لا من حيث التخليق والمالكية ولا من حيث استحقاق العبادة والتعظيم عبر عنها بالوجه لكونه أشرف الاعضاء من حيث انه معدن الحواس والفكر والتخيل فهو مجاز من باب ذكر الجزء وارادة الكل ومنه قولهم كرم الله وجهك ويحتمل أن يكون اخلاص الوجه كناية عن اخلاص الذات لان من جاد بوجهه لا يبخل بشئ من جوارحه ويكون الوجه بمعنى العضو المخصوص (وهو محسن) حال من ضمير أسلم أى وهو مع اخلاصه وتسليم النفس الى الله بالكلية بالخضوع والانقياد محسن فى جميع أعماله بأن يعملها على وجهة يستصوبها فان اخلاصها لله لا يستلزم كونها مستحسنة بحسب الشرع وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفى التابع لحسنه الذاتى وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا المعنى حقيقة الايمان وظاهره الاحسان وأما باطنه فرتبة كنت سمعه وبصره التى هى نتيجة قرب النوافل وهو كون ذات الحق ووجوده مرآة لصفات العبد ومظهر الاحواله وأما قرب الفرائض فهو المصرح فى قوله قال الله تعالى على لسان عبده سمع الله لمن حمده وهو كون صفات العبد وأحوالهم آة لذات الحق ومظهر الوجوده وباعتبار قرب النوافل كان الظاهر والمرئى والمشهود هو العبد وباعتبار قرب الفرائض هو الحق (فله اجره) ثوابه الذى وعده على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة وتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه (عند ربه) أى حال كون ذلك الاجر ثابتا عند مالكه ومدبر أموره ومبلغه الى كماله لا يضيع ولا ينقص والعندية للتشريف والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فى الآخرة عند دخول الجنة كما قال تعالى خبرا عن أهل الجنة الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وأما فى الدنيا فانهم يخافون من أن يصيبوا الشدائد والاهوال العظام قدامهم ويحزنون على

مافاتهم من الاعمال الصالحة والطاعات المؤدية الى الفوز بأنواع السعادات فان المؤمن كما لا يقنط من رحمة الله لا يأمن من غضبه وعقابه كما قيل لا يجتمع خوفان ولا امنان فمن خاف فى الدنيا أمن فى الآخرة حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب فان الخوف انما يكون مما يتوقع فى المستقبل كما ان الحزن انما يكون على ما وقع سابقا ومن أمن فى الدنيا خاف فى الآخرة (قال فى المثنوى) لاتخافوا هست نزل خائفان * هست درخور از براى خائف آن * هركه ترسد مرورا ايمن كنند * مردل ترسنده را ساكن كنند * آنكه خوفش نيست چون گويى مترس * درس چه دهى نيست او محتاج درس (وقالت اليهود) بيان لتضليل كل فريق من اليهود والنصارى صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم (ليست النصارى على شئ) أى على أمر يصح ويعتد به (وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم) أى قالوا ما قالوا والحال ان كل فريق منهم (يتلون الكتاب) اللام للجنس أى انهم من أهل العلم والكتاب والتلاوة للكتب وحق من تلا كتابا من كتب الله تعالى وآمن به أن لا يكفر بالباقى لان كل واحد من كتب الله يصدق ماعداه (كذلك) أى مثل ذلك القول الذى سمعت به من هؤلاء العلماء الضالة على أن الكاف فى موضع النصب على انه مفعول قال (قال الذين لا يعلمون) من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة أى قالوا لاهل كل دين ليسوا على شئ (مثل قولهم) بدل من محل الكاف وفيه توبيخ عظيم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم أصلا (فالله يحكم بينهم) بين الفريقين (يوم القيامة فيما كانوا فيه) متعلق بيختلفون قدم للمحافظة على رؤس الآى (يختلفون) من أمر الدين فان قلت بم يحكم قلت بما يقسم لكل فريق مما يليق به من العقاب وفعل الحكم يتعدى بجار بن الباء وفى كما يقال حكم الحاكم فى هذه القضية بكذا وفى الآية قد ذكر المحكوم فيه دون المحكوم به واعلم ان كل حزب بما لديهم فرحون وليس ذلك فى الفرق الضالة خاصة بل ذلك يجرى بين صوفى وصوفى وشيخ وشيخ وعالم وعالم فتخطئة كل فريق صاحبه مستمرة والاولى ان يتبع الهدى قال بعض المشايخ من ادعى انه صاحب قلب وارشاد بدون تزكية النفس ومعرفة المبدأ والمعاد لاجل الدنيا الدنية كان عذابه اضعاف عذاب النساء اللاتى رآهن النبى عليه السلام ليلة المعراج يقطعن صدورهن بمقاريض فسأل جبريل فقال انهن الزوانى من النساء اللاتى جئن بأولاد من الزنا فالدعوى باطلة بدون الدليل وصاحبها ضال مضل والمدعى كالزانية والتابع له على هواه كولد الزنا فان ولد الزنا هالك حكما لعدم المربى والاتباع لمبتدع لا ينتج الا البدعة والالحاد وحكى عن الشيخ صدر الدين التبريزى انه قال كان رجل مشهور فى تبريز يقال له عارف قدم يوما الى مجلس بعض العارفين فقال له ما اسمك قال محمود لكن يقال لى عارف قال له هل عرفت ذلك حتى قيل لك عارف فقال قرأت كتبا كثيرة من مقالات المشايخ والصوفية قال له ذلك كلامهم فمالك * بيرخويش بايد كرد پرواز * ببال ديگران نتوان پريدن * فمجرد النسخة لا يفيد بدون العمل بما فيها والتحقق بحقائقها وهذا كما ان تاجرا اذا وصل له كتاب من عبده المأذون فى التجارة انى اشتريت كذا وكذا وأخبر سيده بما وقع تفصيلا فبمجرد هذا الكتاب لا يقدر السيد أن يخبر بدون أن يصل اليه ما اشتراه العبد من السلعة فلو أدخل جماعة من المشترين فى داره ليبيع متاعه لا يجد

الاخيالة لان المحل الذى يعرض السلعة فيه على المشترين لا يفيد فيه مجرد النسخة وقراءتها (قال فى المثنوى) مرغ بر بالا پران وسايه اش * مى دود بر خاك پران مرغ وش * ابلهى صياد آن سايه شود * مى دود چندانكه بى مايه شود * بى خبر كان عكس آن مرغ هواست * بى خبر كه اصل آن سايه كجاست * تير اندازى بسوى سايه او * تركشش خالى شود از جست وجو * تركش عمرش تهى شد عمر رفت * از دويدن در شكار سايه تفت * سايه يزدان چو باشد دايه اش * وارهاند از خيال وسايه اش (ومن اظلم) سبب النزول ان طيطوس الرومى ملك النصارى وأصحابه غزوا بنى اسرائيل فقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم وأحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه أهل الاسلام فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك لما استولى عمر رضى الله عنه على ولاية كسرى وغنم أموالهم عمر بها بيت المقدس ثم صار فى أيدى النصارى من الافرنج اكثر من مائة سنة حتى فتحه واستخلصه الملك الناصر صلاح الدين من آل أيوب سنة خمسمائة وخمس وثمانين بعد الهجرة ومن فى الاصل كلمة استفهام وهى ههنا بمعنى النفى أى لا أحد أظلم (ممن منع مساجد الله) المراد بيت المقدس وصيغة الجمع لكون حكم الآية عاما لكل من فعل ذلك فى أى مسجد كان كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى الصالحين لانه لا عبرة لخصوص السبب (ان يذكر فيها اسمه) ثانى مفعولى منع فانه يقتضى ممنوعا وممنوعا عنه فتارة يتعدى اليهما بنفسه كما فى قولك منعته الامر وتارة يتعدى الى الاول بنفسه والى الثانى بحرف الجر وهو كلمة عن أو من مذكورة كانت كما فى قولك منعته من الامر أو محذوفة كما فى الآية أى من أن يسبح ويقدس ويصلى له فيها (وسعى) اى عمل (فى خرابها) بالهدم والخراب اسم للتخريب كالسلام اسم للتسليم وأصله الثلم والتفريق (اولئك) المانعون (ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين) أى ما كان ينبغى لهم أن يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها (لهم فى الدنيا خزى) أى خزى فظيع لا يوصف كالقتل والسبى فى حق أهل الحرب والاذلال بضرب الجزية فى حق أهل الذمة أو هو فتح مدائنهم قسطنطينية رومية وعمورية (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو عذاب النار الذى لا ينقطع لما ان سببه أيضا وهو ما حكى من ظلمهم كذلك فى العظم وقيل نزلت الآية فى مشركى العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء الى الله تعالى بمكة والجؤه الى الهجرة فصاروا بذلك مانعين له عليه السلام ولاصحابه ان يذكروا الله فى المسجد الحرام وأيضا انهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن المسجد الحرام حين ذهب اليه من المدينة عام الحديبية وهى السنة السادسة من الهجرة والحديبية موضع على طريق مكة فعلى هذا يكون المسجد الذى نزلت الآية فيه المسجد الحرام فالمراد بالخراب فى قوله وسعى فى خرابها تعطيلهم المسجد الحرام عن الذكر والعبادة دون تخريبه وهدمه حقيقة وجعل تعطيل المسجد عنهما تخريبا له لان المقصود من بنائه انما هو الذكر والعبادة فيه فاذا لم يترتب عليه هذا المقصود من بنائه صار كأنه هدم وخرب أو لم يبن من أصله فان عمارة المسجد كما تكون ببنائه واصلاحه تكون أيضا بحضوره ولزومه يقال فلان يعمر مسجد فلان اذا كان يحضره ويلزمه ويقال لسكان السموات من الملائكة عمارها قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم

الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وذلك لقوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله فجعل حضور المساجد عمارة لها قال علي رضي الله عنه ست من المروأة ثلاث في الحضر وثلاث في السفر فاما اللاتي في الحضر فتلاوة كتاب الله تعالى وعمارة مسجد الله واتخاذ الاخوان في الله وأما اللاتي في السفر فبذل الزاد وحسن الخلق والمزاح في غير معاصي الله وعد من علامات الساعة تطويل المنارات وتنقيش المساجد وتزيينها وتخريبها عن ذكر الله تعالى فتعطيل المساجد عن الصلاة والتلاوة والطهارة شعار الاسلام أقبح سيئة لاسيما اذا اقترن بفتح أبواب بيوت الخمر واغلاق أبواب المكاتب وغير ذلك وقد شوهد هذا في أكثر البلاد الرومية في هذا الزمان فلتبك على غربة الدين أيها الاخوان قال القشيري رحمه الله ومن أظلم ممن خرب بالشهوات أوطان العبادات وهي نفوس العابدين وخرب بالمنى والعلاقات أوطان المعرفة وهي قلوب العارفين وخرب بالحظوظ والمساكنات أوطان المحبة وهي أرواح الواجدين وخرب بالالتفات الى القربات أوطان المشاهدات وهي أوطان الموحدين ثم في الآية اشارة الى شرف بيت المقدس والمسجد الحرام وفي الحديث من زار بيت المقدس محتسبا أعطاه الله ثواب ألف شهيد وحرم الله جسده على النار ومن زار عالما فكأنما زار بيت المقدس كذا في مشكاة الانوار وذكر في القنية ان أعظم المساجد حرمة المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد المحال ثم مساجد الشوارع فانها أخف مرتبة حتى لا يعتكف فيها اذا لم يكن لها امام معلوم ومؤذن ثم مساجد البيوت فانه لا يجوز الاعتكاف فيها الا للنساء اه قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي لا مقام أشرف من الجامع الكبير ببروسه بعد الكعبة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف وقال كان هو موضع بيت عجوز آمنت بنوح النبي عليه السلام فحفظها الله من الطوفان في ذلك البيت حين لم تدرك السفينة هكذا ظهر لبعض أهل الله بطريق الكشف ومن اشتغل فيه صانه الله من طوفان الغفلة وقال أيضا الاشتغال في مكة يوما يقوم مقام الاشتغال في سائر البلاد سنة بشرط رعاية آدابها قال وفي بلادنا للتعلق موضعان أحدهما جامع السيد البخاري ببلدة بروسه والآخر مقام أبي أيوب الانصاري بقسطنطينية

* عابدان اندر نماز وعارفان اندر نياز * عاشقان از شوق وصل يار در سوز وكداز *

اللهم اجعلنا من المشغولين بك (ولله المشرق والمغرب) يريد بهما ناحيتي الارض اذ لا وجه لارادة موضعي الشروق والغروب بخصوصهما أي له الارض كلها لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام أو الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا (فأينما تولوا) أي ففي أي مكان فعلتم تولية وجوهكم القبلة قال الامام ولى اذا أقبل وولى اذا أدبر وهو من الاضداد والمراد ههنا الاقبال (فثم وجه الله) أي هناك جهته التي أمر بها ورضيها قبلة فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد أو مكان دون آخر أو فثمة ذاته بمعنى الحضور العلمي فيكون الوجه مجازا من قبيل اطلاق اسم الجزء على الكل والمعنى ففي أي مكان فعلتم التولية فهو موجود فيه يمكنكم الوصول اليه اذ ليس هو جوهرا أو عرضا حتى يكون بكونه في جانب متفرغا جانبا ولما امتنع عليه ان يكون في مكان اريد أن علمه محيط بما يكون في جميع الاماكن والنواحي أي فهو عالم بما يفعل

فيه ومثيب لكم على ذلك وفى الحديث لو أنكم دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله معناه ان علم الله شامل لجميع الاقطار فالتقدير لهبط على علم الله والله تعالى منزه عن الحلول فى الاماكن لانه كان قبل ان يحدث الاماكن كذا فى المقاصد الحسنة واعلم ان أين شرط فى الامكنة وهو ههنا منصوب بتولوا وما مزيدة للتأكيد وثم ظرف مكان بمنزلة هنالك تقول لما قرب من المكان هنا ولما بعد ثم وهنالك وهو خبره قدم ووجه الله مبتدأ والجملة فى محل الجزم على انها جواب الشرط (ان الله واسع) باحاطته بالاشياء ملكا وخلقا فيكون تذييلا لقوله ولله المشرق والمغرب وكذا ان فسرت السعة بسعة الرحمة فان قوله ولله المشرق والمغرب لما اشتمل على معنى قولنا لا تختص العبادة والصلاة ببعض المساجد بل الارض كلها مسجد لكم فصلوا فى أى بقعة شئتم من بقاعها فهم منه انه واسع الشريعة بالترخيص والتوسعة على عباده فى دينهم لا يضطرهم الى ما يعجزون عن أدائه والمقصود التوسعة على عباده والتيسير عليهم فى كل ما يحتاجون اليه فيدخل فيه التوسعة فى أمر القبلة دخولا أوليا وهذا التعميم مستفاد من اطلاق واسع حيث لم يقيد بشئ دون شئ قال الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى الواسع مشتق من السعة والسعة تضاف مرة الى العلم اذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة وتضاف أخرى الى الاحسان وبسط النعم وكيفما قدر وعلى أى شئ نزل فالواسع المطلق هو الله تعالى لانه ان نظر الى علمه فلا ساحل لبحر معلوماته بل تنفد البحار لو كانت مدادا لكلماته وان نظر الى احسانه ونعمه فلا نهاية لمقدوراته وكل سعة وان عظمت فتنتهى الى طرف والذى لا يتناهى الى طرف فهو أحق باسم السعة والله تعالى هو الواسع المطلق لان كل واسع بالاضافة الى ما هو أوسع منه ضيق وكل سعة تنتهى الى طرف فالزيادة عليها متصورة وما لا نهاية له ولا طرف فلا يتصور عليه زيادة وسعة العبد فى معارفه وأخلاقه فان كثرت علومه فهو واسع بقدر سعة علمه وان اتسعت اخلاقه حتى لم يضيقها خوف الفقر وغيظ الحسود وغلبة الحرص وسائر الصفات المذمومة فهو واسع وكل ذلك فهو الى نهاية وانما الواسع المطلق هو الله تعالى (قال فى المثنوى) اى ملك كركين زشت از حرص وجوش * پوستين شير را بر خود مپوش * غرهٔ شيرت بخواهد امتحان * نقش شير و آنگه اخلاق سگان (عليم) بمصالحهم وأعمالهم كلها وهذا لا يخلو عن افادة التهديد ليكون المصلى على حذر من التفريط والتساهل كما انه يتضمن الوعد بتوفية ثواب المصلين فى جميع الاماكن فقد ظهر أن هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله الآية وان المعنى ان بلاد الله أيها المؤمنون تسعكم فلا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله أن تولوا وجوهكم نحو قبلة الله أينما كنتم من أرضه وقال مجاهد والحسن لما نزل وقال ربكم ادعونى استجب لكم قالوا أين ندعوه فأنزل الله ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله بلا جهة وتحيزان قيل ما معنى رفع الايدى الى السماء عند الدعاء مع انه تعالى منزه عن الجهة والمكان قلنا ان الانبياء والاولياء قاطبة فعلوا كذلك لا بمعنى ان الله فى مكان بل بمعنى ان خزائنه تعالى فى السماء كما قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وقال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فالعرش مظهر لاستواء الصفة الرحمانية فرفع الايدى اذا الى السماء والنظر اليها وقت الدعاء بمنزلة أن يشير سائل الى الخزينة السلطانية ثم يطلب من السلطان ان يعطى له

عطاء من تلك الخزينة (يروى) ان امام الحرمين رفع الله درجته فى الدارين نزل ببعض الاكابر
ضيفا فاجتمع عنده العلماء والاكابر فقام واحد من أهل المجلس فقال ما الدليل على تنزهه تعالى
عن المكان وهو قال الرحمن على العرش استوى فقال الدليل عليه قول يونس عليه السلام
فى بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فتعجب منه الناظرون فالتمس
صاحب الضيافة بيانه فقال الامام ههنا فقير مديون بألف درهم أدّ عنه دينه حتى ابينه فقبل
صاحب الضيافة دينه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذهب فى المعراج الى ما شاء الله من
العلى قال لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولما ابتلى يونس عليه السلام بالظلمات
فى قعر البحر ببطن الحوت قال لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فكل منهما خاطبه
بقوله أنت وهو خطاب الحضور فلو كان هو فى مكان لما صح ذلك فدل ذلك على انه ليس فى مكان
وفى الحديث لا تفضلونى على يونس بن متى فانه رأى فى بطن الحوت ما رأيته فى أعلى العرش يشير
عليه السلام بذلك الى ما وقع له وليونس عليه السلام من تجلى الذات وقيل نزلت الآية لما طعن
اليهود فى نسخ القبلة (روى) انه عليه السلام كان يصلى بمكة مع أصحابه الى الكعبة فلما هاجر
الى المدينة أمره الله أن يصلى نحو بيت المقدس ليكون أقرب الى تصديق اليهود فصلى نحوه
ستة عشر شهرا وكان يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة أبيه ابراهيم
وأقدم القبلتين وأدعى للعرب الى الايمان كما قال الله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء
فلنولينك قبلة ترضاها وذلك فى مسجد بنى سلمة فصلى الظهر ولما صلى الركعتين نزل قوله تعالى فول
وجهك شطر المسجد الحرام فتحول فى الصلاة فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين فلما تحولت
القبلة أنكر من أنكر فكان هذا ابتلاء من الله تعالى كما قال تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت
عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله *
اللهم اهدنا وسددنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فالمؤمن حقا أن يعتصم بالله
ويدور مع الامر الالهى حيث يدور ويتبع الرسول ولا يتبع عقله العاجز وفهمه القاصر ويتعلم
الادب من معدن الرسالة حيث لم يسأل تحويل القبلة بل انتظر الى أمر الله فأكرمه الله باعطاء
مرامه وفضله على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام اعلم أن الذين شقت عليهم التحويلة
طائفتان محجوبتان بالخلق عن الحق اما الطائفة الاولى فقد عرفت أن التحويلة من الكعبة الى
بيت المقدس كانت صورة العروج من مقام المكاشفة أعنى مقام القلب الى مقام المشاهدة
أعنى مقام الروح فحسبوا التحويلة من بيت المقدس الى الكعبة بعدا بعد القرب ونزولا بعد
العروج وظنوا ضياع السعى الى المقام الاشرف والسقوط عن الرتبة فشق عليهم ولم يعلموا أنه
صورة الرجوع الى مقام القلب حالة التمكين للدعوة ومشاهدة الجمع فى عين التفصيل والتفصيل
فى عين الجمع حتى لا يحتجب العبد بالوحدة عن الكثرة ولا بالكثرة عن الوحدة وأما الطائفة الثانية
فتقيدوا بصورة عملهم ولم يعرفوا حكمة التحويلة فحسبوا صحة العبادة الثانية دون الاولى فشق
عليهم ضياعها على ما توهموا وأما الذين سبقت لهم من الله الحسنى فلم يحتجبوا بحجاب واهتدوا
الى ما هو الصواب فوصلوا الى التوحيد الذاتى المحمدى اللهم اجعلنا من المهتدين واحشرنا
مع الانبياء والمرسلين وقال أهل التأويل لله المشرق والمغرب أى عالم النور والظهور والذى

(قوله ما الدليل الخ) فى حياة الحيوان ما الدليل على ذلك فقال قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس ابن متى فقيل له ما وجه ذلك فقال لا أقوله حتى يأخذ ضيفى هذا ألف دينار يقضى بها دينه فقام بها رجلان انظر باقيها ان شئت اه مصححه

هو جهة النصارى وقبلتهم بالحقيقة باطنه وعالم الظلمة والاختفاء الذى هو جهة اليهود وقبلتهم بالحقيقة ظاهره فأينما تولوا أى أى جهة توجهوا من الظاهر والباطن فثم وجه الله أى ذاته المتجلية بجميع صفاته الجمالية والجلالية اذ بعد الاشراق على قلوبكم بالظهور فيها والتجلى لها بصفة جماله حالة شهودكم وفنائكم فيه والغروب فيها بستره واحتجابه بصفة جلاله حالة بقائكم بعد الفناء فأى جهة توجهوا حينئذ فثم وجهه ليس الا هو وحده (قال الحافظ) ميان كعبه وبتخانه هيچ فرقى نيست * بهر طرف كه نظر ميكنى برابر اوست * واعلم أن شهود الحق بالخلق وشهود الخلق بالحق من غير احتجاب بأحدهما عن الآخر هو مقام جمع الجمع والبقاء وذلك لا يحصل الا بالتجلى العينى بعد العلمى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندى قدس سره واذا أمر بالارشاد يعود لخدمة الحق ألا يرى أن موسى عليه السلام لما وصل الى الطور لاقتباس النار لاهله نودى ياموسى انى أنا ربك فتجلى الربوبية أولا ثم قيل فاخلع نعليك وهما الطبيعة والنفس أمر بتركهما ثم قيل وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى فتجلى الالوهية ثم بعدهما تجلى الذات وأمر بارشاد فرعون فتركه أهله هنالك ولم يلتفت وجاء الى فرعون وكان دخوله بمصر فى نصف الليل فدق باب فرعون بعصاه امتثالا لأمر الله تعالى قيل انه شابت لحية فرعون فى ذلك الوقت بمهابة دقه فقال أكنت وليدا مربى عندنا قال موسى نعم ولذلك دعوتك قبل الكل لسبق حقك على رعاية له فأراد وا قتله فألقى عصاه فصارت ثعبانا مبينا عزم على ابتلاعهم فاستأمنوا فأعطاهم الامان وكان يريد أن يؤمن ولكنه منعه هامان فبعد دعوة فرعون جاء الى أهله فوجدها قد وضعت الحمل فأحاطتها ذئاب من أطرافها لمحافظتها فلم يقدر أن يمر من هنا مار فانظر الى قدرة الله تعالى (وروى) ان الامام الاعظم والهمام الاقدم رحمه الله لم يشتغل بالدعوة الى مذهبه الا بالاشارة النبوية فى المنام بعد ما قصد الاعتزال وهذا أعدل دليل الى وصوله الى الحقيقة وكان يقوم كل الليل وسمع رحمه الله هاتفا فى الكعبة أن يا أبا حنيفة أخلصت خدمتى وأحسنت معرفتى فقد غفرت لك ولمن تبعك الى قيام الساعة كذا فى عين العلم للشيخ محمد البلخى رحمه الله وعن بعض العارفين قبلة البشر الكعبة وقبلة أهل السماء البيت المعمور وقبلة الكروبيين الكرسى وقبلة حملة العرش العرش ومطلوب الكل وجه الله سبحانه وتعالى (وقالوا) نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله فضمير قالوا راجع الى الفرق الثلاث المذكورة سابقا اما اليهود والنصارى فقد ذكروا صريحا وأما المشركون فقد ذكروا بقوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم أى قال اليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون (اتخذ الله ولدا) الاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف أى صير بعض مخلوقاته ولدا وادعى انه ولده لا انه ولده حقيقة وكما يستحيل عليه تعالى أن يلد حقيقة كذا يستحيل عليه التبنى واتخاذ الولد فنزه الله تعالى نفسه عما قالوا فى حقه فقال (سبحانه) تنزيه والاصل سبحه سبحانا على انه مصدر بمعنى التسبيح وهو التنزيه أى منزه عن السبب المقتضى للولد وهو الاحتياج الى من يعينه فى حياته ويقوم مقامه بعد مماته وعما يقتضيه الولد وهو التشبيه فان الولد لا يكون الا من جنس والده فكيف يكون للحق سبحانه ولد

وهو لا يشبهه شيء (قال في المثنوي) لم يلد لم يولدست اوازقدم * ني پدر دارد نه فرزند ونه عم
(بل له ما في السموات والارض) رد لما قالوه واستدلال على فساده فان الاضراب عن قول
المبطلين معناه الرد والانكار وفي الوسيط بل أي ليس الامر كما زعموا والمعنى انه خالق ما في
السموات والارض جميعا الذي يدخل فيه الملائكة وعزير والمسيح دخولا أوليا فكان المستفاد
من الدليل امتناع أن يكون شيء مما في السموات والارض ولدا سواء كان ذلك مازعموا انه ولد له
أم لا (كل) أي كل ما فيهما كائنا ما كان من أولي العلم وغيرهم (له) أي لله سبحانه وتعالى
(قانتون) منقادون لا يمتنع شيء منهم على مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس
مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولدا لانه من حق الولد أن يجانس والده وانما عبر عن جميع
الموجودات أولا بما يعبر به عن غير ذوي العلم وعبر عنه آخرا بما يختص بالعقلاء وهو لفظ قانتون
تحقيرا لشأن العقلاء الذين جعلوه ولدا لله سبحانه (بديع السموات والارض) أي هو مبدعهما
على أن البديع بمعنى المبدع وهو الذي يبدع الاشياء أي يحدثها أو ينشئها على غير مثال سبق
والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة أي من غير مادة ومدة وسمي صاحب الهوى مبتدعا لما لم
يسبقه أحد من أرباب الشرع في انشاء مثل ما فعله أو المعنى بديع سمواته وأرضه فعلى الاول من
أبدع والاضافة معنوية وعلى الثاني من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق والاضافة
لفظية وهو حجة أخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال
مادته عنه والله تعالى مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ومن
قدر على خلق السموات والارض من غير شيء كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير أب (واذا
قضى امرا) أي أراد شيأ وأصل القضاء الاحكام أطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود
الشيء لايجابها اياه البتة (فانما يقول له كن فيكون) أي يحصل في الوجود سريعا من غير توقف
ولا اباء كلاهما من كان التامة أي احدث فيحدث واعلم أن أهل السنة لا يرون تعلق وجود
الاشياء بهذا الامر وهو كن بل وجودها متعلق بخلقه وايجاده وتكوينه وهو صفة أزلية وهذا
الكلام عبارة عن سرعة حصول المخلوق بايجاده وكمال قدرته على ذلك لكن لا يتعلق علم أحد
بكيفية تعلق القدرة بالمعدومات فيجب الامساك عن بحثها وكذا عن بحث كيفية وجود الباري
وكيفية العذاب بعد الموت وأمثالها فانها من الغوامض ثم اعلم أن السبب في هذه الضلالة وهي
نسبة الولد الى الله والقول بأنه اتخذ ولدا أن أرباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون على
الباري تعالى اسم الاب وعلى الكبير منهم اسم الاله حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر وان
الله تعالى هو الاب الاكبر وكانوا يريدون بذلك أنه تعالى هو السبب الاول في وجود الانسان
وأن الاب هو السبب الاخير في وجوده فان الاب هو معبود الابن من وجه أي مخدومه ثم ظنت
الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة الطبيعية فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه
مطلقا أي سواء قصد به معنى السببية أو معنى الولادة الطبيعية حسما لمادة الفساد واتخاذ
الحبيب أو الخليل جائز من الله تعالى لان المحبة تقع على غير جوهر راغب قالوا أوحى الله تعالى الى
عيسى عليه السلام ولدتك وأنت نبيي فخفف النصارى التشديد الذي في ولدتك لانه من التوليد
وصحفوا بعض اعجام النبي بتقديم الباء على النون فقالوا ولدتك وأنت بنيي تعالى الله عما يقول

الا الموت وقال تعالى يا أحبارى ويا أبناء رسلى فغيره اليهود وقالوا يا أحبائى ويا أبنائى فكذبهم الله بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فالله سبحانه منزه عن الحدود والجهات ومتعال عن الازواج والبنين والبنات ليس كمثله شئ فى الارض ولا فى السموات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى كذبنى ابن آدم أى نسبنى الى الكذب ولم يكن له ذلك أى لم يكن التكذيب لائقا به بل كان خطأ وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فزعم أن لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه اياى فقوله لى ولد فسبحانى أن أتخذ صاحبة أو ولدا وانما كان هذا شتما لان التولد هو انفصال الجزء عن الكل بحيث ينمو وهذا انما يكون فى المركب وكل مركب محتاج فان قلت قولهم اتخذ الله تكذيب أيضا لانه تعالى أخبر أنه لا ولد له وقولهم لن يعيدنا شتم أيضا لانه نسبة له الى العجز فلم خص أحدهما بالشتم والآخر بالتكذيب قلت نفى الاعادة نفى صفة كمال واتخاذ الولد اثبات صفة نقصان له والشتم أفحش من التكذيب والكذب على الله فوق الكذب على النبى عليه السلام وفى الحديث ان كذبا علىّ ليس ككذب على أحد يعنى الكذب على النبى أعظم أنواع الكذب سوى الكذب على الله لان الكذب على النبى يؤدى الى هدم قواعد الاسلام وافساد الشريعة والاحكام من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فعلى المؤمن أن يجتنب عن الزيغ والضلال وأشنع الفعال وأسوإ المقال وأن يداوم على التوحيد فى الاعصار والآصال الى أن لا يبقى للشرك الخفى أيضا مجال وفى الحديث لو يعلم الامير ماله فى ذكر الله لترك امارته ولو يعلم التاجر ماله فى ذكر الله لترك تجارته ولو أن ثواب تسبيحة قسم على أهل الارض لاصاب كل واحد منهم عشرة أضعاف الدنيا وفى الحديث المؤمنين حصون ثلاثة ذكر الله وقراءة القرآن والمسجد والمراد بالمسجد مصلاه سواء كان فى بيته أو فى الخارج ولا بد من الصدق والاخلاص حتى يظهر أثر التوحيد فى الملك والملكوت (قال فى المثنوى)

هست تسبيحت بخار آب وكل * مرغ جنت شد ز نفخ صدق دل

اللهم أوصلنا الى اليقين وهى انما مقام من مقامات التمكين آمين (وقال الذين لا يعلمون) أى مشركو العرب الجاهلون حقيقة أو أهل الكتاب المتجاهلون ونفى عنهم العلم لعدم انتفاعهم بعلمهم لان المقصود هو العمل (لولا يكلمنا الله) لولا هنا للتحضيض وحروف التحضيض اذا دخلت على الماضى كان معناها التوبيخ واللوم على ترك الفعل بمعنى لم يفعله ومعناها فى المضارع تحضيض الفاعل على الفعل والطلب له فى المضارع بمعنى الامر والمعنى هلا يكلمنا الله عيانا بأنك رسوله كما يكلم الملائكة بلا واسطة أو يرسل الينا ملكا ويكلمنا بواسطة ذلك الملك انك رسوله كما كلم الانبياء عليهم الصلاة والسلام على هذا الوجه وهذا القول من الجهلة استكبار يعنون به نحن عظماء كالملائكة والنبيين فلم اختصوا به دوننا (او) للتخيير (تأتينا آية) حجة تدل على صدقك وهذا جحود منهم لان يكون ما أتاهم من القرآن وسائر المعجزات آيات والجحود هو الانكار مع العلم والعجب انهم عظموا أنفسهم وهى أحقر الاشياء واستهانوا بآيات الله وهى أعظمها (كذلك قال الذين من قبلهم) من الامم الماضية (مثل قولهم) فقال اليهود لموسى عليه السلام ارنا الله جهرة ولن نصبر على طعام واحد ونحوه وقال النصارى لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ونحوه وقوله كذلك قال مع قوله مثل قولهم على تشبيهين تشبيه المقول بالمقول

To: www.al-mostafa.com

في المؤدى والمحصول وتشبيه القول بالقول في الصدور بلا روية بل بمجرد التشهي واتباع الهوى والاقتراح على سبيل التعنت والعناد لا على سبيل الارشاد وقصد الهدى والكاف في كذلك منصوب المحل على انه مفعول قال وقوله مثل قولهم مفعول مطلق أي قال كفار الامم الماضية مثل ذلك القول الذي قالوه وقولا مثل قولهم فيما ذكر فظهر أن أحد التشبيهين لا يغني عن الآخر (تشابهت قلوبهم) أي تماثلت قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والقسوة والعناد وهو استئناف على وجه تعليل تشابه مقالتهم بمقالة من قبلهم فان الالسنة ترجمان القلوب والقلب ان استحكم فيه الكفر والقسوة والعمى والسفه والعناد لا يجرى على اللسان الا ما ينبئ عن التعلل والتباعد عن الايمان كما قيل * مرد پنهان بود بزير زبان * چون بگويد سخن بدانندش * خوب گويد لبيب گويندش * زشت گويد سفيه خوانندش (قد بينا الآيات) أي نزلناها بينة بأن جعلناها كذلك في أنفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد أن لم تكن بينة (لقوم يوقنون) أي يطلبون اليقين واليقين أبلغ العلم وأوكده بأن يكون جازما أي غير محتمل للنقيض وثابتا أي غير زائل بالتشكيك بعد أن يكون مطابقا للواقع فالايقان هنا مجاز عن طلب اليقين على طريق ذكر المسبب وارادة السبب ولا بعد في نصب الدلائل لطلاب اليقين لحصوله بها وانما حمل على المجاز لان الموقن بالمعنى المذكور لا يحتاج الى نصب الدلائل وبيان الآيات فبيان الآيات له طلب لتحصيل الحاصل (انا أرسلناك) حال كونك ملتبسا (بالحق) مؤيدا به والمراد الحجج والآيات وسميت به لتأديتها الى الحق (بشيرا) حال كونك مبشرا لمن اتبعك بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد (ونذيرا) أي منذرا ومخوفا لمن كفر بك وعصاك والمعنى ان شأنك بعد اظهار صدقك في دعوى الرسالة بالدلائل والمعجزات ليس الا الدعوة والابلاغ بالتبشير والانذار لا أن تجبرهم على القبول والايمان فلا عليك ان أصروا على الكفر والعناد فان الاحوال أوصاف لذي الحال والاوصاف مقيدة للموصوف (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) مالهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت والجحيم المكان الشديد الحر وقرئ ولا تسأل بفتح التاء وجزم اللام على انه نهي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن السؤال عن حال أبويه على ما روى انه عليه السلام قال ليت شعري ما فعل أبواي أي ما فعل بهما والى أي حال انتهى أمرهما فنزلت واعلم أن السلف اختلفوا في أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم هل ماتا على الكفر أولا ذهب الى الثاني جماعة متمسكين بالادلة على طهارة نسبه عليه الصلاة والسلام من دنس الشرك وشين الكفر وعبادة قريش صنما وان كانت مشهورة بين الناس لكن الصواب خلافه لقول ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني أن نعبد الاصنام وقوله تعالى في حق ابراهيم وجعلها كلمة باقية في عقبه وذهب الى الاول جمع منهم صاحب التيسير حيث قال ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبشير المؤمنين وانذار الكافرين كان يذكر عقوبات الكفار فقام رجل فقال يا رسول الله أين والدي فقال في النار فحزن الرجل فقال عليه السلام ان والديك ووالدي ووالدي ابراهيم في النار فنزل قوله تعالى ولا تسأل عن أصحاب الجحيم فلم يسألوه شيأ بعد ذلك وهو كقوله لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وذهب نفر من هذا الجمع بنجاتهما من النار منهم الامام القرطبي حيث

قال فى التذكرة ان عائشة رضى الله عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه طفر فنزل فقال يا حميراء استمسكى أى زمام الناقة فاستندت الى جنب البعير فمكث عنى طويلا ثم انه عاد الى وهو فرح متبسم فقلت له بأبى أنت وأمى يارسول الله نزلت من عندى وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك يارسول الله ثم انك عدت الى وأنت فرح متبسم فعماذا يارسول الله فقال ذهبت لقبر آمنة أمى فسألت الله ربى أن يحييها فأحياها فآمنت وروى ان الله أحيا له أباه وأمه وعمه أباطالب وجده عبد المطلب قال الحافظ شمس الدين الدمشقى

حبا الله النبى مزيد فضل * على فضل وكان به رؤفا
فأحيا أمه وكذا أباه * لايمان به فضلا منيفا
فسلم فالقديم به قدير * وان كان الحديث به ضعيفا

وفى الاشباه والنظائر من مات على الكفر أبيح لعنه الا والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لثبوت ان الله تعالى أحياهما له حتى آمنا كذا فى مناقب الكردرى وذكر ان النبى عليه السلام بكى يوما بكاء شديدا عند قبر أبويه وغرس شجرة يابسة وقال ان اخضرت فهو علامة امكان ايمانهما فاخضرت ثم خرجا من قبرهما ببركة دعاء النبى صلى الله عليه وسلم وأسلما ثم ارتحلا قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره ومما يدل على ذلك ان اسم أبيه كان عبد الله والله من الاعلام المختصة بذاته تعالى لم يسم به صنم فى الجاهلية فان اسم بعض أصنامهم اللات وبعضها العزى انتهى كلامه وليس احياؤهما وايمانهما به ممتنعا عقلا ولا شرعا وقد ورد فى الكتاب احياء قتيل بنى اسرائيل واخباره بقاتله وكان عيسى عليه السلام يحيى الموتى وكذلك نبينا عليه السلام أحيا الله على يديه جماعة من الموتى واذا ثبت هذا فما يمنع من ايمانهما بعد احيائهما زيادة فى كرامته وفضيلته وماروى من انه عليه السلام زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت فى ان استغفرت لها فلم يؤذن لى واستأذنت فى ان أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فانها تذكركم الموت فهو متقدم على احيائهما لانه كان فى حجة الوداع ولم يزل عليه السلام راقيا فى المقامات السنية صاعدا فى الدرجات العلية الى ان قبض الله روحه الطاهرة فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له عليه السلام بعد أن لم تكن فان قلت الايمان لايقبل عند المعاينة فكيف بعد الاعادة قلت الايمان عند المعاينة ايمان يأس فلا يقبل بخلاف الايمان بعد الاعادة وقد دل على هذا ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وورد أن أصحاب الكهف يبعثون فى آخر الزمان ويحجون ويكونون من هذه الامة تشريفا لهم بذلك وورد مرفوعا أصحاب الكهف أعوان المهدى فقد اعتد بما يفعله أصحاب الكهف بعد احيائهم من الموت ولا بدع أن يكون الله تعالى كتب لابوى النبى عمرا ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية وآمنا فيها فيعتد به وتكون تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الايمان من جملة ما أكرم الله تعالى به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ان تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما كرموا به ليحوزوا شرف الدخول فى هذه الامة وذهب خاتمة الحفاظ والمحدثين الامام السخاوى فى هذه المسئلة الى التوقف حيث قال فى المقاصد الحسنة بعدما أورد الشعر المذكور للحافظ الدمشقى

وقد كتبت فيه جزأ والذى أراه الكف عن التعرض لهذا اثباتا ونفيا انتهى وسئل القاضى أبو
بكر بن العربى احد الائمة المالكية عن رجل قال ان آباء النبى عليه السلام فى النار فأجاب بأنه
ملعون لان الله تعالى يقول ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وفى
الحديث لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات وسئل الامام الرستغفنى عن قول بعض الناس ان آدم
عليه السلام لما بدت منه تلك الزلة اسود منه جميع جسده فلما اهبط الى الارض أمر بالصيام
والصلاة فصام وصلى فابيض جسده أيصح هذا القول قال لا يجوز فى الجملة القول فى الانبياء
عليهم السلام بشئ يؤدى الى العيب والنقصان فيهم وقد أمرنا بحفظ اللسان عنهم لان مرتبتهم
ارفع وهم على الله اكرم وقد قال عليه السلام اذا ذكرت اصحابى فامسكوا فلما امرنا ان لا نذكر
الصحابة رضى الله عنهم بشئ يرجع الى العيب والنقص فلأن نمسك ونكف عن الانبياء اولى
وأحق فحق المسلم ان يمسك لسانه عما يخل بشرف نسب نبينا عليه السلام ليست من الاعتقاديات
فلاحظ للقلب منها وأما اللسان فحقه ان يصان عما يتبادر منه النقصان خصوصا الى وهم العامة
لانهم لا يقدرون على دفعه وتداركه فهذا هو البيان الشافى فى هذا الباب بطرقها المختلفة الملتقطة
من الكتب النفيسة وقرنت كل نظير الى مثله والحمد لله تعالى وحده (ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) اقناط له عليه السلام من طمعه فى اسلامهم حيث علق رضاهم
عنه بما لا سبيل اليه ومايستحيل وجوده واذا لم يرضوا عنه فكيف يتبعون ملته أى دينه أى
لن ترضى عنك اليهود الا بالتهود والصلاة الى قبلتهم وهى المغرب ولا النصارى الا بالتنصر والصلاة
الى قبلتهم وهى المشرق ووحد الملة لان الكفر ملة واحدة وهذه حكاية لمقالتهم بأن قالوا لن نرضى
عنك حتى تتبع ملتنا وادعوا بتلك المقالة ان ملتهم هى الهدى لا ماسواها فامره الله تعالى بقوله
(قل) أن يرد عليهم بطريق قصر القلب ويقول (ان هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى)
الى الحق لا ماتدعون اليه من الملة الزائغة فانها هوى كما يعرب عنه قوله تعالى (ولئن اتبعت
أهواءهم) أى آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية شهوات أنفسهم وهى التى عبر عنها فيما قبل
بملتهم اذ هى التى ينتمون اليها وأما ماشرعه الله من الشريعة على لسان الانبياء عليهم السلام وهو
المعنى الحقيقى للملة فقد غيروها تغييرا والاهواء جمع هوى وهو رأى عن شهوة داع الى الضلال
وسمى بذلك لانه يهوى بصاحبه فى الدنيا الى كل داهية وفى الآخرة الى الهاوية وانما قال
اهواءهم بلفظ الجمع ولم يقل هواهم تنبيها على أن لكل واحد هوى غير هوى الآخر ثم هوى كل
واحد منهم لا يتناهى فلذلك أخبر أنه لا يرضى الكل الا باتباع اهواء الكل واعلم ان الطريقة
المشروعة تسمى ملة باعتبار أن الانبياء الذين اظهروها قد أملوها وكتبوها لامتهم كما انها تسمى
دينا باعتبار طاعة العباد لمن سنها وانقيادهم لحكمه وتسمى أيضا شريعة باعتبار كونها موردا
للمتعطشين الى زلال ثوابه ورحمته والخطاب فى قوله ولئن اتبعت متوجه الى النبى عليه السلام
فى الحقيقة وما قيل من انه تعالى حكم بعصمة الانبياء وعلم منهم انهم لا يعصون له ولا يخالفون
أمره ولا يرتكبون مانهى عنه فكانت عصمتهم واجبة فلا وجه لتحذيرهم عن اتباع هوى
الكفرة فوجب أن يكون التحذير متوجها الى الامة لا الى انفسهم فالجواب عنه أن التكليف
والتحذير انما يعتمد على كون المكلف به محتملا ومتصورا فى ذاته من حيث تحقق مايتوقف عليه

وجوده

وجوده من الآلات والقوى والامتناع الحاصل من حكمه تعالى بعصمتهم وعلمه بها امتناع بالغير وهو لا ينافي الامكان الذاتي الذي هو شرط التكليف والتحذير (بعد الذي جاءك من العلم) أي القرآن الموحى اليك وهو حال من ضمير جاءك (مالك من الله) أي من جهته العزيزة وهو جواب لئن (من ولي) أي قريب يفعل من الولي وهو القرب (ولا نصير) يدفع عنك عقابه والفرق بين الولي والنصير العموم والخصوص من وجه لان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور كما يكون من اقرباء المنصور وهو مادة اجتماعهما وقوله من ولي مرفوع على الابتداء ولك خبره ومن صلة وقوله من الله منصوب المحل على انه حال لانه لما كان متقدما على قوله من ولي امتنع ان يكون صفة له ونظيره قوله * لعزة موحشا طلل قديم * ولما ذكر قبائح المتعنتين الطالبين للرياسة من اليهود والنصارى أتبع ذلك بمدح من ترك طريق التعنت وحب الرياسة منهم وطلب مرضاة الله وحسن ثواب الآخرة وآثره على الحظوظ العاجلة الفانية فقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) يريد مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه من الذين اسلموا من اليهود وانما خصهم بذكر الايتاء لانهم هم الذين عملوا به فخصوا به والكتاب التوراة (يتلونه حق تلاوته) بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة من الضمير المنصوب في آتيناهم او من الكتاب لانهم لم يكونوا تالين له وقت الايتاء وقوله حق تلاوته نعت لمصدر محذوف دل عليه الفعل المذكور أي يتلونه تلاوة حق تلاوته واختار الكواشي كونه منصوبا على المصدرية على تقدير تلاوة حقا فان نعت المصدر اذا قدم عليه واضيف اليه نصب نصب المصادر نحو ضربت اشد الضرب بنصب اشد على المصدرية (أولئك) الموصوفون بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وهو مبتدأ ثان خبره قوله تعالى (يؤمنون به) أي بكتابهم دون المحرفين فان بناء الفعل على المبتدا وان كان ان ما ظاهرا يفيد الحصر مثل الله يستهزئ بهم (ومن يكفر به) أي بالكتاب سواء كان كفره بنفس التحريف أو بغيره كالكفر بالكتاب الذي يصدقه (فأولئك هم الخاسرون) أي الهالكون المغبونون حيث اشتروا الكفر بالايمان (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم) ومن جملتها التوراة وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملتها نعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان به صلى الله عليه وسلم (و) اذكروا (أني فضلتكم على العالمين) أي عالمي زمانكم (واتقوا) ان لم تؤمنوا (يوما) أي عذاب يوم وهو يوم القيامة (لا تجزي) تقول جزى عني هذا الامر يجزي كما تقول قضى عني يقضي وزنا ومعنى أي لا تقضي في ذلك اليوم (نفس) من النفوس (عن نفس) أخرى (شيأ) من الحقوق التي لزمتها أي لا تقضي نفس ليس عليها شيء من الحقوق التي وجبت على نفس أخرى أي لا تؤخذ نفس بذنب أخرى ولا تدفع عنها شيأ وأما اذا كان عليها شيء فانها تجزي وتقضي بغير اختيارها بما لها من حسناتها ما عليها من الحقوق كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له مظلمة لاخيه من عرض او غيره فليستحلل منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه (ولا يقبل منها) أي من النفس الاولى (عدل) أي فداء وهو يقع

العين الفدية وهي ما يماثل الشيء قيمة وان لم يكن من جنسه والعدل بالكسر ما يساوي الشيء في
الوزن والجرم من جنسه والمعنى لا يؤخذ منها فدية تنجو بها من النار ولا تجد ذلك لتفتدي به
وسميت الفدية عدلا لانها تعادل ما يقصد انقاذه وتخليصه يقال فداه اذا اعطى فداءه فأنقذه
(ولا تنفعها شفاعة) ان شفعت للنفس الثانية (ولا هم ينصرون) أي يمنعون من عذاب الله
تعالى واعلم ان المستوجب للعذاب يتخلص منه في الدنيا بأحد أربعة امور اما بان ينصره ناصر
قوي فيخلصه ويدفع العذاب عنه قهرا أو بان يفديه أي بان يعطي أحد شيأ غير ما عليه من
الحق وذلك الشيء هو الفدية وهو الفداء فأنقذه به فالله تعالى بين هول يوم القيامة بان نفى ان
يدفع العذاب احد عن احد بشيء من هذه الوجوه المحتملة في الدنيا (قال السعدي) قيامت كه
نيكان باعلى رسند * زقعر ثرى بر ثريا رسند * ترا خود بماند سر از ننك پيش * كه كردت برآيد
عملهاى خويش * برادر زكار بدان شرم دار * كه در روى نيكان شوى شرمسار * دران
روز كز فعل پرسند وقول * اولو العزم را تن بلرزد زهول * بجايى كه دهشت خورد انبيا *
تو عذر كنه را چه دارى بيا * ثم اعلم ان الله تعالى بدأ قصة بني اسرائيل بهاتين الآيتين في
الآية الاولى تذكير النعمة وفي الآخرة تخويف العقوبة وبهما ختم القصة مبالغة في النصح
وايذانا بان المقصود من القصة ذلك ودل قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم على قبح الصحبة باهل
الهوى والبدع والاتباع لهم في اقوالهم وأفعالهم وفي الحديث من اتبع قوما على اعمالهم
حشر في زمرتهم أي في جماعتهم وحوسب يوم القيامة بحسابهم وان لم يعمل باعمالهم وربما
يكون للانسان شركة أي في اسم القتل والزنا وغيرهما اذا رضي به من عامل واشتد حرصه على
فعله وفي الحديث من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن
حضرها وحضور مجلس المعصية اذا كان لحاجة او لاتفاق جريانها بين يديه ولا يمكن دفعها فغير
ممنوع وأما الحضور قصدا فممنوع ومن سنة السلف الصالحين الانقطاع عن مجالس اهل اللغو
واللهو والمجانبة عن اتباع أهل الهوى والبدع وروى ان ابن المبارك رؤى في المنام فقيل له ما فعل
ربك بك فقال عاتبني وأوقفني ثلاثين سنة بسبب اني نظرت باللطف يوما الى مبتدع فقال انك لم
تعاد عدوي في الدين فكيف حال القاعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين والمتمسك بسنة سيد
المرسلين عند فساد الخلق واختلاف المذاهب والملل كان له اجر مائة شهيد وفي الحديث سيأتي
على الناس زمان تخلق فيه سنتي وتتجدد فيه البدعة فمن اتبع سنتي يومئذ صار غريبا وبقي وحيدا
ومن اتبع بدع الناس وجد خمسين صاحبا او اكثر وللصحبة تأثير عظيم كما قيل

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع في الرماد فيخمد

(قال الحافظ) نخست موعظه پير مجلس اين حرفست * كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد
* (واذ ابتلى ابراهيم) قال القرطبي في تفسيره تفسيره بالسريانية فيما ذكره الماوردي
وبالعربية فيما حكى ابن عطية اب رحيم قال السهيلي وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السرياني
والعربي او تقاربه في اللفظ ألا ترى ان ابراهيم تفسيره اب رحيم لرحمته بالاطفال ولذلك جعل
هو وسارة زوجته كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيامة وقال في
تذكرة الموتى كان اسمه ابرم فزيد في اسمه ها والهاء في السريانية للتفخيم والتعظيم (ربه)

الضمير

الضمير لابراهيم وقدم المفعول لفظا وان كان مؤخرا رتبة ووجه التقديم الاهتمام فان الذهن يتشوق ويطلب معرفة المبتلى أي واذكر وقت اختبارى ابراهيم والمقصود من ذكر الوقت ذكر ما وقع فيه من الحوادث لان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عيانا والابتلاء في الاصل الاختبار أي تطلب الخبر بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا فعله أو تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور وأما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا عن تمكينه للعبد من اختيار أحد الامرين ما يريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه بما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك كما علم الكفر من ابليس ولم يلعنه بعلمه ما لم يختبره بما يستوجب اللعنة به (بكلمات) جمع كلمة وهي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد فيكون الكلمات عبارة عن الالفاظ المنظومة لكنها قد تطلق على المعاني التي تحتها لما بين الدال والمدلول من التضايف والمتضايفان متكافئان في الوجود العقلي كما في قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا أي قضية وحكمة وقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي أي للمعاني التي تبرز بالكلمات (فأتمهن) أي قام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ولذا قيل لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه كله الا ابراهيم فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذي وفى وفسرت الكلمات بوجوه ذكرت في التفاسير ومنها العشر التي هي من السنة كما قال ابن عباس رضي الله عنه هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي سنة في شرعنا خمس منها في الرأس وهي المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن وهي الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء أي غسل مكان الغائط والبول بالماء ولنذكر منها بعض ما يحتاج الى البيان فنقول فرق شعر الرأس تفريقه وتقسيمه الى نصفين وكان المشركون يفرقون أشعار رؤسهم وأهل الكتاب يسدلون أي يرسلون شعورهم على الجبين ويتخذونها كالقصة وهي شعر الناصية وكان النبي عليه الصلاة والسلام يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل فيه حكم لاحتمال ان يعملوا بما ذكر في كتابهم ثم نزل جبريل فأمره بالفرق واعلم ان أكثر حال النبي عليه الصلاة والسلام كان الارسال وحلق الرأس منه معدود ولكن الامام الغزالي كره الارسال في زماننا لانه صار شعارا للعلوية فاذا لم يكن علويا كان تلبيسا وذكر في جنايات الذخيرة ارسال الجعد في الغلام حرام لانهم انما يسكون الجعد في الغلام للاطماع الفاسدة وذكر أن شخصا أحضر ولده بمجلس أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقد حلق بعض الشعر من رأسه وأبقى البعض فأمر أبو بكر رضي الله تعالى عنه بقتله فتاب واستغفر فعفا عنه قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره ليس هذا أمرا بقتله في الحقيقة بل بيان أن من فعله يستحق القتل ومثله انه ذكر في مجلس أبي يوسف ان النبي عليه السلام كان يحب القرع فقال رجل انا لا أحبه فأفتى أبو يوسف بقتله فتاب ورجع فعفا عنه وأما قص الشارب فهو قطعه بالمقص أي المقراض وكان عليه السلام يقص شاربه كل جمعة قبل ان يخرج الى صلاة الجمعة قال النووي المختار فيه ان يقص حتى يبدو طرف الشفة ويكون مثل الحاجب وفي الاحياء ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر رضي الله تعالى عنه وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام وتوفير الشارب كتوفير الاظافير مندوب للمجاهد في دار الحرب وان كان

قطعهما من الفطرة وذلك ليكون أهيب فى عين العدو والسنة تقصير الشارب فحلقه بدعة كحلق اللحية وفى الحديث جزوا الشوارب وأعفوا اللحى الجز القص والقطع والاعفاء التوفير وترك على حالها وحلق اللحية قبيح بل مثلة وحرام وكما ان حلق شعر الرأس فى حق المرأة مثلة منهى عنها وتشبه بالرجال وتفويت للزينة كذلك حلق اللحية مثلة فى حق الرجال وتشبه بالنساء منهى عنه وتفويت للزينة قال الفقهاء اللحية فى وقتها جمال وفى حلقها تفويته على الكمال ومن تسبيح الملائكة سبحان من زين الرجال باللحى وزين النساء بالذوائب وفى الكشاف فى مقام مدح الرجال عند قوله تعالى الرجال قوامون على النساء وهم أصحاب اللحى والعمائم قال فى نصاب الاحتساب ومن الاكساب التى يحتسب على أربابها حلق لحى الرجال ورأس النساء تشبها بالرجال ولا بأس بأخذ الزائد على القبضة من اللحية لانه عليه السلام كان يأخذ من لحيته طولا وعرضا اذا زاد على قدر القبضة فان الطول المفرط يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنسبة اليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية ويكره نتف الشيب كما يفعله البعض فى زماننا كرها للشيب وارادة للشباب (قال الحافظ) سوادنامه موى سياه چون طى شد * بياض كم نشود كر صد انتخاب رود *

يسوّد أعلاها ويبيض أصلها * ولا خير فى الاعلى اذا فسد الاصل

وأما الختان فهو قطع الجلدة الزائدة من الذكر وجمهور العلماء على ان ذلك من مؤكدات السنن ومن فطرة الاسلام التى لا يسع تركها فى الرجال الا أن يولد الصبى مختونا وقد ولد الانبياء كلهم مختونين مسرورين أى مقطوعى السرة كرامة لهم الا ابراهيم خليل الله فانه ختن نفسه بالقدوم بالتخفيف والتشديد وهو ابن مائة وعشرين أو ثمانين ليستن بسنته بعده واختلفوا فى الختان قيل لا يختن حتى يبلغ لانه للطهارة ولا طهارة عليه حتى يبلغ وقيل اذا بلغ عشرا وقيل تسعا وقيل فيما بين سبع سنين الى عشرة قال الحدادى المستحب وقت الختان من اليوم السابع من ولادته الى عشر سنين ويكره الترك الى وقت البلوغ وتوقف أبو حنيفة فى وقته واستحب العلماء فى الرجل الكبير يسلم أن يختتن وان بلغ ثمانين وعن الحسن انه كان يرخص للشيخ الذى يسلم أن لا يختتن ولا يرى به بأسا ولا يرد شهادته وذبيحته وحجه وصلاته قال ابن عبد البر وعامة أهل العلم على هذا وأما تقليم الاظفار فهو قصها والقلامة بالضم ما يزال منها وندب قص الاظفار لانه ربما يجنب ولا يصل الماء الى البشرة من أجل الوسخ ولا يزال جنبا ومن أجنب فبقى موضع ابرة من جسده بعد الغسل غير مغسول فهو جنب على حاله حتى يعم الغسل جسده كله وفى الحديث من قلم اظفاره يوم الجمعة أعاذه الله تعالى من البلايا الى الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة أيام وفى الحديث الآخر من أراد أن يأمن من الفقر وشكاية العين فليقلم اظفاره يوم الخميس بعد العصر قال فى المقاصد الحسنة قص الاظفار لم يثبت فى كيفيته ولا فى تعيين يوم له عن النبى عليه السلام شئ وما يعزى من النظم فى ذلك لعلى رضى الله تعالى عنه وهو

تقليمك الاظفار فيه سنة وأدب * يمينها خوابس * يسارها أوخسب

فباطل عنه وقال فى شرح آخر حديث من قص اظفاره مخالفا لم ير فى عينيه رمدا هو فى كلام غير واحد من الائمة ولم أجده لكن كان الحافظ الشريف الدمياطى يأثر ذلك عن بعض مشايخه ونص الامام أحمد على استحبابه انتهى كلامه وذكر الامام النووى ان المستحب منه ان يبدأ

باليدين قبل الرجلين فيبتدئ بمسبحة يده اليمنى ثم الوسطى ثم البنصر ثم الخنصر ثم الابهام ثم يعود
الى اليسرى فيبدأ بخنصرها ثم ببنصرها الى آخرها ثم يعود الى الرجل اليمنى فيبدأ بخنصرها
ويختم بخنصر الرجل اليسرى وهكذا قرره الامام فى الاحياء وفى الحديث نقوا براجمكم وهى
مفاصل الاصابع والعقد التى على ظهرها يجتمع فيها الوسخ واحدها برجمة بضم الباء والجيم
وسكون الراء بينهما وهو ظهر عقدة كل مفصل فظهر العقدة يسمى برجمة وما بين العقدتين يسمى
راجبة وجمعها رواجب وذلك مما يلى ظهرها وهو قصبة الاصابع فلكل اصبع برجمتان وثلاث
رواجب الا الابهام فان له برجمة وراجبتين فأمر بالتنقية لئلا يدرن فيبقى فيه الجنابة ويحول
الدرن بين الماء والبشرة كذا فى تفسير القرطبى * وعن مجاهد قال أبطأ جبرائيل عليه السلام
على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له النبى عليه السلام ما حبسك يا جبريل قال وكيف آتيكم
وأنتم لا تقصرون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ
وما نتنزل الا بأمر ربك قال كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات فقيل (قال انى جاعلك
للناس) أى لاجل الناس (اماما) يأتمون بك فى هذه الخصال ويقتدى بك الصالحون فهو نبى
فى عصره ومقتدى لكافة الناس الى قيام الساعة وقد أنجز الله وعده فقال لمحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم ونحو ذلك فلذلك اجتمعت أهل الاديان كلهم على
تعظيمه وجميع أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون فى آخر صلاتهم اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد قيل فى سببه انا لما قلنا اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد قيل لنا ان ابراهيم هو الذى طلب من الله تعالى ان يرسل اليكم مثل هذا
الرسول الذى هو رحمة للعالمين حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاهديتكم فحينئذ نقول
كما صليت على ابراهيم الخ ثم نلاحظ ان هذه الخيرات كلها من الله تعالى فنقول شكرا لاحسانه
ربنا انك حميد مجيد وفى الخبر ان ابراهيم عليه السلام رأى فى المنام جنة عريضة مكتوبا على
أشجارها لا اله الا الله محمد رسول الله فسأل جبريل عنها فأخبره بالقصة فقال يارب أجر على لسان
أمة محمد ذكرى فاستجاب الله دعاءه وضمه فى الصلاة مع محمد صلى الله عليه وسلم قال كأنه قيل
فماذا قال ابراهيم عليه السلام عنده فقيل (قال ومن ذريتى) عطف على الكاف فى جاعلك ومن
تبعيضية متعلقة بجاعل أى وجاعل بعض ذريتى اماما يقتدى به أى اجعل لكنه راعى الادب
بالاحتراز عن صورة الامر وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على
الحق والذرية نسل الرجل وقد تطلق على الآباء والابناء من الذكور والاناث والصغار والكبار
ومنه قوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم أراد آباءهم الذين حملوا فى السفينة وتقع الذرية على
الواحد كما فى قوله تعالى رب هب لى من لدنك ذرية طيبة يعنى ولدا صالحا (قال) الله استئناف
أيضا (لا ينال) لا يصيب (عهدى الظالمين) يعنى ان أولادك منهم مسلمون وكافرون فلا تصل
الامامة والاستخلاف بالنبوة التى عهدت اليك من كان ظالما من أولادك وغيرهم وانما ينال
عهدى من كان بريئا من الظلم لان الامام انما هو لمنع الظلم فكيف يجوز أن يكون ظالما وان جاز
فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب الغنم ظلم قال المعتزلة وفيه دليل على ان الفاسق لا يصلح
للامامة ولا يقدم للصلاة قلنا الظالم أريد به الكافر والصبر على طاعة الامام الجائر أولى من

الخروج عليه لان فى منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف واراقة الدماء واطلاق أيدى السفهاء وشن الغارات على المسلمين والفساد فى الارض وفى الآية دليل على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الكبائر قبل البعثة وبعدها قال ابن الشيخ فى حواشيه فيه بحث لان مدلول الآية ان الظالم مادام ظالما لا تناله الامامة لا ان من كان ظالما فى وقت ما من الاوقات ثم تاب منه لا ينال الامامة والفرق بينهما ان الظلم الحالى يخل بالمقصود من نصب الامام وهو اخلاء وجه الارض من الظلم والفساد وحماية أموال الناس وأعراضهم من تعرض الظلمة المفسدين بخلاف الظلم القديم الذى تاب عنه الظالم فانه ليس بمخل للمقصود فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له قال حضرة الشيخ افتاده أفندى قدس سره لا تعطى الولاية لولد الزنا قال وأشكر الله تعالى على ان جعلنى أول ولد ولدته أمى فانه ابعد من أن يصدر ألفاظ الكفر من أحد أبوى قال المولى الهدائى قدس سره قلت والفقير أيضا كذلك وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة حديث لا يدخل الجنة ولد زنية ان صح فمعناه اذا عمل بمثل عمل أبويه واتفقوا على انه لا يحمل على ظاهره وقيل فى تأويله أيضا ان المراد به من يواظب على الزنا كما يقال للشهود بنو الصحف وللشجعان بنو الحرب ولاولاد المسلمين بنو الاسلام انتهى كلامه ثم فى الآية اشارة الى أن من أراد أن يبلغ درجة الاخيار ليقتدى به فليلازم التعب وجهد النفس فى طاعة الله تعالى (قال السعدى) چو يوسف كسى در صلاح وتميز * بسى سال بايد كه كردد عزيز (واذ جعلنا البيت) أى واذكر يا محمد وقت تصييرنا الكعبة المعظمة (مثابة) كائنة (للناس) أى مباءة ومرجعا للحجاج والمعتمرين يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه أى يرجع اليه أعيان الذين يزورونه بان يحجوه مرة بعد أخرى أو يرجع أمثالهم وأشباههم فى كونهم وفد الله وزوار بيته فانهم لما كانوا أشباها للزائرين أولا كان ما وقع منهم من الزيارة ابتداء بمنزلة عود الاولين فتعريف الناس للعهد الذهنى (وأمنا) موضع امن فان المشركين كانوا لا يتعرضون لسكان الحرم ويقولون البيت بيت الله وسكانه أهل الله يعنى أهل بيته وكان الرجل يرى قاتل أبيه فى الحرم فلا يتعرض له ولا يتعرضون لمن حوله وهذا شئ توارثوه من دين اسمعيل عليه السلام فبقوا عليه الى أيام النبى عليه السلام أو يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله أى يقطع ويمحو ما وجب قبله من حقوق الله تعالى الغير المالية مثل كفارة اليمين وأما حقوق العباد فلا يجبها الحج كذا فى حواشى ابن الشيخ ولكن روى ان الله تعالى استجاب دعاء النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة فى الدماء والمظالم كذا فى الكافى وتفسير الفاتحة للفنارى وغيرهما (واتخذوا) أى وقلنا اتخذوا على ارادة القول لئلا يلزم عطف الانشاء على الاخبار (من مقام ابراهيم مصلى) أى موضع الصلاة ومن للتبعيض ومقام ابراهيم الحجر الذى فيه أثر قدميه أو الموضع الذى كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج أو حين رفع بناء البيت والذى يسمى اليوم مقام ابراهيم هو موضع ذلك الحجر (روى) أنه لما أتى ابراهيم باسمعيل وهاجر ووضعهما بمكة وأتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسمعيل منهم امرأة وماتت هاجر استأذن ابراهيم سارة فى أن يأتى هاجر فاذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين

صاحبك قالت ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم فيصيد فقال لها ابراهيم هل عندك
ضيافة قالت ليست عندى وسألها عن عيشهم فقالت نحن فى ضيق وشدة فشكت اليه فقال لها
اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له فليغير عتبة بابه والمراد لطلقك فانك لا تصلحين له امرأة
وذهب ابراهيم فجاء اسمعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت جاءنى شيخ
صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه وقال فما قال لك قالت قال أقرئى زوجك السلام وقولى له
فليغير عتبة بابه قال ذلك أبى وقد أمرنى أن أفارقك الحقى بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى
فلبث ابراهيم ماشاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة فى أن يزور اسمعيل فأذنت له وشرطت عليه أن
لا ينزل فجاء ابراهيم حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد
وهو يجيء الآن ان شاء الله فانزل رحمك الله قال هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم
وسألها عن عيشهم قالت نحن فى خير وسعة فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بخبز بر أو شعير أو تمر
لكانت أكثر أرض الله برا أو شعيرا أو تمرا وقالت له انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءت
بالمقام فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه وهو راكب فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولته
الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقى أثر قدميه عليه وقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه
السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك
أحد قالت نعم جاء شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لى كذا وكذا وغسلت رأسه
وهذا موضع قدميه فقال ذاك ابراهيم وأنت عتبة بابى أمرنى أن أمسكك ثم لبث عنهم ماشاء
الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبرى نبلا تحت دوحة قريبة من زمزم فلما رآه قام اليه فصنع
كما يصنع الولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله أمرنى بأمر أتعيننى عليه قال أعينك عليه
قال أمرنى أن أبنى ههنا بيتا فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتى بالحجارة
وابراهيم يبنى فلما ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم على حجر المقام وهو يبنى
واسمعيل يناوله الحجر وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ثم لما فرغ من بناء
الكعبة قيل له أذن فى الناس بالحج فقال كيف أنادى وأنا بين الجبال ولم يحضرنى أحد فقال
الله عليك النداء وعلى البلاغ فصعد أبا قبيس وصعد هذا الحجر وكان قد خبئ فى أبى قبيس أيام
الطوفان فارتفع هذا الحجر حتى علا كل حجر فى الدنيا وجمع الله له الارض كالسفرة فنادى يا معشر
المسلمين ان ربكم بنى لكم بيتا وأمركم أن تحجوه فأجابه الناس من أصلاب الآباء وأرحام الامهات
فمن أجابه مرة حج مرة ومن أجابه عشرا حج عشرا وفى الحديث ان الركن والمقام ياقوتتان من
يواقيت الجنة ولولا مماسة أيدى المشركين لاضاء تا ما بين المشرق والمغرب والمراد منهما الحجر
الاسود والحجر الذى قام عليه ابراهيم عند بناء البيت (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل) أى
أمرناهما أمرا مؤكدا ووصينا اليهما فان العهد قد يكون بمعنى الامر والوصية يقال عهد
اليه أى أمره ووصاه ومنه قوله تعالى ألم أعهد اليكم وانما سمى اسمعيل لان ابراهيم كان يدعو
الى الله أن يرزقه ولدا ويقول اسمع يا ايل وايل هو الله فلما رزق سماه به (أن طهرا بيتى) أى بأن
طهراه من الاوثان والانجاس ومالا يليق به والمراد احفظاه من أن ينصب حوله شئ منها واقراه
على طهارته كما فى قوله تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة فانهن لم يطهرن من نجس بل خلقهن

طاهرات كقولك للخياط وسع كم القميص فانك لا تريد أن تقول أزل ما فيه من الضيق بل المراد
اصنعه ابتداء واسع الكم (للطائفين) الزائرين حوله (والعاكفين) المجاورين الذين عكفوا
عنده أي أقاموا لا يرجعون وهذا في أهل الحرم والاول في الغرباء القادمين الى مكة للزيارة
والطواف وان كان لا يختص بهم الا أن له مزيد اختصاص بهم من حيث ان مجاوزة الميقات
لا تصح لهم الا بالاحرام (والركع السجود) أي المصلين جمع راكع وساجد لان القيام والركوع
والسجود من هيئات المصلي ولتقارب الركوع والسجود ذاتا وزمانا ترك العاطف بين
موصوفيهما والجلوس في المسجد الحرام ناظرا الى الكعبة من جملة العبادات الشريفة المرضية
كما قال عليه السلام ان الله تعالى في كل يوم عشرين ومائة رحمة تنزل على هذا البيت ستون
للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين واعلم أنه تعالى لما قال أن طهرا بيتي دخل فيه
بالمعنى جميع بيوته تعالى فيكون حكمها حكمه في التطهير والنظافة وانما خص الكعبة بالذكر
لانه لم يكن هنالك غيرها وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه سمع صوت رجل في
المسجد فقال ما هذا أما تدري أين أنت وفي الحديث ان الله أوحى الي يا أخا المنذرين يا أخا
المرسلين أنذر قومك أن لا يدخلوا بيتا من بيوتي الا بقلوب سليمة وألسنة صادقة وأيد نقية
وفروج طاهرة ولا يدخلوا بيتا من بيوتي ما دام لاحد عندهم مظلمة فاني ألعنه ما دام قائما بين
يدي حتى يرد تلك الظلامة الى أهلها فاكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويكون
من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين انتهى ثم اعلم
أن البيت الذي شرفه الله باضافته الى نفسه وهو بيت القلب في الحقيقة يأمر الله تعالى بتطهيره
من دنس الالتفات الى ما سواه فانه منظر الله كما قيل * دل بدست آوركه حج اكبرست * از هزاران
كعبه يك دل بهترست * كعبه بنياد خليل آزرست * دل نظرگاه جليل اكبرست * فلا بد من
تصفيته حتى تعكف عنه الانوار الالهية والاسرار الرحمانية وتنزل السكينة والوقار فعند وصول
العبد الى هذه الرتبة فقد سجد لربه حقيقة وركع وناجى مع الله بسره (واذ قال ابراهيم) أي واذكر
يا محمد اذ دعا ابراهيم فقال يا (رب اجعل هذا) المكان وهو الحرم (بلدا آمنا) ذا أمن يأمن فيه
اهله من القحط والجدب والخسف والمسخ والزلازل والجنون والجذام والبرص ونحو ذلك من
المثلات التي تحل بالبلاد فهو من باب النسب أي بلدا منسوبا الى الامن كلابن وتامر فانهما
انسبة موصوفهما الى مأخوذهما كأنه قيل لبني وتمري فالاسناد حقيقي أو المعنى بلدا آمنا
أهله فيكون من قبيل الاسناد المجازي لان الامن الذي هو صفة لاهل البلد حقيقة قد أسند الى
مكانهم للملابسة بينهما وكان هذا الدعاء في أول ما قدم ابراهيم عليه السلام مكة لانه لما أسكن
اسمعيل وهاجر هنالك وعاد متوجها الى الشأم تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا في هذا
البلقع أي المكان الخالي من الماء والنبات وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله أمرك بهذا
فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادي
فقال رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع الى آخر الآية (وارزق أهله من الثمرات)
جمع ثمرة وهي المأكولات مما يخرج من الارض والشجر فهو سؤال الطعام والفواكه وقيل هي
الفواكه وانما خص هذا بالسؤال لان الطعام المعهود مما يكون في كل موضع وأما الفواكه

فقد تندر فسأل لأهله الأمن والسعة مما يطيب العيش ويدوم فاستجاب له فى ذلك لما روى أنه لما
دعا هذا الدعاء أمر الله جبريل بنقل قرية من قرى فلسطين كثيرة الثمار اليها فأتى فقلعها وجاء بها
وطاف بها حول البيت سبعا ثم وضعها على ثلاث مراحل من مكة وهى الطائف ولذلك سميت به
ومنها أكثر ثمرات مكة ويجىء اليه أيضا من الاقطار الشاسعة حتى انه يجتمع فيه الفواكه
الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من أهله
والمعنى وارزق المؤمنين خاصة (قال) الله تعالى (ومن كفر) معطوف على محذوف أى أرزق
من آمن ومن كفر قاس ابراهيم عليه الصلاة والسلام الرزق على الامامة حيث سأل الرزق
لاجل المؤمنين خاصة كما خص الله تعالى الامامة بهم فى قوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين فلما
رد سؤاله الامامة فى حق ذريته على الاطلاق حسب أن يرد سؤاله الرزق فى حق أهل مكة على
الاطلاق فلذلك قيد بالايمان تأدبا بالسؤال الاول فنبه سبحانه على أن الرزق رحمة دنيوية تعم
المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم (فأمتعه) أى أمده ليتناول من لذات الدنيا اثباتا
للحجة عليه (قليلا) أى تمتيعا قليلا فان الدنيا بكليتها قليلة وما يتمتع الكافر به منها قليل من القليل
فان نعمته تعالى فى الدنيا وان كانت كثيرة باضافة بعضها الى بعض فانها قليلة باضافتها الى نعمة
الآخرة وكيف لا يقل ما يتناهى بالاضافة الى ما لا يتناهى فقليلا صفة مصدر محذوف ويجوز أن
يكون صفة ظرف محذوف أى أمتعه زمانا قليلا وهو مدة حياته (ثم أضطره الى عذاب النار)
الاضطرار فى اللغة حمل الانسان على ما يضره وهو فى المتعارف حمل الانسان بكفره على أن
يفعل ما أكره عليه باختياره ترجيحا لكونه أهون الضررين فلا شئ أشد من عذاب النار حتى
يكره الكفار به ليختاروا عذاب النار لكونه أهون منه فلا يكون اضطرارهم الى عذاب النار
مستعملا فى معناه العرفى فهو مستعار للزهم والصاقهم به بحيث يتعذر عليهم التخلص منه كما قال
تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم فانه صريح فى أن لا مدخل لهم فى لحوق عذاب
الآخرة بهم ولا اختيار الا انهم سموا مضطرين اليه مختارين اياه على كره تشبيها لهم بالمضطر
الذى لا يملك الامتناع عما اضطر اليه فالمعنى ألزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من
النعم بحيث لا يمكنه الامتناع منه (وبئس المصير) المخصوص بالذم محذوف أى بئس المرجع الذى
يرجع اليه للاقامة فيه النار أو عذابها فالعبد فى هذه الدنيا الفانية الامهال أياما دون الاهمال
اذ كل نفس تجزى بما كسبت ولا تغرنك الزخارف الدنيوية فان للمطيع والعاصى نصيبا منها
وليس ذلك من موجبات الرفعة فى الآخرة (قال الحافظ) بمهلتى كه سپهرت دهد زراه مرو
تراكه كفت كه اين زال ترك دستان كفت * قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
قال سهل فى معنى هذه الآية نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن
المنعم أخذوا وقال أبو العباس بن عطاء يعنى كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم
الاستغفار من تلك الخطيئة فعلى العاقل أن لا يغتر بالزخارف الدنيوية بل لا يفرح بشئ سوى
الله تعالى فان ما خلا الله باطل وزائل والاغترار بالزائل الفانى ليس من قضية كمال العقل والفهم
والعرفان فان قلت ما الحكمة فى امهال الله العصاة فى الدنيا قيل ان الله تعالى أمهل عباده
ولم يأخذهم بغتة فى الدنيا ليرى العباد سبحانه وتعالى أن العفو والاحسان أحب اليه من الاخذ

والانتقام وليعلموا شفقته وبره وكرمه ولهذا خلق النار كرجل يضيف الناس و يقول من جاء الى ضيافتى أكرمته ومن لم يجئ فليس عليه شئ ويقول مضيف آخر من جاء الى أكرمته ومن لم يجئ ضربته وحبسته ليتبين غاية كرمه وهو أكمل وأتم من الكرم الاول والله تعالى دعا الخلق الى دعوته بقوله والله يدعوا الى دار السلام ثم دفع السيف الى رسوله فقال من لم يجب ضيافتى فاقتله فعلى العاقل أن يجيب دعوة الله ويرجع الى الله بحسن اختياره فانه هو المقصود والكعبة الحقيقية وكل القوافل سائرة اليه واعلم أن البلد هو الصورة الجسمانية والكعبة القلب والطواف الحقيقى هو طواف القلب بحضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهو فى عالم الملكوت كما ان الهيكل الانسانى مثال ظاهر فى عالم الشهادة للقلب الذى لا يشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب والذى يقدر من العارفين على الطواف الحقيقى القلبى هو الذى يقال فى حقه ان الكعبة تزوره وفى الخبر ان لله عبادا تطوف بهم الكعبة وفرق بين من يقصد صورة البيت و بين من يقصد رب البيت وروى أن عارفا من أولياء الله تعالى قصد الحج وكان له ابن فقال ابنه الى أين تقصد فقال الى بيت الله فظن الغلام أن من يرى البيت يرى رب البيت قال يا أبى لم لا تحملنى معك فقال أنت لا تصلح لذلك فبكى الغلام فحمله معه فلما بلغا الميقات أحرما ولبيا ودخلا الحرم فلما شوهد البيت تحير الغلام عند رؤيته فخر ميتا فدهش والده وقال أين ولدى وقطعة كبدى فنودى من زاوية البيت أنت طلبت البيت فوجدته وهو طلب رب البيت فوجد رب البيت فرفع الغلام من بينهم فهتف هاتف انه ليس فى حيز ولا فى الارض ولا فى الجنة بل هو فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فمن أعرض سره عن الجهة فى توجهه الى الله صار الحق قبلة له فيكون هو قبلة الجميع كآدم عليه السلام كان قبلة الملائكة لانه وسيلة الحق بينه و بين ملائكته لما عليه من كسوة جماله وجلاله (قال الشيخ العطار قدس سره فى منطق الطير) حق تعالى كفت آدم غير نيست * كور چشمى وترا اين سير نيست * شد نفخت فيه من روحى آشكار * سر جانان كشت بر خاك استوار (وقال فى محل آخر) از دم حق آمدى آدم توپى * اصل كرمنا بنى آدم توپى * قبلهٔ كل آفرينش آمدى * باى تا سر عين بينش آمدى * اللهم أوصلنا الى العين وخلصنا من البين (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت) حكاية حال ماضية حيث عبر بلفظ المضارع عن الرفع الواقع فى الزمان المتقدم على زمان نزول الوحى بأن يقدر ذلك الرفع السابق واقعا فى الحال كأنك تصوره للمخاطب وتريه على وجه المشاهدة والعيان والقواعد جمع قاعدة وهى فى الاصل صفة بمعنى الثابتة ثم صارت بالغلبة من قبيل الاسماء بحيث لا يذكر لها موصوف ولا يقدر ولعل لفظ القعود حقيقة فى الهيئة المقابلة للقيام ومستعار للثبات والاستقرار تشبيها لهما فى أن كلا منهما حالة مباينة للانتقال والنزول وقوله من البيت حال من القواعد وكلمة من ابتدائية لا بيانية لعدم صحة أن يقال التى هى البيت فان قلت رفع الشئ ان ينفصل عن الارض ويجعل عاليا مرتفعا والاساس ابدا ثابت على الارض فما معنى رفعه قلت المراد برفع الاساس البناء عليه وعبر عن البناء على الاساس برفعه لان البناء ينقله من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع فيوجد الرفع حقيقة الا أن أساس البيت واحد وعبر عنه بلفظ القواعد باعتبار أجزائه كأن

كل جزء من الاساس أساس لما فوقه والمعنى واذكر يا محمد وقت رفع ابراهيم أساس البيت أى
الكعبة (واسمعيل) ولده وكان له أربعة بنين اسمعيل واسحق ومدين ومداين وهو عطف على
ابراهيم وتأخيره عن المفعول مع أن حق ما عطف على الفاعل أن يتقدم على المفعول للايذان
بأن الاصل فى الرفع هو ابراهيم واسمعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها واعلم
أن رفع الاساس الذى هو البناء عليه يدل على أن البيت كان مؤسسا قبل ابراهيم وأنه انما بنى
على الاساس واختلف الناس فيمن بنى البيت أولا وأسسه فقيل هو الملائكة وذلك أن الله
تعالى لما قال انى جاعل فى الارض خليفة قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فغضب عليهم فعاذوا بعرشه وطافوا حوله سبعة أطواف
يسترضون ربهم حتى رضى عنهم وقال لهم ابنوا لى بيتا فى الارض يتعوذ به من سخطت عليه من
بنى آدم ويطوف حوله كما طفتم حول عرشى فأرضى عنهم فبنوا هذا البيت وقيل ان الله بنى
فى السماء بيتا وهو البيت المعمور ويسمى ضراحا وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة فى الارض
بحياله على قدره ومثاله وقيل أول من بنى الكعبة آدم واندرست زمن الطوفان ثم أظهرها
الله لابراهيم عليه السلام روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه أنه قال لما أهبط الله تعالى
آدم من الجنة الى الارض قال له يا آدم اذهب فابن لى بيتا وطف به واذكرنى عنده كما رأيت
الملائكة تصنع حول عرشى فاقبل آدم يتخطى وطويت له الارض وقبضت له المفاوز فلا يقع
قدمه على شئ من الارض الا صار عامرا حتى انتهى الى موضع البيت الحرام وأن جبرائيل
ضرب بجناحه على الارض فأبرز عن الاس الثابت على الارض السابعة السفلى وقذفت اليه
الملائكة بالصخر فما يطيق حمل الصخرة منها ثلاثون رجلا وأنه بناه من خمسة أجبل طور سينا
وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشأم والجودى وهو جبل بالجزيرة وحراء وهو جبل بمكة وكان
ربضه من حراء أى الاساس المستدير بالبيت من الصخر فهذا بناء آدم وروى أن الله خلق
موضع البيت قبل الارض بألفى عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من
تحته فلما أهبط الله تعالى آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله فأنزل الله البيت المعمور
من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرذ أخضر باب شرقى وباب غربى فوضعه على موضع
البيت وقال يا آدم انى أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى وصل عنده كما يصلى عند
عرشى وانزل الحجر وكان ابيض فاسود من لمس الحيض فى الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند
الى مكة ماشيا وقيض الله له ملكا يدله على البيت قيل لمجاهد لم لم يركب قال وأى شئ كان يحمله
ان خطوته مسيرة ثلاثة أيام فأتى مكة وحج البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة فقالوا
بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه حج آدم
أربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فبقى البيت يطوف به هو والمؤمنون من ولده الى أيام
الطوفان فرفعه الله فى تلك الايام الى السماء الرابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون
اليه وبعث الله جبرائيل حتى خبأ الحجر الاسود فى جبل أبى قبيس صيانة له من الغرق وكان
موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم ببناء بيت يذكر فيه
فسأل الله تعالى أن يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهى ريح خجوج

لها رأسان شبه الحية وأمر ابراهيم أن يبنى حيث استقرت السكينة فتبعها ابراهيم حتى أتيا مكة
فتطوقت السكينة على موضع البيت أى تحوت وتجمعت واستدارت كتطوى الحجفة ودورانها
فقالت لابراهيم ابن على موضع الاساس فرفع البيت هو واسمعيل حتى انتهى الى موضع الحجر
الاسود فقال لابنه يا بنى ائتنى بحجر أبيض حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر فقال ائتنى بأحسن
من هذا فمضى اسمعيل يطلبه فصاح أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها فاذا هو بحجر
أبيض من ياقوت الجنة كان آدم قد نزل به من الجنة كما وجد فى بعض الروايات أو أنزله الله تعالى
حين أنزل البيت المعمور كما مر فأخذ ابراهيم ذلك الحجر فوضعه مكانه فلما رفع ابراهيم واسمعيل
القواعد من البيت جاءت سحابة مربعة فيها رأس فنادت ان ارفعا على تربيعى فهذا بناء ابراهيم
عليه السلام وروى أن ابراهيم واسمعيل لما فرغا من بناء البيت أعطاهما الله تعالى الخيل جزاء
معجلا على رفع قواعد البيت وكانت الخيل وحشية كسائر الوحوش فلما أذن الله لابراهيم
واسمعيل برفع القواعد قال الله انى معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم أوحى الى اسمعيل أن اخرج
الى اجياد فادع يأتك الكنز فخرج الى أجياد ولا يدرى ما الدعاء ولا الكنز فألهمه الله فدعا فلم
يبق على وجه الارض فرس بأرض العرب الا جاءته فامكنته من نواصيها وذللها له فاركبوها
واعلفوها فانها ميامين وهى ميراث أبيكم اسمعيل وانما سمى الفرس عربيا لان اسمعيل هو الذى
أمر بدعائه وهو أتى اليه والعربى نسبة الى عربة بفتحتين وهى باحة العرب لان أباهم اسمعيل
نشأ بها قيل كان ابراهيم يتكلم بالسريانية واسمعيل بالعربية وكل واحد منهما يفهم ما يقوله
صاحبه ولا يمكنه التفوه به وأما بنيان قريش اياه فمشهور وخبر الحية فى ذلك مذكور وكانت
تمنعهم من هدمه الى أن اجتمعت قريش فعجوا الى الله تعالى أى رفعوا أصواتهم وقالوا لم نراع
وقد أردنا تشريف بيتك وتزيينه فان كنت ترضى بذلك والا فما بدا لك فافعل فسمعوا خواتا
فى السماء والخوات دوى جناح الطير الضخم أى صوته فاذا هم بطائر أعظم من النسر أسود الظهر
أبيض البطن والرجلين فغرز مخالبه فى قفا الحية ثم انطلق بها تجر ذنبها أعظم من كذا وكذا حتى
انطلق بها الى أجياد فهدمتها قريش وجعلوا يبنونها بحجارة الوادى تحملها قريش على رقابها
فرفعوها فى السماء عشرين ذراعا وذكر عن الزهرى انهم بنوها حتى اذا بلغوا موضع الركن
اختصمت قريش فى الركن أى القبائل تلى رفعه حتى شجر بينهم فقالوا حتى نحكم أول من يطلع
علينا من هذه السكة فاصطلحوا على ذلك فاطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكموه
فأمر بالركن فوضع فى ثوب ثم أمر سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو على البناء
فرفعوا اليه الركن فأخذه من الثوب فوضعه فى مكانه قيل ان قريشا وجدوا فى الركن كتابا
بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود فاذا فيه انا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت
السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك احتفاء لا تزول حتى يزول
اخشباها مبارك لاهلها فى الماء واللبن وعن أبى جعفر كان باب الكعبة على عهد العماليق
وجرهم وابراهيم بالارض حتى بنته قريش وعن عائشة رضى الله تعالى عنها سألت رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم عن الجدار أمن البيت هو قال نعم قلت فلم لم يدخلوه قال ان قومك قصرت بهم
النفقة قلت فما شان بابه مرتفعا قال فعل ذلك قومك ولولا حدثانهم بالجاهلية لهدمت الكعبة

فألزق بابها بالارض وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فان قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة فهذا بناء قريش ثم لما غزا أهل الشأم عبد الله بن الزبير ووهت الكعبة من حريقهم هدمها ابن الزبير وبناها على ما أخبرته عائشة فجعل لها بابين بابا يدخلون منه وبابا يخرجون منه وزاد فيه مما يلي الحجر ستة أذرع وكان طولها قبل ذلك ثمانى عشرة ذراعا ولما زاد في البناء مما يلي الحجر استقصر ما كان من طولها تسعة أذرع فلما قتل ابن الزبير أمر الحجاج أن يقرر ما زاده ابن الزبير في طولها وأن ينقص ما زاده من الحجر ويردها الى ما بناها قريش وأن يسد الباب الذى فتحه الى جانب الغرب وروى أن هرون الرشيد ذكر لمالك ابن أنس أنه يريد هدم ما بنى الحجاج من الكعبة وأن يردها الى بناء ابن الزبير لما جاء عن النبى وامتثله ابن الزبير فقال له مالك ناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء أحد منهم الا نقض البيت وبناه فتذهب الهيبة من صدور الناس قالوا بنيت الكعبة عشر مرات بناء الملائكة وكان قبل خلق آدم عليه السلام وبناء آدم وبناء بنى آدم وبناء الخليل وبناء العمالقة وبناء جرهم وبناء قصى بن كلاب وبناء قريش وبناء عبد الله ابن الزبير وبناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل لجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلى ان بناءها لم يكن فى الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عليه الصلاة والسلام وروى فى الخبر النبوى ان هذا البيت خامس خمسة عشر سبعة منها فى السماء الى العرش وسبعة منها الى تخوم الارض السفلى وأعلى الذى يلى العرش البيت المعمور ولكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت لو سقط منها بيت سقط بعضها على بعض الى تخوم الارض السابعة ولكل بيت من أهل السماء ومن أهل الارض من يعمره كما يعمر هذا البيت ذكره المحدث الكازرونى فى مناسكه وعن ابن عباس رضى الله عنه لما كان العرش على الماء قبل خلق السموات والارض بعث الله ريحا فصفقت الماء فأبرزت خشبة فى موضع البيت كأنها قبة على قدر البيت اليوم فدحا الله سبحانه من تحتها الارض فمادت ثم مادت فأوتدها بالجبال فكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس ولذلك سميت مكة بأم القرى قال كعب بنى سليمان عليه السلام بيت المقدس على أساس قديم كما بنى ابراهيم الكعبة على أساس قديم وهو أساس الملائكة فى وجه الماء الى أن علا (ربنا) أى يرفعانها قائلين ربنا (تقبل منا) الدعاء وغيره من القرب والطاعات التى من جملتها ما هما بصدده من البناء وفرق بين القبول والتقبل بأن التقبل لكونه على بناء التكلف انما يطلق حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق أن يقبل الا على طريق التفضل والكرم ولفظ القبول لا دلالة فيه على هذا المعنى فاختيار لفظ التقبل اعتراف منهما بالعجز والانكسار والقصور فى العمل (انك أنت السميع) لجميع المسموعات التى من جملتها دعاؤنا وتضرعنا (العليم) بكل المعلومات التى من زمرتها نياتنا فى جميع أعمالنا ودل هذا القول على أنه لم يقع منهما تقصير بوجه ما فى اتيان المأمور به بل بذلا فى ذلك غاية ما فى وسعهما فان المقصر المتساهل كيف يتجاسر على أن يقول بأطلق لسان وأرق جنان انك أنت السميع العليم ودلت الآية أيضا على أن الواجب على كل مأمور بعبادة وقربة اذا فرغ منها وأداها كما أمر بها وبذل فى ذلك ما فى وسعه ان يتضرع الى الله ويبتهل ليتقبل منه وأن لا يرد عليه فيضيع سعيه وأن لا يقطع القول بأن من

بينهما من المسعى وموضع رمى الجمار ويحتمل ان يراد بالمناسك ههنا أفعال الحج نفسها لا مواضعها
على ان يكون المسلك مصدرا لا اسم مكان ويكون جمعه لاختلاف أنواعه ويكون ارنا بمعنى
عرفنا لان نفس الافعال لا تدرك بالبصر بل ترى بعين القلب والنسك كل ما يتعبد به الى الله وشاع
فى اعمال الحج لكونها أشق الاعمال بحيث لا تتأتى الا بمزيد سعى واجتهاد (وتب علينا) عما فرط
منا سهوا من الصغائر ومن ترك الاولى وتجاوز عن ذنوب ذريتنا من الكبائر ولعلهما قالاه
هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما فانهما لما بنيا البيت ارادا ان يسنا للناس ويعرفاهم ان ذلك
البيت وما يتبعه من المناسك والمواقف امكنة التفصى من الذنوب وطلب التوبة من علام
الغيوب (انك انت التواب الرحيم) لمن تاب أصل التوبة الرجوع وتوبة الله على العبد قبوله
توبته وأن يخلق الانابة والرجوع فى قلب المسىء ويزين جوارحه الظاهرة بالطاعات بعد
ما لوثها بالمعاصى والخطيآت وتواب من صيغ المبالغة أطلق عليه تعالى للمبالغة فى صدور
الفعل منه وكثرة قبوله توبة المذنبين لكثرة من يتوب اليه (ربنا وابعث فيهم) أى فى جماعة
الامة المسلمة من أولادنا (رسولا منهم) أى من أنفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم
ولم يبعث من ذريتهما غير النبى صلى الله عليه وسلم فهو الذى أجيب به دعوتهما روى انه قيل له
قد استجيب لك وهو فى آخر الزمان وفى الحديث انى عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل
فى طينته وسأخبركم بأول أمرى انى دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى التى رأت حين
وضعتنى وقد خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام وأراد بدعوة ابراهيم هذا فانه دعا الله
ان يبعث فى بنى اسمعيل رسولا منهم (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل
التوحيد والنبوة (ويعلمهم) بحسب قوتهم النظرية (الكتاب) أى القرآن (والحكمة) وما
يكمل به نفوسهم من المعارف الحقة والاحكام الشرعية قال ابن دريد كل كلمة وعظتك أو دعتك
الى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهى حكمة (ويزكيهم) بحسب قوتهم العملية أى يطهرهم من
دنس الشرك وفنون المعاصى سواء كانت بترك الواجبات أو بفعل المنكرات ثم ان ابراهيم عليه
السلام لما ذكر هذه الدعوات الثلاث ختمها بالثناء على الله تعالى فقال (انك انت العزيز) الذى
لا يقهر ولا يغلب على ما يريد (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو عزيز
حكيم بذاته وكل ما سواه ذليل جاهل فى نفسه قال الامام الغزالى قدس سره فى شرح الاسماء
الحسنى العزيز هو الخطير الذى يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فما لم
تجتمع هذه المعانى الثلاثة لم يطلق العزيز فكم من شىء يقل وجوده ولكن اذا لم يعظم خطره
ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزا وكم من شىء يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره ولكن اذا لم يصعب
الوصول اليه لم يسم عزيزا كالشمس مثلا فانه لا نظير لها والارض كذلك والنفع عظيم فى كل
واحدة منهما والحاجة شديدة اليهما ولكن لا توصفان بالعزة لانه لا يصعب الوصول الى
مشاهدتهما فلا بد من اجتماع المعانى الثلاثة ثم فى كل من المعانى الثلاثة كمال ونقصان فالكمال
فى قلة الوجود ان يرجع الى واحد اذ لا أقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله
وليس هذا الا الله تعالى فان الشمس وان كانت واحدة فى الوجود فليست واحدة فى الامكان
فيمكن وجود مثلها والكمال فى النفاسة وشدة الحاجة ان يحتاج اليه كل شىء فى كل شىء حتى

فى وجوده وبقائه وصفاته وليس ذلك الكمال الا الله تعالى فهو العزيز المطلق الحق الذى لا يوازيه فيه غيره والعزيز من العباد من يحتاج اليه عباد الله فى أهم أمورهم وهى الحياة الآخروية والسعادة الابدية وذلك مما يقل لا محالة وجوده ويصعب ادراكه وهذه رتبة الانبياء عليهم السلام ويشاركهم فى العز من يتفرد بالقرب من درجتهم فى عصره كالخلفاء وورثتهم من العلماء وعزة كل واحد بقدر علو رتبته عن سواه فى النيل والمشاركة وبقدر عنائه فى ارشاد الخلق والحكيم ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الاشياء بأجل العلوم وأجل الاشياء هو الله تعالى ولا يعرف كنه معرفته غيره فهو الحكيم المطلق لانه يعلم أجل الاشياء بأجل العلوم اذ أجل العلوم هو العلم الازلى الدائم الذى لا يتصور زواله المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق اليها خفاء وشبهة ولا يتصف بذلك الا علم الله تعالى وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها حكيما وكمال ذلك أيضا ليس الا لله تعالى فهو الحكيم المطلق ومن عرف جميع الاشياء ولم يعرف الله تعالى لم يستحق ان يسمى حكيما لانه لم يعرف أجل الاشياء وأفضلها والحكمة أجل العلوم وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم ولا أجل من الله ومن عرف الله فهو حكيم وان كان ضعيف المنة فى سائر العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها الا ان نسبة حكمة العبد الى حكمة الله تعالى كنسبة معرفته الى معرفته بذاته وشتان بين المعرفتين فشتان بين الحكمتين ولكنه مع بعده عنه فهو أنفس المعارف وأكثرها خيرا ومن أوتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب نعم من عرف الله كان كلامه مخالفا لكلام غيره فانه قلما يتعرض للجزئيات بل يكون كلامه جمليا ولا يتعرض لمصالح العاجلة بل يتعرض لما ينفع فى العاقبة ولما كانت الكلمات الكلية أظهر عند الناس من أحوال الحكيم من معرفته بالله ربما أطلق الناس اسم الحكمة على مثل تلك الكلمات الكلية ويقال للناطق بها حكيم وذلك مثل قول سيد الانبياء عليه السلام رأس الحكمة مخافة الله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله ما قل وكفى خير مما كثر وألهى السعيد من وعظ بغيره القناعة مال لا ينفد الصبر نصف الايمان اليقين الايمان كله فهذه الكلمات وأمثالها تسمى حكمة وصاحبها يسمى حكيما انتهى كلام الغزالى ثم ان فى الآية اشارة الى ان فى ارسال الرسل حكمة أى مصلحة وعاقبة حميدة لان عمارة الظاهر وانارة الباطن ونظام العالم بهم لا بغيرهم ولورثتهم من الاولياء الكاملين حظ أوفى فى باب التزكية فلا بد للعبد من دليل ومرشد يهتدى به الى مقصوده ومن لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان (قال الحافظ) بكوى عشق منه بى دليل راه قدم * كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد * والمرشد الكامل يزكى نفس السالك باذن الله ويطهرها من دنس الالتفات الى ما سوى الله ويتلو عليه الآيات الانفسية والآفاقية ليكون من الموقنين ويغتنم النعيم الروحانى ويدخل فى زمرة الصديقين فقوله تعالى ويزكيهم يشير الى السلوك والتسليك فاحفظ هذا وليكن على ذكر منك اللهم احفظنا من الموانع فى طريق الوصول اليك فان كل ما فى حيز الشمول لديك (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) من استفهامية قصد بها الانكار والتقريع ورغب فى الشىء اذا أراده ورغب عنه اذا تركه أى لا يترك دين ابراهيم أحد ولا يعرض عن شريعته وطريقته (الا من سفه نفسه) أى أذلها وجعلها مهينا حقيرا فانتصاب

نفسه على انه مفعول به (روى) ان عبد الله بن سلام دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر فأنزل الله هذه الآية (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) أى وبالله لقد اخترناه ابراهيم فى الدنيا من بين سائر الخلق بالنبوة والحكمة (وانه فى الآخرة) متعلق بقوله (لمن الصالحين) أى من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح فمن كان صفوة العباد فى الدنيا مشهودا له فى الآخرة بالصلاح كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه أى فى أصل خلقته أو متسفه يتكلف السفاهة بمباشرة أفعال السفهاء باختياره فيذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتأمل فقوله وانه فى الآخرة لمن الصالحين بشارة له فى الدنيا بصلاح الخاتمة ووعد له بذلك وكم من صالح فى أول حاله ذهب صلاحه فى مآله وكان فى الآخرة لعذابه ونكاله كبلعم وبرصيصا وقارون وثعلبة (اذ قال له) ظرف لاصطفيناه وتعليل له أى اخترناه فى وقت قال له (ربه اسلم) أى اخلص دينك لربك واستقم على الاسلام واثبت عليه وذلك حين خرج من الغار ونظر الى الكوكب والقمر والشمس فألهمه الله الاخلاص (قال اسلمت لرب العالمين) أى اخلصت دينى له كقوله انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض الآية وقد امتثل ما أمر به من الاخلاص والاستسلام وأقام على ما قال فسلم القلب والنفس والولد والمال ولما قال له جبريل حين ألقى فى النار هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا فقال ألا تسأل ربك فقال حسبى بسؤالى علمه بحالى قال أهل التفسيرات ابراهيم ولد فى زمن النمرود بن كنعان وكان النمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد فى بلدك فى هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه قالوا فأمر بذبح كل غلام يولد فى ناحيته فى تلك السنة فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فولدته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته فى حلفاء وهو نبت فى الماء يقال له بالتركى حصير قامشى ثم رجعت فأخبرت زوجها بأنها ولدت وأن الولد فى موضع كذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سربا أى بيتا فى الارض كالغارة فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضعه وكان اليوم على ابراهيم فى الشباب والقوة كالشهر فى حق سائر الصبيان والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم فى المغارة الا خمسة عشر شهرا أو سبع سنين أو أكثر من ذلك فلما شب ابراهيم فى السرب قال لامه من ربى قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذى كنا نحدث انه يغير دين أهل الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال فأتى أبوه آزر وقال له ابراهيم يا أبتاه من ربى قال أمك قال فمن رب أمى قال أنا قال فمن ربك قال النمرود قال فمن رب النمرود فلطمه لطمة وقال اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فرأى السماء وما فيها من الكواكب فتفكر فى خلق السموات والارض فقال ان الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لربى الذى مالى اله غيره ثم نظر فى السماء فرأى كوكبا قال هذا ربى ثم أتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما أفل قال لا أحب الآفلين ثم رأى القمر ثم الشمس فقال فيهما كما قال فى حق الكوكب ثم انهم

اختلفوا فى قوله ذلك فأجرا بعضهم على الظاهر وقالوا كان ابراهيم فى ذلك الوقت مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله اليه وأرشده فلم يضره ذلك فى الاستدلال وأيضا كان ذلك فى حال طفوليته قبل أن يجرى عليه القلم فلم يكن كفرا وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا كيف يتصور من مثله أن يرى كوكبا ويقول هذا ربى معتقدا فهذا لا يكون أبدا ثم أوّلوا قوله ذلك بوجوه مذكورة فى سورة الانعام للامام محيى السنة والحاصل أن ابراهيم مستسلم للرب الكريم وأنه على الصراط المستقيم لا يرغب عن طريقته الا من سفه نفسه أى لم يتفكر فيها كما تفكر ابراهيم فى الانفس والآفاق قال تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون والسفاهة الجهل وضعف الرأى وكل سفيه جاهل وذلك أن من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف الله خالقها وقد جاء فى الحديث من عرف نفسه فقد عرف ربه وفى الاخبار ان الله تعالى أوحى الى داود اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء (وفى المثنوى) جيست تعظيم خدا افراشتن * خويشتن را خاك وخوارى داشتن * جيست توحيد خدا آموختن * خويشتن را پيش واحد سوختن * هستيت در هست آن هستى نواز * همچومس در كيميا اندر گداز * جمله معشوقست وعاشق پرده * زنده معشوقست وعاشق مرده * (ووصى) لما كمل ابراهيم عليه السلام فى نفسه كمل غيره بالتوصية وهو تقديم ما فيه خير وصلاح من قول أو فعل الى الغير على وجه التفضل والاحسان سواء كان أمرا دينيا أو دنيويا (بها) أى بالملة المذكورة فى قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم (ابراهيم بنيه) أى أولاده الذكور الثمانية عند البعض اسمعيل وأمه هاجر القبطية واسحق وأمه سارة وستة أمهم قنطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم بعد وفاة سارة وهم مدين ومداين وزمران ويقشان ويشبق ونوخ (ويعقوب) رفع عطف على ابراهيم أى وصى يعقوب أيضا وهو ابن اسحق بن ابراهيم بنيه الاثنى عشر روبيل وشمعون ولاوى ويهودا ويشسوخور وزبولون وزوانا ونفتوتا وكوزا وأوشير وبنيامين ويوسف * وسمى يعقوب لانه مع أخيه عيصو كانا توأمين فتقدم عيصو فى الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على اثره آخذا بعقبه وذلك ان أم يعقوب حملت فى بطن واحد بولدين توأمين فلما تكامل عدة أشهر الحمل وجاء وقت الوضع تكلما فى بطنها وهى تسمع فقال أحدهما للآخر طرّق لى حتى أخرج قبلك وقال الآخر لئن خرجت قبلى لاشقن بطنها حتى أخرج من خصرها فقال الآخر اخرج قبلى ولا تقتل أمى قال فخرج الاول فسمته عيصو لانه عصاها فى بطنها وخرج الثانى وقد أمسك بعقبه فسمته يعقوب فنشأ عيصو بالغلظة والفظاظة صاحب صيد وقنص ويعقوب بالرحمة واللين صاحب زرع وماشية وروى انهما ماتا فى يوم واحد ودفنا فى قبر واحد قيل عاش يعقوب مائة وسبعا وأربعين سنة ومات بمصر وأوصى أن يحمل الى الارض المقدسة ويدفن عند أبيه اسحق فحمله يوسف فدفنه عنده (يا بنىّ) على اضمار القول عند البصريين تقديره وصى وقال يا بنىّ وذلك لان يا بنىّ جملة والجملة لا تقع مفعولا الا لافعال القلوب أو فعل القول عندهم (انّ الله اصطفى لكم الدين) أى دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان ولا دين عنده غيره (فلا تموتنّ) أى لا يصادفكم الموت (الا وأنتم مسلمون) أى مخلصون بالتوحيد محسنون بربكم الظن وهذا نهى عن الموت فى الظاهر وفى الحقيقة عن ترك الاسلام لان الموت ليس فى أيديهم وذلك حين

دخل يعقوب مصر فرأى أهلها يعبدون الاصنام فاوصى بنيه بأن يثبتوا على الاسلام فان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتخصيص الابناء بهذه الوصية مع انه معلوم من حال ابراهيم انه كان يدعو الكل أبدا الى الاسلام والدين للدلالة على ان أمر الاسلام أولى الامور بالاهتمام حيث وصى به أقرب الناس اليه وأحراهم بالشفقة والمحبة وارادة الخير مع ان صلاح أبنائه سبب اصلاح العامة لان المتبوع اذا صلح فى جميع أحواله صلح التابع روى انه لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أقاربه وأنذرهم فقال يا بنى كعب بن لؤى انقذوا أنفسكم من النار يا بنى مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار يا بنى هاشم انقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة انقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم من الله شيأ يعنى لا أقدر على دفع مكروه عنكم فى الآخرة ان أراد الله ان يعذبكم وانما أشفع لمن أذن الله لى فيه وانما يأذن لى اذا لم يرد تعذيبه انما قال عليه السلام فى حقهم هكذا لترغيبهم فى الايمان والعمل ائلا يعتمدوا على قرابته ويتهاونوا ولا بد من الوصية والتحذير فى باب الدين لان الانسان اذا أنس بأهل الشر يخاف أن يتخلق باخلاقهم ويعمل عملهم فيجره ذلك الهوى الى الهاوية (كما قيل) نفس ازهمنفس بكيرد خوى * برحذر باش ازلقاى خبيث * باد چون بر فضاى بد كذرد * بوى بد كيرد از هواى خبيث * وكتب أبو عبيد الصورى الى بعض اخوانه اما بعد فانك قد أصبحت تأمل الدنيا بطول عمرك وتتمنى على الله الامانى بسوء فعلك وانما تضرب حديدا باردا والسلام وحسن الظن بالله تعالى انما يعتبر بعد اصلاح الحال بالاخلاق والاعمال قال الحسن ان قوما ألهتهم الامانى حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة يقول أحدهم انى أحسن الظن بربى وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل وتلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الآية اللهم وفقنا للعلم والعمل قبل الاجل (أم كنتم شهداء) لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عليه السلام وأم منقطعة مقدرة ببل والهمزة قال فى التيسير أم اذا لم يتقدمها ألف الاستفهام كانت بمنزلة مجرد الاستفهام ومعنى الهمزة فيها الانكار يعنى أ كنتم شهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر يريد ما كنتم حاضرين (اذ حضر يعقوب الموت) أى اماراته وأسبابه وقرب خروجه من الدنيا نزلت حين قالت اليهود للنبى عليه السلام ألست تعلم ان يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فقال تعالى ما كنتم حاضرين حين احتضر يعقوب وقال لبنيه ما قال والا لما ادعيتم عليه اليهودية ولكان حرضكم على ملة الاسلام (اذ قال لبنيه) بدل من اذ حضر والعامل فيهما شهداء (ما تعبدون من بعدى) أى اى شئ تعبدونه بعد موتى أراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما قال الراغب لم يعن بقوله ما تعبدون من بعدى العبادة المشروعة فقط وانما عنى ان يكون مقصودهم فى جميع الاعمال وجه الله تعالى ومرضاته وان يتباعدوا عما لا يتوسل به اليها وكأنه دعاهم الى أن لا يتحروا فى أعمالهم غير وجه الله تعالى ولم يخف عليهم الاشتغال بعبادة الاصنام وانما خاف ان تشغلهم دنياهم ولهذا قيل ما قطعك عن الله فهو طاغوت ولهذا قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام أى ان نخدم ما دون الله (قال فى المثنوى) چيست دنيا از خدا

غافل بدن * نى قماش ونقره وفرزند وزن * قال النحرير التفتازانى وماعام أى يصح اطلاقه
على ذى العقل وغيره عند الابهام سواء كان للاستفهام أو غيره واذا علم أن الشئ من ذوى العقل
والعلم فرق بين ومايختص من بذى العلم ومابغيره وبهذا الاعتبار يقال ان مالغير العقلاء انتهى
كلامه وتم الانكار عليهم عند قوله ماتعبدون من بعدى ثم استأنف وبين ان الامر قد جرى على
خلاف مازعموا فقال (قالوا) كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا (نعبد الهك واله
آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق) أى نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته
وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة الآباء تغليبا للاب والجد لان العم أب والخالة أم لانخراطهما
فى سلك واحد وهو الاخوة لاتفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو أبيه أى
لاتفاوت بينهما كما لاتفاوت بين صنوى النخلة (الها واحدا) بدل من اله آبائك وفائدته التصريح
بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف أو نصب على الاختصاص كأنه قيل نريد ونعنى
باله آبائك الها واحدا (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد (تلك) اشارة الى الامة المذكورة
التى هى ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون (أمة) هى فى الاصل المقصود كالعهدة بمعنى
المعهود وسمى بها الجماعة لان فرق الناس تؤمها أى يقصدونها ويقتدون بها وهى خبر تلك
(قد خلت) أى مضت بالموت وانفردت عن عداها وأصله صارت الى الخلاء وهى الارض التى
لاأنيس بها والجملة نعت لامة (لها ماكسبت) تقديم المسند لقصره على المسند اليه أى لها
كسبها لا كسب غيرها (ولكم ماكسبتم) لا كسب غيركم (ولاتسألون عما كانوا يعملون) أى
لاتؤاخذون بسيآت الامة الماضية كما فى قوله لاتسألون عما أجرمنا كما لاتثابون بحسناتهم فلكل
أجر عمله وذلك لما ادعى اليهود أن يعقوب عليه السلام مات على اليهودية وأنه عليه السلام وصى
بها بنيه يوم مات وردوا بقوله تعالى أم كنتم شهداء الآية قالوا هب أن الامر كذلك أليسوا آباءنا
واليهم ينتمى نسبنا فلاجرم ننتفع بصلاحهم ومنزلتهم عند الله تعالى قالوا ذلك مفتخرين بأوائلهم
فردوا بأنهم لاينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم فى الاعمال فان أحدا لاينفعه كسب
غيره كما قال عليه السلام يابنى هاشم لايأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بانسابكم وقال عليه السلام
من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه يعنى من أخره فى الآخرة عمله السيئ أو تفريطه فى العمل الصالح
لم ينفعه شرف نسبه ولم تنجبر نقيصته به قال الشاعر

أتفخر باتصالك من على * وأصل البولة الماء القراح
وليس بنافع نسب زكى * يدنسه صنائعك القباح

والابناء وان كانوا يتشرفون فى الدنيا بشرف آبائهم الا انه اذا نفخ فى الصور فلا أنساب
والافتخار بفضل هذا كالافتخار بمتاع غيره وانه من الجنون فلا بد من كسب العمل والاخلاص
فيه فانه المنجى بفضل الله تعالى وجاء فى حديث طويل وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
انى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاء بره لوالديه
فرده عنه ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك
ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ورأيت رجلا من
أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلا من

أمتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ورأيت رجلا من أمتي
والنبيون قعود حلقا حلقا كلما دنا لحلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده الى
جنبي ورأيت رجلا من أمتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن
فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في
النور ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يا معشر
المؤمنين كلموه فكلموه ورأيت رجلا من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته
فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه ورأيت رجلا من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان
فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ورأيت
رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على
الله ورأيت رجلا من امتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته
فجعلها في يمينه ورأيت رجلا من أمتي قد خف ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا
من أمتي قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من امتي
أهوى في النار فجاءته دموعه التي بكى بها من خشية الله فاستخرجته من النار ورأيت رجلا
من أمتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى
ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يزحف احيانا ويحبو أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته
على فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط ورأيت رجلا من أمتي انتهى الى أبواب الجنة
فغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة أن لا اله الا الله ففتحت الابواب وأدخلته الجنة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل يا رسول الله وما اخلاصها
قال ان تحجزه عن محارم الله فعلم من هذا التفصيل ان الخلاص وان كان بفضل الله تعالى لكنه
منوط بالاعمال الصالحة فالقرابة لا تغني شيأ اذا فسد العمل وأما قول من قال * اذا طاب أصل
المرء طابت فروعه * فباعتبار الغالب فان من عادته تعالى ان يخرج الحي من الميت والميت من
الحي ونعم ما قيل * اصل را اعتبار چندان نيست * روى تركل زخار خندان نيست * مى ز غوره
شود شكر از نى * عسل از نحل حاصلست بقى * والعود الذى تنوح رائحته وان كان في
الاصل شجرة كسائر الاشجار الا انه لما كان له استعداد لتلك المرتبة وحصل ذلك بالتربية فاق
على الاقران وخرج من جنس الاصل وكذا المسك فان أصله دم وكم من نسيب يعود على أصله
بالعكس فيظهر فيه أثر الصلاح الباطن في أبيه ان كان أي أبوه فاسقا أو الفساد الباطن فيه
ان كان صالحا وكم من فرع يميل الى أصله على وجه فانظر حال آدم عليه السلام وولديه هابيل
وقابيل ومن بعدهم الى قيام الساعة (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) نزلت في رؤس يهود
المدينة وفي نصارى نجران أي قالت اليهود كونوا هودا فان نبينا موسى أفضل الانبياء وكتابنا
التوراة أفضل الكتب وديننا أفضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد والقرآن وقالت
النصارى كونوا نصارى فان نبينا عيسى أفضل الانبياء وكتابنا الانجيل أفضل الكتب وديننا
أفضل الاديان وكفروا بموسى والتوراة وبمحمد والقرآن (تهتدوا) جواب للامر أي ان تكونوا
كذلك تهتدوا الهداية من الضلالة (قل) يا محمد لهم على سبيل الرد وبيان ما هو الحق لا نكون

ما تقولون (بل) نكون (ملة ابراهيم) أى أهل ملته ودينه على حذف المضاف أى بل نتبع ملته لان كونوا معناه اتبعوا اليهودية والنصرانية (حنيفا) أى مائلا عن كل دين باطل الى دين الحق ومنحرفا عن اليهودية والنصرانية وهو حال من المضاف اليه وهو ابراهيم كما فى رأيت وجه هند قائمة لان رؤية وجه هند يستلزم رؤيتها فالحال هنا تبين هيئة المفعول أو من المضاف وهو الملة وتذكير حنيفا حينئذ بتأويل الملة بالدين لانهما متحدان ذاتا والتغاير بالاعتبار (وما كان من المشركين) تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباع ابراهيم مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله وفى الآية ارشاد الى اتباع دين ابراهيم وهو الدين الذى عليه نبينا عليه السلام وأصحابه وأتباعه (قولوا) أيها المؤمنون (آمنا بالله) وحده (وما أنزل الينا) أى بالقرآن الذى أنزل على نبينا والانزال اليه انزال الى أمته لان حكم المنزل يلزم الكل (وما أنزل الى ابراهيم) من صحفه العشر (و) ما أنزل الى (اسمعيل واسحق ويعقوب و) الى (الاسباط) جمع سبط وهو فى الاصل شجرة واحدة لها اغصان كثيرة والمراد هنا أولاد يعقوب وهم اثنا عشر سموا بذلك لانه ولد لكل منهم جماعة وسبط الرجل حافده أى ولد ولده والاسباط من بنى اسرائيل كالقبائل من العرب والشعوب من العجم وهم جماعة من أب وأم وكان فى الاسباط أنبياء والصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم لكن من بعده حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا الينا (وما أوتى موسى وعيسى) من التوراة والانجيل وتخصيصهما بالذكر لما أن الكلام مع اليهود والنصارى (وما أوتى النبيون) جملة المذكورين منهم وغير المذكورين (من ربهم) فى موضع الحال من العائد المحذوف والتقدير وما أوتيه النبيون منزلا عليهم من ربهم (لا نفرق بين أحد منهم) كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض وكيف نفعل ذلك والدليل الذى أوجب علينا أن نؤمن ببعض الانبياء وهو تصديق الله اياه بخلق المعجزات على يديه يوجب الايمان بالباقين فلو آمنا ببعضهم وكفرنا بالبعض لناقضنا أنفسنا والجملة حال من الضمير فى آمنا وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما أوتوه لا يستلزم عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما أوتوه وأحد فى معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه (ونحن له مسلمون) أى والحال انا مخلصون لله تعالى ومذعنون (فان آمنوا) أى اليهود والنصارى (بمثل ما) أى بمثل الدين الذى (آمنتم به) هذا من باب التعجيز والتبكيت أى الزام الخصم والجائه الى الاعتراف بالحق بارخاء عنانه وسد طرق المجادلة عليه والمثل مقحم والمعنى فان آمنوا بما آمنتم به وهو الله تعالى فانه ليس لله تعالى مثل وكذا الدين الاسلام (فقد اهتدوا) الى الحق وأصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق (وان تولوا) أى ان أعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بأن أخلوا بشئ من ذلك كأن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو ديدنهم ودينهم (فانما هم فى شقاق) أى مستقرون فى خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون فقوله فى شقاق خبر لقوله هم وجعل الشقاق ظرفا لهم وهم مظروفون له مبالغة فى الاخبار باستيلائه عليهم فانه أبلغ من قولك هم مشاقون والشقاق مأخوذ من الشق وهو الجانب فكأن كل واحد من الفريقين فى شق غير شق صاحبه بسبب العداوة

ولمبادل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدي الى الجدال والقتال لامحالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصرة والغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالسين للتأكيد الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل (فسيكفيكهم الله) الضميران منصوبا المحل على انهما مفعولان ليكفي يقال كفاه مؤنته كفاية وان كثر استعماله معدى الى واحد نحو كفاك الشيء والظاهر أن المفعول الثاني حقيقة في الآية هو المضاف المقدر أي فسيكفي الله اياك امر اليهود والنصارى ويدفع شرهم عنك وينصرك عليهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد أنجز الله وعده الكريم بالقتل والسبي في بني قريظة والجلاء والنفي الى الشام وغيره في بني النضير والجزية والذلة في نصارى نجران (وهو السميع العليم) تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك (صبغة الله) الصبغ ما يلون به الثياب والصبغ المصدر والصبغة الفعلة التي تبنى للنوع والحالة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع الصبغ عليها وهي أي الصبغة في الآية مستعارة لفطرة الله التي فطر الناس عليها شبهت الخلقة السليمة التي يستعد بها العبد للايمان وسائر أنواع الطاعات بصبغ الثوب من حيث ان كل واحدة منهما حلية لما قامت هي به وزينة له والتقدير صبغنا الله صبغة أي فطرنا وخلقنا على استعداد قبول الحق والايمان فطرته فهذا المصدر مفعول مطلق مؤكد لنفسه لانه مع عامله المقدر بعينه وقع مؤكدا لمضمون الجملة المتقدمة وهو قوله آمنا بالله لا يحتمل لها من المصادر الا ذلك المصدر لان ايمانهم بالله يحصل بخلق الله اياهم على استعداد اتباع الحق والتحلي بحلية الايمان ويحتمل أن يكون التقدير طهرنا الله تطهيره لان الايمان يطهر النفوس من أوضار الكفر وسماه صبغة للمشاكلة وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوع ذلك الشيء في صحبة الغير اما بحسب المقال المحقق أو المقدر بأن لا يكون ذلك الغير مذكورا حقيقة ويكون في حكم المذكور لكونه مدلولا عليه بقرينة الحال فهي كما تجري بين فعلين كما هنا تجري بين قولين كما في تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فانه عبر عن ذات الله تعالى بلفظ النفس لوقوعه في صحبة لفظ النفس وعبر عن لفظ الفطرة بلفظ الصبغة لوقوعه في صحبة صبغة النصارى اذ كانوا يشتغلون بصبغ أولادهم في سابع الولادة مكان الختان للمسلمين بغمسهم في الماء الاصفر الذي يسمونه المعمودية على زعم أن ذلك الغمس وان لم يكن مذكورا حقيقة لكنه واقع فعلا من حيث انهم يشتغلون به فكان في حكم المذكور بدلالة قرينة الحال عليه من حيث اشتغالهم به ومن حيث ان الآية نزلت ردا لزعمهم ببيان أن التطهير المعتبر هو تطهير الله عباده لا تطهير أولادكم بغمسهم في المعمودية وهي اسم ماء غسل به عيسى عليه السلام فزجوه بماء آخر وكلما استعملوا منه جعلوا مكانه ماء آخر (ومن احسن) مبتدأ وخبر والاستفهام في معنى الجحد (من الله صبغة) نصب على التمييز من أحسن منقول من المبتدا والتقدير ومن صبغته أحسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما والمعنى أي شخص تكون صبغته أحسن من صبغة الله فانه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من أوضار الكفر وأنجاس الشرك فلا صبغة أحسن من صبغته (ونحن له) أي لله الذي أولانا تلك النعمة الجليلة (عابدون) شكرا له ولسائر نعمه

وتقدم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل تحت الامر وهو قولوا فاذا كان حرفة العبد العبادة فقد زين نفسه بصبغ حسن يزينه ولا يشينه (وفى المثنوى) * كاور آرنك از برون مردرا * از درون جون رنك سرخ وزردرا * رنكهاى نيك ازخم صفاست * رنك زشتان از سياهابه جفاست * صبغة الله نام آن رنك لطيف * لعنة الله بود اين رنك كثيف * وفى قوله تعالى ونحن له عابدون اشارة الى ان العارفين يعبدون ربهم لا لشوق الجنة ولا لخوف النار قال الله تعالى فى الزبور ومن أظلم ممن عبدنى لجنة أو نار ولو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن مستحقا لان أعبد واعلم أن العابد هو العامل بحق العبودية فى مرضاة الله تعالى والعبادة دون العبودية وهى دون العبودة لان من لم يبخل بروحه فهو صاحب عبودة فالعبادة ببذل الروح فوق العبادة ببذل النفس قال سهل بن عبد الله لا يصح التعبد لاحد حتى لا يجزع من أربعة أشياء من الجوع والعرى والفقر والذل قال الشيخ أبو العباس رحمه الله أوقات العبد أربعة لا خامس لها الطاعة والمعصية والنعمة والبلية ولكل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله تعالى ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا والصبر فعليك أن تراقب الاوقات الى ان تصل أعلى الدرجات وغاية الغايات (وفى المثنوى) كافرم من كرزيان كردست كس * در ره ايمان وطاعت يكنفس * سرشكسته نيست اين سررا مبند * يك دو روزه جهد كن باقى بخند * تازه كن ايمان نه از كفت زبان * اى هوارا تازه كرده درنهان * تاهوا تازه است ايمان تازه نيست * كين هوا جز قفل آن دروازه نيست * (روى) أن السرى قدس سره قال مكثت عشرين سنة اخوف خلق الله تعالى فلم يقع فى شبكتى الا واحد كنت أتكلم فى المسجد الجامع ببغداد يوم الجمعة وقلت عجبت من ضعيف عصى قويا فلما كان يوم السبت وصليت الغداة اذا أنا بشاب قد وافى وخلفه ركبان على دواب بين يديه غلمان وهو راكب على دابته فنزل وقال ايكم السرى السقطى فأومأ جلسائى الى فسلم على وجلس وقال سمعتك تقول عجبت من ضعيف عصى قويا فما أردت به فقلت ما ضعيف أضعف من ابن آدم ولا قوى أقوى من الله تعالى وقد تعرض ابن آدم مع ضعفه الى معصية الله تعالى قال فبكى ثم قال ياسرى هل يقبل ربك غريقا مثلى قلت ومن ينقذ الغرقى الا الله تعالى قال ياسرى ان على مظالم كثيرة كيف أصنع قال اذا صححت الانقطاع الى الله تعالى أرضى عنك الخصوم بلغنا عن النبى عليه السلام انه قال اذا كان يوم القيامة واجتمع الخصوم على ولى الله وكل لكل منهم ملكا يقول لا تروعوا ولى الله فان حقكم اليوم على الله تعالى فبكى ثم قال صف لى الطريق الى الله فقلت ان كنت تريد طريق المقتصدين فعليك بالصيام والقيام وترك الآثام وان كنت تريد طريق الاولياء فاقطع العلائق واتصل بخدمة الخالق فبكى حتى بل منديلا له ثم انصرف وكان من أمره كيت وكيت من ترك الاهل والعيال والسكون عند المقابر وتغيرا لحال حتى توفى ذلك الشاب على الحالة التى أقبل عليها قال السرى فحلمت يوما عندى فاذا به رفل فى السندس والاستبرق يقول لى جزاك الله خيرا فقلت ما فعل الله بك قال أدخلنى الجنة ولم يسألنى عن ذنب انتهى (قل أتحاجوننا) المحاجة المجادلة ودعوى الحق واقامة الحجة على ذلك من كل واحد والهمزة للانكار والتوبيخ وسبب

نزول هذه الآية ان اليهود والنصارى قالوا ان الانبياء كانوا منا وعلى ديننا وديننا أقدم فقال الله تعالى قل يا محمد لليهود والنصارى أتحاجوننا وتخاصموننا (في الله) أي في دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وتارة كونوا هودا أو نصارى تهتدوا (وهو ربنا وربكم) أي والحال انه لا وجه للمجادلة أصلا لانه تعالى مالك أمرنا وأمركم (ولنا اعمالنا) الحسنة الموافقة لامره (ولكم اعمالكم) السيئة المخالفة لحكمه فكيف تدعون انكم أولى بالله (ونحن له) أي لله تعالى (مخلصون) في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه فأنى لكم المحاجة وادعاء حقية ما أنتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وأنتم به مشركون والاخلاص تصفية العمل عن الشرك والرياء وحقيقته تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين (ام تقولون) أم معادلة للهمزة في قوله تعالى أتحاجوننا داخلة في حيز الامر على معنى أي الامرين تأتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما أنتم عليه والحال ما ذكر أم التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون (ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهي حفدة يعقوب وهم أولاد أولاده الاثنى عشر وعن الزجاج انه قال الاسباط في ولد اسحق بمنزلة القبائل في ولد اسمعيل فولد كل واحد من ولد اسحق سبط ومن ولد اسمعيل قبيلة (كانوا هودا أو نصارى) فنحن مقتدون بهم والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما أي كيف تحاجون وكيف تقولون في حق الانبياء الذين بعثوا قبل نزول التوراة والانجيل انهم كانوا هودا أو نصارى ومن المحال ان يقتدى المتقدم بالمتأخر ويتدين بدينه (قل) يا محمد (أأنتم) الاستفهام للتقرير والتوبيخ (اعلم) بدينهم (ام الله) اعلم (ومن أظلم) انكار لان يكون احد أظلم فالاستفهام بمعنى النفي (ممن كتم) أي ستر وأخفى عن الناس (شهادة) ثابتة (عنده) أي عند من كائنة (من الله) قوله عنده ومن الله صفتان لشهادة أي شهادة حاصلة عنده صادرة من الله تعالى يعني يا أهل الكتاب قد علمتم بشهادة حصلت عندكم صادرة من الله تعالى بأن ابراهيم وبنيه كانوا حنفاء مسلمين بأن اخبركم الله بذلك في كتابكم ثم انكم تكتمونها وتدعون خلاف ما شهد الله به في حقهم فلا أحد أظلم منكم حيث اجترأتم على تكذيب الله تعالى فيما أخبر به وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان وعن ابن عباس اكبر الكبائر الاشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة قال تعالى ومن يكتمها فانه آثم قلبه والمراد مسخ القلب ونعوذ بالله من ذلك (وما الله بغافل عما تعملون) ما موصولة عامة لجميع ما يكتسب بالجوارح الظاهرة والقوى الباطنة ويدخل فيه كتمان شهادة الله دخولا اوليا أي هو محيط بجميع ما تأتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب (تلك امة) أي الانبياء جماعة (قد خلت) أي مضت بالموت (لها ما كسبت) من الاعمال (ولكم ما كسبتم) منها (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) أي لا يسأل احد عن عمل غيره بل يسأل عن عمله ويجزى به وهذا تكرير للآية السابقة بعينها للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم قال الله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب قيل لما انصرف هرون الرشيد من الحج أقام بالكوفة أياما فلما خرج وقف بهلول المجنون

على طريقه ونادامه بأعلى صوته ياهرون ثلاثا فقال هرون من الذى ينادينى فقيل له بهلول المجنون فوقف هرون وأمر برفع الستر وكان يكلم الناس وراء الستر فقال له ألم تعرفنى قال بلى اعرفك فقال من انا قال أنت الذى لو ظلم احد فى المشرق وانت فى المغرب سألك الله عن ذلك يوم القيامة فبكى هرون وقال كيف ترى حالى قال اعرضه على كتاب الله وهى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال واين اعمالنا قال انما يتقبل الله من المتقين قال واين قرابتنا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم قال وأين شفاعة رسول الله لنا قال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا فلا بد من الاعمال الصالحة والاخلاص فيها فان الله يتقبلها الا غيرها قال الجنيد الاخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله قال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك عنهما وفى التتارخانية لو افتتح للصلاة خالصا لله تعالى ثم دخل فى قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء على انه لو خلا عن الناس لا يصلى ولو كان من الناس يحسنها ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب اصل الصلاة دون الاحسان قال بعض الحكماء مثل من يعمل الطاعة للرياء والسمعة كمثل رجل يخرج الى السوق وقد ملأ كيسه حصا فيقول الناس ما املأ كيس فلان ولا منفعة له سوى مقالة الناس وفى الحديث أخلصوا اعمالكم لله تعالى فان الله تعالى لا يقبل الا ما خلص له ولا تقولوا هذا لله وللرحم وليس لله تعالى منه شىء ومن أحاديث المشارق لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله قال النووى المراد الذبح باسم غير الله كمن ذبح للصنم أو لموسى أو غيرهما ذكر الشيخ ابراهيم المراودى ان ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا اليه افتى أهل بخارى بتحريمه لانه مما أهل به لغير الله وقال الرافعى هذا غير محرم لانهم انما يذبحونه استبشارا بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب التحريم انتهى كلامه وعليه تحمل أفعال المسلمين صيانة لهم عن الكفر وضياع الاعمال فان الموحد مطمح نظره رضا مولاه والتعبد اليه بما تيسر له من القربات اللهم اعصمنا من الزلات (سيقول السفهاء) أى الذين ضعفت عقولهم حال كونهم (من الناس) أى الكفرة يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وانما كانوا سفهاء لانهم راغبون عن ملة ابراهيم وقد قال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه أى أذلها بالجهل والاعراض عن النظر وفائدة تقديم الاخبار به قبل وقوعه ليوطنوا عليه انفسهم فلا يضطربوا عند وقوعه لان مفاجأة المكروه اشد على النفوس وأشق وليعلمهم الجواب فان العتيد قبل الحاجة اليه اردّ لشغب الخصم الالد وقبل الرمى يراش السهم وهو مثل يضرب فى تهيئة الآلة قبل الحاجة اليها (ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها) ما استفهامية انكارية مرفوعة المحل على الابتداء وولاهم خبره والجملة فى موضع النصب بالقول يقال ولى عن ذلك أى انصرف وولى غيره أى صرفه والقبلة فى الاصل الحالة التى عليها الانسان من الاستقبال فنقلت فى عرف الشرع الى الجهة التى يستقبلها الانسان للصلاة وهى من المقابلة وسميت قبلة لان المصلى يقابلها والمعنى أى شىء صرفهم وحولهم عن قبلتهم التى كانوا على التوجه اليها وهى بيت المقدس ولم انصرفوا منها الى الكعبة روى أن النبى عليه السلام صلى الى نحو بيت المقدس

بعد

بعد مقدمه المدينة نحوا من سبعة عشر شهرا تألفا لقلوب اليهود ثم صارت الكعبة قبلة المسلمين الى نفخ الصور (قل) كأنه قيل فماذا أقول عند ذلك فقيل قل (لله المشرق والمغرب) أى الامكنة كلها والنواحى بأسرها لله تعالى ملكا وتصرفا فلا يستحق شئ منها لذاته ان يكون قبلة حتى يمتنع اقامة غيره مقامه والشئ من الجهات انما يصير قبلة بمجرد أن الله تعالى أمر بالتوجه اليها فله أن يأمر فى كل وقت بالتوجه الى جهة من تلك الجهات على حسب ألوهيته واستيلائه ونفاذ قدرته ومشيئته فانه لا يسأل عما يفعل بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فاللائق بالمخلوق ان يطيع خالقه ويأتمر بأمره من غير ان يتحرى خصوصية فى المأمور به زائدة على مجرد كونه مأمورا به فان الطاعة له ليس الا بارتسام أمره أى امتثاله لا بتحرى العلل والاغراض الداعية له تعالى الى الامر لان أحكام الله تعالى وأفعاله ليست معللة بالدواعى والاغراض واليهود انما استقبلوا جهة المغرب واتخذوها قبلة اتباعا لهوى أنفسهم حيث زعموا ان موسى عليه السلام كان فى جانب المغرب فأكرمه الله تعالى بوحيه وكلامه كما قال تعالى وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر والنصارى أيضا اتخذوا جهة المشرق قبلة اتباعا لهواهم حيث زعموا ان مريم عليها السلام حين خرجت من بلدها مالت الى جانب الشرق كما قال الله تعالى واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا والمؤمنون استقبلوا الكعبة طاعة لله تعالى وامتثالا لامره لا ترجيحا لبعض الجهات المتساوية بمجرد رأيهم واجتهادهم مع أنها قبلة خليل الله تعالى ومولد حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم (يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) وهو التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى ووجه استقامته كونه مشتملا على الحكمة والمصلحة موافقا لهما قال بعض أرباب الحقيقة سمى الطاعنين من اليهود والمشركين والمنافقين سفهاء لاحتجاب عقولهم عن حقيقة دين الاسلام ولو أدركوا الحق مطلقا لاخلصوه كما أخلص المؤمنون فلم تبق محاجتهم معهم ولو كانت عقولهم رزينة لاستدلت بالآيات وأنكروا التحويل لانهم كانوا معتقدين بالجهة فلم يعرفوا التوحيد الوافى بالجهات كلها (قال المولى الجامى) * جهات مرآت حسن شاهد ماست * فشاهد وجهه فى كل ذرات (وكذلك) اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة أى كما جعلناكم مهتدين الى الصراط المستقيم (جعلناكم) توحيد الخطاب فى كذلك مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين (أمة وسطا) أى خيارا لان الاوساط محمية محوطة والاطراف يتسارع اليها الخلل (لتكونوا شهداء على الناس) يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم (ويكون الرسول) أى محمد صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) ان قلت ان الشاهد اذا أضر بشهادته عديت الشهادة بكلمة على واذا نفع بها تعدى باللام فيقال شهد له والرسول عليه السلام لما زكى أمته وعدلهم بشهادته انتفعوا بها فالظاهر أن يقال ويكون الرسول لكم شهيدا بخلاف شهادة الامة على الناس فانها شهادة عليهم حيث استضروا بها فكلمة على فيها واقعة فى موضعها قلت هذا مبنى على تضمين الشهيد معنى الرقيب والمطلع فعدى تعديته والوجه فى اعتبار تضمين الشهيد الاشارة الى أن التعديل والتزكية انما يكون عن خبرة ومراقبة بحال الشاهد فاذا شاهد منه الرشد والصلاح عدله وزكاه وأثنى عليه والا يسكت عنه وقدمت صلة الشهادة أى عليكم لاختصاصهم

بشهادته صلى الله عليه وسلم على سبيل التزكية والتعديل وهو لا ينافي شهادته صلى الله عليه وسلم للانبياء بالتبليغ وعلى منكرى التبليغ بالتكذيب (روى) ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول للكفار الامم ألم يأتكم نذير فينكرون فيه ويقولون ماجاءنا من بشير ولا نذير فيسأل الانبياء عن ذلك فيه ويقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم اقامة للحجة فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانهم أتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد عليه الصلاة والسلام فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم فيؤمر بالكفار الى النار قال بعض أرباب الحقيقة معنى شهادتهم على الناس اطلاعهم بنور التوحيد على حقوق الاديان ومعرفتهم لحق كل دين وحق كل ذى دين من دينه وباطلهم الذى ليس حقهم الذى هو مخترعات نفوسهم وطريق الحق واحد فمن تحقق بحق دين تحقق بحق سائر الاديان وخاصة دين الاسلام الذى هو الحق الاعظم ومعنى شهادة الرسول عليهم اطلاعه على رتبة كل متدين بدينه وحقيقته التى هو عليها من دينه وحجابه الذى هو به محجوب عن كمال دينه فهو يعرف ذنوبهم وحقيقة ايمانهم وأعمالهم وحسناتهم وسيئاتهم واخلاصهم ونفاقهم وغير ذلك بنور الحق وأمته يعرفون ذلك من سائر الامم بنوره عليه الصلاة والسلام قال بعضهم جعلنا سبحانه وتعالى آخر الامم تشريفا لحبيبه وأمته لانه لو قدمنا لاحتجنا ان ننتظر في قبورنا قدوم الامم الماضية فجعلهم سبحانه وتعالى في انتظارنا تشريفا لنا وأيضا جعلنا آخر الامم لنكون يوم القيامة شهداء على جميع الامم الماضية ويكفي شرفا لهذه الامة المرحومة ما قال صلى الله عليه وسلم في حق علمائهم علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل وذكر الراغب الاصفهانى في المحاضرات انه قال الامام الشاذلى صاحب حزب البحر اضطجعت في المسجد الاقصى فرأيت في المنام قد نصب تخت خارج الاقصى في وسط الحرم فدخل خلق كثير أفواجا أفواجا فقلت ما هذا الجمع فقالوا جمع الانبياء والرسل قد حضروا ليشفعوا في حسين الحلاج عند محمد عليه أفضل الصلاة والسلام لاساءة أدب وقعت منه فنظرت الى التخت فاذا نبينا محمد عليه السلام جالس عليه بانفراده وجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام على الارض جالسون مثل ابراهيم وموسى وعيسى ونوح فوقفت انظر وأسمع كلامهم فخاطب موسى نبينا عليه الصلاة والسلام وقال له انك قد قلت علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل فأرنا منهم واحدا فقال هذا وأشار الى الامام الغزالى فسأله موسى سؤالا فأجابه بعشرة أجوبة فاعترض عليه موسى بأن السؤال ينبغى ان يطابق الجواب والسؤال واحد والجواب عشرة فقال الامام هذا الاعتراض وارد عليك أيضا حين سئلت وما تلك بيمينك يا موسى وكان الجواب عصاى فعددت صفات كثيرة قال فبينما أنا متفكر في جلالة قدر محمد عليه السلام وكونه جالسا على التخت بانفراده والخليل والكليم والروح جالسون على الارض اذ رفسنى شخص برجله رفسة مزعجة فانتبهت فاذا بقيم ثم غاب عنى فلم اجده الى يومى هذا ومن هذا قال

وانسب الى ذاته ما شئت من شرف * وانسب الى قدره ما شئت من عظم

اللهم يسر لنا شفاعته (وما جعلنا القبلة) مفعول اول لجعلنا (التى كنت عليها) مفعول ثان

له بتقدير موصوف أى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة لانه عليه السلام كان مامورا بان
يصلى الى الكعبة وهو بمكة ثم لما هاجر أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس التى منها يصعد
الملائكة الى السماء ثم اعيد الى ما كان عليه اولا والمعنى ما رددناك الى ما كنت عليه أى على
استقباله والتوجه اليه وما جعلنا ذلك لشئ من الاشياء (الا لنعلم من يتبع الرسول) فى التوجه
الى ما أمر به (ممن ينقلب) أى ينصرف ويرجع (على عقبيه) العقب مؤخر القدم والانقلاب
على العقبين مستعار للارتداد والرجوع عن الدين الحق الى الباطل ومعنى لنعلم ليظهر علمنا على
مظاهر الرسول والمؤمنين ويتميز عندهم الثابت على الاسلام الصادق فيه من المتردد الذى يرتد
بادنى سبب لقلقه وضعف ايمانه لا أنه لم يعلم حالهم فعلم لانه تعالى كان عالما فى الازل بهم وبكل حال
من أحوالهم التى تقع فى كل زمان من ازمنة وجودهم مقارنة للزمان الذى تقع فيه تلك الحال
وكل من يعلم شيأ فانما يعلم بان يظهر ذلك العلم فيه ويقرب من هذا ما قيل المعنى ليعلم رسول الله
والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه وأهل الزلفى عنده هذا هو المعنى الذى
اختاره القاشانى فى تأويلاته وزيف ما عداه والعلم فى قوله لنعلم بمعنى المعرفة أى لنعرف الذى
يتبع الرسول فلا يحتاج الى مفعول ثان فان قيل ان الله لا يوصف بالمعرفة فلا يقال الله عارف
فكيف يكون العلم بمعنى المعرفة هنا قلت انما لا يوصف بها اذا كانت بمعناها المشهور وهو
الادراك المسبوق بالعدم وأما اذا كانت بمعنى الادراك الذى لا يتعدى الى مفعولين فيجوز أن
يوصف الله بها وقوله ممن ينقلب حال من فاعل يتبع أى متميزا منه (وان كانت) أى القبلة
المحولة (لكبيرة) أى شاقة ثقيلة على من يألف التوجه الى القبلة المنسوخة فان الانسان ألوف
لما يعتوده يثقل عليه الانتقال منه وان هى المخففة من المثقلة واسمها محذوف وهو القبلة
واللام هى الفارقة بينها وبين النافية كما فى قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا (الا على الذين
هدى الله) أى هداهم الى حكمة الاحكام وأرشدهم وعرفهم أن ما كلفه عباده متضمن لحكمة
لا محالة وان لم يهتدوا الى خصوصية تلك الحكمة بعينها فتيقنوا بذلك ان السعيد الفائز من
اطاع ربه الحكيم وان الشقى الخاسر من عصى ربه العليم ثم بين انهم مثابون على ذلك الثبات
والاتباع وان ذلك غير ضائع منهم فقال (وما كان الله) مريدا (ليضيع ايمانكم) أى ثباتكم
على التصديق بجميع ما جاء به النبى عليه السلام من غير ان ترتابوا فى شئ من ذلك (ان الله
بالناس) متعلق برؤف (لرؤف) أى ذو رحمة عظيمة لهم حيث نقلهم برحمته من ذلك الى هذا
وهو أصلح لهم (رحيم) يغفر ذنوبهم بالايمان وايصال الرزق (قال السعدى) فرو ماندكانرا
برحمت قريب * تضرع كنانرا بدعوت مجيب * روى انه أخذ بعض امراء الكفار وكان جائرا
قاتلا فى زمن داود عليه السلام فصلب فوق الجبل عشاء ورجع الناس الى منازلهم وبقى هذا
على الخشبة وحده وتضرع الى آلهته فلم يغنوا عنه شيأ ثم رجع الى الله وقال انت الله الحق اتيت
اليك لتغيثنى فأغثنى برحمتك قال الله تعالى يا جبريل ان هذا عبد آلهته طويلا فلم ينتفع فنزع الىّ
ودعانى فاستجبت له فاهبط الى الارض وضعه على الارض فى سلامة وعافية ففعل فلما أصبحوا
رأوه وهو حى يصلى لله تعالى فأخبروا داود بذلك فدعا الله فيه مستكشفا سره فأوحى الله اليه
يا داود انى أرحم من آمن بى ودعانى فان لم أفعل فأى فرق بينى وبين آلهته * واعلم ان جماعة قد

ارتدوا عن الاسلام عند تحويل القبلة لتعلقهم بما سوى الله تعالى وعدم فنائهم فى الله ورضاهم بما يجىء عليهم من القضاء فأخذتهم الكدورة كالسيل وأما الذين سعدوا بسعادة أزلية فلم يتعلقوا فى الحقيقة ببيت المقدس ولا بالكعبة بل بالرب الخالق لهما ولغيرهما وفنوا عن ارادتهم فجاءت ارادة الله لهم كالشهد المصفى فأخذهم السرور والصفا (قال الصائب) مهماى فنارا از علايق نيست پروايى * نينديشد ز خار انكس كه دامان بر كردارد * ذكر ان أبا القاسم الجنيد البغدادى لما رأوه فى وادى الوله ظنوا انه مرض أو جن فجعلوه فى دار الشفاء فزاره بعض من يدعى حبه فقال لهم من أنتم فقالوا نحن أحباؤك فرماهم بالاحجار ففروا من عنده وقالوا قد غلب عليه الجنون فقال تدعون الحب بأفواهكم وقد تكذبها أفعالكم فالمحب من سره ما أصابه من الحبيب فلذلك قد عد أشد البلاء عند الانبياء والاولياء ألذ من الحلوى فاكتسوا حلل التسليم والاصطبار وغاصوا فى لجج المكاشفات والمشاهدات واشتغلوا مع الجنان واللسان بالتوحيد وذكر الملك المنان حتى عدوا الالتفات الى غيره ولو بأكل لقمة من الموانع فلذلك ارتقوا فى الفناء والبقاء الى غاية المبتغى ولما قال موسى عليه السلام رب أرنى انظر اليك قال ياموسى لن ترانى فى البساط الفانى اصبر حتى اجعلك باقيا حتى ترانى ياموسى رعيت غنم شعيب عشر سنين تريد أن ترانى بعبادة أربعين يوما ثم اصطفاه وأعطاه ما أعطاه فلما رجع الى قومه رأى فى الطريق الجبل الأعلى فسأل عنه متعجبا فقال الجبل ياموسى كنت ترعى الغنم فى وعلى رأسك قلنسوة وفى يدك عصا فوالله الذى اصطفاك برسالاته وبكلامه لقد جعلنى الاعلى بفضله وانعامه اللهم اجعلنا على صراطك المستقيم واتباع رسولك الكريم واهدنا التوجه الى كعبة ذاتك والانجذاب اليك والوصول الى مشاهداتك (قد) لفظ قد فى المضارع للتقليل وقد استعمل ههنا للتكثير بطريق الاستعارة للمجانسة بين الضدين فى الضدية (نرى) مستقبل لفظا ماض معنى ومتأخر تلاوة متقدم معنى لانها رأس القصة والمعنى شاهدنا وعلمنا (تقلب وجهك) أى تردد وجهك فى تصرف نظرك (فى السماء) أى فى جهتها تطلعا للوحى وكان عليه السلام يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة أبيه ابراهيم وأقدم القبلتين وأدعى للعرب الى الايمان من حيث انها كانت مفخرة لهم وأمنا ومزارا ومطافا ولمخالفة اليهود فانهم كانوا يقولون انه يخالفنا فى ديننا ثم انه يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر أين يستقبل فعند ذلك كره ان يتوجه الى قبلتهم حتى روى انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل وددت ان الله صرفنى عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبريل أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك فادع ربك وسله ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان يأتيه جبريل بالذى سأل ربه فأنزل الله هذه الآية وأول ما نسخ من المنسوخات هو خمسون صلاة نسخت الى خمس للتخفيف ثم تحويل القبلة الى بيت المقدس بمكة امتحانا للمشركين بعد أن كان للمصلى ان يتوجه حيث شاء لقوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله ثم تحويلها من بيت المقدس الى الكعبة بالمدينة امتحانا لليهود كذا فى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى (فلنولينك قبلة) أى فوالله لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا أى صيرته واليا له وولى الرجل ولاية أى تمكن منه أو فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس

من وليه وليا أى قربه ودنا منه وأوليته اياه ووليته أى أدنيته منه (ترضاها) مجاز عن المحبة والاشتياق لانه عليه السلام لم يكن ساخطا للتوجه الى بيت المقدس كارها له غير راض أى تحبها وتتشوق اليها لا لهوى النفس والشهوة الطبيعية بل لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أى اصرف وجهك أى اجعل وجهك بحيث يلى شطره ونحوه والمراد بالوجه ههنا جملة البدن لان الواجب على المكلف أن يستقبل القبلة بجملة بدنه لا بوجهه فقط ولعل تخصيص الوجه بالذكر التنبيه على انه الاصل المتبوع فى التوجه والاستقبال والمتبادر من لفظ المسجد الحرام هو المسجد الاكبر الذى فيه الكعبة والحرام المحرم أى المحرم فيه القتال أو الممنوع من الظلمة أن يتعرضوا له وفى ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة جهة الكعبة باتفاق بين الحنفية والشافعية لان استقبال عينها للبعيد متعذر وفيه حرج عظيم بخلاف القريب (وحيثما كنتم) أى فى أى موضع كنتم من الارض من بحر أو بر شرق أو غرب وأردتم الصلاة (فولوا وجوهكم شطره) فانه القبلة الى نفخ الصور أمر لجميع المؤمنين بذلك بعد ما أمر به النبى عليه السلام تصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد حثا للامة على المتابعة (وان الذين أوتوا الكتاب) من فريقى اليهود والنصارى (ليعلمون انه) أى التحويل الى الكعبة (الحق) أى الثابت كائنا (من ربهم) لما ان المسطور فى كتبهم انه عليه السلام يصلى الى القبلتين بتحويل القبلة الى الكعبة بعدما كان يصلى الى بيت المقدس ومعنى من ربهم أى من قبله تعالى لا شئ ابتدعه الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه فانهم كانوا يزعمون أنه من تلقاء نفسه (وما الله بغافل عما تعملون) خطاب للمسلمين واليهود جميعا على التغليب فيكون وعدا للمسلمين بالاثابة وجزيل الجزاء ووعيدا وتهديدا لليهود على عنادهم (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية) برهان قاطع على أن التوجه الى الكعبة هو الحق (ما تبعوا قبلتك) عنادا ومكابرة وهذا فى حق قوم معينين علم الله أنهم لا يؤمنون فان منهم من آمن وتبع القبلة (وما أنت بتابع قبلتهم) حسم لاطماعهم اذ كانوا تناجوا فى ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذى ننتظره وطمعوا فى رجوعه الى قبلتهم (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته فى عناده (ولئن اتبعت أهواءهم) جمع هوى وهو الارادة والمحبة أى ولئن وافقتهم فى مراداتهم بأن صليت الى قبلتهم مداراة لهم وحرصا على ايمانهم (من بعد ما جاءك من العلم) أى من بعد ما علمت بالوحى القاطع أن قبلة الله هى الكعبة (انك اذا) حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة (لمن الظالمين) أى المرتكبين الظلم الفاحش وهذه الجملة الشرطية الفرضية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فان من ليس من شأنه ذلك اذا نهى عنه ورتب على فرضه وقوعه ما رتب من الانتظام فى سلك الراسخين فى الظلم فما ظنك بمن ليس كذلك (قال فى المثنوى) تازه كن ايمان نه از كفت زبان * اى هوا را تازه كرده در نهان * تا هوا تازه است ايمان تازه نيست * كين

هوا بجو تفعل آن دروازه نيست (الذين آتيناهم الكتاب) اى علماؤهم ودراسة وهم الاحبار (يعرفونه) أى الرسول صلى الله عليه وسلم (كما يعرفون أبناءهم) أى يعرفونه صلى الله عليه وسلم بأوصافه الشريفة المكتوبة فى كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه أبناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يهم البنات لكون الذكور أشهر وأعرف عندهم منهن وهم بصحبة الآباء الزم وبقلوبهم ألصق فان قيل لم لم يقل كما يعرفون أنفسهم مع ان معرفة الشخص نفسه أقرب اليه من معرفة سائر الاشياء فالجواب ما قال الراغب لان الانسان لا يعرف نفسه الا بعد انقضاء برهة من دهره ويعرف ولده من حين وجوده (وان فريقا منهم) هم الذين كابروا وعاندوا الحق (ليكتمون الحق وهم يعلمون) أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الكعبة قبلة الله والباقون هم الذين آمنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه وأما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا علما فى تضاعيفه فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما كفرهم على وجه التقليد (الحق) الذى أنت عليه يا محمد (من ربك) خبر لقوله الحق (فلا تكونن من الممترين) أى الشاكين فى كون الحق من ربك هذا خطاب له صلى الله عليه وسلم والمقصود خطاب امته ونهيهم عن الامتراء ومعنى نهى الامة عن الامتراء أمرهم بضده الذى هو اليقين وطمأنينة القلب قال القشيرى حالهم مستكنات الحسد ومما الاختيار على مكابرة ما علموا بالاضطرار وكذلك المغمور فى ظلمات نفسه يلقى جلباب الحياء فلا ينجع فيه ملام ولا يرده عن انهماكه كلام قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى عند نا ثلاث مراتب احداها مرتبة التقليد وهى لعامة الناس والثانية مرتبة التحقيق والايقان وهى للمجتهدين كالائمة الاربعة ومن يحذو حذوهم والثالثة مرتبة المشاهدة والعيان فهى للكمل من أهل السلوك قالوا واذا لم تطهر النفس من الاخلاق الرديئة لا تحصل المعارف الالهية وان كان كاملا فى العقل والعلوم ألا يرى ان الشيطان مع عقله وعلمه كيف استكبر وعصى أمر الله تعالى لما فى نفسه من الكبر والحسد وكذلك حال أهل الكتاب فى أمر القبلة وشان النبى صلى الله عليه وسلم حيث لم ينفع العلم والمعرفة لخبث باطنهم فلا بد من تزكية النفوس وتصفية القلوب والاستقامة فى باب الحق الى أن يأتى اليقين (حكى) ان يونس خدم شيخه طريق أمره ثلاثين سنة بالصدق حتى تورم ظهره من نقل الحطب فلم يظهر وكان شيخه نظر له فنقل ذلك على سائر الطالبين وقالوا انه يخدم الشيخ على محبة بنته حتى تكلموا فى ذلك الشيخ فلما أتى بالحطب قال شيخه نعم الحطب المستقيم يا يونس فقال ان غير المستقيم لا يليق بهذا الباب وما تكلموا فى حقه ليس على وجه النفاق بل لما رأوا أنهم لا يتحملون ما يتحمل يونس أشكل عليهم الامر فحملوه على حب البنت وسؤال الشيخ أيضا وجواب يونس بهذا الوجه انما كان لارشادهم وازالة شبههم والا فالشيخ كان يعرف أحوال يونس ولم يحصل له سوء ظن من كلامهم لان من كان مرشدا لا يعرف حال المريد بكلام الغير فى المدح والذم ثم زوج الشيخ بنته له وقال حتى لا يكون الاخوان كاذبين ولا يحصل لهم الخجالة وكانت البنت متى قرأت القرآن يقف الماء فلم يمسها يونس الى آخر عمره وقال أنا لا أليق بها فالسالك فى مرتبة الطبيعة أن يترك مقتضاها ويقتصر على قدر الكفاية من الاكل والشرب ولا يتقيد بتدارك ما تشتهيه طبيعته فان الطريق خلافهما ومن تربية النفس أن يجتنب عن حب الاموال والاولاد فانهما

فتنة ومعينات لها على كبرها بكثرتهما وأكثر الانفس لا تحب صرفهما بل تدخرهما لتزداد
استكثارها وقد قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم فما دام لم تصلح
الطبيعة والنفس لا يصل الطالب الى مطلوبه ففى الحج اشارة الى ذلك فان قاصد البيت المكرم
يترك استراحة بدنه ويبذل ماله الى أن يصل الى مشاهدته فكذلك قاصد رب البيت يفنى عن
جميع ما سواه ويكون فى توجهه وحدانيا ولانيا حتى يشاهد ببصيرته ما يشاهد فالصلاة
مستقبلا الى شطر المسجد الحرام عين التوجه الى الذات الاحدية لان الكعبة مثال صورى
لحضرته تعالى وان المراد من الاستقبال اليها الاقبال اليه تعالى مع أنه لا يتقيد التوجه حقيقة
لكن الاستقبال صورة رعاية للادب ودور مع الامر الالهى فان لله تعالى فى كل شئ حكمة
ومصلحة ومن تخلص من القيود وانجذب الى الرب المعبود فقد تجلى له قوله فأينما تولوا فثم وجه
الله وظهر له سر الظاهر والمظهر * عاشق ديدار دل بر تاب * حضرت حق تعالى اندر خواب
* دامنش را كرفت آن مخمور * كه ندارم من از تو دست دكر * چون برآمد ز خواب خوش
درويش * ديد محكم كرفته دامن خويش * فطوبى لمن دار مع الامر الالهى وسلم من
الاعتراض وتخلص من الانقباض وفنى عن اضافة الوجود الى نفسه وبقى بربه وبكمالاته اللهم
اجعلنا من المهديين الى هذه الرتبة العظمى والكعبة العليا واصرفنا فى مسالكنا عن الانحراف
الى شئ من الآخرة والدنيا (ولكل) أى لكل أمة من الامم أعنى المسلمين واليهود والنصارى
(وجهة) أى قبلة وجهة (هو) راجع الى كل (موليها) أى محول وجهه الى تلك الجهة وجهه
فقبلة كل أمة من أهل الاديان المختلفة مغايرة قبلة الامة الاخرى (فاستبقوا الخيرات) أى
الى الخيرات بنزع الجار والمراد جميع أنواع الخيرات من أمر القبلة وغيره مما ينال به سعادة
الدارين والمعنى لكل أمة قبلة يتصلبون فى التوجه اليها بحيث لا ينصرفون عنها الى القبلة الحق
وان أتيتم بكل آية دالة على ان القبلة هى الكعبة واذا كان الامر كذلك فاستبقوا أنتم وبادروا
الى الفعلات الخيرات وهى ما ثبت أنه من الله تعالى ولا تقتفوا أثر المكابرين المستكبرين الذين
يتبعون أهواءهم ويلتوون الحق وراء ظهورهم فانهم انما يستبقون الى الشر والفساد اذ ليس
بعد الحق الا الضلال قال بعض أهل الحقيقة معناه كل قوم اشتغلوا بغيرنا عنا واقبلوا على غيرنا
فكونوا معاشر العارفين لنا واشتغلوا بنا عن غيرنا فان مرجعكم الينا كما قال تعالى (أينما) أى
فى أى موضع (تكونوا) أنتم وأعداؤكم (يأت بكم الله جميعا) يحشركم الله الى المحشر للجزاء
ويفصل بين المحق والمبطل فهو وعد لاهل الطاعة ووعيد لاهل المعصية (ان الله على كل شئ
قدير) فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع (ومن حيث خرجت) أى من أى مكان وبلد خرجت
اليه للسفر (فول وجهك) عند صلاتك (شطر المسجد الحرام) تلقاءه فان وجوب التوجه الى
الكعبة لا يتغير بالسفر والحضر حالة الاختيار بل الحكم فى الاسفار مثله فى حالة الاقامة بالمدينة
(وانه) أى هذا المأمور به وهو تحويل القبلة الى الكعبة (للحق من ربك) أى الثابت الموافق
للحكمة (وما الله بغافل عما تعملون) فيجازيكم بذلك أحسن جزاء فهو وعد للمؤمنين (ومن
حيث خرجت) اليه فى أسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة (فول وجهك شطر
المسجد الحرام وحيث ما كنتم) أيها المؤمنون من اقطار الارض مقيمين ومسافرين وصليتم

(فولوا وجوهكم) من محالكم (شطره) كرر هذا الحكم وهو التحويل وتولية الوجه شطر المسجد لما أن القبلة لها شأن خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة وتسويل الشيطان فبالحرى أن يؤكد أمرها مرة عقب أخرى مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) متعلق بقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت فى التوراة قبلته الكعبة واحتجاج العرب بأنه يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته وقوله عليكم فى الاصل صفة حجة فلما تقدم عليها امتنع الوصفية لامتناع تقدم الصفة على الموصوف فانتصب على الحالية (الا الذين ظلموا منهم) استثناء من الناس أى لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء ولا لاحد من العرب من أهل مكة الا للمعاندين منهم الذين قالوا بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها أخس الاباطيل لانهم كانوا يسوقونها مساقها ويوردونها موقعها فسميت حجة مجازا تهكما بهم (فلا تخشوهم) فلا تخافوهم فى توجهكم الى الكعبة وتظاهرهم عليكم بسببه فان مطاعنهم لا تضركم شيأ (واخشونى) بامتثال أمرى فلا تخالفوا أمرى وما رأيته مصلحة لكم فانى ناصركم (ولأتم نعمتى عليكم) علة لمحذوف أى أمرتكم بتولية الوجوه شطره لاتمامى النعمة عليكم لما أنه نعمة جليلة وما وقع من أوامر الله تعالى وتكاليفه وائتمار المكلف بالتوجه الى حيث وجهه الله تعالى وان كان نعمة يتوصل به الى الثواب الجزيل الا أن أمره تعالى بالتوجه الى قبلة ابراهيم تمام النعمة فى أمر القبلة فان القوم كانوا يفتخرون باتباع ابراهيم فى جميع ما كانوا يفعلونه فلما وجهوا الى قبلته بعد ما صرفوا عنها لمصلحة حادثة فقد أصابوا اتمام النعمة فى أمر القبلة فان نعمة الله تعالى على عباده ضربان موهوب ومكتسب فالموهوب نحو صحة البدن وسلامة الاعضاء وغيرهما والمكتسب نحو الايمان والعمل الصالح بامتثال الاوامر والاجتناب عن المناهى فان ذلك كله يؤدى الى سعادة الدارين (ولعلكم تهتدون) أى ولارادتى اهتداءكم الى شعائر الملة الحنيفية وشرائع الدين القويم (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) متصل بما قبله أى ولأتم نعمتى عليكم فى أمر القبلة اتماما كائنا كاتمامى اياها بارسال رسول كائن منكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم فان ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لم تكافئها نعمة قط (يتلوا عليكم آياتنا) وهو القرآن العظيم (ويزكيكم) أى يحملكم على ما تصيرون به أزكياء طاهرين من دنس الذنوب المكدرة لجوهر النفس لان شأن الرسل الدعوة والحث على أعمال يحصل بها طهارة نفوس الامة من الشرك والمعاصى لا تطهيرهم اياهم بمباشرتهم من أول الامر (ويعلمكم الكتاب) أى ما فى القرآن من المعانى والاسرار والشرائع والاحكام التى باعتبارها وصف القرآن بكونه هدى ونورا فانه عليه السلام كان يتلو عليهم ليحفظوا نظمه ولفظه فيبقى على ألسنة أهل التواتر مصونا من التحريف والتصحيف ويكون معجزة باقية الى يوم القيامة وتكون تلاوته فى الصلاة وخارجها نوعا من العبادة والقربة ومع ذلك كان يعلم ما فيه من الحقائق والاسرار ليهتدوا بهداه وأنواره (والحكمة) هى الاصابة فى القول والعمل ولا يسمى حكيما الا من اجتمع له الامران كذا قال

الامام من أحكمت الشئ أى رددته عما لايعنيه وكان الحكمة هى التى ترد عن الجهل والخطا واعلم ان العمل بالقرآن متفرع على معرفة معناه وهو متفرع على معرفة ألفاظه والتزكية غاية أخيرة لانها متفرعة على العمل لكنها اقدمت فى الذكر نظرا الى تقدمها فى التصور (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) قال الراغب ان قيل ما معنى ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون وهل ذلك الا الكتاب والحكمة قيل عنى بذلك العلوم التى لا طريق الى تحصيلها الا من جهة الوحى على على ألسنة الانبياء ولا سبيل الى ادراك جزئياتها وكلياتها الا به وعنى بالحكمة والكتاب ما كان للعقل فيه مجال فى معرفة شئ منه وأعاد ذكر ويعلمكم مع قوله مالم تكونوا تعلمون تنبيها على انه منفرد عن العلم المتقدم ذكره (فاذكرونى) بالطاعة لقوله عليه السلام من أطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وقراءته القرآن ومن عصى الله فقد نسى الله وان كثرت صلاته وصيامه وقراءته القرآن (أذكركم) بالثواب واللطف والاحسان وافاضة الخير وفتح أبواب السعادات وأطلق على هذا المعنى الذكر الذى هو ادراك مسبوق بالنسيان والله تعالى منزه عن النسيان بطريق المجاز والمشاكلة لوقوعه فى صحبة ذكر العبد (واشكروا لى) على ما أنعمت عليكم من النعم والذكر بالطاعة هو الشكر فقوله واشكروا لى أمر بتخصيص شكرهم به تعالى لاجل افضاله وانعامه عليهم وأن لا يشكروا غيره وجعل صاحب التيسير قوله تعالى فاذكرونى أمرا بالقول وقوله واشكروا لى أمرا بالعمل قال الراغب ان قيل ما الفرق بين شكرت لزيد وشكرت زيدا قيل شكرت له هو أن تعتبر احسانه الصادر عنه فتثنى عليه بذلك وشكرته اذا لم تلتفت الى فعله بل تجاوزت الى ذكر ذاته دون اعتبار أحواله وأفعاله فهو أبلغ من شكرت له وانما قال واشكروا لى ولم يقل واشكرونى علما بقصورهم عن ادراكه بل عن ادراك آلائه كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فأمرهم أن يعتبروا بعض أفعاله فى الشكر لله (ولا تكفرون) بجحد النعم وعصيان الامر فان قيل لم قال بعد واشكروا لى ولا تكفرون ولم يقتصر على قوله واشكروا لى قلنا لو اقتصر على قوله واشكروا لى لكان يجوز أن يتوهم أن من شكره مرة أو على نعمة ما فقد امتثل ولو اقتصر على قوله ولا تكفرون لكان يجوز أن يتوهم ان ذلك نهى عن تعاطى فعل قبيح دون حث على الفعل الجميل فجمع بينهما لازالة هذا التوهم ولان فى قوله ولا تكفرون تنبيها على ان ترك الشكر كفران فان قيل لم قال ولا تكفرون ولم يقل ولا تكفروا لى قيل خص الكفر به تعالى بالنهى عنه للتنبيه على أنه أعظم قباحة بالنسبة الى كفر نعمه فان كفران النعم قد يعفى عنه بخلاف الكفر به تعالى كذا فى تفسير الراغب الاصفهانى قال بعض العلماء لما خص الله هذه الامة بفضل قوة وكمال بصيرة بالنسبة الى بنى اسرائيل قال لهم يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم فأمرهم بذكر نعمه المنسية المغفول عنها لينظروا منها الى المنعم وقال لهذه الامة فاذكرونى فأمرهم أن يذكروه بلا واسطة لقوة بصيرتهم (قال الصائب) در سر هر خام طينت نشئهٔ منصور نيست * هر سفالى راصداى كاسهٔ فغفور نيست * قال الامام الغزالى الذكر قد يكون باللسان وقد يكون بالقلب وقد يكون بالجوارح فذكرهم اياه باللسان أن يحمدوه ويسبحوه ويمجدوه ويقرؤا كتابه وذكرهم اياه بقلوبهم على ثلاثة أنواع أحدها أن يتفكروا فى الدلائل الدالة على ذاته وصفاته ويتفكروا فى الجواب عن الشبه

المعارضة فى ملك الله وثانيها أن يتذكروا فى الدلائل الدالة على كيفية تكاليفه وأحكامه
وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده فاذا عرفوا كيفية التكليف وعرفوا ما فى الفعل من الوعد
وفى الترك من الوعيد سهل عليهم الفعل وثالثها أن يتفكروا فى أسرار مخلوقات الله تعالى حتى
يصير كل ذرة من ذرات المخلوقات كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم القدس فاذا نظر العبد اليها انعكس
شعاع بصره منها الى عالم الجلال وهذا المقام مقام لا نهاية له وأما ذكرهم اياه تعالى بجوارحهم
فهو أن تكون جوارحهم مستغرقة فى الاعمال التى أمروا بها وخالية عن الاعمال التى نهوا
عنها وعلى هذا الوجه سمى الله تعالى الصلاة ذكرا بقوله فاسعوا الى ذكر الله فصار الامر بقوله
اذكرونى متضمنا لجميع الطاعات ولهذا ذكر عن سعيد بن جبير أنه قال اذكرونى بطاعتى فأجمله
حتى يدخل فيه جميع أنواع الذكر وأقسامه انتهى كلام الامام قال لقمان لابنه يا بنى "اذا رأيت
قوما يذكرون الله تعالى فاجلس معهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك وان تك جاهلا علموك ولعل
الله يطلع عليهم برحمته فيصيبك معهم واذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس معهم فانك ان تك
عالما لا ينفعك علمك وان تك جاهلا يزيدوك جهلا أو غيا ولعل الله يطلع عليهم بسخطه فيصيبك
معهم اللهم اجعلنا من الذاكرين (يا أيها الذين آمنوا استعينوا) فى كل ما تأتون وما تذرون
(بالصبر) على الامور الشاقة على النفس كالصبر عن المعاصى وحظوظ النفس (والصلاة) التى
هى أم العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه
أمر فزع الى الصلاة وتلا هذه الآية وانما خص الصبر والصلاة بالذكر لان الصبر أشد الاعمال
الباطنة على البدن والصلاة أشد الاعمال الظاهرة عليه لانها مجمع أنواع الطاعات من الاركان
والسنن والآداب والحضور والخضوع والتوجه والسكون وغير ذلك مما لا يتيسر حفظه
الا بتوفيق الله تعالى قال عصام الدين وقدم الترك على الفعل لان التخلية قبل التحلية ولهذا قدم
النفى فى كلمة التوحيد واكتفى بذكر الصلاة لان الخطاب لكل من المؤمنين والمشترك بين
الجميع بعد الايمان الصبر عن المعاصى والصلاة وأما الزكاة فمختصة بأصحاب النصاب وأما الحج
فبأصحاب الاستطاعة والصوم صبر عن معصية الاكل والشرب وغيرهما (ان الله مع الصابرين)
بالنصرة واجابة الدعوة فهى المعية الولاية الدائمة المستتبعة لهما ودخول مع على الصابرين
لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية قال عصام الدين فى التفسير
الاجل "ان الله مع الصابرين" لان الصابرين لا يذهلون عن ذكره بخلاف المجتنبين عن الصبر فان
قلوبهم لاهية عن ذكر الله والقلب اللاهى عنه ممتلئ من هموم الدنيا وان كانت الدنيا بأسرها له
انتهى كلامه ان قيل لم قال ان الله مع الصابرين ولم يقل مع المصلين وقال فى الآية الاخرى
واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة فاعتبر الصلاة دون الصبر قيل لما كان فعل الصلاة
أشرف وأعلى من الصبر اذ قد ينفك الصبر عن الصلاة ولا تنفك الصلاة عن الصبر ذكر ههنا
الصابرين فمعلوم أنه تعالى اذا كان مع الصابرين فهو لا محالة يكون مع المصلين بطريق الاولى
وقال هناك لكبيرة فذكر الصلاة دون الصبر تنبيها على أنها أشرف منزلة من الصبر * واعلم
ان الصبر الذى هو تحمل المشاق من غير جزع واضطراب ذريعة الى فعل كل خير ومبدأ كل فضل
فان أول التوبة الصبر عن المعاصى وأول الزهد الصبر عن المباحات وأول الارادة الصبر وطلب

ترك

تركه ما سوى الله تعالى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد
وقال الصبر خير كله فمن تحلى بحلية الصبر سهل عليه ملابسة الطاعات والاجتناب عن المنكرات
وكذا الصلاة قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر * صبر كن حافظ بسختى
روز وشب * عاقبت روزى بيابى كام را * وفى الحديث اذا جمع الله الخلائق نادى مناد أين
أهل الفضل قال فيقوم ناس وهم يسيرون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم
سراعا الى الجنة فمن أنتم قالوا نحن أهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم قالوا كنا اذا ظلمنا صبرنا
واذا أسيء الينا عفونا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم ينادى مناد أين أهل الصبر
فيقوم ناس يسيرون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فمن
أنتم فيقولون أهل الصبر فيقولون ما كان صبركم قالوا كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصى
الله فيقال لهم ادخلوا الجنة ثم ينادى مناد أين المتحابون فى الله فيقوم ناس يسيرون سراعا
الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون من أنتم فيقولون نحن المتحابون فى الله فيقولون
وما كان تحابكم فى الله قالوا كنا نتحاب فى الله والجنة كذا فى زهرة القلوب (ولا تقولوا) نزلت
فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وكان الناس
يقولون لمن يقتل فى سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فأنزل الله تعالى ولا تقولوا
(لمن يقتل) القتل نقض البنية الحيوانية (فى سبيل الله) وهو الجهاد لانه طريق الى ثواب الله
ورحمته (أموات) أى هم أموات (بل أحياء) أى كالاحياء فى الحكم لا ينقطع ثواب أعمالهم
لانهم قتلوا لنصرة دين الله فما دام الدين ظاهرا فى الدنيا وأحد يقاتل فى سبيل الله فلهم ثواب ذلك
لانهم سنوا هذه السنة (ولكن لا تشعرون) كيف حالهم فى حياتهم وفيه رمز الى انها ليست
مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة الجسمانية وانما هى أمر روحانى لا يدرك بالعقل بل
بالوحى وفى الآية دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس به من البدن
تبقى بعد الموت دراكة وعليه الجمهور فان قلت الحياة الروحانية المستتبعة لادراك اللذة والالم
مشتركة فى الجميع فما وجه تخصيص الشهداء بها قلت لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى
ومزيد البهجة والكرامة ومن لم يبلغ منزلتهم لا تكون حياته معتدا بها فكأنه ليس بحى قال
تعالى فى حق أهل النار لا يموت فيها ولا يحيى واعلم ان نفس الانسان وذاته الذى هو مخاطب
مكلف مأمور منهى بأوامر الله ونواهيه جسمانى لطيف سار فى هذا البدن المحسوس سريان
النار فى الفحم وماء الورد فى الورد وهو الذى يشير اليه كل أحد بقوله انا وهو الانسان حقيقة
وهو الولى والنبى والمثاب والمعاقب على أعماله وهو كان فى صلب آدم حين سجد له الملائكة وهو
الذى سأله الله بقوله ألست بربكم قالوا بلى وهو الذى يتوفى فى المنام ويخرج ويسرح ويرى
الرؤيا فيسر بما يرى أو يحزن فان أمسكه الله ولم يرجع الى جسده تبعه الروح والجسد الكثيف
المعبر عنه بالبدن والروح السلطانى محل تعينه هو القلب الصنوبرى والروح الحيوانى محل
تعينه هو الدماغ ويقال له القلب والعقل والنفس أيضا سرى فى جميع أعضاء البدن الا أن
سلطانه قوى فى الدماغ فهو أقوى مظاهره وهو أى الروح الحيوانى انما حدث بعد تعلق الروح
السلطانى بهذا الهيكل فهو من انعكاس أنوار الروح السلطانى ليكون مبدأ الافعال

لان الحياة أمر مغيب مستور في الحي لا يعلم الا بآثارها كالحس والحركة والعلم والارادة
وغيرها وهذا يدور على الروح الحيواني فما دام هذا البخار باقيا على الوجه الذي يصلح أن يكون
علاقة بينهما فالحياة قائمة وعند انطفائه وخروجه عن الصلاحية له تزول الحياة ويخرج الروح
من البدن خروجا اضطراريا وهو الموت الحقيقي وكما يخرج الروح من البدن خروجا اضطراريا
كذلك قد يخرج منه خروجا اختياريا ويعود اليه متى شاء وهو الذي سماه الصوفية بالانسلاخ
فقد عرفت من هذا أن مذهب أهل السنة والجماعة ان الروح جسم لطيف مغاير لهذا الهيكل
المحسوس وانكشف لك حال الروح ووقفت على أسرار البرزخ وأحوال القبر وما فيه من
الالم واللذة الجسمانيين وانحل عندك وجه كونه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر
النيران فالشهداء أحياء بالحياة البرزخية متنعمون لانهم أجسام لطيفة كالملائكة فانهم
موجودون أحياء قال المولى الفنارى في تفسير الفاتحة كل نعيم يتنعم به الصديقون والشهداء
والصالحون في البرزخ خيالي وكذا كل عذاب يتألم به الجهنميون ومصداق ذلك أنه اذا نفخ
في الصور وبعث الخلق ينسى كل واحد منهم حاله في البرزخ ويتخيل أن ذلك الذي كان فيه منام
كما تخيله المستيقظ وقد كان حين مات وانتقل الى البرزخ كالمستيقظ هناك وان الحياة الدنيا
كانت له كالمنام وفي الآخرة يعتقد في أمر الدنيا والبرزخ أنه منام في منام وأن اليقظة الصحيحة
هي التي هو عليها في الدار الآخرة حيث لا نوم فيها ولا نوم بعدها انتهى كلامه قال في أسئلة الحكم
ان امور البرزخ والآخرة على النمط الغير المألوف في الدنيا والارواح بعد الموت ليس لها نعيم
ولا عذاب حسي جسماني لكن ذلك نعيم أو عذاب معنوي حتى تبعث أجسادها فترد اليها
فتنعم عند ذلك حسا ومعنى ألا ترى الى بشر الحافي قدس سره لما رؤي في المنام قيل له ما فعل
الله بك فقال غفر لي وأباح لي نصف الجنة يعني روحه متنعمة بالجنة بما يليق بها في مقامه
والنصف الآخر هو الجنة التي يدخلها ببدنه اذا حشر فيكمل النعيم بالنصف الآخر والاكل
الذي رآه الميت بعد موته في البرزخ هو كالاكل الذي يراه النائم في النوم والتنعم به مثل التنعم به
سواء كما قال عليه السلام اني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني وكذلك كل شخص غير أن الفرق
بين الرسول وغيره في هذه الصورة أن جسم النبي يبيت جائعا ويستيقظ وهو شبعان وغير النبي
يأكل في منامه وهو جائع ويستيقظ وهو كذلك واذا رأى الولي الوارث ذلك وقد وجد
أثر الشبع أو الري فذلك من أجزاء النبوة التي وردت في الميراث اذ الرؤيا جزء من ستة وأربعين
جزأ من النبوة وقد رأى ذلك كثير من الاولياء وأصبحوا وعليهم رائحة الطعام الذي أكلوه
وشبعوا فهذه وراثة نبوية فقوله عليه السلام اني لست كهيئتكم باعتبار الغالب لا باعتبار
الكل فتنعم الشهداء في البرزخ بمرتبة تنعم الولي الوارث في المنام فافهم هذا المقام فان الجسم
المبحوث عنه ههنا هو الجسم اللطيف وتنعم بما يليق بمرتبته في البرزخ سواء عبرت عنه بالخيالي
أو بالمعنوي أو بالجسماني أي المنسوب الى الجسم اللطيف لا الكثيف فان اللذة الجسمانية
المتعلقة بالجسد الكثيف حال الدنيا لا غير قيل يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم
من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وفي التأويلات النجمية الاشارة لا تحسبوا
من قتل من أهل الجهاد الاكبر بسيف جلال الله في سبيل الله بالفناء في الله أمواتا ان

فنيت

فنيت أوصاف وجودهم فانهم أحياء بشهوده وجدهم ومن كان فناؤه فى الله كان بقاؤه بالله
فتارة يفنيهم بسطوات تجلى صفات الجلال وتارة يحييهم بنفحات ألطاف الجمال فانهم يسرحون
فى رياض الجمال ولكن لا تشعرون بأحوالهم ولا تطلعون عليها قال القشيرى لئن فنيت فى الله
أشباحهم لقد بقيت بالله أرواحهم وقال الجنيد من كانت حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه
ومن كانت حياته بربه فانه ينتقل من حياة الطبع الى حياة الاصل وهو الحياة الحقيقية (وفى
المثنوى) مى كند دندان بدرا آن طبيب * تارهد از درد و بيمارى حبيب * پس زيادتها درون
نقصهاست * مر شهيدانرا حيات اندر فناست * كر يكى سر را ببرد از بدن * صد هزاران
سر برارد در زمن * حلق ببريده خورد شربت ولى * خلق از لا رسته مرده در بلى (ولنبلونكم)
اللام جواب قسم محذوف أى والله لنعاملنكم معاملة المبتلى هل تصبرون على البلاء وتستسلمون
للقضاء او لا اذ البلاء معيار كالمحك يظهر به جوهر النفس وذلك لنظهر لكم منكم المطيع والعاصى
لا لنعلم شيأ لم نكن عالمين به (بشئ من الخوف) أى بقليل من خوف الاعداء وانما قلله لان
ما وقاهم منه أكثر بالنسبة الى ما اصابهم بألف مرة (و) شئ من (الجوع) أى القحط والسنة
وانما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ويسهل لهم الصبر عليه فان مفاجأة المكروه
أشد على النفس من اصابته مع ترقبه (ونقص من الاموال) عطف على شئ أى وبنقص شئ قليل
من ذلك بالسرقة والاغارة وأخذ السلطان والهلاك والخسران (والانفس) أى بالقتل والموت
أو بالمرض والشيب (والثمرات) أى وذهاب ثمرات الكروم والاشجار بالبرد والسموم والريح
والجراد وغيرها من الآفات وقد يكون نقص الثمرات بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن
الشافعى رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكاة
والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وفى الحديث اذا مات ولد
العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون
نعم فيقول الله ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه
بيت الحمد قال بعض أهل المعرفة مطالبات الغيب اما ان تكون بالمال أو بالنفس أو بالاقارب
أو بالقلب أو بالروح فمن أجاب بالمال فله النجاة ومن أجاب بالنفس فله الدرجات ومن صبر على
فقد الاقارب فله الخلف والقربات ومن لم يؤخر عنه الروح فله دوام المواصلات (وبشر)
الخطاب للرسول أو لمن يتأتى منه البشارة لتعظيم الصبر وتفخيمه لانه فضيلة عظيمة الثواب
وخصلة من خصال الانبياء والاولياء فيستحق صاحبه ان يبشره كل أحد (الصابرين) على
البلايا (الذين اذا أصابتهم) الاصابة ضد الخطا (مصيبة) هى ما يصيب الانسان من مكروه
لقوله عليه السلام كل شئ يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وأصلها الوصول من صاب السهم المرمى
وأصابه وصل اليه (قالوا انا لله) أى نحن عبيد الله والعبد وما فى يده لمولاه فان شاء أبقاه فى أيدينا
وان شاء استرده منا فلا نجزع مما هو ملكه بل نصبر فان عشنا فعليه رزقنا وان متنا فانا اليه
راجعون واليه مردنا وعنده ثوابنا ونحن راضون بحكمه فما أعطانا ربنا كان فضلا منه ولا يليق
بكرمه الارتجاع فى عطاياه وانما أخذه ليكون ذخيرة لنا عنده فقولنا انا لله اقرار منا له تعالى بالملك
(وانا اليه راجعون) اقرار على أنفسنا بالهلاك وقيل الرجوع اليه تعالى ليس عبارة عن الانتقال

الى مكان وجهة فان ذلك على الله محال بل المراد منه أن يصير الى حيث لا عالك الحكم فيه سواه
وذلك هو الدار الآخرة اذ لاحاكم فيها حقيقة وبحسب الظاهر الا الله تعالى بخلاف دار الدنيا
فان غير الله قد يملك الحكم فيها بحسب الظاهر وقول المصاب عند مصيبته انا لله وانا اليه
راجعون له فوائد منها الاشتغال بهذه الكلمة عن كلام لا يليق ومنها انها تسلى قلب المصاب
وتقلل حزنه ومنها انها تقطع طمع الشيطان فى أن يوافقه فى كلام لا يليق ومنها انه اذا سمعه غيره
اقتدى به ومنها انه اذا قال ذلك بلسانه يتذكر بقلبه الاعتقاد الحسن والتسليم لقضاء الله وقدره
فان المصاب يدهش عند المصيبة فيحتاج الى ما يذكر له التسليم المذكور وفى الحديث ما من مصيبة
تصيب عبدا فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيرا منها الا
آجره الله فى مصيبته وأخلف له خيرا منها قال سعيد بن جبير ما أعطى أحد فى المصيبة ما أعطى هذه
الامة يعنى الاسترجاع ولو أعطيها أحد لاعطى يعقوب ألا تسمع الى قوله فى قصة فقد يوسف يا أسفا
على يوسف وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بأن يتصور ما خلق لاجله وهو الانقياد
لله تعالى فى جميع ما كلفه به من التكاليف والتسليم لقضاء الله وقدره فى جميع ما أخذه وأعطاه
فان من اختص لله تعالى ملكا وملكا كيف ينازعه فى ملكه ولا يرضى بقضائه وملاحظة ان
ما فى عالم الملك كله لله تعالى تذكر نعم الله وتذكرها يستلزم العلم بأن ما أبقى عليه أضعاف ما استرده
منه والمبشر به محذوف دل عليه قوله تعالى (أولئك) أى الصابرون الموصوفون بما ذكر
(عليهم صلوات) كائنة (من ربهم ورحمة) أى رحمة ووجه الجمع فى الصلوات الدلالة على الكثرة
والتكرير واستغنى بتكثير التعظيم فى رحمة عن ايرادها بلفظ الجمع ويندرج فى رحمته تعالى ايصال
المسار ودفع المضار فى الدنيا والآخرة وجمع بين الصلاة والرحمة للايذان بأن رحمته غير منقطعة
فالمعنى عليهم فنون الرحمة المتوالية الفائضة من مالك أمورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم
قال بعضهم الصلاة من الله المدح والثناء والتعظيم والرحمة اللطف والاحسان فلا تكرار
(وأولئك هم المهتدون) المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا
لقضاء الله تعالى وعن ابن مسعود رضى الله عنه لان أخر من السماء أحب الى من أن أقول فى
شئ قضاه الله ليته لم يكن وقال على رضى الله عنه من ضرب بيده على فخذه عند مصيبة فقد حبط
أجره أى بطل ثوابه قيل المكاره التى تصيب الانسان اذا أصابته من قبل الله تعالى يجب الصبر
عليها لان ما جاء من جهة العدل الحكيم ليس الا مقتضى عدله وحكمته فيجب عليه أن يرضى لعلمه
بأنه تعالى لا يقضى الا بالحق وان أصابته من جهة الظلمة فلا يجب عليه أن يصبر عليها بل جاز له
أن يمانعه بل يحاربه وان قتل بمحاربته يكون شهيدا واعلم أن البلاء سبب للتصفية كما قال عليه
السلام ما أوذى نبى مثل ما أوذيت أى ما صفى نبى مثل ما صفيت والوفاء والجفاء سيان عند
العشاق (كما قال) صائب شكايت از ستم يار چون كند * هرجا كه عشق هست وفا و جفا
يكيست * قال الحسن رضى الله عنه سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا بنى
عليك بالقنوع تكن من أغنى الناس وأداء الفرائض تكن من أعبد الناس يا بنى ان فى الجنة
شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا ينشر لهم ديوان ولا ينصب لهم
ميزان يصب عليهم الاجر صبا ثم قرأ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ولو لم يكن فى الصبر الا

حكاية الطير الذي في عهد سليمان عليه السلام انكى وذلك ان طيرا في عهد سليمان عليه السلام كان له صوت حسن وصورة حسنة اشتراه رجل بألف درهم وجاءه طير آخر فصاح صيحة فوق قفصه وطار فسكت الطير وشكا الرجل الى سليمان عليه السلام فقال أحضروه فلما أحضروه قال سليمان عليه السلام لصاحبك عليك حق حتى اشتراك بثمن غال فلم سكت فقال يا نبي الله قل له حتى يرفع قلبه عني اني لا أصيح أبدا مادمت في القفص قال لم قال لان صياحي كان من الجزع الى الوطن والاولاد وقال لي ذلك الطير انما حبسك لاجل صوتك فاسكت حتى تنجو فقال سليمان عليه السلام للرجل ما قال الطير فقال الرجل أرسله يا نبي الله فاني كنت أحبسه لصوته فأعطاه سليمان عليه السلام ألف درهم ثم أرسل الطير فطار وصاح سبحان من صورني وفي الهواء طيرني ثم في القفص صبرني ثم قال سليمان عليه السلام ان الطير ما دام في الجزع لم يفرج عنه فلما صبر فرج عنه ومثل هذا في الحقيقة اشارة الى الفناء عن أوصاف النفس فان المرء ما لم يمت باختياره قبل اضطراره لا يصل الى الحياة الحقيقية (قال في المثنوى) دانه باشى مرغكانت برچنند * غنچه باشى كودكانت بركنند * هركه داد او حسن خود را در مزاد * صد قضاى بد سوى او رو نهاد * تن قفص شكلست وتن شد خار جان * در فريب داخلان وخارجان * قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندى قدس سره لا بد من نفى الانية واضمحلال الوجود في بحر الوجود الحقيقي حتى يتم المقصود ويحصل (قال الصائب) ترك هستى كن كه آسوده ست از تاراج سيل * هركه پيش از سيل رخت خود برون از خانه ريخت * قال حضرة الشيخ الشهير افتاده أفندى قدس سره العبور عن المراتب محله مرتبة يقال لها وادى الحيرة يعرف السالك فيها مطلوبه ولكن لا يقدر على الوصول فيه ويقع في ذلك الوادى بالحيرة والحرارة ويحرق الآنية تلك الحرارة ويقال له وادى الحيرة لان السالك يتحير ولا يقدر على الذهاب والرجوع وقوله عليه السلام اللهم زدني حيرة اشارة الى ذلك وتلك المرتبة لا تتيسر لكثير والعبور عنها لا يمكن الا بارشاد مرشد كامل اللهم هيئنا لتجليات أسمائك وصفاتك وأفض علينا من كمالات مشاهدات كمال ذاتك (ان الصفا) علم لجبل بمكة وسمى الصفا لانه جلس عليه آدم صفى الله (والمروة) علم لجبل في مكة أيضا وسمى المروة لانه جلست عليه امرأة آدم حواء عليهما السلام (من شعائر الله) جمع شعيرة بمعنى العلامة أي من أعلام طاعة الله فان كل واحد من المواقف والمساعى والمنحر جعله الله تعالى علامة لنا نعرف به العبادة المختصة به (روى) انه كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له اساف وصنم على المروة على صورة امرأة يقال لها نائلة روى انهما كان رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان أهل الجاهلية اذا سعوا بين الصفا والمروة مسحوهما تعظيما لهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لانه فعل الجاهلية فأذن الله تعالى في الطواف بينهما وأخبر أنهما من شعائر الله والحكمة في شرعية السعى بين الصفا والمروة ما حكى ان هاجر لما ضاق عليها الامر في عطشها وعطش اسمعيل سعت في هذا المكان الى أن صعدت الجبل ودعت فأنبع الله لها زمزم وأجاب دعاءها فجعلها طاعة لجميع المكلفين الى يوم القيامة وفي الخبر الصفا والمروة بابان من الجنة وموضعان من مواضع الاجابة ما بينهما قبر سبعين ألف نبي وسعيهما

يعدل سبعين رقبة (فمن حج البيت أو اعتمر) الحج فى اللغة القصد والعمرة الزيارة وفى الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة (فلا جناح عليه) أى لا اثم عليه وأصله من جنح أى مال عن القصد والميل الى الشر (أن يطوّف بهما) أى فى أن يطوف بهما ويدور فأزال عنهم الجناح لانهم توهموا أن يكون فى ذلك جناح عليهم لاجل فعل الجاهلية وهو لا ينافى كون هذا الطواف واجبا كما عند الحنفية لان قولنا لا اثم فى فعل أمر كذا يصح اطلاقه على الواجب وأصل يطوّف يتطوّف وفى ايراد التفعل ايذان بأن حق الطائف أن يتكلف فى الطواف ويبذل فيه جهده (ومن تطوّع خيرا) أصل التطوّع الفعل طوعا لا كرها كأنه قيل من فعل أو أتى ما يتقرب به طائعا فانتصب خيرا بتضمين تطوّع فعلا يتعدى بنفسه أو التطوّع بمعنى التبرّع من قولهم طاع يطوع أى تبرّع فكأنه قيل من تبرّع بما لم يفرض عليه من القربات مطلقا فانتصاب خيرا حينئذ على اسقاط حرف الجر أى من تطوّع تطوّعا بخير (فان الله شاكر) له أى مجاز بعمله فان الشاكر فى وصف الله تعالى بمعنى المجازى على الطاعة بالاثابة عليها قال ابن التمجيد فى حواشيه الشكر من الله بمعنى الرضا عن العبد والاثابة لازم الرضا والرضا ملزوم الشكر فالشكر مجاز فى معنى الرضا ثم التجوّز منه الى معنى الاثابة مجاز فى المرتبة الثانية (عليم) بطاعة المتطوّع ونيته فيها وفى الآية حث على نوافل الطاعات كما على فرائضها فمن أتى بنافلة واحدة فان الله شاكر عليم فكيف بأكثر منها فبالصوم تحصيل قهر النفس وبالزكاة تزكيتها وبالصلاة المعراج الروحانى وبالحج الوصول وعن سفيان الثورى قال حججت سنة ومن رأيى أن أنصرف من عرفات ولا أحج بعد هذا فنظرت فى القوم فاذا أنا بشيخ متكئ على عصاه وهو ينظر الىّ مليا فقلت السلام عليك يا شيخ قال وعليك يا سفيان ارجع عما نويت فقلت سبحان الله من أين تعلم نيتى قال ألهمنى ربى فوالله لقد حججت خمسا وثلاثين حجة وكنت واقفا بعرفات ههنا فى الحجة الخامسة والثلاثين أنظر الى هذه الزحمة وأتفكر فى أمرى وأمرهم ان الله هل يقبل حجهم وحجى فبقيت متفكرا حتى غربت الشمس وأفاض الناس من عرفات الى مزدلفة ولم يبق معى أحد وجن الليل ونمت تلك الليلة فرأيت فى النوم كأن القيامة قد قامت وحشر الناس وتطايرت الكتب ونصبت الموازين والصراط وفتحت أبواب الجنان والنيران فسمعت النار تنادى وتقول اللهم وفق الحاج حرى وبردى فنوديت يا نار سلى غيرهم فانهم ذاقوا عطش البادية وحر عرفات وقوا عطش القيامة ورزقوا الشفاعة فانهم طلبوا رضاى بأنفسهم وأموالهم قال الشيخ فانتبهت وصليت ركعتين ثم نمت ورأيت كذلك فقلت فى نومى هذا من الرحمن أو من الشيطان فقيل لى بل من الله مد يمينك فمددت فاذا على كفى مكتوب من وقف بعرفة وزار البيت شفعته فى سبعين من أهل بيته قال سفيان وأرانى المكتوب حتى قرأته ثم قال الشيخ فلم تمر علىّ منذ حينئذ سنة الا وأنا حججت حتى تم لى ثلاث وسبعون حجة كذا فى زهرة الرياض قال فى الاشباه والنظائر بناء الرباط بحيث ينتفع به المسلمون أفضل من الحجة الثانية والحج تطوّعا أفضل من الصدقة النافلة وحج الفرض أولى من طاعة الوالدين بخلاف النفل وحج الغنى أفضل من حج الفقير لان الفقير يؤدى الفرض من مكة وهو متطوّع فى ذهابه وفضيلة الفرض أفضل من فضيلة التطوّع فعلى العاقل أن يقصد بيت الله ويزوره فان لم يساعده المال فلتساعده الهمة والحال فان المعتبر هو توجه القلب الى جانب

الغيب لا بمجرد توجه القالب (قال فى المثنوى) ميل تو سوى مغيلانست وريك * تا چه كل چينى زخار مرده ريك * وفى التأويلات القاشانية ان الصفا وجود القلب والمروة وجود النفس من أعلام دين الله ومناسكه القلبية كاليقين والتوكل والرضا والاخلاص والنفسية كالصبر والشكر والذكر والفكر فمن حج البيت أى بلغ مقام الوحدة الذاتية ودخل الحضرة الالهية بالفناء الكلى الذاتى أو اعتمر زار الحضرة بالبلوغ الى مقام المشاهدة بتوحيد الصفات والفناء فى أنوار تجليات الجمال والجلال فلا حرج عليه حينئذ فى أن يطوف بهما أى يرجع الى مقامهما ويتردد بينهما لا بوجودهما التلوينى فانه جناح وذنب بل بالوجود الموهوب الحقانى بعد الفناء عند التمكين ولهذا نفى الجناح فان فى هذا الوجود سعة بخلاف الاول ومن تطوع خيرا أى ومن تبرع خيرا من باب التكميل والتعليم والارشاد وشفقة الخلق فى مقام القلب ومن باب الاخلاق وطرف البر والتقوى ومعاونة الضعفاء والمساكين وتحصيل الهمم فى مقام النفس بعد كمال السلوك حال البقاء بعد الفناء فان الله شاكر عمله بثواب المزيد عليم بأنه من باب التصرف فى الاشياء بالله لا من باب التلوين والابتلاء والفترة انتهى كلام القاشانى

يا خفى الذات محسوس العطا * أنت كالماء ونحن كالرحا
أنت كالريح ونحن كالغبار * يختفى الريح وغبراه جهار

(ان الذين يكتمون) الآية نزلت فى رؤساء اليهود وأحبارهم أو فى كل من كتم شيأ من أحكام الدين وهو الاقرب لان اللفظ عام وعموم الحكم لا يأبى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشئ قصدا مع الحاجة اليه وحصول الداعى الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شئ آخر فى موضعه وهو الذى فعله هؤلاء فى نعوت النبى صلى الله عليه وسلم وغيرها (ما انزلنا) حال كونه (من البينات) أى من الآيات الواضحة الدالة على أمر محمد عليه السلام وعلى الرجم وتحويل القبلة والحرام والحلال (والهدى) أى والآيات الهادية الى كنه أمره ووجوب اتباعه عليه السلام والايمان به (من) متعلق بيكتمون (بعد ما بيناه) أى أوضحناه ولخصناه (للناس) جميعا لا الكاتمين فقط (فى الكتاب) أى التوراة وتبيينه لهم ايضاحه بحيث يتلقاه كل أحد من غير أن يكون فيه شبهة قال ابن الشيخ فى حواشيه فالمراد بالبينات ما أنزل على الانبياء من الكتب والوحى دون أدلة العقل وان قوله والهدى يدخل فيه الدلائل العقلية والنقلية وقوله تعالى فى حق الهدى من بعد ما بيناه وما لخصناه فى الكتاب لا يقتضى اتحادهما وأن يكون العطف لتغاير اللفظين لان كون ما بيناه فى الكتاب كما يجوز ان يكون بطريق كونه من جملة التنزيل يجوز أن يكون بطريق كونه فائدته ملخصة أى مستفادة منه (أولئك) أى أهل هذه الصفة (يلعنهم الله) أى يطردهم ويبعدهم من رحمته بسبب كتمهم الحق (ويلعنهم اللاعنون) أى الذين يتأتى منهم اللعن أى الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمنى الثقلين وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما تلاعن اثنان الا ارتفعت اللعنة بينهما فان استحقها أحدهما والا رجعت على اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام أو اللاعنون البهائم والهوام تلعن العصاة تقول اللهم العن عصاة بنى آدم فبشؤمهم منع عنا القطر (الا الذين تابوا) من الكتمان وسائر ما يجب أن يتاب منه الاستثناء متصل والمستثنى منه هو الضمير

في يلعنهم (وأصلحوا) ما أفسدوا بالتدارك لأنه لا بد بعد التوبة من إصلاح ما أفسده مثلا لو
أفسد على غيره دينه بإيراد شبهة عليه يلزمه إزالة تلك الشبهة وبعد ذلك لا بد له من أن يفعل ضد
الكتمان وهو البيان وهو المراد بقوله تعالى (وبينوا) أي ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم فدلت
الآية على أن التوبة لا تحصل إلا بترك كل ما لا ينبغي وبفعل كل ما ينبغي (فأولئك أتوب عليهم)
أي بالقبول وإفاضة الرحمة والمغفرة فإن التوبة إذا أسندت إليه تعالى بأن قيل تاب الله أو يتوب
تكون بمعنى القبول وقبول التوبة يتضمن المغفرة أي إزالة عقاب من تاب (وأنا التواب الرحيم)
أي المبالغ في قبول التوبة ونشر الرحمة ولما ذكر لعنتهم أحياء ذكر لعنتهم أمواتا فقال (إن الذين
كفروا) أي استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة (وماتوا وهم كفار) مصرون
على كفرهم لا يرتدعون عن حالتهم الأولى (أولئك) مستقر (عليهم لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين) أي هم المخصوصون باللعنة الأبدية أحياء وأمواتا ممن يعتد بلعنتهم وهم المؤمنون
لأنهم هم الناس في الحقيقة لانتفاعهم بالإنسانية وأما الكفار فهم كالأنعام وأضل سبيلا فلا
اعتداد بهم عند الله أو الناس عام لأن الكفار يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا والله تعالى يلعنهم
يوم القيامة ثم يلعنهم الملائكة ثم تلعنهم الناس والظالم يلعن الظالمين ومن لعن الظالمين وهو ظالم
فقد لعن نفسه (خالدين فيها) حال من المضمر في عليهم أي دائمين في اللعنة لأنهم إذا خلدوا في النار
خلدوا في الإبعاد عن رحمة الله تعالى (لا يخفف عنهم العذاب) استئناف لبيان كثرة عذابهم
من حيث الكيف إثر بيان كثرته من حيث الكم أي لا يرفع عنهم ولا يهون عليهم (ولا هم
ينظرون) من الإنظار بمعنى الإمهال والتأجيل أي لا يمهلون للرجعة ولا للتوبة ولا للمعذرة
أو يعذبون على الدوام والاستمرار وأن كل وجه من وجوه عذابهم يتصل بوجه آخر مثله أو أشد
منه وأنهم لا يمهلون ولا يؤجلون ساعة ليستريحوا فيها أو من النظر بمعنى الانتظار أي لا ينتظرون
ليعتذروا أو بمعنى الرؤية أي لا ينظر إليهم نظر رحمة وإنما خلدوا في النار لأن نيتهم كانت عبادة
الأصنام أبدا إن عاشوا فجوزوا بتأبيد العذاب وأما الدركات في النيران فلتفاوت سوء الأحوال
والتفاوت في شدة الكفر فيرجع إلى شدة العذاب في الدركات لأن النيات متفاوتة كالأعمال
والتأديب في الحكمة واجب ولما أساء الكفار بسوء الاعتقاد في حقه تعالى أدبوا بالحرمان من
الجنة والخلود في النار (ونعم ما قيل) سفيها نرا بود تأديب نافع * جنون نارا جو شربت كشت
دافع * وإنما حمل هؤلاء اليهود على ما فعلوا من الكتمان وغيره حب الرياسة والدنيا لأنهم
خافوا أن يذهب ما كان لهم من السفلة وما يغني عنهم ذلك شيأ إذا كان مصيرهم إلى النار وفي الخبر
أن مؤمنا وكافرا في الزمن الأول انطلقا يصيدان السمك فجعل الكافر يذكر آلهته ويأخذ
السمك حتى أخذ سمكا كثيرا وجعل المؤمن يذكر الله كثيرا فلا يجيء شيء ثم أصاب سمكة عند
الغروب فاضطربت فوقعت في الماء فرجع المؤمن وليس معه شيء ورجع الكافر وقد امتلأت
شبكته فأسف ملك المؤمن الموكل عليه فلما صعد إلى السماء أراه الله مسكن المؤمن في الجنة فقال
والله ما يضره ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا وأراه مسكن الكافر في جهنم فقال والله ما يغني عنه
ما أصابه من الدنيا بعد أن يصير إلى هذا كذا في شرح الخطب * تركس اندر خواب غفلت يافت
بلبل صد وصال * خفته نابينا بود دولت بيدارات رسد * ومرتكب المعاصي لو عرف عذاب

الجحيم

الجحيم حق المعرفة لما ارتكبها حتى ان من قوى ظنه أن فى هذه الثقبة حية لا يدخل يده فيها فما ظنك فى ارتكاب المعاصى بملاحظة عذاب النار واعلم أن أحبار اليهود لما لم ينتفعوا بعلمهم ضلوا فأضلوا فخذاهم الله ولعنهم وذكر فى الخالصة لن يهلك قوم بظلمهم وانما أهلكهم ظلم ولاتهم قال الشيخ الشهير بافتاده أفندى قدس سره وكذا الحال فى الارشاد فان الضلال والفساد فى الطالبين من فساد مرشدهم فما دام المرشد على الصراط المستقيم يحفظ الله تعالى الطالب من الضلال فان نزول البلاء على قوم من فساد رئيسهم (وحكى) ان آدم وحواء اكلت اولا من الشجرة فلم يقع شئ فلما أكل منها أبونا آدم عليه السلام وقع الخروج من الجنة انتهى فويل لارباب الرياسة الذين ظلموا أنفسهم وتجاوز ظلمهم الى من عداهم فانهم هم الواقعون فى عذاب النار نار القطيعة والهجران وجهنم البعد عن الله ورحمته اللهم احفظنا (والهكم) خطاب عام لكافة الناس أى المستحق منكم للعبادة (اله واحد) فرد فى الالهية لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره الها فلا معبود الا هو وهو خبر مبتدا وواحد صفة وهو الخبر فى الحقيقة لانه محط الفائدة ألا يرى انه لو اقتصر على ما قبله لم يفد (لا اله الا هو) تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم أن فى الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة يعنى بهذا فاعرفوه ودائما فاعبدوه ولا ترجوا غيره ولا تخافوا سواه ولا تعبدوا الا اياه والاستثناء بدل من اسم لا على المحل اذ محله الرفع على الابتداء والخبر محذوف أى لا اله كائن لنا أو موجود فى الوجود الا الله واعلم أن الاسماء على ضربين اسم ظاهر واسم ضمير وكلمة هو اسم ضمير فكونها ضميرا لا ينافى كونها اسما وقد حقق الامام فى التفسير الكبير اسمية هذه الكلمة فليراجع وعند أهل الحقيقة كلمة هو اسم بحت لان كل ما يدل على الذات الاحدية فهو اسم محض عندهم سواء كان مظهرا أو مضمرا ولذا يقال عالم الهوية باللام فاعرف هذا فانه ينفعك (وفى المثنوى) از هوا ها كى رهى بى جام هو * اى زهو قانع شده با نام هو * هيچ نامى بى حقيقت ديده * ياز كاف ولام كل كل چيده * اسم خواندى رو مسمى را بجو * مه ببالا دان نه اندر آب جو * كر زنام حرف خواهى بكذرى * پاك كن خود را زخود هين يكسرى * همچو آهن زاهنى بى رنك شو * در رياضت آينۀ بى زنك شو * خويش را صاف كن از أوصاف خود * تا ببينى ذات پاك صاف خود * بينى اندر دل علوم انبيا * بى كتاب وبى معيد واوستا * علم كان نبود زهو بى واسطه * ان نپايد همچو رنك ماشطه (الرحمن الرحيم) أى المولى لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شئ سواه مستحق هذه الصفة فان كل شئ سواه اما نعمة واما منعم عليه فثبت ان غيره لا يستحق العبادة فلا يكون الها فقوله الرحمن الرحيم كالحجة على الوحدانية وعن أسماء بنت يزيد أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فى هاتين الآيتين اسم الله الاعظم والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والله لا اله الا هو الحى القيوم قيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا كيف يسع الناس اله واحد فان كان محمد صادقا فى توحيد الاله فليأتنا بآية نعرف بها صدقه فنزل قوله تعالى (ان فى خلق السموات والارض) أى فى ابداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع الصنائع التى يعجز عن فهمها عقول البشر وانما جمع السموات وأفرد الارض لان كل سماء ليست من جنس الاخرى بين كل سماءين من البعد مسيرة

خمسمائة عام أولان فلك كل واحدة غير فلك الاخرى والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب قال ابن التمجيد فى حواشيه وعند الحكماء محدب كل سماء مماس لمقعر مافوقه غير الفلك التاسع المسمى بالعرش فان محدبه غير مماس لشئ من الافلاك لان مافوقه خلاء وبعد غير متناه عندنا وعند الحكماء لاخلاء فيه ولا ملاء والعلم عند الله (واختلاف الليل والنهار) أى فى تعاقبهما فى الذهاب والمجئ يخلف أحدهما صاحبه اذا جاء أحدهما جاء الآخر خلفه أى بعده وفى الزيادة والنقصان والظلمة والنور (والفلك التى تجرى فى البحر) لاترسب تحت الماء وهى ثقيلة كثيفة والماء خفيف لطيف وتقبل وتدبر بريح واحدة والفلك فى الآية جمع وتأنيثه بتأويل الجماعة (بما ينفع الناس) ما اسم موصول والباء للمصاحبة والجملة فى موضع النصب على الحالية من فاعل تجرى أى تجرى مصحوبة بالاعيان والمعانى التى تنفع الناس فانهم ينتفعون بركوبها والحمل فيها للتجارة فهى تنفع الحامل لانه يربح والمحمول اليه لانه ينتفع بما حمل اليه (وما) أى ان فيما (انزل الله من السماء) من لابتداء الغاية أى من جهة السماء (من ماء) بيان للجنس فان المنزل من السماء يعم الماء وغيره والسماء يحتمل الفلك على ماقيل من ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض ويحتمل جهة العلو سماء كانت أو سحابا فان كل ماعلا الانسان يسمى سماء ومنه قيل للسقف سماء البيت (فأحيى) به عطف على ما أنزل أى نضر بالماء النازل (الارض) بأنواع النبات والازهار وماعليها من الاشجار (بعد موتها) أى بعد ذهاب زرعها وتناثر أوراقها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها قال ابن الشيخ فى حواشيه لما حصل للارض بسبب مانبت فيها من أنواع النبات حسن وكمال شبه ذلك بحياة الحيوان من حيث ان الجسم اذا صار حيا حصل فيه أنواع من الحسن والنضارة والبهاء والنماء فكذلك الارض اذا تزينت بالقوة المنبتة ومايترتب عليها من أنواع النبات (وبث فيها) أى فرق ونشر فى الارض (من كل دابة) من كل حيوان يدب على وجهها من العقلاء وغيرهم وهو معطوف على فأحيا والمناسبة ان بث الدواب يكون بعد حياة الارض بالمطر لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالمطر (وتصريف الرياح) عطف على ما أنزل أى فى تقليبها فى مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا وفى كيفيتها حارة وباردة وفى أحوالها عاصفة ولينة وفى آثارها عقما ولواقح وقيل فى اتيانها تارة بالرحمة وتارة بالعذاب قال ابن عباس رضى الله عنه أعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحا لانها تريح النفوس قال وكيع الجراح لولا الريح والذباب لانتنت الدنيا قال شريح القاضى ماهبت الريح الالشفاء سقيم أو لسقم صحيح وقال بكر بن عباس لاتخرج من السحاب قطرة حتى تعمل فى السحاب هذه الرياح الاربع فالصبا تهيجه والجنوب تسدره والدبور تلقحه والشمال تفرقه وأصول الرياح هذه الاربع فالشمال من ناحية الشام والجنوب تقابلها والصبا هى القبول من المشرق والدبور تقابلها وكل ريح جاءت بين مهب ريحين فهى نكباء لانها نكبت أى عدلت ورجعت عن مهاب هذه الاربع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص الرياح ثمان أربع رحمة وأربع عذاب * فالرحمة الناشرات وهى الرياح الطيبة والمبشرات وهى الرياح التى تبشر بالغيث واللواقح وهى التى تلقح الاشجار والذاريات وهى التى تذرو التراب وغيره * والعذاب الصرصر والعقيم وهما فى البر والعاصف والقاصف وهما فى البحر

والعقيم

والعقيم هي التي لم تلقح سحابا ولا شجرا والعاصف الشديدة الهبوب التي تقلع الخيام (والسحاب
المسخر) عطف على تصريف أي الغيم المذلل المنقاد الجاري على ما أجراه الله تعالى عليه وهو
اسم جنس واحده سحابة وسمي سحابا لانه ينسحب في الجو أي يسير في سرعة كأنه يسحب أي يجر
(بين السماء والارض) صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله
تعالى سحابا ثقالا أي لا ينزل الارض ولا ينكشف مع ان طبع السحاب يقتضي أحد هذين
النزول والانكشاف قيل لانه لو كان خفيفا لطيفا ينبغي ان يصعد ولو كثيفا يقتضي ان ينزل
(لآيات) اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها ولو كان في موضعه لما جاز دخول اللام عليه
والتنكير للتفخيم كما وكيفا أي آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة
والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه (لقوم) في محل النصب لانه صفة
لآيات فيتعلق بمحذوف (يعقلون) في محل الجر على انه صفة لقوم أي يتفكرون فيها وينظرون
اليها بعيون العقول والقلوب ويعتبرون بها لانها دلائل على عظم قدرة الله فيها وباهر حكمته
فيستدلون بهذه الاشياء على موجدها فيوحدونه وفيه تعريض لجهل المشركين الذين اقترحوا
على الرسول آية تصدقه في قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول اذ لو عقلوا
لكفاهم بهذه التصاريف آية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها المج
حقيقة قذف الريق ونحوه من الفم عدي بالباء لما فيه من معنى الرمي واستعير ههنا لعدم الاعتبار
والاعتداد فان من تفكر فيها فكأنه حفظها ولم يلقها من فيه واعلم ان قوله تعالى والهكم اله
واحد لا اله الا هو أول آية نزلت في التوحيد بحسب الرتبة أي أقدم توحيد من جهة الحق لا من
جهتنا فان اول رتبة التوحيد من طرفنا توحيد الافعال وهذا هو توحيد الذات ولما بعد هذا
التوحيد عن مبالغ افهام الناس نزل الى مقام توحيد الصفات بقوله الرحمن الرحيم ثم الى
توحيد الافعال ليستدل به عليه فقال ان في خلق الآية كذا في التأويلات القاشانية ومن نتائج
صفة الرحمن الرحيم في حق الانسان ما أشار اليه في قوله ان في خلق الخ يعني ان الحكمة في خلق
هذه الاشياء ان يكون كل شيء مظهر آية من آيات الله ولا فائدة لهذه الاشياء من الآيات المودعة
فيها فان فائدتها عائدة الى الانسان لانهم قوم يعقلون الآيات كما قال سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فالعالم بما فيه خلق بتبعية الانسان لان العالم مظهر آيات الحق
والآيات المرئيات الانسان والانسان مظهر معرفة الحق ولهذا قال وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون أي ليعرفون فلو لم يكن لاجل معرفة الله ما خلق الانسان ولو لم يكن لاجل الانسان
ما خلق العالم بما فيه كما قال للنبي عليه الصلاة والسلام لولاك لما خلقت الكون وكان العالم مرآة
يظهر فيه آيات كمال الحق وجلاله والانسان هو المشاهد لآيات الجمال والجلال في مرآة العالم
وهو مرآة يظهر فيه مرآة العالم وما يظهر فيه كما قال تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون وهذا تحقيق
قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه لان نفسه مرآة جمال ربه وليس أحد غير الانسان يشاهد جمال
ربه في مرآة العالم ومرآة نفسه باراءة الحق كما قال سنريهم آياتنا الخ فاعرف قدرك لتعرف قدر
ربك يا مسكين ومما يدل على ان خلق السموات والارض وما بينهما تبع لخلق الانسان قوله عليه
الصلاة والسلام لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله يعني اذا مات الانسان الذي هو

يقول الله الله قامت القيامة فلم تبق السموات والارض لان وجودهما كان تبعا لوجود الانسان فاذا لم يبق المتبوع ما بقى التابع كذا فى التأويلات النجمية فعلى السالك ان يصل بالذكر الحقيقى الى المقصود الاصلى فان التوحيد ينفى الباطل وينفى الاغيار روى عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى حصين كم تعبد اليوم من اله فقال اعبد سبعا ستا فى الارض وواحدا فى السماء قال وأيهم تعبد لرغبتك ورهبتك فقال الذى فى السماء فقال عليه الصلاة والسلام فيكفيك اله السماء ثم قال يا حصين لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك فأسلم حصين ثم قال يا رسول الله علمنى هاتين الكلمتين فقال عليه الصلاة والسلام قل اللهم ألهمنى رشدى وأعذنى من شر نفسى (ومن الناس من يتخذ من دون الله) من لابتداء الغاية متعلق بيتخذ ودون فى الاصل ظرف مكان استعمل هنا بمعنى غير مجازا والاتخاذ بمعنى الصنع والعمل متعد الى مفعول واحد وهو هنا قوله (اندادا) هى الاصنام التى بعضها انداد لبعض أى امثال أو انها انداد لله تعالى بحسب ظنونهم الفاسدة من حيث انهم كانوا يرجون من عندها النفع والضرر ويقصدونها بالمسائل ويقربون لها القرابين فارجاع ضمير العقلاء اليها فى قوله تعالى يحبونهم مبنى على آرائهم الباطلة فى شأنها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء أو هى الرؤساء الذين يطيعونهم قال القاضى ولعل المراد أعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى فانه قال الصوفية والعارفون كل شئ شغلت به قلبك سوى الله تعالى فقد جعلته فى قلبك ندا له تعالى ويدل عليه قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه (يحبونهم) الجملة صفة لاندادا أى يعظمونهم ويخضعون لهم ويطيعونهم تعظيم المحبوب واطاعته (كحب الله) أى حبا كائنا مثل حبهم الله تعالى أى يسوون بينه تعالى وبينهم فى الطاعة والتعظيم والمقصود من التشبيه ما فى الوصف من القوة والضعف والمراد ههنا التسوية وهذه التسوية فى التعظيم لا تنافى اقرارهم بربوبيته تعالى كما يدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولفظ المحبة مأخوذ من الحب بالفتح كحبة الحنطة والشعير شبه حبة القلب أى سويداءه بالحب المعروف فى كون كل منهما منشأ ومبدأ للآثار العجيبة فاستعير اسم الحب لها ثم اشتق من الحب المستعار لقلب الحب بمعنى ميل القلب لانه أصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته فى أوامره ونواهيه والاعتناء لتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله فى الطاعة وصونه من المعاصى ثم فصل محبة المؤمنين بقوله (والذين آمنوا أشد حبا لله) من حب الكفرة لاندادهم لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بأدنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا فاذا رأوا صنما يعجبهم أخذوه وطرحوا الاول وروى ان باهلة عملت الها من حيس فأكلوه عام المجاعة (ولو يرى الذين ظلموا) أى لو يعلم هؤلاء الذين أشركوا باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود (اذ يرون العذاب) المعد لهم يوم القيامة أى عاينوه فهى من الرؤية بالعين (ان القوة) أى الغلبة والقدرة الالهية (لله جميعا) نصب حالا والجملة سادة مسد مفعولى يرى (وأن الله شديد العذاب) عطف على ان القوة لله وفائدته المبالغة فى تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه مع القدرة عليه وجواب لو محذوف أى لو علم هؤلاء الذين ارتكبوا

الظلم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شئ من الثواب والعقاب دون أندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لوقعوا من الحسرة والندامة على عبادة الانداد فيما لا يكاد يوصف (اذ تبرأ الذين اتبعوا) بدل من اذ يرون وأصل التبري التخلص ويستعمل للتفصي والتنصل عما تكرهه مجاورته والمعنى اذ تبرأ الرؤساء المتبوعون (من الذين اتبعوا) أي من الاتباع بأن اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن (ورأوا العذاب) الواو حالية وقد مضمرة أي تبرؤا حال رؤيتهم العذاب (وتقطعت بهم الاسباب) عطف على تبرأ وتوسط الحال بينهما للتنبيه على علة التبري أي انقرضت عنهم الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد والانساب والمحابة والاتباع والاستتباع فالباء في بهم بمعنى عن كما في قوله تعالى فاسأل به خبيرا أو للسببية أي تقطعت بسبب كفرهم الاسباب التي كانوا يرجون بها النجاة أو للتعدية أي قطعتهم الاسباب كما تقول فرقت بهم الطريق أي فرقتهم (وقال الذين اتبعوا) حين عاينوا تبري الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا (لو أن لنا كرة) أي ليت لنا رجعة الى الدنيا وعودة (فنتبرأ منهم) هنالك (كما تبرؤا منا) اليوم أي تبريا مثل تبريهم فالكاف منصوب المحل على انها صفة مصدر محذوف (كذلك) أي مثل ذلك الاراء الفظيع وهو نزول العذاب عليهم وتبري بعضهم من بعض (يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم) أي ندامات شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد وهي تألم القلب وانحساره عما يؤلمه بحيث يبقى النادم كالحسير من الدواب وهو الذي انقطعت قوته فصار بحيث لا ينتفع به وأصل الحسر الكشف ومن فات عنه ما يهواه وانكشف قلبه عنه يلزمه الندم والتأسف على فواته فلذلك عبر عن الحسرة التي هي انكشاف القلب عما يهواه بلازمه الذي هو الندم والرؤية ان كانت بصرية تكون حسرات حالا من أعمالهم والمعنى ان أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون أعمالهم الا حال كونها حسرات وان كانت قلبية فهي ثالث مفاعيل يرى وعليهم يتعلق اما بحسرات والمضاف محذوف أي على تفريطهم أو بمحذوف منصوب على انه صفة لحسرات أي حسرات مستولية عليهم فان ما عملوه من الخيرات محبوطة بالكفر فيتحسرون لم ضيعوها ويتحسرون على ما فعلوه من المعاصي لم عملوها قال السدي ترفع لهم الجنة فينظرون اليها والى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين وذلك حين يندمون ويتحسرون (وما هم بخارجين من النار) لانهم خلقوا لاجلها روى انه يساق أهل النار الى النار لم يبق منهم عضو الا لزمه عذاب اما حية تنهشه أو ملك يضربه فاذا ضربه الملك هوى في النار مقدار أربعين يوما لا يبلغ قرارها ثم يرفعه اللهب ويضربه الملك فيهوي فاذا بدا رأسه ضربه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فاذا عطش أحدهم طلب الشراب فيؤتى بالحميم فاذا دنا من وجهه سقط وجهه ثم يدخل في فيه فتسقط أضراسه ثم يدخل بطنه فيقطع امعاءه وينضج جلده وهكذا يعذبون في النار لا يموتون فيها ولا يحيون ولا يخرجون قال سعيد بن جبير ان الله تعالى يأمر يوم القيامة من أحرق نفسه في الدنيا على ربوبية الاصنام ان يدخلوا جهنم مع أصنامهم فلا يدخلون لعلمهم ان عذاب جهنم على الدوام ثم يقول للمؤمنين بين أيدي الكفار ان كنتم أحبائي فادخلوا جهنم

فيتقحمون فيها و ينادى مناد من تحت العرش والذين آمنوا أشد حبا لله لان الله أحبهم أولا ثم
أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم قال تعالى يحبهم ويحبونه ومن لم يكن أهلا
لمحبة الله أزلا طردته العزة الى محبة الانداد وهى كل ما يحب سوى الله فمن وكل الى المحبة النفسانية
تعلقت محبته بملائم هوى النفس من الاصنام فكان الكفار بعضهم يحبون اللات ويعبدونها
وبعضهم يحبون الاولاد ويعبدونها فمحبة الاولاد والازواج والاموال تمنع عن محبة الله ومن
أحب الله يرى ما سواه بنظر العداوة كما قال الخليل عليه السلام فانهم عدو لى الا رب العالمين
ومن كان فى الازل أهلا لمحبة الله جذبته العناية فتجلى له الحق فانعكست تلك المحبة لمرآة قلبه فلا
تتعلق بغير الله لانها من عالم الوحدة فلا تقبل الشركة والاعداء أحبوا الانداد بمحبة فانية
نفسانية والاحباء أحبوا الله بمحبة باقية ربانية بل أحبوه بجميع أجزائهم الفانية والباقية اللهم
أوصلنا الى حقيقة المحبة واليقين والتمكين (يا أيها الناس) نزلت فى قوم حرموا على أنفسهم
رفيع الاطعمة والملابس (كلوا مما فى الارض) أى من بعض ما فيها من أصناف المأكولات
لان كل ما فيها لا يؤكل (حلالا) حال من الموصول أى حال كونه حلالا وهو ما انحل عنه عقد
الحظر (طيبا) طاهرا من جميع الشبهة صفة حلالا أو الحلال ما يستطيبه الشرع والطيب
ما تستطيبه الشهوة المستقيمة أى يستلذه الطبع (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) الخطوة بالفتح
المرة من نقل القدم وبالضم بعد ما بين قدمى الماشى يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا
اقتدى به واستن بسنته أى لا تقتدوا بآثاره وطرقه ومذاهبه فى اتباع الهوى وهى وساوسه
فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام (انه لكم عدو مبين) تعليل للنهى أى ظاهر العداوة عند ذوى
البصيرة وأما عند متبعى الهوى الذين لا بصيرة لهم فهو ولى حميم حيث يدلهم على مشتهيات
نفوسهم واذا ئذمر اداتها المستحسنة فقوله مبين من ابان بمعنى بان وظهر وجعله الواحدى من
أبان المتعدى حيث قال انه عدو مبين قد أبان عداوته لكم باباته السجود لابيكم آدم وهو الذى
أخرجه من الجنة (انما يأمركم) أى يوسوس لكم شبه تسلطه عليهم بأمر مطاع وشبه وافى
قبولهم للوسوسة وطاعتهم له بالطبع بمأمور مطيع وفيه رمز الى انهم بمنزلة المأمورين المنقادين
له تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم (بالسوء) وهو كل ما ساءك فى عاقبتك يطلق على جميع المعاصى
سواء كانت من أعمال الجوارح أو أعمال القلوب لاشتراك كلها فى انها تسوء صاحبها وتحزنه
(والفحشاء) من عطف الخاص على العام أى أقبح أنواع المعاصى وأعظمها مساءة فالزنا
فاحشة والبخل فاحشة وكل فعلة قبيحة فاحشة وأصل الفحش مجاوزة القدر فى كل شئ وجعل
البيضاوى المغايرة بين السوء والفحشاء بحسب المفهوم دون الذات فقال سميت المعصية سوأ
لاغتمام العاقل بها وفحشاء باستقباحه اياها فاطلاق السوء والفحشاء على المعصية من قبيل
التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل رجل عدل (وان تقولوا) أى يأمركم بأن تفتروا (على الله) بأنه
حرم هذا أو ذاك (ما لا تعلمون) ان الله تعالى أمر به وهو أقبح ما أمر به الشيطان من القبائح
لان وصفه تعالى بما لا ينبغى ان يوصف به من أعظم أنواع الكبائر كما ان الفحشاء أقبح أنواع
السوء فان قيل كيف يأمرنا الشيطان بذلك ونحن لا نراه ولا نسمع كلامه فكيف وسوسته
وكيف وصوله الى القلب قلنا هو كلام خفى على ما قيل تميل اليه النفوس والطبع وقد قيل

يدخل

يدخل في جسد ابن آدم لانه جسم لطيف ويوسوس وهو أنه يحدث النفس بالافكار الرديئة قال تعالى يوسوس في صدور الناس ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعمر قلبي من وساوس ذكرك واطرد عني وساوس الشيطان قال في آكام المرجان وينحصر مايدعو الشيطان اليه ابن آدم ويوسوس له في ست مراتب * المرتبة الاولى مرتبة الكفر والشرك ومعاداة رسوله فاذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه واستراح من تعبه معه لانه حصل منتهى أمنيته وهذا أول مايريده من العبد * المرتبة الثانية البدعة وهي أحب اليه من الفسوق والمعاصي لان المعصية يتاب منها والبدعة لايتاب منها لان صاحبها يظنها حقيقة صحيحة فلا يتوب فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الثالثة وهي الكبائر على اختلاف أنواعها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الرابعة وهي الصغائر التي اذا اجتمعت صارت كبيرة والكبائر ربما أهلكت صاحبها كما قال عليه السلام اياكم ومحقرات الذنوب فان مثل ذلك مثل قوم نزلوا بفلاة من الارض فجاء كل واحد بعود حطب حتى أوقدوا نارا عظيمة وطبخوا وشبعوا فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الخامسة وهي اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب الذي فات عليه باشتغاله بها فان عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة السادسة وهي أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليزيح عنه الفضيلة ويفوته ثواب العمل الفاضل فيجره من الفاضل الى المفضول ومن الافضل الى الفاضل ليتمكن من أن يجره من الفاضل الى الشر وربما يجره من الفاضل السهل الى الافضل الاشق كمائة ركعة بالنسبة الى ركعتين ليصير ازدياد المشقة سببا لحصول النفرة عن الطاعة بالكلية وانما خلق الله ابليس ليتميز به الخبيث من الطيب فخلق الله الانبياء لتقتدي بهم السعداء وخلق ابليس لتقتدي به الاشقياء ويظهر الفرق بينهما فابليس دلال وسمسار على النار والخلاف وبضاعته الدنيا ولما عرضها على الكافرين قيل ماثمنها قال ترك الدين فاشتروها بالدين وتركها الزاهدون وأعرضوا عنها والراغبون فيها لم يجدوا في قلوبهم ترك الدين ولا الدنيا فقالوا له أعطنا مذاقة منها حتى ننظر ماهي فقال ابليس أعطوني رهنا فاعطوه سمعهم وأبصارهم ولذا يحب أرباب الدنيا استماع أخبارها ومشاهدة زينتها لان سمعهم وبصرهم رهن عند ابليس فأعطاهم المذاقة بعد قبض الرهن فلم يسمعوا من الزهاد عيب الدنيا ولم يبصروا قبائحها بل استحسنوا زخارفها ومتاعها ولذلك قيل حبك الشئ يعمي ويصم فعلى العاقل أن يزهد ويرغب عن الدنيا ولا يقبل منها الا الحلال الطيب قال الحسن البصري الحلال الطيب مالا سؤال فيه يوم القيامة وهو مالابد منه قال النبي عليه السلام ان الله يحب لابن آدم مالابد منه ثوب يواري به عورته وخبز يرد جوعته وبيت كعش الطير فقيل يارسول الله فكيف الملح فقال الملح مما يحاسب به وفي التأويلات النجمية الحلال ما أباح الله أكله والطيب مالم يكن مشوبا بشبهة حقوق الخلق ولا بسرف حظوظ النفس وكل طيب حلال وليس كل حلال طيبا ولهذا قال النبي عليه السلام ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب يعني غير مشوب بعيب أو شبهة قيل ولا يقال ان الله حلال واعلم أن أكل الحلال الطيب يورث القيام بطاعة الله والاجتناب عن خطوات الشيطان فالعمل الصالح نتيجة اللقمة الطيبة (وفي المثنوى) علم وحكمت زايد ازلقمهٔ حلال * عشق ورقت آيد ازلقمهٔ حلال * چون زلقمه تو حسد بيني ودام

* جهل وغفلت زايد آزادان حرام * هيچ كند دم كارى وجوبر دهد * ديدۀ اسپى كه كرۀ خردهد * لقمه تخمست وبرش انديشها * اقمه بحر وكوهرش انديشها * زايد از لقمه حلال اندر دهان * ميل خدمت عزم رفتن آن جهان * وطلب الحلال بالكسب المشروع سنة الانبياء عليهم السلام وفى الكسب فوائد كثيرة منها الزيادة على رأس المال ان عمل للتجارة والزراعة وغرس الاشجار وفيها صدقة لما كلته الطيور وغيرها ومنها اشتغال المكتسب بالكسب عن البطالة واللهو ومنها كسر النفس وصيرورتها قليلة الطغيان ومنها أن الكسب واسطة الامان من الفقر الذى هو اسوداد الوجه فى الدارين ولا يتحرز فى الكسب لاجل عياله الا قال له حافظاه بارك الله لك فى حركاتك وجعل نفقاتك ذخرا لك فى الجنة ويؤمن عليهما ملائكة السموات والارض وأفضل الكسب الجهاد ثم التجارة ثم الحراثة ثم الصناعة (واذا قيل لهم) نزلت فى مشركى العرب وكفار قريش امروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل تعالى من البينات الباهرة فجنحوا الى التقليد أى واذا قيل للمشركين من الناس على وجه النصيحة والارشاد (اتبعوا ما أنزل الله) كتاب الله الذى انزله فاعملوا بتحليل ما أحل الله وتحريم ما حرم الله فى القرآن ولا تتبعوا خطوات الشيطان (قالوا بل) عاطفة للجملة التى تليها على الجملة المحذوفة قبلها (نتبع ما ألفينا) أى وجدنا (عليه آباءنا) من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك لانهم كانوا خيرا منا فقلدوا آباءهم فانظروا أيها العقلاء الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون فقال الله تعالى ردا عليهم بهمزة الانكار والتعجب مع واو الحال بعدها (أولو كان آباؤهم) لما اقتضت الهمزة صدر الكلام والواو وسطه قدر بين الهمزة والواو جملة لتقع الهمزة فى صدرها والمعنى ايتبعونهم ولو كان آباؤهم أى فى حال كون آبائهم (لا يعقلون شيأ) من الدين لانهم كانوا يعقلون أمر الدنيا (ولا يهتدون) للصواب والحق يعنى هذا منكر مستبعد جدا لان اتباع من لا عقل له ولا اهتداء الى طريق الحق لا وجه له اصلا (ومثل) واعظ (الذين كفروا) وداعيهم الى الحق (كمثل) الراعى (الذى ينعق) نعق الراعى والمؤذن بعين مهملة صوت وبالمعجمة نغق للغراب والمعنى يصوت (بما لا يسمع) وهو البهائم أى لا يدرك بالاستماع (الا دعاء) صوتا من الناعق (ونداء) زجرا مجردا من غير فهم شئ آخر وحفظه كما يفهم العاقل ويجيب قيل الفرق بين الدعاء والنداء أن الدعاء للقريب والنداء للبعيد ويحتمل أن يكون الدعاء أعم من النداء والتشبيه المذكور فى الآية من قبيل التشبيه المفرق شبه داعى الكافر بالناعق ونفس الكفرة بالبهائم المنعوق بها ودعاء داعى الكفرة بنعيق الناعق بالبهائم والمعنى مثلك يا محمد ومثل الذين كفروا فى وعظهم ودعائهم الى الله وعدم اهتدائهم كمثل الراعى الذى يصيح بالغنم ويكلمها ويقول كلى واشربى وارعى وهى لا تفهم شيأ مما يقول لها كذلك هؤلاء الكفار كالبهائم لا يعقلون عنك ولا عن الله شيأ (صم) أى هم صم يعنى كأنهم يتصامون عن سماع الحق (بكم) بمنزلة الخرس فى أن لم يستجيبوا لما دعوا اليه (عمى) بمنزلة العمى من حيث اعراضهم عن الدلائل كأنهم لم يشاهدوها ثم انه تعالى لما شبههم بفاقدى هذه القوى الثلاث التى يتوسل بها الى تمييز الحق من الباطل واختيار الحق فرع على هذا التشبيه قوله (فهم لا يعقلون) أى لا يكتسبون الحق بما جبلوا عليه من العقل الغريزى لان اكتسابه انما يكون بالنظر والاستدلال ومن كان كالاصم

والاعمى

والاعمى فى عدم استماع الدلائل ومشاهدتها كيف يستدل على الحق ويعقله ولهذا قيل من فقد
حسا فقد فقد علما وليس المراد نفى اصل العقل لان نفيه رأسا لا يصلح طريقا للذم وهكذا لا ينفع
الوعظ فى آخر الزمان لان آذان الناس مسدودة عن استماع الحق وأذهانهم مصدودة عن قبوله
(ونعم ما قال السعدى) فهم سخن چون نكند مستمع * قوت طبع از متكلم مجوى * فسحت
ميدان ارادت بيار * تابزند مرد سخن كوى كوى * وفى قوله تعالى أولو كان آباؤهم الآية
اشارة الى قطع النظر عن الاسلاف السوء واتباع اهل الاهواء المختلفة والبدع الذين لا يعقلون
شيأ من طريق الحق وضلوا فى تيه محبة الدنيا ويدعون انهم أهل العلم وليسوا من اهله اتخذوا
العلم مكسبا للمال والجاه وقطعوا الطريق على أهل الطلب قال تعالى فى بعض الكتب المنزلة
لا تسأل عن عالم قد أسكره حب الدنيا فأولئك قطاع الطريق على عبادى فمن كان على جادة الحق
وصراط الشريعة وعنده معرفة سلوك مقامات الطريقة يجوز الاقتداء به اذ هو من أهل
الاهتداء الى عالم الحقيقة دون مدعى الشيوخة بطريق الارث من الآباء ولا حظ لهم من طريق
الاهتداء فانهم لا يصلحون للاقتداء (قال السعدى) چو كنعانرا طبيعت بى هنر بود * پيمبرزادكى
قدرش نيفزود * هنر بنماى اكر دارى نه كوهر * كل از خارست وابراهيم از آزر * وفى
التأويلات النجمية ان مثل الذين كفروا كان فى عالم الارواح عند الميثاق اذ خاطبهم الحق بقوله
ألست بربكم كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء لانهم كانوا فى الصف الاخير اذ الارواح
كانوا جنودا مجندة فى أربعة صفوف فكان فى الصف الاول أرواح الانبياء عليهم السلام وفى
الثانى أرواح الاولياء وفى الثالث أرواح المؤمنين وفى الرابع أرواح الكافرين فلما حضرت
الذرات التى استخرجت من ظهر آدم من ذرياته وأقيمت كل ذرة بازاء روحها فخاطبهم الحق
ألست بربكم فالانبياء سمعوا كلام الحق كفاحا بلا واسطة وشاهدوا أنوار جماله بلا حجاب ولهذا
استحقوا ههنا النبوة والرسالة والمكالمة والوحى الله أعلم حيث يجعل رسالته والاولياء سمعوا
كلام الحق وشاهدوا انوار جماله من وراء حجاب أرواح الانبياء ولهذا ههنا احتاجوا لمتابعة
الانبياء فصاروا عند القيام بأداء حق متابعتهم مستحقى الالهام والكلام من وراء الحجاب
والمؤمنون سمعوا خطاب الحق من وراء حجاب الانبياء وحجاب أرواح الاولياء ولهذا آمنوا
بالغيب وقبلوا دعوة الانبياء وان بلغتهم من وراء حجاب رسالة جبريل وحجاب رسالة الانبياء
فقالوا سمعنا وأطعنا ومما يدل على هذه التقريرات قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله
الا وحيا أو من وراء حجاب يعنى الاولياء او يرسل رسولا يعنى المؤمنين والكفار لما سمعوا من
الخطاب نداء من وراء الحجب الثلاثة كانوا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء فما شاهدوا
من أنوار كمال الحق لا قليلا ولا كثيرا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وما فهموا شيأ من كلام
الحق الا أنهم سمعوا من ذرات المؤمنين من وراء الحجاب لما قالوا بلى فقالوا بالتقليد ولهذا ههنا
قلدوا ما ألفوا عليه آباءهم لقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون فلما
تعلقت أرواحهم بالاجساد وتكدرت بكدرات الحواس والقوى النفسانية وأظلمت بظلمات
الصفات الحيوانية وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون من التمتعات البهيمية والاخلاق
الشيطانية واللذات الجسمانية اصمهم الله وأعمى ابصارهم فهم الآن صم عن استماع دعوة

الانبياء بسمع القبول بكم عن قول الحق والاقرار بالتوحيد عمى عن رؤية آيات المعجزات فهم لا يعقلون ابدا لانهم ابطلوا بالرين صفاء عقولهم الروحانية وحرموا من فيض الانوار الربانية (قال الصائب) بجز از غير شكايت كنم كه همچو حباب * هميشه خانه خراب هواى خويشتنم (وفى المثنوى) كر چه ناصح را بود صد داعيه * پند را اذنى بيايد واعيه * تو بصد تلطيف پندش ميدهى * او ز پندت ميكند پهلو تهى * يك كس نامستمع ز استيز ورد * صد كس كوينده را عاجز كند * ز انبيا ناصح تر وخوش لهجه تر * كى بود كه رفت دمشان در حجر * زانچه كوه وسنك در كار آمدند * مى نشد بدبخت را بكشاده بند * آنچنان دلها كه بدشان ماومن * نعتشان شد بل اشد قسوة * فعلى العاقل أن يتدارك حاله بسلوك طريق الرضا والندم على ما مضى ويزكى نفسه عن سفساف الاخلاق ويصفى قلبه الى أن تنعكس اليه أنوار الملك الخلاق وذلك لا يحصل غالبا الا بتربية كامل من اهل التحقيق لان المرء محجوب عن ربه وحجابه الغفلة وهى وان كانت لا ترتفع ولا تزول الا بفضل الله تعالى لكنه بأسباب كثيرة ولا اهتداء الى علاج المرض الا باشارة حكيم حاذق وذلك هو المرشد الكامل فاذا زال الرين عن القلب وتنفتح روزنة البال الى الغيب فيكون اقرار السالك تحقيقا لا تقليدا وتوحيده تجريدا وتفريدا فحينئذ ينعكس الامر فيكون اصم عن سماع اخبار ماسوى المحبوب الحقيقى أبكم عن افشاء سر الحقيقة اعمى عن رؤية الاغيار فى هذه الدار الفانية اللهم خلصنا من التقليد وأوصلنا الى حقيقة التوحيد انك حميد مجيد (يا أيها الذين آمنوا كلوا) رزقكم (من طيبات ما رزقناكم) أى من حلالاته لان ما رزقنا كم اعم من الحلال والحرام عند أهل السنة او من لذيذاته لانه اعم أيضا من المستلذ والمستكره قال ابن الشيخ وهذا المعنى هو المناسب لهذا المقام وأولى من حمله على الحلال الطاهر من الشبهة لان المقام مقام الامتنان بما رزقه من لذائذ الاحسان وطلب شكر المنعم المنان والطيب له ثلاثة معان المستلذ طبعا والمباح شرعا والطاهر وضعا وفى الآية اشارة الى انه لا بأس بالتفكه بأنواع الفواكه لانها من الطيبات وتركها افضل لئلا ينتقص من درجته ويدخل تحت قوله تعالى أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا والامر بأكل الطيبات لفائدتين احداهما أن يكون أكلهم بالامر لا بالطبع فيمتازون عن الحيوانات ويخرجون من حجاب ظلمة الطبع بنور الشرع والثانى ليثيبهم بائتمار أمر الاكل (واشكروا لله) الذى رزقكموها وأحلها لكم والشكر صرف العبد جميع اعضائه الظاهرة والباطنة الى ما خلقت لاجله وهذا الامر ليس امر اباحة بل هو للايجاب اذ لا شك فى أنه يجب على العاقل ان يعتقد بقلبه أن من اوجده وأنعم عليه بما لا يحصى من النعم الجليلة مستحق لغاية التعظيم وأن يظهر ذلك بلسانه وبسائر جوارحه (ان كنتم اياه تعبدون) أى ان كنتم مؤمنين بالله ومخصصين الله بالعبادة فاشكروا له فان الايمان يوجب ذلك وهو من شرائطه وهو مشهور فى كلامهم يقول الرجل لصاحبه الذى عرف انه يحبه ان كنت لى محبا فافعل كذا فيدخل حرف الشرط فى كلامه تحريكا له على ما يؤمر به واعلاما أنه من شرائط المحبة وليس المراد أن انتفاء الشرط يستلزم انتفاء المشروط فان من لا يفعل هذه العبادة يجب الشكر عليه أيضا وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انى والانس والجن فى نبأ عظيم أخلق ويعبد غيرى وأرزق ويشكر غيرى (قال السعدى)

مكن كردن از شكر منعم بيچ * كه روز پسين سر برآرى بهيچ (انما حرم عليكم الميتة) أى ما مات
بغير ذكاة مما يذبح والسمك والجراد مستثنيات بالعرف لانه اذا قيل فلان اكل ميتة لم يسبقا
الى الفهم ولا اعتبار للعادة قالوا من حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث وان أكل لحما في
الحقيقة قال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا والمراد بتحريم الميتة تحريم أكلها وشرب لبنها
أو الانتفاع بها لان الاحكام الشرعية انما تتعلق بالافعال دون الاعيان (والدم) الجارى
والكبد والطحال مستثنيات أيضا بالعرف فهما حلالان (ولحم الخنزير) قد انعقد الاجماع
على أن الخنزير حرام لعينه فيكون جميع أجزائه محرما وانما خص الله لحمه بالذكر لانه معظم
ما ينتفع به من الحيوان فهو الاصل وما عداه تبع له (وما أهل به لغير الله) أى وحرم ما رفع به
الصوت عند ذبحه للصنم وأصل الاهلال رفع الصوت وكانوا اذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون
أصواتهم بذكرها ويقولون باسم اللات والعزى ونحو ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح
وان لم يجهر بالتسمية مهل قال العلماء لو ذبح مسلم ذبيحة وقصد بها التقرب الى غير الله صار مرتدا
وذبيحته ميتة وذبائح أهل الكتاب تحل لنا لقوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم
الا ان سموا غير الله فانها حينئذ لا تحل لهذه الآية فان قوله تعالى وطعام الذين الخ عام وقوله
وما أهل به لغير الله خاص والخاص مقدم على العام (فمن) يحتمل أن تكون شرطية وموصولة
(اضطر) أى احوج وألجئ الى أكل شئ مما حرم الله بأن لا يجد غيرها وجدان الاضطرار
أن يخاف على نفسه أو على بعض أعضائه التلف (غير) نصب على الحال فانه اذا صلح في موضع
لا فهو حال وان صلح في موضع الا فهو استثناء والا فهو صفة وذو الحال ههنا فاعل فعل محذوف
بعد قوله اضطر تقديره فمن اضطر أحد أمرين الى تناول شئ من هذه المحرمات أحدهما الجوع
الشديد مع عدم وجدان مأكول حلال يسد رمقه وثانيهما الاكراه على تناوله فتناول
وأكل حال كونه غير (باغ) على مضطر آخر بأن حصل ذلك المضطر الآخر من الميتة مثلا قدر
ما يسد به جوعته فأخذه منه وتفرد بأكله وهلك الآخر جوعا وهذا حرام لان موت الآخر
جوعا ليس أولى من موته جوعا (ولا عاد) من العدو وهو التعدى والتجاوز في الامر لما حد له
فيه أى غير متجاوز حد الشبع عند الاكل بالضرورة بأن يأكل قدر ما يحصل به سد الرمق
والجوعة (فلا اثم عليه) في تناوله عند الضرورة (ان الله غفور) لما أكل في حال الاضطرار
(رحيم) بترخيصه ذلك ولم يذكر في هذه الآية سائر المحرمات لانها ليست لحصر المحرمات بل
هذه الآيات سيقت لنهيهم عن استحلال ما حرم الله وهم كانوا يستحلون هذه الاشياء فكانوا
يأكلون الميتة ويقولون تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما أماته الله وكذا يأكلون الدم ولحم الخنزير
وذبائح الاصنام فبين انه حرمها فالمراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا وقيل
ذكر الميتة يتناول المتردية وهى الساقطة في بئر أو ماء أو من علو والمخنقة وهى ما اختنق بالشبكة
أو بحبل أو خنق خانق والموقوذة وهى المضروبة بالخشب والنطيحة وهى المنطوحة وما أكل
السبع ومتروك التسمية عمدا ونحوها ويكره عشرة من الحيوان الدم والغدة والقبل والدبر
والذكر والخصيتان والمرارة والمثانة ونخاع الصلب أما الدم فلقوله تعالى حرمت عليكم الميتة
والدم واما ما سواه فلانها من الخبائث قال الشيخ الشهير بافتاده افندى ذكر أن النبى عليه

السلام لم يأكل الطحال ولا الكلية ولا الثوم وان لم يمتنع عن أكلها فالاولى أن لا تؤكل اقتفاء لاثره ثم قيل فى وجهه ان المنى اذا نزل لم ينزل الا بعد اتصاله بالكلية وأما الطحال فلانه من أطعمة أهل النار كذا فى واقعات الهداى قدس سره ومن امتنع من الميتة حال المخمصة أو صام ولم يأكل حتى مات أثم بخلاف من امتنع من التداوى حتى مات فانه لا يأثم لانه لا يقين بأن هذا الدواء يشفيه ولعله يصح من غير علاج وذكر فى الاشباه والنظائر أنه يرخص للمريض التداوى بالنجاسات وبالخمر على أحد القولين واختار قاضيخان عدمه واساغة اللقمة بها اذا غص اتفاقا واباحة النظر للطبيب حتى للعورة والسوأتين انتهى ويحل للعطشان شرب الخمر حالة الاضطرار على ما نص عليه فى الخانية وما قال الصدر الشهيد من أن الاستشفاء بالحرام حرام فهو غير مجرى على اطلاقه لان الاستشفاء بالحرم انما لا يجوز اذا لم نعلم أن فيه شفاء وأما اذا علم ذلك وليس له دواء آخر غيره يجوز له الاستشفاء به ومعنى قول ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم يحتمل أن عبد الله قال ذلك فى داء عرف له دواء غير محرم لانه حينئذ يستغنى بالحلال عن الحرام وفى التهذيب يجوز للعليل شرب البول والدم للتداوى اذا أخبره طبيب مسلم أن شفاءه فيه ولم يجد من المباح ما يقوم مقامه كذا فى شرح الاربعين حديثا للعلامة الروم ابن الكمال والاشارة فى قوله تعالى انما حرم الآية أنه كما حرم على الظواهر هذه المعهودات حرم على البواطن شهود غير الله فالميتة هى جيفة الدنيا والدم هى الشهوات النفسانية قال عليه السلام ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم ولولا ان الشهوات فى الدم مستكنة لما كان للشيطان اليه سبيل ولهذا قال عليه السلام سدوا مجارى الشيطان بالجوع لان الجوع يقطع مادة الشهوات ولحم الخنزير اشارة الى هوى النفس وتشبيه النفس بالخنزير لغاية حرصها وشرهها وخستها وخباثة ظاهرها وباطنها وما أهل به لغير الله هو كل ما يتقرب به الى الله من الطاعات البدنية والخيرات المالية من غير اخلاص لله وفى الله بل للرياء والسمعة فى سبيل الهوى فمن اضطر اما الضرورة الحاجة النفسانية واما الضرورة أمر الشرع باقامة أحكام الواجبات عليه فليشرع فى شىء مما اضطر اليه غير باغ أى غير حريص على الدنيا وجمعها من الحرام والحلال وغيره ولع على الشهوات بالحرام والحلال وغير مقبل الى استيفاء حظوظ النفس فى الحرام والحلال وغير مواظب على الرياء فى الطاعات والخيرات من السنن والبدع ولا عاد أى غير متجاوز من الدنيا حد القناعة وهى ما يسد الجوعة ويستر العورة فلا اثم عليه على من قام بهذه الشرائط ان الله غفور رحيم يغفر للعاملين لها آثار الرحمة والقائمين به بأنوار الرحمة والماحين فيه بأوصاف الرحمة المقتطعة من المأولات النعمية والغفور والغفار هو الذى أظهر الجميل وستر القبيح والذنوب من جملة القبائح التى سترها باسبال الستر عليها فى الدنيا والتجاوز عن عقوبتها فى الآخرة وحظ العبد من هذا الاسم ان يستر من غيره ما يجب أن يستر منه وقد قال عليه السلام من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة والمغتاب والمتجسس والمكافئ على الاساءة بمعزل عن هذا الوصف وانما المتصف به من لا يفشى من خلق الله الا أحسن ما فيه كما روى عن عيسى عليه السلام انه مر مع الحواريين بكلب قد غلب نتنه فقالوا ما أنتن هذه الجيفة فقال عليه السلام ما أحسن بياض اسنانها تنبيها على أن الذى ينبغى

أن يذكر من كل شئ ماهو أحسن كذا فى شرح الاسماء الحسنى للامام الغزالى قدس سره (ان الذين) نزلت فى أحبار اليهود فانهم كانوا يرجون أن يكون النبى المنعوت فى التوراة منهم فلما بعث الله نبينا محمدا عليه السلام من غيرهم غيروا نعته حتى اذا نظر اليه السفلة يجدونه مخالفا لصفة محمد عليه السلام فلا يتبعونه فلا تزول رياستهم (يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) حال من العائد المحذوف أى أنزله الله حال كونه من الكتاب وهو التوراة المشتمل على نعت محمد عليه السلام (ويشترون به) أى بدل المنزل المكتوم (ثمنا قليلا) أى يأخذون عوضا حقيرا من الدنيا يعنى المآكل التى يصيبونها من سفلتهم (أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار) أما فى الآخرة فظاهر لانهم لا يأكلون يوم القيامة الا عين النار عقوبة لهم على أكلهم الرشوة فى الدنيا وأما فى الدنيا فبأكل سببها فان أكلهم ما أخذوه من اتباعهم سبب مؤد الى أن يعاقبوا بالنار فاطلاق النار عليه من قبيل اطلاق اسم المسبب على السبب ومعنى فى بطونهم ملء بطونهم يقال أكل فى بطنه وأكل فى بعض بطنه يعنى ان المقصود من ذكر بطونهم متعلقا بقوله يأكلون اغناهو بيان محل الاكل ومقر المأكول فلما لم يقل يأكلون فى بعض بطونهم علم أن محل الاكل هو تمام بطونهم فلزم امتلاؤها ففيه مبالغة كأنهم ما كانوا ممسكين على البطون عند الاكل فملؤا بطونهم (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أى لا يكلمهم الله بطريق الرحمة غضبا عليهم فليس المراد به نفى الكلام حقيقة لئلا يتعارض بقوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين ونحوه بل هو كناية عن الغضب لان نفى الكلام لازم للغضب عرفا وعادة الملوك عند الغضب أنهم يعرضون عن المغضوب عليهم ولا يكلمونهم كما أنهم عند الرضا يتوجهون اليهم بالملاطفة (ولا يزكيهم) لا يثنى عليهم ولا يطهرهم من دنس الذنوب يوم يطهر المؤمنين من ذنوبهم بالمغفرة (ولهم عذاب أليم) وجع دائم مؤلم (أولئك) المشترون بكتاب الله ثمنا قليلا ليسوا بمشترين للثمن وان قل بل (الذين اشتروا) بالنسبة الى الدنيا (الضلالة) التى ليست مما يمكن أن يشترى قطعا (بالهدى) الذى ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شئ وان جل (والعذاب) أى اشتروا بالنظر الى الآخرة العذاب الذى لا يتوهم كونه من المشترى (بالمغفرة) الذى يتنافس فيها المتنافسون (فما أصبرهم على النار) أى ما أصبرهم على أعمال أهل النار حين تركوا الهدى وسلكوا مسالك الضلال فالمراد بالنار سببها أطلق عليه اسم النار للملابسة بينهما ومعنى التعجب راجع الى العباد فهو تعجيب أى ايقاع للمخاطب فى العجب لامتناع التعجب فى شأنه تعالى لان التعجب منشؤه الجهل بالسبب فانهم قالوا التعجب انفعال النفس عما خفى سببه وخرج عن نظائره فلا يجوز على الله تعالى (ذلك) العذاب بالنار (بأن الله) أى بسبب انه (نزل الكتاب) أى جنس الكتاب (بالحق) أى حال كونه ملتبسا بالحق فلا جرم يكون من رفضه بالتكذيب والكتمان وركب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من افانين العذاب (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) أى فى جنس الكتاب الالهى بأن آمنوا ببعض كتب الله وكفروا ببعضها أو فى التوراة بأن آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كالآيات المغيرة المشتملة على أمر بعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونعوته الكريمة أو فى القرآن بأن قال بعضهم انه شعر وبعض انه سحر وبعض كهانة (لفى شقاق بعيد) أى خلاف بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب اعلم أن فى هذه

الآيات وعيدا عظيما لكل من يكتم الحق لغرض فاسد دنيوى فليحذروا أى العلماء أن يكتموا
الحق وهم يعلمون وانما يكتمونه عن الملوك والامراء والوزراء وأرباب الدنيا ماخوفا من اتضاع
مرتبتهم ونقصان قدرهم عندهم واما طمعا الى احسانهم أو لانهم شركاؤهم فى بعض أحوالهم
من حب الدنيا وجمعها والحرص فى طلبها أو طلب مناصبها وحب رياستها أو بالتنعم فى المأكول
والمشروب والملبوس والمركوب والمسكن والاوانى وآلات البيت والامتعة والزينة فى كل شئ
والخدم والخيول وغير ذلك فهم لذلك يداهنون ويأكلون ثمنا قليلا ولا يأكلون الا نار الحرص
والشهوة والحسد التى تطلع على الافئدة وتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واعلم
أن فى كل عمل وفعل وقول يصدر من العبد على خلاف الشرع شررا يجتنى من نار السعير
فتحصل فى قلب العبد تلك النار فى الحال وفى التى تصدر من العبد على وفق الشرع شررا
يجتنى من نار المحبة فتظهر فى القلب فتحرق كل محبوب غير الله فى القلب كما ان نار السعير تحرق
فى القلب الحسنات والاخلاق الحميدة فيأكلون نارا فى الحال وانما قال ما يأكلون فى بطونهم
الا النار لان فسادهم كان فى الباطن فكان عذابهم فى البطون وانما لا يكلمهم الله يوم القيامة
لانهم كتموا كلام الله فى الدنيا ولا تكلموه بالصدق فكان جزاء سيئة سيئة مثلها وانما لا يزكيهم
لان تزكية النفس للانسان مقدرة من الايمان والاعمال الصالحة بصدق النية من تهذيب
الاخلاق بآداب الشرع فأولئك المداهنون من العلماء هم الذين اشتروا حب الدنيا بهدى
اظهار الحق وآثروا الخلق على الحق والمداهنة على أفضل الجهاد قال عليه السلام ان أفضل
الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وانما كانت أفضل لان الجهاد بالحجة والبرهان جهاد أكبر
بخلاف الجهاد بالسيف والسنان فانه جهاد أصغر ومدار كتمان الحق حب الدنيا وحبها رأس
كل خطيئة قال الحسن ان الزبانية الى فسقة حملة القرآن أسرع منهم الى عبدة الاوثان
فيقولون ربنا ما بال الزبانية تقدمون الينا فيقول الله ليس من يعلم كمن لا يعلم فمن اشترى الدنيا بالدين
فقد وقع فى خسران مبين وكان دائما فى منازعة الشيطان كما حكى ان رجلا قال للشيخ أبى مدين
ما يريد منا الشيطان شكاية منه فقال الشيخ انه جاء قبلك وشكا منك وقال اعلم انه يشكونى
ولكن الله ملكنى الدنيا فهو نازعنى فى ملكى لا أرسلها بدون اعانة فمن كف يده عن الدنيا وزينتها
فقد استراح من تعبها ومحنتها (وحكى) ان ذا القرنين اجتاز على قوم تركوا الدنيا وجعلوا
قبور موتاهم على أبوابهم يقتاتون بنبات الارض ويشتغلون بالطاعة فأرسل ذو القرنين الى
ملكهم فقال مالى حاجة الى صحبة ذى القرنين فجاء ذو القرنين فقال ما سبب قلة الذهب والفضة
عندكم قال ليس للدنيا طالب عندنا لانها لا تشبع أحدا فجعلنا القبور عندنا حتى لا ننسى
الموت ثم أخرج رأس انسان وقال هذا رأس ملك من الملوك كان يظلم الرعية ويجمع حطام
الدنيا فقبضه الله تعالى وبقى عليه السيئات ثم أخرج رأسا آخر وقال أيضا هذا رأس ملك
عادل مشفق فقبضه وأسكنه جنته ورفع درجته ثم وضع يده على رأس ذى القرنين وقال من
أى الرأسين يكون رأسك فبكى ذو القرنين وقال ان ترغب فى صحبتى شاطرتك مملكتى
وسلمت اليك وزارتى فقال هيهات قال ذو القرنين ولم قال لان الناس أعداؤك بسبب المال
والمملكة وجميعهم أحبائى بسبب القناعة (قال السعدى قدس سره) دركوشة قناعت نان

پاره و پينه * در پيش اهل معنى به ترز صد خزينه (ليس البر) هو كل فعل مرضى يفضى بصاحبه الى الجنة (أن تولوا) أى ان تصرفوا يا أهل الكتابين (وجوهكم) فى الصلاة (قبل المشرق والمغرب) أى مقابلهما ظرف مكان لقوله تولوا والبر منصوب على انه خبر مقدم وأن تولوا اسمها لكونه فى تأويل المصدر والمصدر المؤول أعرف من المحلى باللام وهو يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به فالاولى أن يجعل الاعرف اسما وغير الاعرف خبرا وذلك ان اليهود والنصارى أكثروا الخوض فى أمر القبلة حين حول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر هو التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر ما أنتم عليه فانه منسوخ خارج من البر (ولكن البر) المعهود الذى ينبغى أن يهتم بشأنه ويجد فى تحصيله (من) أى بر من على حذف المضاف لان اسم لكن من أسماء المعانى وخبرها من أسماء الاعيان فامتنع الحمل لذلك (من آمن بالله) وحده ايمانا بريأ من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله وقدم الايمان بالله فى الذكر لانه أصل لجميع الكمالات العلمية والعملية (واليوم الآخر) أى بالبعث الذى فيه جزاء الاعمال على أنه كائن لا محالة وعلى ما هو عليه لا كما يزعمون من أنهم لا تمسهم النار الا أياما معدودة وان آباءهم الانبياء ويشفعون لهم فالبر هو التوجه الى المبدا والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب فى الحقيقة ولما كان الايمان باليوم الآخر متفرعا على الايمان بالله لانا ما لم نعلم باستحقاقه الالوهية وقدرته على جميع الممكنات لا يمكننا أن نعلم صحة الحشر والنشر وكان الايمان به محركا وداعيا الى الانقياد بالله فى جميع ما أمر به ونهى عنه خوفا وطمعا ذكر الايمان به عقيب الايمان بالله (والملائكة) كلهم بأنهم عباد الله ليسوا بذكور ولا اناث ولا بشر ولا أولاد الله مكرمون عنده متوسطون بينه وبين أنبيائه بالقاء الوحى وانزال الكتب واليهود أخلوا بذلك حيث أظهروا عداوة جبريل (والكتاب) أى بجنس الكتاب الالهى الذى من افراده الفرقان واليهود أخلوا بذلك لانه مع قيام الدليل على أن القرآن كتاب الله تعالى ردوه ولم يقبلوه (والنبيين) جميعا بأنهم المبعوثون الى خلقه والقائمون بحقه والصادقون عنه فى أمره ونهيه ووعده ووعيده وأخباره من غير تفرقة بين أحد منهم واليهود أخلوا بذلك حيث قتلوا الانبياء وطعنوا فى نبوة محمد عليه السلام واعلم ان الايمان بالملائكة والكتاب مؤخر عن الايمان بالنبيين الا أنه قدم الايمان بهما فى الذكر رعاية للترتيب بحسب الوجود الخارجى ولم ينظر الى الترتيب فى العلم فان الملك يوجد أولا ثم يحصل بواسطته نزول الكتاب الى الرسل فتدعو الرسل الى ما فيها من الاحكام وهذا أى الايمان بالامور الخمسة المذكورة أصول الدين وقواعد العقائد (وآتى المال) أى الصدقة من ماله (على حبه) حال من الضمير فى آتى والضمير المجرور للمال أى آتاه كائنا على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل أى الصدقة أفضل قال ان تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان (قال السعدى) بريشان كن امروز گنجينه جست * كه فردا كليدش نه در دست تست * كنون بر كف دست نه هرچه هست * كه فردا بدندان گزى پشت دست (ذوى القربى) مفعول أول لآتى بدلالة

المال وقدمهم لانهم أحق بالصدقة لقوله عليه السلام صدقتك على المسلمين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال أيضا أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح (واليتامى) الفقراء منهم لا الاغنياء وقدم اليتامى على سائر المصارف لان الصغير الفقير الذى لا والد له ولا كاسب أشد احتياجا من المساكين ومن ذكر بعدهم (والمساكين) جمع مسكين والمسكين ضربان من يكف عن السؤال وهو المراد ههنا ومن ينبسط ويسأل وهذا القسم داخل فى قوله والسائلين وهو مبالغة الساكن فان المحتاج يزداد سكونه الى الناس على حسب ازدياد حاجته (وابن السبيل) أى المسافر البعيد عن ماله وسمى به لملازمته له كما تقول للص القاطع ابن الطريق وللمعمر ابن الليالى ولطير الماء ابن الماء والضيف لانه جاء من السبيل فكانه ولده منه قال النبى صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وأيضا أكرموا الضيف ولو كان كافرا (والسائلين) الذين ألجأتهم الحاجة والضرورة الى السؤال وفى الحديث للسائل حق ولو جاء على ظهر فرسه (قال السعدى) نه خواهنده بر در ديكران * بشكرانه خواهنده از در مران (وفى) تخليص (الرقاب) بمعاونة المكاتبين جمع رقبة وهى مؤخر العنق واشتقاقها من المراقبة لانها مكان مراقبة الرقيب المشرف على القوم واذا قيل أعتق الله رقبته يراد ان الله تعالى خلصه من مراقبة العذاب اياه وقيل المراد بهم أرقاء يشتريهم الاغنياء لاعتاقهم وقيل المراد بهم الاسارى فان الاغنياء يؤتون المال فى تخليصهم فهذا هو البر ببذل الاموال على وفق مراد الله تعالى الى المصارف المذكورة واليهود أخلوا بذلك لانهم أكلوا أموال الناس بالباطل حيث كتموا دلائل حقية الاسلام على أتباعهم واشتروا به ثمنا قليلا وعوضا يسيرا وهو ما يعود اليهم من هدايا السفلة (وأقام الصلاة) المفروضة عطف على صلة من أى من آمن وآتى وأقام واليهود كانوا يمنعون الناس من الصلاة والزكاة (وآتى الزكاة) المفروضة على أن المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقة قدم على الفريضة مبالغة فى الحث عليه أو الاول لبيان المصارف والثانى لبيان وجوب الاداء (والموفون) عطف على من آمن فانه فى قوة أن يقال ومن أوفوا (بعهدهم) من الاوامر والنواهى أو النذور (اذا عاهدوا) فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين الناس اذا وعدوا أنجزوا واذا حلفوا أو نذروا أوفوا واذا قالوا صدقوا واذا ائتمنوا أدوا وفى الحديث من أعطى عهد الله ثم نقضه فالله لا ينظر اليه أى انقطع نظره عنه ومن أعطى ذمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم غدر فالنبى خصمه يوم القيامة واليهود نقضوا العهد قال الله تعالى وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم (وفى المثنوى)

چون درختست آدمى و بيخ عهد * بيخ را تيمار مى بايد بجهد * عهد فاسد بيخ پوسيده بود * وز ثمار ولطف ببريده بود * شاخ و برك نخل كرچه سبز بود * چون تبه شد بيخ سبزى نيست سود * ور ندارد برك سبز و بيخ هست * عاقبت بيرون كند صد برك دست (والصابرين) منصوب على المدح أى بتقدير أعنى وهو فى الحقيقة والمعنى عطف على من آمن لكن غير سبكه تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته أى وأعنى الذين صبروا (فى البأساء) أى فى الفقر والشدة (والضراء) أى المرض والزمانة (وحين البأس) منصوب بالصابرين أى وقت الشدة والبأس شدة القتال خاصة وهو فى الاصل مطلق الشدة وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة

انقضائه وأهل الكتاب أخلوا بذلك حيث كانوا فى غاية الخوف والجبن والحاصل أنه لما حوّلت القبلة وكثر خوض أهل الكتاب فى نسخها صار كأنهم قالوا مدار البرّ والطاعة هو الاستقبال فأنزل الله هذه الآية كأنه تعالى قال ماهذا الخوض الشديد فى أمر القبلة مع الاعراض عن كل أركان الدين فصفة البرّ لا تحصل بمجرّد استقبال المشرق والمغرب بل البرّ لا يحصل الا بمجموع الامور المذكورة (أولئك) أى أهل هذه الصفة (الذين صدقوا) فى الدين واتباع الحق وتحرّى البرّ حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم الاهوال (وأولئك هم المتقون) عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شأنهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والآية جامعة للكمالات الانسانية بأسرها دالة عليها صريحا أوضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلاثة أشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد أشير الى الاوّل بقوله من آمن الى والنبيين والى الثانى بقوله وآتى المال الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله وأقام الصلاة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه يشير قوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان قال شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة قيل لى فى قلبى أحسن أخلاق المرء فى معاملته مع الحق التسليم والرضا وأحسن أخلاقه فى معاملته مع الخلق العفو والسخاء انتهى كلامه وحب المال من أغلب أخلاق النفس وكذا البخل من الاخلاق الرديئة ولذلك قيل ان الصبر أفضل من الشكر وفى الخبر يؤتى بأشكر أهل الارض ليجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى بالصابر فيقول الله هذا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين والتحقيق أن تهذيب النفس انما يكون بالتوحيد بطريقة المخصوص كما ان اصل الايمان انما يحصل بالتوحيد والشهادة (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) الخطاب لأئمة المؤمنين أوجب الله تعالى على الامام وعلى من يجرى مجراه ويقوم مقامه اقامة القصاص والتقدير يا أيها الائمة فرض عليكم استيفاء القصاص ان أراد ولىّ الدم استيفاءه ويحتمل أن يكون الخطاب متوجها على القاتل والمعنى يا أيها القاتلون عمدا كتب عليكم تسليم أنفسكم عند مطالبة الولىّ بالقصاص وذلك لان القاتل ليس له أن يمتنع عن القصاص لكونه حق العبد بخلاف الزانى والشارب فان لهما الهرب من الحدود لكون ما عليهما من الحق حق الله تعالى والقصاص أن يفعل بالانسان مثل مافعل فهو عبارة عن التسوية والمماثلة فى الانفس والاطراف والجراحات والقتلى جمع قتيل وفى للسببية أى بسبب قتل القتلى كما فى قوله عليه السلام ان امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها أى بسبب ربطها اياها وحسن الوقف فى قوله القتلى (الحرّ بالحر) مبتدأ وخبر أى الحر مأخوذ ومقتول بمثله (والعبد بالعبد والانثى بالانثى) سبب النزول انه كان بين حيين من أحياء العرب دماء فى الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر أى قوة وفضل فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وأمرهم الله أن يتباروا أى يتساووا ويتعادلوا وقوله الحر بالحر لا يفيد الحصر البتة بأن لا يجرى القصاص الا بين الحرين وبين العبدين وبين الانثيين بل يفيد شرع

القصاص في القتلى بين المذكورين من غير أن يكون فيه دلالة على سائر الاقسام فان قوله تعالى
كتب عليكم القصاص في القتلى جملة مستقلة بنفسها وقوله الحر بالحر تخصيص لبعض
جزئيات تلك الجملة بالذكر وتخصيص بعض جزئيات الجملة المستقلة بالذكر لا يمنع ثبوت الحكم
لسائر الجزئيات بل ذلك التخصيص يمكن أن يكون لفائدة سوى نفي الحكم عن سائر الصور وهي
ابطال ما كان عليه أهل الجاهلية من أنهم كانوا يقتلون الحر من قبيلة القاتل بالعبد المقتول
والانثى القاتلة بالانثى المقتولة وليس فيه نفي جريان القصاص بين الحر والعبد والذكر والانثى
بل فيه منع عن التعدي الى غير القاتل انتهى كلامه والثوري وأبو حنيفة يقتلان الحر بالعبد
والمؤمن بالكافر ويستدلان بعموم قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس فان شريعة
من قبلنا اذا قصت علينا في القرآن من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على أنها شريعة
لنا وبما روى المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل في النفس غير معتبر بدليل قتل الجماعة
بالواحد وبأن القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين أو بالدار وهما سيان فيهما ومالك
والشافعي لا يقتلان الحر بالعبد ولا المؤمن بالكافر كما قال الشافعي رحمه الله

خذوا بدمي هذا الغزال فانه * رماني بسهمي مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه انني أنا عبده * وفي مذهبي لا يقتل الحر بالعبد

(فمن) عبارة عن القاتل شرطية كانت أو موصولة (عفي له من أخيه) الضميران راجعان
الى من (شيء) أي شيء من العفو وقليل فارتفاع شيء على انه قائم مقام فاعل عفي بناء على أنه في حكم
المصدر أي في حكم قولك عفي عفو فان عفا وان كان لازما لا يتعدى الى المفعول به الا أنه
يتعدى الى المفعول المطلق فيصلح أن يقام مصدره مقام الفاعل كما في قوله تعالى فاذا نفخ في
الصور نفخة وقولهم سير بزيد بعض السير وشيء من السير وفائدة قوله شيء الاشعار بأنه اذا عفي له
طرف من العفو وبعض منه بأن يعفى عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط
القصاص ولم يجب الا الدية وعفا يتعدى الى الجاني والى الذنب بعن فاذا تعدى الى الذنب بعن
كما في قوله تعالى عفا الله عنك عدى الى الجاني باللام يقال عفوت لفلان اذا جنى وعليه ما في
الآية وعفو الجاني عبارة عن اسقاط موجب الجناية عنه وموجبها ههنا القصاص فكأنه
قيل القاتل الذي عفي له عن جناية من جهة أخيه الذي هو ولي المقتول سواء كان العفو الواقع
تاما بأن اصطلح القاتل مع جميع أولياء القتيل على مال أو بعض العفو بأن وقع الصلح بينه وبين
بعض الاولياء فانه على التقديرين يجب المال ويسقط القصاص فانه قد روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في الصلح عن القصاص على مال وسمى الله تعالى ولي
الجناية أخا للقاتل استعطافا له عليه وتنبيها على أن اخوة الاسلام قائمة بينهما وأن القاتل
لم يخرج من الايمان بقتله (فاتباع بالمعروف) خبر مبتدأ محذوف أي واذا حصل شيء من العفو
وبطل الدم بعفو البعض فالامر اتباع بالمعروف أي على ولي المقتول أن يطالب القاتل ببدل
الصلح بالمعروف بترك التشديد والتضييق في طلبه واذا أخذ الدية لا يطالب الا كثر مما وجب
عليه (وأداء اليه باحسان) حث للمعفو عنه وهو القاتل على تأدية المال بالاحسان أي وعلى
القاتل أن يؤدي المال الى العافي باحسان في الاداء بترك المطل والبخس والاذى (ذلك) أي

قوله كما قال الشافعي المذكور في كتب الشافعية أنه سمعه بعض الفقهاء على شاطئ الدجلة من غلام يترنم به

الحكم المذكور من العفو والدية (تخفيف من ربكم) أي تيسير وتوسعة لكم (ورحمة) منه حيث لم يحتم بالعفو وأخذ الدية بل خيركم بين الثلاث القصاص والدية والعفو وذلك لان في شرع موسى عليه السلام القصاص وهو العدل فقط وفي دين عيسى عليه السلام العفو وهو الفضل فحسب وفي ملتنا للتشفي القصاص وللترفه الدية وللتكرم العفو (فمن اعتدى) أي تجاوز ما شرع له (بعد ذلك) التخفيف بأن قتل غير القاتل أو قتل القاتل بعد العفو أو أخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبول الدية ثم يظفر به فيقتله ويبذ ماله الى أوليائه (فله) باعتدائه (عذاب أليم) نوع من العذاب شديد الألم أما في الدنيا فبالاقتصاص عما قتله بغير حق وأما في الآخرة فبالنار (ولكم في القصاص حيوة) أي في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة لانهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة كما قتل مهلهل بن ربيعة بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع فيما بينهم التشاجر والهرج والمرج وارتفاع الامن فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه أي حياة لانه اذا علم القاتل أنه يقتل اذا قتل لا يقدم على القتل واذا قتل فقتل ارتدع غيره فكان القصاص سبب حياة نفسين أو أكثر وهو كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشئ محل ضده فان ضدية شئ لآخر تستلزم أن يكون تحقق أحدهما رافعا للآخر والقصاص لاستلزامه ارتفاع الحياة ضد لها وقد جعل ظرفا لها تشبيها له بالظرف الحقيقي من حيث ان المظروف اذا حواه الظرف لا يصيبه ما يخل به ويفسده ولا هو يتفرق ويتلاشى بنفسه كذلك القصاص يحمى الحياة من الآفات فكان من هذا الوجه بمنزلة الظرف لها ولا شك فيه اذ جعل الضد جامعا لضده اعتبار لطيف في غاية الحسن والغرابة التي هي من نكات البلاغة وطرقها (ياأولي الالباب) أي ذوي العقول الخالصة من شوب الاوهام ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس (لعلكم تتقون) تعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان أو تتقون عن القتل مخافة القود وفيه تحذير عن القتل فان من أعظم حقوق العباد الدماء وهي أول ما يحاسب به العبد بالنسبة الى حقوق العباد كما ان الصلاة أول ما يحاسب به بالنسبة الى حقوق الله تعالى وفي الحديث يأتي المقتول معلقا رأسه باحدى يديه ملببا قاتله بيده الاخرى تشخب أوداجه دما حتى يوقفا فيقول المقتول لله سبحانه وتعالى هذا قتلني فيقول الله تعالى للقاتل تعست ويذهب به الى النار واعلم أن الذنوب على ثلاثة أوجه * الاول فيما بين العبد وبين الله تعالى كالزنا واللواطة والغيبة والبهتان ما لم يبلغ الى من بهته واغتابه فاذا بلغه وجعله في حل وتاب المذنب فنرجو أن الله يغفر له وكذلك اذا زنى بامرأة ولها زوج فلم يجعله ذلك الرجل في حل لا يغفر له لان خصمه الآدمي فاذا تاب وجعله في حل فانه يغفر له ويكتفي بحل منه ولا يذكر الزنا بأن قال كل حق لي عليك فقد جعلتك في حل منه ومن كل خصومة بيني وبينك وهذا صلح بالمعلوم على المجهول وذلك جائز كرامة لهذه الامة لان الامم السالفة ما لم يذكر الذنب لا يغفر لهم * والثاني ذنب فيما بينه وبين أعمال الله وهو أن يترك الصلاة والصوم والزكاة والحج فان التوبة لا تكفيه ما لم يقض الصلاة وغيرها لان شرط التوبة أن يؤدي ما ترك فاذا لم يؤد فكأنه لم يتب * والثالث فيما بينه وبين عباد الله وهو أن يغصب أموالهم أو يضربهم أو يشتمهم أو يقتلهم

فان التوبة لا تكفيه الا أن يرضى عنه خصمه أو يجتهد فى الاعمال الصالحة حتى يوفق الله بينهما يوم القيامة فانه اذا تاب العبد وكان عليه حقوق العباد فعليه أن يردها الى أربابها وان عجز عن ايصالها وأراد الله مغفرته يقول لخصمه يوم القيامة ارفع رأسك فيرفع فيرى قصورا عالية فيقول يارب لمن هذه فيقول الله تعالى أنت قادر عليها فان ثمنها عفوك عن أخيك فيقول قد عفوت فيقول الله تعالى خذ بيد أخيك واذهبا الى الجنة * والاشارة فى الآية ان الله تعالى كتب عليكم القصاص فى قتلاكم كما كتب على نفسه الرحمة فى قتلاه كما قال من أحبنى قتلته ومن قتلته فأنا ديته (وفى المثنوى) كر يكى سر را ببرد از بدن * صد هزاران سر بر آرد در زمن * اقتلونى ياثقاتى لائما * ان فى قتلى حياتى دائما * ان فى موتى حياتى يافتى * لم أفارق موطنى حتى متى * شير دنيا جويد اشكار وبرك * شير مولى جويد آزادى ومرك * جونكه اندر مرك بيند صد وجود * همجو پروانه بسوزاند وجود * فعلى العاقل أن يقتل نفسه بالرياضات الشديدة ويحيى قلبه بالحياة الطيبة الباقية اللهم وفقنا لمداواة هذه القلوب المرضى آمين (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت) أى حضر أسبابه وظهر اماراته وآثاره من العلل والامراض اذ لا اقتدار على الوصية عند حضور نفس الموت والعامل فى اذا مدلول كتب لان الكتب بمعنى الايجاب لا يحدث وقت حضور الموت بل الحادث تعلقه بالمكلف وقت حضور موته فكأنه قيل توجه عليكم ايجاب الله تعالى ومقتضى كتابه اذا حضر فعبر عن توجه الايجاب وتعلقه بكتب للدلالة على ان هذا المعنى مكتوب فى الازل (ان ترك خيرا) أى مالا قليلا أو كثيرا أو مالا كثيرا يقال فلان ذو مال ولا يطلق ذلك لمن له مال قليل * وعن عائشة رضى الله عنها ان رجلا أراد أن يوصى قالت كم مالك قال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك وأصل الخير أن يكون لكل ما يرغب فيه مما هو نافع لا نقيضه الشر قال فى اخوان الصفا الخير فعل ما ينبغى فى الوقت الذى ينبغى من أجل ما ينبغى (الوصية) نائب فاعل كتب أى فرض الايصاء (للوالدين والاقربين) ممن يرث وممن لا يرث (بالمعروف) نصب حالا أى بالعدل لا يزيد على الثلث ولا يوصى للغنى ويدع الفقير وكان السبب فى نزول هذه الآية ان أهل الجاهلية كانوا يوصون بمالهم للبعدى رياء وسمعة وطلبا للفخر والشرف ويتركون الاقارب فى الفقر والمسكنة فصرف الله تعالى بهذه الآية فى بدء الاسلام ما كان يصرف الى الابعدين الى الوالدين والاقربين فعمل بها ما كان العمل بها صلاحا وحكمة ثم نسختها آية المواريث فى سورة النساء فالآن لا يجب على أحد أن يوصى لاحد قريب ولا بعيد واذا أوصى فله أن يوصى لكل من الاقارب والاباعد الا للوارث (حقا) أى أحق هذه الوصية حقا (على المتقين) المجتنبين عن ضياع المال وحرمان القريب يعنى ان كنتم متقين بالله لا تتركوا العمل بهذا قال ابن الشيخ فى حواشيه فان قيل قوله على المتقين يقتضى أن يكون هذا التكليف مختصا بالمتقين وقد دل الاجماع على ان الواجبات والتكاليف عامة فى حق المتقين وغيرهم أجيب بأن المراد بقوله حقا على المتقين أنه لازم لكل من آثر التقوى وتحراها وجعلها طريقته ومذهبا فيدخل فيه الكل (فمن بدله) الضمير راجع الى الوصية لكونها فى تأويل الايصاء أى غير الايصاء عن وجهه الشرعى والمشهور أن من غير ايصاء المحتضر هو الوصى أو الشاهد فالوصى يغير

الوصية اما في الكتابة أو في قسمة الحقوق والشاهد بغيرها اما بتغيير وجه الشهادة أو بكتمها
ويمكن أن يكون التبديل من سائر الناس بأن منعوا من وصول المال الموصى به الى مستحقه
فهؤلاء كلهم داخلون تحت قوله فمن بدله (بعدما سمعه) أى بعدما وصل اليه وتحقق لديه (فانما
اثمه) أى ما اثم الايصاء المغير أو اثم التبديل الا (على الذين يبدلونه) لانهم خانوا وخالفوا الشرع
لا على الموصى وهو الميت فانه برىء من الاثم (ان الله سميع) بالايصاء وتغييره (عليم) بثوابه
وجزاءه من غيره وهو يجازى كل واحد منهما بما يستحقه (فمن) شرطية أو موصولة (خاف) أى
توقع وعلم فانه اذا علم خاف فهو من اطلاق اسم اللازم على الملزوم (من موص) أى من الذى
أوصى وهو يجوز أن يتعلق بخاف على انها لابتداء الغاية أو بمحذوف على انها حال من جنفا
قدمت عليه لانها في الاصل صفة له فلما تقدمت نصبت حالا (جنفا) أى ميلا عن الحق بالخطا
في الوصية (أو اثما) أى تعمدا للجنف يعنى اذا جهل الموصى موضع الوصية أو زاد على مقدار
الوصية أو أوصى بما لا يجوز ايصاؤه (فأصلح) الظاهر أن المراد بالمصلح هو الوصى لانه أشد
تعلقا بامر الوصية الا أنه لا وجه لتخصيصه بالوصى بل ينبغى أن يدخل تحته كل من يتأتى منه
رفع الفساد في وصية الميت من الوالى والولى والوصى ومن يأمر بالمعروف والمفتى والقاضى
والوارث (بينهم) أى بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون فغير وصيته باجرائها على طريق
الشرع (فلا اثم عليه) أى لا وزر على المغير في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف
الاول (ان الله غفور رحيم) وعد للمصلح بالاثابة وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من
جنس ما يؤثم لان بعض التبديل وهو التبديل الى الباطل اثم وهذا من المشاكلة الصورية
لا المعنوية لان التبديل الى خير ليس من جنس الاثم لكن صورته صورة ما يؤثم واعلم أن الوصية
مستحبة لحاجة الناس اليها فان الانسان مغرور بأمله أى يرجو الحياة مدة طويلة مقصر في عمله
فاذا عرض له المرض وخاف الهلاك يحتاج الى تدارك تقصيره بماله على وجه لو مات فيه يتحقق
مقصده المآلى ولو أنهضه البرء يصرفه الى مطلبه الحالى وفي الحديث ان الله تصدق عليكم
بثلث أموالكم في آخر أعماركم زيادة لكم في أعمالكم تضعونها حيث شئتم ويوصى بفدية صلاته
وصيامه لكل مكتوبة نصف صاع من الحنطة وكذا الوتر ولكل يوم من صوم رمضان أيضا
نصف صاع من الحنطة وفي صوم النذر كذلك قال في تفسير الشيخ ومن كان عليه حج أو كفارة
أى شئ من الواجبات فالوصية واجبة والا فهو بالخيار وعليه الفتوى ويوصى بارضاء خصمائه
وديونه (حكى) أن الامام الشافعى رحمه الله لما مرض مرض موته قال مروا فلانا يغسلنى
فلما مات بلغ خبر موته اليه فحضر وقال ائتونى بتذكرته فأتى بها فنظر فيها فاذا على الشافعى
سبعون ألف درهم دينا فكتبها على نفسه وقضاها وقال هذا غسلى اياه واياه أراد * وفي الخبر
الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى قيل
يا رسول الله وهل تتكلم الموتى قال نعم ويتزاورون قال الامام نقلا عن بعض الائمة الاعلام
الارواح قسمان منعمة ومعذبة فأما المعذبة فهى محبوسة مشغولة عن التزاور والتلاقى وأما
المنعمة المرسلة غير المحبوسة فتتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل
الدنيا فيكون كل روح مع رفيقه الذى هو على مثل عمله وهذه المعية ثابتة في دار البرزخ وفي دار

الجزاء والمرجع من أحب فى هذه الدور الثلاث فى كل موطن وموقف فعلى العاقل أن يختار صحبة الاخيار وتأهب آناء الليل وأطراف النهار ولا يغتر بالمال والمنال ولا ينقطع عن الله بطول الآمال فان الدنيا فانية وكل من عليها فان فاتقوا الله فى كل حين وآن (قال الصائب) درسر اين غافلان طول امل دانى كه چيست * آشيان كردست مارى دركبوترخانه * والاشارة فى الآية انه كتب على الاغنياء الوصية بالمال وكتب على الاولياء الوصية بالحال فالاغنياء يوصون فى آخر أعمارهم بالثلث والاولياء يخرجون فى مبادى أحوالهم عن الكل اذا حضر أحدكم الموت أى يحضر قلب أحدهم مع الله ويموت بنفسه بالارادة عن الصفات الطبيعية الحيوانية كما قال صلى الله عليه وسلم موتوا قبل أن تموتوا ويترك كل خير وشر كان مشربها من الدنيا والعقبى فعليه أن يوصى للوالدين وهما الروح العلوى والبدن السفلى فان النفس تولدت وحصلت بازدواجهما والاقربين وهما القلب والسر وباقى المتولدات البشرية بتركه وترك كل مشرب يظهرا لهم من المشارب الروحانية الباقية والمشارب الجسمانية الفانية بالمعروف أى بالاعتدال من غير اسراف يفضى الى التلاف محترزا فى الاحوال من الركون الى شهوة من الشهوات وفى الاعمال مجتنبا عن الرسوم والعادات كما قال النبى عليه السلام بعثت لرفع العادات وترك الشهوات وقال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق بأن يجعل المشارب مشربا واحدا والمحابيب محبوبا واحدا والمذاهب مذهبا واحدا حقا على المتقين يعنى ما ذكرنا من الوصية بجملتها حق واجب على متقى الشرك الخفى ولهذا قال على المتقين وما قال على المسلمين والمؤمنين لانهم أهل الظواهر والمتقون هم أهل البواطن كما قال عليه السلام التقوى ههنا وأشار الى صدره واعلم أن القرآن أنزل لاهل البواطن كما أنزل لاهل الظواهر لقوله عليه السلام ان للقرآن ظهرا وبطنا فظاهره الاحكام لاهل الظواهر والاحكام تحتمل النسخ كما نسخت هذه الآية فى الوصية الظاهرة وباطنها الحكم والحقائق فهى لا تحتمل النسخ أبدا ولهذا قال أهل المعانى ليس شئ من القرآن منسوخا يعنى وان كان دخل النسخ فى أحكام ظاهره فلا يدخل فى أحكام باطنه فيكون أبدا معمولا بالمواعظ والاسرار والحقائق حقا على المتقين لانه مخصوص بهداية المتقين كقوله تعالى هدى للمتقين فحكم الوصية فى حقهم غير منسوخ أبدا كذا فى التأويلات النجمية قدس الله نفسه الزكية (يا أيها الذين آمنوا) قال أصحاب اللسان يا حرف نداء وهو نداء من الحبيب للحبيب وأيها تنبيه من الحبيب للحبيب وآمنوا شهادة من الحبيب للحبيب وقال الحسن اذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا فارع لها سمعك فانه لامر تؤمر به أو لنهى تنهى عنه وقال جعفر الصادق لذة فى النداء أزال بها تعب العبادة والعناء يشير الى أن المحب يبادر الى امتثال أمر محبوبه حتى لو أمره بالقاء نفسه فى النار (كتب عليكم الصيام) أى فرض عليكم صيام شهر رمضان فانه تعالى قال بعده أياما معدودات وقال تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه بعد قوله شهر رمضان والصيام فى الشريعة هو الامساك نهارا مع النية من أهله عن المفطرات المعهودة التى هى معظم ما تشتهيه الانفس وهذا صوم عوام المؤمنين وأما صوم الخواص فالامساك عن المنهيات وأما صوم أخص الخواص فالامساك عما سوى الله تعالى (كما كتب) محل كما النصب على انه صفة مصدر محذوف أى كتبا كائنا مثل ما كتب

وما مصدرية أو على انه حال من الصيام وما موصولة أى كتب عليكم الصيام مشبها بالذى كتب (على الذين من قبلكم) من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين فان الصوم عبادة شاقة والشئ الشاق اذا عم سهل تحمله ويرغب كل أحد فى اتيانه والظاهر أن التشبيه عائد الى أصل ايجاب الصوم لا الى كمية الصوم المكتوب وبيان وقته فكان الصوم على آدم أيام البيض وصوم عاشوراء كان على قوم موسى والتشبيه لا يقتضى التسوية من كل وجه كما يقال فى الدعاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وكما قال عليه السلام انكم سترون ربكم كالقمر ليلة البدر فان هذا تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئى بالمرئى (لعلكم تتقون) المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدؤها كما قال عليه السلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء قوله الشباب جمع شاب وهو عند أصحابنا من بلغ ولم يجاوز ثلاثين كذا قاله النووى والباءة النكاح والتزوج وهو المباءة فى المنزل لان من تزوج امرأة بوأها منزلا والوجاء نوع من الاخصاء وهو أن يرض عروق الانثيين ويترك الخصيتين كما هما والمعنى على التشبيه أى الصوم يقطع شهوة الجماع ويدفع شر المنى كالخصاء والامر فى الحديث للوجوب لانه محمول على حالة التوقان باشارة قوله يا معشر الشباب فانهم ذوو التوقان على الجبلة السليمة قال العلماء تسكين الشهوة يحصل بالصيام بالنهار والقيام بالليل وحذف الشهوات والتغافل عنها وترك محادثة النفس بذكرها فان قلت ان الرجل يصوم ويقوم ولا يأكل ويجد من نفسه حركة واضطرابا قلت ذلك من فرط فضل شهوة متقدمة فيه من الاول فليقطع ذلك عن نفسه بالهموم والاحزان الدائمة وذكر الموت وتقريب الاجل وقصر الامل والمداومة على المراقبة والمحافظة على الطاعة (أياما معدودات) أى موقتات ومقدرات بعدد معلوم أو قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا أى يصب صبا من غير كيل وعد فالله تعالى لم يفرض علينا صيام الدهر ولا صيام أكثره تخفيفا ورحمة وتسهيلا لامر التكليف على جميع الامم وانتصاب أياما بمضمر دل هو أى الصيام عليه أعنى صوموا اما على الظرفية أو المفعولية اتساعا (فمن كان منكم مريضا) أى مرضا يضره الصوم أو يضر معه (أو على سفر) أو راكب سفر وفيه ايماء بأن من سافر فى اثناء اليوم لم يفطر لعدم استعلائه السفر استعلاء الراكب المركوب بل هو ملابس شيأ من السفر والرخصة انما أثبتت لمن كان على سفر وكلمة على فيها استعارة تبعية شبه تلبسه بالسفر باستعلاء الراكب واستيلائه على المركوب يتصرف فيه كيف يشاء وللدلالة على هذا المعنى عدل عن اسم الفاعل فلم يقل أو مسافرا اذ ليس فيه اشارة بالاستيلاء على السفر (فعدة) أى فعليه صوم عدة أيام المرض والسفر فعدة من العد بمعنى المعدود ومنه يقال للجماعة المعدودة من الناس عدة (من أيام أخر) غير أيام مرضه وسفره ان أفطر متتابعا أو غير متتابع والمقصود من الآية بيان ان فرض الصوم فى الايام المعدودات انما يلزم الاصحاء المقيمين وأما من كان مريضا أو مسافرا فله تأخير الصوم عن هذه الايام الى أيام أخر (وعلى الذين يطيقونه) ذهب أكثر المفسرين الى أن المراد بالذين يطيقونه الاصحاء المقيمون خيرهم فى ابتداء الاسلام بين أمرين

بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفدوا لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعوّدوا الصوم ثم نسخ
التخيير ونزلت العزيمة بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فالمعنى أى وعلى المطيقين للصيام
القادرين عليه ان أفطروا (فدية) أى اعطاء فدية وهى (طعام مسكين) وهى نصف صاع من
برّ أو صاع من غيره والفدية فى معنى الجزاء وهو عبارة عن البدل القائم عن الشئ وفى تفسير
الشيخ يطيق من أطاق فلان اذا زالت طاقته والهمزة للسلب أى لا يقدرون على الصوم وهم
الذين قدروا عليه فى حال الشباب ثم عجزوا عنه فى حال الكبر (فمن تطوّع خيرا) أى من تبرّع
بخير فزاد فى الفدية أو زاد وتطوّع تطوّعا خيرا (فهو) أى التطوّع (خير له) وذكر فى الخير المتطوّع
ثلاثة أوجه أحدها ان يزيد على مسكين واحد فيطعم مكان كل يوم مسكينين أو أكثر وثانيها ان
يطعم المسكين الواحد أكثر من القدر الواجب وثالثها ان يصوم مع الفدية فهو خير كله (وأن
تصوموا) فى تأويل المصدر مرفوع بالابتداء أى صومكم أيها المرضى والمسافرون والذين
يطيقونه (خير لكم) من الفدية (ان كنتم تعلمون) ما فى الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة
والجواب محذوف ثقة بظهوره أى اخترتموه وفى الاشباه الصوم فى السفر أفضل الا اذا خاف على
نفسه أو كان له رفقة اشتركوا معه فى الزاد واختاروا الفطر انتهى وانما فضل الصوم للمسافر
لان الصوم عزيمة والتأخير رخصة والاخذ بالعزيمة أفضل وأما ما روى ان النبى عليه السلام
قال ليس من البر الصيام فى السفر فمحمول على ما اذا كان الصوم يضعفه حتى يخاف عليه الهلاك
كذا فى شرح المجمع لابن الملك والسفر المبيح للفطر مسيرة ثلاثة أيام ولياليها عند أبى حنيفة
رحمه الله واعلم ان الله تعالى أمرنا بصيام شهر كامل ليوافق عدد السنة فى الاجر الموعود بقوله
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فالشهر الكامل ثلاثمائة وستة أيام من شوّال ستون يوما فان نقص
يوم من عدد الشهر لم ينقص من الثواب روى أن رسول الله عليه السلام صام ثمانية رمضانات
خمسة منها كانت تسعة وعشرين يوما والباقى ثلاثين يوما وافترض الصيام بعد خمس عشرة سنة
من النبوة بعد الهجرة بثلاث سنين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه بعث الله نبيه عليه السلام
بشهادة أن لا اله الا الله فلما صدق زاد الصلاة فلما صدق زاد الزكاة فلما صدق زاد الصيام فلما
صدق زاد الحج ثم الجهاد ثم أكمل لهم الدين وأول ما فرض الصوم على الاغنياء لاجل الفقراء
فى زمن الملك طهمورث ثالث ملوك بنى آدم وقع القحط فى زمانه فأمر الاغنياء بطعام واحد
بعد غروب الشمس وبامساكهم بالنهار شفقة على الفقراء وايثارا عليهم بطعام النهار وتعبدا
وتواضعا لله تعالى والصوم سبب للولوج فى ملكوت السموات وواسطة الخروج من رحم مضايق
الجسمانيات المعبر عنه بالنشأة الثانية كما أشير اليه بقول عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت
السموات من لم يولد مرتين بل مجاهدة الصوم رابطة مشاهدة اللقاء واليه يشير الحديث القدسى
الصوم لى وأنا أجزى به يعنى أنا جزاؤه لا حورى ولا قصورى ولهذا علق سبحانه نيل سعادة الرؤية
بالجوع حيث قال فى مخاطبة عيسى عليه السلام تجوّع ترانى (قال السعدى) ندارند تن پروران
آگهى * كه پر معده باشد ز حكمت تهى * وانما أضيف الصوم الى الله فى الصوم لى لانه لا رياء
فيه بل سر لا يعلمه الا الله وانما يكون الله سبحانه جزاء صومه اذا أمسك قلبه وسره وروحه عما
سواه تعالى وهو الصوم الحقيقى عند الخواص (قال فى المثنوى) هركرا دار دهوسها جان بالد

* زود بنند حضرت وايوان بالش * والاشارة فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام أن الصوم كما يكون للظاهر يكون للباطن وباطن الخطاب يشير الى ان صوم القلب والروح والسر للذين آمنوا شهود أنوار الحضور مع الله فصوم القلب صومه عن مشارب المعقولات وصوم الروح عن ملاحظة الروحانيات وصوم السر صونه عن شهود غير الله فمن أمسك عن المفطرات فنهاية صومه اذا هجم الليل ومن أمسك عن الاغيار فنهاية صومه ان يشهد الحق وفى قوله عليه السلام صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته عند التحقيق انهما عائدة الى الحق فينبغى ان يكون صوم العبد ظاهرا وباطنا لرؤية الحق وافطاره بالرؤية قوله تعالى كتب عليكم الصيام أى على كل عضو فى الظاهر وعلى كل صفة فى الباطن فصوم اللسان عن الكذب والفحش والغيبة وصوم العين عن النظر فى الغفلة والريبة وصوم السمع عن استماع المناهى والملاهى وعلى هذا فقس الباقى وصوم النفس عن التمنى والحرص والشهوات وصوم القلب عن حب الدنيا وزخارفها وصوم الروح عن نعيم الآخرة ولذاتها وصوم السر عن رؤية وجود غير الله واثباته كما كتب على الذين من قبلكم هى اشارة الى أن أجزاء وجود الانسان من الجسمانية والروحانية قبل التركيب كانت صائمة عن المشارب كلها فلما تعلق الروح بالقالب صارت أجزاء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية والروحانية بقوة امداد الروح وصار الروح بقوة حواس القالب متمتعا من المشارب الروحانية والحيوانية فالآن كتب عليهم الصيام وهم مركبون كما كتب على الذين من قبلكم من المفردات لعلكم تتقون من مشارب المركبات وتصومون فيها مع حصول استعداد الشراب لتفطروا من مشارب يشرب بها عباد الله اذا سقاهم ربهم شرابا طهورا فيطهركم طهوريته هذا الشراب من دنس استدعاء الحظوظ الحيوانية والروحانية كما قال ولكن يريد ليطهركم فلما أفل كوكب استدعاء الحظوظ طلعت شمس استدعاء اللقاء من مطلع الاتقاء فحينئذ يتحقق انجاز ما وعد سيد الانبياء بقوله للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ثم أخبر عن كمال ألطافه مع العباد بتقليل الاعداد فى قوله أياما معدودات والاشارة فيها هو أن صومكم فى أيام قلائل معدودة متناهية وثمرات صومكم فى أيام غير معدودة ولا متناهية فلا يهولنكم سماع ذكره كذا فى التأويلات النجمية (شهر رمضان) مبتدأ خبره ما بعده فيكون المقصود من ذكر هذه الجملة المنبهة على فضله ومنزلته الاشارة الى وجه تخصيصه من بين الشهور بأن فرض صومه ثم أوجب صومه بقوله فمن شهد منكم الشهر المعهود فليصمه وسمى الشهر شهرا لشهرته ورمضان مصدر رمض اذا احترق فأضيف اليه الشهر وجعل المجموع علما ومنع من الصرف للتعريف والالف والنون وانما سمى بذلك اما لارتماض الاكباد واحتراقها من الجوع والعطش واما لارتماض الذنوب بالصيام فيه أو لوقوعه أيام رمض الحر أى شدة وقوعه على الرمل وغيره قيل انهم نقلوا أسماء الشهور من اللغة القديمة فسموها بالازمنة التى وقعت هى فيها وقت التسمية فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمى به كما سمى ربيع لموافقته الربيع وجمادى لموافقته جمود الماء أو رمضان اسم من أسماء الله تعالى والشهر مضاف اليه ولذلك روى لاتقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فان رمضان اسم من أسماء الله تعالى (الذى أنزل فيه القرآن) جملة الى بيت العزة فى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما فى ثلاث

وعشرين سنة حسبما تقتضيه المشيئة الربانية وعن النبي عليه السلام نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والقرآن من القرء وهو الجمع لانه يجمع علم الاولين والآخرين (هدى للناس) أى أنزل حال كونه هداية للناس الى سواء الصراط بما فيه من الاعجاز وغيره (وبينات من الهدى والفرقان) أى وحال كونه آيات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فالهدى على قسمين ما يكون بينا جليا وما لا يكون كذلك والاول أفضل القسمين فذكر الجنس اولا ثم أردفه بأشرف نوعيه بل بالغ فيه فكأنه قيل انه هدى بل هو بين من الهدى ولا شك أنه فى غاية المبالغة لانه فى المرتبة الثالثة فالعطف فى وبينات من باب عطف التشريف (فمن) الفاء للتفريع والترتيب (شهد) أى حضر موضع الاقامة من المصر أو القرية كائنا ذلك الحاضر (منكم الشهر) منصوب على الظرف أى فى الشهر دون المفعول به لان المقيم والمسافر يشهدان الشهر (فليصمه) أى فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا والمراد بالشاهد العاقل البالغ الصحيح لان كل واحد من الصبى والمجنون يشهد موضع الاقامة فى الشهر مع انه لا يجب عليهما الصوم وهذا أى الحتم ينسخ التخيير بين الصوم والافطار والفداء (ومن كان مريضا) وان كان مقيما حاضرا فيه (أو على سفر) وان كان صحيحا وعلى بمعنى فى وحروف الصفات يقام بعضها مقام بعض (فعدة من ايام أخر) أى فعليه صيام أيام أخر وأعاد تخيير المريض والمسافر وترخيصهما فى الافطار لان الله تعالى ذكر فى الآية الاولى تخيير المقيم المطيق والمسافر والمريض ونسخ فى الثانية تخيير المقيم بقوله فليصمه فلو اقتصر على هذا احتمل ان يعود النسخ الى تخيير الجميع فأعاد بعض النسخ بترخيص المسافر والمريض ليعلم أنه باق على ما كان (يريد الله بكم اليسر) حيث أباح الفطر بالسفر والمرض واليسر ما تسهل (ولا يريد بكم العسر) أى مشقة بالصوم فى المرض والسفر لغاية رأفته وسعة رحمته قال محمد بن على الترمذى قدس سره اليسر اسم الجنة لان جميع اليسر فيها والعسر اسم جهنم لان جميع العسر فيها معناه يريد الله بكم ادخال الجنة ولا يريد بكم ادخال النار قال شيخنا العلامة افضلى قدس سره فى الآية ان مراده تعالى بأن يأمركم بالصوم يسر الدارين لا عسرهما اما اليسر فى الدنيا فالترقى الى الملكية والروحانية والوصول الى اليقظة والمعرفة واما العسر فيها فالبقاء مع البشرية والحيوانية والاتصاف بالاوصاف الطبيعية والنفسانية وأما اليسر فى الآخرة فهو الجنة والنعمة والقربة والوصلة والرؤية وأما العسر فيها فهو الجحيم وعذابها ودركاتها انتهى كلامه وقال نجم الدين فى تأويلاته يعنى يريد الله بكم اليسر الذى هو مع العسر فلا تنظر فى امتثال الامر الى العسر ولكن انظر الى اليسر الذى هو مع العسر فان العاقل اذا سقاه الطبيب شرابا مرا أمرّ من بلاء المرض موجبا للصحة فلا ينظر العاقل الى مرارة الشراب ولكن ينظر الى حلاوة الصحة ولا يبالى بمرارة الشراب فيشربه بقوة الهمة انتهى (قال السعدى) وبالسست دادن بر نجور قند * كه داروى تلخش بود سودمند * زعلت مدار اى خردمند بيم * چو دار وى تلخ فرستد حكيم * (ولتكملوا العدة) أى واغا أمرناكم بمراعاة العدة بعد ايجاب صوم رمضان كما قال تعالى فعدة أى فعليكم عدة ما أفطرتم لتكملوا عدد أيام الشهر

بقضاء

بقضاء ما افطرتم بسبب مرضكم اوسفركم (ولتكبروا الله) أى اعطاءعلمنا كم كيفية القضاء وهو المدلول عليه بقوله تعالى من أيام أخر مطلقا فانه يجوز ان يقضى على سبيل التوالى او التفريق لتعظموا الله حامدين (على ما هداكم) ما مصدرية أى على هدايته اياكم الى طريق الخروج عن عهدة التكليف (ولعلكم تشكرون) أى اعطاء وخصنا لكم بالافطار لكى تشكروا الله على هذه النعمة باللسان والقلب والبدن وفى الحديث من حافظ على ثلاث فهو ولى الله حقا ومن ضيعهن فهو عدو الله حقا الصلاة والصوم والغسل من الجنابة وفى بعض الخبران الجنان يشتقن الى أربعة نفر صائمى رمضان وتالى القرآن وحافظى اللسان ومطعمى الجيران وان الله يغفر للعبد المسلم عند افطاره ما مشت اليه رجلاه وما قبضت عليه يداه وما نظرت اليه عيناه وما سمعته اذناه وما نطق به لسانه وما حدث به قلبه وفى الحديث اذا كان يوم القيامة وبعث من فى القبور أوحى الله الى رضوان انى اخرجت الصائمين من قبورهم جائعين عاطشين فاستقبلهم بشهواتهم من الجنان فيصيح ويقول أيها الغلمان والولدان عليكم بأطباق من نور فيجتمع اكثر من عدد الرمل وقطرات الامطار وكوا كب السماء وأوراق الاشجار بالفاكهة الكثيرة والاشربة اللذيذة والاطعمة الشهية فيطعم من لقى منهم ويقول كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية وعن النبى عليه السلام انه قال رأيت ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ملكا لم ار مثله طولا وعرضا طوله مسيرة ألف ألف سنة وله سبعون ألف رأس فى كل رأس سبعون ألف وجه فى كل وجه سبعون ألف لسان وعلى كل رأس ألف ذؤابة من نور وعلى كل ذؤابة ألف ألف لؤلؤة معلقة بقدرة الله تعالى وفى جوف كل لؤلؤة بحر من نور وفى ذلك البحر حيتان طول كل حوت مقدار مائتى عام مكتوب على ظهرهن لا اله الا الله محمد رسول الله وذلك الملك واضع احدى يديه على رأسه والاخرى على ظهره وهو فى حظيرة القدس فاذا سبح اهتز العرش بحسن صوته فسألت عنه جبريل فقال هذا ملك خلقه الله تعالى قبل آدم بألفى عام فقلت اين كان هذا الى هذه الغاية فقال ان لله مرجا فى الجنة عن يمين العرش فكان هو فيه فأمره الله فى ذلك المكان ان يسبح لك ولامتك بسبب صوم شهر رمضان فرأيت صندوقين بين يديه على كل صندوق ألف قفل من نور وسألت جبريل عن الصندوقين فقال سل منه فسألته فقال ان فيهما براءة الصائمين من أمتك من عذاب النار طوبى لك ولامتك اعلم انه لابد من النية فى الاعمال خصوصا فى الصوم وهى ان يعلم بقلبه انه يصوم ولا يخلو مثلا عن هذا فى ليالى شهر رمضان والامساك قد يكون للعادة او لعدم الاشتهاء او للمرض او للرياضة او يكون للعبادة فلا يتعين له الا بالنية وهى شرط لكل يوم لان صوم كل يوم عبادة على حدة ألا يرى انه لو أفسد صوم يوم لا يمنع صحة الباقى بخلاف التراويح فانه لا يلزم النية فى كل شفع لان الكل بمنزلة صلاة واحدة وهو الاصح ويجوز النية الى نصف النهار دفعا للحرج وما روى من الاحاديث فى نفى الصوم الا بالتبييت فمحمولة على نفى الفضيلة بخلاف القضاء والكفارات والنذر المطلق لان الزمان غير متعين لها فوجب التبييت نفيا للمزاحمة ويعتبر نصف النهار من طلوع الفجر الثانى فيكون الى الضحوة الكبرى فينوى قبلها ليكون الاكثر منويا فيكون له حكم الكل حتى لو نوى بعد ذلك لا يجوز لخلو الاكثر عن النية تغليبا للاكثر والاحتياط فى النية فى التراويح ان ينوى التراويح أو ينوى قيام الليل أو ينوى سنة

الوقت أو قيام رمضان والتراويح سنة مؤكدة واظب عليها الخلفاء الراشدون قال عليه السلام
ان الله فرض عليكم الصيام وسننت قيامه وأما قول عمر رضي الله عنه نعمت البدعة هذه
يعني قيام رمضان فمعناه ان النبي صلى الله عليه وسلم وان كان قد صلاها الا انه تركها
ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس اليها فمحافظة عمر عليها وجمع الناس اليها وندبهم بدعة لكنها
بدعة محمودة ممدوحة كذا في تفسير القرطبي عند قوله تعالى بديع السموات والارض
في الجزء الاول وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم رمضان ويقول قد جاءكم
شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب
الجحيم وتغل فيه الشياطين وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم قال بعض العلماء
هذا الحديث اصل في تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان قال السخاوي في المقاصد الحسنة
التهنئة بالشهور والاعياد مما اعتاده الناس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه رفعه من لقي
أخاه عند الانصراف من الجمعة فليقل تقبل الله منا ومنك ويروى في جملة حقوق الجار من
المرفوع ان اصابه خير هنأه أو مصيبة عزاه أو مرض عاده ومن آداب الصيام حفظ الجوارح
الظاهرة وحراسة الخواطر الباطنة وان يتم التقرب الى الله تعالى الا بترك ما حرم الله قال أبو
سليمان الداراني قدس سره لأن أصوم النهار وأفطر الليل على لقمة حلال احب الي من قيام
الليل والنهار وحرام على شمس التوحيد ان تحل قلب عبد في جوفه لقمة حرام ولا سيما في وقت
الصيام فليجتنب الصائم اكل الحرام فانه سم مهلك للدين * والسنة تعجيل الفطور وتأخير
السحور فان صوم الليل بدعة فاذا اخر الافطار فكأنه وجد صائما في الليل فصار مرتكبا
للبدعة كذا في شرح عيون المذاهب ولنا ثلاثة اعياد عيد الافطار وهو عيد الطبيعة والثاني
عيد الموت حين القبض بالايمان الكامل وهو عيد كبير والثالث عيد التجلي في الآخرة وهو
اكبر الاعياد وروى الترمذي وصححه عن زيد بن خالد من فطر صائما كان له مثل أجره من غير
أن ينقص من اجر الصائم شيء وكان حماد بن سلمة الامام الحافظ يفطر في كل ليلة من شهر رمضان
خمسين انسانا واذا كانت ليلة الفطر كساهم ثوبا ثوبا وكان يعد من الابدال وأخرج السيوطي
في الجامع الصغير والسخاوي في المقاصد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال قال عليه السلام
خيار أمتي في كل قرن خمسمائة والابدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما
مات رجل ابدل الله مكانه رجلا آخر قالوا يا رسول الله دلنا على اعمالهم قال عليه السلام يعفون
عمن ظلمهم ويحسنون الى من اساءهم ويتواسون فيما آتاهم الله وفي الحديث من اشبع جائعا
أو كسا عاريا أو آوى مسافرا اعاذه الله من اهوال يوم القيامة وكان عبد الله بن المبارك ينفق
على الفقراء وطلبة العلم في كل سنة مائة ألف درهم ويقول للفضيل بن عياض لولاك وأصحابك
ما اتجرت وكان يقول للفضيل وأصحابه لا تشتغلوا بطلب الدنيا اشتغلوا بالعلم وأنا اكفيكم المؤنة
وكان يحيى البرمكي يجري على سفيان الثوري كل شهر ألف درهم وكان سفيان يدعو له في سجوده
ويقول اللهم ان يحيى كفاني أمر الدنيا فاكفه أمر آخرته فلما مات يحيى رآه بعض أصحابه في
النوم فقال ما صنع الله بك قال غفر لي بدعاء سفيان (قال الصائب) تيره روزان جهانرا بجراغي
درياب * تا پس از مرك تراشمع مزاري باشد * جعلنا الله واياكم من العاملين بمقتضى كتابه

ومدلول

ومدلول خطابه (واذا سألك عبادى عنى) وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن الله تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه تعالى خبير بأحوالهم مطلع على ذكرهم وشكرهم سميع بأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه وسبب النزول ماروى أن اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فقال تعالى ايماء الى سرعة اجابة الدعاء منهم اذا سألك عبادى عنى (فانى قريب) أى فقل لهم انى قريب بالعلم والاحاطة فهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم فيكون لفظ قريب استعارة تبعية تمثيلية واعالم يحمل على القرب الحقيقى وهو القرب المكانى لانه ممتنع فى حقه تعالى لانه لو كان فى مكان لما كان قريبا من الكل فان من كان قريبا من حملة العرش يكون بعيدا من أهل الارض ومن كان قريبا من أهل المشرق يكون بعيدا من أهل المغرب وبالعكس قال أبو موسى الاشعرى لما توجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير لا اله الا الله والله أكبر فقال صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم وهذا باعتبار المشارب والمقامات واللائق بحال أهل الغفلات الجهر لقلع الخواطر كما ان المناسب لاهل الحضور والخفاء (قال السعدى) دوست نزديكتر از من بمنست * وين عجبتر كه من ازوى دورم * (اجيب دعوة الداع اذا دعان) تقرير للقرب المجازى المراد فى هذا المقام وهو الحالة الشبيهة بالقرب المكانى وقد تقرر أن اثبات ما يلائم المستعار منه للمستعار له يرشح الاستعارة ويقررها وأيضا وعد للداعى بالاجابة فان قلت انا نرى الداعى يبالغ فى الدعوات والتضرع فلا يجاب قلت ان هذه الآية مطلقة والمطلق محمول على المقيد وهو قوله تعالى بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء فالمعنى اجيب دعوة الداع اذا دعانى ان شئت أو اذا وافق القضاء أو اذا لم يسأل محالا أو كانت الاجابة خيرا له والاجابة اعطاء ما سئل والله تعالى يقابل مسألة السائل بالاسعاف ودعاء الداعى بالاجابة وضرورة المضطرين بالكفاية (فليستجيبوا لى) أى فليجيبوا اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم واستجابه واستجاب له واجابه واحد قطع مسألته بتبليغه مراده واصله من الجوب والقطع (وليؤمنوا بى) أمر بالثبات على ماهم عليه قال ابن الشيخ الاستجابة عبارة عن الانقياد والاستسلام والايمان عبارة عن صفة القلب وتقديمها على الايمان يدل على أن العبد لا يصل الى نور الايمان وقوته الا بتقديم الطاعات والعبادات ومعنى الفاء فيه انه تعالى قال انا اجيب دعاءك مع انى غنى عنك مطلقا فكن أنت أيضا مجيبا لدعائى مع انك محتاج الى من كل الوجوه فما اعظم هذا الكرم (لعلهم يرشدون) راجين اصابة الرشد وهو الاهتداء لمصالح الدين والدنيا ومعنى الآية انهم اذا استجابوا وآمنوا اهتدوا لمصالح دينهم ودنياهم لان الرشيد من كان كذلك اعلم ان عدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند أهل الشريعة والطريقة لانه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه (وفى المثنوى) تا فرود آيد بلايى دافعى * چون نباشد از تضرع شافعى * فالتسبب واجب للعوام والمبتدئين فى السلوك والتوكل افضل للمتوسطين وأما الكاملون فليس يمكن

حصر أحوالهم فالتوكل والتسبب عندهم سيان (روى) ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما ألقى فى النار لقيه جبريل فى الهواء فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا فقال فاسأل الله الخلاص فقال عليه السلام حسبى من سؤالى علمه بحالى وهذا مقام أهل الحقيقة من المكملين الفانين عن الوجود وما يتعلق به والباقين بالرب فى كل حال فأين انت من هذا فاسأل الله عفوه ومغفرته وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكلم الناس بقدر مراتبهم ولذا قال لاعرابى أرسل ابله توكلا عليه تعالى اعقلها وتوكل على الله امر بعقل الدابة لانه أراد بالتوكل التحرز عن الفوات وحث بعضهم على التوكل كتوكل الطير وذلك اذا لم يسكن الى سابق القضاء ثم اجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلف فيه ومن دعا بحاجة فلم تقض للحال فذلك لوجوه منها أن الاجابة حاصلة لا محالة فان اجابة الدعوة غير قضاء الحاجة وقضاء الحاجة غير اجابة الدعوة فان اجابة الدعوة هو ان يقول العبد يارب فيقول الله تعالى له لبيك عبدى وهذا موعود موجود لكل متوجه راشد وقضاء الحاجة اعطاء المراد وايصال المرتاد وذلك قد يكون للحال وقد يكون بعد مدة وقد يكون فى الآخرة وقد يكون الخيرة له فى غيره ومنها أن الاجابة ليست بجهة واحدة بل لها جهات وفى الحديث دعوة المسلم لا ترد الا لاحدى ثلاث اما ان يدعو باثم او قطيعة رحم واما أن يدخر له فى الآخرة واما ان يصرف السوء عنه بقدر ما دعا ومنها أن الاجابة مقيدة بالمشيئة كما سبق ومنها أنه شرط لهذه الاجابة اجابة العبد اياه فيما دعاه اليه لقوله تعالى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى ومنها ان للدعاء شرائط وآدابا وهى اسباب الاجابة فمن استكملها كان من أهل الاجابة ومن أخل بها كان من أهل الاعتداء فلا يستحق الجواب والاسباب منها ما يتعلق باهل العموم ويطول ذكرها ان استوفيت ههنا ومنها ما يتعلق بالخصوص وهى التزكية فالاجابة موقوفة على تزكية الداعى فعليه ان يزكى البدن اولا فيصلحه بلقمة الحلال وقد قيل الدعاء مفتاح باب السماء وأسنانه لقمة الحلال وقال عليه السلام الرجل يطيل السفر يمد يديه الى السماء اشعث اغبر يقول يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك (حكى) انه كان بالكوفة اناس يستجاب دعاؤهم كلما دخل عليهم وال كانوا يدعون عليه فيهلك فدبر الحجاج الحيلة عليهم حين ولى عمل الكوفة من ابن مروان فدعاهم الى مأدبة فلما أكلوا قال أمنت من دعائهم أن يستجاب حيث دخل فى بطونهم طعام حرام ويزكى الداعى نفسه ويطهرها من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة لانها قاطعات لطريق الدعاء ويزكى قلبه عن رين التعلقات الانسانية من النفسانى والروحانى ويصفيه بالاذكار وينوره بنور الاخلاق فان هذه اسباب القربة بها يرفع الدعاء الى الله كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ويزكى الروح عن دنس الالتفات لغير الله ليتعرض لنفحات ألطافه ويزكى السر عن وصمة الشرك بأن يتوجه الى الحق فى الدعاء لطلب الحق لا لطلب غير الحق من الحق ليستجيب دعاءه ولا يخيب رجاءه كما قال ألا من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى وان الله وعد الاجابة على طلبه بالدعاء فقال اجيب دعوة الداع اذا دعان أى اذا طلبنى (قال السعدى) خلاف طريقت بود كاوليا * تمنا كنند از خدا جز خدا * فمن اخل ببعض هذه الشرائط لم يلزمه الاجابة كمن اخل بركن من اركان الصلاة لم يلزمه القبول الا أن الجبار يجبر كل خلل وكسر يكون فى اعمال العباد بفضله

وكرمه

وكرمه وفى الحقيقة ان افضل السمع العباد متقدم على اعمالهم وانه يعطى قبل السؤال ويحقق مراد العبد بعد سؤاله بجميع النوال والدعاء على قسمين داع بالدعاء وقارئ للدعاء فللداعى يفتح أبواب السموات حتى يبلغ دعاؤه العرش وقارئ الدعاء لا يبلغ الا الاذن قال الفنارى فى تفسير الفاتحة ثم لصحة التصور وجودة الاستحضار أثر عظيم فى الاجابة اعتبره النبى عليه الصلاة والسلام وحرّض عليه عليا رضى الله تعالى عنه لما علمه الدعاء وفيه اللهم اهدنى وسددنى فقال له اذكر بهدايتك هداية الطريق وبالسداد سداد السهم فأمره باستحضار هذين الامرين وقت الدعاء فهذا هو سر اجابة دعاء الرسل والكمل والامثل فالامثل واستقامة التوجه حال الطلب والنداء عند الدعاء شرط قوى فى الاجابة فمن تصوره تصورا صحيحا من رؤية وعلم سابقين أو حاضرين حال الدعاء ثم دعاه بما بعد أمره له بالدعاء والتزامه الاجابة فانه يجيبه لا محالة أما من زعم انه يقصد مناداة زيد وهو يستحضر غيره ثم لم يجد الاجابة فلا يلومن الا نفسه اذ لم يناد القادر على الاجابة وانما توجه الى ما انشأه من صفات تصوراته بالحالة الغالبة عليه اذ ذاك لكن سؤاله قد يثمر بشفاعة حسن ظنه بربه وشفاعة المعية الالهية وحيطته فالمتوجه بالغلط مصيب من وجه كالمجتهد المخطئ مأجور غير محروم بالكلية انتهى كلام الفنارى وفى رسالة القشيرى فى الخبر المروى ان العبد يدعو الله سبحانه وهو يحبه فيقول يا جبريل أخر حاجة عبدى فانى احب ان اسمع صوته وان العبد ليدعوه وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض حاجة عبدى فانى اكره ان اسمع صوته (حكى) انه وقع ببغداد قحط فامر الخليفة المسلمين بالخروج للاستسقاء فخرجوا واستسقوا فلم يسقوا فامر اليهود فخرجوا وسقوا فتحير الخليفة ودعا علماء المسلمين وسألهم فلم يخرجوا عنه فجاء سهل بن عبد الله وقال يا أمير المؤمنين انا معاشر المسلمين احبنا الله لدين الاسلام وهذا انا ويحب دعاءنا وتضرعنا فلهذا لم يعجل اجابتنا وهؤلاء أبغضهم ولعنهم فلهذا عجل اجابتهم وصرفهم عن بابه قال عليه السلام قوام الدنيا بأربعة أشياء بعلم العلماء وعدل الامراء وسخاوة الاغنياء ودعوة الفقراء وينبغى ان يسأل الله تعالى باسمائه الحسنى العظام والادعية المأثورة عن السلف الكرام وينبغى ان يتوسل الى الله تعالى بالانبياء والاولياء الصالحين وللدعاء اماكن يظن فيها الاجابة مثلا عند رؤية الكعبة والمساجد الثلاثة وبين الجلالتين من سورة الانعام وفى الطواف وعند الملتزم وفى البيت وعند زمزم وعند شرب مائه وعلى الصفا والمروة وفى السعى وخلف المقام وفى عرفات والمزدلفة ومنى وعند الجمرات الثلاث وعند قبور الانبياء عليهم السلام وقيل لا يصح قبر نبى بعينه سوى قبر نبينا عليه الصلاة والسلام وقبر ابراهيم عليه السلام داخل السور من غير تعيين وجرب استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة عند أهلها اللهم أفض علينا من بركات الصالحين (أحل لكم) تقديم الظرف على القائم مقام الفاعل للتشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن أى ابيح لكم (ليلة الصيام) أى فى ليلة يوم الصوم وهى الليلة التى يصبح الرجل فى غداتها صائما (الرفث) أصل الرفث قول الفحش والتكلم بالقبيح ثم جعل ذلك اسما لما يتكلم به عند النساء من معانى الافضاء ثم جعل كناية عن الجماع لان الجماع لا يخلو عن شئ من التصريح بما يجب ان يكنى عنه من الالفاظ الفاحشة وعن ابن عباس رضى الله عنه الرفث كلمة جامعة لكل

ماير يده الرجل من المرأة كالغمز والتقبيل (الى نسائكم) عدى الرفث بالى وان كان المشهور
تعديته بالباء تقول رفثت بالمرأة لتضمنه معنى الافضاء قال تعالى وقد افضى بعضكم الى بعض
اراد به الجماع وكان الرجل فى ابتداء الاسلام اذا امسى فى رمضان حل له الاكل والشرب
والجماع الى ان يصلى العشاء الاخيرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام
والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واقع أهله بعد صلاة
العشاء الاخيرة فلما اغتسل أخذ يبكى و يلوم نفسه فأتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
يارسول الله انى اعتذر الى الله واليك من نفسى هذه الخاطئة انى رجعت الى أهلى بعد العشاء
فوجدت رائحة طيبة فسولت لى نفسى فجامعت أهلى فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك
يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزلت الآية وصارت زلته سببا للرحمة فى جميع الامة (هن لباس
لكم وأنتم لباس لهن) استئناف مبين لسبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة
المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للآخر لتجردهما عند النوم
واعتناقهما واشتمال كل منهما على الآخر أولان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من
الفجور وعما لا يحل كما جاء فى الحديث من تزوج فقد احرز ثلثى دينه او المعنى هن سكن لكم
وانتم سكن لهن كما قال تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها ولا يسكن شئ الى شئ كسكون
أحد الزوجين الى الآخر (علم الله) فى الازل (انكم كنتم تختانون انفسكم) تخونونها
وتظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب بمباشرة النساء فى ليالى الصوم والخيانة
ضد الامانة وقد ائتمن الله العباد على ما أمرهم به ونهاهم عنه فاذا عصوه فى السر فقد خانوه وقد
قال الله تعالى لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم (قال الصائب) ترا بكوهر دل كرده اند
امانت دار * زدزد امانت حق را نكاه دار مخسب * (فتاب عليكم) عطف على علم أى
قبل توبتكم وتجاوز عنكم لما تبتم مما اقترفتموه (وعفا عنكم) أى محا اثره عنكم (فالآن)
أى لما نسخ التحريم ظرف لقوله (باشروهن) أصله فعل بمعنى حان ثم جعل اسما للزمان الحاضر
وعرف بالالف واللام وبقى على الفتحة والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى بها عن الجماع الذى
يستلزمها وجميع ما يتبعه يدخل فيه وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالكتاب ان كانت حرمة
الاكل والشرب والجماع ثابتة بالسنة وأما اذا كان ثبوت حرمتها بشريعة من قبلنا فلا على
ماذهب اليه بعضهم (وابتغوا ما كتب الله لكم) أى واطلبوا ما قدره الله تعالى وأثبته فى
اللوح المحفوظ من الولد وفيه ان المباشر ينبغى ان يكون غرضه الولد والتناسل فانه الحكمة فى
خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وحدها فى الحديث تناكحوا تناسلوا تكثروا فانى
اباهى بكم الامم يوم القيامة (وكلوا واشربوا) ليالى الصوم عطف على قوله باشروهن (حتى
يتبين) يظهر (لكم الخيط الابيض) هو أول ما يبدو من بياض النهار كالخيط الممدود دقيقا ثم
ينتشر (من الخيط الاسود) هو ما يمتد من سواد الليل مع بياض النهار فان الصبح الصادق اذا
بدا يبدو كأنه خيط ممدود فى عرض الافق ولا شك انه يبقى معه بقية من ظلمة الليل بحيث يكون
طرفها الملاصق لما يبدو من الفجر كأنه خيط أسود فى جنب خيط أبيض لان نور الصبح انما ينشق
فى خلال ظلمة الليل فشبها بخيطين أبيض وأسود (من الفجر) أى انشقاق عمود الصبح بيان للخيط

الابيض واكتفى ببيانه عن بيان الاسود لدلالته عليه والتقدير حتى يتبين لكم الخيط الابيض من
الفجر من الخيط الاسود من الليل قوله حتى يتبين غاية للامور الثلاثة أى المباشرة والاكل
والشرب ففى تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح
جنبا لان المباشرة اذا كانت مباحة الى انفجار الصبح لم يمكنه الاغتسال الا بعد الصبح بالضرورة
والا لكانت المباشرة قبل آخر الليل بقدر ما يسع الاغتسال حراما وهو مخالف لكلمة حتى
(ثم اتموا الصيام) أى ادعوا الامساك عن المباشرة والاكل والشرب فى جميع اجزاء النهار
(الى) غاية (الليل) وهو دخول الليل وذلك بغروب الشمس والاتمام اداؤه على التمام وفى
الحديث اذا اقبل الليل وادبر النهار وغابت الشمس فقد افطر الصائم أى دخل وقت الافطار
وانما ذكر الاقبال والادبار وان لم يكونا الا بغروب الشمس لبيان كمال الغروب كيلا يظن أحد
انه اذا غاب بعض الشمس جاز الافطار أو لانه قد يكون فى واد بحيث لا يشاهد غروب الشمس
فيحتاج الى ان يعمل بهما قالوا فيه دلالة على جواز النية بالنهار فى صوم رمضان وعلى نفى صوم
الوصال أما الاول فلان الله تعالى لما اباح المباشرة والاكل والشرب الى الفجر تبين أن ابتداء
الصوم يكون بعد الفجر فيكون قوله اتموا ثم ابتدئوا بالصوم واتموه الى الليل فيكون هو أمرا
بالصوم بعد الفجر والصوم ليس بمجرد الامساك بل هو الامساك مع النية فيكون قوله ثم اتموا
الصيام أمرا بنية الصوم بعد الفجر وأما الثانى فلأن الله تعالى جعل الليل غاية الصوم وغاية
الشئ منقطعه فيكون بعدها الافطار وينتفى الوصال قال بعضهم الليل غاية وجوب الصوم فاذا
دخل الليل لا يجب الصوم وأما ان الصوم لا يجوز بعد دخول الليل فلا دلالة للآية عليه ولان
مثل هذه الاوامر أى باشروهن وكلوا واشربوا انما يكون للاباحة والرخصة لا للوجوب فلا تدل
الآية على نفى صوم الوصال ولما ظن ان حال الاعتكاف كحال الصوم فى ان المباشرة تحرم فيه
نهارا لا ليلا بين ان المباشرة تحرم على المعتكف نهارا وليلا معا فقال (ولا تباشروهن) أى
لا تجامعوهن (وانتم) أى والحال أنتم (عاكفون فى المساجد) مقيمون فيها بنية الاعتكاف
وهو فى الشرع لزوم المسجد والمكث لطاعة الله فيه والتقرب اليه وهو من الشرائع القديمة قال
تعالى أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين نزلت فيمن كان يعتكف فى المسجد فاذا عرضت له
حاجة الى امرأته خرج فجامعها ثم اغتسل فرجع الى المسجد فنهوا عن ذلك فالجماع يحرم على
المعتكف ويفسد الاعتكاف ولفظ المساجد يدل على جواز الاعتكاف فى كل مسجد الا ان
المسجد الجامع أفضل حتى لا يحتاج الى الخروج الى الجمعة والاعتكاف من أشرف الاعمال اذا
كان عن اخلاص لان فيه تفريغ القلب عما سوى الله تعالى قال عطاء مثل المعتكف كرجل له
حاجة الى عظيم فيجلس على بابه ويقول لا ابرح حتى يقضى حاجتى فكذلك المعتكف يجلس فى
بيت الله ويقول لا ابرح حتى يغفر لى وفى الحديث من مشى فى حاجة أخيه فكأنما اعتكف
عشرين سنة ومن اعتكف يوما جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق ابعد مما بين
الخافقين وفى الخلوة والانقطاع عن الناس فوائد جمة يسلم منه الناس ويسلم هو منهم وفيها خمول
النفس والاعراض عن الدنيا وهو أول طريق الصدق والاخلاص وفيها الانس بالله والتوكل
والرضا بالكفاف فان المعاشر للناس والمخالط يتكلف فى معيشته البتة فاذا لا يفرق غالبا بين

الحلال والحرام فيقع فى الهلاك ويسلم المتخلى أيضا من مداهنة الناس وغير ذلك من المعاصى التى يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره التصوف عبارة عن الاجتناب عن كل ما فيه شائبة الحرمة وصون لسانه عن الكلام اللغو والخلوة والاربعون ليست الا هذا فانه وحدة فى الكثرة والمقصود من الخلوة أيضا ذلك ولكن ما يكون فى الكثرة على الوجه الذى ذكرنا اثبت واحكم لان ما يكون بالخلوة يزول اذا اختلط بين الناس وليس كذلك ما ذكر فطريقنا طريق النبى عليه السلام وطريق الاصحاب رضى الله تعالى عنهم والنبى عليه السلام لم يعين الاربعين بل الاعتكاف فى العشر الاخير من رمضان ثم فعل ذلك موسى عليه السلام قال تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر والخلوتية أخذوا من ذلك كذا فى واقعات الهدائى قدس سره (تلك) أى الاحكام التى ذكرت من أول آية الصيام الى هنا (حدود الله) جمع حد وهو الحاجز بين الشيئين وجعل ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام حدودا لهم لكونها امورا حاجزة بين الحق والباطل ولكونها مانعة من مخالفتها والتخطى عنها (فلا تقربوها) أى ان تنتهوا فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ولما بين تعالى احكام الصوم على وجه الاستقصاء فى هذه الالفاظ القليلة بيانا شافيا وافيا قال بعده (كذلك) أى بيانا مثل هذا البيان الوافى الواضح فالكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف (يبين الله آياته للناس) والآيات دلائل الدين ونصوص الاحكام والمقصود من تعظيم البيان هدايته ورحمته على عباده فى هذا البيان لعلهم يتقون مخالفة أوامره ونواهيه والتقوى اتقاء الشرك ثم بعده اتقاء المعاصى والسيئات ثم بعده اتقاء الشهوات ثم يدع بعده الفضلات وفى الحديث لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا عما به بأس (قال السعدى) ترا انكه چشم ودهان داد وكوش * اكر عاقلى در خلافش مكوش * چو باك آفريدت بهش باش وباك * كه ننكست ناپاك رفتن بخاك * مروز بر بار كنه اى پسر * كه حمال عاجز بود در سفر * مكن عمر ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزست والوقت سيف * جعلنا الله واياكم من أهل اليقظة واليقين (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أى لا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذى لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه كالغصب والنهب والسرقة واليمين الكاذبة وكالاكساب الخبيثة كالقمار والرشى وحلوان الكاهن والمغنى والنائحة وكالحيلة ووجوه الخيانة * قوله بينكم نصب على الظرفية فيتعلق بقوله تأكلوا ومعنى كون الاكل بينهم وقوع التداول والتناول لاجل الاكل بينهم وليس المراد بالاكل المنهى عنه نفس الاكل خاصة لان جميع التصرفات المتفرعة على الاسباب الباطلة حرام الا انه شاع فى العرف ان يعبر عن انفاق المال باى وجه كان بالاكل لان الاكل معظم المقصود من المال وقوله بالباطل متعلق بالفعل المذكور أى لا تأكلوها بالسبب الباطل * نزلت فى رجلين تخاصما فى ارض بينهما فاراد أحدهما أن يحلف على ارض أخيه بالكذب فقال النبى عليه السلام انما أنا بشر مثلكم يوحى الى وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على

نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فانما أقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما انا حلي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه * قوله ألحن بحجته أي أقوم بها وأقدر عليها من صاحبه والتوخي قصد الحق والاستهام الاقتراع وفيه دلالة ظاهرة على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا كما عند الشافعي وحمله أبو حنيفة على الاموال والاملاك دون عقود النكاح وفسخها وموضع بيانه مشبعا كتاب القضاء في الفقه (وتدلوا بها الى الحكام) عطف على المنهي عنه فيكون مجزوما بلا الناهية المذكورة بواسطة العاطف والادلاء الالقاء وضمير بها للاموال بتقدير المضاف والباء فيه مثلها في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة والمعنى ولا تلقوا أمر الاموال والحكومة فيها الى الحكام (لتأكلوا) بالتحاكم اليهم (فريقا) أي طائفة وبعضا (من أموال الناس بالاثم) الباء سببية متعلقة بقوله لتأكلوا أي بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة والصلح مع العلم بأن المقضي له ظالم والمقضي به حق المقضي عليه وقيل ولا تلقوا بعضها الى أمراء الظلم وقضاة السوء على وجه الرشوة (وأنتم تعلمون) أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبها أحق بالتوبيخ ويقال الدنيا ثلاثة أشياء حلال وحرام وشبهة فالحرام يوجب العقاب والشبهة توجب العتاب والحلال يوجب الحساب (قال الحكيم السنائي) اين جهان برمثال مردارست * كركسان اندرو هزار هزار * اين مر انرا همي زند مخلب * وان مرين را همي زند منقار * آخر الامر بكذرند همه * وزهمه باز ماند اين مردار * فعلى العاقل أن يجتنب عن حقوق العباد والمظالم (حكي) انه لما مات انوشروان كان يطاف بتابوته في جميع مملكته وينادي مناد من له علينا حق فليأت فلم يوجد أحد في ولاية له عليه حق من درهم (روي) ان أبا حنيفة كان له على بعض المجوس مال فذهب الى داره ليطالبه به فلما وصل الى باب داره وقع نعله على نجاسة فنفض نعله فانقلعت النجاسة عن نعله ووقعت على حائط دار المجوسي فتحير أبو حنيفة رحمه الله وقال ان تركتها كان ذلك شيأ يقبح جدار ذلك المجوسي وان حككتها احفر التراب من الحائط فدق الباب فخرجت الجارية فقال لها قولي لمولاك ان أبا حنيفة بالباب فخرج اليه وظن أنه يطالبه بالمال وأخذ يعتذر فقال أبو حنيفة رحمه الله ههنا ما هو أولى بالاعتذار وذكر قصة الجدار وأنه كيف السبيل الى التطهير فقال المجوسي فأنا أبدأ بتطهير نفسي فأسلم في الحال والنكتة أن أبا حنيفة لما احترز عن ظلم ذلك المجوسي في ذلك القدر القليل فلاجل بركة ذلك أسلم المجوسي ونجا من شقاوة الابد فمن احترز عن الظلم نال سعادة الدارين والا فقد وقع في الخذلان (حكي) ان نصرانيا كان يحمل امرأته على حمار فأتى بعض قرى المسلمين فقطع واحد من الرنود ذنب حماره فوثب الحمار وسقطت المرأة وانكسرت يداها وألقت حملها أيضا فذهب النصراني الى قاضي تلك القرية شاكيا فقال القاضي لذلك الرند خذ الحمار وأمسكه حتى ينبت ذنبه والمرأة حتى تحمل حملا وتصح عندك يداها فقال النصراني أهكذا حكم شريعتكم ثم رفع رأسه الى السماء وقال الهي أنت حليم ولا صبر لي على هذا فاحكم يا ناظر الملهوفين ويا ناصر المظلومين فمسخ الله ذلك القاضي فصار حجرا من ساعته ففي هذه الحكاية شيآن الاول ان هذا القاضي بظلمه وقع فيما وقع من البلاء العظيم والثاني أنه يجب الاحتراز عن الظلم وان كان المظلوم

كافرا فان دعاء الكافر يسمع والاشارة فى الآية ان الاموال خلقت لصالح قوام النفس وان النفس خلقت للقيام بمراسم العبودية لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ليعلموا أن الاموال والانفس لله فلا يتصرفون فيهما الا بأمر الله ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل أى بهوى النفس والحرص والشهوة والاسراف على الغفلة وكلوا بالحق والقناعة والتقوية على الطاعة والقيام بالعبودية ولا تدلوا بها الى الحكام وهى النفس الامارة بالسوء لتأكلوا فريقا من الاموال التى خلقت للاستعانة بها على العبودية بالاثم أى بالقطيعة والغفلة مستعينين بها على المعصية كالحيوانات والبهائم فيكون حاصلكم ومرجعكم ومثواكم النار ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وأنتم تعلمون حاصل الامر ولا تعملون به كذا فى التأويلات النجمية (يسألونك عن الاهلة) روى ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا أولا ولا يكون على حالة واحدة فأنزل الله تعالى يسألونك عن الاهلة وهى جمع هلال والهلال أول ما يظهر لك من نور القمر الى ثلاث ليال وسمى هلالا لان الناس يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم استهل الصبى اذا صرخ حين يولد وأهل القوم بالحج اذا رفعوا أصواتهم بالتلبية (قل) يا محمد (هى) الاهلة (مواقيت) جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى الماضى والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر (للناس) أى لما يتعلق بهم من أمور معاملاتهم ومصالحهم (والحج) وأموره المتعلقة بأوقات مخصوصة فان قلت لما كانت الاهلة مواقيت يوقت بها الناس عامة مصالحهم علم منه كونها ميقاتا للحج لانه من جملة المصالح المتوقفة على الوقت فلم خصه بالذكر قلت الخاص قد يذكر بعد العام للتنبيه على مزيته كالحج من حيث انه يراعى فى أدائه وقضائه الوقت المعلوم بخلاف سائر العبادات التى لا يعتبر فى قضائها وقت معين وحاصل الخطاب ان الهلال يبدو دقيقا ويظهر لكم على حسب مصلحتكم لقربه وبعده من الشمس كما بين فى فن الهيئة قال فى التيسير ثم الشمس على حالة واحدة لانها ضياء للعالم وقوام لمصالح الناس والقمر يتغير لان الله علق به ما قلنا من المواقيت وذلك يعرف بهذه الاختلافات ودبر عز وجل هذا التدبير لحاجة الناس الى ذلك انتهى (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) كان الانصار اذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فان كان من أهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته يدخل منه ويخرج أو يتخذ سلما يصعد منه وان كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحل من احرامه ويرون ذلك برا الا أن يكون من الحمس وهم قريش وسببه انهم ظنوا أنه لا بد فى الاحرام من تغيير جميع العادات فغيروا عاداتهم فى الدخول كما غيروا فى اللباس والتطيب وقالوا لا ندخل بيوتا من الابواب حتى ندخل بيت الله تعالى وكان منهم من لا يستظل بسقف بعد احرامه ولا يأقط الاقط ولا يجز الوبر وهذه أشياء وضعوها من عند نفوسهم من غير شرع فعرفهم الله تعالى ان هذا التشديد ليس ببر ولا قربة (ولكن البر) بر (من اتقى) المحارم والشهوات دون دخول البيت من ظهر وفى الكشاف فان قلت ما وجه اتصاله

عما قبله قلت كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة فى نقصانها وتمامها معلوم أن كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا فى واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر فى شئ وأنتم تحسبونها برا (وأتوا البيوت من أبوابها) حال الاحرام اذ ليس فى العدول بر (واتقوا الله) فى تغيير أحكامه والاعتراض على أفعاله (لعلكم تفلحون) أى لكى تظفروا بالبر والهدى وللآية تأويل آخر قاله الحسن قال كان فى الجاهلية من هم بسفر وأمر به نعمه فمنع عن ذلك لم يدخل داره من الباب حتى يحصل له ذلك وكان قريش وقبائل العرب من خرج لسفر أو حاجة ثم رجع ولم يظفر بذلك كان ذلك طيرة فنهاهم الله عن ذلك وأخبر أن الطيرة ليس ببر والبر من لم يخف غيره وتوكل عليه (حكى الجاحظ) قال تحاورت أنا وابراهيم بن سيار المعروف بالنظام حديث الطيرة فقال أخبرك انى جعت حتى أكلت الطين وما صبرت على ذلك حتى قلبت قلبى أتذكر هل ثمة رجل أصيب عنده غداء أو عشاء فقصدت الاهواز وهى من بلدان فارس وما أعرف بها واحدا وما كان ذلك الاشيأ أمر به الضجر فوافيت الفرضة فلم أجد بها سفينة فتطيرت من ذلك ثم انى رأيت سفينة فى صدرها خرق وهشم فتطيرت أيضا فقلت للملاح ما اسمك قال ديوزاد بالفارسى وهو اسم الشيطان فتطيرت وركبت معه فلما قربنا من الفرضة صحت يا حمال ومعى لحاف سمل وبعض ما لا بد لى منه فكان أول حمال اجابنى أعور فازددت طيرة وقلت فى نفسى الرجوع أسلم ثم ذكرت حاجتى الى أكل الطين وقلت من لى بالموت فلما صرت الى الخان وأنا حائر ما أصنع سمعت قرع باب البيت الذى أنا فيه فقلت من هذا قال رجل يريدك فقلت من أنا قال ابراهيم بن سيار النظام فقلت فى نفسى هذا عدو أو رسول سلطان ثم انى تحاملت وفتحت الباب فقال أرسلنى اليك ابراهيم بن عبد العزيز ويقول لك وان كنا اختلفنا فى المقالة فانا نرجع بعد ذلك الى حقوق الاخلاق والحرية وقد رأيتك حيث مررت على حال كرهتها وينبغى أن يكون برحت بك حاجة فان شئت فأقم مكانك مدة شهر أو شهرين فعسى نبعث لك ببعض ما يكفيك زمنا من دهرك وان اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون دينارا فخذها وانصرف وأنت أحق من عذر قال فورد على أمور أذهلتنى أما واحدها فانى لم أكن ملكت قط ثلاثة دنانير والثانى انه لم يطل مقامى وغيبتى عن أهلى والثالث ما تبين لى من الطيرة انها باطلة كذا فى شرح رسالة الوزير ابن زيدون فظهر انه قد يكون ما تكرهه النفس خيرا (كما حكى) انه وقع قحط فى زمن شيخ فعين لكل من طلبته على طريق التفاؤل مكسبا فجاء فى فأل واحد منهم قطع الطريق فانتقل ذلك الرجل الى بعض الحرامية واجتمع بهم فنهبوا جماعة من التجار فبعد أخذ أموالهم ربطوا أيديهم وأمروا هذا الرجل أن يذبحهم بعد ما عنهم فتفكر الرجل فخطر بباله أن يطلقهم ويعطيهم السلاح ويطهروا الطريق من القطاع ففعلوا وهم غافلون ثم سألوا عن هذا الرجل فحكى حاله فجاؤا الى شيخه وسلموا الاموال وصاروا من جملة أحبابه فعليك بالتسليم والقبول لكى تنال المأمول (قال الصائب) جون سرو در مقام رضا ايستاده ام * آسوده خاطرم زبهار وخزان خويش * ثم فى قوله وليس البر الآية اشارة الى أن لكل شئ سببا ومدخلا لا يمكن الوصول اليه ولا الدخول الا باتباع ذلك السبب والمدخل كقوله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا فسبب الوصول الى حضرة الربوبية والمدخل فيها هو التقوى

وهي اسم جامع لكل برّ من أعمال الظاهر وأحوال الباطن والقيام باتباع الموافقات واجتناب
المخالفات وتصفية الضمائر ومراقبة السرائر فبقدر السلوك في مراتب التقوى يكون الوصول
الى حضرة المولى كقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقال عليه السلام عليكم بتقوى الله
فانه جماع كل خير فقوله وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها أي غير مدخلها بمحافظة
ظواهر الاعمال من غير رعاية حقوق بواطنها بتقوى الاحوال ولكنّ البرّ من اتقى أي حق التقوى
كقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قيل في معناه أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا
يكفر وأتوا البيوت من أبوابها أي ادخلوا الامور من مداخلها ثم ذكر مدخل الوصول وقال
واتقوا الله أي اتقوا بالله عما سواه يقال فلان اتقى بترسه يعني اجعلوا الله محرزكم ومتقاكم
ومفرّكم ومفزعكم ومرجعكم منه اليه كما كان حال النبي عليه السلام يقول أعوذ بك منك
لعلكم تفلحون لكي تنجوا وتتخلصوا من مهالك النفوس باعانة الملك القدوس كذا في
التأويلات النجمية (وقاتلوا) جاهدوا (في) نصرة (سبيل الله) واعزازه والمراد بسبيل الله دينه
لانه طريق الى الله ومرضاته (الذين يقاتلونكم) يعني قريشا وكان ذلك قبل أن أمروا بقتال
المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين لان هذه الآية أول آية نزلت في القتال بالمدينة
فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه أي يقاتل من
واجهه للقتال وناجزه ويكف عن قتال من لم يناجز وان كان بينه وبينهم محاجزة ومعاندة ويؤيده
ماروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هذه الآية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان النبي
عليه السلام خرج مع أصحابه للعمرة في ذي القعدة سنة ست من الهجرة وكانوا ألفا وأربعمائة
فنزل بالحديبية وهو موضع في قرب مكة كثير المياه والاشجار وصدهم المشركون عن البيت
الحرام فأقام شهرا وصالحه المشركون على ان يرجع ذلك العام ويأتي مكة في العام المقبل ويعتمر
فرضي بما قالوا وان يصدوهم عن البيت وكره الاصحاب قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم
فأنزل الله تعالى وقاتلوا الآية (ولا تعتدوا) بابتداء القتال في الحرم محرمين (ان الله لا يحب
المعتدين) أي لا يريد بهم الخير (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) أين وجدتموهم في الحرم والحل
وفي الاشهر الحرم وهم الذين هتكوا حرمة الشهر والحرم بالبداية فجازوهم بمثله وأصل الثقف
الحذق في ادراك الشيء علما كان أو عملا فهو يتضمن معنى الغلبة (وأخرجوهم من حيث
أخرجوكم) أي من مكة لانهم أخرجوا المسلمين منها أولا وأخرج عليه الصلاة والسلام منها
ثانيا من لم يؤمن به منهم يوم الفتح (والفتنة) في الاصل عرض الذهب على النار لاستخلاصه
من الغش ثم صار اسما لكل ما كان سببا للامتحان تشبيها بهذا الاصل أي المحنة التي يفتتن بها
الانسان ويمتحن كالاخراج من الوطن (أشدّ من القتل) أصعب منه لدوام تعبها وتألم النفس بها
فتكون هذه الجملة متعلقة بقوله وأخرجوهم من حيث أخرجوكم تذييلا له وحثا على
الاخراج والمعنى انّ اخراجكم اياهم ليس أهون عليهم من القتل بل هو أشدّ من قتلكم اياهم
فيصلح جزاء لاصرارهم على الكفر ومناجزتهم لحربكم وقتالكم قيل لبعض الحكماء ما أشدّ
من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى
عندها الموت ويحتمل أن تكون متعلقة بقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم فيكون المقصود

حث المؤمنين على قتالهم اياهم فى الحرم أى لاتبالوا بقتالهم أينما وجدتموهم فان فتنتهم
أى تركهم فى الحرم وصدهم اياكم عن الحرم أشد من قتلكم اياهم فيه (ولا تقاتلوهم عند
المسجد الحرام) أى لاتفاتحوهم بالقتل هنالك وهتك حرمة المسجد الحرام (حتى يقاتلوكم فيه)
حتى يبدؤكم بالقتال فى الحرم وهذا بيان لشرط كيفية قتالهم فى هذه البقعة خاصة فيكون
تخصيصا لقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم (فان قاتلوكم) ثمة (فاقتلوهم) فيه ولا تبالوا بقتالهم
ثمة لانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا أشد العذاب (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء على
أن الكاف فى محل الرفع بالابتداء (جزاء الكافرين) يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم (فان انتهوا)
عن القتال وكذا عن الكفر فان الانتهاء عن مجرد القتال لايوجب استحقاق المغفرة فضلا
عن استحقاق الرحمة (فان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما قد سلف (وقاتلوهم) أى المشركين
(حتى لا تكون) الى أن لا توجد ولا تبقى (فتنة) أى شرك يعنى قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل
من الوثنى الا الاسلام فان أبى قتل (ويكون الدين لله) خالصا له ليس للشيطان نصيب فيه
(فان انتهوا) بعد مقاتلتكم عن الشرك (فلا عدوان الا على الظالمين) أى فلا تعتدوا على
المنتهين اذ لا يحسن أن يظلم الا من ظلم فحذف نفس الجزاء وأقيمت علته مقامه والعلة لما كانت
مستلزمة للحكم كنى بها عنه كأنه قيل فان انتهوا فلا تعتدوا عليهم لان العدوان مختص بالظالمين
والمنتهون عن الشرك ليسوا بظالمين فلا عدوان عليهم وسمى ما يفعل بالكفار عدوانا وظلما وهو
فى نفسه حق وعدل لكونه جزاء الظلم للمشاكلة كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة (الشهر الحرام)
يقابل (بالشهر الحرام) فى هتك الحرمة حيث صدهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة
وكان بين القوم ترامى بسهام وحجارة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه سنة سبع من الهجرة
وكرهوا أن يقاتلوهم لحرمته فنزلت هذه الآية وقيل لهم هذا الشهر الحرام بذلك الشهر وهتكه
بهتكه فلا تبالوا به (والحرمات قصاص) يعنى من هتك حرمة أى حرمة كانت من حرمة الشهر
وحرمة الاحرام وحرمة الحرم اقتص منه فان مراعاة هذه الحرمات انما تجب فى حق من
راعاها وأما من هتكها فانه يقتص منه ويعامل معه بمثل فعله والاوضح أن المراد بالحرمات
كل حرمة وهى ما يجب المحافظة عليه نفسا كان أو عرضا يجرى فيها القصاص فلما هتكوا
حرمة شهركم بالصد وهو عين التعرض للقتال فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة أى قهرا
وغلبة فان منعوكم فى هذه السنة عن قضاء العمرة بالمقاتلة ونحوها فاقتلوهم كما قال تعالى (فمن
اعتدى عليكم) أى تجاوز بقتاله لكم فى الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) أى
بعقوبة مماثلة لجناية اعتدائه وهذا اعتداء على سبيل القصاص وهو اعتداء مأذون فيه لا على
سبيل الابتداء فانه ظلم حرام وهو المراد بقوله تعالى فلا تعتدوا (واتقوا الله) اذا انتصرتم ممن
ظلمكم فلا تظلموهم بأخذ أكثر من حقكم ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم (واعلموا أن الله مع
المتقين) والمعية وهى القرب المعنوى تدل على أنه تعالى يحرسهم ويصلح شؤنهم بالنصر والتمكين
(روى) أنه عليه السلام وأصحابه دخلوا ذلك العام مكة وطافوا بالبيت ونحروا الهدى وكان
المشركون شرطوا له بعد قضاء العمرة الاقامة بمكة ثلاثا وكان النبى عليه السلام تزوج
ميمونة بنت الحرث فأحب المقام بمكة ليولم عليها فطالبوه بالخروج منها والوفاء بما عاهد ففعل

وأولم على ميمونة وبنى بها بسرف واعلم أن الله تعالى أمرنا بالغزو في سبيله ليظهر من يدعى بذل الوجود في سبيل الله وأمرنا بالزكاة ببذل المال ليتبين من يدعى محبة الله فالغزو معيار المحبة الالهية لان كل انسان جبل على حب الحياة والمال فامتحن بالغزو والزكاة في سبيل الله قطعا لدعوى المدعين لان الكل يدعى محبة الله وهذا هو السر في الجهاد ولهذا قال سيدنا على رضى الله تعالى عنه خير الخصال في الفتى الشجاعة والسخاوة وهما توأمان فكل شجيع سخى وعن عبد الله بن عمر عن أبيه رضى الله تعالى عنه قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما الاسلام قال طيب الكلام واطعام الطعام وافشاء السلام قيل فأى المسلمين أفضل قال من سلم الناس من لسانه ويده قيل فأى الصلاة أفضل قال طول القيام قيل فأى الصدقة أفضل قال جهد من مقل قيل فأى الايمان أفضل قال الصبر والسماحة قيل فأى الجهاد أفضل قال من عقر جواده واهريق دمه قيل فأى الرقاب أفضل قال أغلاها ثمنا والجهاد جهادان ظاهر وباطن فالظاهر مع الكفار والباطن مع النفس والشيطان وهذا أصعب لان الكافر ربما يرجع اما بالمحاربة أو بالصلح أو ببذل النفس والمال بوجه من الوجوه والشيطان لا يرجع عنك دون أن يسلب الدين (وفى المثنوى) أى شهان كشتيم ما خصم برون * ماند خصمى زو بتر در اندرون * كشتن اين كار عقل وهوش نيست * شير باطن سخرهٔ خركوش نيست * سهل شيرى دان كه صفها بشكند * شير آنست آنكه خودرا بشكند * قال في التأويلات القاشانية وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم من الشيطان وقوى النفس الامارة ولا تعتدوا في قتالها أن تميتوها عن قيامها بحقوقها والوقوف على حدودها حتى تقع في التفريط والقصور والفتور ان الله لا يحب المعتدين لكونهم خارجين عن ظل المحبة والوحدة التي هي العدالة واقتلوهم حيث ثقفتموهم أى أزيلوا حياتهم وامنعوهم عن أفعالهم بهواها الذى هو روحها حيث كانوا وأخرجوهم من مكة الصدر عند استيلائهم عليها كما أخرجوكم منها باستنزالكم الى بقعة النفس واخراجكم من مقر القلب وفتنتهم التي هي عبادة هواها وأصنام لذاتها وشهواتها أشد من قمع هواها واماتتها بالكلية أو محنتكم وبلاؤكم بها عند استيلائها أشد عليكم من القتل الذى هو اماتتها ومحوها بالكلية لزيادة الضرر والالم هنالك ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام الذى هو مقام القلب أى عند الحضور القلبى اذا وافقوكم في توجهكم فانهم أعوانكم على السلوك حينئذ حتى يقاتلوكم فيه وينازعوكم في مطالبه ويحجزوكم عن حياة القلب ودين الحق الى مقام النفس ودينهم الذى هو عبادة العجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة من تنازعهم وتجاذب دواعيهم وتعبدهم الهوى ويكون الدين كله لله بتوجه جميعها الى جناب القدس ومشايعتها للسر في التوجه الى الحق الذى ليس للشيطان والهوى فيه نصيب فان انتهوا فلا عدوان عليهم الا على العادين المجاوزين عن حدودهم انتهى ما في التأويلات وقال الشيخ نجم الدين قدس سره في قوله تعالى الشهر الحرام الآية الاشارة أن ما يفوتكم من الاوقات والاوراد بتوانى النفس وغلبات صفاتها فتداركوه الشهر بالشهر واليوم باليوم والساعة بالساعة والوقت بالوقت والاوراد بالاوراد واقضوا الفائت والحقوق فكل صفة من صفات النفس اذا استولت عليكم فعالجوها بضدها البخل بالسخاوة

والغضب

والغضب بالحلم والحرص بالترك والشهوة بالرياضة وعلى هذا القياس واتقوا الله فى افراط الاعتداء احترازا عن هلاك النفس بكثرة المجاهدات واعلموا أن الله مع المتقين بالنصرة على جهاد النفس (وأنفقوا فى سبيل الله) الانفاق صرف المال الى وجوه المصالح والمراد بالسبيل الدين المؤدى الى ثواب الله ورحمته فكل ما أمر الله به من الانفاق فى اعزاز الدين واقامته فهو داخل فى هذه الآية سواء كان فى اقامة الحج أو العمرة أو جهاد الكفار أو صلة الارحام أو تقوية الضعفاء من الفقراء والمساكين أو رعاية حقوق الاهل والاولاد أو غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى أمر تعالى بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس أى واصرفوا أموالكم فى سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك (ولا تلقوا) الالقاء طرح الشئ حيث تراه ثم صار اسما لكل طرح عرفا وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتهاء (بأيديكم) الباء زائدة فى المفعول به لان ألقى يتعدى بنفسه قال تعالى فألقى موسى عصاه ولا يقال ألقى بيده الا فى الشر والمراد بالايدى الانفس فان اليد لازم للنفس وتخصيص اليد من بين سائر الجوارح اللازمة لها لان أكثر الاعمال يظهر بالمباشرة باليد والمعنى لا تطرحوا أنفسكم (الى التهلكة) أى الهلاك بالاسراف وتضييع وجه المعاش لتكون الآية نظيرة قوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما أو بالكف عن الغزو والانفاق فى مهماته فان ذلك مما يقوى العدو ويسلطه عليكم ويؤيده ماروى عن أبى أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه أنه قال ان الله تعالى لما أعز دينه ونصر رسوله قلنا فيما بيننا انا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الاسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا الى أهلنا وأموالنا فأقمنا فيها وأصلحنا ما ضاع منا فأنزل الله تعالى وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أى الى ما يكون سبب هلاككم من الاقامة فى الاهل والمال وترك الجهاد فما زال أبو أيوب يجاهد فى سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية فى زمن معاوية فتوفى هناك ودفن فى أصل سور قسطنطينية وهم يستشفون به وفى الحديث من مات ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق (وأحسنوا) أى تفضلوا على الفقراء (ان الله يحب المحسنين) أى يريد بهم الخير روى أن الحجاج لما ولى العراق كان يطعم فى كل يوم على ألف مائدة يجمع على كل مائدة عشر أنفس وكان يرسل الرسل الى الناس لحضور الطعام فكثر عليه ذلك فقال أيها الناس رسولى اليكم الشمس اذا طلعت فاحضروا للغداء واذا غربت فاحضروا للعشاء فكانوا يفعلون ذلك وأستقل الناس يوما فقال ما بال الناس قد قلوا فقال رجل أيها الامير انك أغنيت الناس فى بيوتهم عن الحضور الى مائدتك فأعجبه ذلك وقال اجلس بارك الله عليك هذا كرم الحجاج واحسانه الى الخلق مع كونه أظلم أهل زمانه (قال السعدى) كرم كن كه فردا كه ديوان نهند * منازل بمقدار احسان نهند * وحكى الهدانى قال أقبل ركب من بنى أسد ومن قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما وهو المشهور بالجود فقالوا له تركناقوما يثنون عليك خيرا وقد أرسلوا اليك رسالة فقال ماهى فأنشد الاسديون شعر النابغة فيه فلما أنشدوه قالوا انا نستحى أن نسألك شيأ وان لنا الحاجة قال ماهى قالوا صاحب لنا قد أرجل يعنى فقدت راحلته فقال حاتم فرسى هذه فاحملوه عليها فأخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فأفلت يتبع أمه وتبعته الجارية لترده فصاح حاتم ما يتبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية كذا

فى شرح رسالة ابن زيدون الوزير قيل لما عرج النبى عليه السلام اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام ما بال هذا الرجل فى هذه الحظيرة لا تمسه النار فقال جبريل عليه السلام هذا حاتم طى صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده كذا فى أنيس الوحدة وجليس الخلوة وفى الاحاديث القدسية يا عيسى أتريد أن تطير على السماء مع الملائكة المقربين كن فى الشفقة كالشمس وفى الستر كالليل وفى التواضع كالارض وفى الحلم كالميت وفى السخاوة كالنهر الجارى قال بعض أهل الحقيقة وهو حسن جدا وأنفقوا فى سبيل الله أرواحكم ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة بمنعكم أنفسكم عن الشهادة فى سبيل الله التى هى الحياة الابدية فتهلكوا يعنى بفوت هذه الحياة وأحسنوا تسليم أنفسكم الى الله فقد اشتراها منكم ان الله يحب المحسنين (وفى المثنوى) مرك بى مركى بود ما را حلال * برك بى بركى بود ما را نوال * ظاهرش مرك وبباطن زندكى * ظاهرش ابتر نهان پايندكى * چون مرا سوى اجل عشق وهواست * نهى لا تلقوا بأيديكم مراست * زانكه نهى از دانهٔ شيرين بود * تلخ را خود نهى حاجت كى شود * دانهٔ كش تلخ باشد مغز وپوست * تلخى ومكروهيش خود نهى اوست * دانهٔ مردن مرا شيرين شدست * بل هم احياء پى من آمدست * قال فى التأويلات النجمية وأنفقوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة بالامتناع عن تسليم المبيع فتهلكوا بمنع الثمن وهو الجنة وبافراط الاعتداء وتفريطه فى جهاد النفس بالافراط بأن يبرزوا واحد على رهط وبالتفريط بأن يفروا واحد من اثنين فى جهاد الكفار وأحسنوا مع نفوسكم بوقايتها من نار الشهوات ومع قلوبكم برعايتها وحفظها من رين الغفلات ومع أرواحكم بحمايتها عن حجب التعلقات ومع أسراركم بكلاءتها عن ملاحظة المكونات ومع الخلق بدفع الاذيات وايصال الخيرات ومع الله بالعبودية فى المأمورات والمنهيات والصبر على المضرات والبليات والشكر على النعم والمسرات والتوكل عليه فى جميع الحالات وتفويض الامور اليه فى الجزئيات والكليات والتسليم للاحكام الازليات والرضى بالاقضية الاوليات والفناء عن الارادات المحدثات فى ارادته القديمة بالذات ان الله يحب المحسنين الذين هم فى العبادة بوصف المشاهدة انتهى ما فى التأويلات باختصار (وأتموا الحج والعمرة) الحج فرض على من استطاع اليه سبيلا بالاتفاق والعمرة سنة عند أبى حنيفة رحمه الله لا تلزم الا بالشروع كنفل الصلاة والمعنى ان من شرع فى أى واحد منهما فليتمه قالوا ومن الجائز أن لا يكون الدخول فى شىء واجبا ابتداء الا أنه بعد الشروع فيه يكون اتمامه واجبا (لله) متعلق بأتموا واللام لام المفعول من أجله وفائدة التخصيص به هنا ان العرب كانت تقصد الحج للاجتماع والتظاهر وحضور الاسواق وكل ذلك ليس لله فيه طاعة ولا قربة فأمر الله بالقصد اليه لاداء فرضه وقضاء حقه والمعنى أكملوا أركانهما وشرائطهما وسائر أفعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشىء منها وأخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشىء من التجارة والاغراض الدنيوية واجعلوا النفقة من الحلال وأركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعى بين الصفا والمروة وحلق الرأس أو التقصير فركن الحج ما لا يحصل التحلل الا بالاتيان به وواجباته هو الذى اذا ترك جبر بالدم وسننه ما لا يجب بتركه

شيء وكذا افعال العمرة تشتمل على هذه الامور الثلاثة فان اركانها اربعة الاحرام والطواف
بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والحلق * وللحج تحللان وأسباب التحلل ثلاثة رمي جمرة العقبة
يوم النحر وطواف الزيارة والحلق واذا وجد شيئان من هذه الاشياء الثلاثة حصل التحلل
وبالثالث حصل التحلل الثاني وبعد التحلل الاول يستبيح جميع المحظورات أي محظورات
الاحرام الا النساء وبالثاني يستبيح الكل واتفقت الائمة على انه يجوز أداء الحج والعمرة على
ثلاثة أوجه الافراد والتمتع والقران فصورة الافراد أن يحرم بالحج مفردا ثم بعد الفراغ منه
يعتمر من الحل أي الذي بين المواقيت وبين الحرم وصورة التمتع ان يبتدئ باحرام العمرة في أشهر
الحج و يأتي بمناسكها ثم يحرم بالحج من مكة فيحج في هذا العام وصورة القران ان يحرم بالحج
والعمرة معا بان ينويهما بقلبه ويأتي بمناسك الحج وحينئذ يكون قد أتى بالعمرة أيضا لان مناسك
العمرة هي مناسك الحج من غير عكس أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف
فيصير قارنا ولو أحرم بالحج ثم أدخل عليه العمرة لم ينعقد احرامه بالعمرة والافضل عندنا من
هذه الوجوه هو القران وفي الحديث تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب
كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور جزاء الا الجنة (فان احصرتم)
أي منعتم وصددتم عن الحج والوصول الى البيت بمرض أو عدو أو عجز أو ذهاب نفقة أو راحلة
أو سائر العوائق بعد الاحرام بأحد النسكين وهذا التعميم عند أبي حنيفة رحمه الله لان الخطاب
وان كان للنبي وأصحابه وكانوا ممنوعين بالعدو لكن الاعتبار لعموم اللفظ لا لخصوص السبب
(فما استيسر) أي فعليكم ما تيسر (من الهدي) من ابتدائية أو بيانية أي حال كونه بعض
الهدي أو الكائن من الهدي جمع هدية كتمر وتمرة وهو ما يهدى الى البيت تقربا الى الله من النعم
أيسره شاة وأوسطه بقرة وأعلاه بدنة ويسمى هديا لانه جار مجرى الهدية التي يبعثها العبد الى ربه
بأن بعثها الى بيته والمعنى ان المحرم اذا أحصر وأراد أن يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من
بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر في أي موضع كان عند الشافعي وأما عندنا فيبعث به الى الحرم
ويجعل للمبعوث على يده يوم ذبحه امارة أي علامة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى
(ولا تحلقوا رؤسكم) أي لا تحللوا بحلق رؤسكم (حتى يبلغ الهدي محله) حتى تعلموا ان الهدي
المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذي وجب أن ينحر فيه والمحل بالكسر من الحلول وهو النزول
يطلق على الزمان والمكان فمحل الدين وقت وجوب قضائه ومحل الهدي المكان الذي يحل فيه
ذبحه وهو الحرم عندنا لقوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق والمراد الحرم كله لان كله يتبع
البيت وهذا الحكم عام لجميع الحاج من المفرد والقارن والمتمتع والمعتمر يعني لا يجوز له ان يحلق
رأسه الا ان يذبح هديه وان لم يحصر يعني في منى والحلق أفضل من التقصير ولو حلق ربع الرأس
يكتفي به لكن حلق كله أولى اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم هذا في الحج وأما في غيره فكان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحلق رأسه الا قليلا بل هو معدود ويتركه في أكثر الازمان
وكان علي رضي الله عنه يحلق رأسه منذ ما سمع قوله عليه السلام تحت كل شعرة جنابة (فمن)
يجوز أن تكون شرطية وموصولة (كان منكم مريضا) مرضا محوجا الى الحلق حال الاحرام
ومريضا خبر كان ومنكم حال منه لانه في الاصل صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالا (أو به اذى)

أى ألم كائن (من رأسه) كجراحة أوقمل أوصداع أوشقيقة والمعنى فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحلق فالمعنى يثبت على احرامه من غير حلق حتى يذبح هديه الا أن يضطر الى الحلق فان حلق ضرورة (ففدية) أى فعليه فدية (من صيام) أى صيام ثلاثة أيام (اوصدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (اونسك) بضمتين جمع نسيكة وهى الذبيحة أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة وأو للتخيير (فاذا أمنتم) من خوفكم وبرئتم من مرضكم وكنتم فى حال امن وسعة لافى حال احصار (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) أى فمن انتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج فى أشهره أومن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى أن يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) أى فعليه دم تيسر عليه بسبب التمتع وهو هدى المتعة وهو نسك عند ابى حنيفة رحمه الله لايذبحه الا يوم النحر ويأكل منه كالاضحية (فمن لم يجد) أى الهدى (فصيام ثلاثة ايام) صيام مصدر أضيف الى ظرفه معنى وهو فى اللفظ مفعول به على الاتساع أى فعليه صيام ثلاثة أيام (فى الحج) أى فى وقته وأشهره بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج ان شاء متفرقة وان شاء متتابعة والاحب ان يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتاسعه ولا يصح يوم النحر وأيام التشريق (وسبعة اذا رجعتم) أى نفرتم وفرغتم من أعمال الحج أطلق عليه الرجوع على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب الخاص وهو النفر والفراغ فانه سبب للرجوع (تلك) أى صيام ثلاثة وسبعة (عشرة) فذلكة الحساب وفائدتها ان لايتوهم ان الواو بمعنى أو كما فى قوله تعالى مثنى وثلاث ورباع وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلمان خير من علم فان أكثر العرب لايحسنون الحساب فكان الرجل اذا خاطب صاحبه باعداد متفرقة جمعها له ليسرع فهمه اليها وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما (كاملة) صفة مؤكدة لعشرة فان الوصف قد يكون للتأكيد اذا أفاد الموصوف معنى ذلك الوصف نحو الهين اثنين والتأكيد انما يصار اليه اذا كان الحكم المؤكد مما يهتم بشأنه والمحافظة عليه والمؤكد ههنا هو رعاية هذا العدد فى هذا الصوم أكد لبيان أن رعايته من المهمات التى لايجوز اهمالها البتة (ذلك) اشارة الى نفس التمتع عندنا والى حكم التمتع عند الشافعى وهو لزوم الهدى لمن يجده من المتمتع ولزوم بدله لمن لايجده (لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام) أى لازم للذى لايسكن مكة وأهل الرجل أخص الناس اليه وانما ذكر الاهل لان الغالب ان الانسان يسكن حيث يسكن أهله فعبر بسكون الاهل عن سكون نفسه وحاضرو المسجد الحرام عندنا هم أهل مكة ومن كان منزله داخل المواقيت فلا متعة ولاقران لهم فمن تمتع أوقرن منهم فعليه دم جناية لايأكل منه وحاضرو المسجد الحرام ينبغى لهم أن يعتمروا فى غير أشهر الحج ويفردوا اشهر الحج للحج والقارن والمتمتع الآفاقيان دمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعى حاضرو المسجد الحرام أهل الحرم ومن هو على مسافة لاتقصر فيها الصلاة (واتقوا الله) فى المحافظة على أوامره ونواهيه وخصوصا فى الحج (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به عن العصيان (قال السعدى) مرو زير باركنه اى پسر * كه حمال عاجز بود درسفر * تو پيش ازعقوبت درعفو كوب * كه سودى ندارد فغان زير چوب * اعلم ان اتمام الحج كما يكون عن طريق الظاهر كذلك يكون عن طريق الباطن وعن بعض الصالحين انه حج فلما قضى نسكه قال

لصاحبه هلم نتم حجنا ألم تسمع قول ذى الرمة

تمام الحج ان تقف المطايا * على خرقاء واضعة اللثام

وخرقاء اسم حبيبة الشاعر واضعة اللثام أى مكشوفة الوجه مسفرة جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذى لا يتم الا به وحقيقة ما قال هو أنه كما قطع البوادى حتى وصل الى بيته وحرمه ينبغى ان يقطع أهواء النفس ويخرق حجب القلب حتى يصل الى مقام المشاهدة ويبصر آثار كرمه بعد الرجوع عن حرمه قال فى التأويلات النجمية حج العوام قصد البيت وزيارته وحج الخواص قصد رب البيت وشهوده كما قال الخليل عليه السلام انى ذاهب الى ربى سيهدين وكان من قصد الله وطلبه وتوجه اليه بالكلية وفدى بنفسه وماله وولده فى الله واتخذ ما سواه عدوا كما قال فانهم عدو لى الا رب العالمين كان الخليل عليه الصلاة والسلام وهذا كله من مناسك الحج الحقيقى فلذلك جعله الله أول من بنى بيت الله وطاف وحج وأذن فى الناس بالحج وسن المناسك وكان الحج صورة ومعنى مقامه عليه السلام وكما كان له مقام كان لنبينا عليه السلام حال والحال أتم من المقام لان المقامات من المنازل والاحوال من المواهب فيمكن سلوك المقامات بغير المواهب ولا يمكن المواهب بغير سلوك المقامات فلما كان الخليل من أهل المقامات قال انى ذاهب الى ربى سيهدين ولما كان النبى عليه الصلاة والسلام من أهل المواهب قيل سبحان الذى أسرى بعبده فلما كان ذهابه بنفسه فى الحج الحقيقى بقى فى السماء السابعة وأحصر فقيل له فان أحصرتم فما استيسر من الهدى فاهدى باسمعيل ولما أسرى بالنبى عليه السلام وكان ذهابه بالله ما أحصره شىء فقيل له فأتموا الحج والعمرة لله فأتم حجه بأن دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ثم أتى عمرته بأن تجلى له أقمار المقصود عن كشوف التعزز بالشهود وانجلت غيابة المحبة عن شموس الوصلة وجرى بين المحبين ما جرى فأوحى الى عبده ما أوحى ثم نودى من سرادقات الجلال فى اتمام الحج والاكمال يوم الحج الاكبر عند وقوفه بعرفات فى حجة الوداع وهو آخر الحجات اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا انتهى ما فى التأويلات ثم اعلم ان كل قلب لا يصلح لمعرفة الرب ولا كل نفس تصلح لخدمة الرب ولا كل نفيس مال يصلح لخزانة الرب فتعجل أيها العبد فى تدارك حالك وكن سخيا بمالك فان لم يكن فبنفسك وان كان لك قدرة على بذلهما فيهما ألا ترى ان ابراهيم عليه السلام كيف أعطى ماله للضيفان وبدنه للنيران وولده للقربان وقلبه للرحمن حتى تعجبت الملائكة من سخاوته فأكرمه الله بالخلة قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا قال مالك بن دينار خرجت الى مكة فرأيت فى الطريق شابا اذا جن عليه الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يا من تسره الطاعات ولا تضره المعاصى هب لى ما يسرك واغفر لى ما لا يضرك فلما أحرم الناس ولبوا قلت له لم لا تلبى فقال يا شيخ وما تغنى التلبية عن الذنوب المتقدمة والجرائم المكتوبة والمعاصى السالفة اخشى ان أقول لبيك فيقال لى لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك ثم مضى فما رأيته الا بمنى وهو يقول اللهم ان الناس قد ذبحوا وتقربوا اليك وليس لى شىء أتقرب به اليك سوى نفسى فتقبلها منى ثم شهق شهقة وخر ميتا اللهم عاملنا بكمال كرمك وأوصلنا الى حضرتك العليا وحرمك (الحج) بحذف المضاف أى وقته لان الحج فعل والفعل لا يكون أشهرا (أشهر) هى شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة

عندنا وانما سمى شهران وبعض شهر أشهرا مع ان جمع القلة لا يطلق على ما هو أقل من الثلاثة اقامة للبعض مقام الكل أو اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد (معلومات) معروفات بين الناس لانهم توارثوا علمها والشرع جاء مقررا لما عرفوه ولم يغير وقته عما كان قبله وفائدة توقيت الحج بهذه الاشهر ليعلم ان شيأ من أفعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام وان كان ينعقد فى غيرها أيضا عند أبى حنيفة الا انه مكروه يعنى ان الاحرام عنده من شرائط الحج فيجوز تقديمه على وقت أدائه كما يجوز تقديم الطهارة على أداء الصلاة وقولهم وقت الحج أشهر ليس المراد به انها وقت احرامه بل المراد انها وقت أدائه بمباشرة أعماله ومناسكه والاشهر كلها وقت لصحة احرامه لقوله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج ومعلوم ان الاهلة كلها ليست مواقيت لصحة أداء الحج فتعين ان المراد انها مواقيت لصحة الاحرام حتى من أحرم يوم النحر لان يحج فى السنة القابلة يصح احرامه من غير كراهة عند أبى حنيفة كذا فى حواشى ابن الشيخ (فمن فرض فيهن الحج) أى أوجبه على نفسه بالتلبية أو تقليد الهدى وذلك لان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع بمجرد النية كالصلاة فلا بد من فعل يشرع به فيه وهو ما ذكرنا من التلبية أو تقليد الهدى وهو جعل القلادة فى عنقه وسوقه (فلا رفث) اى فلا جماع وما دونه مما يفضى الى ذلك كالقبلة والغمز وهو محظور الاحرام فقبل الوقوف بعرفة مفسد وبعده موجب للبدنة وحرمت دواعيه لئلا يقع فيه والرفث وما يليه من الفسوق والجدال وان كانت على صورة النفى بمعنى ان شيأ منها لا يقع فى خلال الحج الا ان المراد بها النهى لان ابقاءها خبرا على ظاهرها يستلزم الخلف فى خبر الله للعلم بأن هذه الاشياء كثيرا ما تقع فى خلال الحج وانما أخرجت على صورة الاخبار للمبالغة فى وجوب الانتهاء عنها كأن المكلف اذعن كونها منهيا عنها فاجتنب عنها فالله تعالى يخبر بأنها لا توجد فى خلال الحج ولا يأتى بها أحد منكم (ولا فسوق) ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات والفسق هو المعاصى بأنواعها فيدخل فيه السباب والتنابز بالالقاب وغير ذلك (ولا جدال) أى لا مراء مع الخدم والرفقة والمكارين لانه يفضى الى التضاغن وزوال التأليف فاما الجدال على وجه النظر فى أمر من امور الدين فلا باس به (فى الحج) أى فى أيامه وانما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب فى كل حال لانه مع الحج أقبح وأشنع كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب فى قراءة القرآن والمنهى عنه التطريب الذى تخرج الحروف به عن هيئاتها كما يفعله بعض القراء من الالحان العجمية والانغام الموسيقية وأما تحسين القراءة ومدها فهو مندوب اليه قال عليه السلام حسنوا القرآن بأصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا والتطريب المقبول سبب للرقة واقبال النفس وبه قال أبو حنيفة رحمه الله وجماعة من السلف (وما) شرطية (تفعلوا من خير يعلمه الله) علم الله تعالى بما يفعله العبد من الخير كناية عن اثابته عليه ● نهى عن ثلاثة أشياء من المعاصى ورغب فى كل الطاعات فهو حث على فعل الخير عقيب النهى عن الشر فيدخل فيه استعمال الكلام الحسن مكان القبيح والبر والتقوى مكان الفسوق والوفاق والاخلاق الجميلة مكان الجدال (وتزودوا) أى اجعلوا زادكم لمعادكم وآخرتكم اتقاء القبائح (فان خير الزاد التقوى) لا ما يتخذ من الطعام وتحقيق الكلام ان الانسان له سفران سفر فى الدنيا وسفر من الدنيا فالسفر فى الدنيا لا بد له من زاد وهو

الطعام والشراب والمركب والمال والسفر من الدنيا لابد له أيضا من زاد وهو معرفة الله ومحبته
والاعراض عما سواه بالاشتغال فى طاعته والاجتناب عن مخالفته ومناهيه وهذا الزاد خير من
زاد المسافر فى الدنيا لان زاد الدنيا يخلصك من عذاب منقطع وزاد الآخرة يخلصك من عذاب
دائم وزاد الدنيا فانى وزاد الآخرة يوصلك الى لذات باقية خالصة وقيل كان أهل اليمن لا يتزودون
ويخرجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا فيكونون كلا على
الناس واذا قدموا مكة سألوا الناس وربما يفضى بهم الحال الى النهب والغصب فقال الله
تعالى تزودوا أى ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم من الكعك والزيت والسويق والتمر
ونحوها واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى من السؤال
والنهب (واتقون يا أولى الالباب) فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم
أمرهم بأن يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شئ سواه وهو مقتضى العقل المعرى
عن شوائب الهوى فلذلك خص أولى الالباب بالخطاب فان من لم يتقه فكأنه لا لب له فعلى
العاقل تخليص العقل من الشوائب وتهذيب النفس وتكميلها بالوصول الى أعلى المراتب
قال الشاعر ولم أر فى عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام
قال الامام اعلم ان الانسان فيه قوى ثلاث قوة شهوانية بهيمية وقوة غضبية سبعية شيطانية وقوة
وهمية عقلية ملكية والمقصود من جميع العبارات قهر القوى الثلاث أعنى الشهوانية
والغضبية والوهمية فقوله فلا رفث اشارة الى قهر القوة الشهوانية وقوله ولا فسوق اشارة الى
قهر القوة الغضبية التى توجب المعصية والتمرد وقوله ولا جدال اشارة الى قهر القوة الوهمية
التى تحمل الانسان على الجدال فى ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه وهى الباعثة
للانسان على منازعة الناس ومماراتهم والمخاصمة معهم فى كل شئ فلما كان الشر محصورا فى هذه
الامور الثلاثة لا جرم قال فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج أى فمن قصد معرفة الله ومحبته
والاطلاع على نور جلاله والانخراط فى سلك الخواص من عباده انتهى ما قال الامام قالوا من
سهل عليه المشى فى طريق الحج فهو الافضل فان كان يضعف ويؤدى ذلك الى سوء خلق وقصور
عن عمل فالركوب أفضل كما ان الصوم أفضل للمسافر والمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق
قال أبو جعفر محمد الباقر ما يعبأ بمن يؤم هذا البيت اذا لم يات بثلاث ورع يحجزه عن محارم الله
وحلم يكف به غضبه وحسن الصحابة لمن يصحبه من المسلمين فهذه الثلاث يحتاج اليها المسافر
خصوصا الى الحج فمن كملها فقد كمل حجه والافلا (ونعم ما قال السعدى) از من بكوى حاجى
مردم كزا را * كاو پوستين خلق بآزار ميدرد * حاجى تو نيستى شترست از براى آنك * بيچاره
خار ميخورد و بار ميبرد * فينبغى ان يجتهد الحاج قبل مفارقة رفيقه والجمال فى ان يتحللوا من
المظالم ان كانت جرت بينهم مثل غيبة ونميمة أو أخذ عرض أو تعرض لمال فاسلم من ذلك الا القليل
واذا ذكر رفيقه فليثن عليه خيرا وليغض عما سوى ذلك فقد كان السلف بعد قفولهم أى رجوعهم
من السفر لا يذكر أحدهم صاحبه الا بخير وليحذر من نطقت صحيفة عمله من الذنوب بالغفران
ان يرجع الى وسخ المعاصى ثم الاشارة الى ان قصد القاصدين الى الله تعالى انما يكون فى أشهر
معلومات من حياتهم الفانية فى الدنيا فاما بعد انقضاء الآجال فلا يفيد لاحد السعى كما لا ينفع

للحاج القصد بعد مضى أشهر الحج قال تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الآية وكما ان للحاج مواقيت معينة يحرمون منها فكذلك للقاصدين الى الله ميقات وهى أيام الشباب من بلاغة الصورة الى بلوغ الاربعين وهو حد بلاغة المعنى قال تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ولهذا قال المشايخ الصوفية بعد الاربعين نادر يعنى ان كان ظهور ارادته وطلبه يكون بعد الاربعين فوصوله الى المقصد الحقيقى يكون نادرا مع أركانه ولكن من يكون طلبه وصدقه فى الارادة قبل الاربعين وما أمكنته الوصلة يقرب فى الاحتمال ان يكون بعد الاربعين حصول مقصوده بأن يبذل غاية مجهوده بشرائطه وحقوقه وحدوده ومن فاته أوان الطلب فى عنفوان شبابه مستبعدة له الوصلة فى حال مشيبه فجرى منه عليه المثل بأن ضيع اللبن فى الصيف ولكن يصلح للعبادة التى آخرها الجنة ووقف بعض المشايخ على باب الجامع والخلق يخرجون منه فى ازدحام وغلبة وكان ينظر اليهم ويقول هؤلاء حشو الجنة وللمجالسة أقوام آخرون كذا فى التأويلات النجمية وقال القاشانى وقت الحج أزمنة وهو من وقت بلوغ الحلم الى الاربعين ثلاثة أعصر كل عصر بمثابة شهر عصر من سن النمو وعصر من سن الوقوف وبعض من سن الكهولة كما قال تعالى فى وصف البقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك انتهى (قال الحافظ) عشق وشباب ورندى مجموعهٔ مرادست * چون جمع شد معانى گوى بيان توان زد (ليس عليكم جناح) أى اثم من الجنوح وهو الميل عن القصد (ان تبتغوا) أى فى ان تقصدوا وتطلبوا (فضلا من ربكم) أى عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة فى أيام الحج فان الآية نزلت ردا على من يقول لا حج للتاجر والجمال لكن الحق ان التجارة وان كانت مباحة فى الحج الا ان الاولى تركها فيه لقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص ان لا يكون له حامل على الفعل سوى كونه طاعة وعبادة (فاذا أفضتم من عرفات) الهمزة فى أفضتم للتعدية والمفعول محذوف أى دفعتم أنفسكم منها بكثرة بعد غروب الشمس ورجعتم بعد الوقوف بها وفى التيسير وحقيقة الافاضة ههنا هو اجتماع الكثير فى الذهاب والمسير وعرفات علم للموقف وليس بجمع حقيقة بل هو من قبيل ما زيدت حروفه لزيادة معناه فانه للمبالغة فى الانباء عن المعرفة روى انه نعته جبريل لابراهيم عليهما السلام فلما أبصره عرفه فسمى ذلك الموضع عرفات أو لان جبريل عليه الصلاة والسلام كان يدور به فى المشاعر أى مواضع المناسك ويقول عرفت فيقول عرفت فلما رآه قال عرفت أو لان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا أو لغير ذلك كما ذكر فى التفاسير وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفات لان الافاضة مأمور بها وهى موقوفة على الحضور فيها والوقوف بها وما لم يتم الواجب الا به فهو واجب فيكون الوقوف واجبا (فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والتسبيح والتحميد والثناء والدعوات (عند المشعر الحرام) قزح وهو الجبل الذى يقف عليه الامام وعلى الميقدة وفى المغرب الميقدة هو موضع بالمشعر الحرام على قزح كان أهل الجاهلية يوقدون عليها النار وتقييد محل الذكر والوقوف بقوله عند المشعر الحرام للتنبيه على ان الوقوف فيما يقرب من جبل قزح أفضل من الوقوف فى سائر مواضع أرض مزدلفة وذلك لا ينافى صحة الوقوف فى جميع مواضعها كما ان عرفات كلها

موضع

موضع الوقوف لكن الوقوف بقرب جبل الرحمة أفضل وأولى والمشعر المعلم أى للعبادة والشعائر العلامات من الشعار وهو العلامة ووصفه بالحرام لحرمته فلا يفعل فيه ما نهى عنه (واذكروه كما هداكم) أى كما علمكم كيف تذكرونه مثل كون الذكر ذكرا كثيرا وعلى وجه التضرع والخيفة والطمع ناشئا عن الرغبة والرهبة ومشاهدة جلال المذكور وجماله كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فالمقصود من الكاف مجرد التقييد لا التشبيه أى اذكروه على الوجه الذى هداكم اليه لا تعدلوا عما هديتم اليه كما تقول افعل كما علمتك وليس هذا تكرارا لقوله فاذكروا الله عند المشعر الحرام لان الاول لبيان محل الذكر والوقوف وتعليم النسك المناسب لذلك المحل وأوجب بالثانى ان يكون ذكرنا اياه كهدايته ايانا أى موازيا لها فى الكم والكيف (وان) هى المخففة واللام هى الفارقة (كنتم من قبله) أى من قبل ما ذكر من هدايته اياكم (لمن الضالين) غير العالمين بالايمان والطاعة قال القاشانى ان الله تعالى هدى أولا الى الذكر باللسان فى مقام النفس ثم الى الذكر بالقلب وهو ذكر الافعال أى تصور آلاء الله ونعمائه ثم الى ذكر السر وهو معاينة الافعال ومكاشفة علوم تجليات الصفات ثم الى ذكر الروح وهو مشاهدة أنوار تجليات الصفات مع ملاحظة نور الذات ثم الى ذكر الخفى وهو مشاهدة جمال الذات مع بقاء الاثنينية ثم الى ذكر الذات وهو الشهود الذاتى بارتفاع البعد وان كنتم من قبل الهدى الى هذه المقامات لمن الضالين عن طريق هذه الاذكار انتهى ولما أمر بذكر الله تعالى اذا فعلت الافاضة أمر بأن تكون الافاضة من حيث أفاض الناس مرتبا الامر الثانى على الاول بكلمة ثم فقال (ثم افيضوا) أى ارجعوا (من حيث افاض الناس) أى من عرفة لا من المزدلفة كانت قريش وحلفاؤها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وسكان حرمه فلا نخرج من الحرم ويستعظمون ان يقفوا مع الناس بعرفات لكونها من الحل وسائر العرب كانوا يقفون بعرفات اتباعا لملة ابراهيم عليه السلام فاذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحمس من المزدلفة فأنزل الله هذه الآية فأمرهم أن يقفوا بعرفات وان يفيضوا منها كما يفعله سائر الناس والمراد بالناس العرب كلهم غير الحمس والحمس فى الاصل جمع أحمس وهو الرجل الشجاع والاحمس أيضا الشديد الصلب فى الدين والقتال وسميت قريش وكنانة وجديلة وقيس حمسا لتشددهم فى دينهم وكانوا لا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها وكذلك كان من حالفهم أو تزوج منهم (واستغفروا الله) من جاهليتكم فى تغيير المناسك ومخالفتكم فى الموقف (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فأمر النبى عليه السلام أبا بكر رضى الله تعالى عنه ان يخرج بالناس الى عرفات فيقف بها روى ان الله تعالى يباهى ملائكته بأهل عرفات ويقول انظروا الى عبادى جاؤا من كل فج عميق شعثا غبرا اشهدوا انى غفرت لهم ويروى ان الشيطان ما رؤى فى يوم هو أصغر واحقر واذل منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفى الحديث أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله تعالى لا يغفر له والحجة الواحدة أفضل من عشرين غزوة فى سبيل الله وقيل ان البعير اذا حج عليه مرة بورك فى أربعين من أمهاته واذا حج عليه سبع مرات كان حقا على الله ان يرعاه فى رياض الجنة ومصداق ذلك ما قال

النهرانى رحمه الله يلقى ان وقاد تنور حمام أتى بسلة عظام جمل ليوقدها قال فألقيتها فى التنور وقد خرجت منه فألقيتها فعادت فخرجت فعدت فألقيتها الثالثة فعادت فخرجت بشدة حتى وقعت فى صدرى واذا بصوت هاتف يقول ويحك هذه عظام جمل قدسعى الى مكة عشر مرات كيف تحرقها بالنار واذا كانت هذه الرأفة والرحمة بمطية الحاج فكيف به ثم ان الفضل على ثلاثة أقسام بالنسبة الى أحوال العبد فان التنوع راجع الى تغيير أحوال العباد لا الى تغيير صفة من صفات الحق تعالى فالاول منها ما يتعلق بالمعاش الانسانى من المال والجاه ونوع يتعلق بالغذاء واللباس الضرورى وهذا الفضل مفسر بالرزق قال الله تعالى وابتغوا من فضل الله والثانى منها ما يتعلق بالمصالح الاخروية للعبد وهو نوعان ما يتعلق بأعمال البدن على وفق الشرع ومتابعة الشارع ومجانبة طريق الشيطان المنازع قال تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا وما يتعلق بأعمال القلب وتزكية النفس قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا والقسم الثالث منها ما يتعلق بالله تعالى وهو نوعان ما يتعلق بمواهب القربة قال تعالى وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا أى قربا كبيرا فانه أكبر من الدنيا والآخرة وما يتعلق بمواهب الوصلة قال تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يعنى فضل مواهب الوصلة أعظم من الكل ولكل قسم من هذه الاقسام الثلاثة مقام فى الابتغاء اما الذى يتعلق بالمصالح الاخروية وهو فضل الرحمة فمقام ابتغائه بترك الموجود وبذل المجهود وهو فى السير الى عرفات وأما الذى يتعلق بالله وهو فضل المواهب فمقام ابتغائه عند الوقوف بعرفات وعرفات اشارة الى المعرفة وهى معظم أركان الوصلة وأما الذى يتعلق بالمصالح الدنيوية وهو فضل الرزق فمقام ابتغائه بعد استكمال الوقوف بعرفات المعرفة عند الافاضة ففى الآية تقديم وتأخير أى اذا أفضتم من عرفات فليس عليكم الخ وذلك لان حال أهل السلوك فى البداية ترك الدنيا والتجريد عنها وفى الوسط التوكل والتفريد وفى النهاية المعرفة والتوحيد فلا يسلم الشروع فى المصالح الدنيوية الا لاهل النهاية لقوتهم فى المعرفة وعلو همتهم بأن يطهر الله قلوبهم من رجز حب الدنيا الدنية ويلوثها نورا بالالطاف الخفية فلا اعتبار للدنيا وشهواتها ونعيم الآخرة ودرجاتها عند الهمم العالية فلا يتصرفون فى شئ منها وتصرفهم بالله وفى الله ولله لا لحظوظ النفس بل لمصالح الدين واصابة الخير الى الغير كذا فى التأويلات النجمية (قال فى المثنوى) كاز يا كار را قياس از خود مكير * كرچه ماند در نبشتن شير شير * اللهم اجعل همنا مقصورة على جنابك آمين (فاذا قضيتم مناسككم) أى أتممتم عباداتكم التى أمرتم بها فى الحج وفرغتم منها (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) يعنى فاتركوا عادة الجاهلية واتبعوا سنن الاسلام واشتغلوا بذكر رب الانام وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل ويذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن أيامهم يريد كل واحد منهم بذلك حصول الشهرة والترفع له بما سلفه فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بأن يجعلوا بدل ذكرهم آباءهم ذكر الله تعالى وتمجيده والثناء عليه اذ الخير كله من عنده وآباؤهم عبيده ونالوا ما نالوا بافضاله (قال السعدى) كراز حق نه توفيق خيرى رسد * كى از بنده خيرى بغيرى رسد (او أشد ذكرا) مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز أى اذكروه ذكرا كان مثل ذكركم المتعلق بآبائكم أو كذكر هو أشد

منه وأبلغ ذكراً أو تحقيقه ان أفعل انما يضاف الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله كقولك
وجهك أحسن وجه أي أحسن الوجوه فاذا نصب ما بعده كان غير الذي قبله كقولك زيد أفره
عبدا فالفراهة للعبد لا لزيد والمذكور قبل أشد هنا هو الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال أشد ذكرا
انما قياسه ان يقال للذكر أشد ذكر بجر الاضافة فوجه النصب انه يجعل الذكر ذاكرا مجازا ويجوز
نسبة الذكر الى الذكر بأن يسمع انسان الذكر فيذكر فكأن الذكر قد ذكر لحدوثه بسببه
(فمن الناس) أي من الذين يشهدون الحج (من يقول) في ذكره مقتصرا على طلب الدنيا (ربنا
آتنا في الدنيا) أي ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة من الجاه والغنى والنصرة على الاعداء وما هو من
الحظوظ العاجلة وهم المشركون لانهم لا يسألون في حجهم الا الدنيا (وماله في الآخرة من
خلاق) أي نصيب وحظ لان همه مقصور على الدنيا حيث سأل في أعز المواقف أحقر المطالب
وأعرض عن سؤال النعيم الدائم والملك العظيم (ومنهم) أي من الذين يشهدون الحج (من يقول)
في ذكره طالبا خير الدارين (ربنا آتنا في الدنيا حسنة) هي الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي
التيسير الحسنة جامعة لكل الخيرات في الدارين (وفي الآخرة حسنة) هي الثواب والرحمة قال
الشيخ أبو القاسم الحكيم حسنة الدنيا عيش على سعادة وموت على شهادة وحسنة الآخرة بعث
من القبر على بشارة وجواز على الصراط على سلامة (وقنا) أي احفظنا (عذاب النار) بالعفو
والمغفرة وعن علي كرم الله وجهه ان الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء
وعذاب النار المرأة السوء (قال السعدي) چو مستور باشد زن خوب روى * بديدار او در
بهشتست شوى * وتلخيصه أكثروا ذكر الله وسلوه سعادتكم في داريه وترك ذكر من قصر
دعاءه على طلب الآخرة فقط لان طالب الآخرة فقط بحيث لا يحتاج الى طلب حسنة من الدنيا
لا يوجد في الدنيا (أولئك) اشارة الى الفريق الثاني وهم الداعون بالحسنتين لانه تعالى ذكر حكم
الفريق الاول بقوله وماله في الآخرة من خلاق (لهم نصيب مما كسبوا) من للتبعيض أي لهم
نصيب عظيم كائن من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع
الحسنة أو من أجل ما كسبوا لانهم استحقوا ذلك الثواب الحسن بسبب أعمالهم الحسنة ومن
أجلها فتكون من ابتدائية لان العلة مبدأ الحكم ثم أومأ الى قدرته محذرا من الموت وحاثا
على أعمال الخير بقوله (والله سريع الحساب) والحساب يراد به نفس الجزاء على الاعمال فان
الحساب سبب للاخذ والعطاء واطلاق اسم السبب على المسبب جائز شائع أي يحاسب العباد
على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار لمحة لعدم احتياجه الى عقد يد أو وعي صدر أو نظر وفكر
فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شأن قدرته أو يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب الناس
وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم يبق الا صبابة كصبابة الاناء فليبادر المؤمن الى
الطاعات واكتساب الحسنات والذكر في كل الحالات قال الحسن البصري اذكروني كما يذكر
الصغير أباه فانه أول ما يتكلم يقول يا اب يا اب فعلى كل مسلم أن يقول يا رب يا رب وعن النبي
عليه السلام أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه
وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك
ثم نقر بيده فقال هكذا عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يكفر أن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار والاشارة فاذا قضيتم مناسككم وصلتكم وبلغتم مبلغ الرجال البالغين من أهل الكمال فلا تأمنوا مكر الله ولا تهملوا وظائف ذكر الله فاذكروا الله كما تذكرون في حال طفوليتكم آباءكم للحاجة والافتقار بالعجز والانكسار وفي حال رجوليتكم للصحبة والافتخار بالمحبة والاستظهار فاذكروا الله افتقارا وافتخارا أو أشد ذكرا وآكد في الافتخار لانه يمكن للطفل الاستغناء عن أبيه بولي وكذلك البالغ يحتمل ان يفتخر بغير أبيه ولكن العباد ليس لهم من دون الله من ولي ولا واق فمن الناس من أهل الطلب والسلوك من يقول بتسويل النفس وغرورها بحسبان الوصول والكمال عند النسيان وتغير الاحوال ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني تميل نفسه الى الدنيا وتنسى المقصد الاصلي ويظن الطالب الممكور انه قد استغنى عن الاجتهاد فأهمل وظائف الذكر ورياضة النفس ومخاطرة القلب ومراقبة السر فاستولت عليه النفس وغلب عليه الهوى واستهوته الشياطين في الارض حيران حتى أوقعته في أودية الهجران والفراق وما له في الآخرة من خلاق ومنهم أي من أهل الوصول وأرباب الفتوة من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة نعمة من النعم الظاهرة كالعافية والصحة والسعة والفراغة والطاعة واستطاعة البدن والوجاهة والارشاد والاخلاق وفي الآخرة حسنة نعمة من النعم الباطنة هي الكشوف والمشاهدات وأنواع القربات والمواصلات وقنا عذاب النار أي نار القطيعة وحرقة الفراق أولئك لهم نصيب أي لهؤلاء البالغين الواصلين نصيب وافر مما كسبوا من المقامات والكرامات ومما سألوا من ايتاء الحسنات والله سريع الحساب لكلا الفريقين فيما سألوه أي يعطيهم بحسب نياتهم على قدر همتهم وطوياتهم كذا في التأويلات النجمية (واذكروا الله) أي كبروه أعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها (في أيام معدودات) في أيام التشريق هي ثلاثة أيام بعد يوم النحر أولها يوم القر وهو الحادي عشر من ذي الحجة يستقر الناس فيه بمنى والثاني يوم النفر الاول لان بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى والثالث يوم النفر الثاني وهذه الايام الثلاثة مع يوم النحر أيام رمي الجمار وأيام التكبير ادبار الصلوات وفي الحديث كبر دبر كل صلاة من يوم عرفة الى آخر أيام التشريق وسميت معدودات لقلتهن كقوله تعالى دراهم معدودة أي قليلة والايام المعلومات في قوله تعالى ويذكروا اسم الله في أيام معلومات في سورة الحج عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر وفي الكواشي معدودات جمع معدودة وأيام جمع يوم ولا ينعت المذكر بمؤنث فلا يقال يوم معدودة وقياسه في أيام معدودة لان الجمع قد ينعت بالمؤنث كقوله تعالى لن تمسنا النار الا أياما معدودة قالوا أو وجهه انه أجرى معدودات على لفظ أيام وقابل الجمع بالجمع مجازا انتهى (فمن تعجل) أي استعجل وطلب الخروج من منى (في يومين) في تمام يومين بعد يوم النحر واكتفى برمي الجمار في يومين من هذه الايام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمي في اليوم الثالث (فلا اثم عليه) بهذا التعجيل وهو مرخص له فعند أبي حنيفة رحمه الله ينفر قبل طلوع الفجر من اليوم الثالث ومحصله ان على الحاج أن يبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من أيام التشريق ويرمي كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة عند كل جمرة سبع حصيات ورخص في ترك البيتوتة لرعاة الابل وأهل سقاية الحاج ثم كل من رمى اليوم الثاني من أيام التشريق وأراد أن ينفر بعد البيتوتة في الليلة الاولى والثانية من

أيام التشريق ورمى يوميها فذلك له واسع لقوله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت حتى يرمى اليوم الثالث ثم ينفر (ومن تأخر) عن الخروج حتى رمى فى اليوم الثالث قبل الزوال أو بعده ثم يخرج اذا فرغ من رمى الجمار كما يفعل الناس الآن وهو مذهب الشافعى والامامين (فلا اثم عليه) بترك الترخص والمعنى أنهم مخيرون بين التعجيل والتأخير فان قلت أليس التأخير بأفضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كالتخيير للمسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم أفضل وانما ورد بنفى الاثم تصريحا بالرد على أهل الجاهلية حيث كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفى الاثم عنهما جميعا (لمن اتقى) خبر مبتدا محذوف أى الذى ذكر من التخيير ونفى الاثم عن المتعجل والمتأخر لمن اتقى أى مختص بمن اتقى المناهى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به لانه تعالى قال انما يتقبل الله من المتقين ومن كان ملوثا بالمعاصى قبل حجه ومن اشتغاله به لا ينفعه حجه وان كان قد أدى الفرائض ظاهرا (واتقوا الله) أى حال الاشتغال بأعمال الحج وبعده ليعتد بأعمالكم فان المعاصى تأكل الحسنات عند الموازنة (واعلموا أنكم اليه تحشرون) أى تبعثون وتجمعون للجزاء على أعمالكم وهو تأكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من أقوى الدواعى الى ملازمة التقوى وكانوا اذا رجعوا من حجهم يجترئون على الله بالمعاصى فشدد فى تحذيرهم قال أبو العالية يجىء الحاج يوم القيامة ولا اثم عليه اذا اتقى فيما بقى من عمره فلم يرتكب ذنبا بعد ما غفر له فى الحج والمذنب المصر اذا حج فلا يتقبل منه لعوده الى ما كان عليه فعلامة الحج المبرور أن يرجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة فاذا رجع من الحج المبرور رجع وذنبه مغفور ودعاؤه مستجاب فلذلك يستحب تلقيه بالسلام وطلب الاستغفار منه والحج المبرور مثل حج ابراهيم بن أدهم مع رفيقه الصالح الذى صحبه من بلخ فرجع من حجه زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة وخرج عن ملكه وماله وأهله وعشيرته وبلاده واختار بلاد الغربة وقنع بالأكل من عمل يده اما من الحصاد أو من نظارة البساتين قال بعضهم الحر الكريم لا ينقض العهد القديم واذا دعتك نفسك الى نقض عهد مولاك فقل لها معاذ الله انه ربى أحسن مثواى (وفى المثنوى) نقض ميثاق وشكست توبها * موجب لعنت شود در انتها * چون ترازوى تو كژ بود ودغا * راست چون جوبى ترازوى جزا * وعن بعضهم قدمت من الحج مع قوم فدعتنى نفسى الى أمر سوء فسمعت هاتفا ناحية البيت يقول ويلك ألم تحج ويلك ألم تحج فعصمنى الله الى الساعة ولاشك ان بعض الاعمال يكون حجابا للمرء اذا استند اليه واعتمد عليه (حكى) أن بعض الاتراك كان يلازم مجلس شيخ الاسلام أحمد النامقى الجامى قدس سره ويرى فوق قفاه نورا كالترس فاتفق له أن يحج فلما رجع زالت عنه تلك الحال فسأل الشيخ عن سببه فقال انك كنت قبل الحج صاحب تضرع ومسكنة والآن غرك حجك واعطيت نفسك قدرا ومنزلة فلذا زلت عن رتبتك ولم تر النور ومما يجب على الحاج اتقاء المحارم وان لا يجعل نفقته من كسب حرام فان الله لا يقبل الا الطيب (وحكى) عن بعض من حج انه توفى فى الطريق فى رجوعه فدفنه أصحابه ونسوا الفاس فى قبره فنبشوه ليأخذوا الفاس فاذا عنقه ويداه قد جمعتا فى حلقة الفأس فردوا عليه التراب ثم رجعوا

الى أهله فسألوهم عن ماله فقالوا صحب رجلا فأخذ ماله فكان يحج منه وفى الحديث من حج بيت الله من كسب الحلال لم يخط خطوة الا كتب الله له بها سبعين حسنة وحط عنه سبعين خطيئة ورفع له سبعين درجة ذكره فى الخالصة واذا أراد أن يحج بمال حلال ليس فيه شبهة فانه يستدين للحج ويقضى دينه من ماله وعن أبى القاسم الحكيم انه كان يأخذ جائزة السلطان فكان يستقرض لجميع حوائجه وما يأخذه من السلطان كان يقضى به ديونه وعن أبى يوسف قال هذا جواب أبيح فى مثل هذا كذا فى خزانة الفتاوى (ومن الناس من يعجبك قوله) أى تستحسن ظاهر قوله وتعده حسنا مقبولا فان الاعجاب استحسان الشئ والميل اليه والتعظيم له قال الراغب التعجب حيرة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشئ وحقيقة اعجبنى كذا ظهر لى ظهورا لم أعرف سببه (فى الحياة الدنيا) متعلق بالقول أى يسرك ما يقوله فى معنى الدنيا وحقها لان دعواه محبتك انما هو لطلب حظ من الدنيا فكلامه اذا فى الدنيا لا فى الآخرة أو يعجبك قوله فى الدنيا بحلاوته وفصاحته لا فى الآخرة لما انه يظهر هنالك كذبه وقبحه (ويشهد الله على ما فى قلبه) أى يقول الله شاهد أن ما فى قلبى من المحبة والاسلام موافق لما فى لسانى (وهو ألد الخصام) أى أشد فى العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر كالقتال والجدال واضافة الألد اليه بمعنى فى واللدد شدة الخصومة نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعى الاسلام ودعوى المحبة والخلوص بدون المواطأة من فعل الملاحدة والزنادقة والمحب لا يفعل الا ما يحب محبوبه (قال الشاعر)

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمرى فى القياس شنيع
لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب لمن أحب مطيع

(قال الحافظ) بصدق كوش كه خورشيد زايد از نفست * كه از دروغ سيه روى كشت صبح نخست * (واذا تولى) أى أدبر وانصرف عن مجلسك أو اذا غلب وصار واليا (سعى فى الارض) السعى سير سريع بالاقدام وقد يستعار للجد فى العمل والكسب وانما جئ بقوله فى الارض مع ان السعى على كلا المعنيين لا يكون الا فى الارض للدلالة على كثرة فساده فان لفظ الارض عام يتناول جميع أجزائها وعموم الظرف يستلزم عموم المظروف فكأنه قيل أى مكان حل فيه من الارض افسد فيه فيلزم كثرة فساده (ليفسد فيها) علة السعى (ويهلك) الاهلاك الاضاعة (الحرث) أى الزرع (والنسل) ما خرج من كل أنثى من أجناس الحيوان يقال نسل ينسل اذا خرج منفصلا والحرث والنسل وان كانا فى الاصل مصدرين فالمراد بهما ههنا معنى المفعول فان الولد نسل أبويه أى مخرج منفصل منهما وذلك كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم أى أتاهم ليلا وأهلك مواشيهم وزرعهم لانه كان بينه وبينهم عداوة أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل وفى الحديث لما خلق الله تعالى أسباب المعيشة جعل البركة فى الحرث والنسل فاهلاكهما غاية الافساد وفى الحديث يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه منفصل الا زال عن مكانه فان كان مطيعا لله فى عمله مضى وان كان عاصيا انخرق به الجسر فيهوى به فى جهنم مقدار خمسين عاما (والله لا يحب الفساد) أى لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه

قال

فان قيل كيف حكم الله تعالى بأنه لايحب الفساد وهو بنفسه مفسد للاشياء قيل الافساد فى الحقيقة اخراج الشئ من حالة محمودة لا لغرض صحيح وذلك غير موجود فى فعل الله تعالى ولا هو آمر به ولا محب له ومانراه من فعله ونظنه بظاهره فسادا فهو بالاضافة الينا واعتبارنا له كذلك فأما بالنظر الالهى فكله صلاح (واذا قيل له) أى لهذا المنافق والمفسد على نهج العظة والنصيحة (اتق الله) خف من الله فى صنعك السوء واترك ماتباشره من الفساد والنفاق (أخذته العزة بالاثم) أى حملته الانفة التى فيه وحميته الجاهلية على الاثم والذنب الذى نهى عنه أو على رد قول الواعظ لجاجا وعنادا من قولك أخذته بكذا اذا حملته عليه وألزمته اياه فالباء للتعدية وصلة الفعل الذى قبلها (فحسبه جهنم) مبتدأ وخبر أى كافيه دخول النار والخلود فيها على ماعمله وهو وعيد شديد (ولبئس المهاد) أى والله لبئس الفراش جهنم قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه من أكبر الذنب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك نفسك وقيل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى ثم انه تعالى لما وصف فى الآية المتقدمة حال من يبذل دينه لطلب الدنيا ذكر فى هذه الآية من يبذل دنياه ونفسه لطلب الدين وماعند الله يوم الدين فقال (ومن الناس من يشرى نفسه) أى يبيعها ويبذلها فان المكلف لمابذل نفسه فى طاعة الله من الصوم والصلاة والحج والجهاد والزكاة وتوصل بذلك الى وجدان ثواب الله صار المكلف كأنه باع نفسه من الله تعالى بمانال من ثوابه وصار تعالى كأنه اشترى منه نفسه بمقابلة ماأعطاه من ثوابه وفضله (ابتغاء مرضاة الله) أى طلبا لرضاه (والله رؤف بالعباد) ولذلك يكلفهم بالتقوى ويعرضهم للثواب ومن جملة رأفته بعباده أن مااشتراه منهم من أنفسهم وأموالهم انما هو خالص ملكه وحقه ثم انه تعالى يشترى منهم ملكه الخالص المحصور بمالايعد ولايحصى من فضله ورحمته رحمة واحسانا وفضلا واكراما وقيل نزلت فى صهيب بن سنان الرومى خرج من مكة يريد الهجرة الى النبى عليه الصلاة والسلام بالمدينة وهو ابن مائة سنة اتبعه نفر من مشركى قريش وقتلوا نفرا كانوا معه وكان معه كنانة فيها سهامه وكان راميا مصيبا فقال يامعشر قريش لقد علمتم انى من أرماكم رجلا والله لا أضع سهمى الا فى قلب رجل وايم الله لاتصلون الى حتى ارمى بكل سهم فى كنانتى ثم اضرب بسيفى مابقى فى يدى ثم افعلوا ماشئتم وان ينفعكم كونى فيكم فانى شيخ كبير ولى مال فى دارى بمكة فارجعوا وخذوه وخلونى وماأنا عليه من الاسلام ففعلوا وسارهو الى المدينة فلمادخلها التقيه أبو بكر فقال له ربح البيع ياصهيب فقال وماذاك ياأبا بكر فأخبره بمانزل فيه ففرح بذلك صهيب * فيشرى حينئذ بمعنى يشترى لجريان الحال على صورة الشراء لانه اشترى نفسه من المشركين ببذل ماله لهم واعلم ان المؤمنين باعوا باختيارهم أنفسهم فكان ثمن نفس المؤمن الجنة اما الاولياء فانهم باعوا باختيارهم أنفسهم فكان ثمن نفس الاولياء مرضاة الله تعالى وبينهما فروق كثيرة فعلى السالك ان يخرج من أوطان البشرية ويغترب عن ديار الاقران حتى يكون مجاهدا حقيقيا وشهيدا معنويا قال عليه الصلاة والسلام طوبى للغرباء وقال أيضا من مات غريبا فقد مات شهيدا يشير بذلك الى الانقطاع من الخلق الى الخالق وذلك لايكون الا بمخالفة الجمهور فى العادات والشهوات وفى الحديث ياأنس ان استطعت ان تكون أبدا على وضوء فافعل فان ملك الموت اذا قبض روح

العبد وهو على وضوء كتب له شهادة وذلك لان الوضوء اشارة الى الانفصال عما سوى الله تعالى كما ان الصلاة اشارة الى الاتصال بالله تعالى وفى الحديث أيضا دم على الطهارة يوسع عليك الرزق فالطهارة الصورية سبب لتوسيع الرزق الصورى وكذا طهارة الباطن سبب لتوسيع الرزق المعنوى من المعارف والالهامات والواردات وعند ذلك يحيا القلب بالحياة الطيبة وتموت النفس عن صفاتها وليس ذلك الا اثر الجهاد الحقيقى فمن تخلص من قيد النفس ومات بالاختيار فهو حى أبدا (وفى المثنوى) اى بسا نفس شهيد معتمد * مرده در دنيا وزنده مى رود * ولا بد للعبد من العروج من الخلق الى الخالق ومن الحاجة التامة لنفسه الى الغنى التام بالحق فى تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات فاذا فر الى الله ووصل الى جماله وغرق فى مشاهدة جلاله شاهد سر قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وأول الامر ترك الاموال ثم ترك الاولاد ثم ترك النفس فعند الاول يتجلى توحيد الافعال وعند الثانى يتجلى توحيد الصفات وعند الثالث يتجلى توحيد الذات وهو أعلى الدرجات فعلى العاقل اكثار ذكر الله فانه سبب لتصفية الباطن وصقالة القلب قال تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ولا فلاح أعظم من أن يصل الطالب الى المطلوب اللهم اجعلنا مفلحين (يا أيها الذين آمنوا) بألسنتهم على ان الخطاب للمنافقين (ادخلوا فى السلم كافة) أى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا فالسلم بمعنى الاستسلام والطاعة وكافة حال من ضمير الفاعل فى ادخلوا وهذه حال تؤكد معنى العموم فى ضمير الجمع فان قولك قام القوم كافة بمنزلة قاموا كلهم وتاء كافة وقاطبة وعامة ليست للتأنيث وان كان أصلها أن تدل عليه بل انما دخلت لمجرد سكون الكلمة منقولة الى معنى كل وجميع والمعنى ادخلوا فى الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره فالخطاب لمؤمنى أهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض أحكام دينهم القديم كما روى أن عبد الله بن سلام وأصحابه كانوا يتمسكون ببعض شرائع التوراة من تعظيم السبت وتحريم لحم الابل وألبانها وأشياء كانوا يرون الكف عن ذلك مباحا فى الاسلام وان كان واجبا فى شريعتهم فثبتوا على ذلك مع اعتقادهم حلها استيحاشا من مفارقة العادة وقالوا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله فدعنا فلنقرأ منها فى صلاتنا بالليل فقال عليه السلام لا تمسكوا بشئ مما نسخ ودعوا ما ألفتموه ولا تستوحشوا من النزوع عنه فانه لا وحشة مع الحق واتباعه ومن تزيين الشيطان (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) جمع خطوة بالضم والسكون وهو ما بين القدمين أى لا تسلكوا مسالكه ولا تطيعوه فيما دعاكم اليه من السبل الزائغة والوساوس الباطلة (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة يريد أن يفسد عليكم بهذه الوساوس اسلامكم (فان زللتم) الزلل فى الاصل عثرة القدم ثم يستعمل فى العدول عن الاعتقاد الحق والعمل الصائب فالمعنى أخطأتم الحق وتعديتموه علما كان أو عملا (من بعد ما جاءتكم البينات) أى الحجج والشواهد على أن ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق (فاعلموا ان الله عزيز) غالب على أمره لا يعجزه الانتقام منكم (حكيم) لا ينتقم الا بالحق وفى الآية تهديد بليغ لاهل الزلل عن الدخول فى السلم فان الوالد اذا قال لولده ان عصيتنى فأنت عارف بى وبشدة سطوتى لأهل المخالفة يكون قوله هذا أبلغ فى الزجر من ذكر الضرب وغيره وكما أنها مشتملة على الوعيد منبئة عن الوعد أيضا من حيث انه تعالى أتبعه بقوله حكيم فان اللائق بالحكمة ان يميز بين المحسن والمسئ فكما يحسن أن ينتظر من

To: www.al-mostafa.com

الحكيم تعذيب المسيء فكذلك ينتظر منه اكرام المحسن واثابته بل هذا أليق بالحكمة وأقرب الى الرحمة (هل ينظرون) استفهام فى معنى النفي ونظر بمعنى انتظر أى ينتظر من يترك الدخول فى السلم ويتبع خطوات الشيطان (الا أن يأتيهم الله) أى الا اتيان الله أى عذابه على حذف المضاف لان الله تعالى منزه عن المجيء والذهاب المستلزمين للحركة والسكون لان كل ذلك محدث فيكون كل ما يصح عليه المجيء والذهاب محدثا مخلوقا والاله القديم يستحيل ان يكون كذلك وسئل علي رضى الله عنه أين كان تعالى قبل خلق السموات والارض قال أين سؤال عن المكان وكان الله تعالى ولا مكان وهو اليوم على ما كان ومذهب المتقدمين فى هذه الآية وما شاكلها ان يؤمن الانسان بظاهرها ويكل علمها الى الله لانه لا يأمن فى تعيين مراد الله تعالى من الخطا فالاولى السكوت ومذهب جمهور المتكلمين أن لا بد من التأويل على سبيل التفصيل (فى ظلل) كائنة (من الغمام) والظلل جمع ظلة وهى ما أظلك والغمام السحاب الابيض الرقيق سمي غماما لانه يغم أى يستر ولا يكون السحاب ظلة الا اذا كان ثمة تعامترا كما فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة تكون فى غاية الكثافة والعظم وكل قطعة ظلة (والملائكة) أى ويأتيهم الملائكة فانهم وسايط فى اتيان أمره تعالى بل هم الآتون بيأسه على الحقيقة وتلخيصه قد قامت الحجج فلم يبق الا نزول العذاب فان قلت لم يأتيهم العذاب فى الغمام كما فعل بقوم يونس وقوم عاد وقوم شعيب قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر أفظع وأهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الخير أى الغيث ومن ثمة اشتد على المتفكرين فى كتاب الله تعالى قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فان تفسيره على ما قالوا عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هى سيآت وذلك لتجويزهم أن يكون عملهم كذلك فيجيئهم الشر من حيث يتوقعون الخير فخافوا من ذلك (روى) أن محمد بن واسع تلا هذه الآية فقال آه آه الى أن فارق الدنيا (وقضى الامر) أى أتم أمر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على يأتيهم داخل فى حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضى دلالة على الحقيقة فكأنه قد كان (والى الله) لا الى غيره (ترجع الامور) أى أمور الخلق وأعمالهم هو القاضى بينهم يوم القيامة والمثيب والمعاقب فينبغي للمؤمن أن يكون فى جانب الانقياد ويحترز عن الهوى وخطوات الشيطان وعن النبي عليه السلام انه قال ان الله تعالى أظهر الشكاية من أمتى وقال انى طردت الشيطان لاجلهم فهم يعصوننى ويطيعون الشيطان (قال السعدى) بخاسر براريم ازين عار ونتك * كه با او بصلحيم وباحق بجنك * نظر دوست نادر كند سوى تو * چو در روى دشمن بود روى تو * ندانى كه كمتر نهد دوست پاى * چو بيند كه دشمن بود در سراى * فمن أعظم الطاعات طرد الشيطان وأن يتهم النفس دائما كما روى أن رجلا صام أربعين سنة ثم دعا لحاجة ومع ذلك لم تجب دعوته وذم نفسه وقال يا مأوى الشر ذلك من شرك فأوحى الى نبي ذلك الزمان قل له ان قتلك لنفسك أحب الي من صيام أربعين سنة (قال السعدى) خورنده كه خيرى برآيد ز دست * به از صائم الدهر دنيا پرست * واعلم أن فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم معنى عاما ومعنى خاصا

فالعام خطاب عام مع جميع من آمن أى ادخلوا فى شرائط الاسلام فى الباطن كما فى الظاهر ومن شرائطه ما قال النبى عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس وأما المعنى الخاص فخطاب خاص مع شخص الانسان وجميع أجزائه الظاهرة والباطنة فينبغى أن يدخل أركانه فى الاسلام بالفعل فالعين بالنظر والاذن بالسمع والفم بالاكل والفرج بالشهوة واليد بالبطش والرجل بالمشى ودخول واحد منها فى الاسلام بأن يستسلم لأوامر الحق ويجتنب نواهيه بل يترك ما لا يعنيه أصلا ويقع على ما لابد له منه ودخول جميع أجزائه الظاهرة فى شرائع الاسلام ميسر للمنافق فاما ادخال أجزائه الباطنة فمعركة ابطال الدين ومنزلة الرجال البالغين فدخول النفس فى الاسلام بخروجها عن كفر صفاتها الذميمة وترك مألوفاتها واطمئنانها بالعبودية ليستحق بها دخول مقام العباد المخصوصين به بخطابه تعالى اياها كقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة الآية ودخول القلب فى الاسلام بتصفيته عن رذائل أخلاق النفس وتحليته بشمائل اخلاق الروح ودخول الروح فى الاسلام بتخلقه بأخلاق الله وتسليم الاحكام الازلية وقطع النظر والتعلق عما سوى الله بتصرف جذبات الالوهية ودخول السر فى الاسلام بفنائه فى الله وبقائه بالله ولا تتبعوا خطوات الشيطان أى لا تكونوا على سيرته وصفته وهى الاباء والاستكبار فانه ضد الاسلام انه لكم عدو مبين لعداوته الغريزية لكم لاختلاف جبلته وجبلتكم وقصوره عن نور فطرتكم لكونه نارى الخلقة لا يطلب منكم الا أن تكونوا ناريين مثله لا نوريين فهو عدو فى الحقيقة فى صورة المحب فان زللتم أى زلت أقدامكم عن صراط الاسلام الحقيقى من بعد ما جاءتكم البينات دلائل تجليات أفعال الصفات فاعلموا ان الله عزيز فلعزته لا يهتدى اليه كل ذليل دنىء الهمة قصير النظر حكيم يهدى من يشاء الى سرادقات عزته هل ينظرون الا أن يتجلى الله فى ظلل صفات قهرية من جملة تجليات الصفات الساترة لشمس الذات وهو هلاك القوى السماوية وقضى فى اللوح أمر اهلاككم والى الله ترجع الامور بالفناء كذا فى التأويلات النجمية (سل) أمر للرسول عليه السلام بالسؤال أو لكل أحد يصلح أن يخاطب (بنى اسرائيل) يعنى هؤلاء الموجودين فى عصره من رؤساء بنى اسرائيل (كم آتيناهم) أى آتينا آباءهم واسلافهم (من آية بينة) أى معجزة ظاهرة على أيدى أنبيائهم لا يخفى على المتفكر أنها من عند الله كالعصا واليد البيضاء وانزال المن والسلوى وغيرها أو المراد آيات كتبهم الشاهدة على صحة دين الاسلام قوله كم آتيناهم محل هذه الجملة النصب أو الخفض على انها مفعول ثان للسؤال فانه يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه والى الثانى بحرف الجر اما عن واما الباء نحو سألته عن كذا وبكذا قال الله تعالى فاسأل به خبيرا وقد يحذف حرف الجر فى غة جاز فى محل كم النصب والخفض بحسب التقديرين وتمييز كم من آية بينة والاحسن اذا فصل بين كم وتمييزها أن يؤتى بمن وهذا السؤال سؤال تقريع وتبكيت كما يسأل الكفرة يوم القيامة وتقرير لمجىء البينات فكم استفهامية خبرية وليس المراد حقيقة الاستفهام (ومن يبدل) التبديل تصيير الشىء على غير ما كان عليه أى يغير (نعمة الله) التى هى آياته الباهرة فانها سبب للهدى الذى هو أجل النعم وتبديلهم اياها أن الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم فكفروا بها وتركوا الشكر عليها (من بعد ما جاءته) أى من بعد ما وصلت اليه وتمكن من

معرفتها

معرفتها والتصريح بذلك مع أن التبديل لا يتصور قبل المجيء للاشعار بأنهم قد بدلوها بعد ما
وقفوا على تفاصيلها (فان الله شديد العقاب) تعليل للجواب كأنه قيل ومن يبدل نعمة الله
عاقبه أشد عقوبة فانه شديد العقوبة لمن بدل النعمة فى الدنيا والآخرة وقد عاقبهم فى الدنيا
بالقتل وذلك فى بنى قريظة وبالاجلاء وذلك فى بنى النضير ويوم القيامة يعذبون فى السعير قال ابن
التمجيد وتبديل النعمة جرم بغير علم ومع العلم أشد جرما ولذلك كان وعيد العلماء المقصرين أشد
من الجاهلين بالاحكام لان الجهل قد يعذر به وان كان الاعتذار به غير مقبول فى باب
التكاليف (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) أى حسنت فى أعينهم واشربت محبتها فى قلوبهم
حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند
الى الله تعالى اذ ما من شئ الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما فى الدنيا من
الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض (ويسخرون من الذين آمنوا) أى يستهزئون
بالفقراء من المؤمنين كعبد الله بن مسعود وعمار وصهيب وخبيب وبلال وغيرهم رضى الله
تعالى عنهم ويسترذلونهم ويقولون تركوا لذات الدنيا وعذبوا أنفسهم بالعبادات وفوتوا
الراحات وكراماتها وهو عطف على زين ومن للابتداء فكأنهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم
(والذين اتقوا) يعنى اطاعوا الله واختاروا الفقر من المؤمنين وانما ذكروا بعنوان التقوى
للايذان بأن اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة لهم
وللاشارة الى انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقى (فوقهم يوم القيامة) يعنى فوق المشركين لانهم
فى اعلى عليين وهم فى اسفل سافلين فتكون الفوقية حقيقة او لانهم فى اوج الكرامة وهم فى
حضيض الذل والمهانة فتكون الفوقية مجازا ويوم منصوب بالاستقرار الذى تعلق به فوقهم
(والله يرزق من يشاء) أى فى الدارين (بغير حساب) كثير بلا هنداز لانه تعالى لا يخاف نفاد
ماعنده لانه غنى لانهاية لمقدوراته فالله تعالى يوسع بحسب الحكمة والمشيئة على عباده فمنهم من
تكون التوسعة عليه استدراجا كهؤلاء الكفرة وقارون واضرابهم ومنهم من تكون كرامة
كأغنياء المؤمنين وسليمان وامثالهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفت على باب الجنة
فرأيت اكثر أهلها المساكين ووقفت على باب النار فرأيت اكثر أهلها النساء واذا أهل الجد
محبوسون الا من كان منهم من أهل النار فقد أمر به الى النار (قال الحافظ) ازين رباط
دودر چون ضرورتست رحيل * رواق وطاق معيشت چه سر بلند وچه پست * بهست
ونيست مرنجان ضمير وخوش دل باش * كه نيستيست سرانجام هر كمال كه هست * بيال
وپر مرو از ره كه تير پرتابى * هوا گرفت زمانى ولى بخاك نشست (يحكى) ان عيسى عليه
السلام سافر ومعه يهودى فكان مع عيسى ثلاثة اقراص فأعطاها اليهودى وقال احفظها ثم
بعد ساعة أكل اليهودى واحدا منها فقال عيسى أعط الاقراص الثلاثة فقدم قرصين فقال أين
ثالثها فقال اليهودى لم تكن اكثر من هذا فمشيا حتى شاهد من عيسى عجائب فأقسم عليه عيسى
لذلك حتى يقر بالقرص الثالث فلم يقر فجعلها ثلاث لبنات من الذهب فقال اليهودى اقسم ذلك
فقال عيسى واحدة لى وواحدة لك وواحدة لمن اكل القرص الثالث فقال اليهودى انا اكلت
القرص الثالث فقال عيسى ابعد عنى فقد شاهدت قدرة الله ولم تقر به والآن قد اقررت بالدنيا

فترك اللبنات عند اليهودى ومشى وجاء ثلاثة من اللصوص وقتلوا اليهودى وأخذوا اللبنات ثم بعثوا من جملتهم واحدا الى قرية ليأتى لهم بطعام فلما غاب عنهم ماتشاورا فى قتله وقالا اذا رجع قتلناه وأخذنا نصيبه فذهب واشترى سما فطرحه فى الطعام الذى اشتراه حتى يأكل ذلك الطعام صاحباه فيموتا ويأخذ اللبنات فلما قدم عليهما قاما وقتلاه ثم اكلا الطعام فماتا فمر عليهم عيسى فوجد اليهودى وهؤلاء الثلاثة مقتولين فتعجب من ذلك فنزل جبريل وأخبره بالقصة فينبغى للعاقل ان لا يغتر بكثرة الدنيا وان لا يهتم فى جمعها بل يزرع فيها بذر العمل كى يحصد فى الآخرة لان الدنيا مزرعة الآخرة ولا ينبغى للاغنياء ان يحقروا الفقراء بالغرور بكثرة دنياهم ولا يسخروا منهم لان هذه الصفة من صفات الكفرة (قال السعدى) چومنعم كند سفله را روزگار * نهد بردل تنك درويش بار * چو بام بلندش بود خود پرست * كند بول وخاشاك بربام پست * والاشارة فى الآية ان الله اذا فتح باب الملكوت على قلب عبد من خواصه يريه آياته فى الملك والملكوت فان تغير بأحواله او تعجب بكماله فيقبل على شىء من مرادات النفس ويبدل نعمته بموافقة النفس ورضاها فان الله شديد العقاب بان يغير عليه احواله ويسلب عنه كماله ويشهده قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ومن شدة عقابه انه اذا اذنب عبد ذنبا صغيرا ولم يتب منه وأصر عليه ان يعاقبه بالابتداء بكبيرة مثل تبدل النعمة ليعاقبه بزوال النعمة فى الدنيا ودوام النقمة فى العقبى وأيضا من شدة عقابه أن زين للذين كفروا الحياة ومكر بهم حتى يغلب عليهم حب الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا من فقرائهم وكبرائهم حملهم شدة العقوبة على الوقيعة فى اوليائه واحتقار احبابه وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء من درجات أعلى عليين ودركات أسفل سافلين بغير حساب بغير نهاية الى أبد الآباد فان ما لا نهاية له لا مدخل له تحت الحساب وفيه معنى آخر بغير حساب يعنى ما رزق العبد فى الدنيا من الدنيا فحرامها عذاب وحلالها حساب وما رزق العبد فى الآخرة من النعيم المقيم فبغير حساب كذا فى التأويلات النجمية (كان الناس امة واحدة) أى جماعة واحدة متفقين فى الايمان واتباع الحق من وقت آدم الى مبعث نوح عليهما السلام وكان بينهما عشرة قرون كل قرن ثمانون سنة كما عند الاكثر (فبعث الله النبيين) أى فاختلفوا فبعث الخ بدلالة قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه (مبشرين) بالثواب لمن آمن وأطاع (ومنذرين) محذرين بالعقاب لمن كفر وعصى (وأنزل معهم الكتاب) أى جنس الكتاب او مع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه الخاص لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافى خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام (بالحق) أى حال كون ذلك الكتاب ملتبسا بالحق والعدل والصدق شاهدا به (ليحكم) أى الله تعالى (بين الناس فيما اختلفوا فيه) أى فى الحق الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه) أى فى الحق (الا الذين أوتوه) أى الكتاب المنزل لازالة الاختلاف والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما فى تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة أى عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه (من بعد ما جاءتهم البينات) أى رسخت فى عقولهم ومن متعلق بما

اختلاف ولم تمنع الامن ذلك كقولك ما قام الا زيد يوم الجمعة (بغيا بينهم) مفعول له لقوله وما اختلف
فالاستثناء متعلق بثلاثة أشياء والتقدير وما اختلف فيه الا الذين الخ وما اختلفوا فيه الا من بعد
الخ وما كان الاختلاف الا للبغي والتهالك على الدنيا وللحسد والظلم كما فعل قابيل بهابيل وما قتله
لاشكال الحق عليه بل حسدا منه على أخيه وهكذا فى كل عصر وهذا فعل الرؤساء ثم العامة
اتباعا لهم وفعلهم مضاف اليهم فتبين ان الاختلاف فى الحق أمر متقادم فى الاسلام (فهدى الله
الذين آمنوا) بالكتاب (لما اختلفوا فيه) متعلق بهدى وما موصولة ومعناه هدى الى ما اختلفوا
فيه (من الحق) بيان لما (باذنه) أى بأمره وتيسيره ولطفه وارادته ورحمته حتى أبصروا الحق
بنور التوفيق من الباطل (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) لا يضل سالكه (أم حسبتم أن
تدخلوا الجنة) خاطب به النبى عليه السلام والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد
مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة فان عاقبة الامر النصر وأم
منقطعة فتقدر ببل والهمزة قيل اضراب عن الاخبار المتقدم الى الانكار المدلول عليه بهمزة
الاستفهام أى ما كان ينبغى ان تحسبوا ذلك وتظنوا أولم حسبتموه (ولما يأتكم) أى والحال لم
يجئكم (مثل الذين خلوا) أى صفة الذين مضوا (من قبلكم) من الانبياء ومن معهم من المؤمنين
ولم تبتلوا بعد بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التى هى مثل فى الفظاعة والشدة وهو متوقع
ومنتظر (مستهم البأساء) بيان له على الاستئناف كأنه قيل كيف كان مثلهم وحالهم العجيبة
فقيل مستهم البأساء أى الشدة من الخوف والفاقة (والضراء) أى الآلام والامراض
(وزلزلوا) أى ازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد (حتى يقول الرسول والذين آمنوا
معه) أى انتهى أمرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم
الناس بشؤن الله واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بأنواره (متى)
أى يأتى (نصر الله) الذى وعدناه طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعناء فان زمان الشدة
وان قصر فهو طويل فى عين المبتلى بها فلا محالة يستبطئ النصر فأجابهم الله بقوله (ألا ان نصر
الله قريب) اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر أى أنا ناصر أوليائى لا محالة ونصرى قريب
منهم فان كل آت قريب ولما كان الجواب بذكر القرب دل ذلك على أن السؤال كان واقعا عن
زمان النصر أقريب هو أم بعيد ولو كان السؤال عن وقوع أصل النصر بمعنى انه هل يوجد
أولا لما كان الجواب مطابقا للسؤال وفى الآية اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة
عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة
بالمكاره وحفت النار بالشهوات كذا فى تفسير القاضى (ونعم ما قيل) فلك مشام كسى خوش
كند بوى مراد * كه خاك معركه باشد عبير وعنبر او * وعن خباب بن الارت رضى الله تعالى
عنه قال لما شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نلقى من المشركين قال ان من كان قبلكم
من الامم كانوا يعذبون بأنواع البلاء فلا يصرفهم ذلك عن دينهم حتى ان الرجل كان يوضع على
رأسه المنشار فيشق فلقتين ويمشط الرجل بامشاط الحديد مادون العظم من لحم وعصب ما يصرفه
ذلك عن دينه وايم الله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء الى حضرموت
لا يخشى الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون قالوا كل نبى بعث الى امته أجهد حتى قال

متى نصر الله ووقع ذلك للرسول عليه السلام حين وقع له ضجر شديد قبل فتح مكة فقال فى يوم
الاحزاب حيث لم يبق لاصحابه صبر حتى ضجروا وطلبوا النصرة فارسل الله ريحا وجنودا وهزم
الكفار بهما ومن شدائده عليه السلام غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد
وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وانواع الاذى كما قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر
ولو اطلعت على ما اصابهم من عداوة اليهود واسرار النفاق وأذى القوم يمينا وشمالا يبذل
المجهود حين هاجروا الى المدينة لكفى ذلك عبرة فى هذا الباب فنحن اولى بمقاساة امثال هذه
الشدائد خصوصا فى هذا الزمان الذى لا تجد بدا من طعن الناس واذاهم اذ البلاء على الانبياء ثم
على الاولياء ثم الامثل فالامثل * غبار لازمة آسيا بود صائب * امان زحادثه آسمان چه
ميطلبى * قال فى التأويلات النجمية عند قوله تعالى كان الناس امة واحدة الآية ان الصفات
الذميمة التى عليها اكثر الناس كلها عارضة لهم فانهم كانوا حين أشهدهم الله على انفسهم امة
واحدة وولدوا على الفطرة لقوله عليه السلام كل مولود يولد على فطرة الاسلام فأبواه يهودانه
أو ينصرانه او يمجسانه وما قال عليه السلام او يسلمانه لمعنيين احدهما ان الكفر يحصل
بالتقليد ولكن الايمان الحقيقى لا يحصل به والثانى ان الابوين الاصليين هما الانجم والعناصر
فعلى التقديرين الولد بتربية الآباء والامهات يضل عن سبيل الحق ويزل قدمه عن الصراط
المستقيم التوحيد والمعرفة ولو كان نبيا يحتاج الى هاد يهدى الى الحق كما قال تعالى لنبينا صلى
الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى ولكل من السعادة والشقاوة كتاب كما قال عليه السلام
ما من نفس الا وقد كتب فى كتابها من أهل الجنة أو النار وكتب شقية أو سعيدة فقالوا
أفلا نتكل على كتابنا يا رسول الله وندع العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما أهل الشقاوة
فييسرون لعمل أهل الشقاوة وأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة فلا بد من
مقاساة بأساء الترك والتجريد والفقر والافتقار حتى يحصل دخول جنة الجمال ودار القرار فلم
يضجروا من طول مدة الحجاب وكثرة الجهاد فى الفراق وعيل صبرهم عن مشاهدة الجمال وذوق
الوصال وطلبوا نصر الله بالتجلى على قمع صفات النفوس مع قوة مصابرتهم وحسن تحملهم لما
يقول المحبوب ويريدهم حتى جاء نصر الله فرفع الحجاب وظهر أنوار الجمال (يسألونك ماذا
ينفقون) أى اى شئ يتصدقون به من اصناف أموالهم نزلت حين حث النبى عليه السلام على
التصدق فى سبيل الله وسأل عمرو بن الجموح وهو شيخ هم أى فان وله مال عظيم فقال ماذا ننفق
يا رسول الله من أموالنا وأين نضعها (قل ما انفقتم من خير) أى اى شئ انفقتم من أى خير كان
وهو بيان للمنفق والمال يسمى خيرا لان حقه ان يصرف الى جهة الخير فصار بذلك كأنه نفس
الخير (فللوالدين) فان قلت كيف طابق الجواب السؤال وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون
واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى
الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها (والاقربين
واليتامى) أى المحتاجين (والمساكين وابن السبيل) ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء
بما ذكر فى المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى (وما) أى اى شئ (تفعلوا
من خير) فانه شامل لكل خير واقع فى أى مصرف كان (فان الله به عليم) أى ان تفعلوا خيرا

فان الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه والمراد بهذه الآية الحث على بر الوالدين وصلة الارحام وقضاء حاجة ذى الحاجة على سبيل التطوع ولا ينافيه ايجاب الزكاة وحصر مصارفها فى الاصناف الثمانية كما ذكر فى قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل (كتب) أى فرض (عليكم القتال) أى قتال الكفرة والجمهور على ان الجهاد فرض على الكفاية مثل صلاة الجنازة ورد السلام (وهو) أى والحال ان القتال (كره لكم) شاق عليكم مكروه فالكره مصدر بمعنى الكراهة نعت به للمبالغة كأن القتال فى نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وهذه الكراهة من حيث نفور الطبع منه لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى وكراهة الطبع لا توجب الذم بل تحقق معنى العبودية اذا فعل ذلك اتباعا للشرع مع نفرة الطبع فأما كراهة الاعتقاد فهى من صفات المنافقين (وعسى ان تكرهوا شيأ) وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التى من جملتها القتال (وهو خير لكم) لان فى الغزو احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وعسى كلمة تجرى مجرى لعل وهى من العباد للترجى ومن الله للترجية (وعسى ان تحبوا شيأ) وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة التى من جملتها القعود عن الغزو (وهو شر لكم) لما فيه من فوات الغنيمة والاجر وغلبة الاعداء وتخريب الديار (والله يعلم) ما هو خير لكم دينا ودنيا فلذا يأمركم به (وانتم لا تعلمون) ذلك ولذلك تكرهونه (قال فى المثنوى) ما التصوف قال وجدان الفرح * فى فؤادى عند اتيان الترح * جمله در زنجير بيم وابتلا * مى روند اين ره بغير اوليا * يعنى ان المقلد يجرى الى الحضرة بالاضطرار بخلاف الولى قال ذو النون المصرى رحمه الله انما دخل الفساد على الخلق من ستة اشياء الاول ضعف النية بعمل الآخرة والثانى صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم والثالث غلب عليهم طول الامل مع قرب الاجل والرابع آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق والخامس اتبعوا اهواءهم ونبذوا سنة نبيهم وراء ظهورهم والسادس جعلوا قليل زلات السلف حجة انفسهم ودفنوا كثير مناقبهم فعلى العاقل ان يجاهد مع النفس والطبيعة ليرتفع الهوى والشهوات والبدعة ويتمكن فى القلوب حب العمل بالكتاب والسنة قال ابراهيم الخواص رحمه الله كنت فى جبل لكام فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله لا يخفى عليه شئ فقلت له ارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك ويقيك الاذى من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله فلو سألته ان يقيك شهوة الرمان فلدغ الرمان يجد الانسان ألمه فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا فتركته ومشيت (قال السعدى) مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتش قبلۀ ديگرست * كند مرد را نفس اماره خوار * اگر هوشمندى عزيزش مدار * وفى التأويلات القاشانية كتب عليكم قتال النفس والشيطان وهو مكروه لكم مر أمر من طعم العلقم واشد من ضغم الضيغم وحقيقة الجهاد رفع الوجود المجازى فانه الحجاب بين العبد والرب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر وكما قال ابو منصور

بينى وبينك انى قد يزاحمنى * فارفع بجودك لى انى من البين

وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم لاحتجابكم بهوى النفس وحب اللذة العاجلة عما فى ضمنه
من الخير الكثير واللذة العظيمة الروحانية التى تستحقر تلك الشدة السريعة الانقضاء بالقياس
الى ذلك الخير الباقى واللذات السرمدية وعسى أن تحبوا شيأ من اللذات الجسمانية وتمتعات
النفس وهو شر للنفس بحرمانها من اللذات الروحانية والله يعلم أن فى كراهة النفوس ما اودع
من راحة القلوب وأنتم لا تعلمون ان حياة القلوب فى موت النفوس وفى حياة النفوس موت
القلوب كما قال

اقتلونى يا ثقاتى * ان فى قتلى حياتى

(وفى المثنوى) خنجر وشمشير شد ريحان من * مرك من شد بزم ونركسدان من (يسألونك
عن الشهر الحرام) روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن
عمته صلى الله عليه وسلم اخت أبيه فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة
عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن أبى وقاص الزهرى
وعكاشة بن محصن الاسدى وعتبة بن غزوان السلمى وأبا حذيفة بن عتبة وسهيل بن بيضاء
وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال سر
على اسم الله ولا تنظر فى الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقرأه على أصحابك ثم
امض لما امرتك ولا تكرهن أحدا من أصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح
الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل
بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك ان تأتينا منها بخبر فلما نظر فى الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال
لاصحابه ذلك وقال انه نهانى ان اكره أحدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع
ثم مضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد حتى كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز
يقال له بحران فأضل سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما يعتقبانه فتخلفا فى طلبه
ومضى بقية أصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت عير قريش تحمل
زبيبا وأدما وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمى والحكم بن كيسان مولى هشام
ابن المغيرة واخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله هابوهم فقال عبد الله بن
جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم
اشرف عليهم فقال قوم عمار لا بأس عليكم فامنوا وكان ذلك فى آخر يوم من جمادى الآخرة
وكانوا يرونه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا ان تركتموهم الليلة ليدخلن الحرم
فليمتنعن منكم فأجمعوا امرهم فى مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمى عمرو بن
الحضرمى بسهم فقتله وكان اول قتيل من المشركين وهو اول قتيل فى الهجرة واستاسروا الحكم
ابن كيسان وعثمان بن عبد الله وكانا اول اسيرين فى الاسلام وافلت نوفل على فرس له فاعجزهم
واستاق المؤمنون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش
قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويذعر فيه الناس لمعايشهم أى يتفرقون فى
البلاد فسفك فيه الدماء وأخذ الحرائب وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا
يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

فقال عليه السلام لابن جحش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين أي جعلهما موقوفة وما قسمها بين الغانمين وابى أن يأخذ شيأ من ذلك ينتظر الاذن من الله فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري افي رجب اصبناه ام في جمادى فأكثر الناس في ذلك فأنزل الله هذه الآية فاخذ رسول الله العير فعزل منها الخمس وكان اول خمس في الاسلام وقسم الباقي بين أصحاب السرية وكانت اول غنيمة في الاسلام وبعث أهل مكة في فداء اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم وأقام مع رسول الله بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال صلى الله تعالى عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة والدية والمعنى يسألك المسلمون استعلاما والكفار تعنتا عن الشهر الحرام أي رجب سمي به لتحريم القتال فيه (قتال فيه) بدل اشتمال من الشهر لان الشهر مشتمل على القتال (قل) يا محمد في جوابهم (قتال فيه كبير) اثم عظيم عند الله وقتال مبتدأ خبره كبير وجاز الابتداء بالنكرة لانها وصفت بفيه والاكثر أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصد عن سبيل الله) مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعده أي ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى (وكفر به) أي بالله تعالى (والمسجد الحرام) عطف على سبيل الله وحيث كان الصد عن سبيل الله فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن هذا العطف لانه ليس بأجنبي محض أي منع المسلمين عن دخول مكة وزيارة بيت الله (واخراج اهله) أي أهل المسجد وهو النبي عليه السلام والمؤمنون (منه) أي من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به وجعل المسلمين أهل المسجد وان كانوا خارجين عن مكة لانهم قائمون بما يجب عليهم من حقه لانهم يصيرون اهلا له في العاقبة فسماهم باسم العاقبة ولم يسم الكفار أهل المسجد وان كانوا بمكة لان مقامهم بمكة عارض (أكبر عند الله) خبر للاشياء المعدودة أي هذه الاشياء الاربعة اكبر اثما وعقوبة من قتل المسلمين ابن الحضرمي في الشهر الحرام لان القتال يحل بحال والكفر لا يحل بحال ولانهم كانوا متأولين في القتال لانهم شكوا في اليوم ولا تأويل للكفار في الكفر (والفتنة) أي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء (أكبر من القتل) أي افظع من قتل الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن انيس الى مؤمني مكة اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر واخراج رسول الله من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت (ولا يزالون يقاتلونكم) بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة في الدين أي لا يزال الكفار عن قتالكم أيها المؤمنون (حتى يردوكم عن دينكم) أي كي يصرفوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل (ان استطاعوا) اشارة الى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كأنه قيل وأنى لهم ذلك وهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي ولا ترحمني وهو واثق بأنه لا يظفر به وهو تطييب لقلوب المؤمنين (ومن يرتدد منكم عن دينه) اظهار التضعيف

من الناس فقال لو كان هؤلاء من الناس لما أتلاعب بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة فقلت ومن الناس فقال قوم فى المسجد الشونيزى قد أنحلوا جسمى وأحرقوا قلبى كلما هممت بهم أشاروا الى الله تعالى فأكاد أحرق بنور ذكرهم قال فانتبهت وجئت الى المسجد الشونيزى بليل فلما دخلت المسجد اذا أنا بثلاث أنفس جلوس ورؤسهم مغطاة برقعاتهم فلما أحسوا بى أخرج واحد رأسه فقال يا أبا القاسم أنت كلما قيل بشئ صرت تقبله وتسمعه انظر الى اجتهادهم فى طاعة الله وصفاء أسرارهم عما سواه تعالى فهم من أهل الاسلام الحقيقى يقول الفقير ناظم هذه الدرر قال لى شيخى العلامة أبقاه الله بالسلامة فى قوله عليه السلام بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا المراد بالاسلام هو الاسلام الحقيقى وصاحبه لا يرتد أبدا وكونه غريبا أن لا يوجد له أنيس (قال فى المثنوى) بود كبرى در زمان بايزيد * كفت أورا يك مسلمان سعيد * كه جه باشد كر تو اسلام آورى * تا بيابى صد نجات وسرورى * كفت اين ايمان اكر هست اى مريد * آنكه دارد شيخ عالم بايزيد * مؤمن ايمان آنم در نهان * كرجه مهرم هست محكم بر دهان * باز ايمان خود كر ايمان شماست * نى بدان ميلستم ونى مشتهاست * آنكه صد ميلش سوى ايمان بود * جون شمارا ديد زان فاتر شود * زانكه نامى بيند ومعنيش نى * جون بيابان را مفازه كفتنى (ان الذين آمنوا) نزلت فى السرية فان الله تعالى لما فرج عنهم بالآية السابقة ما كانوا فيه من الغم الشديد بقتالهم فى الشهر الحرام طمعوا فيما عند الله من ثوابه فقالوا يا رسول الله لا عقاب علينا فيما فعلنا فهل نعطى أجرا وثوابا ونطمع أن يكون سفرنا هذا سفر غزو وطاعة فأنزل الله تعالى هذه الآية لانهم كانوا مؤمنين مهاجرين وكانوا بسبب هذه المقاتلة مجاهدين والمعنى ثبتوا على ايمانهم فلم يرتدوا (والذين هاجروا) أى فارقوا منازلهم وأهلهم (وجاهدوا) المجاهدة استفراغ ما فى الوسع أى حاربوا المشركين فى سبيل الله فى طاعته لاعلاء دينه (أولئك يرجون) بما لهم من مبادى الفوز (رحمة الله) أى ثوابه ولا يحبط أعمالهم كأعمال المرتدين أثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للايذان بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للاجر وانما هو بطريق التفضل منه تعالى لا لأن فى فوزهم اشتباها (والله غفور) مبالغ فى مغفرة ما فرط من عباده خطأ (رحيم) يجزل لهم الاجر والثواب قال قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب (روى) انه مر أبو عمر البيكندى يوما بسكة فرأى أقواما أرادوا اخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة تبكى قيل انها أمه فرحمها أبو عمر فشفع له اليهم وقال هبوه منى فى هذه المرة فان عاد الى فساده فشأنكم فوهبوه منه فمضى أبو عمر فلما كان بعد أيام اجتاز بتلك السكة فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب فقال فى نفسه لعل الشاب عاد الى فساده فنفى من المحلة فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب فقالت انه مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب أجله قال لا تخبرى الجيران بموتى فلقد آذيتهم فانهم سيشمتوننى ولا يحضرون جنازتى فاذا دفنتنى فهذا خاتم لى مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم فادفنيه معى فاذا فرغت من دفنى فتشفعى لى الى ربى ففعلت وصيته فلما انصرفت عن رأس القبر سمعت صوته يقول انصرفى يا أماه فقد قدمت على رب كريم ونعم ما قيل بيهانه ميدهد بيها نميدهد قيل ان الحجاج لما حضرته الوفاة كان يقول اللهم اغفر لى فان الناس

يزعمون أنك لا تفعل ومات بواسط سنة خمس وتسعين وهي مدينته التي أنشأها وكان يوم موته
يسمى عرس العراق ولم يعلم بموته حتى أشرفت جارية من القصر وهي تبكي وتقول الا ان مطعم
الطعام ومفلق الهام قد مات ثم دفن ووقف رجل من أهل الشام على قبره فقال اللهم لا تحرمنا
شفاعة الحجاج وحلف رجل من أهل العراق بالطلاق ان الحجاج في النار فاستفتى طاوس فقال
يغفر الله لمن يشاء وما أظنها الا طلقت فقيل انه استفتى الحسن البصري فقال اذهب الى
زوجتك وكن معها فان لم يكن الحجاج في النار فما يضرك انكما في الحرام فقد وقفت من هذا
المذكور على ان الله تعالى غفور رحيم يغفر لعبده وان جاء بمثل زبد البحر ذنبا فاللازم للعباد
الرجاء من الله تعالى قال الراغب وهذه المنازل الثلاثة التي هي الايمان والمهاجرة والجهاد هي
المعنية بقوله اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله ولا سبيل الى المهاجرة الا بعد
الايمان ولا الى جهاد الهوى الا بعد هجران الشهوات ومن وصل الى ذلك فحق له أن يرجو
رحمته واعلم أن الهجرة على قسمين صورية وقد انقطع حكمها بفتح مكة كما قال عليه السلام
لا هجرة بعد الفتح ومعنوية وهي السير عن موطن النفس الى الله لفتح كعبة القلب وتخليتها
من أصنام الشرك والهوى فيجري حكمها الى يوم القيامة وكذا الجهاد في سبيل الله على قسمين
أصغر وهو الجهاد مع الكفار وأكبر وهو الجهاد مع النفس وانما كان هذا الجهاد أكبر لان
غاية الاول اصلاح الظاهر وغاية الثاني اصلاح الباطن وهو أصعب وأقوى وأيضا غاية الاول
الوصول الى الجنة والرحمة وغاية الثاني الوصول الى مشاهدة الحق والجمال المطلق وأيضا غاية
الاول الشهادة وغاية الثاني الصديقية والصديقون أعلى منزلة من الشهداء كما قال تعالى فأولئك
مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء فقدم ذكر الصديقين على ذكر الشهداء
فاذا وصل المرء الى صلاح النفس بالجهاد الاكبر الذي هو أعز من الكبريت الاحمر يرحم العباد
ولا يتصدى لهم بالضرر (حكي) أن بعضهم جاء الى بعض المشايخ وخدمه وقال له أريد أن تعلمني
الاسم الاعظم فقال له وفيك أهلية له قال نعم قال اذهب الى باب البلد ثم أخبرني بما جرى فيه
فذهب وجلس على باب البلد فاذا بشيخ حطاب معه حطب على حمار فضربه جندي وأخذ
حطبه ظلما فلما رجع الرجل الى الشيخ وأخبره بالقصة قال له الشيخ لو كنت تعلم الاسم الاعظم
ما تصنع بالجندي قال كنت أدعو عليه بالهلاك فقال له الشيخ اعلم أن الحطاب هو الذي
علمني الاسم الاعظم واعلم أن الاسم الاعظم لا يصلح الا لمن يكون على هذه الصفة من الصبر
والرحمة على الخلق والشفقة عليهم (قال السعدي) مكن تا توانى دل خلق ريش * وكر ميكنى
ميكنى بيخ خويش * ثم ان قلة الكلام من أنفع الاشياء في اصلاح النفس كما أن اللقمة الطيبة
أنفع في اصلاح الطبيعة وصفاء القلب (قال في المثنوى) طفل جان از شير شيطان باز كن
* بعد ازانش بالملك انباز كن * تا تو تاريك وملول وتيره * دانكه با ديو لعين همشيره *
لقمة كو نور افزود وكمال * آن بود آورده از كسب حلال * روغنى كايد چراغ ما كشد
* آب خوانش چون چراغى را كشد * (يسألونك) قال ابن عباس رضي الله عنه ما رأيت
قوما كانوا خيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوه الا عن ثلاث عشرة مسئلة
كلها في القرآن ما كانوا يسألونه الا عما ينفعهم وينفع المسلمين (عن الخمر) أي عن حكم تعاطيها

بقرينة الجواب لان الحل والحرمة والاثم والطاعة انما هي من عوارض أفعال المكلفين ولا اثم
فى ذوات الاشياء وأعيانها ويدخل فى تعاطى الخمر البيع والشراء وغيرهما مما يدخل تحت
التصرف على خلاف الشرع والخمر مصدر خمره أى ستره سمى به من عصير العنب ما غلى واشتد
وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كأنها نفس الستر كما سميت سكرا لانها تسكرهما أى
تحجزهما (و) عن تعاطى (الميسر) مصدر ميمى من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته اذا قمرته
واشتقاقه اما من اليسر لانه أخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب له
ويدخل فيه جميع أنواع القمار والشطرنج وغيرهما حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب
(قل فيهما) أى فى تعاطى الخمر والميسر واستعمالهما (اثم كبير) لما أن الاول مسلبة للعقول
التى هى قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال (ومنافع للناس) من كسب
الطرب والمغالاة بثمن الخمر اذا جلبوها من الاطراف وفيها تقوية الضعيف وهضم الطعام
والاعانة على الباءة أى الجماع وتسلية المحزون وتشجيع الجبان وتسخية البخيل وتصفية اللون
وانطاق الفتى العى وتهييج الهمة ومنافع الميسر اصابة المال من غير كد ولا تعب وانتفاع الفقراء
بلحم الجزور فانهم كانوا يفرقونها على المحتاجين قال الواقدى وربما قمر الواحد منهم فى مجلس
مائة بعير فيصيب مالا عظيما بلا نصب ولا عنى ثم يعطيه المحتاجين فيكتسب المدح والثناء (واثمهما
أكبر من نفعهما) وفى الخمر ايقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهى
تسفه الحليم ويصير شاربها بحيث يلعب ببوله وعذرته وقيئه كما ذكر ابن أبى الدنيا انه مر على سكران
وهو يبول فى يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضئ ويقول الحمد لله الذى جعل الاسلام نورا
والماء طهورا وفى الميسر أنه اذا ذهب ماله من غير عوض ساءه ذلك فعادى صاحبه وقصده بالسوء
قال المفسرون نزلت فى الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها وهى لهم حلال يومئذ ثم ان عمر ومعاذا
ونفرا من الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا أفتنا يارسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت
يسألونك عن الخمر والميسر الآية فشربها قوم وقالوا نأخذ منفعتها ونترك اثمها وتركها آخرون
وقالوا لا حاجة لنا فيما فيه اثم كبير ثم ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه دعا ناسا منهم
فشربوا وسكروا فأم أحدهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون الى آخر السورة بدون
لا فى لا أعبد فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فقل من يشربها وقالوا لا خير فى شئ
يحول بيننا وبين الصلاة وشربها قوم فى غير حين الصلاة حتى كان الرجل يشربها بعد صلاة
العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر ويشرب بعد الصبح فيصحو اذا جاء وقت الظهر ثم اتخذ عتبان
ابن مالك ضيافة ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وكان قد
شوى لهم رأس بعير فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى سكروا منها ثم انهم افتخروا عند ذلك
وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فأنشد سعد قصيدة فيها هجاء الانصار وفخر لقومه فأخذ رجل لحى
البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله وشكا اليه الانصارى
فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزل انما الخمر والميسر فى المائدة الى قوله فهل أنتم منتهون
فقال عمر انتهينا يارب وحرمت الخمر فى السنة الثالثة من الهجرة بعد غزوة الاحزاب بأيام قال

القفال والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الترتيب أنه تعالى علم أن القوم كانوا ألفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم به كثيرا وعلم انه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم فلا جرم استعمل فى التحريم هذا التدريج وهذا الرفق ثم لما نزل التحريم أريقت الخمر قال ابن عمر رضى الله عنه خرجنا بالحباب الى الطريق فمنا من كسر حبه ومنا من غسله بالماء والطين ولقد غودرت ازقة المدينة بعد ذلك حينا كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت منها ريحها وحرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها وما حرم الله عليهم شيأ أشد من الخمر (روى) ان جبريل عليه السلام قال للنبى عليه السلام ان الله تعالى شكر لجعفر الطيار رضى الله عنه أربع خصال كان عليها فى الجاهلية وهو عليها فى الاسلام فسأل النبى عليه الصلاة والسلام جعفرا عن ذلك فقال يارسول الله لولا أن الله أطلعك عليها لما أخبرتك بها ما شربت الخمر قط لانى رأيتها تزيل العقل وانا الى أن أزيد فيه أحوج منى الى أن أزيله * وما عبدت صنما قط لانى رأيته لا يضر ولا ينفع * وما زنيت قط لغيرتى على أهلى * وما كذبت قط لانى رأيته دناءة قال عمرو بن الادهم من أكابر سادات بنى تميم ذاما للخمر لو كان العقل يشترى ما كان شئ أنفس منه فالعجب لمن يشترى الحمق بماله فيدخله فى رأسه فيقئ فى جيبه ويسلح فى ذيله وعن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة فى بئر فبنيت فى مكانها منارة لم أوذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف فنبت فيه الكلاء لم أرعه وعن ابن عمر رضى الله عنه لو أدخلت اصبعى فيها لم تتبعنى وهذا هو الايمان والتقى حقا فينبغى للمسلم أن لا يخطر بباله شرب الخمر فضلا عن شربها وينقطع عن شاربها فانه اذا خالط شارب الخمر يخاف عليه ان يصيبه من عثاره (قال الحسين الواعظ الكاشفى) ترا رحمانهمى كويدكه اى مؤمن مخور باده * ترا رشيطان همى كويد كه درصفرا مخور حلوا * غنى مانى زنا باكى براى كفتهٔ رحمان * عيانى شهد وشكر را براى كفتهٔ ترسا * وعن بعض الصحابة أنه قال من زوج ابنته لشارب الخمر فكأنما ساقها الى الزنا معناه أن شارب الخمر يقع منه الطلاق وهو لا يشعر فالذى يجب على الولى أن لا يزوج ابنته ولا أخته من فاسق ولا ممن يتعاطى المنكرات واعلم أن خل الخمر حلال ولو بعلاج كالقاء الماء الحار أو الملح أو الخبز ولا يكره تخليلها وفى الحديث خير خلكم خل خمركم هذا هو البيان فى الخمر وأما الميسر فهو القمار والياسر القامر وكان أصل الميسر فى الجزور وذلك أن أهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزورا ويضمنون ثمنه ولا يؤدونه ليظهر بالقمار أنه على من يجب فيحرونها ويجزؤنها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام سبعة منها لها أنصباء الفذ وله نصيب واحد والتوأم وله نصيبان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة منها لا انصباء لها وهى المنيح والسفيح والوغد ثم يجعلون القداح فى خريطة تسمى الربابة ويضعونها على يدى عدل عندهم يسمى المجيل والمفيض ثم يجيلها ويجلجلها أى يحركها باليد ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء أخذ النصيب المعين له ومن خرج له قدح مما لا نصيب له وهو الثلاثة لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وهو اللئيم العديم المروأة والكرم فهذا أصل القمار الذى كانت العرب تفعله

فنهى المسلمون عنه واختلف فى الميسر هل هو اسم لذلك القمار المعين أو هو اسم لجميع أنواع القمار فقال بعض العلماء المراد من الآية جميع أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وروى أن رجلا خاطر رجلا على أن يأكل كذا كذا بيضة على كذا كذا من المال فقال على رضى الله عنه هذا قمار وعن ابن سيرين كل شئ فيه خطر فهو من الميسر وعن النبى عليه السلام اياكم وهاتين الكعبتين المشؤمتين فانهما من مياسر العجم يريد أن النرد والشطرنج ميسر يشير به الى أنهما حرام وأما السبق فى الخف والحافر والنشاب فخص بدليل (قال السعدى)

كهل كشتى وهمچنان طفلى * شيخ بودى وهمچنان شابى * تو ببازى نشسته دريجب وراست * ميرسد تير چرخ برتابى * جاى كريست برمصيبت پير * كه چو كودك هنوز لعابى *

والاشارة فى الآية أن خمر الظاهر كما يتخذ من أجناس مختلفة من العنب والتمر والزبيب والحبوب كالحنطة والشعير والذرة فكذلك خمر الباطن من أجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وأمثالها وهذه خمور تسكر منها النفوس والعقول الانسانية وفيها اثم كبير ولهذا كل مسكر حرام وما يسكر كثيره فقليله حرام ومنها ما يسكر القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الواردات فى أقداح المشاهدات من ساقى تجلى الصفات فاذا دارت على النفوس وانخمدت شهواتها وسكرت القلوب بالمواجيد عن المواجيد والارواح بالشهود عن الوجود والاسرار بلحظ الجمال عن ملاحظة الكمال فهذا شراب نافع للناس حلال فالعجب كل العجب ان قوما أسكرهم وجود الشراب وقوما أسكرهم شهود الساقى كقولهم

فأسكر القوم دور كأس * وكان سكرى من المدير

(وفى المثنوى) ما اكر قلاش اكر ديوانه ايم * مست آن ساقى وآن پيمانه ايم * مست مى هشيار نبود در نشور * مست حق نايد بخود تا نفخ صور * جرعهٔ چون ريخت ساقىٔ الست * برسر اين خاك شد هر ذره مست * جوش كرد ان خاك مازان جوششيم * جرعهٔ ديكر كه بس بى كوششيم * واثم الاعراض عن كؤس الوصال فى النهاية أكبر من نفع الطلب أنفسنة فى البداية وكما أن سكران الخمر ممنوع من الصلاة فسكران الغفلة والهوى محجوب عن المواصلات وأما اثم الميسر فهو أن آثار القمار هى شعار أكثر الديار فى سلوك طريق الحيل والخداع بالفعال والكذب والفحش فى المقال وانه كبير عند الاخيار بعيد عن خصال الابرار وأما نفعه فعدم الالتفات الى الكونين وبذل نقوش العالمين فى فردانية نقش الكعبتين واثمهما أكبر من نفعهما لان اثمهما للعوام ونفعهما للخواص والعوام أكثر من الخواص وقليل ما هم كذا فى التأويلات النجمية قدست نفسه الزكية (ويسألونك ماذا ينفقون) هو كما يصلح سؤالا عن جنس المنفق يصلح سؤالا عن كميته وقدره فانه لما نزل قوله تعالى قل ما أنفقتم من خير فللوالدين قال عمرو بن الجموح ما أنفق فنزل قوله (قل العفو) أى أنفقوا العفو وهو نقيض الجهد وهو المشقة ونقيضه اليسر والسهولة فكأنه قيل قل أنفق ما سهل وتيسر ولم يشق عليك انفاقه فالعفو من المال ما يسهل انفاقه والجهد من المال ما يعسر انفاقه والقدر المنفق انما يكون انفاقه سهلا اذا كان فاضلا عن حاجة نفسه وعياله ومن عليه مؤنته (كذلك) أى مثل ما بين أن العفو أصلح من الجهد والكاف فى محل النصب صفة لمصدر محذوف أى تبيينا مثل

هذا التبيين وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل أو الفريق أو القوم
مما هو مفرد اللفظ ومجموع المعنى (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الاحكام الشرعية لا بيانا
أدنى منه وتبيين الآيات تنزيلها مبينة الفحوى واضحة المدلول لا انه تبيينها بعد ان كانت
مشتبهة وملتبسة (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) أي لكي تتفكروا في أمور الدارين
فتأخذوا بما هو أصلح لكم وأسهل في الدنيا وأنفع في العقبى وتجتنبوا عما يضركم في العقبى قال
البغوي يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا
وفنائها فتزهدوا وفي اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها وهذه الآية ترغب في التصدق لكن
بشرط أن يكون ذلك من فضل المال وعفوه وعن النبي عليه السلام أن رجلا أتاه ببيضة من
ذهب أصابها في بعض المغازي فقال يا رسول الله خذها مني صدقة فوالله لقد أصبحت ما أملك
غيرها فأعرض عنه رسول الله فأتاه من الجانب الايمن فقال مثله فأعرض عنه ثم أتاه من الجانب
الايسر فأعرض عنه فقال هاتها مغضبا فأخذها منه فحذفها حذفا لو أصابه لشجه أو عقره ثم
قال يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى خذها
فلا حاجة لنا فيها وفي لفظ العفو اشارة الى أن ما يعطيه المرء ينبغي أن يعفو اثره عن قلبه عند
الانفاق يعني بطيب القلب لان أصل العفو المحو والطمس ثم الاخراج عن فاضل الاموال على
قدر الكفاية طريقة الخواص فأما خاص الخاص فطريقتهم الايثار وهو أن يؤثر غيره على
نفسه وبه فاقة الى ما يخرج وان كان صاحبه الذي يؤثر به غنيا قال الله تعالى ويؤثرون على
أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال أمرنا رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم أن نتصدق ووافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم اسبق أبا بكر رضي الله عنه
فجئت بنصف مالي فتصدقت به فقال لي رسول الله ما أبقيت لاهلك يا عمر قلت نصف مالي يا رسول
الله ثم قال لابي بكر ما أبقيت لاهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسابقك بشيء بعدها
روي أن النبي عليه السلام قال عند ذلك ما بينكما ما بين كلاميكما ومنه يعرف فضل أبي بكر على
عمر لكن الافضلية من وجه لا تنافي المفضولية من وجه آخر فان الكامل ليس يلزمه أن يكون
كاملا في جميع الامور وانما التقدم والتأخر بالنظر الى العلم بالله قال حضرة الشيخ الشهير
بافتاده أفندي قدس سره كان أبو بكر غالب المعرفة وعمر غالب الشريعة وعثمان غالب
الطريقة وعلي غالب الحقيقة وان كانوا كاملين في المراتب الاربع انتهى كلامه (قال الحسين
الواعظ الكاشفي) ماية توفيق كرم كردنست * كي يقين ترك درم كردنست * زادره
مرك زبان دادنست * زندكى عشق زجان دادنست * فسخاوة العوام اعطاء المال
وسخاوة الخواص بذل الروح وهو قليل * هست جوانمرد درم صد هزار * كاريجو باجان
فتد آنست كار * وحث النبي عليه السلام أصحابه على الصدقة فجعل الناس يتصدقون
وكان أبو أمامة الباهلي جالسا بين يديه عليه السلام وهو يحرك شفتيه فقال النبي عليه السلام
ماذا تقول حيث تحرك شفتيك قال اني أرى الناس يتصدقون وليس معي شيء أتصدق به فأقول
في نفسي سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هؤلاء
الكلمات خير لك من مد ذهبا تتصدق به على المساكين * تا زنده ايم ذكر لبش در زبان ماست

* يادش انيس وموس جان وروان مامت * يروى ان أول من قال سبحان الله جبريل عليه السلام وذلك انه لما خلقه الله وقع نظره على العرش وعظمته فقال سبحان الله فمن قالها نال ثواب جبريل وأول من قال الحمد لله آدم الصفى عليه الصلاة والسلام حين نفخ فيه الروح فمن قالها نال نصيبا من فضل آدم وأول من قال لا اله الا الله نوح النجى عليه السلام حين مشاهدة الطوفان وشدة البلاء فمن قالها أخذ حظا وافرا من ثواب نوح وأول من قال الله أكبر ابراهيم الخليل عليه السلام حين شاهد فداء اسمعيل وهو الكبش فمن قالها نال فيضا من فيض ابراهيم اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين آمين يارب العالمين (ويسألونك عن اليتامى) أى عن مخالطتهم لان السؤال عن الشئ ينصرف الى ما هو معظم المقصود منه وهو ههنا المخالطة والكفالة وذلك بعد نزول قوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما فتركوا مخالطتهم ومؤاكلتهم حتى لو كان عند رجل يتيم يجعل له بيتا على حدة وطعاما على حدة وعزلوا أموال اليتامى عن أموالهم وكان يصنع لليتيم طعام فيفضل منه شئ فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد فاشتد ذلك عليهم فقال عبد الله بن رواحة يارسول الله ما لكلنا منازل يسكنها اليتامى ولا كلنا نجد طعاما وشرابا نفردهم لليتيم فنزلت هذه الآية (قل اصلاح لهم) أى مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولأموالهم (خير) من مجانبتهم وترك المخالطة والنظر عليهم واصلاح مصدر حذف فاعله تقديره واصلاحكم لهم خير للجانبين أى جانبى المصلح والمصلح له اما الاول فلما فيه من الثواب وأما الثانى فلما فيه من توفر أموال اليتامى والتزايد (وان تخالطوهم) وتعاشروهم على على وجه ينفعهم (فاخوانكم) أى فهم اخوانكم فى الدين الذى هو أقوى من العلاقة النسبية ومن حق الاخ أن يخالط الاخ بالاصلاح والنفع قال ابن عباس رضى الله عنه المخالطة ان تأكل من تمره ولبنه وقصعته وهو يأكل من تمرك ولبنك وقصعتك وهذا اذا أصاب من مال اليتيم بقدر عمله له أو دونه فلا يزيد على أجر مثله وقد قال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وقد تكون المخالطة بخلط المال وتناول الكل منه وهو منهى شرعا قال أبو عبيد هذه الآية عندى أصل لما يفعله الرفقاء فى الاسفار فانهم يتخارجون النفقات بينهم بالسوية وقد يتفاوتون فى قلة المطعم وكثرته وليس كل من قل مطعمه تطيب نفسه بالتفضل على رفيقه فلما كان هذا فى أموال اليتامى واسعا كان فى غيرهم أوسع ولولا ذلك لخفت أن يضيق فيه الامر على الناس وقد حملت المخالطة على المصاهرة وهو أن يكون ابنا فيزوجه ابنته أو تكون بنتا فيزوجها ابنه فتتأكد الالفة ويخلطه بنفسه وبعشيرته ايناسا لوحشته وازالة لوحدته وهو مروى عن الحسن (والله يعلم) بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد (المفسد) لمال اليتيم (من المصلح) لماله أى لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح وفى تقديم المفسد مزيد تهديد ومن لتضمين العلم معنى التمييز أى يعلم من يفسد فى أمورهم عند المخالطة مميزا له ممن يصلح فيها (ولو شاء الله) اعناتكم وهو الحمل على مكروه لا يطيقه (لاعنتكم) لحملكم على العنت وهو المشقة فلم يطلق لكم مداخلتهم يقال عنت فلان اذا وقع فى أمر يخاف منه التلف (ان الله عزيز) غالب يقدر على الاعنات (حكيم) يحكم ما تقتضيه الحكمة وتسع له الطاقة وهو دليل على ما يفيده كلمة

لو من انتفاء مقدمها واعلم أن مخالطة الايتام من أخلاق الكرام وفى الترحم عليهم فوائد جمة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وضع يده على رأس يتيم ترحما عليه كانت له بكل شعرة تمر
عليها يده حسنة وفى الحديث ثلاثة فى ظل عرش الله يوم القيامة امرأة مات عنها زوجها وترك
عليها يتامى صغارا فخطبت فلم تتزوج وقالت أقيم على اليتامى حتى يغنيهم الله أو يموت يعنى اليتيم
أو هى ورجل له مال صنع طعاما فأطاب صنيعه وأحسن نفقته فدعا اليه اليتيم والمسكين وواصل
الرحم يوسع له فى رزقه ويمد له فى أجله ويكون تحت ظل عرشه قال الله تعالى ياموسى كن
لليتيم كالاب الرحيم وكن للارامل كالزوج الشفيق وكن للغريب كالاخ الرفيق أكن لك
كذلك (قال الحافظ) تيمار غريبان سبب ذكر جميلست * جانا مكر اين قاعده در شهر شما نيست
* وفى الحديث انا وكافل اليتيم أى القائم بمصالحه سواء كان من مال نفسه أم من مال اليتيم
وسواء كان اليتيم قريبا أم لا كهاتين فى الجنة وأشار بالسبابة والوسطى يعنى أن كافل اليتيم
يكون فى الجنة مع حضرة النبى عليه الصلاة والسلام لأن درجته تبلغ درجته (قال الشيخ
سعدى قدس سره) چو بينى يتيمى سرافكنده پيش * مده بوسه بر روى فرزند خويش
* الا تا نكريد كه عرش عظيم * بلرزد همى چون بكريد يتيم * ويجتنب كل الاجتناب عن
اخلال حق من حقوقه وأكل حبة من ماله وعن ظلمه وقهره (يحكى) أن رستم بن زال بارز مع
اسفنديار فلم يقدر عليه مع زيادة قوته وكان اسفنديار يجرحه فى كل حال دون رستم وكان بدن
اسفنديار كجلد السمك لا يعمل فيه شئ ثم ان رستم شاور مع ابيه زال فى ذلك فقال له أبوه انك
لا تقدر عليه الا أن تعمل سهما ذا فقارين وتصيب به عينى اسفنديار ففعل ذلك فرمى فأصاب
فغلب عليه بذلك فحكى فى سبب ذلك ان اسفنديار كان قد ضرب فى شبيبته يتيما بغصن
ففقأ به عينه وأبكاه ثم ان اليتيم أخذ ذلك الغصن وغرسه فلما صار شجرا أخذ رستم غصنا من
أغصانه ونحت منه سهمه الذى أصاب به عينى اسفنديار * ويؤدب اليتيم الذى فى حجره
كما يؤدب ولده فانه مسؤل عنه يوم القيامة ويصلح حاله والتأديب على أنواع منها الوعيد ومنها
الضرب ومنها حبس المنافع والعطية والافتراق بين النفوس تفاوت فانفس تخضع بالغلظة والشدة
ولو استعملت معها الرفق والبر لافسدها ونفس بالعكس وقد جعل الله الحدود والتعزير لتأديب
العباد على قدر ما يأتون من المنكر فأدب الاحرار الى السلطان وأدب المماليك والاولاد
الى السادات والآباء وهو مأجور على التأديب ومسؤل عنه قال الله تعالى قوا أنفسكم
وأهليكم نارا وفى الحديث كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وفى قوله تعالى وان تخالطوهم
فاخوانكم اشارة الى أن المرء ينبغى أن يتعود الاكل مع الناس فان شر الناس من أكل وحده
وفى الحديث ان من أحب الطعام الى الله ما كثرت عليه الايدى ذكره فى العوارف وذكر
فى المصابيح ان أصحاب النبى عليه السلام قالوا يارسول الله انا نأكل ولا نشبع قال لعلكم
تفترقون قالوا نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى * ومن اللطائف ما يحكى
انه قيل لجحى صاحب النوادر أتغديت عند فلان قال لا ولكن مررت ببابه وهو يتغدى فقيل
كيف علمت قال رأيت غلمانه بأيديهم قسى البنادق يرمون الطير فى الهواء قيل لجحى من أشجع
الناس قال من يسمع وقع اضراس الناس فلا تنشق مرارته وفى الحديث من أضاف مؤمنا

فكأنما أضاف آدم ومن أضاف اثنين فكأنما أضاف آدم وحواء كذا فى الرسالة العلية لحسين الواعظ (ولا تنكحوا) بفتح التاء أى لا تتزوجوا (المشركات) أى الحربيات فان الكتابيات وان كانت من المشركات الا انه يجوز تزوجها عند الجمهور استدلالا بقوله تعالى فى سورة المائدة والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شئ اصلا (حتى يؤمن) أى يصدقن بالله وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم روى انه عليه السلام بعث مرثدا الغنوى الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فأتته عناق وكان يهواها فى الجاهلية فقالت ألا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت (ولأمة مؤمنة) مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر (خير) بحسب الدين والدنيا (من مشركة) أى امرأة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشأن (ولو اعجبتكم) تلك المشركة بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادى الاعجاب وموجبات الرغبة والواو للحال ومعنى كونها للحال كونها عاطفة لمدخولها على حال محذوفة قبلها والتقدير خير من مشركة على كل حال ولو فى هذه الحالة والمقصود من مثل هذا التركيب استقصاء الاحوال وفى تفسير الكواشى لو هنا بمعنى ان وكذا كل موضع وليها الفعل الماضى وكان جوابها مقدما عليها والمعنى وان كانت المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير لكم (ولا تنكحوا) بضم التاء من الانكاح (المشركين) أى الكفار أعم من الوثنى وغيره أى لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر أم اماء (حتى يؤمنوا) ويتركوا ما هم عليه من الكفر قال ابن الشيخ فى حواشيه أى لا تزوجوهم الصغيرات من بناتكم ومن فى حكمهن ممن هو تحت ولايتكم ولا تزوج البالغات من المؤمنات منهم أنفسهم فقوله ولا تنكحوا من قبيل تغليب الذكور على الاناث ولا خلاف فى هذا الحكم فان المشرك هنا باق على عمومه ولا يحل تزويج المؤمنة من الكافر البتة على اختلاف أنواع الكفر (ولعبد مؤمن) مع ما به من ذل المملوكية (خير من مشرك) مع ما به من عز المالكية (ولو أعجبكم) بماله وجماله وخصاله (اولئك) المذكورون من المشركين والمشركات (يدعون) من يقارنهم ويعاشرهم (الى النار) أى الى ما يؤدى اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم (والله) أى وأولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم (يدعوا الى الجنة والمغفرة) أى الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة (باذنه) متعلق بيدعوا أى يدعو ملتبسا بتوفيقه الذى من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم اياهم (ويبين آياته) المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة (للناس لعلهم يتذكرون) أى لكى يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران وايراد التذكر ههنا للاشعار بأنه واضح لا يحتاج الى التفكر كما فى الاحكام السابقة ففى الآية نهى عن مواصلة الكفار وترغيب فى مواصلة المؤمنين ولا ينبغى للمؤمن ان تعجبه المشركة بمالها وجمالها فان من المسلمات من تدفع التعجب وفى المحيط مسلم رأى نصرانية سمينة وتمنى ان يكون هو نصرانيا حتى يتزوجها يكفر وهذا من حماقته فان السمان الحسنة كثيرة فى الملة الحنيفية ولكن علة الضم هى الجنسية كما قال تعالى الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة وميل الطباع

القذرة الى الدنيا العذرة قال تعالى الخبيثات للخبيثين والطيبات للطيبين (ونعم ما قيل) همه مرغان كند با جنس پرواز * كبوتر با كبوتر باز با باز * ومن بلاغات الزمخشرى لا ترض لمجالستك الا أهل مجانستك أى لا ترض ان يكون لك جليس من غير جنسك فان العذاب الشديد ليس الا هو قال فى أسئلة الحكم وأما اختلاف الاخلاق فمن تعارف الارواح بعضها ببعض فى عالم الارواح قبل تلاقى الاشباح فى عالم الشهادة فمن تعارف روحه بروح صالح صلح بتعارفه الازلى فمن هنا اختلاف الاخلاق صلاحها وفسادها فلا بد من مناسبة اما من الجهة الجسمانية أو من الجهة الروحانية فالجهة الجسمانية راجعة الى قابلية الطين والطبيعة الروحانية راجعة الى المناسبة الروحانية السابقة انتهى قال الامام السخاوى فى المقاصد الحسنة عند قوله عليه السلام الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف سبب ورود هذا الحديث ما روته عائشة رضى الله عنها ان امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهن فلما هاجرن ووسع الله تعالى دخلت المدينة قالت عائشة فدخلت على فقلت لها فلانة الى من قدمت قالت اليكن قلت فأين نزلت قالت على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة قالت عائشة ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فلانة المضحكة عندكم قالت عائشة نعم قال فعلى من نزلت قالت على فلانة المضحكة قال الحمد لله ان الارواح الخ قال بعضهم

بينى وبينك فى المحبة نسبة * مستورة عن سر هذا العالم

نحن اللذان تحابت أرواحنا * من قبل خلق الله طينة آدم

انتهى كلام السخاوى (قال الحسين الكاشفى) جاذب هر جنس را هم جنس دان * جنس هر جنسست عاشق جاودان * تلخ با تلخان يقين ملحق شود * كى دم باطل قرين حق شود * طيبات آمد بسوى طيبين * الخبيثات للخبيثين است همين * واعلم انه ركز فى العقول الميل الى الخير ومخالفة الشر فالعاقل ان يتذكر فان من كان بصيرا بنفسه ومتأملا فى حاله ينقطع عن اخوانه الداعين الى خلاف الحق ويصغى الى داعى الهوى وقد قال بعض كبار العجم الله ليس باقى هوس قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا والمقربون قد فروا الى الله تعالى من جميع ما فى أرض الوجود ولم يلتفتوا الى شئ سوى وجهه الكريم ولم يريدوا من المولى غير المولى فكانوا أحسن نية وعملا وهذا صراط مستقيم اللهم ألهمنا رشدنا وأعذنا من شر نفسنا انك أنت المجيب (ويسألونك) لعل حكاية الاسئلة الثلاثة بالواو وحكاية ما عداها بغير عطف انهم سألوا عن هذه الحوادث فى وقت واحد فكأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وعن كذا بخلاف ما عداها فانهم سألوها فى أوقات متفرقة (عن المحيض) مصدر كالمجئ والمبيت والحيض هو الدم الخارج من الرحم فى وقت معتاد والسؤال فيه نوع ابهام لانه تبين بالجواب ان سؤالهم كان عن مخالطة النساء فى حالة الحيض (قل هو أذى) أى الحيض شئ مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه وكراهة له (روى) ان أهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يساكنوها فى الحيض ولا يؤاكلونها كدأب المجوس واليهود واستمر الناس على ذلك الى ان سأل عن ذلك أبو الدحداح فى نفر من الصحابة فقال يا رسول الله كيف نصنع بالنساء اذا حضن أنقربهن أم لا فنزلت (فاعتزلوا النساء فى المحيض) المحيض هنا

اسم لمكان طهور الحيض وهو الفرج أى فاجتنبوا مجامعتهن لما روى ان المسلمين أخذوا بظاهر الاعتزال فأخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يارسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن هلك سائر أهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما أمرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض (ولا تقربوهن) بالجماع (حتى يطهرن) من الحيض أو ينقطع دمهن فذهب أبو حنيفة رحمه الله الى ان له أن يقربها اذا كانت أيامها عشرة بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفى أقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل أو يمضى عليها وقت صلاة (فاذا تطهرن) أى اغتسلن فان التطهر هو الاغتسال (فأتوهن من حيث أمركم الله) أى من المأتى الذى حلله لكم وهو القبل (ان الله يحب التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى (نساؤكم حرث لكم) أى مواضع حرث لكم شبهن بها لما بين ما يلقى فى أرحامهن من النطف وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه والفرق بين الحرث والزرع أن الحرث القاء البذر وتهيئة الارض والزرع مراعاته وانباته ولهذا قال تعالى أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون فأثبت لهم الحرث ونفى عنهم الزرع (فأتوا حرثكم) لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان (أنى شئتم) أنى هنا بمعنى كيف أى كيف شئتم ومن أى شق وجهة أردتم بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث لان الدبر ليس موضع الحرث فلم يمكن حمل قوله أنى شئتم على التخيير فى الامكنة حتى يجوز اتيان النساء فى أدبارهن فيكون محمولا على التخيير فى الكيفيات ويدل على هذا ما روى فى سبب نزول الآية من ان اليهود كانوا يزعمون ان من أتى امرأته فى قبلها من دبرها يأتى ولده أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت الآية ردا عليهم ببيان ان المقصود من عقد النكاح هو اتيان موضع الحراثة على أى كيفية كانت وفى الحديث ملعون من أتى امرأته فى دبرها وهو اللواطة الصغرى والاتيان فى دبر الذكر أكبر لواطة منه قال الامام من قبل غلاما بشهوة فكأنما زنى بأمه سبعين مرة ومن زنى مع امه مرة فكأنما زنى بسبعين بكرا ومن زنى مع البكر مرة فكأنما زنى بسبعين ألف امرأة وحكم اللواطة التعزير والحبس فى السجن حتى يتوب وعندهما يحد حد الزنا فيجلد ان لم يكن محصنا ويرجم ان كان محصنا (وقدموا لانفسكم) من الاعمال الصالحة ما يكون الثواب الموعود له ذخيرة محفوظة لكم عند الله ليوم احتياجكم اليه ولا تكونوا فى قربانهن على قيد قضاء الشهوة بل كونوا فى قيد تقديم الطاعة مع ملاحظة الحكم المقصود من شرع النكاح وهو الولد (واتقوا الله) بالاجتناب عن معاصيه التى من جملتها ما عد من الامور (واعلموا انكم ملاقوه) الهاء راجع الى الله تعالى فلا بد من حذف مضاف أى ملاقو جزائه فتزودوا ما لا تفتضحون به (وبشر) يا محمد (المؤمنين) الذين تلقوا ما خوطبوا به من الأوامر والنواهى بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم * درامان خانة ايمان بفشين ايمن باش * كرامان بايدت البته مرو زين مأمن * فالعلامة فى ذلك ان الذى يكون ايمانه عطاء يمنعه ايمانه من الذنوب ويرغبه فى الطاعات

والذى هو عارية لايمنعه من الذنوب ولا يرغبه فى الطاعات أى لايحثه على الطاعات لانه لاتدبيرله فى مكان هو فيه عارية أى لايستقر الايمان فى مكان هو فيه عارية وفى قوله تعالى واعلموا انكم ملاقوه اشارة الى أن على المرء ان يتذكر مرجعه ومصيره ويتدارك ما ينتفع به فى معاده من الاعمال الصالحة وأقل المرتبة العمل للآخرة وأما أعلى المراتب وأفضل المقاصد والمطالب فالله تعالى كما قال تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وذلك لان العمل لله تعالى لا لطلب الجنة ولا لخوف النار وفى التأويلات النجمية كما ان للنساء محيضا فى الظاهر وهو سبب نقصان ايمانهن لمنعهن عن الصلاة والصوم فكذلك للرجال محيض فى الباطن هو سبب نقصان ايمانهم لمنعهم عن حقيقة الصلاة وهى المناجاة وعن حقيقة الصوم وهى الامساك عن مشتهيات النفس وكما ان المحيض هو سيلان الدم من الفرج فكذلك الهوى هو غليان دواعى الصفات البشرية والحاجات الانسانية فكلما غلب الهوى تكدر الصفاء وحصل الاذى وقد قيل قطرة من الهوى تكدر بحرا من الصفاء فحينئذ منعت النفس عن الصلاة والصوم فى الحقيقة وان كانت مشغولة بهما وطبقات المؤمنين ثلاث العوام والخواص وخواص الخاص أما العوام فلما كانوا أهل الغيبة عن الحقيقة أبيح لهم السكون الى اشكالهم اذا كان على وصف الاذن وقيل لهم نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وأما الخواص فلما كانوا بوصف الحضور يلزم عليهم المساكنة الى أمثالهم وقيل لهم قل الله ثم ذرهم فهم سلكوا مسالك التفريد حتى وصلوا الى كعبة التوحيد واما خاص الخاص فهم الرجال البالغون الواصلون الى عالم الحقيقة المتصرفون فيما سوى الله بخلافة الحق فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم فقيل لهم نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم فهم الانبياء وخواص الاولياء فكما ان الدنيا مزرعة الآخرة لقوم فالدنيا والآخرة مزرعتهم ومحرثهم يحرثون فيها أنى شاؤا وكيف شاؤا وما يشاؤن الا أن يشاء الله فقد فنيت مشيئتهم فى مشيئة الله وبقيت قدرة تصرفهم بتقويته فيقدمون لانفسهم لا بأنفسهم بل هو المقدم لما يقدمون وهو المؤخر لما يؤخرون ثم قال واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه يعنى يا خواص الاولياء المتصرفين فى حرث الدنيا والآخرة اتقوا الله بالله فانكم ملاقوا الله لايحجبكم عنه شئ وبشر المؤمنين بأنهم ملاقوا الله أيضا ان اتقوا الله بالله يعنى مرتبة خواص الاولياء ميسرة للمؤمنين اذا سعوا فى طلبها حق سعيها (قال الحافظ) جمال يار ندارد نقاب و پرده ولى * غبار ره بنشان تا نظر توانى كرد * (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) روى ان بشير بن نعمان الانصارى كان قد طلق زوجته التى هى أخت عبد الله بن رواحة وأراد أن يتزوجها بعد ذلك وكان عبد الله قد حلف على ان لا يدخل على بشير ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين أخته فاذا قيل له فى ذلك قال قد حلفت بالله ان لا أفعل ولا يحل لى الا ان أحفظ يمينى وأبر فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية والعرضة فعلة بمعنى المعروض جعل اسما لما يعرض دون الشئ أى يجعل قدامه بحيث يصير حاجزا ومانعا منه من عرض العود على الاناء أى جعل العود على الاناء وسترته بحيث يكون حاجزا وحائلا بين الاناء وما يتوجه اليه والمعنى لا تجعلوا ذكر الله والحلف به مانعا لما حلفتم عليه من أنواع الخير كالبر والاتقاء والاصلاح فان الحلف بالله لايمنع ذلك فيكون لفظ الايمان مجازا مرسلا عن الخيرات المحلوف عليها سمى المحلوف عليه

عينا لتعلق اليمين به واللام في لايمانكم متعلق بقوله عرضة تعلق المفعول له لا تعلق العامة لان العرضة ما عرضته دون الشيء فاعترضه أي ما تجعله أنت قدام شيء آخر فيقع قدامه فيكون المعنى لا تجعلوا الحلف بالله شيأ عرض أي وقع قدام المحلوف عليه الذي هو البر والخير وبصير مانعا من الاتيان به وأن تبروا عطف بيان لايمانكم أي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح (والله سميع) لايمانكم (عليم) بنياتكم حتى ان تركتم الحلف تعظيما لله واجلالا له من أن تستشهدوا باسمه الكريم في الاغراض العاجلة يعلم ما في قلوبكم ونياتكم فحافظوا على ما كلفتموه (وفي المثنوي) از پى آن گفت خود راحق سميع * تا به بندى لب ز گفتار شنيع * از پى آن گفت خود را حق بصير * كه بود ديدويت هر دم نذير * از پى آن گفت خود را حق عليم * تانينديشى فسادى تو زبيم * والآية عامة في كل من كان يحلف بالله أن لا يحسن لاحد ولا يتقي من العصيان فيعمل ما اشتهت نفسه وان لا يصلح بين الناس اذا وقع فيهم العداوة والبغضاء فكأنه قال تعالى كل ذلك خير وطاعة لا يمنعها حلفكم فان حلفتم عليها فاتركوا عن حلفكم ولتفعلوا تلك الخيرات من البر والتقوى والاصلاح بين الناس ولا تقولوا نحن حلفنا بالله فنخاف من اليمين به ان نفعله فنحنث في يميننا فالحنث أولى من البر فيما يتعلق بالبر والتقوى والاصلاح قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا فليكفر عن يمينه ثم ليفعل الذي هو خير والكفارة قبل اليمين غير جائزة وبعد الحنث واجبة اتفاقا ولا تجوز قبل الحنث بعد اليمين عندنا خلافا للشافعي رحمه الله وفي الشرعة ولا يروج سلعته أي متاعه بالحلف لاصادقا ولا كاذبا لانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع وان كان صادقا فقد جعل الله عرضة لايمانه وأساء فيه اذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر الله من غير ضرورة ومن حلف بالله في كل قليل وكثير انطلق لسانه بذلك ولا يبقى اليمين في قلبه فلا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة فيختل ما هو الغرض الاصلي من اليمين وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وفي بستان العارفين ويكره ان يصلي على النبي عليه السلام في عرض السلعة فيقول صلى الله على محمد ما أجود هذا وقال عليه السلام التجار هم الفجار قيل ولم يا رسول الله وقد أحل الله البيع فقال لانهم يحلفون ويأثمون ويحدثون فيكذبون ولا يحلف على الله بشيء نحو أن يقول والله ليفعلن الله كذا ولو أقسم ولي الله مثل القسم المذكور لابره الله وصدقه في يمينه كرامة له وكان أبو حفص رحمه الله يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له أبو حفص ما أصابك قال ضل حماري ولا أملك غيره فوقف أبو حفص وقال وعزتك لا أخطو خطوة ما لم ترد حماره فظهر الحمار في الوقت كذا في شرح المشارق (لا يؤاخذكم الله باللغو) اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار يقال لغا لغوا اذا قال باطلا (في أيمانكم) جمع يمين وهو الحلف وسميت بها لمعنيين أحدهما انها من اليمين التي هي اليد اليمنى وكانوا اذا تحالفوا في العهود تصافحوا بالايمان فسميت بذلك والثاني ان اليمين هي القوة قال تعالى لأخذنا منه باليمين وسميت به لان الحالف يتقوى بيمينه على حفظ ما حلف عليه من فعل أو ترك والمراد باللغو في الايمان ما لا عقد معه ولا قصد وهو أن يحلف الرجل بالله على شيء يظن انه صادق فيه وليس كذلك سواء كان الذي يحلف عليه ماضيا أو غيره فليس له اثم ولا كفارة هذا عند أبي

حنيفة واما عند الشافعي فلغو اليمين ما سبق اليه اللسان بلا قصد الحلف نحو لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال ولو قيل لواحد منهم سمعتك تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة وفي الآية معنيان أحدهما لا يعاقبكم الله باللغو في ايمانكم ظنا انكم صادقون فيه (ولكن يؤاخذكم) المؤاخذة مفاعلة من الاخذ وهي المعاقبة ههنا (بما كسبت قلوبكم) اتصلوت عليه واقترفت قلوبكم من قصد الاثم بالكذب في اليمين وهو أن يحلف الرجل على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس وسميت بالغموس لانغماس صاحبها في الاثم بها وثانيهما لا تلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن تلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت من اليمين لا بكسب اللسان وحده وفي التيسير ان هذه الآية في مؤاخذة الآخرة فأما المؤاخذة المذكورة في قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فهي المؤاخذة بالكفارة لكونها في اليمين المعقودة فالآيتان في مؤاخذتين مختلفتين (والله غفور) حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا عن قلة المبالاة (حليم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة وفيه ايذان بأن المؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ هي التي تتعلق بها المغفرة والحلم دونه والفرق بين الحليم والصبور أنه الذي لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمله على المسارعة الى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال الله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة وحظ العبد من وصف الحليم ظاهر فالحلم من محاسن خصال العباد وفي الحديث ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم مرتبة الصائم القائم (قال الحسين الواعظ الكاشفي) علم با حلم خال روى بود * علم بى حلم خالك كوى بود * بردبارى چو زينت خردست * هر كرا حلم نيست زيور نيست * ثم انه قال قال العلماء اذا حلف بشئ فحنث ان كان مستقبلا فعليه كفارة وهو اليمين المنعقدة وان كان ماضيا فان كان الحالف عالما بالواقع وحلف على خلافه فاليمين كبيرة ولا كفارة عند أبي حنيفة في الكبائر وعند الشافعي تجب الكفارة فيه وهو اليمين الغموس وان كان الحالف جاهلا بالواقع ويرى انه صادق فيه وليس كذلك فلا كفارة فيه وهو يمين اللغو عند أبي حنيفة واليمين الغموس عند الشافعي ويحكم فيه بالكفارة واليمين بالله أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته فاليمين بالله ان يقول والذي أصلي له والذي نفسي بيده واليمين بأسمائه كقوله والله والرحمن ونحوه واليمين بصفته كقوله وعزة الله وعظمته وجلال الله وقدرته ونحوها ومن حلف بغير الله مثل ان قال والكعبة وبيت الله ونبي الله أو حلف بأبيه ونحوه فلا يكون يمينا ولا تجب به الكفارة اذا خالف وهي يمين مكروهة قال الشافعي وأخشى ان تكون معصية وفي الحديث من حلف بغير الله فقد أشرك بالله معناه من حلف بغير الله تعالى معتقدا تعظيم ذلك الغير فقد أشرك المحلوف به مع الله في التعظيم المختص به ولو لم يكن على قصد التعظيم والاعتقاد به فلا بأس به كقوله لا وأبي ونحو ذلك كما جرت به العادة قال علي الرازي أخاف الكفر على من قال بحياتي وبحياتك وما أشبهه ولولا أن العامة يقولونه ولا يعلمونه لقلت انه الشرك لانه لا يمين الا بالله ولا يحلف بالبراءة من الاسلام فمن فعل ذلك صادقا ان يرجع الى الاسلام سالما وان كان كاذبا يخشى عليه الكفر وفي الحديث من حلف بملة غير الاسلام كاذبا فهو كما قال وظاهر الحديث يدل على ان المسلم ان قال ان أفعل كذا فأنا يهودي ففعل يكفر وبه عمل

الشافعي وقال الحنفية لا يكفر فحملوا الحديث على التهديد وأما ان علقه بالماضي كقوله ان فعلت
كذا فأنا يهودي وقد فعل فقد اختلفت الحنفية والصحيح انه لا يكفر ان كان يعلم انه يمين وان
كان عنده انه يكفر بالحلف يكفر لانه رضي بالكفر وهو محمل الحديث عند الاكثر وفي الفتاوى
البزازية والفتوى على انه يمين يلزم عليه الكفارة والاشارة في الآية ان ما يجري على الظواهر
من غير قصد ونية في البواطن ليس له كثير خطر في الخير والشر ولا زيادة اثر ولو كان له اثر في الخير
لما عاب على قوم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وكذا ما يجري على اللسان بنية القلب بلا
فعل الجوارح لو كان مؤثرا في القبول لما عاب قوما بقوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
ولو كان له أثر في البر لما وسع على قوم بقوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم وما عفا عن قوم بقوله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان وذلك لان القلب
كالارض للزراعة والجوارح كالآلات للحراثة والاعمال والاقوال كالبذر فالبذر ما لم يقع
في الارض المربية للزراعة لا ينبت وان كان في آلة من آلات الحراثة فافهم جدا وأما ان كان
لما يجري على الظواهر من الخير أدنى آثار في القلب ولو كان مثقال ذرة فان الله من كمال فضله
وكرمه لا يضيعه حتى يكون القليل كثيرا والصغير عظيما وان كان لما يجري على الظواهر من
الشر أدنى أثر في القلب فان الله تعالى من غاية لطفه واحسانه لا يؤاخذ العبد به بل يحلم عنه
ويتوب عليه ويغفر له كما قال والله غفور حليم كذا في التأويلات النجمية (للذين يؤلون من
نسائهم) الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى لكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن
أي للذين يبعدون من نسائهم مؤلين (تربص اربعة اشهر) أي انتظار هذه المدة واضافته الى
الظرف على الاتساع في الظرف بجريه مجرى المفعول به كما يقال بينهما مسيرة يوم أي مسيرة في يوم
أي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء أو طلاق والايلاء من الزوجة ان يقول
الرجل والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر أو لا أقربك على الاطلاق ولو
حلف على أن لا يطأها أقل من أربعة أشهر لا يكون موليا بل هو حالف اذا وطئها قبل مضي تلك
المدة يجب عليه كفارة يمين على الاصح وللايلاء حكمان حكم الحنث وحكم البر فحكم الحنث
وجوب الكفارة بالوطء في مدة الايلاء ان كان اليمين بالله ولزوم الجزاء من نحو الطلاق
أو العتاق أو النذر المسمى ان كان القسم بذلك وحكم البر وقوع طلقة بائنة عند مضي مدة
الايلاء وهي أربعة أشهر ان كانت المنكوحة حرة وان كانت المنكوحة أمة الغير تبين عند مضي
شهرين قال قتادة كان الايلاء طلاقا لاهل الجاهلية وقال سعيد بن المسيب كان ذلك من ضرار
أهل الجاهلية كان الرجل لا يحب امرأته ولا يحب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها أبدا
فيتركها لا أيما ولا ذات بعل وكانوا في ابتداء الاسلام يفعلون ذلك أيضا فأزال الله ذلك الضرر
عنهن وضرب للزوج مدة يتروى فيها ويتأمل فان رأى المصلحة في ترك هذه المضارة فعله وان
رأى المصلحة في المفارقة فارقها (فان فاؤا) أي ان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك الجماع
(فان الله غفور رحيم) يغفر للمولي بنيته التي هي كتوبته اثم حنثه عند تكفيره أو ما قصد بالايلاء
من ضرار المرأة (وان عزموا الطلاق) أصل العزم والعزيمة عقد القلب على امضاء شيء تريد
فعله أي حققوه وأكدوه بأن ثبتوا في المدة على ترك القربان حتى مضت المدة (فان الله سميع)

أطلاقهم (عليم) بغرضهم فيه والاشارة فى تحقيق الآيتين ان يعلم العبد أن الله لا يضيع حق أحد من عباده لا على نفسه ولا على غيره فلما تقاصر لسان الزوجة لكونها أسيرة فى يد الزوج فالله تعالى تولى الامر برعاية حقها فأمر الزوج بالرجوع اليها أو تسريحها فاذا كان حق صحبة الاشكال محفوظا عليك حتى لو أخللت به آخذك بحكمه فحق الحق أحق بأن يجب مراعاته وفى تعيين تربص أربعة أشهر فى الفىء اشارة عجيبة وهى انها مدة تعلق الروح بالجنين كما قال عليه السلام ان أحدكم يجمع خلقه أى يحرز ويقر مادة خلقه فى بطن أمه أى فى رحمها من قبيل ذكر الكل وارادة الجزء أربعين يوما وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان النطفة اذا وقعت فى الرحم فأراد الله أن يخلق منها تنشر فى بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة فتمكث أربعين ليلة ثم تنزل دما فى الرحم فذلك جمعها ثم تكون علقة وهى قطعة دم غليظ جامد مثل ذلك أربعين يوما ثم تكون مضغة وهى قطعة لحم قدر ما تمضغ مثل ذلك ثم يرسل الله اليه الملك فينفخ فيه الروح وهذا يدل على ان التصوير يكون فى الاربعين الثالثة ويؤمر بأربع كلمات يعنى يؤمر الملك بكتابة أربع قضاياه وهو معطوف على قوله تكون علقة لان الكتابة فى الاربعين الثانية يكتب رزقه روى على صيغة المجهول والمعلوم وأجله وهو يطلق على مدة الحياة كلها وهو المراد هنا وعلى منتهاها ومنه قوله تعالى فاذا جاء أجلهم وعمله وشقى وهو من وجبت له النار أو سعيد وهو من وجبت له الجنة قدم ذكر الشقى لانه أكثر الناس كذا قال القاضى المراد بكتبه هذه الاشياء اظهارها للملك والا فقضاؤه تعالى سابق على ذلك فاذا تمهد هذا فمن وقع له من أهل القصد وقفة أو فترة فى أثناء السلوك من ملالة النفس أو نفرة الطبع فعلى الشيخ وعلى الاصحاب ان لا يفارقوه فى الحقيقة وان يعاونوه بالهمم العلية لاستجلابه ويتربصوا أربعة أشهر الرجوع فان فاء الى صدق الطلب ورعاية حق الصحبة واستغفر مما جرى منه ونفخ فيه روح الارادة مرة أخرى أقبلوا عليه وعفوا عما لديه فان هذا ربيع لا يرعاه الا المهزولون وربع لا يسكنه الا المعزولون ومنهل لا يرده الا اللاهون وباب لا يقرعه الا المالكون بل هذا شراب لا يذوقه الا العارفون وغناء لا يطرب عليه الا العاشقون وان عزموا بعد مضى أربعة أشهر طلاق منكوحة المواصلة وأصروا على ذنب المفارقة فالهم التمسك بعروة هذا فراق بينى وبينك فان الله سميع بمقالتهم عليم بحالتهم (قال السعدى) نه ما را در ميان عهد ووفا بود * جفا كردى وبد عهدى نمودى * هنوزت گر سر صلحست باز آى * كزان محبوبتر باشى كه بودى * قال أوحد المشايخ فى وقته أبو عبد الله الشيرازى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقول من عرف طريقا الى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم يعذب به أحدا من العالمين كذا فى لواقح الانوار القدسية فى مناقب العلماء والصوفية (والمطلقات) المراد بها ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لانه لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرآن أو شهران وأصل التطليق رفع القيد أى المخليات من حبال أزواجهن (يتربصن) خبر فى معنى الامر أى ليتربصن وينتظرن (بأنفسهن) الباء للتعدية أى يحملن أنفسهن على التربص ويجعلنها متربصة (ثلاثة قروء) نصب على الظرفية أى مدة ثلاثة قروء فلا تتزوجن الى انقضائها والقروء جمع قرء وهو من الاضداد فى كلام العرب يقع على الطهر والحيض

والمشهور

والمشهور أنه حقيقة فيهما كالشفق اسم للحمرة والبياض جميعا ذهب أبو حنيفة وأصحابه الى ان القروء هي الحيض لان الله تعالى جعل الاعتداد بالاشهر بدلا من الاعتداد بالقرء كما قال واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر فلما شرع ذلك عند ارتفاع الحيض دل على ان الاصل كان هو الحيض وتمسك الشافعي بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن على ان المراد بالقروء الاطهار لان اللام في لعدتهن للوقت ووقت العدة لا يجوز أن يكون وقت الحيض لانه تعالى أمر بالطلاق والطلاق في وقت الحيض منهى عنه وجوابه ان معناه فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وهي الحيض الثلاث فالطلاق يقع ثم تأخذ المرأة وتشرع في العدة وليس معنى الآية ان الطلاق واقع في العدة وفائدة الخلاف بين الشافعي وأبي حنيفة ان مدة العدة عند الشافعي اقصر وعند أبي حنيفة اطول حتى لو طلقها في حال الطهر يحسب بقية الطهر قرأ وان حاضت عقيبه في الحال فاذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعند أبي حنيفة مالم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان الطلاق في حال الطهر أو من الحيضة الرابعة ان كان الطلاق في حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها (ولا يحل لهن ان يكتمن) أي يخفين (ما خلق الله في ارحامهن) من الحبل والحيض بأن تقول المرأة لست بحامل أو لست بحائض وهي حائض لتبطل حق الزوج من الولد والرجعة وذلك اذا ارادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع وربما اسقطت الحبل خوفا ان يعود ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها استعجالا للطلاق لان الطلاق السنى انما يكون في الطهر وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) أي فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله واليوم الآخر الذى يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا وفيه تهديد شديد على النساء وليس المراد أن ذلك النهى مشروط بكونها مؤمنة لان المؤمنة والكافرة في هذا الحكم سواء (وبعولتهن) جمع بعل والبعلة المرأة واصل البعل السيد والمالك سمى الزوج بعلا لقيامه بامر زوجته كانه مالك لها ورب والتاء في البعولة لتأنيث الجمع فان الجمع لكونه بمعنى الجماعة في حكم المؤنث والتاء زائدة لتأكيد التأنيث ودلت تسمية الزوج بعلا بعد طلاقها الصريح على ان النكاح قائم والحل ثابت والضمير لبعض افراد المطلقات لانهن عام شامل للمطلقة بالطلاق الرجعي والبائن ولا حق لازواج المطلقات البوائن في النكاح والرجعة (احق بردهن) الى النكاح والرجعة اليهن (في ذلك) أي في زمان التربص فان حق الرجعة انما يثبت للزوج مادامت في العدة واذا انقضى وقت العدة بطل حق الرد والرجعة وافعل هنا بمعنى الفاعل والمعنى ان ازواجهن حقيقون بردهن اذ لا معنى للتفضيل هنا فان غير الازواج لا حق لهم فيهن البتة ولا حق أيضا للنساء في ذلك حتى لو أبت من الرجعة لم يعتد بذلك (ان أرادوا) أي الازواج بالرجعة (اصلاحا) لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا اضرارهن كما كانوا يفعلونه في الجاهلية كان الرجل يطلق امرأته فاذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح بصحة فان الرجعة صحيحة وان راجعها مضارا بها بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الضرار ثم انه تعالى لما بين ان المقصود من الرجعة اصلاح حالها لا ايصال الضرر اليها بين ان لكل واحد من الزوجين حقا على الآخر فقال (ولهن) عليهم من

الحقوق (مثل الذى) لهم (عليهن بالمعروف) قوله بالمعروف متعلق بما تعلق به لهن من الاستقرار
أى استقر لهن بالمعروف أى بالوجه الذى لا ينكر فى الشرع وعادات الناس فلا يكلفهن ما ليس
لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه ووجه المماثلة بين الحقين هو الوجوب واستحقاق المطالبة
لا الاتحاد فى جنس الحقوق مثلا اذا استحقت المرأة على الزوج المهر والنفقة والمسكن لا يستحق
هو عليها أيضا جنس هذه الحقوق (وللرجال عليهن درجة) أى زيادة فى الحق وفضل فيه وفضل
الرجل على المرأة فى العقل والدين وما يتفرع عليهما مما لا شك فيه وفضله المناسب بهذا المقام
امران الاول كون ما يستحق هو عليها افضل وأزيد مما تستحق هى عليه فانه مالك لها مستحق
لنفسها لا تصوم تطوعا الا باذنه ولا تخرج من بيتها الا باذنه وقادر على الطلاق فاذا طلقها فهو
قادر على مراجعتها شاءت المرأة أو أبت وأما المرأة فلا تملك شيأ من هذه الامور وانما حقها فيه
المهر والكفاف وترك الضرار والثانى ما أشار اليه الزجاج بقوله معناه ان المرأة تنال من الرجل
من اللذات المتفرعة على النكاح مثل ما ينال الرجل منها وله الفضيلة عليها بنفقته والقيام عليها
فالفضيلة على هذا فضيلة ما التزمه فى حقها مما يتعلق بالرحمة والاحسان كالتزام المهر والنفقة
والمسكن والذب عنها والقيام بمصالحها ومنعها عن مواقع الآفات عن أبى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت آمرا احدا ان يسجد لاحد غير الله لأمرت
المرأة أن تسجد لزوجها لما عظم الله من حقه عليها قال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل
الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فكان قيام المرأة بخدمة الرجل آكد وجوبا لهذه
الحقوق الزائدة (والله عزيز) يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه (حكيم) تنطوى شرائعه
على الحكم والمصالح واعلم ان مقاصد الزوجية لا تتم الا اذا كان كل واحد من الزوجين مراعيا
حق الآخر مصلحا لاحواله مثل طلب النسل وتربية الولد ومعاشرة كل واحد منهما الآخر
بالمعروف وحفظ المنزل وتدبير ما فيه وسياسة ما تحت ايديهما الى غير ذلك مما يستحسن شرعا
ويليق عادة وفى الحديث جهاد المرأة حسن التبعل يقال امرأة حسنة التبعل اذا كانت تحسن
عشرة زوجها والقيام بما عليها فى بيت الزوج وفى الحديث ايما امرأة ماتت وزوجها راض
عنها دخلت الجنة كما فى رياض الصالحين ومن الحقوق التزين قال ابن عباس رضى الله عنه انى
لأتزين لامرأتى كما تتزين لى لقوله تعالى ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ويقال ان المرأة مثل
الحمامة اذا نبت لها جناح طارت كذا الرجل اذا زين امرأته بالثياب فلا تجلس بالبيت وقال
رجل ما دخل دارى شر قط فقال حكيم ومن أين دخلت امرأتك (قال السعدى) دلارام باشد
زن نيك خواه * ولى از زن بد خدايا پناه (وقال بعضهم) عصمت زن را بمقام جمال * جلوه
حرامست مكر با حلال * حكى انه كان فى بنى اسرائيل رجل صالح وكان له امرأة يحبها حبا شديدا
فبعث الله اليه ان يسأله ثلاث حوائج فقال لامرأته حوائجى كثيرة لا ادرى ما اعمل فقالت
امرأته اسأل حاجة لى وحاجتين لك قال ما تريدين قالت اسأل ربك ان يصيرنى فى صورة ما كانت
صورة احسن منها وأجمل فسأل ربه فأضاء البيت من حسنها وجمالها فقامت لتخرج من بيتها
فقال زوجها الى اين تذهبين قالت الى بعض السلاطين انا لا اضيع حسنى وجمالى بعندك ومنع
الزوج خروجها ثم بلغ الخبر الى بعض السلاطين فجاء اعوانه وأخذوها من زوجها جبرا فقال

الرجل اللهم بقي لي عندك حاجتان اجعلها قردة فمسخها الله تعالى قردة فردها الملك من عنده فجاءت الى زوجها ثم قال الرجل اللهم ردها كما كانت أولا فذهبت الحوائج كلها عبثا الاهي افلحت ولاهو والاشارة ان المطلقات لما امرن بالعدة وفاء لحق الصحبة وان كان الانقطاع من الزوج لامن الزوجة امرن أن لا يغبن عن مقامه بالسرعة ويصبرن حتى يمضي مقدار من المدة الى آخر العدة وكلها دلالات على وفاء الربوبية في رعاية العبودية فان الله تعالى من كمال كرمه يرخي زمان الفضل بالاصطناع وان كان من العبد الفصل والانقطاع ويمهل العبد الى انقضاء عدة الجفاء ولا يعرض عنه سريعا الاقامة شرط الوفاء لعل العبد في مدة العدة يتنبه من نوم الغفلة وتحرك داعيته في ضمير قلبه من نتائج محبة ربه وان ابتلاه بمحنة الفرقة فيقرع بأصبع الندامة باب التوبة ويقوم على قدم الغرامة في طلب الرجعة والاوبة فيقال من كمال الفضل والنوال يا قارع الباب دع نفسك وتعال من طلب منا فلا حاجة له لزم عتبتنا مساء وصباحا (الطلاق) أي التطليق الرجعي المتقدم ذكره الذي قال تعالى فيه وبعولتهن احق بردهن (مرتان) أي دفعتان وذلك لا يكون الا على سبيل التفريق فان من اعطى الى آخر درهمين لم يجز أن يقال اعطاه مرتين حتى يعطيه اياهما دفعتين فالجمع بين الطلقتين والثلاث في الايقاع حرام عند أبي حنيفة رحمه الله الا انه سني الوقوع لا سني الايقاع فالطلاق الذي يثبت فيه للزوج حق المراجعة هو أن يوجد طلقتان فقط وأما بعد الطلقتين بأن طلق ثلاثا فلا يثبت للزوج حق الرجعة البتة ولا تحل له المرأة الا بعد زوج آخر ثم قوله الطلاق مرتان وان كان ظاهره الخبر فان معناه الامر لان حمله على ظاهره يؤدي الى وقوع الخلف في خبر الله تعالى لانه قد يوجد ايقاع الطلاق على وجه الجمع ولا يجوز الخلف في خبر الله فكان المراد منه الامر كأنه قيل طلقوهن مرتين أي دفعتين (فامساك) أي فالحكم بعدهاتين الطلقتين امساك لهن (بمعروف) وهو أن يراجعها الا على قصد المضارة بل على قصد الاصلاح وحسن المعاشرة (أو تسريح) أي تخلية (باحسان) بأن يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة ومعنى الاحسان في التسريح انه اذا تركها ادى اليها حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها وجملة الحكم في هذا الباب ان الحر اذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين بعد الدخول بها يجوز له ان يراجعها من غير رضاها ما دامت في العدة وان لم يراجعها حتى تنقضي عدتها او طلقها قبل الدخول بها أو خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها أو اذن وليها فان طلقها ثلاثا فلا تحل له ما لم تنكح زوجا غيره وأما العبد اذا كانت تحته امة فطلقها طلقتين فانها لا تحل له الا بعد نكاح زوج آخر والاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق عند أبي حنيفة رحمه الله فيملك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الامة الا طلقتين (ولا يحل لكم) روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فأتت رسول الله عليه السلام وقالت لا انا ولا ثابت ولا يجمع رأسي ورأسه شئ والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها أي سماها ثابت صداقا لها يعني لما قالت جميلة ما قالت قال ثابت يا رسول الله مرها فلترد علي الحديقة التي اعطيتها فقال عليه السلام لها ما تقولين قالت نعم

وازيده فقال عليه السلام لا احديقته فقط ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل
وكان ذلك اول خلع فى الاسلام والخطاب فى الكم مع الحكام ليطابق قوله تعالى فان خفتم فانه
خطاب مع الحكام والحكام وان لم يكونوا آخذين ومؤتين حقيقة الا انهم هم الذين يأمرون
بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكأنهم هم الذين يأخذون ويؤتون (أن تأخذوا مما آتيتموهن)
أى تأخذوا منهن بمقابلة الطلاق مما اعطيتموهن من المهور (شيأ) أى نزرا يسيرا فضلا عن
استرداد الكثير (الا ان يخافا) أى الزوجان (ألا يقيما حدود الله) أى ان لا يراعيا مواجب
الزوجية قوله الا ان يخافا استثناء مفرغ وأن يخافا محله النصب على انه مفعول من اجله مستثنى
من العام المحذوف تقديره ولا يحل لكم ان تأخذوا بسبب من الاسباب شيأ الا بسبب خوف
عدم اقامة حدود الله (فان خفتم) ايها الحكام (ان لا يقيما حدود الله) أى الحقوق التى اثبتها
النكاح وذلك بمشاهدة بعض الامارات والمخايل (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أى فيما
أعطته المرأة من بدل الخلع لا على الزوج فى أخذ ما فدت به نفسها ولا عليها فى اعطائه اياه هذا اذا
كان النشوز من قبل المرأة لانها ممنوعة عن اتلاف المال بغير حق اما اذا كان النشوز من قبل
الزوج فلا يحل له ان يأخذ شيأ مما آتاها لقوله تعالى فلا تأخذوا منه شيأ ولا يضيق عليها ليلجئها الى
الافتداء فان ذلك منهى عنه قال تعالى فى سورة النساء ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما آتيتموهن وعموم قوله تعالى فيما افتدت به يشعر بجواز المخالعة على قدر المقبوض من الزوج
وعلى الازيد والاقل وعليه جمهور الفقهاء ثم ان ظاهر الآية انه لا يباح الخلع الا عند الغضب
والخوف وجمهور المجتهدين على جوازه فى حالة الخوف وفى غير حالة الخوف فلا بد حينئذ أن
يجعل قوله الا ان يخافا استثناء منقطعا كما فى قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ
أى لكن ان قتل خطأ فدية مسلمة الى اهله قال البغوى ويجوز الخلع فى غير حال النشوز غير انه
يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى
الله الطلاق (تلك) أى الاحكام المذكورة (حدود الله) أوامره ونواهيه (فلا تعتدوها) أى
لا تتجاوزوا عنها بالمخالفة والرفض (ومن يتعد حدود الله فأولئك) المتعدون (هم الظالمون) أى
لانفسهم بتعريضها لسخط الله وعقابه اعلم ان المرأة اذا برئت من مواقع الخلل واتصفت بالعفة
فعلى الزوج ان يعاشرها بالمعروف ويصبر على سائر أوضاعها وسوء خلقها ويتأدب بآداب النبى
صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يحسن المعاشرة مع ازواجه المطهرة فحسن معاشرتهن
والصبر عليهن مما يحسن الاخلاق فلا جرم يعد الصابر من المجاهدين فى سبيل الله (روى) ان
بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت وعرض عليه التزويج فامتنع وقال
الوحدة اروح لقلبى قال فرأيت فى المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء قد فتحت وكأن
رجالا ينزلون ويسيرون فى الهواء يتبع بعضهم بعضا فكلما نظر الى واحد منهم يقول لمن وراءه
هذا هو المشؤم فيقول الآخر نعم ويقول الثالث كذلك فخفت ان أسألهم الى ان مر بى آخرهم
فقلت له من هذا المشؤم فقال أنت قلت ولم قال كنا نرفع عملك مع أعمال المجاهدين فى سبيل الله
تعالى فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين فلا ندرى ما احدثت فقال لاخوانه زوجونى فلم
يكن يفارقه زوجتان أو ثلاث (قال الكاشفى) مردى كمان ميركه بزورست وبردل • بانفس

اكرجهاد كنى مرد كامل * ولا يتيسر هذا الا لواحد بعد واحد كما قيل وللحروب رجال وان أنت تريد الطلاق فطلق نفسك (كما قيل) هركه زن نفس شوم را داد طلاق * جفتش نبود بزير اين نيلى طاق * ازمن بله نفس قدم بيرون نه * تاروح كند نسيم وصل استنشاق * ومادام تجوز نفسك تشوش باطنك وتخرب بيت قلبك فالعروس التى هى تجلى الروح لا تتراءى من وراء نقاب السر ولا تجيء بيت مشاهدتك رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره والاشارة فى الآيات أن أهل الصحبة لا يفارقون بجريمة واحدة صدرت من الرفيق الشفيق والصديق الصدوق ولا بجريمتين بل يتجاوزون مرة ومرتين وفى الثالثة فامساك بمعروف أو تسريح باحسان اما صحبة جميلة أو فرقة جميلة كما تجاوز الخضر عن موسى عليهما السلام مرتين وفى الثالثة قال هذا فراق بينى وبينك وأما الصحبة من غير تعظيم وحرمة وذهاب لذة العمر بالاخلاق الذميمة واضاعة الوقت فى تحصيل المقت فغير مرضية فى الطريقة ولا محمودة فى الشريعة بل قاطعة طريقة الحق وليس لاهل الصحبة اذا اتفقت المفارقة ان يستردوا خواطرهم من الرفقاء بالكلية ويقطعوا رحم الاخوة فى الدين ويأخذوا منهم قلوبهم بعدما آتوهم الهمم العلية فان العائد فى هبته كالعائد فى قيئه الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فى رعاية حقوق الصحبة فان خفتم أن لا يقيما حدود الله بأن تؤدى الى مداهنة أو اهمال فى حق حقوق الدين فلا جناح عليهما فيما افتدت به من الحظوظ لرعاية الحقوق تلك حدود الله من الحظوظ والحقوق فلا تعتدوها بترك الحقوق لنيل الحظوظ كذا فى التأويلات النجمية قدس الله تعالى نفسه الزاكية المقدسة (فان طلقها) أى بعد الطلقتين السابقتين (فلا تحل) تلك المرأة (له) لزوجها (من بعد) أى من بعد الطلقة الثالثة لا بطريق الرجعة ولا بتجديد العقد (حتى تنكح) تتزوج تلك المرأة (زوجا غيره) أى غير المطلق ويسمى الاجنبى زوجا لانه بالعقد يصير زوجا فسماه باسم العاقبة والنكاح هنا العقد دون الوطء وبه أخذ سعيد بن المسيب والفقط يشهد له لا يقال حتى تطأ المرأة الزوج فان المرأة موطوأة لا واطئة فالآية وان كانت مطلقة لانها انما تدل على ان عدم حلها له يمتد الى ان تتزوج بزوج آخر وينعقد بينهما عقد النكاح من غير تقييد ذلك العقد بكونه مؤديا الى جماع الزوج الثانى لكنها مقيدة بالسنة فالاجماع على اشتراط الاصابة لما روى ان امرأة رفاعة جاءت النبى عليه الصلاة والسلام فقالت ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى أى قطعه حيث طلقنى ثلاثا وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وان ما معه أى ذكره ليس بأغنى عنى من هذه أى الهدبة وأخذت من جلبابها فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال أتريدين ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم فقال لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك والمراد بالعسيلة الجماع شبه لذة الجماع بالعسل (فان طلقها) أى الزوج الثانى بعد الدخول بها (فلا جناح عليهما) أى لا اثم على الزوج الاول والمرأة (ان يتراجعا) أى يرجع كل منهما الى صاحبه بعقد جديد (ان ظنا ان يقيما حدود الله) أى ان كان فى ظنهما انهما يقيمان حدود الله أى ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية ولم يقل ان علما لان العواقب غير معلومة والانسان لا يعلم ما فى الغد وانما يظن ظنا (وتلك) اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا (حدود الله) أى أحكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة (يبينها) بهذا البيان (لقوم يعلمون) أى يفهمون ويعملون بمقتضى العلم وتخصيصهم

بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان والجاهل اذا بين له لا يحفظ ولا يتعاهد
* نكته كفتن پيش كژفهمان ز حكمت بيكمان * جوهرى چند از جواهر ريختن پيش خرست
* ثم ان الحكمة فى اشتراط اصابة الزوج الثانى فى التحليل وعدم كفاية مجرد العقد فيه الردع
عن المسارعة الى الطلاق فان الغالب ان يستنكر الزوج ان يستفرش زوجته رجل آخر وهذا
الردع انما يحصل بتوقف الحل على الدخول وأما مجرد العقد فليس منه زيادة نفرة وتهييج غيرة
فلا يصلح توقف الحل عليه رادعا وزاجرا عن التسرع الى الطلاق والنكاح والمعقود بشرط
التحليل وهو أن يشترط فى النكاح ان يقتصر على قدر التحليل ولا يستديم زوجيتها فاسد عند
الاكثر وجائز عند أبى حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان أضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة
وفى شرح الزيلعى لو خافت المرأة المطلقة ثلاثا ان لا يطلقها المحلل فقالت زوجتك نفسى على ان
أمرى بيدى أطلق نفسى كلما أردت فقبل جاز النكاح وصار الامر بيدها وفيه أيضا ومن
لطائف الحيل فيه ان تزوج المطلقة من عبد صغير تتحرك آلته ثم تملكه بسبب من الاسباب بعد
ما وطئها فينفسخ النكاح بينهما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له
بكسر اللام والمراد به الزوج الثانى والمحلل له بفتح اللام والمراد به الزوج الاول فان قلت ما معنى
لعنهما قلت معنى اللعن على المحلل لانه نكح على قصد الفراق والنكاح شرع للدوام وصار
كالتيس المستعار والتيس هو الذكر من الغنم وقد يستعيره الناس لاستيلاد الغنم واللعن على
المحلل له لانه صار سببا لمثل هذا النكاح والمتسبب شريك المباشر فى الاثم والثواب أو المراد من
اللعن اظهار خساستهما اما خساسة المحلل فلمباشرته مثل هذا النكاح بدليل قوله عليه السلام
ألا أنبئكم بالتيس المستعار وأما خساسة المحلل له فلمباشرة ما ينفر عنه الطبع السليم من عودها
اليه بعد مضاجعة غيره اياها واستمتاعه بها لا حقيقة اللعن اذ هو لا يليق بمنصب الرسالة فى حق
الامة لانه عليه الصلاة والسلام لم يبعث لعانا والاشارة فى الآيات أهل الصحبة لما تجاوزوا عن
زلة الاخوان مرة ومرتين ثم فى الثالثة ان سلكوا طريق الهجران وخرجوا عن مصاحبة
الاخوان فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى يصاحب الخائن صديقا مثله فان ندم بعد
ذلك على أفعاله وسئم من ذلك الصديق وأمثاله وترك صحبته وخرج عن خصاله ورجع الى صحبة
اخوانه وأشكاله فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما شرائط العبودية والصحبة فى الله
وتلك طرق قربات الله والسائرين الى الله يبينها بالتصريح والتعريض والعبارات والاشارات
لقوم يعلمون المعاريض ويفهمون الاشارات كذا فى التأويلات النجمية قال أحمد بن
خضرويه الطريق واضح والدليل لائح والداعى قد أسمع فما التحير بعد هذا الا من العمى (قال
الحافظ) وصل خورشيد بشبپرهٔ اعمى نرسد * كه درين آينه صاحب نظران حيرانند
(واذا طلقتم النساء) أى نساءكم (فبلغن أجلهن) أى آخر عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد
حقيقة انقضاء العدة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها بالمعروف نزلت فى رجل من
الانصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها بقصد
مضارتها (فأمسكوهن بمعروف) أى راجعوهن من غير طلب اضرار لهن بالرجعة والمعروف
ما ألفته العقول واستحسنته النفوس شرعا وعرفا وعادة والمراد به هنا حسن المعاشرة

(او سرحوهن بمعروف) أو خلوهن حتى تنقضى عدتهن من غير تطويل (ولا تمسكوهن ضرارا) أى ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن بتطويل العدة والحبس على ان يكون انتصاب ضرارا على العلة أو مضارين على الحال فان قلت لا فرق بين قوله امسكوهن بمعروف وبين قوله لا تمسكوهن ضرارا لان الامر بالشئ نهى عن ضده فما الفائدة فى التكرار قلت ان الامر لا يفيد التكرار ولا يدل على كون امتثال المأمور به مطلوبا فى كل الاوقات فدل لا تمسكوهن على المبالغة فى التوصية بالامساك بالمعروف لدلالته على ان الامساك المذكور مطلوب منه فى جميع الاوقات (لتعتدوا) متعلق بضرارا اذ المراد تقييده أى لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء (ومن يفعل ذلك) أى ما ذكر من الامساك المؤدى الى الظلم (فقد ظلم نفسه) فى ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب (ولا تتخذوا آيات الله) المنطوية على الاحكام المذكورة أو جميع آياته وهى داخلة فيها دخولا أوليا (هزوا) أى مهزوا بها بالاعراض عنها والتهاون فى العمل بما فيها والنهى عن الشئ كناية عن الامر بضده لان المخاطبين مؤمنون ليس من شأنهم الهزء بآيات الله أى جدوا فى الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها (قال الحكيم السنائى) دانشت هست وكار بستن كو * خبرت هست وصف شستن كو * ولما رغبهم فى رعاية التكاليف والعمل بها بالتهديد على التهاون بها أكد ذلك الامر بذكر نعم الله عليهم بأن يشكروها ويقوموا بحقوقها فقال (واذكروا نعمت الله) كائنة (عليكم) حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية أى قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها وقيل واذكروا انعام الله عليكم بأن خلقكم رجالا وجعل لكم أزواجا تسكنون اليها وجعل النكاح والطلاق والرجعة بأيديكم ولم يضيق عليكم كما ضيق على الاولين حين أحل لهم امرأة واحدة ولم يجوز لهم بعد موت المرأة نكاح أخرى (وما أنزل عليكم) عطف على نعمة الله أى وما أنزله الله عليكم (من الكتاب والحكمة) أى القرآن والسنة أفردهما بالذكر اظهارا لشرفهما (يعظكم به) أى بما أنزل عليكم حال من فاعل أنزل وهو ضمير أنزل أى اذكروا نعمة الله وما أنزله عليكم واعظا به لكم ومخوفا (واتقوا الله) فى شأن المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة (واعلموا ان الله بكل شئ عليم) فلا يخفى عليه شئ مما تأتون وما تذرون فيؤاخذكم بأفانين العذاب والاشارة فى الآية أن الاذية والمضارة ليست من الاسلام ولا من آثار الايمان ولا من شعار المسلمين عموما كما قال عليه السلام المؤمن من أمنه الناس وقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ويتضمن حسن المعاشرة مع الخلق جميعا فاما الزوجات ففيهم ما خصه وصية بالامر بحسن المعاشرة معهن وترك أذيتهن والمغايظة معهن على وجه اللجاج فاما تخلية سبيل من غير جفاء أو قيام بحق الصحبة على شرائط الوفاء بلا اعتداء ومن يفعل ذلك أى من الاذية والمضارة والاعتداء بالجفاء فقد ظلم نفسه لان الله تعالى يجازى الظالم والمظلوم يوم القيامة بان يكافئ المظلوم من حسنات الظالم ويجازى الظالم من سيآت المظلوم والظالم اذا أساء الى غيره صارت نفسه مسيئة واذا أحسن صارت نفسه محسنة فترجع اساءة الظالم الى نفسه لا الى نفس غيره حقيقة فانه ظلم نفسه لا غيره ولهذا قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها (قال السعدى) مكن تا توانى دل خلق ريش * وكر ميكنى ميكنى بيخ خويش * ولا تتخذوا آيات الله هزوا أى بتلاوة ظاهرها من غير تدبر معانيها وتفهم

اشاراتها وتحقق أسرارها وتتبع حقائقها والتنور بأنوارها والاتعاظ بمواعظها وحكمها يقال ان الوعظ كالشاهين فانما يقع على الحى لا على الميت فمن مات قلبه ونعوذ بالله من ذلك لم يتأثر بالمواعظ قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم "أنتم اليوم على بينة من ربكم" يعنى على بيان قد بين لكم طريقكم مالم تظهر فيكم السكرتان سكرة العيش وسكرة الجهل (روى) انه ضلت راحلة الحسن البصرى فى طريق الحج فلقيه صبى فسأله فعرفها فلما وجد الراحلة سأله الصبى يا شيخ ما تأكل وما تلبس قال آكل خبز الشعير وألبس الصوف لا كسر شهوتى بهما قال الصبى كل ما شئت والبس كذلك بعد أن يكونا حلالا اين قال وأين تبيت قال فى الخص وهو بيت من القصب قال لا تظلم وبت حيث شئت فقال الحسن لولا صباك لكسبت منك ما تكلمت به فتبسم الصبى وقال أراك غافلا أخبرتك بالدنيا فقبلت وأخبرك بالدين فتأنف من كلامى ارجع الى منزلك فلا حج لك (قال السعدى) مرد بايد كه كيرد اندر كوش * ور نوشتست پند بر ديوار * (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أى استوفين عدتهن فالبلوغ هنا عبارة عن حقيقة الانتهاء لان المذكور بعده النكاح ولا يكون ذلك الا بعد انقضاء العدة (فلا تعضلوهن) العضل المنع والحبس والتضييق والمخاطب بالخطاب الاول هو الازواج وبالثانى هو الاولياء لما روى ان الآية نزلت فى معقل بن يسار حين منع أخته جميلة أن ترجع الى زوجها الاول البداح عبد الله ابن عاصم فانه جاء يخطبها بعد انقضاء العدة وأرادت المرأة الرجوع فلما سمع معقل الآية قال ارغم انفى وازوج أختى وأطيع ربى فالمعنى اذا طلقتم النساء أيها الازواج فلا تعضلوهن أيها الاولياء وهذا وان كان مما لا يخفى ركاكته الا ان جملة الخلائق من حيث حضورهم فى علمه تعالى لما كانت بمثابة جماعة واحدة صح توجيه أحد الخطابين الواقعين فى كلام واحد الى بعض وتوجيه الخطاب الآخر الى البعض الآخر ولعل التعريض لبلوغ الاجل مع جواز تزوج الاول قبله أيضا لدفع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمرأة ان تزوج نفسها والا لاحتيج الى نهى الاولياء عن العضل لما ان النهى لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج أنفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة وقيل الخطابان للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن من شئن من الازواج ظلما وقسرا واتباعا لحمية الجاهلية (ان ينكحن) أى لا تمنعوهن من ان يتزوجن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن (أزواجهن) ان أريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا فبالاعتبار الاخير على معنى ان ينكحن أنفسهن ممن شئن ان يكونوا أزواجا لهن (اذا تراضوا) أى الخطاب والنساء ظرف لقوله ان ينكحن أى ان ينكحن وقت التراضى (بينهم) ظرف للتراضى مفيد لرسوخه واستحكامه (بالمعروف) حال من فاعل تراضوا أى اذا تراضوا ملتبسين بالمعروف من العقد الصحيح والمهر الجائز والتزام حسن المعاشرة وشهود عدول والمعروف ما يعرفه الشرع وتستحسنه المروأة وفيه اشعار بأن المنع من التزوج بغير كفء وبما دون مهر المثل ليس من باب العضل (ذلك) اشارة الى ما مضى ذكره أى الامر الذى تلى عليكم من ترك العضل أيها الاولياء أو الازواج وتوحيد كاف الخطاب مع كون المخاطب جمعا اما على تأويل القبيل أو كل واحد أو لكون الكاف لمجرد توجيه الكلام الى الحاضر مع قطع النظر

عن كونه واحدا أو جمعا (يوعظ به) أى ينهى ويؤمر به (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر)
لانه المتعظ به والمنتفع (ذلكم) أى الاتعاظ به والعمل بمقتضاه (أزكى لكم) أنمى لكم وأنفع من
زكا الزرع اذا نما فيكون اشارة الى استحقاق الثواب (وأطهر) من أدناس الآثام وأوضار
الذنوب والمفضل عليه محذوف للعلم به أى من العضل (والله يعلم) ما فيه من النفع والصلاح
والتفصيل (وأنتم لا تعلمون) لقصور علمكم فان المكلف وان كان يعلم وجه الصلاح فى هذه
التكاليف على سبيل الاجمال الا أن التفصيل غير معلوم له واما الله تعالى فانه العالم بتفاصيل
الحكم فى كل ما أمر به ونهى عنه وبينه لعباده * بر وعلم يك ذره پوشيده نيست * كه پنهان
و پيدا بنزدش يكيست * فدعوا آراءكم وامتثلوا أمره تعالى ونهيه فى كل ما تأتون
وما تذرون وذلك كان الوالد يحمى ولده عن بعض الاطعمة صونا له عن انحراف مزاجه فذلك
محض اصلاح له لما أنه يعلم ما لا يعلمه فقد وعظنا الله تعالى فى الكتاب بكل ما هو خير وصواب
ونهانا عن كل ما يؤدى الى هلاك وتباب ولكن سماع النصيحة لا يتيسر الا لاولى الالباب كما قال
الامام الغزالى قدس سره العالى النصيحة سهل والمشكل قبولها لانها فى مذاق متبع الهوى
مر اذ المناهى محبوبة فى قلوبهم فالواعظ انما ينتفع المؤمن الحقيق وهو ما وصفه الله فى كتابه
فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه السعيد
من وعظ بغيره ومثالكم فى استماعكم ما قيل ان رجلا اصطاد طيرا فقال له لا تذبحنى فأى فائدة
لك بل خلنى وأعلمك ثلاث حكم تنفعك كلها الاولى لا تترك الفائدة المعلومة بالمظنونة والثانية
لا تصدق الشئ المستحيل والثالثة لا تعذب نفسك الى ما لم تبلغه فلما خلاه وطار قال ان فى حوصلتى
جوهرة كبيرة لو استخرجتها افتقرت فأخذ يدنو منه والطير يتباعد عنه فقال يا أحمق ما أسرع
ما نسيت الحكم تركت الفائدة المعلومة بالمظنونة حيث خليتنى والآن تعذب نفسك الى ما لم تنل
وصدقتنى فى المستحيل فان حوصلتى لا تسع الاحبة أو حبتين فكيف يحتمل فيها الجوهرة الكبيرة
فكذلك أنتم فى استماعكم (روى) ان شقيقا البلخى قدس سره كان تاجرا فى أول أمره يتجر
فى بلاد النصارى فقال له أسير النصارى فى أى مدة تجئ وتذهب فقال أجئ فى ثلاثة أشهر
وأشترى السلع فى ثلاثة وأذهب فى ثلاثة وأبيع السلع فى ثلاثة فقال الملك فهذه الشهور
السنة فما تعبد ربك فتأثر قلبه من هذا الكلام فقام عن التجارة واشتغل بالعبادة فان كان
التوفيق رفيق عبد لا يزال يقطع المسافات وان مسه الآفات الى أن يصل الى المقصود واذا وكل
الى نفسه لا يفيده ملام ولا يؤثر فيه كلام ومن النصائح التى نصح بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم أمته قوله عليه الصلاة والسلام علامة اعراض الله عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه وان امرأ
ذهبت ساعة من عمره فى غير ما خلق له لجدير أن تطول عليه حسرته ومن جاوز الاربعين ولم
يغلب خيره شره فليتجهز الى النار وفى هذه النصيحة كفاية لاهل العلم (قال السعدى) بگو
آنچه دانى سخن سودمند * وگر هيچ كس را نيايد پسند * كه فردا پشيمان برآرد خروش * كه آوخ
چرا حق نكردم بگوش * اللهم اجعلنا من المتعظين بمواعظ كلامك (والوالدات) أى جميع
الوالدات مطلقات كن أو مزوجات لان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على
عمومه (يرضعن) خبر فى معنى الامر أى ليرضعن والرضع مص الثدى للبن (أولادهن) بجمع

ولد وهو المولود ذكرا كان أو أنثى ومعنى الامر الندب ووجه الندب ان تربية الطفل بلبن الام أصلح له من سائر الالبان وان شفقة الام أتم من شفقة غيرها ثم ان حكم الندب انما هو على تقدير أن لا يضطر الولد الى لبن أمه اما اذا بلغ حالة الاضطرار بأن لا يوجد غير الام أو لا يرضع الطفل الا منها أو عجز الوالد عن الاستئجار فحينئذ يجب عليها الارضاع عند ذلك كما يجب على كل أحد مواساة المضطر فى الطعام واعلم ان حق الارضاع لهن الى أن يتزوجن بغير آباء الاولاد ان كانت مطلقات لانهن يشتغلن بخدمة الازواج فلا يتفرغن لحضانتهم على الوجه الاليق ولان الربيب يتضرر بالراب فانه ينظر اليه شزرا وينفق عليه نزرا (حولين) سنتين أصله من حال الشئ يحول اذا انقلب والحول منقلب من الوقت الاول الى الثانى (كاملين) تامين أكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه فيقال أقمت عند فلان حولين بمكان كذا وانما أقام فيه حولا وبعض الحول (لمن أراد أن يتم الرضاعة) بيان للذى توجه اليه حكم الارضاع كأنه قيل هذا الحكم لمن فقيل لمن أراد أن يتم الرضاعة ومن يحتمل أن يراد به الوالدات فقط أو هن والآباء معا واعلم أن مدة الرضاع عند أبى حنيفة حولان ونصف وعندهما حولان فقط استدلالا بهذه الآية ولا يباح الارضاع بعد هذا الوقت المخصوص على الخلاف لان اباحته ضرورية لانه جزء الآدمى فيتقدر بقدر الضرورة وقال أبو حنيفة هذه الآية محمولة على مدة استحقاق الاجرة فان الاجماع على ان مدة الرضاع فى استحقاق أجر الرضاع على الاب مقدرة بحولين حتى ان الاب لا يجبر على اعطاء أجرة بعد الحولين قال تعالى فان أرادا فصالا عن تراض الآية ولو حرم الرضاع بعد الحولين لم يكن لقوله عن تراض منهما وتشاور فائدة فالرضاع الذى تثبت به الحرمة هو ما يكون فى ثلاثين شهرا عنده ولا يحرم ما يكون بعدها وعندهما هو ما يكون فى الحولين ولا يحرم ما يكون بعد الحولين وهو مذهب الشافعى أيضا ثم ان اتمام الحولين غير مشروط عند أبى حنيفة للآية أى لان فى قوله تعالى لمن أراد أن يتم الرضاعة دلالة على جواز النقص ولو أرادت التكميل لها مطالبة النفقة واذا نقصت من غير اضرار لا تجبر على الكمال يعنى اذا فطم قبل مضى المدة واستغنى بالطعام لم تكن رضاعا وان لم يستغن يثبت به الحرمة وهو رواية عن أبى حنيفة وعليه الفتوى ذكره الزيلعى ثم انه تعالى كما وصى الام برعاية جانب الطفل فى قوله والوالدات الخ وصى الاب برعاية جانب الام حتى تتقوى على رعاية مصلحة الطفل فأمره بأن يرزقها ويكسوها بالمعروف سواء كان ذلك المعروف محدودا بشرط وعقد أم لا وقد يكون غير محدود الامن جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها من طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الاجرة فقال (وعلى المولود له) أى وعلى الذى يولد له وهو الوالد وانما لم يقل على الوالد ليعلم أن الاولاد للآباء لان الزوجة انما تلد الولد للزوج ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات (روى) أن المأمون بن الرشيد لما طلب الخلافة عابه هشام بن على فقال بلغنى انك تريد الخلافة وكيف تصلح لها وأنت ابن أمة فقال كان اسمعيل عليه السلام ابن أمة واسحق ابن حرة فأخرج الله من صلب اسمعيل خير ولد آدم صلى الله عليه وسلم وأنشد

لا تزرين بفتى من أن يكون له * أم من الروم أو سوداء دعجاء
فانما امهات الناس أوعية * مستودعات وللابناء آباء

مكو زنهار اصل عود چوبست * ببين دودش چه مشكين وخوبست (رزقهن وكسوتهن) أى رزق الامهات اذا أرضعن أولادهم ولباسهن وكذا أجر الرضاع للاظآر لانهن يحضن الى ما يقمن به أبدانهن لان الولد انما يغتذى باللبن وانما يحصل لها ذلك بالاغتذاء ويحتاج هى الى التستر فكان هذا من الحوائج الضرورية (بالمعروف) حسبما يراه الحاكم ويفى به وسعه فان قيل اذا كانت الزوجية باقية فهى مستحقة للنفقة والكسوة بسبب النكاح سواء أرضعت الولد أولم ترضعه فما وجه تعلق هذا الاستحقاق بالارضاع قلنا النفقة والكسوة تجبان فى مقابلة التمكين فاذا اشتغلت بالحضانة والارضاع لم تتفرغ لخدمة الزوج فربما يتوهم متوهم ان نفقتها وكسوتها تسقطان بالخلل الواقع فى خدمة الزوج فقطع الله ذلك الوهم بايجاب الرزق والكسوة وان اشتغلت المرأة بالارضاع هذا ما قال الواحدى فى البسيط (لا تكلف نفس الا وسعها) التكليف الالزام ومعنى تكلف الامر اظهار أثره وقوله وسعها مفعول ثان لان كلف يتعدى الى اثنين كأنه قيل لم تجب مؤنة الامهات على أنفسهن ولم قيدت تلك المؤن بكونها بالمعروف فأجيب بأنهن غير قادرات على الكسب لضعف بنيتهن واحتباسهن لمنفعة الازواج فلو أوجب مؤنهن على أنفسهن لزم تكليف العاجز وكذا لو أوجب تلك المؤن على الازواج على خلاف المعروف (لا تضار والدة بولدها) نهى أصله لا تضارر بكسر الراء الاولى فتكون المرأة هى الفاعلة أو بفتح الراء الاولى فتكون المرأة هى المفعول بها الضرار وعلى الاول يكون المعنى لا تفعل المرأة الضرار بالأب بولدها أى بسبب ايصال الضرر الى الولد وذلك بأن تمتنع المرأة من ارضاعه مع ان الأب يوسع عليها فى النفقة والكسوة فتلقى الولد عليه (ولا مولود له بولده) أى لا يفعل الاب الضرار بالام بأن ينزع الولد منها مع رغبتها فى امساكه وشدة محبتها له وعلى الوجه الثانى لا يفعل الاب الضرار بالام بأن ينزع الولد منها ولا مولود له بولده أى ولا تفعل الام الضرار بالاب بأن تلقى الولد عليه والمعنيان يرجعان الى شئ واحد وهو أن يغيظ أحدهما صاحبه بسبب الولد واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه لانه ليس بأجنبى من كل واحد منهما فالحق أن يشفق عليه كل منهما وللتنبيه على أنه جدير بأن يتفقا على استصلاحه ولا ينبغى أن يضرا به أو يتضارا بسببه (وعلى الوارث) وهو الذى لو مات الصبى ورثه أى وارث الصبى عند عدم الاب ممن كان ذا رحم محرم منه بحيث لا يجوز النكاح على تقدير أن يكون أحدهما ذكرا والآخر أنثى لا كل وارث سواء كان ذا رحم محرم منه أولم يكن وسواء كان من الرجال أو النساء (مثل ذلك) أى مثل ما وجب على الأب من الرزق والكسوة وأجر الرضاع ونفقة المحارم تجب عندنا بهذه الآية (فان أرادا) أى الوالدان (فصالا) وهو الفطام سمى فصالا لانه انما يكون بفصل الطفل عن الاغتذاء بلبن أمه الى غيره من الاقوات أى فطاما للصغير عن الرضاع قبل تمام الحولين صادرا (عن تراض منهما) أى من الوالدين لا من أحدهما فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المرأة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة وربما يضر الفطام بجسمه بقطع غذائه قبل وقت فصاله (وتشاور) فى شأن الولد وتفحص عن أحواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهى استخراج الرأى من المستشار وانما اعتبر اتفاق الوالدين لما فى الاب من الولاية وفى الام من الشفقة وهى أعلم بحال الصبى (فلا جناح عليهما) فى ذلك

ولا حرج لما أن تراضيهما انما يكون بعد استقرار رأيهما واجتهادهما فى أن صلاح الولد
فى الفطام وقلما يتفقان على الخطأ فالحاصل سواء زادا على الحولين الى ثلاثين شهرا أو نقصا
فلا جناح عليهما فى ذلك بعد استقرار رأيهما الى ما هو خير للصبى (وان أردتم) أيها الآباء
(أن تسترضعوا) المراضع (أولادكم) فالمفعول الاول محذوف واسترضع يتعدى الى اثنين بنفسه
يقال رضع الولد أمه وأرضعت المرأة ولدها واسترضعتها الولد وقيل يتعدى الى الثانى بحرف
الجر والتقدير لاولادكم أى اذا طلبتم أن تأخذوا ظئرا لارضاع أولادكم (فلا جناح عليكم) أى
لا اثم عليكم فى الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب أن يسترضع الولد ويمنع الام من الارضاع
(اذا سلمتم) أى الى المراضع (ما آتيتم) أى ما أردتم ايتاءه كما فى قوله تعالى فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله (بالمعروف) متعلق بسلمتم أى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وليس التسليم بشرط
للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الاليق والاولى فان المراضع اذا أعطين ما قدر لهن ناجزا يدا
بيد كان ذلك أدخل فى اصلاح شؤن الاطفال وقيل المراد من المعروف أن يكون الاجر من
الحلال لان المرضع اذا أكلت الحلال كان اللبن أنفع للصبى وأقرب الى صلاحه قالوا العادة
جارية ان من ارتضع امرأة فالغالب عليه اخلاقها من خير وشر ولذا قيل انه ترضعه امرأة
صالحة كريمة الاصل فان لبن المرأة الحمقاء يسرى وأثر حمقها يظهر يوما ما وفى الحديث الرضاع
يغير الطباع ومن ثمة لما دخل الشيخ أبو محمد الجوينى بيته ووجد ابنه الامام أبا المعالى يرتضع ثدى
غير أمه اختطفه منها ثم نكس رأسه ومسح بطنه وأدخل اصبعه فى فيه ولم يزل يفعل ذلك حتى
خرج ذلك اللبن قائلا يسهل على موته ولا تفسد طباعه بشرب لبن غير أمه ثم لما كبر الامام كان
اذا حصلت له كبوة فى المناظرة يقول هذه من بقايا تلك الرضعة (واتقوا الله) فى شأن مراعاة
الاحكام المذكورة فى أمر الاطفال والمراضع (واعلموا ان الله بما تعملون بصير) فيجازيكم
بذلك وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى (قال الحسين الكاشفى) كر برهنه برون آيى *
زود در تهمت جنون آيى * جامهٔ ظاهرى كه نيست ببر * تو فضيحت شوى ميان بشر *
فكر آن كن كه بى لباس ورع * چه كنى در مقام هول وفزع * خويشتن را لباس تقوى دار
* تا شوى درد وكون برخوردار * والاية مشتملة على تمهيد قواعد الصحبة وتعظيم محاسن
الاخلاق فى أحكام العشرة بل انها اشتملت على شيوع الرحمة والشفقة على البرية فان من
لا يرحم لا يرحم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن ذكر أنه لم يقبل أولاده ان الله لا ينزع
الرحمة الا من قلب شقى وفى الحديث حب الاولاد ستر من النار وكراماتهم جواز على الصراط
والاكل معهم براءة من النار وفى الحديث أربع نفقات لا يحاسب العبد بهن يوم القيامة نفقة
على أبويه ونفقة على افطاره ونفقة على سحوره ونفقة على عياله واللطف والمرحمة ممدوح جدا
عموما وخصوصا وفى الحديث ان امرأة بغيا رأت كلبا فى يوم حار يطيف ببئر قد ادلع لسانه من
العطش فنزعت له بموقها قال البخارى فنزعت خفها فأوثقته أى أحكمته بخمارها فنزعت له
من الماء فغفر لها بذلك والحديث يدل على غفران الكبيرة من غير توبة وهو مذهب أهل السنة
وعلى ان من أطعم محتاجا الى الغذاء يستحق المثوبة والجزاء فعلى العاقل العمل بالكتاب والسنة
(والذين يتوفون منكم) أى يموتون ويقبض أرواحهم بالموت وقرئ بفتح الياء أى يستوفون

آجالهم وأعمارهم وأصل التوفى أخذ الشئ وافيا كاملا يقال توفى الشئ واستوفاه فمن مات فقد أخذ عمره وافيا كاملا واستوفاه (ويذرون أزواجا) أى يتركون نساء من بعدهم وهو جمع زوج والمنكوحة تسمى زوجا وزوجة والتذكير أغلب قال تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة ويجمع أزواجا على لغة التذكير وزوجات على لغة التأنيث (يتربصن بأنفسهن) الباء للتعدية أى يجعلنها متربصة منتظرة بعد موتهم لئلا يبقى المبتدأ بلا عائد (أربعة أشهر وعشرا) أى فى تلك المدة فلا يتزوجن الى انقضاء العدة قوله عشرا أى عشرة أيام وتأنيث العشر باعتبار الليالى لان التاريخ عند العرب بالليلة بناء على انها أول الشهر واليوم تبع لها ولعل الحكمة فى تقدير عدة الوفاة بأربعة أشهر وعشر أن الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا بالثلاثة أشهر وان كان انثى يتحرك لأربعة فاعتبر أقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا أى استعانة بتلك الزيادة على العلم بفراغ الرحم اذ ربما تضعف الحركة فى المبادى فلا يحس بها وكانت عدة الوفاة فى أول الاسلام سنة فنسخت بهذه الا الحوامل فان عدتهن بوضع الحمل قال تعالى واولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن والا الاماء فان عدة المتوفى عنها زوجها اذا كانت أمة شهران وخمسة أيام نصف عدة الحرة باجماع السلف وقوله تعالى والذين يتوفون منكم خطاب مع المؤمنين فدل على ان الخطاب بهذه الفروع مختص بالمؤمنين فقط فلا وجه لايجاب العدة المذكورة على الكتابية (فاذا بلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) الخطاب للحكام وصلحاء المسلمين لانهن ان تزوجن فى مدة العدة وجب على كل واحد منعهن عن ذلك ان قدر عليه وان عجز وجب عليه أن يستعين بالسلطان (فيما فعلن فى أنفسهن) من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة (بالمعروف) حال من فاعل فعلن أى فعلن ملتبسات بالوجه الذى لا ينكره الشرع (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم عليه فلا تعملون خلاف ما أمرتم به * هركه عاصى شود بامر خدا * بيخ اورا بكند قهر خدا * واعلم ان المراد بالتربص هنا الامتناع عن النكاح والامتناع عن الخروج من المنزل الذى توفى عنها زوجها فيه والامتناع عن التزين وهذا اللفظ كالمجمل لانه ليس فيه بيان انها تتربص فى أى شئ الا انا نقول الامتناع عن النكاح مجمع عليه وأما الامتناع عن الخروج من المنزل فواجب الا عند الضرورة والحاجة وأما ترك التزين فهو واجب لما روى عن عائشة وحفصة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوجها أربعة أشهر وعشرا وانما وجب الحداد لانه لما حرم عليها النكاح فى العدة أمرت بتجنب الزينة حتى لا تكون بصفة الملتمسة للازواج ولاظهار التأسف على فوت نعمة النكاح الذى كان سبب مؤنتها وكفايتها من النفقة والسكنى وغير ذلك والحداد على الميت ثلاثة أيام وتمس المرأة الطيب فى الثالث لئلا يزيد الحداد على ثلاثة أيام فانها لو مسته فى الرابع لازداد الحداد من اليوم الرابع وهو حرام ومن السنة أن يتوقى رسوم الجاهلية من شق الجيوب وضرب الخدود وحلق الشعر كما كان عادة العرب وكذا قطعه كما كان عادة العجم وكذا رفع الصوت بالبكاء والنوح وقد برئ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمن يفعل شيأ من ذلك لانها عادات الجاهلية وأكثر أهالى هذا الزمان فى أكثر البلدان مبتلون بأمثال هذه

العادات لاسيما النساء فانهن يلبسن الالبسة السود الى أن تمضى أيام بل شهور كثيرة وربما ترى رجلا لا يلبس لباس الجمع والاعياد فلو سئل فيه لاجاب بقوله مات أبى أو أمى أو غيرهما وذلك بعد ما مضى من زمان الوفاة شهور وكذا الرافضة قد تغالت فى الحزن لمصيبة الحسين رضى الله عنه وأحدثت عليها حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتما لقتله رضى الله عنه فيقيمون فى مثل هذا اليوم العزاء ويطيلون النوح والبكاء ويظهرون الحزن والكآبة ويفعلون فعل غير أهل الاصابة ويتعدون الى سب بعض الصحابة وهذا عمل أهل الضلال المستوجبين من الله الخزى والنكال كأنهم لم يسمعوا ما ورد فى النهى عن الحداد ومن الله الرشاد والاشارة فى الآية أن موت المسلم لم يكن فراقا اختياريا بالزوج فكانت مدة وفاته أطول فكذا العبد الطالب فان حال الموت بينه وبين مطلوبه من غير اختياره فالوفاء بحصول مطلوبه فى مدة كرم محبوبه كما قال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ففى هذا تسلية قلوب المؤمنين لئلا يقطع عليهم طريق الطلب وساوس الشيطان وهو رجس النفس بأن طلب الحق أمر عظيم وشأن خطير وأنت ضعيف والعمر قصير فان منادى الكرم من سرادقات الفضل ينادى الامن طلبنى وجدنى فان الطلاب فى طلبى كذا فى التأويلات النجمية قدس الله تعالى نفسه الزاكية القدسية المرضية (ولا جناح عليكم) علم الله تعالى ان المرأة اذا مات زوجها قد يكون لها مال أو جمال أو معنى يرغب الناس فيها فأطلق للراغب أن يعرض بالخطبة فى العدة فقال تعالى ولا جناح عليكم (فيما عرضتم به) التعريض افهام المعنى بالشئ المحتمل له ولغيره (من خطبة النساء) الخطبة بالكسر التماس النكاح وبالضم الكلام المشتمل على الوعظ والزجر من الخطاب الذى هو الكلام يقال خطب المرأة أى خاطبها فى أمر النكاح والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وأما النساء اللاتى لا تكون منكوحة الغير ولا معتدته من طلاق رجعى فان خطبتهن جائزة تصريحا وتعريضا الا أن يخطبها رجل فيجاب بالرضا صريحا فههنا لا يجوز لغيره أن يخطبها لقوله عليه السلام لا يخطبن أحدكم على خطبة أخيه وان أجيب بالرد صريحا فههنا يحل لغيره أن يخطبها وان لم يوجد صريح الاجابة ولا صريح الرد ففيه خلاف والتى هى معتدة عن الطلاق الثلاث والبائن باللعان والرضاع ففى جواز التعريض بخطبتها خلاف وأما البائن التى يحل لزوجها نكاحها فى عدتها كالمختلعة والتى انفسخ نكاحها بعيب أو عنة أو اعسار نفقة فههنا يجوز لزوجها التعريض والتصريح وأما غير الزوج فلا يحل له التصريح والتعريض لانها معتدة يحل للزوج أن يستنكحها فى عدتها فلا يحل له التعريض بخطبتها كالرجعية ثم التعريض بالخطبة أن يقول لها فى العدة انك لجميلة صالحة ومن غرضى أن أتزوج أو أشتهى امرأة مثلك أو أنا محتاج الى امرأة صفتها كذا أو يقول انى حسن الخلق كثير الانفاق جميل العشرة محسن الى النساء فيصف نفسه لترغب فيه أو يقول رب راغب فيك وحريص عليك ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح بأن يقول انى أريد أن أنكحك أو أتزوجك أو أخطبك أو غير ذلك فانه كما لا يجوز أن ينكحها فى عدتها لا يجوز له أن يخطبها صريحا فيها (أو أكننتم فى أنفسكم) مفعول أكننتم محذوف وهو الضمير الراجع الى ما الموصولة فى قوله فيما عرضتم أى

أو أكننتم وه فى أنفسكم أى أضمرتم فى قلوبكم من نكاحهن فلم تذكروه صريحا ولا تعريضا الآية الاولى لاباحة التعريض فى الحال وتحريم التصريح فى الحال وهذه الآية اباحة لان يعقد قلبه على أنه سيصرح بذلك بعد انقضاء زمان العدة ثم انه تعالى ذكر الوجه الذى لاجله أباح ذلك فقال (علم الله أنكم ستذكرونهن) لاحالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فالمقصود بيان وجه اباحة الخطبة بطريق التعريض (ولكن لا تواعدوهن سرا) نصب على أنه مفعول ثان لتواعدوهن وهو استدراك على محذوف دل عليه ستذكرونهن أى فاذكروهن وأظهروا لهن رغبتكم ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه الذى هو الوطء مما يسر به (الا أن تقولوا قولا معروفا) استثناء مفرغ مما يدل عليه النهى أى لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا وهى ما تكون بطريق التعريض والتلويح (ولا تعزموا) العزم عبارة عن عقد القلب على فعل من الافعال يتعدى بنفسه وبعلى قال الراغب ودواعى الانسان الى الفعل على مراتب السانح ثم الخاطر ثم التفكر فيه ثم الارادة ثم الهمة ثم العزم فالهمة اجماع من النفس على الامر والعزم هو العقد على امضائه (عقدة النكاح) أى لا تعزموا عقد عقدة النكاح لان العزم عبارة عن عقد القلب على فعل فلا يتعلق الا بالفعل والاضافة فى قوله عقدة النكاح بيانية فلا تكون العقدة بمعنى ربط المكلف اجزاء التصرف بل المراد به الحاصل بالمصدر وهو الارتباط الشرعى الحاصل بعقد العاقدين والمقصود النهى عن تزوج المعتدة فى زمان عدتها الا انه نهى عن العزم على عقد النكاح للمبالغة فى النهى عن النكاح فى زمان العدة فان العزم على الشئ متقدم عليه والنهى عن مقدمات الشئ يستلزم النهى عن ذلك الشئ بطريق الاولى (حتى يبلغ الكتاب أجله) الكتاب بمعنى المكتوب وهو المفروض والمعنى حتى تبلغ العدة المفروضة آخرها (واعلموا ان الله يعلم ما فى أنفسكم) من العزم على ما لا يجوز (فاحذروه) بالاجتناب عن العزم ابتداء واقلاعا عنه بعد تحققه (واعلموا ان الله غفور) لمن عزم ولم يفعل خشية من الله تعالى (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتأخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة فاجتنبوا أسباب العقوبة واعملوا بما أمركم به ربكم واغتنموا زمان الحياة حتى لا تتأسفوا كما قال المفرطون المتحسرون * چون ندانستم توانستم چه سود * چون بدانستم توانستم نبود * وقد وبخ الله تعالى من مال الى شهواته وهوى نفسه فى هذه الآيات من غير أن يكون له رخصة شرعية ولا بد للعاقل أن يختار رضا الله تعالى على رضا نفسه ولا يكون له مطلب أعلى من مال أو امرأة أو غيرهما الا الله تعالى قال عليه الصلاة والسلام من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فتأمل كيف جعل جزاء كل مؤمل ما أمله وثواب كل قاصد ما قصده واعتبر كيف لم يكرر ذكر الدنيا اشعارا بعدم اعتبارها لخساستها ولان وجودها العب ولهو فكأنه كلا وجود وانظر الى قوله عليه السلام فهجرته الى ما هاجر اليه وما تضمن من ابعاد ما سواه تعالى وتدبر هذا الامر اذ ذكر الدنيا والمرأة مع انهما منها يشعر بأن المراد كل شئ فى الدنيا من شهوة أو مال وان المراد بالحديث الخروج عن الدنيا بل وعن كل شئ لله قال أبو سليمان الدارانى

قدس سره ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا طلب معاش أو تزوج امرأة أو كتب الحديث
واعلم أنه ينبغى لطالب الحق أن يحصل من العلوم الشرعية ما يفرق به بين الحق والباطل
ويشتغل بالعلوم الرسمية والقوانين المتداولة قدر ما يقدر على استخراج الحديث والتفسير من
غير تعمق فى الفلسفيات وغوامض العلوم فانه زائد على قدر الكفاية منهى عنه على أصول
أهل الشريعة والطريقة فهذا أول الامر فى هذا الباب وأما أمر النهاية وهو ما بعد التحصيل
والتكميل فان السالك بقدر اشتغاله بالعلوم الظاهرة زاد بعدا عن درك الحق لان السلوك
يبتنى على التخلى والانقطاع وترك الكلام والاستماع وتفريغ الباطن من العلائق ولو كانت
علوما وطرح المشاغل الخارجية والداخلية من البين خصوصا وعموما فقول بعضهم بنفى
الاشتغال لاهل السلوك يبتنى على هذا المعنى لا على الترك من الاصل كما يزعمه جهلة الصوفية
نعوذ بالله من هذا فان العلم مطلقا هو النور به يهتدى السالك الى مسالكه وأما أرباب النهاية
من أهل السلوك فلا يمكن حصر أحوالهم فانهم لا يحتجبون لا بالكثرة عن الوحدة
ولا بعكسها اذهم تجاوزوا عن مقام الاغيار بل شاهدوا أينما قلبوا الاحداق الانوار بل حققوا
بالحقيقة فلا اغيار عندهم لا حقيقة ولا اعتبارا ولذا حبب الى النبى عليه السلام النساء
وذلك لان محبته عليه الصلاة والسلام ليست كما يعرفها الناس بل سرها مستور ولا يطلع عليه
الا من فاز بالوراثة الكبرى يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة انما بسطت الكلام فى هذا
المقام لئلا يظن أحد أن قوله فيما سبق أو كتب من خرافات الصوفية بل له محمل على ما أشرت اليه
ومن لم يسلك هذا الطريق لم يعرف قدر خطوات أهل التحقيق والتدقيق (لا جناح عليكم)
المراد من الجناح فى هذه الآية وجوب المهر أى لا تبعة من مهر (ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن)
أى غير ماسين لهن ومجامعين قال ابن الشيخ الظاهر ان كلمة ما مصدرية ظرفية والزمان محذوف
تقديره مدة عدم المسيس (أو تفرضوا لهن فريضة) كلمة أو بمعنى الا أن كقولك لألزمنك
أو تعطينى حقى أى الا أن تفرضوا لهن عند العقد مهرا والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة
المهر أصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا فى تسمية المهر فان عليه حينئذ نصف
المسمى وفى حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مثل المهر وأما اذا كان بعد المساس فعليه
فى صورة التسمية تمام المسمى وفى صورة عدمها تمام مهر المثل (ومتعوهن) عطف على مقدر
أى فطلقوهن ومتعوهن أى أعطوهن ما يتبلغن وينتفعن به والحكمة فى ايجاب المتعة جبر لما
أوحشها الزوج بالطلاق وهو درع وهو ما يستر البدن وملحفة وهو ما يستر المرأة عند خروجها
من البيت وخمار وهو ما يستر الرأس على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى (على الموسع)
يقال أوسع الرجل اذا اتسع حاله فصار ذا سعة وغنى أى الذى له سعة (قدره) امكانه وطاقته
(وعلى المقتر) يقال أقتر الرجل اذا افتقر وصار ذا اقترة والقترة الغبار وهو قليل من التراب أى
على المقل الضيق الحال (قدره) فالمتعة معتبرة بحاله لا بحالها الا انتقص عن خمسة دراهم ولا تزاد
على نصف مهر المثل لان المسمى أقوى من مهر المثل والمتعة لا تزاد على نصف المسمى فلان لا تزيد
على نصف مهر المثل أولى والقدر والقدر لغتان وذهب جماعة الى ان الساكن مصدر والمحرك
اسم كالعد والعدد والمد والمدد والقدر بالتسكين الوسع يقال هو ينفق على قدره أى على وسعه

وبالتحريك

وبالتحريك المقدار (متاعا) اسم لمصدر الفعل المذكور من قبيل قوله تعالى أنبتكم من الارض نباتا أي تمتيعا ملتبسا (بالمعروف) أي بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروأة (حقا) صفة متاعا أي متاعا واجبا (على المحسنين) أي الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال قال ابن التمجيد اعلم ان للمطلقة أربع حالات الاولى ان تكون غير ممسوسة ولم يسم لها مهر والثانية ان تكون ممسوسة وسمي لها والثالثة ان تكون ممسوسة ولم يسم لها والرابعة ان تكون غير ممسوسة وسمي لها ورفع الجناح بمعنى نفي المهر انما هو في الصورة الاولى لا في البواقي من الصور الثلاث فان فيها وجوب المهر ولم يجب في الصورة الاولى مهر لا بعضا ولا كلا اما عدم وجوب البعض فلان مهر المثل لا ينصف واما عدم وجوب الكل فلكونها غير مدخول بها ولكن لها المتعة لقوله تعالى ومتعوهن فانه في حق من جرى ذكرهن وهي المطلقات الغير الممسوسة التي لم يفرض لهن فريضة اذ لو فرضت لكان لهن تمام المهر لا المتعة (وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة) أي وان طلقتموهن من قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن عند النكاح مهرا (فنصف ما فرضتم) أي فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر وان مات أحدهما قبل الدخول فيجب عليه كاملا لان الموت كالدخول في تقرير المسمى كذلك في ايجاب مهر المثل اذا لم يكن في العقد مسمى (الا ان يعفون) استثناء من اعم الاحوال أي فلهن نصف المفروض معينا في كل حال الا في حال عفوهن أي المطلقات فانه يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه (او يعفو الذي بيده عقدة النكاح) أي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كاملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة فالمراد بقوله الذي بيده عقدة النكاح الزوج لا الولي والمراد بعفوه ان يعطيها الصداق كاملا لا النصف الواجب عليه والنصف الساقط العائد اليه بالتنصيف وتسمية الزيادة على الحق عفوا لما كان الغالب عندهم ان يسوق الزوج اليها كل المهر عند التزوج فاذا طلقها قبل الدخول فقد استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها (وان تعفوا اقرب للتقوى) واللام في التقوى تدل على علة قرب العفو تقديره العفو أقرب من أجل التقوى اذ الاخذ كانه عوض من غير معوض عنه او ترك المرأة عند ذلك ترك للتقوى وفي الحديث كفى بالمرء من الشح ان يقول آخذ حقي لا اترك منه شيأ وفي حديث الاصمعي اتى اعرابي قوما فقال لهم هذا في الحق او فيما هو خير منه قالوا وما خير من الحق قال التفضل والتغافل افضل من أخذ الحق كله كذا في المقاصد الحسنة للسخاوي (ولا تنسوا الفضل بينكم) ليس المراد منه النهي عن النسيان لان ذلك ليس في الوسع بل المراد منه الترك والمعنى لا تتركوا التفضل والافضال فيما بينكم باعطاء الرجل تمام الصداق وترك المرأة نصيبها حثهما جميعا على الاحسان والافضال وقوله بينكم منصوب بلا تنسوا (قال السعدي) كسى نيك بيند بهر دو سراى * كه نيكى رساند بخلق خداى (ان الله بما تعملون بصير) فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان والبصر في حقه تعالى عبارة عن الوصف الذي به ينكشف كمال نعوت المبصرات وذلك اوضح واجلى مما يفهم من ادراك البصر القاصر على ظواهر المرئيات وحظ العبد من البصر أمران احدهما ان يعلم انه خلق له البصر لينظر الى الآيات وعجائب الملكوت والسموات فلا يكون نظره الا عبرة قيل لعيسى عليه السلام

هل احد من الخلق مثلك فقال من كان نظره عبرة وصمته فكرة وكلامه ذكرا فهو مثلي والثاني ان يعلم انه بمرأى من الله ومسمع فلا يستهين بنظره اليه واطلاعه عليه ومن اخفى عن غير الله مالا يخفيه عن الله فقد استهان بنظر الله والمراقبة احدى ثمرات الايمان بهذه الصفة فمن قارف معصية وهو يعلم ان الله يراه فما اجسره واخسره ومن ظن انه لا يراه فما اكفره كذا في شرح الاسماء الحسنى للامام الغزالي ثم الاشارة في الآيات ان مفارقة الاشكال من الاصدقاء والعيال لمصلحة دنيوية لا جناح عليكم فيها فكيف يكون جناح ان فارقتموهم لمصلحة دينية بل انتم مأمورون بمفارقتهم لزيارة بيت الله فكيف لزيارة الله فان الواجب في زيارة بيت الله مفارقة الاهالي والاوطان وفي زيارة الله مفارقة الارواح والابدان دع نفسك وتعال قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وقوله تعالى ومتعوهن اشارة الى ان من له من الطلاب واهل الارادة مال فليمتع به اقرباءه واحباءه حين فارقهم في طلب الحق سبحانه ليزيل عنهم بحلاوة المال مرارة الفراق فان الفطام عن المألوف شديد ولا ينفق المال عليهم بقدر قربهم في القرابة وبعدهم بل يقسم بينهم على فرائض الله كالميراث فانه قد مات عنهم بالحقيقة وفي قوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى اشارة الى ان الوصول الى تقوى الله حق تقاته انما هو بترك ما سوى الله والتجاوز عنه فان المواصلة الى الخالق على قدر المفارقة عن المخلوق والتقرب الى الله بقدر التباعد عما سواه وفي قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم ههنا في الدنيا فان حلول الجنة ودخولها هنالك لا يكون الا من فضله كقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله ان الله بما تعملون في وجدان الفضل وفقدانه بصير كذا في التأويلات النجمية وانما يوجب للعبد الالتفات للعلائق فقدان النور الكاشف للعلائق والافلو أشرق نور اليقين الهادي الى العلم بان الآخرة خير من الدنيا وان ما عند الله خير وابقى لرأيت الآخرة اقرب من ان يرحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا وقد ظهرت كسفة الفناء عليها لان الآتي قطعا كالموجود في الحال لا سيما وبواديه ظاهرة من تغير الاحوال وانتقال الاهلين والاموال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح قيل يا رسول الله وهل له من علامة يعرف بها قال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله انتهى اللهم اجعلنا ممن استعد للنازلة وتهيأ للزوال وصالك (حافظوا على الصلوات) بالاداء لوقتها والمداومة عليها والمراد بالصلوات المكتوبات الخمس في كل يوم وليلة ثبت عددها بغيرها من الآيات والاحاديث المتواترة وباشارة في هذه الآية وهو ذكر الوسطى وهي ما اكتنفه عددان متساويان وأقل ذلك خمسة لا يقال ان الثلاث بهذه الصفة لانا نقول الثلاث لا يكتنفها عددان فان الذي قبلها واحد والذي بعدها واحد وهو ليس بعدد فان العدد ما اذا اجتمع طرفاه صار اضعفه وليس له طرفان فانه ليس قبله شيء (و) حافظوا على (الصلاة الوسطى) أي المتوسطة بينها على ان تكون الوسطى صفة مشبهة أو الفضلى منها على ان تكون افعل تفضيل تأنيث الاوسط وأوسط الشيء خيره وأعدله وهي صلاة العصر لانها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار ولقوله عليه الصلاة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار قال رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أى ليكن من فوتها حذرا كما يحذر من ذهاب أهله وماله ثم فى حديث يوم الاحزاب حجة على من قال الصلاة الوسطى غير العصر وعلى من قال انها مبهمة أبهمها الله تعالى تحريضا للخلق على محافظتها كساعة الاجابة يوم الجمعة فان قيل ماروت عائشة رضى الله عنها انه عليه الصلاة والسلام قال حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر يدل على ان الوسطى غير العصر قلت يحتمل ان يكون الوسطى لقبا والعصر اسما فذكرها باسمها كذا فى شرح المشارق لابن الملك (وقوموا لله) أى فى الصلاة (قانتين) حال من فاعل قوموا أى ذاكرين له فى القيام لان القنوت هو الذكر فيه أو خاشعين (روى) انهم كانوا اذا قام أحدهم الى الصلاة هاب الرحمن ان يمد بصره أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يحدث نفسه بشئ من أمور الدنيا الا ناسيا حتى ينصرف (فان خفتم) أى ان كان بكم خوف من عدو أو غيره (فرجالا) منصوب على الحال وعامله محذوف تقديره فصلوا راجلين والرجال جمع راجل مثل صحاب وصاحب (أو ركبانا) أى راكبين وهو جمع راكب مثل فرسان وفارس ومذهب أبى حنيفة انهم لا يصلون فى حال المشى والمسابقة مالم يمكن الوقوف وعند امكان الوقوف يصلى واقفا والدليل عليه قوله تعالى فان خفتم الآية (فاذا أمنتم) وزال خوفكم (فاذكروا الله) أى فصلوا صلاة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم أركانها (كما علمكم) أى ذكرا كائنا كتعليمه اياكم (مالم تكونوا تعلمون) من كيفية الصلاة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلاة المؤداة موافقة لما علمه الله وايرادها بذلك العنوان لتذكير النعمة أو اشكروا الله شكرا يوازى تعليمه اياكم مالم تكونوا تعلمونه من الشرائع والاحكام التى من جملتها كيفية اقامة الصلاة حالتى الخوف والامن واعلم ان الصلاة بمنزلة الضيافة قد هيأها الله للموحدين فى كل يوم خمس مرات فكما فى الضيافة تجتمع الالوان من الاطعمة ولكل طعام لذة ولون فكذلك فيها أركان وافعال مختلفة لكل فعل لذة وتكفير للذنوب وعن كعب الاحبار انه قال قال الله لموسى فى مناجاته ياموسى أربع ركعات يصليها أحمد وامته وهى صلاة الظهر أعطيهم فى أول ركعة منها المغفرة وفى الثانية أثقل موازينهم وفى الثالثة أوكل بهم الملائكة يسبحون ويستغفرون لهم لا يبقى ملك فى السماء ولا فى الارض الا ويستغفر لهم ومن استغفرت له الملائكة لم أعذبه أبدا وفى الرابعة افتح لهم أبواب السماء وتنظر اليهم الحور العين ياموسى اربع ركعات يصليها أحمد وامته وهى صلاة العصر مايسألون من حاجة الا قضيت لهم ياموسى ثلاث ركعات يصليها أحمد وامته وهى صلاة المغرب افتح لهم أبواب السماء ياموسى أربع ركعات يصليها أحمد وامته وهى صلاة العشاء خير لهم من الدنيا ومافيها ويخرجون من الدنيا كيوم ولدتهم امهاتهم ثم اعلم انه لا يرخص لمن سمع الاذان ترك الجماعة فانها سنة مؤكدة غاية التأكيد بحيث لو تركها أهل ناحية وجب قتالهم بالسلاح لانها من شعائر الاسلام ولو تركها أحد منهم بغير عذر شرعى يجب عليه التعزير ولا تقبل شهادته ويأثم الجيران والامام والمؤذن بالسكوت عنه وفى غنية الفتاوى من حضر المسجد الجامع لكثرة جماعة فى الصلاة فمسجد محلته أفضل قل أهل مسجده أو كثر لان لمسجده حقا عليه لا يعارضه كثرة الجماعة ولا زيادة تقوى غيره أو علمه ويبادر الصف الاول على محاذاة الامام وروى عن النبى عليه السلام انه قال يكتب للذى خلف الامام بحذائه مائة

صلاة والذى فى الجانب الايمن خمس وسبعون صلاة والذى فى الجانب الايسر خمسون صلاة
والذى فى سائر الصفوف خمس وعشرون صلاة كذا فى القنية ولا يتخطى رقاب الناس الى الصف
الاول اذا وجد فيه فرجة ويتلاصقون بحيث يكونون محاذين بالاعناق والمناكب قال عليه
السلام رصوا صفوفكم وقاربوا بينها وتقارب اشباحكم وحاذوا بالاعناق فوالذى نفسى بيده انى
لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنه الحذف الخلل بفتح الخاء المعجمة الفرجة والحذف
بفتحتى الحاء المهملة والذال المعجمة الغنم السود الصغار الحجازية كذا فى التنوير والكلام
فى اداء الصلاة بالحضور والتوجه التام (قال بعضهم) محراب ابروى تو اكر قبله ام نبود * كى بر فلك
برند ملائك نماز من * يحكى ان الشيخ أبا العباس الجوالقى كان فى بداية حاله يعمل الجوالق
ويبيع فباع يوما جوالقا بنسيئة ونسى المشترى فلما قام الى الصلاة تفكر فى ذلك ثم لما سلم قال
لتلميذه وقعت لى خاطرة فى الصلاة انى الى اى شخص بعت الجوالق الفلانى فقال تلميذه يا أستاذ
انت فى اداء الصلاة او فى تحصيل الجوالق فأثر هذا القول فى الشيخ فلم يبع جوالقا وترك الدنيا
واشتغل بالرياضة الى ان وصل الى ما وصل * مردان بسعى ورنج بجايى رسيده اند * تو بى هنر
بكارهى از نفس پرورى * والاشارة ان الله تعالى اشار فى حفظ الصلاة بصيغة المبالغة التى
بين الاثنين وقال حافظوا على الصلوات يعنى محافظة الصلاة بينى وبينكم كما قال قسمت الصلاة
بينى وبين عبدى نصفين فنصفها الى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فمعناه انى حافظتكم بقدرة
التوفيق والاجابة والقبول والاثابة عليها فحافظوا انتم على الصلاة بالصدق والاخلاص
والحضور والخشوع والمناجاة بالتذلل والانكسار والاستعانة والاستمداد والسكون والوقار
والهيبة والتعظيم وحفظ القلوب بدوام الشهود فانما هى الصلاة الوسطى لان القلب الذى فى
وسط الانسان هو واسطة بين الروح والجسد ولهذا يسمى القلب فالاشارة فى تخصيص المحافظة
على الصلاة هى صلاة القلب بدوام الشهود فان البدن ساعة يحفظ صورة اركان الصلاة وهيئتها
وساعة يخرج منها فلا سبيل الى حفظ صورتها بنعت الدوام ولا الى حفظ معانيها بوصف الحضور
والشهود وانما هو من شأن القلب كقوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع
وهو شهيد وانه من نعت ارباب القلوب انهم فى صلاتهم دائمون كذا فى التأويلات النجمية
فليسارع السالكون الى حرم الحضور قبل الموت والقبور فان الصلاة بالفتور غير مقبولة عند
الله الغفور ولا بد من الاعراض عن الكائنات ليتجلى نور الذات والا فمن يستحضر عمرا وينادى
زيدا فلا اجابة له ابدا (قال الشيخ سعدى الشيرازى قدس سره) آنكه چون پسته ديدمش همه
مغز * پوست بر پوست بود همچو پياز * پارسايان روى در مخلوق * پشت بر قبله ميكنند نماز
* ومن الله التوفيق (والذين يتوفون منكم) أى يتوفون بمعنى المشارف الى الوفاة متوفيا تسمية
للشئ باسم ما يؤل اليه وقرينة المجاز امتناع الوصية بعد الوفاة (ويذرون ازواجا) أى يدعون
نساء من بعدهم (وصية لازواجهم) أى يوصون وصية لهن والجملة خبر الذين (متاعا) أى
يوصون متاعا (الى الحول) أو متعوهن تمتيعا الى الحول (غير اخراج) بدل من قوله متاعا بدل
اشتمال لتحقق الملابسة بين تمتيعهن حولا وبين عدم اخراجهن من بيوتهن كأنه قيل يوصون
لازواجهم متاعا أى لا يخرجن من مساكنهن حولا او حال من ازواجهم أى غير مخرجات والمعنى

يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بأن يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى نزلت الآية فى رجل من الطائف يقال له حكيم بن الحرث هاجر الى المدينة وله اولاد ومعه أبواه وامرأته ومات فأنزل الله هذه الآية فاعطى النبى عليه السلام والديه واولاده من ميراثه ولم يعط امرأته شيأ وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان عدة الوفاة فى ابتداء الاسلام حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها واجبة فى مال زوجها مالم تخرج ولم يكن لها الميراث فان خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها وكان على الرجل ان يوصى بها فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع عند عدم الولد وولد الابن والثمن عند وجودهما وسقطت السكنى أيضا عند أبى حنيفة ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشر فانه وان كان متقدما فى التلاوة متأخر فى النزول (فان خرجن) من منزل الازواج باختيارهن (فلا جناح عليكم) أيها الائمة والحكام (فيما فعلن فى انفسهن من معروف) لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركه (والله عزيز) غالب على أمره يعاقب من خالفه (حكيم) يراعى فى احكامه مصالح عباده (وللمطلقات) سواء كن مدخولا بهن ام لا (متاع) أى مطلق المتعة الشاملة للمستحبة والواجبة فان كانت المطلقة مفوضة غير مدخول بها وجبت لها المتعة وان كانت غيرها يستحب لها فلفظ التمتع المدلول عليه بمتعوهن فى الآية السابقة يحمل على الواجب فلا منافاة بين الآيتين (بالمعروف) أى متاع ملتبس بالمعروف شرعا وعادة (حقا على المتقين) أى مما ينبغى على من كان متقيا فليس بواجب ولكن من شروط التقوى التبرع بهذا تطييبا لقلبها وازالة للضغن (كذلك) اشارة الى ماسبق من احكام الطلاق والعدة أى مثل ذلك البيان الواضح (يبين الله لكم آياته) الدالة على احكامه التى شرعها لعباده قال القاضى وعد بأنه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام مايحتاجون اليه معاشا ومعادا (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا مافيها فتستعملوا العقل فيها وتعملوا بموجبها (وفى المثنوى) كشتى بى لنكر آمد مرد شر * كه زباد كژ نيابد او حذر * لنكر عقلست عاقل را امان * لنكرى در يوزه كن از عاقلان *

والاشارة ان المطلقة لما ابتليت بالفراق جبر الله تعالى كسر قلبها بالمتعة يشير بهذا الى ان المريد الصادق لو ابتلى فى اوان طلبه بفراق الاعزة والاقرباء وهجران الاحبة والاصدقاء والخروج من مال الدنيا وجاهها والهجرة من الاوطان وسكانها او التنقل فى البلاد لصحبة خواص العباد ومقاساة الشدائد فى طلب الفوائد فالله تعالى يبذل له احسانه ويزيل عنه احزانه ويجبر كسر قلبه بمتعة انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى فيكون للطالب الملهوف متاع بالمعروف من نيل المعروف كذلك يظهر الله لكم آياته اصناف ألطافه واوصاف اعطافه لعلكم تعقلون بأنوار ألطافه كمالات اوصافه كذاق التأويلات النجمية فالعاقل لا ينظر الى الدنيا واعراضها بل يعبر عن منافعها واغراضها ويقاسى الشدائد فى طريق الحق الى ان يصل الى الذات المطلق (يحكى) عن شقيق البلخى انه لم يجد طعاما ثلاثة ايام وكان مشتغلا بالعبادة فلما ضعف عن العبادة رفع يده الى السماء وقال يارب أطعمنى فلما فرغ من الدعاء التفت فرأى شخصا ينظر اليه فلما التفت اليه

سلم عليه وقال يا شيخ تعال معى فقام شقيق وذهب معه فادخله ذلك الرجل فى بيت فرأى فيه ألوانا موضوعة عليها ألوان الاطعمة وعند الخوان غلمان وجوارى فأكل والرجل قائم فلما فرغ أراد أن يخرج شقيق من ذلك البيت فقال له الرجل الى أين يا شيخ فقال الى المسجد فقال ما سمعت قال شقيق فقال يا شقيق اعلم ان هذه الدار دارك والعبيد عبيدك وانا عبدك كنت عبد الابيك بعثنى الى التجارة فرجعت الآن وقد توفى أبوك فالدار وما فيها لك قال شقيق ان كان العبيد لى فهم احرار لوجه الله وان كانت الاموال لى وهبتها لكم فاقسموها بينكم فانى لا أريد شيأ يمنعنى عن العبادة (قال السعدى) تعلق حجابست وبى حاصلى * چو پيوندها بكسلى واصلى * والدنيا علاقة خصوصا هذا الزمان زمان الفتنة والشرور فالراقد فيه خير من اليقظان (حكى) ان سليمان عليه السلام اتى بشراب الجنة فقيل له لو شربت هذا لا تموت فتشاور ومع حشمه الا القنفذ قالوا بأجمعهم اشرب ثم ارسل الفرس والبازى الى القنفذ يدعوانه فلم يجبهما ثم ارسل اليه الكلب فاجابه فقال له سليمان لم تجب الفرس والبازى قال انهما باقيان لان الفرس يعدو بالعدو كما يعدو بصاحبه والبازى يطيع غير صاحبه كما يطيع صاحبه واما الكلب فانه ذو وفاء حتى انه لو طرده صاحبه من الدار يرجع اليه ثانيا فقال له أأشرب هذا الشراب قال لا تشرب لانه يطول عمرك فى السجن فالموت فى العز خير من العيش فى السجن * بهمه حال اسيرى كه ز بندى برهد * بهترش دان ز اسيرى كه كرفتار آيد * فقال له سليمان احسنت وأمر باهراقه فى البحر فعذب ماء ذلك البحر (شعر)

تزود من الدنيا فانك راحل * وبادر فان الموت لا شك نازل
وان امرأ قد عاش سبعين حجة * ولم يتزود للمعاد لجاهل
ودنيا الظل فاترك الحرص بعدما * علمت فان الظل لا بد زائل

(قال السعدى) كه اندر نعمتى مغرور وغافل * كهى از تنك دستى خسته وريش * چو در سرا وضرا حالت اينست * ندانم كى بحق پردازى از خويش * اللهم احفظنا من الموانع (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) جمع دار أى منازلهم وهذا الخطاب وان كان بحسب الظاهر متوجها الى النبى عليه السلام الا انه من حيث المعنى متوجه الى جميع من سمع بقصتهم من أهل الكتاب وارباب التواريخ فمقتضى الظاهر ان يقال الم تسمع قصتهم الا انه نزل سماعهم اياها منزلة رؤيتهم تنبيها على ظهورها واشتهارها عندهم فخوطبوا بألم تر وهو تعجيب من حال هؤلاء وتقرير أى حمل على الاقرار بما دخله النفى قال الامام الواحدى ومعنى الرؤية ههنا رؤية القلب وهى بمعنى العلم انتهى فتعدية الرؤية بالى مع انها ادراك قلبى لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى ألم ينته علمك اليهم قال العلماء كل ما وقع فى القرآن ألم تر ولم يعاينه النبى عليه السلام فهو بهذا المعنى وفى التيسير وحقيقته اعلم ذلك وفى الكواشى معناه الوجوب لان همزة الاستفهام اذا دخلت على النفى او على الاستفهام صار تقريرا او ايجابا والمعنى قد علمت خبر الذين خرجوا الآية قال ابن التمجيد فى حواشيه لفظ ألم تر قد يخاطب به من تقدم علمه بالقصة وقد يخاطب به من لم يتقدم علمه بها فانه قد يقول الرجل لآخر ألم تر الى فلان اى شئ قال يريد تعريفه ابتداء فالمخاطبون به ههنا اما من سمعها وعلمها قبل الخطاب به من أهل التواريخ فذكرهم وعجبهم واما

من لم يسمعها فعرفهم وعجبهم وقيل الخطاب عام لكل من يتأتى منه الرؤية دلالة على شيوع القصة وشهرتها بحيث ينبغي لكل أحد ان يعلمها أو يبصرها ويتعجب منها (وهم ألوف) جمع ألف الذى هو من جملة اسماء العدد واختلفوا فى عدد مبلغهم والوجه من حيث اللفظ ان يكون عددهم ازيد من عشرة آلاف لان الالوف جمع الكثرة فلا يقال فى عشرة آلاف فما دونها الوف (حذر الموت) مفعول له أى خرجوا من ديارهم خوفا من الموت (فقال لهم الله) على لسان ملك وانما اسند اليه تعالى تخويفا وتهويلا لان قول القادر القهار والملك الجبار له شأن (موتوا) التقدير فماتوا الاقتضاء قوله ثم احياهم ذلك التقدير لان الاحياء يستدعى سبق الموت (ثم احياهم) أى اعادهم احياء ليستوفوا بقية اعمارهم وليعلموا ان لا فرار من القدر قال ابن العربى عقوبة لهم ثم احياهم وميتة العقوبة بعدها حياة للاعتبار وميتة الاجل لا حياة بعدها وعن الحسن أيضا اماتهم الله قبل آجالهم عقوبة لهم ثم بعثهم الى بقية آجالهم وقصة هؤلاء ما ذكره اكثر أهل التفسير انهم كانوا قوما من بنى اسرائيل بقرية من قرى واسط يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فذهب اشرافهم واغنياؤهم واقام سفلتهم وفقراؤهم فهلك اكثر من بقى فى القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا اصحابنا كانوا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء بها فوقع الطاعون من العام القابل فهرب عامة أهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح بين جبلين فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من اسفل الوادى وملك آخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا من غير علة بامر الله ومشيئته وماتت دوابهم كموت رجل واحد فاتت عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم أى انتنت فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فأحدقوا حولهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها فأتت على ذلك مدة وقد بليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم نبى يقال له حزقيل بن بوذى ثالث خلفاء بنى اسرائيل بعد موسى عليه السلام وذلك ان القيم بعد موسى بامر بنى اسرائيل كان يوشع بن نون ثم كالب بن يوحنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله لها وقال الحسن هو ذو الكفل وسمى حزقيل ذا الكفل لانه كفل سبعين نبيا وأنجاهم من القتل وقال لهم اذهبوا فانى ان قتلت كان خيرا لكم من ان تقتلوا جميعا فلما جاء اليهود وسألوا ذا الكفل عن الانبياء السبعين قال انهم ذهبوا ولا ادرى أين هم ومنع الله تعالى ذا الكفل عن اليهود بفضله وكرمه فلما مر حزقيل على اولئك الموتى وقف عليهم لكثرة ما يرى فجعل يتفكر فيهم متعجبا فاوحى الله اليه اتريد أن اريك آية قال نعم فقال الله ناد ايتها العظام ان الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمعت من اعلى الوادى وادناه حتى التزق بعضها ببعض فصارت اجسادا من عظام لا لحم ولا دم ثم اوحى الله اليه ناد ايتها الارواح ان الله يأمرك ان تقومى فقاموا وبعثوا احياء يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت فبقيت فيهم بقايا من ريح النتن حتى انه بقى فى اولاد ذلك السبط من اليهود الى اليوم ثم انهم رجعوا الى بلادهم وقومهم وعاشوا دهرا سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التى كتبت لهم وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام وان

الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه الفرفاولى ان يكون فى سبيل الله (ان الله لذو فضل) عظيم (على الناس) قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى وأما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) فضله كما ينبغى اذ بعضهم وكفر بعضهم (وقاتلوا) الخطاب لهذه الامة وهو معطوف على مقدر تقديره فأطيعوا وقاتلوا (فى سبيل الله) لاعلاء دينه متيقنين ان الفرار من الموت غير مخلص وان القدر واقع فلا تحرموا من أحد الحظين اما النصر والثواب واما الموت فى سبيل الله الله الملك الوهاب (واعلموا ان الله سميع) يسمع مقالة السابقين الى الجهاد من ترغيب الغير فيه ومقالة المتخلفين عنه من تنفير الغير (عليم) بما يضمرونه فى أنفسهم يعلم ان خلف المتخلف لأى غرض وان جهاد المجاهد لاى سبب وانه لاجل الدين أو الدنيا وهو من وراء الجزاء ثم ان قوله تعالى الم تر وارد لتقبيح حال هؤلاء الذين خرجوا وقد جعل الله جزاء خروجهم الموت والخيبة فى رجائهم الخلاص وكل ذلك يدل على كراهية الفرار فثبت بهذه الآية فضيلة القرار وفائدته وفى الحديث الفار من الطاعون كالفار من الزحف وهذا الحديث يدل على ان النهى عن الخروج للتحريم وانه من الكبائر قيل ان عبد الملك هرب من الطاعون فركب ليلا وأخرج غلاما معه فكان ينام على دابته فقال للغلام حدثنى فقال من أنا حتى أحدثك فقال على كل حال حدث حديثا سمعته فقال بلغنى ان ثعلبا كان يخدم أسدا ليحميه ويمنعه ممن يريده فكان يحميه فرأى الثعلب عقابا فلجأ الى الاسد فأقعده على ظهره فانقض العقاب واختلسه فصاح الثعلب يا أبا الحرث اغثنى واذكر عهدك لى فقال انما اقدر على منعك من أهل الارض فأما أهل السماء فلا سبيل اليهم فقال عبد الملك وعظتنى وأحسنت وانصرف ورضى بالقضاء * (قال السعدى) قضا كشتى انجا كه خواهد برد * وكر ناخدا جامه برتن درد * درآبى كه پيدا نباشد كنار * غرور شناور نيايد بكار * واعلم ان ما كان من القضاء حتما مقضيا لا ينفعه شئ كما قال عليه السلام الحذر لا ينفع من القدر واما المعلق فتنفعه الصدقة وامثالها كما قال عليه السلام الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الاعمار قال بعض المحققين ان المقدرات على ضربين ضرب يختص بالكليات وضرب يختص بالجزئيات التفصيلية فالكليات المختصة بالانسان ما أخبر النبى عليه الصلاة والسلام انها محصورة فى أربعة أشياء العمر والرزق والاجل والسعادة أو الشقاوة وهى لا تقبل التغير فالدعاء فيها لا يفيد كصلة الرحم الا بطريق الفرض يعنى أن لصلة الرحم مثلا من الاثر فى الخير ما لو أمكن أن يبسط فى رزق الواصل ويؤخر فى أجله لكان ذلك ويجوز فرض المحال اذا تعلق بذلك حكمة قال تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين واما الجزئيات ولوازمها التفصيلية فقد يكون ظهور بعضها وحصوله للانسان متوقفا على اسباب وشروط ربما كان الدعاء أو الكسب والسعى والتعمد من جملتها بمعنى انه لم يقدر حصوله بدون ذلك الشرط حكى ان قصارا مر على عيسى عليه السلام مع جماعة من الحواريين فقال لهم عيسى احضروا جنازة هذا الرجل وقت الظهر فلم يمت فنزل جبريل فقال ألم تخبرنى بموت هذا القصار فقال نعم ولكن تصدق بعض ذلك بثلاثة ارغفة فنجا من الموت وقد سبق منا فى الجزء الاول عند قوله تعالى فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ما يتعلق بالطاعون والفرار

منه فليرجع اليه قال الامام القشيرى فى قوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الآية يعنى ان مسكم ألم
فتصاعد منكم انين فاعلموا ان الله سميع بأنينكم عليم باحوالكم والآية توجب عليهم تسهيل
ما يقاسونه من الالم قال قائلهم

اذا ما تمنى الناس روحا وراحة * تمنيت أن أشكو اليك وتسمع

انتهى كلامه قدس سره اللهم اجعلنا من الذين يفرون الى جنابك ويميلون (من) استفهام
للتحريض على التصدق مبتدأ (ذا) اشارة الى المقرض خبر المبتدأ أى من هذا (الذى) صفة ذا
أو بدل منه (يقرض الله) أصل القرض القطع سمى به لان المعطى يقرضه أى يقطعه من ماله
فيدفعه اليه ليرجع اليه مثله من الثواب واقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه
(قرضا) مصدر ليقرض بمعنى اقراض كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا أى اقراضا (حسنا)
أى مقرونا بالاخلاص وطيب النفس ويجوز أن يكون القرض بمعنى المقرض أى بمعنى المفعول
على انه مفعول ثان ليقرض وحسنه أن يكون حلالا صافيا عن شوب حق الغير به وقيل القرض
الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله ومن أنواع القرض قول الرجل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله أكبر (فيضاعفه له) منصوب باضمار ان عطفا على المصدر المفهوم من يقرض
الله فى المعنى فيكون مصدرا معطوفا على مصدر تقديره من ذا الذى يكون منه اقراض فمضاعفة
من الله أو منصوب على جواب الاستفهام فى المعنى لان الاستفهام وان وقع عن المقرض لفظا
فهو عن الاقراض معنى كأنه قال أيقرض الله أحد فيضاعفه وأصل التضعيف أن يزاد على
الشئ مثله او أمثاله (أضعافا) جمع ضعف حال من الهاء فى يضاعفه (كثيرة) هذا قطع للاوهام
عن مبلغ الحساب أى لا يعلم قدرها الا الله وقيل الواحد سبعمائة وحكمة تضعيف الحسنات لئلا
يفلس العبد اذا اجتمع الخصماء فظالم العباد توفى من التضعيفات لا من اصل حسناته لان
التضعيف فضل من الله تعالى واصل الحسنة الواحدة عدل منه واحدة بواحدة وذكر الامام
البيهقى أن التضعيفات فضل من الله تعالى لا يتعلق بها العباد كما لا يتعلق بالصوم بل يدخرها الحق
للعبد فضلا منه سبحانه فاذا دخل الجنة اثابه بها (قال السعدى) نكوكارى از مردم نيك راى *
يكى را بده مى نويسد خداى * كرم كن كه فردا كه ديوان نهند * منازل بمقدار احسان دهند *
ولما حثهم على الاخراج سهل عليهم الاقراض وأخبر أنهم لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه فقال (والله
يقبض) يقتر على بعض (ويبسط) يوسع على بعض أو يقتر تارة ويوسع أخرى حسبما تقتضيه
مشيئته المبنية على الحكم والمصالح واذا علم العبد ذلك هان عليه الاعطاء لان الله تعالى هو
الرزاق وهو الذى وسع عليه فهو يسأل منه ما اعطاه ولانه يخلفه عليه فى الدنيا ويثيبه عليه
فى العقبى فكأن الله تعالى يقول اذا علمتم ان الله هو القابض والباسط وان ما عندكم انما هو من
بسطه واعطائه فلا تبخلوا عليه فاقرضوه وانفقوا مما وسع عليكم واعطاكم ولا تعكسوا بأن تبخلوا
لئلا يعاملكم مثل معاملتكم فى التعكيس بأن يقبض بعد ما بسط ولعل تأخير البسط عن القبض
فى الذكر للايماء الى انه يعقبه فى الوجود تسلية للفقراء قال الامام الغزالى فى شرح الاسماء
الحسنى القابض الباسط هو الذى يقبض الارواح من الاشباح عند الممات ويبسط الارواح
فى الاجساد عند الحياة ويقبض الصدقات من الاغنياء ويبسط الارزاق للضعفاء يبسط الرزق

على الاغنياء حتى لاتبقى فاقة ويقبضه من الفقراء حتى لاتبقى طاقة ويقبض القلوب فيضيقها عما يكشف لها من قلة مبالاته وتعاليه وجلاله ويبسطها لما يقرب اليها من بره ولطفه وجماله والقابض الباسط من العباد من الهم بدائع الحكم واوتى جوامع الكلم فتارة يبسط قلوب العباد بما يذكرهم من آلاء الله ونعمائه وتارة يقبضها بما ينذرهم به من جلال الله وكبريائه وفنون عذابه وبلائه وانتقامه من أعدائه كما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قبض قلوب الصحابة عن الحرص على العبادة حيث ذكرهم ان الله يقول لآدم يوم القيامة ابعث بعث النار فيقول كم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فانكسرت قلوبهم حتى فتروا عن العبادة فلما أصبح ورآهم على ماهم عليه من القبض والفتور روح قلوبهم وبسطها فذكر أنهم فى سائر الامم كشامة سوداء فى مسك ثور أبيض انتهى قال القشيرى فى رسالته القبض والبسط حالتان بعد ترقى العبد عن حال الخوف والرجاء والقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستانف والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف (واليه ترجعون) فيجازيكم على ماقدمتم من الاعمال خيرا وشرا على الجود بالجنة وعلى البخل بالنار وهو وعد ووعيد أو هو تنبيه على ان الغنى مفارق ماله بالموت فليبادر الى الانفاق قبل الفوت واجتمع جماعة من الاغنياء والفقراء فقال غنى ان الله تعالى رفع درجاتنا حتى استقرض منا وقال الفقير بل رفع درجاتنا حتى استقرض لنا والواحد قد يستقرض من غير الحبيب ولك أن لاتستقرض الا لاجل الحبيب وقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه عند يهودى بشعير أخذه لقوت عياله انظر عن استدان ولمن استدان وفى الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال رب كيف أطعمك وأنت رب العزة قال استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى فالقرض لايقع عند المحتاج فكأنه ذكر نفسه ونزل وصفه منزلة المحتاج كقوله مرضت فلم تعدنى جعت فلم تطعمنى شفقة وتلطفا للفقير والمريض وهذا من باب التنزلات الرحمانية عند المحققين لتكميل محبة العبد وجذبه الى حضرة أهل الشهود من عباده اذ جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين وذلك اذا شاهد العبد الفقير حلوة جمال الرحمن فى أطوار تنزلاته فى المشاهد الاعيانية (وفى المثنوى) روى خوبان زآينه زيبا شود * روى احسان از كدا پيدا شود * پس ازين فرمود حق در والضحى * بانك كم زن اى محمد بر كدا * چون كدا آينه جود ستهان * دم بود بر روى آينه زيان * فالله تعالى من كمال فضله وكرمه مع عباده خلق أنفسهم وملكهم الاموال ثم اشترى منهم أنفسهم وأموالهم ثم ردها اليهم بالعارية ثم أكرمهم فيها بالاستقراض منهم ثم بشر باضعاف كثيرة عليها فالعبد الصادق لايطلب الاعلى قدر همته ولا يريد العوض مما أعطاه الالذات تعالى فيعطيه الله ماهو مطلوبه على قدر همته ويضاعف له مع مطلوبه ما أخفى لهم من قرة أعين اضعافا كثيرة على قدر كرمه فمن يكون له متاع الدنيا بأسره قليلا فانظر ما يكون له كثيرا اللهم متعنا بما ألهمت قلوب أوليائك واجعلنا من الذين قصروا أعينهم على استطلاع أنوار القائك (ألم تر) أى ألم ينته علمك (الى) قصة (الملأ) أى قد علمت خبرهم باعلامى اياك فتعجب الملأ جماعة يجتمعون للتشاور وسموا بذلك لانهم اشراف يملؤن العيون مهابة والمجالس بهاء لاواحد له من لفظه كالقوم (من بنى اسرائيل) من للتبعيض حال من الملأ

أى كائنين بعض بنى اسرائيل وهم أولاد يعقوب (من) ابتدائية متعلقة بما تعلق به الجار الاول (بعد) وفاة (موسى اذ قالوا) منصوب بالمضاف المقدر فى الملأ أى ألم تر الى قصة الملأ أو حديثهم حين قالوا الآن الذوات لا يتعجب منها وانما يتعجب من أحوالها (لنبى لهم) اشمويل وهو الاشهر الاظهر (ابعث لنا ملكا) أى اقم وانصب لنا سلطانا يتقدمنا ويحكم علينا فى تدبير الحرب ونطيع لامره (نقاتل) معه وهو بالجزم على الجواب (فى سبيل الله) طلبوا من نبيهم ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأمير على الجيوش التى كان يجهزها ومن أمرهم بطاعته وامتثال أوامره وروى انه أمر الناس اذا سافروا ان يجعلوا أحدهم أميرا عليهم (قال) كأنه قيل فماذا قال لهم النبى حينئذ فقيل قال (هل عسيتم) قاربتم (ان كتب عليكم القتال) مع الملك شرط معترض بين عسى وخبره وهو قوله (ان لا تقاتلوا) معه قال فى الكشاف والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعنى هل الامر كما أتوقعه انكم لا تقاتلون أراد أن يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده وانه صائب فى توقعه كقوله تعالى هل أتى على الانسان معناه التقرير (قالوا وما) مبتدأ وهو استفهام انكارى خبره قوله (لنا) فى (ان لا نقاتل فى سبيل الله) أى أى سبب وغرض لنا فى ترك القتال (وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) أى والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج من الديار والاوطان والاغتراب عن الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية أسباب القتال قال بعضهم وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا جلاء واسرا ومثله يذكر اتباعا نحو * وزججن الحواجب والعيونا * وكان سبب مسئلتهم نبيهم ذلك انه لما مات موسى عليه السلام خلف بعده فى بنى اسرائيل يوشع يقيم فيهم التوراة وأمر الله حتى قبضه الله ثم خلف فيهم كالب كذلك حتى قبضه الله ثم عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله وكانت الانبياء من بنى اسرائيل بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا من التوراة ثم خلف بعد الياس اليسع وكان فيهم ما شاء الله حتى قبضه الله وخلف فيهم الخلوف وعظمت الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلنانا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة أولاد عمليق بن عاد فظهروا على بنى اسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم ولقى بنو اسرائيل منهم بلاء شديدا ولم يكن لهم نبى يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم الا امرأة حبلى فحبسوها فى بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى اسرائيل فى ولدها وجعلت المرأة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل تقول سمع الله دعائى وهو بالعبرانية اسمعيل والسين تصير شينا فى لغة عبران فكبر الغلام فاسلموه لتعلم التوراة فى بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جنب الشيخ وكان لا يأتمن عليه أحدا فدعاه بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام مسرعا الى الشيخ فقال يا أبتاه دعوتنى فكره الشيخ أن يقول لا لئلا يفزع الغلام فقال يا بنى ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتنى فقال ارجع فنم فان دعوتك الثالثة فلا تجبنى فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل فقال له

اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تأن لك وقالوا ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله آية من نبوتك وانما كان قوام أمر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك لانبيائهم فكان الملك هو الذى يسير بالجموع والنبى يقيم أمره ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من عند ربه (فلما كتب عليهم القتال) بعد سؤال النبى ذلك وبعث الملك (تولوا) أى اعرضوا وتخلفوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله ولكن لا فى ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته وانما ذكر الله ههنا ما آل أمرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافى والتباين (الا قليلا منهم) وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة وهم ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم بالتولى عن القتال وترك الجهاد وتنافى أقوالهم وأفعالهم والاشارة ان القوم لما أظهروا خلاف ما أضمروا وزعموا غير ما كتموا عرض نقد دعواهم على محك معناهم فما أفلحوا عند الامتحان اذ عجزوا عن البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان (قال الحافظ) خوش بود كر محك تجربه آيد بميان * تا سيه روى شود هر كه در وغش باشد * وهذه حال المدعين من أهل السلوك وغيرهم قال أهل الحقيقة عللوا القتال بما يرجع الى حظوظهم فخذلوا ولو قالوا كيف لا نقاتل وقد عصوا الله وخربوا بلاد الله وقهروا عباد الله وأطفؤا نور الله لنصروا وأفادت الآية ان خواص الله فيهم قليلة قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور وهذا فى كل زمان لكن الشئ العزيز القليل أعلى بهاء من الكثير الذليل (قال السعدى) خاك مشرق شنيده ام كه كنند * بچهل سال كاسه چينى * صد بروزى كنند در بغداد * لاجرم قيمتش همى بينى * وانما كان أهل الحق أقل مع ان الجن والانس انما خلقوا لاجل العبادة كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان المقصود الاعظم هو الانسان الكامل وقد حصل أولا ان المهديين وان قلوا بالعدد لكنهم كثيرون بالفضل والشرف كما قيل قليل اذا عدوا كثير اذا اشتدوا أى أظهروا الشدة وقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه السواد الاعظم هو الواحد على الحق والحكمة لا تقتضى اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلى على الله فان ذلك مما يخل بأمر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا بل تقتضى ظهور ما أضيف اليه كل من اليدين فللواحدة المضاف اليها عموم السعداء الرحمة والحنان وللاخرى القهر والغضب ولوازمهما فلا بد من الغضب لتكميل مرتبة قبضة الشمال فانه وان كانتا يديه يمينا مباركة لكن حكم كل واحدة يخالف الاخرى فعلى العاقل ان يحترز من أسباب الغضب ويجتهد فى نيل كرم الرب قال على كرم الله وجهه من ظن انه بدون الجهد يصل فهو متمن ومن ظن انه ببذل الجهد فهو متعن اللهم أفض علينا من سجال فضلك وكرمك وأوصلنا اليك بك يا أرحم الراحمين (وقال لهم نبيهم) وذلك ان أشمويل لما سأل الله تعالى ان يبعث لهم ملكا أتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل ونش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم قال وهب ضلت حمر لابى طالوت فأرسله وغلاما له فى طلبها فمرا ببيت اشمويل فقال الغلام لو دخلنا على هذا النبى فسألناه عن الحمر ليرشدنا ويدعو لنا بحاجتنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران

له شان الحمر اذ نش الدهن الذى فى القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكان على طولها
فقال لطالوت قرّب رأسك فقربه فدهنه بدهن القدس ثم قال له أنت ملك بنى اسرائيل الذى
أمرنى الله ان أملكه عليهم قال بأى آية قال بآية انك ترجع وقد وجد أبوك حمره فكان كذلك
ثم قال اشمويل لبنى اسرائيل (ان الله قد بعث لكم طالوت) اسم أعجمى ممتنع من الصرف
لتعريفه وعجمته (ملكا) حال منه أى فأطيعوه وقاتلوا عدوكم معه (قالوا) متعجبين من ذلك
ومنكرين قيل انهم كفروا بتكذيبهم نبيهم وقيل كانوا مؤمنين لكن تعجبوا وتعرّفوا وجه
الحكمة فى تمليكه كما قال الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها (أنى يكون له الملك علينا) من أين
يكون له ذلك ويستأهل (ونحن أحق بالملك منه) أولى بالرياسة عليه منه بالرياسة علينا (ولم يؤت
سعة من المال) أى لم يعط ثروة وكثرة من المال فيشرف بالمال اذا فاته الحسب يعنى كيف يتملك
علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال ولا
بدّ للملك من مال يتعضد به وسبب هذا الاستبعادات النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من أسباط
بنى اسرائيل وهو سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهودا بن
يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن طالوت من أحد هذين السبطين بل هو من ولد بنيامين
ابن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم
ونزع الملك والنبوة منهم وكانوا يسمونه سبط الاثم وكان طالوت يحترف بحرفة دنية كان رجلا
دباغا يعمل الادم فقيرا أو سقاء أو مكاريا (قال) لهم نبيهم ردا عليهم (ان الله اصطفاه عليكم) أى
اختاره فان لم يكن له نسب ومال فلله فضيلة أخرى وهو قوله (وزاده بسطة) أى سعة وامتدادا
(فى العلم) المتعلق بالملك أو به وبالديانات أيضا (والجسم) بطول القامة وعظم التركيب لان
الانسان يكون أعظم فى النفوس بالعلم وأهيب فى القلوب بالجسم وكان أطول من غيره
برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه
وبفقره ردّ عليهم ذلك أولا بأن ملاك الامر هو اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح
منكم وثانيا بأن العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة امور السياسة وجسامة البدن
ليعظم خطره فى القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما
بحظ وافر (والله يؤتى ملكه من يشاء) لما أنه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله أن يؤتيه
من يشاء من عباده (والله واسع) يوسع على الفقير ويغنيه (عليم) بمن يليق بالملك ممن لا يليق به *
وفى التأويلات النجمية انما حرم بنو اسرائيل من الملك لانهم كانوا معجبين بانفسهم متكبرين
على طالوت ناظرين اليه بنظر الحقارة فمن عجبهم قالوا ونحن أحق بالملك منه ومن تكبرهم عليه
قالوا أنى يكون له الملك علينا ومن تحقيرهم اياه قالوا ولم يؤت سعة من المال فلما تكبروا وضعهم
الله وحرموا من الملك (قال السعدى) يكى قطره باران زابرى چكيد * خجل شد چو پهناى
دريا بديد * كه جايى كه درياست من كيستم * كراوهست حقا كه من نيستم * چو خودرا
بچشم حقارت بديد * صدف دركنارش بجان پروريد * سپهرش بجايى رسانيد كار * كه
شد نامور لؤلؤى شاهوار * بلندى ازان يافت كو پست شد * در نيستى كوفت تاهست شد *
ومن بلاغات الزمخشرى كم يحدث بين الخبيثين ابن لا يؤبن والفرث والدم يخرج من بينهما اللبن

يعنى حدوثا كثيرا يحدث بين الزوجين الخبيثين ابن طيب لا يغاب بين الناس ولا يذكر بتقبيح وهذا
غير مستبعد لان اللبن يخرج من بين السرجين والدم وهما مع كونهما مستقذرين لا يؤثران فى
اللبن بشئ من طعمهما ولونهما بل يحدث اللبن من بينهما لطيفا نظيفا سائغا للشاربين قالوا يخلق
الله اللبن وسطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغى أحدهما
عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا أكلت البهيمة العلف فاستقر
فى كرشها وهو من الحيوان بمنزلة المعدة من الانسان طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه مادة اللبن
وأعلاه مادة الدم والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق
واللبن فى الضروع وتبقى الفرث فى الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تأمل
والانسان له استعداد الصلاح والفساد فتارة يظهر فى الاولاد الصلاح المبطون فى الآباء وتارة
يكون الامر بالعكس وأمر الايجاد يدور على الاظهار والابطان فانظر الى آدم وابنيه قابيل
وهابيل ثم وثم الى انتهاء الزمان والحاصل أن طالوت ولو كان أخس الناس عند بنى اسرائيل لكنه
عظيم شريف عند الله لأن النظر الالهى اذا تعلق بحجر يجعله جوهرا وبشوك يجعله وردا وريحانا
فلا معترض لحكمه ولا راد لقضائه فالوضيع من وضعه الله وان كان قد رفعه الناس والرفيع
من رفعه الله وان كان قد وضعه الناس والعاقل اذا تأمل أمثال هذا يجد من نفسه الانصاف
والسكوت وتفويض الامر الى الحى الذى لا يموت والله يقول الحق وهو يهدى السبيل
(وقال لهم نبيهم) طلبوا علامة من نبيهم على كون طالوت ملكا عليهم فقالوا ما آية ملكه فقال (ان
آية ملكه) أى علامة سلطنته (أن يأتيكم التابوت) من التوب وهو الرجوع وسمى تابوتا لانه
ظرف توضع فيه الاشياء وتودع فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج
اليه من مودعاته والمراد به صندوق التوراة وكان قد رفعه الله بعد وفاة موسى عليه السلام
سخطا على بنى اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت
قال لهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فأتاهم كما وصف والقوم
ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضى الله عنه وقال أرباب الاخبار ان
الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام تابوتا فيه تماثيل الانبياء عليهم السلام من أولاده وكان
من عود الشمشار ونحوا من ثلاثة أذرع فى ذراعين فكان عند آدم عليه السلام الى ان توفى
فتوارثه أولاده واحدا بعد واحد الى أن وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقى فى أيدى بنى
اسرائيل الى أن وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان
اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس بنى اسرائيل وكان عنده الى أن توفى ثم تداولته أيدى
بنى اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا فى شئ تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا
القتال يقدمونه بين أيديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم
يقاتلون العدو فاذا سمعوا فى التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم
العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه فى موضع البول والغائط فلما أراد الله أن يملك
طالوت سلط الله عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلى بالبواسير وهلكت من بلادهم خمس
مدائن فعلم الكفار أن ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فأخرجوه وجعلوه على عجلة وعلقوها على

نورين فأقبل الثوران يسيران وقد وكل الله بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما حتى أتيا منزل
طالوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت
في داره فلما وجدوه عنده أيقنوا بملكه فالاتيان على هذا مجاز لانه أتى به ولم يأت هو بنفسه فنسب
الاتيان اليه توسعا كما يقال ربحت التجارة وعلى الوجه الاول حقيقة (فيه) أي في اتيان التابوت
(سكينة من ربكم) أي سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم أو الضمير للتابوت قال بعض المحققين
السكينة تطلق على ثلاثة أشياء بالاشتراك اللفظي أولها ما أعطي بنو اسرائيل في التابوت كما قال
تعالى ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم قال المفسرون هي ريح ساكنة
طيبة تخلع قلب العدو بصوتها رعبا اذا التقى الصفان وهي معجزة لانبيائهم وكرامة لملوكهم
والثانية شيء من لطائف صنع الحق يلقى على لسان المحدث الحكمة كما يلقى الملك الوحي على
قلوب الانبياء مع ترويح الاسرار وكشف السر والثالثة هي التي أنزلت على قلب النبي عليه
السلام وقلوب المؤمنين وهي شيء يجمع نورا وقوة وروحا يسكن اليه الخائف ويتسلى به الحزين
كما قال تعالى فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقال بعضهم التابوت هو القلب
والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص وذكر الله الذي تطمئن اليه القلوب واتيانه تصيير قلبه
مقر العلم والوقار بعد أن لم يكن كذلك (وبقية) كائنة (مما) من للتبعيض (ترك آل موسى وآل
هرون) هما رضاض الالواح وعصا موسى من آس الجنة وثيابه ونعلاه وعمامة هرون وشيء من
التوراة وخاتم سليمان وقفيز من المن وهو الترنجبين الذي كان ينزل على بني اسرائيل ويأكلونه
في أرض التيه وآلهما انفسهما والآل مقحم أو أبناؤهما أو أتباعهما (تحمله الملائكة)
حال من التابوت أي ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة أو استئناف كأنه قيل كيف
يأتي فقيل تحمله الملائكة ثم ان التابوت لم تحمله الملائكة في الروايتين بل نزل من السماء الى
الارض بنفسه والملائكة كانوا يحفظونه في الرواية الاولى وأتى به على العجلة وعلى الثورين
بسوق الملائكة على الرواية الاخيرة وانما أضيف الحمل في القولين جميعا الى الملائكة لان من حفظ
شيأ في الطريق جاز أن يوصف بأنه حمل ذلك الشيء وان لم يحمله بل كان الحامل غيره كما يقول
القائل حملت الامتعة الى زيد اذا حفظها في الطريق وان كان الحامل غيره (ان في ذلك) يحتمل
أن يكون من تمام كلام النبي وأن يكون ابتداء خطاب من الله أي في رد التابوت أيها الفريق
(لآية) عظيمة (لكم) دالة على ملك طالوت وصدق قول نبيكم في أن الله جعله ملكا فانه أمر
مناقض للعادة (ان كنتم مؤمنين) مصدقين بالله فصدقوا بتمليكه عليكم وفي الآية اشارة الى
أن آية ملك الخلافة للعبد أن يظهر تابوت قلب فيه سكينة من ربه وهي الطمأنينة بالايمان
والانس مع الله وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وهي عصا الذكر كلمة لا اله الا الله وهي كلمة
التقوى وهي الحية التي اذا فتحت فاها تلقف سحرة صفات فرعون النفس فعصا ذكر الله في تابوت
القلوب وقد أودعها الله بين اصبعي جماله وجلاله كما قال عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين
من أصابع الرحمن فبصفة الجلال يلهمها فجورها وبصفة الاكرام يلهمها تقواها كما قال تعالى
فألهمها فجورها وتقواها ولم يستودعها ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا فشتان بين أمة سكينتهم فيما
للاعداء عليه تسلط وبين أمة سكينتهم فيما ليس للاولياء ولا للانبياء عليه ولاية وان كان في ذلك

التابوت بعض التوراة موضوعا فى تابوت قلوب هذه الامة بجميع القرآن محفوظ وان كان فى تابوتهم بيوت فيها صور الانبياء ففى تابوت قلوبهم خلوات ليس فيها معهم غير الله كما قال لا يسعنى أرضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن فاذا تيسر لطالوت روح الانسان أن يؤتى تابوت القلب الربانى فسلم ملك الخلافة وسرير السلطنة واستوثق عليه بجميع أسباط الصفات الانسانية فلا يركن الى الدنيا الغدارة المكارة بل يتهجر منها ويتبرز لقتال جالوت النفس الامارة وهذا لا يتيسر الا بفضل الله وأخذ الطريقة والتمسك بالحقيقة * رها نيست روى از طريقت متاب * بنه كام وكامى كه خواهى بياب * ومن أراد أن يزداد سكينة فليصل الى المعرفة فان المعرفة الالهية توجب السكينة فى القلب كما أن القلب يوجب السكون وسئل أبو يزيد عن المعرفة فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أى غيروا حالها عما هى عليه وكذلك اذا وردت الواردات الربانية على القلوب الممتلئة أخرجت منها كل صفة رديئة وقيل لابى يزيد بم وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار (قال السعدى) باندازه خور زاد اكر مردى * چنين پر شكم آدمى يا خمى * ندارند تن پروران آكهى * كه پر معده باشد ز حكمت تهى * اللهم احفظنا من الموانع فى طريق الوصول اليك آمين آمين (فلما فصل طالوت بالجنود) الاصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة اللازم كانفصل والمعنى انفصل عن بلده مصاحبا لهم لقتال العمالقة والجنود جمع جند وهو الجيش الاشداء مأخوذ من الجند وهى الارض الشديدة وكل صنف من الخلق جند على حدة (روى) انهم لما رأوا التابوت لم يشكوا فى النصر فتسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا يخرج معى شيخ ولا مريض ولا رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يبن بها ولا ابتغى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا أى شديد الحر وسلكوا مفازة فشكوا قلة الماء وسألوا أن يجرى الله لهم نهرا (قال) أى طالوت باخبار من النبى اشمويل (ان الله مبتليكم بنهر) أى معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه وذلك الاختبار ليظهر عند طالوت من كان مخلصا فى نيته من غيره ليميزهم من العسكر لان من لا يريد القتال اذا خالط عسكرا يدخل الضعف فى العسكر فينهزمون بشؤمه * آنكه جنك آرد بخون خويش بازى ميكند * روز ميدان آنكه بكريزد بخون لشكرى * فيميز بينهما كالذهب والفضة فيهما الخبث فيميز الخالص من غيره بالنار (فمن شرب منه) أى ابتدأ شربه من ماء النهر بأن كرع وهو تناول الماء بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا باناء (فليس منى) أى من جملتى وأشياعى المؤمنين فمن للتبعيض دخلت على نفس المتكلم للاشعار بأن أصحابه لقوة اختصاصهم واتصالهم به كأنهم بعضه أو ليس بمتحد معى فمن اتصالية كما فى قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض أى بعضهم متصل بالبعض الآخر ومتحد معه (ومن لم يطعمه) الطعم هنا بمعنى الذوق وهو التناول من الشئ تناولا قليلا يقال طعم الشئ اذا ذاقه مأكولا أو مشروبا (فانه منى) أى من أهل دينى (الا من اغترف غرفة بيده) استثناء من قوله فمن شرب منه واعتراض الجملة الثانية وهى ومن لم يطعمه للعناية بها لان عدم الذوق منه رأسا عزيمة والاغتراف رخصة وبيان حال الاخذ

بالعزيمة أهم من بيان الاخذ بالرخصة والغرفة بالضم اسم للقدر المغترف اصل فى الكف بالاغتراف والغرف أخذ الماء بآلة كالكف وهو فى الاصل القطع والغرفة التى هى العلية قطعة من البناء والباء متعلقة باغترف قال ابن عباس رضى الله عنه كانت الغرفة الواحدة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها قال الامام وهذا يحتمل وجهين أحدهما أنه كان مأذونا له أن يأخذ من الماء ما شاء مرة واحدة بقربة أو جرة بحيث كان المأخوذ فى المرة الواحدة يكفيه ودوابه وخدمه ويحمل باقيه وثانيهما أنه كان يأخذ القليل فيجعل الله فيه البركة حتى يكفى كل هؤلاء فيكون معجزة لنبى ذلك الزمان كما أنه تعالى أروى الخلق الكثير من الماء القليل فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم (فشربوا منه) أى فلما جاؤا الى النهر وابتلوا به فكرعوا فيه كروعا مثل الدواب ولم يقنعوا بالاغتراف فضلا عن أن لا يذوقوا منه شيأ (الا قليلا منهم) وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا على عدد أهل بدر فانهم اغترفوا فشربوا بالاكف ورووا وأما الذين خالفوا فشربوا كرعا فازدادوا عطشا واسودت شفاههم وبقوا على شط النهر فعرف طالوت الموافق من المخالف بخلف الابتداء * نه بى حكم شرع آب خوردن خطاست * وكرخون بفتوى بريزى رواست * ولما ردوا بالخلاف فى صفة شرب ماء أصله حلال لكن على صفة مخصوصة وهلكوا بعد الردة فما حال من تناول الحرام المحض فى الطعام والشراب كيف يقبل ويسلم ثم انه لا خلاف بين المفسرين فى أن الذين عصوا رجعوا الى بلدهم والصحيح انهم لم يجاوزوا النهر وانما رجعوا قبل المجاوزة لقوله تعالى (فلما جاوزه) أى النهر (هو) أى طالوت (والذين آمنوا) وهم القليل الذين أطاعوه ولم يخالفوه فيما ندبهم اليه وفيه اشارة الى أن من عداهم بمعزل من الايمان (معه) أى مع طالوت متعلق بجاوز لا بآمنوا (قالوا) أى بعض من معه من المؤمنين القليلين لبعض آخر منهم وهم الذين يظنون الآية فالمؤمنون الذين جاوزوا النهر صاروا فريقين فريقا يحب الحياة ويكره الموت وكان الخوف والجزع غالبا على طبعه وفريقا كان شجاعا قوى القلب لا يبالى بالموت فى طاعة الله تعالى فالقسم الاول هم الذين قالوا (لا طاقة) قوة (لنا اليوم بجالوت وجنوده) أى بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن أن يكون لنا غلبة عليهم وذلك لما شاهدوا منهم من الكثرة والقوة وكانوا مائة ألف مقاتل شاكى السلاح والقسم الثانى هم الذين أجابوهم بقولهم كم من فئة الآية (قال) كأنه قيل فماذا قال لهم مخاطبهم فقيل قال (الذين يظنون أنهم ملاقو) نصر (الله) العزيز وتأييده (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة) أى كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة والفئة اسم للجماعة من الناس قلت أو كثرت (باذن الله) أى بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر أسبابه وعدده فنحن أيضا نغلب جالوت وجنوده (والله مع الصابرين) بالنصرة على العدو وبتوفيق الصبر عند الملاقاة قال الراغب فى القصة ايماء ومثال للدنيا وأبنائها وأن من يتناول قدر ما يتبلغ به اكتفى واستغنى وسلم منها ونجا ومن تناول منها فوق ذلك ازداد عطشا ولهذا قيل الدنيا كالملح من ازداد منها عطش وفى الحديث لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب يعنى لا يزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره الا من تاب

فان الله يقبل التوبة من التائب عن حرصه المذموم وعن غيره من المذمات وههنا نكتة وهى
ان فى ذكر ابن آدم دون الانسان تلويحا الى أنه مخلوق من تراب ومن طبيعته القبض والبخل
وازالته ممكنة بأن يمطر الله عليه من غمام توفيقه فللعاقل أن لا يتعب نفسه فى جمع حطام الدنيا
فان الرزق مقسوم * أوحى الله الى داود يا داود تريد وأريد فان رضيت بما أريد كفيتك ما تريد
وان لم ترض بما أريد أتعبتك ثم لا يكون الا ما أريد فالناس مبتلون بنهر هو منهل الطبيعة
الجسمانية فمن شرب منه مفرطا فى الرى منه بالحرص فليس من أهل الحقيقة لانه من أهل
الطبيعة وعبدة الشهوات المشتغل بها عن الله الا من قنع من متاع الدنيا على ما لا بد منه من
المأكول والمشروب والملبوس والمسكن وصحبة الخلق على الاضطرار بقدر القوام فانه من
أولياء الله والحاصل أن النهر هو الدنيا وزينتها ومن بقى على شطها واطمأن بها أكثر ممن جاوزها
ولم يلتفت اليها فان أهل الله أقل من القليل وأهل الدنيا لا يحصى عددهم رزقنا الله واياكم القوت
والقناعة ولم يفصلنا عن أهل السنة والجماعة روى أنه عليه السلام قال فى وصيته لابى هريرة
رضى الله عنه عليك يا أبا هريرة بطريق أقوام اذا فزع الناس لم يفزعوا واذا طلب الناس الامان
من النار لم يخافوا قال أبو هريرة من هم يا رسول الله قال قوم من أمتى فى آخر الزمان يحشرون
يوم القيامة محشر الانبياء اذا نظر اليهم الناس ظنوهم أنبياء مما يرون من حالهم حتى أعرفهم
أنا فأقول أمتى أمتى فيعرف الخلائق أنهم ليسوا أنبياء فيمرون مثل البرق أو الريح تغشى أبصار
أهل الجمع من أنوارهم فقلت يا رسول الله مرنى بمثل عملهم لعلى ألحق بهم فقال يا أبا هريرة ركب
القوم طريقا صعبا آثروا الجوع بعد ما أشبعهم الله والعرى بعد ما كساهم الله والعطش بعد
ما أرواهم الله تركوا ذلك رجاء ما عند الله تركوا الحلال مخافة حسابه صحبوا الدنيا بأبدانهم
ولم يشتغلوا بشئ منها تعجبت الملائكة والانبياء من طاعتهم لربهم طوبى لهم وددت أن الله
جمع بينى وبينهم ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليهم ثم قال عليه السلام اذا أراد الله
بأهل الارض عذابا فنظر اليهم صرف العذاب عنهم فعليك يا أبا هريرة بطريقتهم (قال الشيخ
العطار قدس سره) درراه تومردانند ازخويش نهان مانده * بى جسم وجهت كشته بى نام
ونشان مانده * تنشان بشريعت هم دلشان بحقيقت هم * هم دل شده وهم جان نه اين ونه
آن مانده * عليهم سلام الله ورحمته وبركاته اللهم اجعلنا من اللاحقين بهم آمين آمين
(ولما برزوا) أى ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز أى فضاء من الارض
فى موطن الحرب (لجالوت وجنوده) وشاهدوا ما عليهم من العدد والعدد وأيقنوا أنهم غير
مطيقين لهم عادة (قالوا) أى جميعا عند تقوى قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثانى
متضرعين الى الله تعالى مستعينين به (ربنا) فى ندائهم بقولهم ربنا اعتراف منهم بالعبودية
وطلب لاصلاحهم لان لفظ الرب يشعر بذلك دون غيره (أفرغ علينا) افراغ الاناء اخلاؤه
عما فيه أى صب علينا وهو استعارة عن الاكمال والاكثار وأتوا بلفظة على طلبا لان يكون الصبر
مستعليا عليهم وشاملا لهم كالظرف للمظروف (صبرا) على مقاساة شدائد الحرب واقتحام
موارده الضيقة (وثبت أقدامنا) وهب لنا ما تثبت به فى مداحض القتال ومزال النزال من
قوة القلوب والقاء الرعب فى قلوب العدو ونحو ذلك من الاسباب فالمراد بثبات القدم كمال القوة

والرسوخ

والرسوخ عند المقارنة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر فى حيز واحد (وانصرنا على القوم الكافرين) بقهرهم وهزمهم واقد راعوا فى الدعاء ترتيبا بليغا حيث قدموا سؤال افراغ الصبر على قلوبهم الذى هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر على العدو الذى هو الغاية القصوى (فهزموهم) أى كسروهم بلا مكث (باذن الله) أى بنصره وتأييده اجابة لدعائهم (وقتل داود جالوت) كان جالوت الجبار رأس العمالقة وملكهم وكان من أولاد عمليق بن عاد وكان من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثلثمائة رطل حديد وكان ظله ميلا لطول قامته وكان ايشى أبو داود عليه السلام فى جملة من عبر النهر مع طالوت وكان معه سبعة من أبنائه وكان داود أصغرهم يرعى الغنم فأوحى الى نبى العسكر وهو أشمويل أن داود بن ايشى هو الذى يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء به فقال النبى اشمويل لقد جعل الله تعالى قتل جالوت على يدك فاخرج معنا الى محاربته فخرج معهم فمر داود عليه السلام فى الطريق بحجر فناداه يا داود احملنى فانى حجر هرون الذى قتل بى ملك كذا فحمله فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال له احملنى فانى حجر موسى الذى قتل بى كذا وكذا فحمله فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال له احملنى فانى حجرك الذى تقتل بى جالوت فوضعه فى مخلاته وكان من عادته رمى القذافة وكان لا يرمى بقذافته شيأ من الذئب والاسد والنمر الا صرعه وأهلكه فلما تصاف العسكران للقتال برز جالوت الجبار الى البراز وسأل من يخرج اليه فلم يخرج اليه أحد فقال يا بنى اسرائيل لو كنتم على حق لبارزنى بعضكم فقال داود لاخوته من يخرج الى هذا الاقلف فسكتوا فالتمس منه طالوت أن يخرج اليه ووعده أن يزوجه ابنته ويعطيه نصف ملكه ويجرى له خاتمه فيه فلما توجه داود نحوه أعطاه طالوت فرسا ودرعا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس فسار قريبا ثم انصرف الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على الملك فقال ما شأنك فقال ان الله تعالى ان لم ينصرنى لم يغن عنى هذا السلاح شيأ فدعنى أقاتل كما أريد قال نعم فأخذ داود مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت (روى) أنه لما نظر جالوت الى داود قذف فى قلبه الرعب فقال يا فتى ارجع فانى أرحمك أن أقتلك قال داود بل أنا أقتلك قال أتيتنى بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب قال نعم أنت شر من الكلب قال جالوت لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء قال داود بل يقسم الله لحمك فقال باسم اله ابراهيم وأخرج حجرا ثم اخرج الآخر وقال باسم اله اسحق ثم أخرج الثالث وقال باسم اله يعقوب فوضع الاحجار الثلاثة فى مقلاعه فصارت كلها حجرا واحدا ودور المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة وخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وهزم الله الجيش وخر جالوت قتيلا فأخذ داود يجره حتى ألقاه بين يدى طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى المدينة سالمين فزوجه طالوت ابنته وأجرى خاتمه فى نصف مملكته فمال الناس الى داود وأحبوه وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله فتنبه له داود وهرب منه فسلط طالوت عليه العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه وانطلق داود الى الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه دهرا طويلا فأخذ العلماء والعباد ينهون طالوت فى شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود الا قتله فأكثر فى قتل العلماء الناصحين

فلم يكن يقدر على عالم في بني اسرائيل يطيق قتله الا قتله ثم ندم على ما فعله من المعاصي والمنكرات
وأقبل على البكاء ليلا ونهارا حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي وينادي
رحم الله عبدا يعلم ان لي توبة الا أخبرني بها فلما أكثر التضرع والالحاح عليهم رق له بعض
خواصه فقال له ان دللتك أيها الملك لعلك أن تقتله فقال لا والله بل أكرمه أتم الاكرام وأنقاد
الى حكمه واخذ مواثيق الملك وعهوده على ذلك فذهب به الى باب امرأة تعلم اسم الله الاعظم
فلما القيها اقبل الارض بين يديها وسألها هل له من توبة فقالت لا والله لا أعلم لك توبة ولكن هل تعلم
مكان قبر نبي فانطلق بها الى قبر أشمويل فصلت ودعت ثم نادت صاحب القبر فخرج أشمويل من
القبر ينفض رأسه من التراب فلما نظر اليهم ثلاثتهم وقال ما لكم أقامت القيامة قالت لا ولكن
طالوت يسأل هل له من توبة قال أشمويل يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم أدع من الشر شيأ الا
فعلته وجئت اطلب التوبة قال كم لك من الولد قال عشرة رجال قال لا أعلم لك من التوبة الا أن
تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل
أنت فتقتل آخرهم ثم رجع أشمويل الى القبر وسقط ميتا ورجع طالوت ففعل ما أمر به حتى قتل
فجاء قاتله الى داود ليبشره وقال قتلت عدوك فقال داود ما أنت بالذي تحيا بعده فضرب عنقه
فكان ملك طالوت الى أن قتل أربعين سنة وأتى بنو اسرائيل بداود وأعطوه خزائن طالوت
وملكوه على أنفسهم وملك داود بعد قتل طالوت سبعين سنة (وآتاه الله الملك) أي ملك بني
اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها ولم يجتمعوا قبل داود على ملك (والحكمة) أي
النبوة ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في
سبط آخر وأنزل عليه الزبور أربعمائة وعشرين سورة وهو أول من تكلم بأما بعد وهو فصل
الخطاب الذي أوتيه داود عليه السلام (وعلمه مما يشاء) أي مما يشاء الله تعليمه اياه من صنعة
الدروع بالانة الحديد وكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده ومنطق الطير وتسبيح
الجبال وكلام الحكل والنمل والصوت الطيب والالحان الطيبة فلم يعط الله أحدا مثل صوته
وكان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد
الماء الجاري وتسكن الريح (ولولا دفع الله) المصدر مضاف الى فاعله أي صرفه (الناس)
مفعول الدفع (بعضهم) الذين يباشرون الشر والفساد وهو بدل من الناس بدل بعض من كل
(ببعض) آخر منهم يردهم عما هم عليه بما قدر الله من القتل كما في القصة المحكية وغيره وهو
متعلق بالمصدر (لفسدت الارض) وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل
وسائر ما يعمر الارض ويصلحها وقيل لولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار
لهلكت الارض ومن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ثم ان فيه تنبيها على فضيلة الملك وأنه لولاه لما انتظم أمر العالم
ولهذا قيل الدين والملك توأمان ففي ارتفاع احدهما ارتفاع الآخر لان الدين اس والملك
حارس وما لا اس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع والناس قد لا ينقادون للرسل تحت الرياسة
مع ظهور الحجج فاحتيج الى المجاهدة باللسان والسيف وذلك يكون من الانبياء ومن يتابعهم

ثم انهم آجال مضروبة عندها فوجب أن يكون لهم خلفاء بعدهم من كل عصر في اقامة الدين والجهاد فهذا دفع الله الناس بعضهم ببعض وتفصيله أن دفع الله الناس بعضهم ببعض على وجهين دفع ظاهر ودفع خفى" فالظاهر ما كان بالسواس الاربعة الانبياء والملوك والحكماء المعنيين بقوله ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا والوعاظ فسلطان الانبياء عليهم السلام على الكافة خاصهم وعامهم ظاهرهم وباطنهم وسلطان الملوك على ظواهر الكافة دون البواطن كما قيل نحن ملوك أبدانهم لا ملوك أديانهم وسلطان الحكماء على الخاصة دون العامة وسلطان الوعاظ بواطن العامة وأما الدفع الخفى" فسلطان العقل يدفع عن كثير من القبائح وهو السبب في التزام سلطان الظاهر (ولكن الله ذو فضل) عظيم لا يقادر قدره (على العالمين) كافة يعنى لكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الارض وتنتظم به مصالح العالم وتنصلح أحوال الامم فتفضله تعالى يعم العوالم كلها أما فى عالم الدنيا فبهداية طريق الرشد والصلاح وأما فى الآخرة فبالجنات والدرجات والنجاة والفلاح ومن جملة فضله تعالى على العالمين دفع البليات عن بعض عباده بلا واسطة كالانبياء وكل الاولياء ومن اقتفى أثرهم من أهل اليقين (تلك) اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت (آيات الله) المنزلة من عنده (نتلوها عليك) أى بواسطة جبريل (بالحق) حال من مفعول نتلوها أى ملتبسة بالوجه المطابق الذى لا يشك فيه أهل الكتاب وأرباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما فى كتبهم (وانك لمن المرسلين) أى من جملة الذين أرسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء أوامرنا وأحكامنا عليهم والالما أخبرت بتلك الآيات من غير تعرف ولا استماع والتأكيد لرد قول الكفار لست مرسلا قال بعضهم * الاى احمد مرسل نورد هر مشكل ازتو حل * كنم وصف ترا مجمل توبى سلطان هر مولى * شريعت از تو روشن شد طريقت هم مبرهن شد * حقيقت خود معين شد زهى سلطان بى همتا * والاشارة ان المجاهد مع جالوت النفس الامارة لا يقوم بحوله وقوته حتى يرجع الى ربه مستعينا ربنا أفرغ علينا صبرا على الائتمار بطاعتك والانزجار عن معاصيك وثبت أقدامنا فى التسليم عند الشدة والرخاء وهجوم أحكام القضاء فى السراء والضراء وانصرنا على القوم الكافرين وهم أعداؤنا فى الدين عموما والنفس الامارة التى هى اعدى عدو بين جنبينا خصوصا اذا كان الالتجاء عن صدق الرجاء برب الارض والسماء يكون مقرونا باجابة الدعاء والظفر على الاعداء فهزموهم باذن الله بنصرة الله فانه الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وقتل داود القلب جالوت النفس اذا أخذ حجر الحرص على الدنيا وحجر الركون الى العقبى وحجر تعلقه الى نفسه بالهوى حتى صارت الثلاثة حجرا واحدا وهو الالتفات الى غير المولى فوضعه فى مقلاع التسليم والرضا فرمى به جالوت النفس وسخر الله له ريح العناية حتى أصاب أنف بيضة هواها فأخرج منه الفضول وخرج من قفاها وقتل من ورائها ثلاثين من صفاتها وأخلاقها وهزم الله باقى جيشها وهو الشياطين وأحزابها وآتاه الله الملك والحكمة يعنى آتى داود القلب ملك الخلافة وحكمة الالهامات الربانية وعلمه مما يشاء من حقائق القرآن وأسراره واشاراته ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعنى أرباب الطلب بالمشايخ الواصلين لفسدت الارض أرض

استعدادهم المخلوقة فى أحسن التقويم لتتميم كمالات الدين القويم عن استيلاء جالوت النفس وجنود صفاتها فى تخريب بلاد الارواح بتبديل أخلاقها وتكدير صفاء ذواتها وترديدها الى جحيم صفات البهائم والانعام وأسفل دركاتها ولكن الله ذو فضل على العالمين يعنى من كمال فضله ورحمته يحرك سلسلة طلب الطالبين ويلهمهم أسرارهم بارادة المشايخ الكاملين ويوفقهم للتمسك بذيول تربيتهم والتسليم تحت تصرفاتهم فى تنقيتهم ويثبتهم بالصبر والسكون على الرياضات والمجاهدات فى حال تزكيتهم ويشير الى المشايخ بقبولهم والاقبال عليهم ويقويهم على شدائد المخالفات فلولم تكن هذه الالطاف من الله ماتيسر لهم تزكية نفوسهم أبدا فهذه اشارات لا تحقق الالاهل الخبر ولهذا خص الله حبيبه بتحقيقها وتحقيقها بقوله تلك آيات الله يعنى فى ضمن هذه الآيات حقائق ودقائق نتلوها عليك أى نجلوها اليك بالحق اى بالحقيقة كما هى وانك لمن المرسلين الذين عبروا على هذه المقامات وشاهدوا هذه الاحوال والكرامات كذا فى التأويلات النجمية (تلك الرسل) اشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبى عليه الصلاة والسلام فاللام فى الرسل للاستغراق (فضلنا بعضهم على بعض) بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره واعلم ان الانبياء كلهم متساوون فى النبوة لان النبوة شئ واحد لا تفاضل فيها وانما التفاضل باعتبار الدرجات بلغ بعضهم منصب الخلة كابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يحصل ذلك لغيره وجمع لداود بين الملك والنبوة وطيب النغمة ولم يحصل هذا لغيره وسخر لسليمان الجن والانس والطير والريح ولم يحصل هذا لابيه داود وخص محمد اعليه وعليهم السلام بكونه مبعوثا الى الجن والانس وبكون شرعه ناسخا لجميع الشرائع المتقدمة ومنهم من دعا امته بالفعل الى توحيد الافعال وبالقوة الى الصفات والذات ومنهم من دعا بالفعل الى الصفات أيضا وبالقوة الى الذات ومنهم من دعا الى الذات أيضا بالفعل وهو ابراهيم عليه السلام فانه قطب التوحيد اذ الانبياء كانوا يدعون الى المبدا والمعاد والى الذات الاحدية الموصوفة ببعض الصفات الالهية الا ابراهيم عليه السلام فانه دعا الى الذات الالهية الاحدية ولذا أمر الله نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم باتباعه بقوله ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا فهو من اتباع ابراهيم باعتبار الجمع دون التفصيل اذ لا متمم لتفاصيل الصفات الا هو ولذلك لم يكن غيره خاتما فالانبياء وان كانوا متفاوتين فى درجات الدعوة بحسب مشارب الامم الا أن كلهم واصلون فانون فى الله باقون بالله لان الولاية قبل النبوة حيث ان آخر درجات الولاية أول مقامات النبوة فهى تبتنى على الولاية ومعنى الولاية الفناء فى الله والبقاء بالله فالنبى لا يكون الا واصلا محرزا لجميع مراتب التوحيد من الافعال والصفات والذات (منهم من كلم الله) أى فضله الله بأن كلمه بغير واسطة وهو موسى عليه الصلاة والسلام فهو كليمه بمعنى مكالمه واختلفوا فى الكلام الذى سمعه موسى وغيره من الله تعالى هل هو الكلام القديم الازلى الذى ليس من جنس الحروف والاصوات قال الاشعرى واتباعه المسموع هو ذلك الكلام الازلى قالوا كما انه لم تمتنع رؤية ماليس بكيف فكذا لا يستبعد سماع ماليس بكيف وقيل سماع ذلك الكلام محال وانما المسموع هو الحروف والصوت (ورفع بعضهم درجات) أى على درجات فانتصابه على نزع الخافض وذلك بأن فضله على غيره من وجوه متعددة أو بمراتب متباعدة والظاهر انه أراد محمدا

صلى

صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث أوتى مالم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية
الى ثلاثة آلاف آية وأكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتى
الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفى الحديث فضلت على الانبياء
بست أوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض مسجدا
وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون * قال فى التأويلات النجمية اعلم ان
فضل كل صاحب فضل يكون على قدر استعلاء ضوء نوره لان الرفعة فى الدرجات على قدر رفعة
الاستعلاء كما قال تعالى والذين اوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما
ازداد العلم زادت الدرجة فتامل فى هذا المعنى قول النبى عليه السلام فيما يخبر عن المعراج
أنه رأى آدم فى السماء الدنيا ويحيى وعيسى فى السماء الثانية ويوسف فى السماء الثالثة
وادريس فى السماء الرابعة وهرون فى السماء الخامسة وموسى فى السماء السادسة وابراهيم
فى السماء السابعة وعبر النبى عليه السلام حتى رفع الى سدرة المنتهى ومن ثم الى قاب قوسين
أو أدنى فهذه الرفعة فى الدرجة فى القرب الى الحضرة كانت له على قدر قوة ذلك النور فى استعلاء
ضوئه وعلى قدر غلبات أنوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء
بعضهم فوق بعض فلما غلب نور الوحدانية على ظلمة انسانية النبى عليه السلام اضمحلت
وتلاشت وفنيت ظلمة وجوده بسطوات تجلى صفات الجمال والجلال فكل نبى بقدر بقية
ظلمة وجوده بقى فى مكان من أماكن السموات فانه صلى الله تعالى عليه وسلم مابقى فى مكان
ولا فى الامكان لانه كان فانيا عن ظلمة وجوده باقيا بنور وجوده ولهذا سماه الله نورا وقال قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين فالنور هو محمد عليه السلام والكتاب هو القرآن فافهم واغتنم فانك
لا تجد هذه المعانى الا ههنا انتهى كلام التأويلات النجمية (وآتينا عيسى ابن مريم البينات)
الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى وشفاء المرضى وابراء الاكمه والابرص
وخلق الطير من الطين والاخبار بالمغيبات والانجيل وجعل معجزاته سبب تفضيله مع ان ايتاء
البينات غير مختص بعيسى عليه الصلاة والسلام لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة
لم يستجمعها غيره وخص عيسى عليه السلام بالتعيين مع انه غير مختص بايتاء البينات تقبيحا
لافراط اليهود فى تحقيره حيث أنكروا نبوته مع ما ظهر على يده من البينات القاطعة الدالة
عليها ولافراط النصارى فى تعظيمه حيث أخرجوه عن مرتبة الرسالة (وأيدناه) أى قويناه (بروح
القدس) أى الروح المطهرة التى نفخها الله فيه فأبانه بها من غيره ممن خلق من اجتماع نطفتى
الذكر والانثى لانه عليه السلام لم تضمه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث
فالقدس بمعنى المقدس من قبيل رجل صدق أو القدس هو الله وروحه جبريل والاضافة
للتشريف والمعنى أعانه بجبريل فى أول أمره وفى وسطه وفى آخره أما فى الاول من أمره فلقوله
فنفخنا فيه من روحنا وأما فى وسطه فلان جبريل عليه السلام علمه العلوم وحفظه من الاعداء
وأما فى آخر الامر فحين أرادت اليهود قتله أعانه جبريل ورفعه الى السماء (ولو شاء الله ما اقتتل
الذين من بعدهم) أى من بعد الرسل من الامم المختلفة أى لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا
بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق (من) متعلقة باقتتل (بعد ما جاءتهم)

من جهة أولئك الرسل (البينات) المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق
الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سنتهم المؤدى الى القتال (ولكن اختلفوا) أى
لكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا (فمنهم من آمن) أى بما جاءت به أولئك
الرسل من البينات وعملوا به (ومنهم من كفر) بذلك كفرا لا ارعواء له عنه فاقتضت الحكمة عدم
مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء أحوالهم (ولو شاء الله) عدم اقتتالهم بعد
هذه المرة أيضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة (ما اقتتلوا) وما نبض
منهم عرق التطاول والتعاون لما أن الكل تحت ملكوته (ولكن الله يفعل ما يريد) أى من
الامور الوجودية والعدمية التى من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم فان الترك أيضا من جملة
الافعال أى يفعل ما يريد حسبما يريد من غير أن يوجبه عليه موجب أو يمنعه منه مانع وفيه دليل
بين على ان الحوادث تابعة لمشيئته تعالى خيرا كان أو شرا ايمانا كان أو كفرا وهذا رد على
المعتزلة قال الامام الغزالى قدس سره المتعالى فى شرح اسمى الضار والنافع هو الذى يصدر منه
الخير والشر والنفع والضر وكل ذلك منسوب الى الله تعالى اما بواسطة الملائكة والانس
والجمادات أو بغير واسطة فلا تظنن ان السم يقتل ويضر بنفسه وأن الطعام يشبع وينفع
بنفسه وان الملك أو الانسان أو الشيطان أو شيأ من المخلوقات من فلك الكواكب أو غيرها
يقدر على خير أو شر بنفسه أو نفع أو ضر بل كل ذلك أسباب مسخرة لا يصدر منها الا ما سخرت له
وجملة ذلك بالاضافة الى القدرة الازلية كالقلم بالاضافة الى الكاتب فى اعتقاد العامى وكما ان
السلطان اذا وقع لكرامة أو عقوبة لم يضر ذلك ولا نفعه من القلم بل من الذى القلم مسخر له
فكذلك سائر الوسايط والاسباب وانما قلنا فى اعتقاد العامى لان الجاهل هو الذى يرى القلم
مسخرا للكاتب والعارف يعلم انه مسخر فى يده لله تعالى وهو الذى الكاتب مسخر له فانه مهما
خلق الكاتب وخلق له القدرة وسلط عليه الداعية الجازمة التى لا تردد فيها صدر منه حركة
الاصبع والقلم لا محالة شاء أم أبى بل لا يمكنه أن لا يشاء فاذا الكاتب بقلم الانسان ويده هو الله
تعالى واذا عرفت هذا فى الحيوان المختار فهو فى الجمادات أظهر قال صاحب روضة الاخبار
المؤثر هو الله تعالى والكواكب أسباب عادية الشمس مظهر اسم الحى والزهرة للمريد وعطارد
للمسقط والقمر للقابل ولذا كان بيت العزة فى فلكه والمريخ للقادر والمشترى للعليم وزحل للجواد
وأصول الاسماء أربعة هى الحياة والعلم والقدرة والارادة واسرافيل مظهر الحياة والاقساط
مندرج فيها وجبريل مظهر العلم والقول وباعتبار الاول هو روح القدس وبالثانى الروح
الامين ولذا كان حامل الوحى وميكائيل مظهر الارادة والجود مندرج فيها ولذا كان ملك
الارزاق وعزرائيل مظهر القدرة ولذا يقهر الجبابرة ويذلهم بالموت والفناء (يا أيها الذين آمنوا
أنفقوا مما رزقناكم) من تبعيضية أى شيأ مما رزقناكموه والتعرض لوصوله منه تعالى للحث
على الانفاق والمراد به الانفاق الواجب أى الزكاة بدلالة ما بعده من الوعيد والاكثر على أن
الامر يتناول الواجب والمندوب (من) لابتداء الغاية (قبل أن يأتى يوم) يوم الحساب والجزاء
(لا بيع فيه) تتدارك به المقصر تقصيره وهو فى التقدير جواب هل فيه بيع ولهذا رفع والبيع
استبدال المال بالثمن (ولا خلة) حتى يسامحكم اخلاؤكم عما تصنعون والخلة المودة والصداقة

فكأنها تتخلل الاعضاء أى تدخل خلالها ووسطها او الخليل الصديق اذا تخلله اياك والخلة تنقطع يوم القيامة بين الاخلاء الا بين المتقين لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (ولاشفاعة) حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم فى حط مافى ذممكم والشفاعة المنفية يوم القيامة هى التى يستقل فيها الشفيع ويأتى بها وان لم يؤذن له فيها فان الدلائل قائمة على ثبوت الشفاعة للمؤمنين بعد أن يؤذن لهم فيها وهى لمن مات لايشرك بالله شيأ (والكافرون) أى والتاركون للزكاة وايثاره عليه للتغليظ والتهديد كما قال فى آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بأن ترك الزكاة من صفات الكفار قال تعالى فويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة (هم الظالمون) أى الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه الى غير وجهه * زكات ا كرندهى از زرت زدادهوى * علاج كى كنمت كاخر الدواء الكى * قال الراغب حث المؤمنين على الانفاق مما رزقهم من النعماء النفسية والبدنية الجارحية وان كان الظاهر فى التعارف انفاق المال ولكن قد يراد به بذل النفس والبدن فى مجاهدة العدو والهوى وسائر العبادات ولما كانت الدنيا دار اكتساب وابتلاء والآخرة دار ثواب وجزاء بين أن لاسبيل للانسان الى تحصيل ماينتفع به فى الآخرة فابتلى بذكر هذه الثلاثة لانها أسباب اجتلاب المنافع المفضية اليها أحدها المعاوضة وأعظمها المبايعة والثانى ماتناوله بالمودة وهو المسمى بالصلات والهدايا والثالث مايصل اليه بمعاونة الغير وذلك هو الشفاعة ولما كانت العدالة بالقول المجمل ثلاثا عدالة بين الانسان ونفسه وعدالة بينه وبين الناس وعدالة بينه وبين الله فكذلك الظلم له مراتب ثلاث وأعظم العدالة مابين العبد وبين الله وهو الايمان وأعظم الظلم مايقابله وهو الكفر ولذلك قال والكافرون هم الظالمون أى هم المستحقون لاطلاق هذا الوصف عليهم بلا مشوبة فليسارع العبد الى تقوية الايمان بالانفاق والاحسان (حكى) انه كان عابد من الشيوخ أراده الشيطان فلم يستطع منه شيأ فقال له الشيطان الاتسألنى عما أضل به بنى آدم قال بلى قال فاخبرنى ما أوثق شئ فى نفسك أن تضلهم به قال الشح والحدة والسكر فان الرجل اذا كان شحيحا قللنا ماله فى عينيه ورغبناه فى أموال الناس وان كان حديدا ادرناه بيننا كما تدار الصبيان الكرة ولو كان يحيي الموتى بدعائه لم نيأس منه واذا سكر اقتدناه الى كل شهوة كما تقاد العنز بأذنها كذا فى آكام المرجان وعن محمد بن اسمعيل البخارى يقول بلغنا ان الله أوحى الى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا جبريل لو أنا بعثتك الى الدنيا وجعلتك من أهلها ما الذى عملت من الطاعات فيها فقال جبريل أنت أعلم بشأنى منى ولكنى كنت أعمل ثلاثة أشياء أولها كنت أعين صاحب العيال فى النفقة على عياله والثانى كنت أستر عيوب الخلق وذنوبهم حتى لايعلم أحد من خلقك عيوب عبادك وذنوبهم غيرك والثالث أسقى العطشان وأرويه من الماء كذا فى روضة العلماء (قال السعدى) چو خود را قوى حال بينى وخوش * بشكرانه بار ضعيفان بكش * اكر خود همين صورتى چون طلسم * بميرى واسمت بميرد چو جسم * اكر پرورانى درخت كرم * بر نيك نامى خورى لاجرم * اللهم اجعلنا من المنفقين والمستغفرين (الله) هذا الاسم أعظم الاسماء التسعة والتسعين لانه دال على الذات الجامعة لصفات الالهية كلها

حتى لايشذ منها شئ وسائر الاسماء لاتدل آحادها الا على آحاد المعانى من علم أو قدرة أو فعل وغيره
ولانه أخص الاسماء اذ لايطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازا وسائر الاسماء قد يسمى بها
غيره كالقادر والعليم والرحيم وغيرها وينبغى أن يكون حظ العبد من هذا الاسم التأله وأعنى
به أن يكون مستغرق القلب والهمة فى الله تعالى لايرى غيره ولا يلتفت الى سواه ولا يرجو
ولا يخاف الا اياه وكيف لايكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم انه الموجود الحقيقى الحق وكل
ما سواه فان وهالك وباطل الا به فيرى نفسه أول هالك وباطل كما رآه رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم حيث قال أصدق بيت قالته العرب قول لبيد * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وفى هذه
الكلمة فوائد ليست فى غيرها فان كل كلمة اذا اسقطت منها حرفا يختل المعنى بخلاف هذه فانك ان
حذفت الالف يصير لله قال تعالى لله ما فى السموات وما فى الارض وان حذفت اللام الاولى أيضا
يبقى له قال تعالى له ملك السموات والارض وان حذفت اللام الثانية أيضا يبقى الهاء وهو ضمير
راجع الى الله تعالى قال تعالى هو الله الذى لا اله الا هو وللاسماء تاثير بليغ خصوصا للفظة
الجلالة قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره لما جاء المولى علاء الدين الخلوتى
ببروسة صعد المنبر فى الجامع الكبير للوعظ وقد اجتمع جمع كثير منتظرين لكلامه فقال مرة
واحدة يا ألله فحصل للجماعة حالة رقصوا وكادوا لايرجعون عن البكاء والفزع (وحكى) انه لما
مات سلطان العصر عزم جماعة الرجال على قتل الوزير فجاء بيت الشيخ وفا فى القسطنطينية
واستغاث به فأدخله الشيخ بيته فهجموا جميعا على بيت الشيخ فخرج الشيخ وقال مرة واحدة
يا الله فهربوا جميعا فانظر انهم اذا ذكروا الله تظهر آثار عجيبة ونحن اذا ذكرنا ذلك الاسم بعينه
لايظهر له أثر وذلك لانهم زكوا أنفسهم وبدلوا أخلاقهم وأما نحن فليس فينا هذا ولا القابلية
لذلك وانما الفيض من الله تعالى (قال الحافظ) فيض روح القدس ار بازمدد فرمايد * ديكران
هم بكنند آنجه مسيحا ميكرد (لا اله الا هو) الجملة خبر للمبتدا وهو الجلالة والمعنى انه المستحق
للعبادة لا غير * وحكى أن تسبيح قطب الاقطاب ياهو ويامن هو هو ويامن لا اله الا هو فاذا قال
ذلك بطريق الحال يقدر على التصرفات وللتوحيد ثلاث مراتب توحيد المبتدئين لا اله الا الله
وتوحيد المتوسطين لا اله الا أنت لانهم فى مقام الشهود فيقتضى الخطاب وأما الكمل فيسمعون
التوحيد من الموحد وهو لا اله الا أنا لانهم فى مقام الفناء الكلى فلا يصدر منهم شئ أصلا قال ابن
الشيخ فى حواشى سورة الاخلاص لفظ هو اشارة الى مقام المقربين وهم الذين نظروا الى
ماهيات الاشياء وحقائقها من حيث هى هى فلا جرم ما رأوا موجودا سوى الله لان الحق هو
الذى لذاته يجب وجوده وأما ما عداه فممكن والممكن اذا نظر اليه من حيث هو هو كان معدوما
فهؤلاء لم يروا موجودا سوى الحق سبحانه وكلمة هو وان كانت للاشارة المطلقة ومفتقرة فى تعين
المراد بها الى سبق الذكر بأحد الوجوه أو الى أن يعقبها ما يفسرها الا أنهم يشيرون بها الى الحق
سبحانه ولا يفتقرون فى تلك الاشارة الى ما يميز الذات المراد عن غيرها لان الافتقار الى المميز انما
يحصل حيث وقع الابهام بان يتعدد ما يصلح لان يشار اليه وقد بينا أنهم لايشاهدون بعيون
عقولهم الا الواحد فقط فلهذا السبب كان لفظة هو كافية فى حصول العرفان التام لهؤلاء
انتهى كلامه وانما ذكرته ههنا ليكون حجة على من أنكر على جماعة الصوفية فى كلمة هو ذاهبا

الى انه ضمير ولا فائدة فى الذكر به وقد سبق منى عند قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو
ما ينفعك فى هذا المقام قال شيخى وسندى الذى بمنزلة روحى فى جسدى الذكر بلا اله الا الله
أفضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو عند العلماء بالله لانها جامعة بين النفى والاثبات وحاوية
لزيادة العلم والمعرفة فمن نفى بلا اله عين الخلق حكما لا علما فقد أثبت كون الحق حكما وعلما وأفادنى
أيضا اذا قلت لا اله الا الله فشاهد بالشهود الحقانى فناء أفعال الخلق وصفاتهم وذواتهم
فى أفعال الحق وصفاته وذاته وهذا مقتضى الجمع والاحدية وتلك الكلمة فى الحقيقة اشارة الى
هذه المرتبة واذا قلت محمد رسول الله فشاهد بالشهود الحقانى أيضا بقاء أفعالهم وصفاتهم
وذواتهم بافعاله تعالى وصفاته وذاته وهذا مقتضى الفرق والواحدية وتلك الكلمة أيضا اشارة
الى هذه المرتبة فاذا كان توحيد العبد على هذه المشاهدة فلا جرم أن توحيده يكون توحيدا
حقيقيا حقانيا لا رسميا نفسانيا (قال المولى الجامى قدس سره) كرچه لا داشت تيركىء عدم *
دارد الا فروغ نور قدم * كرچه لا بود كان كفر وجحود * هست الا كليد كنج شهود * چون
كند لا بساط كثرت طى * دهد الا زجام وحدت مى * آن رهاند زنقش بيش وكمت * وين رساند
بوحدت قدمت * تا نسازى حجاب كثرت دور * ندهد آفتاب وحدت نور * دائم آن آفتاب
تابانست * از حجاب تو از تو پنهانست * كر برون آيى از حجاب تويى * مرتفع كردد از ميانه
دويى * در زمين وزمان وكون ومكان * همه او بينى آشكار ونهان * اللهم أوصلنا الى الجمع
والعين واليقين (الحى) خبر ثان وهو فى اللغة من له الحياة وهى صفة تخالف الموت والجمادية
وتقتضى الحس والحركة الارادية وأشرف ما يوصف به الانسان الحياة الابدية فى دار الكرامة
واذا وصف البارى عز شأنه بها وقيل انه حى كان معناه الدائم الباقى الذى لا سبيل عليه للموت
والفناء فهو الموصوف بالحياة الازلية الابدية قال الامام الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى الحى
هو الفعال الدراك حتى ان من لا فعل له أصلا ولا ادراك فهو ميت وأقل درجات الادراك أن
يشعر المدرك بنفسه فما لا يشعر بنفسه فهو الجماد والميت فالحى الكامل المطلق هو الذى تندرج
جميع المدركات تحت ادراكه وجميع الموجودات تحت فعله حتى لا يشذ عن علمه مدرك ولا عن
فعله مفعول وذلك هو الله تعالى فهو الحى المطلق وكل حى سواه فحياته بقدر ادراكه وفعله وكل
ذلك محصور فى قوله (القيوم) من قام بالامر اذا دبره مبالغة القائم فانه تعالى دائم القيام على كل
شئ بتدبير أمره فى انشائه وترزيقه وتبليغه الى كماله اللائق به وحفظه قال الامام الغزالى اعلم أن
الاشياء تنقسم الى ما يفتقر الى محل كالاعراض والاوصاف فيقال فيها انها ليست قائمة بنفسها
والى ما لا يحتاج الى محل فيقال انه قائم بنفسه كالجواهر الا أن الجوهر وان قام بنفسه مستغنيا
عن محل يقوم به فليس مستغنيا عن أمور لا بد منها لوجوده وتكون شرطا فى وجوده فلا يكون
قائما بنفسه لانه محتاج فى قوامه الى وجود غيره وان لم يحتج الى محل فان كان فى الوجود موجود
يكفى ذاته بذاته ولا قوام له بغيره ولا شرط فى دوام وجوده وجود غيره فهو القائم بنفسه مطلقا فان
كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور للاشياء وجود ولا دوام وجود الا به فهو القيوم
لان قوامه بذاته وقوام كل شئ به وليس ذلك الا الله تعالى ومدخل العبد فى هذا الوصف بقدر
استغنائه عما سوى الله تعالى انتهى كلام الغزالى قيل الحى القيوم اسم الله الاعظم وكان عيسى

عليه الصلاة والسلام اذا أراد أن يحيي الموتى يدعو بهذا الدعاء ياحي ياقيوم و يقال دعاء أهل
البحر اذا خافوا الغرق ياحي ياقيوم وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما كان يوم بدر جئت
أنظر ما يصنع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو ساجد يقول ياحي ياقيوم فترددت مرات وهو على
حاله لا يزيد على ذلك الى أن فتح الله له وهذا يدل على عظمة هذا الاسم وفي التأويلات النجمية
انما أشير في معنى الاسم الاعظم الى هذين الاسمين وهما الحي والقيوم لان اسم الحي مشتمل على
جميع أسمائه وصفاته فان من لوازم الحي أن يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا
واسم القيوم مشتمل على افتقار جميع المخلوقات اليه فاذا تجلى الله لعبد بهاتين الصفتين فالعبد
يكاشف عند تجلي صفة الحي معاني جميع أسمائه وصفاته و يشاهد عند تجلي صفة القيوم فناء
جميع المخلوقات اذ كان قيامها بقيومية الحق لا بأنفسهم فلما جاء الحق زهق الباطل فلا يرى
في الوجود الا الحي القيوم اذا سلب الحي جميع أسماء الله وسلب القيوم قيام المخلوقات فترتفع
الاثنينية بينهما واذا نفي التعدد وبقيت الوحدة فيصير اسما أعظم للمتجلي له فيذكره عند
شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية لا بلسان بيان الانسانية فقد ذكره باسمه الاعظم
الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى فأما الذاكر عند غيبه فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم
الاعظم بالنسبة الى حال غيبه وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الاعظم كما سئل
أبو يزيد البسطامي قدس سره عن الاسم الاعظم فقال الاسم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك
لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكر بأي اسم شئت انتهى ما في التأويلات واعلم أن الاسم
الاعظم عبارة عن الحقيقة المحمدية عند عرفائها فهو هي صورة الاسم الجامع الالهي وهو ربها
ومنه الفيض فاعرف تفز بالحظ الاوفى (لا تأخذه سنة ولا نوم) السنة ثقلة من النعاس وفتور
يعتري المزاج قبل النوم وليست بداخلة في حد النوم والنعاس أول النوم والنوم حالة تعرض
للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس
الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه مع أن قياس المبالغة عكسه على ترتيب
الوجود الخارجي فان الموجود منهما أولا هو السنة ثم يعتري بعدها النوم وتوسيط كلمة
لا للتنصيص على شمول النفي لكل منهما والمراد بيان انتفاء اعتراء شئ منهما له سبحانه لعدم
كونهما من شأنه وانما عبر عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الاخذ لمراعاة الواقع اذ عروض
السنة والنوم لمعروضهما انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء والجملة نفي للتشبيه وتأكيد
لكونه حيا قيوما فان من أخذه نعاس أو نوم كان مؤف الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير
والمعنى لا يعتريه ما يعتري المخلوقين من السهو والغفلة والملال والفترة في حفظ ما هو قائم بحفظه
ولا يعرض له عوارض التعب المحوجة الى الاستراحة فيستريح بالنوم والسنة لان النوم أخو
الموت والموت ضد الحياة وهو الحي الحقيقي فلا يلحقه ضد الحياة فكأنه موصوف بصفات
الكمال فهو منزه عن جميع صفات النقصان روي أن موسى عليه السلام سأل الملائكة وكان
ذلك في نفسه أينام ربنا فأوحى الله تعالى اليهم أن يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك
قارورتين مملوأتين فأخذهما فأخذه النوم فزالتا وانكسرتا ثم أوحى الله اليه اني أمسك
السموات والارض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا كذا في الكشاف قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام قال ابن الملك هذا بيان لاستحالة وقوع النوم منه لانه عجز والله تعالى متعالى عنه انتهى وحظ العبد من هذا الوصف أن يترك النوم فان الله تعالى وان رخص للعباد في المنام بل هو فضل منه تعالى لكن كثرة المنام بطالة وان الله تعالى لا يحب البطال قال أبو يزيد البسطامي قدس سره لم يفتح لي شئ الا بعد ان جعلت الليالي أياما (قال السعدى) سرآنكه ببالين نهد هوشمند * كه خوابش بقهر آورد در كمند * قيل كان رجل له تلميذان اختلفا فيما بينهما فقال أحدهما النوم خير لان الانسان لا يعصى في تلك الحالة وقال الآخر اليقظة خير لانه يعرف الله في تلك الحالة فتحاكما الى ذلك الشيخ فقال الشيخ أما أنت الذى قلت بتفضيل اليقظة فالحياة خير لك وقيل اشترى رجل مملوكة فلما دخل الليل قال افرشى الفراش فقالت المملوكة يا مولاى ألك مولى قال نعم قالت ينام مولاك قال لا فقالت الا تستحيى أن تنام ومولاك لم ينم ومن الابيات التى كان يذكرها بلال الحبشى رضى الله عنه وقت السحر

يا ذا الذى استغرق فى نومه * ما نوم عبد ربه لا ينام
أهل تقول انى مذنب * مشتغل الذيل بطيب المنام

(له ما فى السموات وما فى الارض) تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده فى الالوهية لانه تعالى خلقهما بما فيهما والمشاركة انما تقع فيما فيهما ومن يكن له ما فيهما فمحال مشاركته فكل من فيهما وما فيهما ملكه ليس لاحد معه فيه شركة ولا لاحد عليه سلطان فلا يجوز أن يعبد غيره كما ليس لعبد أحدكم أن يخدم غيره الا باذنه والمراد بما فيهما ما هو أعم من أجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم فهو أبلغ من أن يقال له السموات والارض وما فيهن لان قوله وما فيهن بعد ذكر السموات والارض انما يتناول الامور الخارجة المتمكنة فيهن اذ لو أريد به ما يعم الامور الداخلة فيهما والخارجة عنهما لاغنى ذكره عن ذكرهما (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) من مبتدأ وذا خبره والذى صفة ذا أو بدل منه ولفظ من وان كان استفهاما فمعناه النفى ولذلك دخلت الا فى قوله الا باذنه وعنده فيه وجهان أحدهما انه متعلق بيشفع والثانى انه متعلق بمحذوف فى موضع الحال من الضمير فى يشفع أى لا أحد يشفع مستقرا عنده الا باذنه وقوى هذا الوجه بانه اذا لم يشفع عنده من هو عنده وقريب منه فشفاعة غيره أبعد والا باذنه متعلق بمحذوف لانه حال من فاعل يشفع فهو استثناء مفرغ والباء للمصاحبة والمعنى لا أحد يشفع عنده فى حال من الاحوال الا فى حال كونه مأذونا له أو لا أحد يشفع عنده بأمر من الامور الا باذنه والباء للاستعانة كما فى ضرب بسيفه فيكون الجار والمجرور فى موضع المفعول به وكان المشركون يقولون أصنامنا شركاء الله تعالى وهم شفعاؤنا عنده فوحد الله نفسه بالنفى والاثبات ليكون المعنى فى ثبوت التوحيد ونفى الشرك أى ليس لاحد أن يشفع لاحد عنده الا باذنه وقد أخبر أنه لا يأذن فى الشفاعة للكفار وهو رد على المعتزلة فى أنهم لا يرون الشفاعة أصلا والله تعالى أثبتها للبعض بقوله الا باذنه وفى التأويلات النجمية هذا الاستثناء راجع الى النبى عليه الصلاة والسلام لان الله قد وعد له المقام المحمود وهو الشفاعة فالمعنى من ذا الذى يشفع عنده يوم القيامة الا عبده محمد فانه مأذون موعود وبعينه الانبياء بالشفاعة انتهى * غم مخور زانكه شفيع عش توبى * پايه ده قدر رفيعش توبى * حاصلى ار نيست زطاعت مرا * هست

اميدى بشفاعت مرا * قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتانى آت من عند ربى فخيرنى بين
أن يدخل نصف أمتى الجنة و بين الشفاعة فاخترت الشفاعة روى أن الانبياء عليهم السلام
يعينون نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة فيأتى الناس اليه فيقول أنا لها وهو المقام
المحمود الذى وعده الله به يوم القيامة فيأتى ويسجد ويحمد الله بمحامد يلهمه الله تعالى اياها
فى ذلك الوقت لم يكن يعلمها قبل ذلك ثم يشفع الى ربه أن يفتح باب الشفاعة للخلق فيفتح الله ذلك
الباب فيؤذن فى الشفاعة للملائكة والرسل والانبياء والمؤمنين فهذا يكون سيد الناس يوم
القيامة فانه شفع عند الله ان يشفع الملائكة والرسل ومع هذا تأدب صلى الله عليه وسلم وقال أنا
سيد الناس ولم يقل سيد الخلائق فيدخل الملائكة فى ذلك مع ظهور سلطانه فى ذلك اليوم على
الجميع وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع له بين مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم
ولم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليهم من اختصاصه بعلم الاسماء كلها فاذا كان فى ذلك
اليوم افتقر اليه الجميع من الملائكة والناس من آدم فمن دونه فى فتح باب الشفاعة واظهار ماله
من الجاه عند الله اذ كان القهر الالهى والجبروت الاعظم قد أخرس الجميع فدل على عظيم قدره
عليه السلام حيث اقدم مع هذه الصفة الغضبية الالهية على مناجاة الحق فيما سأله فيه فأجابه
الحق سبحانه كذا فى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى عليه رحمة البارى واعلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو أول من يفتح باب الشفاعة فيشفع فى الخلق ثم الانبياء ثم الاولياء ثم
المؤمنون وآخر من يشفع هو أرحم الراحمين فان الرحمن ما شفع عند المنتقم فى أهل البلاء الابعد
شفاعة الشافعين الذين لم تظهر شفاعتهم الابعد شفاعة خاتم الرسل اياهم ليشفعوا ومعنى شفاعة
الله سبحانه هو انه اذا لم يبق فى النار مؤمن شرعى أصلا يخرج الله منها قوما علموا التوحيد
بالادلة العقلية ولم يشركوا بالله شيأ ولا آمنوا ايمانا شرعيا ولم يعملوا خيرا قط من حيث ما اتبعوا
فيه نبيا من الانبياء فلم يكن عندهم ذرة من ايمانه فيخرجهم ارحم الراحمين فاعرف هذا فانه من
الغرائب أفاده لى شيخى العلامة افادة كشفية وصادفته أيضا فى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى
اللهم اغفر وارحم وأنت أرحم الراحمين (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) استئناف آخر لبيان
احاطة علمه بأحوال خلقه المستلزم لعلمه بمن يستحق الشفاعة ومن لا يستحقها أى يعلم ما كان
قبلهم من أمور الدنيا وما يكون بعدهم من أمر الآخرة أو ما بين أيديهم يعنى الآخرة لانهم
يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم أو ما بين أيديهم من السماء الى
الارض وما خلفهم يريد ما فى السموات أو ما بين أيديهم بعد انقضاء آجالهم وما خلفهم أى ما كان
قبل أن يخلقهم أو ما فعلوه من خير وشر وقدموه وما يفعلونه بعد ذلك والمقصود بهذا الكلام
بيان انه عالم بأحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب والضمير لما
فى السموات وما فى الارض لان فيهم العقلاء فغلب من يعقل على غيره أو لما دل عليه من ذا من
الملائكة والانبياء فيكون للعقلاء خاصة (ولا يحيطون) أى لا يدركون يعنى الملائكة والانبياء
وغيرهم (بشئ من علمه) أى من معلوماته (الا بما شاء) أن يعلموه وأن يطلعهم عليه كاخبار الرسل
فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول وانما فسرنا العلم بالمعلوم لان علمه تعالى الذى
هو صفة قائمة بذاته المقدسة لا يتبعض فجعلناه بمعنى المعلوم ليصح دخول التبعيض والاستثناء

عليه • وفى التاويلات النجمية يعلم محمد عليه السلام ما بين أيديهم من الامور الاوليات قبل خلق الله الخلائق كقوله أول ما خلق الله نورى وما خلفهم من أهوال القيامة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسى نفسى وحوالة الخلق بعضهم الى بعض حتى بالاضطرار يرجعون الى النبى عليه السلام لاختصاصه بالشفاعة ولا يحيطون بشئ من علمه يحتمل أن تكون الهاء كناية عنه عليه السلام يعنى هو شاهد على أحوالهم يعلم ما بين أيديهم من سيرهم ومعاملاتهم وقصصهم وما خلفهم من أمور الآخرة وأحوال أهل الجنة والنار وهم لا يعلمون شيأ من معلوماته الا بما شاء أن يخبرهم عن ذلك انتهى قال شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة فى الرسالة الرحمانية فى بيان الكلمة العرفانية علم الاولياء من علم الانبياء بمنزلة قطرة من سبعة أبحر وعلم الانبياء من علم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بهذه المنزلة وعلم نبينا من علم الحق سبحانه بهذه المنزلة انتهى وفى القصيدة البردية

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم

وواقفون لديه عند حدهم * من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

حاصله ان علوم الكائنات وان كثرت بالنسبة الى علم الله عز وجل بمنزلة نقطة أو شكلة ومشربها بحر روحانية محمد صلى الله عليه وسلم فكل رسول ونبى وولى آخذون بقدر القابلية والاستعداد مما لديه وليس لاحد أن يعدوه أو يتقدم عليه قوله النقطة فعلة من نقطت الكتاب نقطا ومعناها الحاصل والشكلة بالفتح فعلة من شكلت الكتاب قيدته بالاعراب (وسع كرسيه السموات والارض) الكرسى ما يجلس عليه من الشئ المركب من خشبات موضوعة بعضها فوق بعض ولا يفضل على مقعد القاعد وكأنه منسوب الى الكرس الذى هو الملبد وهو ما يجعل فيه اللبدة أى لم يضق كرسيه عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتمثيل مجرد ولا كرسى فى الحقيقة ولا قاعد وتقريره انه تعالى خاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه فى ملوكهم وعظمائهم كما جعل الكعبة بيتاله يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر فى الحجر الاسود أنه يمين الله تعالى فى أرضه ثم جعله موضعا للتقبيل كما يقبل الناس أيدى ملوكهم وكذلك ما ذكر فى محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الميزان وعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ثم اثبت لنفسه كرسيا فقال وسع كرسيه السموات والارض والحاصل أن كل ما جاء من الالفاظ الموهمة للتشبيه فى العرش والكرسى فقد ورد مثلها بل أقوى منها فى الكعبة والطواف وتقبيل الحجر ولما توافقت الامة ههنا على ان المقصود تعريف عظمة الله وكبريائه مع القطع بانه تعالى منزه عن أن يكون فى الكعبة ما يوهمه تلك الالفاظ فكذا الكلام فى العرش والكرسى والمعتمد كما قال الامام أن الكرسى جسم بين يدى العرش محيط بالسموات السبع لان الارض كرة والسماء الدنيا محيطة بها احاطة قشر البيضة بالبيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالدنيا وهكذا الى أن يكون العرش محيطا بالكل قال صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون السبع من الكرسى الا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وهو المشهور

بفلك البروج قال مقاتل كل قائمة من الكرسى طولها مثل السموات السبع والارضين السبع وهو بين يدى العرش ويحمل الكرسى أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه واقدامهم فى الصخرة التى تحت الارض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام ملك على صورة سيد البشر آدم عليه الصلاة والسلام وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو الثور وهو يسأل للانعام الرزق من السنة الى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل وملك على صورة سيد السباع وهو الاسد يسأل للسباع الرزق من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسأل للطير الرزق من السنة الى السنة وفى التأويلات النجمية أما القول فى معنى الكرسى فاعلم ان مقتضى الدين والديانة أن لا يؤول المسلم شيأ من الاعيان مما نطق به القرآن والاحاديث بالمعانى الا بصورها كما جاء وفسرها النبى عليه الصلاة والسلام والصحابة وعلماء السلف الصالح اللهم الا أن يكون محققا خصه الله بكشف الحقائق والمعانى والاسرار واشارات التنزيل وتحقيق التأويل فاذا كوشف بمعنى خاص أو اشارة وتحقيق بقدر ذلك المعنى من غير أن يبطل صورة الاعيان مثل الجنة والنار والميزان والصراط وما فى الجنة من الحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها من العرش والكرسى والشمس والقمر والليل والنهار ولا يؤول شيأ منها على مجرد المعنى ويبطل صورته بل يثبت تلك الاعيان كما جاء ويفهم منها حقائق معانيها فان الله تعالى ما خلق شيأ فى عالم الصورة الا وله نظير فى عالم المعنى وما خلق شيأ فى عالم المعنى وهو الآخرة الا وله حقيقة فى عالم الحق وهو غيب الغيب فافهم جدا وما خلق فى العالمين شيأ الا وله مثال وانموذج فى عالم الانسان فاذا عرفت هذا فاعلم ان مثال العرش فى عالم الانسان قلبه اذ هو محل استواء الروح عليه ومثال الكرسى سر الانسان والعجب كل العجب ان العرش مع نسبته الى استواء الرحمانية قيل هو كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى وسعة قلب المؤمن انتهى ما فى التأويلات (وفى المثنوى)

كفت پيغمبر كه حق فرموده است * من نكنجم هيچ در بالا و پست * در زمين وآسمان وعرش نيز * من نكنجم اين يقين دان اى عزيز * در دل مؤمن بكنجم أى عجب * كر مرا جويى دران دلها طلب * خود بزركى عرش باشد بس مديد * ليك صورت كيست چون معنى رسيد (ولا يؤده) يقال آده الشئ يؤده اذا أثقله ولحقه منه مشقة مأخوذ من الاود بفتح الواو وهو العوج ويعرض ذلك بالثقل أى لا يثقله ولا يشق عليه تعالى (حفظهما) أى حفظ السموات والارض اذ القريب والبعيد عنده سواء والقليل والكثير سواء وكيف يتعب فى خلق الذرة وكل المكون عنده سواء فلا من القليل له تيسر ولا من الكثير عليه تعسر انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لان حفظهما مستتبع لحفظه (وهو العلى) أى المتعالى بذاته عن الاشباه والانداد (العظيم) الذى يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه فالمراد بالعلو علو القدر والمنزلة لا علو المكان لانه تعالى منزه عن التحيز وكذا عظمته انما هى بالمهابة والقهر والكبرياء ويمتنع أن يكون بحسب المقدار والحجم لتعالى شأنه من أن يكون من جنس الجواهر والاجسام والعظيم من العباد الانبياء والاولياء والعلماء الذين اذا عرف العاقل شيأ من صفاتهم امتلأ بالهيبة صدره وصار مشحوقا بالهيبة قلبه حتى لا يبقى فيه متسع فالنبى عليه السلام عظيم فى حق أمته

والشيخ عظيم في حق مريده والاستاذ في حق تلميذه اذ يقصر عقله عن الاحاطة بكنه صفاته فان ساواه أو جاوزه لم يكن عظيما بالاضافة اليه وهذه الآية الكريمة منطوية كما ترى على أمهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بأنه تعالى موجود متفرد بالالهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما أن القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ من التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من أذن له فهو العالم وحده بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شأنه أن يملك ويقدر عليه ولا يشق عليه شاق ولا يشغله شأن عن شأن متعال عما تناله الأوهام عظيم لا تحدق به الافهام ولذلك قال عليه السلام ان أعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة يعني انما صارت آية الكرسي أعظم الآيات لعظم مقتضاها فان الشيء انما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته وآية الكرسي اقتضت التوحيد في خمسين حرفا وسورة الاخلاص في خمسة عشر حرفا قال الامام في الاتقان اشتملت آية الكرسي على ما لم تشتمل عليه آية في أسماء الله تعالى وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ظاهرا في بعضها ومستكنا في بعض وهي الله هو الحي القيوم وضمير لا تأخذه وله وعنده وباذنه ويعلم وعلمه وشاء وكرسيه ويؤده وضمير حفظهما المستتر الذي هو فاعل المصدر وهو العلي العظيم ويكفي في استحقاقها السيادة أن فيها الحي القيوم وهو الاسم الاعظم كما ورد به الخبر عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فقال لهم علي أين أنتم من آية الكرسي ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وعن علي كرم الله وجهه عن النبي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قرئت هذه الآية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وعن علي أيضا سمعت نبيكم على أعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وعن محمد بن ابي بن كعب عن أبيه ان اباه اخبره أنه كان له جرن فيه خضر فكان يتعاهده فوجده ينقص فحرسه ذات ليلة فاذا هو بدابة تشبه الغلام المحتلم قال فسلمت فردت علي السلام وقلت من أنت جن أم انس قالت جن قلت ناوليني يدك فناولتني يدها فاذا يد كلب وشعر كلب فقلت هكذا خلقة الجن قالت لقد علمت الجن ما فيهم أشد مني قلت ما حملك على ما صنعت قالت بلغني أنك رجل تحب الصدقة فأحببنا ان نصيب من طعامك فقال لها أبي فما الذي يجيرنا منكم قالت هذه الآية التي في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم من قالها حين يصبح أجير منا حتى يمسي ومن قالها حين يمسي أجير منا حتى يصبح فلما أصبح أتى النبي عليه السلام فأخبره فقال النبي عليه السلام

صدق الخبيث وروى أن رجلا أتى شجرة أو نخلة فسمع فيها حركة فتكلم فلم يجب فقرأ آية الكرسى فنزل اليه شيطان فقال ان لنا مريضا فبم نداويه قال بالذى أنزلتنى به من الشجرة وخرج زيد بن ثابت الى حائط له فسمع فيه جلبة فقال ما هذا قال رجل من الجان اصابتنا السنة فأردنا أن نصيب من ثماركم افتطيبونها قال نعم فقال له زيد بن ثابت ألا تخبرنى ما الذى يعيذنا منكم قال آية الكرسى وبالجملة ان آية الكرسى من أعظم ما ينتصر به على الجن فقد جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة ان لها تأثيرا عظيما فى طرد الشياطين عن نفس الانسان وعن المصروع وعن من تعينه الشياطين مثل اهل الشهوة والطرب وأرباب سماع المكاء والتصدية وأهل الظلم والغضب اذا قرئت عليهم بصدق كما فى آكام المرجان فى أحكام الجان * دل بر دردرا دوا قرآن * جان مجروح را شفا قرآن * هرچه جويى زنص قرآن جو * كه بود كنج علمها قرآن * وانما قال اذا قرئت عليهم بصدق لانه هو العمدة والصادق يبيض وجهه والكاذب يسود ألا ترى الى الصبح الصادق والكاذب كيف أعقب الاول شمس منيرة دون الثانى (قال فى المثنوى) هست تسبيحت بخار آب وكل * مرغ جنت شد زنفخ صدق دل * وكل ما وقع بطريق الحال وجد عنده التأثير بخلاف ما وقع بطريق القال فقط ولذا ترى أكثر الناس محرومين وان دعوا بالاسم الاعظم اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها آمين (لا اكراه فى الدين) قال بعضهم نزلت هذه الآية فى المجوس وأهل الكتاب من اليهود والنصارى أنه تقبل منهم الجزية ولا يكرهون على الاسلام ليس كمشركى العرب فانه لا يقبل منهم الا السيف أو الاسلام ولا تقبل منهم الجزية ان أسلموا فبها والا قتلوا قال الله تعالى تقاتلونهم أو يسلمون والمعنى لا اجبار فى الدين لان من حق العاقل أن لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم لوضوح الحجة (قد تبين الرشد) هو لفظ جامع لكل خير والمراد ههنا الايمان الذى هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية لتقدم ذكر الدين (من الغى) أى من الكفر الذى هو المؤدى الى الشقاوة السرمدية قال الراغب الغى كالجهل يقال اعتبارا بالاعتقاد والغى اعتبارا بالافعال ولهذا قيل زوال الجهل بالعلم وزوال الغى بالرشد (فمن يكفر بالطاغوت) هو كل ما عبد من دون الله مما هو مذموم فى نفسه ومتمرد كالانس والجن والشياطين وغيرهم فلا يرد عيسى عليه الصلاة والسلام والكفر به عبارة عن الكفر باستحقاقه العبادة (ويؤمن بالله) بالتوحيد وتصديق الرسل لان الكفر بالانبياء والكتب يمنع حقيقة الايمان بالله لان الايمان بالله حقيقة يستلزم الايمان بأوامره ونواهيه وشرائعه المعلومة بالدلائل التى أقامها الله لعباده وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية بالمعجمة متقدمة على التحلية بالمهملة (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى بالغ فى التمسك بالحلقة الوكيدة وعروة الجسم الكبير الثقيل الموضع الذى يتعلق به من يأخذ ذلك الجسم ويحمله والوثقى فعلى للتفضيل تأنيث الاوثق كفضلى تأنيث الافضل (لا انفصام لها) أى لا انقطاع وهو استئناف لبيان قوة دلائل الحق بحيث لا يعتريها شئ من الشبه والشكوك فان العروة الوثقى استعارة المحسوس للمعقول لان من أراد امساك هذا الدين تعلق بالدلائل الدالة عليه ولما كانت دلائل الاسلام أقوى الدلائل وأوضحها وصفها الله بأنها العروة الوثقى قال المولى أبو السعود الكلام تمثيل مبنى على تشبيه

الهيئة المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذى لا يحتمل النقيض أصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة فى المفردات (والله سميع) بالاقوال (عليم) بالعزائم والعقائد يعلم غيها ورشدها وباطلها وحقها ويجزى كلا على وفق عمله وقوله وعقده وهو ابلغ وعد ووعيد واعلم ان حقيقة الايمان كونه متعلقا بالله على وجه الشهود والعيان ومجازه كونه متعلقا به على وجه الرسم والبيان أو بالطاغوت وحقيقة الكفر كونه متعلقا بالطاغوت ومجازه كونه متعلقا بوحدة الله أو بنعمته فان الكفر ثلاثة أقسام كفر النعمة وكفر الوحدة وكفر الطاغوت وأفراد الانسان ثلاثة أقسام أيضا أصحاب الميمنة وهم أرباب الجمال ومظاهره وأصحاب المشأمة وهم أرباب الجلال ومظاهره والمقربون وهم أصحاب الكمال ومظاهره وقلوب الفريق الاول فى أيدى سدنة الجمال الالهى من الملائكة المقربين وقلوب الفريق الثانى فى أيدى سدنة الجلال الالهى من الشياطين المتمردين يستعملونها فى سبيل الشرور وقلوب الفريق الثالث فى يد الله الملك المتعال يد الله فوق ايدى سدنة الجمال والجلال يقلبها كيف يشاء بين التجليات العاليات والعلوم والمعارف الالهيات ولما تعلق ايمان هذا الفرق بالله على وجه الشهود والعيان وتعلق كفرهم بالطاغوت جليا أو خفيا كان ايمانهم وكفرهم حقيقيين وجاوزوا من عالم المجاز الى عالم الحقيقة واما الفريق الثانى فقد تعلق ايمانهم بالطاغوت مطلقا جليا أو خفيا وكفرهم بالوحدة والنعمة فكان ايمانهم وكفرهم مجازيين لكن ايمانهم مردود ككفرهم لانه لم يتعلق بالله أصلا بل كان كله مقصورا على الطاغوت ولذا لم يتجاوزوا من عالم المجاز أصلا ولم يصلوا الى قرب عالم الحقيقة فضلا عن وصولهم الى عالم الحقيقة قطعا وأما الفريق الاول فلما تعلق ايمانهم بالله على وجه الرسم والبيان لا بالطاغوت الجلى جدا ولم يتعلق ايمانهم به على وجه الشهود ولم يتعلق ايمانهم به على الاخلاص حين تعلق به على وجه الرسم والبيان لتعلقه أيضا بالطاغوت الخفى وتعلق كفرهم بالطاغوت الجلى فقط لا بالطاغوت الخفى كان ايمانهم وكفرهم مجازيين أيضا لكن ايمانهم لم يكن ككفرهم مردودا بل كان مقبولا من وجه لعدم تعلقه بالطاغوت الجلى أصلا فان غلب تعلقه بالله على تعلقه بالطاغوت الخفى عند خاتمته فيدخل فى الفلاح ثم فى الآخرة ان تداركه الفضل الالهى فيها ونعمت فيغفر والا فيدخل الجحيم ويعذب بكفره الخفى ثم يخرج لعدم كفره بالله جليا ويدخل النعيم لايمانه بالله جليا وكفره بالطاغوت وهم أيضا لم يصلوا الى عالم الحقيقة بل انما وصلوا الى قربه ولذا جاوزوا الجحيم ودخلوا النعيم فى قرب عالم الحقيقة ولذا كانوا بالنسبة الى نفس الحقيقة موطنين فى عالم المجاز والفرقة لا فى عالم الحقيقة والوصلة وأما الفريق الثانى فهم مخلدون فى النار أبدا لايمانهم بالطاغوت مطلقا وكفرهم بالله كذلك ثم سعادة الفريق الثالث على ما هو المنصوص فى القرآن قطعية الثبوت فى آخر النفس وشقاوة الفريق الثانى وسعادة الفريق الاول ليست قطعية الثبوت بل محتملة الثبوت فى آخر النفس بالنظر الى الافراد لجواز التبدل والتغير فى عاقبة الامر الدنيوى بالنظر الى افرادهم هذا ما التقطته من الكتاب المسمى باللائحات البرقيات لشيخى العلامة أبقاه الله بالسلامة (الله ولى الذين آمنوا) أى محبهم ومحبوبهم أو متولى أمورهم لا يكلهم الى غيره فالولى قد يكون باعتبار المحبة والنصرة فيقال

للصحب ولى لانه يقرب من حبيبه بالنصرة والمعونة لا يفارقه وقد يكون باعتبار التدبير والامر والنهى فيقال لاصحاب الولاية ولى لانهم يقربون القوم بأن يدبروا أمورهم ويراعوا مصالحهم ومهماتهم والمعنى الله ولى الذين أراد ايمانهم وثبت فى علمه أنهم يؤمنون فى الجملة مآلا أو حالا وانما أخرج عن ظاهره لان اخراج المؤمن بالفعل من الظلمات تحصيل الحاصل (يخرجهم من الظلمات) التى هى أعم من ظلمات الكفر والمعاصى وظلمات الشبه والشكوك بل مما فى بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل مما فى جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان (الى النور) الذى يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان أى يخرجهم بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التى وقع فيها الى ما يقابلها من النور وجمع الظلمات لان فنون الضلالة متعددة والكفر ملل وأفرد النور لان الاسلام دين واحد ويسمى الكفر ظلمة لالتباس طريقه ويسمى الاسلام نورا لوضوح طريقه (والذين كفروا) أى الذين ثبت فى علمه كفرهم (أولياؤهم الطاغوت) أى الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق من الكهنة وقادة الشر وان حمل على الاصنام التى هى جمادات فالمعنى لا يكون على الموالاة الحقيقية التى هى المصادقة أو تولى الامر بل يكون على أن الكفار يتولونهم أى يعتقدونهم ويتوجهون اليهم والطاغوت تذكر وتؤنث وتوحد وتجمع (يخرجونهم) بالوساوس وغيرها من طريق الاضلال والاغواء (من النور) أى الايمان الفطرى الذى جبلوا عليه كافة (الى الظلمات) أى ظلمات الكفر وفساد الاستعداد والانهماك فى الشهوات أو من نور اليقينيات الى ظلمات الشكوك والشبهات واسناد الاخراج الى الطاغوت مجاز لكونها سببا له وذلك لا ينافى كون المخرج حقيقة هو الله تعالى فالآية لا تصلح أن تكون متمسكا للمعتزلة فيما ذهبوا اليه من أن الكفر ونحوه مما لا يكون أصلح للعبد ليس من الله تعالى بناء على أنه أضاف الكفر الى الطاغوت لا الى نفسه (أولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما يتبعه من القبائح (أصحاب النار) أى ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم (هم فيها خالدون) ماكثون أبدا ولم يقل بعد قوله يخرجهم من الظلمات الى النور وأولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون تعظيما لشأن المؤمنين لان البيان اللفظى لا يفى بما أعدلهم فى دار الثواب * واعلم أن مراتب المؤمنين فى الايمان متفاوتة وهم ثلاث طوائف عوام المؤمنين وخواصهم وخواص الخواص فالعوام يخرجهم الله من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الايمان والهداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والخواص يخرجهم من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية الربانية كقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله واطمئنان القلب بالذكر لم يكن الا بعد تصفيته عن الصفات النفسانية وتحليته بالصفات الروحانية وخواص الخواص يخرجهم من ظلمات حدوث الخلقة الروحانية بافنائهم عن وجودهم الى نور تجلى صفة القدم لهم ليبقيهم به كقوله تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى الآية نسبهم الى الفتوة لما خاطروا بأرواحهم فى طلب الحق وآمنوا بالله وكفروا بالطاغوت دقيانوس فلما تقربوا الى الله بقدم الفتوة تقرب اليهم بمزيد العناية فأخرجهم من ظلمات النفسانية الى نور الروحانية فلما تنورت أنفسهم بأنوار أرواحهم اطمأنت الى ذكر الله وأنست به واستوحشت

عن محبة أهل الدنيا وما فيها فأحبوا الخلاء كما كان حال النبي عليه الصلاة والسلام في بدء الامر قالت عائشة رضي الله عنها أول ما بدئ به عليه الصلاة والسلام كان حبب اليه الخلاء ولعمري هذا دأب كل طالب محق مريد صادق كذا في التأويلات النجمية قال الفخر الرازي بطريق الاعتراض ان جماعة من الصوفية يقولون الاشتغال بغير الله حجاب عن معرفة الله والانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يدعون الخلق الا الى الطاعات والتكاليف فهم يشغلون الخلق بغير الله ويمنعونهم عن الاشتغال بالله فوجب أن لا يكون ذلك حقا وصدقا اه كلامه يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة هذا الاعتراض ليس بشيء فان الطاعات والتكاليف وسائل الى معرفة الله الملك اللطيف فالدعوة ليست الا الى معرفة الله حقيقة ألا ترى الى تفسير ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون بقوله ليعرفون وانما عدل عنه الى ليعبدون مع أنه خلاف مقتضى الظاهر حينئذ اشعارا بأن المعرفة المقبولة هي التي تحصل بطريق العبادة فالاشتغال بغير الله وبغير عبادته حجاب أي حجاب ولذلك كان بدء حال السلف الخلاء والانقطاع عن الناس اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واهتماما في رفع الحجاب الحاصل بالاختلاط (وفي المثنوى) آدمي را هست در هر كار دست * ليك از ومقصود اين خدمت بدست * تا جلا باشد مرين آيينه را * كه صفا آيد زطاعت سينه را * (ألم تر) أي ألم ينته علمك الذي يضاهي العيان في الايقان وحقيقته اعلم باخبار نافانه مقيد لليقين (الى الذي) أي الى قصة الملك الذي (حاج) أي جادل وخاصم وقابل بالحجة (ابراهيم) في معارضة ربوبيته (في ربه) وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام تشريف له وايذان بتأييده في المحاجة والذي حاج هو نمرود بن كنعان بن سام بن نوح وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر وادعى الربوبية (أن آتاه الله الملك) أي لأن آتاه فهو مفعول له لقوله حاج وله معنيان أحدهما أنه من باب العكس في الكلام بمعنى انه وضع المحاجة موضع الشكر اذ كان من حقه ان يشكر في مقابلة ايتاء الملك ولكنه عكس ما هو الحق الواجب عليه كما تقول عاداني فلان لاني أحسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان والثاني ان ايتاء الملك حمله على ذلك لانه أورثه الكبر والبطر فنشأ عنهما المحاجة والمعنى اعطاه كثرة المال واتساع الحال وملك جميع الدنيا على الكمال قال مجاهد لم يملك الدنيا بأسرها الا أربعة مسلمان وكافران فالمسلمان سليمان وذو القرنين والكافران نمرود وبختنصر وهو شداد بن عاد الذي بنى ارم في بعض صحارى عدن ثم هو حجة على من منع ايتاء الله الملك للكافر وهم المعتزلة لان مذهبهم وجوب رعاية الاصلح للعبد على الله وايتاء الله الملك للكافر تسليط له على المؤمنين وذلك ليس بأصلح لحال المؤمن قلنا انما ملكه امتحانا له ولعباده (اذ قال ابراهيم) ظرف لحاج (ربي الذي يحيي ويميت) روي أنه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم أخرجه ليحرقه فقال من ربك الذي تدعونا اليه قال ربي الذي يحيي ويميت أي يخلق الحياة والممات في الاجساد وجواب ابراهيم في غاية الصحة لانه لا سبيل الى معرفة الله الا بمعرفة صفاته وأفعاله التي لا يشاركه فيها أحد من القادرين والاحياء والامانة من هذا القبيل (قال) كأنه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال (أنا أحيي وأميت) روي أنه دعا برجلين قد حبسهما فقتل أحدهما

وأطلق الآخر فقال قد أحييت هذا وأمت هذا فجعل ترك القتل احياء وكان هذا تلبيسا منه (قال ابراهيم) كأنه قيل فماذا قال ابراهيم لمن فى هذه الرتبة فى المحاجة وبماذا أفحمه فقيل قال (فان الله) جواب شرط مقدر تقديره قال ابراهيم اذا ادعيت الاحياء والاماتة وأتيت بمعارضة مموهة ولم تعلم معنى الاحياء فالحجة أن الله (يأتى بالشمس من المشرق) تحريكا قسريا حسبما تقتضيه مشيئته والباء للتعدية (فأت بها من المغرب) تسييرا طبيعيا فانه أهون ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى ولم يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بأن بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد وأن التصدى بابطالها من قبيل السعى فى تحصيل الحاصل وأتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس فهو عدول عن مثال الى مثال آخر لايضاح كلامه وليس انتقالا من دليل الى دليل آخر لان ذلك غير محمود فى باب المناظرة (فبهت الذى كفر) أى صار مبهوتا ومتحيرا مدهوشا وايراد الكفر فى حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا قال فى أسئلة الحكم الحكمة فى طلوع الشمس قرب القيامة من مغربها أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال لنمرود ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر وان السحرة والمنجمة عن آخرهم ينكرون ذلك وانه غير كائن فيطلعها الحق يوما من المغرب ليرى المنكرين قدرته وأن الشمس فى ملكه ان شاء أطلعها من المشرق أو المغرب (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال أى عن قبول الدلائل القطعية الدالة على الحق دلالة واضحة بالغة فى الوضوح والقوة الى حيث جعل الخصم مبهوتا متحيرا فمن ظلم نفسه بالامتناع عن قبول مثل هذه الدلائل لا يجعله الله مهتديا بها لان المعتبر فى دار التكليف أن يهتدى وقت اختيارهم الكفر والظلم أى لا يخلق فيهم فعل الهداية وهم يختارون فعل الضلال ويحتمل انه لا يهدى طريق الجنة فى الآخرة من كفر بالله فى الدنيا روى ان النمرود لما عتا عتوا كبيرا وألقى ابراهيم فى النار بعد هذه المحاجة سلط الله على قومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام والنمرود كما هو لم يصبه شئ فبعث الله بعوضة فدخلت فى منخره فمكث أربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فعذبه الله أربعمائة سنة كما ملك أربعمائة سنة وهو الذى بنى صرحا الى السماء ببابل فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم (قال الشيخ العطار قدس سره) سوى او خصمى كه تير انداخته * پشهٔ كارش كفايت ساخته * والاشارة ان الله تعالى أعطى النمرود ملكا ما اعطى لاحد قبله ادعى الربوبية ما ادعى بها أحد قبله وذلك أن الله اعطى الانسان حسن استعداد لطلب الكمال فمن حسن استعداده فى الطلب وغاية لطافته فى الجوهر دائم الحركة فى طلب الكمال فحيثما توجه الكمال أخذ فى السير فيها الى أقصى مراتبها فى العلوى والسفلى فان وكل الى نفسه فى طلب الكمال فينظر بنظر الحواس الخمس الى المحسوسات وهى الدنيا فلا يتصور الا الدنيا فلا يتصور الكمال الا فيها فيأخذ فى السير لطلب الكمال وهذا السير موافق لسيره الطبيعى لانه خلق من تراب والتراب سفلى الطبع فيميل الى السفليات طبعا والدنيا هى السفل فيسير فيها بقدمى الطبع وطلب الكمال ففى البداية يرى الكمال فى جمع المال فيجمعه ثم يرى الكمال فى الجاه فيصرف المال

في طلب الجاه ثم يرى الكمال في المناصب والحكم ثم يرى في الامارة والسلطنة فيسير فيها مالم يكن مانع الى أن يملك الدنيا بأسرها كما كان حال النمرود ثم لايسكن جوهر الانسان في طلب الكمال بل كلما ازداد استغناؤه ازداد حرصه وكلما ازداد حرصه ازداد طلبه الى أن لايبقى شئ من السفليات دون أن يملكه ثم يقصد العلويات والى الآن كان ينازع ملوك الارض والآن ينازع ملك الملوك ومالك الملك في السموات والارض فيدعي الربوبية كالنمرود فانه كان سبب طغيانه استغناؤه قال تعالى أن الانسان ليطغى ان رآه استغنى فاذا كمل استغناؤه كمل طغيانه حتى يكفر بالنعمة فهذا كله عند فساد جوهره لما وكل الى نفسه واذا أصلح جوهره بالتربية ولم يكله الى نفسه هدى الى جهة الكمال المستعد له كقوله أهدكم سبيل الرشاد فصاحب التربية وهو النبي أو خليفته وهو الشيخ المرشد يربيه وتربيته في تبرئته عما سوى الله الى أن يبلغ حد كماله في طلب الكمال وهو افناء الوجود في وجود الموجود ليكون مفقودا عن وجوده موجودا بموجده فلما كان يقول عند فساد الجوهر وابطال حسن الاستعداد بالكمال أنا أحيي وأميت فيقول عند صلاح الجوهر وصرف حسن الاستعداد في اطلب الكمال مافي الوجود سوى الله فالجد يدق بمطرقة لا اله الا الله دماغ نمرود النفس الى أن يؤمن بالله ويكفر بطاغوت وجوده ووجود كل موجود سوى الله والله لايهدي القوم المشركين الى عالم التوحيد والشرك ظلم عظيم فبالشرك ضل من ضل فزل عن الصراط المستقيم كذا في التأويلات النجمية فعلى العاقل أن يتخلص من الشرك الخفي ويزكي نفسه عن سفساف الاخلاق ولايغتر بالمال والمنال بل يرجع الى الله الملك المتعال وقد وجدت صخرة عظيمة وعليها أسطر قديمة فرحك بشئ من الدنيا دليل على بعدك من الله وسكونك الى مافي يدك دليل على قلة ثقتك بالله ورجوعك الى الناس في حال الشدة دليل على أنك لم تعرف الله انتهى (قال السعدي) شنيدم كه جمشيد فرخ سرشت * بسر چشمه بر بسنكى نوشت * برين چشمه چون ما بسى دم زدند * برفتند چون چشم برهم زدند * كرفتيم عالم بمردى وزور * وليكن نبرديم با خود بكور * برفتند وهركس درود آنچه كشت * نماند بجز نام نيكو وزشت * اللهم اجعلنا من الذين طال عمرهم وحسن عملهم وقصر أملهم وكمل عقلهم (أو كالذي مر على قرية) عطف على قوله ألم تر وتقديره أو رأيت مثل الذي فعل كذا أي مارأيت مثله فتعجب منه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته أكثر من أن يحصى بخلاف مدعي الربوبية والمار هو عزير بن شرخيا والقرية بيت المقدس على الاشهر الاظهر واشتقاقها من القرى وهو الجمع روى أن بني اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد سلط الله عليهم بختنصر البابلي فسار اليهم في ستمائة ألف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل أثلاثا ثلثا منهم قتلهم وثلثا منهم أقرهم بالشام وثلثا منهم سباهم وكانوا مائة ألف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل ملك منهم أربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على أفظع مرأى وأوحش منظر وذلك قوله تعالى (وهي خاوية على عروشها) أي خالية عن أهلها وساقطة على سقوفها بأن سقطت العروش ثم الحيطان سقطت عليها من خوت المرأة وخويت خوى أي خلا جوفها عند الولادة وخوت الدار خواء بالمد وخوى البيت خوى بالقصر أي سقط

والعرش سقف البيت ويستعمل في كل ما هيئ ليستظل به (قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها) أي يعمر الله تعالى هذه القرية بعد خرابها على هذا الوجه اذ ليس المراد بالقرية أهلها بل نفسها بدليل قوله وهي خاوية على عروشها لم يقله على سبيل الشك في القدرة بل على سبيل الاستبعاد بحسب العادة (فأماته الله) أي جعله ميتا (مائة عام) روي أنه لما دخل القرية نزل تحت ظل شجرة وهو على حمار فربط حماره وطاف في القرية ولم ير بها أحدا فقال ما قال وكانت أشجارها قد أثمرت فتناول من فواكهها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فأماته الله في منامه وهو شاب وكان معه شيء من التين والعنب والعصير وكانت هذه الاماتة عبرة لا انقضاء مدة كاماتة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وأمات حماره أيضا ثم أعمى الله عن جسده وجسد حماره أبصار الانس والسباع والطير فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس ليعمره ومعه ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل فجعلوا يعمرون وأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل وردهم الى بيت المقدس وتراجع اليه من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة وكثروا وكانوا كأحسن ما كانوا فلما تمت المائة من موت العزير أحياه الله تعالى وذلك قوله تعالى (ثم بعثه) من بعثت الناقة اذا أقمتها من مكانها ويوم القيامة يسمى يوم البعث لانهم يبعثون من قبورهم وانما قال ثم بعثه ولم يقل ثم أحياه لان قوله ثم بعثه يدل على أنه عاد كما كان أولا حيا عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال في المعارف الالهية ولو قال ثم أحياه لم تحصل هذه الفوائد (قال) كأنه قيل فماذا قال بعد بعثه فقيل قال الله تعالى أو ملك مأمور من قبله تعالى (كم) يوما أو وقتا (لبثت) يا عزير ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشؤنه تعالى وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم أنه هين في الجملة بل بعد مدة طويلة وتحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على أمر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو ابقاء الغذاء المتسارع الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما (قال لبثت يوما أو بعض يوم) كقول الظان قاله بناء على التقريب والتخمين أو استقصارا لمدة لبثه (قال) ما لبثت ذلك المقدار (بل لبثت مائة عام) يعني كنت ميتا هذه المدة (فانظر) لتعاين أمرا آخر من دلائل قدرتنا (الى طعامك وشرابك لم يتسنه) أي لم يتغير هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روي أنه وجد تينه وعنبه كما جنى وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو من الطعام والشراب لان المضارع المنفي اذا وقع حالا يجوز أن يكون بالواو وبدونها وافراد الضمير مع أن الظاهر أن يقال لم يتسنها أو لم يتسنيا لان المذكور قبله شيئان الطعام والشراب لجريانهما مجرى الواحد كالغذاء والهاء في لم يتسنه ان كانت أصلية فهو من السنة التي أصلها سنهة وان كانت هاء سكت فهو من السنة التي أصلها سنوة واستعمال لم يتسنه في معنى لم يتغير من قبيل استعمال اللفظ في لازم معناه لان المعنى الاصلي لقولنا تسنه أو تسنى مرت عليه السنون والاعوام ويلزمه التغير (وانظر الى حمارك) كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت أوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من لبثك المديد وتطمئن به نفسك (ولنجعلك آية) كائنة (للناس) الواو استئنافية واللام متعلقة بمحذوف والتقدير فعلنا ذلك أي احياءك واحياء حمارك وحفظ ما معك من الطعام والشراب لنجعلك

آية للناس الموجودين فى هذا القرن بأن يشاهدوك وأنت من أهل القرون الخالية و يأخذوا منك ماطوى عنهم منذ احقاب من علم التوراة (وانظر الى العظام) تكرير الامر مع أن المراد عظام الحمار أيضا لما أن المأمور به أولا هو النظر اليها من حيث دلالتها على ماذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر اليها من حيث تعتريها الحياة ومباديها أى وانظر الى عظام الحمار لتشاهد كيفية الاحياء فى غيرك بعدما شاهدت نفسه فى نفسك (كيف ننشزها) يقال انشزته فنشز أى رفعته فارتفع أى نرفع بعضها من الارض الى بعض ونردها الى أماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها والجملة حال من العظام والعامل فيها انظر تقديره انظر الى العظام محياة أو بدل من العظام على حذف المضاف والتقدير انظر الى حال العظام (ثم نكسوها لحما) أى نسترها به كما يستر الجسد باللباس وانما وحد اللحم مع جمع العظام لان العظام متفرقة متعددة صورة واللحم متصل متحد مشاهدة ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما أنها مما لا تقتضى الحكمة بيانه (روى) انه سمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية المتفرقة ان الله يأمرك أن ينضم بعضك الى بعض كما كان وتكتسى لحما وجلدا فالتصق كل عظم بآخر على الوجه الذى كان عليه أولا وارتبط بعضها ببعض بالاعصاب والعروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق (فلما تبين له) أى ظهر له احياء الميت عيانا (قال اعلم ان الله على كل شئ) من الاشياء التى من جملتها ما شاهده فى نفسه وفى غيره من تعاجيب الآثار (قدير) لايستعصى عليه أمر من الامور (روى) انه ركب حماره وأتى محلته وأنكره الناس وأنكر الناس وأنكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أدركت زمن عزير فقال لها عزير ياهذه هذا منزل عزير قالت نعم وأين ذكرى عزير وقد فقد نامنذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فانى عزير قالت سبحان الله أنى يكون ذلك قال قد أماتنى الله مائة عام ثم بعثنى قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لى برد بصرى حتى ارالك فدعا ربه ومسح بين عينيها فصحتا فاخذ بيدها وقال قومى باذن الله فقامت صحيحة كأنما انشطت من عقال فنظرت اليه فقالت أشهد أنك عزير فانطلقت الى محلة بنى اسرائيل وهم فى أنديتهم وكان فى المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثمانى عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فانى بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فأقبلوا اليه فقال ابنه كان لابى شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بختنصر ببيت المقدس من قراء التوراة أربعين ألف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا أحد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير أن يخرم منها حرفا أى ينقص و يقطع فقال رجل من أولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد هلاك بختنصر حدثنى ابى عن جدى انه دفن التوراة يوم سبينا فى خابية فى كرم فان أريتمونى كرم جدى أخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوه فوجدوها فعارضوها بما أملى عليهم عزير عليه السلام عن ظهر القلب فما اختلفا فى حرف واحد فعند ذلك قالوا عزير ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفى القصة تنبيه على ان الداعى اذا راعى آداب الدعاء أجيب سريعا من غير مشقة تلحقه واذا ترك الادب لحقته

المشقة وأبطأت الاجابة فان ابراهيم عليه السلام لما قال رب ارنى كيف تحيى الموتى وبدأ بالثناء ثم سأل احياء الموتى اراه الله ذلك فى غيره فانه أراه فى طيره وعجل له ذلك على فوره وعزير قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأرى ذلك فى نفسه بعد مائة عام مضت على موته (قال السعدى)

نباید سخن مفت ناساخته * نشاید بریدن نینداخته

والاشارة فى تحقيق الآية ان قوما انكروا حشر الاجساد مع انهم اعتقدوا وأقروا بحشر الارواح وقالوا الارواح كان تعلقها بالاجساد لاستكمالها فى عالم المحسوس كالصبى يبعث الى المكتب ليتعلم الادب فلما حصل مقصوده من التعلم بقدر استعداده خرج من المكتب ودخل محفل أهل الفضل وصاحبهم سنين كثيرة واستفاد منهم أنواع العلوم التى لم توجد فى المكتب الا انه استفاد العلوم من الفضلاء بقوة أدبه الذى تعلمه فى المكتب وصار فاضلا فى العلوم فما حاجته بعد ان كبر شأنه وعظم قدره الى ان يرجع الى المكتب وحالة صباه فكذا الارواح لما خرجت من سجن الاشباح واتصلت بالارواح المقدسة بقوة علوم الجزئيات التى حصلتها من عالم الحس واستفادت من الارواح العلوية علم الكليات التى لم توجد فى عالم الحس فما حاجتها الى ان ترجع الى سجن الاجساد فكانت نفوسهم تسوّل لهم هذه التسويلات والشيطان يوسوسهم بمثل هذه الشبهات فالله سبحانه من كمال فضله ورحمته على عباده المخلصين امات عزيرا مائة سنة وحماره معه ثم احياهما جميعا ليستدل به العقلاء على ان الله مهما يحيى عزير الروح يحيى معه حمار جسده فلا يشك العاقل بتسويل النفس ووسوسة الشيطان وشبهات الفلسفى فى حشر الاجساد فكما ان عزير الروح يكون فى مقعد صدق عند مليك مقتدر يكون حمار جسده فى الجنة فلعزير الروح مشرب من كؤوس تجلى صفات الجمال والجلال عن ساقى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ولحمار الجسد مشرب من أنهار الجنات وحياض ورياض ولكم فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقد علم كل اناس مشربهم

شربنا وأهرقنا على الارض جرعة * وللارض من كأس الكرام نصيب

كذا فى التأويلات النجمية (واذ قال ابراهيم) أى اذكر وقت قوله وذكر الوقت يوجب ذكر ما وقع فى ذلك الوقت من الحوادث بالطريق البرهانى (رب) كلمة استعطاف قدمت بين الدعاء مبالغة فى استدعاء الاجابة (أرنى كيف تحيى الموتى) أى بصرنى كيفية احيائك للموتى بأن تحييها وأنا أنظر اليها اعيانا أى ذلك ليصير علمه عيانا وقد شرفه الله بعين اليقين بل بحق اليقين الذى هو أعلى المقامات والفرق ان علم اليقين هو المستفاد من الاخبار وعين اليقين هو المعاينة لا مرية فيه قال تعالى فى حق الكفار ثم لترونها عين اليقين فلما دخلوا النار وباشروا عذابها قال تعالى فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين (قال) ربه (أولم تؤمن) أى ألم تعلم يقينا ولم تؤمن بأنى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحياة قاله عز وعلا مع علمه بأنه اعرف الناس بالايمان ليظهر ايمانه لكل سامع بقوله بلى فيعلم السامعون غرضه من هذا القول وهو الوصول الى العيان (قال) ابراهيم (بلى) علمت وآمنت بذلك (ولكن) سألت ما سألت (ليطمئن قلبى) أى ليسكن ويحصل طمأنينته بالمعاينة فان عين اليقين يوجب الطمأنينة لا علمه فان قلت ما معنى قول على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا قلت ما ازددت يقينا بالايمان

بها وكان اذ رأى الآخرة ابصر بها من الفضائل والهيئات مالم يحط به قبل ذلك وكذلك ابراهيم لما رأى كيفية الاحياء وقف على مالم يقف عليه قبل (قال) ربه ان أردت ذلك (فخذ أربعة من الطير) طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وانما خص الطير لانه أقرب الى الانسان وأجمع لخواص الحيوان (فصرهن) من صاره يصوره ويصيره بضم الصاد من صاره يصيره والمعنى واحد أى أملهن واضممهن واجمعهن (اليك) لتتأملها وتعرف اشكالها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان جزأ من أجزائها لم ينتقل من موضعه الاول أصلا (روى) أنه امر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ولحومها ويمسك رؤسها ثم أمر بأن يجعل اجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى (ثم اجعل على كل جبل) من الجبال التى بحضرتك وكانت سبعة أو أربعة فجزأها أربعة أجزاء فقال تعالى ضع على كل جبل (منهن) أى من كل الطيور (جزأ ثم ادعهن) قل لهن تعالين باذن الله تعالى (يأتينك سعيا) أى ساعيات مسرعات طيرانا أو مشيا ففعل كما أمره فجعل كل جزء يطير الى آخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضمت كل جثة الى رأسها فعادت كل واحدة الى ما كانت عليه من الهيئة وجعل ابراهيم ينظر ويتعجب (واعلم ان الله عزيز) غالب على أمره لا يعجز شىء عما يريده (حكيم) ذو حكمة بالغة فى افعاله فليس بناء افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق آخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح قال القشيرى طلب ابراهيم عليه السلام بهذه حياة قلبه فاشير اليه بذبح الطيور وفى الطيور الاربعة أربعة معان هى فى النفس فى الطاوس زينة وفى الغراب امل وفى الديك شهوة وفى البط حرص فأشار الى انه مالم يذبح نفسه بالمجاهدة لم يحى قلبه بالمشاهدة (وفى المثنوى) حرص بط يكتاست اين پنجاه تاست * حرص شهوت مار ومنصب اژدهاست * حرص بط از شهوت حلقست وفرج * در رياست بيست چندانست درج * صد خورنده گنجد اندر گرد خوان * در رياست دو نگنجد در جهان * كاغ كاغ ونعرهٔ زاغ سياه * دائما باشد بدن را عمرخواه * همچو ابليس از خداى فرد * تا قيامت عمر تن درخواست كرد * عمر ومرگ اين هر دو با حق خوش بود * بى خدا آب حيات آتش بود * عمر خوش در قرب جان پروردنست * عمر را از بهر سرگين خوردنست * قال فى التأويلات النجمية الطيور الاربعة هى الصفات الاربع التى تولدت من العناصر الاربعة التى خمرت طينة الانسان منها وهى التراب والماء والنار والهواء فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينه الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان حيث وجد أحدهما وجد قرينه ومن النار وقرينها الهواء تولد الغضب والشهوة وهما قرينان يوجدان معا ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن اليها كحواء وآدم ويتولد منها صفات أخرى فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب زوجه الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هى كالمعشوقة بين الصفات فيتعلق بها كل صفة والها منها متولدات يطول شرحها فهى الابواب السبعة للدركات السبع من جهنم منها يدخل الخلق جهنم التى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعنى من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها فيدخل النار من ذلك الباب فأمر الله خليله بذبح هذه الصفات وهى الطيور الاربعة

طاوس البخل فلو لم يزين المال فى نظر البخيل كما زين الطاوس بألوانه ما بخل به وغراب الحرص وهو من حرصه أكثر فى الطلب وديك الشهوة وهو بها معروف ونسر الغضب ونسبته اليه لتصرفه فى الطيران فوق الطيور وهذه صفة المغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه متولداتها ما بقى له باب يدخل منه النار فلما ألقى فيها بالمنجنيق قهرا صارت النار عليه بردا وسلاما والاشارة بتقطيعها بالمبالغة ونتف ريشها وتفريق أجزائها وتخليط ريشها ودمائها ولحومها بعضها ببعض اشارة الى محو آثار الصفات الاربع المذكورة وهدم قواعدها على يدى ابراهيم الروح بأمر الشرع ونائب الحق وهو الشيخ والامر بتقسيم اجزائها وجعلها على كل جبل جزأ فالجبال الاربعة هى النفوس التى جبل الانسان عليها أولها النفس النامية وتسمى النفس النباتية وثانيها النفس الامارة وتسمى الروح الحيوانى وثالثها قوة الشيطنة وتسمى الروح الطبيعى ورابعها قوة الملكية وهو الروح الانسانى فطيور الصفات لما ذبحت وقطعت وخلطت اجزاء بعضها ببعض ووضع على كل جبل روح ونفس وقوة منها جزء بأمر الشرع تكون بمثابة اشجار وزروع تجعل عليها الترب المخلوطة بالزبل والقاذورات باستصواب دهقان ذى بصارة فى الدهقنة بقدر معلوم ووقت معلوم ثم يسقيها بالماء ليتقوى الزرع بقوة الترب والزبل وتتصرف النفس النامية النباتية فى الترب المخلوطة الميتة فتحييها باذن الله تعالى كقوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها فكذلك الصفات الاربع الحرص والبخل والشهوة والغضب مهما كانت كل واحدة منها على حالها غالبة على الجوهر الروحانى تكدر صفاءه وتمنعه من الرجوع الى مقامه الاصلى ووطنه الحقيقى فاذا كسرت سطوتها ووهنت قوتها وأميتت شعلتها ومحيت آثار طباعها بأمر الشرع وخلطت أجزاؤها المتفرقة بعضها ببعض ثم قسمت بأربعة أجزاء وجعل كل جزء منها على جبل قوة أو نفس أو روح فيتقوى كل واحد من هؤلاء بتقويتها ويتربى بتربيتها فيتصرف فيها الروح الانسانى فيحييها ويبدل تلك الظلمات التى هى من خصائص تلك الصفات المذمومة بنور هو من خصائص الروح الانسانى والملكى فتكون تلك الصفات ميتة عن أوصافها حية بأخلاق الروحانيات انتهى كلام التاويلات (مثل) نفقات (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) أى فى وجوه الخيرات من الواجب كالزكاة والنفل وقدر فى الكلام حذف لان الذين ينفقون لا يشبهون الحبة لانه لا يشبه الحيوان بالجماد بل نفقاتهم تشبه الحبة (كمثل حبة) لزارع زرعها فى أرض عامرة والحبة واحدة الحب وهو ما يزرع للاقتيات وأكثر اطلاقه على البر (أنبتت) أى أخرجت واسناد الانبات الى الحبة مجاز (سبع سنابل) أى ساقات تشعب سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة (فى كل سنبلة مائة حبة) كما يشاهد ذلك فى الذرة والدخن فى الاراضى المغلة بل أكثر من ذلك (والله يضاعف) تلك المضاعفة الى ما شاء الله تعالى (لمن يشاء) أن يضاعف له بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال فى مقادير الثواب (والله واسع) لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة (عليم) بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل ما أنفقه فمثل المتصدق كمثل الزارع اذا كان حاذقا فى عمله وكان البذر جيدا وكانت الارض عامرة يكون الزرع اكثر فكذلك المتصدق اذا كان

صالحا والمال طيبا ووضع في موضعه يكون الثواب اكثر كما روى في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل واعاذكر النبي عليه السلام التربية في الصدقة وان كان غيرها من العبادات يزيد أيضا بقبوله اشارة ان الصدقة فريضة كانت أو نافلة أحوج الى تربية الله لثبوت النقيصة فيها بسبب حب الطبع الاموال وفي الحديث صدقة المؤمن تدفع عن صاحبها آفات الدنيا وفتنة القبر وعذاب يوم القيامة وفي الحديث السخاوة شجرة أصلها في الجنة وأغصانها متدليات في دار الدنيا فمن تعلق بغصن منها يسوقه الى الجنة والبخل شجرة أصلها في النار وأغصانها متدليات في دار الدنيا فمن تعلق بغصن منها يسوقه الى النار وفي الحديث الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أي الكاسب لتحصيل مؤنتهما كالمجاهد لان القيام بمصالحهما انما يكون بصبر عظيم وجهاد نفس لئيم فيكون ثوابه عظيما (وفي بستان الشيخ السعدي قدس سره) يكى از بزركان اهل تميز * حكايت كند از ابن عبد العزيز * كه بودش نكينى در انكشترى * فرومانده از قيمتش مشترى * بشب كفتى آن جرم كيتى فروز * درى بود در روشنايى چو روز * قضا را در آمد يكى خشك سال * كه شد بدر سيماى مردم هلال * چو در مردم آرام وقوت نديد * خود آسوده بودن مروت نديد * چو بيند كسى زهر دركام خلق * كيش بكذرد آب شيرين بحلق * بفرمود بفروختندش بسيم * كه رحم آمدش بر فقير ويتيم * بيك هفته نقدش بتاراج داد * بدرويش ومسكين ومحتاج داد * فتادند در وى ملامت كنان * كه ديكر بدستت نيايد چنان * شنيدم كه ميكفت وباران دمع * فروميدويدش بعارض چو شمع * كه زشتست پيرايه بر شهريار * دل شهرى از ناتوانى فكار * مرا شايد انكشترى بى نكين * نشايد دل خلق اندوهكين * خنك انكه آسايش مرد وزن * كزيند بر آسايش خويشتن * نكردند رغبت هنر پروران * بشادئ خويش از غم ديكران * واعلم ان الاعمال بالنيات فان قلت ما معنى قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله قلت مورد الحديث ان عثمان رضي الله تعالى عنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم انه وعد بثواب عظيم على حفر بئر فنوى ان يحفرها فسبق اليه كافر فحفرها فقال عليه السلام نية المؤمن خير من عمله أي عمل الكافر والجواب الثاني ان النية المجردة من المؤمن خير من عمله المجرد عن النية لانه اذا فعل فعل الخير بغير نية يكون عمله مع النية خيرا من ذلك لكن قال بعضهم ليس في بعض الاعمال أجر بغير نية كالصلاة لا تجوز بغير نية ولا يحتاج بعض الاعمال الى النية كقراءة القرآن والاذكار ثم اعلم ان الانفاق على مراتب انفاق العامة بالمال فأجرهم الجنة وانفاق الخواص اصلاح الحال بتزكية النفس وتصفية القلب فأجرهم يوم القيامة النظر الى وجه الله تعالى فينبغي للمؤمن ان يزكي نفسه ويصفي قلبه من حب المال بالانفاق في سبيل الله الملك المتعال حتى ينال الشرف في الجنان ويحترز عن البخل حتى لا يكون عند الله تعالى من الخاسرين (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) أي يضعونها في مواضعها (ثم) لاظهار علو رتبة المعطوف (لا يتبعون ما انفقوا) العائد محذوف أي ما أنفقوه (منا) وهو ان يعتد على من أحسن اليه باحسانه ويريه انه أوجب بذلك عليه حقا أي لا يمنون عليهم بما

تصدقوا بأن يقول المتصدق المان اصطنعتك كذا خيرا وأحسنت اليك كثيرا (ولا اذى) وهو أن يتطاول عليه بسبب انعامه عليه أى لا يؤذيه بأن يقول المتصدق المؤذى أنى قد أعطيتك فما شكرت أوالى كم تأتينى وتؤذينى أو كم تسأل ألا تستحيى أو أنت أبدا تجيئنى بالابرام فرج الله عنى منك وباعد ما بينى وبينك (لهم أجرهم عند ربهم) ثوابهم فى الآخرة وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بأن ترتب الاجر على ماذكر من الانفاق وترك المن والاذى أمر بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية (ولا خوف عليهم) مما يستقبلهم من العذاب (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا من أمور الدنيا (روى) ان الحسن بن على رضى الله عنه اشتهى طعاما فباع قميص فاطمة بستة دراهم فسأله سائل فأعطاها ثم لقى رجلا يبيع ناقة فاشتراها بأجل وباعها من آخر فأراد أن يدفع الثمن الى بائعها فلم يجده فحكى القضية الى النبى عليه السلام فقال أما السائل فرضوان وأما البائع فميكائيل وأما المشترى فجبريل فنزل قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم الآية قال بعض أهل التفسير نزلت هذه الآية والتى قبلها فى عثمان وعبد الرحمن رضى الله عنهما أما عثمان فجهز جيش العسرة فى غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وألف دينار فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يقول يارب رضيت عنه فارض عنه وأما عبد الرحمن ابن عوف فتصدق بنصف ماله أربعة آلاف دينار فقال عندى ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسى وعيالى أربعة آلاف وأربعة آلاف أقرضتها ربى فقال عليه السلام بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت فهذه حال عثمان وعبد الرحمن رضى الله عنهما حيث تصدقا ولم يخطر ببالهما شئ من المن والاذى قال بعضهم المن يشبه بالنفاق والاذى يشبه بالرياء ثم قال بعضهم اذا فعل ذلك فلا أجر له وعليه وزر فيما من وآذى على الفقير وقال وهب فلا أجر له ولا وزر له وقال بعضهم له أجر الصدقة ولكن ذهبت مضاعفته وعليه الوزر بالمن واعلم أن الله تعالى نهى عباده أن يمنوا على أحد بالمعروف مع أنه تعالى قد من على عباده كما قال بل الله يمن عليكم وذلك لان الله تعالى تام الملك والقدرة وملكه وقدرته ليس بغيره والعبد وان كان فيه خصال الخير فتلك خصاله من الله ولم يكن ذلك بقوة العبد فالعبد ناقص والناقص لا يجوز له أن يمن على أحد ويمدح نفسه والمن ينقص قدر النعمة ويكدرها لان الفقير الآخذ منكسر القلب لاجل حاجته الى صدقة غيره معترف باليد العليا للمعطى فاذا أضاف المعطى الى ذلك اظهار ذلك الانعام زاد ذلك فى انكسار قلبه فيكون فى حكم المضر به بعد أن نفعه وفى حكم المسىء اليه بعد أن أحسن اليه (قال الحسين الكاشفى) آنچه كه بدهى بجود هنده خداست * منت بهودة منهادن خطاست * هرچه دهى مى ده ومنت منه * وآنچه پشيمان شوى آن هم مده (وقال السعدى) چو انعام كردى مشو خود پرست * كه من سرورم ديگران زيردست * چو بينى دعا گوى دولت هزار * خدا وندرا شكر نعمت گذار * كه چشم از تو دارند مردم بسى * نه تو چشم دارى بدست كسى * قيل ان ابراهيم عليه السلام كان له خمسة آلاف قطيع من الغنم وعليها كلاب المواشى بأطواق الذهب فتمثل له ملك فى صورة البشر وهو ينظر أغنامه فى البيداء فقال الملك سبوح قدوس رب الملائكة والروح فقال ابراهيم عليه السلام كرر ذكر ربى ولك نصف ما ترى من أموالى فكرر الملك فنادى ثانيا كرر تسبيح ربى ولك جميع ما ترى من مالى فتعجب

الملائكة فقالوا جديران يتخذك الله خليلا ويجعل لك فى الملل والنحل ذكرا جميلا (وفى المثنوى) قرض ده زين دولت اندر قرضوا * تا كه صد دولت ببينى پيش رو * اندكى زين سرب كم كن بهر خويش * تا كه حوض كوثرى يابى به پيش * (وفى نوابغ الكلم) صنوان من منع سائله ومن ومن منع نائله وضن واعلم ان الناس على ثلاث طبقات الاولى الاقوياء وهم الذين انفقوا جميع ما ملكوا وهؤلاء صدقوا فيما عاهدوا الله عليه من الحب كما فعل أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه والثانية المتوسطون وهم الذين لم يقدروا على اخلاء اليد عن المال دفعة ولكن امسكوه لا للتنعم بل للانفاق عند ظهور محتاج اليه وقنعوا فى حق أنفسهم بما يقويهم على العبادة والثالثة الضعفاء وهم المقتصرون على أداء الزكاة الواجبة اللهم اجعلنا من المتجردين عن غيرك والقانعين بك عما سواك (قول معروف) رد جميل وهو أن يرد السائل بطريق جميل حسن تقبله القلوب والطباع ولا تنكره (ومغفرة) أى ستر لما وقع من السائل من الالحاف فى المسئلة وغيره مما يثقل على المسؤل وصفح عنه (خير من صدقة يتبعها أذى) لان من جمع بين نفع الفقير واضراره حرم الثواب فان قالوا أى خير فى الصدقة التى فيها أذى حتى يقال هذا خير منه قلنا يعنى عندكم كذلك وهو كقوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة أى عندكم ذلك خير لكن اعلموا أن هذا خير لكم فى الدنيا والآخرة مما تعدونه أنتم خيرا (والله غنى) عما عندكم من الصدقة لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤونة المن والاذى ويرزقهم من جهة أخرى (حليم) لا يعاجل أصحاب المن والاذى بالعقوبة لا أنهم لا يستحقونها بسببهما وفيه من السخط والوعيد لهم ما لا يخفى قال فى مجالس حضرة الهدائى قدس سره وانما كان الرد الجميل خيرا من صدقة المان والمؤذى لان القول الحسن وان كان بالرد يفرح قلب السائل ويروح روحه ونفع الصدقة لجسده وسراية السرور لقلبه بالتبعية من تصور النفع فاذا قارن ما ينفع الجسد بما يؤذى الروح يكدر النفع حينئذ ولا ريب ان ما يروح الروح خير مما ينفع الجسد لان الروحانية أوقع فى النفوس وأشرف قال الشعبى من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته فقد أبطل صدقته وبالغ السلف فى الصدقة والتحرز فيها عن الرياء فانه غالب على النفس وهو مهلك ينقلب فى القلب اذا وضع الانسان فى قبره فى صورة حية أى يؤلم ايلام الحية والبخل ينقلب فى صورة عقرب والمقصود فى كل انفاق الخلاص من رذيلة البخل فاذا امتزج به الرياء كان كأنه جعل العقرب غذاء الحية فتخلص من العقرب ولكن زاد فى قوة الحية اذ كل صفة من الصفات المهلكة فى القلب انما غذاؤها وقوتها فى اجابتها الى مقتضاها ثمرات الصدقة لا تنحصر فى المال بل تجرى فى كل معروف فالكلمة الطيبة والشفاعة الحسنة والاعانة فى حاجة واحد وعيادة مريض وتشييع جنازة وتطييب قلب مسلم كل ذلك صدقة * كر خبر كنى مرادى يابى * درهر دو جهان كشادى يابى * احسان كن وبهر توشه خويش * زادى بفرست تو بن از پيش * واعلم ان الدنيا ومهلكها الا اعتدادلها (حكى) عن بعض الملوك انه حبست الريح فى بطنه حتى قرب الى الهلاك فقال كل من يزيل عنى هذا البلاء أعطيته ملكى فسمعه شخص من أهل الله فجاء ومسح يده على بطنه فخرجت منه ريح منتنة وتعافى الملك من ساعته فقال يا سيدى اجلس على سرير المملكة أنا عزلت نفسى فقال الرجل لا حاجة الى متاع قيمته ضرطة منتنة ولكن أنت

اتعظ من هذا فالشئ الذى اغتررت به قيمته هذا وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه
من رغب فى الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد فى الدنيا وقصر أمله أعطاه
الله تعالى علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل
والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم
فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو
يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى أعطاه الله تعالى ثواب خمسين صديقا (وفى المثنوى)
كاسه چشم حريصان پرنشد * تاصدف قانع نشد پردر نشد * (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى) فان من فعل ذلك لا أجر له فى صدقته وعليه وزر منه على الفقير ووزر
ايذائه وقد سبق معنى المن والاذى والمراد بابطال الصدقة احباط أجرها لان الصدقة لما
وقعت وتقدمت لم يمكن ان يراد بابطالها نفسها بل المراد احباط أجرها وثوابها لان الاجر لم يحصل
بعد فيصح ابطاله بما يأتيه من المن والاذى (كالذى) المراد المنافق لان الكافر معلن كفره غير
مراء والكاف فى محل النصب على أنه صفة لمصدر محذوف أى لا تبطلوها ابطالا كابطال المنافق
الذى (ينفق ماله رئاء الناس) أى لاجل رئائهم يعنى ليقال انه كريم (ولا يؤمن بالله واليوم
الآخر) لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة ورئاء من راءى نحو قاتل قتالا ومعنى المفاعلة
ههنا مبنى على ان المرائى فى الانفاق يرائى ان يراه الناس فيحمدوه (فمثله) أى حالته العجيبة
(كمثل صفوان) أى حجر صاف أملس وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا فواحده صفوانة ومن جعله
واحدا فجمعه صفى (عليه تراب) أى شئ يسير منه (فأصابه وابل) أى مطر شديد الوقع كبير
القطر (فتركه صلدا) أملس ليس عليه شئ من الغبار (لا يقدرون) كأنه قيل فماذا يكون حالهم
حينئذ فقيل لا يقدرون (على شئ مما كسبوا) أى لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا
قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا يقال فلان لا يقدر على درهم أى لا يجده ولا يملكه فان
قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذى ينفق قلت أراد بالذى ينفق الجنس أو الفريق الذى
ينفق ولان من والذى يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق فجمع الضمير باعتبار المعنى ولما ذكر تعالى
بطلان أجر الصدقة بالمن والاذى ذكر لكيفية ابطال أجرها بهما مثلين فمثله أولا بمن ينفق ماله
رئاء الناس وهو مع ذلك كافر بالله واليوم الآخر فان بطلان أجر ما أنفقه هذا الكافر أظهر من
بطلان أجر من يتبعها بالمن والاذى ثم مثله ثانيا بالصفوان الذى وقع عليه تراب وغبار ثم أصابه
المطر فأزال ذلك الغبار عنه حتى صار كأنه ما كان عليه تراب وغبار أصلا فالكافر كالصفوان
والتراب مثل ذلك الانفاق والوابل كالكفر الذى يحبط عمل الكافر وكالمن والاذى اللذين
يحبطان عمل هذا المنفق فكما أن الوابل أزال التراب الذى وقع على الصفوان فكذا المن
والاذى يجب أن يكونا مبطلين لاجر الانفاق بعد حصوله وذلك صريح فى القول بالاحباط
والتكفير كما ذهب اليه المعتزلة القائلون بأن الاعمال الصالحة توجب الثواب وان الكبائر تحبط
ذلك الثواب وأما أصحابنا القائلون بأن الثواب تفضل محض فانهم قالوا ليس المراد بقوله
لا تبطلوا النهى عن ازالة هذا الثواب بعد ثبوته بل المراد النهى عن أن يأتى بهذا العمل باطلا

وبيانه أن المن والاذى يخرجانه من أن يترتب عليه الاجر الموعود لان العمل انما يؤدى الى الاجر الموعود اذا أتى به العامل تعبدا وطاعة وابتغاء لما عند الله تعالى من الاجر والرضوان وعملا بقوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا وبقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فمن كان حامله على العمل ابتغاء ما عند الله مما وعده للمخلصين فقد جرى على سنن المبادلة التى وقعت بين العمل والثواب الذى وعده الله تعالى لمن أخلص عمله لله تعالى فلما كانت معاملته فى الحقيقة مع الله تعالى لم يبق وجه لان يمن على الفقير الذى تصدق عليه ولا لان يؤذيه بأن يقول له مثلا خذه بارك الله لك فيه ومن من عليه أو آذاه فقد أعرض عن جهة المبادلة مع الله ومال الى جهة التبرع على الفقير من غير ابتغاء وجه الله وأتى بعمله من الابتداء على نعت البطلان فيكون محروما من البدل الذى وعده الله لمن أقرض الله قرضا حسنا اذ لم يقع عمله على وجه الاقراض (والله لا يهدى القوم الكافرين) الى الخير والرشاد وفيه تعريض بأن كلا من الرئاء والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين أن يجتنبوها روى عن بعض العلماء انه قال مثل من يعمل الطاعة للرئاء والسمعة كمثل رجل خرج الى السوق وملأ كيسه حصى فيقول الناس ما أملأ كيس هذا الرجل ولا منفعة له سوى مقالة الناس فلو أراد أن يشترى به شيأ لا يعطى به شيأ وقد بالغ السلف فى اخفاء صدقتهم عن أعين الناس حتى طلب بعضهم فقيرا أعمى لئلا يعلم أحد من المتصدق وبعضهم ربط فى ثوب الفقير نائما وبعضهم ألقى فى طريق الفقير ليأخذها وبذلك يتخلص من الرئاء (وفى المثنوى) كفت پيغمبر بيك صاحب ريا * صل انك لم تصل يا فتى * از براى چارهٔ اين خوفها * آمد اندر هر نمازى اهدنا * كين نمازم را مياميز اى خدا * با نماز ضالين واهل ريا * قال النبى صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرئاء يقول الله لهم يوم يجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا كان يوم القيامة ينزل الى العباد ليقضى بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعى به رجل جمع القرآن ورجل قتل فى سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولى قال بلى يارب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت أقرؤه آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى أحد قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما آتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقول له فيماذا قتلت فيقول يارب أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جرئ فقد قيل ذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك الثلاثة اول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة (قال السعدى) طريقت همينست كاهل يقين * نكوكار بودند وتقصير بين * بروى ريا خرقه سهلست دوخت * كرش با خدا در توانى فروخت * همان به كر ابستن كوهرى * كه همچون صدف سر بخود در برى * ورآوازه

شواهی دراقلیم فاش * برون حله کن کو درون حشو باش * اکر مسك خالص نداری مکوی
* وکرهست خود فاش کردد بیوی * چه زنار مغ در میانت چه دلق * که در پوشی از بهر پندار
خلق * والاشارة فی الآیة ان المعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض ففيها نوع من
الاعراض ومن أعرض عن الحق فقد أقبل على الباطل ومن أقبل على الباطل فقد أبطل
حقوقه فی الاعمال فماذا بعد الحق الا الضلال وقد نهينا عن ابطال أعمال البر بالاعراض عن
طلب الحق والاقبال على الباطل بقوله لا تبطلوا صدقاتكم وهی من اعمال البر بالمن أی اذا
مننت بها على الفقير فقد اعرضت عن طلب الحق لان قصدك فی الصدقة لو كان طلب الحق لما
مننت على الفقير بل كنت رهين منة الفقير حيث كان سبب وصولك الى الحق ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم لولا الفقراء لهلك الاغنياء معناه لم يجدوا وسيلة الى الحق وقد فسر بعضهم قوله
عليه السلام اليد العليا خير من اليد السفلى بأن اليد العليا هی يد الفقير والسفلى يد الغنی تعطى
السفلى وتأخذ العليا والاذى هو الاقبال على الباطل لان كل شئ غير الحق فهو باطل فمن عمل عملا
لله ثم يشوبه بغرض فی الدارين فقد أبطل عمله بأن يكون لله فافهم جدا كذا فی التأويلات
النجمية (وفی المثنوی) * عاشقانرا شادمانی وغم اوست * دست مزد واجرت خدمت هم اوست
* غیر معشوق ار تماشایی بود * عشق نبود هرزه سودایی بود * عشق آن شعله است کوچون
برفروخت * هرچه جز معشوق باقی جمله سوخت * فالعشق الالهی والحب الرحمانی اذا
استولى على قلب العبد يقطع عنه عرق الشركة فی الاموال والاولاد والانفس والخدمة بالاجرة
لا تناسب الرجولية فان من علم أن مولاه كريم يقطع قلبه عن ملاحظة الاجرة ويجى اجرته اليه
من ذلك الكريم على الكمال (قال الحافظ) تو بندكی چو كدايان بشرط مزد مكن * كه دوست
خود روش بنده پروری داند * اللهم اقطع رجاءنا عن غيرك واجعلنا من الذين لا يطلبون منك
الا ذاتك (ومثل) نفقات (الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله) أی لطلب رضاه
(وتثبيتا من أنفسهم) أی جعل بعض أنفسهم ثابتا على الايمان والطاعة ليزول عنها رذيلة البخل
وحب المال وامساكه والامتناع عن انفاقه فان النفس وان كانت مجبولة على حب المال
واستثقال الطاعات البدنية الا انها ما عودتها تتعود (قال صاحب البردة)

والنفس كالطفل ان تهمله شب على * حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

فاذا اهملتها فقد تعودت واعتادت الكسل والبطالة والبخل وامساك المال عن صرفه الى وجوه
الطاعات ومقتضيات الايمان وحيث كلفتها وحملتها على مشاق العبادات البدنية والمالية تنقاد
لك وتترك عن عاداتها الجبلية فمن تبعيضية كما فی قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فان
قلت كيف يكون المال بعضا من النفس حتى تكون الطاعة ببذله تثبيتا لبعض النفس وتثبيتا
لها على الثمرة الايمانية قلت ان النفس لشدة تعلقها بالمال كأنه بعض منها فالمال شقيق الروح
فمن بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها (وفی المثنوی)
دادن نان مرحق را لايقست * دادن جان خود سخای عاشقست * جان دهی چون بهر
حق جانت دهند * نان دهی چون بهر حق نانت دهند * آن فتوت بخش هر بی علتست *
پاكبازی خارج از هر ملتست * درشريعت مال هركس مال اوست * درطريقت ملك

ماعملك دوست * ويجوز ان يكون التثبيت بمعنى جعل الشئ صادقا محققا ثابتا والمعنى تصديقا
للاسلام ناشئا من أصل أنفسهم وتحقيقا للجزاء فان الانفاق امارة أن الاسلام ناشئ من أصل
النفس وصميم القلب فمن لابتداء الغاية كما فى قوله تعالى حسدا من عند أنفسهم ولعل تحقيق
الجزاء عبارة عن الايقان بأن العمل الصالح مما يثيب الله ويجازى عليه أحسن الجزاء (كمثل
جنة) بستان كائن (بربوة) مكان مرتفع مأمون من ان يصطلمه البرد أى يفسده للطافة هوائه
بهبوب الرياح الملطفة له فان أشجار الرباة تكون أحسن منظرا وأزكى ثمرا وأما الاراضى
المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقال بعضهم ان البستان اذا
وقع فى موضع مرتفع من الارض لا تنفعه الانهار وتضربه الرياح كثيرا فلا يحسن ريعه الا اذا
كان على الارض المستوية التى لا تكون ربوة ولا وهدة فالمراد من الربوة حينئذ كون الارض
لينة جيدة بحيث اذا نزل المطر عليها انتفخت وربت ونمت فان الارض اذا كانت بهذه الصفة
يكثر ريعها وتكمل أشجارها ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا
عليها الماء اهتزت وربت فان المراد من ربوها ما ذكر (أصابها وابل) أى وصل اليها مطر كبير
القطر شديد الوقع (فآتت) أى اعطت صاحبها أو أهلها (أكلها) ثمرتها وغلتها وهو بضمتين
الشئ المأكول ويجوز أن يكون آتت بمعنى اخرجت فيتعدى الى مفعول واحد هو أكلها
(ضعفين) اى مثلى ما كانت تثمر فى سائر الاوقات وذلك بسبب ما أصابها من الوابل قال ابن
عباس حملت فى سنة من الريع ما يحمل غيرها فى سنتين والمراد بالضعف المثل كما أريد بالزوج
الواحد فى قوله تعالى من كل زوجين اثنين ومن فسره بأربعة أمثال ما كانت تثمر حمل الضعف
على أصل معناه وهو مثلا الشئ فيكون ضعفين أربعة أمثال (فان لم يصبها وابل فطل) أى فطل
وهو المطر الصغير القطر يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها والطل اذا دام عمل عمل الوابل
وجاز الابتداء بالنكرة لوقوعها فى جواب الشرط وهو من جملة المسوغات للابتداء بالنكرة ومن
كلامهم ان ذهب العير فعير فى الرباط والمعنى تشبيه نفقات هؤلاء الذين ينفقون بسبب ما يحملهم
عليه من الابتغاء والتثبيت زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تلك النفقات تتفاوت فى
زكائها بحسب تفاوت ما ينضم اليها من أحوالهم التى هى الابتغاء والتثبيت الناشئ من
ينبوع الصدق والاخلاص اليها بحال جنة نامية زاكية بسببى الربوة والوابل أو الطل والجامع
النمو المرتب على السبب المؤدى اليه ويجوز أن يكون التشبيه من قبيل المفرق بأن يشبه زلفاهم
من الله تعالى وحسن حالهم عنده بثمرة الجنة ووجه التشبيه الزيادة ويشبه نفقتهم الكثيرة
والقليلة بالقوى من المطر والضعيف منه من حيث ان كل واحد منهما سبب لزيادة فى الجملة لان
النفقتين تزيدان حسن حالهم كما أن المطرين يزيدان ثمر الجنة (والله بما تعملون بصير) من عمل
الاخلاص والرياء لا يخفى عليه شئ وهو ترغيب فى الاخلاص مع تحذير عن الرياء ونحوه فعلى
العاقل أن يعبد الله تعالى على الاخلاص ويكون دائما فى رجاء الخلاص عن الطاغوت الخفى
وهو الشرك الخفى فان الخلاص يبتنى على الاخلاص (قال السعدى) همينست بسندت
اكر بشنوى * كه كرخار كارى سمن ندروى * يعنى من زرع الشوك لم يحصد الازهار والنبات
ولا يثمر شجره وبالكأس التى تسقى تشرب عصمنا الله واياكم من ضياع العمل وكساده واختلال

الاعتقاد وفساده وخالص الاعمال هو الذي تعمله لله لا تحب أن يحمدك عليه احد واذا قارن
العمل بالاخلاص يكون كنحاس طرح فيه الاكسير وجسد نفخ فيه الروح ولذا يضاعف ثوابه
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي عليه السلام ان الصدقة اذا خرجت من يد
صاحبها قبل أن تدخل في يد السائل تتكلم بخمس كلمات أولاها تقول كنت قليلة فكثرتني
وكنت صغيرة فكبرتني وكنت عدوا فأحببتني وكنت فانيا فأبقيتني وكنت محروسا الآن صرت
حارسك وعن مكحول الشامي اذا تصدق المؤمن بصدقة رضي الله عنه ونادت جهنم يارب
ائذن لي بالسجود شكرا لك قد أعتقت واحدا من أمة محمد من عذابي لاني أستحي من محمد أن
أعذب أحدا من أمته ولا بتلى من طاعتك ولفظ الصدقة أربعة أحرف كل منها اشارة الى
معنى أما الصاد فالصد أي الصدقة تصد وتمنع عن صاحبها مكروه الدنيا والآخرة وأما الدال
فالدليل لانها تدل صاحبها الى الجنة وأما القاف فقربه الى الله تعالى وأما الهاء فهداية الله
تعالى (قال بعضهم) زان پيش كه دست ساقىء دهر * درجام مرادت افكند زهر * ازسر بنه
اين كلاه ودستار * جهدى بكن ودلى بدست آر * كين سر همه سال با كله نيست * وين
روى هميشه همچو مه نيست * فمن ساعده المال فلينفق في سبيل الله الملك المتعال وليشكر
على غنى ومدد فلا يقطع رجاء أحد وفي الحديث من قطع رجاء من ارتجا اليه قطع الله رجاءه
(وروى) أن بعض العلماء لما رأى هذا الحديث بكى بكاء شديدا وتحير في رعاية فحواه فقام وذهب
الى واحد من الصلحاء ليستفسر معنى هذا الحديث ويدفع شبهته فلما دخل عليه رأى ذلك
الرجل الصالح يأخذ بيده خبزا ويؤكله الكلب من يده فسلم فرد عليه السلام ولم يقم له كما كان
يفعله قبل فلما أكل الكلب الخبز بالتمام قام له ولاطفه وقال معتذرا خذ العذر مني حيث لم أقم
امتثالا لقول النبي عليه السلام من قطع رجاء الحديث وهذا الكلب رجا مني أكل الخبز ولم أقم
خشية أن أقطع رجاءه فلما سمع هذا الكلام ازداد تحيرا ولم يستفسر فتعجب من كرامته وقوته
في باب الولاية واعلم أن ثمرات الاخلاص في طلب الحق ومرضاته تكون ضعفين بالنسبة الى
من ينفق ويعمل الخيرات والطاعات لاجل الثواب الاخروي ورفعة الدرجات في الجنات فان
حظه يكون من نعيم الجنة فحسب والخالص في طلب الحق يكون له ضعف من قربة الحق ودولة
الوصال وشهود ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وضعف من نعيم الجنة أوفى
وأوفر من ضعف طالب الجنة ونعيمها بأضعاف مضاعفة اللهم اهدنا اليك (أيود أحدكم) الهمزة
لانكار الوقوع كما في قوله أأضرب أبي لا لانكار الواقع كما في قوله أتضرب أباك أي ما كان ينبغي
أن يود رجل منكم (أن تكون له جنة) كائنة (من نخيل واعناب) والجنة تطلق على الاشجار
الملتفة المتكاثفة وهو الانسب بقوله تعالى (تجري من تحتها الانهار) اذ على كونها بمعنى الارض
المشتملة على الاشجار الملتفة لا بد من تقدير مضاف أي من تحت أشجارها (له فيها من كل
الثمرات) الظرف الاول خبر والثاني حال والثالث مبتدأ أي صفة للمبتدأ قائمة مقامه أي له رزق
من كل الثمرات كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم أي وما منا أحد الا له الخ وليس المراد
بالثمرات العموم بل انما هو التكثير كما في قوله تعالى وأوتيت من كل شيء فان قلت كيف قال جنة
من نخيل وأعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا أكرم الشجر

واكثرها

وأكثرها نفعا خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات (و) الحال انه قد (أصابه الكبر) أى كبر السن الذى هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها ومئنة كمال العجز عن تدارك أسباب المعاش (وله ذرية ضعفاء) أى أصابه الكبر والحال أن له ذرية صغارا لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادى المعاش (فأصابها) أى تلك الجنة (اعصار) أى ريح عاصفة تستدير فى الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود (فيه نار) شديدة (فاحترقت) فصارت نعمها الى الذهاب وأصلها الى الخراب فبقى الرجل متحيرا لا يجد ما يعود به عليها ولا قوة له أن يغرس مثلها ولا خير فى ذريته من الاعانة لكونهم ضعفاء عاجزين عن أن يعينوه وهذا كما ترى تمثيل لحال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء فى الحسرة والاسف اذا كان يوم القيامة واشتدت حاجته اليها ووجدها محبطة بحال من هذا شأنه وأشبههم به من جال بسره فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى جنات الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ماسوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا (قال الحافظ) زاهدا ين مشو از بازئ غيرت زنهار * كه ره از صومعه تادير مغان اين همه نيست * (كذلك) أى مثل ذلك البيان الواضح الذى بين فيما مر من الجهاد والانفاق فى سبيل الله وقصة ابراهيم وعزير وغير ذلك لكم أيها الفريق (يبين الله لكم الآيات) أى الدلالات الواضحة فى تحقيق التوحيد وتصديق الدين (لعلكم تتفكرون) كى تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها قال القشيرى هذه آيات ذكرها الله على جهة ضرب المثل للمخلص والمنافق والمنفق فى سبيل الله والمنفق فى الباطل هؤلاء يحصل لهم الخلف والشرف وهؤلاء يحصل لهم السرف والتلف وهؤلاء ضل سعيهم وهؤلاء شكر سعيهم وهؤلاء تزكو أعمالهم وهؤلاء حبطت أعمالهم وخسرت أموالهم وختمت بالسوء أحوالهم وتضاعف عليهم وبالهم وثقل ومثل هؤلاء كالذى أنبت زرعا زكا أصله وعما فضله وعلا فرعه وكثر نفعه ومثل هؤلاء كالذى خسرت صفقته وسرقت بضاعته وضاقت على كبر سنه غلته وتواترت من كل وجه محنته هل يستويان مثلا وهل يتقاربان شبها انتهى فلا بد من اخلاص الاعمال فان الثمرات تبتنى على الاصل وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه انه قال حين بعث الى اليمن يارسول الله أوصنى قال أخلص دينك يكفك العمل القليل * وعلاج الرياء على ضربين أحدهما قطع عروقه واستئصال أصوله وذلك بازالة أسبابه وتحصيل ضده وأصل أسبابه حب الدنيا واللذة العاجلة وترجيحها على الآخرة والثانى دفع ما يخطر من الرياء فى الحال ودفع ما يعرض منه فى أثناء العبادة فعليك فى أول كل عبادة أن تفتش قلبك وتخرج منه خواطر الرياء وتقره على الاخلاص وتعزم عليه الى أن تتم لكن الشيطان لا يتركك بل يعارضك بخطرات الرياء وهى ثلاث مرتبة العلم باطلاع الخلق أو رجاؤه ثم الرغبة فى حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فعليك رد كل منها (قال السعدى) قيامت كسى بينى اندر بهشت * كه معنى طلب كرد دعوى بهشت * كنهكار انديشناك ازخداى * بسى بهتر از عابد خودنماى * وفى التاتارخانية لو افتتح الصلاة خالصا لله تعالى ثم دخل فى قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء انه لو خلا عن الناس لا يصلى ولو كان مع الناس يصلى فأما لو صلى مع

الناس بحسنها ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب أصل الصلاة دون الاحسان ولا يدخل الرياء في الصوم روى عن أبى ذر الغفارى رضى عنه البارى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباذر جدد السفينة فان البحر عميق وأكثر الزاد فان السفر بعيد وأقل من الحمولة فان الطريق مخوف وأخلص العمل فان الناقد بصير والمراد من تجديد السفينة تحقيق الايمان وتكرير التوحيد ومن البحر هو جهنم قال تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا والمراد بالسفر سفر الآخرة والقيامة قال تعالى في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون وزاد النعيم الطاعات وزاد الجحيم السيآت والمراد بالحمولة الذنوب والخطايا وأريد باقلالها نفيها رأسا وانما كان طريق الآخرة مخوفا لان الزبانية يأخذون أصحاب الحمل الثقيل من الطريق وليس هناك أحد يعين على حمل أحد وينصره وان كان من أقربائه قال تعالى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى والمراد بالناقد هو الله تعالى وهو طيب لا يقبل الا الطيب الخالص عن الشرك والرياء قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا أى خالصا لوجهه تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وفى الحديث قال الله تعالى أنا أغنى عن الشركاء فمن عمل لى وأشرك فيه غيرى فأنا برىء منه وذكر عن وهب بن منبه أنه قال أمر الله تعالى ابليس أن يأتى محمدا عليه السلام ويجيبه عن كل ما يسأله فجاء على صورة شيخ وبيده عكازة فقال له من أنت قال أنا ابليس قال لماذا جئت قال أمرنى ربى أن آتيك وأجيبك وأخبرك عن كل ما تسألنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكم أعداؤك من أمتى قال خمسة عشر أنت أولهم وامام عادل وغنى متواضع وتاجر صدوق وعالم متخشع ومؤمن ناصح ومؤمن رحيم القلب وثابت على التوبة ومتورع عن الحرام ومؤمن مديم على الطهارة ومؤمن كثير الصدقة ومؤمن حسن الخلق مع الناس ومؤمن ينفع الناس وحامل القرآن المديم عليه وقائم الليل والناس نيام قال عليه السلام فكم رفقاؤك من أمتى قال عشرة سلطان جائر وغنى متكبر وتاجر خائن وشارب الخمر والقتات وصاحب الرياء وآكل الربا وآكل مال اليتيم ومانع الزكاة والذى يطيل الامل وفى الحديث ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبين الله ترجمان ولا حجاب يحجبه فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم من عمله وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا الله ولو بشق تمرة قال شيخى العلامة أبقاه الله بالسلامة قيل لى فى قلبى أحسن أخلاق المرء فى معاملته مع الحق التسليم والرضا وأحسن أخلاقه فى معاملته مع الخلق العفو والسخاء (قال السعدى) غم وشادمانى نماند وليك * جزاى عمل ماند ونام نيك * كرم پاى دار ونه ديهيم وتخت * بده كزتو اين ماند اى نيكبخت * مكن تكيه برملك وجاه وحشم * كه پيش ازتو بودست وبعد ازتو هم

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى أمر المؤمنين بالانفاق * ليزكى به نفوسهم عن سفساف الاخلاق * وهدى العارفين الى بذل المال والروح * ليفتح لهم أبواب الفتوح * والصلاة والسلام على المتخلق بأخلاق مولاه * سيدنا محمد الذى جاء بالشفاعة لمن يهواه * وعلى آله وأصحابه ممن آثر الله على ما سواه * ووثق فى أجر الانفاق بربه الذى أعطاه * وبعد فان العبد العليل سمى الذبيح اسمعيل * الناصح البروسى ثم الاسكوبى * أوصله الله الى غاية المقام العلى

يقول

* يقول لما ابتليت بالنصح والعظة * اهتممت فى باب الموعظة * فكنت ألتقط من التفاسير * وانظم فى سلك التحرير * ما به يحل عقد الآيات القرآنية والبينات الفرقانية من غير تعرض لوجوه المعانى مما يحتمله المبانى قصدا الى التكلم بقدر عقول الناس وتصديا للاختصار الحامل على الاستئناس واضم الى كل آية ما يناسبها من الترغيب والترهيب وبعض من التأويل الذى لايخفى على كل لبيب حتى انتهيت من سورة البقرة الى ما ههنا من آيات الانفاق بعون الله الملك الخلاق فجعلت أول هذه الآية معنونا ليكون هذا النظم مع ما يضم اليه مدونا مقطوعا عما قبله من الآيات مجموعا بلطائف العظات ومن الله استمد أن يمهلنى الى أن أختم بهذا المنوال القرآن العظيم وأقضى هذا الوطر الجسيم واتضرع أن يجعله منتفعا به وذخرا ليوم المعاد وتمام المسؤل والمراد (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) أى من حلال ما كسبتم أو جياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وفسر صاحب الكشاف الطيبات بالجياد حيث قال من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ذكر بعض الافاضل أنه انما فسر الطيب بالجيد دون الحلال لان الحل استفيد من الامر فان الانفاق من الحرام لايؤمر به ولان قوله تعالى بعده ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون والخبيث هو الردىء المستخبث يدل على أن المعنى أنفقوا مما يستطاب من أكسابكم (ومما) أى ومن طيبات ما (أخرجنا لكم من الارض) من الحبوب والثمار والمعادن (ولا تيمموا) أى لا تقصدوا (الخبيث) أى الردىء الخسيس والخبيث نقيض الطيب ولهما جميعا ثلاثة معان الطيب الحلال والخبيث الحرام والطيب الطاهر والخبيث النجس والطيب ما يستطيبه الطبع والخبيث ما يستخبثه (منه تنفقون) الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا أى لاتقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه والتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه (ولستم بآخذيه) حال من واو تنفقون أى تنفقون والحال أنكم لا تأخذون الخبيث فى معاملاتكم فى وقت من الاوقات أو بوجه من الوجوه (الا أن تغمضوا فيه) أى الا وقت اغماضكم فيه أو الا باغماضكم يعنى لو كان لكم على رجل حق فجاء بردىء ماله بدل حقكم الطيب لا تأخذونه الا فى حال الاغماض والتساهل مخافة فوت حقكم أو لاحتياجكم اليه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أى لا تستقص كأنك لا تبصر (واعلموا ان الله غنى) عن انفاقكم وانما يأمركم به لمنفعتكم وفى الامر بأن يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء الخبيث وايذان بأن ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطى أن الآخذ محتاج الى ما يعطيه بل مضطر اليه (حميد) مستحق للحمد على نعمه العظام واعلم ان المتصدق كالزارع والزارع اذا كان له اعتقاد بحصول الثمرة يبالغ فى الزراعة وجودة البذر لتحققه أن جودة البذر مؤثرة فى جودة الثمرة وكثرتها فكذلك المتصدق اذا ازداد ايمانه بالله والبعث والثواب والعقاب يزيد فى الصدقة وجودتها لتحققه أن الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما والعبد كما أعطى الله أحب ما عنده فان الله يجازيه بأحب ما عنده كما قال تعالى هل

جزاء الاحسان الا الاحسان ودلت الآية على جواز الكسب وان أحسن وجوه التعيش هو
التجارة والزراعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما أكله الرجل من كسبه وان
ولده من كسبه وكذلك أطيب الصدقات ما كانت من عمل اليد * بقنطار زر بخش كردن زكنج
* نباشد چو قيراط از دست رنج * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكسب عبد مالا حراما
فيتصدق منه فيقبل منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله تعالى
لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث ووجوه الانفاق
والصدقة كثيرة قال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه انسان
أو طير أو بهيمة الا كانت له صدقة وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم حث أصحابه على الصدقة
فجعل الناس يتصدقون وكان أبو أمامة الباهلي جالسا بين يدي النبي عليه السلام وهو يحرك
شفتيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحرك شفتيك فماذا تقول قال اني أرى الناس
يتصدقون وليس معي شيء أتصدق به فأقول في نفسي سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات خير لك من مد ذهبا تتصدق به على المساكين
فعلى العاقل أن يواظب على الاذكار في الليل والنهار ويتصدق على الفقراء والمساكين بخلوص
النية واليقين في كل حين * كرامت جوانمردى ونان دهيست * مقالات بيهوده طبل تهيست *
وجلس الاسكندر يوما مجلسا عاما فلم يسئل فيه حاجة فقال والله ما أعد هذا اليوم من ملكي قيل
ولم أيها الملك قال لانه لا توجد لذة الملك الا باسعاف الراغبين واغاثة الملهوفين ومكافأة
المحسنين قال السري السقطي قدس سره في وصف الصوفية أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم
الغرقى ومن تخليهم عن الاملاك ومفارقتهم اياها سموا فقراء فالصوفي مالم يبذل ماله وروحه
في طلب الله فهو صاحب دنيا والدنيا مانعة عن الوصول فعليك بالايثار وكمال الافتقار
(الشيطان يعدكم الفقر) الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شيء من زمان
أو غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا والمعنى
ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك مالك فانك اذا تصدقت به افتقرت (ويأمركم
بالفحشاء) أي بالخصلة الفحشاء أي ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر المأمور
على فعل المأمور به والعرب تسمي البخيل فاحشا (والله يعدكم) أي في الانفاق (مغفرة) لذنوبكم
أي مغفرة كائنة (منه) عز وجل (وفضلا) كائنا منه تعالى أي خلفا مما أنفقتم زائدا عليه في الدنيا
وثوابا في العقبى وفيه تكذيب للشيطان (والله واسع) قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من
المغفرة واخلاف ما تنفقونه (عليم) مبالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع أجركم (يؤتى
الحكمة) أي مواعظ القرآن ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها أي يبينها ويوفق
للعمل بها (من يشاء) من عباده أي يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه
في ضمن الآي من الحكم البالغة التي عليها يدور فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها
والموصول مفعول أول ليؤتي قدم عليه الثاني للعناية به (ومن يؤت الحكمة) أي يعط العلم
والعمل (فقد أوتي خيرا كثيرا) أي أي خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين (وما يذكر) أي وما
يتعظ بما أوتي من الحكمة (الا أولوا الالباب) أي العقول الخالصة من شوائب الوهم والركون الى

متابعة الهوى فالمراد منهم الحكماء العلماء العمال ولاية اول كل مكلف وان كان ذا عقل لان من
لا يغلب عقله على هواه فلا ينتفع به فكأنه لا عقل له قيل من أعطى علم القرآن ينبغى أن لا يتواضع
لاهل الدنيا لاجل دنياهم لان ما أعطيه خير كثير والدنيا متاع قليل ولقوله عليه السلام القرآن غنى
لا غنى بعده والاشارة أن الشيطان فقير يعد بالفقر ظاهرا فهو يأمر بالفحشاء حقيقة والفحشاء
اسم جامع لكل سوء لان عدته بالفقر تتضمن معانى الفحشاء وهى البخل والحرص واليأس من
الحق والشك فى مواعيد الحق للخلق بالرزق والخلف للمنفق ومضاعفة الحسنات وسوء الظن
بالله وترك التوكل عليه وتكذيب قول الحق ونسيان فضله وكرمه وكفران النعمة والاعراض
عن الحق والاقبال على الخلق وانقطاع الرجاء من الله تعالى وتعلق القلب بغيره ومتابعة
الشهوات وايثار الحظوظ الدنيوية وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل
خطيئة وبذر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسته فسوف يبتلى بهذه الآفات ومن سد هذا
الباب فان الله يكرمه بأنواع الكرامات ورفعة الدرجات والله واسع عليم يؤتى من اجتنب عن
وساوسه الحكمة وهى من مواهبه ترد على قلوب الانبياء والاولياء عند تجلى صفات الجلال والجمال
وفناء أوصاف الخليقة بشواهد صفات الخالقية فيكاشف الاسرار بحقائق معان أورثتها تلك
الانوار سرا بسر واضمارا باضمار فحقيقة الحكمة نور من أنوار صفات الحق يؤيد الله به عقل
من يشاء من عباده فهذه ليست مما تدرك بالعقول والبراهين العقلية والنقلية وأما المعقولات
فهى مشتركة بين أهل الدين وأهل الكفر فالمعقول ما يحكم العقل عليه ببرهان عقلى وهذا ميسر
لكل عاقل بالدراية وعالم بالقراءة فمن صفا عقله عن شوب الوهم والخيال فيدرك عقله المعقول
بالبرهان دراية عقلية ومن لم يصف العقل عن هذه الآفات فهو يدرك المعقول قراءة بتفهيم
استاذ مرشد فأما الحكمة فليست من هذا القبيل وما يذكر الا أولوا الالباب وهم الذين
لم يقنعوا بقشور العقول الانسانية بل سعوا فى طلب لبها بمتابعة الانبياء عليهم السلام فأخرجوهم
من ظلمات قشور العقول الانسانية الى نور لباب المواهب الربانية فحقق لهم ان من لم يجعل الله له
نورا فماله من نور فانتبه أيها المغرور المفتون بدار الغرور فلا يغرنك بالله الغرور (قال من قال)
نكرتا قضا از كجا سير كرد * كه كورى بود تكيه برغير كرد * فغان از بديها كه در نفس ماست
* كه ترسم شود ظن ابليس رست * قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمين الله ملاى
لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والارض فانه لم يغض ما فى
يمينه قال وعرشه على الماء وبيده الاخرى القبض يرفع ويخفض فالمؤمن يتخلق باخلاق الله
ويجود على الفقراء ويدفع ما وسوس اليه الشيطان من خوف الفقر فان الله بيده مفاتيح
الارزاق وهو المعطى على الاطلاق (وما) كلمة شرط وهى للعموم (أنفقتم من نفقة) أى اى
نفقة كانت فى حق أو باطل فى سر أو علانية قليلة أو كثيرة (أو نذرتم) النذر عقد الضمير على شئ
والتزامه وهو فى الشرع التزام بر له نظير فى الشرع ولهذا لو نذر سجدة مفردة لا يصح الا أن تكون
للتلاوة عند أبى حنيفة وأصحابه (من نذر) أى نذر كان فى طاعة أو معصية بشرط أو بغير شرط
متعلق بالمال أو بالافعال كالصلاة والصيام ونحوهما (فان الله يعلمه) الضمير عائد الى ما أى فانه
تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعيد

To: www.al-mostafa.com

(وما للظالمين) بالانفاق والنذر فى المعاصى أو بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور أو بانفاق
الخبيث أو بالرياء والمن والأذى وغير ذلك مما يتنظمه معنى الظلم الذى هو عبارة عن وضع الشئ
فى غير موضعه الذى يحق أن يوضع فيه (من أنصار) أى أعوان ينصرونهم من بأس الله وعقابه
لا شفاعة ولا مدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين أى وما لظالم من الظالمين من نصير من
الانصار (ان تبدوا الصدقات فنعما هى) أى ان تظهروا الصدقات فنعم شئ ابداؤها بعد أن لم
يكن رياء وسمعة وهذا فى الصدقات المفروضة وأما فى صدقة التطوع فالاخفاء أفضل وهى التى
أريد بقوله (وان تخفوها) أى تعطوها خفية (وتؤتوها الفقراء) ولعل التصريح بايتائها الفقراء
مع انه واجب فى الابداء أيضا لما أن الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان الغنى ربما يدعى
الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس (فهو خير لكم) أى فالاخفاء
خير لكم من الابداء وكل مقبول اذا صلحت النية وهذا فى التطوع ومن لم يعرف بالمال وأما فى
الواجب فبالعكس ليقتدى به كالصلاة المكتوبة فى الجماعة أفضل والنافلة فى البيت ولنفى
التهمة وسوء الظن حتى اذا كان المزكى ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤها أفضل خوف الظلمة
عن ابن عباس رضى الله عنه صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة
الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا (و) الله (يكفر عنكم من سيئاتكم)
من تبعيضية أى شيأ من سيئاتكم لانه يمحو بعض الذنوب بالتصدق فى السر والعلانية أو زائدة
على رأى الاخفش فالمعنى يمحو عنكم جميع ذنوبكم (والله بما تعملون) من الاسرار والاعلان
(خبير) فهو ترغيب فى الاسرار * ذكر الامام فى أن الاسرار والاخفاء فى صدقة التطوع أفضل
وجوها * الاول انها أبعد من الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل من مسمع ولا مراء
ولا منان والمتحدث فى صدقة لا شك انه يطلب السمعة والمعطى فى ملأ من الناس يطلب الرياء
فالاخفاء والسكوت هو المخلص منهما وقد بالغ قوم فى صدقة الاخفاء واجتهدوا ان لا يعرفهم
أحد فكان بعضهم يلقيها فى يد أعمى وبعضهم يلقيها فى طريق الفقير فى موضع جلوسه حيث يراه
ولا يرى المعطى وبعضهم كان يشدها فى ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير
على يد غيره * وثانيها انه اذا أخفى صدقته لم يحصل له من الناس شهرة ومدح وتعظيم فكان
ذلك أشق على النفس فوجب أن يكون أكثر ثوابا * وثالثها قوله صلى الله عليه وسلم أفضل
الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر وقال أيضا ان العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله تعالى
سرا فان أظهره نقل من السر وكتب فى العلانية فان تحدث نقل من السر والعلانية وكتب
فى الرياء وفى الحديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عدل وشاب نشأ فى عبادة الله
تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك
وتفرقا ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال انى
أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقال صلى الله عليه وسلم
صدقة السر تطفئ غضب الرب وأما الوجه فى جواز اظهار الصدقة فهو ان الانسان اذا علم انه
اذا أظهرها صار فى ذلك سببا لاقتداء الخلق به فالاظهار أفضل قال محمد بن على الحكيم الترمذى
ان الانسان اذا أتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفى نفسه شهوة أن يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع

تلك الشهوة فههنا الشيطان يردد عليه رؤية الخلق والقلب ينكر ذلك ويدفعه فهذا الانسان في محاربة الشيطان فضوعف العمل في السر سبعين ضعفا على العلانية ثم ان تقرب العبد الى الله انما يكون بفرض أوجبه الله عليه أو بنفل أوجبه العبد على نفسه فعلى كلا التقديرين الله عليم بهما فيجازى العبد بهما كما قال في حديث ربانى لن يتقرب الى المتقربون بمثل ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش ولكن الشأن اخلاص العمل لله من غير شوبه بعلة دنيوية أو أخروية فانها شرك والشرك ظلم عظيم فلا بد من الاجتناب * جوروبى بخدمت نهى برزمين * خدارا نشاكوى وخود رامبين * فاخفاء الصدقة اشارة في الحقيقة الى تخليصها من شوب الحظوظ النفسانية لتكون خالصة لله فصاحبها يكون في ظل الله كما قال عليه السلام المرء يكون في ظل صدقته يوم القيامة يعنى ان كانت صدقته لله فيكون في ظل الله وان كانت صدقته للجنة فيكون في ظل الجنة وان كانت صدقته للهوى فيكون في ظل هاوية فافهم جدا * رطب ناوردچوب خرزهره بار * چه تخم افكنى برهمان چشم دار (ليس عليك هداهم) أى لا يجب عليك يا محمد أن تجعلهم مهديين الى الاتيان بما أمروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهى عن الشر والردع عنه بما أوحى اليك من الآيات والذكر الحكيم والخطاب خاص والمراد عام يتناول كل أهل الاسلام (ولكن الله يهدى) هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما (من يشاء) هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع ويختار الخير فهدى التوفيق على الله وهدى البيان على النبى صلى الله عليه وسلم وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التصدق على المشركين كى تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزلت أى ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام وفيه ايماء الى ان الكفر لا يمنع صدقة التطوع واختلف في الواجب فجوزه أبو حنيفة وأباه غيره (وما تنفقوا من خير) أى اى شئ تتصدقوا كائن من مال (فلانفسكم) أى فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من أعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث أو فنفعه الدينى لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من فقراء المشركين وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) استثناء من أعم العلل أو أعم الاحوال أى ليست نفقتكم لشئ من الاشياء الا لابتغاء وجه الله أو ليست في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله (وما تنفقوا) أى أى شئ تنفقوا (من خير) في أهل الذمة وغيرهم (يوف اليكم) أى يوفر لكم أجره وثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن انفاقه على أحسن الوجوه وأجملها (وأنتم لا تظلمون) أى لا تنقصون شيأ مما وعدتم من الثواب المضاعف (للفقراء) أى اجعلوا ما تنفقونه للفقراء (الذين أحصروا في سبيل الله) أى حبسوا انفسهم في طاعته من الغزو والجهاد (لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا في الارض) أى ذهابا فيها وسيرا في البلاد للكسب والتجارة وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر

فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله فكان من عنده فضل أتاهم به اذا أمسى وعن ابن عباس رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن لقي الله من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي (يحسبهم الجاهل) أي يظنهم الجاهل بحالهم وشأنهم (أغنياء من التعفف) أي من أجل تعففهم عن المسألة وهو ترك الطلب ومنع النفس عن المراد بالتكلف استحياء (تعرفهم) أي تعرف فقرهم واضطرارهم (بسيماهم) أي بما تعاين عنهم من الضعف ورثاثة الحال والسيما والسيميا العلامة التي تعرف بها الشيء (لا يسألون الناس الحافا) مفعول له فقيه نفي السؤال والالحاف جميعا أي لا يسألون الناس أصلا فكيف الحافا والالحاف الالزام والالحاح وهو أن يلازم السائل المسؤل حتى يعطيه ويجوز السؤال عند الحاجة والاثم مرفوع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أشياءهم أعطوه أو منعوه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) فيجازيكم بذلك أحسن جزاء فهو ترغيب في التصدق لاسيما على هؤلاء ثم زاد التحريض عليه بقوله (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) أي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في شأن الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة آلاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية (فلهم أجرهم) أي ثوابهم حاضر (عند ربهم ولا خوف عليهم) من مكروهات (ولا هم يحزنون) من محبوب فات واعلم أن الانفاق على سادة اختاروا الفقر على الغنى محبة لله واقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سرفة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقول لي حرفتان الفقر والجهاد وهم أحق بها وأولى والعبد اذا أنفق من كل معاملة فيها خير من المال أو الجاه أو خدمة النفس أو اعزاز أو اكرام أو اعظام أو ارادة بالقلب حتى السلام على هؤلاء السادة استحقاقا واجلالا لا استخفافا واذلالا فان الله به عليم فان تقرب اليه في الانفاق بشبر يتقرب هو اليه في المجازاة بذراع وان تقرب بذراع يتقرب اليه بباع فلا نهاية لفضله ولا غاية لكرمه فطوبى لمن ترك الدنيا بطيب القلب واختار الله على كل شيء ومن كان لله كان الله له روي ان حسن ستة أشياء في ستة العلم والعدل والسخاوة والتوبة والصبر والحياء العلم في العلماء والعدل في السلطان والسخاوة في الاغنياء والتوبة في الشباب والصبر في الفقر والحياء في النساء العلم بلا عمل كبيت بلا سقف والسلطان بلا عدل كبئر بلا ماء والغني بلا سخاوة كسحاب بلا مطر والشباب بلا توبة كشجر بلا ثمر والفقر بلا صبر كقنديل بلا ضياء والنساء بلا حياء كطعام بلا ملح فعلى الغني ان يمطر من سحاب غنى بركات الدين والدنيا ويتسبب لاحياء قلوب ماتت بالفقر والاحتياج فان الله لا يضيع أجر المحسنين * پسنديده رأيى كه بخشيد وخورد * جهان از پى خويشتن گرد كرد * يعني ان الذي له رأى صائب هو الذي تنعم عاله وأنعم وجمع الدنيا لاجله لا لغيره فان من جمع مالا ولم يأكل منه ولم يعط فهو جامع لغيره في الحقيقة اذ هو لوارثه

بعده (الذين يأكلون الربوا) أي يأخذونه وعبر عنه بالأكل لأنه معظم المقصود من المال
ولشيوعه في المطعومات والربا فضل في الكيل والوزن خال عن العوض عند أبي حنيفة وأصحابه
ويجري في الأشياء الستة الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح وكتب بالواو تنبيها على
أصله لأنه من ربا يربو وزيدت الألف تشبيها بواو الجمع (لا يقومون) أي من قبورهم إذا بعثوا
(إلا كما يقوم) أي إلا قياما مثل قيام (الذي يتخبطه) أي يضربه ويصرعه (الشيطان من المس)
أي الجنون متعلق بلا يقومون يعني لا يقومون من المس الذي بهم إلا كقيام المصروع المختل
أي فاسد العقل ويكون ذلك سيماهم يعرفون به عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من
الأجداث يوفضون إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربا
فأرباه الله تعالى في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض (ذلك) أي العذاب النازل
بهم (بأنهم قالوا) أي بسبب قولهم (إنما البيع مثل الربوا) فنظموا الربا والبيع في سلك
واحد لإفضائهما إلى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع
ما قيمته درهم بدرهمين وحق الكلام أن يقال إنما الربا مثل البيع إلا أنه على المبالغة أي اعتقدوه
حلالا حتى ظنوا أنه أصل وقالوا إنما البيع مثل الربا فلم لا يحل فإن الزيادة في أوله كما هي في آخره
روي أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حل ماله على غريمه فطالبه به يقول الغريم لصاحب الأجل
زدني شيئا في الأجل حتى أزيدك في المال فيفعلان ذلك ويقولان سواء علينا الزيادة في أول
البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير فكذبهم الله وقال (وأحل الله البيع وحرم الربوا)
أي كيف تماثلان والبيع محال بتحليل الله والربا محرم بتحريم الله تعالى (فمن جاءه موعظة) أي
فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربا (من ربه فانتهى) أي فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي (فله
ما سلف) أي مضى من ذنبه فلا يؤاخذ به لأنه أخذ قبل نزول التحريم وجعل ملكا له ولا يسترد
منه (وأمره إلى الله) يجازيه على انتهائه إن كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم
في شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به (ومن عاد) إلى الربا مستحلا بعد
النهي كما استحل قبله (فأولئك) إشارة إلى من باعتبار المعنى (أصحاب النار) أي ملازموها
(هم فيها خالدون) ماكثون أبدا (يمحق الله الربوا) المحق نقصان الشيء حالا بعد حال حتى يذهب
كله كما في محاق الشهر وهو حال آخذ الربا فإن الله يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه
ولا ينتفع به ولده بعده (ويربي الصدقات) يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي أخرجت
منه الصدقة (روي) عنه صلى الله عليه وسلم إن الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي أحدكم مهره
وعنه أيضا ما نقصت زكاة من مال قط (والله لا يحب) أي لا يرضى لأن الحب مختص بالتوابين
(كل كفار) مصر على تحليل المحرمات (أثيم) منهمك في ارتكابها (إن الذين آمنوا) بالله
ورسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به (وعملوا الصالحات) أي الطاعات (وأقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة) خصصهما بالذكر مع اندراجهما في الصالحات لإنافتهما على سائر الأعمال الصالحة
(لهم أجرهم) الموعود لهم حال كونه (عند ربهم ولا خوف عليهم) من مكروه آت (ولا هم
يحزنون) من محبوب فات واعلم أن آكل الربا لحرصه على الدنيا مثله كمثل من به جوع الكلب
فيأكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فكلما يقوم يصرعه ثقل بطنه فكذا حال أهل

الربا يوم القيامة ونعم ماقيل * توان بحلق فرو بردن استخوان درشت * ولى شكم بدرد چون بكيرد اندر ناف * فالعاقل لا يأكل ما لا يحتمله فى الدنيا والآخرة فطوبى لمن يقتصد فى اخذ الدنيا ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها فهو ينجو من وبالها وهو مثل التاجر الذى يكسب المال بطريق البيع والشراء ويؤدى حقه وان كان له حرص فى الطلب والجمع ولكن لما كان بأمر الشرع وطريق الحل ولا يمنع ذا الحق حقه ما أضر به كما أضر بآكل الربا (روى) أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الدم وكسب البغى ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده والواشمة والمستوشمة والمصور وقال عليه السلام الربا بضع وسبعون بابا أدناها كاتيان الرجل أمه يعنى كالزنا بأمه والعياذ بالله فمن سمع هذا القول العظيم فليبادر بالتوبة الى باب المولى الكريم ذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ومن أقرض شيأ بشرط أن يرد عليه أفضل فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا وكان لابى حنيفة رحمه الله على رجل ألف درهم سود فرد عليه ألف درهم بيض فقال أبو حنيفة لا أريد هذا الابيض بدل دراهمى فأخاف أن يكون هذا البياض ربا فرده وأخذ مثل دراهمه قال أبو بكر لقيت أبا حنيفة على باب رجل وكان يقرع الباب ثم يتنحى ويقوم فى الشمس فسألته عنه فقال ان لى على صاحبه دينا وقد نهى عن قرض جر منفعة فلا انتفع بظل حائطه ويقرب منه ما روى عن أبى يزيد البسطامى قدس سره من انه اشترى من همذان حب القرطم ففضل منه شئ فلما رجع الى بسطام رأى فيه غلتين فرجع الى همذان ووضع الغلتين فهذا هو الورع وكمال التقوى ومثل هذا لا يوجد فى هذا الزمان وان وجد فأقل من القليل وأكثر الناس ولو كانوا صوفية لا يفرقون بين الحلال والحرام والشبهات ولذا ترى أمر الدين صار مهملا وعاد غريبا هدانا الله واياكم الى سواء الطريق انه ولى التوفيق (قال جلال الدين الرومى) اى زخودت بى وقوف لاف ترا بوف بوف * فضل نخشد ترا جبه ودستار وصوف (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى قوا أنفسكم عقابه (وذروا ما بقى من الربوا) أى واتركوا تركا كليا ما بقى لكم غير مقبوض من مال الربا على من عاملتموه به (ان كنتم مؤمنين) على الحقيقة فان ذلك مستلزم لامتثال ما أمرتم به البتة (روى) انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت (فان لم تفعلوا) أى ما أمرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها (فأذنوا) أى فاعلموا من أذن بالامر اذا علم به (بحرب) أى بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن (من) عند (الله ورسوله) وحرب الله حرب ناره أى بعذاب من عنده وحرب رسوله نار حربه أى القتال والفتنة فلما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله (وان تبتم) من الارتباء مع الايمان بحرمته بعد ما سمعتموه من الوعيد (فلكم رؤس أموالكم) تأخذونها كملا (لا تظلمون) غرماءكم بأخذ الزيادة (ولا تظلمون) أنتم من قبلهم بالمطل والنقص عن رأس المال هذا هو الحكم اذا تاب ومن لم يتب من المؤمنين وأصر على عمل الربا فان لم يكن ذا شوكة عزر وحبس الى ان يتوب وان كان ذا شوكة حاربه الامام كما يحارب الباغية كما حارب أبو بكر رضى الله عنه مانع الزكاة وكذا القول لو اجتمعوا على ترك الاذان أو ترك دفن الموتى (وان كان ذو عسرة) أى وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة وهى بالاعدام أو كساد المتاع (فنظرة) أى فالحكم نظرة وهى من الانظار

والامهال

والامهال (الى ميسرة) أى الى يسار (وان تصدقوا) أى وتصدقكم باسقاط الدين كله عن
المعسرين الغرماء أو بالتأخير والانظار (خير لكم) أى أكثر ثوابا (ان كنتم تعلمون) جوابه
محذوف أى ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحل دين رجل
مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة وقال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع له أنجاه
الله من كرب يوم القيامة وفى القرض والادانة فضائل كثيرة (روى) ان أمامة الباهلى رضى الله
عنه رأى فى المنام على باب الجنة مكتوبا القرض بثمانية عشر أمثاله والصدقة بعشر أمثالها فقال
لم هذا فأجيب أن الصدقة ربما وقعت فى يد غنى وان صاحب القرض لايأتيك الا وهو محتاج
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن يوم القيامة مع ايمان دخل من أى أبواب
الجنة شاء وزوج من حور العين كم شاء من عفا عن قاتل وقرأ دبر كل صلاة مكتوبة قل هو الله
أحد عشر مرات ومن اذان دينا لمن يطلب منه فقال أبو بكر الصديق أو احداهن يارسول الله
قال أو احداهن واعلم أن الاستدانة فى أحوال ثلاث فى ضعف قوته فى سبيل الله وفى تكفين
فقير مات عن قلة وفقر وفى نكاح يطلب به العفة عن فتنة العزوبة فيستدين متوكلا على الله فالله
تعالى يفتح أبواب أسباب القضاء قال صلى الله عليه وسلم من اذان دينا وهو ينوى قضاءه وكل به
ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا
الخبر ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وعن النبى صلى الله عليه وسلم عن
جبريل عليه السلام الشهادة تكفر كل شئ الا الدين يا محمد ثلاثا فعلى العاقل أن يقضى ما عليه
من الديون ويخاف من وبال سوء نيته يوم يبعثون وهذا حال من أدى القرض فانه يهون عليه أن
يؤدى القرض وأما المرتكب وتارك الفرائض فلا يبالى بالفرائض فكيف بالديون والاقراض
ولذا قيل * وامش مده انكه بى نمازست * ورخود دهنش زفاقه بازست * كو فرض خداى كزارد
* ازقرض تو نيز غم ندارد * وأحوال هذا الزمان مختلة كاخوانه فطوبى لمن تمسك بالقناعة
فى زمانه وشرط المؤمن الحقيقى اتقاؤه بالله فى ترك زيادات لايحتاج اليها فى أمر الدين بل تكون
شاغلة له عن الترقى فى مراتب الدين كما قال عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه
(واتقوا يوما) نصب ظرفا تقديره واتقوا عذاب الله يوما أو مفعولا به كقوله فكيف تتقون ان
كفرتم يوما أى كيف تتقون هذا اليوم الذى هذا وصفه مع الكفر بالله (ترجعون فيه) على البناء
للمفعول من الرجع أى تصيرون فيه (الى الله) لمحاسبة أعمالكم (ثم توفى كل نفس) من النفوس
أى تعطى كملا (ما كسبت) أى جزاء ما عملت من خير أو شر (وهم لايظلمون) أى لاينقصون
من ثوابهم ولا يزادون على عقابهم وهو حال من كل نفس تفيد أن المعاقبين وان كانت عقوباتهم
مؤبدة غير مظلومين فى ذلك لما انه من قبل أنفسهم وعن ابن عباس رضى الله عنه هذه آخر آية
نزلت واتى رسول الله ربه بعدها بسبعة أو تسعة أيام أو أحد وعشرين أو أحد وثمانين يوما
أو ثلاث ساعات وقال له جبريل عليه السلام ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة
فجعلت بين آية الدين وآية الربا تأكيدا للزجر عن الربا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين وكان مريضا ثمانية
عشر يوما يعوده الناس وكان آخر مايقول صلى الله عليه وسلم الصلاة وماملكت أيمانكم الصلاة

فانا لله وانا اليه راجعون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فانها أعظم المصائب وقال عليه السلام من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة فقالت له عائشة رضي الله عنها فمن كان له فرط من أمتك قال ومن كان له فرط يا موفقة قالت فمن لم يكن له فرط من أمتك قال أنا فرط لامتي لن يصابوا بمثلي قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته ومماته رحمة قال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بأمة رحمة قبض نبيها قبلها فجعله سلفا وفرطا لها وعزاه صلى الله عليه وسلم بعض الانصار فقال

الصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

واعلم أن الله تعالى جمع في هذه الآية خلاصة ما أنزله في القرآن وجعلها خاتم الوحي والانزال كما انه جمع خلاصة ما أنزل من الكتب على الانبياء في القرآن وجعله خاتم الكتب كما ان النبي عليه السلام خاتم الانبياء عليهم السلام وقد جمع فيه أخلاق الانبياء فاعلم ان خلاصة جميع الكتب المنزلة وفائدتها بالنسبة الى الانسان عائدة الى معنيين أحدهما نجاته من الدركات السفلى وثانيهما فوزه بالدرجات العليا فنجاته في خروجه عن الدركات السفلى وهي سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق المذمومة وحجب الاوصاف وحجاب النفس وفوزه في ترقيه على الدرجات العلى وهي غاية المعرفة لله والتوحيد لله والعلم والطاعات والاخلاق الحميدة وجذبات الحق والفناء عن أنانيته والبقاء بهويته فهذه الآية تشير الى مجموعها اجمالا قوله تعالى واتقوا هي لفظة شاملة لما يتعلق بالسعي الانساني من هذه المعاني لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك اليه دليله قول النبي عليه السلام جماع التقوى قول الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فيندرج تحت التقوى على هذا المعنى الخروج عن الدركات السفلى والترقي على الدرجات العليا فتقوى العوام الخروج عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصي بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة وههنا ينتهي سير العوام لان نهاية كسب الانسان وغاية جهد المجتهدين في اقامة شرائط جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن ههنا تقوى الخواص الجذو بين بجذبات لنهدينهم سبلنا فتخرجهم الجذبة من حجب أوصافهم الى درجة تجلي صفات الحق فههنا ينقضي سلوك الخواص فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فينتفعون من مواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى وأما تقوى خاص الخواص فجذبة رفرف العناية بجذب ما زاغ البصر وما طغى من سدرة منتهى الاوصاف الى قاب قوسين نهاية حجب النفس وبداية أنوار القدس فهنالك من عرف نفسه فقد عرف ربه فبالتقوى الحقيقية يجد الايمان الحقيقي فعنى واتقوا جاهدوا فينا بجهدكم وطاقتكم يوما يعني ليوم فيه لنهدينكم بجذبات العناية ترجعون الى الله أشار بلفظ الرجوع اليه ليعلم ان الشروع كان منه هدانا الله واياكم الى مقام الجمع واليقين وشرفنا بلطائف التحقيق والتمكين انه نصير ومعين يصيب برحمته من يشاء من عباده الصالحين (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين) أي اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا أو آخذا كما تقول بايعته اذا بعته أو باعك وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه الى الحال والمؤجل وانه الباعث على الكتابة وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر وهو فاكتبوه (الى أجل) متعلق بتداينتم

(مسمى) بالايام أو الاشهر أو السنة وغيرها مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس وقدوم
الحاج مما لا يرفعها (فاكتبوه) أى الدين بأجله لانه أوثق وأدفع للنزاع والجمهور على استحبابه
(وليكتب بينكم كاتب) بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا
وقوله بينكم للايذان بأن الكاتب ينبغى أن يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفى
بكلام أحدهما (بالعدل) أى كاتب كائن بالعدل أى وليكن المتصدى للكتابة من شأنه أن يكتب
بالتسوية من غير ميل الى أحد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو أمر للمتداينين باختيار كاتب
فقيه دين يجىء كتابه موثقا به معدلا بالشرع (ولا يأب كاتب) أى لا يمتنع أحد من الكتاب
(أن يكتب) كتاب الدين (كما علمه الله) على طريقة ما علمه من كتب الوثائق (فليكتب) تلك
الكتابة المعلمة أمر بها بعد النهى عن ابائها تأكيدا لها (وليملل الذى عليه الحق) الاملال هو
الاملاء وهو القاء المعنى على الكاتب للكتابة أى ليكن المملل أى مورد المعنى على الكاتب من
عليه الحق أى الدين لانه المشهود عليه فلا بد أن يكون هو المقر (وليتق الله ربه) جمع بين الاسم
الجليل والنعت الجميل للمبالغة فى التحذير أى وليتق المملى دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى
(ولا يبخس منه) أى من الحق الذى عليه على الكاتب (شيأ) فانه هو الذى يتوقع منه البخس
خاصة وأما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس وانما شدد فى تكليف المملى حيث
جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهى عن البخس لما فيه من الدواعى الى المنهى عنه فان الانسان
مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما فى ذمته (فان كان الذى عليه الحق سفيها) ناقص
العقل مبذرا مجازفا (أو ضعيفا) صبيا أو شيخا مختلا (أو لا يستطيع ان يمل هو) أى غير مستطيع
للاملاء بنفسه لخرس أو عى أو جهل أو غير ذلك من العوارض (فليملل وليه) أى الذى يلى أمره
ويقوم مقامه من قيم أو وكيل أو مترجم (بالعدل) أى من غير نقص ولا زيادة (واستشهدوا
شهيدين) أى اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين
لتنزيل المشارف منزلة الكائن (من رجالكم) متعلق باستشهدوا أى من أهل دينكم يعنى من
الاحرار البالغين المسلمين اذ الكلام فى معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق
العبارة وأما اذا كانت المداينة بين الكفرة أو كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر
عندنا (فان لم يكونا) أى الشهيدان جميعا على طريقة نفى الشمول لا شمول النفى (رجلين)
اما لاعوازهما أو لسبب آخر من الاسباب (فرجل وامرأتان) أى فليشهد رجل وامرأتان
وشهادة النساء مع الرجال فى الاموال جائزة بالاجماع دون الحدود والقصاص فلا بد فيهما من
الرجال (ممن ترضون) متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان أى كائنون مرضيين عندكم
وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره فى كل شهيد لقلة اتصاف النساء به (من
الشهداء) متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول أى ممن ترضونهم
كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء فى الشهداء بطريق
التغليب (أن تضل احداهما) أى احدى المرأتين الشاهدتين (فتذكر احداهما الاخرى)
وهذا تعليل لاعتبار العدد فى النساء والعلة فى الحقيقة هى التذكير ولكن الضلال لما كان سببا
له نزل منزلته كما فى قولك أعددت السلاح ان يجىء عدو فأدفعه فالاعداد للدفع لا لمجىء العدو

لكن قدم عليه المجيء لانه سببه كأنه قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بأن نسيت ثم حث الشهداء على اقامة الشهادة بقوله (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) لأداء الشهادة أو لتحملها وما مزيدة (ولا تسأموا) أى لا تملوا من كثرة مداينتكم (أن تكتبوه) أى من أن تكتبوا الدين أو الحق أو الكتاب (صغيرا أو كبيرا) حال من الضمير أى حال كونه صغيرا أو كبيرا أى قليلا أو كثيرا أو مجملا أو مفصلا (الى أجله) متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء فى تكتبوه أى مستقرا فى الذمة الى وقت حلوله الذى أقر به المديون (ذلكم) أى كتب الحق الى أجله أيها المؤمنون (أقسط) أى أعدل (عند الله) أى فى حكمه تعالى (وأقوم للشهادة) أى أثبت لها وأعون على اقامتها (وأدنى ألا ترتابوا) أى أقرب الى انتفاء ريبكم فى جنس الدين وقدره وأجله وشهوده ونحو ذلك (الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم) استثناء منقطع من الامر بالكتابة أى لكن وقت كون تداينكم أو تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيها يدا بيد (فليس عليكم جناح ألا تكتبوها) أى فلا بأس بأن لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان (وأشهدوا اذا تبايعتم) أى هذا التبايع أو مطلقا لانه أحوط والاوامر الواردة فى الآية الكريمة للندب عند الجمهور (ولا يضار) يحتمل البناء على الفاعل وعلى المفعول فعلى الاول نهى للكاتب عن ترك الاجابة الى ما يطلب منه وعن التحريف والزيادة والنقصان أى لا يمتنع (كاتب) عن الكتابة المقصودة (ولا شهيد) أى ولا يمتنع الشاهد عن اقامة الشهادة المعلومة وعلى الثانى النهى عن الضرار بالكاتب والشاهد أى لا يوصل أحد مضرة للكاتب والشهيد اذا كانا مشغولين بما يهمهما ويوجد غيرهما فلا يضار ان بابطال شغلهما وقد يكون اضرار الكاتب والشهيد بأن لا يعطى حقهما من الجعل فيكون النهى عن ذلك (وان تفعلوا) ما نهيتم عنه من الضرار (فانه) أى فعلكم ذلك (فسوق بكم) أى خروج عن الطاعة ملتبس بكم (واتقوا الله) فى مخالفة أوامره ونواهيه التى من جملتها نهيه عن المضارة (ويعلمكم الله) أحكامه المتضمنة لمصالحكم (والله بكل شئ عليم) فلا يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك ثم هذه الآية أطول آية فى القرآن وأبسطها شرحا وأبينها وأبلغها وبجوهرها يعلم بذلك ان مراعاة حقوق الخلق واجبة والاحتياط على الاموال التى بها أمور الدين والدنيا لازم فمن سعى بالحق فقد نجا والا فقد غوى * كسى را كه سعى قدم بيشتر * بدركاه حق منزلش بيشتر * والله تعالى من كمال رحمته على عباده علمهم كيفية معاملاتهم فيما بينهم لئلا يجرى من بعضهم على بعض حيف ولئلا يتخاصموا ويتنازعوا فيحقد بعضهم على بعض فأمر بتحصين الحقوق بالكتابة والاشهاد وأمر الشهود بالتحمل ثم بالاقامة وأمر الكاتب ان يكتب كما علمه الله بالعدل وراعى فى ذلك دقائق كثيرة كما ذكرها فيشير بهذه المعانى الى ثلاثة أحوال * أولها حال الله تعالى مع عباده فيظهر من آثار ألطافه معهم أنه تعالى كيف يرفق بهم ويعلمهم كيفية معاملاتهم الدنيوية حتى لا يكونوا فى خسران من أمر دنياهم ولا يكون فيما بينهم عداوة وخصومة تؤدى الى تنغيص عيشهم فى الدنيا وعقوبة فى الآخرة فيستدلوا بها على أن تكاليف الشرع التى أمروا بها أيضا من كمال مرحمته استعملهم بها ليفيض بها عليهم جمال نعمه كقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم

نعمته عليكم الآية * وثانيها حال العباد مع الله ليعلموا برعاية هذه الدقائق للامور الدنيوية
الفانية أن للامور الاخروية الباقية فيما بينهم وبين الله أيضا دقائق كثيرة والعباد بها محاسبون
وعلى مثقال ذرة من خيرها مثابون وعلى مثقال ذرة من شرها معاقبون وانها بالرعاية أولى
وأحرى من أمور الدنيا وان الله تعالى كما أمر العباد أن يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم
ويستشهدوا عليهم العدول قد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين عباده في الميثاق فان الله
تعالى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وعلى هذا عاهدهم وأشهد الملائكة
الكرام عليه ثم رقم في الكتاب أن ياقوتة من الجنة وديعة وهي الحجر الاسود * وثالثها حال
العباد فيما بينهم فليعتبر كل واحد منهم من ملاطفات الحق معهم وليتخلق بأخلاق الحق في
مخالقتهم وليتوسل الى الله بحسن مرافقتهم وليحفظ حدود الله في مخالفتهم وموافقتهم وليتمسك
بعروة محبتهم في الله وجذبتهم لله ونصحهم بالله ليحرز في رفقتهم صراطا مستقيما ويفوز من
زمرتهم فوزا عظيما في جميع الاحوال كونوا مع الله كما قال واتقوا الله ويعلمكم الله أى اتقوا
في الاحوال الثلاثة كما يعلمكم الله بالعبارات والاشارات والله بكل شيء تعملونه في جميع
الاحوال من الاقوال والافعال عليم يعلم مضمون ضمائركم ومكنون سرائركم فيجازيكم على
حسن معاملتكم بقدر خلوصكم وصفاء نياتكم وصدق طوياتكم فطوبى لمن صفى قلبه عن
سفساف الاخلاق وعزم الى عالم السر والاطلاق وأحسن المعاملة مع الله في جميع الحالات
ووصل الى الدرجات العاليات * حقائق سرا بيست آراسته * هوا وهوس گرد برخاسته *
نه بينى كه جايى كه برخاست گرد * نبيند نظر گرچه بيناست مرد * يعني ان عالم الغيب كالبيت المزين
والهوى كالنقع الثائر فما دام لم يترك المرء هواه لا يرى ما يهواه فان الحجاب اذا توسط بين الرائي
والمرئي يمنع من الرؤية فارفع الموانع من البين وتشرف بوصول العين (وان كنتم على سفر) أى
مسافرين أى متوجهين اليه ومقبلين (ولم تجدوا كاتبا) في المداينة بان لا يحسن الكتابة أو
لا توجد الصحيفة أو الدواة والقلم ولم يتعرض لحال الشاهد لما أنه في حكم الكاتب توثقا
واعوازا (فرهان) جمع رهن أى فالتوثق رهن (مقبوضة) أى مسلمة الى المرتهن ولا بد من
القبض حتى لو رهن ولم يسلم لا يجبر الراهن على التسليم وانما شرط السفر في الارتهان مع ان
الارتهان لا يختص به سفر دون حضر لان السفر لما كان مظنة عدم الكتب باعواز الكاتب
والشاهد أمر بالارتهان ليقوم مقامهما تأكيدا وتوثيقا لحفظ المال فالكلام خرج على الاعم
الاغلب لا على سبيل الشرط وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في المدينة من يهودي
بعشرين صاعا من شعير وأخذه لاهله (فان أمن بعضكم بعضا) أى بعض الدائنين بعض المديونين
لحسن ظنه به واستغنى بأمانته عن الارتهان فلم يطلب منه الرهن (فليؤد الذى اؤتمن) وهو
المديون والائتمان الوثوق بأمانة الرجل وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام وحمله
على الاداء (أمانته) أى فليقض المطلوب الامين ما في ذمته من الدين من غير رهن منه وسمي الدين
أمانة لتعلقه بالذمة كتعلق الامانة (وليتق الله ربه) في رعاية حقوق الامانة وأداء الدين من غير
مطل (ولا تكتموا الشهادة) أيها الشهود اذا دعيتم الى الحكام لادائها على وجهها (ومن يكتمها
فانه آثم قلبه) فاعل آثم كأنه قيل فانه يأثم قلبه فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة

ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان الاثم مقترفا بالقلب أسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها أبلغ ألا ترى انك تقول اذا أردت التوكيد هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رأس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الاثم في أصل نفسه وملك أشرف مكان منه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها ألا ترى ان أصل الحسنات والسيآت الايمان والكفر وهما من أفعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه أكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة (والله بما تعملون عليم) فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر وكتمان الشهادة وشهادة الزور من الاعمال التي تجر صاحبها الى النار فانهما من علامات مسخ القلب قال تعالى فانه آثم قلبه والمراد مسخ القلب ونعوذ بالله من ذلك وهما أسهل وقوعا بين الناس والحوامل عليهما كثيرة كالعداوة وغيرها واعلم أن أهل الدين طائفتان الواقفون والسائرون فالواقف من لزم عتبة الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى فهو كالفرخ المحبوس في قشر البيضة فيكون مشربه من عالم المعاملات البدنية فلا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس في سجن الجسد وعليه موكلان من الكرام الكاتبين يكتبان عليه أعماله الظاهرة بالنقير والقطمير * والسائر من لم يقم ولم ينزل في منزل فهو مسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى متسع الارواح وهم صنفان صنف سيار وصنف طيار فالسيار من يسير بقدم الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحي العشق والهمة في فضاء الحقيقة وفي رجله حجلة الشريعة * فالاشارة في قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا الى السيار الذي تخلص من سجن الجسد وقيد الحواس وزحمة التوكيل فلم يجد له كاتبا يكتب عليه كما قال بعضهم ما كتب على صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشفني صاحب اليمين وقال لي أمل علي شيأ من معاملات قلبك لاكتبه فاني أريد أن أتقرب به الى الله قال فقلت له حسبك الفرائض فالحبس والقيد والتوكيل لمن لم يؤد حق صاحب الحق أو يكون هاربا منه فيحبس ويقيد ويوكل عليه فأما الذي آناء الليل وأطراف النهار يغدو ويروح في طلب غريمه ومابرح في حريمه فلا يحتاج الى التوكيل والتقييد فقوله ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة اشارة الى السيار الذي له قلب فيرهنه عند الله تعالى فالرهان هي القلوب التي ليس فيها غير الله المقبوضة بين اصبعين من أصابع الرحمن فأما الطيار الذي هو عاشق مفقود القلب مسلوب العقل مجذوب السر فلا يطالب بالرهن فانه مبطوش ببطشه الشديد * مستهام ضاق مذهبه * في هوى من عز مطلبه * كل أمر في الهوى عجب * وخلاصي منه أعجبه * فلم يوجد في السموات والارض ولا في الدنيا والآخرة أمين يؤتمن لحمل اعباء أمانته الا العاشق المسكين (لله ما في السموات وما في الارض) من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من أولي العلم وغيره أي كلها له تعالى خلقا

وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه فلا تعبدوا أحدا سواه ولا تعصوه فيما يأمركم وينهاكم (وان تبدوا) أي تظهروا (ما في أنفسكم) أي في قلوبكم من السوء والعزم عليه وذلك بالقول أو بالفعل (أو تخفوه) أي تكتموه عن الناس ولا تظهروه بأحد الوجهين لكتمان الشهادة وموالاة المشركين وغيرهما من المناهي ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس وأحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع ودفع ذلك مما ليس في وسعه (يحاسبكم به الله) أي يجازكم به يوم القيامة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض (فيغفر) أي فهو يغفر بفضله (لمن يشاء) أن يغفر له وان كان ذنبه كبيرا (ويعذب) بعدله (من يشاء) أن يعذبه وان كان ذنبه حقيرا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ويعذب الكفار لا محالة لانه لا يغفر الشرك وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه (والله على كل شيء قدير) فكمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب قال في التيسير دل ظاهر قوله أو تخفوه على المؤاخذة بما يكون من القلب وجملته ان عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم مغفورة وعزم الذنوب اذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فاما الهم بالسيئة ثم يمتنع عنه بمانع لا باختياره وهو ثابت على ذلك فانه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله يعني بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا وهل يعاقب على الخاطر عقوبة عزم الزنا قيل هو معفو عنه لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله عفا لامتي عما حدثت به أنفسها ما لم يعمل أو يتكلم وأكثرهم على أن الحديث في الخطرة دون العزمة وأن المؤاخذة في العزمة ثابتة وكذا قال الامام أبو منصور رحمه الله انتهى ما في التيسير وبما يكون للانسان شركة في الاثم مثل القتل والزنا وغيرهما اذا رضي به من عامله واشتد حرصه على فعله وفي الحديث من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن حضرها وفي حديث آخر من أحب قوما على أعمالهم حشر في زمرتهم أي جماعتهم وحوسب يوم القيامة بحسابهم وان لم يعمل بأعمالهم فعلى العاقل أن يرفع عن قلبه الخواطر الفاسدة ولا يجالس الجماعة الفاسقة كيلا يحشر في زمرتهم * كرنشيند فرشتة باديو * وحشت آموزد وخيانت وريو * از بدان نيكويي نياموزي * نه كند كرك پوستين دوزي * والاشارة في الآية ان الله يطالب العباد باستدامة المراقبة واستصحاب المحاسبة لئلا يغفلوا عن حفظ حركات الظاهر وضبط خطرات الباطن فيقعوا في آفة ترك أدب من آداب العبودية فيهلكوا بسطوات الالوهية واعلم أن الانسان مركب من عالمي الامر والخلق فله روح نورانية من عالم الامر وهو الملكوت الاعلى وله نفس ظلمانية سفلية من عالم الخلق ولكل واحد منهما ميل الى عالمها فقصد الروح الى جوار رب العالمين وقربه وقصد النفس الى أسفل السافلين وغاية البعد عن الحق فبعث النبي صلى الله عليه وسلم ليزكي النفوس عن ظلمة أوصافها لتستحق بها جوار رب العالمين فتزكيتها في اخفاء ظلمة أوصافها بابداء أنوار أخلاق الروح عليها في تحليتها بها فهذا مقام الاولياء مع الله يخرجهم من الظلمات الى النور وبعث الشيطان الى أوليائه وهم أعداء الله ليخرج أرواحهم من النور الروحاني الى الظلمات النفسانية باخفاء أنوار أخلاقها في ابداء ظلمات أخلاق النفس عليها

لتستحق به ادركه أسفل السافلين فمعنى الآية فى التحقيق ان تبدوا ما فى أنفسكم مودع من ظلمات الاوصاف النفسانية فى الظاهر بمخالفات الشريعة وفى الباطن بموافقات الطبيعة أو تخفوه بتصرفات الطريقة فى موافقات الشريعة ومخالفات الطبيعة يحاسبكم به الله بطهارة النفس لقبول أنوار الروح وأخلاقه أو بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس وأخلاقها فيغفر لمن يشاء فينور نفسه وروحه بأنوار الروح وروحه بأنوار الحق ويعذب من يشاء فيعاقب نفسه بنار دركات السعير وروحه بنار فرقة العلى الكبير والله على كل شىء من اظهار اللطف والقهر على تركيب عالمى الخلق والامر قدير كذا فى تأويلات الكامل نجم الدين دايه قدس سره (آمن الرسول) أى صدق النبى عليه السلام (بما أنزل) أى بكل ما أنزل (اليه من ربه) من آيات القرآن ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والاحكام والقصص والمواعظ وأحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى والايمان بحقيقة أحكامه وصدق أخباره ونحو ذلك من فروع الايمان به من الحيثية المذكورة ولم يرد به حدوث الايمان فيه بعد أن لم يكن كذلك لانه كان مؤمنا بالله وبوحدانيته قبل الرسالة منه ولا يجوز أن يوصف بغير ذلك لكن أراد به الايمان بالقرآن فانه قبل انزال القرآن اليه لم يكن عليه الايمان به وهو معنى قوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان أى ولا الايمان بالكتاب فانه قال وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب (والمؤمنون) أى الفريق المعروفون بهذا الاسم وهو مبتدأ (كل) مبتدأ ثان (آمن) خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط بينهما الضمير الذى ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير فى آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما أن المراد بيان ايمان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع وتغيير سبك النظم عما قبله لتأكيد الاشعار بما بين ايمانه صلى الله عليه وسلم المبنى على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلى كأنهما مختلفان من كل وجه حتى فى الهيئة الدالة عليهما أى كل واحد منهم آمن (بالله) وحده من غير شريك له فى الالوهية والمعبودية هذا ايمان اثبات وتوحيد (وملائكته) أى من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحى وهذا ايمان تصديق انهما من عند الله وتحليل ما أحله وتحريم ما حرمه (وكتبه ورسله) أى من الحيثية المذكورة وهذا ايمان اتباع واطاعة ولم يذكر الايمان باليوم الآخر لاندراجه فى الايمان بكتبه وهذا على تقدير أن يوقف على قوله تعالى من ربه ويجعل والمؤمنون كلاما ابتدائيا واختاره أبو السعود العمادى ويجوز أن يكون قوله والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذى عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كأنه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنون آمن بالله خلا انه قدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشأنه وايذانا بأصالته صلى الله عليه وسلم فى الايمان به واختار الكواشى هذا الوجه حيث قال والاختيار الوقف على المؤمنون وهو حسن ليكون المؤمنون داخلين فيما دخل النبى صلى الله عليه وسلم فيه أى الايمان (لا نفرق) أى يقول الرسول والمؤمنون لا نميز (بين أحد من رسله) بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما قال اليهود والنصارى وأحد ههنا بمعنى

الجمع

الجمع أي الآحاد فلذلك أضيف اليه بين لانه لايضاف الا الى المتعدد والاحد وضع لنفي ما يذكر معه من العدد والواحد اسم لمفتتح العدد والواحد الذى لانظير له والوحيد الذى لانصير له (وقالوا) عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار المعنى وهو حكاية لامتثالهم الاوامر اثر حكاية ايمانهم (سمعنا) أى فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته (وأطعنا) ما فيه من الاوامر والنواهي قيل لما نزلت هذه الآية قال جبرائيل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم ان الله قد أثنى عليك وعلى أمتك فسل تعطه فقال الرسول عليه السلام (غفرانك ربنا) اى اغفر لنا غفرانك كما قال فضرب الرقاب أى فاضربوا أو نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة أو ما لايخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وهذا الوجه أولى لئلا يتكرر الدعاء بقوله في آخر السورة واغفر لنا وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما أن تقديم الوسيلة على المسئول ادعى الى الاجابة والقبول (واليك المصير) أى الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك قال القاشاني آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه أى صدقه بقبوله والتخلق به كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن ومجرد قراءة القرآن بغير عمل لا يفيد قال في تفسير الحنفي مثاله أن السلطان اذا وهب لاحد من مماليكه امارة وأعطاه رياسة أو نيابة وكتب له توقيعا أن يطيعه أهل البلد كلهم فاذا جاء الى البلد وقعد على المملكة وأطاعه الخلق ثم ان السلطان كتب له كتابا وأمر له فيه أن يبني له قصرا أو دارا واسعة حتى لو حضر السلطان وجاء الى تلك المدينة ينزل في تلك الدار أو القصر فوصل الكتاب اليه وهو لا يبني ما أمر به في الكتاب لكنه يقرأه كل يوم فلو حضر السلطان ولم يجد ما أمره به حاضرا هل يستحق ذلك الامير خلعة من السلطان أو ثناء أولا بل ظاهره انه يستحق الضرب والشتم والحبس وكذلك القرآن انما هو مثل ذلك المنشور قد أمر الله فيه لعبيده أن يعمروا أركان الدين كما قال لداود عليه السلام فرغ الى بيتا أسكنه و بين لهم ما يكون عمارة الدين فقال الله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كتب عليكم الصيام ولله على الناس حج البيت فصارت قراءة القرآن كقراءة منشور السلطان ولا تحصل الجنة بمجرد القرآن لانه قال جزاء بما كانوا يعملون (كما قيل) مراد از نزول قرآن تحصيل سيرت خوبست نه ترتيل سورة مكتوب بتصويد * ثم في قوله غفرانك ربنا اشارة الى ان من نتائج الايمان وآثار العبودية ان يرى العبد نفسه أهلا لكل شر ومولاه أهلا لكل خير فينسب كل ما يستحسنه لسيده مستعملا لحسن الادب معه في كل أوقاته وذلك بأن يحمده على مادق وجل ويستغفره من تقصيره في شكره له عليه ويتبرأ من حوله وقوته له في ذلك كله وبحسب هذا يكون شعاره الحمد لله أستغفر الله لا حول ولا قوة الا بالله في جميع أوقاته وهو الذكر المنجي من عذاب الله في الدنيا والآخرة المقرب للفتح لمن لازمه واعلم انك لا تصل الى التحقيق الا بمراقبة الاوقات بأحكامها من التوبة والاستغفار عند العصيان وشهود المنة في الطاعة ووجود الرضا في النية ووجود الشكر في النعمة وان تصل الى ذلك الا بتعلق قلبك بصلاح قلبك واتهام نفسك حتى في خروج نفسك وتصل الى هذا بأحد أربعة أوجه نور يقذفه الله في قلبك بلا واسطة أو علم متسع في عقل كامل أو فكرة سالمة من الشواغل أو صحبة شيخ أو أخ هذه حاله وقد قال الشيخ أبو مدين قدس سره الشيخ من هذبك بأخلاقه وأدبك باطراقه وأنار باطنك باشراقه الشيخ

من جمعك فى حضوره وحفظك فى مغيبه فاعمل أيها العبد على تخليص نفسك من عالم جسمك حتى تخرج عن دائرة رسمك وتصل الى تحقيق فهمك وعلمك * ازهستى خويش تانو غافل نشوى * هركز بمراد خويش واصل نشوى * از بحر ظهور تا بساحل نشوى * درمذهب اهل عشق كامل نشوى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) اخبار من الله تعالى وليس من كلام المؤمنين (روى) أنه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم فأتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا أى رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والحج والجهاد وقد أنزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا قالوا بل سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم فأنزل الله تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فسؤلهم الغفران المعلق بمشيئته تعالى فى قوله تعالى فيغفر لمن يشاء ثم أنزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما فى أنفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التى لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه أى سنته أن لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه أما الاول فلانه لو كان وقع لزم الكذب فى كلامه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وأما الثانى فلانه تعالى نفى مطلقا ولا يلزم منه نفى المقيد الذى هو الامتناع لان العام من حيث هو عام لا يدل على الخاص بوجه من الدلالات (لها) أى للنفس ثواب (ما كسبت) من الخير الذى كلفت فعله لا لغيرها استقلالا أو اشتراكا كالضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من أجزاء مكسوبها (وعليها) لا على غيرها بأحد الطريقين المذكورين عقاب (ما اكتسبت) من الشر الذى كانت تركه وايراد الاكتساب فى جانب الشر لان الشر فيه اعتمال أى اجتهاد فى العمل فانه لما كان مشتهى النفس كان فيه جد وسعى بخلاف الخير وصيغة الافتعال للتكلف (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) شروع فى حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف أى يقولون ربنا لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان أو الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف ودل هذا على جواز المؤاخذة فى النسيان والخطأ فان التحرز عنهما فى الجملة ممكن ولولا جواز المؤاخذة فى النسيان والخطأ لم يكن للسؤال معنى وخفف الله عن هذه الامة فرفع عنها المؤاخذة وقال النبى صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فدل انهم مخصوصون بهما والامم السالفة كانوا مؤاخذين فيهما (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذى يأصر صاحبه أى يحبسه مكانه والمراد به التكاليف الشاقة (كما حملته على الذين من قبلنا) أى حملا مثل حملك اياه على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من قتل النفس فى التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقطع موضع النجاسة وعدم التطهير

بغير

بغير الماء وخمسين صلاة في يوم وليلة وعدم جواز صلاتهم في غير المسجد وحرمة أكل الصائم بعد النوم ومنع بعض الطيبات عنهم بالذنوب وكون الزكاة ربع مالهم وكتابة ذنب الليل على الباب بالصبح وغير ذلك من التشديدات وقد عصم الله عز وجل ورحم هذه الامة من أمثال ذلك وأنزل في شأنهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التي عوقب بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخسف والمسخ والغرق (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) عطف على ما قبله واستعفاء من العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي اليها من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كأنه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي اليها قال في التيسير أي لا تكلفنا ما يشق علينا الدوام عليه ولم يرد به عدم الطاقة أصلا فانه لا يكون فلا يسأل (واعف عنا) أي آثار ذنوبنا (واغفر لنا) واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤس الاشهاد قال في التيسير وليس بتكرار فان الاول تركه حتى لا يؤاخذ به ومحوه حتى لا يبقى والثاني ستره حتى لا يظهر وقد يتجاوز عن الشيء فلا يؤاخذ بجزائه لكن يذكر ذلك ويظهر والمؤمنون أمروا أن يسألوا التجاوز عنها واخفاءها حتى لا يظهر حالهم لأحد فلا يفتضحوا به (وارحمنا) وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما أن التخلية سابقة على التحلية (أنت مولانا) سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولي أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) أي أعنا عليهم وادفع عنا شرهم فان من حق المولى أن ينصر عبيده ومن يتولى أمره على الاعداء والنصرة على الكفار تكون بالظفر وتكون بالحجة وتكون بالدفع وهو سؤال العصمة من الشياطين أيضا لانهم منهم روي أنه لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فأعطي رسول الله عليه السلام ثلاثا أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيأ من أمته قال صلى الله عليه وسلم في خبر المعراج قربني الله وأدناني الى سند العرش ثم ألهمني الله أن قلت آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله كما فرقت اليهود والنصارى قال فما قالوا قلت قالوا سمعنا وعصينا والمؤمنون قالوا سمعنا وأطعنا فقال صدقت فسل تعط فقلت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال قد رفعت عنك وعن أمتك الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فقلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود قال لك ذلك ولأمتك قلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت قلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت * وعنه صلى الله عليه وسلم أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي عام من قرأهما بعد العشاء الاخيرة أجزأتاه عن قيام الليل وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة كفتاه أي عن قيام الليل أو عن حساب يوم القيامة وهو حجة على من استكره أن يقول

سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التي تذكر فيها البقرة كما قال صلى الله عليه وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن أي مصره الجامع فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه السلام السحرة أي لا تستطيع البطلة أن تسحر قارئها ولا تقرأ في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان وكان معاذ اذا ختم سورة البقرة يقول آمين * عن أبي الاسلم الديلي قلت لمعاذ بن جبل أخبرني عن قصة الشيطان حين أخذته فقال جعلني رسول الله عليه السلام على صدقة المسلمين فجعلت التمر في غرفة فوجدت فيه نقصانا فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال هذا الشيطان يأخذه فدخلت الغرفة وأغلقت الباب فجاءت ظلمة عظيمة فغشيت الباب ثم تصور في صورة أخرى فدخل من شق الباب فشددت ازاري على فجعل يأكل من التمر فوثبت اليه فقبضته فالتفت يداي عليه فقلت يا عدو الله فقال خل عني فاني كبير ذو عيال كثير وأنا فقير من جن نصيبين وكانت لنا هذه القرية قبل أن يبعث صاحبكم فلما بعث أخرجنا منها فخل عني فلن أعود اليك فخليت سبيله وجاء جبريل عليه السلام فأخبر رسول الله عليه السلام بما كان فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه وقال ما فعل أسيرك فأخبرته فقال اما انه سيعود فعد قال فدخلت الغرفة وأغلقت على الباب فجاء فدخل من شق الباب فجعل يأكل من التمر فصنعت به كما صنعت في المرة الاولى فقال خل عني فاني لن أعود اليك فقلت يا عدو الله ألم تقل انك لن تعود قال فاني لن أعود وآية ذلك أنه اذا قرأ أحد منكم خاتمة البقرة لا يدخل أحد منا في بيته تلك الليلة

(سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) الالف اشارة الى الله واللام الى اللطيف والميم الى المجيد (الله) مبتدأ (لا اله الا هو) خبره أي هو المستحق للمعبودية لا غير (الحي القيوم) خبر آخر له أي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء والدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه روى عنه صلى الله عليه وسلم اسم الله الاعظم في ثلاث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روى ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم ثلاثة منهم أكابر اليهم يؤل أمرهم أحدهم أميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم وأسقفهم وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه وموّلوه وأكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب أبو حارثة بغلته وكان أخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينما بغلة أبي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله عليه السلام فقال له أبو حارثة بل تعست أمك فقال كرز ولم يا أخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظر فقال له كرز فما يمنعك عنه وأنت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك أعطونا أموالا كثيرة وأكرمونا فلو آمنا به لاخذوها منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز وأسره الى أن أسلم فكان يحدث بذلك فأتوا المدينة

ثم دخلوا المسجد رسول الله عليه السلام بعد صلاة العصر عليهم ثياب حبرات من جبب وأردية فاخرة يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي عليه السلام ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا يصلوا في المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلاثة مع رسول الله عليه السلام فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى و يبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة أخرى هو ابن الله اذ لم يكن له أب يعلم وتارة أخرى انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلموا قالوا أسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام ادعاؤكم لله تعالى ولدا قالوا ان لم يكن ولد الله فمن أبوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه أباه فقالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام ألستم تعلمون أن ربنا قيوم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا فقال عليه السلام ألستم تعلمون أن الله تعالى لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى شيأ من ذلك الا ما علم قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وان ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأبوا الا جحودا فأنزل الله تعالى من أول السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه السلام عليهم وأجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذي فيه يمترون (نزل عليك الكتاب) أي القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كأنه هو الحقيق بأن يطلق عليه اسم الكتاب فان قلت لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل قلت لان التنزيل للتكثير والقرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وذكر في آخر الآية الانزال وأراد به من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا جملة في ليلة القدر في شهر رمضان والمراد هنا هو تنزيله الى الارض ففي القرآن جهتا الانزال والتنزيل (بالحق) ملتبسا ذلك الكتاب بالعدل في أحكامه أو بالصدق في أخباره التي من جملتها خبر التوحيد وما يليه أو في وعده ووعيده (مصدقا لما بين يديه) أي في حال كونه مصدقا للكتب قبله في التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرائع قبله (وأنزل التوراة والانجيل) اسمان أعجميان الاول عبري والثاني سرياني (من قبل) أي أنزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة في البيان (هدى للناس) علة للانزال أي أنزلهما الهداية الناس وقيل الناس بدون النشر لعدم اللبس لان كون التوراة هدى للناس في زمان موسى وكون الانجيل هدى لهم في زمان عيسى معلوم فاختصر لذلك (وأنزل الفرقان) أي جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل أو هو القرآن كرر ذكره تعظيما لشأنه واظهارا لفضله (ان الذين كفروا بآيات الله) أي بالقرآن ومعجزات النبي عليه السلام (لهم) بسبب كفرهم بها (عذاب شديد) لا يقادر قدره (والله عزيز)

لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (ذو انتقام) عظيم لا يقدر على مثله منتقم (ان الله لا يخفى عليه
شئ فى الارض ولا فى السماء) أى مدرك الاشياء كلها يعنى هو مطلع على كفر من كفر به وايمان
من آمن به وعلى جميع أعمالهم فيجازيهم يوم القيامة (هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء)
أى يجعلكم على هيئة مخصوصة فى أرحام أمهاتكم من ذكر وأنثى وأسود وأبيض وتام وناقص
وطويل وقصير وحسن وقبيح وهو رد على الذين قالوا عيسى الله أو ابن الله لان من صور فى الرحم
يمتنع أن يكون الها أو ولدا لله لكونه مركبا وحالا فى المركب وفى عرض الفناء والزوال (لا اله
الا هو) نزه نفسه أن يكون عيسى ابنا له (العزيز الحكيم) المتناهى فى القدرة والحكمة فركبكم
بخلقكم على النمط البديع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه
أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك بأربع كلمات
فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد قال وان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون
بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل
بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة
فيدخلها وقال عليه السلام يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر فى الرحم بأربعين أو بخمس
وأربعين ليلة فيقول يارب أشقى أم سعيد فيكتبان فيقول أى رب أذكر أم أنثى فيكتبان ويكتب
عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص ثم يقول الملك يارب ما أصنع بهذا
الكتاب فيقول علقه فى عنقه الى قضائى عليه فذلك قوله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره
فى عنقه أى عمله من خير وشر الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار اليه من وكر الغيب
والقدر قال القاشانى المراد بكتبه هذه الاشياء اظهار علم الملك والا فقضاؤه تعالى سابق على ذلك
وكل ميسر لما خلق له فعلى العاقل أن لا يتكاسل عن الاعمال فى جميع الاحوال ولا يفوت أيام
الفرصة والليالى * خبر دارى اى استخوانى قفس * كه جان تو مرغيست نامش نفس *
جو مرغ از قفس رفت وبكسست قيد * دكر ره نكردد بسعى تو صيد * نكه دار فرصت كه
عالم دميست * دمى پيش دانا به از عالميست * والاشارة ان الله تعالى كما يصور الجنين بصورة
الانسانية على نطفة سقطت فى الرحم بتدبير الاربعينات فكذلك اذا سقطت من صلب ولاية
رجل من رجاله نطفة ارادة فى رحم قلب مريد صادق والمريد يسلم التصرفات ولاية الشيخ وهى
بمثابة ملك الارحام ويضبط أحوال ظاهره وباطنه على وفق أمر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة
كيلا يصدر منه حركة عنيفة أو يجد رائحة غريبة يلزم منها سقوط النطفة وفسادها ويقعد
بأمر الشيخ وتدبيره فالله تعالى يصرف ولاية الشيخ المؤيد بتأييد الحق بمرور كل أربعين عليه
بشرائطها يحولها من حال الى حال وينقلها من مقام الى مقام الى أن يرجع الى حظائر القدس
ورياض الانس التى منها صدر الى عالم الانس بقدم الاربعينات الاولى فلما وصل الى مقامه الاول
أيضا بقدم الاربعينات كما جاء ثم خلق الجنين فى رحم القلب وهو يجعل خليفة الله فى أرضه
فيستحق الآن أن ينفخ فيه الروح المخصوص بأنبيائه وأوليائه وهو روح القدس الذى هو متولى
انبائه كقوله تعالى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده وقال كتب فى قلوبهم الايمان
وأيدهم بروح منه ولهذه الفائدة العظيمة والنعمة الجسيمة اهبط الارواح من أعلى عليين القرب

الى أسفل سافلين البعد كما قال اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون فاذا نفخ فيه الروح يكون آدم وقته فيسجد له بالخلافة الملائكة كلهم أجمعون فاحفظه تفهم ان شاء الله تعالى كذا فى تأويلات الشيخ الكامل نجم الدين الكبرى أفاض الله علينا من سجال معارفه وحقائقه ولطائفه آمين (هو الذى أنزل عليك الكتاب) أى القرآن (منه) أى من الكتاب (آيات محكمات) أى قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه (هن أم الكتاب) أى اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها بالتاويل فالمراد بالكتاب كله والاضافة بمعنى فى (وأخر) أى ومنه آيات اخر (متشابهات) أى محتملات لمعان متشابهة لايمتاز بعضها من بعض فى استحقاق الارادة بها ولايتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتأمل الانيق فالتشابه فى الحقيقة وصف للمعانى وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول واعلم أن اللفظ اما أن لايحتمل غير معنى واحد أو يحتمل والاول هو النص كقوله تعالى والهكم اله واحد والثانى اما أن تكون دلالته على مدلوله أو مدلولاته متساوية أولا والاول هو المجمل كقوله تعالى ثلاثة قروء وأما الثانى فهو بالنسبة الى الراجح ظاهر كقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وبالنسبة الى المرجوح مؤول كقوله تعالى يد الله فوق أيديهم والنص والظاهر كلاهما محكم والمجمل والمؤول متشابه وهو كقوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله قد رد الى قوله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ثم ان الله تعالى جعل القرآن كله محكما فى قوله الر كتاب أحكمت آياته ومعناه أن كله حق لاريب فيه ومتقن لاتناقض فيه ومحفوظ من اعتراء الخلل أو من النسخ وجعله كله متشابها فى قوله كتابا متشابها مثانى ومعناه يشبه بعضه بعضا فى صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول وجعل بعضه محكما وبعضه متشابها فى هذه الآية وقد سبق واعلم يجعل الله القرآن كله محكما لما فى المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه كابتلاء بنى اسرائيل بالنهر فى اتباع نبيهم ولان النظر فى المتشابه والاستدلال لكشف الحق يوجب عظم الاجر ونيل الدرجات عند الله (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) أى ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة (فيتبعون ما تشابه منه) معرضين عن المحكمات أى يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب أو بتأويل باطل لاتحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل (ابتغاء الفتنة) أى طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه (وابتغاء تأويله) أى طلب أن يؤولوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزائغة والحال أنهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل (وما يعلم تأويله) أى تأويل المتشابه (الا الله والراسخون فى العلم) أى لايهتدى الى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا فى العلم أى ثبتوا فيه وتمكنوا أو فوضوا فيه النص قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ بقوله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية فى قوله عليها تسعة عشر ومدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة والصوم وعدد الركعات فى الصلوات الخمس والاول هو الوجه فان الله تعالى لم ينزل شيأ من القرآن الا لينتفع به عباده ويدل به على معنى أراده فلو كان المتشابه لايعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال وهل يجوز أن يقال ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم لم يكن يعرف المتشابه واذا جاز أن يعرفه مع قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته وان لم يعرفه النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته والعلماء الراسخون وقالوا علمه عند ربنا لم يكن لهم فضل على الجهال لانهم جميعا يقولون ذلك قالوا ولم يزل المفسرون الى يومنا هذا يفسرون ويؤولون كل آية ولم نرهم وقفوا عن شئ من القرآن فقالوا هذا متشابه لا يعلمه الا الله بل فسروا نحو حروف التهجى وغيرها (يقولون آمنا به) أى بالمتشابه والجملة على الاول استئناف موضح لحال الراسخين وعلى الثانى خبر لقوله والراسخون (كل) أى كل واحد من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) منزل من عنده تعالى لا مخالفة بينهما (وما يذكر) حق التذكر (الا اولوا الالباب) أى العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تأويله من تجرد العقل عن غواشى الحس (ربنا لا تزغ قلوبنا) أى يقولون لا تمل قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه (بعد اذ هديتنا) الى الحق والتأويل الصحيح أو الى الايمان (وهب لنا من لدنك) أى من عندك (رحمة) واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك (انك أنت الوهاب) واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان الهدى والضلال من قبله وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير أن يجب عليه شئ (ربنا انك جامع الناس) بعد الموت (ليوم) أى لجزاء يوم وحسابه وهو يوم القيامة (لا ريب فيه) أى فى وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وأنها المقصد الاسنى عندهم (ان الله لا يخلف الميعاد) الوعد يعنى الالوهية تنافى خلف الوعد فى البعث واستجابة الدعاء وهذا حال الراسخين فى الدعاء فانظر كيف لا يأمنون سوء الخاتمة وأداهم الخوف والخشية الى الرجاء فاياك والزيغ عن الصراط المستقيم باتباع الهوى والشهوات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قلب الا وهو بين اصبعين من أصابع الرحمن اذا شاء أن يقيمه اقامه واذا شاء أزاغه يعنى قلب المؤمن بين توفيقه وخذلانه وانما قال من أصابع الرحمن ولم يقل من أصابع الله اشعارا بأنه هو المتمكن من قلوب العباد والمتصرف فيها كيف يشاء ولم يكلها الى أحد من ملائكته رحمة منه وفضلا لئلا يطلع على سرائرهم غيره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع قوما ويضع آخرين الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم مثل القلب كريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن قال الجنيد رحمه الله من أراد أن يسلم له دينه ويستريح فى بدنه وقلبه فليعتزل الناس فان هذا زمان وحشة والعاقل من اختار الوحدة قال عليه السلام لاصحابه أين تنبت الحبة قالوا فى الارض قال فكذلك الحكمة انما تنبت فى قلب مثل الارض فدفن حبة الفؤاد والوجود فى أرض الخمول عما ينتج ويتم نتاجه جدا فانبت مما لم يدفن لم يتم نتاجه وان ظهر نوره واتاجه كالذى نبت فى جبل السيل فعليك بتزكية النفس واصلاح الوجود كى تدرك نور الشهود وتقبل الى الاستقامة وتخلص من الزيغ والضلال فى جميع الاحوال وكم من زائغ قلبه وهو صورة مستقيم وكم من مستقيم فؤاده وهو فى الظاهر غير مستقيم (كما قيل) بس قامت خاشاك كه برجا باشد * جون باد برآنها بوزد يا باشد * والقلب هو محل النظر لا الصورة كما قال عليه السلام ان الله لا ينظر الى

صدوركم بل الى قلوبكم واعمالكم فأى فائدة فى القلب الزائغ عن الحق نعوذ بالله منه (ان
الذين كفروا لن تغنى عنهم) أى لن تنفعهم (أموالهم) التى يبذلونها فى جلب المنافع ودفع
المضار وقدم الاموال على الاولاد لانها أول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب (ولا أولادهم)
الذين بهم يتناصرون فى الامور المهمة وعليهم يعولون فى الخطوب الملمة وتوسيط حرف النفى
لعراقة الاولاد فى كشف الكروب (من الله) أى عذابه تعالى (شيأ) أى شيأ من الاغناء ومعناه
لا يصرف عنهم كثرة الاموال والاولاد والتناصر بهما عذابه وكانوا يقولون نحن أكثر أموالا
وأولادا وما نحن بمعذبين قال تعالى فى ردهم وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى
الا من آمن وعمل صالحا (واولئك) أى أولئك المتصفون بالكفر (هم وقود النار) حطب
النار وحصبها الذى تسعر به (كدأب آل فرعون) الدأب مصدر دأب فى العمل اذا كدح
فيه وتعب غلب استعماله فى معنى الشان والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه خبر لمبتدأ
محذوف أى دأب هؤلاء فى الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل فرعون
(والذين من قبلهم) أى آل فرعون من الامم الكافرة كقوم نوح وثمود وقوم لوط وهو عطف على
ماقبله (كذبوا بآياتنا) بيان وتفسير لدأبهم الذى فعلوا على الاستئناف المبنى على السؤال
كأنه قيل كيف كان دأبهم فقيل كذبوا بآياتنا أى بكتبنا ورسلنا (فأخذهم الله بذنوبهم)
تفسير لدأبهم الذى فعل بهم أى فأخذهم الله تعالى وعاقبهم ولم يجدوا من بأس الله تعالى محيصا
فدأب هؤلاء الكفرة أيضا كدأبهم والذنب فى الاصل التلو والتابع وسميت الجريمة ذنبا لانها
تتلو أى يتبع عقابها فاعلها (والله شديد العقاب) لمن كفر بالآيات والرسل (قل للذين كفروا)
المراد بهم اليهود لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبى الامى الذى بشرنا به
موسى وفى التوراة نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة له أخرى فلما كان
يوم أحد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق
كعب بن الاشرف فى ستين راكبا الى أهل مكة فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت (ستغلبون) البتة عن قريب فى الدنيا وقد صدق الله وعده بقتل بنى قريظة
واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من أوضح شواهد النبوة
(وتحشرون) أى فى الآخرة (الى جهنم) والحشر السوق والجمع أى يغلبون فى الدنيا ويساقون
فى الآخرة مجموعين الى جهنم (وبئس المهاد) أى بئس الفراش والمقر جهنم (قد كان لكم)
جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المأمور به أى والله قد كان لكم أيها اليهود المغترون
بعددهم وعددهم (آية) عظيمة دالة على صدق ما أقول لكم انكم ستغلبون (فى فئتين) أى
جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها فسيصيبكم ما يصيبكم
(التقتا) أى تلاقتا بالقتال يوم بدر (فئة) خبر مبتدأ محذوف أى احداهما فئة (تقاتل) تجاهد
(فى سبيل الله) وهم لا كثرة فيهم ولا شوكة وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وأخرى) أى فئة
أخرى (كافرة) بالله ورسوله (يرونهم) أى ترى الفئة الاخيرة الكافرة الفئة الاولى المؤمنة
والجملة صفة للفئة الاخيرة (مثليهم) أى مثلى عدد الرائين قريبا من ألف كانوا تسعمائة وخمسين

الله عليه وسلم لم يكن يعرف المتشابه واذا جاز أن يعرفه مع قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته وان لم يعرفه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والعلماء الراسخون وقالوا علمه عند ربنا لم يكن لهم فضل على الجهال لانهم جميعا يقولون ذلك قالوا ولم يزل المفسرون الى يومنا هذا يفسرون ويؤولون كل آية ولم نرهم وقفوا عن شئ من القرآن فقالوا هذا متشابه لا يعلمه الا الله بل فسروا نحو حروف التهجي وغيرها (يقولون آمنا به) أى بالمتشابه والجملة على الاول استئناف موضح لحال الراسخين وعلى الثاني خبر لقوله والراسخون (كل) أى كل واحد من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) منزل من عنده تعالى لا مخالفة بينهما (وما يذكر) حق التذكر (الا اولوا الالباب) أى العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تأويله من تجرد العقل عن غواشي الحس (ربنا لا تزغ قلوبنا) أى يقولون لا تمل قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه (بعد اذ هديتنا) الى الحق والتأويل الصحيح أو الى الايمان (وهب لنا من لدنك) أى من عندك (رحمة) واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك (انك أنت الوهاب) واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان الهدى والضلال من قبله وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير أن يجب عليه شئ (ربنا انك جامع الناس) بعد الموت (ليوم) أى لجزاء يوم وحسابه وهو يوم القيامة (لا ريب فيه) أى في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وأنها المقصد الاسنى عندهم (ان الله لا يخلف الميعاد) الوعد يعني الالوهية تنافي خلف الوعد في البعث واستجابة الدعاء وهذا حال الراسخين في الدعاء فانظر كيف لا يأمنون سوء الخاتمة وأداهم الخوف والخشية الى الرجاء فاياك والزيغ عن الصراط المستقيم باتباع الهوى والشهوات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قلب الا وهو بين اصبعين من أصابع الرحمن اذا شاء أن يقيمه اقامه واذا شاء أزاغه يعني قلب المؤمن بين توفيقه وخذلانه وانما قال من أصابع الرحمن ولم يقل من أصابع الله اشعارا بأنه هو المتمكن من قلوب العباد والمتصرف فيها كيف يشاء ولم يكلها الى أحد من ملائكته رحمة منه وفضلا لئلا يطلع على سرائرهم غيره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع قوما ويضع آخرين الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم مثل القلب كريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن قال الجنيد رحمه الله من أراد أن يسلم له دينه ويستريح في بدنه وقلبه فليعتزل الناس فان هذا زمان وحشة والعاقل من اختار الوحدة قال عليه السلام لاصحابه أين تنبت الحبة قالوا في الارض قال فكذلك الحكمة انما تنبت في قلب مثل الارض فدفن حبة الفؤاد والوجود في أرض الخمول عما ينتج ويتم نتاجه جدا فانبت مما لم يدفن لم يتم نتاجه وان ظهر نوره واتاجه كالذى نبت في حيل السيل فعليك بتزكية النفس واصلاح الوجود كي تدرك نور الشهود وتنيل الى الاستقامة وتخلص من الزيغ والضلال في جميع الاحوال وكم من زائغ قلبه وهو صورة مستقيم وكم من مستقيم فؤاده وهو في الظاهر غير مستقيم (كما قيل) بس قامت نا شاك كه برجا باشد * جون بادبر آنها بوزد يا باشد * والقلب هو محل النظر لا الصورة كما قال عليه السلام ان الله لا ينظر الى

صوركم

ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها أى غيروا حالها عما هي عليه وكذلك اذا وردت الواردات الربانية على القلوب الممتلئة أخرجت منها كل صفة رديئة وكستها كل خلق زكي فهذه الدولة انما تنال بترك الدنيا والهوى فكيف يتجلى بالانوار قلب من خالط الاغيار وأحب المال والاولاد ولم يخف من رب العباد وقدم على الاستاذ أبي على الدقاق رحمه الله فقير وعليه مسح وقلنسوة فقال له بعض أصحابه بكم اشتريت هذا المسح على وجه المطايبة فقال اشتريته بالدنيا فطلب مني بالآخرة فلم أبعه قال أبو بكر الوراق رحمه الله طوبى للفقراء في الدنيا والآخرة فسألوه عنه فقال لا يطلب السلطان منه في الدنيا الخراج ولا الجبار في الآخرة الحساب * قناعت سرافرازداى مردهوش * سربر طمع برنيايدزدوش * كرآزاده بر زمين خسب وبس * مكن بهرمالى زمين بوس كس * حققنا الله واياكم بحقائق التوحيد (زين للناس) أى حسن لهم والمزين هو الله لقوله تعالى زينا لهم أعمالهم وذلك على جهة الامتحان أو هو الشيطان لقوله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم وذلك على جهة الوسوسة (حب الشهوات) أى محبة مرادات النفوس والشهوة نزوع النفس الى ما تريده وهي مصدر أريد به المفعول أى المشتهيات لان الاعيان التي ذكرها كلها مشتهيات وانما عبر عنها بالمصدر مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كأنها نفس الشهوات والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية قالوا خلق الله الملائكة عقولا بلا شهوة والبهائم ذات شهوات بلا عقل وجعلهما في الانسان فمن غلب عقله شهوته فهو أفضل من الملائكة ومن غلب عليه شهوته فهو أرذل من البهائم (من النساء) حال من الشهوات أى حال كونها من طائفة النساء وانما بدأ بهن لعراقتهن في معنى الشهوات فانهن حبائل الشيطان (والبنين) والفتنة بهم أن الرجل يحرص بسببهم على جمع المال من الحلال والحرام ولانهم يمنعونه عن محافظة حدود الله قيل أولادنا فتنة ان عاشوا فتنونا وان ماتوا احزنونا وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن (والقناطير المقنطرة) جمع قنطار وهو المال الكثير أى الاموال الكثيرة المجتمعة أو هو مائة ألف دينار أو ملء مسك ثور أو سبعون ألفا أو أربعون ألف مثقال أو ثمانون ألفا أو مائة رطل أو ألف ومائتا مثقال أو ألف دينار أو مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم أو دية النفس وفي الكشاف المقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم ألوف مؤلفة وبدرة مبدرة (من الذهب والفضة) بيان للقناطير أى من هذين الجنسين وانما سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض أى تتفرق (والخيل) عطف على القناطير والخيل جمع لا واحد له من لفظه واحده فرس وهو مشتق من الخيلاء لاختيالها في مشيها أو من التخيل فانها لم يتخيل في عين صاحبها أعظم منها لتمكنها من قلبه (المسومة) أى المعلمة وهي التي جعلت فيها العلامة بالسمة واللون أو بالكي أو المرعية من سامت السائمة أى رعت (والانعام) أى الابل والبقر والغنم جمع نعم (والحرث) أى الزرع قيل كل منها فتنة للناس أما النساء والبنون ففتنة للجميع والذهب والفضة فتنة للتجار والخيل فتنة للملوك والانعام فتنة لاهل البوادي والحرث فتنة لاهل الرساتيق (ذلك) أى ما ذكر من الاشياء المعهودة (متاع الحيوة الدنيا) أى ما يتمتع به في الحياة الدنيا أياما قلائل فيفنى سريعا (والله عنده حسن المآب) أى حسن المرجع وهو الجنة وفيه دلالة على ان ليس فيما عدد

عاقبة حميدة وهذا تزهيد فى طيبات الدنيا الفانية وترغيب فيما عند الله من النعيم المقيم فعلى العاقل أن يأخذ من الدنيا قدر البلغة ولا يستكثر بالاستكثار الذى يورط صاحبه فى المحظور ويورثه المحذور (قل) يا محمد (أؤنبئكم بخير من ذلكم) الهمزة للتقرير اى أخبركم عاهو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم (للذين) خبر مبتدأ وقوله جنات (اتقوا) والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه كما ينبئ عنه النعوت الآتية (عند ربهم) نصب على الحالية من قوله (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) حال مقدر (وأزواج مطهرة) أى زوجات مبرآت من العيوب الظاهرة كالحيض والامتخاط واتيان الخلاء ومن الباطنة كالحسد والغضب والنظر الى غير أزواجهن (روى) عن النبى عليه السلام شبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها (ورضوان) أى رضوان وأى رضوان لا يقادر قدره كائن (من الله) قال الحكماء الجنات بما فيها اشارة الى الجنة الجسمانية والرضوان اشارة الى الجنة الروحانية وأعلى المقامات الجنة الروحانية وهى عبارة عن تجلى نور جلال الله تعالى فى روح العبد واستغراق العبد فى معرفة الله ثم يصير فى أول هذه المقامات راضيا عن الله وفى آخرها مرضيا عنده تعالى واليه الاشارة بقوله راضية مرضية (والله بصير بالعباد) وبأعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها (الذين) كأنه قيل من أولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين (يقولون ربنا اننا آمنا) أى صدقنا بك وبنبيك وفى ترتيب الدعاء بقولهم (فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) على مجرد الايمان دلالة على كفايته فى استحقاق المغفرة والوقاية من النار (الصابرين) نصب على المدح باضمار أعنى والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس (والصادقين) فى أقوالهم ونياتهم وعزائمهم (والقانتين) أى المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات (والمنفقين) أموالهم فى سبيل الله (والمستغفرين بالاسحار) وتوسط الواو بين الصفات المذكورة مؤذن بان كل صفة مستقلة بالمدح ومؤذن بأن منهم صابر ومنهم صادق ثم الصبر حبس النفس عن شهواتها المحظورة فى الشرع وجميع اجناس الصبر ثلاثة الصبر على الطاعة والصبر على المعصية والصبر على المكروه قال النبى صلى الله عليه وسلم من صبر على مصيبة فله ثلثمائة درجة وبين الدرجتين كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة فله ستمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض ومن صبر على المعصية فله تسعمائة درجة بين الدرجتين كما بين العرش والكرسى والصدق يجرى فى القول وهو مجانبة الكذب وفى الفعل وهو اتيانه وترك الانصراف عنه قبل تمامه وفى النية وهو العزم عليه حتى يفعل والانفاق يتناول الانفاق على نفسه وأهله وأقاربه وصلة رحمه وفى الجهاد وسائر وجوه البر والاستغفار سؤال المغفرة من الله وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها أقرب الى الاجابة اذ العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروح أجمع لا سيما للمتهجدين قال مجاهد فى قول يعقوب عليه السلام سوف أستغفر لكم ربى أخره الى وقت السحر فان الدعاء فيه مستجاب وقال ان الله تعالى لا يشغله صوت عن صوت لكن الدعاء فى السحر دعوة فى الخلوة وهى أبعد من الرياء والسمعة فكانت أقرب الى الاجابة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول أنا الملك من ذا الذى يدعونى فاستجيب له من ذا الذى يسألنى فأعطيه من ذا الذى

يستغفرني فأغفر له ومعنى ينزل محمول على نزول ملكه أو على الاستعارة فمعناه الاقبال على الداعين باللطف والاجابة ولهذا قال الى السماء الدنيا أى القربى وفى هذا الكلام توبيخ لهم على غفلتهم فى الدعاء والسؤال منه والاستغفار قال لقمان لابنه يا بنى لا تكونن أعجز من هذا الديك يصوت بالاسحار وأنت نائم على فراشك * دلا برخيز طاعت كن كه طاعت به زهر كارست * سعادت آن كسى دارد كه وقت صبح بيدارست * خروسان در سحر كويند كه قم يا أيها الغافل * تو از مستى نمى دانى كسى داند كه هشيارست * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى بى الى السموات رأيت عجائب من عجائب الله تعالى فمن ذلك ان فى السماء الدنيا ديكا له زغب أخضر وريش أبيض وبياض ريشه كأشد بياض رأيته وزغبه تحت ريشه كأشد خضرة رأيتها فاذا رجلاه فى تخوم الارض السابعة السفلى واذا رأسه عند عرش الرحمن ثانى عنقه تحت العرش له جناحان فى منكبيه اذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب فاذا كان بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الملك القدوس سبحان الكريم أو قال الكبير المتعال لا اله الا الله الحى القيوم فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض كلها وخفقت بأجنحتها فاذا سكن ذلك الديك سكتت ديكة الارض كلها ثم اذا كان بعض الليل نشر جناحيه فجاوز بهما المشرق والمغرب وخفق بهما ثم صرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الله العلى العظيم سبحان العزيز القهار سبحان الله رب العرش الرفيع فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض بمثل قوله وخفقت بأجنحتها وأخذت فى الصراخ واذا سكن ذلك الديك سكتت ديكة الارض ثم اذا هاج بنحو فعله فى السماء هاجت الديكة فى الارض يجاوبونه تسبيحا لله تعالى بنحو قوله والمقصود من هذا ان التسبيح اذا كان من فعل أهل السماء والارض خصوصا الحيوانات العجم بل النباتات كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فان الانسان أولى بأن يشتغل بالدعاء والتسبيح خصوصا فى الخلوات وأوقات الاسحار قال الامام القشيرى رحمه الله الصابرين على ما أمر الله والصادقين فيما عاهدوا الله والقانتين بالاستقامة فى محبة الله والمنفقين فى سبيل الله والمستغفرين من جميع ما فعلوا لرؤية تقصيرهم (شهد الله أنه) بأنه (لا اله الا هو) نزلت حين جاء رجلان من أحبار الشام فقالا للنبى عليه السلام أنت محمد قال نعم فقالا أنت أحمد قال أنا محمد وأحمد قالا أخبرنا عن أعظم الشهادة فى كتاب الله فأخبرهما أى أثبت الله بالحجة القطعية وأعلم بمصنوعاته الدالة على توحيده أنه واحد لا شريك له فى خلقه الاشياء اذ لا يقدر أحد أن ينشئ شيأ منها قال ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح بأربعة آلاف سنة فشهد لنفسه قبل خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر فقال شهد الله الآية (والملائكة) عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازى شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز أى أقرت الملائكة بذلك لما عاينت من عظم قدرته (وأولو العلم) أى آمنوا به واحتجوا عليه بالادلة التكوينية والتشريعية وهم الانبياء والمؤمنون الذين علموا توحيده وأقروا به اعتقادا صحيحا فشبه دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التى لا يقدر عليها غيره تعالى واقرار الملائكة وأولى العلم بذلك بشهادة الشاهد فى البيان والكشف (قائما بالقسط) نصب على الحال المؤكدة من هو دون من ذكر معه لأمن اللبس اذ القيام بالقسط من الصفات

الخاصة به تعالى ومثله جاء زيد وهندا كما جاز لاجل التذكير ولو قلت جاءت زيد وعمرو وا كالم يجز للبس أي مقيما بالعدل في قسمة الارزاق والآجال والاثابة والمعاقبة وما يأمر به عباده وينهاهم عنه من العدل والتسوية فيما بينهم ودفع الظلم عنهم (لا اله الا هو العزيز الحكيم) كرره المشهود به لتأكيد التوحيد ايوحدوه ولا يشركوا به شيأ لانه ينتقم عن لا يوحده عما لا يقدر على مثله منتقم ويحكم ما يريد على جميع خلقه لا معقب لحكمه لغلبته عليهم (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للاولى أي لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذى هو التوحيد والتشرع بالشريعة الشريفة وهو الدين الحق منذ بعث الله آدم عليه السلام وما سواه من الاديان فكلها باطلة قال شيخنا العلامة في بعض تحريراته المقصود من انزال الكلام مطلق الدعوة الى الدين الحق والدين الحق من زمن آدم الى نبينا عليهما الصلاة والسلام الاسلام كما قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام وحقيقة دين الاسلام التوحيد وصورته الشرائع التي هي الشروط وهذا الدين من ذلك الزمان الى يوم القيامة واحد بحسب الحقيقة وسواء بين الكل ويختلف بحسب الصورة والشروط وهذا الاختلاف الصورى لا ينافى الاتحاد الاصلى والوحدة الحقيقية انتهى وعن قتادة ان الاسلام شهادة أن لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله وعن غالب القطان قال أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت أختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت أن أحدر الى البصرة قام من الليل متهجدا فمر بهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لى عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيأ فصليت معه وودعته ثم قلت آية سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا أحدثك بها الى سنة فلبثت على بابه من ذلك اليوم فأقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة قال حدثنى أبو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدى هذا عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة ويناسب هذا ما يقال عهد نامة عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك بأنى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع أي ختم عليه بخاتم ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة فلا بد من الدعاء في الصبح والمساء لله الذى هو خالق الارض والسماء ومن الاخلاص الذى هو ملاك الامر كله في طاعة المرء وعمله * عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذى جاء به النبي عليه السلام وأنكروا نبوته (الا من بعد ما جاءهم العلم) استثناء مفرغ من أعم الاحوال أو أعم الاوقات أي وما اختلفوا في دين الاسلام

ونبوة

ونبوّة محمد عليه السلام فى حال من الاحوال أوفى وقت من الاوقات الا بعد أن علموا بأنه الحق الذى لا محيد عنه أو بعد أن علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج والآيات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامى حالهم فى الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل (بغيا بينهم) مفعول له لقوله اختلف أى حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء فى الامر وهو تشنيع اثر تشنيع (ومن يكفر بآيات الله) الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله الاسلام ولم يعمل بمقتضاها (فان الله سريع الحساب) قائم مقام جواب الشرط علة له أى ومن يكفر بآياته تعالى فانه يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب أى يأتى حسابه عن قريب أوسريع فى محاسبة جميع الخلائق لانه يحاسبهم فى أقل من لمحة بحيث يظن كل أحد منهم انه أى الله يحاسب نفسه فقط (فان حاجوك) أى فى كون الدين عند الله الاسلام (فقل أسلمت وجهى) أى اخلصت نفسى وقلبى وجملتى (لله) وحده لم أجعل فيها لغيره شركا بأن أعبده وأدعوه الها معه يعنى دين التوحيد وهو الدين القديم الذى ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وما جئت بشئ بديع حتى تجادلونى فيه (ومن اتبعن) عطف على المتصل فى أسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجارى مجرى التأكيد بالمنفصل أى وأسلم من اتبعنى وجوههم أيضا (وقل للذين أوتوا الكتاب) أى من اليهود والنصارى (والاميين) الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (أأسلمتم) متبعين لى كما فعل المؤمنون فانه قد آتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل أسلمتم وعملتم بقضيتها أم أنتم بعد على كفركم وهو استفهام بمعنى الامر أى أسلموا وهذا كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته فهل فهمتها (فان أسلموا) أى كما أسلمتم وأخلصتم (فقد اهتدوا) أى فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوى الضلال (وان تولوا) أى أعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام (فانما عليك البلاغ) قائم مقام الجواب أى لم يضروك شيأ اذ ما عليك الا البلاغ أى التبليغ بالرسالة دون الهداية وقد فعلت على أبلغ وجه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على أهل الكتاب قالوا أسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال صلى الله عليه وسلم للنصارى أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا (والله بصير بالعباد) عالم بجميع أحوالهم وهو وعد ووعيد (ان الذين يكفرون بآيات الله) أى آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الاسلام (ويقتلون النبيين بغير حق) هم أهل الكتاب قتل أولوهم الانبياء عليهم السلام وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حاولوا قتل النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمهم الله وقد أشير اليه بصيغة الاستقبال قال فى سورة البقرة بغير الحق أى بغير الحق الذى حد الله وأذن فيه والنكرة ههنا على معنى أن القتل يكون بوجوه من الحق فمعناه يقتلون بغير حق من تلك الحقوق (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) أى بالعدل (من الناس) عن أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف أونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من

عباد فى اسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار (فبشرهم بعذاب أليم) أى وجيع دائم جعل لهم بدل البشارة وهو الاخبار السار الاخبار بالنار وهو كقول القائل تحية بينهم ضرب وجيع (أولئك) المتصفون بتلك الصفات القبيحة (الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) الذين بطلت أعمالهم التى عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها أثر فى الدارين بل بقى لهم اللعنة والخزى فى الدنيا والعذاب الأليم فى الآخرة (وما لهم من ناصرين) ينصرونهم من بأس الله وعذابه فى احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع فى مقابلته لا لنفى تعدد الانصار من كل واحد منهم كما فى قوله تعالى وما للظالمين من أنصار وفى الآية ذم لمن قتل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر فبئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالمعروف والناهين عن المنكر وبئس القوم قوم لا يقومون بالقسط بين الناس وبئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فعليك بالعدل والانصاف واياك والجور والظلم والاعتساف فاصدع بأوامر الحق ونواهيه ولا تخف غير الله فيما أنت فيه وانما عليك البلاغ * كرچه دانى كه نشنوند بكوى * هرچه مى دانى از نصيحت و پند * زود باشد كه خيره سر بينى * بدو پاى او فتاده اندر بند * دست بر دست مى زند كه دريغ * نشنيدم حديث دانشمند * ولا يسقط الامر بالمعروف والنهى عن المنكر أبدا ولكنه لا ينفع الوعظ والزجر فى آخر الزمان حين تشتد القلوب قساوة وتكون الانفس مولعة بلذات الدنيا (روى) ان يهوديا قال لهرون الرشيد فى سيره مع عسكره اتق الله فلما سمع هرون قول اليهودى نزل عن فرسه وكذا العسكر نزلوا تعظيما لاسم الله العظيم ومن أكبر الذنوب أن يقول الرجل لاخيه اتق الله فيقول فى جوابه عليك نفسك أأنت تأمرنى بهذا ومن الله العظة والتوفيق الى سواء الطريق (ألم تر) تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من تتأتى منه الرؤية من حال أهل الكتاب وسوء صنيعهم أى ألم تنظر (الى الذين أوتوا نصيبا) حظا وافرا (من الكتاب) أى التوراة والمراد بما أوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التى من جملتها ما علموه من نعوت النبى عليه السلام وحقية الاسلام (يدعون الى كتاب الله) الذى أوتوا نصيبا منه وهو التوراة كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله فالجملة استئناف (ليحكم) ذلك الكتاب (بينهم) وفى الكتاب بيان الحكم فأضيف اليه الحكم كما فى صفة القرآن بشيرا ونذيرا لان فيه بيان التبشير والانذار وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراس اليهود فدعاهم الى الايمان فقال له رئيسهم نعيم بن عمرو على أى دين أنت قال صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم قال ان ابراهيم كان يهوديا فقال صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينكم التوراة فهلموا فأبوا وقال الكلبى نزلت الآية فى الرجم فجر رجل وامرأة من أهل خيبر وكانا فى شرف منهم وكان فى كتابهم الرجم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء رخصة عنده فحكم عليهم بالرجم فقالوا جرت علينا ليس عليهما الرجم فقال صلى الله عليه وسلم بينى وبينكم التوراة قالوا قد أنصفتنا قال فمن أعلمكم بالتوراة قالوا ابن صوريا فارسلوا اليه فدعا النبى عليه الصلاة والسلام بشئ من التوراة فيه الرجم دله على ذلك ابن سلام فقال له اقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقام ابن سلام فرفع أصبعه عنها ثم قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود بأن المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص حتى تضع ما فى بطنها وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك ورجعوا كفارا

فأنزل الله هذه الآية (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه ولم
يصف به الكل لانه قال فى هذه السورة من أهل الكتاب أمة قائمة وقال تعالى أمة يهدون بالحق
وبه يعدلون (وهم معرضون) اما حال من فريق لتخصصه بالصفة أى يتولون من المجلس وهم
معرضون بقلوبهم أو اعتراض أى وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل
(ذلك) أى التولى والاعراض (بأنهم) أى حاصل بسبب انهم (قالوا لن تمسنا النار) باقتراف
الذنوب وركوب المعاصى (الا أياما معدودات) أربعين يوما وهى مدة الايام التى عبدوا فيها
العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب (وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) من
قولهم ذلك وما أشبهه من قولهم ان آباءنا الانبياء يشفعون لنا أو ان الله تعالى وعد يعقوب عليه
السلام أن لا يعذب أولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح قال ابن
عباس رضى الله عنه زعمت اليهود أنهم وجدوا فى التوراة أن ما بين طرفى جهنم أربعون سنة الى
أن ينتهوا الى شجرة الزقوم وانما نعذب حتى نأتى الى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك وأصل
الجحيم سقر وفيها شجرة الزقوم فاذا اقتحموا من باب جهنم وتبادروا فى العذاب حتى انتهوا الى
شجرة الزقوم وملؤا البطون قال لهم خازن سقر زعمتم ان النار لن تمسكم الا أياما معدودات قد
خلت أربعون سنة وأنتم فى الابد (فكيف) أى فكيف يصنعون وكيف يكون حالهم وهو
استعظام لما أعد لهم وتهويل لهم وأنهم يقعون فيما لا حيلة فى دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به
أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون (اذا جمعناهم ليوم) أى لجزاء يوم (لا ريب
فيه) أى فى وقوعه ووقوع ما فيه (روى) أن أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفرة
راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار (ووفيت كل نفس ما كسبت)
أى جزاء ما كسبت من غير نقص أصلا كما يزعمون وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن
لا يخلد فى النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا يكون فى النار ولا قبل دخولها فاذا هى بعد
الخلاص منها (وهم) أى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس (لا يظلمون) بزيادة عذاب أو بنقص
ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه فالله تعالى ليس من شأنه العظيم أن يظلم عباده ولو
مثقال ذرة فيجازى المؤمنين بايمانهم والكافرين بكفرهم فعلى العاقل أن لا يقطع رجاءه من الله
تعالى وان كانت ذنوبه مثل زبد البحر فالله تعالى عند حسن ظن العبد به (روى) انه اذا كان
يوم القيامة وسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار اذا بصوت حزين ينادى من داخل النار
يا حنان يا منان يا ذا الجلال والاكرام فيقول الله تعالى يا جبريل اخرج هذا العبد الذى فى النار
قال فيخرجه اسود كفرخ الحمام قد تناثر لحمه وذاب جسمه فينادى يا جبريل لا توقفنى بين يدى
الله فأفزع فيؤتى به الى الله فيقول له عبدى اتذكر ذنب كذا وكذا فى سنة كذا وكذا فيقول
نعم يا رب فيقول الله اذهبوا بعبدى الى النار فيكون من العبد التفات فيقول الله ردوا عبدى
الى فيرد اليه فيقول له عبدى ما كان التفاتك وهو أعلم فيقول يا رب أذنبت ولم أقطع رجائى منك
وحاسبتنى ولم أقطع رجائى منك وأدخلتنى النار ولم أقطع رجائى منك وأخرجتنى منها اليك ولم
أقطع رجائى منك ثم رددتنى اليها ولم أقطع رجائى منك فيقول الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى
وارتفاعى فى علو مكانى لأكونن عند ظن عبدى بى ولأحققن رجاءه فى اذهبوا بعبدى الى

الجنة * خدا يا بعزت كه خوارم مكن * بذل بزه شرمسارم مكن * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة عند الموت ولا في قبورهم ولا في منشرهم كاني بأهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم وهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن فالواجب على من كان مؤمنا وليس من أهل البدع أن يحمد الله على ما هداه وجعله مسلما من الامة الشريفة ولذا قيل من علامات سوء العاقبة أن لا يشكر العبد على ما هدى به من الايمان والتوحيد وأهل الغرور في الدنيا مخدوع بهم في الآخرة فليس لهم عناية رحمانية وانما يقبل رجاء العبد اذا قارنه العمل والكاملون بعد أن بالغوا في تزكية النفس مازالوا يخافون من سوء العاقبة ويرجون رحمة الله فكيف بنا ونحن متورطون في آبار الاوزار لا توبة لنا ولا استغفار غير العناد والاصرار قال الامام الهمام محمد الغزالي رحمه الله في منهاج العابدين مقدمات التوبة ثلاث احداها ذكر غاية قبح الذنوب والثانية ذكر غاية عقوبة الله تعالى وأليم سخطه وغضبه الذي لا طاقة لك به الثالثة ذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذلك فان من لا يحتمل حر الشمس ولطمة شرطي وقرص نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات كأعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار في دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخطه وعذابه * مرا مي بايد بحو طفلان كريست * زشرم كناهان زطفلانه زيست * نكو كفت لقمان كه نازيستن * به از سالها بر خطا زيستن * هم از بامدادان دركلبه بست * به از سود و سرمايه دادن زدست * (قل اللهم) أصله يا الله فالميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل وشددت لقيامها مقام حرفين وقيل أصله يا الله أمنا بخير أي اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته (مالك الملك) أي مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث يتصرف فيه كيفما يشاء له ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية لانه ليس في الاسماء الموصوفة شيء على حد اللهم (تؤتي الملك) بيان لبعض وجوه التصرف الذي يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى وكون مالكية الغير بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة (من تشاء) ايتاءه اياه (وتنزع الملك ممن تشاء) نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام ومملوكيته حقيقية والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية (وتعز من تشاء) ان تعزه في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما بالنصر والتوفيق (وتذل من تشاء) ان تذله في احداهما أو فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة (بيدك الخير) وتعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص أي بقدرتك الخير كله لا يقدر أحد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك ولان كل أفعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه أولمراعاة الادب فان في الخطاب بأن الشر منك وبيدك ترك أدب وان كان الكل من الله تعالى (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من أهل المدينة أربعين ذراعا وجميع من وافى الخندق من

القبائل عشرة آلاف وأخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالفيل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام وأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وقد ثلثها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها كأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لي منها القصور الحمر في أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة على الامم كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت (انك على كل شئ قدير) من الاعزاز والاذلال (تولج) أي تدخل (الليل في النهار) بنقص الاول وزيادة الثاني حتى يصير النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات (وتولج النهار في الليل) حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات (وتخرج الحي من الميت) أي تظهر الحيوان من النطفة أو الطير من البيضة أو العالم من الجاهل أو المؤمن من الكافر أو النبات من الارض اليابسة (وتخرج الميت من الحي) وهذا عكس الاول (وترزق من تشاء بغير حساب) قال أبو العباس المقرى ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلاثة أوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن أو أمسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق أو من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على أمثال هاتيك الافاعيل العظام المحيرة للعقول فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم أهون من كل هين *

عن علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله تعالى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب قلن يارب أتهبطنا الى أرضك والى من يعصيك قال الله عز وجل اني حلفت انه لا يقرأكن احد دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه وأسكنته في حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة أدناها المغفرة وأعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد أطاعوني جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم معناه ان كنتم من اهل الطاعة يولى عليكم اهل الرحمة وان كنتم من أهل المعصية يولى عليكم اهل العقوبة وجاء في الخبر أن موسى عليه السلام قال في مناجاته يارب أنت في السماء ونحن في الارض فما علامة سخطك من رضاك فأوحى الله اليه اذا استعملت على الناس خيارهم فهو علامة رضاي واذا استعملت شرارهم فهو علامة سخطي عليهم قال الحجاج بن يوسف حين قيل له لم لا تعدل مثل عمر رضي الله عنه وأنت قد أدركت خلافته افلم تر عدله وصلاحه فقال في جوابهم تبوذروا أتعمر لكم أي كونوا كأبي ذر في الزهد والتقوى أعاملكم معاملة عمر في العدل والانصاف وفيه اشارة الى ان الولاة انما يكونون على حسب

أعمال الرعايا وأحوالهم صلاحا وفسادا فعلى كل واحد من المسلمين التضرع لله تعالى والانابة اليه بالتوبة والاستغفار عند فشو الظلم وشمول الجور ويظهر جور الوالى وعدله فى الضرع والزرع والاشجار والاثمار والمكاسب والحرف يعنى يقل لبن الضرع وتنزع بركة الزرع وتنقص ثمار الاشجار وتكسد معاملة التجار واهل الحرف فى الامصار التى ملك فيها ذلك الملك الجائر بشؤم ظلمه وسوء فعله ويكون الامر على العكس اذا عدل ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب اليه طاوس ان أردت أن يكون عملك خيرا كله فاستعمل اهل الخير فقال كفى بها موعظة * بندم اكر بشنوى اى پادشاه * درهمه دفتر به ازين پند نيست * جز بخردمند مفرما عمل * كرچه عمل كار خردمند نيست * قال النبي صلى الله عليه وسلم سيأتى زمان لأمتى يكون أمراؤهم على الجور وعلماؤهم على الطمع وعبادهم على الرياء وتجارهم على اكل الربا ونساؤهم على زينة الدنيا (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) نهوا عن موالاتهم لقرابة أو صداقة جاهلية أو جوار ونحوها من أسباب المصادقة والمعاشرة حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى أو عن الاستعانة بهم فى الغزو وسائر الامور الدينية (من دون المؤمنين) فى موضع الحال أى متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا أو اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكافرين أى استغناء فلا تؤثروهم عليهم فى الولاية (ومن يفعل ذلك) أى اتخاذهم أولياء (فليس من الله) أى من ولاية تعالى (فى شئ) يصح ان يطلق عليه اسم الولاية يعنى انه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا أمر معقول فان موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان قال

تود عدوى ثم تزعم اننى * صديقك ليس النوك عنك بعازب

النوك الحمق والعازب البعيد والمعنى الصديق هو من يود لك ويبغض عدوك والاعداء أيضا ثلاثة عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك * بشوى اى خردمند ازان دوست دست * كه بادشمنانت بود هم نشست * (الا ان تتقوا) استثناء من أعم الاحوال كأنه قيل لا تتخذوهم أولياء ظاهرا وباطنا فى حال من الاحوال الا حال اتقائكم (منهم) أى من جهتهم (تقاة) أى اتقاء بأن تغلب الكفار أو يكون المؤمن بينهم فان اظهار الموالاة حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من شق العصا واظهار مافى الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا أى كن فيما بينهم صورة وتجنب عنهم سيرة ولا تخالطهم مخالطة الاوداء ولا تتسير بسيرتهم وهذا رخصة فلو صبر حتى قتل كان أجره عظيما (ويحذركم الله نفسه) أى يخوفكم الله ذاته المقدسة كقوله تعالى فاتقون واخشون أى من سخطى وعقوبتى فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد (والى الله المصير) أى الى جزاء الله مرجع الخلق فيجزى كلا بعمله (قل ان تخفوا مافى صدوركم) من الضمائر التى من جملتها ولاية الكفرة (أو تبدوه) فيما بينكم (يعلمه الله) فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه (ويعلم مافى السموات ومافى الارض) لا يخفى عليه منه شئ قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تأكيدا له وتقريرا (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه وهذا بيان لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهى ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتى لا يختص بمعلوم دون معلوم فهى متعلقة بالمعلومات كلها

وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة ولاحق به العذاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه أراد الاطلاع على أحواله فيما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن أموره لاخذ حذره ويتيقظ في أمره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم ان الله الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك كذا في الكشاف فالعاقل يخاف من الله ويكون حبه وبغضه لله يوالي المؤمنين ويعادي الكافرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة من الكبائر لبس الصوف لطلب الدنيا وادعاء محبة الصالحين وترك فعلهم وذم الاغنياء والاخذ منهم ورجل لا يرى الكسب ويأكل من كسب الناس * گرآنها كه من گفتمی كردمی * نكو سيرت و پارسا بودمی * والحب في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الايمان وخلق سني والمحبة الصادقة لا تكون الا عند المصافاة في الباطن وهي مبنية على اتفاق العقيدة والوجهة لان القلوب تتناسب فتتصافى فان لم يكن بينها التوافق المعنوي واتفق بين أربابها المصالحة والمؤانسة بحسب المماثلة النوعية والالفة النفسية والجنسية الصورية أعدت الرذائل صاحب الفضائل باستغراق النفس فتتشابه وتتخالق كما قيل

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقال علي رضي الله عنه

فلا تصحب أخا الجهل * واياك واياه * فكم من جاهل أردى * حليما حين آخاه

يقاس المرء بالمرء * اذا ما هو ماشاه * وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

واذا كان الرجل مبتلى بصحبة الفجار في سفره للحج أو للغزاء لا يترك الطاعة بصحبتهم ولكن يكره بقلبه ولا يرضى به فلعل الفاسق يتوب ببركة كراهة قلبه (حكي) ان حاتما وشقيقا خرجا في سفر فصحبهما شيخ فاسق وكان يضرب بالمعزف في الطريق ويطرب ويغني وكان حاتم ينتظر أن ينهاه شقيق فلم يفعل ذلك فلما كان في آخر الطريق وأرادوا أن يتفرقوا قال لهما ذلك الشيخ الفاسق لم أر أثقل منكما قد طربت بين أيديكما كل الطرب فلم تنظرا الى طربي فقال له حاتم يا شيخ اعذرنا فان هذا شقيق وأنا حاتم فتاب الرجل وكسر ذلك المعزف وجعل يتلمذ عندهما ويخدمهما فقال شقيق لحاتم كيف رأيت صبر الرجال * نه آنكه بردر دعوى نشيند از خلق * كه گر خلاف كنندش بجنگ برخيزد * وگر ز كوه فرو غلطد آسياسنگی * نه عارفست كه از راه سنگ برخيزد * وينبغي أن يعلم أن المؤمن كما يلزم له أن يقطع الموالاة عن الكفار كذلك يقطع ذلك عن الاقرباء الفجار كما قيل * چون نبود خويش را ديانت وتقوى * قطع رحم بهتر از مودت قربى * فان قلت هذا مخالف للقرآن فانه ناطق بصلة الارحام مطلقا قلت هو موافق كما قال تعالى وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما فمن تسبب لشقاوتك يجب تقاطعك عنه وان كان ذا قرابتك * هزار خويش كه بيگانه از خدا باشد * فداى يك تن بيگانه كاشنا باشد * فعليك بقطع التعلق من الاغيار وبالاقتداء بهدى الانبياء الاخيار قال خليل الله عليه السلام فانهم عدو لي الا رب العالمين ومن موالاة الكفار المواكلة معهم بغير عذر اقتضاها ومن القول الشنيع ان يقال لهم چلبي كما يقول لهم سفهاء زماننا فان معنى چلبي منسوب الى جلب وجلب

اسم الله تعالى وهم نارى دون نورى فكيف يصح نسبتهم الى الله والعياذ بالله (يوم) منصوب
بتود (تجد كل نفس) اى من النفوس المكلفة (ما عملت من خير محضرا) عندها بأمر الله
تعالى (وما عملت من سوء) عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه أيضا الا انه خص بالذكر فى
الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية
(تود) أى تحب وتتمنى يوم تجد صحائف أعمالها من الخير والشر أو أجزيتها محضرة (لو ان بينها
وبينه) أى بين النفس وبين ذلك اليوم وهوله أو بين العمل السوء (أمدا بعيدا) أى مسافة
واسعة كما بين المشرق والمغرب ولم تحضر ذلك اليوم أو لم تعمل ذلك السوء قط (ويحذركم الله
نفسه) اى يقول الله اياكم ونفسى يعنى احذروا من سخطى وهو تكرير لما سبق ليكون على بال
منهم لا يغفلون عنه (والله بصير بالعباد) يعنى أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة
من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه
واجتناب سخطه فيحذرهم تحذير الوالد المشفق ولده عما يوبقه قال القشيرى رحمه الله هذا
للمستأنفين وقوله ويحذركم الله نفسه للعارفين أولئك أصحاب التخفيف والتسهيل وهؤلاء
اصحاب التخويف والتهويل ونظيره بشر المذنبين وانذر الصديقين فالله تعالى يمهل ولا يهمل
فيجب أن لا يغتر العبد بامهاله بل يتأهب ليوم حسابه وجزائه * در خير بازست وطاعت وليك
* نه هر كس توانا ست برفعل نيك * واعلم أن ما يعمله الانسان أو يقوله ينتقش فى صحائف
النفوس السماوية واذا تكرر صار ملكة راسخة لكنه مشغول عن تلك الهيئات الثابتة فى نفسه
ونقوشها بالشواغل الحسية والوهمية والفكرية فاذا فارقت النفس الجسد وقامت قيامتها
وجدت ما عملت من خير وشر محضرا لارتفاع الشواغل المانعة كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه
فان كان شرا تتمنى البعد فيما بينها وما بين ذلك اليوم أو ذلك العمل لتعذبها به فتصير تلك الهيئات
صورتها ان كانت راسخة والا صورة تعذبها وتعذبت بحسبها ومن الله العصمة (قال مولانا
جلال الدين الرومى قدس سره) هر خيالى كو كند در دل وطن * روز محشر صورتى خواهد بدن
* سيرتى كاندر وجودت غالبست * هم بر آن تصوير حشرت واجبست * فعلى العاقل أن يزكى
نفسه عن الاخلاق الذميمة ويطهر قلبه عن لوث العلائق الدنيوية ويجتهد فى تحصيل مرضاة الله
بالاعمال الصالحة والاقوال الحقة كى يجدها عند ربه يوم احتياجه ويفوز بالسعادة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأظمأ ما كانوا قط واعرى
ما كانوا قط وانصب ما كانوا قط فمن أطعم الله أطعمه ومن سقى الله سقاه ومن كسا الله كساه
ومن عمل لله كفاه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا حنان يا منان ياذا الجلال
والاكرام باعد بينى وبين خطيئتى كما باعدت بين المشرق والمغرب ونقنى من الخطايا كما ينقى الثوب
الابيض من الدنس واغسلنى بماء الثلج والبرد سبحان الله وبحمده استغفر الله العظيم وأتوب
اليه ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى أصحابه حوله فقال أيها الناس لا تعجبوا بأنفسكم
وبكثرة أعمالكم وبقلة ذنوبكم ولا تعجبوا بامرئ حتى تعلموا بم يختم له قال عليه السلام فانما
الاعمال بخواتيمها ولو أن أحدكم جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لتمنى الزيادة لهول ما يتقدم عليه
يوم القيامة (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى) أثبت فيه الياء لانه أصل ولم يثبت فى فاتقون

وأطيعون لانه ختم آية ينوى بها الوقف (يحببكم الله) نزلت حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن الاشرف ومن تابعه الى الايمان فقالوا نحن أبناء الله واحباؤه فقال تعالى لنبيه عليه السلام قل لهم انى رسول الله ادعوكم اليه فان كنتم تحبونه فاتبعونى على دينه وامتثلوا أمرى يحببكم الله ويرض عنكم والمحبة ميل النفس الى الشئ الكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم أن الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى طاعته والحرص على مطاوعته (ويغفر لكم ذنوبكم) أى يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوأكم فى جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة أو المشاكلة (والله غفور رحيم) أى لمن كان يتحبب للنصارى ويتبع عيسى بن مريم فنزل قوله تعالى (قل أطيعوا الله والرسول) أى فى جميع الاوامر والنواهى فيدخل فى تلك الطاعة اتباعه صلى الله عليه وسلم دخولا أوليا (فان تولوا) اما من تمام مقول القول فهى صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التاءين أى تتولوا وتعرضوا واما كلام متفرع مسوق من جهته تعالى فهى صيغة الماضى الغائب وفى ترك ذكر احتمال الاطاعة كما فى قوله تعالى فان أسلموا تلويح الى انه غير محتمل عنهم (فان الله لا يحب الكافرين) نفى المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم أى لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم ودلت الآية على شرف النبى عليه السلام فانه جعل متابعته متابعة حبيبه وقارن طاعته بطاعته فمن ادعى محبة الله وخالف سنة نبيه فهو كذاب بنص كتاب الله تعالى كما قيل

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا محال فى الفعال شنيع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وانما كان من ادعى محبة الله وخالف سنة رسوله كاذبا فى دعواه لان من أحب احدا يحب خواصه والمتصلين به من عبيده وغلمانه وبيته وبنيانه ومحله ومكانه وجداره وكلبه وحماره وغير ذلك فهذا هو قانون العشق وقاعدة المحبة والى هذا المعنى أشار المجنون العامرى حيث قال

أمر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

قال الامام القشيرى رحمه الله قطع الله اطماع الكل أن يسلم لاحد دعم نفسه الا ومقتداهم سيد الاولين والآخرين وقال القاشانى محبة النبى عليه السلام انما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولا وعملا وخلقا وحالا وسيرة وعقيدة ولا تمشى دعوى المحبة الا بهذا فانه قطب المحبة ومظهرها وطريقته صلى الله عليه وسلم المحبة فمن لم يكن له من طريقته نصيب لم يكن له من المحبة نصيب واذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره وقلبه ونفسه باطن النبى وسره وقلبه ونفسه وهو مظهر المحبة فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا التابع قسط من محبة الله بقدر نصيبه من المتابعة فيلقى الله محبته عليه ويسرى من روح النبى نور تلك المحبة أيضا الى قلبه أسرع ما يكون اذ لولا محبة الله لم يكن محبا له ثم نزل عن هذا المقام لانه أعز من الكبريت الاحمر ودعاهم الى ما هو

أعم من مقام المحبة وهو مقام الارادة فقال قل أطيعوا الله والرسول أى ان لم تكونوا محبين ولم تستطيعوا متابعة حبيبى فلا أقل من أن تكونوا مريدين مطيعين لما أمرتم به فان المريد يلزمه طاعة المراد وامتثال أمره فان تولوا أى ان أعرضوا عن ذلك أيضا فهم كفار محجوبون انتهى * وروى البخارى عن عبد الله بن هشام أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال عمر يا رسول الله أنت أحب الى من كل شئ الا نفسى فقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه فقال عمر فانه الآن والله أنت أحب الى من نفسى فقال عليه السلام الآن يا عمر صار ايمانك كاملا وقال صلى الله عليه وسلم كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى وعن جابر بن عبد الله انه قال جاءت ملائكة الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقال أولوها له يفقهها فقالوا الدار الجنة والداعى محمد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس فبمتابعة النبى صلى الله عليه وسلم تحصل الجنة والقربة والوصلة (روى) أن محمودا الغازى دخل على الشيخ الربانى أبى الحسن الخرقانى قدس سره لزيارته وجلس ساعة ثم قال يا شيخ ما تقول فى حق أبى يزيد البسطامى قدس سره فقال الشيخ هو رجل من اتبعه اهتدى واتصل بسعادة لا تخفى فقال محمود وكيف ذلك وأبو جهل رأى رسول الله عليه السلام ولم يخلص من الشقاوة فقال الشيخ فى جوابه ان أبا جهل ما رأى رسول الله انما رأى محمد بن عبد الله حتى لو كان رأى رسول الله عليه السلام لخرج من الشقاوة ودخل فى السعادة ثم قال ومصداق ذلك قول الله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فالنظر بعين الرأس لا يوجب هذه السعادة بل النظر بعين السر والقلب والمتابعة التامة تورث ذلك وأمته صلى الله عليه وسلم من اتبعه ولا يتبعه الا من أعرض عن الدنيا فانه عليه السلام ما دعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما أعرضت عنها وأقبلت على الله وصرفت الاوقات لاعمال الآخرة فقد سلكت سبيله الذى يسلكه وبقدر ما اتبعته صرت من أمته وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله وأعرضت عن متابعته ولحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى ولو خرجت عن مكمن الغرور وأنصفت من نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تمسى الى حين تصبح لا تسعى الا فى الحظوظ العاجلة ولا تحركك الا رجل الدنيا الفانية ثم تطمع فى أن تكون غدا من أمته وأتباعه ويحك ما أبعد ظنك وما أخس طمعك قال الله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون (ان الله اصطفى آدم) الاصطفاء أخذ ما صفا من الشئ كالاستصفاء أى اختار آدم بالنفس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة فى نفس المصطفى كما فى كافة الرسل عليهم السلام أو فيمن يلابسه وينشعب منه كما فى مريم أو اصطفاه بأن خلقه بيده فى أحسن تقويم وبتعليم الاسماء

واسجاد الملائكة اياه واسكانه الجنة (و) اصطفى (نوحا) بما ذكر من الوجه الاول أو اصطفاه بكونه أول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء (و) اصطفى (آل ابراهيم) وهو اسمعيل واسحق والانبياء من أولادهما الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم ويفهم من اصطفائهم اصطفاء ابراهيم بطريق الاولوية (و) اصطفى (آل عمران) وهو عيسى وأمه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العازر بن أبي هود بن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن أوشا بن اموذ بن ميشك بن حازقا بن يونام بن عوزيا بن يوزان بن ساقط بن ايشا بن راحقيم بن سليمان بن داود عليهما السلام ابن ايشا بن عويل بن سلمون بن ياعر بن نحشون بن عميادا بن دام بن حضروم بن فارض بن يهودا بن يعقوب عليه السلام وقيل آل عمران هو موسى وهرون عليهما السلام ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاء عيسى عليه السلام بالاندراج في آل ابراهيم والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما السلام بالانتظام في سلك آل ابراهيم انتظاما ظاهرا (على العالمين) جمع عالم وهو اسم لنوع من المخلوقين فيه علامة يمتاز بها عن خلافه من الانواع كالملك والجن والانس يقال عالم البر وعالم البحر وعالم الارض وعالم السماء والمراد بالعالمين أهل زمان كل واحد منهم أي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه (ذرية) نصب على البدلية من الآلين والذر بفتح الذال البث والتفريق وسمى نسل الثقلين ذرية لان الله تعالى قد بثهم في الارض أو لان الله أخرج نسل آدم عليه السلام من صلبه كهيئة الذر وهو جمع ذرة وهي أصغر النمل والذرء أيضا الخلق والله تعالى خالقهم وأظهرهم من العدم الى الوجود (بعضها من بعض) في محل النصب على أنه صفة الذرية يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض فان آل ابراهيم أعني اسمعيل واسحق متشعبان من ابراهيم المتشعب من نوح المتشعب من آدم وأولادهما الى آخر أنبياء بني اسرائيل والى خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين متشعبون منهما وآل عمران وهو موسى وهرون من ذرية ابراهيم ونوح وآدم وكذا عيسى وأمه مريم عليهما السلام (والله سميع) لاقوال العباد (عليم) بأعمالهم البادية والخافية فيصطفى من بينهم لخدمته من يظهر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته ودلت الآية على صحة أنكحة الكفار حيث ثبت نسب بعضهم من بعض بها قال صلى الله عليه وسلم ولدت من نكاح لا من سفاح واعلم أن الاصطفاء أعم من المحبة والخلة فيشمل الانبياء كلهم لانهم خيرة الله وصفوته وتتفاضل فيه مراتبهم كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فأخص المراتب هو المحبة المشار اليها بقوله ورفع بعضهم درجات فلذلك كان أفضلهم حبيب الله محمد عليه السلام ثم الخلة التي هي صفة ابراهيم عليه السلام وأعمها الصفاء الذي هو صفة آدم صفي الله عليه السلام ذرية بعضها من بعض في الدين والحقيقة اذ الولادة قسمان صورية ومعنوية فكل نبي يتبع نبيا آخر في التوحيد والمعرفة وما يتعلق بالباطن من أصول الدين فهو ولده كأولاد المشايخ في زماننا هذا وكما قيل الآباء ثلاثة أب ولدك وأب رباك وأب علمك وكما أن وجود البدن في الولادة الصورية

يتولد في رحم أمه من نطفة أبيه فكذلك وجود القلب في الولادة الحقيقية يظهر في رحم
استعداد النفس من نفخة الشيخ والمعلم والى هذه الولادة أشار عيسى عليه السلام بقوله ان
يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين ثم اعلم أن الولادة المعنوية أكثرها تتبع الصورية في
التناسل ولذلك كان الانبياء في الظاهر أيضا نسلا واحدا ثمرة شجرة واحدة وسببه أن الروح
في الصفاء والكدورة يناسب المزاج في القرب من الاعتدال الحقيقي وعدمه وقت التكون
فلكل روح مزاج يناسبه ويخصه اذ الفيض يصل بحسب المناسبة وتتفاوت الارواح في الازل
بحسب صفوتها ومراتبها في القرب والبعد عن الحضرة الاحدية فتتفاوت الامزجة بحسبها
في الابد لتتصل بها والابدان المتناسلة بعضها من بعض متشابهة في الامزجة على الاكثر اللهم
الالأمور عارضة اتفاقية فكذلك الارواح المتصلة بها متقاربة في الرتبة متناسبة في الصفة
وهذا مما يقوى أن المهدى يكون من نسل محمد عليه السلام والاغذية مؤثرة في البدن فمن كان
غذاؤه حلالا طيبا وهيآت نفسه فاضلة نورانية ونياته صادقة حقانية جاء ولده مؤمنا صديقا
أو وليا أو نبيا ومن كان غذاؤه حراما وهيآت نفسه خبيثة ظلمانية ونياته فاسدة زنديقية جاء ولده
فاسقا أو كافرا زنديقا اذ النطفة التي يكون الولد منها متولدة من ذلك الغذاء مرباة في تلك النفس
فيناسبها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد سر أبيه وكان صدق مريم ونبوة عيسى
ببركة صدق نيتها (اذ) منصوب باذكر (قالت امرأت عمران) وهي امرأة عمران بن ماثان أم
مريم البتول جدة عيسى عليه السلام وهي حنة بنت فاقوذا فان قلت كان لعمران بن
يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما أدراك أن
عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسى وهرون قلت كفى
بكفالة زكريا دليلا على أنه عمران أبو البتول لان زكريا بن اذن وعمران بن ماثان كانا في عصر
واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع أخت مريم فكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة
(روى) أنها كانت عاقرا لم تلد الى أن عجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له
فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا أن أتصدق به
على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل وذلك قوله
تعالى (رب اني نذرت لك) والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه (ما في بطني) عبر عن الولد بما لابهام
أمره وقصوره عن درجة العقلاء (محررا) أي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه
ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء أو خالصا لله ولعبادته لا يعمل عمل الدنيا ولا يتزوج فيتفرغ لعمل
الآخرة وكان هذا النذر مشروعا عندهم لان الامر في دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن
استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع من الانتفاع
ويجعلونهم محررين لخدمة المسجد ولم يكن أحد من الانبياء الا ومن نسله محرر لبيت المقدس
ولم يكن يحرر الا الغلمان ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض والاذى فتحتاج الى الخروج
ولكن حررت حنة ما في بطنها مطلقا اما لانها بنت الامر على تقدير الذكورة أو لانها جعلت
ذلك النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر (فتقبل مني) أي ما نذرته والتقبل اخذ الشيء على وجه
الرضا وهذا في الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر

لعدم قبول الانثى (انك أنت السميع) لجميع المسموعات التى من جملتها تضرعى ودعائى (العليم) لكل المعلومات التى من زمرتها ما فى ضميرى لا غير (فلما وضعتها) أى ولدت النسمة وهى أنثى (قالت) حنة وكانت ترجو أن تكون غلاما (رب انى) التأكيد للرد على اعتقادها الباطل (وضعتها انثى) تحسرا على ما رأته من خيبة رجائها وعكس تقديرها والضمير المتصل عائد الى النسمة وأنثى حال منه (والله أعلم بما وضعت) تعظيم من جهته تعالى لموضوعها فانها لما تحسرت وتحزنت على أن ولدت أنثى قال الله تعالى انها لا تعلم قدر هذا الموهوب والله هو العالم بالشئ الذى وضعته وما علق به من العجائب وعظائم الامور فانه تعالى سيجعله وولده آية للعالمين وهى جاهلة بذلك لا تعلم به فلذلك تحسرت وتحزنت (وليس الذكر كالانثى) مقول لله أيضا مبين لتعظيم موضوعها ورفع منزلته واللام فيهما للعهد أى ليس الذكر الذى كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه أن يكون كواحد من السدنة كالانثى التى وهبت لها فان دائرة علمها وأمنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور فهى أفضل من مطلوبها وهى لا تعلم وهاتان الجملتان من مقول الله تعالى اعتراضان بين قول أم مريم انى وضعتها أنثى وقولها وانى سميتها مريم وفائدتهما التسلية لنفس حنة والتعظيم لوضعها (وانى سميتها مريم) من مقول حنة عطف على قولها انى وضعتها أى انى جعلت اسمها مريم وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وخادم الرب واظهار انها غير راجعة فى نيتها وان كان ما وضعته أنثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه وظاهر هذا الكلام يدل على ان عمران كان قد مات قبل وضع حنة مريم والا لما تولت الام تسمية المولود لان العادة ان التسمية يتولاها الآباء (وانى أعيذها بك) أى أجيرها بحفظك (وذريتها) عطف على الضمير المنصوب أى أولادها (من الشيطان الرجيم) أى المطرود وأصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة (فتقبلها) أى أخذ مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر (ربها) مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق (بقبول حسن) بوجه حسن يقبل به النذائر وهو قبول تلك الانثى مع انوثتها وصغرها فان المعتاد فى تلك الشريعة أن لا يجوز التحرير الا فى حق غلام عاقل قادر على خدمة المسجد وههنا لما علم الله تعالى تضرع حنة قبل بنتها حال صغرها وعدم قدرتها على خدمة المسجد (وأنبتها نباتا حسنا) مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلح فى جميع أحوالها ثم ان الله تعالى ذكر قبولها منها وذلك لضعفها وصدق نيتها فى الابتداء وحيائها فى الانتهاء وكان فى ذلك الزمان أربعة آلاف محرر لم يشتهر خبر أحد منهم اشتهار خبرها وفيه تنبيه للعبد على ان يرى من نفسه التقصير بعد جهدها ليقبل الله عملها الا ظهارا فلا سها واضمارا خلاصها رزقنا الله واياكم * طريقت همينست كاهل يقين * نكوكار بودند وتقصير بين * واعلم أنه سبحانه قطع السائرين له وهم المريدون والواصلين اليه وهم المرادون عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم اما السائرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها فانقطعوا اليه برؤية تقصيرهم وأما الواصلون فلانه

غيبهم شهودهم عنها لانه الفعال وهم آلة مسخرة ولما دخل الواسطى نيسابور سأل أصحاب الشيخ أبى عثمان المغربى بم يامركم شيخكم قالوا كان يامرنا بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود منشئها ومجريها قال القشيرى وانما أراد الواسطى صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجا فى أوطان التقصير أو تجويزا للاخلال بأدب من الآداب قال النهرجورى من علامة من تولاه الله فى أعماله أن يشهد التقصير فى اخلاصه والغفلة فى أذكاره والنقصان فى صدقه والفتور فى مجاهدته وقلة المراعاة فى فقره فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله فى فقره وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه قال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه فى اشارة قوله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل يولج المعصية فى الطاعة ويولج الطاعة فى المعصية يطيع العبد الطاعة فيعجب بها ويعتمد عليها ويستصغر من لم يفعلها ويطلب من الله العوض عليها فهذه حسنة أحاطت بها سيآت ويذنب الذنب فيلجأ الى الله فيه ويستصغر نفسه ويستعظم من لم يفعله فهذه سيئة أحاطت بها حسنات فأيتهما الطاعة وأيتهما المعصية فعلى السالك أن يجتهد فى الطاعات ولا يغتر بالعبادات لعله يصل الى غاية الغايات فى روضات الجنات * چه زرها بخاك سيه دركنند * كه باشد كه روزى مسى زر كنند * يعنى ان المشتغلين بتحصيل صنعة الكيميا يجعلون دنانير كثيرة تحت التراب أى يبذلونها لتحصيلها ويفرقونها فى أسبابها كى يصير النحاس فى أيديهم ذهبا بحتا ويتشرفوا بوصولها * زرا زبهر چيزى خريدن نكوست * چه خواهى خريدن به از وصل دوست * فالسعى فى الاعمال انما هو لطلب رضا الله ووصول جنابه وهو الذى يبذل فى طريقه المال والروح لينفتح باب الفتوح قال الشيخ الشاذلى قدس سره فى لطائف المنن واعلموا ان الله أودع أنوار الملكوت فى أصناف الطاعات فأى من فاته من الطاعات صنف أو أعوزه من الموافقات جنس فقد فقد من النور بمقدار ذلك ولا تهملوا شيأ من الطاعات ولا تستغنوا عن الاوراد بالواردات ولا ترضوا لانفسكم بما رضى به المدعون بجرا الحقائق على ألسنتهم وخلوا أنوارها من قلوبهم انتهى فينبغى للعبد أن يواظب على أصناف الطاعات وينساها بعد ما عملها كى لا يطلبها العجب لانه يقال حفظ الطاعة أشد من فعلها لان مثلها كمثل الزجاج يسرع اليه الكسر ولا يقبل الجبر وكذا الخيرات اذا أزيلت بالمخالفات (وكفلها زكريا) الفعل لله تعالى بمعنى وضمها الله الى زكريا وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير أمورها والكافل هو الذى ينفق على انسان ويهتم باصلاح مصالحه وفى الحديث انا وكافل اليتيم كهاتين وهو زكريا بن اذن ابن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان عليه السلام ابن داود عليه السلام (روى) أن حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة أى خذوها فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندى خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر قيل هو نهر الاردن فألقوا فيه أقلامهم التى كانوا يكتبون بها الوحى على أن كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فألقوا ثلاث مرات ففى كل مرة يرتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم

فتكفلها

فتكفلها قال الشيخ فى تفسيره وهو معنى قوله فتقبلها ربها الآية (كلما) أى كل وقت (دخل
عليها) أى على مريم (زكريا) فاعل دخل (المحراب) أى فى المحراب قيل بنى لها محرابا فى المسجد
أى غرفة تصعد اليها بسلم أو المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت فى أشرف موضع
من بيت المقدس أو كانت مساجدهم تسمى المحاريب (روى) أنه لا يدخل عليها الا هو وحده
فاذا خرج غلق عليها سبعة أبواب. كلما دخل (وجد عندها رزقا) أى نوعا منه غير معتاد اذ كان
ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها فى الصيف فاكهة الشتاء وفى الشتاء فاكهة الصيف ولم
ترضع ثديا قط (قال) كأنه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال
(يا مريم أنى لك هذا) أى من أين يجىء لك هذا الذى لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه
والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك (قالت) مريم وهى صغيرة لا قدرة لها على فهم
السؤال ورد الجواب قبل تكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى وهو فى المهد (هو من عند الله)
فلا تعجب ولا تستبعد (ان الله يرزق من يشاء) أن يرزقه (بغير حساب) أى بغير تقدير لكثرته أو
بلا محاسبة أو من حيث لا يحتسب وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون فى
محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستأنف وفى الآية دليل على جواز الكرامة للاولياء
ومن أنكرها جعل هذا ارهاصا وتأسيسا لرسالته عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وسلم
أنه جاع فى زمن قحط فأهدت له فاطمة رضى الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها
اليها وقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من
عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم أنى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء
بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة بنى اسرائيل ثم جمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا والحسن والحسين رضى الله عنهم وجميع أهل بيته عليه فأكلوا وشبعوا وبقى
الطعام كما هو فأوسعت فاطمة رضى الله عنها على جيرانها وقد ظهر على السلف رضى الله عنهم
من الصحابة والتابعين ثم على من بعدهم من الكرامات قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه
أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاقك قال الشيخ أبو العباس رحمه الله ليس
الشأن من تطوى له الارض فاذا هو بمكة وغيرها من البلدان انما الشأن من تطوى عنه أوصاف
نفسه وقيل لابى يزيد ان فلانا يمشى على الماء قال الحوت أعجب منه اذ هو شأنه فقيل له ان فلانا
يمشى فى الهواء قال الطير أعجب من ذلك اذ هو حاله وقيل له كان فلان يمشى الى مكة ويرجع من
يومه قال ابليس أعجب من ذلك اذ هو حاله تطوى له الارض كلها فى لحظة وهو فى لعنة الله فالطى
الحقيقى أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك لان الارض تطوى
لك فاذا أنت حيث شئت من البلاد لان هذا ربما جر الى الاغترار وذلك يؤدى للتعلق بالواحد
القهار (وحكى) عن أبى عنوان الواسطى قال انكسرت السفينة وبقيت أنا وامرأتى أياما
على لوح وقد ولدت فى تلك الحالة صبية فصاحت بى وقالت يقتلنى العطش فرفعت رأسى فاذا
رجل فى الهواء جالس وفى يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت أحمر وقال هاك اشربا
قال فأخذت الكوز وشربنا منه فاذا هو أطيب من المسك وأحلى من العسل فقلت من أنت
يرحمك الله قال أنا عبد لمولاك فقلت بم وصلت الى هذا فقال تركت هواى لمرضاته فأجلسنى

في الهواء ثم غاب عني فلم أره وحج سفيان الثوري مع شيبان الراعي رضي الله عنهما فعرض لهما
سبع فقال سفيان لشيبان أما ترى هذا السبع فقال لا تخف وأخذ شيبان أذنيه فعركهما
فتبصبص وحرك ذنبه فقال سفيان ما هذه الشهرة فقال لولا مخافة الشهرة لما وضعت زادي
الا على ظهره حتى آتي مكة * تو هم گردن از حكم داور مپيچ * كه گردن نه پيچد ز حكم تو هيچ
محالست چون دوست دارد ترا * كه در دست دشمن گذارد ترا (هنالك) أي حيث كان قاعدا
عند مريم في المحراب ولما رأى زكريا عليه السلام حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب
في أن يكون له من ايشاع ولد مثل ولد أختها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا
عجوزا فقد كانت أختها كذلك (دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك) أي أعطني من محض
قدرتك من غير وسط معتاد (ذرية طيبة) أي ولدا صالحا مباركا تقيا رضيا مرضيا والذرية
النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد والطيب هو الذي تستطاب
أفعاله وأخلاقه فلا يكون فيه أمر يستخبث ويعاب (انك سميع الدعاء) أي مجيبه كما في قولهم
سمع الله لمن حمده وهذا لان من لم يجب فكأنه لم يسمع فان قيل ان زكريا كان عالما أن في قدرة
الله ذلك قبل رؤية حال مريم فهلا سأل قبل ذلك قلنا قد يزداد الانسان رغبة في الشيء اذا عاينه
وان كان عالما به قبله (فنادته الملائكة) أي جبرائيل وحكم الواحد من الجنس قد ينسب الى
الجنس نفسه نحو فلان يركب الخيل وانما يركب واحدا من أفرادها ولما كان جبرائيل رئيسهم
عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له (وهو) حال من مفعول النداء أي والحال ان زكريا عليه السلام
(قائم يصلي في المحراب) أي في المسجد أو في غرفة مريم (ان الله) مفعول ثان لنادته أي بأن
الله تعالى (يبشرك بيحيى) أي بولد اسمه يحيى لانه حيي به رحم أمه ولانه تحيا به المجالس من
وعظه والتقدير بولادة ولد اسمه يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان (مصدقا بكلمة من الله) أي
بعيسى عليه السلام وانما سمي كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير أب فشابه المبدعات التي هي
عالم الامر وهو أول من آمن بعيسى وصدق بأنه كلمة الله وروح منه ويسمى روحا أيضا لانه تعالى
احيا به من الضلالة كما يحيا الانسان بالروح (قال السدي) لقيت أم يحيى أم عيسى فقالت
يا مريم أشعرت بحبلي فقالت مريم وأنا أيضا حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في
بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا الخ وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى
قبل أن رفع عيسى الى السماء (وسيدا) عطف على مصدقا أي رئيسا يسود قومه ويفوقهم في
الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيا لها ما أسناها (وحصورا)
أي مبالغا في حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة (روي) أنه مر في صباه بصبيان
فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت والحصور الممتنع من النساء مع القدرة عليهن وقد
تزوج مع ذلك ليكون أغض لبصره (ونبيا) أي يوحى اليه اذا بلغ هو مبلغه (من الصالحين) أي
ناشئا منهم لانه كان من أصلاب الانبياء عليهم السلام والصلاح صفة تنتظم الخير كله والمراد به
هنا ما فوق الصلاح الذي لا بد منه في منصب النبوة البتة من أقاصي مراتبه (قال) عند نداء
الملائكة اياه وبشارتهم له بالولد بالاستفهام متعجبا من حيث العادة ومسرورا بالولد (رب
أنى يكون لي) أي كيف يحصل لي (غلام) وفيه دلالة على أنه أخبر بكونه غلاما عند التبشير

(وقد

(وقد بلغنى الكبر) أى أدركنى كبر السن وأثر فى وفيه دلالة على أن كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون (وامرأتى عاقر) أى ذات عقر وعقيم لا تلد (قال) أى الله (كذلك) اشارة الى مصدر يفعل فى قوله تعالى (الله يفعل ما يشاء) أى ما يشاء أن يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدأ و يفعل خبره والكاف فى محل النصب على أنها فى الاصل نعت لمصدر محذوف أى الله يفعل ما يشاء أن يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذى هو خلق الولد من شيخ فان و عجوز عاقر (قال رب اجعل لى آية) أى علامة تدل أى تحقق المسؤل أو وقوع الحبل وانما سألها لان العلوق أمر خفى لا يوقف عليه فأراد أن يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة منه حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى أن يظهر ظهورا معتادا (قال آيتك) أى علامة حدوث الولد (أن لا تكلم الناس) أى أن لا تقدر على تكليمهم (ثلاثة أيام) أى متوالية مع لياليها فان ذكر الليالى أو الايام يقتضى دخول الاخرى فيها لغة وعرفا وانما جعلت آيته ذلك لتخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة (الا رمزا) أى اشارة بيد أو رأس أو نحوهما وسمى الرمز كلاما لانه يؤدى ما يؤدى الكلام و يفهم منه ما يفهم من الكلام فلهذا جاز الاستثناء المتصل منه ثم أمره تعالى بذكره لعدم منعه عن ذكر الله تعالى فقال (واذكر ربك) أى فى أيام الحبسة شكرا لحصول التفضل والانعام (كثيرا) أى ذكرا كثيرا (وسبح بالعشى) أى سبحه تعالى أى من الزوال الى الغروب (والابكار) من طلوع الفجر الى الضحى قال الامام فى قوله تعالى واذكر ربك كثيرا فيه قولان أحدهما انه تعالى أمر بحبس لسانه عن أمور الدنيا الا رمزا فأما فى الذكر والتسبيح فقد كان لسانه جيدا وكان ذلك من المعجزات الباهرة والقول الثانى أن المراد منه الذكر بالقلب وذلك لان المستغرقين فى بحار معرفة الله تعالى عادتهم فى أول الامر أن يواظبوا على الذكر اللسانى مدة فاذا امتلأ القلب من نور ذكر الله سكتوا باللسان وبقى الذكر بالقلب ولذلك قالوا من عرف الله كل لسانه فكان زكريا عليه السلام أمر بالسكوت باللسان وبالاستحضار معانى الذكر والمعرفة واستدامتها انتهى واعلم أن الذكر على مراتب والذكر اللسانى بالنسبة الى الذكر القلبى تنزل (روى) ان عيسى عليه السلام حين ترقى الى أعلى مراتب الذكر جاءه ابليس فقال يا عيسى اذكر الله فتعجب عيسى من أمره بالذكر مع أن جبلته على المنع منه ثم ظهر انه أراد أن يغويه و ينزله من مرتبة الذكر القلبى الى مرتبة الذكر اللسانى وذلك كان تنزلا بالنسبة الى مقامه عليه السلام فعلى العاقل أن يداوم على الاذكار آناء الليل وأطراف النهار فان الذكر يدفع هوى النفس فاذا طرد ذلك من الباطن فلا سبيل للشيطان أيضا فى الظاهر فتغلق أبواب المنهيات بالكليات و يتصفى القلب ولا يتكدر * بپاى بنشان از اينه كرد * كه صيقل نكيرد چو زنكار خورد * قال القشيرى فذكر اللسان به يصل العبد الى استدامة ذكر القلب والتأثير للذكر فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه فى حال سلوكه قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ما من يوم الا والجليل سبحانه ينادى عبدى ما أنصفتنى أذكرك وتنسانى وأدعوك الى وتذهب الى غيرى وأذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا يا ابن آدم ما تقول

غدا اذا جئتنى * وقال الحسن افتقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء فى الصلاة والذكر والقراءة فان وجدتم والا فاعلموا ان الباب مغلق * قيل اذا تمكن الذكر من القلب فان دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الانسان اذا دنا منه الشيطان فيجتمع عليه الشياطين فيقولون ما لهذا فيقول قد مسه الانس * قال بعضهم وصف لى ذاكر فى أجمة فأتيته فبينا هو جالس اذا سبع عظيم ضربه ضربة واستلب منه قطعة فغشى عليه وعلى فلما أفاق قلت ما هذا فقال قيض الله هذا السبع لى فكلما دخلتنى فترة عض فى كما رأيت اوصلنا الله واياكم الى مرتبة اليقين وشرفنا بمقام التمكين وأذاقنا حلاوة الذكر فى كل حين وأدخلنا الجنة المعنوية مع عباده الصالحين أجمعين (واذ قالت الملائكة) أى اذكر وقت قول الملائكة وهو جبريل بدلالة قوله تعالى فى سورة مريم فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا أى سوى الخلق لتستأنس به وانما جمع تعظيما له لانه كان رئيس الملائكة (يا مريم) وكلام جبريل معها لم يكن وحيا اليها فان الله تعالى يقول وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم ولا نبوة فى النساء بالاجماع فكلامه لها شفاها كرامة لها وكرامات الاولياء حق أو ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام وهو من الرهص بالكسر وهو الصف الاسفل من الجدار وفى الاصطلاح أن يتقدم على دعوى النبوة ما يشبه المعجزة كاظلال الغمام لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم الحجر والمدر والرمى بالشهب وقصة الفيل وغير ذلك (ان الله اصطفاك) اولا حيث تقبلك من أمك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى وربّاك فى حجر زكريا عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية (وطهرك) من الكفر والمعصية ومن الافعال الذميمة والعادات القبيحة ومن مسيس الرجال ومن الحيض والنفاس قالوا كانت مريم لا تحيض ومن تهمة اليهود وكذبهم بانطاق الطفل (واصطفاك) آخرا (على نساء العالمين) بأن وهب لك عيسى عليه السلام من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء وجعلكما آية للعالمين (يا مريم اقنتى لربك) أى قومى فى الصلاة وأطيلى القيام فيها له تعالى (واسجدى واركعى مع الراكعين) أمرت بالصلاة بالجماعة بذكر أركانها القنوت وهو طول القيام والسجود والركوع مبالغة فى ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب فى شريعتهم كذلك واما لكون السجود أفضل أركان الصلاة وأقصى مراتب الخضوع ولا يقتضى ذلك كون الترتيب الخارجى كذلك بل اللائق به الترقى من الادنى الى الاعلى واما ليقترن اركعى بالراكعين للاشعار بان من لا ركوع فى صلاتهم ليسوا مصلين قيل لما أمرت بذلك قامت فى الصلاة حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا (ذلك) أى ما ذكرنا فى القصص من حديث حنة ومريم وعيسى وزكريا ويحيى (من انباء الغيب) أى من اخبار الغيب التى لا يوقف عليها الا بمشاهدة أو قراءة كتاب أو تعلم من عالم أو بوحى من عند الله تعالى وانعدمت الثلاثة الاول فتعينت الرابعة وهو الوحى (نوحيه اليك) أى ننزله عليك دلالة على صحة نبوتك والزاما على من يحاجونك من الكفار والوحى فى القرآن لمعان للارسال الى الانبياء قال تعالى نوحى اليهم وللالهام قال تعالى وأوحينا الى أم موسى وللالقاء المعنى المراد قال تعالى بأن ربك أوحى لها وللاشارة قال تعالى فأوحى اليهم ان سبحوه بكرة وعشيا وأصل ذلك كله الاعلام فى خفاء (وما كنت لديهم) أى عند الذين اختلفوا وتنازعوا فى تربية مريم وهو تقرير لكونه وحيا على طريقة التهكم

عنكم به أي انهم عالمون لا يشكون انك لم تقرأ كتابا ولم تصحب من علم تلك الانباء حتى تسمع منهم
فلم يبق الا المشاهدة وهي منتفية بالضرورة فكأنهم ادعوا هذا المحال لكونه يلزم من انكارهم
الوحي أي ان لم يكن بالوحي كما زعموا فلابد من دعوى المشاهدة ولم تمكن قال ابن الشيخ في
حواشيه كأنه قيل أيها المنكرون لأن أوحي اليه والمتهمون في دعوى نبوته ليس لكم في سبب
الاتهام سوى احتمال المشاهدة والعيان وانه غاية السفاهة ونهاية الخذلان ومن أضل ممن عدل
عن الاحتمال الثابت بالمعجزات الساطعة والبراهين القاطعة الى احتمال لا يذهب اليه وهم أحد
وأي حالة ادعى الى الضحك والاستهزاء والسخرية من حال هؤلاء انتهى (اذ يلقون أقلامهم)
التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها (أيهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل
عليه يلقون أقلامهم أي يلقونها ينظرون أو ليعلموا أيهم يكفلها (وما كنت لديهم اذ يختصمون)
أي في شأنها تنافسا في كفالتها وقد ذكر فيما سبق وفي الآية دلالة على فضيلة مريم حيث اصطفاها
الله على نساء العالمين فان جميع ما ذكر من التربية الجسمانية اللائقة بحال صغرها والتربية
الروحانية المتعلقة بحال كبرها لم يتفق لغيرها من الاناث وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية حديث حسن
يوافق الآية في الدلالة على ان مريم أفضل من جميع نساء العالمين وعن أنس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت
محمد وآسية امرأة فرعون وهو يدل على ان هؤلاء الاربع أفضل من سائر النساء واعلم ان أهل
الكمال من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير هذه الاربع ومعنى الكمال التناهي في الفضائل
والبر والتقوى وحسن الخصائل والكمال في شيء ما يكون حصوله للكامل أولى من غيره والنبوة
ليست أولى للنساء لان مبناها على الظهور والدعوة وحالهن الاستتار ولا تكون النبوة في حقهن
كمالا بل الكمال في حقهن الصديقية وهي قريب من النبوة والصديق من صدق في جميع أقواله
وأفعاله وأحواله فمن النساء كاملات عارفات وواصلات الى مقام الرجال فهن رجال في المعنى
وسئل بعضهم عن الابدال فقال أربعون نفسا فقيل له لم لا تقول أربعون رجلا فقال لأن فيهم
النساء قال بعضهم

ولو كان النساء كمن ذكرنا * لفضلت النساء على الرجال
فلا التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

ويناسب هذا ما حكي أن أم محمد والدة الشيخ أبي عبد الله بن الخفيف رحمهما الله تعالى كانت من
العابدات القانتات وكان ابنها أبو عبد الله يحيي العشر الاخيرة من رمضان ليدرك ليلة القدر
ومن دأبه الملازمة للصلاة فوق البيت وكانت والدته متوجهة الى الله في البيت فليلة أن
أخذت تظهر أنوار ليلة القدر نادت ابنها ان يا محمد ان الذي تطلبه هو عندنا فتعال فنزل الشيخ
فرأى الانوار فخر على قدم أمه وكان يقول علمت قدر والدتي منذ شاهدت فهذه هي حال والدته
فانظر كيف أرشدت ابنها وكيف تفوقت عليه في الفضل والشرف مع كثرة رياضته واجتهاده
أيضا فظهر أن من النساء من هي أفضل من الرجال وذلك بالوصول الى جناب القدس وليس ذلك
الا بحسن الاستعداد والهداية الخاصة من الله تعالى اسعدنا الله واياكم ونعوذ بالله من نساء

زماننا حيث لا يرى فيهن من هي من أهل التقوى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صنفان من اهل النار لم أرهما) يعني في عصره عليه السلام لطهارة ذلك العصر بل حدثا بعده (قوم معهم سياط) يعني احدهما قوم في أيديهم سياط جمع سوط (كأذناب البقر يضربون بها الناس) وهم الذين يضربون بها السارقين عراة أو الطوافون على أبواب الظلمة كالكلاب يطردون الناس عنها بالضرب والسباب (ونساء) يعني ثانيهما نساء (كاسيات) في الحقيقة (عاريات) في المعنى من لباس التقوى (مميلات) أي قلوب الرجال الى الفساد (مائلات) أي الى الرجال (رؤسهن كاسنمة البخت) يعني يعظمن رؤسهن بالخمر والقلنسوة حتى تشبه اسنمة البخت (المائلة) من الميل لان أعلى السنام يميل لكثرة شحمه (لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) أي يوجد من مسيرة أربعين عاما (اذ قالت الملائكة) بدل من واذ قالت الملائكة منصوب بناصبه والمراد بالملائكة جبريل وجمع تعظيما له وقد مرّ (يا مريم ان الله يبشرك) أي يفرحك (بكلمة) كائنة (منه) عز وجل واطلق على عيسى لفظ الكلمة بطريق اطلاق السبب على المسبب لان سبب ظهوره وحدوثه هو الكلمة الصادرة منه تعالى وهي كن وحدوث كل مخلوق وان كان بسبب هذه الكلمة لكن السبب المتعارف للحدوث لما كان مفقودا في حق عيسى عليه السلام كان اسناد حدوثه الى الكلمة أتم وأكمل فجعل عليه السلام بهذا الاعتبار كأنه نفس الكلمة (اسمه) أي اسم المسمى بالكلمة فالكلمة عبارة عن مذكر (المسيح) لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك (عيسى) بدل من المسيح معرب من ايشوع (ابن مريم) صفة لعيسى وتوجيه الخطاب الى مريم يقتضي أن يقال عيسى ابنك الا انه قيل عيسى ابن مريم تنبيها على ان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فأعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير أب فلا ينسب الا الى أمه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكأنه قيل الذي يعرف به ويتميز عن سواه مجموع هذه الثلاثة وفي التيسير اللقب اذا عرف صار كالاسم (وجيها) حال من الكلمة وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف (في الدنيا) بالنبوة والتقدم على الناس (والآخرة) بالشفاعة وعلو الدرجة في الجنة (ومن المقربين) أي عند ربه بارتفاعه الى السماء وصحبة الملائكة فيها (ويكلم الناس في المهد وكهلا) أي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء عليهم السلام من غير تفاوت يعني ان تكلمه في حالة الطفولية والكهولة على حد واحد وصفة واحدة من غير تفاوت بأن يكون كلامه في حال الطفولية مثل كلام الانبياء والحكماء لاشك انه من أعظم المعجزات قال مجاهد قالت مريم اذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان يسبح في بطني وأنا أسمع وتكلمه معهم دليل على حدوثه لحدوث الاصوات والحروف (روى) انه لما بلغ عمره ثلاثين سنة أرسله الله الى بني اسرائيل فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفع الى السماء أوجاءه الوحي على رأس ثلاثين سنة فمكث في نبوته ثلاث سنين وأشهرا ثم رفع * والكهل من تجاوز الثلاثين الى الاربعين وقارب الشيب من اكتهل النبت قارب

اليمن فعلى هذا أصح أن يقال انه بلغ سن الكهولة وكلم الناس فيه ثم رفع وأما على قول من يقول ان أول سن الكهولة أربعون سنة فلابد أن يقال انه رفع شابا ولا يكلم الناس كهلا الا بعد أن ينزل من السماء فى آخر الزمان فانه حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال (ومن الصالحين) هذه الاربعة أحوال مقدرة من كلمة والمعنى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وذكر قوله ومن الصالحين بعد ذكر الاوصاف المتقدمة دليل على أنه لارتبة أعظم من كون المرء صالحا لانه لا يكون المرء كذلك الا أن يكون فى جميع الافعال والتروك مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل ومعلوم أن ذلك يتناول جميع المقامات فى الدين والدنيا فى أفعال القلوب وفى أفعال الجوارح (قالت) مريم متضرعة الى ربها (رب أنى يكون) أى كيف يكون أو من أين يكون (لى ولد) على وجه الاستبعاد العادى والتعجب من استعظام قدرة الله فان البشرية تقتضى التعجب مما وقع على خلاف العادة اذ لم تجر عادة بأن يولد ولد بلا أب (ولم يمسسنى بشر) آدمى وسمى بشرا لظهوره وهو كناية عن الجماع أى والحال أنى على حالة منافية للولد (قال) أى الله عز وجل أو جبريل عليه السلام (كذلك) اشارة الى مصدر يخلق فى قوله عز وجل (الله يخلق ما يشاء) أن يخلقه أى الله يخلق ما يشاء أن يخلقه خلقا مثل ذلك الخلق العجيب والاحداث البديع الذى هو خلق الولد من غير أب فالكاف فى محل النصب على أنها فى الاصل نعت لمصدر محذوف (اذا قضى أمرا) أى أراد شيأ وأصل القضاء الاحكام أطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشئ لايجابه اياه البتة (فانما يقول له كن فيكون) من غير ريث وهو تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تأتى المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما علم فيها من اطاعة المأمور المطيع للآمر القوى المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء مدرجا بأسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شئ من الاسباب والمواد قال ابن عباس رضى الله عنه ان مريم رضى الله عنها كانت فى غرفة قد ضربت دونها سترا اذا هى برجل عليه ثياب بيض وهو جبريل تمثل لها بشرا سويا أى تام الخلق فلما رأته قالت أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ثم نفخ فى جيب درعها حتى وصلت النفخة الى الرحم فاشتملت قال وهب وكان معها ذو قرابة يقال له يوسف النجار وكان يوسف هذا يستعظم ذلك فاذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها واذا أراد أن يبرئها رأى ما ظهر عليها فكان أول ما كلمها ان قال لها قد دخل فى صدرى شئ أردت كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت الكلام أشفى لصدرى قالت قل قال حدثينى هل ينبت الزرع من غير بذر قالت نعم قال فهل ينبت شجر من غير أصل قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر يومئذ انما صار من الزرع الذى أنبت الله من غير بذر ألم تعلم ان الله خلق آدم وحواء من غير أنثى ولا ذكر فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه أن الذى بها شئ أكرمها الله به (روى) ان عيسى عليه السلام حفظ التوراة وهو فى بطن أمه وكانت مريم تسمع عيسى وهو يدرس فى بطنها ثم لما شرف عالم الشهود أعطاه الله الزهادة فى الدنيا فانه كان يلبس الشعر ويتوسد الحجر ويستنير القمر وكان له قدح يشرب فيه الماء ويتوضأ فيه فرأى رجلا يشرب بيده فقال لنفسه يا عيسى هذا أزهد منك فرمى القدح وكسره واستظل يوما فى ظل خيمة عجوز وكان قد

خلقه حز شديد فخرجت العجوز فطردته فقام وهو يضحك فقال يا أمة الله ما أنت أقمتني وانما
أقامني الذى لم يجعل لى نعيما فى الدنيا ولما رفع الى السماء وجد عنده ابرة كان يرقع بها ثوبه
فاقتضت الحكمة الالهية نزوله فى السماء الرابعة وفيه اشارة الى أن السالك لا بد وأن ينقطع
عن كل ما سوى الله و يتجرد عن العوائق حتى يسير مع الملأ الاعلى و يطير الى مقام قاب قوسين
أو أدنى (وروى) أن موسى عليه السلام ناجى ربه فقال اللهم أرنى وليا من أوليائك فأوحى الله
تعالى اليه ان اصعد الى جبل كذا وادخل زاوية كذا فى كهف كذا حتى ترى وليى ففعل
فرأى فيه رجلا ميتا توسد بلبنة وفوق عورته خرقة وليس فيه شئ غيره فقال اللهم سألتك أن ترينى
وليك فأريتنى هذا فقال هذا هو وليى فوعزتى وجلالى لا أدخله الجنة حتى أحاسبه باللبنة
والخرقة من أين وجدهما فحال أولياء الله الافتخار بالفقر وترك الدنيا والصبر على ما قدره الله
* صبر باشد مشتهاى زيركان * هست حلوا آرزوى كودكان * هركه صبر آورد گردون
بر رود * هركه حلوا خورد واپستر رود * فالقوة الروحانية التى بها يصير الانسان كالملائكة
انما تحصل بالصبر عن المشتهيات فانظر الى حال عيسى عليه السلام يكفك فى هذا اعتبارا ومن
الله التوفيق الى الاعراض عن حطام الدنيا وقطع التعلق من الدارين قطعا (ويعلمه) كلام
مستأنف أى ويعلم الله عيسى (الكتاب) أى الكتابة والخط بالقلم بالالهام والوحى وكان أحسن
الناس خطا فى زمانه (والحكمة) أى العلوم العقلية والشرعية وتهذيب الاخلاق لان
كمال الانسان فى أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ومجموعهما هو المسمى بالحكمة
(والتوراة والانجيل) فيحفظهما عن ظهر القلب وهذا الكلام أعنى يعلمه الخ سبق تطييبا
لقلب مريم وازاحة لما أهمها من خوف الائمة لما علمت أنها تلد من غير زوج (و) يجعله (رسولا
الى بنى اسرائيل) أى يكلمهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين وكان أول
أنبياء بنى اسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام (أنى قد جئتكم) معمول لرسول
لما فيه من معنى النطق أى ورسولا ناطقا بأنى قد جئتكم ملتبسا (بآية) عظيمة كائنة (من ربكم)
وهى ما ذكر بعده من خلق الطير وغيره (أنى أخلق) بدل من أنى قد جئتكم أى أقدر
وأشكل لانه قد ثبت أن العبد لا يكون خالقا بمعنى التكوين والابداع فوجب أن يكون بمعنى
التقدير والتسوية (لكم) أى لاجلكم بمعنى التحصيل لايمانكم ورفع تكذيبكم اياى (من
الطين) شيأ (كهيئة الطير) أى مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) الضمير للكاف أى فى ذلك الشئ
المماثل لهيئة الطير (فيكون طيرا) حيا طيارا كسائر الطيور (باذن الله) بأمره تعالى أشار
بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لا منه لان الله هو الذى خلق الموت والحياة فهو يخلق الحياة
فى ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى عليه السلام فيه على سبيل اظهار المعجزات (روى)
أن عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش فأخذ طينا
وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون
اليه فاذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الله قيل انما طلبوا خلق الخفاش
لانه أعجب من سائر الخلق ومن عجائبه أنه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض
كما يبيض سائر الحيوان من الطيور ويكون له الضرع ويخرج منه اللبن ولا يبصر فى ضوء النهار

ولا فى ظلمة الليل وأغا يرى فى ساعتين ساعة بعد غروب الشمس وساعة بعد طلوع الفجر قبل أن يسفر جدا ويضحك كما يضحك الانسان وله أسنان ويحيض كما تحيض المرأة ولما دل القرآن على أن عيسى عليه السلام انما تولد من نفخ جبريل فى مريم وجبريل روح محض وروحانى محض فلا جرم كانت نفخة عيسى سببا للحياة والروح (وأبرئ) أى أشفى وأصحح (الاكمه) أى الذى ولد أعمى قال الزمخشرى لم يوجد فى هذه الامة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسى صاحب التفسير (والابرص) وهو الذى به برص أى بياض فى الجلد يتطير به واذا استحكم فلا برء له ولا يزول بالعلاج ولم تكن العرب تنفر من شئ نفرتها منه وانما خصهما بالذكر لانهما مما أعيا الاطباء فى تداويهما وكانوا فى غاية الحذاقة فى زمن عيسى عليه السلام وسألوا الاطباء عنهما فقال جالينوس وأصحابه اذا ولد أعمى لا يبرأ بالعلاج وكذا الابرص اذا كان بحال لو غرزت الابرة فيه لا يخرج منه الدم لا يقبل العلاج فرجعوا الى عيسى وجاؤا بالاكمه والابرص فمسح يده بعد الدعاء عليهما فأبصر الاعمى وبرئ الابرص فآمن به البعض وجحد البعض وقالوا هذا سحر (روى) أنه ابرأ فى يوم واحد خمسين ألفا من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عليه السلام وكان يداويهم بالدعاء وحده على شرط الايمان ثم قال عيسى عليه السلام (وأحيى الموتى باذن الله) فسألوا جالينوس عنه فقال الميت لا يحيا بالعلاج فان كان هو يحيى الموتى فهو نبى وليس بطبيب فطلبوا أن يحيى الموتى فأحيا أربعة أنفس أحيا العازر وكان صديقا له فأرسل أخته الى عيسى ان أخاك العازر يموت فأتاه وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجده قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لاخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو فى صخرة مطبقة فقال عيسى عليه السلام اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك أرسلتنى الى بنى اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرهم أنى أحيى الموتى فأحى العازر فقام العازر وودكه يقطر فخرج من قبره وبقى وولد له وأحيا ابن عجوز مر به ميتا على عيسى على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى أهله فبقى وولد له وأحيا ابنة العاشر الذى يأخذ العشور وقيل له أحيها وقد ماتت أمس فدعا الله تعالى فعاشت وبقيت وولد لها فقالوا يحيى من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل أصابتهم سكتة فأحى لنا سام بن نوح فقال عيسى دلونى على قبره فخرج والقوم معه حتى انتهى الى قبره فدعا الله تعالى بالاسم الاعظم فخرج من قبره وقد شاب رأسه فقال عيسى كيف شاب رأسك ولم يكن فى زمانك شيب قال يا روح الله انما دعوتنى سمعت صوتا يقول أجب روح الله فظننت أن القيامة قد قامت فمن هول ذلك شاب رأسى فسأله عن النزع فقال يا روح الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتى وقد كان من وقت موته أكثر من أربعة آلاف سنة فقال للقوم صدقوه فانه نبى فآمن به بعضهم وكذبه آخرون ثم قال له مت قال بشرط أن يعيذنى الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل ثم طلبوا آية أخرى دالة على صدقه فقال (وأنبئكم بما تأكلون) من أنواع المآكل (وما تدخرون) أى وما تخبؤن للغد (فى بيوتكم) فكان يخبر الرجل بما أكل قبل وبما يأكل بعد ويخبر الصبيان وهو فى المكتب بما يصنع أهلهم وبما يأكلون ويخبؤن لهم وكان الصبى ينطلق الى أهله ويبكى عليهم حتى يعطوه

ما تخبؤا له ثم قالوا الصبيانهم لا تلعبوا مع هذا الساحر وجمعوهم فى بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا فى هذا البيت فقال فمن فى هذا البيت قالوا خنازير فقال عليه السلام كذلك يكونون فاذا هم خنازير (ان فى ذلك) أى ماذكر من الخوارق والامور العظام (لآية) عظيمة (لكم) دالة على صحة رسالتى دلالة واضحة (ان كنتم مؤمنين) انتفعتم بها (ومصدقا) أى قد جئتكم ملتبسا بآية الخ ومصدقا (لما بين يدى) أى لما تقدمنى (من التوراة) أى موافقا لما كان قبلى (و) جئتكم (لاحل لكم) لأن أرخص لكم (بعض الذى حرم عليكم) أى فى شريعة موسى عليه السلام من لحوم السمك ولحوم الابل والشحوم والثروب جمع ثرب وهو شحم رقيق يتصل بالامعاء ولحم كل ذى ظفر فأحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا أصطبة له وهى شوكة الحائك التى بها يسوى السدا واللحمة (وجئتكم) ملتبسا (بآية من ربكم) ببرهان بين شاهد على صحة رسالتى (فاتقوا الله) فى عدم قبولها ومخالفة مدلولها (وأطيعون) فيما آمركم به وأنهاكم عنه بأمر الله تعالى وتلك الآية هى قوله (ان الله ربى وربكم فاعبدوه) ولا تعصوه بالشرك (هذا) أى الايمان بالله ورسوله والطاعة (صراط مستقيم) طريق سوى يؤدى صاحبه الى الجنة وهو الحق الصريح الذى أجمع عليه الرسل قاطبة فتكون آية بينة على أنه عليه السلام من جملتهم فقوله ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العلمية فانه يلازم الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك بأن بين أن الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم قل آمنت ثم استقم فالعلم والعمل من مبادى الاستقامة فعليك بالتمسك بالحجة القوية وسئل الجنيد كيف السبيل الى الانقطاع الى الله فقال بتوبة تزيل الاصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل وذكر الله تعالى على اختلاف الاوقات واهانة النفس بقربها من الاجل وبعدها من الامل قيل له فبماذا يصل العبد الى هذا فقال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد وقال الحسن البصرى رضى الله عنه ما طلب رجل هذا الخير يعنى الجنة الا اجتهد ونحل وذبل واستمر واستقام حتى يلقى الله تعالى أما ترى الى قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واعلم أن الاستقامة لا يطيقها الا الاكابر لانها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدى الله تعالى على حقيقة الصدق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل قيل ولا يصح رفع الهمة عن الحظوظ جملة لان ذلك مكابرة مع الربوبية وانما المراد أن لا يطلب بالعمل فعلامة العبد الاديب أن يستمر على الطاعة فى باب مولاه ولا ينظر الى شئ سواه لا الى الجنة ولا الى النار فاذا جرد عمله وتوحيده عن الاغراض فقد استقام واتخذ الصراط المستقيم مذهبا والارشاد الى هذا الطريق انما يفيد لمن كان له استعداد أزلى وقابلية أصلية فبالتربية يصير العبد قابل أنوار الصفات الالهية ويخرج من الظلمات البشرية فعليك بخدمة الكاملين والاستقامة فى طريق اليقين *

زخود بهترى جوى وفرصت شمار * كه با چون خودى كم كنى روزكار * وفى الاتباع شرف عظيم قال تعالى مخاطبا لحبيبه عليه السلام فبهداهم اقتده وطاعة الرسول واتباعه من لوازم

تقوى الله تعالى ألا ترى الى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام فاتقوا الله وأطيعون فاذا داوم العبد الاتباع يصل الى الاستقامة فانها ليست مما يحصل فى أول الامر (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره العزيز) سالها بايد كه اندر آفتاب * لعل يابد رنك ورخشانى وتاب * (فلما) الفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملائكة وخروجه من القوة الى الفعل كأنه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت (أحس عيسى) أحس استعارة للعلم اليقينى الذى لا شبهة فيه كالاحساس وهو وجدان الشئ بالحاسة كأنه قيل فلما علم (منهم الكفر) علما لا شبهة فيه كما يدرك بالحواس من الضروريات منهم الكفر أى من بنى اسرائيل وأرادوا قتله وانهم لا يزدادون على رؤية الآيات الا الاصرار على الجحود (قال) لخلص اصحابه مستنصرا على الكفار (من انصارى) الانصار جمع نصير (الى الله) متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء أى من انصارى متوجها الى الله ملتجئا اليه ومن اعوانى على اقامة الدين (قال الحواريون) جمع حوارى يقال فلان حوارى فلان أى صفوته وخاصته وهم اثنا عشر بعضهم من الملوك وبعضهم من صيادى السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام واعوانه والمخلصين فى محبته وطاعته (نحن انصار الله) أى انصار دينه ورسوله قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم والله ينصر من ينصر دينه ورسله (آمنا بالله) استئناف جار مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن أوليائه والمحاربة مع أعدائه (واشهد بأنا مسلمون) مخلصون فى الايمان منقادون لما تريد من أمر نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة بذلك يوم القيامة يوم تشهد الرسل عليهم السلام لأممهم ايذانا بأن مرمى غرضهم السعادة الاخروية (ربنا آمنا بما أنزلت) من الانجيل على عيسى وهو تضرع الى الله تعالى وعرض لهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة فى اظهار أمرهم (واتبعنا الرسول) أى عيسى على دينه فى كل ما يأتى ويذر من أمور الدين فيدخل فيه الاتباع فى النصرة دخولا أوليا (فاكتبنا مع الشاهدين) أى مع الذين يشهدون بوحدانيتك أو مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم أو مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا وفيه اشارة الى ان كتاب الابرار انما يكون فى السموات مع الملائكة قال تعالى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين فاذا كتب الله ذكرهم مع الشهداء المؤمنين كان ذكرهم مشهورا فى الملأ الاعلى وعند الملائكة المقربين (ومكروا) أى الذين علم عيسى كفرهم من اليهود بأن وكلوا به من يقتله غيلة وهو أن يخدعه فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله (ومكر الله) بأن رفع عيسى عليه السلام وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل (والله خير الماكرين) أقواهم مكرا وأنفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب (روى) أن ملك بنى اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام أمره أن يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل عليه السلام من تلك الروزنة الى السماء وكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة حول العرش وكان انسيا ملكيا سماويا أرضيا ثم قال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه السلام عليه فخرج يخبرهم انه ليس فى البيت فقتلوه

وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فأين
صاحبنا وان كان صاحبنا فأين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم ولما صلب المصلوب جاءت مريم
ومعها امرأة أبرأها الله من الجنون بدعاء عيسى وجعلتا تبكيان على المصلوب فأنزل الله
عيسى عليه السلام فجاءهما فقال على من تبكيان قالتا عليك فقال ان الله رفعني ولم يصبني
الا خير وان هذا شئ شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله لعيسى اهبط الى المجدلانية على
موضع في جبلها فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن أحد حزنها ثم استجمع الحواريين فبثهم
أي فاجعلهم متفرقين في الارض دعاة الى الله فأهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا
فجمعت له الحواريون فبثهم في الارض دعاة ثم رفعه الله اليه وتلك الليلة هي الليلة التي تدخن
فيها النصارى فلما أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى اليهم فذلك قوله
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين والمكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة
والمكر من الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يعلم فيا أيها العبد خف من وجود
احسان مولاك اليك ودوام اساءتك معه في دوام الطافه بك وعطفه عليك أن يكون ذلك
استدراجا لك حتى تقف معها وتغتر بها فتفرح بما أوتيت فتؤخذ بغتة قال الله تعالى
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال سهل رضي الله عنه في معنى هذه الآية نمدهم بالنعم
وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا وقال أبو العباس بن عطاء
يعني كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ومن جهل
المريد بنفسه وبحق ربه أن يسيء الادب باظهار دعوى أو تورط في بلوى فتؤخر العقوبة عنه
امهالا له فيظنه اهمالا فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد وأوجب الابعاد اعتبارا
بالظاهر من الامر من غير تعريج على ما وراء ذلك وما ذاك الا فقد نور بصيرته أو ضعف نورها
والا فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر حتى ربما ظن أنه متوفر في عين تقصير ولو لم يكن من
قطع المدد الا منع المزيد لكان قطعا لان من لم يكن في زيادة فهو في نقصان قال عليه السلام من
استوى يوماه فهو مغبون ولو لم يكن من الابعاد الا أن يخليك وما تريد فيصرفك عنه مرادك
هذا والعياذ بالله مكر وخسران * وعن ابن حنبل انه كان يوصي بعض أصحابه فقال خف
سطوة العدل وارج رقة الفضل ولا تأمن من مكره تعالى ولو أدخلك الجنة ففي الجنة وقع لابيك
آدم ما وقع وقد يقطع بأقوام فيها فيقال لهم كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية
فقطعهم بالاكل والشرب عنه وأي مكر فوق هذا وأي خسران أعظم منه (اذ قال الله) أي
اذكر وقت قول الله (ياعيسى اني متوفيك) أي مستوفي أجلك ومعناه اني عاصمك من أن يقتلك
الكفار ومؤخرك الى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم (ورافعك) الآن
(الي) أي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي وجعل ذلك رفعا اليه للتعظيم ومثله قوله اني
ذاهب الى ربي وانما ذهب ابراهيم عليه السلام من العراق الى الشأم وقد يسمى الحاج زوار
الله والمجاورون جيران الله وكل ذلك للتفخيم فانه تعالى يمتنع كونه في المكان (ومطهرك) أي
مبعدك ومنجيك (من الذين كفروا) أي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم
قيل سينزل عيسى عليه السلام من السماء على عهد الدجال حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل

الخنزير ويضع الجزية فيفيض المال حتى لا يقبله أحد ويهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام ويقتل الدجال ويتزوج بعد قتله امرأة من العرب وتلد منه ثم يموت هو بعد ما يعيش أربعين سنة من نزوله فيصلى عليه المسلمون لانه سأل ربه أن يجعله من هذه الامة فاستجاب الله دعاءه (وجاعل الذين اتبعوك) وهم المسلمون لانهم متبعوه فى أصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى (فوق الذين كفروا) وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان أهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة (الى يوم القيامة) غاية للجعل لا على معنى أن الجعل ينتفى حينئذ ويتخلص الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فأما بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريد (ثم الى مرجعكم) أى رجوعكم بالبعث والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب فى ضمن الالتفات فانه أبلغ فى التبشير والانذار (فأحكم بينكم) يومئذ اثر رجوعكم الى (فيما كنتم فيه تختلفون) من أمور الدين (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا) بالسيف والسبى وأخذ الجزية وايصال الامراض والمصائب فانها من العقوبات فى حق الكافر ومن المثوبات فى حق المؤمن لانها ابتلاء محض له (والآخرة) بعذاب النار (وما لهم من ناصرين) يخلصونهم من عذاب الله فى الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع أى ليس لواحد منهم ناصر واحد (وأما الذين آمنوا) بما أرسلت به (وعملوا الصالحات) كما هو ديدن المؤمنين (فيوفيهم أجورهم) أى يعطيهم أجور أعمالهم كاملة والعدل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدرى التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال (والله لا يحب الظالمين) أى يبغضهم ولا يرضى عنهم (ذلك) اشارة الى ما سلف من نبأ عيسى عليه السلام وغيره (نتلوه عليك) أى نقرؤه عليك يا محمد وأسند تلاوته الى نفسه مع ان التالى هو الملك المأمور بها على طريق اسناد الفعل الى السبب الآمر وفيه تعظيم بليغ وتشريف عظيم للملك وانما حسن ذلك لان تلاوة جبريل لما كانت بأمره تعالى من غير تفاوت أصلا أضيف ذلك اليه تعالى (من الآيات) حال من الضمير المنصوب أى من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك لانها أخبار لا يعلمها الا قارئ الكتاب أو من يوحى اليه فظاهر انك لا تكتب ولا تقرأ فبقى ان ذلك من الوحى (والذكر) أى القرآن (الحكيم) أى المشتمل على الحكم أو المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والاشارة ان الله تعالى قال لعيسى عليه السلام يا عيسى انى متوفيك عن الصفات النفسانية والاوصاف الحيوانية ورافعك الى بجذبات العناية فمن لم يصر فانيا عما سوى الله لا يكون له وصول الى مقام معرفة الله فعيسى لما رفع الى السماء صارت له حالة كحال الملائكة فى زوال الشهوات والغضب والاخلاق الذميمة فعلى السالك أن ينهى نفسه عن الهوى ويتبع طريق الهدى ويعتبر بالآيات والذكر الحكيم كى يصل الى النعيم المقيم ويجتنب الظلم فان الله تعالى قال والله لا يحب الظالمين أى الذين يظلمون على أنفسهم بانقضاء العمر فى طلب غير الله * خلاف طريقت بود كاوليا * تمنا كنند از خدا جز خدا * فأهل الطريقة هم الذين يمحون نقش الغير عن صفحات القلب ويزكون نفوسهم عن الاوصاف المذمومة فانها مانعة من العروج الى سماء المعرفة وعلو الوصال (قال مولانا جلال

الدين الرومى قدس سره) ان يكى نحوى بكشتى در نشست * رو بكشتيبان نهادان خود پرست * كفت هيچ از نحو خواندى كفت لا * كفت نيم عمر تو شد در فنا * دل شكسته كشت كشتيبان زتاب * ليك آن دم كرد خامش از جواب * باد كشتى را بكردابى فكند * كفت كشتيبان بان نحوى بلند * هيچ دانى آشنا كردن بكو * كفت نى اى خوش جواب وخوب رو * كفت كل عمرت اى نحوى فناست * زانك كشتى غرق اين كردابهاست * محو مى بايد نه نحو اينجا بدان * كر تو محوى بى خطر در آب ران * آب دريا مرده را بر سر نهد * ور بود زنده ز دريا كى رهد * چون بمردى تو ز أوصاف بشر * بحر اسرارت نهد بر فرق سر * فقد ظهر أن الذين يطلبون غير الله هم غرقى فى بحر الهوى والشهوات لا يقدرون على التصعد الى الاعلى وأما الذين تخلصوا من قشر الوجود ووصلوا بالفناء عن ذواتهم الى عالم الشهود فهم يطيرون بأجنحة أنوار حالهم مع الملائكة المقربين لتخلصهم من الاثقال الدنيوية والاشغال القالبية والبدنية قال تعالى ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض أى بالتجرد عن الهيئات الجسمانية والتعلقات البدنية فانفذوا والتخرطوا فى سلك الارادة الملكوتية والنفوس الجبروتية وتصلوا الى الحضرة العلية لا تنفذون الا بسلطان أى بحجة بينة هى التوحيد والتجريد والتفريد بالعلم والعمل والفناء فى الله تعالى قال عيسى عليه السلام ان يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين والولادة نوعان اضطرارى بخلق الله تعالى ولا دخل فيه للكسب والاختيار وذلك ظاهر واختيارى يحصل بالكسب وهو الذى أشار اليه عيسى عليه السلام وفقنا الله واياكم لما يحب ويرضى ويداوى بدواء افضاله هذه النفوس المرضى انه بكل شئ قدير وبتيسيره يسهل كل أمر عسير (ان مثل عيسى) أى شأنه البديع المنتظم لغرابته فى سلك الامثال (عند الله) أى فى تقديره وحكمه (كمثل آدم) أى كحاله العجيبة التى لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع (خلقه من تراب) تفسير للمثل لا محل له من الاعراب أى خلق قالب آدم من تراب فان قيل الضمير فى خلقه راجع الى آدم وحين كان ترابا لم يكن آدم موجودا قلنا لما كان ذلك الهيكل بحيث سيصير آدم عن قريب سماه آدم قبل ذلك تسمية لما سيقع بالواقع (ثم قال له كن) أى انشا بشرا (فيكون) والمقتضى ان يقال فكان أى كان كما أمره الله الا أنه عدل الى المضارع حكاية للحال التى كان آدم عليها أى تصوير الذلك الايجاد الكامل بصورة المشاهد الذى يقع الآن (روى) ان وفد نجران قدموا المدينة وهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم منهم السيد وهو كبيرهم واسمه أهيب والعاقب الذى بعده وهو صاحب رأيهم واسمه عبد المسيح والثالث أبو حارثة بن علقمة الاسقف وكان فى شرف وخطر عظيم وكان ملك الروم بنى له الكنائس وكان يمدّه بالكرامات فأقبلوا حتى قدموا على النبى عليه السلام فى مسجد المدينة بعد العصر عليهم ثياب حسان ولهم وجوه جسام فقاموا وصلوا واستقبلوا قبلتهم وأراد أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن يمنعوهم فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم وقد كان نزل على النبى عليه السلام قبل قدومهم صدر آل عمران لمحاجتهم ثم انتهى أبو حارثة هذا وآخر معه الى النبى عليه السلام فقال لهما صلى الله عليه وسلم أسلما فقالا أسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم كذبتما يمنعكما عن الاسلام ثلاث عبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير وزعمكما ان لله ولدا قالوا يا محمد فلم تشتم صاحبنا عيسى قال وما أقول

قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا من غير أب فحيث سلمت انه لا أب له من البشر وجب أن يكون هو الله فقال صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام ما كان له أب ولا أم ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله تعالى فكذا حال عيسى عليه السلام فالوجود من غير أب وأم أخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع لشبهة الخصم اذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه (الحق) أى ماقصصنا عليك من نبأ عيسى وأمه هو الحق كائنا (من ربك) لا قول النصارى انه ابن الله وقولهم ولدت مريم الها ونحو ذلك (فلا تكن من الممترين) أى من الشاكين فى ذلك الخطاب للنبى عليه السلام على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت لان النهى عن الشئ حقيقة يقتضى ان يتصور صدور المنهى عنه من المنهى ولا يتصور كونه عليه السلام شاكا فى صحة ما أنزل عليه والمعنى دم على يقينك وعلى ما أنت عليه من الاطمئنان على الحق والتنزه عن الشك فيه قال الامام أبو منصور رحمه الله العصمة لا تزيل المحنة ولا ترفع النهى (فمن حاجك) أى من النصارى اذهم المتصدون للمحاجة (فيه) أى فى شأن عيسى عليه السلام وأمه زعما منهم أنه ليس على الشان المحكى (من بعد ما جاءك من العلم) أى ما يوجبه ايجابا قطعيا من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الضلال والغى (فقل) أى فاقطع الكلام معهم وعاملهم بما يعامل به المعاند وهو أن تدعوهم الى الملاعنة فقل لهم (تعالوا) التعالى فى الاصل التصاعد كأن الداعى فى علو والمدعو فى سفل فأمره ان يتعالى اليه ثم صار ذلك لكل مدعو أين كان أى هلموا بالرأى والعزيمة لا بالابدان لانهم مقبلون وحاضرون عنده بأجسادهم (ندع ابناءنا وأبناءكم) اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم أعز منهن وأما النساء فتعلقهن من جهة اخرى (ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى ليدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها (ثم نبتهل) أى نتباهل بأن نلعن الكاذب ونقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) عطف على نبتهل مبين لمعناه (روى) انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما خلا بعضهم ببعض قالوا العبد المسيح ماترى فقال والله لقد عرفتم يامعشر النصارى أن محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولانبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان أبيتم الا الف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها رضى الله عنهم وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران أى أعلمهم بأمور دينهم وهو أبو حارثة يامعشر النصارى انى لأرى وجوها لو شاء الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولايبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم رأينا ان لانباهلك وأن نتركك على دينك ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا فقال فانى احاربكم فقالوا مالنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام ألفى حلة ألف فى صفر وألف فى رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وكتب لهم

كانا بذلك وقال والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولولا عفوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا (ان هذا) أى ما قص من نبإ عيسى عليه السلام وأمه (لهو القصص الحق) دون ما عداه من اكاذيب النصارى (وما من اله) ما اله (الا الله) صرح فيه بمن الاستغراقية تأكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم (وان الله لهو العزيز الحكيم) القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه فى القدرة والحكمة ليشاركه فى الالوهية (فان تولوا) أى أعرضوا عن قبول التوحيد والحق الذى قص عليك بعد ما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة (فان الله عليم بالمفسدين) أى فاقطع كلامك عنهم وفوض امرهم الى الله فان الله عليم بفساد المفسدين مطلع على ما فى قلوبهم من الاغراض الفاسدة قادر على مجازاتهم * واعلم ان لمباهلة الانبياء تأثيرا عظيما سببه اتصال نفوسهم بروح القدس وتأييد الله اياهم به وهو المؤثر باذن الله فى العالم العنصرى فيكون انفعال العالم العنصرى منه كانفعال بدننا من روحنا بالهيئات الواردة عليها كالغضب والخوف والسرور والفكر فى أحوال المعشوق وغير ذلك من تحريك الاعضاء عند حدوث الارادات والعزائم وانفعال النفوس الملكية تأثيرها فى العالم عند التوجه الاتصالى تأثيرا يتصل به فتنفعل اجرام العناصر والنفوس الناقصة الانسانية فيه بما أراد ألم تر كيف انفعلت نفوس النصارى من نفسه عليه السلام قبل المباهلة بالخوف وأحجمت عن المباهلة فطلبت الموادعة بالجزية كذا فى التأويلات القاشانية وكذا حال الولى اذا دعا على انسان يكون له تأثير بالمرض أو الموت أو غير ذلك من البلايا (روى) ان الشاعر البساطى رأى يوما الشيخ كمال الدين الخجندى فى مجلس الشعراء فقال * از كجايى از كجايى اى لوند * فقال الشيخ فى جوابه على الفور * از خجندم از خجندم از خجند * ولكنه تأذى من سوء أدبه ومعاملته معه هكذا وحمله على سكره فقال الغالب ان هذا الشاب سكران فسمعه البساطى وقال بالبداهة * سه چشمست مردم كش خراب غمزه اويم * ازان در عين هشيارى سخن مستانه ميكويم (ثم قال) بطريق الهجو له * أى ملحد خجندى ريش بزرك دارى * كر غايت بزركى ده ريش ميتوان كفت * فلما سمعه الشيخ تألم منه تألما شديدا فدعا عليه فى ذلك المجلس فمات من ساعته من تأثير نفسه الشريف فى حقه فليجانب العاقل أذية الصلحاء فان مكره يعود اليه دونهم قال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله قيل ونعم ما قيل * تاى كند ناله بدين قول راست * از نفس پير بترس اى جوان * فحفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم سبب للترقى الى المطالب العالية وباعث للاحترام والاكرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه قال المشايخ عقوق الاستاذين لا توبة منه (ويحكى) عن أبى الحسن الهمذانى قال كنت ليلة عند جعفر الخلدى وكنت أمرت فى بيتى أن يعلق لى طير فى التنور وكان قلبى معه فقال لى جعفر أقم عندنا الليلة فتعللت بشئ ورجعت الى منزلى فأخرج الطير من التنور ووضع بين يدى فدخل كلب من الباب وحمل الطير عند تغافل الحاضرين وأتى بالجوذاب الذى تحته فتعلق به ذيل الخادمة فانصب فلما أصبحت دخلت على جعفر فحين وقع بصره على قال من لم يحفظ قلوب المشايخ يسلط

عليه كان يؤذيه قال الشيخ أبو علي الدقاق قدس سره لما نفى اهل بلخ محمد بن الفضل من البلد دعا
عليهم وقال اللهم امنعهم الصدق فلم يخرج من بلخ بعده صديق عصمنا الله واياكم من المخالفة امين
(قل يا أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى (تعالوا) كان عليه السلام حريصا على ايمانهم فأمره
الله تعالى بأن يعدل عن طريق المجادلة والاحتجاج الى نهج يشهد كل عقل سليم أنه كلام مبنى
على الانصاف وترك الجدال لاميل فيه الى جانب حتى يكون فيه شائبة التعصب فهو كلام ثابت
فى المركز نسبته الينا واليكم على سواء واعتدال فقال قل يا أهل الكتاب تعالوا أى هلموا والمراد
تعيين مادعوا اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان لان اصل اللفظ
مأخوذ من التعالى وهو الارتفاع من موضع هابط الى مكان عال ثم كثر استعماله حتى صار
دالا على طلب التوالى حيث يدعى اليه (الى كلمة سواء بيننا وبينكم) لايختلف فيها الرسل والكتب
فيها انصاف من بعضنا البعض ولاميل فيها لاحد على صاحبه وهى (ان لانعبد الا الله) أى نوحده
بالعبادة ونخلص فيها (ولانشرك به شيأ) ولانجعل غيره شريكا فى استحقاق العبادة ولانراه
اهلا لأن نعبده (ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) بأن نقول عزير ابن الله والمسيح ابن
الله ولانطيع الاحبار فيما احدثوا من التحليل والتحريم لان كلا منهم بعضنا وبشر مثلنا وعن
الفضيل لا ابالى اطعت مخلوقا فى معصية الخالق أم صليت لغير القبلة (فان تولوا) عما دعوتم اليه
من التوحيد وترك الاشراك (فقولوا) أى قل لهم أنت والمؤمنون (اشهدوا بأنا مسلمون) أى
لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى
قيصر من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك
بدعاية الاسلام أسلم تسلم أى من السبى فى الدنيا ومن العذاب فى الآخرة وأسلم يؤتك الله أجرك
مرتين وان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن
لانعبد الا الله ولانشرك به شيأ الى قوله فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون * وجاء فى الخبر الصحيح أن
هرقل سأل عن حال النبى عليه السلام وعرفها ممن جاء بكتابه فقال لو كنت عنده لقبلت قدميه
لمعرفته صدق النبى عليه السلام بعلاماته المعلومة له من الكتب القديمة لكن خاف من ذهاب
الرياسة ثم انه كتب جواب كتابه عليه السلام انا نشهد أنك نبى ولكنا لانستطيع أن نترك الدين
القديم الذى اصطفاه الله لعيسى عليه السلام فعجب النبى عليه السلام فقال لقد ثبت ملكهم
الى يوم القيامة أبدا * وكتب الى كسرى ملك فارس فخرق كتابه ورجع الرسول بعد ما أراد قتله
فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خرق الله ملكهم فلا ملك لهم أبدا فكان كذلك
والاشارة فى الآية أن أصول الاديان كلها اخلاص العبودية كما قال تعالى ان لانعبد الا الله
ولانشرك به شيأ يعنى كما لانعبد الا الله لانطلب منه غيره ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فى
طلب الرزق ورؤية الامور من الوسايط فان تولوا يعنى من أعرض عن هذا الاصل فقولوا أنتم
لهم اشهدوا بأنا مسلمون مستسلمون لما دعانا الله اليه من التوحيد والاخلاص فى العبودية ونفى
الشرك * والسر فى الاشهاد على الاسلام ليشهد الكفار لهم يوم القيامة على الاسلام والتوحيد
كما يشهد لهم المؤمنون كما قال النبى عليه السلام لابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انى اراك
تحب الغنم والبادية فاذا كنت فى غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فانه

عليه من الدين القويم أي وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم
(وما يشعرون) أي باختصاص وباله وضرره بهم * اعلم انه تعالى لما بين ان من طريقة أهل الكتاب
العدول عن الحق والاعراض عن قبول الحجة بين أنهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون
في اضلال من آمن بالرسول عليه السلام بالقاء الشبهات فعلى العاقل أن لا يضل عن الطريق
القويم بالقاآت كل شيطان رجيم من ضلال الانس والجان أصلحهم الله الملك المنان وماذا بعد
الحق الا الضلال قال ابن مسعود رضي الله عنه لما دنا فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعنا في
بيت امنا عائشة رضي الله عنها ثم نظر الينا فدمعت عيناه وقال مرحبا بكم حياكم الله رحمكم الله
اوصيكم بتقوى الله وطاعته قد دنا الفراق وحان المنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة
المأوى يغسلني رجال أهل بيتي ويكفنونني في ثيابي هذه ان شاؤا أو في حلة يمانية فاذا غسلتموني
وكفنتموني ضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير لحدي ثم اخرجوا عني ساعة فاول من يصلي
علي حبيبي جبريل عليه السلام ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنودهم ثم ادخلوا علي
فوجا فوجا صلوا علي فلما سمعوا فراقه صاحوا وبكوا وقالوا يا رسول الله أنت رسول ربنا وشمع
جمعنا وسلطان أمرنا اذا ذهبت عنا فالى من نرجع في أمورنا قال تركتكم على المحجة البيضاء أي
على الطريق الواسع الواضح ليلها كنهارها في الوضوح ولا يزيغ بعدها الى غيرها الا هالك
وتركت لكم واعظين ناطقا وصامتا فالناطق القرآن والصامت الموت فاذا أشكل عليكم أمر
فارجعوا الى القرآن والسنة واذا قسا قلبكم فلينوه بالاعتبار في أحوال الاموات * جهان
اي پسر ملك جاويد نيست * ز دنيا وفادارى اميد نيست * والناس في الاعتقاد والعمل
متفاوتون فمنهم من هو متين كالحصن الحصين لا يزول عما هو عليه وان اتفق الناس في اضلاله وهو
المرتبة القصوى في باب الدين التي نالها الانبياء والاولياء والافراد من المؤمنين قال علي كرم
الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ولا يطرأ الشك في المحسوس فكذا ما هو في حكمه
ومنهم من هو ضعيف لا متانة فيه تذروه رياح الهوى حيث شاءت بعد أن لم تساعده العناية
الازلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كمعادن الذهب والفضة يعني أن الناس معادن
الاعمال والاخلاق والاقوال ولكن يتفاوتون فيها كما تتفاوت معادن الذهب والفضة الى أن
تنتهي الى الادنى فالادنى قال في شرح المصابيح وفيه اشارة الى ان ما في معادن الطباع من
جواهر مكارم الاخلاق ينبغي أن تستخرج برياضة النفوس كما تستخرج الجواهر من المعادن
بالمقاساة والتعب ولقد أجاد من قال

بقدر الكد تكتسب المعالي * ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلي

فلا بد من الاجتهاد والاستمداد من الابدال والاوتاد لعل الله يسهل سلوك هذا الطريق
ويخلص من خطر هذا البحر العميق * بارى كه آسمان وزمين سر كشيد از آن * مشكل بود بياورى
جسم وجان كشيد * همت قوى كن از مدد رهروان عشق * كان بار را بقوت همت توان
كشيد (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) أي بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وانتم تشهدون) أي والحال أنكم تشهدون انها آيات الله (يا أهل

الكتاب لم تلبسون) أي تخلطون (الحق بالباطل) المراد بالحق كتاب الله الذي أنزله على موسى وعيسى عليهما السلام وبالباطل ما حرفوه وكتبوه بأيديهم ويخلط أحدهما بالآخر ابراز باطلهم في صورة الحق بأن يقولوا الكل من عند الله تعالى (وتكتمون الحق) أي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (وأنتم تعلمون) أنه حق ثابت في كتابكم (وقالت طائفة من أهل الكتاب) وهم رؤساؤهم ومقتدوهم لاعقابهم (آمنوا بالذي) أي أظهروا الايمان بالقرآن الذي (أنزل على الذين آمنوا) أي على المسلمين (وجه النهار) أي في أوله لان أول النهار هو أول ما ظهر منه كما ان الوجه أول ما يظهر من اعضاء الانسان عند الملاقاة (واكفروا آخره) أي أظهروا ما أنتم عليه من الكفر به في آخر النهار مرائين لهم أنكم آمنتم به بادى الرأى من غير تأمل ثم تأملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم الاول فرجعتم عنه (لعلهم) أي المؤمنين (يرجعون) عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها أول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون (ولا تؤمنوا) أي لا تقروا بتصديق قلبي (الا لمن تبع دينكم) أي لاهل دينكم لا لمن تبع محمدا وأسلم لما قالت الطائفة المتقدمة لاتباعهم أظهروا الايمان بالقرآن أول النهار كان من بقية كلامها لهم انكم لا تصدقوا بحقية الاسلام والقرآن بقلوبكم لكن لا تظهروه للمسلمين ولا تقروا بذلك الا لاهل دينكم (قل) يا محمد للرؤساء (ان الهدى هدى الله) يهدى به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه فاذا كانت الهداية والتوفيق من الله فلا يضر كيدكم وحيلكم وهو اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد طائل (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) علة بتقدير اللام لفعل محذوف أي قلتم ذلك القول ودبرتم الكيد لأن يعطى أحد مثل ما أعطيتم من فضل الكتاب والعلم لا لشئ آخر يعني ما بكم من الحسد صار داعيا لكم الى أن قلتم ما قلتم (أو يحاجوكم) عطف على أن يؤتى وضمير الجمع عائد الى أحد لانه في معنى الجمع أي دبرتم ما دبرتم لذلك ولأن يحاجوكم عند كفركم بما يؤتى أحد من الكتاب مثل كتابكم (عند ربكم) يوم القيامة فيغلبوكم بالحجة فان من آتاه الله الوحي لا بد أن يحاج مخالفيه عند ربه (قل ان الفضل) أي الهدى والتوفيق وايتاء العلم والكتاب (بيد الله) أي بقدرته ومشيئته (يؤتيه من يشاء) من عباده (والله واسع) أي كامل القدرة (عليم) أي كامل العلم فلكمال القدرة يصح أن يتفضل على أي عبد يشاء بأي تفضل شاء ولكمال علمه لا يكون شئ من افعاله الا على وجه الحكمة والصواب (يختص برحمته) أي يجعل رحمته مقصورة على (من يشاء والله ذو الفضل العظيم) كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه والاشارة في تحقيق الآيات ان الحسد وان كان مركوزا في جبلة الانسان ولكن له اختصاص بعالم يتعلم العلم ليمارى به السفهاء ويباهى به العلماء ويجعله وسيلة لجمع المال وحصول الجاه والقبول عند أرباب الدنيا فيحسد على كل عالم آتاه الله كله فهو ينشرها ويفيد الخلق كما قال عليه السلام لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في حق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها أي لا حسد كحسد الحاسد على هذين الرجلين وكان حسد أحبار اليهود على النبي عليه السلام من هذا القبيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل

الحساب قيل يا رسول الله من هم قال الامراء من بعدى بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهل وأهل العلم بالحسد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث هن أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن اياكم والكبر فان ابليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم (قال المولى الجامى) لاف بى كبرى مزن كان ازنشان باى مور * درشب تاريك برسنك سيه بنهان ترست * وزدرون كردن برون انرا مكير آسان كزان * كوه را كندن بسوزن از زمين آسانترست * واياكم والحرص فان آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة (وقال أيضا) در هردلى كه عز قناعت نهاد باى * از هر جه بود حرص وطمع را ببست دست * هرجا كه عرضه كرد قناعت متاع خويش * بازار حرص ومعركه آز را شكست * واياكم والحسد فان ابنى آدم انما قتل أحدهما صاحبه حسدا (قال الشيخ السعدى) توانم انكه نيازارم اندرون كسى * حسود را جه كنم كو زخود برنج درست * بمير تا برهى اى حسود كين رنجيست * كه از مشقت آن جز بمرك نتوان رست * وقال الاصمعى رأيت اعرابيا أتى عليه مائة وعشرون سنة فقلت ما طول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وفى بعض الآثار أن فى السماء الخامسة ملكا يمر به عمل عبد له ضوء كضوء الشمس فيقول قف فأنا ملك الحسد اضربوا به وجه صاحبه فانه حاسد وقيل من علامات الحاسد أن يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة اذا نزلت وانشدوا

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

فالحسد من الاخلاق المذمومة للنفس فلا بد من ازالته عنها بكثرة التوحيد والاذكار ورؤية الآثار من الله الجبار فان تباين مقامات افراد الانسان فى العلم والعمل والخلق وسائر الصفات الفاضلة رحمة لهم ولم يكن ذلك الا بتقدير العزيز العليم فى الازل فالحاسد يسفه الحق سبحانه وأنه أنعم على من لا يستحق تعالى الله عما يقول الظالمون وقد ذم الله الحاسدين فى كتابه قال تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وأما الغبطة فهى محمودة نسأل الله أن يحلينا بالصفات الشريفة والاخلاق اللطيفة ويخلينا من الرذائل النفسية آمين يا رب العالمين (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار) يقال أمنته بكذا فالباء للالصاق بالامانة فان من ائتمن على شئ صار ذلك الشئ فى معنى الملصق به لقربه منه واتصاله بحفظه والمراد بالقنطار ههنا العدد الكثير (يؤده اليك) من غير جحد ونقص كعبد الله بن سلام استودعه قرشى ألفا ومائتى أوقية ذهبا فاداها اليه فأهل الامانة من أهل الكتاب هم الذين اسلموا (ومنهم من ان تأمنه بدينار) والمراد بالدينار ههنا العدد القليل (لا يؤده اليك) وهو كعب بن الاشرف استودعه رجل من قريش دينارا فلم يؤده وجحده فذمه تعالى فأهل الخيانة منهم هم الذين بقوا على اليهودية والنصرانية والمعنى أن فيهم من هو فى غاية الامانة حتى لو ائتمن على الاموال الكثيرة أدى الامانة فيها ومنهم من هو فى غاية الخيانة حتى لو ائتمن فى الشئ القليل فانه يخون (الا ما دمت عليه قائما) استثناء مفرغ من أعم الاحوال والاوقات أى لا يؤده اليك فى حال من الاحوال أو فى وقت من الاوقات الا فى حال دوام قيامك أو فى وقت قيامك على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى واقامة

البينة (ذلك) اى تركهم أداء الحقوق (بأنهم) أى بسبب أنهم (قالوا ليس علينا فى الاميين) أى فى شان من ليس من أهل الكتاب (سبيل) أى عتاب ومؤاخذة ونفى السبيل نفى المطالبة فان الطالب لا يتمكن من المطالبة الا اذ وجد السبيل الى المطلوب والامى منسوب الى الام وسمى النبى عليه السلام أميا لانه كان لا يكتب وذلك لان الام أصل الشئ فمن لا يكتب فقد بقى على أصل حاله فى ان لا يكتب وقيل لانه عليه السلام نسب الى مكة وهى أم القرى (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم أن ذلك فى كتابهم (وهم يعلمون) أنهم كاذبون مفترون على الله وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل فى التوراة فى حقهم حرمة فقد كذبوا فى ذلك على الله فان أداء الامانة واجب فى الاديان كلها وحبس مال الغير والاضرار به والخيانة اليه حرام (بلى) اثبات لما نفوه أى بلى عليهم فى الاميين سبيل (من أوفى بعهده) الضمير راجع الى من أى من أتم بعهد الوافى أو بعهد الله الذى عهده اليهم فى التوراة وأخذ ميثاقهم عليه من الايمان بمحمد وأداء الامانة (واتقى) أى الشرك والخيانة وجواب الشرط وهو من قوله (فان الله يحب المتقين) عن الغدر والخيانة ونقض العهد أى فان الله يحبه فقام عموم المتقين مقام الضمير الراجع من الجزاء الى من يعنى التقوى تعم وفاء ما عاهدوا الله عليه من الايمان بمحمد عليه السلام وبما جاء به مما يتعلق بتكميل القوة النظرية والعملية ودلت الآية على تعظيم أمر الوفاء بالعهد وذلك لان الطاعات مقصورة على أمرين التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معا اذ ذلك سبب لمنفعة الخلق فهو شفقة على خلق الله ولما أمر الله به كان الوفاء به تعظيما لامر الله (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن) أى جعل أمينا ووضع عنده أمانة (خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر) أى ترك الوفاء (واذا خاصم فجر) أى مال عن الحق قال صاحب التحفة وليس الغرض أن آية المنافق محصورة فيها بل كل من أبطن خلاف ما أظهره فهو من المنافقين فصدور العدد من خير الانام يكون باعتبار اقتضاء المقام والوفاء بالعهد كما يمكن أن يكون فى حق الغير يمكن أيضا فى حق النفس لان الوافى بعهد النفس هو الآتى بالطاعات والتارك للمحرمات لانه عند ذلك تفوز النفس بالثواب وتبعد عن العقاب فعلى العاقل أن يوفى بعهده فى السراء والضراء ويجتهد فى تحليته (حكى) أن شابا عقد مع الله عقد أن لا ينظر الى شئ من مستحسنات الدنيا فمر يوما بسوق فى منطقة مرصعة بالدر والجواهر فنظر اليها فأعجبته ثم مضى عنها وقد نظر اليه صاحبها فلما ذهب عنه افتقدها فلم يجدها فوثب مسرعا حتى تعلق بالشاب وقال يا عيار أنت سارق منطقتى فخلى السلطان فلما نظر اليه قال ليس هذا من أهل السرقات فقال بل هو سارق منطقتى وصفتهم وكيت فأمر بتفتيشه فوجدوها على وسطه فقال له السلطان يا فتى أما تستحيى تلبس لبس الاخيار وتعمل عمل الفجار فنظر الفتى الى المنطقة فقال مولاى الاقالة الاقالة انى لا أعود مثلها فأمر السلطان أن يضرب فجرد ليضربوه فاذا هم بصوت يسمع ولا يرى يقول دعوه ولا تروعوه انما أردنا تأديبه فوثب السلطان الى الفتى وقبله بين عينيه ثم قال أخبرنى عن قصتك فأخبره فتعجب من ذلك ثم قرأ والموفون بعهدهم اذا عاهدوا فقال صاحب المنطقة سألتك الا ما قبلتها منى واجعلنى فى حل فقال

اليك عنى ليس هذا من صنعتك انما الصنع لصاحب الصنع ولا مؤثر فى الوجود غير الحق وليس
فى الدار غيره ديار * چه خوش گفت بهلول فرخنده خوى * چو بگذشت بر عارفى
جنگ جوى * گر اين مدعى دوست بشناختى * به پيكار دشمن نپرداختى * گر از هستى
حق خبر داشتى * همه خلق را نيست پنداشتى * فاذا وقفت على هذا الخبر فقم فى تربية
نفسك الى أن تصل الى الهوية المطلقة محيطا لشأم الاثنينية مشاهدا وجود الحق فى كل
شئ رزقنا الله واياكم مشاهدته (ان الذين يشترون) أى يستبدلون ويأخذون (بعهد الله) أى
بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات (وأيمانهم) وبما
حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه (ثمنا قليلا) هو حطام الدنيا (أولئك) الموصوفون بتلك
الصفات القبيحة (لا خلاق) لا نصيب (لهم فى الآخرة) ولا فى نعيمها (ولا يكلمهم الله) وهو كناية
عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله من ذلك (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) وهو مجاز عن الاستهانة
بهم والسخط عليهم (ولا يزكيهم) أى لا يثنى عليهم كما يثنى على أوليائه مثل ثناء المزكى للشاهد
والتزكية من الله تعالى قد تكون على ألسنة الملائكة كقوله تعالى والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم وقد تكون بغير واسطة أما فى الدنيا فكقوله تعالى التائبون
العابدون وأما فى الآخرة فكقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم (ولهم عذاب أليم) على ما
فعلوه من المعاصى والآية نزلت فى اليهود الذين حرفوا التوراة وبدلوا نعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأخذوا الرشوة على ذلك (وان منهم) أى من اليهود المحرفين (لفريقا) ككعب بن
الاشرف ومالك بن الصيف واضرابهما (يلوون) من اللى وهو الفتل (ألسنتهم بالكتاب) أى
يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف (لتحسبوه) أى المحرف المدلول عليه بقوله يلوون
(من الكتاب) أى من جملته (وما هو من الكتاب) حال من الضمير المنصوب أى والحال أنه ليس
منه فى نفس الامر وفى اعتقادهم أيضا (ويقولون) مع ما ذكر من اللى والتحريف على طريقة
التصريح لا بالتورية والتعريض (هو) أى المحرف (من عند الله) أى منزل من عند الله (وما
هو من عند الله) أى والحال أنه ليس من عنده تعالى فى اعتقادهم أيضا (ويقولون على الله
الكذب وهم يعلمون) انهم كاذبون ومفترون على الله وهو تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب
على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن
الاشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت
قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب * والاشارة فى الآيتين ان الذين يشترون بعهد الله الذى عاهدهم
الله به يوم الميثاق فى التوحيد وطلب الوحدة وأيمانهم التى يحلفون بها ههنا ثمنا قليلا من متاع
الدنيا وزخارفها لما عاينوا بالاثم الحواس الخمس والصفات النفسانية لا خلاق لهم فى الآخرة الروحانية
من نسيم روائح الاخلاق الربانية ولا يكلمهم الله تقريبا وتكريما وتفهيما ولا ينظر اليهم بنظر
العناية والرحمة فيرحمهم ويزكيهم عن الصفات التى بها يستحقون دركات جهنم ولا يزكيهم عن
الصفات الذميمة التى هى وقود النار بالنار الى الابد ولا يتخلصون منها أبدا ولهم عذاب أليم فيما
لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم وان من مدعى أهل المعرفة لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب
أى بكلمات أهل المعرفة لتحسبوه من المعرفة وما هو من الكتاب الذى كتب الله فى قلوب العارفين

و يقولون هو من عند الله يعنى من العلم اللدنى وما هو من عند الله و يقولون على الله الكذب باظهار الدعاوى عند فقدان المعانى وهم يعلمون ولا يعلمون أنهم يقولون ما لا يفعلون (قال السعدى) كرا جامه پاكست وسيرت پليد * در دوزخش را نبايد كليد * يعنى يدخل جهنم من قبل أن يحاسب على ما فعله لان مآله الى النار والمحاسبة وان كانت نوعا من التعذيب الا أن عذاب جهنم أشد منها * اگر مردى از مردئ خود مگوى * نه هر شهسوارى بدر برد گوى * يعنى كل عابد لا يخلص ايمانه فى عاقبته بل من المتعيشين بالصلاح من يموت على الطلاح والعياذ بالله * كسى سر بزرگى نباشد بچيز * كدو سر بزرگست و بى مغز نيز * ميفراز گردن بدستار وريش * كه دستار پنبه است وسبلت حشيش * أى النبات اليابس فيا أرباب الدعاوى أين المعانى ويا أرباب المعرفة أين المحبة ويا أرباب المحبة أين الطاعة (روى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ليلة المعراج نساء بيد كل واحدة منهن مقراض تقرض صدورها وتقطعه قطعة قطعة فسأل جبريل عليه السلام عنهن فقال هن اللاتى ولدن أولادا من الزنا مع وجود أزواجهن وأولادهن (قال الشيخ الصفى قدس سره) ان الذين يدعون المعرفة ولكنهم فى مقام الارشاد ويراؤن جليا لحطام الدنيا عذابهم أشد من عذاب هؤلاء النساء بسبعين مرة فمن جعل القرآن وسيلة لجلب زخارف الدنيا أولى منه من يجلبها بالمعارف وآلات اللهو مثلا اذا كان فى محل رفيع خبز لا تصل اليه اليد وليس هناك غير مصحف وطنبور فالاولى أن يجعل الطنبور تحت القدم للوصول دون المصحف وهكذا فيما نحن فيه قيل * دين فروشى مايه كردن هست خسران مبين * سود مند آنكس كه دنيا صرف كرد و دين خريد * فلو نظرت الى شيوخ الزمان وجدت أكثرهم مدعين ما لم يحققوا به يضلون الناس بأكاذيب ويروون أساليب ليس فيها اثر من المعانى والحقيقة فعلى العاقل أن لا يغتر بظاهرهم ولا يخرج عن المنهاج مقتفيا بآثارهم بل يجتهد الى أن يميز بين الحق والباطل والعارف والجاهل وماذا بعد الحق الا الضلال عصمنا الله واياكم من الزيغ وسيآت الاعمال آمين يا متعال (ما كان لبشر) بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام حيث قال نصارى نجران ان عيسى عليه السلام أمرنا أن نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وجاء رجل من المسلمين فقال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله أى ما صح وما استقام لاحد سواء كان بشرا أولا وانما قيل لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذى أسنده الكفرة اليهم (أن يؤتيه الله الكتاب) الناطق بالحق الآمر بالتوحيد الناهى عن الاشراك كالتوراة والانجيل والقرآن (والحكم) أى الفهم والعلم (والنبوة) وايتاء الكتاب يستلزم ايتاء الحكم وهو الحكمة المعبر عنها باتقان العلم والعمل فلذلك قدم الكتاب على الحكم لان المراد بالحكم هو العلم بالشريعة وفهم مقاصد الكتاب وأحكامه فان أهل اللغة والتفسير اتفقوا على ان هذا الحكم هو العلم قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا يعنى العلم والفهم فالكتاب السماوى ينزل أولا ثم انه يحصل فى عقل النبى فهم ذلك الكتاب وأسراره وبعد ما حصل فهم الكتاب يبلغ النبى ذلك المفهوم الى الخلق وهو النبوة والاخبار فما أحسن هذا الترتيب (ثم يقول) ذلك البشر بعد ما شرفه تعالى بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق وأطلعه على شؤونه العالية (للناس كونوا

عبادا) كائنين (لى من دون الله) من متعلق بلفظ عباد المافيه من معنى الفعل (ولكن) يقول لهم (كونوا ربانيين) الربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى اذا وصف بطول اللحية ففيه الدلالة على الكمال فى هذه الصفة واذا انسب الى اللحية من غير قصد المبالغة يقال لحوى فالربانى هو الكامل فى العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله تعالى ودينه كما يقال رجل الهى اذا كان مقبلا على معرفة الاله وطاعته (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أى بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته أى قراءته وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) بالنصب عطف على ثم يقول ولا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله تعالى ما كان لبشر اى ماصح لبشر أن يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كما قال قريش والصابئون الملائكة بنات الله واليهود والنصارى عزير ابن الله والمسيح ابن الله (أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) انكار لما نفى عن البشر والضمير له يعنى أيأمركم بعبادة الملائكة والسجدة للانبياء بعد كونكم مخلصين بالتوحيد لله فانه لو أمركم بذلك لكفر ونزع منه النبوة والايمان ومن آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة يكون أعلم الناس وأفضلهم فيمنعه ذلك من ادعاء الالوهية فانه تعالى لا يؤتى الوحى والكتاب الانفوسا طاهرة وأرواحا طيبة فلا يجمع بشر بين النبوة وبين دعاء الخلق الى عبادة غير الله * واعلم ان العلم والدراسة جعلا سببا للربانية التى هى قوة التمسك بطاعة الله وكفى هو دليلا على خيبة سعى من جهد نفسه وكد روحه فى جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثل من غرس شجرة حسناء تونقه أى تعجبه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها فالعمل بغير العلم والعلم بغير العمل لا يثبت كل منهما بانفراده النسبة الى الرب فعلم أن العالم الذى لا يعمل بعلمه منقطع النسبة بينه وبين ربه كالعامل الجاهل فكل منهما ليس من الله فى شئ حيث لم تثبت النسبة الا للمتمسك بالعمل المبنى على العلم قال على رضى الله عنه قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك لان العالم ينفر الناس عن العلم بتهتكه والجاهل يرغب الناس فى الجهل بتنسكه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع فعلى المعلم والمتعلم أن يطلب بعلمه مرضاة الله وبعمله الربانية فمن اشتغل بالتعليم والتعلم لا لهذا المقصد ضاع سعيه وخاب عمله والاشارة أن من دأب أهل الحقيقة تربية الاتباع والمريدين ليكونوا ربانيين متخلقين باخلاق الربانية العاملين بما يعلمون من الكتاب وبما كانوا يدرسون من العلوم ولا يقنعون على دراستها ولا يغترون بمقالات أخذوها من أفواه القوم وبعض مدعى هذا الشان الذين غلبت عليهم أهواؤهم وصفات بشريتهم يدعون الشيخوخة من رعونة النفس قبل أوانها ويخدعون الخلق بأنواع الحيل ويستتبعون بعض الجهلة ويصيدونهم بكلمات أخذوها من الافواه ويمكرون ببعض أهل الصدق من الطلبة ويقطعون عليهم طريق الحق بأن يمنعوهم من صحبة أهل الحق ومشايخ الطريقة ويأمروهم بالتسليم والرضا فيما يعاملونهم ولا يعرفون غيرهم فيعبدونهم من دون الله كما هو دأب أكثر مشايخ زماننا هذا فانه ليس من دأب من يؤتى الكتاب والحكم والنبوة (قال السعدى فى ذم أمثال هؤلاء المشايخ) دمادم بشو يند چون كربه روى * طمع كرده در صيد موشان كوى * رياضت كش ز بهر نام وغرور * كه طبل تهى را رود بانك دور * يعنى يصل صوت الطبل الى البعيد

ويسمع من البعيد لكونه خاليا فكذلك امثالهم بشهرذ كرهم بين الناس وايس ذلك الا لكونهم خالين عن الحقيقة اذا المرء الصادق فى طلبه والواصل الى ربه يحب الخمول والنفرة عن الخلق فشأنه التجنب عن كل شئ سوى الله دون تشهير نفسه وجلب المال من أيدى الناس بل هن الناس من يرغب عنه وهو مرغوب * كسى را كه نزديك ظنت بداوست * چه دانى كه صاحب ولايت خوداوست * در معرفت بر كسانيست باز * كه درهاست بر روى ايشان فراز (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) قال قوم ان الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين خاصة أن يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبى أن يؤمن بمن يأتى بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه أن يأمر قومه بالايمان به وبنصرته ان ادركوه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد عليه السلام واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى وأحرى اى اذكر يا محمد وقت أخذ الله ميثاق الانبياء وامهم (لما آتيتكم) اللام موطئة لان أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما مبتدأ موصولة وآتيتكم صلتها والعائد محذوف تقديره للذى آتيتكموه (من كتاب وحكمة) وهى بيان احكام الحلال والحرام والحدود حال من الموصول (ثم جاءكم رسول) عطف على الصلة والمعطوف على الصلة صلة فلا بد من الرابط فالتقدير رسول به (مصدق لما معكم) من الكتاب (لتؤمنن به ولتنصرنه) جواب قسم مقدر وهذا القسم المقدر وجوابه خبر للمبتدا أى والله لتصدقنه برسالته وتنصرنه على اعدائه لاظهار دين الحق فان قيل ما وجه قوله تعالى ثم جاءكم رسول والرسول لا يجىء الى النبيين وانما يجىء الى الامم والجواب ان حملنا قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين على أخذ ميثاق أممهم فقد اندفع الاشكال وان حملناه على أخذ ميثاق النبيين أنفسهم كان معنى قوله ثم جاءكم أى جاء فى زمانكم (قال) أى الله تعالى بعد ما أخذ الميثاق (أأقررتم) أى بالايمان والنصرله والاستفهام للتقرير والتأكيد عليهم لاستحالة حقيقة الاستفهام فى حقه تعالى (وأخذتم على ذلكم) الميثاق (اصرى) أى عقدى الذى عقدته عليكم والاصر الثقل الذى يلحق الانسان لاجل ما يلزمه من العمل والاصر ههنا العهد الثقيل لانه ثقل على صاحبه من حيث انه يمنع عن مخالفته اياه (قالوا اقررنا) بذلك واكتفى به عن ذكر أخذهم الاصر (قال) سبحانه وتعالى (فاشهدوا) أيها الانبياء والامم باقرار بعضكم على بعض (وانا معكم من الشاهدين) أى وانا أيضا شاهد على اقراركم ذلك مصاحب لكم وادخال مع على المخاطبين لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة والمقصود منه التأكيد والتحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض (فمن تولى) أى اعرض عما ذكر (بعد ذلك) الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة (فأولئك هم الفاسقون) المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد قال فى التيسير والتولى لا يقع من الانبياء ولا يوصفون بالفسق لكن له وجهان أحدهما ان الميثاق كان على الانبياء وامهم على التبعية والتولى من الامم خاصة والثانى أن العصمة لا تزيل المحنة انتهى وهذا الميثاق لما كان مذكورا فى كتبهم وهم كانوا عارفين بذلك فقد كانوا عالمين بصدق محمد عليه السلام فى النبوة فلم يبق لكفرهم سبب الا مجرد العداوة والحسد فصاروا كابليس الذى دعاه الحسد الى الكفر فأعلمهم الله تعالى أنهم متى كانوا كذلك كانوا

طالبين

طالبين دينا غير دين الله ومعبودا سوى الله بقوله تعالى (أفغير دين الله يبغون) عطف على مقدر
أي أيتولون فيبغون غير دين الله ويطلبونه (وله أسلم) أي لله أخلص وانقاد (من في السموات
والارض) أي أهلهما (طوعا) وهم الموحدون (وكرها) أي بإباء وهم الجاحدون بما فيهم من
آثار الصنع ودلائل الحدوث وتصريفهم كيف يشاء الى صحة ومرض وغنى وفقر وسرور وحزن
وسائر الاحوال فلا يمكنهم دفع قضائه وقدره (واليه يرجعون) أي من فيهما والمراد أن من
خالفه في العاجل فسيكون مرجعه اليه الى حيث لا يملك الضر والنفع سواه وهذا وعيد عظيم
لمن خالف الدين الحق فعلى العاقل أن يطيع ربه ولا يعصيه بنقض ما عهد اليه يوم الميثاق فعهد
الله مع الانبياء والاولياء والمؤمنين التوحيد واقامة الدين وعدم التفرق فيه وتصديق بعضهم
بعضا ودعوة الخلق الى الطاعة وتخصيص العبادة بالله فالله تعالى لا يطلب من العبد الا الصدق
في العبودية والقيام بحقوق الربوبية قال الشيخ الشاذلي قدس سره متى رزقك الله الطاعة
والغنى به عنها فقد أسبغ عليك نعمه ظاهرة اذ أراح ظاهرك من مخالفة أمره وباطنة اذ رزقك
الاستسلام لقهره وهذا هو مطلب الحق منك قيل لابراهيم بن أدهم قدس سره لو جلست لنا
في المسجد حتى نسمع منك شيأ فقال اني مشغول عنكم بأربعة أشياء فلو تفرغت منها
لجلست معكم قيل وما هي يا أبا اسحق قال أولها اني تذكرت حين أخذ الله الميثاق على آدم فقال
هؤلاء الى الجنة ولا أبالي وهؤلاء الى النار ولا أبالي فلم أدر من أي الفريقين كنت الثاني اني
تفكرت ان الولد اذا قضى الله سبحانه بخلقه في بطن أمه ونفخ فيه الروح فيقول الملك الموكل به
يا رب أشقي أم سعيد فلم أدر كيف خرج جوابي في ذلك الوقت الثالث حين ينزل ملك الموت فاذا
أراد أن يقبض الروح فيقول يا رب أقبضها مع الاسلام أو مع الكفر فلا أدري كيف يخرج
جوابي في ذلك الوقت الرابع تفكرت في قوله (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) فلا أدري من أي
الفريقين أكون ففي هذا شغل شغلني عن الجلوس لكم والحديث معكم ففي هذا الاشارة الى
أن العبد مع كونه مستسلما لقضاء الله لا بد وأن يراعي وظيفة التكليف اذ الخير والشر مقتضى
في حقه ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له فليجاهد العاقل في
تزكية نفسه أولا ثم الوصية الى عباد الله ولا يكلف المرء الا بقدر وسعه والناس في المراتب
مختلفون فطوبى لمن وصل الى أعلى المطالب * بقدر حوصله خويش دانه چيند مرغ *
بصعوه نتوان داد طعمه شهباز * وقيل للشيخ الصفي قدس سره اذا قطع الطالب المنازل فهل
يبقى بعد ذلك مرتبة لم يصل اليها بعد قال بلى يبقى علم انه هل كان مقبولا للرب تعالى أولا
وفي القشيري ما حاصله ان الولي في الحال يجوز أن يتغير حاله في المآل ويجوز أن يكون من
من جملة كرامات الولي أن يعلم أنه مأمون العاقبة عصمنا الله واياكم بحسن الخاتمة * همه عالم
همي كويند هر آن * كه يا رب عاقبت محمود كردان (قل آمنا بالله) أمر للرسول صلى الله عليه
وسلم بأن يخبر عن نفسه بالايمان بما ذكر وجمع الضمير في آمنا لاظهار جلالة قدره صلى الله عليه
وسلم ورفعة محله بأمره بأن يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك (وما أنزل علينا) وهو القرآن والنزول
كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق (وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط) من الصحف والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب

عليه السلام وأبناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم عليه السلام (وما أوتى موسى وعيسى) من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بأيديهما وتخصيصهما بالذكر لما أن الكلام مع اليهود والنصارى (والنبيون) أى وما أوتى النبيون من المذكورين وغيرهم (من ربهم) من الكتب والمعجزات (لانفرق بين أحد منهم) كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة كل منهم وبحقية ما أنزل اليهم فى زمانهم قال الامام فى تفسيره اختلف العلماء فى كيفية الايمان بالانبياء المتقدمين الذين نسخت شرائعهم وحقيقة الخلاف ان شرعه لما صار منسوخا فهل تصير نبوته منسوخة فمن قال ان نبوته منسوخة قال نؤمن بأنهم كانوا أنبياء ورسلا ولا نؤمن بأنهم أنبياء ورسل فى الحال ومن قال ان نسخ الشريعة لا يقتضى نسخ النبوة قال نؤمن بأنهم أنبياء ورسل فى الحال فتنبه لهذا الموضع (ونحن له مسلمون) أى منقادون على أن يكون الاسلام بمعنى الاستسلام وهو الانقياد أو مخلصون له تعالى أنفسنا لا نجعل له شريكا فيها على أن يكون من السلامة وفيه تعريض بايمان أهل الكتاب فانه بمعزل عن ذلك (ومن يبتغ غير الاسلام) أى غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين (دينا) ينتحل اليه وهو نصب على أنه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال منه لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا (فلن يقبل) ذلك (منه) أبدا بل يرد أشد رد وأقبحه (وهو فى الآخرة من الخاسرين) أى الواقعين فى الخسران بحرمان الثواب وحصول العقاب ويدخل فيه ما يلحقه من التأسف والتحسر على ما فاته فى الدنيا من العمل الصالح وعلى ما تحمله من التعب والمشقة فى الدنيا فى تقرير ذلك الدين الباطل والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع وواقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر الناس عليها واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غير الاسلام لوجب أن لا يكون الايمان مقبولا لقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره (كيف يهدى الله) الى الحق (قوما كفروا بعد ايمانهم) قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعدما آمنوا ولحقوا بمكة وهو استبعاد لان يهدى قوما هم معاندون للحق مكابرون فيه غير خاضعين له بان يخلق فيهم الاهتداء و يوفقهم لاكتساب الاهتداء وانما يخلق الاهتداء ويوفق على كسب ذلك ويقدرهم عليه اذا كانوا خاضعين متواضعين للحق راغبين فيه فالمراد من الهداية خلق الاهتداء وقد جرت سنة الله فى دار التكليف على أن كل فعل يقصد العبد الى تحصيله فان الله تعالى يخلقه عقيب قصد العبد فكأنه تعالى قال كيف يخلق فيهم المعرفة والاهتداء وهم قصدوا تحصيل الكفر وارادوه (وشهدوا أن الرسول حق) أى صادق فيما يقول (وجاءهم البينات) أى الشواهد من القرآن على صدقه قوله وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية فانه فى قوة أن يقال بعد أن آمنوا وبعد أن شهدوا وهو دليل على أن الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان ضرورة ان المعطوف مغاير للمعطوف عليه (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى الذين ظلموا أنفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم أعرض عنه فان قيل ظاهر الآية يقتضى ان من كفر بعد اسلامه لا يهديه الله ومن كان ظالما لا يهديه الله وقد

رأينا كثيرا من المرتدين أسلموا وهداهم وكثيرا من الظالمين تابوا عن الظلم فالجواب ان معناه لا يهديهم ما داموا مقيمين على الرغبة فى الكفر وفى الثبات عليه ولا يقبلون على الاسلام واما اذا تحروا اصابة الحق والاهتداء بالادلة المنصوبة فحينئذ يهديهم الله بخلق الاهتداء فيهم (أولئك) المذكورون باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة (جزاؤهم ان عليهم لعنة الله) وهو ابعاده من الجنة وانزال العقوبة والعذاب (والملائكة) ولعنهم بالقول كالناس (والناس أجمعين) والمراد بالناس المؤمنون لانه لو أريد به جميع الناس لزم أن يلعن كل واحد منهم جميع من يوافقهم ويخالفهم ولا وجه لان يلعن الانسان من يوافقه ويحتمل أن يراد به الجميع بناء على ان جميع الخلق يلعنون المبطل والكافر ولكنه يعتقد فى نفسه انه ليس بمبطل ولا كافر فاذا لعن الكافر وكان هو فى علم الله كافرا فقد لعن نفسه وان كان لا يعلم ذلك (خالدين فيها) حال من الضمير فى عليهم أى فى اللعنة والعقوبة ومعنى الخلود فى اللعن انهم يوم القيامة لا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون ومن معهم فى النار ولا يخلو شئ من أحوالهم من اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) الانظار التأخير أى لا يجعل عذابهم أخف ولا يؤخر العقاب من وقت الى وقت فان العذاب الملحق بالكفار مضرة خالصة من شوائب المنافع دائمة غير منقطعة نعوذ بالله من ذلك وما يؤدى اليه (الا الذين تابوا من بعد ذلك) أى من بعد الارتداد (وأصلحوا) أى ما أفسدوا (فان الله غفور رحيم) فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وعطف قوله وأصلحوا على قوله الا الذين تابوا يدل على أن التوبة وحدها وهى الندم على ما مضى من الارتداد والعزم على تركه فى المستقبل لا تكفى حتى ينضاف اليها العمل الصالح أى وأصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات ومع الخلق بالمعاملات وهذا الندم والتوبة انما يحصل لمن لم ترسخ فيه بعد هيئة استيلاء النفس الامارة على قلبه ولم تصر رينا وبقى فيه من وراء حجاب صفات النفس مسكة من نور استعداده فيتداركه الله برحمته وتوفيقه فيندم ويواظب على الرياضات من باب التزكية والتصفية (يحكى) عن السرى السقطى قدس سره أنه قال قلت يوما عجبت من ضعيف عصى قويا فلما كان الغداة وصليت الغداة اذا أنا بشاب قد وافى وخلفه ركبان على دواب بين يديه غلمان وهو راكب على دابة فنزل وقال أيكم السرى السقطى فاومأ جلسائى الى فسلم على وجلس وقال سمعتك تقول عجبت من ضعيف عصى قويا فما أردت به فقلت ما ضعيف أضعف من ابن آدم ولا قوى أقوى من الله تعالى وقد تعرض ابن آدم مع ضعفه الى معصية الله قال فبكى ثم قال يا سرى هل يقبل ربك غريقا مثلى قلت ومن ينقذ الغرقى الا الله تعالى قال يا سرى ان على مظالم كثيرة كيف أصنع قال اذا صحت الانقطاع الى الله أرضى عنك الخصوم بلغنا عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة واجتمع الخصوم على ولى الله تقول الملائكة لهم لا تروعوا ولى الله فان الحق اليوم على الله فيهب الله لهم مقامات عالية بدل حقوقهم فيتجاوزون عن الولى قال فبكى ثم قال صف لى الطريق الى الله فقلت ان كنت تريد طريق المقتصدين فعليك بالصيام والقيام وترك الآثام وان كنت تريد طريق الاولياء فاقطع العلائق واتصل بخدمة الخالق فعلى السالك أن يتوب من جميع الآثام ولا يشغل سره بسوى مشاهدة الله العلام

بهشت تن اسانى انكه خورى * كه بردوزخ نيستى بكذرى * يعنى لا تصل الى الحضور الباقى

والحياة الابدية الا بافناء وجودك في وجود الحق وتبديل الاخلاق الذميمة بالاخلاق الحميدة
فاذا جاوزت هذا الصراط الادق وصلت الى الجناب المطلق وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه
أنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل
أي لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق
منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب
الى أهله وعد نفسك من أصحاب القبور وفيه اشارة الى الفناء عن اضافة الوجود الى نفسه بل
الوجود كله لله تعالى فالبدن للروح بمنزلة القبر للميت فكما أن الميت في قبره يسلم الأمر لمولاه
ولا يتعرض الى شيء أصلا كذلك ينبغي أن لا يتعرض العبد لشيء من الآفات البدنية والقلبية
بل يدور حيث أوقفه الله من الفطرة الاصلية والشهود التام وقل من سلم من هذه الآفات
الا أن العبد بالتوبة يتدارك ما فات فاياك أن ترخص لنفسك في فعل شر فاذا قد فتحت بابه فأول
الشر الخطرة كما أن أول السيل القطرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يشرفون
المسرفين ويستخفون بالعابدين يعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه
فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك من القدر المحتوم والرزق
المقسوم والاجل المكتوب ولا يسعون فيما لا يدرك الا بالسعي من الاجر الموفور والسعي
المشكور والتجارة التي لا تبور فاذا وقفت على هذا جعلت سعيك للآخرة لا للدنيا بل لم تطلب
من الله الا الله رزقنا الله واياكم ذلك آمين (ان الذين) كاليهود (كفروا) بعيسى والانجيل
(بعد ايمانهم) بموسى والتوراة (ثم ازدادوا كفرا) حيث كفروا بمحمد عليه السلام والقرآن
أو كفروا به عليه السلام بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن
فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق (لن تقبل توبتهم) لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على
الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال
الآيسين من الرحمة أو لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك
لم تدخل فيه الفاء (وأولئك هم الضالون) على سبيل الكمال فهو من قبيل حصر الكمال والا فكل
كافر ضال سواء كفر بعد الايمان أو كان كافرا في الاصل ومن جملة كمالهم في الضلال ثباتهم
عليه وعدم كون الاهتداء متوقعا منهم (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل) لما كان
الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية دخلت الفاء ههنا ايذانا بسببية المبتدأ لخبره (من
أحدهم) فدية (ملء الارض ذهبا) تمييز أي ما يملؤها من شرقها الى غربها (ولو افتدى به) أي
بملء الارض ذهبا فان قيل نفي قبول الافتداء يوهم ان الكافر يملك يوم القيامة من الذهب
ما يفتدي به وهو لا يملك فيه نقيرا ولا قطميرا فضلا عن أن يملك ملء الارض ذهبا الذي هو كناية عن
كونه في غاية الكثرة فالجواب أن التقدير لو أن الكافر يوم القيامة قدر على أعز الاشياء بالغا
الى غاية الكثرة وقدر على بذله لنيل أعز المطالب لا يقدر على أن يتوسل بذلك الى تخليص نفسه
من عذاب الله تعالى والمقصود بيان انهم آيسون من تخليص أنفسهم من العقاب (أولئك)
اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة (لهم عذاب أليم) أي مؤلم
(وما لهم من ناصرين) في دفع العذاب عنهم أو في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع

لمراعاة الضمير أي ليس لواحد منهم ناصر واحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الارض من شيء أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيأ فأبيت الا أن تشرك بي قال الامام اعلم أن الكافر على ثلاثة أقسام أحدها الذي يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذي ذكره الله في قوله الا الذين تابوا وأصلحوا فان الله غفور رحيم وثانيها الذي يتوب عن ذلك الكفر توبة فاسدة وهو الذي ذكره الله تعالى في الآية المتقدمة وقال ان تقبل توبتهم وثالثها الذي يموت على الكفر من غير توبة البتة وهو المذكور في هذه الآية ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية انتهى وهم الذين رسخت هيئة استيلاء النفوس الامارة على قلوبهم وتمكنت وصارت رينا وتناهوا في الشر والغي وتمادوا في العناد والبغي فلن يقبل من أحدهم ملء الارض اذ لا يقبل هنالك الا الامور النورانية الباقية لان الآخرة هي عالم النور والبقاء فلا وقع ولا خطر للامور الظلمانية الفانية فيها وهل كان سبب كفرهم واحتجابهم الا محبة هذه العوائق الفانية فكيف تكون نجاتهم وقربهم وقبولهم وهي بعينها سبب هلاكهم وبعدهم وخسرانهم وحرمانهم فاياك من أوصاف الكفر وهي حب الدنيا واتباع الهوى والاقبال على شهوات النفس والاعراض عن الحق * تراشهوت وكبر وحرص وحسد * چو خون در رگند وچوجان در جسد * يعني كما ان الدم سار في العروق وجار فيها وكذا الروح في الجسد كذلك هذه الصفات الذميمة محيطة بك * كراين دشمنان تقويت يافتند * سراز حكم وراى تو برتافتند * هوا وهوس را نماند ستيز * چو بينند سر پنجۀ عقل تيز * يعني اذا كان المرء تابعا للشرع وقضية العقل يكون غالبا على هواه فلا تجادله الصفات السبعية الشيطانية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الامل فينسي الآخرة قال ذو النون المصري مفتاح العبادة الفكرة وعلامة الاصابة مخالفة النفس والهوى ومخالفتها ترك شهواتها قال جعفر بن نصير دفع الي الجنيد درهما فقال اشتر به التين الوزيري فاشتريته فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فيه ثم ألقاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي اما تستحيي شهوة تركتها من أجلي ثم تعود اليها قال أبو سليمان الداراني رحمه الله من أحسن في ليله كوفئ في نهاره ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله ومن صدق في ترك شهوة كفي مؤنتها والله أكرم من أن يعذب قلبا ترك شهوة لاجله واعلم أن النفس عين لطيفة هي معدن الاخلاق الذميمة مودعة بين جنبي الانسان أي جميع جسده وهي أمارة بالسوء وهي مجبولة على ضد الروحانية المخلوقة من الملكوت الاعلى فانهم يأمرون بالخير وينهون عن الشر وهي مخلوقة من الملكوت السفلى كالشياطين وهم لا يأمرون الا بالشر ومن طبعهم التمرد والاباء والاستكبار ولهذا تأبى النفس من قبول الموعظة وتظهر التمرد كما قال الشيخ في قصيدة البردة

فان امارتي بالسوء ما اتعظت * من جهلها بنذير الشيب والهرم

يعني ان النفس الامارة بالسوء والعيب ما قبلت الوعظ من نذير الشيب فتمادت في غواية الجهل بعد الهرم وما كبحت عنان جماح الشهوة بأيدي الندم وقد خلق الله النفس على صورة جهنم وخلق بحسب كل دركة فيها صفة لها وهي باب من جهنم يدخل فيها من هذا الباب الى دركة من

دركاتها السبع وهي سبع صفات الكبر والحرص والشهوة والحسد والغضب والبخل والحقد فمن زكى نفسه عن هذه الصفات فقد عبر عن هذه الدركات السفلية ووصل الى درجات الجنان العلوية كما قال الله تعالى قد أفلح من زكاها ومن لم يزك نفسه عن هذه الصفات بقي في دركات جهنم خائبا خاسرا كما قال الله تعالى وقد خاب من دساها عصمنا الله وايا كم من كيد النفس الامارة وشر الشيطان وأصلح بالنا ما دامت الارواح في الابدان آمين يا مستعان (لن تنالوا البر) من ناله نيلا اذا أصابه أي لن تبلغوا أيها المؤمنون حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار أولن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته (حتى تنفقوا) أي في سبيل الله رغبة فيما عنده (مما تحبون) أي بعض ما تهوونه ويعجبكم من كرائم أموالكم وأحبها اليكم أوما يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على أن المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى (وما تنفقوا من شيء) أي أي شيء تنفقوا طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه فمحل الجار والمجرور النصب على التمييز (فان الله به عليم) تعليل لجواب الشرط واقع موقعه أي فيجازيكم بحسبه جيدا كان أورديئا فانه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير من انفاق الردىء ما لا يخفى فالوصول الى المطلوب لا يحصل الا بانفاق المحبوب ولذلك كان السلف اذا أحبوا شيأ جعلوه لله ذخيرة ليوم يحتاجون اليه والانسان لا ينفق محبوبه الا اذا أيقن انه يتوصل بذلك الى وجدان محبوب أشرف من الاول فالانسان لا ينفق محبوبه في الدنيا الا اذا تيقن بوجود الصانع العالم القادر وتيقن بالبعث والحساب والجزاء وان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولزم منه ان الانسان لا يمكنه انفاق محبوبه في الدنيا الا اذا كان مستجمعا لجميع الخصال المحمودة في الدين فلا تقتضي الآية أن من أنفق ما أحب وصل الى الثواب العظيم وان لم يأت بسائر الطاعات روى انه لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله ان أحب أموالي الي بيرحاء وهو ضيعة له في المدينة مستقبل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح أورائح فاني أرى أن تجعلها في الاقربين فقسمها في أقاربه وفيه دلالة على ان انفاق أحب الاموال على أقرب الاقارب أفضل وروى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه كانت لزوجته جارية بارعة في الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطه اياها ثم لما ولي الخلافة زينتها وأرسلتها اليه فقالت وهبتكها يا أمير المؤمنين فلتخدمك قال من أين ملكتها قالت جئت بها من بيت أبي عبد الملك ففتش عن تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي أخذت من تركته ففتش عن حال العامل وأحضر ورثته وأرضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال أنت حرة لوجه الله فقيل لم يا أمير المؤمنين وقد أزحت عن أمرها كل شبهة قال لست اذا ممن نهى النفس عن الهوى (يحكى) ان الربيع ضربه الفالج فكان السائل يقوم على بابه فيسأل فيقول الربيع اطعموه السكر فان الربيع يحب السكر تأول قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وطال به وجعه فاشتهى لحم دجاج فكف نفسه أربعين يوما فأبت فقال لزوجته قد اشتهيت لحم دجاج

منذ أربعين يوما فسكنت نفسى رجاء ان تسكف فأبت فقالت امرأته سبحان الله وأى شئ هذا تسكف نفسك عنه وقد أحله الله تعالى لك فارسلت امرأته الى السوق فاشترت له دجاجة بدرهم ودانقين فذبحتها وشوتها وخبزت له خبزا وجعلت له اصباغا ثم جاءت بالخوان فوضعته بين يديه فقام سائل على الباب فقال تصدقوا على بارك الله فيكم فكف عن الاكل وقال لامرأته خذى هذا وادفعيه اليه فقالت له امرأته سبحان الله قال افعلى ما آمرك به قالت فاصنع ما هو خير له قال وما هو قالت نعطيه ثمن هذا وتأكل أنت شهوتك قال قد أحسنت ائتيني بثمنه فجاءت بثمنه فقال ضعيه على هذا وخذيه وادفعيه جميعا ففعلت * باحسانى آسوده كردن دلى * به از الف ركعت بهر منزلى * وقيل فى هذا المعنى * دل بدست آوركه حج اكبرست * از هزاران كعبه يك دل بهترست * كعبه بنياد خليل آزرست * دل نظرگاه جليل اكبرست * ويقال اذا كنت لا تصل الى البر الا بانفاق محبوبك فتى تصل الى البار وأنت تؤثر عليه حظوظك قال القشيرى ومن أراد البر فلينفق بعض ما يحبه ومن أراد البار تعالى فلينفق جميع ما يحبه قال نجم الدين الكبرى فى قوله تعالى فان الله به عليم فبقدر ما تكونون له يكون لكم كما قال من كان لله كان الله له فان الفراش ما نال من بر الشمع وهو شعلته حتى أنفق مما أحبه وهو نفسه قال القاشانى كل فعل يقرب صاحبه من الله فهو بر ولا يمكن التقرب اليه الا بالتبرى عما سواه فمن أحب من دون الله شيأ فقد حجب به عن الله وأشرك شركا خفيا لتعلق محبته بغير الله تراهرجه مشغول دارد ز دوست * اگر راست خواهى دلارامت اوست * فلا يزول البعد ولا يحصل القرب الا ببذل المال والمهجة وقطع محبة غير الله وافناء النفس بالكلية عن صفاتها الرذيلة * اگر يارى از خويشتن دم مزن * كه شرك است با يار وبا خويشتن (كل الطعام) لما نزل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم كل ذى ظفر الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم أنكر اليهود وغاظهم ذلك وبرؤا ساحتهم من الظلم وجحدوا ما نطق به القرآن وقالوا لسنا باول من حرمت عليه تلك المطعومات وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده وهلم جرا حتى انتهى التحريم الينا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغى والظلم والصد عن سبيل الله وأكل الربا وما عدد من مساويهم التى كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم فقيل كل المطعومات أو كل أنواع الطعام والطعام المطلق البر والعرف يشهد لكل ما يطعم حتى الماء (كان حلا لبنى اسرائيل) أى حلالا لهم والمراد أكله اذ لا يوصف بنحو الحل والحرمة الا أفعال المكلف لا الاعيان فشرب الخمر حرام بالذات ونقضها حرام بالعرض (الا ما حرم اسرائيل على نفسه) استثناء متصل من اسم كان أى كان كل المطعومات حلالا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل أى يعقوب عليه السلام على نفسه وهو الابل والبانها (روى) أن يعقوب عليه السلام كان نذر ان وهب الله له اثنى عشر ولدا وأتى بيت المقدس صحيحا ان يذبح آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة فقال له يا يعقوب انك رجل قوى فهل لك فى الصراع فعالجه فلم يصرع واحد منهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال أما انى لو شئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك كنت نذرت ان أتيت بيت المقدس صحيحا

ذبحت آخر ولدك وجعل الله لك بهذه الغمزة مخرجا من ذلك الذبح ثم ان يعقوب عليه السلام
لما قدم بيت المقدس أراد ذبح ولده ونسى قول الملك فأتاه الملك فقال انما غمزتك للمخرج وقد
وفى نذرك فلا سبيل لك الى ولدك ثم انه حين ابتلى بذلك المرض لقى من ذلك بلاء وشدة وكان لا ينام
الليل من الوجع فحلف لئن شفاه الله لا يأكل أحب الطعام اليه فحرم لحوم الابل وألبانها اما
حمية الدين أو حمية النفس وتحريم الحلال على نفسه جائز للكل وفيه كفارة اليمين (من قبل أن
تنزل التوراة) متعلق بقوله كان حلا ولا ضير فى توسيط الاستثناء بينهما المعنى أن المطعومات
كانت حلالا لهم قبل نزول التوراة ثم حرمت بسبب بغيهم وظلمهم فكيف يكون ذلك حراما على
نوح وابراهيم وغيرهما وظاهر الآية يدل على أن الذى حرمه اسرائيل على نفسه قد حرمه الله
على بنى اسرائيل وهو رد على اليهود فى دعواهم البراءة من الظلم وتبكيت لهم فى منع النسخ
والطعن فى دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل
وألبانها (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها) أمر عليه السلام بأن يحاجهم بكتابهم الناطق بأن تحريم
ما حرم تحريم حادث مرتب على ظلمهم وبغيهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر
ويظهر كذبهم (ان كنتم صادقين) فأتوا بالتوراة فاتلوها فان صدقكم مما يدعوكم الى ذلك البتة
روى انهم لم يجترئوا على اخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفى ذلك الحجة النيرة على صدق
النبى صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذى يجحدونه ما لا يخفى (فمن افترى على الله الكذب) أى
اختلقه عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة على بنى اسرائيل ومن تقدمهم من
الامم (من بعد ذلك) أى من بعد ما ذكر من أمرهم باحضار التوراة وتلاوتها وما ترتب عليه من
التبكيت والالزام (فأولئك) المصرون على الافتراء بعد ان ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم
حلبة المحاجة والجدال (هم الظالمون) المفرطون فى الظلم والعدوان المبعدون فيهما (قل صدق
الله) أى ظهر وثبت صدقه تعالى فيما أنزل فى شأن التحريم (فاتبعوا ملة ابراهيم) أى ملة الاسلام
التى هى فى الاصل ملة ابراهيم عليه السلام فانكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون (حنيفا) حال
من ابراهيم أى مائلا عن الاديان الزائغة كلها (وما كان من المشركين) أى فى أمر من أمور
دينهم أصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بأنه عليه السلام ليس بينه وبينهم
علاقة دينية قطعا والغرض بيان أن النبى عليه السلام على دين ابراهيم فى الاصول لانه لا يدعو
الا الى التوحيد والبراءة من كل معبود سواه سبحانه وتعالى قال نجم الدين فى التأويلات
الاشارة فى تحقيق الآيات ان الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة أصناف صنف منها الملك
الروحانى العلوى اللطيف النورانى وجعل غذاءهم من جنسهم الذكر وخلقهم للعبادة وصنف
منها الحيوان الجسمانى السفلى الكثيف الظلمانى وجعل غذاءهم من جنسهم الطعام وخلقهم
للعبرة والخدمة وصنف منها الانسان المركب من الملك الروحانى والحيوانى الجسمانى وجعل
غذاءهم من جنسهم لروحانيهم الذكر ولجسمانيهم الطعام وخلقهم للعبادة والمعرفة والخلافة
فمنهم ظالم لنفسه وهو الذى غلبت حيوانيته على روحانيته فبالغ فى غذاء جسمانيته وقصر فى
غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت حيوانيته أولئك كالانعام بل هم أضل * مرو در پى
هرچه دل خواهدت * كه تمكين تن نور جان كاهدت * زدوران بسى نامرادى برى

اكر

* اكرهرچه باشد مرادت خورى * كند مردرانفس اماره خوار * اكرهوشمندى عزيزش مدار * دريغ آدمى زاده پرمحل * كه باشد چو انعام بل هم اضل * ومنهم مقتصد وهو الذى تساوت روحانيته وحيوانيته فغذى كل واحد منهما غذاءها خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ومنهم سابق بالخيرات وهو الذى غلبت روحانيته على حيوانيته فبالغ فى غذاء روحانيته وهو الذكر وقصر فى غذاء حيوانيته وهو الطعام حتى ماتت نفسه واستوات قوى روحه أولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلالا لهم كما كان حلالا للحيوان الاما حرّم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس وحياة القلب واستيلاء الروح من قبل أن ينزل عليه الوحى والالهام كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك بأن يهتدى الى الحق من غير جهاد النفس فأولئك هم الظالمون الذين يضعون الشئ فى غير موضعه وقد قال تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده قل صدق الله فيما قال لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان وتسليم القربان وهذه ملة الخلة وما كان من المشركين الذين يتخذون مع الله خليلا آخر ويجعلون الشركة فى الخلة * اكر بجز بحق ميرود جاده ات * در آتش فشانند سجاده ات * فالاولياء هم الذين يحبون الله ومن يحبه الله فان محبة أهل الحق محبة الله وليس فيها شركة قال الفضيل بن عياض قدس سره يقول الله تعالى يوم القيامة يا ابن آدم أما زهدك فى الدنيا فانما طلبت الراحة لنفسك فى الآخرة وأما انقطاعك الىّ فانما طلبت العز لنفسك ولكن هل عاديت لى عدوّا أو واليت لى وليا فى الله فعلامة اتباع ملة ابراهيم هو الاطاعة للحق والتبرى من كل دين سوى الاسلام ومحبة الاولياء وعداوة الاعداء ولو كان المرء آتيا بجميع الطاعات وليس فى قلبه خلوص المحبة فانما يضرب حديدا باردا والله تعالى لا يحب القلب المشترك بمحبة غيره من شهوة أو غيرها قال محمد بن حسان رحمه الله بينما أنا أدور فى جبل لبنان اذ خرج علىّ شاب قد أحرقته السموم والرياح فلما رآنى ولى هاربا فاتبعته وقلت عظنى بكلمة أنتفع بها قال احذره تعالى فانه غيور ولا يحب أن يرى فى قلب عبده سواه فعلى العاقل أن يجتهد فى سلوك هذا الطريق الى أن يصل الى منزل التحقيق ومن الله التوفيق فى كل أمر خفى وجلى ودقيق (ان أوّل بيت) البيت ما يبيت فيه أحد ثم استعمل فى المكان مطلقا (وضع للناس) روى أنه لما حوّلت القبلة الى الكعبة طعن اليهود فى نبوّته عليه السلام وقالوا ان بيت المقدس أفضل من الكعبة وأحق بالاستقبال لانه وضع قبل الكعبة وهو أرض المحشر ومهاجر الانبياء وقبلتهم والارض المقدسة التى بارك الله فيها للعالمين وفيها الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام فتحويل القبلة منه الى الكعبة باطل فنزلت أى ان أوّل بيت وضع للعباد وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى (للذى ببكة) خبر لان أى للبيت الذى فى بكة وهو علم للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه ولانها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها لم يقصدها جبار الاقصمه الله عز وجل وما روى ان الحجاج حبس عبد الله بن الزبير رضى الله عنه فى المسجد الحرام وضرب المنجنيق على أبى قبيس ورمى به داخل المسجد وقتل عبد الله فليس ذلك اضرارا بالبيت وقصدا بالسوء لان مقصود الحجاج كان أخذ عبد الله (روى) أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن

أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة (وروى) ان الله وضع تحت العرش بناوه والبيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الارض أن يبنوا فى الارض بيتا على مثاله فبنوا وأمر من فى الارض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور (وروى) ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفى عام فلما أهبط آدم الى الارض قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا حوله قبلك بألفى عام فطاف به آدم ومن بعده الى زمن نوح عليه السلام فلما أراد الله الطوفان حول الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور بحيال الكعبة يطوف به ملائكة السموات وعن ابن عباس رضى الله عنه انه أول بيت بناه آدم فى الارض فنسبة بناء الكعبة الى ابراهيم على هذه الروايات ليس لانه عليه السلام بناها ابتداء بل لرفعة قواعدها واظهاره مادرس منها فان موضع الكعبة اندرس بعد الطوفان وبقى مختفيا الى أن بعث الله جبريل الى ابراهيم عليه السلام ودله على مكان البيت وأمره بعمارته ولما كان الآمر بالبناء هو الله والمبلغ والمهندس هو جبريل عليه السلام والبانى هو الخليل والتلميذ المعين له اسمعيل عليهما السلام قيل ليس فى العالم بناء أشرف من الكعبة (مباركا) حال من المستكن فى الظرف لان التقدير للذى بمكة هو أى كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف به وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته وبالغ حكمته كما قال (فيه آيات بينات) واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضوارى السباع الطيور فى الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كأصحاب الفيل (مقام ابراهيم) أثر قدميه عليه السلام فى الصخرة التى كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه أو عند غسل رأسه على ماروى انه عليه السلام جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليه السلام انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى أثر قدميه عليه وهو بدل من آيات بدل البعض من الكل (ومن دخله) أى حرم البيت (كان آمنا) من التعرض له وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب ولذلك قال أبو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل فى الحل بقصاص أو ردة أو زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وهذا فى حق من جنى فى الحل ثم التجأ الى الحرم وأما اذا أصاب الحد فى الحرم فيقام عليه فيه فمن سرق فيه قطع ومن قتل فيه قتل قال تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم اباح لهم القتل عند المسجد الحرام اذا قاتلوا فعلى ذلك يقام الحد اذا أصاب وهو فيه واذا أصاب فى غيره ثم لجأ اليه لم يقم كما لا نقاتل اذا لم يقاتلونا أو المعنى ومن دخله كان آمنا من النار وفى الحديث من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه صلى الله عليه وسلم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضى الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون

وليس

وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم سبعين ألفا
وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا
وجوههم كالقمر ليلة البدر وعنه صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار
تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام (ولله على الناس) وهم المؤمنون دون الكفار فانهم غير
مخاطبين بأداء الشرائع عندنا خلافا للشافعي أي استقر لله عليهم (حج البيت) اللام للعهد والحج
بالفتح لغة أهل الحجاز والكسر لغة نجد وايا ما كان فهو القصد للزيارة على الوجه المخصوص
المعهود يعني انه حق واجب لله في ذمم الناس ولا انفكاك لهم عن أدائه والخروج عن عهدته
(من استطاع اليه سبيلا) في محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه
فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف أي من استطاع منهم وقدر وأطاق الى البيت سبيلا أي
قدر على الذهاب اليه وأراد به قدرة سلامة الآلات والاسباب فالزاد والراحلة من أسباب
الوصول وهذه القدرة تتقدم على الفعل والاستطاعة التي هي شرط لوجوب الفعل هي
الاستطاعة بهذا المعنى لا الاستطاعة التي هي شرط حصول الفعل وهي لا تكون الا مع الفعل
لانها علة وجود الفعل وسببه فلا تكون الا معه فالاستطاعة الاولى شرط الوجوب والثانية
شرط حصول الفعل (ومن كفر) وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتشديدا
لتاركه أي من لم يحج مع القدرة عليه فقد قارب الكفر وعمل ما يعمله من كفر بالحج (فان الله
غني عن العالمين) وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا أوليا اكتفي
بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحبسه حاجة
ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا وانما خص
هذين لان اليهود والنصارى هم الذين لا يرون الحج ولا فضل الكعبة واعلم انه لا يؤثر الاكثار من
التردد الى تلك الآثار الا حبيب مختار (روي) عن علي بن الموفق رحمه الله انه حج ستين حجة قال
فلما كنت بعد ذلك في الحجر جعلت أفكر في حالي وكثرة ترددي الى ذلك المكان ولا أدري هل قبل
حجي أولا فنمت فرأيت قائلا يقول يا ابن الموفق هل تدعو الى بيتك الا من تحب فاستيقظت وقد
سري عني ففيه اشارة الى أن من لم يحج مع القدرة عليه فقد ترك عن الدعوة الى ضيافة الله تعالى
ولا يترك عنها الا من لا استحقاق له بها وفيه تقبيح لحاله حيث لم يجتهد في تحصيل الاستعداد بل
أقام على البغي والفساد واقتضت حكمة الله تعالى توقان النفس كل عام الى تلك الاماكن
النفيسة والمعاهد المقدسة المحروسة لاجابة دعوة ابراهيم عليه السلام حيث قال فاجعل أفئدة
من الناس تهوي اليهم أي تحن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الاعمال ايمان بالله
ورسوله ثم جهاد في سبيله ثم حج مبرور قيل مغفرة الذنوب بالحج ودخول الجنة به مترتب على كون
الحج مبرورا وانما يكون مبرورا باجتماع أمرين فيه الاول الاتيان فيه بأعمال البر والبر هو
الاحسان للناس واطعام الطعام وافشاء السلام والثاني ما يكمل به الحج وهو اجتناب أفعال
الاثم فيه من الرفث والفسوق والمعاصي قال أبو جعفر الباقر ما يعبأ بمن يؤم هذا البيت اذا
لم يأت بثلاث ورع يحجزه أي يمنعه عن محارم الله وحلم يكف به غضبه وحسن الصحابة لمن يصحبه
من المسلمين فهذه الثلاث يحتاج اليها من يسافر خصوصا الى الحج فمن كملها فقد كمل حجه فعلى

السالك أن يخالق الناس بخلق حسن * ازمن بكوى حاجئ مردم كزايرا * كاو پوستين خلق بازارمى درد * حاجى تو نيستى شترست از براى آنك * بيچاره خار ميخورد وبار ميبرد * قال بعض المشايخ علامة الحج المبرور ان يرجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة قال نجم الدين الكبرى فى تأويلاته والاشارة ان الله تعالى جعل البيت والحج اليه وأركان الحج والمناسك كلها اشارات الى أركان السلوك وشرائط السير الى الله وآدابه فمن أركانه الاحرام وهو اشارة الى الخروج عن الرسوم وترك المألوف والتجرد عن الدنيا وما فيها والتطهر من الاخلاق وعقد احرام العبودية بصحة التوجه ومنها الوقوف بعرفة وهو اشارة الى الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عقبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف وهو اشارة الى الخروج عن الاطوار البشرية السبعية بالاطواف السبعة حول كعبة الربوبية ومنها السعى وهو اشارة الى السير بين صفا الصفات ومروة الذات ومنها الحلق وهو اشارة الى محو آثار العبودية بموسى أنوار الالهية وعلى هذا فقس المناسك كلها والحج يشير الى عين الطلب والقصد الى الله بخلاف سائر أركان الاسلام فان كل ركن منه يشير الى طرف من استعداد الطلب فالله تعالى خاطب العباد بقوله ولله على الناس حج البيت وما قال فى شئ آخر من الاركان والواجبات ولله على الناس وفائدته ان المقصود المشار اليه من الحج هو الله وفى سائر العبادات المقصود هو النجاة والدرجات والقربات والمقامات والكرامات * والاستطاعة فى قوله من استطاع اليه سبيلا هى جذبة الحق التى توازى عمل الثقلين ولا يمكن السير الى الله والوصول اليه الا بها ومن كفر أى لا يؤمن بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات ألطاف الرب ولا يتقرب بجذبات الالوهية كما يشير اليه أركان الحج فان الله غنى عن العالمين بأن يستكمل بهم وانما الاستكمال للعالمين به ولا غنى بهم عنه تعالى جعلنا الله واياكم من الكاملين والواصلين الى كعبة اليقين والتمكين (قل يا أهل الكتاب) هم اليهود والنصارى سموا بذلك فان الكتاب لا يختص بالمنزل فنسبوا الى ما كتبوا سواء كان من القاء الروح الامين أو تلقاء النفس (لم تكفرون بآيات الله) توبيخ وانكار لأن يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التى من جملتها ما تلى فى شأن الحج وغيره وما فى التوراة والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم (والله شهيد على ما تعملون) حال من فاعل تكفرون والمعنى لأى سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ فى الاطلاع على جميع أعمالكم وفى مجازاتكم عليها ولا ريب فى ان ذلك يستجمع اخفاء ما تأتونه ويقطع أسبابه بالكلية (قل يا أهل الكتاب لم تصدون) أى تصرفون (عن سبيل الله) أى دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام (من آمن) مفعول تصدون كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته صلى الله عليه وسلم ليست فى كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم (تبغونها) بحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير أى تبغون لها لان البغى لا يتعدى الا الى مفعول يقال بغيت المال والضمير للسبيل وهو يذكر ويؤنث أى تطلبون سبيل الله التى هى أقوم السبل (عوجا) اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بأن تلبسوا على

الناس حتى توهموا أن فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون والعوج بكسر العين
وفتحها الميل والانحراف لكن المكسور يختص بالمعاني والمفتوح بالاعيان تقول في دينه وكلامه
عوج بالكسر وفي الجدار والقناة والشجر عوج بالفتح (وأنتم شهداء) حال من فاعل تصدون
باعتبار تقيده بالحال الاولى أي والحال أنكم شهداء تشهدون بأنها سبيل الله لا يحوم حولها
شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال (وما الله بغافل عما تعملون) أي من الصد عن سبيله وكتمان
الشهادة لنبيه * ولما وبخ أهل الكتاب بصدهم المؤمنين نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين
فقال (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا) طائفة وانما خص فريقا لان منهم من آمن
(من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) قوله كافرين مفعول ثان ليردوكم على تضمين
الرد معنى التصيير قال عكرمة نزلت في شاس بن قيس اليهودي رأى منتدى محتويا على نسام من
اوس وخزرج فغاظه ألفتهم فأرسل شابا ينشدهم أشعار يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه
الحيان المذكوران وكان الظفر فيه للاوس فنعر عرق الداء الدفين فتشاجروا فأخبر النبي عليه
السلام فخرج يصلح ذات بينهم (وكيف تكفرون) انكار وتعجب (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) أي
القرآن (وفيكم رسوله) والمعنى من أين يتطرق اليكم الكفر والحال ان القرآن المعجز يتلى عليكم
على لسان الرسول غضا طريا وبين أظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم فالعدول
عن الايمان والدخول في الكفر مع تحقق هذه الامور أبعد وأعجب (ومن يعتصم بالله) أي
ومن يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله عليه السلام وهو الاسلام والتوحيد
المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله (فقد هدى) جواب الشرط وقد لافادة معنى التحقق كأن الهدى
حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما أن
قاصد الكريم متوقع للندى أي وفق وأرشد (الى صراط مستقيم) موصل الى المطلوب واعلم أن
ظاهر الخطاب مع أهل الكتاب وباطنه مع العلماء السوء الذين يبيعون الدين بالدنيا ولا يعملون
بما يعلمون فهم الذين يكفرون بما جاء به القرآن من الزهد في الدنيا والورع والتقوى ونهي النفس
عن الهوى وايثار ما يبقى على ما يفنى والاعراض عن الخلق والتوجه الى الحق وبذل الوجود لنيل
المقصود والله شهيد على ما تعملون حاضر معهم ناظر الى نياتهم في أعمال الخير والشر فيجازيهم بها
وهم يصرفون بحرصهم على الدنيا واتباعهم الهوى المؤمنين الذين يتبعونهم بحسن الظن
ويحسبون ان أعمالهم وأحوالهم على قاعدة الشريعة ومنهاج الطريقة عن سبيل الله وطريق
الحق الذي أمر الانبياء بدعوة الخلق اليه وهم يطلبون اعوجاج طريق الحق بالسير في طريق
الباطل وقد وصى الله المؤمنين بقوله يا أيها الذين آمنوا الآية حتى لا يرتدوا عن طريق الهداية
بعد الايمان بالاتباع بسيرتهم وهواهم قال تعالى ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا
كثيرا وضلوا عن سواء السبيل قال بعض المشايخ خير العلم ما كانت الخشية معه وذلك لان الخشية
انما تنشأ عن العلم بصفات الحق فشاهد العلم الذي هو مطلوب الله الخشية وشاهد الخشية موافقة
الامر وأما العلم الذي تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة لاكتسابها
والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الامل ونسيان الآخرة فما أبعده من هذا العلم

علمه من أن يكون من ورثة الانبياء وهل ينتقل الشئ الموروث الى الوارث الا بالصفة التى كان
بها عند الموروث ومامثل من هذه الاوصاف أوصافه من العلماء الا كمثل الشمعة تضئ على غيرها
وهى تحرق نفسها * ترك دنيا بمردم آموزند * خويشتن سيم وغله اندوزند * عالمى را كه گفت باشد
وبس * چون بگويد نگيرد اندر كس * عالم آنكس بود كه بد نكند * نه بگويد بخلق وخود نكند *
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لايبقى من الاسلام الا اسمه ولا من
القرآن الا رسمه قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة بأبدانهم شر من تظل السماء يومئذ
علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود * وعن فضيل بن عياض بلغنا أن الفسقة من العلماء
ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان * فعلى العاقل أن لايغتر بظاهر حالهم
بل ينظر الى وهن اعتقادهم وفساد بالهم فيعتبر كل الاعتبار ويتجنب من هذه سيرتهم ويسلك
طريق الاخيار ويعتصم بالله بالانقطاع عما سواه ويتمسك بالتوحيد الحقيقى حتى يهتدى الى
الصراط المستقيم فمن انقطع اليه بالفناء فى الوحدة كان صراطه صراط الله فلا يصده عنه أحد
ولا يضره شئ ولا يضله كيد عدوه وشره فان من كان مع الله كان الله معه فهو حافظه وناصره
وهذا الاعتصام الذى ليس من شأن كل السلاك لكن الله تعالى قادر على أن يأخذ بيد عبده ويوصله
الى مراده واذا صح الطلب من العبد فلا يحرم الاجابة البتة فان من طلب وجد وجد ومن قرع بابا
ولج ولج عصمنا الله واياكم من كيد الشيطان ومكر النفس الامارة بالسوء كل آن آمين يا مستعان
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الاتقاء افتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة (حق تقاته) أى
حق تقواه ومايجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم
ونحوها فاتقوا الله مااستطعتم يريد بالغوا فى التقوى حتى لاتتركوا من المستطاع منها شيأ
(ولاتموتن الا وأنتم مسلمون) أى مخلصون نفوسكم لله عز وجل لاتجعلون فيها شركة لما سواه
أصلا وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى لاتموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق
اسلامكم وثباتكم عليه فهو فى الصورة نهى عن موتهم على غير هذه الحالة والمراد دوامهم على
الاسلام (واعتصموا بحبل الله) أى بدين الاسلام أو بكتابه فلفظ الحبل مستعار لأحد هذين
المعنيين فان كل واحد منهما يشبه الحبل فى كونه سببا للنجاة من الردى والوصول الى المطلوب
فان من سلك طريقا مما يخاف ان تزلق رجله فيه فاذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبى ذلك
الطريق أمن من الخوف كذلك طريق السعادة الابدية ومرضات الرب طريق زلق ودواعى
الضلال عنها متكاثرة زلق رجل أكثر الخلق فيها فمن اعتصم بالقرآن العظيم وبقوانين الشرع
القويم وبينات الرب الكريم فقد هدى الى صراط مستقيم وأمن من الغواية المؤدية الى نار
الجحيم كما يأمن المتمسك بالحبل من العذاب الاليم (جميعا) حال من فاعل اعتصموا أى مجتمعين فى
الاعتصام (ولاتفرقوا) أى لاتتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب (واذكروا
نعمة الله عليكم) متعلق بنعمة (اذ كنتم) ظرف له أى اذكروا انعامه عليكم وقت كونكم
(اعداء) فى الجاهلية بينكم الاحن والعداوة والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج
كانوا أخوين لأب وأم فوقعت بين أولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب مائة
وعشرين سنة (فألف بين قلوبكم) بتوفيقكم للاسلام (فاصبحتم) أى فصرتم (بنعمته) التى هى

ذلك التأليف (اخوانا) خبر أصبحتم أى اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق (وكنتم على شفا حفرة من النار) شفا الحفرة وشفتها حرفها وجانبها أى كنتم مشرفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها فتمثيل لحياتهم التى تتوقع بعدها الوقوع فى النار بالقعود على حرفها مشرفين على الوقوع فيها (فأنقذكم) أى خلصكم ونجاكم بأن هداكم للاسلام (منها) أى الحفرة (كذلك) اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده أى مثل ذلك التبيين الواضح (يبين الله لكم آياته) أى دلائله (لعلكم تهتدون) طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه والاشارة ان أهل الاعتصام طائفتان احداهما أهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لان مشربهم الاعمال والثانية أهل المعنى وهم المنقطعون عن الاسباب لان مشربهم الاحوال فقال تعالى لهم واعتصموا بالله هو مولاكم أى مقصودكم وقال للمتعلقين بالاسباب واعتصموا بحبل الله جميعا وهو كل سبب يتوسل به الى الله فالمعتصم بحبل الله هو المتقرب الى الله بأعمال البر ووسايط القربة واذا وجد الاعتصام وجد عدم التفرق بخلاف عدم الاعتصام فانه سبب للتفرق فى الظاهر والباطن فأما فى الظاهر فيلزم منه مفارقة الجماعة فاقتلوه كائنا من كان وأما فى الباطن فيظهر منه الاهواء المختلفة التى توجب تفرق الامة كما قال عليه السلام ستفترق أمتى اثنتين وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة قالوا يا رسول الله ومن الفرقة الناجية قال من كانوا على ما أنا عليه وأصحابى واعلم أنه تعالى أمر المؤمنين أولا بالتقوى وثانيا بالاعتصام وثالثا بذكر النعمة لان فعل الانسان لا بد وأن يكون معللا اما بالرهبة واما بالرغبة والرهبة متقدمة على الرغبة لان دفع الضرر مقدم على جلب النفع كما أن التخلية قبل التحلية فقوله اتقوا الله حق تقاته اشارة الى التخويف من عقاب الله ثم جعله سببا للامر بالتمسك بدين الله ثم أردفه بالرغبة وهى قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم فعلى العاقل الانقياد لامر الله والطاعة لحكمه والاعتصام بحبله وعدم التفرق فى الدين والتقوى حق التقى من الله سبحانه قيل ونعم ما قيل * متقى را بود چهار نشان * حفظ أحكام شرع أول دان * ثانيا انجه دست رس باشد * برفقيران و بيكسان بخشد * عهد را باوفا كند پيوند * هرچه باشد ازان شود خرسند * وهذا معنى قول الشيخ النصراباذى علامة المتقى أربعة حفظ الحدود وبذل المجهود والوفاء بالعهود والقناعة بالموجود قال القشيرى رحمه الله حق التقوى ان يكون على وفق الامر لا يزيد من قبل نفسه ولا ينتقص وحق التقوى أولا اجتناب الزلة ثم اجتناب الفضلة ثم التوقى عن كل خلة ثم التنقى عن كل علة فاذا اتقيت عن شهودك تقواك بعد اتصافك بتقواك فقد اتقيت حق تقواك انتهى فمن بقى فيه شئ من آثار الوجود فقد أشرك شركا خفيا ولم يصل الى حقيقة الشهود *

حضورى كرهمى خواهى ازوغائب مشو حافظ * متى ما تلق من تهوى دع الدنيا وأهملها *

قال أبو مدين رحمه الله شتان بين من همته الحور والقصور ومن همته رفع الستور ودوام الحضور فطوبى لمن سار اليه بالجذبات الالهية على قدم التحقيق وطار بتجلى الصفات الربانية وجناح التوفيق قال سهل رضى الله عنه ليس للعبد الا مولاه وأحسن أحواله أن يرجع الى مولاه اذا عصى قال يا رب استر على فاذا ستر عليه قال يا رب تب على فاذا تاب عليه قال يا رب وفقنى حتى أعمل فاذا عمل قال يا رب وفقنى حتى أخلص فاذا أخلص قال يا رب تقبل منى فعلى العاقل ان

يتمسك بهذا الحبل المتين (ولتكن منكم) أى لتوجد منكم (أمة يدعون الى الخير) جماعة داعية
الى الخير أى الى ما فيه صلاح دينى ودنيوى فالدعاء الى الخير عام فى التكليف من الافعال والتروك
ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله فقال (ويأمرون بالمعروف) وهو ما استحسنه الشرع والعقل
وهو الموافقة (وينهون عن المنكر) وهو ما استقبحه الشرع والعقل وهو المخالفة (وأولئك)
الموصوفون بتلك الصفات الكاملة والافراد فى كاف الخطاب لان المخاطب كل من يصلح للخطاب
(هم المفلحون) أى هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفيد اختصاص المسند بالمسند اليه
ثم ان من فى قوله منكم للتبعيض وتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق
معنى فرضيتها على الكفاية وأنها واجبة على الكل لكن بحيث ان أقامها البعض سقطت عن
الباقين ولو أخل بها الكل أثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها ولانها من عظائم الامور
وعزائمها التى لا يتولاها الا العلماء بأحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان
الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرف الحكم فى مذهبه وجهله فى مذهب صاحبه
فنهاه عن منكر وقد يغلظ فى موضع اللين ويلين فى موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره
الا تماديا أو على من الانكار عليه عبث كالانكار على أصحاب المآصر والجلادين واضرابهم
وقيل من للتبيين وكان ناقصة أى كونوا أمة يدعون الآية ولا يقتضى ذلك كون الدعوة فرض
عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطاب للعامة * عن النبى عليه السلام أنه سئل
وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم
للرحم وقال عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة
رسوله وخليفة كتابه وعن حذيفة يأتى على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار أحب اليهم
من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثورى اذا كان الرجل محببا فى
جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المداهن فى
حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم فى أسفلها وصار بعضهم فى
أعلاها فكان الذى فى أسفلها يمر بالماء على الذين فى أعلاها فتأذوا به فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل
السفينة فأتوه فقالوا مالك قال تأذيتم بى ولا بد لى من الماء فان أخذوا على يديه أنجوه وأنجوا
أنفسهم وان تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم قال صلى الله عليه وسلم ان الناس اذا رأوا منكرا
فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعذابه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر يوم القيامة ناس
من أمتى من قبورهم الى الله على صورة القردة والخنازير بما داهنوا أهل المعاصى وكفوا عن
نهيهم وهم يستطيعون فلا بد من توطين النفس على الصبر وتقليل العلائق وقطع الطمع عن
الخلائق حتى تزول عنه المداهنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب أهل قرية فيها ثمانية
عشر ألفا عملهم عمل الانبياء عليهم السلام قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله
ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ثم الامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا
فواجب وان كان ندبا فندب وأما النهى عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب
لاتصافه بالقبح وطريق الوجوب السمع والعقل وعند البعض السمع وحده وشرط النهى بعد
معرفة المنهى عنه أن لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهى عنه وانما يحسن الذم

عليه والنهى عن المعاودة الى مثله وان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو أن يرى الشارب قد
تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وأن لا يغلب على ظنه ان أنكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف
يباشر الانكار قلت يبدأ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال تعالى
فأصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا والمباشر كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد أجمعوا
أن من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل أحد وأما الانكار الذى
بالقتال فالامام وخلفاؤه أولى لانهم أعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت
كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات
حتى لا يتعودوها كما يؤمرون بالصلاة ليتمرنوا عليها والعاصى يجب عليه النهى عما ارتكبه
اذ يجب عليه تركه والانكار لا يجب فلا يسقط بترك أحدهما وجوب شئ منهما قال النبى عليه
السلام ان الله ليؤيد هذا الدين بأهل الفسوق والتوبيخ فى قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر
وتنسون أنفسكم انما هو على نسيان أنفسهم لا على أمرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم
تفعلوا وعن بعض الصحابة أن الرجل اذا لم يستطع الانكار على منكر رآه فليقل ثلاث مرات
اللهم ان هذا منكر واذا فعل ذلك فقد فعل ما عليه * كرت نهى منكر برايد زدست * نشايد چو بى
دست وپايان نشست * چودست وزبان را نماند مجال * بهمت نمايند مردى رجال * يعنى اذا لم يستطع
أن يغير المنكر بلسانه ويده فلينكره بقلبه فان الرجال يرون الرجولية بالهمة ويتضرعون الى
الله فى دفع ما لا يقدرون على دفعه والاشارة فى الآية أن الامة التى يدعون الى الخير بالافعال
دون الاقوال هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون من وعيد من
يأمر بالمعروف ولا يأتيه والذى يدل عليه ما روى أسامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
سمعته يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه فى النار فيدور بها كما يدور الحمار
برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أى فلان ماشأنك ألست تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر
فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه والداعى الى الخير فى الحقيقة شيوخ الطريقة فان من لم
يعرف الله لم يعرف الخير اذ الخير المطلق هو الكمال المطلق الذى يكون للانسان بحسب النوع من
معرفة الحق والوصول اليه كما كان للنبى عليه السلام والاضافى ما يتوصل به الى المطلق فالخير
المدعو اليه اما الحق واما طريق الوصول اليه والمعروف كل ما يقرب اليه والمنكر كل ما يبعد عنه
فمن لم يكن له التوحيد والاستقامة لم يكن له مقام الدعوة فغير المستقيم وان كان موحدا ربما أمر
بما هو معروف عنده منكر فى نفس الامر وربما نهى عما هو منكر عنده معروف فى نفس الامر
كمن بلغ فى مقام الجمع واحتجب بالحق عن الخلق فكثيرا ما يستحل محرما ويحرم حلالا فهم أهل
الحجاب وأهل الفلاح المطلق هم الذين لم يبق لهم حجاب وهم خلفاء الله فى أرضه أوصلنا الله واياكم
الى معرفة حقيقة الحال وشرفنا بالوصول الى جنابه المتعال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) هم أهل
الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا (واختلفوا) باستخراج التأويلات الزائغة
وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما أخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية قال الامام تفرقوا
بأبدانهم بان صار كل واحد من أولئك الاحبار رئيسا فى بلد ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم
يدعى أنه على الحق وان صاحبه على الباطل وأقول انك اذا أنصفت علمت ان أكثر علماء هذا

الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله العفو والرحمة انتهى (من بعد ما جاءهم البينات)
أى الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة (وأولئك لهم عذاب
عظيم) فى الآخرة بسبب تفرقهم فانه يدوم ولا ينقطع ولما أمر الله هذه الامة بأن يكونوا آمرين
بالمعروف وناهين عن المنكر وذلك لا يتم الا اذا كان الآمر بالمعروف قادرا على تنفيذ هذا التكليف
على الظلمة والمتغلبين ولا تحصل هذه القدرة الا اذا حصلت الالفة والمحبة بين أهل الحق والدين فلا
جرم حذرهم الله عن التفرقة والاختلاف لكيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف
فعلى المؤمنين أن لا يكونوا ناشئين بمقتضى طباعهم غير متابعين لامام ولا متفقين على كلمة واحدة
باتباع مقدم يجمعهم على طريقة واحدة فان لم يكن لهم مقتدى وامام تتحد عقائدهم وسيرهم
وآراؤهم بمتابعته وتتفق كلمتهم فى الآخرة على محسوس أوضح من ظهوره فى الدنيا من دعا الى
الله على بصيرة كالرسول وأتباعه الذين ألحقهم الله بدرجات الدنيا فى الدعاء اليه على بصيرة كلماتهم
وعاداتهم وأهواؤهم لمحبته وطاعته كانوا مهملين متفرقين فرائس للشيطان كشريدة الغنم تكون
للذئب ولهذا قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه لا بد للناس من امام بار أو فاجر ولم يرسل نبى الله
رجلين فصاعدا الشأن الاوامر أحدهما على الآخر وأمر الآخر بمتابعته وطاعته ليتحد الامر
وينتظم والا وقع الهرج والمرج واضطرب أمر الدين والدنيا واختل نظام المعاش والمعاد قال
عليه السلام من فارق الجماعة قيد شبر لم يرح رائحة الجنة وقال يد الله مع الجماعة فان الشيطان مع
الفذ وهو من الاثنين أبعد ألا يرى أن الجمعية الانسانية اذا لم تنضبط برياسة القلب وطاعة العقل
كيف اختل نظامها وآلت الى الفساد والتفرق الموجب لخسار الدنيا والآخرة ولما نزل قوله
تعالى وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله خط رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا فقال هذه سبل على
كل سبيل منها شيطان يدعو اليه فعلى العاقل أن يسلك الى صراط التوحيد ولوازمه وحقوقه
ويجتنب عن سبل الشيطان وأسباب الدخول فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت
أن أقاتل الناس الى أن قال وحسابهم على الله أراد بقوله وحسابهم على الله انه لا يعلم أنهم قالوها
معتقدين لها فالمشرك لا قدم له على صراط التوحيد وله قدم على صراط الوجود والمعطل لا قدم له
على صراط الوجود فالمشرك ما وحد الله فهناك فهو من الموقف الى النار مع المعطلة ومن هو من
أهل النار الا المنافقين فلا بد لهم أن ينظروا الى الجنة وما فيها من النعيم فيطمعون فذلك نصيبهم
من الجنان ثم يصرفون الى النار وهذا من عدل الله فقوبلوا بأعمالهم فالشرع هنا هو الصراط
المستقيم ولا نزال فى كل ركعة من الصلاة نقول اهدنا الصراط المستقيم فهو أحد من السيف
وادق من الشعر وظهوره على علم وكشف قال على كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا
فمن تمسك بالشرع المتين والقرآن المبين واهتدى الى هذا الصراط المستقيم وتخلص من التفرق
الموجب للعذاب الاليم فليس عليه حساب ولا صراط فى الآخرة بل هو مع الانبياء والاولياء فى
النعيم المقيم ومن زلت قدمه عن الشرع فى الدنيا بارتكاب المحظورات زلت فى الآخرة أيضا
اذ من كان فى الدنيا أعمى محجوبا غير واصل كان فى الآخرة أيضا كذلك والعياذ بالله قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الزالون على الصراط كثير وأكثر من يزل عنه النساء وقال رأيت النار

وأكثر أهلها النساء فانهن يكثرن اللعن ويكفرن العشير فلو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم اذا
رأت منك شيأ قالت ما رأيت منك خيرا قط فانظر كيف زلت أقدامهن عن الصراط فى الآخرة
وما ذلك الا لكونهن زائلة عن صراط الشرع فى الدنيا بالاعتقاد والاعمال (ونعم ما قال الجامى)
عقل زن ناقص است ودينش نيز * هر گزش كامل اعتقاد مكن * گر بدست از وى اعتبار مگير *
ور نكو بروى اعتماد مكن * فاذا وقفت على هذا التفصيل فاجتهد أيها العبد الذليل فى طريق
المتابعة والموافقة للانبياء والكاملين وتمسك بذيل شيخ واصل الى اليقين لعله يجمع باذن الله شملك
بعدما تبدد وصلك وتفرق حالك فان الطريق المجهول لا بد له من مرشد والا فالهلاك عصمنا الله
واياكم من الخلاف والاختلاف وأسلكنا طريق الاخيار من الاسلاف وشرفنا به الى آخر الآجال
وحشرنا بأهل الفضل والكمال (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) أى اذكروا أيها المؤمنون يوم
تبيض وجوه كثيرة وتسود وجوه كثيرة وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور
وكون الخوف فيه يقال لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه ابيض وجهه أى استبشر ولمن وصل اليه مكروه
اغبر لونه وتبدلت صورته فمعنى الآية ان المؤمن يرد يوم القيامة على ما قدمت يداه فان كان
ذلك من الحسنات استبشر بنعم الله وفضله واذا رأى الكافر أعماله القبيحة اشتد حزنه وغمه وقيل
بياض الوجه وسواده حقيقتان فيوسم أهل الحق ببياض الوجوه والصحيفة واشراق البشرة
وسعى النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل باضداد ذلك والحكمة فى ظهورهما فى الوجوه حقيقة
ان السعيد يفرح بأن يعلم قومه أنه من أهل السعادة قال تعالى مخبرا عنه يا ليت قومى يعلمون بما
غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين والشقى يغتم بعكس ذلك (فأما الذين اسودت وجوههم)
فيقال لهم (أكفرتم بعد ايمانكم) الهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر أنهم أهل الكتابين
وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه عليه السلام
أو جميع الكفرة حيث كفروا بعدما أقروا بالتوحيد يوم الميثاق (فذوقوا العذاب) المعهود
الموصوف بالعظم (بما كنتم تكفرون) بالقرآن ومحمد عليه السلام (وأما الذين ابيضت
وجوههم ففى رحمة الله) أى الجنة والنعيم المقيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على أن المؤمن وان
استغرق عمره فى طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى (هم فيها خالدون) كأنه قيل
كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك) اشارة الى الآيات
المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار وهو مبتدأ (آيات الله) خبره (نتلوها) جملة حالية من
الآيات (عليك) أى نقرؤها عليك يا محمد بواسطة جبريل (بالحق) حال مؤكدة من فاعل نتلوها
أو من مفعوله أى ملتبسين أو ملتبسة بالحق والعدل ليس فى حكمها شائبة جور بنقص ثواب
المحسن أو بزيادة عقاب المسىء أو بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم
بأعمالهم بموجب الوعد والوعيد (وما الله يريد ظلما) أى شيأ من الظلم (للعالمين) لأحد من خلقه
كيف والظلم تصرف فى ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف فى ملك نفسه أو أنه وضع الشئ فى غير
موضعه وذلك قد يكون بمنع حق المستحق منه وقد يكون بفعل ما منع منه ولا ينبغى له أن يفعله
وكل ذلك لا يتصور فى حقه تعالى فيستحيل تصور الظلم من الله فانه لا حق لأحد فيظلم عنه
ولا يمنع عن شئ فيظلم بفعله بل هو المالك على الاطلاق وأفعاله محض حكمة وعدل (ولله ما فى

السموات وما فى الارض) أى له تعالى وحده من غير شركة أصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا احياء واماتة اثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم فى مقام بيان عظمته تعالى (والى الله) أى الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة واستقلالا (ترجع الامور) أى أمورهم فيجازى كلا منهم بما وعده وأوعده من غير دخل فى ذلك لاحد قط فان قيل الرجوع اليه يكون بعد الذهاب عنه ولم يكن فلم قال ذلك قلنا كانت كالذاهبة بهلاكهم ثم اعادتها الان فى الدنيا بملك بعض الخلق بالتدبير وفى القيامة يكون كل ذلك لله تعالى * والاشارة ان الذين تبيض وجوههم يوم القيامة هم الذين ابيضت قلوبهم اليوم بنور الايمان والجمعية والوفاق مع الله والذين تسود وجوههم يومئذ هم الذين اسودت قلوبهم بالكفر والتفرق والاختلاف من الله وذلك لان الوجوه تحشر بلون القلوب كقوله تعالى يوم تبلى السرائر أى يجعل ما فى الضمائر على الظواهر * زراندود كانرا باتش برند * بديد آيد آنكه كه مس يا زرند * فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم أكفرتم بعد ايمانكم وهم أرباب الطلب السائرون الى الله الذين انقطعوا فى بادية النفس واتبعوا غول الهوى وارتدوا على أعقابهم القهقرى فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون تسترون الحق بالباطل وتعرضون عن الحق فى طلب الباطل وكنتم معذبين بنار الهجران والقطيعة فى الدنيا ولكن ما كنتم تذوقون عذابها لان الناس نيام والنائم لا يذوق ألم الجراحات حتى ينتبه فاذا ماتوا انتبهوا فيذوقوا ألم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الجمعية والوفاق مع الله فى الدنيا وهم فيها خالدون فى الآخرة لانه يموت المرء على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه وقال من مات سكران فانه يعاين ملك الموت سكران ويعاين منكرا ونكيرا سكران ويبعث يوم القيامة سكران الى خندق فى وسط جهنم يسمى السكران فيه عين يجرى ماؤها دما لا يكون له طعام ولا شراب الا منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى جبريل عليه السلام أن لا اله الا الله انس للمسلم عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لو تراهم حين يمرقون من قبورهم وينفضون عن رؤسهم التراب هذا يقول لا اله الا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادى يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله مسودة وجوههم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النياحة على الميت من أمر الجاهلية وان النائحة اذا لم تتب قبل أن تموت فانها تبعث يوم القيامة عليها سرابيل من قطران ثم يعلى عليها بدرع من لهب النار وفى التنزيل الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان قال أهل التأويل كلهم يبعث كالمجنون عقوبة لهم وتمقيتا عند أهل الحشر فجعل الله هذه العلامة لاكلة الربا وذلك انه أرباه فى بطونهم فأثقلهم فهم اذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم نسأل الله الستر فى الدنيا والآخرة وهو الموفق للصالحات من الاعمال والافعال (كنتم خير أمة) كنتم من كان الناقصة التى تدل على تحقق شئ بصفة فى الزمان الماضى من غير دلالة على عدم سابق أو لاحق ويحمل على الدوام أو الانقطاع بحسب معونة المقام ودلالة القرائن فقولك كان زيد قائما محمول على الانقطاع وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما محمول على الدوام ومنه قوله تعالى كنتم خير أمة (أخرجت للناس) صفة

لأمة أظهرت لاحلهم ومصلحتهم ونفعهم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) جملة مستأنفة بين بها كونهم خير أمة كأنه قيل السبب في كونكم خير الامم هذه الخصال الحميدة والمقصود بيان علة تلك الخيرية كقولك زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم لان ذكر الحكم مقرونا بالوصف المناسب له يشعر بالعلية (وتؤمنون بالله) أى ايمانا متعلقا بكل ما يجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) أى لو آمنوا كايمانكم لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين (منهم المؤمنون) كأنه قيل هل منهم من آمن أو كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) المتمردون في الكفر الخارجون عن الحدود (لن يضروكم الا أذى) استثناء مفرغ من المصدر العام أى لن يضروكم أبدا ضررا ما الا ضرر أذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا اثر له (وان يقاتلوكم) أى ان خرجوا الى قتالكم (يولوكم الادبار) مفعول ثان ليولوكم أى يجعلوا ظهورهم مما يليكم ويرجعوا الى أدبارهم منهزمين من غير أن ينالوا منكم شيأ من قتل أو اسر (ثم لا ينصرون) عطف على الشرطية وثم للتراخى فى المرتبة أى لا ينصرون من جهة أحد ولا يمنعون منكم قتلا وأخذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهى بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بأنهم لا يقدرون على أن يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرب يعبأ به مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة أمرهم الخذلان والذل ولا ينهضون بجناح ولا ترجع اليهم قوة ونجاح كما كان من حال بنى قريظة والنضير وقينقاع ويهود خيبر (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا) أى فى أى مكان وأى زمان وجدوا فى دار الاسلام ألزموا الذل أى هدر النفس والمال والاهل بحيث صار كشئ يضرب على الشئ فيحيط به (الا بحبل من الله وحبل من الناس) استثناء من أعم الاحوال أى ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هى عليه فى جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله وذمة المسلمين واستعير الحبل للعهد لانه سبب للنجاة والفوز بالمراد وعطف قوله وحبل من الناس على قوله بحبل من الله يقتضى المغايرة قال الامام فى توجيهه الامان الحاصل للذمى قسمان أحدهما الذى نص الله عليه وهو الامان الحاصل له باعطاء الجزية عن يد وقبوله اياها والثانى الامان الذى فوض الى رأى الامام واجتهاده فيعطيهم الامان مجانا تارة ويبدل زائدا وناقص أخرى على حسب اجتهاده فالاول هو المسمى بحبل الله والثانى هو المسمى بحبل المؤمنين فالامانان واقعان بمباشرة المسلمين الا أنهما متغايران بالاعتبار (وباؤا بغضب من الله) أى رجعوا بغضب كائن منه تعالى مستوجبين له (وضربت عليهم المسكنة) أى زى الافتقار فهى محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود فى غالب الامر فقراء اما فى نفس الامر واما أنهم يظهرون من أنفسهم الفقر وان كانوا أغنياء موسرين فى الواقع (ذلك) اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) أى ذلك الذى ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد عليه السلام وتحريفهم لها ولسائر الآيات القرآنية (ويقتلون الانبياء بغير حق) أى فى اعتقادهم أيضا وهؤلاء المتأخرون وان لم يصدر عنهم

قتل الانبياء لكنهم كانوا راضين بفعل اسلافهم مصوبين لهم فى تلك الافعال القبيحة وطالبين للقتل لو ظفروا به فكانوا بذلك كأنهم فعلوه بأنفسهم فلذا أسند القتل اليهم (ذلك) اشارة الى ماذكر من الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون) أى كان بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضى الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر فان من توغل فى المعاصى والذنوب واستمر عليها الاجرم تتزايد ظلمات المعاصى على قلبه حالا فحالا ويضعف نور الايمان فى قلبه حالا فحالا ولم يزل الامر كذلك الا أن يبطل نور الايمان وتحصل ظلمة الكفر نعوذ بالله من ذلك واليه الاشارة بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فقوله تعالى ذلك بما عصوا اشارة الى علة العلة ولهذا المعنى قال أرباب المعاملات من ابتلى بترك الادب وقع فى ترك السنن ومن ابتلى بترك السنن وقع فى ترك الفريضة ومن ابتلى بترك الفريضة وقع فى استحقار الشريعة ومن ابتلى بذلك وقع فى الكفر فعلى المؤمن أن لا يفتح باب المعصية على نفسه خوفا مما يؤدى اليه بل ويترك أيضا بعض ما أبيح له فى الشرع وذلك هو كمال التقوى قال عليه السلام لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البأس وقال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه الحديث فمنع من الاقدام على الشبهات مخافة الوقوع فى المحرمات وذلك سد للذريعة والعارف متى قصد مخالفة أمره تعالى يجد من قلبه استحياء منه تعالى فينتهى عما نوى وعزم ويجتهد فى عبادة ربه قال الجنيد رحمه الله العبادة على رؤس العارفين كالتيجان على رؤس الملوك ورؤى فى يده سبحة فقيل له أنت مع شرفك تأخذ فى يدك سبحة فقال طريق وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه أبدا قال الشيخ أبو طالب رحمه الله مداومة الاوراد من اخلاق المؤمنين وطريق العابدين وهى مزيد الايمان وعلامة الايقان قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله سألت استاذى عن ورد المحققين فقال اسقاط الهوى ومحبة المولى أبت المحبة ان تستعمل محبا لغير محبوبه وقال الورد رد النفس بالحق عن الباطل فى عموم الاوقات فليواظب العبد على الاوراد والطاعات وليجتنب المعاصى والسيآت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيى يا رسول الله والحمد لله قال ليس ذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى وليحفظ البطن وما وعى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء * مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتى قبله ديكرست * قال بعض المشايخ لو أن رجلا عاش مائتى سنة ولا يعرف هذه الاربعة فليس شئ احق به من النار أحدها معرفة الله تعالى فى السر والعلانية وان لا معطى ولا مانع غيره والثانى معرفة عمل الله بأن يعرف أن الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا لرضا الله تعالى والثالث معرفة نفسه بأن يعرف ضعفه انه لا يستطيع ان يرد شيأ مما قضى الله عليه والرابع معرفة عدو الله وعدو نفسه فيحاربه بالمعرفة حتى يكسره فان المعرفة سلاح العارف فمن كان عنده المعرفة الحقيقية كان غالبا على اعدائه الظاهرة والباطنة ووصل الى مراده والنفس عين العدو فعليك بالاحتراز من شره ومحاربته كل آن بالذكر والفكر والعمل الصالح عصمنا الله

واياكم من الشرور (ليسوا سواء) أى ليس أهل الكتاب جميعا مستوين متعادلين فى المساوى
والقبائح والمراد بنفى المساواة نفى المشاركة فى أصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفى المساواة
فى مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة فى أصل الاتصاف بها (من أهل الكتاب أمة قائمة)
كلام مستأنف لبيان عدم استوائهم وتمام الكلام يقتضى أن يقال ومنهم أمة مذمومة الا انه
أضمر بناء على ان ذكر أحد الضدين يغنى عن الآخر أى من أهل الكتاب جماعة قائمة أى مستقيمة
عادلة من أقمت العود فقام بمعنى استقاموا وهم الذين أسلموا منهم كعبد الله بن سلام وغيره
نزلت حين قالت أحبار اليهود لعبد الله بن سلام وغيره من الذين أسلموا من اليهود ما آمن بمحمد
الا شرارنا فلو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم أو نزلت فى قوم يصلون صلاة الاوابين وهى اثنتا
عشرة ركعة بعد صلاة المغرب (يتلون آيات الله) أى القرآن صفة أخرى لامة (آناء الليل) ظرف
ليتلون أى فى ساعاته جمع أنى كمعا (وهم يسجدون) الجملة حال من فاعل يتلون أى يصلون اذ
لا تلاوة فى السجود وقال عليه الصلاة والسلام الا انى نهيت أن اقرأ راكعا وساجدا وتخصيص
السجود بالذكر من بين سائر أركان الصلاة لكونه ادل على كمال الخضوع والمراد بصلاتهم التهجد
اذ هو أدخل فى مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها فى المكتوبة وظيفة للامام واعتبار حالهم
عند الصلاة على الانفراد يأباه مقام المدح (يؤمنون بالله واليوم الآخر) على الوجه الذى نطق
به الشرع تعريض بان ايمان اليهود به مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل
ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما فى شئ اصلا (ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر) تعريض بمداهنتهم فى الاحتساب بل بتعكيسهم فى الامر باضلال الناس
وصدهم عن سبيل الله فانه أمر بالمنكر ونهى عن المعروف (ويسارعون فى الخيرات) المسارعة
فى الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب فى الامر سارع فى توليه والقيام به وآثر الفور على التراخى
أى يبادرون مع كمال الرغبة فى فعل أصناف الخيرات اللازمة والمتعدية تعريض بتباطؤ اليهود
فيها بل بمبادرتهم الى الشر (وأولئك) المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها
(من الصالحين) أى من جملة من صلحت أحوالهم عند الله تعالى واستحقوا رضاه وثناءه
(وما يفعلوا من خير) كائنا ما كان مما ذكر أو لم يذكر (فلن يكفروه) فلن يضيع ولا ينقص
ثوابه البتة وسمى منع الثواب ونقصه كفرانا مع أنه لا يجوز أن يضاف الكفران الى الله تعالى اذ
ليس لاحد عليه تعالى نعمة حتى يكفرها نظرا الى أنه تعالى سمى ايصال الجزاء والثواب شكرا
حيث قال فان الله شاكر عليم فلما جعل الشكران مجازا عن توفية الثواب جعل الكفران مجازا
عن منعه وتعديته الى مفعولين وهما ما قام مقام الفاعل والهاء لتضمنه معنى الحرمان (والله
عليم بالمتقين) بشارة لهم بجزيل الثواب واشعار بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وأن
الفائز عند الله هو أهل التقوى والاشارة فى قوله وما تفعلوا من خير أى من خير يقربهم اليه
فالله يشكره بتقربه اليهم أكثر من تقربهم اليه كما قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه باعا وقال
أنا جليس من ذكرنى وأنيس من شكرنى ومطيع من أطاعنى أى كما أطعتمونى بتصفية
الاستعداد والتوجه نحوى أطعتكم بافاضة الفيض على حسبه والاقبال المكمل والله عليم بالذين
اتقوا ما يحجبهم عنه فتجلى لهم بقدر زوال الحجاب قال أبو بكر الكتانى رأيت فى المنام شابا

ثم رأيت حسن سمته فقلت من أنت فقال التقوى قلت فأين تسكن قال في كل قلب حزين ثم التفت الى فاذا امرأة سوداء أوحش ما يكون فقلت من أنت فقالت الضحك فقلت أين تسكنين فقالت في كل قلب فرح مرح قال فانتبهت وعقدت أن لا أضحك الا غلبة فعلى السالك ان يتمسك بحبل التقوى ويأنس به في الدنيا لعل الله يجعله أنيساله في قبره وحشره فالتقوى من ديدن الصلحاء وهم الذين يسارعون الى الخيرات ماداموا في الحياة قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله أفضل ما يسأل العبد من الله خيرات الدين ففي خيرات الدين خيرات الآخرة وفي خيرات الآخرة خيرات الدنيا وفي خيرات الدنيا ظهور خصائص الاولياء وهي أربعة أوصاف العبودية ونعوت الربوبية والاشراف على ما كان ويكون والدخول على الله في كل يوم سبعين مرة والخروج كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة واستغفاره عليه الصلاة والسلام من نقص ما رقي عنه باعتبار ما ترقى اليه اذ ذلك الاستغفار من مقتضى البشرية التي لا يمكن دفعها ووجه الاستغفار منه عليه السلام التفريق بين حالين كان فيهما بالعبودية اذ لا يلحق النبي نقص بوجه ولا فتور بحال النبوة عصمته ولكن حسنات الابرار سيآت المقربين فينبغي للانسان ان يأخذ على نفسه ان لا يضيع لحظة حتى يأخذها بالذكر والشكر ومتى رأى خللا رفعه بالاستغفار وذكر الله تعالى علم الايمان وبراءة من النفاق وحصن من الشيطان وحرز من النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث الله يحيى بن زكريا عليهما السلام الى بني اسرائيل أمره أن يأمرهم بخمس خصال ويضرب لكل خصلة مثلا أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيأ وضرب لهم مثل الشرك كرجل اشترى عبدا من ماله ثم أسكنه دارا وزوجه ودفع اليه مالا وأمره ان يتجر فيه ويأكل منه ما يكفيه ويؤدي اليه فضل الربح فعمد العبد الى فضل الربح فجعل يعطيه عدو سيده ويعطي لسيده منه شيأ يسيرا فايكم يرضى بمثل هذا العبد وأمرهم بالصلاة وضرب لهم مثلا للصلاة كمثل رجل استأذن على ملك من الملوك فاذن له فدخل عليه فاقبل عليه الملك بوجهه ليسمع مقالته ويقضي حاجته فالتفت يمينا وشمالا ولم يهتم اقتضاء حاجته فاعرض عنه الملك فلم يقض حاجته وأمرهم بالصيام وضرب لهم مثلا فقال مثل الصائم كمثل رجل لبس جبة للقتال وأخذ سلاحه فلم يصل اليه عدوه ولم يعمل فيه سلاح عدوه وأمرهم بالصدقة وضرب لهم مثلا للمتصدق فقال مثل المتصدق كمثل رجل أسره عدوه فاشترى منهم نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل في بلادهم ويؤدي اليهم من كسبه القليل والكثير حتى يفتدي منهم نفسه فعتق وفك رقبته وأمرهم بذكر الله تعالى وضرب لهم مثلا للذكر فقال مثل الذكر كمثل قوم لهم حصن ويقربهم عدوهم فدخلوا حصنهم وأغلقوا بابه وحصنوا أنفسهم من العدو ثم قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا آمركم بالخصال الخمس التي أمر الله بها يحيى عليه السلام وآمركم بخمس أخرى أمرني الله بها عليكم بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد فليسارع العبد الى الخيرات والحسنات وجميع الحالات ولا يتيسر ذلك الا لارباب الارادات وأصحاب المجاهدات * نبايد نكو كارى از بد ركات * محالست دو زندكى از سكات * توان پاك كردن ز زنك آينه * وليكن نيايد ز سنك آينه * بكوشش نرويد كل از شاخ بيد * نه زنكى بكرمابه كردد سفيد * (ان الذين كفروا) أي بما يجب أن يؤمن به (ان تغنى

عنهم) أى لن تدفع عنهم (أموالهم ولا أولادهم من الله) أى من عذابه تعالى (شيأ) أى شيأ يسيرا منه أو شيأ من الاغناء ردّ للكفار كافة حيث فاخروا بالاموال والاولاد قائلين نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين وكانوا يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه بالفقر ويقولون لو كان محمد على الحق لما تركه ربه فى الفقر والشدة وخص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد فانفع الجمادات هو المال وأنفع الحيوانات هو الولد فالكافر اذا لم ينتفع بهما فى الآخرة البتة دل ذلك على عدم انتفاعه بسائر الاشياء بالطريق الاولى (وأولئك أصحاب النار) أى مصاحبوها على الدوام وملازموها (هم فيها خالدون) أبدا ولما بين أن أموال الكفار لا تغنى عنهم شيأ ثم انهم ربما أنفقوا أموالهم فى وجوه الخيرات فيخطر ببال الانسان أنهم ينتفعون بذلك فأزال الله بهذه الآية تلك الشبهة وبين أنهم لا ينتفعون بتلك الانفاقات وان كانوا قد قصدوا بها وجه الله فقال (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا) أى حال ما ينفقه الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة وطلبا لحسن الذكر بين الناس وعداوة لاهل الاسلام كما أنفق أبو سفيان وأصحابه مالا كثيرا على الكفار يوم بدر وأحد (كمثل ريح فيها صرّ) أى برد شديد مهلك فانه فى الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر (أصابت حرث قوم) أى زرع قوم (ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصى فباؤا بغضب من الله وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد وأفظع (فأهلكته) عقوبة لهم ولم تدع منه أثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما أنفقوا فى ضياعه وذهابه بالكلية من غير أن يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة بوجه من الوجوه فهو من التشبيه المركب (وما ظلمهم الله) بما بين من ضياع ما أنفقوا من الاموال (ولكن أنفسهم يظلمون) لما أنهم اضاعوها بانفاقها الا على ما ينبغى وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص واعلم أن انفاق الكفار اما ان يكون لمنافع الدنيا أو لمنافع الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق منه اثر البتة فى الآخرة فى حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الآخرة واعلهم أنفقوا أموالهم فى الخيرات ببناء الرباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والايتام والارامل وكان ذلك المنفق يرجو من ذلك الانفاق خيرا كثيرا فاذا قدم الآخرة رأى كفره مبطلا لآثار الخيرات وكان كمن زرع زرعا وتوقع منه نفعا كثيرا فاصابه ريح فأحرقه ولا يبقى معه الا الحزن والاسف هذا اذا انفقوا الاموال فى وجوه الخيرات أما اذا انفقوها فيما ظنوا انه من الخيرات لكنه كان من المعاصى مثل انفاق الاموال فى ايذاء الرسول وفى قتل المؤمنين وتخريب ديارهم فالذى قلناه فيه أشد وأشد ونظير هذه الآية وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ويدخل فيه ما ينفقه بعض صاحبى الغرض لنفى رجل صالح من بلده أو قتله او ايذائه ونعوذ بالله من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيم افناه وعن جسده فيم أبلاه وعن علمه ما عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه فليبادر العاقل الى الانفاق من ماله والاخلاص فى عمله قال عليه الصلاة والسلام يجاء يوم القيامة بصحف مختومة فتنصب بين يدى الله عز وجل فيقول الله تعالى للملائكة ألقوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا الا خيرا فيقول وهو أعلم ان هذا كان لغيرى

ولا أقبل اليوم من العمل الا ما ابتغى به وجهى * زعمرو اى بسر چشم اجرت مدار * چو در خانه
زيد باشى بكار * بجه قدر آورد بنده حور ديس * كه زير قباد ارد اندام پيس * قال منصور بن عمار
رحمه الله كان لى أخ فى الله يعتقدنى ويزورنى فى شدتى ورخائى وكان كثير العبادة والتهجد والبكاء
ففقدته أياما فقيل لى هو ضعيف مريض فأتيت بابه فطرقته فخرجت ابنته فدخلت فوجدته فى
وسط الدار وهو مضطجع على فراشه وقد اسود وجهه وازرقت عيناه وغلظت شفتاه فقلت له
يا أخى أكثر من قول لا اله الا الله ففتح عينيه ونظر الى شزرا ثم وثم حتى قلت له ان لم تقلها
لا غسلتك ولا كفنتك ولا صليت عليك فقال يا أخى منصور هذه كلمة قد حيل بينى وبينها فقلت
لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فأين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام فقال يا أخى كل
ذلك كان لغير وجه الله انما كنت أفعل ذلك ليقال وأذكر به واذا خلوت بنفسى غلقت الابواب
وأرخيت الستور وبارزت ربى بالمعاصى * ورآوازه خواهى در اقليم فاش * برون حله كن
كو درون حشو باش * فلا غرور للعاقل بكثرة الاعمال والاولاد والاموال اذا لم تكن نيته
صحيحة فيما يجرى عليه من الاحوال فأين الذين آثروا العقبى بل المولى على كل ما سواه فوجدوا
الفقر أعز من الغنى والذل ألذ من العزة وبذلوا أموالهم وأرواحهم فى سبيل الله لعمرى قوم
عزيزوا الوجود وقليل ما هم وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ثم
قال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت
فأمضيت قال عليه الصلاة والسلام يا عائشة ان أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد
الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقى ثوبا حتى ترقعيه وقال عليه السلام اللهم من
أحبنى فارزقه العفاف والكفاف ومن أبغضنى فأكثر ماله وولده فقد عرفت أيها العبد على
حقيقة الحال وأن المال لا يغنى عن المرء شيأ فعليك بالقناعة وتقليل الدنيا ولا تغتر بأصحاب
الاموال والجاه * از پى ذكر وشوق حق مارا * در دو عالم دلى وزبانى بس * وز طعام ولباس أهل
جهان * كهنه دلقى ونيم نانى بس * (يا أيها الذين آمنوا) نزلت فى قوم من المؤمنين كانوا يواصلون
المنافقين فنهاهم الله عن ذلك بقوله (لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل صاحب وليجته من يعرف
اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب التى تلى بطنه كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار
والناس دثار (من دونكم) أى من دون المسلمين متعلق بلا تتخذوا (لا يألونكم خبالا) يقال
ألى فى الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين فى قولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى
المنع أى لا أمنعك نصحا والخبال الفساد أى لا يقصرون لكم فى الفساد بالمكر والخديعة
ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر (ودوا ما عنتم) أى عنوا عنتكم أى مشقتكم وشدة
ضرركم فى دينكم ودنياكم والفرق بين الجملة الاولى وبين هذه أن معناهما انهم لا يقصرون
ضررا فى أمور دينكم ودنياكم فان عجزوا عن ذلك فحب ذلك وتمنيه غير زائل من قلوبهم (قد بدت
البغضاء من أفواههم) البغضاء شدة البغض أى قد ظهرت علامة العداوة فى كلامهم الخارج
من أفواههم لما أنهم لا يتمالكون مع مبالغتهم فى ضبط أنفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من
ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين (وما تخفى صدورهم أكبر) مما بدا لان بدوه ليس عن روية
واختيار (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين وموالاة المؤمنين

ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) ما بينا لكم فتعملون به والظاهر أن الجمل من قوله لا يألونكم الى هنا تكون مستأنفات على وجه التعليل للنهى عن اتخاذهم بطانة (ها أنتم أولاء) أى أنتم أيها المؤمنون أولاء الخاطئون فى موالاتهم (تحبونهم ولا يحبونكم) لما بينكم من مخالفة الدين (وتؤمنون بالكتاب كله) أى بجنس الكتاب جميعا وهو حال من الضمير المفعول فى لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بأنهم فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) نفاقا (واذا خلوا) فكان بعضهم مكان بعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) أى من أجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا والانامل جمع أنملة بضم الميم وهو الطرف الأعلى من الاصبع والغيظ شدة الغضب قال الامام والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض أظهروا شدة الغيظ على المؤمنين حتى تبلغ تلك الشدة الى عض الانامل كما يفعل ذلك أحدنا اذا اشتد غيظه وعظم حزنه على فوات مطلوبه ولما كثر هذا الفعل من الغضبان صار ذلك كناية عن الغضب حتى يقال فى الغضبان انه يعض يده غيظا وان لم يكن هناك عض وانما حصل لهم هذا الغيظ الشديد لما رأوا من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام وأهله الى أن يهلكوا به أو باشتداده الى أن يهلكهم فالمراد اللعن والطرد لا على وجه الايجاب والا لماتوا من ساعتهم (ان الله عليم بذات الصدور) أى قل لهم ان الله عليم بعداوة الصدور فيعلم ما فى صدوركم من البغضاء والحنق (ان تمسسكم حسنة) أى تصبكم أيها المؤمنون حسنة بظهوركم على عدوكم وغنيمة تنالونها وتتابع الناس فى الدخول فى دينكم وخصب فى معاشكم (تسؤهم) أى تحزنهم حسدا الى ما نلتم من خير ومنفعة (وان تصبكم سيئة) مساءة باخفاق سرية لكم أو اصابة عدو منكم أو اختلاف يكون بينكم أو جدب ونكبة (يفرحوا بها) يشمتون بما أصابكم من ضرر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة للايذان بأن مدار مساءتهم أدنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة (وان تصبروا) على عداوتهم أو على مشاق التكاليف (وتتقوا) ما حرم الله عليكم ونهاكم عنه (لا يضركم كيدهم) مكرهم وحيلتهم التى دبروها لاجلكم والكيد حيلة لطيفة تقرب وقوع المكيد به فيها (شيأ) نصب على المصدرية أى لا يضركم شيأ من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان الجد فى الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريئا على الخصم (ان الله بما يعملون) فى عداوتكم من الكيد (محيط) عالم فيعاقبهم على ذلك والاحاطة ادراك الشئ بكماله فينبغى للمرء أن يجانب أعداء الله ويصبر على أذاهم فانه امتحان له من الله مع أنهم لا يقدرون على غير القدح باللسان كما قال تعالى لن يضروكم الا أذى والطعن لم يتخلص منه الانبياء والاولياء فكيف أنت يا رجل وكلنا ذلك الرجل * تو روى از پرستيدن حق مپيچ * بهل تا نگيرند خلقت بهيچ * رهايى نيابد كس از دست كس * گرفتار را چاره صبرست وبس * وفى قوله تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم اشارة الى أن الحامل لاسرار الرجل ينبغى أن يكون من جنسه معتمدا عليه وثقة وربما يفشى الرجل سره الى من لم يجربه فى كل حاله فيفتضح عند الناس

ان الرجال صناديق مقفلة * وما مفاتيحها الا التجاريب

فلا تغتر بظاهر انسان حتى تعرف سريرته قال الامام الغزالى ولا تعول على مودة من لم تختبره حق الخبرة بان تصحبه مدة فى دار أو موضع واحد فتجربه فى عزله وولايته وغناه وفقره او تسافر معه أو تعامله فى الدينار والدرهم أو تقع فى شدة فتحتاج اليه فان رضيته فى هذه الاحوال فاتخذه أبا لك ان كان كبيرا أو ابنا ان كان صغيرا أو أخا ان كان مثلا لك واذا بلغك من الاخوان غيبة أو رأيت منهم شرا أو أصابك منهم ما يسوءك فكل أمرهم الى الله ولا تشغل نفسك بالمكافأة فيزيد الضرر ويضيع العمر لشغله ومن بلاغات الزمخشرى ما ودع السفيه بمثل الاعراض وما أطلق عنانه بمثل العراض أى المعارضة ونعم ما قيل

اصبر على مضض الحسو * د فان صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها * ان لم تجد ما تأكله

فالمجاملة من سير الصالحين وكان ابراهيم بن أدهم فى جماعة من أصحابه فكان يعمل بالنهار وينفق عليهم ويجتمعون بالليل فى موضع وهم صيام فكان يبطئ فى الرجوع من العمل فقالوا ليلة تعالوا نأكل فطورنا دونه حتى يعود بعد هذا أسرع فأفطروا وناموا فلما رجع ابراهيم وجدهم نياما فقال مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد الى شئ من الدقيق هناك فعجنه وأوقد النار وطرح الملة فانتبهوا وهو ينفخ فى النار واضعا محاسنه على التراب فقالوا له فى ذلك فقال له قلت لعلكم لم تجدوا فطورا فنمتم فاحببت ان تستيقظوا والملة قد ادركت فقال بعضهم لبعض ابصروا أى شئ عملنا وما الذى به يعاملنا * بدى رابدى سهل باشد جزا * اكر مردى احسن الى من اسا *
قال ذو النون رحمه الله لا تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة فليسارع العبد الى تحصيل حسن الخلق وتوطين النفس على الصبر على المكاره حتى يفوز مع الفائزين قال بعضهم كنت بمكة فرأيت فقيرا طاف بالبيت وأخرج من جيبه رقعة ونظر فيها ومر فلما كان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته أياما وهو يفعل مثله فيوما من الايام طاف ونظر فى الرقعة وتباعد قليلا وسقط ميتا فأخرجت الرقعة من جيبه واذا فيها واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وصيته لابن عباس رضى الله تعالى عنه ان استطعت أن تعمل لله بالرضا فى اليقين فافعل والا ففى الصبر على ما تكره خير كثير ومقاساة المجاهدات ومخالفة النفس وترك الشهوات واللذات والتزام الفقر والصبر على المكروهات من ديدن السلف الصالحين وأهل النفس الامارة وان كان يبدو منهم علامات البغض لأمثال هؤلاء الاخيار لكنه فى الحقيقة يعود ضرره الى نفسه والمرء بالصبر على ما يأتيه من مكاره اعتراضه الفاسد يكون مأجورا ومثابا عند الله تعالى وتباين الناس بالصلاح والفساد وغير ذلك خير محض يعتبره العاقل ويزكى نفسه به فيا أيها الصلحاء ان الاشرار متسلطون على الاخيار بالطعن وقصد الاضرار ولكن المتقى فى حصن الله الملك الجبار (واذ غدوت) أى اذكر لهم يا محمد وقت خروجك غدوة أى أول النهار الى احد ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة (من أهلك) من منزل عائشة رضى الله عنها بالمدينة وهذا نص على ان عائشة رضى الله

عنها كانت أهلا للنبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فدل هذا على انها كانت مطهرة مبرأة من كل قبيح ألا يرى ان ولد نوح لما كان كافرا قال انه ليس من أهلك وكذا امرأة لوط (تبوئ المؤمنين) أى تنزلهم (مقاعد) كائنة ومهيأة (للقتال) أو متعلق بقوله تبوئ أى لاجل القتال والمقاعد جمع مقعد وهو اسم لمكان القعود عبر عن تلك الاماكن التى عينت لكل واحد من الصحابة ان يثبت فيما عين له من تلك الاماكن اما بان يتسع فى استعمال القعود لمجرد المكان مع قطع النظر عن كونه مكان القعود كما فى قوله تعالى فى مقعد صدق واما لان كل مكان انما عين اصاحبه لان يقعد و ينتظر فيه الى أن يجيء العدو فيقوموا عند الحاجة الى المحاربة فسميت تلك الاماكن بالمقاعد لهذا الوجه (روى) ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله ابن ابي ابن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم الصبيان والنساء بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام انى رأيت فى منامى بقرا مذبحة حولى أى قطيعا منها فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما أى كسرا فأولته هزيمة ورأيت كأنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى أعدائنا طلبا للسعادة الشهادة وطمعا فى الحسنى والزيادة فلم يزالوا به عليه الصلاة والسلام حتى دخل ولبس لأمته أى درعه فلما رأوا ذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحى يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغى لنبى أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل وكان قد أقام المشركون باحد يوم الاربعاء والخميس فخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة وصلى على رجل من الانصار مات فيه فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فمشى على راحلته فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله فى عدوة الوادى أى طرفه وجانبه وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل أى ادفعوا العدو عنا بالسهم حتى لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فاذا عاينوكم وولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين ثم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما خالف رأى عبد الله بن ابي وكان من قدماء أهل المدينة ورئيس المنافقين شق عليه ذلك وقال أطاع الولدان وعصانى ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد أصحابه أن اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم أعداءهم فانهزموا فسيتبعونكم ويصير الامر على خلاف ما قاله محمد عليه الصلاة والسلام فلما التقى الفريقان انهزم عبد الله بالمنافقين وكان عليه السلام قد خرج فى ألف رجل أو تسعمائة وخمسين رجلا فلما بلغوا الشوط رجع ابن أبي بثلثمائة وبقيت سبعمائة فقال لقومه يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم أبو جابر السلمى وقال أنشدكم الله فى نبيكم

وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم وكان الحيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس جناحي عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما باتباع عبد الله فعصمهم الله فثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقواهم الله تعالى حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام القوم طمعوا أن تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين فتركوا الموضع الذي أمرهم النبي عليه السلام بالثبات فيه ثم اشتغلوا بطلب الغنائم وخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فأراد الله أن يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وليعلموا أن ظفرهم انما حصل يوم بدر ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فنزع الله الرعب من قلوب المشركين وكانوا ثلاثة آلاف رجل فحملوا على المؤمنين وتفرق العسكر عن رسول الله عليه السلام حتى بقي معه سبعة من الانصار ورجلان من قريش فلما قصد الكفار النبي عليه الصلاة والسلام شجوا رأسه وكسروا رباعيته وثبت معه عليه السلام يومئذ طلحة ووقاه بيده فشلت أصبعاه وصار مجروحا في أربعة وعشرين موضعا ولما أصابه عليه السلام ما أصاب من الشجة وكسر الرباعية وغلب عليه الغشي احتمله طلحة ورجع القهقرى وكلما أدركه واحد من المشركين كان يضعه عليه السلام ويقاتله حتى أوصله الى الصخرة وكان عليه السلام يقول أوجب طلحة ووقعت الصيحة في العسكر ان محمدا قد قتل وكان في جملة الصحابة رجل من الانصار يكنى أبا سفيان نادى الانصار وقال هذا رسول الله فرجع اليه المهاجرون والانصار فشمل عز الشهادة اثنين وسبعين من المؤمنين واختص بشرائف نعم الله وجلائل كرمه حمزة سيد الشهداء وهنيأ له ان مثل به اذ مثل به وكثر فيهم الجراح فقال عليه الصلاة والسلام رحم الله رجلا ذب عن اخوانه وشد على المشركين بمن معه حتى كشفهم عن القتلى والجرحى وأعانهم الله حتى هزموا الكفار ثم ان كل ذلك يؤكد قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ وان المقبل من أعانه الله والمدبر من خذله الله ومن الله العصمة (والله سميع عليم) لما شاور النبي عليه السلام أصحابه في ذلك الحرب وقال بعضهم أقم بالمدينة وقال آخرون اخرج اليهم وكان لكل أحد غرض في قوله فمن موافق ومن منافق قال تعالى انا سميع لما يقولون عليم بما يضمرون (اذ همت) بدل من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير والهم تعلق الخاطر بما له قدر (طائفتان منكم) أيها المؤمنون وهما بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس (أن تفشلا) أي بأن تجبنا وتضعفا وترجعا لظنهما الصواب فيه والفشل الضعف والظاهر أن همهما ليس بمعنى العزم والقصد المصمم وانما هو خطرات وحديث نفس كما لا تخلو النفس عند الشدائد من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه (والله وليهما) أي عاصمهما من اتباع تلك الخطرات والجملة اعتراض (وعلى الله) وحده دون ما عداه مطلقا استقلالا واشتراكا (فليتوكل المؤمنون) في جميع أمورهم فانه حسبهم وفيه اشعار بأن وصف الايمان من دواعي التوكل وموجباته والتوكل الاعتماد على الغير واظهار العجز قال الامام وفي الآية اشارة الى أنه ينبغي أن يدفع الانسان ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله وأن يصرف الجزع عن نفسه بذلك التوكل قال سهل بن عبد الله التستري جملة العلوم أدنى باب من التعبد وجملة التعبد أدنى باب من الورع وجملة الورع أدنى باب من الزهد

وجعله الزهد أدنى باب من التوكل وقال أيضا علامة المتوكل ثلاث لا يسأل ولا يرد ولا يحبس وكان
ابراهيم الخواص رحمه الله مجردا فى التوكل وكان لا يفارقه ابرة وخيوط وركوة ومقراض
فقيل له يا أبا اسحق لم تحمل هذا وأنت ممتنع من كل شئ فقال مثل هذا لا ينقص التوكل لان لله
علينا فرائض والفقير لا يكون عليه غير ثوب واحد فربما تمزق ثوبه فاذا لم يكن معه ابرة وخيوط
تبدو عورته فتفسد عليه صلاته قال أبو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينما أنا أمشى فى
الطريق اذ وقعت فى بئر فنازعتني نفسي أن أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فما استتممت هذا
الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذه البئر لئلا
يقع فيها أحد فأتوا بقصب وطمسوا البئر فهممت أن أصيح ثم قلت فى نفسى أشكو الى من هو
أقرب منهما فسكت فبينما أنا بعد ساعة اذا أنا بشئ قد جاء وكشف عن رأس البئر وأدخل رجله
وكأنه يقول لى تعلق بى فى همهمة له كنت أعرف ذلك منها فتعلقت به فأخرجنى فاذا هو سبع فمر
وهتف بى هاتف يا أبا حمزة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت قال بعضهم من وقع
فى ميدان التفويض يزف اليه المراد كما تزف العروس الى أهلها ولما زج بابراهيم عليه السلام
فى المنجنيق وأتاه جبريل فقال ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما الى الله فبلى قال سله قال حسبى من
سؤالى علمه بحالى وقد قال نبينا عليه السلام يقول الله تعالى من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته
أفضل ما أعطى السائلين فعلى السالك أن يتوكل على الله ويفوض أمره اليه فان كل ما قضى وقدر
لا يرد البتة وان تعدت نفسك فى ذلك * قضا كشتى آنجا كه خواهد برد * وكرناخدا جامه برتن
درد * بكفيك علم الله بحالك فاقطع نظرك عن الاسباب والفتح ليس الا من مفتح الابواب مكن
سعديا ديده بردست كس * كه بخشنده پروردكارست وبس * اكر حق پرستى ز درها بست * كه كرو
براند نخواند كست * (ولقد نصركم الله ببدر) تذكير ببعض ما أفادهم التوكل وبدر بئر ماء بين
مكة والمدينة حافرها رجل اسمه بدر فسمى به وكانت وقعة بدر فى السابع عشر من شهر رمضان
سنة اثنتين من الهجرة (وأنتم أذلة) حال من الضمير جمع ذليل وانما قال أذلة ولم يقل ذلائل ليجمع
الكثرة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال
والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم
الا فرس واحد للمقداد بن الاسود وهو أول من قاتل على فرس فى سبيل الله وتسعون بعيرا وست
أدرع وثمانية سيوف وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا ستة وسبعون من المهاجرين
وبقيتهم من الانصار وكان عدوهم فى حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة
والشوكة وكان صاحب راية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه
وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة رضى الله عنه (فاتقوا الله) فى الثبات مع رسوله كما اتقيتم
يومئذ (لعلكم تشكرون) أى راجين أن تشكروا ما أنعم به عليكم بتقواكم من النصرة (اذ تقول)
ظرف لنصركم وقت قولك (للمؤمنين) حين اظهروا العجز عن المقاتلة (ألن يكفيكم أن يمدكم
ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة) الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد اعانة الجيش
بالجيش والمعنى انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للاشعار بأنهم كانوا حينئذ
كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرته (منزلين) أى حال كونهم نازلين من

السماء باذنه تعالى قيل أمدهم الله أولا بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة وانما قدم لهم الوعد
بنزول الملائكة لتتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله (بلى) ايجاب لما بعد أن
وتحقيق له أى بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية
لقلوبهم فقال (ان تصبروا) على لقاء العدو ومناهضتهم (وتتقوا) معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله
عليه وسلم (ويأتوكم) أى ان يجيئكم المشركون (من فورهم هذا) أى من ساعتهم هذه (يمددكم
ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فى حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله يعجل
نصرتكم ويسهل فتحكم ان صبرتم واتقيتم (مسومين) من التسويم الذى هو اظهار سيما الشئ
أى معلمين أنفسهم أو خيلهم فى اذنابها ونواصيها بالصوف الابيض قال عليه السلام لاصحابه
تسوموا فان الملائكة قد تسومت (روى) ان الملائكة كانوا بعمائم بيض الا جبريل عليه السلام
فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام ونزلوا على الخيل البلق موافقة لفرس
المقداد واكرامًا له (وما جعله الله) عطف على مقدر أى فأمدكم به وما جعل الله ذلك الامداد
بانزال الملائكة عيانا بشئ من الاشياء (الا بشرى لكم) بأنكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به)
أى بالامداد وتسكن اليه من الخوف كما كانت السكينة لبنى اسرائيل (وما النصر الا) كائن
(من عند الله) لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة فى نصرهم الى مدد وانما أمدهم
بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب أكثر فينبغى للمؤمن
أن لا يركن الى شئ من ذلك فان ترتب النصر عليها ليس الا بطريق جرى العادة (العزيز) الذى
لا يغالب فى حكمه وقضيته (الحكيم) الذى يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
(ليقطع) متعلق بنصركم أى نصركم الله يوم بدر ليهلك وينقص (طرفا من الذين كفروا) أى
طائفة منهم بقتل وأسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون وأسر سبعون
(أو يكبتهم) أى يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ أو وهن يقع فى القلب من
كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وأو للتنويع دون الترديد (فينقلبوا
خائبين) غير ظافرين بمبتغاهم وينهزموا منقطعى الآمال والخيبة هو الحرمان من المطلوب
والفرق بينهما وبين اليأس أن الخيبة لا تكون الا بعد التوقع وأما اليأس فانه قد يكون بعد
التوقع وقبله فنقيض اليأس الرجاء ونقيض الخيبة الظفر (ليس لك من الامر شئ) اعتراض
(أو يتوب عليهم أو يعذبهم) عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك أمرهم على الاطلاق
فاما أن يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم ان أسلموا أو يعذبهم تعذيبا شديدا أخرويا
ان أصروا وليس لك من أمرهم شئ وانما أنت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم (فانهم ظالمون)
قد استحقوا التعذيب بظلمهم (ولله ما فى السموات وما فى الارض) من الموجودات خلقا
وملكا لا مدخل فيه لاحد أصلا فله الامر كله (يغفر لمن يشاء) أن يغفر له مشيئة مبنية
على الحكم والمصالح (ويعذب من يشاء) أن يعذبه وقدم المغفرة لسبق رحمته تعالى غضبه
وهذا صريح فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له (والله غفور رحيم)
لعباده والمقصود بيان انه وان حسن كل ذلك منه الا ان جانب الرحمة والمغفرة غالب لا على سبيل
الوجوب بل على سبيل التفضل والاحسان فليبادر العاقل الى الاعمال التى يستوجب بها رحمة

الله تعالى ولا ييأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون أوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام ياداود بشر المذنبين وأنذر الصديقين قال يارب فكيف أبشر المذنبين وأنذر
الصديقين قال بشر المذنبين بأني لا يتعاظمني ذنب الا أغفره وأنذر الصديقين أن لا يعجبوا بأعمالهم
واني لا أضع عدلي وحسابي على أحد الا أهلكه وروى عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه دخل على
النبي عليه السلام فوجده يبكي فقال ما يبكيك يارسول الله قال جاءني جبريل فقال ان الله
يستحيي ان يعذب أحدا قد شاب في الاسلام فكيف لا يستحيي من شاب في الاسلام أن يعصي الله
قالواجب على الشيخ أن يعرف هذه الكرامة ويشكر الله ويستحيي منه ومن الكرام الكاتبين
ويمتنع من المعاصي ويكون مقبلا على طاعة ربه فانه في ساحل بحر المنون (روى) ان الحجاج
لما أقام بالعراق يرهب ويقتل حتى استوثقت له الامور خرج عليه عبد الرحمن بن الاشعث باهل
العراق فأمده عبد الملك باهل الشام فكانوا اشيعته واستمرت بينه وبين ابن الاشعث الوقائع حتى
هزمها الحجاج بدير الجماجم بعد ثمانين وقعة في ستة أشهر وكان مع ابن الاشعث أكثر من مائتي
ألف فلما هزموا قال الحجاج لاصحابه اتركوهم فليتبددوا ولا تتبعوهم ثم نادى مناديه من رجع
فهو آمن ودخل الكوفة وجاء الناس من المنهزمين يبايعونه فكان يقول لمن جاء يبايعه اشهد على
نفسك بالكفر وخروجك عن الجماعة ثم تب فان شهد والا قتله فأتاه رجل من خثعم فقال اشهد
على نفسك بالكفر فقال ان كنت عبدت ربي ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر لبئس العبد
انا والله ما بقي من عمري الا ظمء حمار واني أنتظر الموت صباحا ومساء فأمر به فضرب عنقه وقدم
بعده شيخ فقال الحجاج ما أظن الشيخ يشهد على نفسه بالكفر فقال يا حجاج أتخادعني عن
نفسي انا أعرف بها منك واني لأكفر من فرعون وهامان فضحك الحجاج وخلى سبيله فانظر الى
ضعف ايمانه كيف ارتكب هذا القبيح بعد ما جاوز حد الشباب الذي ايس بعده الا انتظار الموت
صباحا ومساء من اقراره بالكفر مع غاية شيبه ومن لم تتداركه العناية الازلية لم يجئ منه شئ فعلى
السالك ان يطمئن قلبه بالايمان ويجتهد الى أن يصل الى قوة اليقين ومن قوة اليقين التوحيد
وهو أن يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ويرى الوسايط مسخرة لحكمه ولاريب ان قوة
اليقين بتصفية القلب عن كدورات النفس * چو پاك آفريدت بهش باش وپاك * كه ننكست
ناپاك رفتن بخاك * بيابى بيفشان از آيينه كرد * كه صيقل نكيرد چو زنكار خورد * وجلاء القلب
انما يحصل بذكر الله وتلاوة القرآن والصلاة على النبي عليه السلام وخير الاذكار كلمة التوحيد
وهي العروة الوثقى قال ابراهيم الخواص قدس سره دواء القلب خمسة تلاوة القرآن بالتدبر
وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع الى الله تعالى عند السحر ومجالسة الصالحين فعليك
بالمواظبة لهذه الخصال لعلك تصل الى التزكية ودرجة الكمال بعون الله الملك العزيز المتعال
(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا) المراد بأكله أخذه وانما عبر عنه بالاكل لانه معظم ما يقصد
بالاخذ ولشيوعه في المأكولات مع ما فيه من زيادة التشنيع (أضعافا مضاعفة) زيادات مكررة
كان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان مائة درهم الى أجل ولم يكن المديون واجدا لذلك
المال قال زدني في المال حتى أزيد في الاجل فربما جعله مائتين ثم اذا حل الاجل الثاني فعل مثل
ذلك ثم الى آجال كثيرة فيأخذ بسبب تلك المائة أضعافها واضعافا فاجمع ضعف حال من الربا أي

متضاعفا ولما كان جمع قلة والمقصود الكثرة أتبعه بما يدل على الكثرة حيث وصفه بقوله مضاعفة
وهي اسم مفعول لا مصدر وهذه الحال ليست لتقييد النهي بها حيث تنتفي الحرمة عند انتفائها
بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم على ذلك (واتقوا الله) فيما نهيتم عنه خصوصا الربا
وعمله (لعلكم تفلحون) راجين الفلاح (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) بالتحرز عن متابعتهم
وتعاطي ما يتعاطونه وفيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة وكان
أبو حنيفة رحمه الله يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة
للكافرين إن لم يتقوه في أصناف محارمه (وأطيعوا الله) في كل ما أمركم به ونهاكم عنه
(والرسول) الذي يبلغكم أوامره ونواهيه (لعلكم ترحمون) راجين لرحمته ولعل وعسى في أمثال
ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له قال القاشاني ولا يخفى على الفطن ما فيه من المبالغة
في التهديد على الربا حيث أتى بلعل في فلاح من اتقاه واجتنبه لأن تعليق امكان الفلاح ورجاءه
بالاجتناب منه يستلزم امتناع الفلاح لهم اذا لم يجتنبوه ويتقوه مع ايمانهم ثم أوعدهم بالنار
التي أعدت للكافرين مع كونهم مؤمنين فما أعظمها من مصيبة توجب عقاب الكفار للمؤمنين
وما أشده من تغليظ عليه ثم أمد التغليظ بالأمر بطاعة الله ورسوله تعريضا بأن آكل الربا منهمك
في المعصية لا طاعة له ثم علق رجاء المؤمنين بطاعة الله ورسوله اشعارا بأنه لا رجاء للرحمة مع هذا
النوع من العصيان فهو يوجب اليأس من رحمته للمؤمنين لامتناعها لهم معه فانظر كيف أدرج
التغليظ في التهديد حتى ألحقه بالكفار في الجزاء والعقاب انتهى بعبارته قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه والمحلل والربا عبارة عن طلب الزيادة
على المال على الوجه الذي نهى الله عنه وهو قسمان ربا النسيئة وربا الفضل أما ربا النسيئة فهو
ما كان يتعارفه أهل الجاهلية ويتعاملون به وقد سبق آنفا وأما ربا الفضل أي أخذ الفضل
عند مقابلة الجنس بالجنس نقدا فهو أن يباع من من الحنطة بمنين منها وما أشبه ذلك وقد اتفق
جمهور العلماء على تحريم الربا في القسمين واعلم أن الربا يؤدي الى الحرص على طلب الدنيا اضعافا
مضاعفة الى ما لا يتناهى كما قال عليه الصلاة والسلام لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى
اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب والحرص دركة من دركات النيران فلذا قال
واتقوا النار التي أعدت للكافرين * قناعت كن أي نفس بداندكى * كه سلطان ودرويش بينى
يكى * فالحرص على الدنيا وسعيها وجمعها مذموم منهي عنه والبذل والايثار وترك الدنيا والقناعة
فيها محمود مأمور به يدل عليه قوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات فمن أخذ الربا لتكثير المال
بلا احتياج كان كمن يقع على أمه نعوذ بالله روي عن عبد الله بن سلام للربا اثنان وسبعون حوبا
أصغرها كمن أتى أمه في الاسلام كذا في تنبيه الغافلين واذا أخذه بوجه شرعي مع الاحتياج
يجوز في الفتوى ولكن التقوى فوق أمر الفتوى والحيلة الشرعية فيه ذكرها قاضيخان حيث
قال رجل له على رجل عشرة دراهم فأراد أن يجعلها ثلاثة عشر قالوا يشتري من المديون شيأ بتلك
العشرة ويقبض المبيع ثم يبيعه من المديون بثلاثة عشر الى سنة فيقع التحرز عن الحرام ومثل
هذا مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا احتاج الى الاستقراض فاستقرض من رجل
فلم يعطه الا بالربا فالاثم على آخذ الربا دون معطيه لأن له فيه ضرورة وهذا اذا كان الآخذ غنيا

كما عرفت فالمرء الصالح يتباعد عن مثل هذه المعاملات فان الربا يضر بايمان المؤمنين وهو وان كان زيادة في المال لكنه نقصان في الحقيقة فان الفقراء الذين يشاهدون ان المرابي يأخذ أموالهم بسبب الربا يلعنونه ويدعون عليه وذلك يكون سببا لزوال الخير والبركة عنه في نفسه وماله بل عما يتفرع من نقص عرضه وقدره وتوجه مذمة الناس اليه وسقوط عدالته وزوال أمانته وفسق القلب وغلظته وآخذ الربا لا يقبل الله منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلاة وقد ثبت في الحديث ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام فاذا كان الغني من الوجه الشرعي الحلال كذلك فما ظنك بالغني من الوجه الحرام فالانسان مع فقره وحاجته اذا توكل على الله وأحسن الى عبيده فالله تعالى لا يتركه ضائعا جائعا في الدنيا بل يزيد كل يوم في جاهه وذكره الجميل وعيل قلوب الناس اليه واما اذا كان بخلاف ذلك فيكون أمره عسيرا في الدنيا والآخرة والعمل السوء ينزع به الايمان عند الموت فيستحق به صاحبه الخلود في النار كالكفار نعوذ بالله من ذلك * وروى أبو بكر الوراق عن أبي حنيفة رحمه الله أكثر ما ينزع الايمان لاجل الذنوب من العبد عند الموت وأسرعها نزعا للايمان ظلم العباد فاتق أيها المؤمن من الله ولا تظلم عباد الله بأخذ أموالهم من أيديهم بغير حق فانه حوب كبير عصمنا الله واياكم من سوء الحال (وسارعوا) أي بادروا واقبلوا (الى مغفرة) كائنة (من ربكم وجنة) الى ما يستحقان به كالاسلام والتوبة والاخلاص وأداء الواجبات وترك المنهيات (عرضها السموات والارض) أي كعرضهما صفة لجنة وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل فان العرض في العادة أدنى من الطول (أعدت للمتقين) أي هيئت لهم صفة أخرى لجنة وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وانها خارجة عن هذا العالم أما الاول فلدلالة لفظ الماضي وأما الثاني فلأن ما يكون عرضه كعرض جميع هذا العالم لا يكون داخلا فيه (روي) ان رسول هرقل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انك تدعوا الى جنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال عليه السلام سبحان الله فأين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله أعلم اذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل (الذين ينفقون) كل ما يصلح للانفاق وهو صفة مادحة للمتقين (في السراء والضراء) أي في حالتي الرخاء والشدة أي الغنى والفقر واليسر والعسر وفي الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة أو مضرة أي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل أو كثير (والكاظمين الغيظ) عطف على الموصول والكظم الحبس والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب أي الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه (والعافين عن الناس) أي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته (والله يحب المحسنين) الذين عمت فواضلهم وتمت فضائلهم ولامه يصلح للجنس فيدخل تحته هؤلاء وللعهد فتكون الاشارة اليهم واعلم ان الاحسان الى الغير اما أن يكون بايصال النفع اليه أو بدفع الضرر عنه أما ايصال النفع اليه فهو المراد بقوله الذين ينفقون في السراء والضراء ويدخل فيه انفاق العلم وذلك بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين ويدخل فيه انفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات قال عليه الصلاة والسلام السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار

والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار وأما دفع الضرر عن الغير فهو اما فى الدنيا وهو أن لا يشتغل بمقابلة تلك الاساءة باساءة أخرى وهو المراد بكظم الغيظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا واما فى الآخرة وهو أن يبرئ ذمته من التبعات والمطالبات فى الآخرة وهو المراد بقوله والعافين عن الناس (روى) أنه ينادى مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان هؤلاء فى أمتى قليل الا من عصمه الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت فهذه الآية دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير ولما كانت هذه الامور الثلاثة مشتركة فى كونها احسانا الى الغير ذكر ثوابها فقال والله يحب المحسنين فان محبة الله العبد أعظم درجات الثواب قال الفضيل بن عياض الاحسان بعد الاحسان مكافأة والاساءة بعد الاساءة مجازاة والاحسان بعد الاساءة كرم وجود والاساءة بعد الاحسان لؤم وشؤم (حكى) ان خادما كان قائما على رأس الحسن بن على رضى الله عنه وهو مع أضيافه فى المائدة فانحرفت قصعة كانت فى يد الخادم فسقط منها شئ على الحسن فقال والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك فقال والله يحب المحسنين قال أنت حر لوجه الله وقد زوجتك فلانة فتاتى وعلىّ ما يصلحكما (قال الفاضل الجامى) جوانمردا جوانمردى بياموز * زمردان جهان مردى بياموز * درون از كين كين جويان نكه دار * زبان از طعن بدكويان نكه دار * نكويى كن بآن كو با تو بد كرد * كه آن بد رخنه در اقبال خود كرد * جو آيين نكوكارى كنى ساز * نكردد جز بتو آن نكويى باز * فعلى العاقل ان يسارع الى العمل بالحسنات من الاحسان وأنواع الخيرات سريعا قبل الفوات لان فى التأخير آفات * كنون وقت تخمست اكر پرورى * كر اميد دارى كه خرمن برى * يعنى ان كنت تأمل الجنة فاعبد ربك بانواع العبادات مادمت فى الحياة فان الفرصة غنيمة والمتأخر عن السير الى الله مغبون قيل (يا ساقى كه فى التأخير آفات) ومن أضاع عمره فى الهوى فلا يلحقه يوم القيامة الا الحسرة والندامة * چه سود آيد انرا كه سرمايه خورد * والله تعالى خلق الانسان لدخول الجنة ودرجاتها والنار ودركاتها ثم أرسل المرسلين مبشرين بالجنة ومنذرين بالنار وحث بالاتقاء والحذر عن النار كما قال واتقوا النار التى أعدت للكافرين وحرض على المسارعة الى الجنة بقوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم أى سارعوا بقدم التقوى الى مقام من مقامات قرب ربكم وجنة عرضها السموات والارض يعنى طولها فوق السموات والارض والاشارة فيه أن الوصول اليها بعد العبور من ملك السموات والارض وهو المحسوسات التى تدركها الحواس الخمس والعبور عنها انما يكون بقدم التقوى الذى هو تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة كما قال أعدت للمتقين فان قدم التقوى الذى يولج به فى عالم الملكوت هو التزكية ويدل عليه ما قال عيسى عليه الصلاة والسلام ان يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هى الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها وولوج الملكوت وهو التحلية بالصفات الروحانية وقوله أعدت للمتقين أى هم مخصوصون بها ومراتبهم فى الدرجات العلى وهو بقدر تقوى النفوس وتزكيتها عصمنا الله واياكم من الشرور والاوزار وشرفنا بمقامات الابرار والاخيار (والذين اذا فعلوا فاحشة) أى فعلة بالغة فى القبح

نزلنا (أو ظلموا أنفسهم) بأن أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذ به الانسان أو الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك (ذكروا الله) تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء أو وعيده (فاستغفروا لذنوبهم) بأن يندموا على ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل وأما مجرد الاستغفار باللسان فلا أثر له في ازالة الذنب وانما هو حظ اللسان من الاستغفار وهو توبة الكذابين (ومن) استفهام انكاري أي لا (يغفر الذنوب) أي جنس الذنوب احد (الا الله) بدل من الضمير المستكن في يغفر وهو اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه تصويبا للتائبين وتطييبا لقلوبهم وبشارة لهم بوصف ذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة واجلالا لهم واعلاء لقدرهم بأنهم علموا أن لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان من كرمه أن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وان العبد اذا التجأ اليه في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه عفا عنه وتجاوز عن الذنوب وان جلت فان عفوه أجل وكرمه أعظم وتحريضا للعباد على التوبة وبعثا عليها وعلى الرجاء وردعا عن اليأس والقنوط (ولم يصروا) عطف على فاستغفروا أي لم يقيموا (على ما فعلوا) من الذنوب فاحشة كانت أو ظلما غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة ولا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار أي الصغيرة مع الاصرار كبيرة (وهم يعلمون) حال من فاعل يصروا أي لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما أنه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به (أولئك) أي أهل هذه الصفات (جزاؤهم) أي ثوابهم (مغفرة) كائنة (من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) أي لهم ذخر لا يبخس وأجر لا يوكس وجنات لا تنقضي ولذات لا تمضي (ونعم أجر العاملين) المخصوص بالمدح محذوف أي ونعم اجر العاملين ذلك أي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما استحقتا بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك قال ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ابن آدم انك ان تلقني بقراب الارض خطايا لقيتك بقرابها مغفرة بعد ان لا تشرك بي شيأ ابن آدم انك ان تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان السماء ثم تستغفرني أغفر لك * قال ثابت البناني بلغني أن ابليس بكى حين نزلت هذه الآية وهي قوله والذين الآية وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم ويصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له روي ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل يا موسى كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة * وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجري على اليبس

قال القشيري رحمه الله أوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام قل للظلمة حتى لا يذكروني فاني أوجبت ان أذكر من يذكرني وذكري للظلمة باللعنة واعلم ان العمدة هي الايمان وذلك انما يحصل بالتوحيد المنافي للشرك وهو المؤدي الى التوبة والاستغفار ولكونه عمدة عند المؤمن الموحد

من المتقين وصار سببا لدخول الجنة فينبغي للعبد أن يصرف اختياره الى جانب الامتثال للامر والاجتناب عن النهي فالله تعالى خالقه وان كان التوفيق الى جانب العمل أيضا من عنايته تعالى * نخست اوارادت بدل درنهاد * پس این بنده بر آستان سرنهاد * وفقنى الله وايا كم الى ما يحب ويرضى ويداوى بلطفه وكرمه هذه القلوب المرضى فان بيده مفاتيح الاصلاح والفوز بالبغية والظفر بالفلاح * شنيدستم كه ابراهيم ادهم * شبى بر تخت دولت خفت خرم * زسقف خود شنيد او از پايى * زجا برجست چون آشفته رايى * بتندى گفت أو كين كيست بربام * كه دارد بر سپهر قصر ما كام * جواب آمد كه أى شاه جهانگير * شترگم كرده مرد منلسم پير * زخنده گشت شه برجاى خود سست * كه بربام آدمى هرگز شتر جست * دگر بار باسخ آمد كاى جوان بخت * خدا جويى كسى كردست بر تخت * خدا جويى وخورد وخواب وآرام * شتر جويى بود بر گوشه بام * چو بشنيد اين پيام از هاتف غيب * فراغت كرد از دنيا بلا ريب * رسيد از راه تجريدى بمنزل * پس از ادبار شد مقبول ومقبل * فالواجب على طالب الحق أن يحفظ الادب حتى يرتقى بذلك الى أعلى الرتب ألا ترى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف كان يستغفر كل يوم سبعين مرة مع أن ذنبه كان مغفورا وبكمال أدبه وصل الى ما وصل حتى صار اتباعه سببا لمحبة الله تعالى كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ومع ذلك كان خوفه واجلاله فى غاية الكمال وهكذا ينبغى لمن اقتدى به ورتبة المحسن وان كانت أولى ولكن التدارك أحسن من الاصرار فطوبى لمتدارك وصل الى الاحسان وانجبر نال الى المحبوبية عند الله الرحمن (قد خلت من قبلكم سنن) أصل الخلو الانفراد والمكان الخالى هو المنفرد عن يسكن فيه ويستعمل أيضا فى الزمان الماضى لان ما مضى انفرد عن الوجود وخلا عنه وكذا الامم الخالية والسنن الوقائع أى قد مضت من قبل زمانكم وقائع سنها الله فى الامم المكذبة أى وضعها طريقة يسلكها على وفق الحكمة فالمراد بسنن الله تعالى معاملات الله فى الامم المكذبة بالهلاك والاستئصال بدليل قوله تعالى فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (فسيروا فى الارض) أى ان شككتم فى ذلك فسيروا وليس المراد الامر بالمسافرة فى الارض بسير الاقدام لا محالة بل المقصود تعرف أحوالهم فان حصلت المعرفة بغير السير حصل المقصود ولعل اختيار لفظ سيروا مبنى على ان أثر المشاهدة أقوى من أثر السماع كما قيل ليس الخبر كالمعاينة وفى هذا المعنى قيل

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

(فانظروا) بنظر العين والمشاهدة (كيف) خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة فى محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار (كان عاقبة المكذبين) رسلى وأوليائى (هذا) اشارة الى ما سلف من قوله قد خلت الخ (بيان للناس) وهم المكذبون أى ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين أيضا على ان ينظروا الى عواقب من قبلهم من أهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم والبيان هو الدلالة على الحق فى أى معنى كان بازالة ما فيه من الشبهة (وهدى) أى زيادة بصيرة

وهو مختص بالدلالة والارشاد الى طريق الدين القويم والصراط المستقيم ليتدين به ويسلك (وموعظة) وهو الكلام الذى يفيد الزجر عما لا ينبغى فى الدين (للمتقين) أى لكم والاظهار للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم واعلم أن الامم الماضية خالفوا الانبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم أثر وبقى عليهم اللعن فى الدنيا والعقاب فى الآخرة فرغب الله تعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم المصدقين فى تأمل أحوال هؤلاء الماضين ليصير ذلك داعيا لهم الى الانابة والاعراض عن الاغترار بالحظوظ الفانية واللذات المنقضية فان الدنيا لا تبقى مع المؤمن ولا مع الكافر فالمؤمن يبقى له بعد موته الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى والكافر بخلافه فاللائق أن يجتهد فيما هو خير وأبقى ولا ينظر الى زخارف الدنيا ثم فى هذا تسلية للمؤمنين فيما أصابهم يوم أحد فان الكفار وان نالوا من المؤمنين بعض النيل لحكمة اقتضته فالعاقبة للمؤمنين قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وان الارض يرثها عبادى الصالحون ولو كانت الغلبة كل مرة للمؤمنين لصار الايمان ضروريا وهو خلاف ما تقتضيه الحكمة الالهية فعلى العاقل أن يفوض الامر الى الله ويعتبر بعين البصيرة فى الامور الخفية والجلية وقد قال الله تعالى فاعتبروا يا أولى الابصار * نرود مرغ سوى دانه فراز * چون دكر مرغ بيند اندر بند * پند كير از مصائب دكران * تا نكيرند ديكران زتو پند * والخوف من العاقبة من الصفات السنية للصلحاء روى أنه يعذب الرجل فى النار ألف سنة ثم يخرج منها الى الجنة قال الحسن البصرى رحمه الله يا ليتنى كنت ذلك الرجل وانما قال الحسن ذلك لانه يخاف عاقبة أمره وهكذا كان الصالحون يخافون عاقبة أمرهم وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله انك تكثر تقول بهذا الدعاء فهل تخشى قال صلى الله عليه وسلم ما يؤمننى يا عائشة وقلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن فاذا أراد أن يقلب قلبا قلبه قال السرى انى لانظر فى المرآة كل يوم مرارا مخافة أن يكون قد اسود وجهى والاشارة فى الآيتين أن الله حض السائرين الى الله بالمهاجرة عن الاوطان والمسافرة الى البلدان بمفارقة الخلان والاخدان ومصاحبة الاخوان غير الخوان ليعتبروا من سنن أهل السنن فقال تعالى قد خلت من قبلكم سنن أى أمم لهم سنن فسيروا على سنن أهل السنة فى أرض نفوسكم الحيوانية بالعبور عن أوصافها الدنية وأخلاقها الردية لتبلغوا سماء قلوبكم الروحانية وتتخلقوا بالاخلاق الربانية فانظروا كيف صار حاصل أمر النفوس المكذبة بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية عند الوصول اليها هذا بيان للناس أى لاهل الغفلة والغيبة الناسين عهد الميثاق وهدى وموعظة للمتقين أى وعيان لاهل الهداية والشهود الذاكرين للعهود الذين اتعظوا بالتجارب والتقوى عما سوى الله تعالى قال بعض العلماء يا مغرور أمسك وقس يومك بأمسك واتعظ بمن مضى من ابناء جنسك فانك بك قد حلت فى رمسك أين من أخطأ ولا ينيل ما يهواه أين من أفنى عمره فى خطاياه فقد كرأت أيها الغافل مصارعهم وانظر مواضعهم هل نفعهم رفيق رافقوه أو منعهم ما خلوا بخلالهم اما انفردوا بأعمالهم فتبصر فى مصيرهم فتدبر أمرك وتمكن فى

مثل مساكنهم فاعمر قبرك يا مسرورا بمنزله الرحب الانيق ستفارقه يا مشمئزا من التراب ستعانقه اعتبر عن سبقك فأنت لاحقه واذكر العهد الازلى فرقك شأنك حياء من الله لعلك تصل الى ما تهواه من جنات وعيون ومقام كريم ووصال الى رب رحيم قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا فاذا يتعدنك عن رفقة الصالحين وهل ترضى لنفسك يا مسكين أن تقف فى مقام الجهال المعتدين اما علمت انك غدا تدان كما تدين اصلح الله أحوالنا وصحح أقوالنا وأفعالنا وأعطانا آمالنا وختمنا بالخير اذا بلغنا آجالنا (ولا تهنوا) من الوهن وهو الضعف أى لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم من الجراح يوم أحد (ولا تحزنوا) على من قتل منكم وهى صيغة نهى ورد للتسكين والتصبير لا للنهى عن الحزن (وأنتم الاعلون) أى والحال انكم الاعلون الغالبون دون عدوكم فان مصير أمرهم الى الدمار حسبما شاهدتم فى أحوال أسلافهم لان الباطل يكون زهوقا وأصله اعليون فكرهوا الجمع بين أخت الكسرة والضمة (ان كنتم مؤمنين) والجواب محذوف دل عليه المذكور أى ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه ولا يتعلق بالنهى المذكور لان الجزاء لا يتقدم على الشرط لكونهما كالكلمة الواحدة (ان يمسسكم) أى يصبكم (قرح) فتحا وضما أى جراحة (فقد مس القوم) أى الكفار ببدر (قرح مثله) قيل قتل المسلمون من الكافرين ببدر سبعين وأسروا سبعين وقتل الكافرون من المسلمين باحد سبعين وأسروا سبعين والمعنى ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم أولى بأن لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون (وتلك الايام) اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والآتية كافة لا الى المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هى داخلة فيها دخولا أوليا والمراد بها أوقات الظفر والغلبة (نداولها بين الناس) نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقول من قال

فيوما علينا ويوما لنا ● ويوما نساء ويوما نسر

والمداولة نقل الشئ من واحد الى واحد وقالوا تداولته الايدى أى تناقلته وليس المراد من هذه المداولة ان الله تعالى تارة ينصر المؤمنين وأخرى ينصر الكافرين وذلك لان نصره تعالى منصب شريف فلا يليق بالكافر بل المراد انه تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين وانه لو شدد المحنة على الكفار فى جميع الاوقات وأزالها عن المؤمنين فى جميع الاوقات لحصل العلم الضرورى والاضطرارى بان الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على أهل الايمان وأخرى على أهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر فى الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله ولان المؤمن قد يقدم على بعض المعاصى فيكون تشديد المحنة عليه فى الدنيا أدبا له وأما تشديد المحنة على الكافر فانه يكون غضبا من الله (وليعلم الله الذين آمنوا) عطف على علة محذوفة أى نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيما فعل غير واحدة وانما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم وهو اما من باب التمثيل أى ليعاملكم معاملة من يريد أن يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم أو العلم

فيه مجاز عن التمييز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب أى ليميز الثابتين على الايمان من
غيرهم أو هو على حقيقة معتبرة من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذى
يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة فالمعنى ليعلم الله الذين آمنوا علما يتعلق به
الجزاء (ويتخذ منكم شهداء) جمع شهيد أى ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء أحد
(والله لا يحب الظالمين) ونفى المحبة كناية عن البغض أى يبغض الذين يضمرون خلاف
ما يظهرون أو الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة
وانما يغلبهم أحيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين (وليمحص الله الذين آمنوا) عطف على
يتخذ أى ليصفيهم ويطهرهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم (ويمحق الكافرين) ويهلكهم
ان كانت عليهم والمحق نقص الشئ قليلا قليلا والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم أحد وأصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا قال القاشانى ومن فوائد
الابتلاء خروج ما فى استعداداتهم من الكمالات الى الفعل كالصبر والشجاعة وقوة اليقين وقلة
المبالاة بالنفس واستيلاء القلب عليها والتسليم لامر الله وأمثالها قال نجم الدين الكبرى
ولا تهنوا ايها السائرون الى الله فى السير اليه ولا تحزنوا على ما فاتكم من التنعمات الدنيوية
والكرامات الاخروية وأنتم الاعلون من أهل الدنيا والآخرة فى المقام عند ربكم ان كنتم
مصدقين بهذه الاخبار تصديق الاثمار به ان يمسسكم قرح فى أثناء السير من المجاهدات وأنواع
البلاء والابتلاء فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح من المحن مثله وأيام المحن والبلاء
والابتلاء والامتحان نداولها بين السائرين يوما نعمة ويوما نقمة ويوما محنة ويوما منحة
وليختبرهم الله بالامتحان ويجعلهم مستعدين لمقام الشهادة ويتخذ منكم يا مبتلين بالنعمة
والنقمة فى أثناء السير أرباب الشهود والمشاهدة والله لا يحب الذين يصرفون استعدادهم
فى طلب غير الحق والسير اليه وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين يعنى أن كل غم وهم
ومصيبة تصيب المؤمنين فى الله يكون تكفيرا لذنوبهم وتطهيرا لقلوبهم وتخليصا لارواحهم
وتمحيصا لأسرارهم وما يصيب الكافرين من نعمة ودولة وسرور يكون سببا لكفرانهم ومزيدا
لطغيانهم وعمى لقلوبهم وتمردا لنفوسهم ومحقا لارواحهم ومحقا لاسرارهم فاهل المحبة والمعرفة
لا يخلون عن الابتلاء بدنا أو ذلة أو علة فان مقتضى الحكمة ذلك ألا ترى الى قوله عليه الصلاة
والسلام أشد البلاء على الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل (حكى) ان عيسى عليه السلام
اجتاز جبلا فيه عابد يعبد الله عند عين من ماء لطهارته وشربه وبستان ينبت له الهندبا لقوته
فسلم عليه المسيح فرد السلام عليه فقال له منذ كم أنت ههنا تعبد الله قال منذ ثمانين سنة اسأل
حاجة من الله فلم يقضها لى فقال عيسى وما هى قال أن يسكن قلبى ذرة من معرفته ومحبته فلا
يذهل وأنت نبيه فسل لى هذه الحاجة فتوضأ عيسى من العين وصلى ركعتين وسأل حاجته ثم مضى
وبقى ما بقى فى سفره فلما رجع الى ذلك المكان رآه خاليا والعين غائرة والبستان خراب فقال يارب
سألتك له المعرفة والمحبة فقبضت روحه فأوحى الله اليه يا عيسى أما علمت ان خراب الدنيا فى محبتى
ومعرفتى ومن عرفنى وأحبنى لا يسكن الا الى ولا يقر قرارا فان احببت أن تراه فأشرف عليه فى
هذا الوادى فاشرف عليه فاذا هو جالس قد ذهل وتحير وخرج لسانه على صدره شاخصا ببصره

نحو السماء فناداه عيسى والعابد لا يسمع فناداه وحركه فلم يشعر فأوحى الله الى عيسى فوعزتي وجلالي لو قطعته بالسيف ما شعر به لاني أسكنت قلبه معرفتي ومحبتي وهو أقل من ذرة ولو زدته أدنى شئ لطار بين السماء والارض وطاش فانظر الى أهل الله كيف تكون دنياهم خرابا لا يخلون من البلايا فاجتهد أنت أيضا أيها العبد في تصحيح الدين لعلك تصل الى مقام اليقين والتمكين والمجاهدة تورث المشاهدة * چو يوسف كسى در صلاح وتميز * بسى سال بايد كه گردد عزيز

(أم حسبتم) أم منقطعة والهمزة للانكار والاستبعاد والحسبان الظن والخطاب للذين انهزموا يوم أحد أى بل أظننتم (أن تدخلوا الجنة) وتفوزوا بنعيمها (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل بعيد عمن يعلم أنه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم أى لما تجاهدوا لان وقوع الشئ يستلزم كونه معلوما لله ونفى اللازم يستلزم نفى الملزوم فنزل نفى العلم منزلة نفى الجهاد للتأكيد والمبالغة لان انتفاء اللازم برهان على انتفاء الملزوم وفيه اشعار بأن علمه بالاشياء على ما هى عليه ضرورى يقول الرجل ما علم الله فى فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفى الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل تقول وعدنى أن يفعل كذا ولما يفعل اى لم يفعل وانا اتوقع فعله (ويعلم الصابرين) نصب باضمار أن والواو بمعنى الجمع والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر على الشدائد اى الجمع بينهما فلا ينبغى ان تحسبوا دخولها كما دخل الذين قتلوا وبذلوا مهجتهم وثبتوا على الم الجراح والضرب من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم ومن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع عدم اعمال هذه الطاعة (ولقد كنتم تمنون الموت) اى الحرب فانها من مبادى الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك (من قبل ان تلقوه) اى من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته (فقد رأيتموه) أى ما تتمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة أسبابه (وأنتم تنظرون) معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم وأقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمنى الشهادة بناء على ان فى تمنيها تمنى غلبة الكافر المسلم لان قصد متمنى الشهادة نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر بباله شئ غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة كما ان من يشرب دواء الطبيب النصرانى يقصد حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسانا الى عدو الله وتنفيقا لصناعته واعلم ان حاصل الكلام ان حب الدنيا لا يجتمع مع سعادة الآخرة فبقدر ما يزداد احدهما ينتقص الآخر وذلك لان سعادة الدنيا لا تحصل الا باشتغال القلب بطلب الدنيا وسعادة الآخرة لا تحصل الا بفراغ القلب من كل ما سوى الله وامتلائه من حب الله وهذان الامران مما لا يجتمعان فلهذا السر وقع الاستبعاد الشديد فى هذه الآية من اجتماعهما وأيضا حب الله وحب الآخرة لا يتم بالدعوى فليس كل من اقر بدين الله كان صادقا ولكن الفصل فيه تسليط المكروهات والمحرمات فان الحب

هو الذي لا ينتقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء فان بقى الحب عند تسلط أسباب البلاء ظهر أن ذلك الحب كان حقيقيا فلهذه الحكمة قال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة بمجرد تصديقكم الرسول قبل أن يبتليكم الله بالجهاد وتشديد المحنة قال القشيري رحمه الله من ظن أنه يصل الى محل عظيم دون مقاساة الشدائد ألقته أمانيه فى مهواة الهلاك أولا ومن عرف قدر مطلوبه سهل عليه بذل مجهوده قال الشاعر

وما جاد دهر بلذاته * على من يضن بخلع العذار

فالدولة العظمى هى سعادة الآخرة فانها باقية ودولة الدنيا فانية كما قيل * جهان مثال چراغيست در گذرگه باد * غلام همت آنم كه دل برو ننهاد * وسئل الشبلي عن نعت العارف فقال لسانه بذكر الله ناطق وقلبه بمحبة الله صادق وسره بوعد الله واثق وروحه الى سبيل الله سابق وهو أبدا لله عاشق فلا بد لأن يكون المؤمن من العارفين من ترك الدعوى والاقبال الى المولى وبذل الروح فى طريقه (حكى) عن حاتم الاصم أنه قال لقينا الترك وكان بيننا صولة فرمانى تركى بوهق فقلبنى عن فرسى ونزل عن دابته وقعد على صدرى وأخذ بلحيتى هذه الوافرة وأخرج من خفه سكينا ليذبحنى قال فوحق سيدى ما كان قلبي عنده ولا عند سكينه وأنا ساكت متحير أقول سيدى أسلمت نفسى اليك ان قضيت على أن يذبحنى هذا فعلى الرأس والعين اما أنا لك وملكك فبينا أنا أخاطب سيدى وهو قاعد على صدرى اذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقه فسقط عنى فقمت أنا اليه فأخذت السكين من يده فذبحته بها فيا هؤلاء لتكن قلوبكم عند السيد حتى ترون من عجائب لطفه ما لا ترون من الآباء والامهات واعلموا أن من صبر واستسلم ظفر ومن فر أتبع فلم يتخلص ونعم العون الصبر عند الشدائد * تحمل چو زهرت نمايد نخست * ولى شهد گردد چو در طبع رست * زعلت مدار اى خردمند بيم * چو دارو ى تلخت فرستد حكيم * ثبتنا الله واياكم (وما محمد) هو المستغرق لجميع المحامد لأن الحمد لا يستوجبه الا الكامل والتحميد فوق الحمد فلا يستحقه الا المستولى على الامد فى الكمال وأكرم الله نبيه وصفيه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله محمد وأحمد (الا رسول) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى الشعب من احد فى سبعمائة رجل جعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال أقيموا بأصل الجبل وادفعوا عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ولا تنتقلوا من مكانكم حتى أرسل اليكم فلا نزال غالبين ما دمتم فى مكانكم فجاء المشركون ودخلوا فى الحرب مع النبي عليه السلام وأصحابه حتى حميت الحرب فاخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيفا وقال من يأخذه بحقه فأخذه أبو دجانة فقاتل فى نفر من المسلمين قتالا شديدا وقاتل على ابن أبى طالب حتى التوى سيفه وقاتل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وكان النبي عليه السلام يقول لسعد ارم فدى لك أبى وأمى فحمل هو وأصحابه على المشركين فانزل الله نصره عليهم فهزموا المشركين فلما نظر الرماة الى قوم هاربين اقبلوا على النهب بترك مركزهم فقال لهم عبد الله بن جبير لا تبرحوا مكانكم فقد عهد اليكم نبيكم فلم يلتفتوا الى قوله فجاؤا لاجل الغنيمة فبقى عبد الله بن جبير مع ثمانية نفر فخرج خالد بن الوليد مع خمسين ومائتى فارس من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقى من الرماة ودخلوا خلف اقفية المسلمين فهزموهم ورمى ابن قمئة

النبي عليه السلام بحجر فكسر رباعيته وشجه وفيه يقول حسان بن ثابت

ألم تر أن الله أرسل عبده * ببرهانه والله أعلى وأمجد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وتفرق عنه أصحابه وحمل ابن قمئة ليقتل النبي عليه السلام فذب عنه مصعب بن عمير صاحب الراية يومئذ فقتله ابن قمئة ورجع فظن انه كان قتل النبي عليه السلام فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل وكان ذلك ابليس فرجع أصحابه منهزمين متحيرين فأقبل أنس بن النضر عم أنس بن مالك الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار فقال لهم ما يحبسكم قالوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعون في الحياة بعده موتوا كراما على ما مات عليه نبيكم ثم أقبل نحو العدو فقاتل حتى قتل قال كعب ابن مالك أنا أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين رأيت عينيه من تحت المغفر تزهران ينادي بأعلى صوته الى عباد الله الى عباد الله فاجتمعوا اليه فلامهم رسول الله على هزيمتهم فقالوا يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر بموتك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فوبخهم الله تعالى بقوله وما محمد الا رسول كسائر الرسل (قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما ان أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه عليه السلام بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به (ومن ينقلب على عقبيه) بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الجهاد وغيره (فلن يضر الله) بما فعل من الانقلاب (شيأ) أي شيأ من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب والله منزه عن النفع والضرر (وسيجزي الله الشاكرين) أي الثابتين على دين الاسلام الذي هو أجل نعمة وأعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وايفاء لحقه وفيه ايماء الى كفران المنقلبين ولما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اضطرب المسلمون فمنهم من دهش ومنهم من اقعد فلم يطق القيام ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ومنهم من أنكر موته بالكلية حتى غفل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم وقام في الناس فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون أنه عليه السلام توفي ان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات ولم يزل يكرر ذلك الى أن قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قال الراوي والله لكأن الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه فاستيقن الناس كلهم بموته صلى الله عليه وسلم وكانت الجمادات تتصدع من ألم مفارقة الرسول فكيف بقلوب المؤمنين ولما فقده الجذع الذي كان يخطب عليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح كما يصيح الصبي فنزل اليه فاعتنقه فجعل يهدي كما يهدي الصبي الذي يسكن عند بكائه وقال لو لم اعتنقه

لحن الى يوم القيامة ما أمر عيش من فارق الاحباب خصوصا من كانت رؤيته حياة الالباب ولما ثقل النبي عليه السلام جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة رضى الله عنها واكرب أبتاه فقال لها ليس على ابيك كرب بعد اليوم فلما مات قالت يا أبتاه اجاب ربا دعاه يا ابتاه جنة الفردوس مأواه فلما دفن قالت فاطمة يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على نبيكم التراب وعاشت فاطمة بعد موته صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ثم ماتت * جهان اى برادر نماند بكس * دل اندر جهان آفرين بند وبس * فعلى العاقل أن يتدارك حاله قبل منيته حتى لا يفتضح على رؤس الخلائق يوم القيامة وكيف لا يسارع الى الاعمال الصالحة من يعلم أن يوم القيامة يوم يفزع فيه الانبياء والاولياء * در ان روز كز فعل پرسند وقول * أولوا العزم را تن بلرزد زهول * بجايى كه دهشت خورد انبيا * تو عذر كنه را چه دارى بيا * يعنى بأى عذر ترتكب الآثام ولا تبالى بحالك ثم ان الخلاص والفوز بالمرام فى الايمان التحقيقى قال الشيخ نجم الدين الكبرى الاشارة فى الآية أن الايمان التقليدى لا اعتبار له فينقلب المقلد عن ايمانه عند عدم المقلد فمن كان ايمانه بتقليد الوالدين أو الاستاذ أو أهل البلد ولما يدخل الايمان فى قلبه ولم ينشرح صدره بنور الاسلام فعند انقطاعه بالموت عن هذه الاسباب المقلدة يعجز عن جواب سؤال الملكين فى قولهما من ربك فيقول هاه لا أدرى واذ يقولان ما تقول فى هذا الرجل فيقول هاه لا أدرى كنت أقول فيه ما قال الناس فيقولان له لا دريت ولا تليت * زدانندكان بشنو امروز قول * كه فردا نكيرت بپرسد بهول * غنيمت شمار اين گرامى نفس * كه بى مرغ قيمت ندارد قفس * يعنى البدن ليس له قدر بدون الروح فلا بد ان يغتنم العاقل انفاسه قبل ان يخرج الروح من قفصه (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) استثناء مفرغ من أعم الاسباب أى وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشيئته تعالى أو الا باذنه لملك الموت فى قبض روحها والمعنى أن لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الاجل ورد على المنافقين قولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فالمجاهد لا يموت بغير أجله والمتخلف عنه لا يسلم مع حضور أجله * بروز أجل نيزه جوشن درد * زپيراهن بى أجل نگذرد (كتابا) مصدر مؤكد لما قبله اذ المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة وبعد تحقيق ان مدار الموت والحياة على محض مشيئة الله من غير أن يكون فيه مدخل لاحد أصلا أشير الى ان توفية ثمرات الاعمال دائرة على ارادتهم ليصرفوها عن الاغراض الدنية الى المطالب السنية فقيل (ومن يرد) أى بعمله (ثواب الدنيا نؤته منها) أى من ثوابها ما نشاء ان نؤتيه اياه وفيه تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم احد (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) أى من ثوابها ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم (وسنجزى الشاكرين) نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين ما آتاهم الله من القوى والقدر الى ما خلقت هى لاجله من طاعة الله لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا ويدخل فى جنس الشاكرين المجاهدون المعهودون من الشهداء فى احد وغيرهم والآية وان وردت فى الجهاد خاصة لكنها عامة فى جميع الاعمال وذلك لان المؤثر فى طلب الثواب والعقاب المقصود والدواعى لا ظواهر الاعمال فان من وضع الجبهة على الارض

فى صلاة الظهر والشمس قدامه فان قصد بذلك السجود عبادة الله كان ذلك من أشرف دعائم الاسلام وان قصد به عبادة الشمس كان ذلك من أعظم دعائم الكفر وروى أبو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول يوم القيامة لمن قتل فى سبيل الله فيماذا قتلت فيقول أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل أردت أن يقال فلان محارب وقد قيل ذلك ثم ان الله تعالى يأمر به الى النار فالمقاتل فى سبيل الله تحقيقا هو الذى يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا لا للذكر الجميل واراءة المكان واصابة الغنيمة * عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * بروى ريا خرقه سهلست دوخت * كرش باخدا در توانى فروخت * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه شمله ولا يأتيه منها الا ما كتب له وقال أيضا انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه فمن عمل شوقا الى الجنة فقد رأى نعمة الجنة فثوابه فى الآخرة ومن عمل شوقا الى الحق فقد رأى نعمة وجود المنعم فثوابه فى الدنيا لانه حاضر لا غيبة له قريب لا يبعد وهو معكم أينما كنتم وقال ألا من طلبنى وجدنى ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما * باكرم من مولى تمشى الى عبد
أتى زائرا من غير وعد وقال لى * أجلك عن تعذيب قلبك بالوعد

فعلى السالك أن يهاجر الى الله ويجاهد من غير أن يخاف لومة لائم حتى يصل الى الله ويتخلص من الاضطرار قال القاشانى فى تأويلاته من كان موقنا بالسر القدر يشاهد المعنى قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كان من أشجع الناس (حكى) عن حاتم الاصم أنه شهد مع شقيق البلخى بعض غزوات خراسان قال فلقينى شقيق وقد حمى الحرب فقال كيف تجد قلبك يا حاتم قلت كليلة الزفاف لا أفرق بين الحالتين فوضع سلاحه وقال أما انا فهكذا ووضع راسه على ترسه ونام بين المعركة حتى سمع غطيطه وهذا غاية فى سكون القلب الى الله تعالى ووثوقه به انتهى فاذا صحح العبد باطنه يسهل الله عليه كل عسير ويسخر له كل ما يخاف منه (حكى) عن ابراهيم الرقى انه قال قصدت أبا الخير الخراسانى مسلما عليه فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستويا فقلت فى نفسى ضاعت سفرتى فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدنى سبع فعدت اليه وقلت ان الاسد قصدنى فخرج وصاح على الاسد وقال ألم اقل لك لا تتعرض لاضيافى فتنحى فتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد * اوليا مجبور بد اللهست دان * كس نيازارد حبيبش درجهان (وكأين) أصله أى دخلت الكاف عليها فحدث فيها معنى التكثير فهى بمعنى كم الخبرية (من نبى) تمييزها والغالب فى تمييزها ان يكون مجرورا بمن ولم يجئ فى التنزيل الا كذا وجره ممتنع لان آخره تنوين وهو لا يثبت مع الاضافة (قاتل معه ربيون كثير) خبر لقوله كأين لانها مبتدأ والفعل مسند الى ظاهره والربى منسوب الى الرب كالربانى وكسر الراء من تغييرات النسب فان العرب اذا

نسبت شيأ الى شئ غيرت كما قالوا بصرى فى النسبة الى بصرة أو منسوب الى الربة وهى الجماعة والمعنى كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء أو جماعات كثيرة (فما وهنوا) عطف على قاتل أى فما فتروا وما انكسرت همتهم (لما اصابهم) فى اثناء القتال وهو علة للمنفى دون النفى (فى سبيل الله) ان جعل الضميران لجميع الربيين فما فى ما أصابهم عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره اللاحقة للكل وان جعلا للبعض الباقين بعد ما قتل الآخرون فهى عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم والخوف والحزن وغير ذلك (وما ضعفوا) عن العدو أو الجهاد أو فى الدين (وما استكانوا) أى وما خضعوا للعدو وأصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف لاشباع الفتحة أو استكون من الكون لانه يطلب أن يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبى عليه السلام وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بابن أبى المنافق فى طلب الامان من أبى سفيان (والله يحب الصابرين) أى على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره فى سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم (وما كان قولهم) بالنصب خبر لكان واسمها أن وما بعدها فى قوله تعالى (الا أن قالوا) والاستثناء مفرغ من أعم الاشياء أى ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحرب واصابة ما أصابهم من فنون الشدائد والاهوال شئ من الاشياء الا أن قالوا (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) أى صغائرنا (واسرافنا فى أمرنا) أى تجاوزنا الحد فى ارتكاب الكبائر أضافوا الذنوب والاسراف الى أنفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط فى جنب الله هضما لها واستقصارا لهم واسنادا لما أصابهم الى أعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم (وثبت أقدامنا) أى فى مواطن الحرب بالتقوية والتأييد من عندك أو ثبتنا على دينك الحق (وانصرنا على القوم الكافرين) تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة أقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير أن يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والتزلزل فى مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى (فآتاهم الله) بسبب دعائهم ذلك (ثواب الدنيا) أى النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل (وحسن ثواب الآخرة) أى وثواب الآخرة الحسن وهى الجنة والنعيم الخالد وتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى (والله يحب المحسنين) ومحبة الله للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير به فهى مبدأ لكل سعادة والاشارة أن الله تعالى لما أراد لخواص عباده كرامة التخلق باخلاقه ابتلاهم بقتال العدو وثبتهم عند الملاقاة فاستخرج من معادن ذواتهم جواهر صفاته المكنونة فيها المكرم بها بنو آدم والصبر والاحسان من صفات الله والله تعالى يحب صفاته ويحب من تخلق بصفاته ولهذا قال والله يحب الصابرين والله يحب المحسنين قال الامام فى قوله تعالى والله يحب المحسنين فيه لطيفة دقيقة وهى أن هؤلاء اعترفوا بكونهم مسيئين حيث قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا فلما اعترفوا بذلك سماهم الله محسنين كأنه تعالى يقول لهم اذا عرفت باساءتك وعجزك فانا أصفك بالاحسان وأجعلك حبيبا لنفسى حتى يعلم أنه لا سبيل للعبد

الى الوصول الى حضرة الله الا باظهار الذلة والمسكنة والعجز * كنون بايدت عذر تقصير گفت * نه چون نفس ناطق ز گفتن بخفت * تو پيش از عقوبت در عفو كوب * كه سودى ندارد فغان زير چوب * (حكى) ان آصف بن برخيا أذنب ذنبا يوما من الايام فأتى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقال له ادع الله أن يغفر لى فدعا فغفر له ثم فعل ثانيا فغفر له بدعائه ثانيا ثم وثم الى أن أوحى الله الى سليمان عليه السلام أن لا اجيب دعوتك فى حقه ان عاد بعد فلم يمكث ان فعل مرة أخرى فجاء الى سليمان عليه السلام لكى يدعو فأخبره بأن الله لا يغفر له فرفع الرجل العصا وخرج الى الصحراء وضرب العصا الى الارض ورفع يده وقال يارب أنت أنت وأنا أنا أنت العائد بالمغفرة وأنا العائد بالمعصية أنا الضعيف المجرم وأنت الغفور الرحيم ان لم تعصمنى من الذنوب فلا أعودن ثم لأعودن كررها حتى غشى عليه فأوحى الله تعالى الى سليمان عليه السلام أن قل لابن خالتك ان عدت فأغفر لك ثم أغفر لك ثم أغفر لك ثم أغفر لك وأنا الغفار * كنون كه چشمت اشكى بيارد زبان در دهانست عذرى بيار * فرا شو چو بينى در صلح باز * كه ناكه در توبه گردد فراز * مرو زير بار گنه اى پسر * كه حمال عاجز بود در سفر * فلا يغرنك الشيطان بتزيين الدنيا عليك فانك تعلم فناءها وأوحى الله الى داود عليه السلام انى منزلك وذريتك الى دار بنيتها على أربعة أركان أحدها أن أخرب ما تعمرون والثانى أن أقطع ما تصلون والثالث أن أميت ما تلدون والرابع أن أفرق ما تجمعون ومن الله العصمة والتوفيق الى سواء الطريق (يا أيها الذين آمنوا) نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان نبيا ما غلب وقتل فقال تعالى يا أيها المؤمنون (ان تطيعوا الذين كفروا) وهم المنافقون وصفوا بالكفر قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير من طاعتهم (يردوكم على أعقابكم) يدخلوكم فى دينهم أضاف الرد اليهم لدعائهم اليه والارتداد على العقب علم فى انتكاس الامر ومثل فى الحور بعد الكور (فتنقلبوا خاسرين) كرامة الدنيا وسعادة الآخرة اما الاولى فلأن أشق الاشياء على العقلاء فى الدنيا الانقياد للعدو والتذلل له واظهار الحاجة اليه واما الثانية فلأنه يحرم من الثواب المؤبد ويقع فى العذاب المخلد (بل الله مولاكم) أى ليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فأطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم (وهو خير الناصرين) فخصوه بالطاعة والاستعانة (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) وهو ما قذف فى قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة والرعب خوف يملأ القلب (بما أشركوا بالله) أى بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم (ما لم ينزل به) أى باشراكه (سلطانا) أى حجة وبرهانا وما مفعول بوقوع أشركوا عليه أى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا وأصل السلطان القوة فسلطان الملك قوته وسلطان المدعى حجته وبها يقوى على دفع المبطل وفيه ايذان بأن المتبع فى الباب هو البرهان السماوى دون الآراء والاهواء الباطلة (ومأواهم) أى ما يأوون اليه فى الآخرة (النار) لا ملجأ لهم غيرها (وبئس مثوى الظالمين) والمخصوص بالذم محذوف أى النار وفى جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث وأما المأوى فهو المكان الذى يأوى اليه الانسان * والاشارة أن الله تعالى هو الذى

يلقي الرعب والامن والرغبة والرهبة وغير ذلك في قلوب العباد كما قال عليه السلام قلوب العباد بيد الله يقلبها كيف يشاء وقال ما من قلب الا بين اصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أقامه وان شاء أزاغه فعلى العبد أن يتضرع الى الله ويسأل منه الغلبة على النفوس الكافرة خصوصا النفس الامارة فانه ان اتبع هواها وأطاعها في مشتهاها تردّه الى أسفل سافلين البشرية فينقلب خاسرا * نمى تازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان * كه بانفس وشيطان برآيد بزور * مصاف پلنكان نيايد زمور * قال الشيخ أبو علي الروذباري قدس سره دخلت الآفة من ثلاثة سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة فقيل له ما سقم الطبيعة قال أكل الحرام فقيل وما ملازمة العادة قال النظر والاستماع بالحرام والغيبة فقيل فما فساد الصحبة قال كلما هاج في النفس شهوة تتبعها ومن لم يصحبه في هذا الباب توفيق من ربه كان متروكا في ظلمة نفسه ألا ترى الى قوله تعالى بل الله مولاكم أي يخرجكم من ظلمات البشرية الى أنوار الربوبية فمن اتبع هواه وجعله مولى لنفسه فكيف يصاحبه الخروج من الظلمات وانما سببه انقطاع العبد الى مولاه الحقيق ولا يعبد الا اياه (حكى) عن الاصمعي أنه قال ان فتى جميلا خرج في سفر له فوقع في فلاة من الارض وصاحبته امرأة فعشقته فقالت أيها الفتى هل تحسن شيأ من الشعر قال نعم قالت قل فأنشد

ولست من النساء ولسن مني * ولا أبغي الفجور الى الممات
فلا لا تطمعي فيما لدينا * ولو قد طال سيري في الفلاة
فان الله يبصر فوق عرش * ويغضب للفعال الموبقات

قالت دعنا من شعرك هل تقرأ شيأ من القرآن قال نعم قالت قل فقرأ قول الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قالت دعني من قراءتك هذه فرجعت وهي خائبة فانظر الى حال الفتى وتوقيه عن شهوته كيف صبر عن المعصية والله يحب الصابرين * جوان چست مى بايد كه از شهوت بپرهيزد * كه پير سست رغبت را خود آلت برنمى خيزد * ولذلك قال بعض المشايخ من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة وذلك لان الزهد بعد الاربعين بارد لا يثمر نفعا كثيرا ولا يغرنك هذا الخبر ويحملك على التكاسل فان المرء لا يصل الى حيث يسقط عنه الامر والنهي والغرض هو العبادة الى أن يأتي اليقين فالشبان والشيوخ في باب التكاليف متساوون وربما يتدارك في الشيخوخة ما لا يتدارك في الشباب (قال الحافظ الشيرازي) أي دل شباب رفت ونچيدى كلى زعمر * پيرانه سر بكن هنرى ننك ونام را (ولقد صدقكم الله وعده) نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا او بنزع الجار أي في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا مكانكم فانا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فان المشركين لما أقبلوا جعل الرماة يرشقون نبلهم والباقون يضربون بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى (اذ تحسونهم) أي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا أبطل حسه وذلك يكون بالقتل وهو ظرف لصدقكم (باذنه) ملتبسين بمشيئته وتيسيره وتوفيقه حال من فاعل

تحسونهم (حتى) ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية (اذا فشلتم) أى جبنتم وضعف رأيكم
أو ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب (وتنازعتم فى الامر) أى فى أمر الرسول
صلى الله عليه وسلم فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على أعقابهم
قتلا وضربا فما موقفنا هذا وقال رئيسهم عبد الله بن جبير لا نخالف أمر الرسول عليه الصلاة
والسلام فثبت مكانه فى نفر دون العشرة من أصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى (وعصيتم
من بعد ما أراكم ما تحبون) أى من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رأى المشركون ذلك حملوا
عليهم من قبل الشعب وقتلوا أمير الرماة ومن معه من اصحابه وقد سبق وقيد العصيان بما بعده
تشنيعا على عظم المعصية لانهم لما شاهدوا أن الله تعالى أكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم أن
يمتنعوا عن المعصية وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره (منكم من يريد الدنيا) وهم الذين
تركوا المركز وأقبلوا على النهب قال ابن مسعود رضى الله عنه ما علمت ان أحدا منا يريد الدنيا
حتى نزلت هذه الآية (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف
الشهادة (ثم صرفكم عنهم) عطف على الجواب المحذوف كما أشير اليه أى ردكم عن الكفار
وكفكم بالهزيمة بعد ان أظفركم عليهم فحالت الريح دبورا بعد ما كانت صبا (ليبتليكم) أى
يعاملكم معاملة من يمتحنكم ليظهر ثباتكم على الايمان عندها (ولقد عفا عنكم) تفضلا
أو لما علم من ندمكم على المخالفة (والله ذو فضل على المؤمنين) أى شأنه أن يتفضل عليهم بالعفو
أو هو متفضل عليهم فى جميع الاحوال أديل لهم أو أديل عليهم اذ الابتلاء أيضا رحمة بحسب
اقتضاء أحوالهم ذلك (اذ تصعدون) متعلق بصرفكم والاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض
(ولا تلوون على أحد) أى لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف واحد منكم لواحد (والرسول
يدعوكم) كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة أمرا
بالمعروف ونهيا عن المنكر وهو الانهزام وترك قتال الكفار لا استعانة بهم (فى أخراكم) فى
ساقتكم وجماعتكم الاخرى والمعنى أنه عليه السلام كان يدعوهم وهو واقف فى آخرهم لان
القوم بسبب الهزيمة قد تقدموه (فأثابكم) عطف على صرفكم أى فجازاكم الله بما صنعتم (غما)
موصولا (بغم) من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم أو غما بمقابلة غم أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له (لكيلا تحزنوا على
ما فاتكم ولا ما أصابكم) أى لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد وتعتادوا تجرع الغموم فلا تحزنوا
على نفع فات أو ضر آت (والله خبير بما تعملون) أى عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها واعلم ان
الصبر واليقين والتوكل على الله والانقطاع عن ميل الدنيا وزخارفها ومخالفة الرسول مستلزم
لامداد النصرة والظفر والفشل والتنازع والميل الى الدنيا وعصيان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم موجب للابتلاء والصرف عن العدو فمن اراد النصرة على الاعداء الظاهرة والباطنة
لا يسلك طريقا غير ما عينه الشارع ويرضى بالابتلاء ولا يغتم لآخرته بل يجد غم طلب الحق ألذ
من نعيم الدنيا والآخرة ويصبر على مقاساة الشدائد فى باب الدين * صبر آرد آرزو را نه شتاب *
صبر كن والله أعلم بالصواب * قال ذو النون قدس سره العزيز ان أدنى منازل المريد أن الله
تعالى لو أدخله النار وأحاط به عذابه مع هذه الارادة لم يزدد قلبه الا حبا له وانسا به وشوقا اليه

وكانت الجنة عنده أصغر فى جنب ارادته من خردلة بين السماء والارض فعلى السالك أن يذيق نفسه مرارة الطاعة ويدخلها فى باب التسليم ليكون عند الله عالى القدر وسبق (حكى) عن على كرم الله وجهه أنه قال قلت لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر الصديق رضى الله عنه يا خليفة رسول الله بم بلغت هذه المنزلة حتى سبقتنا سبقا فقال بخمسة أشياء أولها وجدت الناس صنفين مريد الدنيا ومريد العقبى فكنت أنا مريد المولى والثانى مذ دخلت فى الاسلام ما شبعت من طعام الدنيا لان لذة معرفة الله شغلتنى عن لذائذ طعام الدنيا والثالث مذ دخلت فى الاسلام ما رويت من شراب الدنيا لان محبة الله شغلتنى عن شراب الدنيا والرابع كلما استقبلنى عملان عمل الدنيا وعمل الآخرة اخترت عمل الآخرة على عمل الدنيا والخامس صحبت النبى صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته أقول ولذلك لم ينفك عن ملازمة صحبته ساعة حتى دخل معه فى الغار وقاسى ما قاسى من الشدائد فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم ومع ذلك لم يزغ قلبه عن مواصلته قط ولم يهم بمخالفته أصلا كما وقع ذلك من بعض الصحابة كما فى المنهزمين * كيست دانى صوفى صافى ز رنك تفرقه * آنكه دارد روى دل يكرنك درين كاخ دو رنك * نكسلد سررشته سرش زجانان كر بفرش * رو بروكيرد زيك سو شير وديكر سو بلنك * أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام أن يا ابراهيم أنت خليلى وأنا خليلك فانظر فى أن لا تشغل سرك بغيرى وأنا أنظر فى سرك فأراه مشتغلا بغيرى فتقطع خلتى منك لان الصادق فى دعوى خلتى من لو أحرق بالنار لم يجعل سره الى غيرى اجلالا لحرمتى لان كل سر انفصل ساعة عن مشاهدتى لا يصلح لمحادثتى ونظرى ثم قال له أسلم قال أسلمت لرب العالمين ثم ابتلاه حين رمى بالمنجنيق فى النار ولم يجزع على ما أصابه بل فوض أمره الى الله حتى شرفه الله بالخلة وجعل النار له بردا وسلاما فحسن الرضا على ما جاء من عند الله يوصل العبد الى المقامات العلية والحالات السنية والعمدة هو التوحيد وبه تسهل قوة اليقين والوصول الى مقام الولاية وسئل يحيى بن معاذ عن صفة الولى فقال الصبر شعاره والشكر دثاره والقرآن معينه والحكمة علمه والتوكل صابونه والفقر منيته والتقوى مطيته والغربة ملازمته والحزن رفيقه والذكر جليسه والله تعالى أنيسه * قوت روح أولياذكر حقست * پيشه ايشان شكر مطلقست * كر حبيبا ارى زاسرار خدا * رو براد ذكر وطاعت حقا (ثم أنزل عليكم) عطف على قوله فأثابكم وأنزل مجاز أى أعطى ووهب لكم أيها المؤمنون (من بعد الغم) المذكور (أمنة) أى أمنا نصب على المفعولية (نعاسا) بدل منها وهو الوسن قال أبو طلحة رفعت رأسى يوم أحد فجعلت لا أرى أحدا من القوم الا وهو يميل تحت حجفته من النعاس وكنت ممن ألقى عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدى فآخذه ثم يسقط السوط فآخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله تعالى (يغشى طائفة منكم) وهم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك فى عموم الانزال للكل والجملة فى محل النصب على انها صفة لنعاسا (وطائفة) مبتدأ وهم المنافقون (قد أهمتهم أنفسهم) أى أوقعتهم فى الهموم والاحزان أو ما بهم الا هم أنفسهم وقصد خلاصها (يظنون بالله) حال من ضمير أهمتهم (غير الحق) غير الظن الذى يجب أن يظن به سبحانه (ظن الجاهلية) بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية وأهلها (يقولون) بدل من يظنون أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد

(هل لنا من الامر) أى من أمر الله تعالى ووعده من النصر والظفر (من شئ) من نصيب قط (قل ان الامر كله لله) أى الغلبة بالآخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون (يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك) حال من ضمير يقولون أى مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب (يقولون) كأنه قيل أى شئ يخفون فقيل يحدثون أنفسهم أو يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية (لو كان لنا من الامر شئ) كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم من أن الغلبة لله ولاوليائه وان الامر كله لله (ما قتلنا ههنا) ما غلبنا أو ما قتل من قتل منا فى هذه المعركة على ان النفى راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها فقط أو لو كان لنا اختيار فى الخروج وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن أبى وغيره (قل) يا محمد تكذيبا لهم وابطالا لمعاملتهم (لو كنتم فى بيوتكم) أى لو لم تخرجوا الى أحد وقعدتم بالمدينة كما تقولون (لبرز) أى لخرج (الذين كتب عليهم القتل) أى فى اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز (الى مضاجعهم) الى مصارعهم التى قدره الله تعالى فيها وقتلوا هنالك البتة ولم تنفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله لا يرد وحكمه لا يعقب (وليبتلى الله ما فى صدوركم) علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها أخرى مطوية للايذان بكثرتها كأنه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلى أى ليعامل لكم معاملة من يبتلى ما فى صدوركم من الاخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر (وليمحص ما فى قلوبكم) من مخفيات الامور ويكشفها أو يخلصها من الوساوس (والله عليم بذات الصدور) أى السرائر والضمائر التى لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها (ان الذين تولوا) أعرضوا منكم (يوم التقى الجمعان) من المسلمين والكافرين وهم الذين انهزموا يوم احد (انما استزلهم الشيطان) أى انما كان سبب انهزامهم أن الشيطان طلب منهم الزلل ودعاهم اليه (ببعض ما كسبوا) من الذنوب والمعاصى التى هى مخالفة أمر النبى عليه السلام وترك المركز والحرص على الغنيمة والحياة فحرموا التأييد وقوة القلب (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والنكتة فيه ان الشيطان خلق من النار فبالشيطان ونار وسوسته استخرج من معدن الانسان حديد ما كسبوا من التولى ليجعله مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم وهذا قوله عليه الصلاة والسلام لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ليعلم أن لله تعالى فى كل شئ من الخير والشر أسرارا لا يبلغ كنهها الا هو ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء والشيطان لا يقدر على اغواء المخلصين من أهل اليقين والنورانيين وما لم يكن فى القلب ظلمة وشوب من الهوى بسبب ارتكاب الذنوب لم يكن له مجال للوسوسة فالسالكون الذين نجوا من ظلمات النفس لا يقدر الشيطان أن يقرب منهم فضلا عن وسوستهم (قيل) رأى الجنيد ابليس فى منامه عريانا فقال ألا تستحيى من الناس فقال هؤلاء ناس الناس أقوام فى مسجد الشونيزية أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى قال الجنيد فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرأيت جماعة وضعوا رؤسهم على ركبهم متفكرين فلما رأونى قالوا لا يغرنك حديث الخبيث فاذا تنور القلب بنور المعرفة لا يحوم حوله بالوسوسة الشيطان النارى * وعن أبى سعيد الخراز قدس سره قال رأيت ابليس فى المنام فاخذت عصاى لأضربه فقيل لى انه لا يفزع من هذا انما يخاف من نور يكون فى القلب قال حجة الاسلام الغزالى فى الاحياء (حكى) أن ابليس بث جنوده فى وقت

الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ماشأنكم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيأ وقد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم وقد صحبوا نبيهم وشهدوا نزول الوحى ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما رأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشئ بعد الشئ من الذنوب فاذا آن آخر النهار أخذوا فى الاستغفار فتبدل سيآتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيأ لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة أهوائهم كيف شئتم لا يستغفرون فيغفر لهم ولا يتوبون فتبدل سيآتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرون الاولى فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط ابليس عليهم الاعداء وقادوهم حيث شاؤا * نه ابليس درحق ما طعنه زد * كز ايشان نيايد بجز كاربد * فغان از بديها كه در نفس ماست * كه ترسم شود ظن ابليس راست * چو ملعون پسند آمدش قهر ما * خدايش برانداخت از بهر ما * كجا سربرآريم ازين عار وننك * كه با او بصلحيم وباحق بجنك * من بستان السعدى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا (وقالوا لاخوانهم) لاجل اخوانهم وفى حقهم ومعنى الاخوة اتفاقهم نسبا أو مذهبا وعقيدة (اذا ضربوا فى الارض) أى سافروا فيها وأبعدوا للتجارة وسائر المهام فماتوا فى سفرهم (أو كانوا) أى اخوانهم (غزا) جمع غاز كعفى جمع عاف وسجد جمع ساجد أى اذا خرجوا الى الغزو فقتلوا (لو كانوا عندنا) أى مقيمين بالمدينة (ما ماتوا) فى سفرهم (وما قتلوا) فى الغزو وليس المقصود بالنهى عدم مماثلتهم فى النطق بهذا القول بل فى الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه (ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة كما فى قوله ربنا ليؤذينى وليست لام العلة والغرض لانهم لم يقولوا لذلك وانما قالوا لتثبيط المؤمنين عن الجهاد والمعنى انهم قالوا ذلك القول واعتقدوه لغرض من اغراضهم فكان عاقبة ذلك القول ومصيره الى الحسرة وهى أشد الندامة التى تقطع القوة والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك أصلا ووجه كون تكلم ذلك الكلام حسرة فى قلوبهم زاعمين أن من مات أو قتل منهم انما مات أو قتل بسبب تقصيرهم فى منع هؤلاء القتلى عن السفر والغزو ومن اعتقد ذلك لا شك أنه تزداد حسرته وتلهفه وأما المسلم الذى يعتقد ان الموت والحياة لا يكون الا بتقدير الله وقضائه فلا يحصل فى قلبه هذه الحسرة (والله يحيى ويميت) رد لقولهم الباطل أى هو المؤثر فى الحياة والممات وحده من غير أن يكون للاقامة أو للسفر مدخل فى ذلك فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة * اى بسا اسب تيزرو كه بماند * كه خر لنك جان بمنزل برد * بس كه در خاك تن درستان را * دفن كردند وزخم خورده نمرد (والله بما تعملون بصير) فلا تكونوا مثل هؤلاء المنافقين (ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم) فى سبيله وأنتم مؤمنون واللام هى الموطئة للقسم المحذوف وجوابه قوله تعالى (لمغفرة من الله ورحمة) وحذف جواب الشرط لسد جواب القسم مسده لكونه دالا عليه والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل أصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لنعمة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من

الله تعالى بعقابه ذلك (خير مما يجمعون) أى الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة أعمارهم فان قيل كيف تكون المغفرة موصوفة بانها خير مما يجمعون ولا خير فيما يجمعون أصلا قلنا ان الذى يجمعونه فى الدنيا قد يكون من باب الحلال الذى يعد خيرا وأيضا هذا وارد على حسب قولهم ومعتقدهم أن تلك الاموال خيرات فقيل المغفرة خير من هذه الاشياء التى تظنونها خيرات (ولئن متم أو قتلتم) أى على أى وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية (لالى الله) أى الى المعبود بالحق العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الاحسان (تحشرون) لا الى غيره فيوفى أجوركم ويجزل لكم عطاياكم واعلم ان هذه الآيات على ترتيب أنيق فانه قال فى الآية الاولى المغفرة من الله وهى التجاوز عن السيآت وذلك اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه ثم قال ورحمة وهى التفضل بالمثوبات وهو اشارة الى من يعبده لطلب ثوابه ثم قال فى آخر الآية لالى الله تحشرون وهو اشارة الى من يعبد الله لمجرد الربوبية والعبودية وهذا أعلى المقامات قال عبد الرحمن الجامى * يا نازد روز و وشوا نم بود * قانعم به بهشت وحور وشوانم بود * سر بر درتو بحكم عشقم نه عزد * زين درجه كنم صبور تواهم بود * فبين الحشر الى مغفرة الله والحشر الى الله فرق كثير (روى) أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام مر باقوام نحفت ابدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم آثار العبادة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو أكرم من ان لا يخلصكم من عذابه ثم مر باقوام آخرين فرأى عليهم تلك الآثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو أكرم من أن يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ثالث ورأى آثار العبودية عليهم أكثر فسألهم فقالوا نعبده لانه الهنا ونحن عبيده لا لرغبة ولا لرهبة فقال أنتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحقون * كر كند جاى بدل عشق جمال ازلت * چشم امید بحور وبان بهشتى نبود * كى مسلم شودت عشق جمال ازلى * تا برآفاق همه تهمت زشتى نبود (حكى) ان امرأة قالت لجماعة ما السخاء عندكم قالوا بذل المال قالت هو سخاء أهل الدنيا والعوام فما سخاء الخواص قالوا بذل المجهود فى الطاعة قالت ترجون الثواب قالوا نعم قالت تأخذون العشرة بواحد لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فاين السخاء قالوا فما عندك قالت العمل لله لا للجنة ولا للنار ولا للثواب وخوف العقاب وذلك لا يمكن الا بالتجريد والتفريد والوصول الى حقيقة الوجود فعلى السالك أن يعرض عن الدنيا والآخرة ويقبل على الله حتى يكشف من وجهه الحجاب ويصل الى رب الارباب قال الامام فى تفسيره الانسان اذا توجه الى الجهاد أعرض قلبه عن الدنيا وأقبل على الآخرة فاذا مات فكأنه تخلص من العدو ووصل الى المحبوب واذا جلس فى بيته خائفا من الموت حريصا على جمع الدنيا فاذا مات فكأنه حجب عن المعشوق وألقى فى دار الغربة ولاشك فى كمال سعادة الاول وكمال شقاوة الثانى انتهى فحشر الغافلين بالحجاب وحشر الواصلين باظهار الجناب فمن كان فى هذه الدنيا أعمى بحب المال والمنال كان فى الآخرة محجوبا عن مشاهدة الجمال (فبما رحمة من الله لنت لهم) ما مزيدة للتأكيد أى فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهى ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بعدما كان منهم ما كان من مخالفة أمرك واسلامك للعدو (ولو) لم تكن كذلك بل (كنت فظا) جافيا فى المعاشرة قولا وفعلا (غليظ القلب) قاسيه غير رقيق فالفظ سيئ الخلق وغليظ

القلب هو الذى لا يتأثر قلبه من شئ فقد لا يكون الانسان سيئ الخلق ولا يؤذى احدا ولكنه
لا يرق لهم ولا يرحمهم فظهر الفرق بينهما (لانفضوا من حولك) أى لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا
اليك وترددوا فى مهاوى الردى (فاعف عنهم) فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم (واستغفر
لهم) فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم (وشاورهم فى الامر) أى
استخرج آراءهم واعلم ما عندهم فى أمر الحرب اذ هو المعهود أو فيه وفى امثاله مما تجرى فيه
المشاورة عادة استظهارا بآرائهم وتطييبا لقلوبهم ورفعا لاقدارهم وتمهيدا لسنة المشاورة
للامة (فاذا عزمت) أى عقيب المشاورة على شئ واطمأنت به نفسك (فتوكل على الله) فى امضاء
أمرك على ما هو أرشد وأصلح فان ما هو أصلح لك لا يعلمه الا الله لا أنت ولا من تشاور (ان الله يحب
المتوكلين) عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصلاح والتوكل تفويض الامر
الى الله والاعتماد على كفايته قال الامام دلت الآية على انه ليس التوكل أن يهمل الانسان
نفسه كما يقوله بعض الجهال والا لكان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل بل التوكل هو أن
يراعى الانسان الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحكمة واعلم
ان الله تعالى بين ان أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام يتفرقون عنه لو كان فظا غليظا مع ان
اتباعه دين وفراقه كفر فكيف يتوقع من يعامل الناس على خشونة اللفظ مع قسوة القلب أن
ينقاد الناس كلهم له ويتابعوه ويطاوعوه فاللين فى القول أنفذ فى القلوب وأسرع الى الاجابة
وادعى الى الطاعة ولذلك أمر الله موسى وهرون به فقال فقولا له قولا لينا * بنرمى ز دشمن توان
كند دوست * چو با دوست سختى كنى دشمن اوست * چو سندان كسى سخت رويى نبرد
* كه خايسك تأديب بر سر نخورد * قال الامام فى تفسيره اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى
اهمال حق من حقوق الله فاما اذا ادى الى ذلك لم يجز قال الله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم وقال للمؤمنين فى اقامة حد الزنا ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله
والتحقيق ان طرفى الافراط والتفريط مذمومان والفضيلة فى الوسط فورود الامر بالتغليظ
مرة وأخرى بالنهى عنه انما كان لاجل أن يتباعد عن الافراط والتفريط فيبقى على الوسط الذى
هو الصراط المستقيم ولهذا السر مدح الله تعالى الوسط فقال وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال
عليه السلام لا تكن مرا فتعق ولا حلوا فتسترط * چو نرمى كنى خصم گردد دلير * وگر خشم گيرى
شوند از تو سير * درشتى ونرمى بهم در بهست * چو رگزن كه جراح ومرهم نهست * واعلم أن
المقصود من البعثة أن يبلغ الرسول تكاليف الله الى الخلق وهذا المقصود لا يتم الا اذا مالت
قلوبهم اليه وسكنت نفوسهم لديه وهذا لا يتم الا اذا كان كريما رحيما يتجاوز عن ذنبهم ويعفو
عن اساءتهم ويخصهم بوجوه البر والمكرمة والشفقة فلهذه الاسباب وجب أن يكون الرسول
مبرأ من سوء الخلق وحيث يكون كذلك وجب أن يكون غير غليظ القلب بل يكون كثير الميل
الى اعانة الضعفاء كثير القيام باعانة الفقراء كثير التجاوز عن سيآتهم كثير الصفح عن زلاتهم
فلهذا المعنى قال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولو انفضوا من حولك فات
المقصود من البعثة والرسالة وهكذا ينبغى أن يكون علماء الآخرة الوارثون والمشايخ فان الناس
على دين متبوعهم فى الظاهر والباطن وقلما يوجد من يتصف بالاخلاق الحسنة من المشايخ

والعلماء فى هذا الزمان الا من عصمه الله وهداه الى التمسك بالشريعة والتحقق بآداب الحقيقة
وهذا الحال ليست الا لواحد بعد واحد (روى) أنه خلا بالاحنف المضروب به المثل فى الحلم رجل
فسبه سبا قبيحا فقام الاحنف وهو يتبعه فلما وصل الى قومه وقف وقال يا أخى ان كان قد بقى
من قولك فضلة فقل الآن ولا يسمعك قومى فتؤذى فانظر الى خلق الاحنف كيف عامل مع
الرجل وجامل وقال له رجل دلنى على المروءة فقال عليك بالخلق الفسيح والكف عن القبيح قال
نجم الدين الكبرى فى تأويلاته كل اين يظهر فى قلوب المؤمنين بعضهم على بعض فهو رحمة الله
ونتيجة لطفه مع عباده لا من خصوصية أنفسهم فان النفس لامارة بالسوء وان كانت نفس
الانبياء عليهم السلام انتهى وفى هذا الكلام تنبيه على ان الانبياء وان كان سلوكهم من النفس
المطمئنة الى الراضية والمرضية والصافية الى أن بلغوا مبلغ النبوة والرسالة لكن نفوسهم
متصفة بالامارية كسائر الناس ولكن الله يعصمهم من مقتضاها فافهم فانه محل اعتبار دوامعان
(ان ينصركم الله) النصر نوعان معونة ومنع أى ان يعنكم الله ويمنعكم من عدوكم كما فعل ذلك
يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا أحد يغلبكم (وان يخذلكم) الخذلان القعود عن النصرة
والاسلام للهلكة أى ان يترككم فلم ينصركم كما فعله يوم أحد (فمن ذا الذى ينصركم) استفهام
انكارى مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة (من بعده) أى من بعد خذلانه وهذا
تنبيه على ان الامر كله لله ولذا أمر بالتوكل عليه فقال (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليخصوه
بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به من قبل ومن التوكل ان لا تطلب لنفسك ناصرا
غير الله تعالى ولا لرزقك خازنا غيره ولا لعملك شاهدا غيره وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدخل سبعون ألفا من أمتى الجنة بغير حساب قيل يا رسول الله من هم قال هم
الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن محصن يا رسول
الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال أنت منهم ثم قام آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم
فقال سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وعن بعضهم قال كنت فى البادية فتقدمت القافلة
فرأيت قدامى واحدا فسارعت حتى أدركته فاذا هو امرأة بيدها ركوة وعكازة تمشى على الرعدة
فظننت انها أعيت فأدخلت يدى فى جيبى فأخرجت عشرين درهما فقلت خذى هذه وامكثى
حتى تلحقك القافلة فتكترى بها ثم ائتينى الليلة حتى أصلح امرك فقالت بيدها هكذا فى الهواء
فاذا فى كفها دنانير فقالت أنت أخذت الدراهم من الجيب وأنا أخذت الدنانير من الغيب (قال
الحافظ الشيرازى) برو از خانه كردون بدر ونان مطلب * كاين سيه كاسه در آخر بكشد مهمانرا
* قال القشيرى حقيقة النصر أن ينصرك على نفسك فانها أعدى عدولك وهى أن يهدم عنك
دواعى فتنتها بعواصم رحمته حتى تنفض جنود الشهوات بهجوم وفود المنازلات فتبقى الولاية
لله تعالى خالصة من رعونات الدواعى التى هى أوصاف البشرية وشهوات النفوس وان يخذلكم
فالخذلان الحيلة بينه وبين المعاصى فمن نصره قبض على يده عند الهم بتعاطى المكروه ومن خذله
ألقى حبله على غاربه ووكله الى سوء اختياره فيهيم على وجهه فى فيافى البعد فتارة يشرق غير
محتشم وتارة يغرب غير محترم ومن سيبه الحق فلا آخذ بيده ولا جابر لكسره وعلى الله فليتوكل

المؤمنون فى وجدان الامان من هذه الاخطار عند صدق الابتهال واسبال ثوب العفو على
الاجرام عند خلوص الالتجاء بالتبرى من الحول والقوة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم
* جهان آفرين كر نه يارى كند * كجا بنده پرهيز كارى كند (وما كان لنبى) أى وما صح لنبى من
الانبياء عليهم السلام وما استقام له (أن يغل) أى يخون فى المغنم فان الغلول هو أخذ شىء من مال
الغنيمة خفية وخيانة والخيانة لكونها سببا للعار فى الدنيا وللنار فى العقبى تنافى منصب النبوة التى
هى أعلى المناصب الانسانية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله عليه السلام عما ظن به الرماة
يوم أحد حتى تركوا المركز وأفاضوا فى الغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم من أخذ شيأ فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم صلى الله عليه وسلم ألم أعهد
اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمرى فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه
وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم بينكم واما المبالغة فى النهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم على
ما روى أنه بعث طلائع فغنم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعدها فقسمها بين الحاضر ولم يترك
للطلائع شيأ فنزلت والمعنى ما كان لنبى أن يعطى قوما من العسكر ويمنع آخرين بل عليه أن
يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا وتقبيحا لصورة الامر
(ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) أى يأت بالذى غل بعينه يحمله على عنقه فيفتضح به على
رؤس الاشهاد وهو كقوله عليه السلام من غصب قدر شبر من الارض طوقه الله يوم القيامة
من سبع أرضين قال عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة يحمله على عنقه
وقال صلى الله عليه وسلم هدايا الولاة غلول أى قبول الولاة الهدايا غلول لانه فى معنى الرشوة
وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ألا لا أعرفن أحدكم يأتى ببعير له رغاء وبقرة لها خوار وشاة لها
ثغاء فينادى يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيأ بلغتك وقيل لابى هريرة رضى الله عنه كيف
يأتى بما غل وهو كثير كبير بأن غل أسوا الاجمة فقال أرأيت من كان ضرسه مثل أحد وفخذه
مثل ورقان وساقه مثل جبل ومجلسه ما بين المدينة وربذان يحمل مثل هذا ويجوز أن يراد بما
احتمل من وباله واثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) أى تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا أو شرا
كثيرا أو يسيرا وكان اللائق بما قبله أن يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون
كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه
بذلك أولى (وهم) أى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس (لا يظلمون) بزيادة عقاب أو بنقص
ثواب (أفمن اتبع رضوان الله) الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف والتقدير أمن اتقى
فاتبع رضوان الله أى سعى فى تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات
كالنبى ومن يسير بسيرته (كمن باء) أى رجع (بسخط) غضب عظيم لا يقادر قدره كائن (من الله)
بسبب معاصيه كالغال ومن تدين بدينه والمراد أنهما لا يستويان (ومأواه) أى مأوى من باء
بسخط من الله (جهنم وبئس المصير) والفرق بينه وبين المرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة
الاولى ولا كذلك المرجع (هم) راجع الى الموصولين باعتبار المعنى (درجات عند الله) أى
طبقات مختلفة متفاوتة فى علمه وحكمه تعالى شبهوا فى تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات
مبالغة وايذانا بأن بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات ومراتب الخلق فى أعمال المعاصى والطاعات

متفاوتة فوجب أن تتفاوت مراتبهم فى درجات العقاب والثواب لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والمعنى ذوو درجات (والله بصير بما يعملون) من الاعمال ودرجاتهم فجازيهم بحسبها واعلم أن الغلول من الكبائر والغال خائن ومن حاله أن يكون الغالب عليه النفس وهواها والانبياء منسلخون عن صفات البشرية متصفون بصفات الربوبية معصومون من الرذائل وصفات النفس ودواعى الشيطان قائمون بالله فلا يمكن صدور أمثال ذلك منهم فالنبى فى جنة الصفات ومقام الرضوان والغال فى جحيم النفس وهاوية الهوى فلا يساوى حال الغال أحوال الانبياء ولذلك قال هم درجات عند الله فعلى العاقل أن يسارع الى تكميل الدرجات والوصول الى أحسن الحالات قالوا أهل الجنة أربعة أصناف الرسل والانبياء ثم الاولياء وهم اتباع الرسل على بصيرة وبينة من ربهم ثم المؤمنون وهم المصدقون بهم عليهم السلام ثم العلماء بتوحيد الله انه لا اله الا هو من حيث الادلة العقلية وهم المراد بأولى العلم فى قوله تعالى شهد الله وفيهم يقول الله يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وهؤلاء الطوائف الاربع يتميزون فى جنات عدن عند رؤية الحق فى الكثيب الابيض وهم فيه على أربعة مقامات طائفة منهم أصحاب منابر وهى الطبقة العليا الرسل والانبياء والطائفة الثانية هم الاولياء ورثة الانبياء قولا وعملا وحالا وهم أصحاب الاسرة والعرش والطبقة الثالثة العلماء بالله من طريق النظر البرهانى العقلى وهم أصحاب الكرسى والطبقة الرابعة هم المؤمنون المقلدون فى توحيدهم ولهم المراتب وهم فى الحشر يتقدمون على أصحاب النظر العقلى وهم فى الكثيب يتقدمون على المقلدين * قيامت كه نيكان باعلى رسند * زقعر ثرا بر ثريا رسند * ترا خود بماند سر از ننك پيش * كه كردت برآيد عملهاى خويش * قيامت كه بازار مينو نهند * منازل باعمال نيكو دهند * والخلق متفاوتون فى الاعمال وتفاضلهم على مراتب فمنها بالسن ولكن فى الطاعة والاسلام فيفضل الكبير السن على الصغير السن اذا كانا على مرتبة واحدة من العمل ومنها بالزمان فان العمل فى رمضان وفى يوم الجمعة وفى ليلة القدر وفى عشر ذى الحجة وفى عاشوراء أعظم من سائر الايام والازمان ومنها بالمكان فالصلاة فى المسجد الحرام أفضل منها فى مسجد المدينة وهى من الصلاة فى المسجد الاقصى وهى منها فى سائر المساجد ومنها بالاحوال فان الصلاة بالجماعة أفضل من صلاة الشخص وحده ومنها بنفس الاعمال فان الصلاة أفضل من اماطة الاذى ومنها فى العمل الواحد فالمتصدق على رحمه صاحب صلة رحم وصدقة وكذا من أهدى هدية لشريف من أهل البيت أفضل من أن يهدى لغيره وأحسن اليه ومن الناس من يجمع فى الزمن الواحد أعمالا كثيرة فيصرف سمعه وبصره ويده فيما ينبغى فى زمان صومه وصدقته بل فى زمان صلاته فى زمان ذكره فى زمان نيته من فعل وترك فيؤجر فى الزمان الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس كذلك * بضاعت بچندانكه آرى برى * اكر مفلسى شرمسارى برى * قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس من يوم يأتى على ابن آدم الا ينادى فيه يا ابن آدم انا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك غدا شهيد فاعمل فى خيرا أشهد لك به غدا فانى لو قد مضيت لم ترنى أبدا ويقول الليل مثل ذلك فاعمل يا أخى عمل من يعلم انه راجع الى الله وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير والقليل والكثير وقد قال تعالى والله بصير بما يعملون فينبغى أن لا يغفل الانسان فى

كل ساعاته (لقد من الله على المؤمنين) جواب قسم محذوف أى والله لقد أنعم الله على من آمن مع الرسول عليه السلام من قومه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لزيادة انتفاعهم بها (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أى من نسبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وفى ذلك شرف عظيم لهم قال الله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من أنفسهم أى أشرفهم فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من أشرف قبائل العرب وبطونها (يتلو عليهم آياته) أى القرآن بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى (ويزكيهم) أى يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال واوضار الاوزار (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أى القرآن والسنة (وان كانوا من قبل) أى من قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وتزكيته وتعليمه (لفى ضلال مبين) بين لا ريب فى كونه ضلالا وان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية واعلم أن الله تعالى أرسل محمدا الى أقوام عتاة أشراس * فذال منهم كل من عتا وعاس * ونكس بمولده الاصنام على الراس * وانشق ايوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة بعدد من سيملك من الناس * وخمدت نار فارس وبحيرة ساوة غاضت على غير القياس * واختاره مولاه وقدمه على الخلق فهو بمنزلة العين من الراس * وأيام دولته كأيام التشريق وليالى الاعراس * تعجبت قريش من غنى بالفضل بعد فترة الافلاس * فرماهم القرآن بسهام الجدل لا عن أقواس * أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم ان أنذر الناس * فهو رحمة عامة للانام * وله خطر جليل عند الخواص والعوام * وفيما خطب به أبو طالب فى تزويج خديجة رضى الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل * وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لى جبريل يا محمد قلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ولم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم آدم ومن دونه تحت اللواء * زانكه بود او سبب خلق ماسوا * وعن ابن عباس رضى الله عنه ان قريشا كانت نورا بين يدى الله قبل أن يخلق آدم بألفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور فى صلبه * نور بهار عالم نور بهار آدم * وذكر ان عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم بينا هو نائم فى الحجر انتبه مذعورا قال العباس فتبعته وأنا يومئذ غلام أعقل ما يقال فأتى كهنة قريش فقال رأيت كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهرى ولها أربعة أطراف طرف قد بلغ مشارق الارض وطرف قد بلغ مغاربها وطرف قد بلغ عنان السماء وطرف قد جاوز الثرى فبينا أنا أنظر عادت شجرة خضراء لها نور فبينا أنا كذلك قام على شيخان فقلت لاحدهما من أنت قال أنا نوح نبى رب العالمين وقلت للآخر من أنت قال ابراهيم خليل رب العالمين ثم انتبهت قالوا ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك نبى يؤمن به أهل السموات وأهل الارض ودلت السلسلة على كثرة اتباعه وأنصاره وقوتهم لتداخل حلق السلسلة ورجوعها شجرة تدل على ثبات أمره وعلو ذكره وسيهلك من لم يؤمن به كما هلك قوم نوح

وستظهر به ملة ابراهيم والى هذا وقعت اشارة النبي عليه الصلاة والسلام يوم حنين حيث قال انا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب * كأنه يقول أنا ابن صاحب تلك الرؤيا مفتخرا بها لما فيها من علم نبوته وعلو كلمته ثم انه لانهاية لاوصافه الشريفة واخلاقه الحميدة وانما الكلام في أن يكون المرء ممتثلا بمحبته مقتفيا آثار سنته حتى يكون من أمته حقيقة والخدمة في عتبة بابه من جهة الشريعة والطريقة من أقوى الوسائل الى الوصول (حكى) أن مريدا مدعيا قال ان شيخي يعرف مقامي في هذه الطريقة واستحقاقي للخلافة والنصب في مقام الارشاد فماله لا يجيزني بالخلافة فسمع ذلك شيخه فاستخدمه أياما فأظهر ذلك الصوفي الكسل في خدمته ولم يخدمه بالشوق والاجتهاد فرأى حاله الشيخ فقال منكرا لما ادعاه من لا يقدر على خدمة الخلق كيف يقدر على خدمة الخالق فانظر كيف جعل خدمة الخلق من أسباب خدمة الخالق والوصول اليه وهكذا من كان في قلبه ميل الى وصول الحق فلا بد له أن يرجع أولا الى خدمة شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته حتى يحبه النبي عليه الصلاة والسلام فيحبه الله تعالى * محالست سعدى كه راه صفا * توان رفت جز در پى مصطفا * شرفنا الله واياكم برعاية سننه وآدابه والاقتفاء بآثار آله وأصحابه انه المنان جزيل الاحسان واسع الغفران في كل زمان (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) الواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد أصبتم في محل الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما أصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم وأسر سبعين وأنى هذا مقول قلتم والمعنى أحين أصابكم من المشركين نصف ما قد أصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من أين أصابنا هذا فالهمزة للتقرير والتقريع على قولهم لو كان رسولا من عند الله لما انهزم عسكره من الكفار يوم أحد وأدى ذلك الى ان قالوا من أين هذه المغلوبية للمشركين فكيف صاروا منصورين علينا مع شركهم وكفرهم بالله ونحن ننصر رسول الله ودين الاسلام وهو استفهام على سبيل الانكار فأمر الله تعالى رسوله عليه السلام بأن يجيب عن سؤالهم الفاسد فقال (قل هو من عند أنفسكم) أى هذا الانهزام انما حصل بشؤم عصيانكم حيث خالفتم الامر بترك المركز والحرص على الغنيمة (ان الله على كل شئ قدير) ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة أصابكم منه تعالى ما أصابكم (وما أصابكم يوم التقى الجمعان) أى جمعكم وجمع المشركين يريد يوم أحد (فباذن الله) أى فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) أى وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء (وقيل لهم) عطف على نافقوا داخل معه في هذه الصلة وهم عبد الله بن أبي وأصحابه حيث انصرفوا يوم أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن حرام اذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى (تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه (قالوا) حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) أى لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما أنتم عليه ليس بقتال بل القاء النفس الى التهلكة أو لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء (هم للكفر يومئذ

أقرب منهم للايمان) ومعنى كون قربهم الى الكفر أزيد يومئذ من قربهم الى الايمان انهم كانوا قبل ذلك الوقت كاتمين للنفاق فكانوا فى الظاهر أبعد من الكفر فلما ظهر منهم ما كانوا يكتمون صاروا اقرب للكفر فان كل واحد من انخذالهم برجوعهم عن معاونة المسلمين وكلامهم المحكى عنهم يدل على انهم ليسوا من المسلمين (يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم) يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم ألسنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير فان الكلام وان كان يطلق على اللسانى والنفسانى الا ان القول لا يطلق الا على ما يكون باللسان والفم فذكر الافواه بعده تأكيد كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه وتصوير لحقيقة القول بصورة فرده الصادر عن آلته التى هى الفم (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وأنتم تعلمونه مجملا بأمارات (الذين قالوا) مرفوع على أنه بدل من واو يكتمون (لاخوانهم) لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو اخوانهم فى النسب وفى سكنى الدار فيندرج فيهم بعض الشهداء (وقعدوا) حال من ضمير قالوا بتقدير قد أى قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخذال (لو اطاعونا) أى فيما أمرناهم ووافقونا فى ذلك (ما قتلوا) كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخذال حين انخذلوا واغووهم كما غووا (قل) تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم (فادرؤا) أى ادفعوا (عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله أى ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذى كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت فى امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وأنفسكم أعز عليكم من اخوانكم وأمرها أهم لديكم من أمرهم والمعنى أن عدم قتلكم كان بسبب أنه لم يكن مكتوبا لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت ز پيش خطر تا توانى كريز * وليكن مكن با قضا پنجه تيز * كرت زندكانى نبشتست دير * نه مارت كزايد نه شمشير وتير * واعلم ان الموت ليس له سن معلوم ولا اجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على اهبة من ذلك مستعدا لذلك وكان بعض الصالحين ينادى بالليل على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفى فقد صوته امير تلك المدينة فسأل عنه فقيل انه مات فقال

ما زال يلهج بالرحيل وذكره * حتى اناخ ببابه الجمال

فاصابه متيقظا متشمرا * ذا اهبة لم تلهه الآمال

(روى) انه مر دانيال عليه السلام ببرية فسمع مناديا يا دانيال قف ساعة ترعجبا فلم يرشيأ ثم نادى الثانية قال فوقفت فاذا بيت يدعونى الى نفسه فدخلت فاذا سرير مرصع بالدر والياقوت فاذا النداء من السرير اصعد يا دانيال ترعجبا فارتقيت السرير فاذا فراش من ذهب محشوة بالمسك والعنبر فاذا عليه شاب ميت كأنه نائم واذا عليه من الحلى والحلل ما لا يوصف وفى يده اليسرى خاتم من ذهب وفوق رأسه تاج من ذهب وعلى منطقته سيف أشد خضرة من البقل فاذا النداء من السرير أن احمل هذا السيف واقرأ ما عليه قال فاذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عاد بن ارم وانى عشت ألف عام وسبعمائة وافتضضت اثنى عشر ألف

جارية وبنيت اربعين ألف مدينة وهزمت سبعين ألف جيش وفى كل جيش قائد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل وباعدت الحكيم وقربت السفيه وخرجت بالجور والعنف والحق عن حد الانصاف وكان يحمل مفاتيح الخزائن أربعمائة بغل وكان يحمل الى خراج الدنيا فلم ينازعنى أحد من اهل الدنيا فادعيت الربوبية فاصابنى الجوع حتى طلبت كفا من ذرة بالف قفيز من در فلم أقدر عليه فمت جوعا يا أهل الدنيا اذكروا أمواتكم ذكرا كثيرا واعتبروا بى ولا تغرنكم الدنيا كما غرتنى فان أهلى لم يحملوا من وزرى شيأ فعلى العاقل ان لا يركن الى الدنيا ويتذكر مرجعه ويتجنب عن المنافقة والظلم والجور ويتصف بالاخلاص والعدل والاحسان فانه هو المفيد (قال ابن الكمال) برده دارى ميكند در طاق كسرى عنكبوت * بوم نوبت ميزند بر قلعة افراسياب * تخم احسانرا چه دارى بر فشان اى بى خبر * چونكه دانى دانه عمرت خورد اين آسياب * جعلنا الله وايا كم من المتيقظين الواصلين الى ذروة اليقين قبل حلول الاجل والحين (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) المراد بهم شهداء أحد وكانوا سبعين رجلا أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمرو وعثمان بن شهاب وعبد الله ابن جحش وباقيهم من الانصار وقال القاشانى الافصح الابلغ ان يجعل الخطاب فى ولا تحسبن لكل أحد لانه أمر خطير يجب أن يبشر به كل واحد لتتوفر دواعيهم الى الجهاد وليتيقنوا بحسن الجزاء وان كان للرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد به نهى الامة وتنبيههم على حالهم والا فرسول الله أجل مرتبة من ذلك الحسبان (بل احياء) أى بل هم احياء (عند ربهم) خبر ثان للمبتدا المقدر والعندية المكانية مستحيلة فتعين حملها على انهم مقربون منه تعالى قرب التكريم والتعظيم (يرزقون) من ثمار الجنة وتحفها وفيه تأكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والزلفى من الله تعالى والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا (ويستبشرون) معطوف على قوله فرحين عطف الفعل على الاسم لكون الفعل فى تأويل الاسم كأنه قيل فرحين ومستبشرين وبناء استفعل ليس للطلب بل هو بمعنى المجرد نحو استغنى الله أى غنى وقد جمع بشر الرجل بكسر العين فيكون استبشر بمعناه وقيل هو مطاوع أبشر نحو أراحه فاستراح فان البشرى حصلت لهم بابشار الله تعالى واليه أشار الزمخشرى فى الكشاف بقوله بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به والبيضاوى بقوله يسرون بالبشارة (بالذين لم يلحقوا بهم) أى باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد فى سبيل الله فيلحقوا بهم (من خلفهم) متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم (ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هى المخففة اى يفرحون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم اذا ماتوا أو قتلوا يفوزون بحياة أبدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوت مطلوب والخوف يكون بسبب توقع المكروه النازل فى المستقبل والحزن يكون بسبب فوت المنافع التى كانت موجودة فى الماضى فبين الله انه لا خوف عليهم فيما سيأتيهم من أهوال القيامة وأحوالها ولا حزن لهم بما فاتهم من نعم الدنيا ولذاتها (يستبشرون بنعمة) كائنة (من الله) كرر ليبان أن الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من

نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب أعمالهم (وفضل) أى زيادة عظيمة كما فى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) كافة سواء كانوا شهداء أو غيرهم وهو بفتح أن عطف على فضل منتظم معه فى سلك المستبشر به قال الامام الآية تدل على أن استبشارهم بسعادة اخوانهم من استبشارهم بسعادة أنفسهم لان الاستبشار الاول فى الذكر هو باحوال الاخوان وهذا تنبيه من الله على ان فرح الانسان بصلاح حال اخوانه ومتعلقه يجب ان يكون أتم وأكمل من فرحه بصلاح أحوال نفسه واعلم ان ظاهر الآية يدل على أن هؤلاء المقتولين وان فارقت أرواحهم من اجسادهم الا انهم احياء فى الحال واختلف القائلون بحياتهم فى الحال انها للروح او للبدن ولا بد ههنا من تقديم مقدمة ليتضح بها المقام وهى ان الانسان المخصوص ليس عبارة عن مجموع هذه البنية المخصوصة بل هو شئ مغاير لها وذلك لان اجزاء هذه البنية فى الذوبان والانحلال والتبدل والتغير بالسمن وضده والصغر وخلافه والانسان المخصوص شئ واحد باق من أول عمره الى آخره والباقى مغاير للمتبدل فثبت ان الانسان مغاير لهذا البدن المخصوص ثم بعد هذا يحتمل ان يكون جسما مخصوصا ساريا فى هذه الجثة سريان النار فى الفحم والدهن فى السمسم وماء الورد فى الورد ويحتمل ان يكون جوهرا قائما بنفسه ليس بجسم ولا حال فى الجسم وعلى كلا المذهبين لا يبعد أن يتصل ذلك الشئ حيا عند موت البدن فيثاب ويعذب على حسب أعماله والدلائل العقلية والنقلية الدالة على بقاء النفوس بعد موت الاجساد كثيرة متعاضدة فوجب المصير اليه وبه تزول الشبهات الواردة على القول بثواب القبر كما فى هذه الآية وعلى القول بعذاب القبر كما فى قوله تعالى أغرقوا فادخلوا نارا اذا لم تمت النفوس بموت الابدان أو قلنا بانه تعالى اماتها ثم أعاد الحياة اليها كما يدل عليه ما روى فى بعض الاخبار انه قال صلى الله عليه وسلم فى صفة الشهداء ان أرواحهم فى أجواف طير خضر وانها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح فى الجنة حيث شاءت وتاوى الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما رأوا طيب مطعمهم ومسكنهم ومشربهم قالوا يا ليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم وما صنع الله بنا كى يرغبوا فى الجهاد فقال الله تعالى أنا مخبر عنكم ومبلغ اخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا فانزل الله هذه الآية والذين اثبتوا هذه الحياة للاجساد اختلفوا فقال بعضهم انه تعالى يصعد أجساد هؤلاء الشهداء الى السموات الى قناديل تحت العرش ويوصل أنواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال يتركها فى الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها كذا فى تفسير الامام ولابن سينا رسالة فى علم النفس ولعمرى قد بلغ القصوى فى التحقيق فليطلبها من أراد وفضائل الشهداء لا نهاية لها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهيد لا يجد ألم القتل الا كما يجد أحدكم ألم القرصة وله سبع خصال يغفر له فى أول قطرة قطرت من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج بثلاث وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقربائه ويروى انه اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى ادعوا الى خيرتى من خلقى فيقولون يا رب من هم فيقول الشهداء الذين بذلوا دماءهم وأموالهم وأنفسهم فيمرون على رب العزة وسيوفهم على أعناقهم فيدخلون

مساكنهم فى الجنة وينصب يوم القيامة لواء الصدق لابى بكر وكل صديق يكون تحت لوائه ولواء العدل لعمر وكل عادل يكون تحت لوائه ولواء السخاوة لعثمان وكل سخى يكون تحت لوائه ولواء الشهداء لعلى وكل شهيد يكون تحت لوائه وكل فقيه تحت لواء معاذ بن جبل وكل زاهد تحت لواء ابى ذر وكل فقير تحت لواء أبى الدرداء وكل مقرئ تحت لواء أبى بن كعب وكل مؤذن تحت لواء بلال وكل مقتول ظلما تحت لواء الحسين بن على رضى الله عنهما فذلك قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم قيل أرواح الشهداء وان كانت فى عليين الا أنها تزور قبورها كل جمعة على الدوام ولذلك يستحب زيارة القبور ليلة الجمعة ويوم الجمعة قال عليه السلام ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه قال الجنيد قدس سره من كانت حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ومن كانت حياته بربه فانه ينتقل من حياة الطبع الى حياة الاصل وهى الحياة الحقيقية واذا كان القتيل بسيف الشريعة حيا مرزوقا فكيف من قتل بسيف الصدق والحقيقة * هر كز نميرد انكه دلش زنده شد بعشق * ثبتست بر جريدهٔ عالم دوام ما * قال القاشانى المقتول فى سبيل الله صنفان مقتول بالجهاد الاصغر وبذل النفس طلبا لرضا الله كما هو الظاهر ومقتول بالجهاد الاكبر وكسر النفس وقتلها بشفرة الحب وقمع الهوى كما روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال عند رجوعه من بعض الغزوات رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكلا الصنفين ليسوا بأموات بل أحياء عند ربهم بالحياة الحقيقية مجردين من دنس الطبائع متقربين فى حضرة القدس يرزقون فى الجنة المعنوية من الارزاق المعنوية أى المعارف والحقائق واشراق الانوار ويرزقون فى الجنة الصورية كما يرزق الاحياء أو من كليهما فان للجنان مراتب بعضها معنوية وبعضها صورية ولكل منهما درجات على حسب المعارف والعلوم والمكاسب والاعمال فالمعنوية جنة الذات وجنة الصفات وتفاضل درجاتها بحسب تفاضل المعارف والترقى فى الملكوت والجبروت والصورية جنة الافعال وتفاوت درجاتها بحسب تفاوت الاعمال والتدرج فى مراتب عالم الملك من السموات العلا والجنات المحتوية على جميع المنى وما روى من الحديث فى شهداء أحد فالطير الخضر فيه اشارة الى الاجرام السماوية والقناديل هى الكواكب أى تعلقت بالنيران من الاجرام السماوية لنزاهتها وأنهار الجنة منابع العلوم ومشارعها وثمارها الاحوال والكشوف والمعارف أو الانهار والثمار الصورية على حسب جنتهم المعنوية أو الصورية فان كل ما وجد فى الدنيا من المطاعم والمشارب والمناكح والملابس وسائر الملاذ والمشتهيات موجود فى الآخرة فى عالم المثال وفى طبقات السماء ألذ وأصفى مما فى الدنيا يستبشرون بنعمة الامن من العقاب اللازم للنقص والتقصير والنجاة من الحزن على فوات نعمة الدنيا لحصول ما هو أشرف وأصفى وألذ وأبقى من جنات الافعال وفضل هو زيادة جنات الصفات المشار اليها بالرضوان أو نعمة جنة الصفات وفضل جنة الذوات وان أجر ايمانهم من جنة الافعال لا يضيع مع ذلك انتهى كلامه فلا بد للسالكين من بذل المال والبدن والروح حتى يحصل لهم أنواع الفتوح * دلا طمع مبر از لطف بى نهايت دوست * چو لاف عشق زدى سر بباز چابك وچست (الذين استجابوا لله والرسول) أى اجابوا واطاعوا فيما أمروا به ونهوا عنه كما فى قوله تعالى فليستجيبوا لى (من بعد ما أصابهم القرح) أى الجرح فى غزوة احد

الذين

(للذين أحسنوا منهم) يدخل تحته الاتيان بجميع المأمورات (واتقوا) يدخل تحته الانتهاء عن جميع المنهيات (أجر عظيم) ثواب عظيم وجملة قوله للذين خبر مقدم مبتدؤه أجر عظيم والجملة في محل الرفع خبر الذين استجابوا وكلمة من في قوله منهم ليست للتبعيض لان الذين استجابوا لله والرسول كلهم قد أحسنوا لا بعضهم بل هي لبيان الجنس ويحصل المعنى حينئذ الذين استجابوا لله والرسول لهم أجر عظيم الا انهم وصفوا بوصفي الاحسان والتقوى مدحا لهم وتعليلا لعظم أجرهم بحسن فعالهم لا تقييدا (روى) ان أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فبلغوا الروحاء وهو موضع بين مكة والمدينة ندموا وهموا بالرجوع حتى يستأصلوا ما بقي من المؤمنين فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس أي وقعتنا والعرب تسمى الوقائع أياما وذكرهم بأيام الله فخرج رسول الله عليه السلام اراءة من نفسه ومن أصحابه جلدا وقوة ومعه جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم أي حملوا المشقة على أنفسهم كيلا يفوتهم الاجر وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت فهذه هي غزوة حمراء الاسد متصلة بغزوة أحد وأما غزوة بدر الصغرى فقد وقعت بعدها بسنة واليها الاشارة بقوله تعالى (الذين قال لهم الناس) يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الاشجعي واطلاق الناس عليه لما أنه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد أو لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه (ان الناس) يعني أبا سفيان وأصحابه (قد جمعوا لكم) أي اجتمعوا (فاخشوهم) روى ان أبا سفيان لما عزم على ان ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى لقابل نقتتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله في قلبه الرعب وبدا له أن يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين أو لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر الا ان هذا العام عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان أرجع ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فاذهب الى المدينة فثبطهم ولك عندي عشرة من الابل وضمنها سهيل بن عمرو فجاء نعيم المدينة فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد أي لم يتخلص الا شريد وهو الفار النافر المبعد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم أحد فاثر هذا الكلام في قلوب قوم منهم فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منهم قال والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل (فزادهم) القول (ايمانا) والمعنى لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله وازداد اطمئنانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده (وقالوا حسبنا الله) أي محسبنا وكافينا من أحسبه اذا كفاه (ونعم الوكيل) أي الموكول اليه هو أي الله (فانقلبوا بنعمة من الله) الفاء فصيحة أي خرجوا اليهم ووافوا الموعد فرجعوا من مقصدهم

ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم (وفضل) اى ربح فى التجارة عظيم (لم يمسسهم سوء) سالمين من السوء اى لم يصبهم اذى ولا مكروه (روى) انه صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا الصغرى وكانت موضع سوق لبنى كنانة يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام ولم يلق صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه هنالك احدا من المشركين وأتوا السوق وكانت معهم نفقات وتجارات فباعوا واشتروا ادما وزبدا وربحوا واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق (واتبعوا) فى كل ما اتوا من قول وفعل وهو عطف على انقلبوا (رضوان الله) الذى هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) حيث تفضل بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجراءة على العدو وبحفظهم من كل ما يسوؤهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطاء رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم (انما ذلكم) اى المثبط ايها المؤمنون وهو مبتدأ (الشيطان) خبره (يخوف اولياءه) المنافقين غلبة المشركين وقهرهم ليقعدوا عن قتالهم فهم المنافقون الذين فى قلوبهم مرض وقد تخلفوا عن رسول الله فى الخروج والمعنى ان تخويفه بالكفار انما يتعلق بالمنافقين الذين هم اولياؤه واما انتم ايها المؤمنون فاولياء الله وحزبه الغالبون لا يتعلق بكم تخويفه (فلا تخافوهم) اى الشيطان واولياءه من ابى سفيان وغيره (وخافون) فى مخالفة امرى (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعى الامن من شر الشيطان واوليائه والخوف على ثلاثة اقسام خوف العام وهو من عقوبة الله وخوف الخاص وهو من بعد الله وخوف الاخص وهو من الله والى هذه المراتب أشار النبى عليه السلام بقوله اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك فعلى السالك ان ينفى عن نفسه وصفاتها ولا يرى فى الكون وجودا غير وجوده فلا يخاف الا منه فانه هو القاهر فوق عباده وهو الكافى جميع الامور وقال نجم الدين الكبرى قدس سره آخر مقام الخلة أن يكبر على نفسه وجميع المكونات أربع تكبيرات ويتحقق له ان الله حسبه من كل شئ وهو نعم الوكيل عن نفسه وما سواه (قال الحافظ الشيرازى) من همان دم كه وضو ساختم از چشمهٔ عشق * چار تكبير زدم يكسره بر هر چه كه هست * يشير الى أنه وقت قيامه بالعشق رأى وجود غير الله ميتا بمنزلة الجماد وقد قال كل شئ هالك الا وجهه وصلاة الميت باربع تكبيرات لا غير وهذا هو الفناء عن نفسه وعن المكونات حتى فنا الله تعالى بحقيقة التوحيد قال أبو يزيد كنت اثنتى عشرة سنة حداد النفس وخمس سنين مرآة قلبى وسنة أنظر فيما بينهما فاذا فى وسطى زنار ظاهر فعملت فى قطعه اثنتى عشرة سنة ثم نظرت فاذا فى باطنى زنار فعملت فى قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطع فكشف لى فنظرت الى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات وقيل لابى يزيد البسطامى بعد وفاته كيف كان حالك مع منكر ونكير فقال لما قالا لى من ربك قلت لهما اسألا ربى فان قال هو عبدى يكفى والا فلو قلت أنا عبده مرارا لا يفيد بلا قبوله وحقيقة العبودية

بالتبري من جميع ما سوى الله ولو من صومه وصلاته وسائر عباداته (روى) ان أبا يزيد في آخر
عمره دخل محرابه وقال الهي لا أذكر صومي ولا صلاتي ولا غيرهما بل أقول افنيت عمري في
الضلالة فالآن قطعت زناري وجئت بابك بالاسلام وهو الاسلام وهذا هو الانصاف من
نفسه حقيقة قال الشيخ السعدي في حق شيخه السهروردي * شبي دائم از هول دوزخ نخفت *
بگوش آمدم صبحگاهي كه گفت * چه بودي كه دوزخ زمن پرشدي * مگر ديگرانرا رهائي
بدى * فالعاقل لا يزكى نفسه ولا يراها محلا لكرامة الله بل يتواضع بحيث يرى أعماله السيئة
كثيرة بالنسبة الى أعماله الصالحة بل ولا يرى في نفسه الا العدم المحض واعلم ان من شعار المسلمين
وعادة المؤمنين ان يجاهدوا في سبيل الله ولا يخافوا لومة اللائمين ألا يرى ان الله تعالى كيف مدح
قوما حالهم كذلك بقوله يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم فمن كان مع الله فهو يعصمه وينصره على أعدائه خصوصا عدو النفس
الامارة * كسى را دائم اهل استقامت * كه باشد برسر كوى ملامت * ز اوصاف طبيعت پاك
مرده * باطلاق هويت جان سپرده * برفته سايه وخورشيد مانده * تمام از كرد خود دامن فشانده
* أوصلنا الله واياكم الى الخلوص واليقين والتمكين آمين (ولا يحزنك الذين يسارعون في
الكفر) أي يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وهم المنافقون المتخلفون
الذين يسارعون الى ما أبطنوه من الكفر مظاهرة للكفار وسعيا في اطفاء نور الله (انهم لن
يضروا الله شيأ) أي لن يضروا بذلك أولياء الله ودينه البتة شيأ من الضرر (يريد الله أن لا
يجعل لهم حظا في الآخرة) أي يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم في الآخرة نصيبا ما من الثواب
ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان
كفرهم بلغ النهاية حتى اراد أرحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى
الكفر لانه تعالى لم يرد لهم أن يكون لهم حظ في الآخرة (ولهم) مع ذلك الحرمان الكلي بدل
الثواب (عذاب عظيم) لا يقادر قدره (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) أي أخذوه بدلا منه
رغبة فيما أخذوه واعراضا عما تركوه (لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم) ولما جرت العادة
باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة
وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك (ولا يحسبن الذين كفروا) الموصول مع صلته فاعل
لا يحسبن (انما) بما في حيزها سادة مسد مفعوليه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي
بالنسبة بين المبتدا والخبر وما مصدرية أو موصولة حذف عائدها وكان حقها في قياس علم الخط
أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه متصلة فلا يخالف
وتتبع سنة الامام في خط المصاحف (نملي لهم) الاملاء الامهال واطالة المدة والملي مقصور الدهر
والملوان الليل والنهار لتعاقبهما أي ان املاءنا لهم أو ان ما نمليه لهم (خير لانفسهم) من منعهم
عن ارادتهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم (انما) كافة حقها الاتصال (نملي لهم ليزدادوا اثما)
اللام لام الارادة عند أهل السنة القائلين بأنه تعالى فاعل الخير والشر مريد لهما فان الاملاء
الذي هو اطالة العمر لاشك انه من أفعاله تعالى وانه ليس بخير لهم لانهم يتوسلون به الى ازدياد
الاثم والطغيان فهو تعالى لما أمهلهم وأطال عمرهم بارادته واكتسبوا بذلك ما تم من الكفر

والطغيان كان حالة ثالثة لهما ثم أيضا ولا تخلق الا بالارادة فهو مريدها كانه مريد للاسباب المؤدية اليها واللام لام العلة لان أفعاله تعالى ليست معللة بالاغراض وعند المعتزلة لام العاقبة (ولهم عذاب مهين) أى يهانون به فى الآخرة قال عليه السلام خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله ودلت الآية على ان اطالة عمر الكافر والفاسق وايصاله الى مراداته فى الدنيا ليس بخير بل هى نعمة فى الصورة ونقمة فى الحقيقة ألا يرى ان من أطعم انسانا خبيصا مسموما لا يعد ذلك نعمة عند الحقيقة لافضائه الى الهلاك والعقوبة فينبغى للعبد أن لا يغتر بطول العمر وامتداده ولا بكثرة أمواله ولا أولاده * غره مشو بآنكه جهانت عزيز كرد * اى بس عزيز را كه جهان كرد زود خوار * مارست اين جهان وجهان جوى مار گير * وز مار گير مار برآرد كهى دمار * قال الله تعالى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج ان من نعمتى على أمتك انى قصرت أعمارهم كى لا تكثر ذنوبهم وأقللت أموالهم كى لا يشتد فى القيامة حسابهم وأخرت زمانهم كى لا يطول فى القبور حبسهم وقال أيضا يا أحمد لا تتزين بلين اللباس وطيب الطعام ولين الوطاء فان النفس مأوى كل شر وهى رفيق سوء كلما تجرها الى طاعة تجرك الى معصية وتخالفك فى الطاعة وتطيع لك فى المعصية وتطغى اذا شبعت وتتكبر اذا استغنت وتنسى اذا ذكرت وتغفل اذا أمنت وهى قرينة للشيطان وقيل مثل النفس كمثل النعامة تأكل الكثير واذا حملت عليها لا تطير واذا قيل أنت طائر قالت أنا بعير وهذه رجلى واذا حملت عليها شيأ قالت أنا طائر وهذه جناحى فكثرة المال وكمال الاستغناء تغر النفس قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى * مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتش قبله ديگرست (قال السعدى) شنيده ام كه بقصاب كوسفندى گفت * در ان زمانكه بخنجر سرش زتن ببريد * جزاى هر بن خارى كه خورده ام ديدم * كسى كه پهلوى چرب خورد چه خواهد ديد * وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع وشد الحجر من السغب فقال يا عائشة والذى نفسى بيده لو سألت ربى ان يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لأجراها حيث شئت من الارض ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد قال عليه السلام الدنيا والآخرة ضرتان فمن يطلب الجمع بينهما فهو ممكور ومن يدعى الجمع بينهما فهو مغرور فمن دام مع متابعة الهوى البلوغ الى الدرجات العلا فهو غريق فى الغفلة فالله تعالى يمهله فى طغيان النفس بالحرص على الدنيا حتى يتجاوز فى طلبها حد الاحتياج اليها ويفتح أبواب المقاصد الدنيوية عليه ليستغنى بها وبقدر الاستغناء يزيد طغيانه * بناز ونعمت دنيا مده دل * كه دل برداشتن كاريست مشكل * فيا أيها الاخوان الذين مضوا قبلنا من الامم قد عاشوا طويلا وجمعوا كثيرا فتذكروا موتهم ومصارعهم تحت التراب وتأملوا كيف تبددت اجزاؤهم فى قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم وهلكت بعدهم صغارهم وكبارهم وانقطعت آثارهم وديارهم فلم يرجع من كفر بنعمة الله الا الى العذاب والخسران ولم يصر الا الى دركات النيران فمن كانت غفلته كغفلتهم فسيصير الى ما صاروا اليه وان عاش طويلا فان الله يمهل ولا يهمل قال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم

الى عذاب غليظ وما الحياة والتمتع بها الا قليل فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة لعلك تلحق بالجماعة من أهل الوصول وأرباب القبول وجميع الطاعات من أسباب الفلاح خصوصا الصلاة أفضل العبادات وأعلاها وأشرف الطاعات وأسناها والصوم سبب الولوج فى ملكوت السموات وواسطة الخروج من رحم مضايق الجسمانيات المعبر عنه بالنشأة الثانية كما أشير اليه بقول عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين بل مجاهدة الصوم رابطة مشاهدة اللقاء واليه يشير الحديث القدسى وهو قوله جل شأنه الصوم لى وأنا أجزى به يعنى أنا جزاؤه ولهذا علق سبحانه نيل سعادة الرؤية بالجوع حيث قال فى مخاطبة عيسى عليه السلام تجوع ترانى * همى آيد از حق ندا متصل * تجوع ترانى تجرد تصل * رزقنا الله واياكم (ما كان الله) مريدا (ليذر) لان يترك (المؤمنين) المخلصين (على ما أنتم عليه) الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين فى عصره (حتى يميز الخبيث من الطيب) ماز الشئ يميزه ميزا عزله وافرزه والمعنى ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه باحوالكم أو بالجهاد أو بالهجرة (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أى وما كان الله ليؤتى أحدكم علم الغيب فيطلع على ما فى القلوب من كفر وايمان (ولكن الله يجتبى) يصطفى (من رسله من يشاء) فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب له ما يدل عليها (فآمنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص أو بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يعلمون الا ما أوحى اليهم (وان تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) النفاق (فلكم) بمقابلة ذلك الايمان والتقوى (أجر عظيم) لا يبلغ كنهه وهذا الاجر على قدر عظم التقوى فان السير الى المقصد الاعلى والوصول الى منازل الاجتباء لا يتهيأ الا بقدمى التقى * قدم بايد اندر طريقت نه دم * كه أصلى ندارد دم بى قدم * قال ابراهيم بن أدهم بت ليلة تحت صخرة بيت المقدس فلما كان بعض الليل نزل ملكان فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال الآخر ابراهيم بن أدهم فقال ذلك الذى حط الله درجة من درجاته فقال لم قال لانه اشترى بالبصرة التمر فوقعت تمرة على تمره من تمر البقال قال ابراهيم فضيت الى البصرة واشتريت التمر من ذلك الرجل وأوقعت تمرة على تمره ورجعت الى بيت المقدس وبت فى الصخرة فلما كان بعض الليل اذا أنا بملكين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال أحدهما ذلك الذى رد التمرة الى مكانها فرفعت درجته فهذا هو التقوى على الحقيقة ومراعاة الحقوق على الوجه اللائق ولا يتيسر ذلك الا بالتوسل الى جناب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان غيب الحقائق والاحوال لا ينكشف بلا واسطة الرسول واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الخ وكيف يترقى الى حقيقة التقوى وعالم الاطلاق من تقيد برأيه واختياره قال الله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة فلا بد من متابعة النبى عليه السلام * حقا كه بى متابعت سيد رسل * هركز كسى بمنزل مقصود ره نيافت * ازهيج او بهيج درى رو مكن دهند * انرا كه زاستانه او روى دل بتافت * فالايمان بالله وبرسوله هو التصديق القلبى والارادة والتمسك بالشريعة والصدق فيه لا فى غيره (روى) ان المؤمن اذا ورد النار بقضى قوله تعالى

وان منكم الا واردها يصير الله ثواب التوحيد سفينة والقرآن حبالها والصلاة شراعها ويكون المصطفى عليه السلام ملاحها والمؤمنون يجلسون عليها ويكبرون الله وتجرى السفينة على جسر نار جهنم بريح طيبة فيعبرون عنها سالمين فيا أخى لا تضيع أيامك فان ايامك رأس مالك وانك مادمت قابضا على رأس مالك فانك قادر على طلب الربح فاجتهد فى تحصيله بالتوغل فى الطاعات والعبادات واحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه قبل الموت والفوت فان الموتى يتمنون ان يؤذن لهم بان يصلوا ركعتين أو يقولوا مرة لا اله الا الله او يسبحوا مرة فلا يؤذن لهم ويتعجبون من الاحياء كيف يضيعون ايامهم فى الغفلة * اكر مرده مسكين زبان داشتى * بفرياد وزارى فغان داشتى * كه أى زنده هست امكان كفت * اب از ذكر چون مرده برهم مخفت * چو مارا بغفلت بشد روزكار * تو بارى دمى چند فرصت شمار * قال عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فتميز المنافق من المخلص كما يكون فى الدنيا بالاقوال والافعال وغيرهما كذلك يكون فى الآخرة ببياض وجه هذا وسواد وجه ذلك كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فعلى العاقل أن يتحمل مشاق الطاعات والتكاليف والامتحانات الالهية امله يفوز بالمرام ويظفر بالبغية يوم يخيب المعرضون والمنافقون ويخسرون * خوش بود كر محك تجربه آيد بميان * تاسيه روى شود هركه درو غش باشد * قال بعض الكبار وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان عصمنا الله وايا كم من المخالفة (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله) الموصول فاعل لا يحسبن والمفعول الاول محذوف لدلالة يبخلون عليه أى ولا يحسبن البخلاء بخلهم (هو) ضمير فصل لا محل له من الاعراب (خيرا لهم) من انفاقهم مفعول ثان للفعل المذكور (بل هو) أى البخل (شر لهم) لاستجلاب العقاب عليهم (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) بيان لقوله هو شر لهم أى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق اذ لا طوق ثمة فيكون من قبيل الاستعارة التمثيلية شبه لزوم وبال البخل واثمه بهم بلزوم طوق نحو الحمامة بها فى عدم زوال كل واحد منهما عن صاحبه فعبر عن لزوم الوبال بهم بالتطويق واشتق منه يطوقون كما يقال منه فلان طوق فى رقبة فلان وقيل هو على حقيقته وانهم يطوقون حية او طوقا من نار استدلالا بالحديث وسيجيء (ولله) وحده لا لاحد غيره استقلالا واشتراكا (ميراث السموات والارض) أى ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرسالات التى يتوارثها أهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيله وأنه يورث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه فى سبيله تعالى عند هلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والندامة (والله بما تعملون) من المنع والاعطاء (خبير) فيجازيكم على ذلك واعلم ان البخل عبارة عن امتناع اداء الواجب والامتناع عن التطوع لا يكون بخلا ولذلك قرن به الوعيد والذم والواجب كثير كالانفاق على النفس والاقارب الذين يلزمه مؤنتهم والصدقة على الغير حال المخمصة وفى حال الجهاد عند الاحتياج الى التقوية بالمال ثم ان فى الآية اشارة الى ان البخل اكسير الشقاوة كما ان السخاء اكسير السعادة وذلك لان الله تعالى سمى المال فضله كما قال من فضله والفضل لاهل السعادة فبا كسير البخل يصير الفضل قهرا والسعادة شقاوة كما قال هو خيرا لهم بل هو شر لهم يعنى باكسير البخل يجعلون خيرية ما آتاهم الله من فضله شر الهم ولو انهم

طرحوا على ما هو قضلها اكبر السحناء بجلها وخيرا لهم فصير وسعادة ولصاروا بها اهل الجنة وان يلج الجنة الشحيح ثم عبر عن آفة حب الدنيا والمال بالطوق لانها تحيط بالقلب ومنها تنشأ معظم الصفات الذميمة مثل البخل والحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر والغضب وغير ذلك ولهذا قال النبي عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة فبمنع الزكاة يصير الروح الشريف العلوي النوراني محفوفا بهذه الصفات الخبيثة السفلية الظلمانية مطوقا بها فاتمها وعجبها وعذابها يوم القيامة وبعد المفارقة فانه من مات فقد قامت قيامته * نه منعم عال از كسى بهترست * خر ار جل اطلس بپوشد خرست * هنر بايد وفضل ودين وكمال * كه كه آيد وكه رود جاه ومال * بسنفيده رايى كه بخشيد وخورد * جهان ازپى خويشتن كرد كرد * قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى بشدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون الآية وفى رواية يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها فى عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يكون له ابل أو بقر أو غنم لا يؤدى حقها الا أتى بها يوم القيامة أعظم ما تكون واسمنه تطؤه باخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت أخراها ردت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس قال أبو حامد مانع زكاة الابل يحمل بعيرا على كاهله له رغاء وثقل يعدل الجبل العظيم ومانع زكاة البقر يحمل ثورا على كاهله له خوار وثقل يعدل الجبل العظيم ومانع زكاة الغنم يحمل شاة لها ثغاء وثقل يعدل الجبل العظيم والرغاء والخوار والثغاء كالرعد القاصف ومانع زكاة الزرع يحمل على كاهله اعدالا قد ملئت من الجنس الذى كان يبخل به برا كان أو شعيرا أثقل ما يكون ينادى تحته بالويل والثبور ومانع زكاة المال يحمل شجاعا اقرع له زبيبتان وذنبه قد انساب فى منخريه واستدار بجيده وثقل على كاهله كانه طوق بكل رحى فى الارض وكل واحد ينادى ما هذا فتقول الملائكة هذا ما بخلتم به فى الدنيا رغبة فيه وشحا عليه فمنع الزكاة سبب للعقاب فى العقبى كما أن ايتاءها سبب للثواب فى الاخرى وحصن لماله فى الدنيا قال صلى الله عليه وسلم حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا امراضكم بالصدقة واستقبلوا البلايا بالدعاء قال عليه السلام لا صلاة لمن لا زكاة له (روى) ان موسى عليه السلام مر برجل وهو يصلى مع حضور وخشوع فقال يا رب ما أحسن صلاته قال الله تعالى لو صلى فى كل يوم وليلة ألف ركعة وأعتق ألف رقبة وصلى على ألف جنازة وحج ألف حجة وغزا ألف غزوة لم ينفعه حتى يؤدى زكاة ماله وقال عليه الصلاة والسلام ملعون مال لا يزكى كل عام وملعون بدن لا يبتلى فى كل اربعين ليلة ومن البلاء العثرة والنكبة والمرضة والخدشة واختلاج العين فما فوق ذلك فاذا سمعت هذه الاخبار وقفت على وزر من وقف على الاصرار ولم يؤد زكاة ماله بطيبة النفس وصفاء البال الى أن يرجع فقيرا ميتا بعد ما ساعدته الاحوال والاموال * پريشان كن امروز گنجينه چست * كه فردا كليدش نه در دست تست * تو با خود ببر توشه خويشتن * كه شفقت نيايد ز فرزند وزن * بخيل توانگر بدينار وسيم * طلسميست بالاى گنجى مقيم * ازان سالها مى بماند زرش * كه لرزد طلسمى چنين برسرش * بسنك اجل نا گهان بشكنند * باسودگى گنج قسمت كنند * چو در زند كانى بدى با عيال * گرت مرگ خواهند ازايشان منال * تو غافل

درانديشه سود مال * كه سرمايه عمر شد پايمال * بكن سرمه غفلت از چشم پاك * كه فردا
شوى سرمه در چشم خاك (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) قالته اليهود
لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وروى انه عليه الصلاة والسلام كتب
مع أبى بكر رضى الله تعالى عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء
الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل أبو بكر رضى الله عنه ذات يوم بيت مدراسهم
فوجد ناسا كثيرا من اليهود قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازوراء وكان من
علمائهم ومعه حبر آخر يقال له اشيع فقال أبو بكر لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم أن
محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة فآمن وصدق
واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان
ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير
ونحن أغنياء وانه ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنيا ما اعطانا الربا فغضب أبو بكر وضرب وجه
فنحاص ضربة شديدة وقال والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينكم لضربت عنقك
يا عدو الله فذهب فنحاص الى النبى صلى الله عليه وسلم فشكاه وجحد ما قاله فنزلت ردا عليه
وتصديقا لابى بكر والجمع حينئذ مع كون القائل واحدا لرضا الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف
عليه تعالى واعد له من العقاب كفاء والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة
والسماجة بحيث لا يرضى قائله بان يسمعه سامع (سنكتب ما قالوا) أى سنكتب ما قالوه من
اللفظة الشنعاء فى صحائف الحفظة أو سنحفظه ونثبته فى علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت
المكتوب والسين لتأكيد أى لن يفوتنا ابدا تدوينه واثباته لكونه فى غاية العظم والهول
كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم عليه السلام (وقتلهم
الانبياء) عطف عليه ايذانا بانهما فى العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة ارتكبوها بل
لهم فيه سوابق وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم
الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم (بغير حق) متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم أى كائنا بغير حق
وجرم فى اعتقادهم أيضا كما هو فى نفس الامر (ونقول) عند الموت أو عند الحشر أو عند قراءة
الكتاب (ذوقوا عذاب الحريق) أى وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق
كما أذقتم المرسلين الغصص (ذلك) اشارة الى العذاب المذكور (بما قدمت أيديكم) بسبب
ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرها من المعاصى والتعبير عن الانفس
بالايدى لان أكثر الاعمال يزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب (وان
الله ليس بظلام للعبيد) محله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراض تذييلى مقررة
لمضمون ما قبلها أى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك
بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه
ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من
الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم
من تخلفه ضياعها وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب

في صورة المبالغة في الظلم والاشارة في تحقيق الآيتين ان العبد اذا غلبت عليه الصفات الذميمة
واستولى عليه الهوى والشيطان ومات قلبه تكاملت الصفة الامارية لنفسه فما ينطق الا عن
الهوى ان هو الا وحي يوحيه اليه الشيطان كقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم
والنفس اذا تكملت بالهوى تدعي الربوبية كما ادعى فرعون وقال انا ربكم الاعلى فيكون كلامها
من صفات الربوبية وان من صفات الربوبية قوله والله الغني وأنتم الفقراء فاذا تم فساد حال
النفس الامارة بالسوء أثبتت صفات الربوبية لنفسها وصفات العبودية لربها كقوله لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء اثبتوا لنفسهم صفات الربوبية وهي الغنى وأثبتوا الله
صفة العبودية وهي الفقر سنكتب ما قالوا أي سنثبت قلوبهم بأقوالهم هذه كما اثبتناها
بافعالهم وهي قتلهم الانبياء بغير حق يشير الى أن جزاء هذه الاقوال في حق الله مثل جزاء
هذه الافعال في الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونقول ذوقوا عذاب القلب الميت الحريق
بنار القهر والقطيعة ذلك بما قدمت أيديكم أي بشؤم معاملاتكم القولية والفعلية على وفق
الهوى والطبيعة وخلاف الرضا والشريعة والله ليس بظلام للعبيد بأن يضع الشيء في غير
موضعه يعني لا يجعل المصلح منهم مظهر صفة قهره ولا المفسد منهم مظهر صفة لطفه كما قال تعالى
الله أعلم حيث يجعل رسالته وهذا كما يقال * ندهد هوشمند روشن راى * بفرومايه كارهاى
خطير * بوريا باف اكرچه بافنده است * نبرندش بكاركاه حرير * واذا كان للعبد حسن
الاستعداد يتحول القهر في حقه الى اللطف بشرط أن يجتهد ويبذل ما في وسعه وطاقته وكم من
مؤمن يصير في مآله كافرا وكم من عكسه فاذا جاء حين السعادة انقلب الحال وكذا الشقاوة
قال بعض المشايخ العباد على قسمين في أعمارهم فرب عمر اتسعت آماده وقلت امداده كاعمار
بني اسرائيل اذ كان الواحد منهم يعيش الالف ونحوها ولم يحصل على شيء مما تحصل لهذه الامة
مع قصر أعمارها ورب عمر قليلة آماده كثيرة امداده كعمر من فتح عليه من هذه الامة فوصل الى
عناية الله بلمحة فقد قال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله قلت لابي سليمان الداراني اني قد غبطت
بني اسرائيل قال باي شيء قلت بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا وكالاوتار
قال ما ظننت الا وقد جئت بشيء والله ما يريد الله منا ان تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا
الا صدق النية فيما عنده هذا اذا صدق في عشرة ايام نال ما ناله ذلك في عمره الطويل فاذن من
بورك له في عمره ادرك في يسير من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة
لكثرته وعظمه ودقته ورفعته وقد قال الشيخ الشاذلي رحمه الله في كتاب تاج العروس من قصر
عمره فليذكر بالاذكار الجامعة مثل سبحان الله عدد خلقه ونحو ذلك ويعني بقصر العمر والله أعلم
أن يكون رجوعه الى الله في معترك المنايا ونحوها من الامراض المخوفة والاعراض المهولة
واذا كان الامر على ما ذكر فالخذلان كل الخذلان ان تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه اليه
بصدق النية حتى يفتح عليك بما لا تصل الهمم اليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل اليه عن عوالم نفسك
والاستئناس بيومك وامسك فقد جاء خصلتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ
ومعناه والله أعلم أن الصحيح ينبغي أن يكون مشغولا بدين أو دنيا والا فهو مغبون فيهما عصمنا
الله واياكم من الغبن والخذلان والخسران * همه كه عمر به بيهوده بكذرد حافظ * بكوش

وحاصل عمر عز يزداد دباب به قبل الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال (الذين) أى هم الذين (قالوا) وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيى بن أخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهودا (ان الله عهد الينا) أى أمرنا فى التوراة وأوصانا (ان لانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) فيكون دليلا على صدقه والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله من نسيكة وصدقة وعمل صالح وهو فعلان من القربة قال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله تعالى فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها وسط البيت والسقف مكشوف فيقوم النبى عليه السلام فى البيت ويناجى ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء لادخان لها ولها دوى وحفيف حين تنزل من السماء فتأكل ذلك القربان أى تحيله الى طبعها بالاحراق فيكون ذلك علامة القبول واذا لم يقبل بقى على حاله وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان أكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل أن عدم ايمانهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى (قل) أى تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم (قد جاءكم) أى جاء اسلافكم وآباءكم (رسل) كثيرة العدد كبيرة المقدار (من قبلى بالبينات) أى المعجزات الواضحة (وبالذى قلتم) بعينه من القربان الذى تأكله النار فقتلتموهم (فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) أى فيما يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام قد جاؤكم بما قلتم فى معجزات أخر فمالكم لم تؤمنوا حتى اجترأتم على قتلهم (فان كذبوك) شروع فى تسلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فقد كذب رسل من قبلك) تعليل لجواب الشرط أى فتسل واصبر فقد كذب الخ (جاؤا بالبينات) أى المعجزات الواضحات صفة لرسل (والزبر) جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته او الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته (والكتاب المنير) أى التوراة والانجيل والزبور والكتاب فى عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة المواقع والمنير أى المضىء المبين بالامر والنهى والاشارة أن الله تعالى كما قدر أن بعض الامم يغلبون بعض انبيائهم ويقتلونهم قبل الايمان أو بعد الايمان بهم كذلك قدر أن بعض الصفات النفسانية يغلب على بعض الالهامات الربانية والواردات الروحانية فيمحوها كما قال تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قبل انقيادها لها أو بعد ما انقادت لها ليقضى الله أمرا كان مفعولا وبالجملة ان الروح يصير بمجاورة الصفات النفسانية كالنفس فى الدناءة فتصير الصفات الذميمة غالبة عليه كما تغلب على الالهامات فعلى السالك أن يجتنب عن مصاحبة المفسدين ومجاورة صفات النفس * نفس ازهمنفس بكيرد خوى * برحذر باش ازلقاى خبيث * بادچون برفضاى بدكذرد * بوى بدكيرد ازهواى خبيث * فطوبى لعبد طهر نفسه من الصفات الرذيلة والعناد والاصرار ورأى الحق حقا والباطل باطلا وانقطع عن ميل الدنيا واتباع الهوى وموافقة غير الله (روى) ان عيسى عليه السلام مر بقرية فاذا أهلها موتى فى الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا على سخط ولو ماتوا على غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا أنا علمنا خبرهم فسأل ربه فاوحى الله اليه اذا كان الليل

فناديتهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على الموتى ثم نادى يا أهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بتنا فى عافية وأصبحنا فى هاوية قال وكيف ذلك قال لحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصى قال وكيف كان حبكم الدنيا قال كحب الصبى لامه اذا أقبلت فرحنا واذا أدبرت حزنا قال فما بال أصحابك لم يجيبونى قال لانهم ملجمون بلجام من نار بايدى ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتنى من بينهم قال لانى كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابنى فانا معلق على شفير جهنم لا أدرى أأنجو منها أم أكبكب فيها واعلم أن الانكار والتكذيب من حب الدنيا والميل اليها لان الانبياء والاولياء يدعون الى الجنة والمولى وحفت الجنة بالمكاره والانسان اذا رأى ما يكرهه يتنفر عنه ثم اذا أقدم على الاتيان به واكره يأخذ بالانكار قال الله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وقد وصى الحكماء الالهية أن لا يجالس المريد أهل الانكار بل لا يلتفت اليهم أصلا اذ للمجاورة تأثير عظيم (كما قيل)

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

* با بدان يار كشت همسر لوط * خاندان نبوتش كم شد * سك اصحاب كهف روزى چند * پى مردم كرفت ومردم شد * قال مولانا جلال الدين قدس سره فى هذا المعنى * كر تو سنك وصخره ومرمر شوى * چون بصاحب دل رسى كوهر شوى * ساقنا الله واياكم الى طريقة أوليائه بجاه أحبائه آمين (كل نفس ذائقة الموت) أى تخرج وتنفك من البدن بادنى شئ من الموت فكنى بالذوق عن القلة وهو وعد ووعيد للمصدق والمكذب من حيث انه كناية عن ان هذه الدار بعدها دار أخرى يتميز فيها المحسن من المسئ ويتوفر على كل أحد ما يليق به من الجزاء وفى الحديث لما خلق الله آدم اشتكت الارض الى ربها لما أخذ منها فوعدها أن يرد فيها ما أخذ منها فما من أحد الا يدفن فى التربة التى خلق منها (وانما توفون أجوركم) أى تعطون جزاء أعمالكم خيرا كان أو شرا تاما وافيا (يوم القيامة) أى يوم قيامكم من القبور وفى لفظ التوفية اشارة الى أن بعض أجورهم يصل اليهم قبله كا ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (فمن زحزح عن النار) أى بعد عنها يومئذ ونجى والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (وادخل الجنة فقد فاز) بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من أحب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى الى الناس بما يحب ان يؤتى به اليه (وما الحياة الدنيا) أى لذاتها وزخارفها (الا متاع الغرور) شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة ومن آثر الآخرة عليها فهى له متاع بلاغ أى تبليغ الى الآخرة وايصال اليها فلذلك سماه الله خيرا حيث قال وانه لحب الخير لشديد فالعاقل لا يغتر بالدنيا فانها لين مسها قاتل سمها ظاهرها مطية السرور وباطنها مطية الشرور * ترا دنيا همى كويد شب وروز * كه هان از صحبتم پرهيز پرهيز * مده خود را فريب از رنك وبويم * كه هست اين خنده من كريه آميز * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان

To: www.al-mostafa.com

شئتم وظل ممدود ولموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما عليها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور * بناز ونعمت دنيا منه دل * كه دل برداشتن كاريست مشكل * فمن أتى بالطاعات واجتنب عن السيآت وأعرض عن الدنيا ولذاتها فاز بالجنة ودرجاتها ومن عكس الامر عوقب بالحرمان فى دركات النيران (روى) ان جبريل عليه السلام جاء النبى صلى الله عليه وسلم متغيرا اللون فسأله النبى صلى الله عليه وسلم عن تغير لونه فقال جئتك وقد أمر الله أن ينفخ فى نار جهنم فقال عليه السلام صف لى جهنم فقال لما خلق الله جهنم أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت والذى بعثك بالحق نبيا لو ان جمرة منها وقعت لاحترقت أهل الدنيا ولو ان ثوبا من أثوابها علق بين السماء والارض لماتوا من نتن رائحته ولها سبعة أبواب بعضها أسفل من بعض فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من سكان هذه الابواب فقال الباب الاول فيه المنافقون واسمه الهاوية والباب الثانى فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه ابليس واتباعه والمجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير والباب السابع فيه عصاة الموحدين واسمه النار يدخلونها ثلاثة أيام فأخبر سلمان حال النبى عليه السلام لفاطمة فسألت النبى فاخبرها النبى عليه السلام فقالت فاطمة رضى الله عنها كيف يدخلونها فقال صلى الله عليه وسلم أما الرجال فباللحى وأما النساء فبالذوائب ثم انهم يخرجون من النار بشفاعة النبى عليه السلام فتبين ان من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وأنزل الله على بعض أنبيائه يا ابن آدم تشترى النار بثمن غال ولا تشترى الجنة بثمن رخيص قيل فى معناه ان فاسقا يتخذ ضيافة للفساق بمائة درهم أو مائتين فيشترى النار ولو اتخذ ضيافة للفقراء بدرهم أو درهمين يكون ثمن الجنة * غم وشادمانى نماند وليك * جزاى عمل ماند ونام نيك * كرم پاى دارد نه ديهيم وتخت * بده كز تو اين ماند اى نيكبخت * مكن تكيه بر ملك وجاه وحشم * كه پيش از تو بودست وبعد از تو هم * واعلم أن البعد عن النار ودخول الجنة بالاجتناب عن المعاصى والمسارعة الى الطاعة وذلك بالهرب عن مقام النفس والدخول فى مقام القلب فان من دخل حرم القلب كان آمنا كما قال تعالى ومن دخله كان آمنا فمن وصل الى ذلك الحرم فقد خلص من أنواع الالم فهو فى جنة عاجلة قال بعضهم للعارف جنة عاجلة وهى جنة المعرفة ثم ان أعظم أسباب دخول الجنة كلمة الاخلاص والتوحيد وفقنا الله واياكم ثم اعلم أن النفوس على ثلاثة أقسام قسم منها يموت ولا حشر له للبقاء كسائر الحيوانات وقسم يموت فى الدنيا ويحشر فى الآخرة كنفوس الانسان والملائكة والجن والشياطين وقسم منها لا يموت فى الدنيا ويحشر فى الدنيا والآخرة جميعا وهى نفوس خواص الانسان كما قال عليه الصلاة والسلام المؤمن حى فى الدارين على أن لها موتا معنويا فى الدنيا كما أشار اليه عليه السلام بقوله موتوا قبل أن تموتوا وهو الفناء فى الله بالله لله ولها حياة معنوية فى الدنيا كما قال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس وهو البقاء بنور الله ففى قوله كل نفس ذائقة الموت اشارة الى أن كل نفس مستعدة للفناء فى الله فلا بد لها من موت فمن كان موته بالاسباب تكون حياته بالاسباب ومن كان فناؤه فى الله يكون

يلاقوه بالله وانما توفون أجوركم على قدر تقواكم وبجوركم فى زحزح عن نار القطيعة وأخرج من جحيم الطبيعة على قدمى الشريعة والطريقة وأدخل الجنة الحقيقية فقد فاز فوزا عظيما وما الحياة الدنيا ونعيمها الا متاع الغرور أى متاع يغتر به المغرور والممكور (لتبلونّ) أصل الابتلاء الاختبار أى تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسة أو مفارقة وذلك انما يتصوّر ممن لا وقوف له على عواقب الامور وأما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار أحد الامرين أو الامور قبل أن يرتب عليه شيأ هو من مباديه العادية والجملة جواب قسم محذوف أى والله لانعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة (فى أموالكم) بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى الهلاك (وأنفسكم) بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من أصناف المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو ذلك (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أى من قبل ايتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا) من العرب كأبى جهل والوليد وأبى سفيان وغيرهم (أذى كثيرا) من الطعن فى الدين الحنيف والقدح فى احكام الشرع الشريف وصد من أراد أن يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف وأصحابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لاخير فيه اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال على المكروه ويستعدوا للقائها فان هجوم الاوجال مما يزلزل أقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب (وان تصبروا) على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التقابل (وتتقوا) أى تبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث يتساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه (فان ذلك) يعنى الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزوماتها التى تنافس فيها المتنافسون أى مما يجب أن يعزم عليه كل أحد لما فيه من كمال المزية والشرف أو مما عزم الله تعالى عليه وأمر به وبالغ فيه يعنى أن ذلك عزمة من عزمات الله لا بد أن تصبروا وتتقوا واعلم أن مقابلة الاساءة تفضى الى ازدياد الاساءة فأمر بالصبر تقليلا لمضار الدنيا وأمر بالتقوى تقليلا لمضار الآخرة فالآية جامعة لآداب الدنيا والآخرة فعلى العاقل أن يتخلق بأخلاق الانبياء والاولياء ويتأدب بآدابهم فانهم كانوا يصبرون على الاذى ولا يقابلون السفيه بمثل مقابلته واذا مروا باللغو مروا كراما * بدى رابدى سهل باشد جزا اكر مردى احسن الى من اساء * وقد مدح الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلق النبى صلى الله عليه وسلم القرآن يعنى تأدب بآداب القرآن قيل مدار عظم الخلق بذل المعروف وكف الاذى أى احتماله ورسول الله عليه الصلاة والسلام كان موصوفا بهما وقد أنزل الله فى معروفه ولا تبسطها كل البسط وتحمل الاذى انما يكون بصبر قوى وهو عليه السلام كان صبورا لتحمل الاذى أكثر من أن يحصى قال عليه السلام صل من قطعك واعف عن ظلمك واحسن الى من اساء اليك وما أمر عليه السلام غيره بها الا بعد أن تخلق بها لأن أمته لا بد أن تتبعه فى تحمل الاذى وغيره مما لا يسمع بدون الحجة القوية والابتلاآت التى ترد من طرف الحق كلها لتصفية النفس

وتوجيهها من الخلق الى الخالق ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ما أوذى نبى مثل ما أوذيت كأنه قال ما صفى نبى مثل ما صفيت وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله على المشركين فقال انما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا فالابتلاء رحمة ونعمة (قال جلال الدين قدس سره)
درد پشتم داد حق تا من زخواب * برجهم در نيم شب باسوز وتاب * دردها بخشيد حق
از لطف خويش * تا نخسبم جمله شب چون گاوميش * والاشارة فى الآية لتبلون
فى أموالكم وأنفسكم بالجهاد الاصغر هل تجاهدون بها وتنفقونها فى سبيل الله وبالجهاد
الاكبر أما الاموال فهل تؤثرون على أنفسكم ولو كان بكم خصاصة وأما الانفس فهل تجاهدون
فى الله حق جهاده أولا ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب يعنى أهل العلم الظاهر ومن الذين
أشركوا أى أهل الرياء من القراء والزهاد أذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض
وان تصبروا على جهاد النفس وبذل المال وأذية الخلق وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك من عزم
الامور الذى هو من أمور أولى العزم كما قال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ومن لم يحافظ
على هذه الامور كان من المدعين * مشكل آيد خلق را تغيير خلق * انكه بالذات ست كى
زائل شود * اصل طبعست وهمه اخلاق فرع * فرع لابد اصل را مائل شود * فظهر
أن من لم يهده الله لا يهتدى الى مكارم الاخلاق وحسان الخصال وسنيات الاحوال (واذ أخذ
الله) أى اذكر يا محمد وقت أخذه تعالى (ميثاق الذين أوتوا الكتاب) وهم علماء اليهود
والنصارى وذلك الاخذ على لسان الانبياء عليهم السلام (لتبيننه) حكاية لما خوطبوا به والضمير
للكتاب وهو جواب قسم ينبئ عنه أخذ الميثاق كأنه قيل لهم بالله لتبيننه (للناس) وتظهرن
جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التى من جملتها أمر نبوته صلى الله عليه وسلم وهو المقصود
بالحكاية (ولا تكتمونه) عطف على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما فى قولك
والله لا يقوم زيد (فنبذوه) النبذ الرمى والابعاد أى طرحوا ما أخذ منهم من الميثاق الموثق
بفنون التأكيد والقوة (وراء ظهورهم) ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه أصلا فان نبذ الشئ وراء
الظهر مثل فى الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما أن جعله نصب العين علم فى كمال العناية
(واشتروا به) أى بالكتاب الذى أمروا ببيانه ونهوا عن كتمانه والاشتراء مستعار لاستبدال
متاع الدنيا بما كتموا أى تركوا ما أمروا به وأخذوا بدله (ثمنا قليلا) أى شيأ تافها حقيرا من حطام
الدنيا وأعراضها وهو ما تناولوه من سفلتهم فلما كرهوا أن يؤمنوا فينقطع ذلك عنهم كتموا ما علموا
من ذلك وأمروهم أن يكذبوه (فبئس ما يشترون) ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس
ويشترون صفة والمخصوص بالذم محذوف أى بئس شيأ يشترونه ذلك الثمن وظاهر الآية وان
دل على نزولها فى حق اليهود والنصارى الذين كانوا يخفون الحق ليتوسلوا بذلك الى وجدان
شئ من الدنيا الا أن حكمها يعم من كتم من المسلمين أحكام القرآن الذى هو أشرف الكتب
وانهم أشراف أهل الكتاب قال صاحب الكشاف وكفى به دليلا على أنه مأخوذ على العلماء
أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيأ لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة
وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم أو لجر منفعة من حطام الدنيا لنفسه مما لا دليل عليه
ولا امارة أو لبخل بالعلم وغيرة أن ينسب الى غيرهم انتهى بعبارته فكل من لم يبين الحق للناس

وكتم شيأ من هذه الامور دخل تحت وعيد الآية كذا فى تفسير الامام فعلى المرء أن يحسن نيته حال الاضمار والاظهار ويطهر سريرته من لوث الاغراض والاوزار والانكار * زبان مى كند مرد تفسير دان * كه علم وادب ميفروشد بنان * بدين أى فرومايه دنيى مخر * چو خر كه بانجيل عيسى مخر * يعنى لا تشتر بالعلم والقرآن ما تربى به نفسك من شهواتك ولا تخف من الخلق فى اظهار الاحكام واصدع بما أمرت به (حكى) أن الحجاج أرسل الى الحسن وقال ما الذى بلغنى عنك فقال ما كل الذى بلغك قلته ولا كل ما قلته بلغك قال أنت الذى قلت ان النفاق كان مقموعا فأصبح قد تعمم وتقلد سيفا فقال نعم فقال وما الذى حملك على هذا ونحن نكرهه قال لان الله أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه * قال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب وكان يقول طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه قال صلى الله عليه وسلم من كتم علما على أهله ألجم بلجام من نار قال الفضيل رحمه الله لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام وأهله ولكنهم أذلوا أنفسهم ولم يسألوا عما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا بذلك مما فى أيدى الناس فذلوا وهانوا على الناس وعن الفضيل أيضا قال بلغنى أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاصنام فيقولون ربنا ما بالنا فيقول الله ليس من يعلم كمن لا يعلم فمن اشترى الدنيا بالدين فقد وقع فى خسران مبين ولا يخفى أن مداره على حب الدنيا ساقنا الله واياكم الى طريق القناعة (حكى) أن ذا القرنين اجتاز على قوم تركوا الدنيا وجعلوا قبورهم تجاههم على أبوابهم يقتاتون بنبات الارض ويشتغلون بالطاعة فأرسل ذو القرنين الى رئيسهم فقال مالى حاجة الى صحبة ذى القرنين فجاء ذو القرنين فقال ما سبب قلة الذهب والفضة عندكم قال ليس للدنيا طالب عندنا لانه لا تشبع أحدا فجعلنا القبور عندنا حتى لا ننسى الموت ثم أخذ قحف انسان وقال هذا رأس ملك من الملوك كان يظلم الرعية ويجمع حطام الدنيا فقبضه الله تعالى وبقى عليه السيآت ثم أخرج آخر وقال هذا أيضا رأس ملك عادل مشفق فقبضه وأسكنه جنته ورفع درجته ثم وضع يده على رأس ذى القرنين وقال من أى الرأسين يكون رأسك فبكى ذو القرنين وقال ان رغبت فى صحبتى شاطرتك مملكتى وسلمت اليك وزارتى فقال هيهات فقال ذو القرنين ولم قال لان الناس أعداؤك بسبب المال والمملكة وجميعهم أحبابى بسبب القناعة * نبرزد عسل جان من زخم نيش * قناعت نكوتر بدوشاب خويش * كدايى كه بر خاطرش بند نيست * به از پادشاهى كه خرسنده نيست * اكر پادشاهست اكر پينه دوز * چو خفتند كردد شب هردو روز (لا تحسبن) يا محمد أو الخطاب لكل أحد ممن يصلح له (الذين يفرحون بما أتوا) أى بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق (فلا تحسبنهم) تأكيد لقوله لا تحسبن والمفعول الثانى له قوله (بمفازة من العذاب) أى ملتبسين بنجاة منه (ولهم عذاب أليم) بكفرهم وتدليسهم (ولله) أى خاصة (ملك السموات والارض) أى السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيف

يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا واثابة من غير أن يكون لغيره شائبة دخل في شئ من ذلك بوجه من الوجوه وهو يملك أمرهم ويعذبهم بما فعلوا لا يخرجون عن قبضة قدرته ولا ينجون من عذابه يأخذهم متى شاء (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقابهم وكيف يرجو النجاة من كان معذبه هذا المالك القادر (روى) انه عليه السلام سأل اليهود عن شئ مما في التوراة فأخبروه بخلاف ما كان فيها وأروه أنهم قد صدقوا وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فانهم كانوا يفرحون بما فعلوه من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بألف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة والاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من يأتي بشئ من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود أن يمدحه الناس بما هو عار منه من الفضائل وأنواع البر وكون السبب خاصا لا يقدح في عمومية حكم الآية واعلم أن الفرح بمتاع الدنيا وحب مدح الناس من صفات أرباب النفس الامارة المغرورين بالحياة الدنيا وتمويهات الشيطان المحجوبين عن السعادات الاخروية والقربات المعنوية قال الامام في تفسيره وأنت اذا أنصفت عرفت أن أحوال أكثر الخلق كذلك فانهم يأتون بجميع وجوه الحيل في تحصيل الدنيا ويفرحون بوجدان مطلوبهم ثم يحبون أن يحمدوا بأنهم من أهل العفاف والصدق والدين * اى برادر از تو بهتر هيچ كس نشناسدت * زانچه هستى يك سر مو خويش را افزون منه * كر فزون از قدر تو بشناسدت نابخردى * قدر خود بشناس وپاى از حد خود بيرون منه * فعلى العاقل أن لا يتعدى طوره ولا يفرح بما ليس فيه فانه لا يغني عنه شيأ قال بعض المشايخ الناس يمدحونك لما يظنون فيك من الخير والصلاح اعتبارا بما يظهر من ستر الله عليك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها من القبائح والمؤمن اذا مدح استحيا من الله أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه وأجهل الناس من يترك يقين ما عنده من صفات نفسه التي لا شك فيها الظن ما عند الناس من صلاحية حاله قال الحرث المحاسبي رحمه الله الراضي بالمدح بالباطل كمن يهزأ به ويقال ان العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك ويفرح بذلك ويرضى بالسخرية به * بحيل ستايش فراجه مشو * چو حاتم اصم باش وعيبت شنو * يعنى لا تغتر بالمدح حتى لا تقع في بئر الهلاك وكن كالشيخ حاتم الاصم صورة فان الخلق اذا ظنوك تتكلمون في حقك بما لا ترضى به من القول لو سمعت فاذن تسمع عيوبك منهم وفي ذلك فائدة عظيمة لك لان المرء اذا عرف عيبه يجتهد في قمعه والتحلي بالاوصاف الجميلة والعارف هو الذي يستوي قلبه في المدح والذم لا ينقبض من الذم ولا ينبسط من المدح وكيف ينبسط بما لم يتحقق به مما يقوله الخلق من هو أعرف بحال نفسه وان انبسط فهو المغرور والمدعي هو الذي يرى نفسه صادقا في الاحوال والمعاملات وكل الحالات كأنه لا يتعرض لشئ من الدنيا اصلا وحاله شاهدة عليه في هذا الباب فان المرء له محك في أقواله وأفعاله وأحواله قال عليه السلام انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا تبتل قدماه فمن هذا يعرف جهالة الذين يزعمون أنهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم عنها طاهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة الشيطان بل هم لو أخرجوا

علمهم فيه لكانوا أعظم المتفجعين بفراقها فكما أن المشى فى الماء يقتضى بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضى علاقة وظلمة فى القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال الشيخ أبو عبد الله القرشى رحمه الله شكا بعض الناس لرجل من الصالحين أنه يعمل البر ولا يجد حلاوته فى القلب فقال لان عندك ابنة ابليس فى قلبك وهى الدنيا ولا بد للاب أن يزور ابنته فى بيتها وهو قلبك ولا يؤثر دخوله الا فسادا قال الله تعالى يا داود ان كنت تحبنى فأخرج حب الدنيا من قلبك فان حبى وحبها لا يجتمعان فى قلب أبدا (وروى) أن عيسى عليه السلام قال لاصحابه لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قالوا ومن الموتى قال الراغبون فى الدنيا المحبون لها * برمرد هشيار دنيا خس است * كه هر مدتى جاى ديكر كس است * منه بر جهان دل كه بيكانه ايست * چو مطرب كه هر روز در خانه ايست * نه لايق بود عشق با دلبرى * كه هر بامداد ش بود شوهرى * عصمنا الله واياكم (ان فى خلق السموات والارض) وذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يأتيهم بآية لصحة دعواه لانه كان يدعوهم الى عبادة الله وحده فنزل ان فى خلق السموات والارض خلقين عظيمين ويقال فيما خلق الله فى السموات من الشمس والقمر والنجوم وما خلق الله فى الارض من الجبال والبحار والاشجار والوحوش والطيور (واختلاف الليل والنهار) يعنى ذهاب الليل ومجىء النهار ويقال فى اختلاف لونيهما أو فى تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة (لآيات لاولى الالباب) لعبرات كثيرة لذوى العقل الخالص من شوائب الاوهام والخيالات واللب خالص العقل فان العقل له ظاهر وله لب ففى أول الامر يكون عقلا وفى حال كماله ونهاية أمره يكون لبا (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) نعت لاولى الالباب أى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين فان الانسان لا يخلو عن هذه الهيآت غالبا (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) يعنى يعتبرون فى خلقهما وانما خص التفكر بالخلق لقوله عليه السلام تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق وانما نهى عن التفكر فى الخالق لان معرفة حقيقته المخصوصة غير ممكنة للبشر فلا فائدة لهم فى التفكر فى ذات الخالق ولما كان الانسان مركبا من النفس والبدن كانت العبودية بحسب النفس وبحسب البدن فأشار الى عبودية البدن بقوله الذين يذكرون الله الخ فان ذلك لا يتم الا باستعمال الجوارح والاعضاء وأشار الى عبودية القلب والروح بقوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض وعن عطاء بن أبى رباح قال دخلت مع ابن عمر وعبيد الله ابن عمر على عائشة رضى الله عنها فسلمت عليها فقالت من هؤلاء فقلت عبيد الله بن عمر فقالت مرحبا بك يا عبيد الله بن عمر مالك لا تزورنا فقال عبيد الله زر غبا تزدد حبا قال ابن عمر دعونا من هذا حدثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله عليه السلام فبكت بكاء شديدا فقالت كل أمره عجيب أتانى فى ليلتى فدخل فى فراشى حتى ألصق جلده بجلدى فقال يا عائشة أتأذنين لى أن أتعبد لربى فقلت والله انى لاحب قربك وهواك قد أذنت لك فقام الى قربة من ماء فتوضأ منها ثم قام فبكى وهو قائم حتى بلغ الدموع حقويه حتى اتكأ على شقه الايمن ووضع يده اليمنى تحت خده الايمن فبكى حتى أرت الدموع وبلغت الارض ثم أتاه بلال بعد ما أذن للفجر فلما رآه يبكى قال لم تبكى

يارسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ومالى لا أبكى وقد أنزلت على الليلة ان فى خلق السموات والارض الى قوله فقنا عذاب النار ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وفى الحديث تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وفى التفضيل وجهان أحدهما أن التفكر يوصلك الى الله والعبادة توصلك الى ثواب الله والذى يوصلك الى الله خير مما يوصلك الى غير الله والثانى أن التفكر عمل القلب والطاعة عمل الجوارح والقلب أشرف من الجوارح فكان عمل القلب أشرف من عمل الجوارح ثم شرع فى تعليم الدعاء تنبيها على أن الدعاء انما يجدى ويستحق الاجابة اذا كان بعد تقديم الوسيلة وهى اقامة وظائف العبودية من الذكر والفكر فقال (ربنا) يعنى يتفكرون ويقولون ربنا (ماخلقت هذا) أى السموات والارض وتذكير الاشارة لما أنهما باعتبار تعلق الخلق بهما فى معنى المخلوق (باطلا) أى خلقا باطلا عبثا ضائعا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه أوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها أن يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة أحوال المبدا والمعاد حسبما أفصحت عنه الرسل والكتب الالهية (سبحانك) أى ننزهك عما لا يليق بك من الامور التى من جملتها خلق ما لا حكمة فيه (فقنا عذاب النار) أى من عذاب النار الذى هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك وفائدة الفاء هى الدلالة على أن علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة وفيه اشارة الى عظم ذكر الله واشارة الى ثلاث مراتب أولاها الذكر باللسان وثانيتها التفكر بالقلب وثالثتها المعرفة بالروح لان ذكر اللسان يوصل صاحبه الى ذكر القلب فهو التفكر فى قدرة الله وذكر القلب يوصل الى مقام الروح فيعرف فى ذلك حقائق الاشياء ويشاهد الحكم الالهية فى خلق الله فيقول بعد المشاهدة ربنا ما خلقت هذا باطلا فينبغى للمؤمن أن يلازم ذكر الله بلسانه فى جميع الاحوال حتى يصل بسبب الذكر باللسان الى ذكر القلب ثم الى ذكر الروح ويحصل له اليقين والمعرفة ويتخلص من ظلمة الجهل ويتنور بنور المعرفة قال بعضهم معنى لا اله الا الله للعوام لا معبود الا الله ومعناها للخواص لا محبوب ولا مقصود الا الله ومعناها لاخص الخواص لا موجود الا الله فانه يكون فى تلك الحالة مستهلكا فى بحر الشهود فلا يشعر بشئ سوى الله ولا يرى موجودا وفى تفسير الحنفى منقول فى التوحيد أربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر وتمثيل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز فى قشرتيه العليا والسفلى فان له قشرتين وله لب وللب دهن وهو لب اللب فالمرتبة الاولى من التوحيد أن يقول الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافق والثانية أن يصدق بمعناه قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد والثالثة أن يشاهد ذلك بواسطة نور الهى وذلك أن يرى الاشياء صادرة من الواحد القهار والرابعة أن لا يرى فى الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين وهو الفناء فى التوحيد بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه فى الدنيا من السيف والسنان والثانى موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال من التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقد على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنها تحفظ صاحبها من العذاب فى الآخرة ان

توقف عليها ولم يضعف بالمعاصي عقدتها ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذا انكشف له لا فاعل بالحقيقة كما هي عليه لانه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لا فرق بينهما في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام والرابع موحد بمعنى أنه لا يرى غير الواحد وهذه الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما أن القشرة العليا الاخير فيها بل ان أكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كريه المنظر وان أخذ حطبا أطفأ النار وأكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا أن يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي البدن فيصونه من السيف وانما يتجرد عند الموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانه يصون اللب ويحرسه من الفساد عند الادخار واذا فصل أمكن أن ينتفع به حطبا لكونه لا قدر له بالنسبة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمجاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفتاحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام وكما أن اللب نفيس بالاضافة الى القشرة لانه المقصود لكن لا يخلو عن شوب بالنسبة الى الدهن كذلك هذا التوحيد لا يخلو عن ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لم يرسوى الواحد الحق انتهى ما في الحنفي واعلم أن الآية تدل على جواز ذكر الله تعالى قائما ولهذا قال المشايخ ولا بأس أن يقوموا ويروحوا القلوبهم ولا يتحركوا في ذلك ولا يستعملوا ويحال ليس عندهم منه حقيقة والحاصل أن التوحيد اذا قرن بالآداب فليس له وضع مخصوص يجوز قائما وقاعدا ومضطجعا ولكن ورد في الاحاديث ما يدل على استحباب الاخفاء في ذكر الله وذكر شارح الكشاف أن هذا بحسب المقام والشيخ المرشد يأمر المبتدئ برفع الصوت لتنقلع عن قلبه الخواطر الراسخة فيه كذا في شرح المشارق ويوافقه ما ذكر في المظهر حيث قال الذكر برفع الصوت جائز بل مستحب اذا لم يكن عن رياء ليغتنم الناس باظهار الدين ووصول بركة الذكر الى السامعين في الدور والبيوت والحوانيت وليوافق الذاكر من سمع صوته ويشهد له يوم القيامة كل رطب ويابس سمع صوته وبعض المشايخ اختار الاخفاء لانه أبعد عن الرياء وهذا يتعلق بالنية فمن كان نيته صادقة فرفع صوته بقراءة القرآن والذكر أولى لما ذكرنا ومن خاف من نفسه الرياء فالاولى له اخفاء الذكر لئلا يقع في الرياء انتهى قيل اذا كان وحده فان كان من الخواص فالاخفاء في حقه أولى وان كان من العوام فالجهر في حقه أولى واذا كانوا مجتمعين على الذكر فالاولى في حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة فانه أكثر تأثيرا في رفع الحجب ومن حيث الثواب فلكل واحد ثواب ذكر نفسه وسماع ذكر رفقائه قال الله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة شبه القلوب بالحجارة ومعلوم أن الحجر لا ينكسر

الآية قوة فقوة ذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد أشد من قوة ذكر شخص واحد كذا في ذخيرة
العابدين قال حسين الواعظ الملقب بالكاشفي * كفت وكوى عاشقان در كار رب * جوشش
عشقست نه ترك ادب * هركه كرد از جام حق يك جرعه نوش * نه ادب ماند در ونه عقل
وهوش * والمقصود أن السالك اذا سلب اختياره عند التوحيد بغلبة الوجد فلا دخل له في شئ
من أوضاعه وحركاته فانه اذا ليس في يده فلا يرد ما قيل * كار نادان كوته انديشست
* يادكردن كسى كه در پيشست * فان الجهر وحركات الموحد بالنسبة الى مقامه وحاله محمودة
جدا وأما المتصلفون المتكلفون فحركاتهم وأفعالهم من عند أنفسهم وقد نهى المشايخ
في كتبهم عن أمثال هؤلاء وأفعالهم وأقوالهم فعلى العاقل أن يراعي الآداب والاطوار
ولا ينفك لحظة عن ذكر الملك الغفار (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) غاية الاخزاء
ونظيره قولهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك أي المرعى الذي لا مرعى بعده والمراد به
تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بأن العذاب
الروحاني أفظع (وما للظالمين من أنصار) أراد بهم المدخلين وجمع الانصار بالنظر الى جمع الظالمين
أي وما لظالم من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الآية
دلالة على نفي الشفاعة لانها هي الدفع بطريق اللين والمسألة فنفي النصرة لا يستلزم نفي الشفاعة
(ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان) أوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه
عليه والمراد به الرسول عليه السلام فانه ينادي ويدعو الى الايمان حقيقة قال تعالى ادع الى
سبيل ربك (أن آمنوا) أي آمنوا على أن أن تفسيرية أو بأن آمنوا على انها مصدرية (بربكم)
بمالككم ومتولي أموركم ومبلغكم الى الكمال (فآمنا) أي فامتثلنا بأمره وأجبنا نداءه
(ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) أي كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله (وكفر عنا سيئاتنا) أي صغائرنا
فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر (وتوفنا) أي اقبض أرواحنا (مع الابرار) أي مخصوصين
بصحبتهم مغتنمين بجوارهم معدودين من زمرتهم فالمراد من المعية ليس المعية الزمانية لان
ذلك محال ضرورة ان توفيهم انما هو على سبيل التعاقب بل المراد المعية في الاتصاف بصفة الابرار
حال التوفي وفيه اشعار بأنهم كانوا يحبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه فمن
جعله الله ممن آمن بداعي الايمان فقد أكرمه مع أوليائه في الجنان فطوبى للذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه وطوبى لمن اتعظ بالموعظة الحسنة (قال الحافظ) نصيحت كوش كن جانا كه
از جان دوست تر دارند * جوانان سعادتمند پند پير دانارا (قال الشيخ السعدي) بكوى آنچه
داني سخن سودمند * وكر هيچ كس را نيايد پسند * كه فردا پشيمان برارد خروش * كه آوخ
چرا حق نكردم بكوش * قال أبو عامر الواعظ بينما أنا جالس بمسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ جاءني غلام وأعطاني رقعة فاذا فيها أسعدك الله يا أخي أبا عامر بلغني قدومك
واشتقت الى رؤيتك فذهبت مع الغلام فوصلنا الى بيت في خربة له باب من جريد النخل واذا فيه
شيخ قعد مستقبل القبلة محزون من الخشية قد ذهبت عيناه من البكاء فسلمت عليه فرد على
السلام فقال يا أبا عامر لم يزل قلبي الى استماع موعظتك مشتاقا وبي داء قد أعيا الواعظين
علاجه فقلت أيها الشيخ ارم ببصر قلبك في ملكوت السماء وتنقل بحقيقة ايمانك الى جنة

المأوى ترما أعد الله فيها للاولياء ثم انظر فى نار لظى ترما أعد الله للاشقياء فشتان ما بين الدارين وليس الفريقان على السواء فلما سمع قولى أنّ وصاح صيحة ثم قال والله لقد وقع دواؤك على الداء زدنى رحمك الله فقلت ان الله عالم بسريرتك فيطلع عليك عند استتارك ومبارزتك فلما سمع صاح صيحة أعظم من الاولى فخر ميتا فعند ذلك خرجت جارية عليها مدرعة وخمار من صوف قد ذهب السجود بجبهتها فقالت أحسنت يا مداوى قلوب العارفين ان هذا الشيخ كان والدى وهو مبتلى بالسقم منذ عشرين سنة وكان يتمنى الموت من الله ويقول حضرت مجلس أبى عامر فأحيا قلبى وطرد عنى غفلتى وان سمعته ثانيا قتلنى فجزاك الله خيرا ثم أكبت على والدها وجعلت تقبل بين عينيه وتبكى فقلت لها يا أيتها الباكية ان أباك نحبه قد مضى وورد دار الجزاء فان كان محسنا فله الزلفى وان كان مسيئا فوارد من أساء فصاحت ثم ماتت فبقيت حزينا عليهما فرأيتهما فى المنام فى أحسن مقام عليهما حلتان خضراوان فسألت عن حاليهما فقال الشيخ

أنت شريكى فى الذى نلته * فقم بشاهد يا أبا عامر
وكل من أيقظ ذا غفلة * فنصف ما يعطاه للآمر

ثم قال قدمت على رب كريم غير غضبان فأسكننى الجنان وزوجنى من الحور الحسان فاحرص يا أبا عامر على كثرة الدعاء والاستغفار الى الله الملك الغفار وطلب المغفرة آناء الليل وأطراف النهار من شيم الاخيار والابرار واعلم ان من تنصح بكلمة فقد آمن بمنادى الحق على لسان عبده فنجا من نيرانه ووصل الى المغفرة والرحمة فى جنانه (روى) ان حدادا كان يمسك الحديد المحمى بيده فسئل عنه فقال عشقت امرأة فراودتها وعرضت عليها مالا فقالت ان لى زوجا لا أحتاج الى المال ثم مات زوجها فطلبت أن أتزوجها فامتنعت وقالت لا أريد اذلال أولادى ثم بعد زمان احتاجت فأرسلت الىّ فقلت لا أعطيك شيأ حتى تعطينى مرادى فلما دخلت معها موضعا ارتعدت فقلت مالك فقالت أخاف الله السميع البصير فتركتها فقالت أنجاك الله من النار فمن ذلك الوقت لا تحرقنى نار الدنيا وأرجو من الله تعالى أن لا تحرقنى نار الآخرة فمن خشى الرحمن وذكر أنه بمحضر من الله فهو لا يجترئ على الذنب والآثام فيسلم من عذاب النار ويتنعم فى دار السلام عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وأما الدعاء فهو مخ العبادة وينفع فى الدنيا فيدفع الآفات وأما فى الآخرة فان الله يعطيه هدايا الى أيدى الملائكة ويقول ان هذه فى مقابلة دعائك فى الدنيا (وقال الحافظ) از آستان پير مغان سر چرا كشيم * دولت درين سرا وگشايش درين درست (وقال) هركه خواهد كو بيا وهرچه خواهد كو بگو * كبر وناز وحاجب ودربان درين درگاه نيست * حقق الله رجاءنا وقبل دعاءنا واعطانا ما هو خير لنا فى الدنيا والآخرة (ربنا وآتنا) أعطنا (ما وعدتنا على رسلك) على تصديق رسلك أو على ألسنة رسلك من الثواب والكرامة (ولا تخزنا) لا تهنا (يوم القيامة) بأن تعصمنا عما يقتضيه (انك لا تخلف الميعاد) اسم مصدر بمعنى الوعد وهذه الدعوات وما فى تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم أن لا يكونوا من جملة الموعودين لسوء عاقبة أو قصور فى الامتثال فرجعها الى الدعاء بالتثبيت أو للمبالغة فى التعبد والخشوع ثم قوله

ولا تخزنا يوم القيامة شبيه بقوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما ظن الانسان أنه على الاعتقاد الحق والعمل الصالح ثم انه يوم القيامة يظهر له أن اعتقاده كان ضلالا وعمله كان ذنبا فهنالك تحصل الخجالة العظيمة والحسرة الكاملة والأسف الشديد وذلك هو العذاب الروحانى وهو أشد من العذاب الجسمانى ومما يدل على هذا أنه سبحانه حكى عن هؤلاء العباد المؤمنين أنهم طلبوا فى هذه الانواع الخمسة من الدعاء أشياء فأول مطالبهم الاحتراز عن العذاب الجسمانى وهو قوله فقنا عذاب النار وآخرها الاحتراز عن العذاب الروحانى وهو قوله ولا تخزنا يوم القيامة وذلك يدل على ما قلنا ولذلك قالوا الفرقة أشد من الحرقة (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره) جورد وران وهر آن رنجى كه هست * سهلتر از بعد حق وغفلتست * كرجهاد وصوم سختست وخشن * ليك اين بهتر زبعد ممتحن * فليسارع المؤمن الى الطاعات ليدخل فى زمرة من وعدهم الله بالكرامات عن جابر رضى الله عنه كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا أحدثكم بغرف الجنة قلنا بلى يا رسول الله قال ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت قلنا يا رسول الله لمن هذه الغرف قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام وعن أبى بكر الوراق رحمه الله طلبنا أربعة فوجدناها فى أربعة وجدنا رضا الله فى طاعته وسعة الرزق فى صلاة الضحى وسلامة الدين فى حفظ اللسان ونور القبر فى صلاة الليل وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال آخر من يدخل الجنة رجل يمشى مرة ويسقط أخرى وتأخذه النار فاذا جاوزها التفت اليها ويقول سبحان من نجانى منك قد أعطانى شيأ ما أعطاه لأحد من الاولين والآخرين فيرفع له شجرة عظيمة الظل فيشتاق الى ظلها فيقول أى رب أدننى منها ولا أسألك غيرها فيدنيه منها ويشرب من مائها ثم يرفع له شجرة أعظم من الاولى فيقول أى رب أدننى منها ويعاهد أن لا يسأل غيرها فيدنيه منها فيرفع له شجرة أعظم مما تقدم فيسأله أن يدنيه فاذا أدنى سمع أصوات أهل الجنة ويقول أى رب لو أوصلتها الا أسالك فيقول الله يا ابن آدم ما أغدرك كم تعاهد وتكذب أترضى أن أعطيك مثل الدنيا ومثلها فيقول أتستهزئ بى وأنت رب العالمين ثم ضحك ابن مسعود فقالوا لم تضحك فقال هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لم ضحك رسول الله قال من ضحك رب العالمين فيقول الله لا أستهزئ ولكنى على ما أشاء قدير (حكى) ان والدى معروف الكرخى كانا من النصارى وكان معلم النصارى يقول لمعروف قل ثالث ثلاثة فيقول معروف بل هو الاحد الصمد فيضربه المعلم فهرب يوما فقال والداه لو جاء معروف فعلى أى دين وجدناه تبعناه فجاء على دين الاسلام فأسلما قال النبى عليه السلام ما منكم من أحد الا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر عن يمينه فلا يرى الا شيأ قدمه ثم ينظر عن يساره فلا يرى الا شيأ قدمه فيستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتق النار ولو بشق تمرة فليفعل (حكى) أن عجوزا كافرة كانت تطعم الطير ذرة فى أيام الشتاء فرآها ذو النون المصرى فقال ان الله تعالى لا يقبل من عدو ثم رآها فى الكعبة قد أسلمت فقالت يا ذا النون انه أعطانى الاسلام بما رأيته * بى كرم آدمى نه از بشرست * از شجر بلكه از حجر بترست * شجرى كان نى دهد ثمرى * هيمه را نيست لايق تبرست * عصمنا الله تعالى واياكم من النار وأدخلنا الجنة مع

الاصفياء والابرار (فاستجاب لهم ربهم) الى طلبتهم وهو أخص من أجاب فان أجاب معناه أعطاء الجواب وهو قد يكون بتحصيل المطلوب وبدونه واستجاب انما يقال لتحصيل المطلوب ويعدى بنفسه وباللام (أنى) أى بأنى (لا أضيع عمل عامل منكم) وهوما حكى عنهم من المواظبة على ذكر الله تعالى فى جميع حالاتهم والتفكر فى مصنوعاته استدلالا واعتبارا والثناء على الله بالاعتراف بربوبيته وتنزيهه عن العبث وخلق الباطل والاشتغال بالدعاء وجعل هذه الاعمال سببا للاستجابة يدل أن استجابة الدعاء مشروطة بهذه الشروط وبهذه الامور فلما كان حصول هذه الشرائط عزيزا لاجرم كان الشخص الذى يكون مجاب الدعاء عزيزا (من ذكر أو أنثى) بيان العامل وتأكيد لعمومه وهذا يدل على أنه لا تفاوت فى الاجابة وفى الثواب بين الذكر والانثى اذا كانا جميعا فى التمسك بالطاعة على السوية والفضل فى باب الدين بالاعمال لا بسائر صفات العاملين لان كون بعضهم ذكرا أو أنثى أو من نسب خسيس أو شريف لا تأثير له فى هذا الباب (بعضكم من بعض) لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر قال الامام فيه وجوه أحسنها أن يقال من بمعنى الكاف أى بعضكم كبعض فى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية قال القفال هذا من قولهم فلان منى أى على خلقى وسيرتى وهى معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روت أم سلمة قالت يارسول الله انى أسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزل قوله تعالى أنى لا أضيع الى آخره أى كما أن بعضكم من بعض كذلك أنتم فى ثواب العمل تثاب المرأة العاملة كما يثاب الرجل العامل وبالعكس فلا أثيب بعضا وأحرم آخر (فالذين هاجروا) تفصيل لاعمال العمال منهم وما أعدلهم من الثواب على المدح والتعظيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهى المهاجرة من مبتدأ أوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة (وأخرجوا من ديارهم) أى اضطروا الى الخروج من ديارهم التى ولدوا فيها ونشؤا بايذاء المشركين قال الامام المراد من قوله الذين هاجروا الذين اختاروا المهاجرة من أوطانهم فى خدمة الرسول والمراد من الذين أخرجوا من ديارهم الذين ألجأهم الكفار ولاشك أن رتبة الاولين أفضل لانهم اختاروا خدمة الرسول وملازمته على الاختيار فكانوا أفضل (وأوذوا فى سبيلى) فى سبيل الحق ودين التوحيد بسبب ايمانهم بالله ومن أجله وهو متناول لكل أذية نالتهم من قبل المشركين (وقاتلوا) أى الكفار فى سبيل الله (وقتلوا) استشهدوا فى القتال (لأكفرن عنهم سيئاتهم) أى والله لأمحون عنهم سيئاتهم (ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا) الثواب فى الاصل اسم لما يثاب به كالعطاء اسم لما يعطى الا أنه قد يوضع موضع المصدر فهو مصدر مؤكد بمعنى اثابة لان تكفير السيآت وادخال الجنة فى معنى الاثابة أى لاثيبنهم بذلك اثابة (من عند الله) صفة له أى كائنة من عند الله قصد بتوصيفه به تعظيم شأنه فان السلطان العظيم الشأن اذا قال لعبده أعطيك خلعة من عندى دل ذلك على كون تلك الخلعة فى غاية الشرف وأكد كون ذلك الثواب فى غاية الشرف بقوله (والله عنده حسن الثواب) أى حسن الجزاء على الطاعات قادر عليه وهو نعيم الجنة الباقى لا كنعيم الدنيا الفانى * نعيم آخرت باقيست أى دل * خنك آنكس كه باشد عبد مقبل * ولا يخفى أن هذا الجزاء العظيم والاجر الجسيم للذين جمعوا بين المهاجرة والاخراج من الاوطان والتأذى فى سبيل الله والقتال والمقتولية فعلى

الثالث أن يهاجر من وطن النفس والعمل السيئ والخلق الذميم ويخرج من ديار الطبيعة الى عالم الحقيقة حتى يدخل مقام العندية الخاصة فان ثمرات المجاهدات المشاهدات والعمل الصالح يستدل به على حسن العاقبة (روى) أن صفوان بن سليم كان يجتهد فى العبادة والقيام وكان يبيت على السطح فى أيام الشتاء لئلا يستريح من البرد وفى الصيف ينزل الى بيته ليعذب نفسه بحرّ الهواء وكان عادته ذلك الى أن مات فى سجدته ووصل الى رحمة الله وجنته فهذا هو الاجتهاد فعليك به فان احتالت نفسك عليك فى ذلك فحدثها بأخبار السلف وأحوالهم وحكاياتهم كى ترغب فى الطاعة والاجتهاد فان فى ذلك نفعا كليا وتأثيرا عظيما (قال الفاضل الجامى قدس سره) هجوم نفس وهوا كز سپاه شيطانند * چوزور بردل مرد خدا پرست آرد * بجز جنود حكايات رهنمايان خود * چه تاب آنكه بران رهزنان شكست آرد * فان قالت النفس انهم كانوا رجالا أقوياء كيف يقتدى بهم فى الطاعة من خلفهم فحدثها بأخبار النساء كيف كنّ اناثا ومع ذلك لم يتخلفن عن مجاهدات الرجال حتى وصلن الى ما وصلوا اليه كرابعة العدوية وغيرها قال بعضهم

ولو كان النساء كمن ذكرنا * لفضلت النساء على الرجال
فلا التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

(قال الشيخ السعدى قدس سره) زنانى كه طاعت برغبت برند * ز مردان ناپارسا بكذرند * ترا شرم بايد ز مردئ خويش * كه باشد زنانرا قبول از تو بيش * قال الحسن البصرى رحمه الله يا عجبا لاقوام بلا زاد وقد نودوا بالرحيل وحبس أولهم لآخرهم وهم قعود يلعبون (حكى) أن ملك الموت دخل على بعض الصالحين ليقبض روحه فقال مرحبا أنا والله منذ خمسين سنة أتأهب لك ولما بلغ عبد الله بن المبارك النزع فتح عينيه ثم ضحك فقال لمثل هذا فليعمل العاملون قال بعض العلماء من أراد أن ينال الجنة فعليه أن يداوم على خمسة أشياء الاول أن يمنع نفسه من المعاصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والثانى أن يرضى باليسير من الدنيا لانه روى فى الخبر أن ثمن الجنة الطاعة وترك الدنيا والثالث أن يكون حريصا على الطاعات ويتعلق بكل طاعة فلعل تلك الطاعة تكون سبب المغفرة ووجوب الجنة قال الله تعالى وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون الرابع أن يحب الصالحين وأهل الخير ويخالطهم ويجالسهم فان الصالح اذا غفر له يشفع لاخوانه وأصحابه والخامس أن يكثر الدعاء ويسأل الله تعالى أن يرزقه ويختم له بخير والحاصل أنه لا بد للعاقل من التأهب لمعاده بتزكية النفس واصلاح القلب * قال القاشانى فى تأويلاته عمل عامل منكم من ذكر القلب من الاعمال القلبية كالاخلاص واليقين والمكاشفة أو أنثى النفس من الاعمال القالبية كالطاعات والمجاهدات والرياضات بعضكم من بعض يجمعكم أصل واحد وحقيقة واحدة هى الروح أى بعضكم منشأ من بعض فلا أثيب بعضا وأحرم آخر فالذين هاجروا من أوطان مألوفات النفس وأخرجوا من ديار صفاتها أوهاجروا من أحوالهم التى التذوا بها وأخرجوا من مقاماتهم التى يسكنون اليها وأوذوا فى سبيلى أى ابتلوا فى سلوك سبيل أفعالى بالبلاء والمحن والشدائد والفتن ليتزنوا بالصبر ويفوزوا بالتوكل أو فى سلوك سبيل صفاتى بسطوات تجليات الجلال والعظمة والكبرياء ليصلوا الى مقام

الرضا وقاتلوا البقية بالجهاد فى وقتلوا فى الحب فى بالكلية لا كفرت عنهم سيئاتهم كلها من صغائر
ظهور أفعالهم وصفاتهم وكبائر بقايا ذواتهم فى تلوينا تهم ولا دخلنهم الجنات الثلاث المذكورة
ثوابا أى عوضا عما أخذت منهم من الوجودات الثلاثة والله عنده حسن الثواب ولا يكون
عند غيره الثواب المطلق الذى لا ثواب وراءه ولهذا قال والله لانه اسم الذات الجامع لجميع
الصفات فلم يحسن أن يقع غيره من الرحمن أو الرحيم أو سائر الاسماء موقعه (لا يغرنك) الخطاب
للنبى عليه السلام لان العصمة لا تزيل النهى فانه لو زال النهى عنه بذلك لبطلت العصمة فان
العصمة هى الحفظ من الخلاف واذا زال النهى لم يكن خلاف فلا تكون عصمة فالمراد تثبيته
على ما هو عليه من عدم التفاته الى الدنيا أو الخطاب له والمراد أمته كما يخاطب سيد القوم
ومقدمهم والمراد به كلهم كأنه قيل لا يغرنكم (تقلب الذين كفروا فى البلاد) والنهى فى المعنى
للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب وهو التقلب منزلة المسبب وهو اغترار المخاطب
للمبالغة والمعنى لا تمدن عينيك ولا تستشرف نفسك الى ما هم عليه من سعة الرزق واصابة حظوظ
الدنيا ولا تغتر بظاهر حالهم من التبسط فى الارض والتصرف فى البلاد يتكسبون ويتجرون
ويتدهقنون (روى) أن بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان
أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت (متاع قليل) أى ذلك التقلب
متاع قليل لا قدر له فى جنب ما أعد الله للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا فى الآخرة الا مثل
ما يجعل أحدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع فاذا لا يجدى وجوده لواجديه ولا يضر فقدانه
لفاقديه (ثم مأواهم) أى مصيرهم الذى يأوون اليه لا يبرحونه (جهنم) التى لا يوصف عذابها
يعنى أنه مع قلته سبب الوقوع فى نار جهنم أبد الآباد والنعمة القليلة اذا كانت سببا للمضرة
العظيمة لم يعد ذلك نعمة (وبئس المهاد) أى بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم (لكن الذين اتقوا
ربهم) أى خافوه فلم يخالفوا أمره ونهيه (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) وجه
الاستدراك أنه تعالى لما وصف الكفار بقلة نفع تقلبهم فى البلاد لاجل التجارة وجاز أن يتوهم
متوهم أن قلة النفع من لوازم التقلب من حيث هو استدرك أن المتقين وان تقلبوا وأصابوا
ما أصابه الكفار أو لم يصيبوا لهم مثوبات حسنى لا يقادر قدرها (نزلا من عند الله) حال من
جنات لتخصصها بالوصف والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما (وما عند الله) لكثرته
ودوامه (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وعن ابن مسعود رضى الله عنه
ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها أما البرة فان الله تعالى يقول وما عند الله خير
للابرار وأما الفاجرة فانه يقول انما نملى لهم ليزدادوا اثما وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شئ وتحت رأسه
وسادة من أدم حشوها ليف وان عند رجليه قرظا مصبورا وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر
الحصير فى جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت
رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن يكون لهما الدنيا ولنا الآخرة * از پى ذكر شوق
حق مارا * درد وعالم دل وزبانى بس * وز طعام ولباس أهل جهان * كهنه دلق ونيم نانى بس *
ومما وجد فى خزائن الاسكندر مكتوبا بالذهب الاحمر حركات الافلاك لئلا تبقى على أحد نعمة فاذا

أعطى العبد مالا أو جاها أو رفعة فلتكن همته فى اتهاز الفرصة وتقليد المنن أعناق الرجال فان الدنيا والجاه والرفعة تزول اماندم طويل أو مدح جزيل فأكرموا من له حسب فى الاصل أو قدم فى المروأة ولا يغرنكم تقلب الزمان بأهله فان للدهر عثرات يجبر كا يكسر ويكسر كا يجبر والامر الى الله تعالى (قال جلال الدين الرومى قدس سره) چند كوبى من بكيرم عالمى * اين جهانرا پركنم از خود همى * كرجهان پر برف كردد سر بسر * تاب خور بكدازدش بايك نظر * وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا انه من رغب فى الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد فى الدنيا وقصر أمله أعطاه الله تعالى علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى أعطاه تعالى ثواب خمسين صديقا قال ابن عباس رضى الله عنه يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء وأنيابها بادية مشوهة خلقها وتشرف على الخلائق فيقال أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف فى جهنم فتنادى يارب اين أتباعى وأشياعى فيقول الله تعالى ألحقوا بها أتباعها قال عليه السلام يحشر أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة ويؤمر بهم الى النار قالوا يارسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون سنة من الليل فاذا عرض لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه قالت عائشة رضى الله عنها قلت يارسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع وشد الحجر على بطنه من السغب فقال ياعائشة والذى نفسى بيده لو سألت ربى أن يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها ياعائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد (وروى) أنه عليه السلام عرض عليه عشار من النوق وهى الحوامل منها فأعرض عنها وغض بصره مع أنها من أحب الاموال اليهم وأنفسها عندهم لانها كانت تجمع الظهر واللحم واللبن والعظمة فى قلوبهم قال الله عز وجل واذا العشار عطلت فلما لم يلتفت اليها قيل له يارسول الله هذه أنفس أموالنا فلم تنظر اليها قال قد نهى الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به الآية هذا دعامته مع الدنيا وفى التوجه الى الآخرة ما كان يريد الا الرفيق الاعلى قال صلى الله عليه وسلم أنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم ومن دونه ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر والمقصود أن فى الفقر والقناعة فضيلة وأن الفقراء يدخلون الجنة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاغنياء * أى قناعت توانكرم كردان * كه وراى تو هيچ نعمت نيست * كنج صبر اختيار لقمانست * هر كرا صبر نيست حكمت نيست * فعلى العبد العاقل أن يجتنب عن الدنيا واخوانها ويرغب فى الآخرة وجنانها بل يترقى الى الوصول الى الله تعالى قال أبو يزيد البسطامى قدس سره فى عباد الله عبد لو أعطى الجنات بزينتها الهرب منها كما يهرب أهل النار من النار وهو

الذى

الذى غلب عليه محبة الله فلا يميل الى غيره ومن ذلك المقام قال أبو يزيد غاب قلبى عنى ثمانين سنة فلما أردت أن آخذه قيل أتطلب غيرنا (وحكى) عن بعض الصالحين أنه رأى فى المنام معروفا الكرخى شاخصا ببصره نحو العرش قد اشتغل عن الحور العين وقصور الجنة فسأل رضوان من هذا قال معروف الكرخى مات مشتاقا الى الله فأباح له أن ينظر اليه فعلم نظر العارف الجنة المعنوية وهى جنة معرفة الله ووصوله التى هى خير من جنة الفردوس وأعلى عليين فليسارع السالك الى وصول هذه الجنة ودخولها قبل ادراك المنية وانقضاء عمره ومجىء أجله * حضورى

كرهمى خواهى ازو غايب مشو حافظ متى ما تلق من تهوى دع الدنيا وأهملها

أوصلنا الله واياكم الى الحضور واليقين (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) نزلت فى عبد الله ابن سلام وأصحابه وقيل فى أربعين من نجران واثنين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فأسلموا وقيل فى أصحمة النجاشى فانه لما مات نعاه جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فقالوا من هو قال النجاشى فخرج الى البقيع وكشف له الى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشى فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى حبشى لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله هذه الآية (وما أنزل اليكم) من القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) أى متواضعين له من خوف عذابه ورجاء ثوابه وهو حال من فاعل يؤمن لان من فى معنى الجمع (لا يشترون) لا يأخذون (بآيات الله) المكتوبة فى التوراة والانجيل من نعت النبى عليه السلام (ثمنا قليلا) أى عرضا يسيرا من حطام الدنيا خوفا على الرياسة كفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم والجملة حال عما قبله (أولئك) أى أهل هذه الصفة (لهم أجرهم) أى المختص بهم الموعود لهم فى قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين (عند ربهم) نصب على الحالية من أجرهم والمراد به التشريف (ان الله سريع الحساب) لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تأمل ووعى صدر وكتب يد والمراد أن الاجر الموعود سريع الوصول اليهم فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء * والاشارة فى قوله ان الله سريع الحساب الى أن العلماء المتقين الذين يؤمنون بالواردات والالهامات والكشوف بأرباب القلوب والخواطر الرحمانية وهم الحكماء الالهية يعجل الله فى جزاء أعمالهم بحسب نياتهم مراتب ليبلغهم الى مقاماتهم فى القرب قبل وفاتهم ولا يؤجل الى ما بعد وفاتهم فان من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى والانسان يموت كما يعيش ويبعث على ما مات عليه وعن ابن عباس رضى الله عنه ان جبريل عليه السلام جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهو يقول مالى أراك مغموما حزينا قال عليه السلام يا جبريل طال تفكرى فى أمتى يوم القيامة قال فى أمر أهل الكفر أم فى أهل الاسلام فقال يا جبريل فى أمر أهل لا اله الا الله محمد رسول الله فأخذ بيده حتى أقامه الى مقبرة بنى سلمة ثم ضرب بجناحه الايمن على قبر ميت فقال قم باذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقال جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الايسر فقال قم باذن الله فخرج رجل مسود الوجه أزرق العينين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه فقال له جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم قال يا محمد على هذا

يبعثون يوم القيامة وعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تموتون كما تعيشون وتبعثون كما تموتون فظهر أن الله سريع الحساب يوصل الى كل جزاء عمله فأما الواصلون فهم فى الجنة المعنوية فى الدنيا يتنعمون وأما الغافلون فهم فى نار البعد والفراق ولكنهم لا يحسون الالم قبل وفاتهم فاذا ماتوا انقلب الحال من المعنى الى الحس عصمنا الله واياكم من نار البعد وعذاب السعير وشرفنا بنعيم وصاله ورؤية جماله المنير * كنون بايد اى خفته بيدار بود * چو مرك اندر آرد ز خوابت چه سود * تو پاك آمدى بر حذر باش وپاك * كه ننكست ناپاك رفتن بخاك * كنون بايد اين مرغ را پاى بست * نه آنكه كه سررشته بردت ز دست * (وذكر) أن ابراهيم بن أدهم رحمه الله أراد أن يدخل الحمام فمنعه الحمامى وقال لا تدخل الا بأجرة فبكى ابراهيم وقال لا يؤذن لى أن أدخل بيت الشياطين مجانا فكيف بالدخول الى بيت النبيين والصديقين مجانا فظهر أن من كان فى الدنيا غافلا فهو فى الآخرة مع الغافلين وحسابه فى الآخرة على مقدار عمله فمن لم يعمل صالحا كان هنالك خاليا عن المثوبات * برفتند وهر كس درود آنچه كشت * نماند بجز نام نيكو وزشت * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة حوراء يقال لها العيناء لو بصقت فى البحر بصقة لعذب البحر مكتوب على نحرها من أحب ان يكون له مثلى فليعمل بطاعة ربى ونعم ما قيل

بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلا سهر الليالى

تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلى

فلا بد من تدارك أمر الآخرة وتوفيت امرأة الفرزدق فخرج فى جنازتها وجوه أهل البصرة وخرج فيها الحسن البصرى فقال الحسن للفرزدق يا أبا فراس ما أعددت لهذا اليوم قال شهادة أن لا اله الا الله منذ ثمانين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها وأنشد هذه الابيات

أخاف وراء القبر ان لم يعافنى * أشد من القبر التهابا وأضيقا

اذا جاءنى يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة أزرقا

وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار فنسأل الله سبحانه أن يجيرنا من النار ويدخلنا الجنة مع الابرار ويوفقنا للاعمال الصالحة المحمودة ويجعلنا من الفرقة الناجية بحق النبى الذى به وصل من وصل الى الله عز وجل فى المشارق والمغارب وانتهى الى منازل المقاصد والمآرب (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد كالمرض والفقر والقحط والخوف وغير ذلك من المشاق (وصابروا) وغالبوا أعداء الله فى الصبر على شدائد الحرب وأعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى والمصابرة نوع خاص من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته وكونه أكمل وأفضل من الصبر على ما سواه والصبر هو حبس النفس عما لا يرضاه الله وأوله التصبر وهو التكلف لذلك ثم المصابرة وهى معارضة ما يمنعه عن ذلك ثم الاصطبار والاعتبار والالتزام ثم الصبر وهو كماله وحصوله من غير كلفة (ورابطوا) أبدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين وأنفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام ألا أدلكم على

ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يارسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط (واتقوا الله لعلكم تفلحون) واتقوه بالتبرى عما سواه لكى تفلحوا غاية الفلاح أو اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المرتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة فعلم من هذا أن الصبر دون المصابرة والمصابرة دون المرابطة (قيل) توكزسراى طبيعت نميروى بيرون * كجا بكوى طريقت كذر توانى كرد * ولا بد من السالك حتى يتجاوز العبد عن الاحوال والمقامات الى أقصى النهايات (وحكى) عن ابراهيم بن أدهم أنه كان يسير الى بيت الله راجلا فاذا اعرابى على ناقة فقال يا شيخ الى أين فقال ابراهيم الى بيت الله قال كيف وأنت راجل لا راحلة لك فقال ان لى مراكب كثيرة فقال ماهى قال اذا نزلت على بلية ركبت مركب الصبر واذا نزلت على نعمة ركبت مركب الشكر واذا نزل بى القضاء ركبت مركب الرضا واذا دعتنى النفس الى شئ علمت أن ما بقى من العمر أقل مما مضى فقال الاعرابى أنت الراكب وأنا الراجل سر فى بلاد الله فالاشتغال طول العمر بالمجاهدة لازم حتى تنقلع الاخلاق الذميمة من النفس وتتبدل بالاوصاف الشريفة من الصبر وغيره ومثل هذه المجاهدة هى المرابطة (روى) أن واحدا من الصلحاء كان يختم كل ليلة ويجتهد فى العبادة فقيل له انك تتعب نفسك وتوقعها فى المشقة فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال وكم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون ألف سنة فقال لو عمر المرء بعمر الدنيا لحق له أن يجتهد فى العبادات لهذا اليوم الطويل فانه أسهل بالنسبة اليه وكانت معاذة العدوية امرأة صالحة كانت اذا جاء النهار تقول هذا اليوم يوم موتى فتشتغل بالعبادة الى المساء فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة ليلة موتى فتحييها الى الصباح الى أن ماتت على هذا النمط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة فهذا فى الجهاد الاصغر فكيف الحال فى الجهاد الاكبر يعنى أن المثوبات والدرجات أكثر فى حفظ النفس ومراقبتها وحبسها على الطاعات والعبادات * نكهدار فرصت كه عالم دميست * دمى پيش دانا به از عالميست * سر از جيب غفلت برآور كنون * كه فردا نماند بخجلت نكون (قال الحافظ) دانا كه زد تفرج اين چرخ حقه باز * هنكامه بازچيد ودر كفت وكو ببست * قال أبو يزيد البسطامى رحمه الله العارف من كان همه هما واحدا ولم ينتقل قلبه الى ما رأت عيناه وسمعت أذناه (روى) أن زاهدا كان يجتهد فى العبادة فرآه رجل قد صار لباسه ذا وسخ فقال أيها العابد لم لا تغسل ثوبك قال العابد لانه ان غسلته يتوسخ ثانيا قال الرجل فاغسله مرة أخرى قال العابد ان الله لم يخلقنا لان نغسل ثيابنا ونذهب عمرنا بهذا العمل بل للطاعة والعبادة (قال مولانا جلال الدين) * أول استعداد جنت بايدت * تاز جنت زندكانى زايدت * تداركنا الله تعالى بلطفه وجاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى أصوم شهر رمضان وأصلى كل يوم خمس صلوات ولا أزيد على هذا لانى فقير ليس على زكاة ولا حج فاذا قامت القيامة فى أى دار أكون أنا فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وقال اذا حفظت عينيك عن اثنين عن النظر الى المحرمات والنظر الى الخلق بعين الاحتقار وحفظت

كان كذلك فيجب أن يكون المرء حذرا مما يأتى ويذر وليعلم ان التقوى هى العمدة وهى سبب الكرامة العظمى فى الدنيا والعقبى (حكى) انه كان بالبصرة رجل معروف بالمسكى لانه كان يفوح منه رائحة المسك فسئل عنه فقال كنت من أحسن الناس وجها وكان لى حياء فقيل لابى لو أجلسته فى السوق لانبسط مع الناس فأجلسنى فى حانوت بزاز فجازت عجوز وطلبت متاعا فأخرجت لها ما طلبت فقالت لو توجهت معى لثمنه فمضيت معها حتى أدخلتنى فى قصر عظيم فيه قبة عظيمة فاذا فيها جارية على سرير عليه فرش مذهبة فجذبتنى الى صدرها فقلت الله الله فقالت لا بأس فقلت انى حاقن فدخلت الخلاء وتغوطت ومسحت به وجهى وبدنى فقيل انه مجنون فخلصت ورأيت الليلة رجلا قال لى أين أنت من يوسف بن يعقوب ثم قال اتعرفنى قلت لا قال أنا جبريل ثم مسح بيده على وجهى وبدنى فمن ذلك الوقت يفوح المسك على من رائحة جبريل عليه السلام وذلك ببركة التقوى * والتقوى فى عرف الشرع وقاية النفس عما يضرها فى الآخرة وهى على مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل اثم وهو المتعارف باسم التقوى وهو المعنى بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا الكفرنا والثالثة التنزه عن جميع ما يشغله وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته * ومن هذا القبيل ما حكى عن ذى النون المصرى أنه لما جاء اليه بعض الوزراء وطلب الهمة وأظهر الخشية من السلطان قال له لو خشيت أنا من الله كما تخشى أنت من السلطان لكنت من جملة الصديقين * كر نبودى اميد راحت ورنج * باى درويش بر فلك بودى * ور وزير از خدا بترسيدى * همجنان كز ملك ملك بودى * فينبغى للسالك أن يتقى ربه ويراقب الله فى جميع أحواله كما قال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا * والمراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه فاستدامته لهذا العلم مراقبة لربه وهذا أصل كل خير ولا يكاد يصل الى هذه الرتبة الا بعد فراغه من المحاسبة فاذا حاسب نفسه على ما سلف وأصلح حاله فى الوقت ولازم طريق الحق وأحسن ما بينه وبين الله من مراعاة القلب وحفظه مع الله الانفاس وراقب الله سبحانه فى عموم أحواله فيعلم انه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم أحواله ويرى أفعاله ويسمع أقواله ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة قال سليمان بن على لحميد الطويل عظنى قال لئن كنت عصيت الله خاليا وظننت انه يراك فقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فقد كفرت لقوله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وكان لبعض الصالحين له تلامذة وكان يخص واحدا منهم باقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره فقالوا له فى ذلك فقال أبين لكم فدفع لكل واحد من تلامذته طائرا وقال له اذبحه بحيث لا يراك أحد ودفع الى هذا أيضا فمضوا ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طيره وجاء هذا بالطير حيا فقال له هلا ذبحته فقال أمرتنى أن أذبحه بحيث لا يراه أحد ولم أجد موضعا لا يراه أحد فقال لهذا أخصه باقبالى عليه * جهان مرآت حسن شاهد ماست * فشاهد وجهه فى كل ذرات

(وآتوا اليتامى أموالهم) اليتامى جمع يتيم وهو من الناس المنفرد عن الاب بموته ومن سائر الحيوانات عن الام وحق هذا الاسم أن يقع على الصغير والكبير لبقاء معنى الانفراد عن الاب الا انه غلب استعماله فى الصغير لاستغناء الكبير بنفسه عن الكافل فكأنه خرج عن

معنى اليتم وهو الانفراد والمراد بايتاء أموالهم قطع المخاطبين أطماعهم الفارغة عنها وكف
أكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم وتصل اليهم
سالمة لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا
للايذان بأنه ينبغي أن يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها والمعنى أيها
الاولياء والاوصياء احفظوا أموال اليتامى ولا تتعرضوا لها بسوء وسلوها اليهم وقت
استحقاقهم تسليمها اليهم (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) تبدل الشئ بالشئ واستبداله به أخذ
الاول بدل الثاني بعد أن كان حاصلا له أو في شرف الحصول أي لا تستبدلوا الحلال المكتسب
بالحرام المغتصب يعني لا تتبدلوا أموال اليتامى وهو حرام بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من
المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتأكلوه مكانه (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم)
المراد من الاكل التصرف لان أكل مال اليتيم كما يحرم فكذا سائر التصرفات المهلكة لتلك
الاموال محرمة والدليل عليه ان في المال ما لا يصح أن يؤكل وانما ذكر الاكل لانه معظم ما يقع
لاجله التصرف والى بمعنى مع قال تعالى من أنصاري الى الله أي مع الله والاصح أن المعنى
لا تأكلوها مضمومة الى أموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذا حرام وقد خص من ذلك
مقدار أجر المثل عند كون الولي فقيرا واذا أكل مال اليتيم وله مال كان ذلك أقبح ولذا ورد النهي
عن أكله مع ماله نفسه بعد أن قال ولا تتبدلوا الخ (انه) أي الاكل المفهوم من النهي (كان
حوبا كبيرا) أي ذنبا عظيما عند الله فاجتنبوه (روي) أن رجلا من بني غطفان كان معه مال
كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي عليه السلام فنزلت هذه
الآية فلما سمع العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما
قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله فقال عليه السلام ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف بقي
الوزر فقال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده (قال الشيخ السعدي قدس سره) از زر وسيم
راحتي برسان * خويشتن هم تمتعي بركير * چونكه اين خانه از تو خواهد ماند * خشتي از سيم
وخشتي از زر كير * قال تعالى وآتوا اليتامى أموالهم تزكية من آفة الحرص والحسد والدناءة
والخسة والطمع وتحلية بالامانة والديانة وسلامة الصدر وقال ولا تأكلوا أموالهم الى
أموالكم تزكية من الجور والحيف والظلم وتحلية بالعدل والانصاف فان اجتماع هذه الرذائل
كان حوبا كبيرا أي حجابا عظيما فعلى العاقل أن يزكي نفسه من الاخلاق الرديئة ولا يطمع في
حق أحد جل أو قل بل يكون سخيا باذلا ماله على الارامل والايتام ويراعي حقوقهم بقدر الامكان
* وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ست موبقات ليس لهن توبة أكل مال اليتيم وقذف
المحصنة والفرار من الزحف والسحر والشرك بالله وقتل نبي من الانبياء ويقال طوبى للبيت
الذي فيه يتيم وويل للبيت الذي فيه يتيم يعني ويل لاهل البيت الذين لم يعرفوا حق اليتيم وطوبى
لهم اذا عرفوا حقه * يكي خار پاي يتيمي بكند * بخواب اندرش ديد صدر خجند * كه ميكفت
ودر روضها مي چميد * كزان خار برمن چه كلها دميد * وروي أن رجلا جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال عندي يتيم أضربه قال مما تضرب ولدك يعني لا بأس ان تضربه للتأديب ضربا غير

مبرح مثل مايضرب الوالد ولده وروى عن الفضيل بن عياض انه قال رب لطمة أنفع لليتيم من
اكلة خبيص قال الفقيه فى تنبيه الغافلين ان كان هذا يقدر أن يؤدبه بغير ضرب ينبغى له أن يفعل
ذلك ولا يضربه فان ضرب اليتيم أمر شديد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اليتيم اذا ضرب
اهتز عرش الرحمن لبكائه فيقول الله يا ملائكتى من ابكى الذى غيبت أباه فى التراب وهو أعلم به قال
تقول الملائكة ربنا لا علم لنا قال فانى أشهدكم ان من أرضاه أرضه من عندى يوم القيامة * چو بينى
يتيمى سرافكنده پيش * مده بوسه برروى فرزند خويش * يتيم ار بگريد كه نازش خرد * وگر خشم
گيرد كه بارش برد * الا تا نگريد كه عرش عظيم * بلرزد همى چون بگريد يتيم * اگر سايه خود
برفت از سرش * تو در سايه خويشتن پرورش قال الله تعالى لداود النبى عليه السلام كن لليتيم
كالاب الرحيم واعلم انك كما تزرع كذلك تحصد واعلم ان المرأة الصالحة لزوجها كالملك المتوج
بالذهب كلما رآها قرت عينه والمرأة السوء لبعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير * كرا خانه آباد
وهمخوابه دوست * خدا را برحمت نظر سوى أوست * دلارام باشد زن نيك خواه * ولى
از زن بد خدايا پناه * تهى پاى رفتن به از كفش تنگ * بلاى سفر به كه در خانه جنگ (وان خفتم
أن لا تقسطوا فى اليتامى) الاقساط العدل والمراد بالخوف العلم عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم
مخوفا محذورا لا معناه الحقيقى لان الذى علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف
منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصبر على الجور ولا يخافه وسبب النزول انهم كانوا يتزوجون من
يحل لهم من اليتامى اللاتى يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل فى مالهن ويسيئون فى الصحبة والمعاشرة
ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وقيل هى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى مالها وجمالها ويريد
أن ينكحها بأدنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن فى اكمال الصداق
وأمروا أن ينكحوا من سواهن من النساء والمعنى وان خفتم أن لا تعدلوا فى حق اليتامى اذا
تزوجتم بهن باساءة العشرة أو بنقص الصداق (فانكحوا ما) موصولة أو موصوفة أوثرت على
من ذهابا بها الى الوصف أى نكاحا (طاب لكم من النساء) أى غير اليتامى بشهادة قرينة المقام
أى فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات (مثنى وثلاث ورباع) حال من فاعل طاب
أى فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا حسبما
تريدون على معنى ان لكل واحد منهم أن يختار أى عدد شاء من الاعداد المذكورة لا ان بعضها
لبعض منهم وبعضها لبعض آخر (فان خفتم أن لا تعدلوا) أى فيما بينهن ولو فى أقل الاعداد
المذكورة كما خفتموه فى حق اليتامى أو كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد (فواحدة) فالزموا
أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية (أو ما) ولم يقل من ايذانا بقصور رتبة الاماء عن رتبة
العقلاء (ملكت أيمانكم) أى من السرارى بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على
واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق التسرى لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه
لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين فى الموضعين وانما سوى
فى السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السرارى من غير حصر فى عددها لقلة تبعتهن
وخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم فيهن (ذلك) اشارة الى اختيار الواحدة (أدنى ان لا تعولوا)
العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال فى الحكم جار والمراد ههنا الميل المحظور

المقابل للعدل أى ماذكر من اختيار الواحدة والتسرى أقرب بالنسبة الى ما عداهما من أن لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء محله فى الاول وانتفاء خطره فى الثانى بخلاف اختيار العدد فى المهائر فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر (وآتوا النساء) أى اللاتى أمر بنكاحهن (صدقاتهن) جمع صدقة وهى المهر (نحلة) فريضة من الله لانها مما فرضه الله فى النحلة أى الملة والشريعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات أى أعطوهن مهورهن حال كونها فريضة من الله أو تدينا فانتصابها على انه مفعول له أى أعطوهن ديانة وشرعة او هبة وعطية من الله وتفضلا منه عليهن فانتصابها على الحالية منها أيضا أو عطية من جهة الازواج من نحله اذا أعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضا وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك اى تعظم (فان طبن لكم عن شئ منه) الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافى والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشئ أى كائن من الصداق وفيه بعث لهن الى تقليل الموهوب (نفسا) تمييز والتوحيد لما أن المقصود بيان الجنس أى وهبن لكم شيأ من الصداق متجافيا عن نفوسهن طيبات غير خبيثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم (فكلوه) أى فخذوا ذلك الشئ الذى طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية (هنيئا مريئا) صفتان من هنأ الطعام ومرأ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه ونصبهما على أنهما صفتان للمصدر أى أكلا هنيئا مريئا وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة فى الاباحة وازالة التبعة (روى) ان ناسا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيأ مما ساقه اليها فنزلت وفى الآية دليل على وجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس ولذا قيل يجوز الرجوع عما وهبن ان خدعن من الازواج وبيان لجواز معروفها وترغيب فى حسن المعاشرة بينهما فان خير الناس خيرهم لاهله وأنفعهم لعياله وفى الحديث جهاد المرأة حسن التبعل وكانت المرأة على عهد النبى عليه السلام تستقبل زوجها اذا دخل وتقول مرحبا بسيدى وسيد أهل بيتى وتقصد الى أخذ ردائه فتأخذه من عنقه وتعمد الى نعله فتخلعه فان رأته حزينا قالت ما يحزنك ان كان حزنك لآخرتك فزادك الله فيها وان كان لدنياك فكفاك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا فلان اقرئها منى السلام وأخبرها أن لها نصف أجر الشهيد وعلامة الزوجة الصالحة عند أهل الحقيقة أن يكون حسنها مخافة الله وغناها القناعة وحليها العفة أى التعفف عن الشرور والمفاسد وعبادتها بعد الفرائض حسن الخدمة للزوج وهمتها الاستعداد للموت * اگر پارسا باشد وخوش سخن * نگه در نكويى وزشتى مكن * زن خوب وخوش طبع گنجست ومار * رها كن زن زشت ناساز كار * يعنى لا تلتفت الى امرأة ليس لها حسن ولا موافقة لك بحسن الخلق (روى) ان الاسكندر كان يوما عنده جمع من

ندمائه فقال واحد منهم ان الله تعالى اعطى لك مملكة كثيرة وشوكة وافرة فاكثر من النساء حتى يكثر اولادك ويبقى ابعدك قال الاسكندر اولاد الرجال ليست ماذكرت بل هى العادات الحسنة والسير المرضية والاخلاق الكريمة وليس مما يليق بالرجل الشجيع ان تغلب عليه النساء بعد ان غلب هو على اهالى الدنيا ونعم ماقيل * يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام *
چو نيست پيش بد راين قدر يقين كه پسر * زخيل بى خردانست يا خردمندان * بسست سيرت نيكو حكيم را فرزند * چون زن چه شود براميد فرزندان * (قال الشيخ السعدى قدس سره فى البستان) چه نغز آمد اين يك سخن زان دو تن * كه سر كشته بودند از دست زن * يكى گفت كس را زن بد مباد * دگر گفت زن در جهان خود مباد * زن نو كن اى دوست هر نو بهار * كه تقويم پارين نيايد بكار * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من امتى يكونون فى جهنم كعمر الدنيا سبع مرات اولهم متسمنون مهزولون والثانى كاسون عارون والثالث عالمون جاهلون قيل من هؤلاء يارسول الله قال اما المتسمنون المهزولون فالنساء متسمنات باللحم مهزولات فى امور الدين واما الكاسون العارون فهن النساء كاسيات من الثياب عاريات من الحياء واما العالمون الجاهلون فهم اهل الدنيا التاجرون الكاسبون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فهؤلاء عالمون فى أمور الدنيا جاهلون فى أمور الآخرة لايبالون من أين يجمعون المال وهم لا يشبعون من الحلال ولا يبالون من الحرام نعوذ بالله (ولا تؤتوا) أيها الاولياء (السفهاء) أى المبذرين من الرجال والنساء والصبيان واليتامى (أموالكم) أضاف الاموال الى الاولياء تنزيلا لاختصاصها بالاولياء منزلة اختصاصها بأصحابها فكأن أموالهم عين أموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسى والنسبى مبالغة فى حملهم على المحافظة عليها وقد أيد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا للمعاش أصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء بقوله (التى جعل الله لكم قياما) أى جعلها الله شيأ تقومون به وتتعيشون فلو ضيعتموه لضعتم ولما كان المال سببا للقيام والاستقلال سماه بالقيام اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة فكأنها من فرط قيامهم بها واحتياجهم اليها نفس قيامهم (وارزقوهم فيها واكسوهم) الرزق من الله العطية من غير حد ومن العباد اجراء موقت محدود أى أطعموهم منها ولم يقل منها لئلا يكون ذلك أمرا بأن يجعلوا بعض أموالهم رزقا لهم بل امرهم أن يجعلوا أموالهم مكانا لرزقهم بأن يتجروا فيها ويثمروا فيجعلوا أرزاقهم من الارباح لا من أصول الاموال (وقولوا لهم قولا معروفا) كلاما لينا تطيب به نفوسهم قال القفال القول المعروف هو أنه ان كان المولى عليه صبيا فالولى يعرّفه أن المال ماله وهو خازن له وأنه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه وان كان المولى عليه سفيها وعظه ونصحه وحثه على الصلاة ورغبه فى ترك التبذير والاسراف وعرّفه ان عاقبة التبذير الفقر والاحتياج الى الخلق الى مايشبه هذا النوع من الكلام واذا كان رشيدا فطالب له ومنعه الولى يأثم وفى الآية تنبيه على عظم خطر المال وعظم نفعه قال السلف المال سلاح المؤمن هى للفقر الذى يهلك دينه وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم فى زمان اذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا فى جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك قال الامام وقد رغب الله فى حفظ المال فى آية المداينة حيث

أمر بالكتاب والشهادات والرهن والعقل أيضا يؤيد ذلك لان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بتحصيل الدنيا والآخرة ولا يكون فارغ البال الا بواسطة المال لانه به يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار * شب پراكنده خسبد انكه بديد * نبود وجه بامداد انش * مور كرد آورد بتابستان * تا فراغت بود زمستانش * فمن أراد الدنيا بهذا الغرض كانت الدنيا فى حقه من أعظم الاسباب المعينة على اكتساب سعادة الآخرة أما من أرادها لنفسها وعينها كانت من أعظم المعوّقات عن كسب سعادة الآخرة فخير المال ما كان متاع البلاغ ولا ينبغى للمرء أن يسرف فى المال الذى يبلغه الى الآخرة والجنة والقربة * چو دخلت نيست خرج آهسته تر كن * كه ملاحان همى كويند سرودى * اكر باران بكوهستان نبارد * بسالى دجله كردد خشك رودى * درخت اندر بهاران برفشاند * زمستان لاجرم بى برك ماند * والاشارة ان الله تعالى جعل المال قياما لمصالح دين العباد ودنياهم فالعاقل منهم من يجعله قياما لمصالح دينه ما أمكنه ولمصالح دنياه بقدر حاجته الضرورية اليه والسفيه من جعله لمصالح دنياه ما أمكنه والمنهى عنه أن تؤتوا اليه أموالكم كائنا من كان ومن جملة السفهاء النفس التى هى أعدى عدوك وكل ما أنفقه الرجل على نفسه بهواها فقيه مفاسد دينه ودنياه الا المستثنى منه كما أشار تعالى بقوله وارزقوهم يعنى ما يسد به جوع النفس واكسوهم يعنى ما يستر عورتها فان ما زاد على هذا يكون اسرافا فى حق النفس والاسراف منهى عنه وقولوا لهم قولا معروفا فالقول المعروف مع النفس أن يقول أكلت رزق الله ونعمه فأدى شكر نعمته بامتثال أوامره ونواهيه وأذيبى طعامك بذكر الله كما قال عليه السلام أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر وأقل ذلك أن يصلى ركعتين أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزأ من القرآن عقيب كل أكلة وقد قيل انه اذا نام على الطعام من غير اذابته بالذكر والصلاة بعد أكله يقسو قلبه ونعوذ بالله من قسوة القلب ففى الاذابة رفع القسوة وأداء الشكر واعلم أن فى قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء الخ اشارة أخرى وهى ان أموال العلوم وكنوز المعارف لا تؤتى لغير أهلها من العوام ولا تذكر كما حكى ان بعض الكبار ذكر بعض الكرامات لولى فنقل ذلك بعض السامعين فى مجلس آخر وانكره رجل فلما رجع الى الاصل قال لا يباع الابل فى سوق الدجاج * دريغست باسفله گفت از علوم * كه ضايع شود تخم در شوره بوم * (وابتلوا اليتامى) اى واختبروا ايها الاولياء والاوصياء من ليس من اليتامى بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبأن تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبأن تعطوا منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) بأن يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح (فان آنستم) أى شاهدتم وتبينتم (منهم رشدا) صلاحا فى دينهم واهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير (فادفعوا اليهم أموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ وظاهر الآية الكريمة أن من بلغ غير رشيد اما بالتبذير أو بالعجز لا يدفع اليه ماله أبدا وبه أخذ أبو يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثمانى عشرة سنة فاذا

زادت عليها بسبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الانسان لما قال عليه السلام مروهم
بالصلاة لسبع دفع اليهم المال أونس منه رشدا أو لم يؤنس (ولا تأكلوها اسرافا) بغير حق حال أي
مسرفين وليس فيه اباحة القليل وتحريم الاسراف بل هو بيان أنه اسراف (وبدارا) أي
مبادرين ومسارعين الى انفاقها مخافة (أن يكبروا) فتفرطون في انفاقها وتقولون ننفق
كما نشتهي قبل أن تكبر اليتامى رشداء فينتزعوها من أيدينا ويلزمنا تسليمها اليهم (ومن كان
غنيا) من الاولياء والاوصياء (فليستعفف) فليتنزه عن أكلها وليمتنع وليقنع بما آتاه الله من
الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله واستعف أبلغ من عف كأنه يطلب زيادة العفة
(ومن كان) من الاولياء والاوصياء (فقيرا فليأكل بالمعروف) أي بما عرف في الشرع بقدر
حاجته الضرورية وأجرة سعيه وخدمته وفيه ما يدل على أن للوصي حقا لقيامه عليها (فاذا
دفعتم اليهم أموالهم) بعد ما راعيتم الشرائط المذكورة (فأشهدوا عليهم) بأنهم تسلموها
وقبضوها وبرئت منها ذممكم لما أن ذلك أبلغ من التهمة وأنفى للخصومة وأدخل في الامانة
وبراءة الساحة وان لم يكن واجبا عند أصحابنا فان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين وقال مالك
والشافعي لا يصدق في دعواه الا بالبينة (وكفى بالله) الباء صلة (حسيبا) محاسبا وحافظا لاعمال
خلقه فلا تخالفوا ما أمرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم واعلموا أن اللائق للعاقل أن يحترز عن
حق الغير خصوصا اليتيم فانه يجره الى نار الجحيم فأكل حقه من الكبائر ومن ابتلى بحق من
حقوق العباد فعليه بالاستحلال قبل الانتقال الى دار السؤال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كانت عنده مظلمة لاخيه أو شيء فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان
كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه
ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته
ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص حيث لا يطلع عليه
الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله فينال به لطفه الذي ادخره لارباب الايمان في دفع مظالم العباد
عنهم بارضائه اياهم قال العلماء اذا زنى بامرأة ولها زوج فاستحل ذلك الرجل فحلل لا يغفر له
لان خصمه الآدمي فاذا تاب وجعله في حل فانه يغفر له ويكتفى بحل منه ولا يذكر الزنا ولكن
يقول كل حق لك علي فاجعلني في حل منه ومن كل خصومة بيني وبينك وهذا اصلح بالمعلوم على
المجهول وذلك جائز كرامة لهذه الامة لان الامم السالفة ما لم يذكروا الذنب لا يغفر لهم وكذا
غصب أموال عباد الله وأكلها وضربهم وسبهم وقتلهم كلها من الحقوق التي يلزم فيها ارضاء
الخصماء والتوبة والمبادرة الى الاعمال الصالحة والافعال الحسنة فاذا لم يتب العبد من أمثال
هذه ولم يرض خصماءه كان خاسرا خاليا عن العمل عند العرض الاكبر * نماند ستمكار بد
روزكار * بماند برو لعنت پايدار * چنان زى كه ذكرت بتحسين كنند * چو مردى نه بر گور
نفرين كنند * نبايد برسم بد آيين نهاد * كه گويند لعنت بران كين نهاد * فينبغي للظالم أن يتوب
من الظلم ويتحلل من المظلوم في الدنيا فاذا لم يقدر عليه ينبغي أن يستغفر له ويدعو له فانه يرجى
أن يحلله بذلك وعن فضيل بن عياض رحمه الله أنه قال قراءة آية من كتاب الله والعمل بها أحب
الي من ختم القرآن ألف مرة وادخال السرور على المؤمن وقضاء حاجته أحب الي من

عبادة العمر كله وترك الدنيا ورفضها أحب الى من التعبد بعبادة أهل السموات والارض وترك دانق من حرام أحب الى من مائتى حجة من المال الحلال وقال أبو القاسم الحكيم ثلاثة أشياء تنزع الايمان من العبد أولها ترك الشكر على الاسلام والثانى ترك الخوف على ذهاب الاسلام والثالث الظلم على أهل الاسلام وعن أبى ميسرة قال أتى بسوط الى رجل فى قبره بعد ما دفن يعنى جاءه منكر ونكير فقالا له انا ضاربك مائة سوط فقال الميت أنا كنت كذا وكذا يتشفع حتى حطا عنه عشرا ثم لم يزل بهما حتى صارت الى ضربة واحدة فقالا له انا ضاربك ضربة واحدة فضرباه ضربة واحدة التهب القبر نارا فقال لم ضربتمانى قالا مررت برجل مظلوم فاستغاث بك فلم تغثه فهذا حال الذى لم يغث المظلوم فكيف يكون حال الظالم واعلم أن الكبار يكفون أنفسهم عن المشتبهات فضلا عن الحرام فان اللقمة الطيبة لها أثر عظيم فى اجابة الدعاء ولذا قال الشيخ نجم الدين الكبرى قدس سره أول شرائط اجابة الدعاء اصلاح الباطن بلقمة الحلال وآخر شرائطها الاخلاص وحضور القلب يعنى التوجه الاحدى اذ القلب الحاضر فى الحضرة شفيع له قال تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين فحركة الانسان باللسان وصياحه من غير حضور القلب ولولة الواقف على الباب وصوت الحارس على السطح فعلى العاقل أن يحترز عن الحرام والمشتبهات كى يستجاب دعاؤه فى الخلوات (للرجال نصيب) روى أن أوس بن صامت الانصارى رضى الله عنه خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت هذه الآية فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيأ فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله الخ فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى لابنى العم والمعنى لذكور أولاد الميت حظ كائن (مما ترك الوالدان والاقربون) من ذوى القرابة للميت والمراد المتوارثون منهم دون المحجوبين عن الارث وهم الابوان والزوجان والابن والبنت (وللنساء) أى لجماعة الاناث (نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر) مما الاخيرة باعادة الجار بدل والهاء يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد فى الجملة الاولى أيضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق (نصيبا مفروضا) نصب على الاختصاص أى أعنى نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه (واذا حضر القسمة) أى قسمة التركة والميراث (أولوا القربى) للميت ممن لا يرث منه (واليتامى والمساكين) من الاجانب (فارزقوهم منه) أى أعطوهم شيأ من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة أو مما ترك الوالدان والاقربون وهو أمر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وكان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة وحضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بشئ من رثة المتاع فحثهم الله على ذلك تأديبا من غير أن يكون فريضة ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق (وقولوا لهم قولا معروفا) وهو أن يدعوا لهم ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا

ما أعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يعنفوا عليهم وكل ما سكنت اليه النفس وأحبته لحسنه شرعا أو عقلا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته لقبحه شرعا أو عقلا فهو منكر وفى الحديث كل معروف صدقة وفى المثل اصنع المعروف وألقه فى الماء فان لم يعرفه السمك يعرفه من سمك السماء * تو نيكى كن بآب انداز اى شاه * اگر ماهى نداند داند الله * حكى أن حية أتت رجلا صالحا فقالت أجرنى من عدوى أجارك الله ففتح لها رداءه فقالت يرانى فيه فان أردت المعروف فافتح فاك حتى أدخل فيه فقال أخشى أن تهلكينى قالت لا والله والله وسكان سماواته وأرضه شاهدة على ذلك ففتح فاه فدخلت ثم عارضه رجل فى ذلك فأنكر فلما اندفع خوفها قالت يا أحمق اختر انفصلن كبدك أو فؤادك فقال أين العهد واليمين قالت ما رأيت أحمق منك اذ نسيت العداوة التى بينى وبين أبيك آدم وما الذى حملك على اصطناع المعروف مع غير أهله فقال مهلينى حتى آتى تحت هذا الجبل ثم توجه الى الله فظهر رجل حسن الوجه طيب الرائحة وأعطاه ورقة خضراء وأمره بالمضغ ففعل فلم يلبث الا خرج قطع الحية من الاسفل فخلصه الله تعالى من شرها ثم سأل من أنت قال أنا المعروف وموضعى فى السماء الرابعة وأنت لما دعوت الله ضجت الملائكة فى السموات السبع الى الله فانطلقت الى الجنة وأخذت من شجرة طوبى ورقة بامر الله فاصنع المعروف فانه لا يضيع عند الله وان ضيعه المصطنع اليه * نكو كارى از مردم نيك رأى * يكى را بده مى نويسد خداى * ومما يكتب من الصدقة الكلمة الطيبة والشفاعة الحسنة والمعونة فى الحاجة وعيادة المريض وتشييع الجنازة وتطييب قلب مسلم وغير ذلك واعلم أن الرجال فى الحقيقة أقوياء الطلبة والسلاك فلهم نصيب بقدر صدقهم فى الطلب وجولانهم فى الاجتهاد مما ترك المشايخ والاخوان فى الله والاعوان على الطلب وتركتهم بركتهم وبيرتهم فى الدين وأنوار هممهم العلية ومواهب ولايتهم السنية والنساء ضعفاء القوم فلهم أيضا نصيب مفروض أى قدر معلوم على وفق صدق التجائهم اليه وجدهم فى الطلب وحسن استعدادهم لقبول فيض الولاية وهذا حال المجتهدين الذين هم ورثة المشايخ كما أنهم ورثة الانبياء وأما المنتمون الى ولايتهم بالارادة وحسن الظن والمقتبسون من أنوارهم والمقتفون على آثارهم والمتشبهون بزيهم والمتبركون بهم على تفاوت درجاتهم فهم بمثابة أولى القربى واليتامى والمساكين اذا حضروا القسمة عند محافل صحبتهم ومجامع سماعهم ومجالس ذكرهم فانها مقاسم خيراتهم وبركاتهم فارزقوهم منه أى من مواهب ولايتهم وآثار هدايتهم وعواطف عنايتهم وألطاف رعايتهم وقولوا لهم قولا معروفا فى التشويق وارشاد الطريق والحث على الطلب والتوجه الى الحق والاعراض عن الدنيا وتزهيدها وتقريبها على الله وخسارة أهلها وعزة أهل الله فى الدارين وكمال سعادتهم فى المنزلين فاذا وقفت على هذا فاجتهد حتى لا تحرم من ميراث الحقيقة ونصيب المعرفة ونعم ما قيل * ميراث پدر خواهى تو علم پدر آموز * كين مال پدر خرج توان كرد بده روز * رزقنا الله واياكم ثمرات الاحوال وبلغنا الى تصفية الباطن واصلاح البال (وليخش الذين) صفتهم وحالهم أنهم (لو تركوا) أى لو شارفوا أن يتركوا (من خلفهم) أى بعد موتهم (ذرية ضعافا) أولادا عجزة لا غنى لهم وذلك عند احتضارهم (خافوا عليهم) أى الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم والفقر والتكفف والمراد بالذين هم الاوصياء أمروا أن يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى وليشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وأن يقدروا

ذلك فى أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة (فليتقوا الله) فى ذرارى
غيرهم (وليقولوا قولا سديدا) أى وليقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن
الادب والترحيب ويدعوهم يا بنى ويا ولدى ولا يؤذوهم (ان الذين يأكلون أموال اليتامى
ظلما) ظالمين أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته وانما قيد به لانه اذا أكل منه بالمعروف
عند الحاجة أو بما قدر له به القاضى بقدر عمله فيه لم يعاقب عليه (انما يأكلون فى بطونهم) أى
ملء بطونهم يقال أكل فى بطنه اذا ملأه وأسرف وفى معاه اذا اقتصد فيه (نارا) أى ما يجر
الى النار ويؤدى اليها فكأنه نار فى الحقيقة (وسيصلون) أى سيدخلون يوم البعث (سعيرا)
أى نارا مسعرة أو هائلة مبهمة الوصف (روى) ان آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة
والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم
فى الدنيا (وروى) أنه لما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى
بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم فى الدين الآية
وفى الحديث قال النبى عليه السلام رأيت ليلة أسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الابل
احداهما قالصة على منخريه والاخرى على بطنه وخزنة جهنم يلقمونه جمر جهنم وصخرها فقلت
يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما * كسى كز صرصر ظلمش دمادم *
جراغ عيش مظلومان بميرد * غمى ترسد از ين كايزد تعالى * اكر جه دير كيرد سخت كيرد * وقد
أمر الله تعالى أن لا يؤذى اليتيم ويقال له القول السديد فكيف يكون حال من آذاه وغيره
من المؤمنين وأكل أموالهم بالغصب والظلم (روى) ان لجهنم جبابا يعنى مواضع كساحل البحر
فيها حيات كالبخاتى وعقارب كالبغال الدلم فاذا استغاث أهل جهنم أن يخفف عنهم قيل لهم
اخرجوا الى الساحل فيخرجون فتأخذ الحيات شفاههم ووجوههم ما شاء الله فيكشطنها
فيستغيثون فرارا منها الى النار فيسلط عليهم الجرب فيحك أحدهم جلده حتى يبدو العظم
فيقال يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقال ذلك بما كنت تؤذى المؤمنين فعلى المرء أن
يجتنب الايذاء وايصال الالم الى الخلق فان الدعاء السوء من المظلومين يقبل البتة فى حق الظالم
والمؤذى * خرابى كند مرد شمشيرزن * نه جندانكه دود دل طفل وزن * رياست بدست
كسانى خطاست * كه از دستشان دستها برخداست * مكافات موذى بمالش مكن *
كه بيخش برآورد بايد ز بن * سر كرك بايد هم اول بريد * نه جون كوسفندان مردم دريد *
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبلوا الى ستا أتقبل لكم الجنة اذا حدثتم فلا تكذبوا واذا
وعدتم فلا تخلفوا واذا ائتمنتم فلا تخونوا وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم
عن الحرام وادخلوا الجنة (وروى) عن ابن المبارك أنه قال ترك فلس من حرام أفضل من
مائة ألف فلس يتصدق بها عنه وعنه أنه كان بالشام يكتب الحديث فانكسر قلمه فاستعار قلما
فلما فرغ من الكتابة نسى فجعل القلم فى مقلمته فلما رجع الى مرو رأى القلم وعرفه فتجهز للخروج
الى الشام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا
كالاوتار ما نفعكم الا بالورع قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله الزهد ثلاثة أصناف زهد فرض
وزهد فضل وزهد سلامة فزهد الفرض هو الزهد فى الحرام وزهد الفضل هو الزهد فى الحلال

وزهد السلامة هو الزهد في الشبهات وكان حسان بن أبي سنان لا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولا يشرب باردا ستين سنة فرؤي في المنام بعدما مات فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا غير أني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها ومر عيسى عليه السلام بمقبرة فنادى رجلا منهم فأحياه الله تعالى فقال من أنت فقال كنت حمالا أنقل للناس فنقلت يوما لانسان حطبا فكسرت منه خلالا تخللت به فأنا مطالب به منذ مت * خوف داري اكر زقهر خدا * نروي راه حرام دنيا (يوصيكم الله) أي يأمركم ويعهد إليكم (في أولادكم) أولاد كل واحد منكم أي في شأن ميراثهم وهو إجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به أي يعد كل ذكر بأنثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه (فإن كن) أي الاولاد والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى (نساء) أي خلصا ليس معهن ذكر (فوق اثنتين) خبر ثان (فلهن ثلثا ما ترك) أي المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وحكم البنتين كحكم ما فوقهما (وإن كانت) أي المولودة (واحدة) أي امرأة واحدة ليس معها أخ ولا أخت (فلها النصف) مما ترك (ولأبويه) أي لأبوي الميت (لكل واحد منهما السدس) كائنا ذلك السدس (مما ترك) المتوفى (إن كان له) أي للميت (ولد) أو ولد ابن ذكرا كان أو أنثى واحدا أو متعددا غير أن الأب في صورة الانوثة بعدما أخذ فرضه المذكور يأخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة (فإن لم يكن له ولد) ولا ولد ابن (وورثه أبواه) فحسب (فلأمه الثلث) مما ترك والباقي للأب هذا إذا لم يكن معهما أحد الزوجين أما إذا كان معهما أحد الزوجين فللأم ثلث ما بقي من فرض أحدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضي الله عنه فإنه يفضي إلى تفضيل الأم على الأب مع كونه أقوى منها في الارث بدليل إضعافه عليها عند انفرادهما عن أحد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع (فإن كان له إخوة) أي عدد من الاخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الأبوين أو من جهة أحدهما وسواء كانوا ذكورا أو إناثا أو مختلطين وسواء كان لهم ميراث أو محجوبين بالأب (فلأمه السدس) وأما السدس الذي حجبوها عنه فهو للأب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور (من بعد وصية) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها أي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية (يوصي بها) الميت وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب إليها (أو دين) عطف على وصية إلا أنه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة أو الاقرار في الصحة وإنما قال بأو التي للاباحة دون الواو للدلالة على أنهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم لأنها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب إليها الجميع والدين إنما يكون على الندور (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) الخطاب للورثة أي أصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون أيهم أنفع لكم أمن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته أم من لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا يعني الأول أنفع وإن كنتم تحكمون نظرا إلى ظاهر الحال بأنفعية الثاني وذلك لأن ثواب الآخرة لتحقق وصوله إلى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحياة الدنيا أقرب وأحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه أبعد وأقصى

(فريضة من الله) أى فرض الله ذلك الميراث فرضا (ان الله كان عليما) بالخلق ومصالحهم (حكيما) فى كل ماقضى وقدر ودبر واعلم أن فى هذه الآية تنبيها على أن العبد ينبغى أن يجانب الميل الى جانبى الافراط والتفريط برأيه وعمله بل يستمسك بالعروة الوثقى التى هى العدالة فى الامور كلها وهو الميزان السوى فيما بين الضعيف والقوى وذلك لايوجد الا بمراعاة أمر الله تعالى والمحافظة على الاحكام المقضية الصادرة من العليم بعواقب الامور الحكيم الذى يضع كل شئ فى مرتبته فعليكم بالعدل الذى هو أقرب للتقوى والتجانب عن الجور بين العباد فى جميع الامور خصوصا فيما بين الاقارب فان لهم مزيد فضل على الاجانب ولمكانة صلة الرحم عند الله قرن الارحام باسمه الكريم فى قوله تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام فحافظوا على مراعاة حقوق أصولكم وفروعكم وآتوا كل ذى حق حقه فمن حقوق الوالدين على الولد ترك التأفيف والبر والتكلم بقول لطيف وفى الخبر يسئل الولد عن الصلاة ثم عن حق الوالدين وتسئل المرأة عن الصلاة ثم عن حق زوجها ويسئل العبد عن الصلاة ثم عن حق المولى ثم ان حق الوالدة أعظم من الوالد لكونها أكثر زحمة ورحمة (روى) أن رجلا قال يارسول الله ان أمى هرمت عندى فأطعمها بيدى وأسقيها بيدى وأوضئها وأحملها على عاتقى فهل جازيت حقها قال لا ولا واحدا من مائة قال ولم يارسول الله قال لانها خدمتك فى وقت ضعفك مريدة حياتك وأنت تخدمها مريدا مماتها ولكنك أحسنت والله يثيبك على القليل كثيرا وجاء رجل الى النبى عليه السلام ليستشيره فى الغزو فقال ألك والدة قال نعم قال عليه السلام فالزمها فان الجنة تحت رجليها ذكره فى الاحياء قيل فيه ونعم ماقيل * جنت كه سراى مادرانست * زير قدمات مادرانست * روزى بكن اى خداى مارا * جيزى كه رضاى مادرانست * ويطيع الوالدين فيما أبيح فى دين الاسلام وان كانا مشركين وتهجرهما ان أمراه بشرك أو معصية قال تعالى وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما * جون نبود خويش راديانت وتقوى * قطع رحم بهتر از مودت قربى * قال بعضهم كل مالا يؤمن من الهلاك مع الجهل فطلب علمه فرض عين سواء كان من الامور الاعتقادية كمعرفة الصانع وصفاته وصدق النبى عليه السلام فى أقواله وأفعاله أو من الاعمال الحسنة المتعلقة بالظاهر كالصلاة والصوم وغيرهما أو بالباطن كحسن النية والاخلاص والتوكل وغيرها أو من السيئة المتعلقة بالظاهر كشرب الخمر وأكل الربا والنظر الى أجنبية بشهوة أو بالباطن كالكبر والعجب والحسد وسائر الاخلاق الرديئة للنفس فان معرفة هذه الامور فرض عين يجب على المكلف طلبها وان لم يأذن له أبواه وأما ماسواها من العلوم فقيل لايجوز له الخروج لطلبه الا باذنهما وفى فتاوى قاضيخان رجل طلب العلم وخرج بغير اذن والديه فلا بأس به ولم يكن عقوقا قيل هذا اذا كان ملتحيا فاذا كان أمرد صبيح الوجه فلابويه أن يمنعاه وأما حق الولد على الوالد فكالتسمية باسم حسن كاسماء الانبياء والمضاف الى اسمه تعالى لان الانسان يدعى فى الآخرة باسمه واسم أبيه قال عليه السلام انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم ولذا قيل يستحب تغيير الاسماء القبيحة المكروهة فان النبى صلى الله عليه وسلم سمى المسمى بالعاصى مطيعا وجاء رجل اسمه المضطجع فسماه المنبعث ومن حقه عليه

الختان وهو سنة واختلفوا فى وقته قيل لايختن حتى يبلغ لانه لاطهارة ولا طهارة عليه حتى يبلغ
وقيل اذا بلغ عشرا وقيل تسعا والاولى تأخير الختان الى أن يثغر الولد ويظهر سنه لما فيه من
مخالفة اليهود لانهم يختنون فى اليوم السابع من الولادة ومن حقه أن يرزقه بالحلال الطيب
وان يعلمه علم الدين ويربيه بآداب السلف الصالحين (قال الشيخ سعدى رحمه الله فى حق
الاولاد) بخردى درش زجر وتعليم كن * بنيك وبدش وعده وبيم كن * بياموز پرورده
رادست رنج * وگر دست دارى چو قارون گنج * بپايان رسد كيسهٔ سيم وزر * نگردد تهى
كيسهٔ پيشه ور * وروى أنس رضى الله عنه عن النبى عليه السلام قال يعق عنه فى اليوم
السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين أدب واذا بلغ سبع سنين عزل فراشه واذا
بلغ عشر سنين ضرب على الصلاة واذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك
وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة والحاصل أنه ينبغى
أن لايعتمد الانسان على رأى نفسه بل يكل أمره الى الله فانه أعلم وأرحم * والاشارة فى الآيات
أن المشايخ للمريدين بمثابة الآباء للاولاد فان الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته على ما قاله عليه
السلام وقال صلى الله عليه وسلم أنا لكم كالوالد لولده ففى قوله يوصيكم الله الآية اشارة الى
وصايات المشايخ والمريدين ووراثتهم فى قرابة الدين لقوله تعالى أولئك هم الوارثون فكما ان
الوراثة الدنيوية بوجهين بالسبب والنسب فكذلك الوراثة الدينية بهما أما السبب فهو
الارادة ولبس خرقتهم والتبرك بزيهم والتشبه بهم وأما النسب فهو الصحبة معهم بالتسليم
لتصرفات ولايتهم ظاهرا وباطنا بصدق النية وصفاء الطوية مستسلما لاحكام التسليك والتربية
ليتولد السالك بالنشأة الثانية فان الولادة تنقسم على نشأتين النشأة الاولى وهى ولادة جسمانية
بان يتولد المرء من رحم الام الى عالم الشهادة وهو الملك والنشأة الثانية وهى ولادة روحانية بان
يتولد السالك من رحم القلب الى عالم الغيب وهو الملكوت كما حكى النبى عليه السلام عن
عيسى عليه السلام أنه قال لن يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالشيخ هو
الأب الروحانى والمريدون المتولدون من صلب ولايته هم الاولاد الروحانيون وهم فيما بينهم
أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله كقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وقال عليه
السلام الانبياء اخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ولهذا قال عليه السلام كل حسب
ونسب ينقطع الاحسبى ونسبى لان نسبه كان بالدين كما سئل من النبى صلى الله عليه وسلم من آلك
يارسول الله قال آلى كل مؤمن تقى وانما يتوارث أهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية والنسبية
والذكورة والانوثة والاجتهاد وحسن الاستعداد وانما وارثهم العلوم الدينية واللدنية
كما قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما
ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره) چون
گزيدى پير نازك دل مباش * سست وريزنده چو آب وگل مباش * چون گرفتى پير هين تسليم شو
همچو موسى زير حكم خضر رو * گر تو سنگ صخره ومرمر شوى * چون بصاحب دل رسى
گوهر شوى * يار خندان باغ را خندان كند * صحبت مردانت از مردان كند * (ولكم نصف
ما ترك أزواجكم) من المال اذا متن وبقيتم بعدهن (ان لم يكن لهن ولد) أى ولد وارث من

بطنها أو من صلب بنيها أو بني بنيها وان سفل ذكرا كان أو أنثى واحدا كان أو متعددا منكم أو من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات أو غيرهم أو لبيت المال ان لم يكن لهن وارث آخر أصلا (فان كان لهن ولد) على نحو ما فصل (فلكم الربع مما تركن) أي تركت أزواجكم من المال والباقي لباقي الورثة (من بعد وصية) متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده (يوصين بها أو) من بعد قضاء (دين) سواء كان ثبوته بالبينة أو بالاقرار (ولهن الربع مما تركتم) ان متم وبقين بعدكم (ان لم يكن لكم ولد) ذكرا أو أنثى منهن أو من غيرهن أو ولد ابن والباقي لبقية ورثتكم من أصحاب الفروض والعصبات أو ذوي الارحام أو لبيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر أصلا (فان كان لكم ولد) على التفصيل المذكور (فلهن الثمن مما تركتم) من المال والباقي للباقين (من بعد وصية توصون بها أو دين) أي بعد اخراج الوصية وقضاء الدين هذا كله اذا لم يمنع مانع من الموانع الاربعة كقتل واختلاف دين ورق واختلاف دار (وان كان رجل) أي ذكر ميت (يورث) أي يورث منه من ورث لا من أورث صفة رجل (كلالة) خبر كان أي من لا ولد له ولا والد وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو الاعياء في التكلم ونقصان القوة فيه فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لضعفها بالنسبة الى القرابة من جهتهما (أو امرأة) عطف على رجل مقيد بما قيد به أي ان كان الميت انثى يورث منها كلالة (وله) أي وللميت المورث منه سواء كان رجلا أو امرأة (أخ أو أخت) كلاهما من الام بالاجماع لان حكم غيرهما سيبين في آخر السورة (فلكل واحد منهما) أي من الاخ والاخت من الام (السدس) من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة (فان كانوا) أي أولاد الام (أكثر) في الوجود (من ذلك) أي من الاخ أو الاخت المنفردين بواحد أو أكثر (فهم شركاء في الثلث) يقتسمونه بالسوية لا يزيد نصيب ذكرهم على أنثاهم والباقي لبقية الورثة من أصحاب الفروض والعصبات (من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار) قوله غير مضار نصب حالا من فاعل يوصى المقدر المدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول أي يوصي الميت بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مدخل الضرر على الورثة بما زاد على الثلث أو تكون الوصية لقصد الاضرار بهم وبأن يقر في المرض بدين كاذبا (وصية من الله) أي يوصيكم الله وصية بها لا يجوز تغييرها قال عليه السلام من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة (والله عليم) بالمضار وغيره (حليم) لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بالامهال (تلك) أي الاحكام التي تقدمت في أمر اليتامى والوصايا والمواريث (حدود الله) شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز تجاوزها (ومن يطع الله ورسوله) في جميع الاوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) صيغة الجمع أي خالدين بالنظر الى جمعية من بحسب المعنى (وذلك) أي هذا الثواب (الفوز العظيم) أي النجاة الوافرة يوم القيامة والظفر الذي لا ظفر وراءه (ومن يعص الله ورسوله) ولو في بعض الاوامر والنواهي (ويتعد حدوده) شرائعه المحدودة في جميع الاحكام (يدخله نارا) أي عظيمة هائلة لا يقادر قدرها (خالدا فيها وله عذاب مهين) أي وله غير عذاب الحريق الجسماني عذاب آخر لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية وأفرد خالدا في أهل النار

وجمع

وجمع فى أهل الجنة لان فى الانفراد وحشة وعذابا للنفس وذلك أنسب بحال أهل النار اعلم أن الاطاعة سبب لنيل المطالب الدنيوية والاخروية ويرشدك على شرف الاطاعة أن كلب أصحاب الكهف لما تبعهم فى طاعة الله وعد له دخول الجنة * بابدان يار كشت همسر لوط * خاندان نبوتش كم شد * سك أصحاب كهف روزى چند * پى مردم كرفت مردم شد * فاذا كان من اتبع المطيعين كذلك فما ظنك بالمطيعين قال حاتم الاصم قدس سره الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة والآخرة راغبة ومن كلامه من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب ومن ادعى محبة الله من غير ورع عن محارم الله فهو كذاب ومن ادعى محبة النبى عليه السلام من غير محبة الفقراء فهو كذاب وكلما ازداد العبد فى عبادة الله وطاعته ازداد قربا منه وبعدا من كيد الشيطان قال السرى سألت معروفا الكرخى عن الطائعين لله بأى شئ قدروا على الطاعة قال بخروج الدنيا من قلوبهم ولو كانت فى قلوبهم ما صحت لهم سجدة (قال جلال الدين الرومى قدس سره) بند بكسل باش آزاد اى پسر * چند باشى بند سيم وبند زر * هر كه از ديدار برخوردار شد * اين جهان در چشم او مردار شد * ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز * چشم نركس را ازين كركس بدوز * ومن أكرمه الله بمعرفة عظمته اضطر الى كمال طاعته (حكى) ان شابا من بنى اسرائيل رفض دنياه واعتزل الناس وجعل يتعبد فى بعض النواحى فخرج اليه رجلان من مشايخ قومه ليرداه الى منزله فقالا له يا من أخذت بأمر شديد لا صبر عليه فقال لهما الشاب قيامى بين يدى الله أشد من هذا فقالا الآن كل أقربائك مشتاق اليك فعبادتك فيهم أفضل فقال الشاب ان الله تعالى اذا رضى عنى يرضى كل قريب وبعيد فقالا له أنت شاب لا تعلم وانا جربنا هذا الامر وانا نخاف العجب فقال لهما الشاب من عرف نفسه لم يضره العجب فنظر أحدهما الى صاحبه فقال له قم فان هذا الشاب وجد ريح الجنة ولا يقبل قولنا وعن وهب بن منبه كان داود عليه السلام جعل نوبة عليه ونوبة على أهله وأولاده ولا تمر ساعة من الليل الا وهو يصلى ويذكر فى سره تحرك قلبه بالنظر الى طاعته وكان بين يديه نهر فأنطق الله ضفدعا فقال والذى أكرمك بالنبوة انه منذ خلقنى الله تعالى وأنا قائم على رجل ما استرحت مع أنى لا أرجو الثواب ولا أخاف العقاب فما عجبك فيه يا داود فعلم أن المحسن هو الذى يعلم أنه مسئ ولا يعجب بطاعته فلا بد للمؤمن من العمل الصالح ومن الصون عما يبطله من رؤيته وسائر الاغراض الفاسدة ولذلك كان الكبار يختارون الوحدة قال الامام جعفر الصادق وكذا سفيان الثورى هذا زمان السكوت وملازمة البيوت فقيل لسفيان اذا لازمنا بيوتنا فمن أين يحصل لنا الرزق قال اتقوا الله فان الله يرزق المتقين من غير كسب كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (قال جلال الدين الرومى) بردل خود كم نه انديشهٔ معاش * عيش كم نايد تو بر دركاه باش (واللاتى) جمع التى (يأتين الفاحشة) الاتيان الفعل والمباشرة والفاحشة الفعلة القبيحة أريد بها الزنا لزيادة قبحه على كثير من القبائح أى اللاتى يفعلن الزنا كائنات (من نسائكم) أى من زوجاتكم (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) أى فاطلبوا أن يشهد عليهن باتيانها أربعة من رجال المؤمنين وأحرارهم (فان شهدوا) عليهن

بذلك (فأمسكوهن فى البيوت) فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن (حتى يتوفاهن الموت) أى يأخذهن الموت ويستوفى أرواحهن وفيه تهويل للموت وابرازه فى صورة من يتولى قبض الارواح أو يتوفاهن ملائكة الموت (أو يجعل الله لهن سبيلا) أى طريقا يخرجن به من الحبس بأن تنكح فانه مغن عن السفاح أى الزنا (واللذان) تثنية الذى (يأتيانها) أى الفاحشة (منكم) هما الزانى والزانية بطريق التغليب قال السدى أريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما أخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار (فآذوهما) فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله وذلك بعد الثبوت (فان تابا) عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ (وأصلحا) أى عملهما وغيرا الحال (فأعرضوا عنهما) بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والاصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب (ان الله كان توابا) مبالغا فى قبول التوبة (رحيما) واسع الرحمة واعلم أن الرجل اذا زنى بامرأة وهما محصنان فحدهما الرجم لا غير وان كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير وان كان أحدهما محصنا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد والمحصن هو أن يكون عاقلا بالغا مسلما حرا دخل بامرأة بالغة عاقلة حرة مسلمة بنكاح صحيح والرجم كان مشروعا فى التوراة ثم نسخ بآية الايذاء من القرآن ثم صار الايذاء منسوخا بآية الحبس وآية الايذاء وان كانت متأخرة فى الترتيب والنظم الا انها سابقة على الاولى نزولا ثم صار الحبس منسوخا بحديث عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة ثم نسخ هذا كله بآية الجلد الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وصار الحد هو الجلد فى كل زان وزانية ثم صار هذا منسوخا بالرجم فى حق المحصن بحديث ماعز رضى الله عنه وبقى غير المحصن فى حكم الجلد وهو الترتيب فى الآيات والاحاديث وعليه استقر الحكم عندنا كذا فى تفسير التيسير فالواجب على كل مسلم أن يتوب من الزنا وينهى الناس عن ذلك فان كل موضع ظهر فيه الزنا ابتلاهم الله بالطاعون ويزيد فقرهم قال ابن مسعود رضى الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أى قال أن تزنى بحليلة جارك وأشد الزنا ما هو مصر عليه وهو الرجل الذى يطلق امرأته وهو مقيم معها بالحرام ولا يقر عند الناس مخافة أن يفتضح فكيف لا يخاف فضيحة الآخرة يوم تبلى السرائر يعنى تظهر الاسرار فاحذر فضيحة ذلك اليوم واجتنب الزنا ولا تصر عليه فانه لا طاقة لك مع عذاب الله وتب الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده ان الله كان توابا رحيما (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره) مركب توبه عجائب مركبست * بر فلك تازد بيك لحظه ز پست * چون برارند از پشيمانى انين * عرش لرزد از انين المذنبين * عمرا كر بكذشت بيخش اين دمست * آب توبه اش ده اكر او بى نمست * بيخ عمر را بده آب حيات * تا درخت عمر كردد با نبات * جمله ماضيها ازين نيكو شوند * زهر پارينه ازين كردد چو قند * والاشارة فى تحقيق الآيتين أن اللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم هى النفوس الامارة بالسوء والفاحشة ما حرمته الشريعة من أعمال الظاهر وحرمته الطريقة من

أحوال الباطن وهى الركون الى غير الله قال عليه السلام سعد غيور وأنا أغير منه والله أغير منا ولهذا حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فاستشهدوا على النفوس باتيان الفاحشة أربعة منكم أى من خواص العناصر الاربعة التى أنتم منها مركبون * وهى التراب ومن خواصه الخسة والركاكة والذلة والطمع والمهانة واللؤم * والماء ومن خواصه اللين والعجز والكسل والانوثة والشره فى المأكل وفى المشرب * والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والحقد والعداوة والشهوة والزينة * والنار ومن خواصها التجبر والتكبر والفخر والصلف والغضب والحدة وسوء الخلق وغير ذلك مما يتعلق بالاخلاق الذميمة ورأسها حب الدنيا والرياسة واستيفاء لذاتها وشهواتها فان شهدوا أى ظهر بعض هذه الصفات من النفوس فأمسكوهن فى البيوت فاحبسوهن فى سجن المنع عن التمتعات الدنيوية فان الدنيا سجن المؤمن وأغلقوا عليهن أبواب الحواس الخمس حتى يتوفاهن الموت أى تموت النفس اذا انقطع عنها حظوظها دون حقوقها والى هذا أشار بقوله عليه السلام موتوا قبل أن تموتوا أو يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيوب فتهب منها ألطاف الحق وجذبات الالوهية التى جذبة منها توازى عمل الثقلين واللذان يأتيانها منكم أى النفس والقالب يأتيان الفواحش فى ظاهر الافعال والاعمال وباطن الاحوال والاخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بترك الحظوظ وكثرة الرياضات والمجاهدات فان تابا ظاهرا وباطنا وأصلحا ذلك فأعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر فان مع العسر يسرا ان الله كان توابا لمن تاب رحيما لمن أصلح * من تفسير نجم الدين الرازى الكبير (انما التوبة على الله) أى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته (للذين يعملون السوء) أى المعصية صغيرة كانت أو كبيرة فقوله انما التوبة على الله مبتدأ وخبره ما بعده (بجهالة) أى يعملون ملتبسين بها أى جاهلين سفهاء فان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته وفى التيسير ليست هذه جهالة عدم العلم بأنه ذنب لان ذلك عذر لكنها التغافل والتجاهل وترك التفكر فى العاقبة كفعل من يجهله ولا يعلمه (ثم يتوبون من قريب) أى من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت أى قبل أن يغرغروا وسماه قريبا لان أمد الحياة الدنيا قريب قال تعالى قل متاع الدنيا قليل فعمر الدنيا قليل قريب الانقضاء فما ظنك بعمر فرد ومن تبعيضية أى يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففى أى جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب (فأولئك يتوب الله عليهم) أى يقبل توبتهم (وكان الله عليما) بخلقه يعلم اخلاصهم فى التوبة (حكيما) فى صنعه والحكيم لا يعاقب التائب فعلى المؤمن أن يتدارك الزلة بالتوبة والاستغفار ويسارع فى الرجوع الى الملك الغفار (روى) ان جبريل عليه السلام أتاه عند موته فقال يا محمد الرب يقرئك السلام ويقول من تاب قبل موته بجمعة قبلت توبته قال صلى الله عليه وسلم الجمعة كثيرة فذهب ثم رجع وقال قال الله تعالى من تاب قبل موته بساعة قبلت توبته فقال الساعة كثيرة فذهب ثم رجع وقال ان الله يقرئك السلام ويقول ان كان هذا كثيرا فلو بلغ روحه الحلق ولم يمكنه الاعتذار بلسانه واستحيا منى وندم بقلبه غفرت له ولا أبالى قال صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر أى لم يبلغ روحه الحلقوم وعند

ذلك يعاين ما يصير اليه من رحمة أو هوان ولا ينفع حينئذ توبة ولا ايمان قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فالتوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض الارواح وذلك عند غرغرته بالروح وانما يغرغر به اذا قطع الوتين فشخص من الصدر الى الحلقوم فعندها المعاينة وعندها حضور الموت فيجب على الانسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة وهو معنى قوله تعالى ثم يتوبون من قريب وانما صحت منه التوبة فى هذا الوقت لان الرجاء باق ويصح الندم والعزم على ترك الفعل (قال السعدى) طريقى بدست آر وصلحى بجوى * شفيعى برانكيز وعذرى بكوى * كه يك لحظه صورت نبندد امان * چو پيمانه پر شد بدور زمان * والتوبة فرض على المؤمنين وانما شروط أربعة الندم بالقلب وترك المعصية فى الحال والعزم على أن لا يعود الى مثلها وأن يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفا منه لا من غيره قال الحسن البصرى استغفارنا يحتاج الى استغفار قال القرطبى فى تذكرته هذا يقوله فى زمانه فكيف فى زماننا هذا الذى يرى فيه الانسان مكبا على الظلم حريصا عليه لا يقلع والسبحة فى يده زاعما انه يستغفر من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف ومن أظلم ممن اتخذ آيات الله هزوا فيلزم حقيقة الندم (روى) أن الملائكة تعرج الى السماء بسيئات العبد فاذا عرضوها على اللوح المحفوظ يجدون مكانها حسنات فيخرون على وجوههم ويقولون ربنا انك تعلم أنا ما كتبنا عليه الا ما عمل فيقول الله تعالى صدقتم ولكن عبدى ندم على خطيئته واستشفع الى بدمعه فغفرت ذنبه وجدت عليه بالكرم وأنا أكرم الاكرمين (قال مولانا جلال الدين قدس سره) آخر هر كريه آخر خنده ايست * مرد آخر بين مبارك بنده ايست * هر كجا آب روان سبزه بود * هر كجا اشك روان رحمت شود * تا نكريد طفل كى جوشد لبن * تا نكريد ابر كى خندد چمن * قال أحمد بن عبد الله المقدسى سألت ابراهيم بن أدهم عن بدء حاله فقال نظرت من شباك قصرى فرأيت فقيرا بفناء القصر قد أكل الخبز بالماء والملح ثم نام فدعوته وقلت له قد شبعت وتهيأت للنوم قال نعم فتبت الى الله ولبست الليلة مسوحا وقلنسوة من صوف وخرجت حافيا الى مكة * واعلم أن الله اذا أراد بعبد خيرا اصطفاه لنفسه وجعل فى قلبه سراجا يفرق بين الحق والباطل ويبصر عيوب نفسه حتى يترك الدنيا وحطامها ويلقى عليها زمامها (قال جلال الدين الرومى) ملك برهم زن تو ادهم وار زود * تا بيابى همچو او ملك خلود * اين جهان خود حبس جانهاى شماست * هين رويد آن سوكه صحراى شماست (قال العطار قدس سره) نقاب از روى چون خورشيد بردار * اگر هستى زروى خود خبردار * زكوه قاف جسمانى كذر كن * بدار الملك روحانى سفر كن * مشو مغرور اين ملك مزور * نه عزت ماند ونه مال ونه زر * اكر نكتت فروشو بند زرخار * خريدارت نباشد كس ببازار * عصمنا الله واياكم من الركون الى الدنيا وموت القلب بالاصرار على الهوى فى الصبح والمساء (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) أى الذنوب (حتى اذا حضر أحدهم الموت) أى وقع فى سكرات الموت وشاهد ملك الموت سوى علاماته فان التوبة تقبل فيها (قال) عند النزع ومشاهدة ما فيه (انى تبت الآن) من ذنوبى يعنى لا يقبل التوبة منه لانها حالة الاضطرار دون حالة الاختيار (ولا الذين يموتون) عطف على الذين يعملون السيئات أى ليست التوبة للذين ماتوا (وهم كفار) مصرون على كفرهم اذا تابوا عند قرب الموت أو عند

معاينة العذاب فى الآخرة (أولئك) أى الفريقان (أعتدنا) أصله أعددنا أبدلت الدال الاولى تاء (لهم عذابا أليما) أى هيأنا لهم عذابا وجيعا دائما اعلم أن الله تعالى سوى بين من سوف التوبة وأخرها الى حضور الموت من الفسقة وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة كأنه قال توبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء فى انه لا توبة لهم لان حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أن الميت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لعدم محلها وتلك التسوية لكيلا يهمل المذنب فى أمر التوبة ولا يتأهل العاقل فى المسارعة الى طلب المغفرة (قال جلال الدين الرومى قدس سره) كر سيه كردى تو نامهء عمر خويش * توبه كن زانها كه كردستى تو بيش * توبه آريد وخدا توبه پذير * امر او كيريد او نعم الامير * واذا هب من الله رياح العناية تجد العبد يسرع الى التوبة ويمد نفسه الى أسبابها ويتأثر بشئ يسير فيتوب من قبح معاملته قال أبو سليمان الدارانى اختلفت الى مجلس قاص فأثر فى قلبى كلامه فلما قمت لم يبق فى قلبى شئ فعدت ثانيا فبقى اثر كلامه فى قلبى حتى رجعت الى منزلى وكسرت آلة المخالفات ولزمت الطريق فحكى هذه الحكاية ليحيى ابن معاذ فقال عصفور اصطاد كركيا أراد بالعصفور ذلك القاص وبالكركى أبا سليمان * مرد بايد كه كيرد اندر كوش * ورنوشتست پند بر ديوار * قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم فمسارعة المذنب بالتوبة وترك الاصرار والرجوع الى باب الملك الغفار ومسارعة المطيع بالاجتناب عن السيئات وزيادة الخيرات والحسنات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب اليمين امين على صاحب الشمال فاذا عمل العبد حسنة يكتب له صاحب اليمين عشرا * نكو كارى از مردم نيك راى * يكى را بده مى نويسد خداى * واذا عمل سيئة وأراد صاحب الشمال أن يكتب قال صاحب اليمين أمسك فيمسك ست ساعات أو سبع ساعات فان استغفر فيها لم يكتب عليه وان لم يستغفر كتب سيئة واحدة قالوا يجب على كل مسلم أن يتوب الى الله حين يصبح وحين يمسى ولا يؤخرها قال أبو بكر الواسطى قدس سره التأنى فى كل شئ حسن الا فى ثلاث خصال عند وقت الصلاة وعند دفن الميت والتوبة عند المعصية وكان فى الامم الماضية اذا أذنبوا حرم عليهم حلال واذا أذنب واحد منهم ذنبا وجد على بابه أو على جبهته مكتوبا ان فلان بن فلان قد أذنب كذا وتوبته كذا فسهل الله الامر على هذه الامة فقال ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما (روى) ان الله لما لعن ابليس سأله النظرة فأنظره أى أمهله الى قيام الساعة فقال انظر ماذا ترى فقال وعزتك لاأخرج من صدر عبدك حتى تخرج نفسه فقال الرب وعزتى وجلالى لاأحجب التوبة عن عبدى حتى تخرج نفسه فانظر الى رحمة الله ورأفته على عباده وأنه سماهم مؤمنين بعد ما أذنبوا فقال وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون وأحبهم بعد التوبة فقال ان الله يحب التوابين (قال الحافظ) مهلتى كه سپهرت دهد ز راه مرو * ترا كه كفت كه اين زال ترك دستان كفت * فينبغى أن لا يغتر الانسان بشئ من الاشياء فى حال من الاحوال فانه وان كان يمهل ولكن لا يهمل فان الموت يجيئ البتة اذا فنى العمر وامتلأ الاناء (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) مصدر فى موضع الحال من النساء كان الرجل اذا مات قريبه يلقى ثوبه على امرأته أو على خبائها او يقول أرث امرأته كما أرث ماله

فيصير بذلك أحق بها من كل أحد ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيأ وان شاء عضلها أى حبسها وضيق عليها لتفتدى بما ورثت من زوجها وان ذهبت المرأة الى أهلها قبل القاء الثوب فهى أحق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم أن تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك (ولا تعضلوهن) عطف على ترثوا ولا لتأكيد النفى والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق وداء عضال ممتنع عسر العلاج وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدى منه بمالها او تختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن أى لا تضيقوا عليهن (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) أى من الصداق بأن يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتأخذوه منهن (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) من بين بمعنى تبين أى القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج وأهله بالبذاء أى الفحش والسلاطة أى حدة اللسان أو الفاحشة الزنا وهو استثناء من أعم الاحوال أو أعم الاوقات أو أعم العلل أى ولا يحل لكم عضلهن فى حال من الاحوال أو فى وقت من الاوقات أو لعلة من العلل الا فى حال اتيانهن بفاحشة أو الا فى وقت اتيانهن بها أو الا لاتيانهن بها فان السبب حينئذ يكون من جهتهن وأنتم معذورون فى طلب الخلع (وعاشروهن بالمعروف) خطاب للذين يسيؤن العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة فى المبيت والنفقة والاجمال فى القول ونحو ذلك (فان كرهتموهن) وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير أن يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن (فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) والمراد بالخير الكثير ههنا الولد الصالح أو المحبة والالفة والصلاح فى الدين وهو علة للجزاء أقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كأنه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر أى فقد قربت كراهتكم شيأ وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما هو أصلح فى الدين وأحمد عاقبة وأدنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى أنفسكم اعلم أن معاشرتهن بالمعروف والصبر عليهن فيما لا يخالف رضا الله تعالى والا فالرد من مواضع الغيرة واجب فان الغيرة من أخلاق الله وأخلاق الانبياء والاولياء قال عليه السلام أتعجبون من غيرة سعد وأنا أغير منه والله أغير منى ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن أى ما كان من أعمال الظاهر وهو ظاهر وأحوال الباطن وهو الركون الى غير الله والطريق المنجى عن الغيرة أن لا يدخل عليها الرجال ولا تخرج هى الى الاسواق دون الحمام قال الامام قاضى خان دخول الحمام مشروع للرجال والنساء خلافا لما قاله البعض (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الحمام وتنور وخالد بن الوليد دخل حمام حمص لكن انما يباح اذا لم يكن فيه انسان كشف العورة اه والناس فى زماننا لا يمتنعون عن كشف العورة أعاليهم وأسافلهم فالمتقى يجتنب عن الدخول فى الحمام من غير عذر والحاصل ان المرأة اذا برئت من مواقع الخلل واتصفت بالعفة فعلى الزوج أن يعاشرها بالمعروف ويصبر على سائر أوضاعها وسوء خلقها

وخلقها بخلاف ما اذا كانت غير ذلك (قال الشيخ السعدى قدس سره) چو مستور باشد زن خوبروى * بديدار او در بهشتست شوى * اكر پارسا باشد وخوش سخن * نكه در نكويى وزشتى مكن * چو زن راه بازار كيرد بزن * وكرنه تو در خانه بنشين چو زن * ز بيكانكان چشم زن كور باد * چو بيرون شد از خانه در كور باد * شكوهى نماند دران خاندان * كه بانك خروس آيد از ماكيان * كريز از كفش در دهان نهنك * كه مردن به از زندكانى به ننك * ثم اعلم ان معاملة النساء أصعب من معاملة الرجال لانهن أرق دينا وأضعف عقلا وأضيق خلقا فحسن معاشرتهن والصبر عليهن مما يحسن الاخلاق فلا جرم يعد الصابر من المجاهدين فى سبيل الله وكان عليه السلام يحسن المعاشرة مع أزواجه المطهرة (روى) أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى أن ماتت وعرض عليه التزوج فامتنع وقال الوحدة أروح لقلبى قال فرأيت فى المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء قد فتحت وكأن رجالا ينزلون ويسيرون فى الهواء يتبع بعضهم بعضا وكلما نظر الىّ واحد منهم يقول لمن وراءه هذا هو المشؤم فيقول الآخر نعم ويقول الثالث كذلك فخفت أن أسألهم الى أن مر بى آخرهم فقلت له من هذا المشؤم قال أنت قال فقلت ولم قال كنا نرفع عملك مع أعمال المجاهدين فى سبيل الله فمنذ جمعة أمرنا أن نضع عملك مع الخالفين فلا ندرى ما أحدثت فقال لاخوانه زوجونى فلم يكن يفارقه زوجتان أو ثلاث وكثرة النساء ليست من الدنيا لان الزهاد والعباد كانوا يتزوجون ثلاثا وأربعا قال صلى الله عليه وسلم حبب الىّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة قال بعض أرباب الاحوال كنت بمجلس بعض القصاص فقال ما سلم أحد من الهوى ولا فلان وسمى بمن لا يليق ذكره فى هذا المقام لعظم الشان فقلت اتق الله فقال ألم يقل حبب الىّ فقلت ويحك انما قال حبب ولم يقل أحببت قال ثم خرجت بالهم فرأيت النبى عليه السلام فقال لا تهتم فقد قتلناه قال فخرج ذلك القاص الى بعض القرى فقتله بعض قطاع الطريق فقال بعض العلماء اكثاره عليه السلام فى أمر النكاح يتعلق ببواطن الشريعة قال الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول الانبياء زيدوا فى القوة بفضل نبوتهم وذلك أن النور اذا امتلأت منه الصدور ففاض فى العروق التذت النفس والعروق فأثار الشهوة وقواها وأما الطيب فانه يزكى الفؤاد ويقوى القلب وأصل الطيب انما خرج من الجنة بهبوط آدم منها بورقة تستر بها فتركت عليه وأما الصلاة فهى مناجاة الله كما قال عليه السلام المصلى يناجى ربه فاذا عرفت حقيقة الحال فاياك والانكار فان كل عمل عند الاخيار له سر من الاسرار ولكن عقول العوام لا تحيط به وان عاشوا ألف عام (قال مولانا جلال الدين قدس سره) از محقق تا مقلد فرقهاست * كين چو داود ست وآن ديكر صداست * كار درويشى وراى فهم تست * سوى درويشان بمنكر سست سست (وان أردتم استبدال زوج) أى تزوج امرأة ترغبون فيها (مكان زوج) ترغبون عنها بأن تطلقوها (وآتيتم احداهن) أى احدى الزوجات فالمراد بالزوج هو الجنس (قنطارا) أى مالا كثيرا (فلا تأخذوا منه) أى ذلك القنطار (شيأ) يسيرا فضلا عن الكثير (أتأخذونه) أى شيأ منه (بهتانا) باهتين أو مفعول له أى للبهتان والظلم العظيم فان أحدهم كان اذا تزوج امرأة

فأعجبه غيرها وأراد أن يتزوجها بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه الى تزويج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان في اللغة الكذب الذي يواجه الانسان به صاحبه على جهة المكابرة وأصله من بهت الرجل اذا تحير فالبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هنا بالظلم (واثما مبينا) أي آثمين عيانا أو للذنب الظاهر (وكيف تأخذونه) أي لأي وجه ومعنى تفعلون هذا (وقد) والحال انه قد (أفضى بعضكم الى بعض) قد جرى بينكم وبينهن أحوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) عطف على ما قبله داخل في حكمه أي أخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة والمعاشرة أوما أوثق الله عليكم في شأنهن بقوله تعالى فامساك بمعروف أو تسريح باحسان أوما أشار اليه النبي عليه السلام بقوله أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * اعلم أن هذه المعاملات من تضييق النساء ومنعهن من الازواج وأخذ ما في أيديهن ظلما بعد ما أخذن ميثاقا غليظا في رعاية حقوقهن كلها وأمثالها ليست من أمارة الايمان ونتائجه وغراته لان المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يشتمه قال عليه السلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقال الدين النصيحة وقد صرح بنفي الايمان عمن لا يحب لاخيه ما يحب لنفسه قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه من الخير * هرآنكه تخم بدى كشت وچشم نيكى داشت * دماغ بيهده پخت وخيال باطل بست * زگوش پنبه برون آورو داد خلق بده * اگر تو مى ندهى داد روز دادى هست * فعلى المرء أن ينصف في جميع أحواله للاجانب خصوصا الاقارب والازواج فان تحرى العدل اهم من الواجبات واعلم أن الآية لا دلالة فيها على جواز المغالاة في المهر لان قوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا لا يدل على جواز ايتاء القنطار كما أن قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لا يدل على حصول الآلهة والحاصل انه لا يلزم من جعل الشئ شرط الشئ آخر كون ذلك الشرط في نفسه جائز الوقوع كذا قال الامام في تفسيره ويؤيده ما قيل في مرشد المتأهلين ان المرأة التي يراد نكاحها يراعى فيها خفة المهور وقال صلى الله عليه وسلم خير نسائكم أحسنهن وجوها وأخفهن مهورا وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه على عشرة دراهم وأثاث البيت وكان رحى وجرة ووسادة من أديم حشوها ليف وفي الخبر من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها الى الولادة ويسر مهرها ولابد للرجل أن يوفيها صداقها كملا أو ينوى ذلك فمن نوى أن يذهب بصداقها جاء يوم القيامة زانيا كما أن من استدان دينا وهو ينوى أن لا يقضيه يصير سارقا ولا يماطل بمهرها الا أن يكون فقيرا أو تؤجله المرأة طوعا ويعلمها أحكام الطهارة والحيض والصلاة وغير ذلك بقدر ما تؤدى به الواجب ويلقنها اعتقاد أهل السنة ويردها عن اعتقاد أهل البدعة وان لم يعلم فليسأل ولينقل اليها جواب المفتي وان لم يسأل فلا بد لها من الخروج للسؤال ومتى علمها الفرائض فليس لها الخروج الى تعلم أو مجلس ذكر الا برضاه فمهما أهمل المرء حكما من أحكام الدين ولم يؤدبها ولم يعلمها أو منعها عن التعلم شاركها في الاثم وفي الحديث أشد الناس عذابا يوم القيامة من أجهل أهله قال عليه السلام كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) ذكر ما دون من لانه أريد به الصفة

وقوله

وقوله من النساء بيان لما نكح واسم الآباء ينتظم الاجداد مجازا كان أهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك أى لا تنكحوا التى نكحها آباؤكم (الا ما قد سلف) استثناء مما نكح مفيد للمبالغة فى التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال أى لا تنكحوا حلائل آبائكم الا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط (انه) أى نكاحهن (كان فاحشة) أى فعلة قبيحة ومعصية شديدة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم (ومقتا) ممقوتا عند ذوى المروآت والمقت أشد البغض (وساء سبيلا) نصب على التمييز أى بئس السبيل سبيل من يراه ويفعله فانه يؤدى صاحبه الى النار قيل مراتب القبح ثلاث القبح العقلى واليه أشير بقوله انه كان فاحشة والقبح الشرعى واليه أشير بقوله مقتا والقبح العادى واليه الاشارة بقوله وساء سبيلا ومتى اجتمعت فيه هذه المراتب فقد بلغ أقصى مراتب القبح والاشارة فى الآية أن الآباء هى العلويات والامهات هى السفليات وبازدواجهما خلق الله تعالى المتولدات منهما فيما بينهما فى قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء اشارة الى نهى التعلق والتصرف فى السفليات التى هى الامهات المتصرفة فيها آباؤكم العلوية الا ما قد سلف من التدبير الالهى فى ازدواج الارواح والاشباح فالحاجات الضرورية للانسان مسبقة به انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا يعنى التصرف فى السفليات والتعلق بها والركون اليها مما يلوث الجوهر الروحانى بلوث الصفات الحيوانية ويجعله سفلى الطبع بعيدا عن الحضرة محب الدنيا ناسيا للرب ممقوتا للحق وساء سبيلا الى الهداية بالضلالة (قال الحافظ) غلام همت آنم كه زير چرخ كبود * زهر چه رنگ تعلق پذيرد آزادست (قال مولانا الجامى) اى كه در شرع خداوندان حال * ميكنى از سنت وفرضم سؤال * سنت آمد دل زدنيا تافتن * فرض راه قرب مولا يافتن * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقرب الناس مجلسا الى الله يوم القيامة من طال حزنه وجوعه فى الدنيا افترش الناس الفراش وافترش الارض فالراغب من رغب فى مثل مارغبوا والخاسر من خالفهم اكلوا الشعير ولبسوا الخرق وخرجوا من الدنيا سالمين (قال مولانا جلال الدين) هركه مجبوبست اوخود كود كيست * مرد آن باشد كه بيرون از شكيست * اى خنك آنكه جهادى ميكند * بر بدن زجرى ودادى ميكند * اى بسا كارا كه اول صعب كشت * بعد ازان بكشاده شد سختى كذشت * اندرين ره مى تراش ومى خراش * تادم آخر دمى فارغ مباش * قال أبو على الدقاق رحمه الله من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سريرته بالمشاهدة قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واعلم ان من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة قال أبو الحسن الوراق كان أجل أحكامنا فى مبادى أمرنا فى مسجد أبى عثمان الايثار حتى يفتح علينا وأن لا نبيت على معلوم ومن استقبلنا بمكروه لا ننتقم لانفسنا بل نعتذر اليه ونتواضع له واذا وقع فى قلوبنا حقارة لاحد قمنا فى خدمته والاحسان اليه حتى يزول قال أبو حفص ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه فان المعاصى بريد الكفر * عيب رندان مكن اى زاهد پاكيزه سرشت * كه كناه دكران بر تو نخواهند نوشت * من اكر نيكم وكر بد تو برو خود را باش * هر كسى آن درود عاقبت كار كه كشت (حرمت عليكم امهاتكم) أى نكاحهن لان المفهوم فى العرف من حرمة كل شئ ما هو الغرض

المقصود منه فيفهم من تحريم النساء تحريم نكاحهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن
تحريم لحم الخنزير تحريم أكله والامهات تعم الجدات وان علون من الاب والام أو من قبل
أحدهما (وبناتكم) الصلبية وبنات الاولاد وان سفلن (واخواتكم) من قبل الاب والام
أو من قبل أحدهما فيتضمن الاخوات من الجهات الثلاث واعلم ان حرمة الامهات والبنات
كانت ثابتة من زمن آدم عليه السلام الى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن في شيء من الاديان
الالهية بل ان زرادشت رسول المجوس قال بحله الا أن أكثر المسلمين اتفقوا على انه كان كذابا
أما نكاح الاخوات فقد نقل ان ذلك كان مباحا في زمن آدم عليه السلام وانما حكم الله
باباحة ذلك على سبيل الضرورة وذكر العلماء ان السبب لهذا التحريم ان الوطء اذلال واهانة
فان الانسان يستحيي من ذكره ولا يقدم عليه الا في الموضع الخالي وأكثر أنواع الشتم
لا يكون الا بذكره واذا كان الامر كذلك وجب صون الامهات عنه لان انعام الام على الولد أعظم
وجوه الانعام فوجب صونها عن هذا الاذلال والبنت جزء من الانسان وبعض منه فيجب
صونها عن هذا الاذلال لان المباشرة معها تجري مجرى الاذلال وكذا القول في البقية ذكره
الامام في تفسيره (وعماتكم) العمة كل انثى ولدها من ولد والدك قريبا أو بعيدا (وخالاتكم)
الخالة كل أنثى ولدها من ولد والدتك قريبا أو بعيدا يعني العمات ثم أخوات الآباء والاجداد
وكذا الخالات ثم أخوات الامهات والجدات سواء كن من قبل الاب والام أو من قبل أحدهما
(وبنات الاخ وبنات الاخت) من كل جهة ونوافلهما وان بعدت واعلم ان الله تعالى نص
على تحريم أربعة عشر صنفا من النسوان سبع منهن من جهة النسب وهن هذه المذكورات
وسبع أخرى من جهة السبب والى تعدادها أشار فقال (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم
وأخواتكم من الرضاعة) أي حرم نكاح الامهات والاخوات كلتاهما من الرضاعة كما حرمتا
من النسب نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك
زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده
فهم اخوته واخواته لابيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج
فهم اخوته واخواته لابيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته وأخواته لامه ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه وأما أم أخيه
لاب وأخت ابنه لام وأم أم ابنه وأم عمه وأم خاله لاب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تحل
بعمومه ضرورة حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة ألا ترى ان الاولى موطوأة أبيه
والثانية بنت موطوأته والثالثة أم موطوأته والرابعة موطوأة جده الصحيح والخامسة موطوأة
جده الفاسد (وأمهات نسائكم) المراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولا
بهن أم لا وعليه جمهور العلماء وقد روى عن النبي عليه السلام انه قال في رجل تزوج امرأة ثم
طلقها قبل الدخول بها انه لا بأس بأن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها ويلحق بهن
الموطوآت بوجه من الوجوه المعدودات فيما سبق آنفا والممسوسات ونظائرهن وأمهاتهن تعم
المرضعات كما تعم الجدات (وربائبكم اللاتي في حجوركم) أي حرم نكاح الربائب جمع ربيبة
والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول والتاء
للنقل الى الاسمية قال الامام والحجور جمع حجر وفيه لغتان قال ابن السكيت حجر الانسان وحجره

بالفتح

بالفتح والكسر هو ما يجمع على تخذيه من ثوبه والمراد بقوله في حجوركم أي في تربيتكم يقال فلان
في حجر فلان اذا كان في تربيته والسبب في هذه الاستعارة ان كل من ربي طفلا أجلسه في حجره
فصار الحجر عبارة عن التربية كما يقال فلان في حضانة فلان وأصله من الحضن الذي هو الابط ثم
ان كون التربية في حجر الراب ليس بشرط للحرمة عند جمهور العلماء والوصف في الآية خرج
على الاغلب لانهن كن لا يتزوجن غالبا اذا كانت لهن أولاد كبار ويتزوجن مع الاولاد الصغار
ليستعن بالازواج على تربية الاولاد فخرج الكلام مخرج الغالب لا على الاشتراط كما في قوله
تعالى ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد والمباشرة في غير المساجد حالة الاعتكاف حرام
أيضا (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) أي كائنة تلك الربائب من نسائكم اللاتي دخلتم بهن
فمن متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والباء للتعدية وهي
كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكم الدخول اللمس ونظائره (فان لم
تكونوا) أي فيما قبل (دخلتم بهن) أصلا (فلا جناح عليكم) أي في نكاح الربائب اذا فارقتموهن
أي أمهاتهن أو متن وهو تصريح بما أشعر به ما قبله (وحلائل أبنائكم) أي وحرم عليكم
زوجات أبنائكم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه
وفي حكمهن مزنياتهم ومن يجري مجراهن من الممسوسات ونظائرهن (الذين من أصلابكم)
لاخراج الادعياء دون أبناء الاولاد والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء
الصلبية فالمتبنى اذا فارق امرأته يجوز للمتبني نكاحها وقد تزوج النبي عليه السلام زينب
ابنة جحش الاسدية بنت عمته أميمة ابنة عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وكان قد تبناه وادعاه
ابنا فعيره المشركون بذلك لان المتبنى في ذلك الوقت كان بمنزلة الابن فانزل الله تعالى ما كان
محمد أبا أحد من رجالكم وقوله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم (وأن تجمعوا بين الاختين)
أي وحرم عليكم الجمع بين الاختين في النكاح لا في ملك اليمين وأما جمعهما في الوطء بملك اليمين
فيلحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار (الا ما قد سلف) استثناء منقطع أي لكن ما قد مضى
لا تؤاخذون به (ان الله كان غفورا) لمن فعل ذلك في الجاهلية (رحيما) لمن تاب من ذنوبه
وأطاع لامر ربه في الاسلام (والمحصنات) هن ذوات الازواج أحصنهن التزوج أو الازواج
أو الاولياء أي عفهن عن الوقوع في الحرام وقد ورد الاحصان في القرآن بازاء اربعة معان
الاول التزوج كما في هذه الآية والثاني العفة كما في قوله محصنين غير مسافحين والثالث الحرية
كما في قوله ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله فاذا أحصن
قيل في تفسيره أي اسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة أي وحرم عليكم ذوات الازواج
كائنات (من النساء) وفائدته تأكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة
للانفس كما توهم (الا ما ملكت أيمانكم) يريد ما ملكت أيمانكم من اللاتي سبين ولهن
الازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين ان كن محصنات قال نجم الدين الكبرى قدس
سره ان الله تعالى حرم المحصنات من النساء على الرجال عفة للحضانة وصحة للنسب ونزاهة لعرض
الرجال عن خسة الاشتراك في الفراش علو الهمة فان الله يحب معالي الامور ويبغض سفسافها
وقال الا ما ملكت أيمانكم يعني ملكتم بالقوة والغلبة على أزواجهن من الكفار واقتطاعهن

من خيز الاشتراك وافساد نسب الاولاد وتخليطه ولهذا أوجب الشرع فيها الاستبراء بحيضة
(كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد أى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا (وأحل
لكم) عطف على حرمت عليكم وتوسط قوله كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة فى الحمل على المحافظة
على المحرمات المذكورة (ما وراء ذلكم) اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة أى احل لكم
نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا وخص منه بالسنة ما فى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع
والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها (أن تبتغوا) متعلق بالفعلين المذكورين أى حرمت واحل على
انه مفعول له لكن باعتبار بيانهما واظهارهما أى بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال
ما سواهن ارادة أن تبتغوا النساء أى تطلبوهن (بأموالكم) بصرفها الى مهورهن أو اثمانهن
(محصنين) حال من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب
اللوم والعقاب (غير مسافحين) حال ثانية منه والسفاح الزنا والفجور من السفح الذى هو صب
المنى سمى به لانه الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف أى محصنين فروجكم غير مسافحين
الزوانى وهى فى الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة والمعنى لا تضيعوا أموالكم
فى الزنا لئلا يذهب دينكم ودنياكم ولكن تزوجوا بالنساء فهو خير لكم وذكر الاموال يدل على ان غير
المال لا يصلح مهرا وأن القليل لا يكفى مهرا فان الدرهم ونحوه لا يسمى مالا ثم هو عندنا لا يكون
أقل من عشرة دراهم قال صلى الله عليه وسلم لا مهر أقل من عشرة (فما استمتعتم به منهن) أى
فالذى انتفعتم به من النساء بالنكاح الصحيح من جماع أو خلوة صحيحة أو غير ذلك (فآتوهن
أجورهن) مهورهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة
(ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به) أى فى أن تراضيتم بعد النكاح على زيادة المهر من جانب الزوج
أو على الحط من المهر من جانب الزوجة وان تهب لزوجها جميع مهرها (من بعد الفريضة) أى
بعد المفروضة للزوجة (ان الله كان عليما) بمصالح العباد (حكيما) فيما شرع لهم من الاحكام
ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللائقة بحالكم اعلم ان المحرم عندنا من حرم نكاحه على التأبيد
بنسب أو مصاهرة أو رضاع ولو بوطء حرام فخرج بالاول ولد العمومة والخؤلة وبالثانى أخت
الزوجة وعمتها وخالتها وشمل أم المزنى بها وبنتها وأبا الزانى وابنه وأحكامه تحريم النكاح وجواز
النظر والخلوة والمسافرة الا المحرم من الرضاع فان الخلوة بها مكروهة وكذا بالصهرة الشابة
وحرمة النكاح على التأبيد لا مشاركة للمحرم فيها فان الملاعنة تحل اذا كذب نفسه أو خرج
من أهلية الشهادة والمجوسية تحل بالاسلام أو تهودها أو تنصرها والمطلقة ثلاثا بدخول الثانى
وانقضاء عدته ومنكوحة الغير بطلاقها وانقضاء عدتها ومعتدة الغير بانقضائها وكذا لا مشاركة
للمحرم فى جواز النظر والخلوة والسفر وأما عبدها فكالاجنبى على المعتمد لكن الزوج يشارك
المحرم فى هذه الثلاثة والنساء الثقات لا يقمن مقام المحرم والزوج فى السفر * ويختص المحرم
النسبى بأحكام منها عتقه على قريبه لو ملكه ولا يختص بالاصل والفرع ومنها وجوب نفقة
الفقير العاجز على قريبه الغنى فلا بد من كونه رحما من جهة القرابة فابن العم والاخ من
الرضاع لا يعتق ولا تجب نفقته ويغسل المحرم قريبه ومنها أنه لا يجوز التفريق بين صغير ومحرم
ببيع أو هبة الا فى عشر مسائل ومنها ان المحرمية مانعة من الرجوع فى الهبة * ويختص

الاصول والفروع من بين سائر المحارم بأحكام منها أنه لا يقطع أحدهما بسرقة مال الآخر ومنها لا يقضى ولا يشهد أحدهما للآخر ومنها تحريم موطوءة كل منهما على الآخر ولو بزنا ومنها تحريم منكوحة كل منهما على الآخر بمجرد العقد ومنها لا يدخلون فى الوصية للاقارب * ويختص الاصول بأحكام منها لا يجوز له قتل أصله الحربى الا دفعا عن نفسه وان خاف رجوعه ضيق عليه وألجأه ليقتله غيره وله قتل فرعه الحربى كمحرمه ومنها لا يقتل الاصل بفرعه ويقتل الفرع بأصله ومنها لا يحد الاصل بقذف فرعه ويحد الفرع بقذف أصله ومنها لا تجوز مسافرة الفرع الا باذن أصله دون عكسه ومنها لو ادعى الاصل ولد جارية ابنه ثبت نسبه والجد أبو الاب كالاب عند عدمه بخلاف الفرع اذا ادعى ولد جارية أصله لم يصح الا بتصديق الاصل ومنها لا يجوز الجهاد الا باذنهم بخلاف الاصول لا يتوقف جهادهم على اذن الفروع ومنها لا تجوز المسافرة الا باذنهم ان كان الطريق مخوفا والا فان لم يكن ملتحيا فكذلك والا فلا ومنها اذا دعاه أحد أبويه فى الصلاة وجبت اجابته الا أن يكون عالما بكونه فيها ولم أر حكم الاجداد والجدات وينبغى الالحاق ومنها كراهة تجهيه بدون اذن من كره من أبويه ان احتاج الى خدمته ومنها جواز تأديب الاصل فرعه والظاهر عدم الاختصاص بالاب فالأم والاجداد والجدات كذلك ومنها تبعية الفرع للاصل فى الاسلام ومنها لا يحبسون بدين الفرع والاجداد والجدات كذلك * واختصت الاصول الذكور بوجوب الاعفاف * واختص الأب والجد لأب بأحكام منها ولاية المال فلا ولاية للأم فى مال الصغير الا الحفظ وشراء ما لا بد منه للصغير ومنها تولى طرفى العقد فلو باع الأب ماله من ابنه أو اشترى وليس فيه غبن فاحش انعقد بكلام واحد ومنها عدم خيار البلوغ فى تزويج الأب والجد فقط وأما ولاية الانكاح فلا تختص بهما فتثبت لكل ولى سواء كان عصبة أو من ذوى الارحام وكذا الصلاة فى الجنازة لا تختص بهما وفى المنتقط من النكاح لو ضرب المعلم الولد باذن الأب فهلك لم يغرم الا أن يضربه ضربا لا يضرب مثله ولو ضرب باذن الأم غرم الدية اذا هلك والجد كالاب عند فقده الا فى ثنتى عشرة مسئلة (فائدة) يترتب على النسب اثنا عشر حكما توريث المال والولاء وعدم صحة الوصية عند المزاحمة ويلحق به الاقرار بالدين فى مرض موته وتحمل الدية وولاية التزويج وولاية غسل الميت والصلاة عليه وولاية المال وولاية الحضانة وطلب الحد وسقوط القصاص هذا كله من الاشباه والنظائر نقلته ههنا للفوائد الكثيرة وملائمته المحل على ما لا يخفى (ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات) من لم يستطع أى من لم يجد كما يقول الرجل لا أستطيع أن أحج أى لا اجد ما أحج به ومنكم حال من فاعل يستطع أى حال كونه منكم والطول القدرة وانتصابه على انه مفعول يستطع وان ينكح فى موضع النصب على انه مفعول القدرة والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن أحصنتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان والمعنى ومن لم يجد طول حرة أى ما يتزوج به الحرة المسلمة (فمما ملكت أيمانكم) فلينكح امرأة أو أمة من النوع الذى ملكته أيمانكم (من فتياتكم المؤمنات) حال من الضمير المقدر فى ملكت الراجع الى ما أى من امائكم المسلمات والفتاة أصلها الشابة والفتاء بالمد الشباب والفتى الشاب والامة تسمى فتاة والعبد يسمى فتى وان كانا كبيرين فى السن

لانهما لا يوقران للرق توقير الكبار ويعاملان معاملة الصغار (والله أعلم بايمانكم) تأنيس بنكاح الاماء وازالة الاستنكاف منه أى أعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم فى الايمان فربما كان ايمان الامة أرجح من ايمان الحرة وايمان المرأة من ايمان الرجل فلا ينبغى للمؤمن أن يطلب الفضل والرجحان الا باعتبار الايمان والاسلام لا بالاحساب والانساب (بعضكم من بعض) أنتم وأرقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام كما قيل

الناس من جهة التمثال اكفاء * أبوهمو آدم والام حواء

فبينكم وبين ارقائكم المواخاة الايمانية والجنسية الدينية لا يفضل حر عبدا الا برجحان فى الايمان وقدم فى الدين (فانكحوهن باذن أهلهن) أى واذ قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا تترفعوا عنهن وفى اشتراط اذن الموالى دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له (وآتوهن أجورهن بالمعروف) أى أدوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللزأى المشايقة والالحاح (محصنات) حال من مفعول فانكحوهن أى حال كونهن عفائف عن الزنا (غير مسافحات) حال مؤكدة أى غير مجاهرات به والمسافح الزانى من السفح وهو صب المنى لان غرضه مجرد صب الماء (ولا متخذات أخدان) جمع خدن وهو الصديق سرا والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى أن لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى أن لا يكون لها اخدان أى غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان زناهن فى الجاهلية من وجهين السفاح وهو بالاجر من الراغبين فيها والمخادنة وهى مع صديق لها على الخصوص وكان الاول يقع اعلانا والثانى سرا وكانوا لا يحكمون على ذات الخدن بكونها زانية ولذا أفرد الله كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على حرمتهما معا (فاذا احصن) أى بالتزويج (فان اتين بفاحشة) أى فعلن فاحشة وهى الزنا (فعليهن) فثابت عليهن شرعا (نصف ما على المحصنات) أى الحرائر الابكار (من العذاب) من الحد الذى هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرائر ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف وحملوا حد العبد مقيسا على الامة والجامع بينهما الرق والاحصان عبارة عن بلوغ مع عقل وحرية ودخول فى نكاح صحيح واسلام خلافا للشافعى فى الاسلام (ذلك) أى نكاح المملوكات عند عدم الطول (لمن خشى العنت منكم) أى خاف الزنا وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة الاثم بأفحش القبائح وانما سمى الزنا به لانه سبب المشقة بالحد فى الدنيا والعقوبة فى العقبى (وان تصبروا) أى عن نكاحهن متعففين كافين أنفسكم عما تشتهيه من المعاصى (خير لكم) من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق ولان حق المولى فيها فلا تخاص للزوج خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد فى السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادى وفيه من اختلال حال الزوج وأولاده مالا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هى اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم أمر المنزل وقد قال صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت (والله غفور) لمن لم يصبر (رحيم) بالرخصة والتوسعة فنكاح الامة عند الطول والقدرة

على نكاح الحرة لايحل عند الشافعي وعند الحنفية يحل مالم يكن عنده امرأة حرة وتحصيله أن الشافعي أخذ بظاهر الآية وقال لايجوز نكاح الامة الا بثلاثة شرائط اثنان في الناكح عدم طول الحرة وخشية العنت والثالث في المنكوحة وهي ان تكون أمة مؤمنة لا كافرة كتابية وعند أبي حنيفة شيء من ذلك ليس بشرط فهو حمل عدم استطاعة الطول على عدم ملك فراش الحرة بأن لايكون تحته حرة فحينئذ يجوز نكاح الامة وحمل النكاح على الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل أى نكاح الامة المؤمنة أفضل من نكاح الكتابية فجعله على الندب واستدل عليه بوصف الحرائر مع كونه ليس بشرط قال في التيسير وأما قوله من فتياتكم المؤمنات ففيه اباحة المؤمنات وليس فيه تحريم الكتابيات فالغنى والفقير سواء في جواز نكاح الامة سواء كانت مؤمنة أو يهودية أو نصرانية اعلم ان النكاح من سنن المرسلين وشرعة المخلصين الا ان الحال يختلف فيه باختلاف أحوال الناس فهو واجب بالنسبة الى صاحب التوقان ومستحب بالنسبة الى من كان في حد الاعتدال ومكروه بالنسبة الى من يعجز عن الوقاع والانفاق قال في الشرعة وشرحها ويختار للتزوج المرأة ذات الدين فان المرأة الصالحة خير متاع الدنيا فان بها يحصل تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكلف بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاواني وتهيئة أسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعسر عليه العيش في منزله وحده اذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل اضاعت أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل معينة على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال أبو سليمان الداراني الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للآخرة (قال الشيخ السعدي) زن خوب فرمانبر پارسا * كند مرد درويش را پادشا * سفر عيد باشد بران كدخداى * كه يارى زشتش بود در سراى * ثم ان بعضهم اختاروا البكر وقالوا انها تكون لك فاما الثيب فان لم يكن لها ولد فنصفها لك وان كان لها ولد فكلها للغير تأكل رزقك وتحب غيرك والحاصل ان اختيار نكاح المملوكات رخصة والصبر عنه عزيمة ولاريب أن العزيمة أولى لانه بالصبر يترقى العبد الى الدرجات العلا وفي الخبر يؤتى بأشكر أهل الارض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر اهل الارض فيقال له أترضى أن نجزيك جزاء الشاكرين فيقول نعم يارب فيقول الله كلا أنعمت عليك فشكرت وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين وقد يجمع العبد فضيلتي الصبر والشكر بأن يصبر على مقتضى النفس زمانا ثم بعد النيل والفوز يشكر على نعمه الجزيلة حققنا الله واياكم بحقائق الصبر والشكر * نعمت حق شمار وشكر گزار * نعمتش را اگرچه نيست شمار * شكر باشد كليد گنج مزيد * گنج خواهى منه زدست كليد * (وقيل في حق الصبر) چون عنانى بسته در بند حرج * صبر كن كالصبر مفتاح الفرج * صبر كن حافظ بسختى روز وشب * عاقبت روزى بيابى كام را * ثم ان رحمته لعباده أوسع من أن تذكر ولذلك قال والله غفور رحيم ومن جملة رحمته بيان طرائق من سلف وتقدم من اهل الرشاد ليسلكوا مناهجهم ويصلوا الى المراد وقال عليه السلام يا كريم العفو فقال جبريل أتدرى ما معنى كريم العفو هو أن يعفو عن السيآت برحمته ثم يبدلها بحسنات بكرمه (قال جلال الدين) توبه آريد وخدا توبه پذير * امر او گيريد او نعم الامير *

سيآ تترا مبدل كردحق * تاهمه طاعت شود ان ماسبق (يريد الله ليبين لكم) اللام مزيدة
لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف أى يريد الله أن يبين لكم ماهو
خفى عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم وماتعبدكم به من الحلال والحرام (ويهديكم سنن
الذين من قبلكم) أى يدلكم على مناهج من تقدمكم من الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم
(ويتوب عليكم) يرجع بكم عن معصيته الى طاعته بالتوفيق للتوبة مما كنتم عليه من الخلاف
وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة
حصلت لهم هذه التوبة (والله عليم) بكم (حكيم) فيما يريده لكم (والله يريد أن يتوب عليكم) بيان
لكمال منفعة ما أراده الله تعالى وكمال مضرة مايريد الفجرة بخلاف الاول فانه بيان ارادته تعالى
لتوبته عليهم فلا تكرار (ويريد الذين يتبعون الشهوات) يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات
الائتمار لها وأما المتعاطى لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل
المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله
تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع أن العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا
بنات الاخ والاخت فنزلت (أن تميلوا) عن القصد والحق بموافقتهم على اتباع الشهوات
واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم (ميلا عظيما) أى بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على
ندرة بلا استحلال (يريد الله أن يخفف عنكم) مافى عهدتكم من مشاق التكاليف فلذلك شرع
لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة وغيره من
الرخص (وخلق الانسان ضعيفا) عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه
حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه فى مشاق الطاعات قال الكلبى أى لا يصبر
عن النساء قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من ابن آدم الا أتاه من قبل النساء وقد أتى
على ثمانون سنة وذهبت احدى عينى وأنا أعشو بالاخرى وان أخوف ما أخاف على نفسى
فتنة النساء وقال أبو هريرة رضى الله عنه اللهم انى أعوذ بك من ان أزنى وأسرق فقيل له كبر
سنك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أتخاف على نفسك من الزنا والسرقة قال
كيف آمن على نفسى وابليس حى (قال الحافظ) جه جاى من كه بلغزد سپهر شعبده باز * ازين
حيل كه درانبانه بهانه تست * والاشارة فى تحقيق الآيات أن الله تعالى أنعم على هذه الامة
بارادة أربعة أشياء أولها التبيين وهو أن يبين لهم الصراط المستقيم الى الله وثانيها الهداية
وهو أن يهديهم الى الصراط المستقيم بالعيان بعد البيان وثالثها التوبة عليهم وهى أن يرجع
بهم الى حضرته على صراط الله ورابعها التخفيف عنهم وهو أن يوصلهم الى حضرته بالمعونة
ويخفف عنهم المؤنة وهذا مما اختص به نبينا عليه السلام وأمته لوجهين أحدهما أن الله أخبر
عن ذهاب ابراهيم عليه السلام الى حضرته باجتهاده وهو المؤنة بقوله انى ذاهب الى ربى
سيهدين وأخبر عن موسى عليه السلام بمجيئه وهو أيضا المؤنة وقال ولما جاء موسى لميقاتنا
وأخبر عن حال نبينا عليه السلام بقوله سبحان الذى أسرى بعبده ليلا وهو المعونة لتخفف عنه
المؤنة وأخبر عن حال هذه الامة بقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه
الحق وهو أيضا بالمعونة وهى جذبات العناية والوجه الثانى ان النبى عليه السلام وأمته

مخصوصون بالوصول والوصال مخفف عنهم كلفة الفراق والانقطاع فأما النبي عليه السلام فقد خص بالوصول الى مقام قاب قوسين أو أدنى وبالوصال بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى وانقطع سائر الانبياء عليهم السلام في السموات السبع كما رأى ليلة المعراج آدم في سماء الدنيا الى أن رأى ابراهيم عليه السلام في السماء السابعة فعبر عنهم جميعا الى كمال القرب والوصول وأما الامة فقال في حقهم من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا فهذا هو حقيقة الوصول والوصال ولكن الفرق بين النبي والولي في ذلك أن النبي مستقل بنفسه في السير الى الله والوصول ويكون حظه من كل مقام بحسب استعداده الكامل والولي لا يمكنه السير الا في متابعة النبي وتسلكه في سبيل الله قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ويكون حظه من المقامات بحسب استعداده فينبغي أن يسارع العبد الى تكميل المراتب والدرجات برعاية السنة وحسن المتابعة لسيد الكائنات قال جنيد البغدادي قدس سره مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة قال علي كرم الله وجهه الطرق كلها مسدودة على الخلق الا من اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم * كرت بايدكه بيني روى ايمان * رخ از آيينة امرش مكردان * زشرعش سرمپيچ ازهيچ رويى * كه هيچون شانه ميكرد دعويى (قال الشيخ السعدى) خلاف پيمبر كسى ره كزيد * كه هركز بمنزل نخواهد رسيد * محالست سعدى كه راه صفا * توان رفت جز برپى مصطفا * ثم في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اشارة الى أن الانسان لا يصبر عن الله لحظة لضعفه مهما يكون على الفطرة الانسانية فطرة الله التي فطر الناس عليها فانه يحبهم ويحبونه وهو ممدوح بهذا الضعف فان من عداه يصبرون عن الله لعدم اضطرارهم في المحبة والانسان مخصوص بالمحبة واعلم ان هذا الضعف سبب لكمال الانسان وسعادته وسبب لنقصانه وشقاوته لانه يتغير لضعفه من حال الى حال ومن صفة الى أخرى فيكون ساعة بصفة بهيمة يأكل ويشرب ويجامع ويكون ساعة أخرى بصفة ملك يسبح بحمد ربه ويقدس له ويفعل ما يؤمر ولا يعصي فيما نهاه عنه وهذه التغيرات من نتائج ضعفه وليس هذا الاستعداد لغيره حتى الملك لا يقدر أن يتصف بصفات البهيمة والبهيمة لا تقدر أن تتصف بصفة الملك لعدم ضعف الانسانية وانما خص الانسان بهذا الضعف لاستكماله بالتخلق باخلاق الله واتصافه بصفات الله كما جاء في الحديث الرباني أنا ملك حي لا أموت أبدا عبدي أطعني أجعلك ملكا حيا لا تموت أبدا فعند هذا الكمال يكون خير البرية وعند اتصافه بالصفات البهيمية يصير شر البرية * كى شوى انسان كامل * اى دل ناقص عقل (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا) أي لا تأخذوا وعبر عن الاخذ بالاكل لان المقصود الاعظم من الاموال الاكل فكما أن الاكل محرم فكذلك سائر وجوه التصرفات (اموالكم بينكم بالباطل) أي بوجه غير شرعي كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا والرشوة واليمين الكاذبة وشهادة الزور والعقود الفاسدة ونحوها (الا أن تكون تجارة عن تراض منكم) استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة أي الا أن تكون التجارة تجارة عن تراض أو الا أن تكون الاموال أموال تجارة وتلحق بها أسباب الملك المشروعة كالهبة والصدقة والارث والعقود الجائزة لخروجها عن الباطل وانما خص التجارة بالذكر لكونها أغلب أسباب المكاسب وقوعا وأوفقها لذوي المروآت والمراد بالتراضي مراضاة

المتبايعين عما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي حالة
الافتراق عن مجلس العقد (ولا تقتلوا أنفسكم) بالبخع كما يفعله جهلة الهند أو بالقاء النفس
الى التهلكة ويؤيده ما روى ان عمرو بن العاص رضي الله عنه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم
ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم أو بارتكاب المعاصي المؤدية الى هلاكها في الدنيا والآخرة
أو باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالنفس من كان من جنسهم
من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة (ان الله كان بكم رحيما) أي أمر بما أمر ونهى عما نهى
لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا أمة محمد رحيما حيث أمر بني اسرائيل بقتل الانفس
ونهاكم عنه (ومن يفعل ذلك) أي القتل أو اياه وسائر المحرمات المذكورة فيما قبل (عدوانا
وظلما) افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل أريد بالعدوان التعدي على الغير
وبالظلم الظلم على النفس لتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية أي متعديا وظالما
(فسوف نصليه) أي ندخله (نارا) أي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب (وكان ذلك) أي اصلاء
النار (على الله يسيرا) لتحقق الداعي وعدم الصارف قال الامام واعلم ان الممكنات بالنسبة
الى قدرة الله على السوية وحينئذ يمتنع أن يقال ان بعض الافعال أيسر عليه من بعض بل هذا
الخطاب نزل على القول المتعارف بيننا ويكون معناه المبالغة في التهديد وهو أن أحدا لا يقدر
على الهرب منه ولا على الامتناع عليه فعلى العاقل أن يجتنب عن الوقوع في المهالك ويبالغ في
حفظ الحقوق وقد جمع الله في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لانه شقيقها من حيث انه
سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها ولذلك قيل * توانكرا وقفست وبذل
ومهمانى * زكات وفطره واعتاق وهدى وقربانى * تو كى بدولت ايشان رسى كه نتوانى * جز اين
دو ركعت وان هم بصد پريشانى * فان وفقت للمال فاشكر له والا فلا تتعب نفسك ولا تقتلها كما
يفعله بعض من يفتقر بعد الغنى لغاية ألمه واضطرابه من الفقر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قتل نفسه بشئ في الدنيا عذب به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم كان فيمن قبلكم جرح
برجل أذى به فجزع منه فأخرج سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني عبدي
بنفسه فحرمت عليه الجنة كذا في تفسير البغوي وكذلك حكم من قتل نفسه لفقر أو لغير ذلك من
الاسباب واعلم ان أكل المال بالباطل مما يفسد دين الرجل ودنياه بل يضر بنفسه ويكون سببا
لهلاكه فان بعض الاعمال يظهر أثره في الدنيا (روى) أن رجلا ظالما غصب سمكة من فقير فطبخها
فلما أراد أكلها عضت يده فأشار اليه الطبيب بالقطع فلم يزل يقطع من كل مفصل حتى وصل الى
الابط فجاء الى ظل شجرة فأخذت عيناه فقيل له لا تخلص من هذا الا بارضاء صاحبها المظلوم فلما
أرضاه سكن وجعه ثم انه تاب وأقلع عما فعل فرد الله اليه يده فأوحى الله تعالى الى موسى عليه
السلام وعزتي لولا انه أرضى المظلوم لعذبته طول حياته قال العلماء حرمة مال المسلم كحرمة دمه
قال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله وقال عليه السلام لا يحل مال امرئ
مسلم الا بطيبة نفس منه فالظلم حرام شرعا وعقلا (قال الجامي) هزار گونه خصومت كنى بخلق
جهان * زبس كه در هوس سيم وآرزوى زرى * تراست دوست زر وسيم خصم صاحب آن *
كه گيرى از كفش آنرا بظلم وحيله گرى * نه مقتضاى خرد باشد ونتيجه عقل * كه دوست را بگذارى

وخصم

وخصم رابیری * فعلی السالك أن يجتنب عن الحرام ويأكل من الحلال الطيب ولبعض الكبار دقة عظيمة واهتمام تام فی هذا الباب (حكی) ان بعض الملوك أرسل الى الشيخ ركن الدين علاء الدولة غزالا وقال انها حلال فقال الشيخ كنت بمشهد طوس فجاء الى بعض الامراء بأرنب وقال كل منها فانی رميتها بيدی فقلت الارنب حرام على قول الامام جعفر الصادق رضی الله عنه قال فی حياة الحيوان يحل أكل الارنب عند العلماء كافة الا ما حكی عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابن أبی ليلى انهما كرهاها كلها ثم انه جاء يوما بغزال فقال كل منها فانی رميتها بسهم عملته بيدی على فرس ورثتها عن أبی فقلت خطر ببالی أن واحدا من الامراء جاء الى مولانا الجمالی بأوزتين وقال كل منهما فانی قد أخذتهما بباز فقال مولانا ليس الكلام فی الاوزتين وانما الكلام فی قوت البازی من دجاجة أية عجوز أكل حتى قوی للاصطياد فالغزال التی رميتها على فرسك وان كانت من الصيد لكن قوت الفرس من شعير أی مظلوم حصل فلم يأكل منها (حكی) ان خياطا قال لبعض الكبار هل أكون معينا للظلمة بخياطة ثيابهم فقال ليس الكلام فيك وانما الكلام فی الحداد الذی يعمل الابرة والحاصل انه لابد من الاهتمام فی طلب الحلال وان كان فی زماننا هذا نادرا ولوصول اليه عزيزا (قال الجامی) خواهی كه شوی حلال روزی * همخانه مكن عيال بسيار * دانی كه درين سراچه تنك * حاصل نشود حلال بسيار * رزقنا الله واياكم من فضله انه الجواد (ان تجتنبوا) الاجتناب التباعد ومنه الاجنبی (كبائر ما تنهون عنه) كبائر الذنوب التی نهاكم الله ورسوله عنها (نكفر عنكم) التكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد أو بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب أزيد أو بندم على الطاعة والمعنى نغفر لكم (سيئاتكم) صغائركم ونمحها عنكم (وندخلكم مدخلا) بضم الميم اسم مكان هو الجنة (كريما) أی حسنا مرضيا أو مصدر ميمی أی ادخالا مع كرامة قال المفسرون الصلاة الى الصلاة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنب الكبائر واختلف فی الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد أو صرح بالوعيد فيه قال أنس بن مالك رضی الله عنه انكم تعملون اليوم أعمالا هی فی أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال القشيری الكبائر على لسان أهل الاشارة الشرك الخفی ومن جملة ذلك ملاحظة الخلق واستجلاب قلوبهم والتودد اليهم والاغماض عن حق الله بعينهم واعلم ان اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر وعند انتفاء الصغائر والكبائر يمكن الدخول فی المدخل الكريم وهو حضرة أكرم الاكرمين قال عليه السلام ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وجملة الكبائر مندرجة فی ثلاثة أشياء * أحدها اتباع الهوى والهوى ميلان النفس الى ما يستلذ به من الشهوات فقد يقع الانسان به فی جملة من الكبائر مثل البدعة والضلالة والارتداد والشبهة وطلب الشهوات واللذات والتنعمات وحظوظ النفس بترك الصلاة والطاعات كلها وعقوق الوالدين وقطع الرحم وقذف المحصنات وأمثال ذلك ولهذا قال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال عليه السلام ما عبد اله أبغض على الله من الهوى * غبار هوا چشم عقلت بدوخت * سموم هوس كشت عمرت بسوخت * بكن سرمه غفلت از چشم پاك * كه فردا شوی سرمه در چشم خاك

* وثانيها حب الدنيا فانه مطية كثير من الكبائر مثل القتل والظلم والغصب والنهب والسرقة والربا وأكل مال اليتيم ومنع الزكاة وشهادة الزور وكتمانها واليمين الغموس والحيف فى الوصية وغيرها واستحلال الحرام ونقض العهد وأمثاله ولهذا قال تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة وعنه صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل وقال ان الله تعالى قال وعزتى وجلالى انه ليس من الكبائر كبيرة هى أعظم عندى من حب الدنيا * عاقلان ميل بسويت نكنند أى دنيا * هم اميد كرم ولطف تو جاهل دارد * هركه خواهد بكند از تو مرادى حاصل * حاصل آنست كه انديشهٔ باطل دارد * وثالثها رؤية الغير فان منها ينشأ الشرك والنفاق والرياء وأمثاله ولهذا قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وقال عليه السلام اليسير من الرياء شرك وقال بعض المشايخ وجودك ذنب لا يقاس به ذنب آخر فمن تخلص من ذنب وجوده فلا يرى غير الله فلا يتشئ منه الشرك ولا حب الدنيا وتخلص من الهوى فيتحقق له الوصول واللقاء قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا لعمرى ان هذا هو المدخل الكريم والفوز العظيم والنعيم المقيم فعلى العاقل أن يتخلص من الاغيار ويشاهد فى المجالى أنوار الواحد القهار * كرچه زندانست بر صاحب دلان * هر كجا بى زوصل يار نيست * هيچ زندان عاشق محتاج را * تنكتر از صحبت اغيار نيست * ولذا قيل الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وما سوى الحق أغيار قال ابراهيم عليه السلام فانهم عدو لى الا رب العالمين فلابد للسالك أن يجتهد فى سلوكه ويتخلص من رق الغير كى يصل الى المراد والعاشق الصادق لا يكون فى عبودية غير معشوقه ولا يتسلى عن الدنيا والآخرة الا بوصاله فليس له مطلب سواه * عاشق كه زهجر دوست دادى خواهد * يابر در وصلش ايستادى خواهد * تا كس ترا از وكس نبود در عالم * كر دوست بجز دوست مرادى خواهد * وهذا مقام شريف ومطلب عزيز أوصلنا الله تعالى واياكم (ولا تتمنوا) التمنى عبارة عن ارادة مايعلم أو يظن أنه لا يكون (ما فضل الله به بعضكم على بعض) أى عليكم أن لا تتمنوا ما أعطاه الله بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجرى فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق بأحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤنهم ودقائقها فعلى كل أحد من المفضل عليهم أن يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكمة المقدر فالانصباء كالاشكال وكما ان اختلاف الاشكال مقتضى حكمة الهية لم يطلع على سرها أحد فكذلك الاقسام وقيل لما جعل الله تعالى فى الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن أحوج أن يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم أقوياء وأقدر على طلب المعاش منا فنزلت وهذا هو الانسب بتعليل النهى بقوله تعالى (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) فانه صريح فى جريان التمنى بين فريقى الرجال والنساء والمعنى لكل من الفريقين فى الميراث نصيب معين المقدار مما أصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه اياه تأكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمنى المذكور

(واسالوا

(واسألوا الله من فضله) أي لاتتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسألوا الله تعالى ماتريدون من خزائن نعمه التي لانفاد لها فانه يعطيكموه (ان الله كان بكل شيء عليما) فهو يعلم مايستحقه كل انسان فيفضله عن علم وحكمة وتبيان وفي الحديث لن يزال الناس بخير ما تباينوا أي تفاوتوا فاذا تساووا هلكوا وذلك لاختلال النظام المرتبط بذلك وقد يقال معناه انه لا يغنم لتفاوت الناس في المراتب والصنائع بأن يكون مثلا بعضهم أميرا وبعضهم سلطانا وبعضهم وزيرا وبعضهم رئيسا وبعضهم أهل الصنائع لتوقف النظام عليه واعلم ان مراتب السعادات اما نفسانية كالذكاء التام والحدس الكامل والمعارف الزائدة على معارف الغير بالكمية والكيفية وكالعفة والشجاعة وغير ذلك واما بدنية كالصحة والجمال والعمر الطويل في ذلك مع اللذة والبهجة واما خارجية ككثرة الاولاد الصلحاء وكثرة العشائر وكثرة الاصدقاء والاعوان والرياسة التامة ونفاذ القول وكونه محبوبا للقلوب الناس حسن الذكر فيهم فهي مجامع السعادات والانسان اذا شاهد أنواع الفضائل حاصلة لانسان ووجد نفسه خاليا عن جملتها أو عن أكثرها فحينئذ يتألم قلبه ويتشوش خاطره ثم يعرض ههنا حالتان احداهما أن يتمنى زوال تلك السعادات عن ذلك الانسان والاخرى أن لا يتمنى ذلك بل يتمنى حصول مثلها له والاول هو الحسد المذموم لان المقصود الاول لمدبر العالم وخالقه الاحسان الى عبيده والجود اليهم وافاضة أنواع الكرم عليهم فمن تمنى زوال ذلك فكأنه اعترض على الله فيما هو المقصود بالقصد الاول من خلق العالم وايجاد المكلفين وأيضا ربما اعتقد في نفسه أنه أحق بتلك النعم من ذلك الانسان فيكون هذا اعتراضا على الله وقدحا في حكمته وكل ذلك مما يلقيه في الكفر وظلمات البدعة ويزيل عن قلبه نور الايمان وكما ان الحسد سبب الفساد في الدين فكذلك هو سبب الفساد في الدنيا فانه يقطع المودة والمحبة والموالاة وينقلب كل ذلك الى اضدادها فلهذا السبب نهى الله عباده عنه بقوله ولا تتمنوا الآية فلابد لكل عاقل من الرضا بقضاء الله تعالى (حكي) الرسول صلى الله عليه وسلم عن رب العزة انه قال من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر لنعمائي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين ومن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر لنعمائي فليطلب ربا سواي * حاشا كه من از جور وجفاي تو بنالم * بيداد لطيفان همه لطفست وكرامت * فهذا هو الكلام فيما اذا تمنى زوال تلك النعمة عن ذلك الانسان ومما يؤكد ذلك ما روى ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ولا يسوم على سوم أخيه ولا تسأل المرأة طلاق اختها لتقوم مقامها فان الله هو رازقها والمقصود من كل ذلك المبالغة في المنع من الحسد اما اذا لم يتمن ذلك بل تمنى حصول مثلها له فمن الناس من جوز ذلك الا أن المحققين قالوا هذا أيضا لا يجوز لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين ومضرة عليه في الدنيا فلهذا السبب قال المحققون انه لا يجوز للانسان أن يقول اللهم اعطني دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان بل ينبغي أن يقول اللهم اعطني ما يكون صلاحا في ديني ودنياي ومعادي ومعاشي واذا تأمل الانسان كثيرا لم يجد أحسن مما ذكره الله في القرآن تعليما لعباده وهو قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وعن الحسن لا يتمنى أحد المال فلعل هلاكه في ذلك المال كما في

حق تعلية وهذا هو المراد من قوله واسألوا الله من فضله قال الشيخ كمال الدين القاشانى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الكمالات المترتبة بحسب استعداد الاولية فان كل استعداد يقتضى بهويته فى الازل كمالا وسعادة تناسبه وتختص به وحصول ذلك الكمال الخاص لغيره محال ولذلك ذكر طلبه بلفظ التمنى الذى هو طلب ما يمتنع حصوله للطالب لامتناع سببه للرجال أى الافراد الواصلين نصيب مما اكتسبوا بنور استعدادهم الاصلى وللنساء أى الناقصين القاصرين عن الوصول نصيب مما اكتسبن بقدر استعدادهم واسألوا الله من فضله أى اطلبوا منه افاضة كمال يقتضيه استعدادكم بالتزكية والتصفية حتى لا يحول بينكم وبينه فتحتجبوا وتعذبوا بنيران الحرمان منه ان الله كان بكل شئ مما يخفى عليكم كامنا فى استعدادكم بالقوة عليما فيحبيكم بما يليق بكم كما قال تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه أى بلسان الاستعداد الذى ما دعاه أحد به الا أجاب كما قال تعالى ادعونى أستجب لكم انتهى وعلى هذا التأويل يكون قوله ولا تتمنوا نهيا ومنعا عن طلب المحال الذى فوق الاستعداد الازلى ويكون قوله واسألوا الله من فضله أمرا وحثا على طلب الممكن الذى هو قدر استعدادكم كى لا تضيع فضيلة الانسانية فان بعض المقدورات قد يكون معلقا على الكسب فينبغى أن لا يتكاسل العبد فى العبادات وكسب الفضائل لينال الكمالات الكامنة فى خزانة الاستعداد ويسأل الله تعالى دائما من فضله فانه مجيب الدعوات وولى الهداية والرشاد فمن طلب شيأ وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج (قال مولانا جلال الدين قدس سره) چون در معنى زنى بازت كنند * پر فكرت زن كه شهبازت كنند * چون طلب كردى بجد آيد نظر * جد خطا نكند چنين آمد خبر * چون زچاهى ميكنى هر روز خاك * عاقبت اندر رسى با آب پاك * گفت پيغمبر كه چون كوبى درى * عاقبت زان در برون آيد سرى * در طلب زن دائما تو هر دو دست * كه طلب در راه نيكو رهبرست (ولكل) أى لكل تركة ومال (جعلنا موالى) جمع مولى أى ورثة متفاوتة فى الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث (مما ترك الوالدان والاقربون) بيان لكل مع الفصل بالعامل وهو جعلنا الا ان لكل مفعول ثان له قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض والموالى هم أصحاب الفرائض والعصبات وغيرهما من الوراث ويجوز أن يكون المعنى ولكل قوم جعلناهم موالى أى ورثة نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والاقربون على أن جعلنا موالى صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا نصيب من رزق أى حظ منه (والذين عقدت أيمانكم) هم موالى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وعند أبى حنيفة اذا أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث أصلا فهو مؤخر عن ذوى الارحام واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد المماسكة بها عند العقد والمعنى عقدت أيمانكم عهودهم حذف العهود وأقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر أعنى قوله تعالى (فآتوهم نصيبهم) بالفاء أى حظهم من الميراث (ان الله كان على كل شئ) من الاشياء التى من جملتها الايتاء والمنع (شهيدا) أى شاهدا ففيه ترغيب

فى الاعطاء وتهديد على منع نصيبهم قال بعضهم المراد من الذين عقدت أيمانكم الحلفاء والمراد بقوله فآتوهم التصرة والنصيحة والمصافاة فى العشرة والمخالصة فى المخالطة فعلى كل أحد أن ينصر أخاه المؤمن ويخالطه على وجه الخلوص والنصيحة لا على النفاق والعداوة قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى * بنى آدم اعضاى يكديكرند * كه در آفرينش زيك جوهرند * جو عضوى بدرد آورد روزكار * دكر عضوها را نماند قرار * توكز محنت ديكران بى غمى * نشايد كه نامت نهند آدمى * فالواجب أن يحب المرء للناس ما يحب لنفسه من الخير وينصح لهم فى ظاهر الامر فان النصيحة عماد الدين ويزيل ما يوجب التأذى عن ظاهرهم وأعمالهم بالموعظة والزجر أى المنع عما لا يليق ويعاملهم بالرحمة والشفقة ولا يذكر أحدا بما يكره فان ملكا وكل بالعبد يرد عليه ما يقول لصاحبه ولا يستبشر بمكروه أحد كائنا من كان * مكن شادمانى بمرك كسى * كه دهرت نماند پس ازوى بسى * ويتودد الى الناس بالاحسان الى برهم وفاجرهم والى من هو أهل الاحسان والى من ليس بأهل له ويتحمل الاذى منهم وبه يظهر جوهر الانسان * تحمل جو زهرت نمايد نخست * ولى شهد كردد جو در طبع رست * ويجعل من شتمه أو جفاه أو آذاه ابتداء فى حل منه ولا يطمع فى السلامة من أذاهم فانه محال فان الله لم يقطع لسان الخلق عن نفسه فكيف يسلم مخلوق من مخلوق (روى) أن موسى عليه السلام قال الهى أسألك أن لا يقال لى ما ليس فى فأوحى الله اليه ما فعلت ذلك لنفسى فكيف أفعل لك ويقوم بحاجات الناس ومهماتهم ففى الحديث من سعى فى حاجة لأخيه المسلم لله وله فيه اصلاح فكأنما خدم الله ألف سنة وييسر على المعسر تيسيرا ويفرج عن المغموم فان الله تعالى فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه المسلم وفى الحديث ان من موجبات المغفرة ادخال السرور على قلب أخيك المسلم قال الشيخ نجم الدين الكبرى فى قوله تعالى والذين عقدت أيمانكم يعنى الذين جرى بينكم وبينهم عقد الاخوة فى الله بأن أخذتم بأيمانكم أيمانهم بالارادة وصدق الاتباع وتابوا على أيديكم فآتوهم بالنصح وحسن التربية والاهتمام بهم والقيام بمصالحهم على شرائط الشيخوخة والتسليك بهم نصيبهم الذى أودع الله تعالى لهم عندكم بعلمه وحكمته ان الله كان على كل شئ من الودائع أيما أودعه ولمن أودعه شهيدا يشهد عليهم يوم القيامة أن يخونوا فى اعطاء ودائعهم بالخيانة ويسألكم عنها ويشهد لكم بالامانة ويجازيكم عليها خير الجزاء انتهى فالكاملون لا يخونون فى الامانات بل يسلمون الودائع الى الارباب بحسب الاستعدادات ولا يفشون السر الى من ليس له أهلية فى هذا الباب والا يلزم الخيانة فى أسرار رب الارباب (قال مولانا جلال الدين الرومى) عارفانكه جام حق نوشيده اند * رازها دانسته و پوشيده اند * هركرا اسرار كار آموختند * مهر كردند ودهانش دوختند * برلبش قفلست ودر دل رازها * كوش آن كس كو شد اسرار جلال * كو جو سوسن صد زبان افتاد ولال * تا نكويد سر سلطانرا بكس * تا نريزد قند را پيش مكس * در خور دريا نشد جز مرغ آب * فهم كن والله أعلم بالصواب

(الرجال قوامون على النساء) قائمون بالامر بالمصالح والنهى عن القضايا قيام الولاة على الرعية مسلطون على تأديبهن وعلل ذلك بأمرين وهبى وكسبى فقال (بما فضل الله بعضهم على

بعض) الضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا أي بسبب تفضيله الرجال على النساء بالحزم والعزم والقوة والفتوة والمير والرمي والحماسة والسماحة والتشمير لخطة الخطبة وكتبة الكتابة وغيرها من الخلائل المخيلة في استدعاء الزيادة والشمائل الشاملة بجوامع السعادة (وبما أنفقوا من أموالهم) أي وبسبب انفاقهم من أموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة وهذا دل على وجوب نفقات الزوجات على الازواج (روى) ان سعد بن الربيع أحد نقباء الانصار رضي الله عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص فلا قصاص في اللطمة ونحوها والحكم في النفس ومادونها مذكور في الفروع (فالصالحات) منهن (قانتات) مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج (حافظات للغيب) أي لواجب الغيب أي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الازواج من الفروج والاموال والبيوت وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان أمرتها أطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية واضافة المال اليها للاشعار بأن ماله في حق التصرف في حكم مالها (بما حفظ الله) ما مصدرية أي بحفظه تعالى اياهن أي بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له أو موصولة أي بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن (واللاتي تخافون نشوزهن) خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث أمر مكروه أو عند الظن أو العلم بحدوثه وقد يراد به أحدهما أي تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم (فعظوهن) فانصحوهن بالترغيب والترهيب قال الامام أبو منصور العظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة وهي بتذكير العواقب (واهجروهن) بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة والهجر الترك عن قلى (في المضاجع) أي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن جمع مضجع وهو موضع وضع الجنب للنوم (واضربوهن) ان لم ينجع مافعلتم من العظة والهجران غير مبرح ولا شائن ولا كاسر ولا خادش فالامور الثلاثة مترتبة ينبغي أن يدرج فيها (فان أطعنكم) بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى مايعد زاجرا (فلا تبغوا عليهن سبيلا) بالتوبيخ والاذية أي فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (ان الله كان عليا) أي أعلى عليكم قدرة منكم عليهن (كبيرا) أي أعظم حكما عليكم منكم عليهن فاحذروا واعفوا عنهن اذا رجعن لانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن جنى عليكم اذا رجع قال في الشرعة وشرحها اذا وقف واطلع من زوجته على فجور أي فسق أو كذب أو ميل الى الباطل فانه يطلقها الا أن لا يصبر عنها فيمسكها (روى) انه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لي امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها قال احبها قال أمسكها خوفا عليه بأنه ان طلقها اتبعها وفسد هو أيضا معها فرأى مافي دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى فلا بد للرجال من تحمل المكاره الا انه لا ينبغي للمرء أن يكون ديوثا كما قال بعض العارفين * كر براز كفش دردهان نهنك * كه مردن به از زندكاني به ننك * وكان

بعض العلماء يقول التحمل على أذى واحد من المرأة احتمال فى الحقيقة من عشرين أذى منها مثلا فيه نجاة الولد من اللائمة ونجاة القدوم من الكسر ونجاة العجل من الضرب ونجاة الهرة من الزجر أى المنع من أكل فضول الخوان وسقاطه والثوب من الحرق والضيف من الرحيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وقال أيضا أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وقال أيضا لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الينا قال النبى عليه السلام مخاطبا لعائشة رضى الله عنها أيما امرأة تؤذى زوجها بلسانها الا جعل الله لسانها يوم القيامة سبعين ذراعا ثم عقد خلف عنقها يا عائشة وايما امرأة تصلى لربها وتدعو لنفسها ثم تدعو لزوجها الاضرب بصلاتها وجهها حتى تدعو لزوجها ثم تدعو لنفسها يا عائشة وأيما امرأة جزعت على ميتها فوق ثلاثة أيام أحبط الله عملها يا عائشة وأيما امرأة ناحت على ميتها الا جعل الله لسانها سبعين ذراعا وجرت الى النار مع من تبعها يا عائشة ايما امرأة اصابتها مصيبة فلطمت وجهها ومزقت ثيابها الا كانت مع امرأة لوط ونوح فى النار وكانت آيسة من كل خير وكل شفاعة شافع يوم القيامة يا عائشة وأيما امرأة زارت المقابر الا لعنها الله تعالى ولعنها كل رطب ويابس حتى ترجع فاذا رجعت الى منزلها كانت فى غضب الله ومقته الى الغد من ساعته فان ماتت من وقتها كانت من أهل النار يا عائشة اجتهدى ثم اجتهدى فانكن صواحبات يوسف وفاتنات داود ومخرجات آدم من الجنة وعاصيات نوح ولوط يا عائشة ما زال جبريل يوصينى فى أمر النساء حتى ظننت أنه سيحرم طلاقهن يا عائشة أنا خصم كل امرأة يطلقها زوجها ثم قال يا عائشة ومامن امرأة تحبل من زوجها حين تحبل الا ولها مثل أجر الصائم بالنهار والقائم بالليل الغازى فى سبيل الله يا عائشة مامن امرأة أتاها الطلق الا ولها بكل طلقة عتق نسمة وبكل رضعة عتق رقبة يا عائشة أيما امرأة خففت عن زوجها من مهرها الا كان لها من العمل حجة مبرورة وعمرة متقبلة وغفر لها ذنوبها كلها حديثها وقديمها سرها وعلانيتها عمدها وخطؤها أولها وآخرها يا عائشة المرأة اذا كان لها زوج فصبرت على أذى زوجها فهى كالمتشحطة فى دمها فى سبيل الله وكانت من القانتات المسلمات الذاكرات المؤمنات التائبات كذا فى روضة العلماء وفيه تطويل قد اختصرته وحذفت بعضه * والاشارة فى الآية ان الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء لان وجودهن تبع لوجودهم وهم الاصول وهن الفروع فكما ان الشجرة فرع الثمرة بأنها خلقت منها فكذلك النساء خلقن من ضلوعهم فكما كان قيام حواء قبل خلقها وهى ضلع بآدم عليه السلام وهو قوام عليها فكذلك الرجال على النساء بمصالح أمور دينهن ودنياهن قال تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا واختص الرجال باستعدادية الكمالية للخلافة والنبوة فكان وجودهم الاصل ووجودهن تبعا لوجودهم للتوالد والتناسل قال عليه السلام كمل من الرجال كثير وما كمل من النساء الا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وفضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ومع هذا ما بلغ كمالهن الى حد يصلحن للخلافة أو النبوة وانما كان كمالهن بالنسبة الى النسوة لا الى الرجال لانهن بالنسبة اليهم ناقصات عقل ودين حتى قال فى عائشة رضى الله عنها مع فضلها على سائر النساء خذوا ثلثى دينكم

من هذه الجهة فهذا بالنسبة الى الرجال نقصان حيث لم يقل خذوا كمال دينكم ولكن بالنسبة الى النساء كمال لانه على قاعدة قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين يكون حظ النساء من الدين الثلث فكماله كان الثلثين بمثابة الذكور بمثل حظ الانثيين قال الفقير جامع هذه المجالس النفيسة * مرد بايد تا كه اقدامى كند * در طريقت غيرت تامى كند * چون نه كامل زمردى دم مزن * چون نه دلبر مكو از حسن تن * زن كه كامل شد زمردان دست برد * مرد ناقص چون زن ناقص بمرد * (وان خفتم) أى علمتم أو ظننتم أيها الحكام (شقاق بينهما) أى خلافا بين المرأة وزوجها ولا تدرون من قبل أيهما يقع النشوز والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الآخر واما لان كلا منهما فى شق غير شق الآخر قال ابن عباس رضى الله عنه والجزم بوجود الشقاق لا ينافى بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل (فابعثوا) أى الى الزوجين لاصلاح ذات البين (حكما) رجلا عادلا صالحا للحكومة والاصلاح (من أهله) من أهل الزوج (وحكما) آخر على صفة الاول (من أهلها) أى أهل الزوجة فان الاقارب أعرف ببواطن أحوالهم وأطلب للصلاح بينهم وأنصح لهم وأسكن لنفوسهم لان نفوس الزوجين تسكن اليهما وتبرزان ما فى ضمائرهما من حب أحدهما الآخر وبغضه (ان يريدا) أى الزوج والزوجة (اصلاحا) لهما أى ما بينهما من الشقاق (يوفق الله بينهما) يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة بحسن سعى الحكمين ويلق فى نفوسهما المودة والرأفة وفيه تنبيه على ان من أصلح نيته فيما يتحراه وفقه الله لما ابتغاه (ان الله كان عليما خبيرا) بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق وفى الآية حث على اصلاح ذات البين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وقال صلى الله عليه وسلم الا انما الدين النصيحة قالها ثلاثا قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المؤمنين وعامتهم فالنصيحة لله تعالى أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيأ وتعمل بما أمر الله تعالى به وتنتهى عما نهى عنه وتدعو الناس الى ذلك وتدلهم عليه وأما النصيحة لرسوله فأن تعمل بسنته وتدعو الناس اليها وأما النصيحة لكتابه فأن تؤمن به وتتلوه وتعمل بما فيه وتدعو الناس اليه وأما النصيحة للائمة فأن لا تخرج عليهم بالسيف وتدعوهم بالعدل والانصاف وتدل الناس عليه وأما النصيحة للعامة فهو أن تحب لهم ما تحب لنفسك وأن تصلح بينهم ولا تهجرهم وتدعوهم بالصلاح ولا شك ان المصلحين هم خيار الناس بخلاف المفسدين فانهم شرار الخلق اذهم يسعون فى الارض بالفساد والتفريق وايقاظ الفتنة دون ازالتها وقد ورد الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها * ازان همنشين تا توانى كريز * كه مر فتنه خفته را كفت خيز * ومن المفسدين من يوصل كلام أحد الى أحد فيه ما يسوءه ويحزنه فالعاقل لا يصيخ الى مثل هذا القائل بدى در قفا عيب من كرد وخفت * بتر زو قرينى كه آورد وكفت * يكى تيرى افكند ودر ره فتاد * وجودم نيازرد ورنجم نداد * تو برداشتى وآمدى سوى من * همى در سپوزى به پهلوى من * والاشارة فى الآية أنه اذا وقع الخلاف بين الشيخ الواصل والمريد الكامل فابعثوا متوسطين أحدهما من المشايخ المعتبرين والثانى من معتبرى السالكين لينظروا الى مقالهما ويحققا أحوالهما ان يريدا اصلاحا بينهما بما رأيا فيه صلاحهما يوفق الله بينهما بالارادة

وحسن التربية ان الله كان فى الازل عليما بأحوالهما ضميرا بحا آلهما فقدر لكل واحد منهما باعليهما وعالهما كذا فى تأويلات الشيخ العارف نجم الدين الكبرى قدس سره وقد عرف منه أن التهاجر والمخالفة تقع بين الكاملين كما بين عوام المؤمنين ولا يمنع اختلافهم الصورى اتفاقهم المعنوى وقد اقتضت الحكمة الالهية ذلك فاثل هذا سر لا يعرفه عقول العامة (قال مولانا جلال الدين فى بيان اتحاد الاولياء والكاملين) كراز يشان بجمع يئ دويار * هم يكى باشند وهم شش صد هزار * بر مثال موجها اعدادشان * درعدد آورده باشد باد شان * مؤمنان معدود ليك ايمان يكى * جسم شان معدود ليكن جان يكى * تفرقه در روح حيوانى بود * نفس واحد روح انسانى بود * والحاصل أن أهل الحق كلهم نفس واحدة والتفرقة بحسب البشرية والتخالف بسبب لا ينافى توافقهم فى المعنى من كل وجه وجهة (واعبدوا الله) العبادة عبارة عن كل فعل وترك يؤتى به بمجرد أمر الله تعالى بذلك وهذا يدخل فيه جميع أعمال القلوب وجميع أعمال الجوارح (ولا تشركوا به شيأ) من الاشياء صنما أو غيره أو شيأ من الاشراك جليا وهو الكفر أو خفيا وهو الرياء (وبالوالدين احسانا) أى وأحسنوا اليهما احسانا فالباء بمعنى الى كما فى قوله وقد أحسن بى وبدأ بهما لان حقهما أعظم حقوق البشر فالاحسان اليهما بأن يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ولا يخشن فى الكلام معهما ويسعى فى تحصيل مطالبهما والانفاق عليهما بقدر القدرة (وبذى القربى) وبصاحب القرابة من أخ أو عم أو خال أو نحو ذلك بصلة الرحم والمرحمة ان استغنوا والوصية وحسن الانفاق ان افتقروا (واليتامى) بانفاق ما هو أصلح لهم أو بالقيام على أموالهم ان كان وصيا (والمساكين) بالمبار والصدقات واطعام الطعام أو بالرد الجميل (والجار ذى القربى) أى الذى قرب جواره أو الذى له مع الجوار اتصال بنسب أو دين قال عليه السلام والذى نفسى بيده لا يؤدى حق الجار الا من رحم الله وقليل ماهم أتدرون ما حق الجار ان افتقر أغنيته وان استقرض أقرضته وان أصابه خير هنأته وان أصابه شر عزيته وان مرض عدته وان مات شيعت جنازته (والجار الجنب) أى البعيد أو الذى لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار من أهل الكتاب (والصاحب بالجنب) أى الرفيق فى أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك فى مسجد أو مجلس أو غير ذلك من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان (وابن السبيل) هو المسافر الذى سافر عن بلده وماله والاحسان بأن تؤويه وتزوده أو هو الضيف الذى ينزل عليك وحقه ثلاثة أيام وما زاد على ذلك فهو صدقة ولا يحل له أن يقيم عنده حتى يحرجه (وما ملكت أيمانكم) من العبيد والاماء والاحسان اليهم بأن يؤدبهم ولا يكلفهم ما لا طاقة لهم ولا يكثر العمل لهم طول النهار ولا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة حسنة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه قال بعضهم كل حيوان فهو مملوك والاحسان اليه بما يليق به طاعة عظيمة (ان الله لا يحب من كان مختالا) أى متكبرا يأنف من أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت اليهم (فخورا) بما لا يليق

يتفاخر عليهم ولا يقوم بالحقوق ويقال فخورا في نعم الله لا يشكر قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وحدى لا شريك لى فمن لم يرض بقضائى ولم يشكر على نعمائى ولم يصبر على بلائى ولم يقنع بعطائى فليعبد ربا سوائى يا موسى لولا من يصلى ما أنزلت من السماء قطرة ولا أنبت فى الارض شعرة ولولا من يعبدنى مخلصا لما أمهلت من يجحدنى طرفة عين ولولا من يشكر نعمتى لحبست القطر فى الجو يا موسى لولا التائبون لخسفت بالمذنبين ولولا الصالحون لاهلكت الطالحين واعلم أن العبادة أن تعبد الله وحده بطريق أوامره ونواهيه ولا تعبد معه شيأ من الدنيا والعقبى فانك لو عبدت الله خوفا من شئ أو طمعا فى شئ فقد عبدت ذلك الشئ والعبودية طلب المولى بالمولى بترك الدنيا والعقبى والتسليم عند جريان القضاء شاكرا صابرا فى النعم والبلوى فلا بد من التوحيد الصرف وترك الشرك حتى يوصله الله الى مبتغاه (قال بعض العارفين) نقد هستى محو كن در لا اله * تا به بينى دار ملك پادشاه * غير حق هر ذره كان مقصود تست * تيغ لا بر كش كه آن معبود تست * لا كه عرش وفرش را برهم درد * از فنا سوى بقا ره ميبرد * لا ترا از نورهاى ميدهد * با خدا پيت آشنايى ميدهد * چون تو خود را از ميان برداشتى * قصر ايمان را درى افراشتى * فاذا حصل المقصود ووصل العابد الى المعبود فحينئذ يصح منه بالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين الآية لان الاحسان من صفات الله تعالى لقوله تعالى الذى أحسن كل شئ خلقه والاساءة من صفات الانسان لقوله ان النفس لامارة بالسوء فالعبد لا يصدر منه الاحسان الا ان يكون متخلقا باخلاق الله كما قال تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وفيه اشارة أخرى وهى أن شرط العبودية الاقبال على الله بالكلية والاعراض عما سواه ولا يصدر منه الاحسان الا اذا اتصف بأخلاق الله حتى يخرج من عهدة العبودية بالوصول الى حضرة الربوبية فتقتضى عنك به وتبقى به للوالدين وغيرهما محسنا الاحسانه بلا شرك ولا رياء فان الشرك والرياء من بقاء النفس ولهذا قال عقيب الآية ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا لان الاختيال والفخر من أوصاف النفس والله تعالى لا يحب النفس ولا أوصافها الا ان النفس لا تحب الله ولا المحبة من أوصافها فانها تحب الدنيا وزخارفها وما يوافق مقتضاها قال صلى الله عليه وسلم الشرك أخفى فى ابن آدم من دبيب النملة على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ومن خدم مخلوقا خوفا من مضرته أو طمعا فى منفعته فقد أشرك عملا * كه داند جود ربت دحق نيستى * اكرچه ضود زغاز ايستى * بروى در پا خرقه سهلست دوخت * كرش با خدا در توانى فروخت * اكر جز بحق ميرود جاده ات * در آتش نشانند سجاده ات * قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا يعنى الاعمال التى عملوها لغير وجه الله أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذى يرى فى شعاع الشمس وجاء رجل الى النبى عليه السلام فقال يا رسول الله انى أتصدق بالصدقة فألتمس بها وجه الله تعالى وأحب أن يقال لى خير فنزل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه يعنى من خاف المقام بين يدى الله تعالى ويريد ثوابه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا رزقنا الله واياكم الاخلاص (الذين يبخلون) بما منحوا به وهو مبتدأ خبره محذوف أى احقاء بكل ملامة (ويأمرون الناس بالبخل) به أى بما منحوا به عطف

على ما قبله (و يكتمون ما آتاهم الله من فضله) أى من المال والغنى (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله ومن كان كافرا بنعمة الله فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس) أى للفخار وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا لابتغاء وجه الله وهو عطف على الذين يبخلون ورئاء الناس مفعوله وانما شاركهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق فيما لا ينبغى من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء فى القبح واستتباع الذم واللوم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) ليحوزوا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة المنفقون أموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) أى بئس الصاحب والمقارن الشيطان وأعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم (وماذا عليهم) أى على من ذكر من الطوائف (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) ابتغاء لوجه الله لان ذكر الايمان بالله واليوم الآخر يقتضى أن يكون الانفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة أى وما الذى عليهم فى الايمان بالله تعالى والانفاق فى سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة وتنبيه على ان المدعو الى أمر لا ضرر فيه ينبغى أن يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى (وكان الله بهم) وبأحوالهم المحققة (عليما) فهو وعيد لهم بالعقاب فقد أخبر الله تعالى بدناءة همة الاشقياء وقصور نظرهم وانهم يقنعون بقليل من الدنيا الدنية ويحرمون من كثير من المقامات الاخروية السنية ولا ينفقونه فى طلب الحق ورضاه بل ينفقونه فيما لا ينبغى * هر كه مقصودش از كرم آنست * كه بر آرد بعالم آوازه * باشد از مصر فضل وجود وكرم * خانة او برون زد روازه * قال بعض الحكماء مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج الى السوق وملأ كيسه حصى فيقول الناس ما أملأ كيس هذا الرجل ولا منفعة له سوى مقالة الناس ولو أراد أن يشترى به شيأ لا يعطى له شئ كذلك الذى عمل للرياء والسمعة قال حامد اللفاف اذا أراد الله هلاك امرئ عاقبه بثلاثة أشياء أولها يرزقه العلم ويمنعه عن عمل العلماء والثانى يرزقه صحبة الصالحين ويمنعه عن معرفة حقوقهم والثالث يفتح عليه باب الطاعة ويمنعه الاخلاص وانما يكون ذلك المذكور لخبث نيته وسوء سريرته لان النية لو كانت صحيحة لرزقه الله منفعة العلم ومعرفة حقوقهم واخلاص العمل * عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد ز بى مغز پوست * چه زنار مغ در ميانت چه دلق * كه در پوشى از بهر پندار خلق * فعلى الفتى أن يتخلص من الرياء فى انفاقه وفى كل أعماله ويكون مخلصا لان مخلصا فان شكر المال انفاقه فى سبيل الله (قال الشيخ العطار قدس سره) توانكر كه ندارد پاس درويش * ز دست غير تش بر جان رسد نيش (ويناسبه ما قاله الحافظ) كنج قارون كه فرو ميرود از قهر هنوز * خوانده باشى كه هم از غيرت درويشانست * واذا كان بخيلا ومع هذا أمر الناس بالبخل يكون ذلك وزرا على وزر قال صاحب الكشاف ولقد رأينا عن بلى بداء البخل من اذا

طرق ضمه أن أحدا بادعلى أحد شخص بصره وحل حبوته واضطرب وزاغت عيناه فى رأسه كأنما ضرب برحله وكسرت خزائنه ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده انتهى وهذا مشاهد فى كل زمان لا يعطون ويمنعون من يعطى ان قدروا والحاصل أنهم يجتهدون فى منع من قصد خيرا كبناء القناطر والجسور وحفر الآبار وسائر الخيرات وذلك لكمال دناءتهم وقصور نظرهم وعدم شكرهم واللئيم لا يفعل الا ما يناسب طبعه * چون منعم كند سفله را روزكار * نهد بردل تنك درويش بار * چو بام بلندش بود خود پرست * كند بول وخاشاك بر بام پست (قال بشير ابن الحرث) النظر الى البخيل يقسى القلب فلا بد من مجانبة مجالسته وصحبته * چو نيكو باشد مجاورت لازم * همجوار كريم بايد بود * كر كنى با كسى مشاورة * آن مشاور حكيم بايد بود * فنى السخاء بركات فى الدين والدنيا والآخرة قيل ان مجوسيا تصدق بمائة دينار فرأى الشبلى ذلك فقال ما تنفعك هذه الصدقة فبكى المجوسى ونظر الى السماء فاذا رقعة وقعت عليه مكتوب فيها بخط أخضر

مكافاة السماحة دار خلد * وأمن من مخافة يوم بوس
وما نار بمحرقة جوادا * ولو كان الجواد من المجوس

يعنى ان الله تعالى يوفق السخى للايمان ان كان كافرا ولزيادة الطاعة والاخلاص فيها ان كان مؤمنا فيترقى الى الدرجات العلا ويليق بمشاهدة ربه الاعلى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) لا ينقص من الاجر ولا يزيد فى العقاب شيأ مقدار ذرة وهى النملة الصغيرة الحمراء التى لا تكاد ترى من صغرها أو الصغير جدا من أجزاء التراب أو ما يظهر من أجزاء الهباء المنبث الذى تراه فى البيت من ضوء الشمس وهو الانسب بمقام المبالغة وهذا نفى للظلم لانه اذا نفى القليل نفى الكثير لان القليل داخل فى الكثير (وان تك حسنة) أى وان يك مثقال الذرة حسنة أنث الضمير لتأنيث الخبر أو لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال (يضاعفها) أى يضاعف ثوابها لان تضاعف نفس الحسنة بأن يجعل الصلاة الواحدة صلاتين مما لا يعقل (ويؤت من لدنه) ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد فى مقابلة العمل (أجرا عظيما) عطاء جزيلا وانما سماه أجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه قال فى التيسير وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع أنه سمى الدنيا وما فيها قليلا وسمى هذا الفضل عظيما (روى) أنه يؤتى يوم القيامة بالعبد وينادى مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له أعط هؤلاء حقوقهم فيقول يا رب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله لملائكته انظروا فى أعماله الصالحة فأعطوهم منها فان بقى مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وأدخله الجنة بفضله ورحمته والظاهر أن ذلك التضعيف يكون من جنس اللذات الموعود بها فى الجنة وأما هذا الاجر العظيم الذى يؤتيه من لدنه فهو اللذة الحاصلة عند الرؤية وعند الاستغراق فى المحبة والمعرفة وانما خص هذا النوع بقوله من لدنه لان هذا النوع من الغبطة والسعادة والكمال لا ينال بالاعمال الجسدية بل انما ينال بما اودع الله فى جوهر النفس القدسية من الاشراق والصفاء والنور وبالجملة فذلك التضعيف اشارة الى السعادات الجسمانية وهذا

الاجر العظيم اشارة الى السعادات الروحانية وورد فى الخبر الصحيح أن الله تعالى يقول للملائكة
حين دخل أهل الجنة الجنة أطعموا أوليائى فيؤتى بألوان الاطعمة فيجدون لكل نعمة لذة غير
ما يجدون للاخرى فاذا فرغوا من الطعام يقول الله تعالى اسقوا عبادى فيؤتى بأشربة
فيجدون لكل شربة لذة بخلاف الاخرى فاذا فرغوا يقول الله تعالى أنا ربكم قد صدقتكم
وعدى فاسألونى أعطكم قالوا ربنا نسألك رضوانك مرتين أو ثلاثا فيقول رضيت عنكم
ولدى المزيد فاليوم أكرمكم بكرامة أعظم من ذلك كله فيكشف الحجاب فينظرون اليه ماشاء
الله فيخرون اليه سجدا فيكونون فى السجود ماشاء الله تعالى ثم يقول لهم ارفعوا رؤسكم ليس
هذا موضع عبادة فينسون كل نعمة كانوا فيها ويكون النظر اليه أحب اليهم من جميع النعم
* جان بيجمال جانان ميل جهان ندارد * وانكس كه اين ندارد حقا كه آن ندارد * فيهب ريح
من تحت العرش على تل من مسك أذفر فينشر المسك على رؤسهم ونواصى خيولهم فاذا رجعوا
الى أهليهم يرون أزواجهم فى الحسن والبهاء أفضل مما تركوهن ويقول لهم أزواجهم قد
رجعتم أحسن مما كنتم ومطمح نظر العارف الجنة المعنوية قال أبو يزيد البسطامى حلاوة
المعرفة الالهية خير من جنة الفردوس وأعلى عليين لو قصروا الى الجنات الثمان وأعطونى الدنيا
والآخرة لم يقابل أنينى وقت السحر طال أنسى بالله وقال مالك بن دينار خرج الناس من
الدنيا ولم يذوقوا أطيب الاشياء قيل وما هو قال معرفة الله تعالى (قال جلال الدين قدس سره)
أى خنك آنرا كه ذات خود شناخت * اندر امن سرمدى قصرى بساخت * پس چو آهن كرچه
تيره هيكلى * صيقلى كن صيقلى كن صيقلى * دفع كن از مغز وز بينى زكام * تاكه
ريح الله در آيد از مشام * هيچ مكذار از تب وصفرا اثر * تا بيابى در جهان طعم شكر * أوصلنا
الله واياكم الى معرفته وأدخلنا الجنة برحمته (فكيف) محلها النصب بفعل محذوف على
التشبيه بالحال أو الظرف أى فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم
(اذا جئنا) يوم القيامة (من كل أمة) من الامم (بشهيد) يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد
العقائد وقبائح الافعال وهو نبيهم (وجئنا بك) أحضرناك يا محمد (على هؤلاء) اشارة الى الشهداء
المدلول عليهم بما ذكر من قوله بشهيد (شهيدا) تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع
شرعك لمجامع قواعدهم أو اشارة الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر
والعصيان كما يشهد سائر الانبياء على أممهم (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول) بيان لحالهم
التى أشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف الخ وعصيان الرسول محمول على المعاصى
المغايرة للكفر فلا يلزم عطف الشئ على نفسه أى يتمنى الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول
والمراد الذين كفروا والذين عصوا الرسول (لو تسوى بهم الارض) لو بمعنى أن المصدرية والجملة
مفعول يود أى يودون أن يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى فتسوية الارض بهم كناية عن دفنهم
أو يودون أنهم لم يبعثوا ولم يخلقوا وكأنهم والارض سواء قال بعض الافاضل الباء للملابسة
أى تسوى الارض ملتبسة بهم ولا حاجة الى الحمل على القلب لقلة الفرق بين تسويتهم بالارض
والتراب وتسويتها بهم (ولا يكتمون الله حديثا) عطف على يود أى ولا يقدرون على كتمانه لان
جوارحهم تشهد عليهم أو الواو للحال أى يودون أن يدفنوا فى الارض وهم لا يكتمون منه تعالى

قوله نعمة لعله لقمة اه

حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى أنهم اذا قالوا ذلك ختم الله على
أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الارض قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعى نوح يوم القيام فيقول لبيك وسعديك فيقول هل بلغت فيقول نعم
فيقال لأمته هل بلغكم فتقول ما جاءنا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيشهدون
أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم يدعى غيره من الانبياء عليهم السلام ثم ينادى كل
انسان باسمه واحدا واحدا وتعرض أعمالهم على رب العزة قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها
وذكر أبو حامد فى كتاب كشف علوم الآخرة أن هذا يكون بعد ما يحكم الله تعالى بين البهائم
ويقتص للجماء من القرناء ويفصل بين الوحوش والطير ثم يقول لهم كونوا ترابا فتسوى بهم
الارض فحينئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ويتمنى الكافر فيقول
ياليتنى كنت ترابا واعلم أنه يعرض على النبى عليه السلام أعمال أمته غدوة وعشية فيعرفهم
بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم وتعرض على الله يوم الخميس ويوم الاثنين وعلى الانبياء
والآباء والامهات يوم الجمعة فتفكر يا أخى وان كنت شاهدا عدلا بأنك مشهود عليك فى كل
أحوالك من فعالك ومقالك وأعظم الشهود لديك المطلع عليك الذى لا يخفى عليه خافية عين
ولا يغيب عنه زمان ولا اين فاعمل عمل من يعلم انه راجع اليه وقادم عليه يجازى على الصغير
والكبير والقليل والكثير * در خير بازست وطاعت وليك * نه هركس تواناست بر فعل نيك
* همه برك بودن همه ساختن * بتدبير رفتن نبرداختى * فلا تضيع ايامك فان ايامك رأس
مالك وانك مادمت قابضا على رأس مالك فانك قادر على طلب الربح لان بضاعة الآخرة
كاسدة فى يومك هذا فاجتهد حتى تجمع بضاعة الآخرة فى وقت الكساد فانه سيجيء يوم تصير
هذه البضاعة عزيزة فأكثر منها فى يوم الكساد ليوم العزة فانك لا تقدر على طلبها فى ذلك اليوم
(روى) أن الموتى يتمنون أن يؤذن لهم بأن يصلوا ركعتين أو يؤذن لهم أن يقولوا مرة واحدة
لا اله الا الله أو يؤذن لهم فى تسبيحة واحدة فلا يؤذن لهم ويتعجبون من الاحياء أنهم يضيعون
ايامهم فى الغفلة * مهلكه عمر به بيهوده بكذرد حافظ * بكوش وحاصل عمر عزيز رادرياب * قال
القاشانى فى قوله تعالى فكيف اذا جئنا الشهيد والشاهد ما يحضر كل أحد مما يبلغه من الدرجة
وهو الغالب عليه فهو يكشف عن حاله وعمله وسعيه ومبلغ جهده مقاما كان أو صفة من صفات
الحق أو رأيا فلكل أمة شهيد بحسب ما دعاهم اليه نبيهم وعرفه اليهم ولم يبعث الا بحسب
ما يقتضيه استعداد أمته فدعاهم الا الى ما يطلب استعدادهم مما وصل اليه النبى من مقامه فى
المعرفة فلا يعرف أحد باطن أمرهم وما هم عليه من أحوالهم كنبيهم ولذلك جعل كل نبى شهيدا
على أمته وقد ورد فى الحديث ان الله تعالى يتجلى لعباده فى صورة معتقدهم فيعرفه كل واحد من
أهل الملل والمذاهب ثم يتحول عن تلك الصورة فيبرز فى صورة أخرى فلا يعرفه الا الموحدون
الواصلون الى حضرة الاحدية من كل باب وكان لكل أمة شهيدا فلكل أهل مذهب شهيد
ولكل أحد شهيد يكشف عن حال مشهوده وأما المحمديون فهم شهداء على الامم ونبيهم شهيد
عليهم لكونهم من الامم ولكون نبيهم حبيبا مؤتى بجوامع الكلم متمما لمكارم الاخلاق فلا جرم
يعرفون الله عند التحول فى جميع الصور اذا تابعوا نبيهم حق المتابعة ونبيهم يشهدهم ويعرف

احوالهم انتهى بعبارته جعلنا الله واياكم من الكاملين الواصلين الى حق اليقين (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) روى أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من أفاضل الصحابة رضي الله عنهم حين كانت الخمرة مباحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد الى آخرها بطرح اللاآت فنزلت فكانوا لا يشربون في أوقات الصلاة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها وتوجيه النهي الى قربان الصلاة مع أن المراد هو النهي عن اقامتها للمبالغة في ذلك قال في التيسير ثم النهي ليس عن عين الصلاة فانها عبادة فلا ينهى عنها بل هو نهي اكتساب السكر الذي يعجزه عن الصلاة على الوجه قاله الامام أبو منصور رحمه الله وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة للعبد الآبق ولا للمرأة الناشزة ليس فيه النهي عن الصلاة لكن النهي عن الاباق والنشوز وهذا لان الاباق والنشوز والسكر ليست بالتي تعمل في اسقاط الفرض فالمعنى لا تشرعوا حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولون اذ بتلك التجربة يظهر أنهم يعلمون ما يقرؤنه في الصلاة والسكر اسم لحالة تعرض بين المرء وعقله وأكثر ما يكون من الشراب وقد يكون من العشق والنوم والغضب والخوف لكنه حقيقة في الاول فيحمل عليه هنا والسكارى جمع سكران كالكسالى جمع كسلان وأجمعوا على أنه لا يجوز بيع السكران وشراؤه ويؤاخذ بالاستهلاكات والقتل والحدود وصح طلاقه وعتاقه عقوبة له عندنا خلافا للشافعي (ولا جنبا) عطف على قوله وأنتم سكارى فانه في حيز النصب كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابته الجنابة يستوي فيه المؤنث والمذكر والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر وأصل الجنابة البعد والجنب يبعد عن القراءة والصلاة ومواضعها (الا عابري سبيل) استثناء مفرغ من أعم الاحوال محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقيده بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه النهي أي لا تقربوا الصلاة جنبا في حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين فتعذرون بالسفر فتصلون بالتيمم (حتى تغتسلوا) غاية للنهي عن قربان الصلاة حالة الجنابة وفي الآية الكريمة اشارة الى أن المصلي حقه أن يحترز عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بأدنى مراتب التزكية عند امكان أعاليها (وان كنتم مرضى) جمع مريض والمرض على ثلاثة أقسام أحدها أن يكون بحيث لو استعمل الماء لمات كما في الجدري الشديد والقروح العظيمة وثانيها أن لا يموت باستعمال الماء ولكنه يجد الآلام العظيمة ويشتد مرضه أو يمتد وثالثها أن لا يخاف الموت ولا الآلام الشديدة لكنه يخاف بقاء شين أو عيب في البدن فالفقهاء جوزوا التيمم في القسمين الاولين وما جوزوه في القسم الثالث (أو على سفر) عطف على مرضى أي أو كنتم على سفر ما طال أو قصر وايراده مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته وتعليق التيمم بالمرض والسفر مع أن الحكم كذلك في كل موضع تحقق العجز فيه حتى قال أبو حنيفة يجوز التيمم للجنب في المصر اذا عدم الماء الحار لان العجز عن استعمال الماء يقع فيها غالبا (أو جاء أحد منكم من الغائط) وهو المكان المنخفض المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد أن من يريده

يذهب اليه ليوارى شخصه عن أعين الناس (أو لامستم النساء) أى جامعتموهن يعنى اذا أصابكم المرض أو السفر أو الحدث أو الجنابة (فلم تجدوا ماء) أى لم تقدروا على استعماله لعدمه أو لبعده أو لفقد آلة الوصول اليه من الدلو والرشاء أو المانع عنه من حية أو سبع أو عدو (فتيمموا صعيدا طيبا) فاقصدوا شيأ من وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا أو غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبى حنيفة رحمه الله (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) الى المرفقين لما روى انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره والباء زائدة أى فامسحوا وجوهكم وأيديكم منه أى من الصعيد (ان الله كان عفوا غفورا) تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة أن يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد من أن يكون ميسرا لا معسرا * والاشارة أن الصلاة معراج المؤمن وميقات مناجاته والمصلى هو الذى يناجى ربه يعنى يا مدعى الايمان لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى أى لا تجدوا القربة فى الصلاة وأنتم سكارى من الغفلات وتتبع الشهوات لان كل ما أوجب للقلب الذهول عن الله فهو ملحق بالسكر ومن أجله جعل السكر على أقسام فسكر من الخمر وسكر من الغفلة لاستيلاء حب الدنيا وأصعب السكر سكرك من نفسك فان من سكر من الخمر فقضاؤه الحرقة ومن سكر من نفسه فى الوقت على الحقيقة له القطيعة والفرقة * أى اسيرتك نام خويشتن * بسته خود را بدام خويشتن * ور نكنجى با خود اندر كوى او * كم شو از خود تا بيابى كوى او * تا تو نزديك خودى زين حرف دور * غائبى يابى اكر خواهى حضور * تا تو از غفلت جو باده مست شدى * لاجرم از طور وصلت پست شدى * حتى تعلموا ما تقولون ولماذا تقولون كما تقولون الله أكبر لتكبيرة الاحرام عند رفع اليدين ومعناه الله أعظم وأجل من كل شئ فان كنت تعلم عند التقول به فينبغى أن لا يكون فى تلك الحالة فى قلبك عظمة شئ آخر وامارة ذلك أن لا تجد ذكر شئ فى قلبك مع ذكره تعالى ولا محبة شئ مع محبته ولا طلب شئ مع طلبه فانه تبارك وتعالى واحد لا يقبل الشركة فى جميع صفاته والا كنت كاذبا فى قولك الله أكبر بالنسبة الى حالك وكنت كالسكران لا تجد القربة من صلاتك لان القربة مشروطة بشرط السجود كما خوطب به واسجد واقترب والسجود أن تنزل من مركب أوصاف وجودك لتحمل على رفرف جوده الى قاب قوسين أوصاف وجوده اشهود جماله وجلاله وهذا هو سر التشهد بعد السجود ثم قال ولا جنبا الا عابرى سبيل يعنى كما لا تجدون القربة وأنتم سكارى من الغفلات أيضا لا تجدونها مع جنابة استحقاق البعد وهى ملابسة الدنيا الدنية الا على طريق العبور بقدم ظاهر الشرع فى سبيل الاوامر والنواهى كعبور طريق الاعتداد بالمطعم والمشرب لسد الرمق وحفظ القوة والاكتساء لدفع الحر والبرد وستر العورة والمباشرة لحفظ النسل حتى تغتسلوا بماء القربة والانابة بصدق الطلب وحسن الارادة وخلوص النية من جنابة ملابسة الدنيا وشهواتها وان كنتم مرضى بانحراف مزاج القلب فى طلب الحق أو على سفر التردد بين طلب الدنيا وطلب العقبى والمولى أو جاء أحد منكم من الغائط من غائط تتبع الهوى أو لامستم النساء أى لابستم الاشغال الدنيوية فأجنبتم وتباعدتم عن الله بعد ما كنتم مجاورى حظائر القدس ووقعتم فى

رياض الانس فلم تجدوا ماء صدق الانابة والرجوع الى الحق بالاعراض والانقطاع عن الخلق فتيمموا صعيدا طيبا وهو تراب أقدام الرجال الطيبين من سوء الاخلاق والاعمال فامسحوا بوجوهكم تراب أقدامهم وتمسكوا بايديكم أذيال كرمهم مستسلمين بصدق الارادة لاحكامهم ان الله كان عفوا يعفو عنكم التعصب وعدم الانقطاع اليه بالكلية ولعله يعفو عنكم التلوث بالدنيا الدنية بهذه الخصلة المرضية غفورا لكم آثار الشقوة من غبار الشهوة فانهم يسعد بهم لانهم قوم لا يشقى بهم جليسهم * كابد كنج سعادت قبول أهل دلست * مبادكس كه درين نكته شك وريب كند * شبان وادئ ايمن كهى رسد بمراد * كه چندسال بجان خدمت شعيب كند

(ألم تر) الخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين والرؤية بصرية لشهرة شنائع الموصوفين حتى انتظمت فى سلك الامور المشاهدة (الى الذين أوتوا نصيبا) حظا كائنا (من الكتاب) من علم الكتاب وهو التوراة والمراد بهم أحبار اليهود أى لم تنظر اليهم فانهم أحقاء بان تشاهدهم وتتعجب من أحوالهم نزلت فى حبرين من أحبار اليهود كانا يأتيان رئيس المنافقين عبد الله بن أبى ورهطه يثبطانهم عن الاسلام (يشترون الضلالة) كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ننظر اليهم فقيل يأخذون الضلالة ويتركون ما أوتوه من الهداية (ويريدون) أى لا يكتفون بضلالة أنفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم (ان تضلوا) أنتم أيضا أيها المؤمنون (السبيل) المستقيم الموصل الى الحق وانما أرادوا ذلك ليكون الناس كلهم على دينهم فتكون لهم الرياسة على الكل وأخذ المرافق من الكل (والله اعلم) أى منكم (بأعدائكم) جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد أخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون لكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم أو هو أعلم بحالهم ومآل أمرهم (وكفى بالله) الباء مزيدة (وليا) متكفلا فى جميع أموركم ومصالحكم أو محبا لكم (وكفى بالله نصيرا) فى كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره أو لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فانه تعالى معين يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والاشارة ان من رزق شيأ من علم الكتاب ظاهرا ولم يرزق أسراره وحقائقه وهم علماء السوء المداهنون فى دين الله حرصا على الدنيا وطمعا فى المال والجاه وحب الرياسة والقبول يشترون الضلالة وهى المداهنة واتباع الهوى فيبيعون الدين بالدنيا ويريدون أن تضلوا السبيل يا معشر العلماء الاتقياء وورثة الانبياء وطلاب الحق من بين الخلق عن سبيل الحق بما يحسدونكم وينكرون عليكم ويلومونكم ويؤذونكم بطريق النصح واظهار المحبة والله أعلم بأعدائكم فلا تقبلوا نصيحتهم فيما يقطعون عليكم طريق الحق ويردونكم عنه ويصدونكم عن الله بالتحريض على طلب غير الله ورعاية حق غير الله وأطيعوا أمر الله تعالى فيما أمركم به واعلم انك لا ترى حالا أسوأ ولا أقبح ممن جمع بين هذين الامرين أعنى الضلال والاضلال وأكثر ما يكونان فى العلماء يطمعون فيما فى أيدى الخلق فيداهنون فيضلون فسبب زوال المداهنة قطع الطمع (روى) عن بعض المشايخ انه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب فى جواره كل يوم شيأ من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكرا فدخل وأخرج السنور أولا ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا أعطيك بعد اليوم لسنورك شيأ فقال ما احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك فهو

كما قال فمن طمع في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة لم يتيسر له الحسبة فعلى العاقل أن يزكي
نفسه عن الأخلاق الرديئة ويطهرها من الخصال الذميمة * چون طهارت نبود كعبه و بتخانه
يكيست * نبود خير در آن خانه كه عصمت نبود (من الذين هادوا) خبر مبتدأ محذوف أي من
الذين هادوا قوم (يحرفون الكلم عن مواضعه) الكلم اسم جنس ولذا ذكر الضمير في مواضع
وجمع المواضع لتكثره في التوراة في مواضع بحسب الجنس أي يزيلونه لأنهم لما غيروه ووضعوا
مكانه غيره فقد أزالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وأمالوه عنها والتحريف نوعان أحدهما
صرف الكلام إلى غير المراد بضرب من التأويل الباطل كما يفعل أهل البدعة في زماننا هذا
بالآيات المخالفة لمذاهبهم والثاني تبديل الكلمة بأخرى وكانوا يفعلون ذلك نحو تحريفهم في
نعت النبي صلى الله عليه وسلم أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو
تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله (ويقولون) في كل أمر مخالف لأهوائهم الفاسدة سواء كان
بحضرة النبي عليه السلام أم لا بلسان المقال والحال (سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك عنادا
وتحقيقا للمخالفة (واسمع) أي قولنا (غير مسمع) حال من المخاطب وهو كلام ذو وجهين
أحدهما المدح بأن يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها والثاني الذم بأن يحمل على معنى
اسمع حال كونك غير مسمع كلاما أصلا بصمم أو موت أي مدعوا عليك بلا سمعت لأنه لو أجيبت
دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع فكأنهم قالوا ذلك تمنيا لإجابة دعوتهم عليه كانوا
يخاطبون به النبي عليه السلام مظهرين له إرادة المعنى الأول وهم مضمرون في أنفسهم المعنى
الأخير مطمئنون به (وراعنا) كلمة ذات جهتين أيضا محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا
وانتظرنا واصرف سمعك إلى كلامنا وللشر بحملها على السب بالرعونة أي الحمق
أو بإجرائها مجرى شبهها من كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا كانوا
يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم ينوون الشتيمة والإهانة ويظهرون التوقير والاحترام فإن
قلت كيف جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع
الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء حشمة منه عليه
السلام وخوفا من بطش المؤمنين (ليا بألسنتهم) انتصابه على العلية أي يقولون ذلك للفتل بها
واصرف الكلام عن نهجه إلى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا أسمعت مكروها
وأجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا أو فتلا بها وضما لما يظهرون من الدعاء والتوقير إلى
ما يضمرون من السب والتحقير (وطعنا في الدين) أي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية (ولو أنهم)
عندما سمعوا شيئا من أوامر الله ونواهيه (قالوا) بلسان المقال أو بلسان الحال مكان قولهم
سمعنا وعصينا (سمعنا وأطعنا) وبدل قولهم واسمع غير مسمع (واسمع) ولا يلحقون به غير مسمع
وبدل قولهم راعنا (وانظرنا) ولم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا أي لو ثبت أنهم قالوا هذا
مكان ما قالوا من الأقوال (لكان) قولهم ذلك (خيرا لهم) مما قالوا (وأقوم) أي أعدل وأسد
في نفسه وأصوب من القيم أي المستقيم قالوا لما لم يكن في الذي اختاروه خير أصلا فلم جعل هذا
خيرا من ذلك وجوابه أنه كذلك على زعمهم فخوطبوا على ذلك وهو كقوله الله خير أما يشركون
(ولكن لعنهم الله بكفرهم) أي ولكن قالوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله وأبعدهم عن

الهدى بسبب كفرهم ذلك (فلا يؤمنون) بعد ذلك (الا قليلا) استثناء من ضمير المفعول فى لعنهم أى ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما أو هو استثناء من ضمير لا يؤمنون أى لا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بموسى وكفرهم بمحمد عليهما السلام والاشارة ان العلماء السوء من هذه الامة يحرفون الكلم عن مواضعه بالفعال لا بالمقال كما كان أهل الكتاب يحرفونه بالمقال ويقولون سمعنا بالمقال فيما أمر الله به من ترك الدنيا وزينتها واتباع الهوى ومن ايثار الآخرة على الاولى والانقطاع عن الخلق فى طلب المولى وعصينا بالفعال اذ لا يشمون روائح هذه المعاملات ولا يدورون حول هذه المقامات وينكرون على أهل هذه الكرامات ويستهزؤن بأنواع المقالات فلا يؤمنون بالقلوب السليمة الا قليلا منهم بأن يكفروا بهوى نفوسهم ويؤمنوا بالايمان الحقيقى الذى هو من نتائج الارادة والصدق فى طلب الحق والاخلاص فى العمل لله وترك الدنيا وزخارفها بل بذل الوجود فى طلب المعبود (قال العطار) مشو مغرور اين نطق مزور * بشادانى مكن خودرا تو مسرور * اكر علم همه عالم بخوانى * چو بى عشقى از و حرفى ندانى * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لا يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة أى ريحها قال الشيخ الشاذلى العلم النافع هو الذى يستعان به على طاعة الله ويلزمك المخافة من الله والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه العلوم كالدنانير والدراهم ان شاء نفعك بها وان شاء أضرك معها والعلم ان قارنته الخشية فلك أجره وثوابه وحصول النفع به والا فعليك وزره وعقابه وقيام الحجة به وعلامة خشية الله ترك الدنيا والخلق ومحاربة النفس والشيطان (قال الشيخ السعدى قدس سره) دعوى كنى كه برترم از ديكران بعلم * چون كبر كردى از همه دونان فروترى * شاخ درخت علم ندانم بجز عمل * تا علم با عمل نكنى شاخ بى برى * علم آدميتست وجوانمردى وادب * ورنه بدى بصورت انسان برابرى * ترك هواست كشتى درياى معرفت * عارف بذات شو نه بدين قلندرى * هر علم را كه كار نه بندى چه فائده * چشم از براى آن بود آخر كه بنكرى (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) أى التوراة (آمنوا بما نزلنا) من القرآن حال كونه (مصدقا لما معكم) من التوراة ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها أو كونه موافقا لها فى القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش وأما ما يتراءى من مخالفته لها فى جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم بالاعصار فليست بمخالفة فى الحقيقة بل هى عين الموافقة من حيث ان كلا منهما حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التى عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى (من قبل أن نطمس وجوها) الطمس محو الآثار وازالة الاعلام أى آمنوا من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها من عين وحاجب وأنف وفم (فنردها على أدبارها) فنجعلها على هيئة أدبارها وهى الاقفاء مطموسة مثلها وهذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنه نجعلها كخف البعير وحافر الدابة فتكون الفاء للتسبيب أى بأن نردها على

أدبارها أو ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها على انهم
توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر طمسها ثم ردها على أدبارها (أو نلعنهم) أو نخزي
أصحاب الوجوه بالمسخ (كما لعنا أصحاب السبت) مسخناهم قردة وخنازير ووقوع الوعيد
مشروط بالايمان ومعلق به وجودا وعدما بمعنى ان وجد منهم الايمان لم يقع والا وقع وقد وجد
الايمان منهم حيث آمن ناس منهم فلم يقع الوعيد (وكان أمر الله) أى عذابه (مفعولا) كائنا
لامحالة وهذا وعيد شديد لهم يعني أنتم تعلمون انه كان تهديد الله في الامم السالفة واقعا لامحالة
فكونوا على حذر من هذا الوعيد وارجعوا عن الكفر الى الايمان والاقرار بالتوبة والاستغفار
* اعلم أن المسخ قد وقع في هذه الامة أيضا ومنه ماروى عن أبي علقمة انه قال كنت في قافلة
عظيمة فأمرنا رجلا نرتحل بأمره وننزل بأمره فنزلنا منزلا وهو يشتم أبا بكر وعمر فقلنا له في ذلك فلم
يجب البتة فلما أصبحنا وأوقرنا وأصلحنا الراحلة لم يتاد مناديه فجئناه ننظر ماحاله ومايصنع
فاذا هو متربع وقد غطى رجليه بكساء له فكشفنا عنهما فاذا هو قد صار رجلاه كرجلي الخنازير
فهيأنا راحلته وحملناه اليها فوثب من راحلته وقام برجليه وصاح ثلاث مرات صيحة الخنازير
واختلط بالخنازير وصار خنزيرا حتى لايعرفه منا أحد كذا في روضة العلماء (وروى) أن
واحدا من رواة الاحاديث تحول رأسه رأس حمار لانكار وقوع مضمون حديث صحيح ورد في
حق المقتدي بالامام الرافع رأسه قبله أو واضعه وحاصل الحديث أن من رفع رأسه قبل الامام
أو وضعه كيف لايخاف من أن يصير رأسه رأس حمار فوقع فيما وقع وهذا هو مسخ الصورة
ومسخ المعنى أشد وأصعب منه فان أعمى الصورة مثلا يمكن أن يكون في الآخرة بصيرا ولكن
من كان في هذه أعمى يعني بالقلب فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا وفضوح الدنيا أهون
من فضوح الآخرة فعلى السالك أن يجتهد حتى لايرد وجهه الناطق الى الله تعالى على الدنيا
واتباع الهوى ولايمسخ صفاته الانسانية بالسبعية والشيطانية (قال الشيخ السعدي) باتو ترسم
نشود شاهد روحانى دوست * كالتماس تو بجز عالم جسمانى نيست * سعى كن تا زمقام حيوان
دركذرى * كاهنست آينه مادام كه نورانى نيست * خفته كاراچه خبر زمزمه مرغ سحر
* حيوانرا خبر از عالم انسانى نيست * قال الامام في تفسير الآية وتحقيق القول فيها ان
الانسان في مبدأ خلقته ألف هذا العالم المحسوس ثم انه عند الفكر والعبودية كأنه يسافر من
عالم المحسوسات الى عالم المعقولات فقدامه عالم المعقولات ووراءه عالم المحسوسات فالمخذول هو
الذي يرد من قدامه الى خلفه كما قال تعالى في وصفهم ناكسو رؤسهم انتهى فنعوذ بالله من
الحور بعد الكور ومن الشر بعد الخير * عن عبد الله بن أحمد المؤذن قال كنت أطوف حول
البيت واذا أنا برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول اللهم أخرجني من الدنيا مسلما لايزيد
على ذلك شيأ فقلت له لم لاتزيد على هذا الدعاء فقال لو علمت قصتي كنت تعذرني فقلت وما قصتك
قال كان لي أخوان وكان الاكبر منهما مؤذنا أذن أربعين سنة احتسابا فلما حضره الموت دعا
بالمصحف فظننا أن يتبرك به فأخذه بيده وأشهد على نفسه من حضر أنه بريء مما فيه ثم تحول الى
دين النصرانية فمات نصرانيا فلما دفن أذن الآخر ثلاثين سنة فلما حضره الموت فعل كما فعل
الآخر فمات على النصرانية واني أخاف على نفسي أن أصير مثلهما فأدعو الله تعالى أن يحفظ

على دينى فقلت ما كان دينهما فقال كانا يتبعان عورات النساء وينظران الى المردان فهذا
من آثار الردوا للعن والمسخ فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لتزكية النفس واصلاحها ويختم عاقبتنا
بالخير * خدايا بحق بنى فاطمه * كه برقول ايمان كنم خاتمه (ان الله لا يغفر أن يشرك به) أى
لا يغفر الكفر ممن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر
وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدى الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصى انما يسترها نور
الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شئ من الكفر والمعاصى (ويغفر ما دون ذلك) أى ويغفر
ما دون الشرك فى القبح من المعاصى صغيرة كانت أو كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة
عنها لكن لا لكل أحد بل (لمن يشاء) أن يغفر له ممن اتصف به فقط أى لا يعاقبه قال شيخنا
السيد الثانى سمى جامع القرآن وهم المؤمنون الذين اتقوا من الاشراك بالله تعالى فيغفر لهم
ما دون الاشراك من الصغائر والكبائر لعدم اشراكهم به ولا يغفر للمشركين ما دون الاشراك
أيضا لاشراكهم به فكما أن اشراكهم لا يغفر فكذلك ما دون اشراكهم لا يغفر بخلاف
المؤمنين فانه تعالى كما وقاهم من عذاب الاشراك بحفظهم عنه كذلك وقاهم من عذاب ما دونه
بمغفرته لهم (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) أى من افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر
قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا وهذه الآية من أجل الآيات
التى كانت خيرا لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وما غربت وأعظمها الاثم اذ تؤذن بأن ما دون
الشرك من الذنب مغفور بحسب المشيئة والوعد المعلق بالمشيئة من الكريم محقق الانجاز
خصوصا لعباده الموحدين المخلصين من المجتهدين كما قال لهم ان الله يغفر الذنوب جميعا (روى)
أن وحشيا قاتل حمزة عم النبى عليه السلام كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد
أن أسلم ولكن يمنعنى من الاسلام آية فى القرآن نزلت عليك وهو قوله تعالى والذين لا يدعون
مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون وانى قد فعلت هذه الاشياء
الثلاثة فهل لى من توبة فنزلت هذه الآية الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله
سيآتهم حسنات فكتب بذلك الى وحشى فكتب ان فى الآية شرطا وهو العمل الصالح فلا
أدرى أنا أقدر على العمل الصالح أم لا فنزل قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فكتب بذلك الى وحشى فكتب ان فى الآية شرطا فلا أدرى أيشاء أن يغفر لى
أم لا فنزل قوله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا فكتب الى وحشى فلم يجد الشرط فقدم المدينة وأسلم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مات ولم يشرك بالله شيأ دخل الجنة ورأى أبو العباس شريحا فى مرض موته كأن
القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه وتعالى يقول أين العلماء فجاؤا فقال ماذا عملتم فيما علمتم
فقلنا يا رب قصرنا وأسأنا فأعاد السؤال فكأنه لم يرض به وأراد جوابا آخر فقلت أما أنا فليس
فى صحيفتى شرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه فقال الله تعالى اذهبوا فقد غفرت لكم ومات شريح
بعده بثلاث ليال وهذا من حسن الظن بالله تعالى * كنونت كه چشمست اشكى ببار * زبان
در دهانست عذرى بيار * كنون بايدت عذر تقصير گفت * نه چون نفس ناطق ز گفتن بخفت
* غنيمت شمار اين گرامى نفس * كه بى مرغ قيمت ندارد قفس * واعلم أن للشرك مراتب وللمغفرة

مراتب فمراتب الشرك ثلاث الجلى والخفى والاخفى وكذلك مراتب المغفرة فالشرك الجلى بالاعيان وهو للعوام وذلك بأن يعبد شئ من دون الله تعالى كالاصنام والكواكب وغيرها فلا يغفر الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية فى اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية والشرك الخفى بالاوصاف وهو للخواص وذلك شوب العبودية بالالتفات الى غير الربوبية فى العبادة كالدنيا والهوى وماسوى المولى فلا يغفر الا بالوحدانية وهى افراد الواحد للواحد بالواحد والشرك الاخفى وهو للاخص وذلك رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهى فناء الناسوتية فى بقاء اللاهوتية ليبقى بالهوية دون الانانية فان الله لا يغفر بمراتب المغفرة أن يشرك به بمراتب الشرك ويغفر مادون ذلك لمن يشاء أى لمن يشاء المغفرة فيستغفر الله تعالى من مراتب الشرك فيغفر له بمراتب المغفرة ومن يشرك بالله بمراتب الشرك فقد افترى اثما عظيما أى جعل بينه وبين الله حجابا من اثبات وجود الاشياء وأنانيته وهى أعظم الحجب كما قيل * وجودك ذنب لا يقاس به ذنب * نيستى جو لانكه اهل دلاست * شاهراه عشقان كاملست * جون وجودت محو كردى از ميان * نور وحدت جشم دل را شد عيان * شرك رهزن باشد اى دل در طريق * ذكر توفيق خدا را كن رفيق (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) خطاب للنبى عليه السلام على وجه التعجيب أى ألم تنظر الى اليهود الذين يطهرون نفوسهم من الذنوب وأدناسهم ولم يزكوها حقيقة بقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وبقولهم نحن كالاولاد الصغار فهل عليهم ذنب أى انظر اليهم وتعجب من حالهم وادعائهم انهم أزكياء عند الله مع ماهم عليه من الكفر والاثم العظيم واللفظ عام يشمل كل من زكى نفسه ووصفها بزيادة التقوى والطاعة والزلفى عند الله ففيه تحذير من اعجاب المرء بعمله (بل الله) يعنى هم لا يزكونها فى الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله (يزكى من يشاء) تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين فانه العالم بما ينطوى عليه الانسان من حسن وقبح وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح (ولا يظلمون) أى يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون فى ذلك العقاب (فتيلا) أى أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذى فى شق النواة يضرب به المثل فى القلة والحقارة والظلم فى حق المعاقب الزيادة على حقه وفى حق المثاب النقصان منه (انظر كيف) أى فى أى حال أو على أى حال (يفترون على الله الكذب) فى زعمهم أنهم أبناء الله وأزكياء عنده والتصريح بالكذب مع أن الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة فى تقبيح حالهم (وكفى به) أى بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية أنفسهم وسائر آثامهم العظام (اثما مبينا) ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى بذلك وحده فى كونهم أشد اثما من كل كفار أثيم ولو لم يكن لهم من الذنوب الا هذا الافتراء لكان اثما عظيما ونصب اثما مبينا على التمييز قال الامام أبو منصور رحمه الله قول الرجل أنا مؤمن ليس بتزكية النفس بل اخبار عن شئ أكرم به وانما التزكية أن يرى نفسه تقيا صالحا ويمدح به قال السرى قدس سره من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله تعالى فيجب على العبد المؤمن أن يمتنع عن مدح نفسه ألا يرى الى قوله عليه السلام أنا سيد ولد آدم كيف عقبه بقوله ولا فخر أى لست أقول هذا افتخارا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم لان افتخاره عليه السلام كان بالله وتقربه من الله لا بكونه متقدما على أولاد آدم

كما أن المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يكون بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه * اكر مردى از مردى خود مكوى * نه هر شهسوارى بدر برد كوى * كنهكار انديشنا ك از خدا * بسى بهتر از عابد خود نما * اكر مشك خالص ندارى مكوى * وكر هست خود فاش كرد ديبوى (ونعم ما قيل) چو زنهالى درميان جوزها * مى نمايد خويشتن را از صدا * والاشارة فى الآيتين ان الذين يزكون أنفسهم من أهل العلوم الظاهرة بالعلم ويباهون به العلماء ويمارون به السفهاء لا تتزكى أنفسهم بمجرد تعلم العلم بل تزيد صفاتهم المذمومة مثل المباهاة والمماراة والمجادلة والمفاخرة والكبر والعجب والحسد والرياء وحب الجاه والرياسة وطلب الاستيلاء والغلبة على الاقران والامثال بل الله يزكى من يشاء التزكية ويهيأ لها بتسليم النفس الى أرباب التزكية وهم العلماء الراسخون والمشايخ المحققون كما يسلم الجلد الى الدباغ ليجعله أديما فمن يسلم نفسه للتزكية الى المزكى ويصبر على تصرفاته كالميت فى يد الغسال ويصغ الى اشاراته ولا يعترض على معاملاته ويقاسى شدائد أعمال التزكية فقد أفلح عما تزكى والمزكى هو النبى عليه السلام فى أيام حياته كما قال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم الآية وبعده هم العلماء الذين أخذوا التزكية عمن أخذوا منه قرنا بعد قرن من الصحابة والذين اتبعوهم باحسان الى يومنا هذا ولعمرى انهم فى هذا الزمان أعز من الكبريت الاحمر (قال الشيخ الحسينى) در طريقت رهبرد انا كزين * تا نكردى دور ست ورهزن در كمين * رهبرى بايد عقل سر بلند * از شريعت وز طريقت بهره مند * اصل وفرع وجزء وكل آموخته * شمع از نور علم افروخته * ظاهرش از علم كسبى باخدا * باطنش ميراث دار مصطفا * هركه از دست عنايت بر كرفت * روز اول دامن رهبر كرفت * هركه در زندان خود واپس فتاد * بندا ورا سالها نتوان كشاد * اى سليم القلب دشوارست كار * تا نپندارى كه پندارست كار * فعلى السالك أن يتمسك بذيل المرشد ويتشبث به الى الوقوف على علم التوحيد ثم الفناء عن نفسه لان مجرد العرفان غير نافع مالم يحصل التحقق بحقيقة الحال ولذا قال عليه السلام شر الناس من قامت عليه القيامة وهو حى أى وقف على علم التوحيد ونفسه لم تمت بالفناء حتى يحيا بالله فانه حينئذ زنديق قائل بالاباحة فى الانبياء عصمنا الله واياكم من المعاصى والفحشاء (ألم تر الى الذين) الى اليهود الذين (أوتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة أى انظر يا محمد وتعجب من حالهم فكأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل (يؤمنون بالجبت) فى الاصل اسم صنم فاستعمل فى كل ما عبد من دون الله (والطاغوت) الشيطان ويطلق لكل باطل من معبود أو غيره (روى) أن حيى بن أخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة فى سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال أبو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى طريقا نحن أم محمد فقال ماذا يقول محمد قال يأمر بعبادة الله تعالى وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العانى وذكروا أفعالهم

قال أنتم أهدى سبيلا وذلك قوله تعالى (ويقولون للذين كفروا) أى لاجلهم وفى حقهم (هؤلاء)
اشارة الى الذين كفروا (أهدى من الذين آمنوا سبيلا) أى أقوم دينا وأرشد طريقة (أولئك)
اشارة الى القائلين (الذين لعنهم الله) أى أبعدهم عن رحمته وطردهم (ومن يلعن الله) أى يبعده
عن رحمته تعالى (فلن تجد له نصيرا) يدفع عنه العذاب دنيويا كان أو أخرويا بالاشفاعة ولا بغيرها
وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش (أم لهم نصيب من الملك) أم منقطعة ومعنى
الهمزة انكار أن يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من أن ملك الدنيا سيصير اليهم
(فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) أى لو كان لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون أحدا مقدار نقير
وهو النقرة فى ظهر النواة يضرب به المثل فى القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كل
حالهم فانهم اذا بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا أذلاء متفاقرين (أم يحسدون)
منقطعة أيضا (الناس) بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه (على ما آتاهم الله من
فضله) يعنى النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوما فيوما (فقد آتينا) يعنى أن حسدهم
المذكور فى غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا (آل ابراهيم) الذين هم أسلاف محمد
صلى الله عليه وسلم وأبناء أعمامه (الكتاب) المنزل من السماء (والحكمة) أى النبوة والعلم
(وآتيناهم) مع ذلك (ملكا عظيما) لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته صلى الله عليه وسلم
ويحسدونه على ايتائها قال ابن عباس رضى الله عنهما الملك فى آل ابراهيم ملك يوسف وداود
وسليمان عليهم السلام (فمنهم) من اليهود (من آمن به) بمحمد عليه السلام (ومنهم من صد عنه)
أى أعرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) نارا مسعورة أى موقدة يعذبون بها أى ان لم
يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعد لهم من سعير جهنم واعلم أن الله تعالى وصف اليهود فى الآية
المتقدمة بالجهل الشديد وهو اعتقادهم أن عبادة الاوثان أفضل من عبادة الله تعالى ثم وصفهم
بالبخل والحسد فالبخل هو أن لا يدفع الى أحد شيأ مما آتاه الله من النعمة والحسد هو أن يتمنى أن
لا يعطى الله غيره شيأ من النعم فالبخل والحسد يشتركان فى أن يريد منع النعمة عن الغير فاما البخيل
فيمنع نعمة نفسه عن غيره وأما الحاسد فيريد أن يمنع نعمة الله عن عباده فهما اشر الرذائل وسببهما
الجهل أما البخل فلان بذل المال سبب لطهارة النفس ولحصول سعادة الآخرة وحبس المال
سبب لحصول مال الدنيا فى يده فالبخل يدعوك الى الدنيا ويمنعك عن الآخرة والجود يدعوك الى
الآخرة ويمنعك عن الدنيا ولا شك أن ترجيح الدنيا على الآخرة لا يكون الا من محض الجهل
وأما الحسد فلان الالهية عبارة عن ايصال النعم والاحسان الى العبيد فمن كره ذلك فكأنه
أراد عزل الاله عن الالهية وذلك محض الجهل ثم ان الحسد لا يحصل الا عند الفضيلة فكلما
كانت فضيلة الانسان أتم وأكمل كان حسد الحاسدين عليه أعظم (قال السعدى) شور بختان
با آرزو خواهند * مقبلانرا زوال نعمت وجاه * كر نبيند بروز شبپره چشم * چشمهٔ آفتابرا
چه كناه * راست خواهى هزار چشم چنان * كور بهتر كه آفتاب سياه * ولا يسود الحسود
والبخيل فى جميع الزمان ألا ترى ان الله تعالى جعل بخل اليهود كالمانع من حصول الملك لهم
فهما لا يجتمعان وذلك لان الانقياد للغير أمر مكروه لذاته والانسان لا يتحمل المكروه الا اذا
وجد فى مقابلته أمرا مطلوبا مرغوبا فيه وجهات الحاجات محيطة بالناس فاذا صدر من انسان

احسان الى غيره صارت رغبة المحسن اليه فى ذلك المال سببا لصيرورته منقادا لمطيع ماله ولهذا قيل بالبر يستعبد الحر فأما اذا لم يوجد هذا بقيت النفرة الطبيعية عن الانقياد للغير خالصة من المعارض فلا يحصل الانقياد البتة (قال السعدى) خورش ده بگنجشك وكبك وحمام * كه يك روزت افتد هماى بدام * زواز بهر خوردن بود اى پسر * نه بهر نهادن چه سنگ وچه زر * وقد شبه بعض الحكماء ابن آدم فى حرصه على الجمع وخاتمة عاقبته بدود القز الذى يكاد ينسج على نفسه بجهله حتى لا يكون له مخلص فيقتل نفسه ويصير القز لغيره فاللائق بشأن المؤمن القناعة بما رزقه الودود وترك الحرص والبذل من الموجود وقيل لما عرج النبى عليه السلام اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام ما بال هذا الرجل فى هذه الحظيرة لا تمسه النار فقال جبريل عليه السلام هذا حاتم طى صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده فالجود صارف عن المرء عذاب الدنيا والعقبى وباعث لوصول الملك فى الاولى والاخرى ثم ان الملك على ثلاثة أقسام ملك على الظواهر فقط وهذا هو ملك الملوك وملك على البواطن فقط فهذا هو ملك العلماء وملك على الظواهر والبواطن معا وهذا هو ملك الانبياء عليهم السلام فاذا كان الجود من لوازم الملك وجب فى الانبياء أن يكونوا فى غاية الجود والكرم والرحمة والشفقة ليصير كل واحد من هذه الاخلاق سببا لانقياد الخلق لهم وامتثالهم لاوامرهم وكمال هذه الصفات كان حاصلا لمحمد عليه السلام (ان الذين كفروا بآياتنا) القرآن وسائر المعجزات (سوف) كلمة تذكر للتهديد والوعيد يقال سوف أفعل وتذكر للوعد أيضا فتفيد التأكيد (نصليهم نارا) ندخلهم نارا عظيمة هائلة (كلما نضجت جلودهم) أى احترقت (بدلناهم جلودا غيرها) غير يذكر ويراد به الضد تقول الليل غير النهار ويراد به ايضا يقال للمثل المتبدل تقول للماء الحار اذا برد هذا غيره وهو المراد هنا أى أعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة والحاصل انه يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى كقولك صغت من خاتمى خاتما غيره فالخاتم الثانى هو الاول وانما الصياغة اختلفت فان قلت الجلود العاصية اذا احترقت فلو خلق الله تعالى مكانها جلودا أخرى وعذبها كان ذلك تعذيبا لمن لم يعص وهو غير جائز قلت العذاب للجلدة الحساسة وهى التى عصت لا للجلد مطلقا والذات واحدة فالعذاب لم يصل الا الى العاصى (ليذوقوا العذاب) أى ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أى أدامك على عزك وزادك فيه قال الحسن تأكلهم النار فى كل يوم سبعين مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا (وروى) مرفوعا أن جلد الكافر أربعون ذراعا وضرسه مثل أحد وتشفته العليا تضرب سرته وبين لحمه وجلده ديدان كحمر الوحش تركض بين جلده ولحمه وحيات كأعناق البخت وعقارب كالبغال وهذا ليس بزيادة تخلق وتعذب من غير معصية لكن اذا زيد ذلك فى صورته كان ذلك ثقله على العبد ويكون نفس الثقل عقوبة عليه كسائر عقوبات جهنم من السلاسل والاغلال والعقارب والحيات فان قلت انما يقال فلان ذاق العذاب اذا أدرك شيأ قليلا منه والله تعالى قد وصف أنهم كانوا فى أشد العذاب فكيف يحسن أن يذكر بعد ذلك أنهم ذاقوا العذاب قلت المقصود من ذكر الذوق الاخبار بأن احساسهم بالعذاب فى كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه

لا يدخله نقصان ولا زوال بسبب ذلك الاحتراق ودوام الملابسة واعل السر فى تبديل الجلود مع قدرته تعالى على بقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق أو مع ابقاء أبدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق أن النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق (ان الله كان عزيزا) لا يمتنع عليه شئ مما يريده بالمجرمين (حكيما) يعاقب من يعاقب على حكمته اعلم أن هذا العذاب والتبديل الذى فى الآخرة كان حاصلا له فى الدنيا ولكن لم يكن يذوقه كالنائم يجرح نفسه بحديدة فى يده فتكون الجراحة حاصلة له فى الدنيا ولكن لم يذق ألمها حتى ينتبه فالناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعلى العبد أن يعمل على وفق الشرع وخلاف النفس والهوى حتى يجعل الله تعالى باكسير الشرع نحاس الصفات الظلمانية النفسانية فضة الصفات النورانية الروحانية فاذا تخلص فى الدنيا من شوب المعصية باصلاح النفس والجريان على وفق الشرع لم يحتج فى الآخرة الى التهذيب والتنقيح بالنار (روى) ان أصحاب الكبائر من موحدى الامم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير تائبين ولا نادمين منهم من دخل النار فى الباب الاول فى جهنم حتى لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم ولا يقرنون مع الشياطين ولا يغلون بالسلاسل ولا يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران فى النار حرم الله تعالى أجسادهم ووجوههم على النار من أجل السجود فمنهم من تأخذه النار الى قدميه ومنهم من تأخذه الى ركبتيه ومنهم من تأخذه الى عنقه قدر ذنوبهم وأعمالهم ثم ان منهم من يمكث فيها شهرا ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها وأطولهم فيها مكثا كقدر الدنيا منذ خلقت الى يوم تفنى وكان ابن السماك يقول فيما يعاتب نفسه يا نفس تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين وفى الجنة تطمعين أن تدخلين هيهات هيهات ان للجنة قوما آخرين ولها أعمال غير ما تعملين ويحك أخذت بزى كسرى وقيصر والفراعنة وتريدين أن ترافقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الجلال فاعرض نفسك على كتاب الله فيما وصف أولياءه وأعداءه فانظر من أى الصنفين أنت * برادر ز كار بدان شرم دار * كه در روى نيكان شوى شرمسار * نريزد خدا آب روى كسى * كه ريزد كناه آب چشمش بسى * وذكر عن يزيد بن مرثد انه كان لا تنقطع دموع عينيه ساعة ولا يزال باكيا فسئل عن ذلك فقال لو أن الله تعالى أوعدنى بأنى لو أذنبت لحبسنى فى الحمام أبدا لكان حقيقا علىّ أن لا تنقطع دموعى فكيف وقد أوعدنى أن يحبسنى فى نار أوقد عليها ثلاثة آلاف سنة أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء كالليل المظلم قال أبو هريرة رضى الله عنه لا تغبطن فاجرا بنعمته فان وراءه طالبا حثيثا وهى جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا (قال الحافظ) قلندران حقيقت بنيم جو نخرند * قباى اطلس آنكس كه از هنر عاريست * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت همته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت همته الدنيا فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب الله له (قال السعدى) آنكس از دزد بترسد كه متاعى دارد * عارفان جمع نكردند وپريشانى نيست * هر كرا خيمه بصحراى قناعت زده اند * كر جهان لرزه بكيرد غم ويرانى نيست (والذين آمنوا) بالله ومحمد والقرآن وسائر الآيات والمعجزات (وعملوا الصالحات) التى أمر الله بها (سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا)

أى مقيمين فيها لا يخرجون منها ولا يموتون (لهم فيها أزواج مطهرة) أى مما نساء الدنيا عليه من الاحوال المستقذرة البدنية والادناس الطبيعية كالحيض والنفاس والحقد والحسد وغير ذلك (وندخلهم ظلا ظليلا) فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس أى لا تزيله ومحصيا وهو من الزمان ما لا حر فيه ولا برد ومن المكان ما لا سهولة فيه ولا حزونة والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل ويوم أيوم وما أشبه ذلك فان قلت اذا لم يكن فى الجنة شمس تؤذى بحرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل وأيضا نرى فى الدنيا أن المواضع التى يدوم الظل فيها ولا يصل نور الشمس اليها يكون هواؤها عفنا فاسدا مؤذيا فما معنى وصف هواء الجنة بذلك قلت ان بلاد العرب كانت فى غاية الحرارة فكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة وهذا المعنى جعلوه كناية عن الراحة قال عليه السلام السلطان ظل الله فى الارض فاذا كان الظل عبارة عن الراحة كان الظل الظليل كناية عن المبالغة العظيمة فى الراحة قال الامام فى تفسيره هذا ما عيل اليه خاطرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة ما يقطعها اقرأوا ان شئتم وظل ممدود وفى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين فموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرأوا ان شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة شباب جعد جرد مرد ليس لهم شعر الا فى الرأس والحاجبين وأشفار العينين يعنى ليس لهم شعر عانة ولا شعر فى الابط على طول آدم عليه السلام ستون ذراعا وعلى مولد عيسى عليه السلام ثلاث وثلاثون سنة بيض الالوان خضر الثياب يوضع لاحدهم مائدة بين يديه فيقبل الطائر فيقول يا ولى الله أما انى قد شربت من عين السلسبيل ورعيت من رياض الجنة تحت العرش وأكلت من ثمار كذا فاطعم منى فيطعم فيكون أحد جانبيه مطبوخا والآخر مشويا فيأكل منهما ما شاء الله وعليه سبعون حلة ليس فيها حلة على لون الاخرى قال الفقيه أبو الليث من أراد أن ينال هذه الكرامة فعليه أن يداوم على خمسة أشياء الاول أن يمنع نفسه من جميع المعاصى * ونهى النفس عن الهوى * بايدت ترك هوى ترك كناه * والثانى أن يرضى باليسير من الدنيا لان ثمن الجنة ترك الدنيا * اين زن زانيه شوى كش دنيارا * كر على وار طلاقش ندهم نامردم * والثالث أن يكون حريصا على الطاعات فيتعلق بكل طاعة فلعل تلك الطاعة تكون سبب المغفرة ودخول الجنة * عمل بايد اندر طريقت نه دم * كه سودى ندارد دم بى قدم * والرابع أن يحب الصالحين وأهل الخير ويخالطهم ويجالسهم * نخست موعظه پير مجلس اين حرفست * كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد * فلزم أن يكون مصاحب الانسان أهل الخير لان الصحبة مؤثرة وان واحدا من الصلحاء اذا غفر الله له يشفع لاخوانه وأصحابه * اميدست از آنان كه طاعت كنند * كه بى طاعتانرا شفاعت كنند * والخامس أن يكثر الدعاء ويسأل الله تعالى أن يرزقه الجنة وأن يجعل خاتمته فى الخير * غنيمت شمارند مردان دعا * كه جوشن بود پيش تير بلا (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) نزلت فى عثمان بن عبد الدار الحجبى وكان سادن الكعبة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت أنه رسول الله

لم أمنعه فلوى على بن أبى طالب كرم الله وجهه يده وأخذ منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمر عليا أن يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلى أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله تعالى فى شأنك قرآنا وقرأ عليه فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فهبط جبريل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة فى أولاد عثمان أبدا ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى ابنه شيبة فهو فى ولده الى اليوم (واذا حكمتم) أى ويأمركم اذا قضيتم (بين الناس أن تحكموا بالعدل) والانصاف والتسوية (ان الله نعما يعظكم به) أى نعم شيأ يعظكم به تأدية الامانة والحكم بالعدل فما نكرة بمعنى شئ ويعظكم به صفته والمخصوص بالمدح محذوف (ان الله كان سميعا) لما يقوله الخزنة (بصيرا) بما تعمله الامناء أى اعملوا بأمر الله ووعظه فانه أعلم بالمسموعات والمبصرات يجازيكم على ما يصدر منكم اعلم أن الامانة عبارة عما اذا وجب لغيرك عليك حق فأديت ذلك الحق اليه والحكم بالحق عبارة عما اذا وجب للانسان على غيره حق فأمرت من وجب عليه ذلك الحق بان يدفع الى من له ذلك الحق ولما كان الترتيب الصحيح أن يبذل الانسان نفسه فى جلب المنافع ودفع المضار ثم يشتغل بحال غيره لا جرم انه تعالى ذكر الامر بالامانة أولا ثم بعده ذكر الامر بالحكم بالحق ونزول هذه الآيات عند القصة المذكورة لا يوجب كونها مخصوصة بهذه القصة بل يدخل فيه جميع أنواع الامانات فاعلم ان معاملة الانسان اما أن تكون مع ربه أو مع سائر العباد أو مع نفسه ولا بد من رعاية الامانة فى جميع هذه الاقسام الثلاثة أما رعاية الامانة مع الرب فهى فعل المأمورات وترك المنهيات وهذا بحر لا ساحل له قال ابن مسعود الامانة فى كل شئ لازمة فى الوضوء والجنابة والصلاة والزكاة والصوم وغير ذلك مثلا ان أمانة اللسان أن لا يستعمله فى الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها وأمانة العينين أن لا يستعملهما فى النظر الى الحرام وأمانة السمع أن لا يستعمله فى سماع الملاهى والمناهى واستماع الفحش والاكاذيب وغيرها وكذا القول فى جميع الاعضاء (قال السعدى) زبان آمد از بهر شكر وسپاس * بغيبت نكرداندش حق شناس * كذرگاه قرآن وپندست كوش * به بهتان وباطل شنيدن مكوش * دو چشم از پى صنع بارى نكوست * زعيب برادر فرو كير ودوست * وأما القسم الثانى وهو رعاية الامانة مع سائر الخلق فيدخل فيه رد الودائع ويدخل فيه ترك التطفيف فى الكيل والوزن ويدخل فيه أن لا يفشى على الناس عيوبهم ويدخل فيه عدل الامراء مع رعيتهم وعدل العلماء مع العوام بأن يرشدوهم الى اعتقادات وأعمال تنفعهم فى دنياهم وأخراهم ويدخل فيه أمانة الزوجة للزوج فى حفظ فرجها وفى أن لا تلحق بالزوج ولدا تولد من غيره وفى اخبارها عن انقضاء عدتها وأما القسم الثالث وهو أمانة الانسان مع نفسه وهو أن لا يفعل الا ما هو الانفع والاصلح له فى الدين والدنيا وان لا يقدم بسبب الشهوة والغضب على ما يضره فى الآخرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته قال عليه السلام لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له فعلى العبد المؤمن أن يؤدى الامانات كلها ما استطاع ويتعظ بمواعظ الحق فى كل زمان فان الوعظ نافع جدا * امروز قدر پند عزيزان شناختم * يارب

روان ناصح ما ازتو شاد باد * قاله الحافظ وقال فى موضع * بند حكيم محض صوابست ومحض خير * فرخنده بخت آنكه بسمع رضا شنيد * ثم ان من كان حاكما وجب عليه أن يحكم بالعدل ويؤدى الامانات الى أهلها قال الحسن ان الله أخذ على الحكام ثلاثا أن لا يتبعوا الهوى وأن يخشوه ولا يخشوا الناس وأن لا يشتروا بآياته ثمنا قليلا قال صلى الله عليه وسلم ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأين أعوان الظلمة فيجمعون كلهم حتى من برى لهم قلما أولاق لهم دواة فيجمعون ويلقون فى النار (قال السعدى) جهان عماند وآثار معدلت ماند * بخير كوش وصلاح وبعدل كوش وكرم * كه ملك ودولت ضحاك مردمان آزار * نماند وتا بقيامت بروبماند رقم * قال عليه السلام من دل سلطانا على الجور كان مع هامان وكان هو والسلطان من أشد أهل النار عذابا فمقتضى الايمان هو العدل والسبب للصلاح ونظام العالم واجراء الشرع والاحتراز عن الرشوة فان من أخذها لا يسامح فى الشرع وغضب الاسكندر يوما على بعض شعرائه فأقصاه وفرق ماله فى أصحابه فقيل له فى ذلك فقال أما اقصائى له فلجرمه وأما تفريق ماله فى أصحابه فلئلا يشفعوا فيه فانظر كيف كان أخذ المال سببا لعدم الشفاعة لانهم لو استشفعوا فى حقه فشفعوا لزم الاسترداد فلما طمعوا تركوا الشفاعة * ازتو كر انصاف آيد در وجود * به كه عمرى در ركوع ودر سجود (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) وهم أمراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدى بهم من المهتدين وأما أمراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله والرسول فى وجوب الطاعة فانهم اللصوص المتغلبة لاخذهم أموال الناس بالقهر والغلبة وانما أفرد بالذكر طاعة الله ثم جمع طاعة الرسول مع طاعة أولى الامر حيث قال تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ولم يقل وأطيعوا أولى الامر منكم تعليما للادب وهو أن لا يجمعوا فى الذكر بين اسمه سبحانه وبين اسم غيره وأما اذا آل الامر الى المخلوقين فيجوز (فان تنازعتم فى شئ) أصل النزع الجذب لان المتنازعين يجذب كل واحد منهما الى غير جهة صاحبه أى ان اختلفتم أنتم وأولوا الامر منكم فى أمر من أمور الدين (فردوه الى الله) فارجعوا فيه الى كتاب الله (والرسول) أى الى سنته صلى الله عليه وسلم وتعلق أصحاب الظواهر بظاهر هذه الآية فى أن الاجتهاد والقياس لا يجوز لان الله تعالى أمر بالرجوع الى الكتاب والسنة ولا يوجد فى كل حادثة نص ظاهر فعلم انه أمر بالنظر فى مودعاته والعمل على مدلولاته ومقتضياته ولكن الآية فى الحقيقة دليل على حجة القياس كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعنى بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان بهما يوجب ذلك أما الايمان بالله فظاهر وأما الايمان باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة (ذلك) أى الرد الى الكتاب والسنة (خير) لكم من التنازع وأصلح (وأحسن) فى نفسه (تأويلا) اى عاقبة ومآلا ودلت الآية على ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم قال صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وقال صلى الله عليه

وسلم من عامل الناس فلم يظلمهم ومن حدثهم فلم يكذبهم ومن وعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروأته وظهرت عدالته ووجبت اخوته ولا بد للامراء من خوف الله وخشيته باجراء الشرائع والاحكام واتباع سنن النبي عليه السلام حتى يملأ الله قلوب الناظرين اليهم رعبا وهيبة فحينئذ لا يحتاجون الى محافظة الصورة والهيئة الظاهرة (روى) أن كاتب الروم أرسل الى عمر رضى الله عنه هدايا من الثياب والجبة فلما دخل الرسول الى المدينة قال أين دار الخليفة وبناؤه فقيل ليس له دار عظيم كما توهمت انما له بيت صغير فدلوه عليه فأتاه فوجد له بيتا صغيرا حقيرا قد اسود بابه لطول الزمان فطلبه فلم يصادفه وقيل انه خرج الى السوق لحاجته وحوائج المسلمين أى للاحتساب فخرج الرسول الى طلبه فوجده نائما تحت ظل حائط قد توسد بالدرة فلما رآه قال عدلت فأمنت فنمت حيث شئت وأمراؤنا ظلموا فاحتاجوا الى الحصون والجيوش (قال السعدى) بادشاهى كه طرح ظلم افكند * باى ديوار ملك خويش بكند * نكند جور بيشه سلطانى * كه نيايد زكرك جوبانى * ومن كلام أردشير الدين أساس الملك والعدل حارسه فمالم يكن له اس فمهدوم ومالم يكن له حارس فضائع (وروى) أن أنوشروان كان له عامل على ناحية فكتب اليه بعامه بجودة الربيع ويستأذنه فى الزيادة على الرسوم فأمسك عن اجابته فعاوده العامل فى ذلك فكتب اليه قد كان فى ترك اجابتك ما حسبتك تنزجر به عن تكليف مالم تؤمر به فاذ قد أبيت الا تماديا فى سوء الادب فاقطع احدى أذنيك واكفف عنا يدك من شأنك فقطع العامل أذنه وسكت عن ذلك الامر وبالجملة فالظلم عاره جزاؤه نار والاجتناب عنه واجب على كل عاقل واذا كانت نية المؤمن العدل فليجانب أهل الظلم وليجتنب عن اطاعتهم فان الاطاعة لاهل الحق لا لغيرهم قال عليه السلام من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير العادل فقد أطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى واعلم أن الولاة انما يكونون على حسب أعمال الرعايا وأحوالهم صلاحا وفسادا (روى) أنه قيل للحجاج بن يوسف لم لا تعدل مثل عمر وأنت قد أدركت خلافته أفلم تر عدله وصلاحه فقال فى جوابهم تباذروا أى كونوا كأبى ذر فى الزهد والتقوى أتعمر لكم أى أعاملكم معاملة عمر فى العدل والانصاف وفى الحديث كما تكونون يولى عليكم أحد كم يعنى ان تكونوا صالحين فيجعل وليكم رجلا صالحا وان تكونوا طالحين فيجعل وليكم رجلا طالحا (وروى) أن موسى عليه السلام ناجى ربه فقال يارب ما علامة رضاك من سخطك فأوحى اليه اذا استعملت على الناس خيارهم فهو علامة رضاى واذا استعملت شرارهم فهو علامة سخطى ثم اعلم أن المراد باولى الامر فى الحقيقة المشايخ الواصلون ومن بيده أمر التربية فان أولى أمر المريد شيخه فى التربية فينبغى للمريد فى كل وارد حق يدق باب قلبه أو اشارة أو الهام أو واقعة تنبئ عن أعمال أو أحوال فى حقه أن يضرب على محك نظر شيخه فايرى فيه الشيخ من المصالح ويشير اليه أو يحكم عليه يكون منقادا لاوامره ونواهيه لانه أولوا أمره وأما الشيخ فأولوا أمره الكتاب والسنة فينبغى له أن ما سنح له من الغيب بوارد الحق من الكشوف والشواهد والاسرار والحقائق يضرب على محك الكتاب والسنة فاصدقاه ويحكمان عليه فيقبله والا فلا لان الطريقة مقيدة بالكتاب والسنة كذا ذكره الشيخ الكامل نجم الدين الكبرى فى تأويلاته (ألم تر الى الذين يزعمون) أى يدعون والمراد

بالزعم هذا الكذب لان الآية نزلت فى المنافقين (انهم آمنوا بما أنزل اليك) أى بالقرآن (وما
أنزل من قبلك) أى بالتوراة وغيرها من الكتب المنزلة وكأنه قيل ماذا يفعلون فقيل (يريدون
أن يتحاكموا الى الطاغوت) عن ابن عباس أن منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى
عليه السلام لانه كان يقضى بالحق ولا يلتفت الى الرشوة ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف
لانه كان شديد الرغبة الى الرشوة واليهودى كان محقا والمنافق كان مبطلا ثم أصر اليهودى على
قوله فاحتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى
عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق
أكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق
المنافق حتى مات وقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت فهبط جبريل عليه
السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق فالطاغوت كعب بن الاشرف سمى
به لافراطه فى الطغيان وعداوة الرسول وفى معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله (وقد أمروا
أن يكفروا به) أى والحال انهم قد أمروا أن يتبرؤوا من الطاغوت (ويريد الشيطان) أى كعب
ابن الاشرف أو حقيقة الشيطان عطف على يريدون (أن يضلهم ضلالا بعيدا) أى اضلالا بعيدا
لاغاية له فلا يهتدون (واذا قيل لهم) أى للمنافقين (تعالوا) أى جيئوا (الى ما أنزل الله) أى الى
ما أمره فى كتابه (والى الرسول) والى ما أمره رسوله (رأيت المنافقين) اظهار المنافقين فى مقام
الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية (يصدون
عنك) حال من المنافقين (صدودا) أى يعرضون عنك اعراضا وأى اعراض (فكيف) يكون
حالهم وكيف يصنعون يعنى أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمرا ولا يوردونه (اذا أصابتهم
مصيبة) أى وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم (بما قدمت أيديهم) بسبب
ما عملوا من الجنايات التى من جملتها التحاكم الى الطاغوت وعدم الرضا بحكم الرسول (ثم جاؤك)
للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم (يحلفون بالله) حال من فاعل جاؤك
(ان أردنا الا احسانا وتوفيقا) أى ما أردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن
والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا سخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم
على ما فعلوا وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى عنهم الاعتذار (أولئك) أى
(المنافقون الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من
العقاب (فأعرض عنهم) أى لا تقبل اعتذارهم ولا تفرج عنهم بدعائك (وعظهم) أى ازجرهم
عن النفاق والكيد (وقل لهم فى أنفسهم) أى فى حق أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على
الشرور التى يعلمها الله تعالى أو فى أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها
فى السر أنجع (قولا بليغا) مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق له المقصود والقول البليغ
بأن يقول ان الله يعلم سركم وما فى قلوبكم فلا يغنى عنكم اخفاؤه فأصلحوا أنفسكم وطهروا
قلوبكم من رذيلة الكفر وداووها من مرض النفاق والا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين
بالشرك وشرا من ذلك وأغلظ عسى أن تنجع فيهم الموعظة (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع
باذن الله) أى وما أرسلنا رسولا من الرسل لشئ من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى فى طاعته

وأمره المبعوث اليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لانه مؤدّ عنه تعالى وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) وعرضوها للعذاب بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك (جاؤك) تائبين من النفاق (فاستغفروا الله) بالتوبة والاخلاص (واستغفر لهم الرسول) بأن يسأل الله أن يغفر لهم عند توبتهم فان قلت لو تابوا على وجه صحيح لقبلت توبتهم فما الفائدة فى ضم استغفار الرسول الى استغفارهم قلت التحاكم الى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله وكان أيضا اساءة الى الرسول عليه السلام وادخالا للغم الى قلبه عليه السلام ومن كان ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار عند ذلك الغير (لوجدوا الله) لصادفوه حال كونه تعالى (توابا) مبالغا فى قبول التوبة (رحيما) مبالغا فى التفضل عليهم بالرحمة بدل من توابا (فلا) أى فليس الامر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال (وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) أى يجعلوك حكما يا محمد ويترافعوا اليك (فيما شجر بينهم) أى فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه (ثم لا يجدوا) عطف على مقدر ينساق اليه الكلام أى فتقضى بينهم ثم لا يجدوا (فى أنفسهم حرجا) ضيقا (مما قضيت) أى مما قضيت به يعنى يرضون بقضائك ولا تضيق صدورهم من حكمك (ويسلموا تسليما) وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم وفى هذه الآيات دلالة على أن من ردّ شيأ من أوامر الله وأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خارج عن الاسلام سواء رده من جهة الشك أو من جهة التمرد وذلك يوجب صحة ما ذهبت الصحابة اليه من الحكم بارتداد مانعى الزكاة وقتلهم وسبى ذراريهم فاتباع الرسول عليه السلام فرض عين فى الفرائض العينيه وفرض كفاية فى الفروض على سبيل الكفاية وواجب فى الواجبات وسنة فى السنن وهكذا ومخالفته تزيل نعمة الاسلام * خلاف پيمبر كسى ره گزيد * كه هرگز بمنزل نخواهد رسيد * فالنبى صلى الله عليه وسلم هو الدليل فى طريق الحق ومخالفة الدليل ضلالة (قال الحافظ) بكوى عشق منه بى دليل راه قدم * كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به وقال عليه السلام من ضيع سنتى أى جعلها ضائعة بعدم اتباعها حرمت عليه شفاعتى وقال صلى الله عليه وسلم من حفظ سنتى أكرمه الله تعالى بأربع خصال المحبة فى قلوب البررة والهيبة فى قلوب الفجرة والسعة فى الرزق والثقة فى الدين فانما أمته من اتبعه ولا يتبعه الا من أعرض عن الدنيا فانه عليه السلام ما دعا الا الى الله تعالى واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما أعرضت عنها وأقبلت على الله وصرفت الاوقات لاعمال الآخرة فقد سلكت سبيله الذى سلكه وبقدر ذلك اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من أمته ولو أنصفنا لعلمنا اننا من حين نمسى الى حين نصبح لا نسعى الا فى الحظوظ العاجلة ولا نتحرك الا لاجل الدنيا الفانية ثم نطمع فى أن نكون غدا من أمته وأتباعه (روى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليأتى على الناس زمان تخلق سنتى فيه وتتجدد فيه البدعة فمن اتبع سنتى يومئذ صار غريبا وبقى وحيدا ومن اتبع بدع الناس وجد خمسين صاحبا أو أكثر فقال الصحابة يا رسول الله عليك السلام هل بعدنا أحد أفضل منا قال بلى قالوا أفيرونك يا رسول الله قال لا قالوا فكيف يكونون فيها قال كالملح فى الماء تذوب قلوبهم كما يذوب الملح

فى الماء قالوا فكيف يعيشون فى ذلك الزمان قال كالدود فى الخل قالوا فكيف يحفظون دينهم يارسول الله قال كالفحم فى اليد ان وضعته طفئ وان أمسكته أوعصرته أحرق اليد وعن أبى نجيح العرباض بن سارية رضى الله عنه قال وعظنا رسول الله موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة فعلى المؤمن أن يتبع سنة الرسول ويجتنب عن كل ماهو بدعة وضلالة ويصلح ظاهره بالشريعة وباطنه بالطريقة حتى ينال شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ويتخلص من عذاب النار ويدخل الجنة مع الابرار فالمؤمن فى الآخرة فى الجنات كشجرة مثمرة لاتنقلع عن البستان والمنافق فى الدركات كشجرة غير مثمرة تقلع من البستان وتوقد بها النار (قال الفردوسى) درختى كه شيرين بود بار او * نكردد كسى كرد ازار او * وكر زانك شيرين نباشد برش * زباى اندر آرند تا كه سرش * بماند بباغ آن ودر آتش اين * تو خواهى جنان باش وخواهى چنين (ولو أنا كتبنا عليهم) أى أوجبنا أو فرضنا على هؤلاء المنافقين (أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم) كما أوجبناه على بنى اسرائيل حين طلبوا التوبة من ذنوبهم (مافعلوه) اى المكتوب المدلول عليه بكتبنا (الا قليل منهم) الا ناس قليل منهم وهم المخلصون (ولو أنهم فعلوا مايوعظون به) من متابعة الرسول وطاعته والمشى تحت رايته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت أوامر الله ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب (لكان) أى فعلهم ذلك (خيرا لهم) أى أحمد عاقبة فى الدارين (وأشد تثبيتا) لهم على الايمان وأبعد من الاضطراب فيه (واذا) كأنه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا (لآتيناهم من لدنا) من عندنا (أجرا عظيما) ثوابا كثيرا فى الآخرة لا ينقطع (ولهديناهم صراطا مستقيما) يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم أبواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم واعلم ان قتل النفس فى الحقيقة قمع أهوائها التى هى حياتها وافناء صفاتها والخروج من الديار خروج من المقامات التى سكنت القلوب بها وألفتها من الصبر والتوكل والرضا والتسليم وأمثالها لكونها حاجبة عن التوحيد والفناء فى الذات كما قال الحسين بن منصور لابراهيم بن أدهم حين سأله عن حاله وأجابه بقوله أدور فى الصحارى وأطوف فى البرارى بحيث لاماء ولاشجر ولاروض ولامطر هل حالى حال التوكل أولا فقال اذا افنيت عمرك فى عمران باطنك فأين الفناء فى التوحيد * جان عارف دوست را طالب شده * نور حق باهستيش غالب شده * بر تو ذات ازحجاب كبريا * كرده اورا غرة بحر فنا * وعن ابراهيم بن أدهم قال دخلت جبل لبنان فاذا أنا بشاب قائم وهو يقول يامن شوقى اليه وقلبى محب له ونفسى له خادم وكلى فناء فى ارادتك ومشيئتك فأنت ولاغيرك متى تجيبنى من هذه العذرة قلت رحمك الله ماعلامة حب الله قال اشتياقا لقائه قلت فما علامة المشتاق قال لاله قرار ولاسكون فى ليل ولا نهار من شوقه الى ربه قلت فما علامة الفانى قال لايعرف الصديق من العدو ولا الحلو من المر من فنائه عن رسمه ونفسه وجسمه قلت فما علامة الخادم قال أن يرفع قلبه

وجوارحه وطمعه من ثواب الله (قال الحافظ) تو بندكى چو كدايان بشرط مزد مكن * كه دوست خود روش بنده پرورى داند * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وبالجملة أنه لا بد للسالك من اقامة وظائف العبادات والاوراد فان الله أودع أنوار الملكوت فى أصناف الطاعات فان من فاته صنف أو أعوزه من الموافقات جنس فقد من النور بمقدار ذلك وليس للوصول سبيل ولا الى الفناء دليل غير العبودية وترك ما سوى الحق * بشب حلاج واديدند در خواب * بريده سر بكف بر جام جلاب * بدو كفتند چون سر بريده * بكو تا چيست اين جام كزيده * چنين كفت او كه سلطان نكونام * بدست سربريده ميدهد جام * كسى اين جام معنى ميكند نوش * كه كردا قول سر خود را فراموش * كما قيل من لم يركب الاهوال لم ينل الاموال فيا أيها العبد الذى لا يفعل ما يوعظ به ولا يخاف من ربه كيف تركت ما هو خير لك وأعرضت عما ينفعك فليس لك الآن الا التوبة عما وقعت فى المعاصى والمنهيات والرجوع الى الله بالطاعات والعبادات والفناء عن الذات بالاصغاء الى المرشد الرشيد الواصل الى سر التفريد وقبول أمره وعظته وتسليم النفس الى تربيته ودوام المراقبة فى الطريق ومن الله التوفيق (ومن يطع الله والرسول) والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل بجميع الاوامر والنواهى (روى) ان ثوبان مولى رسول الله أتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال مالى من وجع غير أنى اذا لم أرك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة الى لقائك ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لانى عرفت أنك ترفع مع النبيين وان أدخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلتك وان لم أدخل فذلك حين لا أراك أبدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين (فأولئك) اشارة الى المطيعين (مع الذين أنعم الله عليهم) أى أتم الله عليهم النعمة وهذا ترغيب للمؤمنين فى الطاعة حيث وعدوا مرافقة أقرب عباد الله الى الله وأرفعهم درجات عنده (من النبيين) بيان للمنعم عليهم وهم الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل (والصديقين) المبالغين فى الصدق والاخلاص فى الاقوال والافعال الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات الى أوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء وأخبروا عنها على ما هى عليه (والشهداء) الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى اعلاء كلمة الله (والصالحين) الذين صرفوا أعمارهم فى طاعته وأموالهم فى مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد فى الدرجة لان التساوى بين الفاضل والمفضول لا يجوز ولا مطلق الاشتراك فى دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى أراد وان بعد ما بينهما من المسافة (وحسن أولئك رفيقا) فى معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقا أى النبيين ومن بعدهم ورفيقا تمييز وافراده لما أنه كالصديق والخليط والرسول يستوى فيه الواحد والمتعدد والرفيق الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة فى المعاشرة قولا وفعلا (ذلك الفضل) مبتدأ والفضل صفته وهو اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة

هؤلاء

هؤلاء المنعم عليهم (من الله) خبره أي لا من غيره (وكفى بالله عليما) بجزاء من أطاعه وبمقادير
الفضل واستحقاق أهله وهذه الآية عامة في جميع المكلفين اذ خصوص السبب لا يقدح في عموم
اللفظ فكل من أطاع الله وأطاع الرسول فقد فاز بالدرجات والمراتب الشريفة عند الله
تعالى (روى) عن بعض الصالحين أنه قال أخذتني ذات ليلة سنة فنمت فرأيت في منامي كأن
القيامة قد قامت وكأن الناس يحاسبون فقوم يمضى بهم الى الجنة وقوم يمضى بهم الى النار
قال فأتيت الجنة فناديت يا أهل الجنة بماذا نلتم سكنى الجنان في محل الرضوان فقالوا لي
بطاعة الرحمن ومخالفة الشيطان ثم أتيت باب النار فناديت يا أهل النار بماذا نلتم النار قالوا
بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمن * بكاسر برابرم ازين عار وننك * كه با او بصلحيم وباحق
بجنك * نظر دوست نادر كند سوى تو * چو در روى دشمن بود روى تو * قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى قيل ومن أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن
عصاني فقد أبى فعلى المرء أن يتبع الرسول ويتبع أولياء الله فان الانبياء لهم وحي الهي
والاولياء لهم الهام رباني والاتباع لهم لا يخلو عن الاتباع للرسول قال عليه السلام المرء مع من
أحب فان أحب الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين كان معهم في الجنة وفي الآية تنبيه
على أنه ينبغي للعبد أن لا يتأخر عن مرتبة الصلاح بل يسعى في تكميل الصلاح ثم يترقى الى
مرتبة الشهادة ثم الى الصديقية وليس بين النبوة وبين الصديقية واسطة رزقنا الله واياكم
الفوز بهذا النعيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى
يكتب عند الله صديقا ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وأقل
الصدق استواء السر والعلانية والصادق من صدق في أقواله والصديق من صدق في جميع
أقواله وأفعاله وأحواله وكان جعفر الخواص يقول الصادق لا تراه الا في فرض يؤديه أو فضل
يعمل فيه وثمرات الصدق كثيرة فمن بركاته في الدنيا أنه حكى عن أبي عمرو الزجاجي أنه قال
ماتت أمي فورثت دارا فبعتها بخمسين دينارا وخرجت الى الحج فلما بلغت بابل استقبلني واحد
من القافلة وقال أي شئ معك فقلت في نفسي الصدق خير ثم قلت خمسون دينارا فقال
ناولنيها فناولته الصرة فعدها فاذا هي خمسون فقال لي خذها فلقد أخذني صدقك ثم نزل عن
الدابة فقال اركبها فقلت لا أريد فقال لا وألح فركبتها فقال وأنا على اثرك فلما كان العام
القابل لحق بي ولازمني حتى مات (قال الحافظ) بصدق كوش كه خورشيد زايد از نفست
* كه از دروغ سيه روى كشت صبح نخست * يعني أن الصبح الكاذب تعقبه الظلمة والصبح
الصادق يعقبه النور فمن صدق فقد يظهر منه النور (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) أى
تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم يقال أخذ حذره اذا تيقظ واحترز من
المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه (فانفروا) فاخرجوا الى
جهاد العدو (ثبات) جماعات متفرقة سرية بعد سرية الى جهات شتى وذلك اذا لم يخرج النبي
عليه السلام جمع ثبة وهي جماعة من الرجال فوق العشرة ومحلها النصب على الحالية (أو انفروا
جميعا) مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم الى التهلكة وذلك اذا خرج النبي
عليه السلام (وان منكم) خطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين

والمنافقين (لمن) الذى أقسم بالله (ليبطئن) ليتأخرن عن الغزو و يتخلفن تثاقلا من بطؤ لازم
بمعنى أبطأ أو ليبطئن غيره و يثبطه عن الجهاد وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أبى وهو الذى
ثبط الناس يوم أحد والاول أنسب لما بعده وهو قوله تعالى حكاية ياليتنى كنت معهم وبالجملة
المراد بالمبطئين المنافقون من العسكر لانهم كانوا يغزون نفاقا (فان أصابتكم مصيبة) كالتكم
نكبة من الاعداء كقتل وهزيمة (قال) أى المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لربه (قد أنعم الله على)
أى بالقعود والتخلف عن القتال (اذ لم أكن معهم شهيدا) أى حاضرا فى المعركة فيصيبنى
ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل) كائن (من الله) كفتح وغنيمة (ليقولن) ندامة على تثبطه
وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) اعتراض
وسط بين الفعل ومفعوله الذى هو (يا) قوم (ليتنى كنت معهم) فى تلك الغزوة (فأفوز فوزا
عظيما) أى آخذ حظا وافرا من الغنيمة وانما وسطه بينهما لئلا يفهم من مطلع كلامه أن تمنيه
معية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما فى البين من المودة بل هو للحرص على
المال كما ينطق به آخره وليس اثبات المودة فى البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم (فليقاتل
فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أى يبيعونها بها ويأخذون الآخرة بدلها
وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر أى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون
الباذلون أنفسهم فى طلب الآخرة أو الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون
فالفاء للتعقيب أى ليتركوا ما كانوا عليه من التثبيط والنفاق والقعود عن القتال فى سبيل
الله (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) لا يقادر قدره وعد له
الاجر العظيم غلب أو غلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا لقولهم قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم
شهيدا وانما قال فيقتل أو يغلب تنبيها على أن المجاهد ينبغى أن يثبت فى المعركة حتى يعز نفسه
بالشهادة أو الدين بالظفر والغلبة ولا يخطر بباله القسم الثالث أصلا وأن لا يكون قصده بالذات
الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكفل الله لمن
جاهد فى سبيله لا يخرجه الا الجهاد فى سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه الى مسكنه
الذى خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا المشركين
بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم وذلك بأن تدعوا عليهم بالخذلان والهزيمة وللمسلمين بالنصر
والغنيمة وتحرضوا القادرين على الغزو وفى الحديث من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن
خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا أى كان خلفا لاهل بيته فى اقامة حوائجهم وتتميم مصالحهم
وفضائل الجهاد لا تكاد تضبط فعلى المؤمن أن يكون فى طاعة ربه بأى وجه كان من الوجوه
التعبدية فان الآية الاولى وهى قوله يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم الآية وان نزلت
فى الحرب لكن يقتضى اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما أمكن قبل
الفوات * مكن عمر ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزست والوقت سيف * قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال قبل أن تجيء فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل
مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وعن الزبير بن
عدى قال أتينا أنس بن مالك فشكونا اليه ما نلقى من الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان

الا والذى بعده أشد منه شرا حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم (قال الحافظ)
روزى اكر غمى رسدت تنك دل مباش * رو شكر كن مباد كه از بد بتر شود * واعلم ان العدة
والسلاح فى جهاد النفس والشيطان يعنى آلة قتالهما ذكر الله وبه يتخلص الانسان من كونه
أسير الهوى النفسانى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم
الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وعن أبى واقد الحرث
ابن عوف رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى المسجد والناس معه
اذ أقبل ثلاثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد فوقفا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس
خلفهم وأما الثالث فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم عن النفر
الثلاثة أما أحدهم فاوى الى الله فآواه الله وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر
فأعرض فأعرض الله عنه * بذكرش هرچه بينى درخروشست * دلى داند درين معنى كه
كوشست * نه بلبل بركلش تسبيح خوانيست * كه هر خارى بتوحيدش زبانيست
(ومالكم) أى أى شئ حصل لكم من العلل أيها المؤمنون حال كونكم (لا تقاتلون فى سبيل
الله) أى تاركين القتال يعنى لا عذر لكم فى ترك المقاتلة وهذا استفهام بمعنى التوبيخ ولا يقال
ذلك الا عند سبق التفريط (والمستضعفين) عطف على السبيل بحذف المضاف لا على اسم الله
وان كان أقرب لان خلاص المستضعفين سبيل الله لا سبيلهم والمعنى فى سبيل الله وفى خلاص
الذين استضعفهم الكفار بالتعذيب والاسر وهم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن
الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد وانما خصهم
بالذكر مع ان سبيل الله عام فى كل خير لان تخليص ضعفة المسلمين من أيدى الكفار من أعظم
الخير وأخصه (من الرجال والنساء والولدان) بيان للمستضعفين والولدان الصبيان جمع ولد
وانما ذكرهم معهم تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم
وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا
لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم
فى الاستسقاء ودلت الآية على ان استنقاذ الاسارى من المسلمين من أيدى الكفار واجب
بما قدروا عليه من القتال واعطاء المال (الذين) صفة للمستضعفين (يقولون) يعنى لا حيلة
لهؤلاء المستضعفين ولا ملجأ الا الله فيقولون داعين (ربنا أخرجنا من هذه القرية) مكة (الظالم
أهلها) بالشرك الذى هو ظلم عظيم وبأذية المسلمين (واجعل لنا من لدنك وليا) أى وليا علينا واليا
من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا)
ينصرنا على أعدائنا ولقد استجاب الله دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة قبل الفتح
وجعل لمن بقى منهم الى الفتح خير ولى وأعز ناصر ففتح مكة على يدى نبيه صلى الله عليه وسلم
فتولاهم أى تولية ونصرهم أى نصرة ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد فجعل يضعف قدر
الضعيف للحق ويعز العزيز بالحق فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا حتى صاروا أعز أهلها
(الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) أى المؤمنون انما يقاتلون فى دين الله الحق الموصل لهم الى

الله عز وجل فى اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) أى فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه (فقاتلوا أولياء الشيطان) كأنه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا أولياء الله أولياء الشيطان (ان كيد الشيطان) الكيد السعى فى فساد الحال على جهة الاحتيال (كان ضعيفا) أى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله بالكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا أولياءه فان اعتمادهم على أضعف شئ وأوهنه وهذا كما يقال للحق دولة وللباطل جولة قالوا ادخال كان فى أمثال هذه المواقع لتأكيد بيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان كان موصوفا بالضعف قال الامام فى تفسيره ان كيد الشيطان كان ضعيفا لان الله ينصر أولياءه والشيطان ينصر أولياءه ولا شك ان نصرة الشيطان لاوليائه أضعف من نصرة الله لاوليائه ألا ترى ان أهل الخير والدين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وان كانوا حال حياتهم فى غاية الفقر والذلة وأما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرضوا ولا يبقى فى الدنيا رسمهم ولا طللهم قيل النار حفت بالشهوات وان فى كل نفس شيطانا يوسوس اليها وملكا يلهمها الخير فلا يزال الشيطان يزين ويخدع ولا يزال الملك ينهاها ويلهمها الخير فأيهما كانت النفس معه كان هو الغالب قيل ان كيد الشيطان والنفس بمثابة الكلب ان قاومته مزق الاهاب وقطع الثياب وان رجعت الى ربه صرفه عنك برفق فالله تعالى جعل الشيطان عدوا للعباد ليوحشهم به اليه وحرك عليهم النفس ليدوم اقبالهم عليه فكلما تسلطا عليهم رجعوا اليه بالافتقار وقاموا بين يديه على نعت الالتجاء والاضطرار قال أحمد ابن سهل أعداؤك أربعة الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها العزلة والشيطان وسلاحه الشبع وسجنه الجوع والنفس وسلاحها النوم وسجنها السهر والهوى وسلاحه الكلام وسجنه الصمت واعلم ان كيد الشيطان ضعيف فى الحقيقة فان الله ناصر لاوليائه كل حين ويظهر ذلك الامداد فى نفوسهم بسبب تزكيتهم النفس وتخلية القلب عن الشواغل الدنيوية وامتلاء أسرارهم بنور التوحيد فان الشيطان ظلمانى يهرب من النورانى لا محالة (روى) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استأذن يوما على النبى عليه السلام وعنده نساء من قريش يسألنه عالية أصواتهن على صوته فلما دخل ابتدرن الحجاب فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك فقال ما أضحكك يا رسول الله بأبى أنت وأمى فقال صلى الله عليه وسلم عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى فلما سمعن صوتك بادرن الحجاب فقال عمر أنت أحق أن يهبن يا رسول الله ثم أقبل عليهن فقال أى عدوات أنفسهن أتهبننى ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن أنت أفظ وأغلظ من رسول الله فقال عليه السلام يا ابن الخطاب فو الذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك (وروى) عن وهب بن منبه انه قال كان عابد فى بنى اسرائيل أراد الشيطان أن يضله فلم يستطع من أى جهة أراده من الشهوة والغضب وغير ذلك فاراده من قبل الخوف وجعل يدلى الصخرة من الجبل فاذا بلغه وقد ذكر الله تباعد عنه ثم تمثل بالحية وهو يصلى فجعل يلتوى على رجليه وجسده حتى يبلغ رأسه وكان اذا أراد السجود التوى فى موضع رأسه فجعل ينحيه بيده حتى تمكن من السجود فلما فرغ من صلاته وذهب جاء اليه الشيطان فقال له فعلت لك كذا وكذا فلم أستطع منك على شئ فاريد أن أصادقك أى أن أكون صديقا لك فانى لا أريد

ضلالتك بعد اليوم فقال العابد مالى حاجة فى مصادقتك فقال الشيطان ألا تسألنى باى شئ أضل به
بنى آدم قال نعم قال بالشح والحدة والسكر فان الانسان اذا كان شحيحا قللنا ماله فى عينه
فيمنعه من حقوقه ويرغب فى أموال الناس * كريمانرا بدست اندر درم نيست * خداوندان
نعمت راكرم نيست * وقيل فى بعض الاشعار * باشد چو ابر بى مطر و بحر بى كهر * انرا كه
با جمال نكو جود بار نيست * واذا كان الرجل حديدا أدرناه بيننا كما تدير الصبيان الاكرة
ولو كان يحيى الموتى لم نبال به * اكر آيد ز دوستى كنهى * بكناهى نشايد آزردن * ور زبانرا
بعذر بكشايد * بايدت خشم را فرو خوردن * زانكه نزديك عاقلان بترست * عفو ناكردن
از كنه كردن * واذا سكر قدناه الى كل شئ كما تقاد العنز بأذنها * مى مزيل عقل شداى
ناخلف * تا بچندى ميخورى در روزكار * آدمى را عقل بايد در بدن * ورنه جان در كالبد
دارد حمار * فعلى العاقل أن يجاهد فى سبيل الله فان المجاهدة على حقيقتها تقوى الروح الضعيف
الذى استضعفه النفس بالاستيلاء عليه ويتضرع الى الله بالصدق والثبات حتى يخرج من قرية
البدن الظالم أهلها وهى النفس الامارة بالسوء ويتشرف بولاية الله تعالى فى مقام الروح رزقنا
الله واياكم فتح باب الفتوح آمين يا ميسر كل عسير (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) روى
ان ناسا أتوا النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن يهاجر الى المدينة وشكوا اليه ما يلقون من
أذى المشركين قالوا كنا فى عز فى حالة الجاهلية والآن صرنا أذلة فلو أذنت لنا قتلنا هؤلاء
المشركين على فرشهم فقال صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم أى أمسكوا عن القتال (وأقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة) واشتغلوا بما أمرتم به فانى لم أومر بقتالهم وكانوا فى مدة اقامتهم بمكة
مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأمروا بالقتال
فى وقت بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا فى الدين ولا رغبة عنه بل نفورا من
الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية لان حب الحياة والنفرة من
القتل من لوازم الطباع وذلك قوله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) أى فرض عليهم الجهاد
(اذا فريق) اذا للمفاجأة وفريق مبتدأ (منهم) صفته (يخشون الناس) خبره والجملة جواب
لما أى فاجأ فريق منهم أن يخشوا الكفار أن يقتلوهم (كخشية الله) مصدر مضاف الى
المفعول محله النصب على انه حال من فاعل يخشون أى يخشونهم متشبهين بأهل خشية الله تعالى
(أو أشد خشية) عطف عليه بمعنى أو أشد خشية من أهل خشية الله وكلمة أو للتنويع على معنى
ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم أشد منها (وقالوا) عطف على جواب لما أى فلما
كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا (ربنا لم كتبت علينا القتال) فى هذا
الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريقة تمنى التخفيف
(لولا أخرتنا الى أجل قريب) أى هلا أمهلتنا وتركتنا الى الموت حتى نموت بآجالنا على الفراش
وهذا استزادة فى مدة الكف واستمهال الى وقت آخر حذرا من الموت وحبا للحياة (قل) أى
تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفانى وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقى
(متاع الدنيا قليل) أى ما يتمتع وينتفع به فى الدنيا سريع التقضى وشيك الانصرام وان أخرتم
الى ذلك الاجل ولو استشهدتم فى القتال صرتم أحياء فتبدل الحياة الفانية بالحياة الباقية

(والآخرة) أى ثوابها الذى من جملته الثواب المنوط بالقتال (خير) لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل (لمن اتقى) حثا لهم على اتقاء العصيان والاخلاص بمواجب التكليف (ولا تظلمون فتيلا) عطف على مقدر أى تجزون ولا تنقصون أدنى شئ من أجور أعمالكم التى من جملتها مساعيكم فى شأن القتال فلا ترغبوا عنه * اعلم أن الآخرة خير من الدنيا لان نعم الدنيا قليلة ونعم الآخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الآخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالهموم والغموم والمكاره ونعم الآخرة صافية عن الكدورات ونعم الدنيا مشكوكة فان أعظم الناس تنعما لا يعرف انه كيف تكون عاقبته فى اليوم الثانى ونعم الآخرة يقينية فعلى العاقل أن يختار ما هو خير من كل وجه وهو الآخرة على ما هو شر من كل جهة وهو الدنيا (قال السعدى فى بعض قصائده) عمارت باسراى ديكر انداز * كه دنيارا اساسى نيست محكم * فريدون را سرامد پادشاهى * سليمانرا برفت ازدست خاتم * وفادارى مجوى ازدهر خونخوار * محالست انكبين دركام ارقم * مثال عمر سر بركرده شمعيست * كه كوته بازى باشد دمادم * ويا برقى كه ازان بر سر كوه * كزو هر لحظه جزئى ميشود كم * روى ان رجلا اشترى دارا فقال لعلى رضى الله عنه اكتب القبالة فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد اشترى مغرور من مغرور دارا دخل فيها فى سكة الغافلين لا بقاء لصاحبها فيها الحد الاول ينتهى الى الموت والثانى الى القبر والثالث الى الحشر والرابع الى الجنة أو الى النار والسلام فقرئ على الرجل فرد الدار وتصدق بالدنانير كلها وتزهد فى الدنيا فهذا هو حال العارفين حقيقة الحال قال القشيرى رحمه الله ملكك من الدنيا ثم قللها فلم يعدها لك شيأ ثم لو تصدقت منها بشق تمرة استكثر منك وهذا غاية الكرم وشرط المحبة وهو استقلال الكثير من نفسه واستكثار القليل من حبيبه واذا كان قيمة الدنيا قليلة فأخس من الخسيس من رضى بالخسيس بدلا من النفيس وقال ان الله تعالى اختطف المؤمن من الكون بالتدريج فقال أولا قل متاع الدنيا قليل فاختطفهم من الدنيا بالعقبى ثم استلبهم عن الكونين بقوله والله خير وأبقى فلا بد للسالك أن يترقى الى أعلى المنازل ويسعى من غير فتور وكلال (قال مولانا جلال الدين) اى برادر بى نهايت دركهيست * هركجا كه مى رسى بالله مايست * وثمرة المجاهدة لا تضيع البتة بل تجزى كل نفس بما عملت قال بعض المشايخ انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ظاهرا وباطنا وكل ما فى الجنة لا يوافق ما فى الدنيا الا من حيث التسمية ولانه تعالى أجل أقدارهم عن أن يجازيهم فى دار لا بقاء لها قال تعالى وما عند الله خير وأبقى ثم الجزاء فى تلك الدار له علامة فى هذه الدار وهى انه من وجد ثمرة عمله عاجلا وهى الحلاوة فيه والتوفيق لغيره والشكر عليه فهو دليل على وجود القبول لان الجزاء على ذلك مقصور قال ابراهيم بن أدهم لو يعلم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف وقال بعضهم ليس شئ من البر الا ودونه عقبة يحتاج الى الصبر فيها فمن صبر على شدتها أفضى الى الراحة والسهولة وانما هى مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم المكابدة فى ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وانما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه فمن سره أن يعرف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله فى قلبه وقيل لبعضهم هل تعرف الله فغضب وقال ترانى أعبد من لا أعرف فقال له السائل أو تعصى من تعرف

(قال السعدى) عمرى كه ميرود بهمه حال سعى كن * تادر رضاى خالق بيچون بسر برى * (وقال أيضا) پيربودى ورنداستى * تونه پيرى كه طفل كتابى (أينما تكونوا يدرككم الموت) المقدر بالاجل أو العذاب وفى لفظ الادراك اشعار بأنهم فى الهرب منه وهو مجد فى طلبهم وهو كلام مبتدأ لا محل له من الاعراب (ولو كنتم فى بروج مشيدة) اى وان كنتم فى قصور عالية الى السماء محكمة بالشيد وهو الجص لا يصعد اليها بنو آدم قال مجاهد فى هذه الآية كان فيمن قبلكم امرأة وكان لها أجير فولدت جارية فقالت لاجيرها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل ما ولدت هذه المرأة قال جارية قال أما هذه الجارية لا تموت حتى تزنى بمائة و يتزوجها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الاجير فى نفسه فأنا أريد هذه بعد أن تفجر بمائة لا قتلنها فأخذ شفرة فدخل فشق بطن الصغيرة وخرج على وجهه وركب البحر وخيط بطن الصبية فعولجت وبرئت وشبت فكانت تزنى فأتت ساحلا من ساحل البحر فأقامت عليه تزنى ولبث الرجل ما شاء الله ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير فقال لامرأة من أهل الساحل اطلبى لى امرأة من اجمل النساء أتزوجها فقالت ههنا امرأة من أجمل النساء ولكنها تفجر فقال ائتينى بها فأتتها فقالت قد قدم رجل له مال كثير وقال لى كذا وكذا فقالت انى تركت الفجور ولكن ان أراد أن يتزوجنى تزوجته قال فتزوجها فوقعت منه موقعا فبينما هو يوما عندها اذ أخبرها بأمره فقالت أنا تلك الجارية وأرته الشق فى بطنها وقد كنت أفجر فما أدرى بمائة أو أقل أو أكثر فقال زوجها فى نفسه ان الرجل الذى كان خارج الباب قال يكون موتها بالعنكبوت ثم أخبرها بذلك قال فبنى لها برجا فى الصحراء وشيده فبينماهى يوما فى ذلك البرج اذا عنكبوت فى السقف فقالت هذا يقتلنى لا قتلنه اذ لا يقتله أحد غيرى فحركته فسقط فأتته فوضعت ابهام رجلها عليه فشدخته فساح سمه بين ظفرها واللحم فاسودت رجلها فماتت وفى ذلك نزلت هذه الآية أينما تكونوا يدرككم الموت وأجمعت الامة على ان الموت ليس له سن معلوم ولا أجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك مستعدا لذلك قال عليه السلام اكثروا ذكر هاذم اللذات يعنى الموت وهو كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ فى الموعظة فان من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه اللذة الحاضرة ومنعه من تمنيها فى المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج الى تطويل الوعاظ وتزويق الالفاظ والا ففى قوله عليه السلام أكثروا ذكر هاذم اللذات مع قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ما يكفى السامع ويشغل الناظر فيه (قال الحافظ) سپهر برشده پرويزنست خون افشان * كه ريزه اش سر كسرى وتاج پرويزست (قال السعدى) جهان اى پسر ملك جاويد نيست * زدنيا وفادارى اميد نيست * نه برباد رفتى سحرگاه وشام * سرير سليمان عليه السلام * باخر نديدى كه برباد رفت * خنك آنكه باداش وداد رفت * والاشارة فى الآية ان يا أهل البطالة فى زى الطلبة الذين غلب عليكم الهوى وحب اليكم الدنيا فاقعدكم عن طلب المولى ثم رضيتم بالحياة الدنيا واطمأننتم بها أينما تكونوا يدرككم الموت اضطرارا ان لم تموتوا قبل أن تموتوا اختيارا ولو كنتم فى بروج مشيدة اى أجساد مجسمة قوية أمزجتها أوصلنا الله واياكم الى حقيقة الفناء والبقاء آمين (وان تصبهم حسنة) اى نعمة كخصب

(يقولوا هذه من عند الله) نسبوها الى الله (وان تصبهم سيئة) بلية كقحط (يقولوا هذه من عندك) أضافوها اليك يا محمد وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها (قل كل) من الحسنة والسيئة (من عند الله) يبسط ويقبض حسب ارادته (فمال هؤلاء القوم) اى أى شئ حصل لليهود والمنافقين من العلل حال كونهم (لا يكادون يفقهون حديثا) اى لا يقربون من فهم حديث عن الله تعالى كالبهائم ولو فهموا لعلموا أن الكل من عند الله والفقه هو الفهم ثم اختص من جهة العرف بعلم الفتوى (ما أصابك) يا انسان (من حسنة) من خير ونعمة (فمن الله) تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال عليه السلام ما أحد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا أنت قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته (وما أصابك من سيئة) من بلية وشئ تكرهه (فمن نفسك) لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير أن الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يغفر الله أكثر واعلم ان للاعمال أربع مراتب منها مرتبتان لله تعالى وليس للعبد فيهما مدخل وهما التقدير والخلق ومنها مرتبتان للعبد هما الكسب والفعل فان الله تعالى منزه عن الكسب وفعل السيئة وانما يتعلقان بالعبد ولكن العبد وكسبه مخلوق خلقه الله تعالى كما قال والله خلقكم وما تعملون فهذا تحقيق قوله قل كل من عند الله اى خلقا وتقديرا لا كسبا وفعلا فافهم واعتقد فانه مذهب أهل الحق وأرباب الحقيقة كذا فى التأويلات النجمية قال الضحاك ما حفظ الرجل القرآن ثم نسيه الا بذنب ثم قرأ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم قال فنسيان القرآن من أعظم المصائب (وأرسلناك للناس رسولا) اى رسولا للناس جميعا لست برسول للعرب وحدهم بل أنت رسول العرب والعجم كقوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس فرسولا حال قصد بها تعميم الرسالة والجار متعلق بها قدم عليها للاختصاص (وكفى بالله شهيدا) على رسالتك بنصب المعجزات * وفى التأويلات النجمية يشير بقوله تعالى وأرسلناك للناس رسولا اى الناس الذين قد نسوا الله ونسوا ما شاهدوا منه وما عاهدوا عليه الله وأرسلناك اليهم لتبلغهم كلامنا وتذكرهم أيامنا وتجدد لهم عهودنا وترغبهم فى شهودنا وتدعوهم الينا وتهديهم الى صراطنا وتكون لهم سراجا منيرا يهتدون بهداك ويتبعون خطاك الى أن توصلهم الى الدرجات العلا وتنزلهم فى المقصد الاعلى وكفى بالله شهيدا أى شاهد الاحبائه وأوليائه لئلا يكتفوا براحة دون لقائه اه (قال الحافظ) يوسف عزيزم رفت اى برادران رحمى * كز غمش عجب ديدم حال پير كنعانى * وفى الآية تعليم الادب ورؤية التأثير من الله تعالى روى ان أبا بكر رضى الله عنه ابتلى بوجع السن سبع سنين فأعلمه جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل عليه السلام عن حاله فقال لم تذكر يا أبا بكر فقال كيف أشكو عما جاء من الحبيب فلابد من التخلق بالاخلاق الحسنة لان الكل من عند الله وانما أرسل الله رسوله لاخراج الناس من الظلمات الى النور فاذا تأدبوا بالآداب النبوية وصلوا الى الحقيقة المحمدية (قال الشيخ العطار) دعوتش فرمود بهر خاص وعام *

نعمت خود دار وكرده تمام * مبعث او سر كونى بتان * امت او بهترين امتان * برميان دو كتف خورشيد وار * داشته مهر نبوت آشكار * وكان خاتم النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم اشارة الى عصمته من وسوسة الشيطان لان الخناس يجيء من بين الكتفين فيدخل خرطومه قبل قلب الانسان فيوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس وراءه وكان حول خاتم النبوة شعرات مائلة الى الخضرة مكتوب عليه محمد نبي أمين وقيل غير ذلك والتوفيق بين الروايات بتعدد الخطوط وتنوعها بحسب الحالات والتجليات أو بالنسبة الى أنظار الناظرين ثم انه قد اتفق أهل العلم على افضلية شهر رمضان لانه أنزل فيه القرآن ثم شهر ربيع الاول لانه مولد حبيب الرحمن وأما أفضل الليالى فقيل ليلة القدر لنزول القرآن فيها وقيل ليلة المولد المحمدى اذ لولاه ما أنزل القرآن ولا تعينت ليلة القدر فعلى الامة تعظيم شهر المولد وليلته كى ينالوا منه شفاعته ويصلوا الى جواره (من يطع الرسول فقد أطاع الله) لانه فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله تعالى روى أنه عليه السلام قال من أحبنى فقد أحب الله ومن أطاعنى فقد أطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت (ومن تولى) اى أعرض عن طاعته (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب قوله حفيظا حال من كاف أرسلناك وعليهم متعلق بحفيظا (ويقولون) اذا أمرتهم بأمر (طاعة) اى أمرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا من عندك) اى خرجوا (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) اى زورت خلاف ما قلت لها يا محمد فالضمير للخطاب أو ما قالت لك من ضمان الطاعة فالضمير للغيبة واشتقاق البيت من البيتوتة ولما كان غالب الافكار التى يستقصى فيها الانسان واقعا فى الليل اذ هنالك يكون الخاطر أصفى والشواغل أقل سمى الفكر المستقصى مبيتا (والله يكتب ما يبيتون) يثبته فى صحائف أعمالهم للمجازاة (فأعرض عنهم) قال لا تبال بهم (وتوكل على الله) فى الامور كلها سيما فى شأنهم (وكفى بالله وكيلا) يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوى أمر الاسلام وعز أنصاره والوكيل هو القائم بما يفوض اليه من التدبير (أفلا يتدبرون القرآن) يتأملون فى معانيه ويتبصرون ما فيه وأصل التدبر النظر فى ادبار الشئ وما يؤل اليه فى عاقبته ومنتهاه ثم استعمل فى كل تأمل (ولو كان من عند غير الله) اى ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية وهل يجوز أن يقال بعض كلام الله أبلغ من بعض قال الامام السيوطى فى الاتقان جوزه قوم لقصور نظرهم فينبغى أن يعلم أن معنى قول القائل هذا الكلام أبلغ من هذا الكلام ان هذا فى موضعه له حسن ولطف وبلاغة وذلك فى موضعه له حسن ولطف وهذا الحسن فى موضعه أكمل وأبلغ من ذلك فى موضعه فلا ينبغى أن يقال ان قل هو الله أحد أبلغ من تبت بل ينبغى أن يقال تبت يدا أبى لهب دعاء عليه بالخسران فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه وكذلك فى قل هو الله أحد لا توجد عبارة تدل على وحدانيته أبلغ منها فالعالم اذا نظر الى تبت يدا أبى لهب

فى باب الدعاء بالخسران ونظر الى قل هو الله أحد فى باب التوحيد لا يمكنه أن يقول أحدهما أبلغ من الآخر وقال بعض المحققين كلام الله فى الله أفضل من كلامه فى غيره فقل هو الله احد افضل من تبت يدا أبى لهب لان فيه فضيلة الذكر وهو كلام الله وفضيلة المذكور وهو اسم ذاته وتوحيده وصفاته الايجابية والسلبية وسورة تبت فيها فضيلة الذكر فقط وهو كلام الله تعالى قال الغزالى فى جوهر القرآن ومن توقف فى تفضيل الآيات أوّل قوله عليه السلام أفضل سورة وأعظم سورة بانه أراد فى الاجر والثواب لا ان بعض القرآن افضل من بعض فالكل فى فضل الكلام واحد والتفاوت فى الاجر لا فى كلام الله تعالى من حيث هو كلام الله القديم القائم بذاته تعالى اه يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة قولهم ان هذه الآية فى غاية الفصاحة كما قال القاضى عند قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك الآية يشعر بجواز القول بالتفاوت فى طبقات الفصاحة كما عليه علماء البلاغة ومن هنا (قال من قال) در بيان ودر فصاحت كى بود يكسان سخن * كرچه كوينده بود چون جاحظ وچون اصمعى * در كلام ايزد بيچون كه وحى منزلست * كى بود تبت يدا مانند يا ارض ابلعى * قال العلماء القرآن يدل على صدقه عليه السلام من ثلاثة أوجه احدها اطراد ألفاظه فى الفصاحة وثانيها اشتماله على الاخبار عن الغيوب والثالث سلامته من الاختلاف وسبب سلامته منه على ما ذهب اليه أكثر المتكلمين أن القرآن كتاب كبير مشتمل على انواع كثيرة من العلوم فلو كان ذلك من عند غير الله لوقع فيه انواع من الكلمات المتناقضة لان الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك ولما لم يوجد فيه ذلك علمنا انه ليس من عند غير الله وانما هو وحى أوحى اليه عليه السلام من عند الله بوساطة جبريل فمن أطاعه فيه فقد اطاع الله والاطاعة سبب لنيل المطالب الدنيوية والاخروية ويرشدك على شرف الاطاعة ان كلب أصحاب الكهف لما تبعهم فى طاعة الله وعد له دخول الجنة (كما قال السعدى) سك اصحاب كهف روزى چند * پى نيكان كرفت مردم شد * فاذا كان من تبع المطيعين كذلك فما ظنك بالمطيعين وكما ان من صلى ولم يؤد الزكاة لم تقبل منه الصلاة ومن شكر الله فى نعمائه ولم يشكر الوالدين لا يقبل منه فكذلك من أطاع الله ولم يطع الرسول لا يقبل منه * والاشارة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لوصفه بالفناء فانيا فى الله باقيا بالله قائما مع الله فكان خليفة الله على الحقيقة فيما يعامل الخلق حتى قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وكان الله خليفته فيما يعامله الخلق حتى قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولهذا كان يقول صلى الله عليه وسلم خليفتى على أمتى فمن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا فانك لست لك حافظا تكيف لهم فانهم تولوا عنى لا عنك فانما على حسابهم لا عليك وفى قوله تعالى ويقولون طاعة اشارة الى أحوال اكثر مريدى هذا الزمان اذا كانوا حاضرين فى الصحبة ينعكس تلألؤ اشعة أنوار الولاية فى مرآة قلوبهم فيزدادون ايمانا مع ايمانهم وارادة مع ارادتهم فيصغون بآذانهم الواعية الى الحكم والمواعظ الحسنة ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ويقولون السمع والطاعة فيما يسمعون ويخاطبون به فاذا برزوا من عندك وهب لهم رياح الهوى وشهوة الحرص وغابت قلوبهم عن مجاورات القرار على الولاية وعاد المشؤم الى طبعه بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون اى يغير عليهم ما يغيرون على أنفسهم لان الله لا يغير ما بقوم

حتى يغيروا ما بأنفسهم فأعرض عنهم فاصفح عنهم واصبر معهم وتوكل على الله لعل الله يصلح بالهم
ولا يجعل التغيير وبالهم ويحسن عاقبتهم ومآلهم وكفى بالله وكيلا للمتوكلين عليه والملتجئين
اليه ثم أخبر عن الدواء كما أخبر عن الداء بقوله أفلا يتدبرون القرآن والاشارة أن العباد لو كانوا
يتدبرون القرآن ويتفكرون فى آثار معجزاته وأنوار هداياته ونظم آياته وكمال فصاحته وجمال
بلاغته وجزالة ألفاظه ورزانة معانيه ومتانة مبانيه وفى أسراره وحقائقه ودقة اشاراته
ولطائفه وأنواع معالجاته لامراض القلوب من اصابة ضرر الذنوب لوجدوا فيه لكل داء دواء
ولكل مرض شفاء ولكل عين قرة ولكل وجه غرة ولرأوا كاسمه مرصوفا بالصفاء محفوظا من
القذى بحرا لا تنقضى عجائبه وبرا لا تنتهى غرائبه روضا لا تباغض فيه ولا خلاف وجنة لا تناقض
فيها ولا اختلاف ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولم يجدوا فيه نقيرا ولا
قطميرا انتهى من التأويلات النجمية (وفى المثنوى) چون تو در قرآن حق بگريختى * با روان
انبيا آميختى * هست قرآن حالهاى انبيا * ماهيان بحر پاك كبريا * ور بخوانى ونه قرآن پذير
* انبيا واوليا را ديده گير (واذا جاءهم) اى بلغ ضعفة المسلمين (أمر من الامن أو الخوف) اى
خبر من السرايا الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفر وغنيمة أو نكبة وهزيمة
(أذاعوا به) اى أفشوا ذلك الخبر وأظهروه لعدم خبرتهم بالاحوال واستنباطهم للامور وكانت
اذاعتهم مفسدة يقال أذاع السر وأذاع به والباء مزيدة (ولو ردوه) اى ذلك الخبر (الى الرسول
والى أولى الامر منهم) بترك التعرض له وجعله بمنزلة غير المسموع وتفويض أمره الى رأى
الرسول صلى الله عليه وسلم ورأى كبار أصحابه كالخلفاء الاربعة أو رأى امراء السرايا فكبار
الصحابة أولو أمر على معنى انهم البصراء بالامور وان لم يكن لهم أمر على الناس والامراء أولو
الامر على الناس مع كونهم بصراء بالامور (لعلمه) اى لعلم تدبير ما أخبروا به على اى وجه
يذكرونه (الذين) اى الرسول وأولوا الامر الذين (يستنبطونه منهم) اى يستخرجون تدبيره
بتجاربهم وأنظارهم الصحيحة ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها وأصل الاستنباط اخراج النبط
وهو الماء الذى يخرج من البئر أول ما تحفر يقال أنبط الحفار اذا بلغ الماء وسمى القوم الذين
ينزلون بالبطائح بين العراقين نبطا لاستنباطهم الماء من الارض وقيل كانوا يسمعون من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأولى الامر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء أو على خوف
واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى
أولى الامر منهم وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه
وما يأتون ويذرون منه فالمراد بالمستنبطين منهم على كلا الوجهين الرسول وأولوا الامر ومن
فى قوله يستنبطونه منهم اما تبعيضية واما بيانية تجريدية وفى الآية نهى عن افشاء السر قيل
لبعض الادباء كيف حفظك للسر قال أنا قبره ومن هذا قيل صدور الابرار قبور الاسرار
(وفى المثنوى) ور بگويى با يكى دو الوداع * كل سر جاوز الاثنين شاع * نكتة كان جست ناگه
از زبان * همچو تيرى دان كه جست آن از كمان * وانگردد از ره آن تير اى پسر * بند بايد
كرد سيلى را ز سر * وفى الآية اشارة الى أرباب السلوك اذا فتح لهم باب من الانس أو الهيبة
أو الحضور أو الغيبة من آثار صفات الجمال والجلال اذاعوه الى الاغيار ولو كان رجوعهم

فى حل هذه المشكلات الى سنن الرسول صلى الله عليه وسلم والى سير أولى الامر منهم وهم المشايخ البالغون الواصلون ومن كان له شيخ كامل فهو ولى أمره اعلمه الذين يستنبطونه منهم وهم أرباب الكشوف بحقائق الاشياء فهم الغواصون فى بحار أوصاف البشرية المستخرجون من اصداف العلوم درر حقائق المعرفة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بارسال الرسول وانزال الكتاب (لاتبعتم الشيطان) بالكفر والضلال (الا قليلا) اى الا قليلا منكم فات من خصه الله بعقل راجح وقلب غير متكدر بالانهماك فى اتباع الشهوات يهتدى الى الحق والصواب ولا يتبع الشيطان ولا يكفر بالله وان فرض عدم انزال القرآن وبعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما ممن كان على دين المسيح قبل بعثته * وقال الشيخ نجم الدين قدس سره فى تأويلاته لعل الاستثناء راجع الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانه كان قبل مبعث النبى عليه السلام يوافقه فى طلب الحق قالت عائشة رضى الله عنها لم أعقل ابوى قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشيا * وروى عن النبى عليه السلام كنت وأبو بكر كفرسى رهان سبقته فتبعنى ولو سبقنى لتبعته وفى الحقيقة كان النبى عليه السلام فضل الله ورحمته يدل عليه قوله تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا الى قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فلولا وجود النبى عليه السلام وبعثته لبقوا فى تيه الضلالة تائهين كما قال تعالى ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين يعنى قبل بعثته وكانوا قد اتبعوا الشيطان الى شفا حفرة من النار وكان عليه السلام فضلا ورحمة عليهم فأنقذهم منها كما قال تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها (قال الشيخ العطار قدس سره) خويشتن را خواجهٔ عرصات كفت * انما انا رحمة مهدات كفت * (وقال حضرة الهدائى قدس سره) سرمايهٔ سعادت عالم محمدست * مقصود از بن طينت آدم محمدست * درصورت آدم آمد اكرچه مقدما * درمعنى پيشواومقدم محمدست * كرچه هدايى امر رسالت مكرمست * محبوب حق محمدو شناست * قال بعض الحكماء ان الله تعالى خلق محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل رأسه من البركة وعينيه من الحياء وأذنيه من العبرة ولسانه من الذكر وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضا وصدره من الاخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده من الشفقة وكفيه من السخاوة وشعره من نبات الجنة وريقه من عسل الجنة فلما أكمله بهذه الصفة أرسله الى هذه الامة فقال هذا هديتى اليكم فاعرفوا قدر هديتى وعظموه كذا فى زهرة الرياض وقيل فى وجه عدم ارتحال جسده الشريف اللطيف من الدنيا مع أن عيسى عليه السلام قد عرج الى السماء بجسده انه انما بقى جسمه الطاهر هنا لاصلاح عالم الاجساد وانتظامه فانه مظهر الذات وطلسم الكائنات فجميع الانتظام بوجوده الشريف كذا فى الواقعات المحمودية نقلا عن حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس الله سره آمين آمين يارب العالمين (فقاتل فى سبيل الله) الفاء جزائية والجملة جواب لشرط مقدر اى ان تثبط المنافقون وقصر الآخرون وتركوك وحدك فقاتل أنت يا محمد وحدك فى الطريق الموصل الى رضا الله وهو الجهاد ولا تبال بما فعلوا (لا تكلف الا نفسك) مفعول ثان لفعل المخاطب المجهول اى الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم

وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود والتكلف اسم لما يفعل بمشقة أو بتصنع فالمحمود منه ما فعل بمشقة حتى ألف فقعل بمحبة كالعبادات والمذموم منه ما يتعاطى تصنعا ورياء (وحرض المؤمنين) على القتال اى رغبهم فيه بذكر الثواب والعقاب أو بوعد النصرة والغنيمة وما عليك فى شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (روى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد أبا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى فى ذى القعدة وهى سوق من المدينة على ثمانية أميال ويقال لها حمراء الاسد أيضا فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فأنزل الله هذه الآية فخرج صلى الله عليه وسلم فى سبعين راكبا فكفاهم الله القتال كما قال (عسى الله أن يكف) اى يمنع (بأس الذين كفروا) البأس فى الاصل المكروه ثم وضع موضع الحرب والقتال قال تعالى لا يأتون البأس الا قليلا وعسى من الله واجب لانه فى اللغة الاطماع والكريم اذا أطمع أنجز وقد فعل حيث ألقى فى قلوب الكفرة الرعب حتى رجعوا من مر الظهران ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا وقام بها ثمانى ليال وكان معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا كثيرا وقد مر فى سورة آل عمران (والله اشد بأسا) اى من قريش (واشد تنكيلا) اى تعذيبا وعقوبة ينكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدى اليها ويجوز أن يكونا جميعا فى الدنيا وأن يكون احدهما فى الدنيا والآخر فى العقبى ثم له ثلاثة أوجه أحدها ان معناه ان عذاب الله تعالى أشد من جميع ما ينالكم بقتالهم لان مكروههم ينقطع ثم تصيرون الى الجنة وما يصل الى الكفار والمنافقين من عذاب الله يدوم ولا ينقطع والثانى لما كان عذاب الله أشد فهو أولى أن يخاف ولا يجرى فى أمرنا بالقتال منكم خلاف وهذا وعيد والثالث لما كان عذاب الله أشد فهو يدفعهم عنكم ويكفيكم أمرهم وهذا وعد واعلم ان المتقاعدين اشدة بأس الكفار وصولتهم ولكن الله قاهر فوق عباده وقوة اليقين رأس مال الدين والموت تحفة المؤمن الكامل خصوصا اذا كان فى طريق الجهاد والدنيا سريعة الزوال ولا تبقى على كل حال وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كثيرا ما ينشد هذه الابيات

لا شئ مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويردى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجرى الرياح له * والانس والجن فيما بينها ترد
اين الملوك التى كانت لعزتها * من كل اوب اليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب * لا بد من ورده يوما كما وردوا

وفى التأويلات النجمية فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك المعنى فجاهد فى طلب الحق نفسك فان فى طلب الحق لا تكلف نفسا أخرى الا نفسك وفيه معنى آخر لا تكلف نفس أخرى بالجهاد لاجل نفسك لان حجابك من نفسك لا من نفس أخرى فدع نفسك وتعال فانك صاحب يوم لا تملك نفس لنفس شيأ وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اختص بهذا المقام من جميع الانبياء والمرسلين وأن يكون فانى النفس والذى يدل عليه ان الانبياء يوم القيامة يقولون لبقاء نفوسهم نفسى نفسى ويقول النبى عليه السلام لفناء نفسه أمتى أمتى فافهم جدا ثم قال وحرض المؤمنين على القتال يعنى فى الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ظاهرا

وباطنا فالظاهر الكفار والباطن النفس والله أشد بأسا وأشد تنكيلا فى استيلاء سطوات صفات قهره عن تجلى صفة جلاله للنفس من بأس الكافر عليها انتهى (وفى المثنوى) اندرين ره مى تراش ومى خراش * تادم آخر دمى فارغ مباش * اى شهان كشتيم ما خصمى برون * ماند خصمى زو بتر در اندرون * كشتن اين كار عقل وهوش نيست * شير باطن سخرهٔ خركوش نيست * سهل شيرى دانكه صفها بشكند * شير آن نست آنكه خودرا بشكند (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها والشفاعة الحسنة هى التى روعى بها حق مسلم ودفع بها عنه شرا أو جلب اليه خير وابتغى بها وجه الله تعالى ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت فى أمر جائز لا فى حد من حدود الله ولا فى حق من الحقوق (ومن يشفع شفاعة سيئة) وهى ما كانت بخلاف الحسنة (يكن له كفل منها) أى نصيب من وزرها مساو لها فى المقدار من غير أن ينقص منه شئ وعن مسروق انه شفع شفاعة فأهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما فى قلبك لما تكلمت فى حاجتك لا أتكلم فيما بقى منها ومن بلاغات الزمخشرى شيآن شينان فى الاسلام الشفاعة فى الحدود والرشوة فى الاحكام والحدود عقوبة مقدرة تجب على الامام اقامتها حقا لله تعالى لئلا يتضرر العباد فالتعزير ليس بحد اذ ليس له قدر معين فان أكثره تسعة وثلاثون سوطا وأقله ثلاثة وكذا القصاص لا يسمى حدا لانه حق العبد وهو ولى القصاص ولهذا اسقط بالعفو والاعتياض فحد الزنا لغير المحصن مائة جلدة وللعبد نصفها وحد شرب الخمر ثمانون سوطا للحر وأربعون للعبد مفرقا على بدنه كما فى حد الزنا وحد القذف كحد الشرب فمن قذف محصنا أو محصنة بصريح الزنا حد بطلب المقذوف المحصن لان فيه حق العبد من حيث دفع العار عنه وكذا طلب المسروق منه شرط القطع فى السرقة فهذه حدود ولا يجرى فيها الشفاعة اذا لحق علم القاضى بالواقعة ولهذا قال فى ترجمة وصايا الفتوحات المكية * ونزديك حاكم در حدود الله شفاعت مكن * از ابن عباس رضى الله عنه درخواست كردند درباب دزدى شفاعت كند ابن عباس رضى الله عنه كفت هركه شفاعت كند وهركه قبول كند هردو در لعنتند واكر پيش از آنكه بحاكم معلوم نشود ميكفت بدى شد اه * ولما كانت الشفاعة فى القصاص غير الشفاعة فى الحدود قال صلى الله عليه وسلم ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر ذكره الامام الغزالى رحمه الله وأفصح الحديث عن أن الشفاعة هى التوسط بالقول فى وصول شخص الى منفعة من المنافع الدنيوية أو الاخروية وخلاصه من مضرة ما كذلك واذا كانت فى أمر غير مشروع لا تكون صدقة بل سيئة وذكر فى ترجمة الوصايا أيضا چون براى كسى شفاعت كنى وكار او ساخته شود زنهار هديهٔ او قبول مكن كه * رسول الله صلى الله عليه وسلم از ابواب ربا نهاده است * شيخ اكبر قدس سره الاطهر فرمود كه در بعض بلاد عرب يكى از اعيان مرا بخانهٔ خود دعوت كرد وترتيبى كرده بود وكرامتى مهيا داشته چون طعام احضار كردند اورا بسلطان بلند حاجتى بود از من طلب شفاعت كرد وعرض من نزد سلطان در غايت قبول بود شيخ فرمود كه اورا كفتم نم وبرخاستم وطعام نخوردم وهدايا قبول نكردم وحاجت او پيش سلطان كزاردم واو الانوى بوى باز كشت ومرا هنوز حديث نبوى وقوف نبود ولكن مروت من

چنین تقاضا کرد و استنکاف کردم که کسی را بن حاجتی باشد و از وی بن نفعی عائد شود و در حقیقت آن عنایت و عصمت حق بوده انتهى وبالجملة ينبغي للمؤمن أن يشفع للجاني الى المجنى عليه بل ومن حقوق الاسلام أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه (قال السعدي) کر ازحق نه توفیق خیری رسد * کی از بنده خیری بغیری رسد * امیدست ازانانکه طاعت کنند * که بی طاعتانرا شفاعت کنند * ومن الشفاعة الحسنة الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله تعالى وعن النبي عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود والدعوة على المسلم بضد ذلك وانما يستجاب الدعاء بظهر الغيب لبعده عن شائبة الطمع والرياء بخلاف دعاء الحاضر للحاضر لانه قلما يسلم من ذلك فالغائب لا يدعو للغائب الا لله خالصا فيكون مقبولا والصلاة على النبي عليه السلام في الصلاة وغيرها دعاء من العبد المصلي لمحمد صلى الله عليه وسلم عن ظهر الغيب فشرع ذلك رسول الله وأمر الله به في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ليعود هذا الخير من الملك على المصلي ولهذا جوز الحنفية قراءة الفاتحة لروح المطهر عليه السلام ومنعها الشافعية لان الدعاء بالترحم يوهم التقصير ولذا لا يقال عند ذكر الانبياء رحمة الله عليهم بل عليهم السلام والجواب ان نفع القراءة يعود على القارئ فأي ضرر في ذلك (وكان الله على كل شئ مقيتا) أي مقتدرا مجازيا بالحسنة والسيئة من أقات على الشئ اذا اقتدر عليه أو شهيدا حفيظا قال الامام الغزالي في شرح الاسماء الحسنى معنى المقيت خالق الاقوات وموصلها الى الابدان وهي الاطعمة والى القلوب وهي المعرفة فيكون بمعنى الرازق الا أنه أخص منه اذ الرزق يتناول القوت وغير القوت والقوت ما يكتفى به في قوام البدن أو يكون معناه المستولي على الشئ القادر عليه والاستيلاء يتم بالقدرة والعلم وعليه يدل قوله تعالى وكان الله على كل شئ مقيتا أي مطلعا قادرا فيكون معناه راجعا الى العلم والقدرة فوصفه بالمقيت أتم من وصفه بالقادر وحده وبالعالم وحده لانه دال على اجتماع المعنيين وبذلك يخرج هذا الاسم من الترادف * والاشارة في الآية من يشفع شفاعة حسنة لايصال نوع من الخيرات الى الغير يكن له نصيب منها فانها من خصوصيتها أن يكون له نصيب منها أي له نصيب من هذه الحسنة في تلك الخصوصية قد يشفع شفاعة حسنة ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له أي في جبلته كفل منها يعني من تلك السيئة التي هي ايصال نوع من الشر فبها قد يشفع شفاعة سيئة كما قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ان الله كان في الازل على كل شئ مقيتا شهيدا في ايجاد المحسن والمسيء مقتدرا عليما حفيظا يعطيهما استعدادا شفاعة حسنة وسيئة لا يقدران اليوم على تبديل استعدادهما القابلية الخير والشر فافهم جدا (قال الحافظ) نقش مستوری ومستی نه بدست من وتست * آنچه استاد ازل کفت بکن آن کردم (وقال السعدي) کرت صورت حال بدیا نکوست * نکار یدهٔ دست تقدیر اوست * (واذا حييتم بتحية) التحية مصدر حيا كالتسمية من سمى اصلها تحيية كتفعلة وأصل الاصل تحيي بثلاث ياآت فحذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التأنيث وأدغمت الاولى في الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء وأصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء لان الدعاء

بالخير لا يخلو شيء منه عن الدعاء بنفس الحياة أو عما هو السبب المؤدي الى قوتها وكمالها أو عما هو الغاية المطلوبة منها وكانت العرب اذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك الله أي جعل الله لك حياة وأطال حياتك ويقول بعضهم عش ألف سنة ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام قال تعالى فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله قيل تحية النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع وتحية المجوس الانحناء وفي السلام مزية على تحية العرب وهي حياك الله لما أنه دعاء بالسلامة من الآفات الدينية والدنيوية فانه اذا قال الانسان لغيره السلام عليك فقد دعا في حقه بالسلامة منها ويتضمن الوعد بسلامة ذلك الغير وأمانه منه كأنه قال أنت سليم مني فاجعلني سليما منك والسلامة مستلزمة لطول الحياة وليس في الدعاء بطول الحياة ذلك ولان السلام من أسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته ومعنى الآية اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين (فحيوا بأحسن منها) أي بتحية أحسن منها بأن تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول وبأن تزيدوا وبركاته ان جمعهما المسلم وهو أن يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته منتهى الامر في السلام لكونه مستجمعا لجميع فنون المطالب التي هي السلامة من المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها ولهذا اقتصر على هذا القدر في التشهد (روي) عنه عليه السلام أنه قال من قال السلام عليكم كتب له عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتب له عشرون حسنة ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة والمبتدئ بالسلام ان شاء يقول السلام عليكم وان شاء يقول سلام عليكم لان كل واحد من التعريف والتنكير وارد في ألفاظ القرآن قال الله تعالى والسلام على من اتبع الهدى وسلام على عباده الذين اصطفى لكن التنكير أكثر والكل جائز واما التحليل من الصلاة فلا بد فيه من الالف واللام بالاتفاق ومعنى الجمع في السلام عليكم الخطاب الى الرجل والملكين الحافظين معه فانهما يردان السلام ومن سلم عليه الملك فقد سلم من عذاب الله تعالى (أو ردوها) أي ردوا مثلها وأجيبوا به لان رد عينها محال فحذف المضاف نحو واسأل القرية قال في الكشاف رد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره (وروي) أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وتلا الآية أي اين رد الاحسن المذكور في الآية فقال عليه السلام انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله فيكون قوله عليه السلام وعليك أي وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من قبيل رد المثل وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها قال أبو يوسف من قال لآخر أقرئ فلانا مني السلام وجب عليه أن يفعل واذا ورد سلام في كتاب فجوابه واجب بالكتاب للآية (ان الله كان على كل شيء حسيبا) الحسيب بمعنى المحاسب على العمل كالجليس بمعنى المجالس أي انه تعالى كان على كل شيء من أعمالكم سيما رد السلام بمثله أو بأحسن منه محاسبا مجازيا فحافظوا على مراعاة التحية حسبما أمرتم به فالجمهور على ان الآية في السلام فالسنة أن يسلم الراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير ويسلم على

الصبيان وهو أفضل من تركه قال في البستان وبه نأخذ ويسلم على أهل بيته حين يدخل فان دخل بيتا ليس فيه أحد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان الملائكة ترد عليه السلام ويسلم على القوم حين يدخل عليهم وحين يفارقهم أيضا فمن فعل ذلك شاركهم في كل خير عملوه بعده قال القرطبي ولا يسلم على النساء الشابات الاجانب خوف الفتنة من مكالمتهن بنزغة شيطان أو خائنة عين وأما السلام على المحارم والعجائز فحسن ويسلم على أهل الاسلام من عرف منهم ومن لم يعرف ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره قال ابن الشيخ في حواشيه ومن دخل الحمام ورأى الناس متزرين يسلم عليهم وان لم يكونوا متزرين لا يسلم عليهم لانه لا يسلم على المشتغل بمعصية انتهى لكن قال الامام الغزالي في الاحياء لا يسلم عند الدخول أي في الحمام وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان أجاب غيره وان أحب أن يجيب قال عافاك الله ولا بأس أن يفتتح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام انتهى ولا يرد في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة وكذا لا يرد القاضي اذا سلم عليه الخصمان وكذا لا يسلم القاضي على الخصوم اذا جلس للحكم لتبقى الهيبة وتكثر الحشمة وبهذا يجري الرسم بأن الولاة والامراء لا بأس بأن لا يسلموا اذا دخلوا فالمحتسب لا يسلم على أهل السوق في طوافه للحسبة ليبقى على الهيبة وقال بعضهم لا يسع القاضي والوالي والامير ترك السلام اذا دخلوا لانه سنة فلا يسعهم ترك السنة بسبب تقلد العمل وكذا المتصدق اذا سلم عليه السائل أوان سؤاله لا يرد وكذا من له ورد من القرآن والدعوات فسلم عليه احد في حال ورده لا يرده وكذا اذا جلس في المسجد للتسبيح أو القراءة أو لانتظار الصلاة واذا دخل الزائر في المسجد فسلم عليه أحد من الداخلين في المسجد يجوز واذا لم يكن في المسجد أحد الا من يصلي ينبغي أن يقول الداخل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ولا يسلم فانه تكليف جواب في غير محله حتى لا يرده قبل الفراغ وبعده وهو الصحيح ولا يبادر بالسلام على الذمي الا لضرورة أو حاجة له عنده ولا بأس بالدعاء للكافر والذمي بما يصلحه في دنياه قال ابن الملك الدعاء لاهل الكتاب بمقابلة احسانهم غير ممنوع لما روي أن يهوديا حلب للنبي عليه السلام لقحة فقال عليه السلام اللهم جمله فبقي سواد شعره الى قريب من سبعين سنة قال النووي الصواب ان ابتداء أهل الكتاب بالسلام حرام لانه اعزاز ولا يجوز اعزاز الكفار وقال الطيبي المختار ان المبتدع لا يبدأ بالسلام ولو سلم على من لا يعرفه فظهر ذميا أو مبتدعا يقول استرجعت سلامي تحقيرا له وأما الاكل مع الكافر فان كان مرة أو مرتين لتأليف قلبه على الاسلام فلا بأس فانه صلى الله عليه وسلم أكل مع كافر مرة فحملناه على أنه كان لتأليف قلبه على الاسلام ولكن تكره المداومة عليه كما في نصاب الاحتساب وفيه أيضا هل يحتسب على المسلم اذا شارك ذميا الجواب نعم اما في المفاوضة فلانها غير جائزة بين المسلم والذمي فكان الاحتساب عليه لدفع التصرف الفاسد وأما في العنان فلانها مكروهة بين المسلم والذمي من شرح الطحاوي فكان الاحتساب لدفع المكروه واذا سلم الذمي فقل عليك بلا واو وهو الرواية من الثقات أو عليك مثله قال في الكشف ولا يقال لاهل الذمة وعليكم بالواو لانه للجمع وقال عليه السلام اذا سلم عليكم أحد من اليهود فانما يقول السام عليكم فقل عليك أي عليك مثله (وروى)

انه عليه السلام أتاه ناس من اليهود فقالوا السام عليكم يا أبا القاسم فقال عليكم فقالت عائشة
بل عليكم السام والزام فقال عليه السلام يا عائشة ان الله لا يحب الفحش والتفحش قالت فقلت
اما سمعت ما قالوا قال أوليس قد رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيّ والسنة الجهر
في السلام لقوله عليه السلام أفشوا السلام وعن أبي حنيفة رحمة الله عليه لا يجهر بالرد يعني
الجهر الكثير (وحكي) أن سياحا دخل على عالم فسلم عليه فرد عليه السلام وخافت ثم دخل عليه
غني فسلم فرد عليه الجواب وجهر فصاح السياح وقال رحمك الله ما تقول في السلام أعلى
نوعين أم على ثلاثة أنواع فقال لا بل على نوع واحد فقال أيد الله الفقيه أرى السلام ههنا على
نوعين فقصر الفقيه وخجل في نفسه فقال أيد الله الفقيه أسألك مسئلة ما تقول فيمن حلف لا يدخل
الدار التي بنيت بغير سنة فدخل دارك هذه أيحنث أم لا فسكت الفقيه فلم يجبه فقال تلاميذ
الفقيه للسياح اخرج فانك شغلتنا فقال أيها الشبان ما مثله ومثلكم الا كمثل ضال ضل طريقه
فجعل يسترشد من ضال مثله أيرشده أم لا فهذا أستاذكم ضل طريق الآخرة وأنتم جئتم تطلبون
منه أن يرشدكم فأنى يرشدكم ثم خرج كذا في روضة العلماء (قال الصائب) زبي دردان علاج درد
خود جستن بآن ماند * كه خار از پا برون آرد كسي با نيش عقربها * الى هنا كلام الاحياء فاذا بلغ
المقابر ومر بها قال وعليكم السلام أهل الديار من المسلمين والمؤمنين رحم الله المستقدمين
منكم والمستأخرين منا أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا
ولكم العافية وفي الحديث ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد
عليه السلام قال ابن السيد علي في شرح الشرعة ولعل المراد أنه يرد السلام بلسان الحال
لا بلسان المقال يؤيده ما ورد في بعض الاخبار من انهم يتأسفون على انقطاع الاعمال عنهم حتى
يتحسرون على رد السلام وثوابه انتهى قال الامام السيوطي رحمه الله الاحاديث والآثار تدل
على أن الزائر متى جاء علم به المزور وسمع كلامه وأنس به ورد عليه وهذا عام في حق الشهداء
وغيرهم وأنه لا توقيت في ذلك وهو الاصح لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرع لامته أن يسلموا
على أهل القبور سلام من يخاطبون من يسمع ويعقل قال أرباب الحقيقة للروح اتصال بالبدن
بحيث يصلي في قبره ويرد على المسلم عليه وهو في الرفيق الاعلى ومقره في عليين ولا تنافي بين
الامرين فان شأن الارواح غير شأن الابدان وانما يأتي الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد
فيعتقد أن الروح مما يعهد من الاجسام التي اذا شغلت مكانا لم يمكن أن تكون في غيره وقد
مثل بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الارض كالروح المحمدي ترد على من يصلي عليه عند
قبره دائما مع القطع بأن روحه في أعلى عليين وهو لا ينفك عن قبره كما قال عليه السلام ما من مسلم
يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام فان قلت هل يلزم تعدد الحياة من تلك
وكيف يكون ذلك قلت يؤخذ من هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم حي على الدوام
في البرزخ الدنيوي لانه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد يسلم على النبي عليه السلام
في ليل أو نهار فقوله صلى الله عليه وسلم رد الله علي روحي أي أبقى الحق في شعور روحاني الحسي
في البرزخ وادراك الحواس من السمع والنطق فلا ينفك الحس والشعور الكلي عن الروح
المحمدي الكلي ليس له غيبة عن الحواس والاكوان لانه روح العالم الكلي وسره الساري (قال

العطار قدس سره في نعت النبي المختار) خواجه كز هرچه كويم بيش بود * در همه چيزى
همه در پيش بود * وصف او در كفت چون آيد مرا * چون عرق از شرم خون آيد مرا * او فصيح
عالم ومن لال او * كى توانم داد شرح حال او * وصف او كى لايق اين ناكست * واصف او خالق
عالم بس است * انبيا از وصف تو حيران شده * سر شناسان نيز سر كردان شده * والاشارة في الآية
واذا حييتم بتحية من الخير والشر فحيوا بأحسن منها اما الخير فحيوا أحسن منه واما الشر فبحلم
وعفو أو مكافأة بالخير أو ردوها يعني كافؤا المحسن بمثل احسانه والمسيء بمثل اساءته يدل عليه
قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال وأن تعفوا أقرب للتقوى وقد ورد عن النبي عليه
السلام عن جبريل عن الله تعالى في تفسير قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
وقال النبي عليه السلام تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك ان الله كان على كل
شيء من العفو والاحسان حسيبا محاسبا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره كذا في التأويلات النجمية (الله) مبتدأ وخبره قوله (لا اله الا هو) أي لا اله في الارض
ولا في السماء غيره (ليجمعنكم) جواب قسم محذوف أي والله ليحشرنكم من قبوركم (الى)
حساب (يوم القيامة) والقيامة بمعنى القيام والتاء للمبالغة لشدة ما يقع فيه من الهول (لا ريب
فيه) حال من اليوم أي حال كون ذلك اليوم لا شك فيه انه كائن لا محالة أو صفة مصدر محذوف
أي جمعا لا ريب فيه فضمير فيه يرجع الى الجمع (ومن أصدق من الله حديثا) انكار لان يكون أحد
أكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال دون غيره
وفي الحديث (كذبني ابن آدم) أي نسبني الى الكذب (ولم يكن له ذلك) يعني لم يكن التكذيب
لائقا به بل كان خطأ (وشتمني) الشتم وصف الغير بما فيه نقص وازراء (ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه
اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني) يعني لن يحييني الله تعالى بعد موتي (وليس أول الخلق باهون
علي من اعادته) بل اعادته أسهل لوجود أصل البنية وهذا مذكور على طريق التمثيل لان
الاعادة بالنسبة الى قوانا أيسر من الانشاء وأما بالنسبة الى قدرة الله تعالى فلا سهولة له في شيء ولا
صعوبة (واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا) وانما صار هذا شتما لان التولد هو انفصال الجزء
من الكل بحيث ينمو وهذا انما يكون في المركب وكل مركب محتاج (وأنا الاحد) أي المنفرد
بصفات الكمال من البقاء والتنزه وغيرهما (الصمد) يعني المصمود يعني المقصود اليه في كل
الحوائج (الذي لم يلد) هذا نفي للتشبيه والمجانسة (ولم يولد) هذا وصف بالقدم والاولية (ولم يكن له
كفوا أحد) هذا تقرير لما قبله كذا في شرح المشارق لابن الملك واعلم أن القيامة ثلاث الصغرى
وهي موت كل أحد قال النبي عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والوسطى وهي موت جميع
الخلائق بالنفخة الاولى والكبرى وهي حشر الاجساد والسوق الى المحشر للجزاء بالنفخة الثانية
(وفي المثنوى) سازد اسرافيل روزى ناله را * جان دهد پوسيده صد ساله را * هين كه اسرافيل
وقتند اوليا * مرده را زيشان حياتست ونما * وانما تحصل الحياة الباقية بعد الفناء عن النفس
وأوصافها وطريقه ذكر الله تعالى بالاخلاص فاذا تجلى معنى لفظ الجلالة الذي هو الاسم
الاعظم يضمحل العالم والوجود ويحصل الاستغراق في بحر التوحيد فاذا استغرق فيه يغيب عنه
ما سوى الله تعالى كالانسان اذا استغرق في الماء لا يرى الغير أصلا قال الشيخ ابو يزيد

البسطامى ومن قال الله وقلبه غافل عن الله فخصمه الله (وحكى) ان بعض الصلحاء دخل ليلة
بقبولجة فى بلدة بروسة فرأى انه قد وضع سرير على الحوض وعليه بنت سلطان الجن ومعها
جماعة كثيرة من هذه الطائفة فسألهم عن أصل ماء قبولجة فأرسلت بعض جماعتها الى أصله
فرأى انه ماء بارد فقال كيف يكون هذا أصله وهو حار فقالوا جماعتنا يذكرون فى رأس هذا
الماء فى كل أسبوع الاسم الله والاسم هو فحرارته يسخن الماء فتأثير الذكر غير منكر خصوصا
من لسان أرباب التزكية والتصفية (وفى المثنوى) ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز * چشم
نركس را ازين كركس بدوز * والاشارة فى الآية الله لا اله الا هو يعنى كان الله فى الازل لا اله أى لم
يكن معه أحد يوجد الخلق من العدم الا هو ليجمعنكم فى العدم مرة أخرى الى يوم القيامة
فيفرقكم فيها فريق فى الجنة وفريق فى السعير وفريق فى مقعد صدق عند مليك مقتدر لا ريب
فيه أى لا شك فى الرجوع الى هذه المنازل والمقامات ومن أصدق من الله حديثا ليحدثكم
بمصالح دينكم ودنياكم ومفاسد أخراكم وأولاكم ويهديكم الى الهدى وينجيكم من الردى
كذا فى التأويلات النجمية (فما لكم) أيها المؤمنون والمراد بعضهم قوله ما مبتدأ ولكم خبره
والاستفهام للانكار والنفى (فى المنافقين) متعلق بما تعلق به الخبر أى أى شئ كائن لكم فيهم أى
فى أمرهم وشأنهم (فئتين) أى فرقتين وهو حال من الضمير المجرور فى لكم والمراد انكار أن يكون
للمخاطبين شئ مصحح لاختلافهم فى أمر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجرائهم
مجرى المجاهرين بالكفر فى جميع الاحكام وذلك ان ناسا من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة
حتى لحقوا بالمشركين بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون
فأنزل الله تعالى الآية (والله أركسهم) حال من المنافقين أى والحال انه تعالى ردهم الى الكفر
وأحكامه من الذل والصغار والسبى والقتل والاركاس الرد والرجع يقال ركست الشئ
وأركسته لغتان اذا رددته وقلبت آخره على أوله (بما كسبوا) أى بسبب ما كسبوا من الارتداد
واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتريدون) أيها المخلصون
القائلون بايمانهم (أن تهدوا من أضل الله) أى تجعلوه من المهتدين ففيه توبيخ لهم على زعمهم
ذلك واشعار بأنه يؤدى الى المحال الذى هو هداية من اضل الله تعالى وذلك لان الحكم
بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعى فى هدايتهم وارادة لها (ومن يضلل الله) أى
ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان (فلن تجد له سبيلا) من السبل فضلا عن أن تهديه اليه
وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق
التفصيل والجملة حال من فاعل تريدون أو تهدوا والرابط هو الواو (ودوا لو تكفرون) بيان
لغلوهم وتماديهم فى الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم فى أنفسهم وكلمة
لو مصدرية فلا جواب لها أى تمنوا أن تكفروا (كما كفروا) نصب على أنه نعت لمصدر محذوف
أى كفرا مثل كفرهم فما مصدرية (فتكونون سواء) عطف على تكفرون والتقدير ودوا كفركم
وكونكم مستوين معهم فى الضلال وفيه اشارة الى أن من ود الكفر لغيره كان ذلك من أمارات
الكفر فى باطنه وان كان يظهر الاسلام لانه يريد تسوية الاعتقاد فيما بينهما وهذا من خاصية

الانسان يحب أن يكون كل الناس على مذهبه واعتقاده ودينه وقال صلى الله عليه وسلم الرضا
بالكفر كفر (فلا تتخذوا منهم أولياء) أى اذا كان حالهم ماذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم
(حتى يهاجروا فى سبيل الله) أى حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله
عليه السلام لا لغرض من اغراض الدنيا وسبيل الله ما أمر بسلوكه (فان تولوا) أى عن الايمان
المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة (فخذوهم) اذا قدرتم عليهم (واقتلوهم حيث وجدتموهم)
من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا)
أى جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة أبدا * والاشارة فى الآية الى أرباب
الطلب السائرين الى الله تعالى فانهم نهوا عن اتخاذ أهل الدنيا أحباء وعن مخالطتهم حتى
يهاجروا عما هم فيه من الحرص والشهوة وحب الدنيا وينفقوهم فى طلب الحق وأمروا بأن
يعظوهم بالوعظ البليغ و يقتلوهم أى أنفسهم وصفاتها الغالبة كلما رأوهم (الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أى الا الذين يتصلون وينتهون
الى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة
هلال بن عويمر الاسلمى على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل الى هلال ولجأ اليه فله
من الجوار مثل الذى لهلال (أو جاؤكم) عطف على الصلة أى والذين جاؤكم كافين عن قتالكم
وقتال قومهم استثنى من المأمور بأخذهم وقتلهم فريقان أحدهما من ترك المحاربين ولحق
بالمعاهدين والآخر من أتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين (حصرت صدورهم) حال باضمار
قد أى وقد ضاقت صدورهم فان الحصر بفتحتين الضيق والانقباض (أن يقاتلوكم) أى ضاقت
عن أن يقاتلوكم مع قومهم (أو يقاتلوا قومهم) معكم والمراد بالجائين الذين حصرت صدورهم
عن المقاتلة بنو مدلج وهم كانوا عاهدوا أن لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا أن لا يقاتلوهم
فضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذى بينكم ولانه تعالى قذف الرعب فى قلوبهم وضاقت
صدورهم عن قتال قومهم لكونهم على دينهم فنهى الله تعالى عن قتل هؤلاء المرتدين اذا
اتصلوا باهل عهد للمؤمنين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم فى حقن الدم (ولو شاء
الله لسلطهم) أى بنى مدلج (عليكم) بأن قوى قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم قال
فى الكشاف فان قلت كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم
الا لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين
مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط (فلقاتلوكم) عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب
لو على التكرير (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) أى فان لم يتعرضوا لكم مع ما علمتم من تمكنهم من
ذلك بمشيئة الله تعالى (وألقوا اليكم السلم) أى والانقياد والاستسلام (فما جعل الله لكم عليهم
سبيلا) أى طريقا بالاسر أو بالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم أيضا والقاءهم
اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية فى استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم قال بعضهم الآية منسوخة
بآية القتال والسيف وهى قوله تعالى اقتلوا المشركين وقال آخرون انها غير منسوخة وقال
اذا حملنا الآية على المعاهدين فكيف يمكن أن يقال انها منسوخة قال الحدادى فى تفسيره
لا يجوز مهادنة الكفار وترك أحد منهم على الكفر من غير جزية اذا كان بالمسلمين قوة على القتال

واما اذا عجزوا عن مقاومتهم وخافوا على أنفسهم وذراريهم جاز لهم مهادنة العدو من غير جزية يؤدونها اليهم لان حظر الموادعة كان بسبب القوة فاذا زال السبب زال الحظر (ستجدون) قوما (آخرين يريدون أن يأمنوكم) أى يظهرون لكم الصلح يريدون أن يأمنوا منكم بكلمة التوحيد يظهرونها لكم (و يأمنوا قومهم) أى من قومهم بالكفر فى السر وهم قوم من أسد وغطفان اذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم (كلما ردوا الى الفتنة) دعوا من جهة قومهم الى قتال المسلمين (أركسوا فيها) عادوا اليها وقلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير (فان لم يعتزلوكم) بالكف عن التعرض لكم بوجه ما (ويلقوا اليكم السلم) أى لم يلقوا الصلح والعهد بل نبذوه اليكم (ويكفوا أيديهم) أى لم يكفوها عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) أى تمكنتم منهم (وأولئكم) الموصوفون بما عدّ من الصفات القبيحة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) أى حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر وغدرهم واضرارهم بأهل الاسلام * والاشارة فى الآية الاولى ان الاختلاف واقع بين الامة فى ان خذلان المنافقين هل هو أمر من عند أنفسهم أو أمر من عند الله وقضائه وقدره فبين الله بقوله فما لكم فى المنافقين فئتين أى صرتم فرقتين فرقة يقولون الخذلان فى النفاق منهم وفرقة يقولون من الله وقضائه وقدره والله أركسهم بما كسبوا يعنى ان الله أركسهم بقدره وردهم بقضائه الى الخذلان بالنفاق ولكن بواسطة كسبهم ما ينبت النفاق فى قلوبهم ليهلك من هلك عن بينة ولهذا مثال وهو ان القدر كتقدير النقاش الصورة فى ذهنه والقضاء كرسمه تلك الصورة لتلميذه بالاسرب ووضع التلميذ الاصباغ عليها متبعا لرسم الاستاذ كالكسب والاختيار فالتلميذ فى اختياره لا يخرج عن رسم الاستاذ وكذلك العبد فى اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء والقدر ولكنه متردد بينهما ومما يؤكد هذا المثال والتأويل قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وقال واصبر وما صبرك الا بالله وذلك مثل ما ينسب الفعل الى السبب الاقرب تارة والى السبب الابعد أخرى فالاقرب كقولهم قطع السيف يد فلان والابعد كقولهم قطع الامير يد فلان ونظيره قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وفى موضع الله يتوفى الانفس حين موتها قال ابن نباتة

اذا ما الاله قضى أمره * فأنت لما قد قضاه السبب

فعلى هذه القضية من زعم أن لا عمل للعبد أصلا فقد عاند وجحد ومن زعم أنه مستقل بالعمل فقد أشرك فاختيار العبد بين الجبر والقدر لان أول الفعل وآخره الى الله فالعبد بين طرفى الاضطرار مضطر الى الاختيار فافهم جدا كذا فى التأويلات النجمية واعلم ان الجبرية ذهبت الى انه لا فعل للعبد اصلا ولا اختيار وحركته بمنزلة حركة الجمادات والقدرية الى ان العبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصى بتقدير الله تعالى ومذهب أهل السنة والجماعة الجبر المتوسط هو اثبات الكسب للعبد واثبات الخلق لله تعالى وأما مشاهدة الآثار فى الافعال من الله تعالى كما عليه أهل المكاشفة فذلك ليس من قبيل الجبر (قال فى المثنوى) كر بپرانيم تيران نى زماست * ما كمان وتير اندازش خداست * اين نه جبر اين معنى جبارىست * ذكر جبارى براى زاريست * زارئ ما شد دليل اضطرار * خجلت ما شد دليل اختيار * (وما كان لمؤمن) أى وما صح له ولا

لا قيحاله (أن يقتل مؤمنا) بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك (الا خطأ) أى ليس من شأنه ذلك في حال من الاحوال الا حال الخطأ فانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية فالمؤمن مجبول على أن يكون محلا لان يعرض له الخطأ كثيرا والخطأ ما لا يقارنه القصد الى الفعل أو الى الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالبا أو لا يقصد به محظور كرمى مسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه (روى) ان عياش بن أبى ربيعة وكان أخا أبى جهل لامه أسلم وهاجر الى المدينة خوفا من أهله وذلك قبل هجرة النبى عليه السلام فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحرث بن زيد بن أبى أنيسة فأتياه وهو فى اطم أى جبل فتل منه أبو جهل فى الذروة والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر أمك ولك علينا أن لا نكرهك على شئ ولا نحول بينك وبين دينك حتى نزل وذهب معهما فلما بعدا من المدينة شدا يديه الى خلف بحبل وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحرث هذا أخى فمن أنت يا حارث لله على ان وجدتك خاليا ان أقتلك وقدما به على أمه فحلفت لا يحل وثاقه حتى يرجع عن دينه ففعل بلسانه مطمئنا قلبه على الايمان ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحرث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء فلم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم أخبر باسلامه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم أشعر باسلامه فنزلت (ومن قتل مؤمنا خطأ) صغيرا كان أو كبيرا (فتحرير رقبة) أى فعليه اعتاق نسمة عبر عن النسمة بالرقبة كما يعبر عنها بالرأس (مؤمنة) محكوم باسلامها سواء تحققت فيها فروع الايمان وثمراته بأن صلت وصامت أو لم تتحقق فدخل فيها الصغير والكبير والذكر والانثى وهذا التحرير هو الكفارة وهى حق الله تعالى الواجب على من قتل مؤمنا مواظبا على عبادة الله تعالى والرقيق لا يمكنه المواظبة على عبادة الله تعالى فاذا أعتقه فقد أقامه مقام ذلك المقتول فى المواظبة على العبادات (ودية مسلمة الى أهله) أى مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث بعد قضاء الدين منها وتنفيذ الوصية واذا لم يبق وارث فهى لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال صلى الله عليه وسلم أنا وارث من لا وارث له (الا أن يصدقوا) أى يتصدق أهله عليه سمى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وفى الحديث كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه المقدر عند قوله ودية مسلمة أو بمسلمة أى تجب الدية ويسلمها الى أهله الا وقت تصدقهم عليه لان الدية حق الورثة فيملكون اسقاطها بخلاف التحرير فانه حق الله تعالى فلا يسقط بعفو الاولياء واسقاطهم واعلم ان الدية مصدر من ودى القاتل المقتول اذا أعطى وليه المال الذى هو بدل النفس وذلك المال يسمى الدية تسمية بالمصدر والتاء فى آخرها عوض عن الواو المحذوفة فى الاول كما فى العدة وهى أى الدية فى الخطأ من الذهب ألف دينار ومن الفضة عشرة آلاف درهم وهى على العاقلة فى الخطأ وهم الاخوة وبنو الاخوة والاعمام وبنو الاعمام يسلمونها الى أولياء المقتول ويكون القاتل كواحد من العاقلة يعنى يعطى مقدار ما أعطاه واحد منهم لانه هو الفاعل فلا معنى لاخراجه ومؤاخذة غيره وسميت الدية عقلا لانها تعقل الدماء أى تمسكها من ان يسفك الدم لان الانسان يلاحظ وجود الدية بالقتل فيجتنب عن سفك الدم فان لم تكن له عاقلة كانت الدية فى بيت المال فى ثلاث سنين فان لم يكن له ففى ماله (فان كان) أى المقتول (من قوم عدو لكم) كفار محاربين (وهو مؤمن) ولم يعلم

به القاتل لكونه بين أظهرهم بأن أسلم فيما بينهم ولم يفارقهم بالهجرة الى دار الاسلام أو بأن أسلم بعدما فارقهم لمهم من المهمات (فتحرير رقبة مؤمنة) أى فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذلا وراثة بينه وبين أهله لكونهم كفارا ولانهم محاربون (وان كان) أى المقتول المؤمن (من قوم) كفرة (بينكم وبينهم ميثاق) أى عهد مؤقت أو مؤبد (فدية) أى فعلى قاتله دية (مسلمة الى أهله) من أهل الاسلام ان وجدوا (وتحرير رقبة مؤمنة) كما هو حكم سائر المسلمين (فمن لم يجد) أى رقبة لتحريرها بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها وهو ما يصلح أن يكون ثمنا للرقبة فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وسائر حوائجه الضرورية من المسكن وغيره (فصيام) أى فعليه صيام (شهرين متتابعين) وايجاب التتابع يدل على ان المكفر بالصوم لو أفطر يوما فى خلال شهرين أو نوى صوما آخر فعليه الاستئناف الا أن يكون الفطر بحيض أو نفاس أو نحوهما مما لا يمكن الاحتراز عنه فانه لا يقطع التتابع والاطعام غير مشروع فى هذه الكفارة بدليل الفاء الدالة على ان المذكور كل الواجب واثبات البدل بالرأى لا يجوز فلا بد من النص (توبة) كائنة (من الله) ونصبه على المفعول له أى شرع لكم ذلك توبة أى قبولا لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته فان قيل قتل الخطأ لا يكون معصية فما معنى التوبة قلت ان فيه نوعا من التقصير لان الظاهر أنه لو بالغ فى الاحتياط لما صدر عنه ذلك فقوله توبة من الله تنبيه على انه كان مقصرا فى ترك الاحتياط (وكان الله عليما) بحاله أى بأنه لم يقصد القتل ولم يتعمد فيه (حكيما) فيما أمر فى شأنه * والاشارة فى قوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين أن تربية النفس وتزكيتها ببذل المال وترك الدنيا مقدم على تربيتها بالجوع والعطش وسائر المجاهدات فان حب الدنيا رأس كل خطيئة وهى عقبة لا يقتحمها الا الفحول من الرجال كقوله تعالى فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة الآية وان أول قدم السالك أن يخرج من الدنيا وما فيها وثانيه أن يخرج من النفس وصفاتها كما قال دع نفسك وتعال والامساك عن المشارب كلها من الدنيا والآخرة على الدوام انما هو بجذبة من الله تعالى واعطائه القابلية لذلك (كما قيل) داد حق را قابليت شرط نيست * بلكه شرط قابليت داد حق * (حكى) ان أولاد هرون الرشيد كانوا زهادا لا يرغبون فى الدنيا والسلطنة فلما ولد له ولد قيل له أدخله فى بيت من زجاج يعيش فيه مع التنعم والترنم والاغانى حتى يليق للسلطنة ففعل فلما كبر كان يوما يأكل اللحم فوقع عظم من يده فانكسر الزجاج فرأى السماء والارض فسأل عنهما فأجابوا على ما هو فطلب منهم أن يخرجوه من البيت فلما خرج رأى ميتا وجاء اليه وتكلم له فلم يتكلم فسأل عنه فقالوا هو ميت لا يتكلم فقال وأنا أكون كذلك قالوا كل نفس ذائقة الموت فتركهم وذهب الى الصحراء فذهبوا معه فاذا خمسة فوارس جاؤا اليه ومعهم فرس ليس عليه أحد فأركبوه وأخذوه وغابوا وليس كل قلب يصلح لمعرفة الرب كما ان كل بدن لا يصلح لخدمته ولهذا قال تعالى وكان الله عليما أى بمن يصلح للجذبة والخدمة (قال الصائب) در سر هر خام طينت نشئه منصور نيست * هر سفالى را صداى كاسهء فغفور نيست * وهذا لا يكون بالدعوى فان المحك يميز الجيد والزيوف وعالم الحقيقة لا يسعه القيل والقال ألا يرى ان من كان سلطانا أعظم لا يرفع صوته بالتكلم لانه فى عالم المحو وكان أمر سليمان عليه السلام لآصف بن برخيا باتيان عرش بلقيس مع انه فى مرتبة النبوة لذلك أى لما أنه كان

في عالم الاستغراق فلم يرد التنزل وقوله عليه السلام لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل اشارة الى تلك المرتبة اللهم اجعلنا من الواصلين الى جناب قدسك والمتنعمين في محاضر قربك وأنسك (ومن يقتل مؤمنا) حال كون ذلك القاتل (متعمدا) في قتله أي قاصدا غير مخطئ روى ان مقيس بن حبابة الكنانى كان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه قتيلا في بني النجار فأتى رسول الله عليه السلام وذكر له القصة فأرسل عليه السلام معه الزبير بن عياض الفهري وكان من أصحاب بدر الى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله عليه السلام ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فأتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق أتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال أتقبل دية أخيك فتكون سبة عليك أي عارا اقتل هذا الفهري الذي معك فتكون نفس مكان نفس وتبقى الدية فضلة فرماه بصخرة فشدخ رأسه فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها الى مكة كافرا وهو يقول

قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بني النجار أصحاب فارع
وأدركت ثاري واضطجعت موسدا * وكنت الى الاوثان أول راجع

فنزلت الآية وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح عمن آمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة (ونعم ما قيل) هركه كند بخود كند * كرهمه نيك وبد كند (فجزاؤه) الذي يستحقه بجنايته (جهنم) وقوله تعالى (خالدا فيها) حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه مقام الكلام كانه قيل فجزاؤه أن يدخل جهنم خالدا فيها (وغضب الله عليه) عطف على مقدر تدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستئناف تقريرا وتأكيدا لمضمونها حكم الله بأن جزاءه ذلك وغضب عليه أي انتقم منه (ولعنه) أي أبعده عن الرحمة بجعل جزائه ماذكر (وأعد له) في جهنم (عذابا عظيما) لا يقادر قدره واعلم ان العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب والكلام في كفر من استحل دم المؤمن وخلوده في النار حقيقة فأما المؤمن اذا قتل مؤمنا متعمدا غير مستحل لقتله فلا يكفر بذلك ولا يخرج من الايمان فان أقيد ممن قتله كذلك كان كفارة له وان كان تائبا من ذلك ولم يكن مقادا كانت التوبة أيضا كفارة له لان الكفر أعظم من هذا القتل فاذا قبلت توبة الكافر فتوبة هذا القاتل أولى بالقبول وان مات بلا توبة ولا قود فأمره الى الله تعالى ان شاء غفر له وأرضى خصمه وان شاء عذبه على فعله ثم يخرجه بعد ذلك الى الجنة التي وعده بايمانه لان الله لا يخلف الميعاد فالمراد بالخلود في حقه المكث الطويل لا الدوام مع ان هذا اخبار منه تعالى بأن جزاءه ذلك لا بأنه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بأنه تعالى يجزي كل سيئة مثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير وقد يقول الانسان لمن يزجره عن أمر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا فهذا التشديد والتغليظ الذي هو سنة الله تعالى لا يتعلق بالقاتل التائب ولا بمن قتل عمدا بحق كما في القصاص بل يتعلق بمن لم يتب وبمن قتل ظلما وعدوانا وفي الحديث لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو أن رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشترك في دمه وفيه من أعان على قتل

مسلم بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى وفيه ان هذا الانسان
بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وقد روى أن داود عليه السلام أراد بنيان بيت المقدس فبناه
مرارا فكلما فرغ منه تهدم فشكا الى الله تعالى فأوحى الله اليه ان بيتى هذا لا يقوم على يدى
من سفك الدماء فقال داود يارب ألم يك ذلك القتل فى سبيلك قال بلى ولكنهم أليسوا من عبادى
فقال يارب فأجعل بنيانه على يدى من فأوحى الله اليه أن اؤمر ابنك سليمان يبنيه والغرض
من هذه الحكاية مراعاة هذه النشأة الانسانية وأن اقامتها أولى من هدمها ألا ترى الى أعداء
الدين انه قد فرض الله فى حقهم الجزية والصلح ابقاء عليهم وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع
قال ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا
وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان
فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار وفى
الحديث أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء ثم يحاسب العبد
ويقضى عليه فى حق زكاته وغيرها هل منعها أو أداها الى غير ذلك من الاحوال الجزئية ثم اعلم
أن القاتل اذا اقتص منه الولى تم ذلك جزاؤه فى الدنيا وفيما بين القاتل والمقتول الاحكام باقية
فى الآخرة لان الولى وان قتله فانما أخذ حق نفسه للتشفى ودرء الغيظ فاما المقتول فلم يكن
له فى القصاص منفعة كذا فى تفسير الحدادى ولا كفارة فى القتل العمد لقوله عليه السلام
خمس من الكبائر لا كفارة فيهن الاشراك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وقتل النفس
عمدا واليمين الغموس والولى مخير بين ثلاث فى القتل العمد القصاص والدية والعفو وذلك لان
فى شرع موسى عليه السلام القصاص وهو القتل فقط وفى دين عيسى عليه السلام العقل
أو العفو فحسب وفى ملتنا التشفى فى القصاص وللترفه الدية وللتكرم العفو وهو أفضل (قال
السعدى) بدى را بدى سهل باشد جزا اكر مردى أحسن الى من أساء والاشارة فى الآية أن
القلب مؤمن فى أصل الفطرة والنفس كافرة فى أصل الخلقة وبينهما عداوة جبلية وقتال أصلى
وتضاد كلى فان فى حياة القلب موت النفس وفى حياة النفس موت القلب فلما كانت نفوس
الكفار حية كانت قلوبهم ميتة فسماهم الله الموتى ولما كانت نفس الصديق ميتة وقلبه حيا
قال النبى عليه السلام من أراد أن ينظر الى ميت يمشى على وجه الارض فلينظر الى الصديق
فالاشارة فى قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا الى القلب والنفس يعنى النفس الكافرة اذا قتلت
قلبا مؤمنا متعمدة للعداوة الاصلية باستيلاء صفاتها البهيمية والسبعية والشيطانية على القلب
الروحانى وغلبة هواها عليه حتى يموت القلب بسمها القاتل فجزاؤه أى جزاء النفس جهنم وهى
سفل عالم الطبيعة خالدا فيها لان خروج النفس من سفل الطبيعة انما كان بحبل الشريعة
والتمسك بحبل الشريعة انما كان من خصائص القلب المؤمن كقوله تعالى ثم رددناه أسفل
سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فالايمان والعمل الصالح من شان القلب وصنيعه فاذا
مات القلب وانقطع عمله تخلد النفس فى جهنم سفل عالم الطبيعة أبدا وغضب الله عليها ولعنها
بأن يبعدها ويطردها عن الحضرة والقربة ويحرمها من ايصال الخير والرحمة اليها بخطاب ارجعى

الى ذلك وأعدلها عذابا عظيما فجزاءنا عن حضرة العلى العظيم وحرمانا من جنات النعيم كذا فى التأويلات النجمية (يا أيها الذين آمنوا) نزلت الآية فى شأن مرداس بن نهيك من أهل فدك وكان أسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان عليه السلام بعث سرية الى قومه كان عليها غالب بن فضالة الليثى فلما وصلت السرية اليهم هربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما وصلوا فدك كبروا وكبر مرداس معهم وكان فى سفح جبل ومعه غنمه فنزل اليهم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد وساق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه وحوية قول لا اله الا الله فقال اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفى رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هل شققت عن قلبه فنظرت أصادق هو أم كاذب ثم قرأ الآية على أسامة فقال يارسول الله استغفر لى فقال فكيف بلا اله الا الله قال أسامة فما زال صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت ان لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفر لى وأمر برد الاغنام وتحرير رقبة مؤمنة والمعنى أيها المؤمنون (اذا ضربتم فى سبيل الله) أى سافرتم وذهبتم للغزو من قول العرب ضربت فى الارض اذا سرت لتجارة أو غزو أو نحوهما (فتبينوا) التفعل بمعنى الاستفعال الدال على الطلب أى اطلبوا بيان الامر فى كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) أى لمن حياكم بتحية الاسلام (لست مؤمنا) وانما أظهرت ما أظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما أظهره وعاملوه بموجبه (تبتغون عرض الحيوة الدنيا) حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأنى لكن لا على أن يكون النهى راجعا الى القيد فقط كما فى قولك لا تطلب العلم تبتغى به الجاه بل اليهما جميعا أى لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذى هو حطام سريع النفاد وعرض الدنيا ما يتمتع به فيها من المال نقدا كان أو غيره قليلا كان أو كثيرا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وتسميته عرضا تنبيه على أنه سريع الفناء قريب الانقضاء (فعند الله مغانم كثيرة) تغنيكم عن قتل امثاله لماله وهو تنبيه على ان ثواب الله تعالى موصوف بالدوام والبقاء (كذلك) أى مثل ذلك الذى ألقى اليكم السلام (كنتم) أنتم أيضا (من قبل) أى فى مبادى اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها (فمن الله عليكم) بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم وأموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم الفاء للعطف على كنتم (فتبينوا) الفاء فصيحة أى اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم فى أوائل أموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطئ الظاهر والباطن (ان الله كان بما تعملون) من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها (خبيرا) فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهاونوا فى القتل واحتاطوا فيه قال الامام الغزالى رحمه الله الخبير هو الذى لا تعزب عنه الاخبار الباطنة ولا يجرى فى الملك والملكوت شئ ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبره وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا أضيف الى الخفايا الباطنة سمى خبرة ويسمى صاحبه خبيرا وحظ العبد من ذلك أن يكون خبيرا بما يجرى فى عالمه وعالمه قلبه وبدنه والخفايا التى يتصف القلب بها من الغش والخيانة والتطواف حول العاجلة واضمار الشر واظهار الخير والتجمل

باطلها الا المخلصين والا فلا خلاص عنه ولا يعرفها الا ذو خبرة بالغة قد خبر نفسه ومارسها وعرف مكرها وتلبيسها وخدعها فحاربها وتشمر لمعاداتها وأخذ الحذر منها فذلك من العباد حقيق بأن يسمى خبيرا انتهى كلام الامام (قال السعدى) نمى تازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان * كه با نفس وشيطان برايد بزور * مصاف بلنكان نيايد زمور * ودلت الآية على ان المجتهد قد يخطئ كما أخطأ أسامة وأن خطأه قد كان مغتفرا حيث لم يقتص منه وعلى ان الذكر اللسانى معتبر كما أن ايمان المقلد صحيح لكن ينبغى للمؤمن أن يترقى من الذكر اللسانى الى الذكر القلبى ثم الى الذكر الروحى ويحصل له التعيين والمعرفة ويخلص من ظلمة الجهل ويتنور بنور المعرفة لان الانسان يموت كما يعيش * عن ابن عباس أن جبريل عليه السلام جاء الى النبى عليه السلام فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهو يقول مالى أراك مغموما حزينا قال عليه السلام يا جبريل طال تفكرى فى أمتى يوم القيامة قال أفى أمر أهل الكفر أم أهل الاسلام فقال يا جبريل فى أمر أهل لا اله الا الله محمد رسول الله فأخذ بيده حتى أقامه الى مقبرة بنى سلمة ثم ضرب بجناحه الايمن على قبر ميت فقال قم باذن الله فقام الرجل مبيض الوجه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقال جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الايسر فقال قم باذن الله فخرج رجل مسود الوجه أزرق العينين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه فقال له جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم قال يا محمد على هذا يبعثون يوم القيامة وعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تموتون كما تعيشون وتبعثون كما تموتون * هركسى آن درود عاقبت كاركه كشت * والاشارة فى الآية الى البالغين الواصلين بالسير الى الله أن يا أيها الذين آمنوا ووفقوا لتجرد الايمان بالغيب اذا ضربتم فى سبيل الله يعنى سرتم بقدم السلوك فى طلب الحق حتى صار الايمان ايقانا والايقان احسانا والاحسان عيانا والعيان غيبا وصار الغيب شهادة والشهادة شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وبهما أقسم الله بقوله وشاهد ومشهود فافهم جدا وهذا مقام الشيخوخة فتبينوا عن حال المريدين وتثبتوا فى الرد والقبول وفى قوله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا اشارة الى أرباب الطلب فى البدء والارادة أى اذا تمسك أحد بذيل ارادتكم وألقى اليكم السلام بالانقياد والاستسلام لكم فلا تقولوا لست مؤمنا أى صادقا مصدقا فى التسليم لاحكام الصحبة وقبول التصرف فى المال والنفس على شرط الطريقة ولا تردوه ولا تنفروه بمثل هذه التشديدات وقولوا له كما أمر الله موسى وهرون عليهما السلام فقولا له قولا لينا فما أنتم أعز من الانبياء ولا المريد المبتدئ أرذل من فرعون ولا يهولنكم أمر رزقه فتجتنبون منه طلبا للتخفيف والى هذا المعنى أشار بقوله تبتغون عرض الحياة الدنيا فلا تهتموا لاجل الرزق فعند الله مغانم كثيرة ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب كذلك كنتم من قبل أى كذلك كنتم ضعفاء فى الصدق والطلب محتاجين الى الصحبة والتربية بدواء الارادة فمن الله عليكم بصحبة المشايخ وقبولهم اياكم والاقبال على تربيتكم وايصال رزقكم اليكم وشفقتهم وعطفهم عليكم فتبينوا أن تردوا صادقا اهتماما لرزقه أو تقبلوا كاذبا حرصا على تكثير المريدين ان الله كان فى الازل بما تعملون اليوم من الرد والقبول والاحتياج الى الرزق الذى تهتمون له خبيرا بتقدير أمور قدرها فى

الازل وفرغ منها كما قال عليه السلام ان الله فرغ من الخلق والرزق والاجل وقال الضيف اذا نزل نزل برزقه واذا ارتحل ارتحل بذنوب مضيفه كذا في التأويلات النجمية (لا يستوى القاعدون) عن الجهاد (من المؤمنين) حال من القاعدين أى كائنين من المؤمنين وفائدتها الايذان من أول الامر بعدم اخلال وصف القعود باءيمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم كما سيأتى من الحسنى (غير أولى الضرر) بالرفع صفة للقاعدون فان قلت كلمة غير لا تتعرف بالاضافة فكيف جاز كونها صفة للمعرفة قلت اللام فى القاعدون للعهد الذهنى فهو جار مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم بأعيانهم والاظهر أنه بدل من القاعدون والضرر المرض والعاهة من عمى أو عرج أو شلل أو زمانة أو نحوها وفى معناه العجز عن الاهبة عن زيد بن ثابت رضى الله عنه انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت أن ترضها أى تكسرها ثم سرّى عنه وأزيل ما عرض له من شدة الوحى فقال اكتب فكتبت لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان أعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر قال زيد أنزلها الله وحدها فألحقتها فالمراد بالقاعدين هم الاصحاء الذين أذن لهم فى القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية قال ابن عباس رضى الله عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول (والمجاهدون) عطف على القاعدون (فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة فى الاجر والثواب فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفى الاستواء قلت فائدته تذكير ما بينهما من التفاوت العظيم ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وأنفة عن انحطاط منزلته (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم) جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه فان انتفاء الاستواء بينهما يحتمل أن يكون بزيادة درجة أحدهما على درجة الآخر وبنقصانها فبين الله تعالى بهذه الجملة ان انتفاء استوائهما انما هو بأنه تعالى فضل المجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك (على القاعدين) غير أولى الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف (درجة) تنوينها للتفخيم كما سيأتى ونصبها بنزع الخافض أى بدرجة أو على المصدرية لانه لتضمنه معنى التفضيل ووقوعه موقع المرة من التفضيل كان بمنزلة أن يقال فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة (وكلا) من القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لزيد الثواب قوله كلا مفعول أول لوعد والحسنى مفعوله الثانى وتقديم الاول على الفعل لافادة القصر تأكيد الوعد أى كلا منهما وعد الله الحسنى لا أحدهما فقط والجملة اعتراض جىء بها تداركا لما عسى يوهمه تفضيل أحد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول قال الفقهاء وهذا يدل على ان الجهاد فرض كفاية وليس مفروضا على كل أحد بعينه لانه تعالى وعد القاعدين عنه الحسنى كما وعد المجاهدين ولو كان الجهاد واجبا على كل أحد على التعيين لما كان القاعد أهلا لوعد الله تعالى اياه بالحسنى (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) عطف

على قوله فضل الله (أجرا عظيما) نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر أى اجرهم أجرا عظيما وايثاره على ماهو مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل أجر الاعمالهم أو مفعول ثان لفضل لتضمنه معنى الاعطاء أى وأعطاهم زيادة على القاعدين أجرا عظيما وقيل نصب بنزع الخافض أى فضلهم بأجر عظيم (درجات) بدل من أجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل (منه) صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها أى درجات كائنة منه تعالى وهى سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا أو سبعمائة درجة وفى الحديث ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين فى سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض ويجوز أن يكون انتصاب درجات على المصدرية كما فى قولك ضربه أسواطا أى ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات (ومغفرة) بدل من أجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة أى مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التى لا يكفرها سائر الحسنات التى لا يأتى بها القاعدون أيضا حتى تعد من خصائصهم (ورحمة) بدل الكل من أجرا مثل درجات ويجوز أن يكون انتصابهما باضمار فعلهما أى غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة وأخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنوانى بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتى تمهيدا لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما فى قوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يقهم كنهها وحيث كان تحقق هذا العنوان البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم أريد تفسير ما أفاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شان التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا فى الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثانى ما أنعم به فى الآخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتأخير الثانى وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كانه قيل فضلهم عليهم فى الدنيا درجة واحدة وفى الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما فى الذكر ما هو متوسط بينهما فى الوجود أعنى الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه أعلم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (وكان الله غفورا) لذنوب من جاهد فى سبيله (رحيما) يدخله الجنة برحمته وهو تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة قال القشيرى رحمه الله ان الله سبحانه جمع أولياءه فى الكرامات لكنه غاير بينهم فى الدرجات فمن غنى وغيره أغنى منه ومن كبير وغيره أكبر منه هذه الكواكب منيرة لكن القمر فوقها واذا طلعت الشمس بهرت أى غلبت جميعها بنورها اه فالجنة مشتركة بين الواصلين البالغين والطالبين المنقطعين بعذر وعوام المؤمنين القاعدين عن الطلب بلا عذر لكن الطائفة الاولى فى واد والاخريان فى واد آخر لا يستوون عند الله تعالى (قال المولى الجامى)

أى بهد بدن چو طفل صغير * مانده در دست خواب غفلت اسير * پيش از آنكت اجل كند بيدار * كرغردى زخواب سر بردار

انما السائرون كل رواح * يحمدون السرى لدى الاصباح

ودلت الآية على ان أولى الضرر مساوون للمجاهدين فى الاجر والثواب (روى) عنه عليه السلام انه لما رجع من غزوة تبوك ودنا من المدينة قال ان فى المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم حابس العذر وهم الذين صحت نياتهم وتعلقت قلوبهم بالجهاد وانما منعهم عن الجهاد الضرر * هركسى ازهمت والاى خويش * سود برد در خور كالاى خويش * قال عليه السلام اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدى ما كان يعمله فى الصحة الى أن يبرأ وقال المفسرون فى قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان من صار هرما كتب الله له أجر عمله قبل هرمه غير منقوص وقالوا فى تفسير قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله ان المؤمن ينوى الايمان والعمل الصالح لو عاش أبدا فيحصل له ثواب تلك النية أبدا قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة أخرى سوى الضرر قد ذكرت فى قوله تعالى فى أواخر سورة التوبة ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله والنصيحة لهما طاعة لهما والطاعة لهما فى السر والعلن وتوليهما فى السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالى الناصح بصاحبه كذا فى تفسير الارشاد واعلم أن الجهاد من أفاضل المكاسب وأماثل الحرف فلا ينبغى للعاقل أن يترك الجهاد أو التحدث به فان من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه فقد مات ميتة جاهلية ومعنى التحدث طلب الغزو واخطاره بالبال قال بعض الكبار السبق بالهمم لا بالقدم وفى الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ومعناه أن من أنعم الله عليه بهاتين النعمتين وهما صحة الجسد بالعافية التى هى كالتاج على رؤس الاصحاء لا يراه الا السقيم والفراغ من شواغل الدنيا وعلقها فمن حصل له هاتان النعمتان واشتغل عن القيام بواجب حق الله تعالى فهذا هو الذى غبن بضياع حظه ونصيبه من طاعة الله وبذل النفس فى الخدمة وتحصيل ما ينفعه لآخرته من أنواع الطاعات والقربات اللهم اجعلنا من المنتفعين بحياتهم والمتوجهين اليك فى مرضهم وصحتهم ولا تقطعنا عنك ولو لحظة عين ولا تشغلنا عن الوصل بالبين انك أنت الغفور الرحيم (ان الذين توفاهم الملائكة) يحتمل أن يكون ماضيا فيكون اخبارا عن أحوال قوم معينين انقرضوا ومضوا وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التاءين وأصله تتوفاهم وعلى هذا تكون الآية عامة فى حق كل من كان بهذه الصفة والظاهر أن لفظ المضارع ههنا على حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها بشهادة كون خبرانه فعلا ماضيا وهو قالوا والمراد بتوفى الملائكة اياهم قبض أرواحهم عند الموت والملك الذى فوض اليه هذا العمل هو ملك الموت وله أعوان من الملائكة واسناد التوفى الى الله تعالى فى قوله الله يتوفى الانفس وفى قوله هو الذى يحييكم ثم يميتكم مبنى على أن خالق الموت هو الله تعالى (ظالمى أنفسهم) فى حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بأمور الدين فانها نزلت فى ناس

من مكة قد أسلموا ولم يهاجروا وحين كانت الهجرة فريضة فانه تعالى لم يكن يقبل الاسلام بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة الا بالهجرة اليها ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله عليه السلام لا هجرة بعد الفتح قال الله تعالى فمن آمن وترك الهجرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وهو حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة وحق الحال أن يكون نكرة الا ان أصله ظالمين أنفسهم فتكون الاضافة لفظية (قالوا) أي الملائكة للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة أحكامه من الصلاة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك (فيم كنتم) أي في أي شئ كنتم من أمور دينكم كانه قيل فاذا قالوا في الجواب فقيل (قالوا) متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم (كنا مستضعفين في الارض) أي في أرض مكة عاجزين عن القيام بواجب الدين فيما بين أهلها (قالوا) ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) الى قطر آخر منها تقدرون فيه على اقامة أمور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بأنهم كانوا مقهورين تحت أيديهم وأنهم أخرجوهم أي الى بدر كارهين فرد عليهم بأنهم كانوا بسبيل من الخلاص من قهرهم متمكنين من المهاجرة (فأولئك) الذين حكيت أحوالهم الفظيعة (مأواهم) أي في الآخرة (جهنم) كما أن مأواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وكون جهنم مأواهم نتيجة لما قبله وهو الجملة الدالة على أن لا عذر لهم في ذلك أصلا فعطف عليه عطف جملة على أخرى (وساءت مصيرا) مصيرهم جهنم (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) الاستثناء منقطع فان المتوفين ظالمين أنفسهم اما مرتدون أو عصاة بتركهم الهجرة مع القدرة عليها وهؤلاء المستضعفون أي المستذلون المقهورون تحت أيدي الكفار ليسوا بقادرين عليها فلم يدخلوا فيهم فكان الاستثناء منقطعا والجار والمجرور حال من المستضعفين أي كائنين منهم فان قلت المستثنى المنقطع وان لم يكن داخلا في المستثنى منه لكن لابد أن يتوهم دخوله في حكم المستثنى منه ومن المعلوم أن لا يتوهم دخول الاطفال في الحكم السابق وهو كون مأواهم جهنم فكيف ذكر في عداد المستثنى قلت للمبالغة في التحذير من ترك الهجرة وايهام أنها لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بأنه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم اذا بلغوا حتى كأنها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه فيكون في حكم المنكر واستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه أو بدليل (فأولئك) اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز (عسى الله أن يعفو عنهم) ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى ان المضطر من حقه أن لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه (وكان الله عفوا غفورا) معنى كونه عفوا صفحه واعراضه عن العقوبة ومعنى كونه غفورا ستر القبائح

والذنوب فى الدنيا والآخرة فهو كامل العفو تام الغفران (قال السعدى) بس برده بيند عملهاى بد هم او برده بوشد بآلاى خود * وفى الآية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة أمور دينه بأى سبب كان وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد عليه السلام قال الحدادى فى تفسيره فى قوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها دليل أنه لا عذر لاحد فى المقام على المعصية فى بلده لاجل المال والولد والاهل بل ينبغى أن يفارق وطنه ان لم يمكنه اظهار الحق فيه ولهذا روى عن سعيد بن جبير أنه قال اذا عمل بالمعاصى بأرض فاخرج منها * سعديا حب وطن كرجه حديثيست صحيح * نتوان مرد بسختى كه من اينجا زادم * والاشارة فى الآية ان المؤمن عام وخاص وخاص الخاص كقوله فمنهم ظالم لنفسه وهو العام ومنهم مقتصد وهو الخاص ومنهم سابق بالخيرات وهو خاص الخاص فالذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم هم العوام الذين ظلموا أنفسهم بتدسيتها من غير تزكيتها عن أخلاقها الذميمة وتحليتها بالاخلاق الحميدة ليفلحوا فخابوا وخسروا كما قال تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها قالوا فيم كنتم أى قالت الملائكة حين قبضوا أرواحهم فى أى غفلة كنتم تضيعون أعماركم وتبطلون استعدادكم الفطرى وفى أى واد من أودية الهوى تهيمون وفى أى روضة من رياض الدنيا كنتم تؤثرون الفانى على الباقى وتنسون الطهور والساقى واخوانكم يجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ويهاجرون عن الاوطان ويفارقون الاخوان والاخدان قالوا كنا مستضعفين فى الارض أى عاجزين فى استيلاء النفس الامارة وغلبة الهوى مأسورى الشيطان فى حبس البشرية قالوا ألم تكن أرض الله أى أرض القلب واسعة فتهاجروا فيها فتخرجوا من مضيق أرض البشرية فتسلكوا فى فسحة عالم الروحانية بل تطيروا فى هواء الهوية فأولئك يعنى ظالمى أنفسهم مأواهم جهنم البعد عن مقامات القرب وساءت مصيرا جهنم البعد لتاركى القرب والمتقاعدين عن جهاد النفس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين ضعفهم لا يستطيعون حيلة فى الخروج عن الدنيا لكثرة العيال وضعف الحال ولا على قهر النفس وغلبة الهوى ولا على قمع الشيطان فى طلب الهدى ولا يهتدون سبيلا الى صاحب ولاية يتمسكون بعروته الوثقى ويعتصمون بحبل ارادته فى طلب المولى فيخرجهم من ظلمات أرض البشرية الى نور سماء الربوبية على أقدام العبودية وهم المتقصدون المشتاقون ولكنهم بحجب الانانية محجوبون ومن شهود جمال الحق محرومون فعذرهم بكرمه ووعدهم رحمته وقال فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم السكوت عن الله والركون الى غير الله وكان الله فى الازل عفوا ولعفوه أمكنهم التقصير فى العبودية غفورا ولغفرانه أمهلهم فى أعطاء حق الربوبية كذا فى التأويلات النجمية (ومن يهاجر فى سبيل الله) ترغيب فى المهاجرة وتأنيس لها وسبيل الله ما أمر بسلوكه (يجد فى الارض مراغما كثيرا) أى متحولا يتحول اليه ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تأكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل المهاجر بما فيه من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم أنف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال أرغم الله أنفه أى ألصقه بالرغام ولما كان الانف من جملة

الاعضاء في غاية العزة والتراب في غاية الذلة بجعل قولهم رغم أنفه كناية عن الذلة (وسعة) في الرزق واظهار الدين (ومن يخرج من بيته مهاجرا) أي مفارقا قومه وأهله وولده (الى الله ورسوله) أي الى طاعة الله وطاعة رسوله (ثم يدركه الموت) أي قبل أن يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة (فقد وقع أجره على الله) الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت أجره عند الله ثبوت الامر الواجب (وكان الله غفورا) مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج (رحيما) مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالآيات المحذرة عن ترك الهجرة الى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة من بني الليث لبنيه وكان شيخا كبيرا لا يستطيع أن يركب الراحلة احملوني فاني لست من المستضعفين واني لا أهتدي الطريق ولي من المال ما يبلغني المدينة وأبعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم وهو موضع قريب من مكة أشرف على الموت فأخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فلما بلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لو توفي بالمدينة لكان أتم أجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما أدرك هذا ما طلب فأنزل الله هذه الآية ففي هذا قالوا المؤمن اذا قصد طاعة ثم أعجزه العذر عن اتمامها كتب الله له ثواب تمام تلك الطاعة وفي الكشاف قالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو فرار الى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهدا في الدنيا أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان أدركه الموت في طريقه فأجره واقع على الله انتهى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره من مات قبل الكمال فراده يجيء اليه كما ان من مات في طريق الكعبة يكتب له أجر حجين يقول الفقير سمي الذبيح المخلص بحق سمعت مرة شيخي العارف العلامة أبقاه الله بالسلامة وهو يقول عند تفسير هذه الآية ان الطالب الصادق اذا سافر من أرض بشريته الى مقام القلب فمات قبل أن يصل الى مراده فله نصيب من أجر البالغين الى ذلك المقام لصدق طلبه وعدم انقطاعه عن الطريق الى حد الموت بل الله يكمله في عالم البرزخ بوساطة روح من أرواحهم أو بوساطة فيضه ومثل هذا جاء في حق بعض السلاك وله نظير في الشريعة كما روى عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال بلغني أن المؤمن اذا مات ولم يحفظ القرآن أمر حفظته أن يعلموه القرآن في قبره حتى يبعثه الله تعالى يوم القيامة مع أهله فاذا كان طالب القرآن الرسمي بالغا الى مراده وان في البرزخ لحرصه على التحصيل فليس ببدع أن يكون طالب القرآن الحقيقي واصلا الى مرامه في عالم المثال المقيد لشغفه على التكميل أقول وأما ما قال الشيخ الكبير صدر الدين القنوي قدس سره في الثلث الآخر من الفكوك من المتفق شرعا وعقلا وكشفا أن كل كمال لم يحصل للانسان في هذه النشأة وهذه الدار فانه لا يحصل له بعد الموت في الدار الآخرة انتهى فلعله في حق أهل الحجاب الذين قعدوا عن الطلب رأسا لا في حق أهل الحجاب الذين سلكوا وماتوا قبل الوصول الى مكاشفة الافعال ومشاهدة الصفات ومعاينة الذات * قال المولى الجامي في شرح الكلمة الشعيبية من الفصوص الحكمية فما يدل على عدم الترقي بعد الموت من قوله تعالى ومن كان في هذه أعمى

الآية انما هو بالنسبة الى معرفة الحق لا لمن لا معرفة له أصلا الا فانه اذا انكشف الغطاء ارتفع العمى بالنسبة الى الدار الآخرة ونعيمها وجحيمها والاحوال التى فيها وأما قوله عليه السلام اذا مات ابن آدم انقطع عمله فهو يدل على ان الاشياء التى يتوقف حصولها على الاعمال لا تحصل وما لا يتوقف عليها بل يحصل بفضل الله ورحمته فقد يحصل وذلك من مراتب الخلاق انتهى كلامه فعلى السالك أن لا ينقطع عن الطريق ويرجو من الله التوفيق كى يصل الى منزل التحقيق (قال الحافظ الشيرازى) كاروان رفت وتو در راه كمين كاه بخواب * وه كه بس بيخبر از غلغل چندين جرسى * بال بكشا وصفير از شجر طوبى زن * حيف باشد چو تو مرغى كه اسير قفسى * تا چو مجمر نفسى دامن جانان كيرم * جان نهاديم بر آتش زپى خوش نفسى * چند پويد بهواى تو بهر سو حافظ * يسر الله طريقا بك يا ملتمسى * وفى التأويلات النجمية ان الاشارة فى الآية من غاية ضعف الانسان وسمات الحيوانية واستهواء الشيطان يكون الخوف غالبا على الطالب الصادق فى بدء طلبه فكلما أراد أن يسافر عن الاوطان ويهاجر عن الاخوان طالبا فوائد اشارة سافروا تصحوا وتغنموا لازالة مرض القلب ونيل صحة الدين والفوز بغنيمة صحبة شيخ كامل مكمل وطبيب حاذق مشفق ليعالج مرض قلبه ويبلغه كعبة طلبه فتسوّل له النفس اعداد الرزق وعدم الصبر ويعده الشيطان بالفقر فقال تعالى على قضية والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ومن يهاجر فى سبيل الله أى طلب الله يجد فى الارض مراغما كثيرا أى بلادا أطيب من بلاده واخوانا فى الدين أحسن من اخوانه وسعة فى الرزق وفيه اشارة أخرى وهى ومن يهاجر عن بلد البشرية فى طلب حضرة الربوبية يجد فى أرض الانسانية مراغما كثيرا أى متحولا ومنازل مثل القلب والروح والسر وسعة أى وسعة فى تلك العوالم الوسيعة أو سعة من رحمة الله كما أخبر الله تعالى على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام عن تلك الوسعة والسعة بقوله لا يسعنى أرضى ولا سمائى وانما يسعنى قلب عبدى المؤمن فافهم يا كثير الفهم قصير النظر قليل العبر ثم قال دفعا للهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية فى التخويف بالموت والايعاد بالفوت ومن يخرج من بيته أى بيت بشريته بترك الدنيا وقمع الهوى وقهر النفس بهجرانه صفاتها وتبديل أخلاقها مهاجرا الى الله طالبا له فى متابعة رسوله ثم يدركه الموت قبل وصوله فقد وقع أجره على الله يعنى فقد أوجب الله تعالى على ذمة كرمه بفضله ورحمته أن يبلغه الى أقصى مقاصده وأعلى مراتبه فى الوصول بناء على صدق نيته وخلوص طويته اذا كان المانع من أجله ونية المؤمن خير من عمله وكان الله غفورا الذنب بقية أنانية وجوده رحيما عليه بتجلى صفة جوده ليبلغ العبد الى كمال مقصوده بمنه وكرمه وسعة جوده انتهى كلام التأويلات (واذا ضربتم فى الارض) شروع فى بيان كيفية الصلاة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض أى اذا سافرتم أى مسافرة كانت للهجرة أو للجهاد أو لغيرهما (فليس عليكم جناح) أى حرج ومأثم فى (ان تقصروا) شيأ (من الصلاة) فهو صفة لمحذوف والقصر خلاف المد يقال قصرت الشئ أى جعلته قصيرا بحذف بعض أجزائه أو أوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشئ لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله من الصلاة ينبغى أن يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما رآه

الاخفش وأما على تقدير أن تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو رأى سيبويه أى شيأ من الصلاة فينبغى أن يصار الى وصف الجزء بصفة الكل والمراد قصر الرباعيات بالتنصيف فانها تصلى فى السفر ركعتين فالقصر انما يدخل فى صلاة الظهر والعصر والعشاء دون المغرب والفجر وأدنى مدة السفر الذى يجوز فيه القصر عند أبى حنيفة رحمه الله مسيرة ثلاثة أيام ولياليها الايام للمشى والليالى للاستراحة بسير الابل ومشى الاقدام بالاقتصاد ولا اعتبار بابطاء الضارب أى المسافر السائر واسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن فى يوم قصر ولو سار مسيرة يوم فى ثلاثة أيام لم يقصر ثم تلك المسيرة ستة برد جمع بريد كل بريد أربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال بأميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى قدر أميال البادية كل ميل اثناعشر ألف قدم وهى أربعة آلاف خطوة فان كل ثلاثة أقدام خطوة وظاهر الآية الكريمة التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام أفضل لكن عندنا يجب القصر لا محالة خلا أن بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة توفية اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة تصدق الله بها عليكم وهو يدل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد فليس لنا الا التدين بما شرع الله والعمل بما حكم قال فى الاشباه القصر للمسافر عندنا رخصة اسقاط بمعنى العزيمة بمعنى ان الاتمام لم يبق مشروعا حتى أثم به وفسدت لو أتم ومن لم يقعد على رأس الركعتين فسدت صلاته لاتصال النافلة بها قبل كمال أركانها وان قعد فى آخر الركعة الثانية قدر التشهد أجزأته الاخريان نافلة ويصير مسيأ بتأخير السلام قال فى تفسير الحدادى المسافر اذا صلى الظهر أربعا ولم يقعد فى الثانية قدر التشهد فسدت صلاته كمصلى الفجر أربعا انتهى فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا فلم ورد ذلك بنفى الجناح قلت لما أنهم ألفوا الاتمام فكانوا مظنة أن يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا فى القصر فصرح بنفى الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما فى قوله تعالى فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعى ثم ان العاصى كالمطيع فى رخصة السفر حتى ان الآبق وقاطع الطريق يقصران لان المقيم العاصى يمسح يوما وليلة كالمقيم المطيع فكذا المسافر ولان السفر ليس بمعصية فلا يعتبر بعرض العاصى (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أى ان خفتم أن يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة والقصر ثابت بهذا النص فى حال الخوف خاصة وأما فى حال الامن فبالسنة قال المولى أبو السعود فى تفسيره وهو شرط معتبر فى شرعية ما يذكر بعده من صلاة الخوف المؤداة بالجماعة وأما فى حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيته ثم قال بعد كلام بل نقول ان الآية الكريمة مجملة فى حق مقدار القصر وكيفيته وفى حق ما يتعلق به من الصلاة وفى مقدار مدة القصر الذى نيط به القصر فكل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من القصر فى حال الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب فى المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب انتهى وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سافر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين مكة والمدينة لا يخاف الا الله

فصلى ركعتين كذا فى الوسيط (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) أى ظاهر العداوة وكمال عداوتهم من موجبات التعرض لكم بقتال أو غيره (واذا كنت) يا محمد (فيهم) أى مع المؤمنين الخائفين (فأقمت لهم الصلاة) أى اذا أردت أن تقيم بهم الصلاة قال ابن عباس لما رأى المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا الى صلاة الظهر وهو يؤمهم وذلك فى غزوة ذات الرقاع ندموا على تركهم الاقدام على قتالهم فقال بعضهم دعوهم فان لهم بعدها صلاة هى أحب اليهم من آبائهم وأولادهم وأموالهم يريدون صلاة العصر فان رأيتموهم قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات بين الصلاتين فعلمه كيفية أداء صلاة الخوف وأطلعه الله على قصدهم ومكرهم ذهب الجمهور الى أن صلاة الخوف ثابتة مشروعة بعده صلى الله عليه وسلم فى حق كل الامة غايته أنه تعالى علم رسول الله صلى الله عليه وسلم كيفية أداء الصلاة حال الخوف لتقتدى به الامة فيتناولهم الخطاب الوارد له عليه السلام قال فى الكشاف ان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضرا بجماعة فى حال الخوف عليه أن يؤمهم كما أم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التى كان يحضرها ألا يرى أن قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم لم يوجب كونه عليه السلام مخصوصا بها دون غيره من الائمة بعده فكذا صلاة الخوف فاندفع قول من قال صلاة الخوف مخصوصة بحضرة الرسول عليه السلام حيث شرط كونه بينهم (فلتقم طائفة منهم معك) بعد أن جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم (وليأخذوا) أى الطائفة القائمة معك وهم المصلون (أسلحتهم) أى لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كأنهم يأخذونها ابتداء (فاذا سجدوا) أى القائمون معك وأتموا الركعة (فليكونوا من ورائكم) أى فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) بعد وهى الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة (فليصلوا معك) الركعة الباقية ولم يبين فى الآية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روى عن ابن عمر وابن مسعود أن النبى عليه السلام حين صلى صلاة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما فى الآية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الى العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان هذا اذا كان مسافرا أو فى الفجر لان الركعة الواحدة شطر صلاته وأما اذا كان مقيما أو فى المغرب فيصلى بالطائفة الاولى الركعتين لانهما الشطر وفى الكافى لو أخطأ الامام فصلى بالاولى ركعة وبالثانية ركعتين أى فى المغرب فسدت صلاة الطائفتين وتفصيل كيفية الصلاة عند الخوف من عدو أو سبع كفى مؤنته باب صلاة الخوف فى الفروع فارجع اليه (وليأخذوا) أى هذه الطائفة (حذرهم) وهو التحذر والتيقظ (وأسلحتهم) ان قلت الحذر من قبيل المعانى فكيف يتعلق به الاخذ الذى لا يتعلق الا بما هو من قبيل الاعيان كالسلاح قلت انه من قبيل الاستعارة بالكناية فانه شبه الحذر بآلة يستعملها الغازى وجعل تعلق الاخذ به دليلا على هذا التشبيه المضمر فى النفس فيكون استعارة تخييلية

ولا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز من حيث ان اسناد الاخذ الى الاسلحة حقيقة والى الحذر مجاز وذلك لان الاخذ على حقيقته وانما المجاز في اضافته ولعل زيادة الامر بالحذر في هذه المرة كونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي عليه السلام في شغل شاغل وأما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحرب وتكليف كل من الطائفتين بأخذ الحذر والاسلحة لما ان الاشتغال بالصلاة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن ذكرها ومظنة لهجوم العدو كما ينطق به ما بعد الآية قال الامام الواحدى في قوله تعالى وليأخذوا حذرهم رخصة للخائف في الصلاة لأن يجعل بعض فكره في غير الصلاة (ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) الخطاب للفريقين بطريق الالتفات أي تمنوا أن ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به في الحروب لا مطلقا (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) رخصة لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وهذا يؤيد أن الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وقال الفقهاء حمل السلاح في صلاة الخوف مستحب لان الحمل ليس من أعمال الصلاة والامر في قوله تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم محمول على الندب (وخذوا حذركم) أمرهم مع ذلك بأخذ الحذر أي بالتيقظ والاحتياط لئلا يهجم عليهم العدو غيلة قال ابن عباس رضي الله عنه غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم محاربا بني أنمار فهزمهم الله تعالى فنزل النبي عليه الصلاة والسلام والمسلمون ولا يرون من العدو أحدا فوضعوا أسلحتهم وخرج رسول الله يمشي لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه عليه السلام وبين أصحابه فجلس في أصل شجرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربي فانحدر من الجبل ومعه السيف وقال لاصحابه قتلني الله ان لم أقتل محمدا فلم يشعر رسول الله الا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال عليه السلام الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شئت ثم أهوى بالسيف الى رسول الله ليضربه فانكب على وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله فأخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني قال لا أحد قال عليه السلام تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأعطيك سيفك قال لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك عدوا فأعطاه سيفه فقال غورث والله لأنت خير مني فقال عليه السلام أنا أحق بذلك منك فرجع غورث الى أصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادي فرجع رسول الله الى أصحابه وأخبرهم بالخبر (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) تعليل للامر بأخذ الحذر أي أعد لهم عذابا مهينا بأن يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا بأموركم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل بهم عذابه بأيديكم (فاذا قضيتم الصلاة) صلاة الخوف أي أديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فظهر منه أن القضاء يستعمل فيما فعل في وقته ومنه قوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم (فاذكروا الله) حال كونكم (قياما) أي قائمين (وقعودا) أي قاعدين (وعلى جنوبكم) أي مضطجعين أي فداوموا على ذكر الله تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى اذا لقيتم

فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (فاذا اطمأننتم) سكنت قلوبكم من الخوف وأمنتم بعد ماتضع الحرب أوزارها (فأقيموا الصلاة) أى الصلاة التى دخل وقتها حينئذ أى أدوها بتعديل أركانها ومراعاة شرائطها ومن حمل الذكر على مايعم الذكر باللسان والصلاة من الحنفية فله أن يقول فى تفسير الآية فداوموا على ذكر الله فى جميع الاحوال واذا أردتم أداء الصلاة فصلوها قائمين حال الصحة والقدرة على القيام وقاعدين حال المرض والعجز عن القيام ومضطجعين على الجنوب حال العجز عن القعود (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أى فرضا موقتا قال مجاهد وقته تعالى عليهم فلابد من اقامتها فى حالة الخوف أيضا على الوجه المشروع وقيل مفروضا مقدرا فى الحضر أربع ركعات وفى السفر ركعتين فلابد أن تؤدى فى كل وقت حسبما قدر فيه قال فى شرح الحكم العطائية ولما علم الله تعالى مافى العباد من وجود الشره المؤدى الى الملل القاطع عن بلوغ الامل جعل الطاعات فى الاوقات اذ جعل فى اليوم خمسا وفى السنة شهرا وفى المائتين خمسا وفى العمر زورة رحمة بهم وتيسيرا للعبودية عليهم ولو لم يقيد الطاعات بأعيان الاوقات لمنعهم عنها وجود التسويف فاذا يترك معاملته تهاملا وبطرا وبطالة واتباعا للهوى واتساع الوقت كى تبقى حصة الاختيار وهذا سر الوقت وكان الواجب على الامة ليلة المعراج خمسين صلاة فخفف الله عنهم وجازاهم بكل وقت عشرا فأجر خمسين فى خمسة أوقات قالوا وجه كون يوم القيامة على الكافرين خمسين ألف سنة لانه لماضيع الخمسين عوقب بكل صلاة ألف سنة كما أقروا على أنفسهم بقولهم لم نك من المصلين وفى الحديث من ترك صلاة حتى مضى وقتها ثم قضى عذب فى النار حقبا والحقب ثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم ألف سنة مما تعدون يعنى ترك الصلاة الى وقت القضاء ثم لو عاقب الله به يكون جزاؤه هكذا ولكن الله يتكرم بأن لايجازى به اذا تاب عنه كذا فى مشكاة الانوار وفى الحديث خمسة لاتطفأ نيرانهم ولا تموت ديدانهم ولا يخفف عنهم من عذابها مشرك بالله وعاق لوالديه والزانى بحليلة جاره ورجل سلم أخاه الى سلطان جائر ورجل أو امرأة سمع المؤذن يؤذن ولم يجب من غير عذر يعنى أخرها عن وقتها بغير عذر كذا فى روضة العلماء وفى الحديث ماافترض الله على خلقه بعد التوحيد شيأ أحب اليه من الصلاة ولو كان شئ أحب اليه من الصلاة تعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد وكان آخر ما أوحى به الى النبى عليه السلام الصلاة وماملكت أيمانكم واعلم ان لله عبادا قد منحهم ديمومية الصلاة فهم فى صلاتهم دائمون من الازل الى الابد وليس هذا يدرك بالعقول القاصرة ولا يعقلها الا العالمون بالله تعالى وفى التأويلات النجمية ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا يعنى واجبا فى جميع الاوقات حين فرضت بقوله أقيموا الصلاة أى أديموها رخص فيها بخمس صلوات فى خمسة أوقات لضرورة ضعف الانسانية كما كان الصلاة الخمس خمسين صلاة حين فرضت ليلة المعراج فجعلها بشفاعة النبى عليه السلام خمسا وهذا العوام الخلق والا أثبت دوام الصلاة للخواص بقوله والذين هم على صلاتهم دائمون (وفى المثنوى) پنج وقت آمد نماز رهنمون * عاشقانرا فى صلاة دائمون * نيست زرغبا وظيفه ماهيان * زانكه بى دريا ندارد انس جان * هيچ كس باخويش زرغبا نمود * هيچ كس باخود بنوبت يار بود * دردل عاشق بجز

معشوق نيست * درميان شان فارق وفارق نيست (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم) نزلت فى بدر الصغرى وهى موضع سوق لبنى كنانة كانوا يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام (روى) ان أبا سفيان قال عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى فلما كان القابل ألقى الله الرعب فى قلبه فندم على ما قال فبعث نعيم ابن مسعود ليخوف المؤمنين من الخروج الى بدر فلما أتى نعيم المدينة وجد المؤمنين يتجهزون للخروج فقال لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ففتر المؤمنون فقال عليه السلام لأخرجن ولو لم يخرج معى أحد فأنزل الله هذه الآية ارشادا لمن طرأ عليهم الوهن فى ابتغاء القوم أى طلب أبى سفيان وقوله والمعنى لا تفتروا ولا تضعفوا فى طلب الكفار بالقتال أى لا يورثنكم ما أصابكم يوم أحد من القتل والجراحات فتورا وضعفا (ان تكونوا تألمون) من الجراح (فانهم) أى القوم (يألمون كما تألمون) أى ان كان لكم صارف عن الحرب وهو أنكم تألمون من الجراح فلهم مثل ذلك من الصارف ولكم أسباب داعية الى الحرب ليست لهم كما أشار اليها بقوله (وترجون من الله) من الثواب والنصر (ما لا يرجون) والحاصل ليس ما تقاسونه من الآلام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك فمالكم لا تصبرون مع أنكم أولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب فى الآخرة ما لا يخطر ببالهم قطعا (وكان الله عليما) مبالغا فى العلم فيعلم أعمالكم وضمائركم (حكيما) فيما يأمر وينهى فجدوا فى الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة وفى أمره بابتغاء القوم بالقتال الهمة بالغة كاملة ومصلحة تامة شاملة فاطلبوهم بالقتال فان الله يعذبهم فى الدنيا بأيديكم وفى الآخرة بأيدى الزبانية فهل ينتظرون الا سنة الله فى الكافرين الاولين وهو انزال العذاب بهم حين كذبوا أنبياءهم فلن تجد لسنة الله تبديلا بجعل التعذيب غير تعذيب وغير التعذيب تعذيبا ولن تجد لسنة الله تحويلا بنقل التعذيب عنهم الى غيرهم والحاصل أنه لا يبدل نفس السنة ولا يحول محل السنة اذ لقد حق القول عليهم ولا يبدل القول لديه وفى الآية الكريمة حث على الشجاعة والتجلد واظهار الغلظة كما قال تعالى وليجدوا فيكم غلظة (قيل) هست نرى آفت جان عدو * وزدرشتى مبرد جان خار پشت * قال سلمان الفارسى رضى الله عنه اذا اضطرب قلب المؤمن عند محاربة الكافر تحاتت ذنوبه كتحات أوراق الشجرة بهبوب النسيم وقال عطية بن قيس اذا خرجت غازيا فان خطر ببالك كثرة العدد والعدد رجعت عن السفر خوفا من الغرور وان خطر ببالك قلتهما قلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ومن كلمات بهرام) هرانكه سرتاج دارد * بايد كه دل از سر بردارد (بيت) هرانكه پاى نهد در نكار خانه ملك * يقين كه مال وسر وهرچه هست در بازد (ومن كلمات السعدى) در غزا كند مرد بايد بود * برمخنث سلاح جنك چه سود * يقول الفقير سمعت من حضرة شيخى وسندى الذى هو بمنزلة روحى من جسدى انه قال السلطان والوزير بالنسبة الى العساكر الاسلامية كالقلب بالنسبة الى الاعضاء والجوارح الانسانية فاذا ثبت ثبتوا كما أن القلب اذا صلح صلح الجسد كله فان كان اقبال الامام بعشر مراتب كان اقبال قومه بمرتبة واحدة وان كان بمائة مرتبة كان اقبالهم بعشر مراتب وهكذا وأما ادباره فعكسه فان كان بمرتبة كان ادبار القوم بعشر مراتب

وان كان بعشر مراتب كان ادبارهم عنا بعشر مراتب وهكذا وليس الدخول بدار من باب تفرج البلدان والخروج الى المسير والتنزه فلابد لكل مجاهد أن يجتهد فى خدمة الدين ويتوكل على الله ويعتمد على وعده ويصبر على البلاء حتى يبلغ الكتاب أجله وان أتى الباب فلا يستعجل الامناء ولا يهن ولا يحزن بمكث الفتح المطلوب بل ينتظر الى فرج الله بالنصر والفتح عن قريب فان انكسار القلوب مفتاح أبواب الغيوب ومدار انفتاح أنواع الفتوح ۞ والاشارة فى الآية ولا تهنوا فى ابتغاء القوم أى فى طلب النفس وصفاتها والجهاد معها ان تكونوا تألمون فى الجهاد معها وتتعبون بالرياضات والمجاهدات وملازمة الطاعات والعبادات ومداومة الذكر ومراقبة القلب فى طلب الحق والقبول والوصول الى المقامات العلية فانهم يعنى النفس والبدن فى طلب الشهوات الدنيوية واللذات الحيوانية والمرادات الجسمانية يألمون ويتعبون فى طلبها كما تألمون وترجون من الله العواطف الازلية والعوارف الابدية ما لا يرجون النفوس الردية من همها الدنية التى لا تتجاوز من قصورها عن المقاصد الدنيوية وكان الله فى الازل عليما باستعداد كل طائفة من أصناف الخلق حكيما فيما حكم لكل واحد منهم من المقاصد والمشارب قد علم كل أناس مشربهم وكل حزب بما لديهم فرحون (انا أنزلنا اليك الكتاب) أى القرآن انزالا (بالحق) (روى) ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن أبيرق من بنى ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد ابن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فأخذوها فقال دفعها الىّ طعمة وشهد له ناس من اليهود على ذلك فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل اليهودى ليدفع فضيحة البهتان عن صاحبهم طعمة وقالوا له عليه السلام أن يعاقب اليهودى ويقطع يده بناء على شهادة قوم طعمة على براءته وعلى ان اليهودى هو السارق ولم يظهر له عليه السلام ما يوجب القدح فى شهادتهم بناء على كون كل واحد من الشاهد والمشهود له من المسلمين ظاهرا فلذلك مال طبعه الى نصرة الخائن والذب عنه الا أنه لم يحكم بذلك بل توقف وانتظر الوحى فنزلت الآية ناهية عنه ومنبهة على ان طعمة وشهوده كاذبون وان اليهودى برىء من ذلك الجرم (لتحكم بين الناس بما أراك الله) أى بما عرفك وأوحى به اليك فأراك ليس من الرؤية البصرية ولا من التى بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل بل هو منقول من رأيت بمعنى الاعتقاد والمعرفة وسميت المعرفة المذكورة رؤية لكونها جارية مجرى الرؤية فى القوة والظهور والخلوص من وجوه الريب (ولا تكن) أى فاحكم به ولا تكن (للخائنين) أى لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه فانه روى ان قومه علموا ان تلك السرقة عمل طعمة بناء على انه سارق فى الجاهلية لكنهم بيتوا طول ليلهم واتفقوا على أن يشهدوا بالسرقة على اليهودى دفعا عن طعمة عقوبة السرقة فلذلك وصفهم الله جميعا بالخيانة والمراد بالخائنين هو وكل من يسير بسيرته (خصيما) أى مخاصما للبراء أى لا تخاصم اليهودى لاجلهم (واستغفر الله) مما هممت به تعويلا على شهادتهم قال ابن الشيخ والصادر عنه عليه السلام الهم بذلك الحكم الذى لو وقع لكان خطأ فى نفسه أمر الله تعالى اياه عليه

السلام بأن يستغفر لهذا العذر وان كان معذورا فيه عند الله بناء على ان حسنات الابرار سيئات المقربين (ان الله كان غفورا رحيما) مبالغا فى المغفرة والرحمة لمن يستغفره (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الاختيان والخيانة بمعنى أى يخونونها بالمعصية وانما قال يختانون أنفسهم وان كانوا اخانوا انفسهم لان مضرة خيانتهم راجعة اليهم كما يقال فيمن ظلم غيره ماظلم الا نفسه كذا فى تفسير الحدادى والمراد بالموصول الطعمة وأمثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فانهم شركاء له فى الاثم والخيانة (ان الله لا يحب) عدم المحبة كناية عن البغض والسخط (من كان خوانا) مفرطا فى الخيانة مصرا عليها (أثيما) منهمكا فيه أطلق على طعمة لفظ المبالغة الدال على تكرر الفعل منه مع ان الصادر منه خيانة واحدة واثم واحد لكون طبعه الخبيث مائلا الى تكثير كل واحد من الفعلين وقد روى انه هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق متاع أهله فسقط الحائط عليه فقتله قيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضى الله عنه انه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكى وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده فى أول مرة (يستخفون من الناس) يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم (ولا يستخفون من الله) أى لا يستحيون منه سبحانه وهو أحق بأن يستحيا منه ويخاف من عقابه (وهو معهم) عالم بهم وبأحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه (اذ) ظرف منصوب بالعامل فى الظرف الواقع خبرا وهو معهم (يبيتون) يدبرون ويزورون (ما لا يرضى) الله (من القول) من رمى البرىء والحلف الكاذب وشهادة الزور فان طعمة قال ارمى اليهودى بانه سارق الدرع وأحلف انى لم أسرقها فتقبل يمينى لانى على دينهم ولا تقبل يمين اليهودى وقال قوم طعمة من الانصار نشهد زورا لندفع شين السرقة وعقوبتها عمن هو واحد منا (وكان الله بما يعملون) من الاعمال الظاهرة والخافية (محيطا) لا يفوت عنه شئ (ها أنتم) مبتدأ (هؤلاء) خبره والهاء فى أول كل منهما للتنبيه والجملة التى بعد هذه الجملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء أنت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك والخطاب مع قوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه بسبب انهم كانوا فى الظاهر من المسلمين (جادلتم عنهم فى الحيوة الدنيا) المجادلة أشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وعن قومه فى الدنيا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) فمن يخاصم عنهم فى الآخرة اذا أخذهم الله بعذابه (أم من يكون عليهم وكيلا) حافظا وحاميا من بأس الله وانتقامه * وفى التأويلات النجمية وكيلا يتكلم بوكالتهم يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله (قال السعدى) دران روز كز فعل برسند وقول * اولو العزم راتن بلرزد ز هول * بجايى كه دهشت خورد انبيا * تو عذر كنه را جه دارى بيا * فعلى العبد أن يتوب قبل الموت من كل معصية توبة نصوحا ويتدارك مافرط من تقصيره فى فرائض الله ويرد المظالم الى أهلها حبة حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه شتما أو قذفا أو استهزاء أو غيبة أو يده ضربا أو بسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم وما أشد حسرتك فى ذلك اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السيآت وأنت مفلس فقير عاجز مهين

لا تقدر على أن ترد حسنة أو تظهر عذرا فكيف بك يا مسكين فى يوم ترى فيه صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتى فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك فتوهم نفسك يا أخى اذا تطايرت الكتب ونصبت الموازين وقد نوديت باسمك على رؤس الخلائق أين فلان بن فلان هلم الى العرض على الله وقد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك الى الله لا يمنعها اشتباه الاسماء باسمك اذا عرفت انك المراد بالدعاء اذا فزع النداء قلبك فعلمت أنك المطلوب فارتعدت فرائصك واضطربت جوارحك وتغير لونك وطار قلبك تخطى بك الصفوف الى ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه وقد رفع الخلائق اليك أبصارهم وأنت فى أيديهم وقد طار قلبك واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بنفر من الناس يوم القيامة الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما أعد الله تعالى لاهلها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تريناما أريتنا من ثواب ما اعددت لاوليائك فيقول الله تعالى ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بى بارزتمونى بالعظائم فاذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس خلاف ما تنطوى عليه قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى اجللتم الناس ولم تجلونى تركتم للناس ولم تتركوا لى يعنى لاجل الناس فاليوم اذيقكم اليم عقابى مع ما حرمتكم يعنى من جزيل ثوابى قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم كذا فى تنبيه الغافلين فاذا عرفت هذا فاجتهد فى ان لا تكون من الذين لا يستحيون من الله واجعل خيانتك امانة واثمك طاعة وظلمك عدلا وتزويرك صدقا محضا واستغفر الله فان الاستغفار رداء الاوزار وبه ينفتح باب الملكوت الى الله الملك الغفار (ومن يعمل سوأ) عملا قبيحا متعديا يسوء به غيره ويخزيه كما فعل طعمة بقتادة واليهودى (أو يظلم نفسه) بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك لان الشرك لظلم عظيم وقيل هما الصغيرة والكبيرة (ثم يستغفر الله) بالتوبة الصادقة وشرطت التوبة لان الاستغفار لا يكون توبة بالاجماع ما لم يقل معه تبت واسأت ولا اعود اليه ابدا فاغفر لى يا رب كما فى تفسير الحدادى (يجد الله غفورا) لذنوبه كائنة ما كانت (رحيما) متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه فى التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة وعن على رضى الله عنه قال حدثنى ابو بكر وصدق ابو بكر رضى الله عنه قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلى ركعتين ويستغفر الله الا غفر الله له وتلا هذه الآية ومن يعمل سوأ الخ * اى كه بى حد كناه كردستى * مى نترسى ازان فعال شنيع * توبه كن تا رضاى حق يابى * كه به از توبه نيست هيچ شفيع (ومن يكسب اثما) من الآثام (فانما يكسبه على نفسه) بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا * وفى التأويلات النجمية فانما يكسبه على نفسه فان رين الاثم يظهر فى الحال فى صفاء مرآة قلبه يعميه عن رؤية الحق و يصمه عن سماع الحق كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (وكان الله عليما حكيما) فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته (ومن يكسب خطيئة) صغيرة أو ما لا عمد فيه من الذنوب (أو اثما) كبيرة أو ما كان عن عمد (ثم يرم به) أى يقذف باحد المذكورين ويسب به (بريئا) أى عما رماه به ليحمله عقوبة

العاجلة كما فعل طعمة بزيد اليهودى (فقد احتمل) أى بما فعل من تحميل جريرته على البرئ * (بهتانا) لا يقادر قدره (واثما مبينا) أى بينا فاحشا لانه بكسب الاثم آثم وبرمى البرئ باهت فهو جامع بين الامرين وسمى رمى البرئ بهتانا لكون البرئ متحيرا عند سماعه لعظمه فى الكذب يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير ويقال بهته بهتانا اذا قال عنه ما لم يقله أو نسب اليه ما لم يفعله (وروى) عنه عليه السلام انه قال الغيبة ذكرك أخاك بما يكره فقيل أفرأيت ان كان فى أخى ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته * وفى التأويلات النجمية فقد احتمل صاحب النفس بهتانا أى بهت القلوب عن العبودية والطاعة واثما مبينا بما أثمت به نفسه من المعاصى وأثم بها قلبه فيكون بمنزلة من جعل اللب وهو القلب جلدا وهو النفس وهذا من اكبر الشقاوة فلا ينقطع عنه العذاب اذا صار كل وجوده جلودا فيكون من جملة الذين قال الله تعالى فيهم سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها لانهم بدلوا الالباب بالجلود ههنا انتهى واعلم أن الاستغفار فرار العبد من الخلق الى الخالق ومن الانانية الى الهوية الذاتية وذلك عند صدق الطلب ومن طلبه وجده كما قال ألا من طلبنى وجدنى قال موسى عليه السلام أين أجدك يا ربى قال يا موسى اذا قصدت الى فقد وصلت الى فلا بد من الاستغفار مطلقا ويقال سلطان بلا عدل كنهر بلا ماء وعالم بلا عمل كبيت بلا سقف وغنى بلا سخاوة كسحاب بلا مطر وشاب بلا توبة كشجر بلا ثمر وفقير بلا صبر كقنديل بلا ضوء وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وتهذيب الاخلاق قبل الموت من سنن الاخيار ولعل الصالح قرين الرجل كما ان السوء كذلك * نا كهان بانك درسراى افتاد * كه فلان را اجل وعده رسيد * دوستان آمدند تا لب كور * قدمى چند وباز پس كرديد * وين كزو بود تترس عمدارى * مال وملك وقباله برده كايد * وين كه پيوسته با تو خواهد بود * عمل تست ونفس باك و پليد * نيك درياب وبد مكن زنهار * كه بدونيك باز خواهى ديد (حكى) ان الشيخ وفا المدفون بقسطنطينية فى حريم جامعه الشريف أهدى اليه ثمانون ألف درهم من قبل السلطان بايزيد الثانى ليعقد عقد النكاح لبعض بناته فقال لا أفعل ولو أعطيت الدنيا وما فيها قيل ولم قال لان لى أورادا الى الضحى لا أنفك عنها ساعة وأنام من الضحى الى الظهر لا أترك منه ساعة وأما بعد الظهر فأنتم لا ترضونه لان النهار يكون فى الانتقاص وهكذا يكون طالب الحق فى ليله ونهاره فان الدنيا فانية فالحى الباقى هو الله تعالى فلا بد من طلبه (ولولا فضل الله عليك ورحمته) بالعصمة (لهمت طائفة منهم) أى من بنى ظفر وهم الذابون عن طعمة (أن يضلوك) أى بأن يضلوك عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك مع علمهم بأن الجانى هو صاحبهم وليس القصد فيه الى نفى همهم بل الى نفى تأثيره (وما يضلون الا أنفسهم) لان وباله عليهم (وما يضرونك من شئ) محل الجار والمجرور النصب على المصدرية أى وما يضرونك شيأ من الضرر لان الله عاصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا فى الحكم (وأنزل الله عليك الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى ما فى القرآن من الاحكام وعرفك الحلال والحرام (وعلمك) بالوحى من الغيب وخفيات الامور (ما لم تكن تعلم) ذلك الى وقت التعليم (وكان فضل الله عليك عظيما) اذ لا فضل أعظم من النبوة العامة والرياسة التامة ومن ذلك الفضل العظيم عصمته

وتعليمه

وتعليمه ما لم يعلم * قال الحدادي في تفسيره وفي هذه الآيات دلالة انه لا يجوز لاحد أن يخاصم لغيره في اثبات حق أو نفيه وهو غير عالم بحقيقة أمره وانه لا يجوز للحاكم الميل الى أحد الخصمين وان كان أحدهما مسلما والآخر كافرا وان وجود السرقة في يدى انسان لا يوجب الحكم بها عليه انتهى واعلم ان هذه الآية جامعة لفضائل كثيرة منها بيان أن وبال الشر يعود على صاحبه كما أن منفعة الخير تعود على فاعله (قال الصائب) اول بطالمان اثر ظلم ميرسد * بيش ازهدف هميشه كمان ناله ميكند * (حكى) ان الله تعالى أيبس يد رجل بذبح عجل بقرة بين يدى امه ثم ردها برد فرخ سقط من وكره الى أمه وقال ثلاثة لا يفلحون بائع البشر وقاطع الشجر وذابح البقر (وحكى) ان امرأة وضعت لقمة في فم سائل ثم ذهبت الى مزرعة فوضعت ولدها في موضع فأخذه الذئب فقالت يارب ولدى فأخذ آت عنق الذئب واستخرج ولدها من غير أذى ثم قال هذه اللقمة لتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل فكل يرى أثر صنعه في الدنيا أيضا ومنها ان العلم والحكمة من أعظم الفضائل والمراد العلم النافع المقرب الى الله تعالى أعاذنا الله عما لم ينفع منه على ما قال عليه الصلاة والسلام في دعائه وأعوذ بك من علم لا ينفع فان العلم النافع لا ينقطع مدده في الآخرة أيضا على ما روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له ومنها أن لا يرى العبد الفضائل والخيرات من نفسه بل من فضل الله ورحمته وليس للعبد أن يزكى نفسه فان الانفس ليست بمحل التزكية فمن استحسن من نفسه شيأ فقد أسقط من باطنه أنوار اليقين والكامل لا يرى لنفسه قدرا فكيف لعمله وكل ما يعمله العبد من بدايته الى نهايته لا يقابل لنعمة الوجود (حكى) عن شاه شجاع الكرمانى انه كان جالسا في مسجد فقام فقير وسأل الناس فلم يعطوه شيأ فقال الكرمانى من يشترى حج خمسين سنة بمن من الخبز فيعطى هذا الفقير وكان هنالك فقيه فقال أيها الشيخ قد استخففت بالشريعة فقال الكرمانى لا أرى لنفسى قيمة فكيف أرى لعملى وليس المراد التعطيل عن العمل بل يعملون جميع الحسنات ولا يرون لها قدرا بل يرون التوفيق لها من فضل الله تعالى (قال السعدى) كراز حق نه توفيق خيرى رسد * كه ازبنده خيرى بغيرى رسد * جو روبين بخدمت منه بر زمين * خدارا ثنا كوى وخودرا مبين * والاشارة في الآية ان فضل الله موهبة من مواهب الحق يؤتيه من يشاء وليس لاحد فيه مدخل بالكسب والاجتلاب وبذلك يهدى العبد للايمان ويوفقه للعمل الصالح والعظيم في قوله وكان فضل الله عليك عظيما هو الله تعالى أى ان الله العظيم هو فضل الله عليك ورحمته كما انك فضل الله ورحمته على العالمين ولهذا قال لولاك لما خلقت الافلاك ومن فضل الله عليه انه لم يضله شئ من الروحانيات والجسمانيات عن طريق الوصول اللهم احفظنا من الموانع في طريق الوصول اليك آفاقية أو أنفسية وألحقنا بفضلك بالنفوس القدسية (لا خير في كثير من نجواهم) أى في كثير من تناجى الناس وهو في اللغة سر بين اثنين وذهب الزجاج الى أن النجوى ما تفرد به الجماعة أو الاثنان سرا كان أو ظاهرا قال مجاهد هذه الآية عامة في حق جميع الناس غير مختصة بقوم طعمة وان نزلت في تناجى قوم السارق لتخليصه (الا من أمر) أى الا في نجوى من أمر على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد (بصدقة

أو معروف) المعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم أصناف الجميل وفنون
أعمال البر وقد فسر هنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة
الصدقة الواجبة قال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وأول أهل الجنة دخولا أهل
المعروف وصنائع المعروف تقى مصارع السوء * تو نيكى كن بآب انداز اى شاه * اكر ماهى
نداند داند الله * وفى الحديث عمل ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من أمر بمعروف أو نهى عن
منكر أو ذكر الله (أو اصلاح بين الناس) عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير أن يجاوز فى
ذلك حدود الشرع الشريف وفى الحديث ألا أخبركم بأفضل درجة من الصلاة والصدقة قالوا
بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هى الحالقة فلا أقول تحلق الشعر
ولكن تحلق الدين وعن أبى أيوب الانصارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا أدلك
على صدقة خير لك من حمر النعم قال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم
اذا تباعدوا قالوا ولعل السر فى افراد هذه الاقسام الثلاثة بالذكر أن عمل الخير المتعدى
الى الناس اما لايصال المنفعة أو لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة
بقوله عز وجل الا من أمر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر
فقد أشير اليه بقوله أو اصلاح بين الناس (ومن يفعل ذلك) اشارة الى الامور المذكورة أعنى
الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى متعدد وانما بنى الكلام على الامر حيث قال
أولا الا من أمر فهو كلام فى حق الآمر بالفعل ورتب الجزاء على الفعل حيث قال ومن يفعل
فهو كلام فى حق الفاعل وكان المناسب للاول أن يبين حكم الآمر ويقول ومن يأمر بذلك
ليدل على انه لما دخل الآمر فى زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم وأن العمدة والغرض هو
الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه ففيه تحريض الآمر بالامور المذكورة على
فعلها (ابتغاء مرضاة الله) أى طلب رضا الله تعالى علة للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات
وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به غير الحرمان (قال السعدى) كرت بيخ اخلاص در بوم
نيست * ازين دركسى چون تو محروم نيست * زعمرو اى پسر چشم اجرت مدار * چو در خانه
زيد باشى بكار (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) يقصر عنه الوصف ويستحقرون له ما فات من
أعراض الدنيا (ومن يشاقق الرسول) يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين فى شق غير شق
الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته (ويتبع
غير سبيل المؤمنين) أى غير ما هم مستمرون عليه من اعتقاد وعمل وهو الدين القيم (نوله ما تولى)
أى نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بأن نخلى بينه وبين ما اختار (ونصله جهنم) أى ندخله
فيها (وساءت مصيرا) أى جهنم (روى) ان طعمة عاند حكم الله وخالف رسول الله وخوفا من
فضاحة قطع اليد هرب الى مكة واتبع دين أهلها ومات كافرا فعلى العاقل ان لا يخالف الجماعة
وهم المؤمنون فان الشاة الخارجة عن القطيع يأكلها الذئب وسبيل المؤمنين هو السبيل
الحق الموصل الى الجنة والقربة والوصلة واللقاء * والاشارة انه لا خير فى كثير من نجواهم اى
الذين يتناجون من النفس والشيطان والهوى لانهم شرار ولا فيما يتناجون به لانهم يأمرون
بالسوء والفحشاء والمنكر ثم استثنى وقال الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس

أى الافعين أمر بهذه الخيرات فان فيه الخير وهو الله تعالى فانه يأمر بالخيرات بالوحى عموما
أو يأمر بالخاطر الرحمانى والالهام الربانى خواص عباده فالخاطر يكون بواسطة الملك وبغير
الواسطة كما قال عليه السلام ان للملك لمة وان للشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير ولمة الشيطان
ايعاد بالشر والالهام ما يكون من الله تعالى بغير الواسطة وهو على ضربين ضرب منه
ما لا شعور به للعبد أنه من الله وضرب منه ما يكون باشارة صريحة يعلم العبد أنه آت من الله
تعالى لتعليم نور الالهام وتعريفه لا يحتاج الى معرفة آخر أنه من الله تعالى وهذا يكون للولى
وغير الولى كما قال بعض المشايخ حدثنى قلبى عن ربى وقال عليه السلام ان الحق لينطق على
لسان عمر وقال كادت فراسته أن تسبق الوحى ثم قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله أى ومن
يفعل بما ألهمه الله طلبا لمرضاته فسوف نؤتيه أجرا عظيما ذكر بفاء التعقيب قوله فسوف يعنى
عقيب الفعل نؤتيه أجرا وهو جذبة العناية التى تجذبه عنه وتوصله الى العظيم ثم قال ومن
يشاقق الرسول أى يخالف الالهام الربانى الذى هو رسول الحق اليه من بعد ما تبين له الهدى
بتعريف الالهام ونوره ويتبع غير سبيل المؤمنين الموقنين بالالهام بأن يتبع الهوى وتسويل
النفس وسبيل الشيطان نوله ما تولى أى نكله بالخذلان الى ما تولى ونصله بسلاسل معاملاته التى
تولى بها الى جهنم سفليات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية وساءت مصيرا أى ما صار اليه
من عبادة الهوى واتباع النفس والشيطان واشراكهم بالله فى المطاوعة كذا فى التأويلات
النجمية (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) يقال جاء شيخ الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم أشرك بالله شيأ منذ عرفته وآمنت
به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصى جراءة وما توهمت طرفة عين أنى أعجز الله هربا وانى
لنادم تائب فما ترى حالى عند الله فنزلت هذه الآية فالشرك غير مغفور الا بالتوبة عنه وما سواه
مغفور سواء حصلت التوبة أو لم تحصل لكن لا لكل أحد بل لمن يشاء الله مغفرته (ومن
يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن
الصواب والاستقامة قال الحدادى أى فقد ذهب عن الصواب والهدى ذهابا بعيدا وحرم
الخير كله والفائدة فى قوله بعيدا أن الذهاب عن الجنة على مراتب أبعدها الشرك بالله تعالى
انتهى فالشرك أقبح الرذائل كما أن التوحيد أحسن الحسنات والسيآت على وجوه كأكل
الحرام وشرب الخمر والغيبة ونحوها لكن أسوأ الكل الشرك بالله ولذلك لا يغفر وهو جلى وخفى
حفظنا الله منهما وكذا الحسنات على وجوه ويجمعها العمل الصالح وهو ما أريد به وجه الله
وأحسن الكل التوحيد لانه أساس جميع الحسنات وقامع السيآت ولذلك لا يوزن قال عليه
السلام كل حسنة يعملها ابن آدم توزن يوم القيامة الا شهادة أن لا اله الا الله فانها لا توضع
فى ميزانه لانها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات والارضون السبع
وما فيهن كان لا اله الا الله أرجح من ذلك ثم ان الله تعالى بين كون ضلالهم ضلالا بعيدا فقال
(ان) بمعنى ما النافية (يدعون) أى المشركون وهو بمعنى يعبدون لان من عبد شيأ فانه يدعوه
عند احتياجه اليه (من دونه) الضمير راجع الى الله تعالى (الا اناثا) جمع انثى والمراد الاوثان
وسميت أصنامهم اناثا لانهم كانوا يصورونها بصورة الاناث ويلبسونها أنواع الحلل التى

تزيين النساء ويسمونها اناثا باسماء المؤنثات نحو اللات والعزى ومناة والشيء قد يسمى أنثى
لتأنيث اسمه أو لانها كانت جمادات لا أرواح فيها والجمادات يدعى أنثى تشبيها لها بها من حيث انه
منفعل غير فاعل ولعله تعالى ذكره بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه
ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود أن يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم
وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة فان من المشركين من يعبد الملائكة ويقول الملائكة
بنات الله تعالى قال الله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى مع
اعترافهم بأن اناث كل شيء أخسه وأرذله (وان يدعون) أي وما يعبدون بعبادة الاصنام
(الا شيطانا مريدا) لانه الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها وكان طاعته في ذلك عبادة له
قيل كان في كل واحد من تلك الاوثان شيطان يتراءى للسدنة والكهنة يكلمهم وقال الزجاج
المراد بالشيطان ههنا ابليس بشهادة قوله تعالى بعد هذه الآية لأتخذن وهو قول ابليس
ولا يبعد أن الذي يتراءى للسدنة هو ابليس والمريد هو الذي لا يعلق بخير فقيل من مرد أي تجرد
للشر وتعرى من الخير يقال شجرة مرداء أي لا ورق عليها وغلام أمرد اذا لم يكن على
وجهه شعر (لعنه الله) صفة ثانية للشيطان أي أبعده من رحمته الى عقابه بالحكم له بالخلود في
جهنم ويسقط بهذا قول من قال كيف يصح أن يقال لعنه الله وهو في الدنيا لا يخلو من نعمة تصل
اليه من الله تعالى في كل حال لانه لا يعتد بتلك النعمة مع الحكم له بالخلود في النار (وقال)
عطف عليه أي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن
الدال على فرط عداوته للناس فان الواو الواقعة بين الصفات انما تفيد مجرد الجمعية (لأتخذن)
هذه اللام واللامات الآتية كلها للقسم (من عبادك نصيبا مفروضا) أي مقطوعا واجبا قدر لي
وفرض وهو أي النصيب المفروض لابليس كل من أطاعه فيما زين له من المعاصي قال الحسن
من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون كما في حديث المشارق (يقول الله تعالى) أي في يوم
الموقف (يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول أخرج بعث النار) يعني ميز أهلها
والبعث بمعنى المبعوث (قال وما بعث النار) ما هنا بمعنى كم العددية ولذا أجيب عنها بالعدد
(قال) أي الله تعالى (من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون قال النبي عليه السلام فذلك
التقاول حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها) كنايتان عن شدة أهوال يوم القيامة
(وترى الناس سكارى) أي من الخوف (وما هم بسكارى) أي من الخمر (ولكن عذاب الله
شديد) قال أي الراوي واشتد ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل الباقي من الالف
فقال أبشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجلا والخطاب للصحابة وغيرهم من
المؤمنين ثم قال والذي نفسي بيده اني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة قال الراوي فحمدنا الله
وكبرنا ثم قال والذي نفسي بيده اني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال
والذي نفسي بيده اني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وترقى عليه السلام في حديث آخر
من النصف الى الثلثين وقال ان أهل الجنة مائة وعشرون صنفا وهذه الامة منها ثمانون ان
مثلكم في الامم أي الكفرة كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود فلا يستبعد دخول كل
المؤمنين الجنة فان قيل كيف علم ابليس أنه يتخذ من عباد الله نصيبا قيل فيه أجوبة منها ان الله

تعالى لما خاطبه بقوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين علم ابليس أنه ينال من ذرية آدم ما يتمناه ومنها انه لما وسوس لآدم فنال منه طمع فى ذريته ومنها ان ابليس لما عاين الجنة والنار علم ان لهما سكانا من الناس (ولأضلنهم) عن الحق واضلاله وسواس ودعاء الى الباطل ولو كان اليه شئ من الضلالة سوى الدعاء اليها لأضل جميع الخلق ولكنه كما قال عليه السلام فى حقه خلق ابليس مزينا وليس اليه من الضلالة شئ يعنى انه يزين للناس الباطل وركوب الشهوات ولا يخلق لهم الضلالة (ولأمنينهم) الامانى الباطلة بأن يخيل للانسان ادراك ما يتمناه من المال وطول العمر وقيل لئن يتمنى الانسان أى يوهمه أنه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا عقاب ولا حساب وقيل بأن يوهمه أنه ينال فى الآخرة حظا وافرا من فضل الله ورحمته (ولآمرنهم) بالبتك أى القطع والشق (فليبتكن آذان الانعام) أى فليقطعنها بموجب أمرى ويشقنها من غير تلعثم فى ذلك ولا تأخير يقال بتكه أى قطعه ونقل الى بناء التفعيل أى التبتيك للتكثير وأجمع المفسرون على ان المراد به ههنا قطع آذان البحائر والسوائب والانعام الابل والبقر والغنم أى لاحملنهم على أن يقطعوا آذان هذه الاشياء ويحرموها على أنفسهم بجعلها للاصنام وتسميتها بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا وكان أهل الجاهلية اذا انتجت ناقة أحدهم خمسة أبطن وكان آخرها ذكرا بحروا أذنها وامتنعوا من ركوبها وحلبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى واذا لقيها المعيى لم يركبها وقيل كانوا يفعلون ذلك بها اذا ولدت سبعة أبطن والسائبة المخلاة تذهب حيث شاءت وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة أو يقول ان قدم غائبى من السفر أو ان وصلت الى وطنى أو ان ولدت امرأتى ذكرا أو نحو ذلك فناقتى سائبة فكانت كالبحيرة وكذا من كثر ماله بسبب واحدة منها تكرما وكانت لا ينتفع بشئ منها ولا تمنع عن ماء ومرعى الى أن تموت فيشترك فى أكلها الرجال والنساء والوصيلة هى من الغنم اذا ولدت سبعة أبطن فان كان الولد السابع ذكرا ذبحوه لآلهتهم وكان لحمه للرجال دون النساء وان كان أنثى كانوا يستعملونها وكانت بمنزلة سائر الغنم وان كان ذكرا وأنثى قالوا ان الاخت وصلت أخاها فلا يذبحون اخاها من أجلها ويجرى مجرى السائبة وكانت المنفعة للرجال دون النساء فهى فعيلة بمعنى فاعلة والحامى هو البعير الذى ولد ولد ولده وقيل هو الفحل من الابل اذا ركب ولد ولده قالوا انه قد حمى ظهره فيهمل ولا يركب ولا يمنع عن الماء والمرعى واذا مات يأكله الرجال والنساء (ولآمرنهم) بالتغيير (فليغيرن خلق الله) عن نهجه صورة وصفة ويندرج فيه أمور * منها فقء عين الحامى وكانت العرب اذا بلغت ابل أحدهم ألفا عوروا عين فحلها والحامى الفحل الذى طال مكثه عندهم * ومنها خصاء العبيد وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا فى خصاء البهائم لمكان الحاجة ومنعوه فى بنى آدم وعند أبى حنيفة يكره شراء الخصيان واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم قال فى نصاب الاحتساب قرأت فى بعض الكتب ان معاوية دخل على النساء ومعه خصى مجبوب فنفرت منه امرأة فقال معاوية انما هو بمنزلة امرأة فقالت أترى ان المثلة فيه قد أحلت ما حرم الله من النظر فتعجب من فطنتها وفقهها ومنها الوشم وهو أن يغرز الجلد بابرة ثم يحشى بكحل أو نيلنج وهو دخان الشحم يعالج به الوشم حتى يخضر قال بعض اصحاب الشافعى ويجب ازالته ان أمكن بالعلاج والا فبالجرح ان لم يخف فوت عضو ومنها الوشر وهو أن تحد

المرأة أسنانها وترققها تشبها بالشواب * ومنها التنمص وهو نتف شعور الوجه يقال تنمصت المرأة اذا تزينت بنتف شعر وجهها وحاجبها والنامصة المرأة التي تزين النساء بالنمص والنمص والمنماص المنقاش وقد لعن النبي عليه السلام النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والواشرة والمستوشرة والواصلة هي التي تصل شعر غيرها بنفسها والمستوصلة هي التي تأمر غيرها بأن توصل ذلك الى شعرها قال ابن الملك الواصلة هي التي تصل الشعر بشعر آخر زورا والمستوصلة هي التي تطلبه والرجل والمرأة سواء في ذلك هذا اذا كان المتصل شعر الآدمي لكرامته فلا يباح الانتفاع بشيء من أجزائه اما غيره فلا بأس بوصله فيجوز اتخاذ النساء القراميل من الوبر وقيل فيه تفصيل ان لم يكن لها زوج فهو حرام أيضا وان كان فان فعلته باذن الزوج أو السيد يجوز والا فلا ثم انها ان فعلت ذلك بصغيرة تأثم فاعلته ولا تأثم المفعولة لانها غير مكلفة ويدخل في التنمص نتف شعر العانة فان السنة حلق العانة ونتف الابط ومنها السحق وهو لكونه عبارة عن تشبه الانثى بالذكور من قبيل تغيير خلق الله عن وجهه صفة * وفي الحديث المرفوع سحاق النساء زنا بينهن وكذا التخنث لما فيه من تشبه الذكر بالانثى وهو اظهار اللين في الاعضاء والتكسر في اللسان * ومنها اللواطة لما فيها من اقامة ما خلق لدفع الفضلات مقام موضع الحراثة والنظر الى صبيح الوجه بالشهوة حرام ومجالسته حرام لانه عورة من القرن الى القدم وجاء في بعض الروايات ان مع كل امرأة شيطانين ومع كل غلام ثمانية عشر شيطانا ومنها عبادة الشمس والقمر والكواكب والحجارة فان عبادتها وان لم تكن تغييرا لصورها لكنها تغيير لصفتها فان شيأ منها لم يخلق لان يعبد من دون الله وانما خلق لينتفع به العباد على الوجه الذي خلق لاجله وكذا الكفر بالله وعصيانه فانه أيضا تغيير خلق الله عن وجهه صفة فانه تعالى فطر الخلق على استعداد التحلي بحلية الايمان والطاعة ومن كفر بالله وعصاه فقد أبطل ذلك الاستعداد وغير فطرة الله صفة ويؤيده قوله عليه السلام كل مولود يولد على فطرة الاسلام فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وكذا استعمال الجوارح في غير ما خلقت لاجله تغيير لها عن وجهها صفة والجمل الاربع وهي لاتخذن ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم كل واحدة منها مقول للشيطان فلا يخلوا اما أن يقولها بلسان جسمه أو بلسان فعله وحاله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) بايثار ما يدعو اليه على ما أمره الله به وتجاوزه عن طاعة الله تعالى الى طاعته (فقد خسر خسرانا مبينا) لانه ضيع رأس ماله بالكلية وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار (يعدهم) ما لا ينجزه من طول العمر والعافية ونيل لذائذ الدنيا من الجاه والمال وقضاء شهوات النفس (ويمنيهم) ما لا ينالون نحو أن لا بعث ولا حساب ولا جزاء أو نيل المثوبات الاخروية من غير عمل (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة أو بألسنة أوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد أو مفعول لاجله أي ما يعدهم لشيء الا لان يغرهم واعلم أن العمدة في اغواء الشيطان أن يزين زخارف الدنيا ويلقي الاماني في قلب الانسان مثل أن يلقي في قلبه انه سيطول عمره وينال من الدنيا أمله ومقصوده ويستولي على أعدائه ويحصل له ما تيسر لارباب المناصب والاموال وكل ذلك غرور لانه ربما لا يطول عمره وان طال فربما لا ينال أمله ومطلوبه وان طال عمره ووجد مطلوبه على أحسن الوجوه فلا بد أن يفارقه بالموت

فيقع فى أعظم أنواع الغم والحسرة فان تعلق القلب بالمحبوب كلما كان أشد وأقوى كانت مفارقته أعظم تأثيرا فى حصول الغم والحسرة ولذلك (قيل) الفت مكير همچو الف هيچ با كسى * تا همدم الم نشوى وقت انقطاع * فنبه سبحانه وتعالى على ان الشيطان انما يعدو يمنى لاجل أن يغر الانسان ويخدعه ويفوت عنه أعز المطالب وأنفع المآرب فالعاقل من لا يتبع وسواس الشيطان ويبتغى رضا الرحمن بالتمسك بكتابه العظيم وسنن رسوله الكريم والعمل بهما ليفوز فوزا عظيما وكفى بذلك نصيحة (اولئك) اشارة الى أولياء الشيطان وهو مبتدأ (مأواهم) أى مستقرهم وهو مبتدأ ثان (جهنم) خبر للثانى والجملة خبر للاول (ولا يجدون عنها محيصا) أى معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا أى كائنا عنها ولا يجوز أن يتعلق بيجدون لانه لا يتعدى بعن ولا بقوله محيصا لانه اما اسم مكان وهو لا يعمل مطلقا واما مصدر ومعمول المصدر لا يتقدم عليه * والاشارة ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم السعداء وخلق النار وخلق لها أهلا وهم الاشقياء وخلق الشيطان مزينا وداعيا وآمرا بالهوى فمن يرى حقيقة الاضلال ومشيئته من ابليس فهو ابليس وقد قال تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء والنصيب المفروض من العباد هم طائفة خلقهم الله تعالى أهل النار كقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وهم أتباع الشيطان ههنا ولقد لعن الله الشيطان وأبعده عن الحضرة اذ كان سبب ضلالتهم كما قال عليه السلام الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه وانما لعن الله الدنيا وأبغضها لانها كانت سبب الضلالة وكذلك الشيطان ولا يغتر بوعد الشيطان الا الضال بالضلال البعيد الازلى وانما تولد منه الشرك المقدر بمشيئة الله الازلية وأما من خلقه الله أهلا للجنة فقد غفر له قبل أن خلقه ومن غفر له فانه لا يشرك بالله شيأ وعن ابن عباس رضى الله عنه لما نزل قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ تطاول ابليس وقال أنا شئ من الاشياء فلما نزل فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة يئس ابليس وتطاولت اليهود والنصارى ثم لما نزل قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى يئس اليهود والنصارى وبقيت الرحمة للمؤمنين خاصة فهم خلقوا للرحمة ودخلوا الجنة بالرحمة ولهم الخلود فى الرحمة وبقى العذاب للشيطان وأتباعه من الانس والجن ولهم الخلود فى النار كما قال تعالى ولا يجدون عنها محيصا لانهم خلقوا لها فلا بد من الدخول فيها (قال الحافظ) پير ما گفت خطا بر قلم صنع نرفت * آفرين بر نظر پاك خطا پوشش باد * فافهم تفز ان شاء الله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) صلاح الاعمال فى اخلاصها فالعمل الصالح هو ما أريد به وجه الله تعالى وينتظم جميع أنواعه من الصلاة والزكاة وغيرهما (سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار) أى أنهار الماء واللبن والخمر والعسل (خالدين فيها أبدا) أى مقيمين فى الجنة الى الابد فنصب أبدا على الظرفية وهو لاستغراق المستقبل قال الحدادى انما ذكر الطاعة مع الايمان وجمع بينهما فقال آمنوا وعملوا الصالحات ليتبين بطلان توهم من يتوهم انه لا تضر المعصية والاخلال بالطاعة مع الايمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر وليتبين استحقاق الثواب على كل واحد من الامرين (وعد الله حقا) أى وعدهم الله هذا وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لانه مضمون الجملة الاسمية التى قبل وعدا لان الوعد عبارة عن الاخبار بايصال المنفعة قبل وقوعها والثانى مؤكد

لغيره لان الخبر من حيث انه خبر يحتمل الصدق والكذب (ومن أصدق من الله قيلا) استفهام انكارى أى ليس أحد أصدق من الله قولا ووعدا وانه تعالى أصدق من كل قائل فوعده أولى بالقبول ووعد الشيطان تخييل محض ممتنع الوصول وقيلا نصب على التميز والقيل والمقال مصدران كالقول (ليس بأمانيكم) جمع امنية بالفارسية آرزو كردن (ولا أمانى أهل الكتاب) أى ليس ما وعد الله من الثواب يحصل بأمانيكم أيها المسلمون ولا بأمانى أهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح وأمانى المسلمين أن يغفر لهم جميع ذنوبهم من الصغائر والكبائر ولا يؤاخذوا بسوء بعد الايمان وأمانى أهل الكتاب أن لا يعذبهم الله ولا يدخلهم النار الا أياما معدودة لقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبنا وعن الحسن ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ان قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل قال بعضهم الرجاء ما قارنه عمل والا فهو أمنية والامنية منية أى موت اذ هى موجبة لتعطيل فوائد الحياة (قال السعدى) قيامت كه بازار مينو نهند * منازل باعمال نيكو دهند * بضاعت بچندانكه آرى برى * اگر مفلسى شرمسارى برى * كسى را كه حسن عمل بيشتر * بدرگاه حق منزلت بيشتر * ثم انه تعالى أكد حكم الجملة الماضية وقال (من يعمل سوأ) عملا قبيحا (يجز به) عاجلا أو آجلا لما روى أنه لما نزلت قال أبو بكر رضى الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام اما تحزن أما تمرض أما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك قال أبو هريرة رضى الله عنه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما أبقت هذه الآية من شئ قال اما والذى نفسى بيده لكما أنزلت ولكن يسروا وقاربوا وسددوا أى اقصدوا السداد أى الصواب ولا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم فى العبادة لئلا يفضى ذلك بكم الى الملال فتتركوا العمل كذا فى المقاصد الحسنة (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) أى ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره فى دفع العذاب عنه (ومن يعمل من الصالحات) من للتبعيض أى بعضها وشيأ منها فان كل أحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفى وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة فى بعض الاحوال (من ذكر أو أنثى) فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور لانه لا اعتداد بالعمل بدون الايمان فيه (فأولئك) المؤمنون العاملون (يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) أى لا ينقصون مما استحقوه من جزاء أعمالهم مقدار النقير وهى النقرة أى الحفرة التى فى ظهر النواة ومنها تنبت النخلة وهو علم فى القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى أن لا يزاد عقاب العاصى لان المجازى أرحم الراحمين وفى الحديث ان الله وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة فمن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده أعشاره أى سيآته على حسناته قال النيسابورى حكمة تضعيف الحسنات فى طاعته لئلا يفلس العبد اذا اجتمع الخصماء فيدفع اليهم واحدة ويبقى له تسع فظالم العباد يوفى من التضعيفات لا من أصل حسناته لان التضعيف فضل من الله تعالى وأصل

الحسنة الواحدة عدل منه واحدة بواحدة وقد ذكر الامام البيهقى فى كتاب البعث فقال ان التضعيفات فضل من الله تعالى لا تتعلق بها العباد كما لا تتعلق بالصوم بل يدخرها الحق للعبد فضلا منه سبحانه فاذا دخل الجنة أثابه بها (قال السعدى) نكو كارى از مردم نيك راى * يكى را بده مى نويسد خداى * جو ابراره طاعت امروز كير * كه فردا جوانى نيايد زبير * ره خير بازست وطاعت وليك * نه هر كس توانا ست برفعل نيك * همه برك بودن همى ساختى * بتدبير رفتن نبرداختى * واعلم أن جميع الاعمال الصالحة يزيد فى نور الايمان فعليك بالطاعات والحسنات والوصول الى المعارف الالهية فان العلم بالله أفضل الاعمال ولذلك لما قيل يا رسول الله أى الاعمال أفضل قال العلم بالله فقيل الاعمال نريد قال العلم بالله فقيل تسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وذلك انما يحصل بتصفية الباطن مع صيقل التوحيد وأنواع الاذكار ولا يعقلها الا العالمون * والاشارة ليس بأمانيكم يعنى بأمانى عوام الخلق الذين يذنبون ولا يتوبون ويطمعون أن يغفر الله لهم والله تعالى يقول وانى غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ولا أمانى أهل الكتاب يعنى العلماء السوء الذين يغرون الخلق بالرجاء المذموم ويقطعون عليهم طريق الطلب والجد والاجتهاد من يعمل سوأ يجز به فى الحال باظلمة والرين على مرآة قلبه بعد الذنب كما قال عليه السلام اذا أذنب عبد ذنبا نكت فى قلبه نكتة سوداء فان تاب ورجع منه صقل ولا يجد له من دون الله وليا يخرجه من ظلمات المعصية الى نور الطاعة بالتوبة ولا نصيرا سوى الله ينصره بالظفر على النفس الامارة فيزكيها عن صفاتها وعلى الشيطان فيدفع شره وكيده ومن يعمل من الصالحات أى الخالصات من ذكر أو أنثى يشير بالذكر الى القلب وبالانثى الى النفس وهو مؤمن مخلص فى تلك الاعمال فأولئك يدخلون الجنة المعنى أن القلب اذا عمل بما وجب عليه من التوجه الى العالم العلوى والاعراض عن العالم السفلى وغض البصر عن سوى الحق يستوجب دخول جنة القربة والوصلة والنفس اذا عملت بما وجب عليها من الانتهاء عن هواها وترك حظوظها وأداء حقوق الله تعالى فى العبودية واطمأنت بها استحق الرجوع الى ربها والدخول فى جنة عالم الارواح كما قال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية ولا يظلمون نقيرا فيما قدرلهم الله من الاعمال الصالحات ولا من الدرجات والقربات فليس من تمنى نعمته من غير أن يتعنى فى خدمته كمن تعنى فى خدمته من غير أن تمنى نعمته وان بينهما بونا بعيدا من أعلى مراتب القرب الى أسفل سافلين البعد كذا فى التأويلات النجمية (ومن) استفهام انكارى (أحسن دينا) الدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار فان الشريعة من حيث انها يطاع لها دين ومن حيث انها تملى وتكتب ملة والاملال بمعنى الاملاء (ممن أسلم وجهه لله) أى جعل نفسه وذاته سالمة خالصة لله تعالى بان لم يجعل لاحد حقا فيها الا من جهة الخالقية والمالكية ولا من جهة العبودية والتعظيم وقوله دينا نصب على التمييز من أحسن منقول من المبتدا والتقدير ومن دينه أحسن من دين من أسلم الخ فالتفضيل فى الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما (وهو محسن) الجملة حال من فاعل أسلم أى والحال انه آت بالحسنات تارك للسيآت وقد فسره النبى عليه السلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

والاحسان حقيقة الايمان واعلم ان دين الاسلام مبنى على امرين الاعتقاد والعمل فالله سبحانه اشار الى الاول بقوله اسلم وجهه لله والى الثانى بقوله وهو محسن اى فى الانقياد لربه بان يكون آتيا بجميع ما كلفه به على وجه الاجلال والخشوع (واتبع ملة ابراهيم) الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها بين الاديان كلها بخلاف ملة موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام (حنيفا) حال من فاعل اتبع اى مائلا عن الاديان الزائغة ثم ان الله تعالى رغب فى اتباع ملته فقال (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اى اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها (ولله ما فى السموات وما فى الارض) كأنه قيل لم خص الله تعالى ابراهيم عليه السلام بالخلة وله عباد مكرمون فأجاب بان جميع ما فى السموات وما فى الارض من الموجودات له تعالى خلقا وملكا يختار منها ما يشاء ومن يشاء (وكان الله بكل شئ محيطا) احاطة علم وقدرة فكل واحد من علمه وقدرته محيط بجميع ما يكون داخلا فيهما وما يكون خارجا عنهما وهو مغاير لهما مما لا نهاية له من الصدورات الخارجية عن هذه السموات والارضين (روى) ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر فى ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريده للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله عز وجل فسماه الله خليلا وفى الخبر تعجب الملائكة من كثرة ماله وخدمه وكان له خمسة آلاف قطيع من الغنم وعليها كلاب المواشى باطواق الذهب فتمثل له ملك فى صورة البشر وهو ينظر اغنامه فى البيداء فقال الملك سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح فقال ابراهيم عليه السلام كرر وذكر ربى ولك نصف ما ترى من اموالى فكرر الملك فنادى ثانيا كرر تسبيح ربى ولك جميع ما ترى من مالى فتعجب الملائكة فقالوا جدير ان يتخذك الله خليلا فعلى هذا انما سمى الخليل خليلا على لسان الملائكة قال القاضى فى الشفاء الخلة هنا اقوى من البنوة لان البنوة قد يكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة ومن شرط الخلة استسلام العبد فى عموم احواله لله بالله وان لا يدخر شيأ مع الله لا من ماله وجسده ولا من نفسه ولا من روحه وخلده ولا من اهله وولده وهكذا كان حال ابراهيم عليه السلام * جانكه نه قربانئ جانان بود * جيفه تن بهتر از آن جان بود * هركه نه شد كشته بشمشير دوست * لاشه مردار به از جان اوست * ومن شرط المحبة فناء المحب فى المحبة وبقاؤه فى المحبوب حتى لم تبق المحبة من المحب الا الحبيب وهذا حال محمد صلى الله عليه وسلم قيل لمجنون بنى عامر ما اسمك قال ليلى قال شيخى وسندى ومن هو بمنزلة روحى فى جسدى فى كتاب اللائحات البرقيات ان الخلة والمحبة الالهية الاحدية تجليات لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بحقيقتها ولابراهيم عليه السلام بصورتها ولغيرهما بخصوصياتها الجزئيات بحسب قابلياتهم ونبينا عليه الصلاة والسلام فى مقام الخلة والمحبة بمنزلة المرتبة الاحدية الذاتية وابراهيم عليه الصلاة والسلام بمنزلة المرتبة الواحدية الصفاتية وغيرهما بمنزلة المرتبة

الواحدية لافعالية والى هذه المقامات والمراتب اشارة فى البسملة على هذا الترتيب ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه بالفعل وابراهيم عليه السلام خليل الرحمن وحبيبه بالقوة وغيرهما من الانبياء عليهم السلام اخلاء الرحيم وأحباؤه بالفعل انتهى كلام الشيخ العلامة أبقاه الله بالسلامة واعلم انه عليه السلام قال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا يعنى لو جاز لى أن اتخذ صديقا من الخلق يقف على سرّى لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن لا يطلع على سرّى الا الله ووجه تخصيصه بذلك ان أبا بكر رضى الله عنه كان أقرب بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما روى أنه عليه السلام قال ان أبا بكر لم يفضل عليكم بصوم ولا صلاة ولكن بشئ كتب فى قلبه وفهم من عدم اتخاذه عليه السلام أحدا خليلا انفصاله عما سوى الله تعالى فكل الكائنات متصل به وهو غير متصل بشئ أصلا سوى الله سبحانه وتعالى اللهم ارزقنا شفاعته (قال الشيخ السعدى فى نعته الشريف) * شبى برنشست از فلك دركذشت * بتمكين وجاه از ملك دركذشت * چنان كرم در تيه قربت براند * كه درسدره جبريل ازو بازماند * فهذا انفصاله عن العلويات والسفليات ووصوله الى حضرة الذات (ويستفتونك) أى يطلبون منك الفتوى واشتقاق الفتوى من الفتى وهو الشاب القوى الحدث لانها جواب فى حادثة واحداث حكم أو تقوية لبيان مشكل (فى) حق توريث (النساء) اذ سبب نزولها أن عيينة بن حصن أتى النبى عليه السلام فقال أخبرنا أنك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك أمرت (قل الله يفتيكم فيهن) يبين لكم حكمه فى حقهن والافتاء تبيين المبهم وتوضيح المشكل (وما يتلى عليكم فى الكتاب) عطف على اسم الله أى يفتيكم الله وكلامه فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما فى القرآن من قوله يوصيكم الله فى أولادكم فى أوائل هذه السورة ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين كما يقال أغنانى زيد وعطاؤه فان المسند اليه فى الحقيقة شئ واحد وهو المعطوف عليه الا انه عطف عليه شئ من أحواله للدلالة على أن الفعل انما قام بذلك الفاعل باعتبار اتصافه بتلك الحال (فى) شأن (يتامى النساء) متعلق بيتلى كما ان فى الكتاب متعلق به أيضا والاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه (اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) أى فرض لهن من الميراث وغيره (وترغبون) عطف على لا تؤتونهن عطف جملة مثبتة على جملة منفية (أن تنكحوهن) أى فى نكاحهن لجمالهن ومالهن أو ترغبون عن نكاحهن أى تعرضون لقبحهن وفقرهن فان كانت اليتيمة جميلة موسرة رغب وليها فى تزوجها والا رغب عنها وما يتلى فى حقوقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم وقوله تعالى ولا تأكلوها ونحوها من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم (و) فى (المستضعفين من الولدان) عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال القوامين بالامور (و) فى (أن تقوموا لليتامى) فى أموالهم وحقوقهم (بالقسط) أى العدل وهو أيضا عطف على يتامى النساء وما يتلى فى حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ونحو ذلك (وما) شرطية (تفعلوا من خير) على الاطلاق سواء كان فى حقوق المذكورين أو غيرهم (فان الله كان به عليما) فيجازيكم

بحسبه فعلى العاقل أن يطيع الله فيما أمر ولا يأكل مال الغير بل يجتهد في أن ينفق ما قدر عليه
على اليتامى والمساكين قال حاتم الاصم من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب
الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب ومن ادعى محبة الله من غير ورع عن محارم الله فهو كذاب
ومن ادعى محبة النبي عليه السلام من غير محبة الفقراء فهو كذاب وفي قوله تعالى وما تفعلوا
حث على فعل الخير وترغيب (حكى) ان امرأة جاءت الى حانوت أبي حنيفة تريد شراء ثوب فأخرج
أبو حنيفة ثوبا جديدا قيمته أربعمائة درهم فقالت المرأة اني امرأة ضعيفة ولي بنت أريد تسليمها
الى زوجها فبعني هذا الثوب بما يقوم عليك فقال أبو حنيفة خذيه بأربعة دراهم فقالت المرأة
لم تسخر بي فقال أبو حنيفة معاذ الله أن أكون من الساخرين ولكني كنت اشتريت ثوبين
فبعت أحدهما برأس المال الذي نقدت في الثوبين الا أربعة دراهم فبقي هذا علي بأربعة دراهم
فأخذت المرأة الثوب بأربعة دراهم ورجعت مستبشرة فرحة (قال السعدي) بكيراي جوان
دست درويش بير * نه خود را بيفكن كه دستم بكير * كسى نيك بيند بهر دو سراى * كه
نيكى رساند بخلق خداى * واعلم أن النفس بمثابة المرأة لزوج الروح فكما أوجب الله على
الرجال من الحقوق للنساء فكذلك أوجب على العبد الطالب الصادق من الحقوق للنفس كما
قال عليه السلام لعبد الله بن عمرو حين جاهد نفسه بالليل بالقيام وبالنهار بالصيام ان لنفسك عليك
حقا فصم وأفطر وقم ونم والرياضة الشديدة تقطع عن السير قال عليه السلام ان هذا الدين متين
فأوغلوا فيه برفق يريد لا تحملوا على أنفسكم ولا تكلفوها ما لا تطيق فتعجز فتترك الدين والعمل
* اسب تازى دو تك همى راند * شتر آهسته ميرود شب وروز * وكان النبي عليه الصلاة
والسلام يتوسط في اعطاء نفسه حقها ويعدل فيها غاية العدل فيصوم ويفطر ويقوم وينام
وينكح النساء ويأكل في بعض الاحيان ما يجد كالحلوى والعسل والدجاج وتارة يجوع حتى
يشد الحجر على بطنه من الجوع فيا أيها الغافل تنبه لرحيلك ومسيرك واحذر أن تسكن الى
موافقة هواك انتقل الى الصلاح قبل أن تنقل وحاسب نفسك على ما تقول وتفعل فان الله
سبحانه بكل شيء عليم وبكل شيء محيط فاياك من الافراط والتفريط (وان امرأة خافت من بعلها)
امرأة فاعل فعل يفسره الظاهر أي ان خافت امرأة خافت وتوقعت من زوجها (نشوزا)
تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها من النشز وهو ما ارتفع من الارض
فنشوز كل واحد من الزوجين كراهته صاحبه وترفعه عليه لعدم رضاه به (أو اعراضا) بان يقل
مجالستها ومحادثتها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن أو دمامة أو شين في خلق أو خلق
أو ملال أو طموح عين الى أخرى أو غير ذلك قال الامام المراد بالنشوز اظهار الخشونة في القول
أو الفعل أو فيهما والمراد بالاعراض السكوت عن الخير والشر والمراعاة والايذاء (روى) أن
الآية نزلت في خولة ابنة محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها
الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكت اليه ذلك
(فلا جناح عليهما) حينئذ (أن يصلحا بينهما صلحا) أي في أن يصلحا بينهما اصلاحا بأن تحط له
المهر أو بعضه أو القسم كما فعلت سودة رضي الله عنها وكانت كبيرة مسنة وذلك ان أم المؤمنين
سودة بنت زمعة التمست من رسول الله حين أراد عليه السلام أن يطلقها أن يمسكها ويجعل نوبتها

لعائشة رضي الله عنها لما عرفت مكان عائشة من قلبه عليه السلام فاجازه النبي عليه السلام ولم يطلقها وكان عليه السلام بعد هذا الصلح يقسم لعائشة يومها ويوم سودة قال الحدادي مثل هذا الصلح لا يقع لازما لانها اذا أبت بعد ذلك الا المقاسمة على السواء كان لها ذلك (والصلح) الواقع بين الزوجين (خير) أي من الفرقة أو من سوء العشرة أو من الخصومة فاللام للعهد ويجوز أن لا يراد به التفضيل بل بيان أنه خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور فاللام للجنس قال السيوطي في حسن المحاضرة في أحوال مصر والقاهرة ان شئت أن تصير من الابدال فحوّل خلقك الى بعض خلق الاطفال ففيهم خمس خصال لو كانت في الكبار لكانوا أبدالا لا يهتمون للرزق ولا يشكون من خالقهم اذا مرضوا ويأكلون الطعام مجتمعين واذا خافوا جرت عيونهم بالدموع واذا تخاصموا لم يتجاوزوا وتسارعوا الى الصلح ونعم ما قيل * ابلهيست انكه فعل اوست لجاج * ابلهى را بجا علاج بود * تاتوانى بلجاج پيشه مكير * كافت دوستى لجاج بود (وأحضرت الانفس الشح) أي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه أبدا فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها وكبر سنها وعدم حصول اللذة بمجالستها وأصل الكلام أحضر الله الانفس الشح فلما بنى للمفعول أقيم مفعوله الاول مقام الفاعل والشح البخل مع حرص فهو أخص من البخل * وعن عبد الله بن وهب عن الليث قال بلغني أن ابليس لقي نوحا فقال له ابليس يا نوح اتق الحسد والشح فاني حسدت آدم فخرجت من الجنة وشح آدم على شجرة واحدة منعها حتى خرج من الجنة * ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له أخبرني بأحب الناس اليك وأبغض الناس اليك قال أحب الناس الي المؤمن البخيل وأبغضهم الي الفاسق السخي قال يحيى وكيف ذلك قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا أنك يحيى لم أخبرك كذا في آكام المرجان (وان تحسنوا) أيها الازواج بامساكهن بالمعروف وحسن المعاشرة مع عدم موافقتهن لطباعكم (وتتقوا) ظلمهن بالنشوز والاعراض ولم تضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والتقوى (خبيرا) عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم ويثيبكم عليه البتة لاستحالة أن يضيع أجر المحسنين (روى) أن رجلا من بني آدم كانت له امرأة من أجملهم فنظرت اليه يوما فقالت الحمد لله قال زوجها ما لك فقالت حمدت الله على أني وأنك من أهل الجنة لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله بالجنة للصابرين والشاكرين (قال السعدي) چو مستور باشد زن خوب روى * بديدار او در بهشتست شوى * اكر پارسا باشد وخوش سخن * نكه در نكويى وزشتى مكن (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) أي محال أن تقدروا على أن تعدلوا وتسووا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احداهن في شأن من الشؤون البتة ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك وأراد به التسوية في المحبة وكان له فرط محبة لعائشة رضي الله عنها (ولو حرصتم) أي على اقامة العدل وبالغتم في ذلك (فلا تميلوا كل الميل) أي فلا تجوروا على المرأة المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم تكليفكم به لا بما

دونه من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم ومالا يدرك كله لا يترك كله وفى الحديث استقيموا ولن تحصوا أى لن تستطيعوا أن تستقيموا فى كل شئ حتى لا تميلوا (فتذروها) مجزوم عطف على الفعل قبله أى فلا تتركوا التى ملتم عنها حال كونها (كالمعلقة) وهى المرأة التى لا تكون أيما فتتزوج ولا ذات بعل يحسن عشرتها كالشئ المعلق الذى لا يكون فى الارض ولا فى السماء وفى الحديث من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل وكان لمعاذ رضى الله عنه امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ فى بيت الاخرى فماتتا فى الطاعون فدفنهما فى قبر واحد (وان تصلحوا) ما كنتم تفسدون من أمورهن (وتتقوا) الميل فيما يستقبل (فان الله كان غفورا) يغفر لكم ما مضى من ميلكم (رحيما) يتفضل عليكم برحمته (وان يتفرقا) أى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه بأن لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح أو غيره (يغن الله كلا) منهما أى يجعله مستغنيا عن الآخر ويكفه مهماته (من سعته) من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن مفارقة أحدهما رغما لصاحبه (وكان الله واسعا حكيما) أى مقتدرا متقنا فى أفعاله وأحكامه وله حكمة بالغة فيما يحكم من الفرقة يجعل لكل واحد منهما من يسكن اليه فيتسلى به عن الاول وتزول حرارة محبته عن قلبه وينكشف عنه هم عشقه فعلى المؤمن ترك حظ النفس والدور مع الامر الالهى فى جملة أموره وأحكامه والعمل فى حق النساء بقوله تعالى فامساك بمعروف أو تسريح باحسان والميل الى جانب العدل والاعراض عن طرف الظلم والاستحلال قبل أن يجئ يوم لا بيع فيه ولا خلال قال ابن مسعود رضى الله عنه يؤخذ بيد العبد أو الامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له حق فليأت الى حقه فتفرح المرأة أن يكون لها الحق على ابنها أو أخيها أو على أبيها أو على زوجها ثم قرأ ابن مسعود رضى الله عنه فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيقول الرب تعالى للعبد آت هؤلاء حقوقهم فيقول رب لست فى الدنيا فمن أين أوتيهم فيقول للملائكة خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل انسان منهم بقدر طلبته فان كان ولياً لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل من خير ضاعفها حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة رب فنيت حسناته وبقى الطالبون فيقول للملائكة خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها الى سيآته وصكوا له صكا الى النار فلا بد من التوبة والاستغفار والرجوع الى الملك الغفار والمجاملة فى المعاملة مع الاخيار والاشرار ودفع الاذى عن أهل الانكار والاقرار (حكى) أن أبا منصور ابن ذكير كان رجلا زاهدا صالحا فلما دنت وفاته أكثر البكاء فقيل له لم تبكى عند الموت قال أسلك طريقا لم أسلكه قط فلما توفى رآه ابنه فى المنام فى الليلة الرابعة فقال يا أبت ما فعل الله بك فقال يا بنى ان الامر أصعب مما تعد أى تظن لقيت ملكا عادلا أعدل العادلين ورأيت خصماء مناقشين فقال لى ربى يا أبا منصور قد عمرتك سبعين سنة فما معك اليوم فقلت يا رب حججت ثلاثين حجة فقال الله تعالى لم أقبل منك فقلت يا رب تصدقت بأربعين ألف درهم بيدى فقال لم أقبل منك فقلت ستون سنة صمت نهارها وقمت ليلها فقال لم أقبل منك فقلت الهى غزوت أربعين غزوة فقال لم أقبل منك فقلت اذا قد هلكت فقال الله تعالى ليس من كرمى أن أعذب مثل هذا يا أبا

منصوراً ماتذكر اليوم الفلاني نحيت المدرة عن الطريق كيلا يعثر بها مسلم فاني قد رحمتك بذلك
فاني لا أضيع أجر المحسنين فظهر من هذه الحكاية ان دفع الاذى عن الطريق اذا كان سببا
للرحمة والمغفرة فلأن يكون دفع الاذى عن الناس نافعا للدافع يوم الحشر خصوصا عدم الاذية
للمؤمنين وخصوصا للاهل والعيال فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده اللهم اجعلنا من
النافعين لا من الضارين آمين (ولله ما في السموات وما في الارض) أي من الموجودات كائنا
ما كان من الخلائق ارزاقهم وغير ذلك * قال الشيخ نجم الدين قدس سره لله ما في السموات من
الدرجات العلا وجنات المأوى والفردوس الأعلى وما في الارض من نعيم الدنيا وزينتها
وزخارفها والله مستغن عنها وانما خلقتها لعباده الصالحين كما قال تعالى وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض وخلق العباد لنفسه كما قال واصطنعتك لنفسي (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم) أي بالله قد أمرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام
في الكتاب للجنس يتناول الكتب السماوية ومن متعلقة بوصينا أو بأوتوا (واياكم) عطف على
الذين أي وصيناكم يا أمة محمد في كتابكم (أن اتقوا الله) أي بأن اتقوا الله فأن مصدرية حذف
منها حرف الجر أي أمرناهم واياكم بالتقوى (و) قلنا لهم ولكم (ان تكفروا فان لله ما في
السموات وما في الارض) أي فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع
بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله (وكان الله غنيا) أي عن
الخلق وعبادتهم لا تعلق له بغيره تعالى لا في ذاته ولا في صفاته بل هو منزه عن العلاقة مع الاغيار
(حميدا) محمودا في ذاته حمدوه أو لم يحمدوه قال الغزالي في شرح الاسماء الحسنى والله تعالى هو
الحميد لحمده لنفسه أزلا ولحمد عباده له أبدا ويرجع هذا الى صفات الجلال والعلو والكمال منسوبا
الى ذكر الذاكرين له فان الحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال والحميد من العباد من
حمدت عقائده وأخلاقه وأعماله كلها من غير مثنوية وذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم ومن يقرب
منه من الانبياء ومن عداهم من الاولياء والعلماء كل واحد منهم حميد بقدر ما يحمد من عقائده
وأخلاقه وأعماله وأقواله (ولله ما في السموات وما في الارض) ذكره ثالثا للدلالة على كونه
غنيا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وأنواع الخصائص
والكمالات على كونه حميدا فلا تكرار فان كل واحد من هذه الالفاظ مقرون بفائدة جديدة
(وكفى بالله وكيلا) في تدبير أمور الكل وكل الامور فلا بد من أن يتوكل عليه لا على أحد سواه
(ان يشأ يذهبكم أيها الناس) أي يفنكم ويستأصلكم بالمرة (ويأت بآخرين) أي يوجد
دفعة مكانكم قوما آخرين من البشر أو خلقا آخرين مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف
لكونه مضمون الجزاء أي ان يشأ افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم يعني أن ابقاءكم على ما أنتم
عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا
ففيه تهديد للعصاة (وكان الله على ذلك) أي افنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم (قديرا)
بليغ القدرة لا يعجزه مراد فأطيعوه ولا تعصوه واتقوا عقابه والآية تدل على كمال قدرته
وصبوريته حيث لا يؤاخذ العصاة على العجلة وفي الحديث لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله
انه يشرك به ويجعل له الولد ثم هو يعافيهم ويرزقهم يعني يقول بعض عباد الله وامائه ان له شريكا

فى ملكه و ينسب له ولدا ثم الله تعالى يعطيهم من أنواع النعم من العافية والرزق وغيرهما فهذا كرمه ومعاملته مع من يؤذيه فما ظنك بمعاملته مع من يتحمل الاذى منه ويثنى عليه ثم ان تأخير العقوبة متضمن لحكم منها رجوع التائب وانقطاع حجة المصر وفى الحديث ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها قال الشيخ الكلاباذى بسط اليد كناية عن الجود يعنى يجود الله لمسىء الليل ولمسىء النهار بالامهال ليتوب كما روى انه عليه السلام قال صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال واذا عمل العبد حسنة كتب له عشر أمثالها واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين أمسك فيمسك عنه سبع ساعات من النهار فان استغفر لم يكتب عليه وان لم يستغفر كتب سيئة واحدة اه كلامه (قال الصائب) بر غفلت سياه دلان خنده ميزند * غافل مشو زخنده دندان نماى صبح * يقال من لم ينزجر بزواجر القرآن ولم يرغب فى الطاعات فهذا أشد قسوة من الحجارة وأسوأ حالا من الجمادات فان دعوة الله عباده بكتبه على لسان الانبياء لئلا يغتروا بزخارف الدنيا الدنية ويترقوا من حضيض الحظوظ النفسانية الى معارج الدرجات العلا ولقد وصاك الله تعالى بالتقوى فعليك بالاخذ بالوصية فان التقوى كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وخير كثير فانه جامع الخير كله قال ابن عطاء التقوى ظاهر وباطن فظاهرها حفظ حدود الشرع وباطنها الاخلاص فى النية وحقيقة التقوى الاعراض عن الدنيا والعقبى والاقبال والتوجه الى الحضرة العليا فمن وصل اليه فقد صار حرا عن رقية الكونين وعبد الله تعالى (قال الحافظ) زير بار اند درختان كه تعلق دارند * اى خوشا سرو كه از بار غم آزاد آمد (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) أى فعنده تعالى ثوابهما فماله ان أراده فماله يطلب أخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة أو ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لوجه الله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله فى الآخرة ما هى فى جنبه كلا شئ أى فعند الله ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب (وكان الله سميعا بصيرا) عالما بجميع المسموعات والمبصرات عارفا بالاغراض أى يعرف من كلامهم ما يدل على أنهم ما يطلبون من الجهاد سوى الغنيمة ومن أفعالهم ما يدل على أنهم لا يسعون فى الجهاد الا عند توقع الفوز بالغنيمة قال الحدادى فى الآية تهديد للمنافقين المرائين وفى الحديث ان فى النار واديا تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة أعد للقراء المرائين (قال السعدى) نكوسيرتى بى تكلف برون * به از نيك نام خراب اندرون * هر آن كافكند تخم بر روى سنك * جوى وقت دخلش نيايد بچنك * وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا ثم قالت انى حرام على كل بخيل مراء فينبغى للمؤمن أن يحترز من الرياء ويسعى فى تحصيل الاخلاص فى العمل وهو أن لا يريد بعمله سوى الله تعالى قال بعضهم دخلت على سهل بن عبد الله يوم الجمعة قبل الصلاة فرأيت فى البيت حية فجعلت أقدم رجلا وأؤخر أخرى فقال سهل ادخل لا يبلغ أحد حقيقة الاخلاص وعلى

وجه

وجه الارض ثم تعانقه ثم قال هل لك حاجة في صلاة الجمعة فقلت بيننا وبين المسجد مسيرة يوم
وليلة فأخذ بيدي فما كان الا قليل حتى رأيت المسجد فدخلنا وصلينا الجمعة ثم خرجنا فوقف
ينظر الى الناس وهم يخرجون فقال أهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل * عبادت
باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * فالمخلص في عمله لا يقبل عوضا ولو
أعطي له الدنيا وما فيها (حكاية) آورده اند كه جوانمردى غلام خويش را كفت سخاوت آن
نيست كه صدقه بكسى دهند كه او را بشناسند صد دينار بستان وببازار ببر واول
درويشى كه بينى بوى ده غلام ببازار رفت پيرى ديد كه حلاق سر او مى تراشيد زر بوى داد پير كفت
كه من نيت كرده ام كه هرچه مرا فتوح شود بوى دهم وحلاق را كفت بستان حلاق كفت
من نيت كرده ام سر او را از براى خدا بتراشم اجر خود از حق تعالى بصد دينار نفروشم وهيچ
كس نستاندند غلام باز كشت وزر باز آورد كذا في أنيس الوحدة وجليس الخلوة (يا أيها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع الامور ومجتهدين في
ذلك حق الاجتهاد (شهداء لله) بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى كما امرتم باقامتها وهو
خبر ثان (ولو) كانت الشهادة (على أنفسكم) بأن تقروا عليها لان الشهادة على النفس اقرار
على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه أو على ثالث أو بأن تكون
الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه بأن يكون سلطانا ظالما أو غيره
(أو الوالدين والاقربين) أي ولو كانت على والديكم وأقاربكم بأن تقروا وتقولوا مثلا أشهد
أن لفلان على والدي كذا أو على أقاربي أو بأن تكون الشهادة وبالا عليهم على ما مر آنفا وفي
هذا بيان ان شهادة الابن على الوالدين لا تكون عقوقا ولا يحل للابن الامتناع عن الشهادة على
أبويه لان في الشهادة عليهما بالحق منعا لهما من الظلم وأما شهادته لهما وبالعكس فلا تقبل لان
المنافع بين الاولاد والآباء متصلة ولهذا لا يجوز أداء الزكاة اليهم فتكون شهادة أحدهما
شهادة لنفسه أو لتمكن التهمة (ان يكن) أي المشهود عليه (غنيا) يبتغى في العادة رضاه
ويتقى سخطه (أو فقيرا) يترحم عليه غالبا وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى (فالله أولى
بهما) عليه أي فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة طلبا لرضى الغني أو ترحما على الفقير فان الله تعالى
أولى بجنسي الغني والفقير بالنظر لهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وفي
الحديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما قيل يا رسول الله كيف ننصره ظالما قال ان ترده عن ظلمه
فان ذلك نصره معنى ومنع الظالم عن ظلمه عون له على مصلحة دينه ولذا سمي نصرا (قال السعدي)
بكمراه كفتن نكو ميروى * كناه بزركست وجور قوى * بكوى آنچه دانى سخن سودمند *
وكر هيچ كس را نيايد پسند (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) يحتمل العدل والعدول أي فلا تتبعوا
الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس أو ارادة ان تعدلوا عن الحق (وان تلووا) ألسنتكم عن
شهادة الحق أو حكومة العدل بأن تأتوا بها لا على وجهها لي الشيء فتله وتحريفه ولي الشهادة
تبديلها وعدم أدائها على ما شاهده بان يميل فيها الى أحد الخصمين (أو تعرضوا) أي عن أدائها
واقامتها رأسا فالاعراض عنها كتمها (فان الله كان بما تعملون) من لي الالسنة والاعراض
بالكلية (خبيرا) فيجازيكم لا محالة على ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بالآية

القاضي يتقدم عليه الخصمان فيعرض عن أحدهما أو يدافع في امضاء الحق أو لا يسوى بينهما في المجلس والنظر والاشارة ولا يمتنع أن يكون المراد بالآية القاضي والشاهد وعامة الناس فان اللفظ يحتمل للجميع وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزول هذه الآية من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقم شهادته على من كانت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجحد حقا هو عليه وليؤده فوريا ولا يلجئه الى سلطان وخصومة ليقطع بها حقه وأيما رجل خاصم الى فقضيت له على أخيه بحق ليس عليه فلا يأخذنه فانما اقطع له قطعة من نار جهنم كذا في تفسير الحدادي قال في الاشباه أي شاهد جاز له الكتمان فقل اذا كان الحق يقوم بغيره أو كان القاضي فاسقا أو كان يعلم أنه لا يقبل انتهى قال الفقهاء وستر الشهادة في الحدود أفضل من ادائها لقوله عليه السلام للذي شهد عنده في الحد لو سترته بثوبك لكان خيرا لك وقوله عليه السلام من ستر على مسلم عيبا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة وقال عليه السلام ما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه وتستحل حرمته الا نصره الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ خذل مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته الا خذله الله تعالى في موضع يحب فيه نصرته وقال عليه السلام ادرؤا الحدود ما استطعتم (يحكى) ان مسلما قتل ذميا عمدا فحكم أبو يوسف بقتل المسلم فبلغ زبيدة امرأة هرون الرشيد فبعثت الى أبي يوسف وقالت اياك أن تقتل المسلم وكانت في عناية عظيمة بأمر المسلم فلما حضر أبو يوسف وحضر الفقهاء وجيء بأولياء الذمي والمسلم قال له الرشيد احكم بقتله فقال يا أمير المؤمنين هو مذهبي غير أني لست أقتل المسلم به حتى تقوم البينة العادلة أن الذمي يوم قتله المسلم كان ممن يؤدي الجزية فلم يقدروا عليه فبطل دمه (بيت) تو دروا داريكه من بي حقي * بهم اندر شهر باطل سفتي * وفي قوله تعالى شهداء لله اشارة الى عوام المؤمنين ان كونوا شهداء لله بالتوحيد والوحدانية بالقسط يوما ما ولو كان في آخر نفس من عمرهم على حسب ما قدرهم الله تعالى واشارة الى الخواص ان كونوا شهداء لله أي حاضرين مع الله بالفردانية واشارة الى خواص الخواص ان كونوا شهداء لله في الله غائبين عن وجودكم في شهوده بالوحدة وفي اشارته الى الخواص شركة للملائكة كما قال تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط فاما اشارته الى الأخص من الانبياء وكبار الاولياء وهم أولوا العلم فمختصة بهم من سائر العالمين ولأولي العلم شركة في شهود شهد الله أنه لا اله الا هو وليس للملائكة في هذا الشهود مدخل الا انهم قائمون بالقسط كذا في التأويلات النجمية (يا أيها الذين آمنوا) خطاب لكافة المسلمين (آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل) أي اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه وازدادوا فيه طمأنينة ويقينا أو آمنوا ايمانا مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالي فان قلت لم قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل قلت لان القرآن نزل منجما مفرقا بخلاف الكتب قبله فالمراد بالكتاب الاول القرآن وبالثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه وبالايمان به الايمان بأن كل كتاب من تلك الكتب منزل منه على رسول معين لارشاد أمته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على أن يراد الايمان بكل واحد من تلك الكتب بل خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان أحكام

تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقى منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وأن أحكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود نسخها وأن مالم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من أحكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل وقيل الخطاب للمنافقين كأنه قيل يا أيها الذين آمنوا نفاقا وهو ما كان بالالسنة فقط آمنوا اخلاصا وهو ما كان بها وبالقلوب وقيل الخطاب لمؤمنى أهل الكتاب اذ روى ان ابن سلام وأصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت فالمعنى حينئذ آمنوا ايمانا عاما شاملا لجميع الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) أى بشىء من ذلك لان الكفر ببعضه كفر بكله ألا ترى كيف قدم الامر بالايمان بهم جميعا وزيادة الملائكة واليوم الآخر فى جانب الكفر لما انه بالكفر بأحدها لا يتحقق الايمان أصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لانهم وسائط بين الله وبين الرسل فى انزال الكتب (فقد ضل ضلالا بعيدا) عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه قالوا أول ما يجب على المرء معرفة مولاه أى يجب على كل انسان أن يسعى فى تحصيل معرفة الله تعالى بالدليل والبرهان فان ايمان المقلد وان كان صحيحا عند الامام الاعظم لكن يكون آثما بترك النظر والاستدلال فأول الامر هو الحجة والبرهان ثم المشاهدة والعيان ثم الفناء عن سوى الرحمن فرتبة العوام فى الايمان ما قال عليه السلام ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت والجنة والنار والقدر خيره وشره وهو ايمان غيبى (وفى المثنوى) بندكى درغيب آيد خوب وكش * حفظ غيب آيد در استعباد خوش * طاعت وايمان كنون محمود شد * بعد مرك اندر عيان مردود شد * ومرتبة الخواص فى الايمان هو ايمان عيانى وكان ذلك بأن الله اذا تجلى لعبده بصفة من صفاته خضع له جميع أجزاء وجوده وآمن بالكلية عيانا بعد ما كان يؤمن قلبه بالغيب ونفسه تكفر بما آمن به قلبه اذ كانت النفس عن تنسم روائح الغيب بمعزل فلما تجلى الحق للجبل جعله دكا وخر موسى النفس صعقا ومرتبة النفس فى هذا المقام تكون بمنزلة موسى فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين الاخص فى الايمان هو ايمان عيانى وذلك بعد رفع حجب الانانية بسطوات تجلى صفة الجلال فاذا أفناه عنه بصفة الجلال يبقيه به بصفة الجمال فلم يبق له الاين وبقى فى العين فيكون ايمانا عينيا كما كان حال النبى عليه السلام ليلة المعراج فلما بلغ قاب قوسين كان فى حيز أين فلما جذبته العناية من كينونته الى عينونية أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى آمن الرسول بما أنزل اليه أى من صفات ربه فلما تمت صفاته بصفاته تعالى وذاته بذاته فصار كل وجوده مؤمنا بالله ايمانا عينيا اذاته وصفاته فأخبر عنهم وقال والمؤمنون كل آمن بالله يعنى آمنوا بهوية وجودهم كذا فى التأويلات النجمية هذا هو الايمان الحقيقى رزقنا الله واياكم اياه (وفى المثنوى) بود كبرى درزمان بايزيد * كفت اورايك مسلمان سعيد * كه چه باشد كر تو اسلام آورى * تا بيابى صد نجات وسرورى * كفت اين ايمان اكر هست اى مريد * آنكه دارد شيخ عالم بايزيد * من ندارم طاقت آن

تاب آن * كان قزون آمد زكوششهاى جان * كرچه در ايمان ودين ناموقنم * ليك در ايمان او بس موقنم * مؤمن ايمان اويم در نهان * كرچه مهرم هست محكم بردهان * باز ايمان خود كر ايمان شماست * نى بدان ميلستم وفى مشتهاست * آنكه صد ميلش سوى ايمان بود * چون شما را ديد زان فاتر شود * زانكه نامى بيند ومعنيش نى * چون بيابانرا مفازه كفتنى *
والى هذا التجريد والتفريد ينال العبد بالذكر والتوحيد قال عليه السلام فى وصيته لعلى رضى الله عنه يا على احفظ التوحيد فانه رأس مالى والزم العمل فانه حرفتى وأقم الصلاة فانها قرة عينى واذكر الحق فانه نصرة فؤادى واستعمل العلم فانه ميراثى اللهم لا تحرمنا من هذا الميراث (ان الذين آمنوا) يعنى اليهود بموسى (ثم كفروا) بعبادتهم العجل (ثم آمنوا) بعد عوده اليهم (ثم كفروا) بعيسى والانجيل (ثم ازدادوا كفرا) بكفرهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وازداد كذا يجيء لازما ومتعديا يقال ازددت مالا أى زدته لنفسى ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا (لم يكن الله) مريدا (ليغفر لهم) أى ما داموا على كفرهم (ولا ليهديهم سبيلا) أى ولا ليوفقهم طريقا الى الاسلام ولكن يخذلهم مجازاة لهم على كفرهم فان قيل ان الله لا يغفر كفر مرة فما الفائدة فى قوله ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا قيل ان الكافر اذا آمن غفر له كفره فاذا كفر بعد ايمانه لم يغفر له الكفر الاول وهو مطالب بجميع كفره (بشر المنافقين) وضع بشر موضع أنذر وأخبر تهكما بهم (بأن لهم عذابا أليما) أى وجيعا يخلص ألمه ووجعه الى قلوبهم وهذا يدل على ان الآية نزلت فى المنافقين وهم قد آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين (الذين) أى هم الذين (يتخذون الكافرين) أى اليهود (أولياء) أحباء فى العون والنصرة (من دون المؤمنين) حال من فاعل يتخذون أى متجاوزين ولاية المؤمنين الخالصين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود (أيبتغون عندهم العزة) أى أيطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة وهم أذلاء فى حكم الله تعالى (فان العزة لله جميعا) تعليل لما يفيده الاستفهام الانكارى من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم فان انحصار جميع افراد العزة فى جنابه تعالى بحيث لا ينالها الا أولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضى بطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع به قوله جميعا حال من المستكن فى قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدا (وقد نزل عليكم) خطاب للمنافقين بطريق الالتفات والجملة حال من فاعل يتخذون قال المفسرون ان مشركى مكة كانوا يخوضون فى ذكر القرآن ويستهزئون به فى مجالسهم فأنزل الله تعالى فى سورة الانعام وهى مكية واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ثم ان أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون ما فعله المشركون بمكة وكان المنافقون يقعدون معهم ويوافقونهم على ذلك الكلام الباطل فقال الله تعالى مخاطبا لهم وقد نزل عليكم أى والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة وفيه دلالة على ان المنزل على النبى عليه السلام وان خوطب به خاصة منزل على العامة (فى الكتاب) أى القرآن الكريم (أن) مخففة أى أن الشان (اذا سمعتم آيات الله) فيه دلالة على ان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم فى آيات الله ولذلك يعبر عنه تارة بالرؤية وأخرى بالسماع (يكفر بها ويستهزأ بها) حالان من آيات الله أى مكفورا

ومستهزأ بها في محل الرفع لقيامه مقام الفاعل والاصل يكفر بها احد ويستهزئ (فلا تقعدوا)
جزاء الشرط (معهم) أي الكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها (حتى يخوضوا)
الخوض بالفارسية در حديث شدن (في حديث غيره) أي غير القرآن وحتى غاية للنهي والمعنى
انه يجوز مجالستهم عند خوضهم وشروعهم في غير الكفر والاستهزاء وفيه دلالة على أن المراد
بالاعراض عنهم اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط (انكم
اذا مثلهم) جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل واذن ملغاة عن العمل
لاعتماد ما بعدها على ما قبلها أي لوقوعها بين المبتدا والخبر أي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت انكم
ان فعلتموه كنتم مثلهم أي مثل اليهود في الكفر واستتباع العذاب فان الرضا بالكفر كفر (ان
الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) يعني القاعدين والمقعود معهم وهو تعليل لكونهم
مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم اياهم في العذاب واعلم أن الائتلاف ههنا نتيجة
تعارف الارواح هنالك لقوله عليه السلام الارواح جنود مجندة الحديث فمن تعارف أرواح
الكافر والمنافق هنالك يأتلفون ههنا ومن تناكر أرواحهم وأرواح المؤمنين يختلفون ههنا
(روت) عائشة رضي الله عنها ان امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهن فلما هاجرن
ووسع الله تعالى دخلت المدينة قالت عائشة فدخلت علي فقلت لها فلانة ما أقدمك قالت اليكن
قلت فأين نزلت قالت على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة قالت عائشة ودخل رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فقال فلانة المضحكة عندكم قالت عائشة قلت نعم فقال فعلى من نزلت قالت
على فلانة المضحكة قال الحمد لله ان الارواح جنود الخ (ونعم ما قيل) * همه مرغان كند با جنس
پرواز * كبوتر با كبوتر باز با باز * ولما كان الابد مرآة الازل لا يظهر فيه الا ما قدر في الازل
لذا قال الله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا لانهم كانوا في عالم الارواح في
صف واحد وفي الدنيا بذلك التناسب والتعارف في فن واحد وقال عليه السلام كما تعيشون تموتون
وكما تموتون تحشرون وفي اشارة الآية نهي لاصحاب القلوب عن المجالسة مع أرباب النفوس
والموافقة في شيء من أهوائهم فانهم ان يفعلوا ذلك يكونوا امثالهم يعني يكون القلب كالنفس
وصاحب القلب كصاحب النفس بالصحبة والمخالطة والمتابعة (قال الحافظ) نخست موعظة
پير مجلس اين حرفست * كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد * قال الامام الزاهدي في تفسيره اذن
لم يجز جلوس المؤمن معهم لاقامة فرض أو سنة اما اذا كان جلوسه لاقامة عبادة وهو ساخط
لتلك الحال لا يقدر على تغييرها فلا بأس بالجلوس كما روي عن الحسن انه حضر وابن سيرين جنازة
وهناك نوح فانصرف ابن سيرين فذكر ذلك للحسن فقال ما كنا متى رأينا باطلا تركنا حقا أشرع
ذلك في ديننا ولم يرجع انتهى كلامه وذكر أن الله تعالى أوحى الى يوشع بن نون عليه السلام اني
مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال
الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وآكلوهم وشاربوهم واذا كان الرجل مبتلى بصحبة الفجار
في سفر او للعيش أو الغزو لا يترك الطاعة بصحبتهم لكن يكره بقلبه ولا يرضى به فلعل الفاسق يتوب
ببركة كراهة قلبه ومن دعي الى ضيافة فوجد ثمة لعبا أو غناء يقعد ان كان غير قدوة ويمنع ان قدر
وان كان قدوة كالقاضي والمفتي ونحوهما يمنع ويقعد فان عجز خرج وان كان ذلك على المائدة

أو كانوا يشربون الخمر خرج وان لم يكن قدوة وان علم قبل الحضور لا يحضر في الوجوه كلها
كذا في تحفة الملوك (الذين يتربصون بكم) أي المنافقون هم الذين ينتظرون وقوع أمر لكم
خيرا كان او شرا (فان كان لكم) أيها المؤمنون (فتح من الله) أي ظفر ودولة وغنيمة (قالوا)
أي لكم (ألم نكن معكم) على دينكم مظاهرين لكم فأسهموا لنا فيما غنمتم (وان كان للكافرين
نصيب) أي ظهور على المسلمين (قالوا) أي للكفرة (ألم نستحوذ عليكم) الاستحواذ الاستيلاء
أي ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم أي ترحمنا (ونمنعكم من المؤمنين) بأن
ثبطناهم عنكم وخيلنا اليهم ما ضعفت به قلوبهم أو أمرنا في جنابكم وتوانينا في مظاهرتهم
عليكم والا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا مما أصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين
نصيبا تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح له أبواب
السماء حتى ينزل على أوليائه وأما ظفر الكافرين فمقصور على أمر دنيوي سريع الزوال (فالله
يحكم بينكم) أي بين المؤمنين والمنافقين بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين (يوم القيامة)
أي يحكم حكما يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب وأما في الدنيا فقد أجرى على من تفوه
بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا (ولن يجعل الله للكافرين على
المؤمنين سبيلا) أي ظهورا يوم القيامة كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج
وبيانه ان الله تعالى يظهر آثار ايمان المؤمنين يوم القيامة ويصدق موعدهم ولا يشاركهم الكفار
في شيء من اللذات كما شاركوهم اليوم حتى يعلموا ان الحق معهم دونهم اذ لو شاركوهم في شيء
منها لقالوا للمؤمنين ما نفعكم ايمانكم وطاعتكم شيأ لانا أشركنا واستوينا معكم في ثواب
الآخرة وأما ان كان المعنى سبيلا في الدنيا فيراد بالسبيل الحجة وحجة المسلمين غالبة على حجة الكل
وليس لأحد أن يغلبهم بالحجة وقيل معنى السبيل الدولة الدائمة ولا دولة على الدوام للكافرين
والا لكان الظهور والغلبة من قبلهم دائما وليس كذلك فان أكثر الظفر للمسلمين وانما ينال
الكفار من المؤمنين في بعض الاوقات استدراجا ومكرا وهذا يستمر الى انقراض أهل الايمان
في آخر الزمان وعن كعب قال اذا انصرف عيسى ابن مريم والمؤمنون من يأجوج ومأجوج
لبثوا سنوات ثم رأوا كهيئة الرهج والغبار فاذا هي ريح قد بعثها الله لتقبض أرواح المؤمنين
فتلك آخر عصابة تقبض من المؤمنين ويبقى الناس بعدهم مائة عام لا يعرفون دينا ولا سنة
يتهارجون تهارج الحمر عليهم تقوم الساعة وفي الحديث الجهاد ماض منذ بعثني الله الى أن
يقاتل آخر أمتي الدجال ثم ان الله تعالى يحكم بينكم يوم القيامة ليعلم من أهل العزة والكرامة
ومن أهل الغرة والندامة كما ان الشمع يحكم بين الصحيح والسقيم باظهار حالهما اذا جيء به
في حمام مظلم قد دخله الاصحاء والمرضى والجرحى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
فان وبال كيدهم اليهم مصروف وجزاء مكرهم عليهم موقوف والحق من قبل الحق تعالى
منصور وأهله والباطل ينصر الحق بخيبة أصله وقد قيل الباطل يفور ثم يغور فعلى المؤمن
صرف علو الهمة في الدين وفي تحصيل علم اليقين ولا يتربص للفتوحات الدنيوية ذاهلا عن
الفتوحات الاخروية بل عن فتوحات الغيب ومشاهدة الحق فان أهم الامور هو الوصول الى
الرب الغفور * قال أبو يزيد البسطامي قدس سره ان لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة

عن رؤيته لاستغاثوا كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار ولما كان موسى كليم الله طفلا في حجر تربية الحق تعالى ما تجاوز حده ولا تعدى قصده بل قال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير فلما كبر وبلغ مبلغ الرجال ما رضى بطعام الاطفال بل قال رب أرنى أنظر اليك وكان غاية طلبه في طفوليته هو الطعام والشراب وكان منتهى أربه في رجوليته هو رفع الحجاب ومشاهدة الاحباب فالباب مفتوح للطلاب لا حاجب عليه ولا بواب وانما المحجوب عن المسبب من وقف مع الاسباب والمشروب حاضر والمحروم من حرم الشراب والمحبوب ناظر والمطرود من وقف وراء الحجاب فمن أنس بسواه فهو مستوحش ومن ذكر غيره فهو غافل عنه ومن عول على سواه فهو مشرك فاذن لم يجد اليه سبيلا وفي ظله مقيلا (ونعم ما قيل) تو محرم نيستى محروم ازانى * ره نامحرمان اندر حرم نيست * (ان المنافقين يخادعون الله) أى يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر (وهو خادعهم) أى الله تعالى فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومى الدماء والاموال وأعدلهم في الآخرة الدرك الاسفل من النار ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال بأس ونقمة ورعب واثم وقال ابن عباس انهم يعطون نورا يوم القيامة كما للمؤمنين فيمضى المؤمنون بنورهم على الصراط وينطفئ نور المنافقين فينادون المؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم فتناديهم الملائكة على الصراط ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقد علموا أنهم لا يستطيعون الرجوع قال فيخاف المؤمنون حينئذ أن يطفأ نورهم فيقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) أى متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيأ عن كره لا عن طيب نفس ورغبة قوله كسالى كأنه قيل ما كسالى فقيل (يراؤن الناس) أى يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ليحسبوهم مؤمنين (ولا يذكرون الله) عطف على يراؤن (الا) ذكرا (قليلا) اذ المرائى لا يفعل الا بحضرة من يراثيه وهو أقل أحواله والمراد بالذكر التسبيح والتهليل قال في الكشاف وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالى لم تسمع منه تهليلة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق أوقاته لا يفتر عنه (مذبذبين بين ذلك) حال من فاعل يراؤن وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام أى مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان والهوى بينهما وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد أخرى (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) حال من ضمير مذبذبين أى لا منسوبين الى المؤمنين فيكونون مؤمنين ولا الى الكافرين فيكونون مشركين (ومن يضلل الله) لعدم استعداده للهداية والتوفيق (فلن تجد له سبيلا) موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان تهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان وكان صلى الله عليه وسلم يضرب مثلا للمؤمنين والمنافقين والكافرين كمثل رهط ثلاثة رفعوا الى نهر فقطعه المؤمن ووقف الكافر ونزل فيه المنافق حتى اذا توسط عجز فناداه الكافر هلم الى لا تغرق وناداه المؤمن هلم الى الخلاص فما زال المنافق يتردد بينهما اذ أتى عليه ماء فغرقه فكان المنافق لم يزل في شك حتى يأتيه الموت * اى كه دارى نفاق اندر دل * شاربادت خليده اندر حلق * هر كه سازد نفاق پيشه خويش * خوار كرددبنزد خالق وخلق * والاشارة أن المنافقين انما يخادعون الله في الدنيا لان الله تعالى خادعهم في الازل عند رش نوره على الارواح وذلك ان الله

To: www.al-mostafa.com

خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فلما رش نوره أصاب أرواح المؤمنين وأخطأ أرواح المنافقين والكافرين ولكن الفرق بين المنافقين والكافرين أن أرواح المنافقين رأوا رشاش النور وظنوا أنه يصيبهم فأخطأهم وأرواح الكافرين ماشاهدوا ذلك الرشاش ولم يصبهم وكان المنافقين خدعوا عند مشاهدتهم الرشاش اذ ما أصابهم فمن نتائج مشاهدتهم الرشاش واذا قاموا الى الصلاة ومن نتائج حرمانهم اصابة النور قاموا كسالى يراؤن الناس كما يراؤنهم النور ولا يذكرون الله الا قليلا لانهم يذكرونه بلسان الظاهر القالبى لا بلسان الباطن القلبى والقالب من الدنيا وهى قليلة قليل ما فيها والقلب من الآخرة وهى كثيرة كثير ما فيها فالذكر الكثير من لسان القلب كثير والفلاح فى الذكر الكثير لا فى القليل لقوله تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا أى بلسان القلب لعلكم تفلحون ولما كان ذكر المنافقين بلسان القالب كان قليلا فما أفلحوا به وانما كان ذكر المنافق بلسان الظاهر لانه رأى رشاش النور ظاهرا من البعد ولم يصبه فلو كان أصابه ذلك النور لكان صدره منشرحا به كما قال تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه أى على نور عارش به ربه ومعدن النور هو القلب فكان قلبه ذاكرا الله بذلك النور فانه يصير لسان القلب فقليل الذكر منه يكون كثيرا فافهم جدا فلما كانت أرواح المنافقين مترددة متحيرة بين مشاهدة رشاش النور وبين الظلمة الخلقية لا الى هؤلاء الذين أصابهم النور ولا الى هؤلاء الذين لم يشاهدوا الرشاش لذلك كانوا مذبذبين بين أولئك المؤمنين والكافرين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله باخطاء ذلك النور كما قال ومن أخطأه فقد ضل فلن تجد له سبيلا ههنا الى ذلك النور ويدل عليه قوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور أى ومن لم يجعل الله له قسمة من ذلك النور المرشش عليهم فما له اليوم نصيب من نور الهداية كذا فى التأويلات النجمية اللهم ارزقنا الذكر الكثير واعصمنا من الذنب الصغير والكبير * يقال حصون المؤمن ثلاثة المسجد وذكر الله وتلاوة القرآن والمؤمن اذا كان فى واحد من ذلك أى من الاشياء الثلاثة فهو فى حصن من الشيطان قال على رضى الله عنه يأتى على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه يعمرون مساجدهم وهى خراب من ذكر الله تعالى شر أهل ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود (قال السعدى) كنون بايدت عذر تقصير گفت * نه چون نفس ناطق ز گفتن بخفت * اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين آمين يا معين (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أى لا تتشبهوا بالمنافقين فى اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الاسلام احباء قوله من دون المؤمنين حال من فاعل لا تتخذوا أى متجاوزين ولاية المؤمنين (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) أى أتريدون بذلك أن تجعلوا لله عليكم حجة بينة على أنكم منافقون فان موالاتهم أوضح أدلة النفاق فالسلطان هو الحجة يقال للامير سلطان يراد بذلك انه حجة ويجوز أن يكون بمعنى الوالى والمعنى حينئذ أتريدون أن تجعلوا سلطانا كائنا عليكم واليا امر عقابكم مختصا لله تعالى مخلوقا له منقادا لامره (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) هو الطبقة التى فى قعر جهنم وهى الهاوية والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض والدركات فى النار مثل الدرجات فى الجنة كل ما كان من درجات الجنة أعلى فثواب من فيه أعظم وما كان من دركات النار أسفل فعقاب من فيه أشد وسئل

ابن مسعود عن الدرك الاسفل فقال هو توابيت من حديد مبهمة عليهم لا أبواب لها فان قلت
لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله فى الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالدين
والخداع للمسلمين فالمنافقون أخبث الكفرة فان قلت من المنافق قلت هو فى الشريعة من أظهر
الايمان وأبطن الكفر وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ والتهديد والتشبيه
مبالغة فى الزجر كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث
من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف
واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضى الله عنه من المنافق فقال الذى يصف الاسلام ولا يعمل به
وعن الحسن أتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فأصبح قد عمم وقلد وأعطى سيفا يعنى الحجاج
قال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بمنافقيها وجئنا بالحجاج فضلناهم وعن عبد الله بن عمر ان
أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون قال الله
تعالى فى أصحاب المائدة فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وقال فى حق المنافقين ان
المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وقال أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قيل لا يمتنع أن
يجتمع القوم فى موضع واحد ويكون عذاب بعضهم أشد من بعض ألا ترى ان البيت الداخل
فى الحمام يجتمع فيه الناس فيكون بعضهم أشد أذى بالنار لكونه أدنى الى موضع الوقود وكذلك
يجتمع القوم فى القعود فى الشمس وتأذى الصفراوى أشد وأكثر من تأذى السوداوى والمنافق
فى اللغة مأخوذ من النفق وهو السرب أى يستتر بالاسلام كما يستتر الرجل بالسرب وقيل هو
مأخوذ من قولهم نافق اليربوع اذا دخل نافقاءه فاذا طلب من النافقاء خرج من القاصعاء
واذا طلب من القاصعاء خرج من النافقاء والنافقاء والقاصعاء جحر اليربوع (ولن تجد لهم
نصيرا) أى مانعا يمنع عنهم العذاب ويخرجهم من الدرك الاسفل من النار والخطاب لكل من
يصلح له كائنا من كان (الا الذين تابوا) أى عن النفاق هو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم فى
الخبر (وأصلحوا) ما أفسدوا من أحوالهم من حال النفاق باتيان ما حسنه الشرع من أفعال
القلوب والجوارح (واعتصموا بالله) أى وثقوا به وتمسكوا بدينه وتوحيده (وأخلصوا دينهم)
أى جعلوه خالصا (لله) لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه (فأولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات
الحميدة (مع المؤمنين) أى المؤمنين المعهودين الذين لا يبدر عنهم نفاق أصلا والا فهم أيضا
مؤمنون أى معهم فى الدرجات العالية من الجنة لا يضرهم النفاق السابق وقد بين ذلك بقوله
تعالى (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) لا يقادر قدره فيشاركونهم فيه ويساهمونهم
وسوف كلمة ترجية واطماع وهى من الله سبحانه ايجاب لانه أكرم الاكرمين ووعد الكريم انجاز
وانما حذفت الياء من يؤتى فى الخط كما حذفت فى اللفظ لسكونها وسكون اللام فى اسم الله وكذلك
سندع الزبانية ويدع الداع واعلم أن الكافر وان أفسد برين الكفر صفاء روحه ولكن ما أضيف
الى رين كفره رين النفاق فكان لرين كفره منفذ من القلب الى اللسان فيخرج بخاره من
لسانه باظهار الكفر وكان للمنافق مع رين كفره رين النفاق زائدا ولم يكن لبخار رينه
منفذ الى لسانه فكان بخارات رين الكفر ورين النفاق تنفذ من منفذ قلبه الذى هو الى عالم
الغيب فتراكم حتى انسد منفذ قلبه بها وختم عليه بافساد كلية الاستعداد من صفاء الروحانية فلم

يتفق له الخروج عن هذا الاسفل ولا ينصره نصير باخراجه لانه مخذول بعيد من الحق فى آخر
الصفوف وقال تعالى ان ينصركم الله يعنى فى خلق أرواحكم فى صف أرواح المؤمنين فلا غالب
لكم بان يردكم الى صف أرواح الكافرين وأن يخذلكم بأن يخلق أرواحكم فى صف أرواح
الكافرين فمن ينصركم من بعده بأن يخرجكم الى صف المؤمنين ثم استثنى منهم من كان كفره
ونفاقه عارية وروحه فى أصل الخلقة خلقت فى صف المؤمنين ثم بأدنى مناسبة فى المحاذاة بين
روحه وأرواح الكافرين والمنافقين ظهر عليه من نتائجها موالاة ومعاملة مع القوم أياما معدودة
فاأفسدت صفاء روحانيته بالكلية وما انسدت منفذ قلبه الى عالم الغيب فهبت له من مهب العناية
نفحات ألطاف الحق ونبه من نومة الغفلة ونبى بالرجوع الى الحق بعد التمادى فى الباطل ونودى
فى سره بأن لا نصير لمن اختار الاسفل ولا يخرج منه الا الذين تابوا أى ندموا على ما فعلوا ورجعوا
عن تلك المعاملات الرديئة وأصلحوا ما أفسدوا من حسن الاستعداد وصفاء الروحانية بترك
الشهوات النفسانية والحظوظ الحيوانية واعتصموا بحبل الله استعانة على العبودية وأخلصوا
دينهم لله فى الطلب لا يطلبون منه الا هو ثم قال من قام بهذه الشرائط فأولئك مع المؤمنين يعنى
فى صف أرواحهم خلق روحه لا فى صف أرواح الكافرين وسوف يؤت الله المؤمنين التائبين
ويتقرب اليهم على قضية من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت
اليه باعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة وهذا هو الذى سماه أجرا عظيما والله العظيم كذا فى
التأويلات النجمية (قال السعدى) خلاف طريقت بود كاوليا * تمنا كنند از خدا جز خدا
(ما) استفهامية بمعنى النفى فى محل النصب بيفعل أى أى شئ (يفعل الله بعذابكم) الباء سببية
متعلقة بيفعل أى بتعذيبكم (ان شكرتم وآمنتم) أى أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به الثأر
أم يستجلب به نفعا أم يستدفع به ضررا كما هو شأن الملوك أى لا يفعل بعذاب المؤمن الشاكر
شيأ من ذلك لان كل ذلك محال فى حقه تعالى لانه تعالى غنى لذاته عن الحاجات منزه عن جلب
المنفعة ودفع المضرة وأما تعذيب من لم يؤمن أو آمن ولم يشكر فليس لمصلحة تعود اليه تعالى
بل لاستدعاء حال المكلف ذلك كاستدعاء سوء المزاج المرض والمقصود منه حمل المكلفين على
الايمان وفعل الطاعات والاحتراز عن القبيح وترك المنكرات فكأنه قيل اذا اتيتم
الحسنات وتركتم المنكرات فكيف يليق بكرمه أن يعذبكم وتعذيبه عباده لا يزيد فى ملكه
وتركه عقوبتهم على فعلهم القبيح لا ينقص من سلطانه وجواب ان شكرتم محذوف لدلالة ما قبله
عليه أى ان شكرتم وآمنتم فما يفعل بعذابكم والشكر ضد الكفر والكفر ستر النعمة فالشكر
اظهارها وانما قدم الشكر على الايمان مع ان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولا ثبات مع
عدم الايمان لما أنه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك أولا ما عليه من النعم الانفسية
والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم بعد امعان النظر فى الدلائل الدالة على
ثبوته ووحدته فيؤمن به (وكان الله شاكرا) الشكر من العبد هو الاعتراف بالنعمة الواصلة
اليه مع ضروب من التعظيم ومن الله تعالى الرضى أى راضيا باليسير من طاعة عباده واضعاف
الثواب بمقابلة واحدة الى عشرة الى سبعمائة الى ما شاء من الاضعاف (عليما) بحق شكركم
وايمانكم فيستحيل أن لا يوفيكم أجوركم فينبغى لطالب الحق أن يخضع له خضوعا تاما ويشكره

شكرا كثيرا قال الجرجاني في قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم أى لئن شكرتم القرب لازيدنكم الانس وعن على رضى الله عنه اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر معناه من لم يشكر النعم الحاصلة لديه الواصلة اليه حرم النعم الفائتة منه القاصية عنه * چون بيابى تو نعمتى ور چند * خرد باشد چو نقطهٔ موهوم * شكر آن يافته فرومگذار * كه ز نا يافته شوى محروم * فبالشكر والايمان يتخلص المرء من النيران والا فقد عرض نفسه للعذاب واستحق العذاب والعتاب ووجه التعذيب ان التأديب في الحكمة واجب فخلق الله النار ليعلم الخلق قدر جلال الله وكبريائه وليكونوا على هيبة وخوف من صنع جلاله ويؤدب بها من لم يتأدب بتأديب رسله الى خلقه وليعتبر أهل العقل بالنظر اليها في الدنيا وبالاستماع لها في الآخرة ولهذا السر علق النبي عليه السلام السوط حيث يراه أهل البيت لئلا يتركوا الادب (وروى) أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام ما خلقت النار بخلا مني ولكن أكره أن أجمع أعدائي وأوليائي في دار واحدة وأدخل الله بعض عصاة المؤمنين النار ليعرفوا قدر الجنة ومقدار ما دفع الله عنهم من عظيم النقمة لان تعظيم النعمة واجب في الحكمة والاشارة في الآية ان الله تعالى يذكر للعباد المؤمنين نعما من نعمه السالفة السابقة منها اخراجهم من العدم ببديع فطرته ومنها أنه خلق أرواحهم قبل خلق الاشياء ومنها انه خلق أرواحهم نورانية بالنسبة الى خلق أجسادهم الظلمانية ومنها ان أرواحهم لما كانت بالنسبة الى نور القدم ظلمانية رش عليهم من نور القدم ومنها انه لما أخطأ بعض الارواح ذلك النور وهو أرواح الكفار والمنافقين وقد أصاب أرواح المؤمنين قال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم هذه النعم التى أنعمت بها عليكم من غير استحقاق منكم فانكم ان شكرتم هذه النعم برؤية تجاوز رؤية المنعم فقد آمنتم بى ونجوتم من عذابى وهو ألم الفراق فان حقيقة الشكر رؤية المنعم والشكر على وجود المنعم أبلغ من الشكر على وجود النعم وقال واشكروا لى أى اشكروا لوجودى وكان الله في الازل شاكر الوجوده ومن شكر لوجوده أوجد الخلق بجوده عليما بمن يشكره وبمن يكفره فأعطى جزاء شكر الشاكرين قبل شكرهم لان الله شكور وأعطى جزاء كفر الكافرين قبل كفرهم لان الكافر كفور كذا في التأويلات النجمية

* (الجزء السادس من الثلاثين) *

(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) عدم محبته تعالى لشئ كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء أى لا يحب الجهر من أحد في حق غيره بالسوء كائنا من القول (الا من ظلم) أى الا جهر المظلوم فان المظلوم له ان يجهر برفع صوته بالدعاء على من ظلمه أو يذكر ما فيه من السوء تظلما منه مثل أن يذكر أنه سرق متاعى أو غصبه منى وقيل هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم يعنى لو شتمه أحد ابتداء فله أن يرد على شاتمه أى جاز أن يشتمه بمثله ولا يزيد عليه وقيل ان رجلا ضاف قوما أى أتاهم ضيفا فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت (وكان الله سميعا) لكلام المظلوم (عليما) بحال الظالم (ان تبدوا خيرا) اى خير كان من الاقوال والافعال (او تخفوه أو تعفوا عن سوء) لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تمهيد وتوطئة له ولذلك رتب عليه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) فان ايراده في معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة أى كان مبالغا في العفو عن

العصاة مع كمال قدرته على المؤاخذة والانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله وهو حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له فى الانتصار والانتقام حملا على مكارم الاخلاق وعن على رضى الله عنه لا تتفرد دفع انتقام * صولت انتقام از مردم * دولت مهترى كند باطل * از ره انتقام بكسو شو * تا نمانى بمهترى عاطل * واعلم أن الله تعالى لا يحب اظهار الفضائح والقبائح الا فى حق ظالم عظم ضرره وكثر كيده ومكره فعند ذلك يجوز اظهار فضائحه ولهذا قال عليه السلام اذكروا الفاسق بما فيه كى يحذره الناس وورد فى الاثر ثلاثة ليست لهم الغيبة الامام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذى يدعو الناس الى بدعته ثم ان أكثر السوء قولى فان اللسان صغير الجرم كبير الجرم وفى الحديث البلاء موكل بالمنطق (يحكى) ان ابن السكيت جلس مع المتوكل يوما فجاء المعتز والمؤيد ابنا المتوكل فقال أيما أحب اليك ابناى أم الحسن والحسين قال والله ان قنبرا خادم على رضى الله عنه خير منك ومن ابنيك فقال سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات ومن العجب انه أنشد قبل ذلك للمعتز والمؤيد وكان يعلمهما فقال

يصاب الفتى من عثرة بلسانه * وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فعثرته فى القول تذهب رأسه * وعثرته فى الرجل تبرا على مهل

(وفى المثنوى) اين زبان چون سنك وهم آهن وشست * وآنچه بجهد از زبان چون آتشست * سنك وآهن را مزن برهم كزاف * كه زروى نقل وكه از روى لاف * زانكه تاريكست وهر سو پنبه زار * درميان پنبه چون باشد شرار * عالمى را يك سخن ويران كند * روبهان مرده را شيران كند * والاشارة فى الآية ان الله لا يحب الجهر بالسوء من القول من العوام ولا التحدث مع النفس من الخواص ولا الخطرة التى تخطر بالبال من الاخص الا من ظلم بتعادى دواعى البشرية من غير اختيار أو بابتلاء من اضطرار وأيضا لا يحب الجهر بالسوء من القول بافشاء أسرار الربوبية وأسرار مواهب الالوهية الا من ظلم بتجليات الاحوال وتعاقب كؤس عقار الجمال والجلال فاضطر الى المقال فقال باللسان الباقى لا باللسان الفانى أنا الحق سبحانى وكان الله فى الازل سميعا لمقالهم قبل ابداع حالهم عليما بأحوالهم ثم قال ان تبدوا خيرا يعنى مما كوشفتم به من ألطاف الحق تنبيها للخلق وافادة لهم بالحق أو تخفوه صيانة لنفوسكم عن آفات الشوائب وأخذا بخطامها عن المشارب أو تعفوا عن سوء مما يدعوكم اليه هوى النفس الامارة بالسوء أو تتركوا اعلان ما جعل الله اظهاره سوأ فان الله كان عفوا متخلقا بأخلاقه متصفا بصفاته وأيضا فان الله كان فى الازل عفوا عنك بأن لم يجعلك من المخذولين حتى صرت عفوا عما سواه وكان هو قديرا على خذلانك حتى يقدر على أن لا يعفو عن مثقال ذرة لكفرانك ان الانسان لظلوم كفار كذا فى التأويلات النجمية (ان الذين يكفرون بالله ورسله) أى يؤدى اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) أى بأن يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بأن يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) أى نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله ورسله فى الايمان

قوله لا تتفرد الخ هكذا فى النسخة التى بأيدينا وليحرر اه

لانه تعالى قد أمرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء الا وقد أخبر قومه بحقيقة دين نبينا صلى الله عليه وسلم فمن كفر بواحد منهم كفر بالكل وبالله تعالى أيضا من حيث لا يحتسب (ويريدون) بقولهم ذلك (أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) أي طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا واجمالا فالكافر ببعض كالكافر بالكل في الضلال كما قال فماذا بعد الحق الا الضلال (أولئك) الموصوفون بالصفات القبيحة (هم الكافرون) أي الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا أصلا (حقا) مصدر مؤكد لمضمون الجملة أي حق ذلك أي كونهم كاملين في الكفر حقا أو صفة لمصدر الكافرون أي هم الذين كفروا كفرا حقا أي يقينا محققا لا شك فيه (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) سيذوقونه عند حلوله ويهانون فيه ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار أتبعه بذكر وعد المؤمنين فقال (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) بأن يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة وانما دخل بين على أحد وهو يقتضى متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي فهو بمنزلة ولم يفرقوا بين اثنين أو بين جماعة (أولئك) المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة (سوف يؤتيهم) أي الله تعالى (أجورهم) الموعودة لهم وسمى الثواب أجرا لان المستحق كالاجرة وسوف لتأكيد الوعد أي الموعود الذي هو الايتاء والدلالة على أنه كائن لا محالة وان تأخر (وكان الله غفورا) لما فرط منهم (رحيما) مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم والآية الاولى تدل على ان الايمان لا يحصل بزعم المرء وحسبانه أنه مؤمن وانما يحصل بحصول شرائطه ونتائجه فمن نتائجه ما ذكر في الآية الثانية من عدم التفريق بين الرسل ومن نتائجه القبول من الله والجزاء عليه فمن أخطأه النور عند الرش على الارواح فقد كفر كفرا حقيقيا ولذلك سماهم الله في الكفر حقا ومن أصابه النور عند ذلك فقد آمن ايمانا حقيقيا ولذلك لا ينفع الاول توسط الايمان كما لا يضر الثاني توسط العصيان (قال السعدي) قضا كشتى آنجا كه خواهد برد * وكر ناخدا جامه برتن درد (يحكى) انه كان شاب حسن الوجه وله أحباب وكانوا في الاكل والشرب والتنعم والتلذذ فنفدت دراهمهم فاجتمعوا يوما وأجمعوا على أن يقطعوا الطريق فخرجوا الى طريق وترقبوا القافلة فلم يمر أحد من هذا الطريق الى ثلاثة أيام ورأى الشاب شيخا قال له يا ولدي ليس هذا صنعتك فاستغفر الله تعالى فان طلبتني فأنا أقرأ القرآن في جامع السيد البخاري ببروسة المحروسة فاحترق قلب الشاب من تأثير الكلام فقال لرفقائه لو تبعتم رأيي تعالوا نروح الى بروسة ونتجسس عن بعض التجار فنخرج خلفهم فنأخذ أموالهم فقبلوا قوله فلما جاؤا الى بروسة قال لهم تعالوا نصل في جامع السيد البخاري وندع عنده لحصول مرادنا فلما جاءا الى الجامع ورأى الشيخ هناك يقرأ القرآن سقط على رجله وتاب وبقي عنده سنتين ثم بعد السنتين أرسله هذا الشيخ الى حضرة الشيخ آق شمس الدين فرباه وصار كاملا بعد أن كان مؤمنا ناقصا قاطع الطريق ولذا ينظر الى الخاتمة ولكن حسن العاقبة لمن سبق العناية في البداية اللهم اجعلنا من المهديين آمين يا معين واعلم أن الايمان والتوحيد هو أصل الاصول وهو وان كان لا يزيد ولا ينقص عند الامام الاعظم الا ان نوره يزيد بالطاعات وينقص بالسيآت فينبغي لطالب الحق ان يراعي أحكام الشريعة وآداب الطريقة ليتقوى جانب روحانيته فان

أنوار الطاعات كالاغذية النفيسة للارواح خصوصا نور التوحيد والذكر ولذكر الله أكبر وهو العمدة فى تصفية الباطن وطهارته قال سيد الطائفة الجنيد قدس سره الادب أدبان فأدب السر طهارة القلب وأدب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب فعليك بترك الشرور والايمان الكامل لله بالغفور حتى تنال الاجر الموفور والسرور فى دار الحضور (قال الصائب) ازز اهدان خشك رسايى طمع مدار * سيل ضعيف واصل دريا نميشود * فلا بد من العشق فى طريق الحق ليصل الطالب الى السر المطلق ومجرد الامنية سنية والسفينة لاتجرى على اليبس كما قالت رابعة (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء) نزلت فى أحبار اليهود حين قالوا لرسول الله عليه السلام ان كنت نبيا صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوى على ألواح كما نزلت التوراة (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) جواب شرط مقدر أى ان استكبرت ما سألوه منك واستعظمت فقد سألوا موسى شيأ أكبر منه وأعظم وهذا السؤال وان صدر عن أسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم فى كل ما يأتون وما يذرون أسند اليهم والمعنى ان لهم فى ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس بأول جهالاتهم (فقالوا) الفاء تفسيرية (أرنا الله جهرة) أى أرناه جهرة أى عيانا والجهر حقيقة فى ظهور الصوت لحاسة السمع ثم استعير لظهور المرئى لحاسة البصر ونصبها على المصدر لان المعاينة نوع من الرؤية وهم النقباء السبعون الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الجبل حين كلمه الله تعالى سألوه أن يروا ربهم رؤية يدركونها بأبصارهم فى الدنيا (فأخذتهم الصاعقة) نار جاءت من السماء فأحرقتهم (بظلمهم) أى بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا * وفى التأويلات النجمية فقالوا أرنا الله جهرة وما طلبوا الرؤية على موجب التعظيم أو على موجب التصديق ولا حملهم عليها شدة الاشتياق أو ألم الفراق كما كان لموسى عليه السلام حين قال رب أرنى أنظر اليك ولعل غيرة موسى فى جواب لن ترانى كانت من شؤم القوم وما كان لنفسهم من سوء أدب هذا السؤال لئلا يطمعوا فى مطلوب لم يعطه نبيهم فما اعتقدوا بحال نبيهم لانهم كانوا أشقياء والسعيد من وعظ بغيره حتى أدركتهم الشقاوة الازلية فأخذتهم الصاعقة بظلمهم بأن طمعوا فى فضيلة وكرامة ما كانوا استحقوها ومن طبع كافرا ولو يرى الله جهرة فانه لا يؤمن به ومن طبع مؤمنا عند رشاش النور باصابته فانه يؤمن بنبى لم يره وكتاب لم يقرأه بغير معجزة وبينة كما كان الصديق رضى الله عنه حين قال النبى صلى الله عليه وسلم له بعثت فقال صدقت وكما كان حال أويس القرنى فانه لم ير النبى عليه السلام ولا المعجزة وقد آمن به (ثم اتخذوا العجل) أى عبدوه واتخذوه الها (من بعد ما جاءتهم البينات) أى المعجزات التى أظهرت لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر ونحوها لا التوراة لانها لم تنزل عليهم بعد وهذه هى الجناية الثانية التى اقترفها أيضا أوائلهم (فعفونا عن ذلك) أى تجاوزنا عنهم بعد توبتهم مع عظم جنايتهم وجريمتهم ولم نستأصلهم وكانوا أحقاء به قبل هذا استدعاء لهم الى التوبة كأنه قيل ان أولئك الذين أجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا أنتم أيضا حتى نعفو عنكم ودلت الآية على سعة رحمة الله ومغفرته وتمام نعمته ومنته وأنه لا جريمة تضيق عنها مغفرة الله وفى هذا منع من القنوط

(وآتينا موسى سلطانا مبينا) أى تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حيث أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن معصيتهم فاحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فياله من سلطان مبين (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) الباء سببية متعلقة بالرفع والمعنى لاجل أن يعطوا الميثاق لقبول الدين (روى) ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فأبوا قبولها فأمر جبريل عليه السلام بقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا فرفع عنهم (وقلنا لهم) على لسان موسى والطور مشرف عليهم (ادخلوا الباب) أى باب القرية وهى اريحا على ما روى من أنهم دخلوا اريحا فى زمن موسى عليه السلام أو باب القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى (سجدا) أى متطامنين مخنين شكرا على اخراجهم من التيه فدخلوها زحفا وبدلوا ما قيل لهم (وقلنا لهم) على لسان داود (لا تعدوا) أى لا تظلموا باصطياد الحيتان يقال عدا يعدو عدوا وعداء وعدوانا أى ظلم وجاوز الحد والاصل لا تعدووا بواوين الاولى لام الكلمة والثانية ضمير الفاعل صار بالاعلال على وزن لا تفعوا (فى يوم السبت) وكان يوم السبت يوم عبادتهم فاعتدى فيه أناس منهم فاشتغلوا بالصيد (وأخذنا منهم) على الامتثال بما كلفوه (ميثاقا غليظا) أى عهدا مؤكدا غاية التأكيد وهو قولهم سمعنا وأطعنا قيل انهم أعطوا الميثاق على أنهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم بأى أنواع العذاب أراد (فبما) ما مزيدة للتأكيد (نقضهم ميثاقهم) أى فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم أو على أعقابهم فالباء متعلقة بفعل محذوف (وكفرهم بآيات الله) أى بالقرآن أو بما فى كتابهم عندهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) كزكريا ويحيى عليهما السلام (وقولهم قلوبنا غلف) جمع أغلف أى هى مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ولا نفقه ما يقوله أو هو تخفيف غلف بضم الغين واللام جمع غلاف أى هى أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره (بل طبع الله عليها بكفرهم) كلام معترض بين المعطوفين جىء به على وجه الاستطراد مسارعة على زعمهم الفاسد أى ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم وليست قلوبهم كما زعموا بل هى مطبوع عليها بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم كعبد الله بن سلام واضرابه أو ايمانا قليلا لا يعبأ به لنقصانه وهو ايمانهم ببعض الرسل والكتب دون بعض وبالايمان الغير المعتبر لا يجب أن يسموا مؤمنين فهم كافرون حقا واعلم ان نقض الميثاق صار سبب الغضب الخلاق فعلى المؤمن أن يراعى أحكام عهده وميثاقه ليسلم من البلاء وعن ابن عمر رضى الله عنه قال أقبل علينا رسول الله فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال اذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الطاعون والاوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا الكيل والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما فى أيديهم وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله الا جعل الله بأسهم بينهم (قال فى المثنوى) سوى

لطف بى وفايان هين مرو * كان پل ويران بود نيكو شنو * نقض ميثاق وعهود فعل شقيست * حفظ ايمان ووفا كار تقيست * جرعه برخاك وفا انكس كه ريخت * كى تواند صيد دولت زو كريخت (وبكفرهم) عطف على قولهم أى عاقبنا اليهود بسبب كذا وكذا وبسبب كفرهم بعيسى أيضا (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعنى نسبتها الى الزنا وبهتانا منصوب على انه مفعول به نحو قال شعرا أو على المصدر الدال على النوع نحو جلست جلسة فان القول قد يكون بهتانا وغير بهتان (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) وصفهم له عليه الصلاة والسلام برسول الله انما هو بطريق الاستهزاء به كما فى قوله تعالى يا ايها الذى نزل عليه الذكر فانهم متفقون على عداوته وقتله فكيف يقولون فى حقه انه رسول الله ونظم قولهم هذا فى سلك سائر جناياتهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم وفرحهم بقتل النبى والاستهزاء به (وما) أى والحال انهم ما (قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) اى وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول فالفعل مسند الى الجار والمجرور نحو خيل اليه ولبس عليه (روى) ان رهطا من اليهود سبوه بأن قالوا هو الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما سمع عليه الصلاة والسلام ذلك دعا عليهم فقال اللهم أنت ربى وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقتنى ولم آتهم من تلقاء نفسى اللهم فالعن من سبنى وسب أمى فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وسبوا أمه قردة وخنازير فلما رأى ذلك يهودا رأس القوم وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته عليه أيضا فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه السلام فبعث الله تعالى جبريل فأخبره بأنه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه أيكم يرضى بأن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عليه السلام وألقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى وقيل ان ططيانوس اليهودى دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده فألقى الله تعالى شبهه عليه فلما خرج ظنوا انه عيسى فأخذ وقتل ثم صلب وأمثال هذه الخوارق لا تستبعد فى عصر النبوة وقال كثير من المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله الى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فأخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس انه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح الا بالاسم لما كان قليل المخالطة مع الناس فبهذا الطريق اندفع ما يقال اذا جاز أن يقال ان الله تعالى يلقى شبه انسان على انسان آخر فهذا يفتح باب السفسطة حيث يجوز أن يقال اذا رأينا زيدا لعله ليس زيدا ولكنه شخص آخر ألقى شبه زيد عليه وعند ذلك لا يبقى الطلاق والنكاح والملك موثوقا به لا يقال ان النصارى ينقلون عن اسلافهم أنهم شاهدوه مقتولا لانا نقول ان تواتر النصارى ينتهى الى أقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب كذا فى تفسير الامام الرازى (وان الذين اختلفوا فيه) أى فى شأن عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعضهم ان كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا وان كان صاحبنا فأين عيسى وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان الله تعالى لما ألقى شبه عيسى على المقتول ألقاه على وجهه دون جسده وقال من سمع منه ان الله يرفعنى الى السماء انه رفع الى السماء وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فقال قوم منهم انه

ماقتل

ما قتل وما صلب بل رفعه الله الى السماء وقال قوم منهم ان اليهود قتلوه فزعمت النسطورية ان
المسيح صلب من جهة ناسوتيه أي جسمه وهيكله المحسوس لا من جهة لاهوتيه أي نفسه وروحه
وأكثر الحكماء يختارون ما يقرب من هذا القول قالوا لانه ثبت أن الانسان ليس عبارة عن هذا
الهيكل بل هو اما جسم لطيف في هذا البدن واما جوهر روحاني مجرد في ذاته وهو مدبر في هذا
البدن والقتل انما ورد على هذا الهيكل وأما النفس التي هي في الحقيقة عيسى فالقتل ما ورد
عليها لا يقال كل انسان كذلك فما وجه التخصيص لانا نقول ان نفسه كانت قدسية علوية
سماوية شديدة الاشراق بالانوار الالهية عظيمة القرب من أرواح الملائكة والنفس متى
كانت كذلك لم يعظم تألمها بسبب القتل وتخريب البدن ثم انها بعد الانفصال عن ظلمة البدن
تتخلص الى فسحة السموات وأنوار عالم الجلال فتعظم بهجتها وسعادتها هنالك ومعلوم أن هذه
الاحوال غير حاصلة لكل الناس وانما تحصل لاشخاص قليلين من مبدأ خلق آدم الى قيام
الساعة وزعمت الملكانية من النصارى ان القتل والصلب وصل الى اللاهوت بالاحساس
والشعور لا بالمباشرة وزعمت اليعقوبية منهم ان القتل والصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر
متولد من جوهرين (لفي شك منه) أي لفي تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح أحد طرفيه
يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك أكد بقوله تعالى (ما لهم به من علم الا اتباع
الظن) استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم والمعنى لكنهم يتبعون الظن (وما قتلوه
قتلا (يقينا) كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح فيقينا نعت مصدر محذوف على أن يكون فعيلا
بمعنى المفعول وهو المتيقن (بل رفعه الله اليه) رد وانكار لقتله واثبات لرفعه قال الحسن
البصري أي الى السماء التي هي محل كرامة الله تعالى ومقر ملائكته ولا يجري فيها حكم أحد
سواه فكان رفعه الى ذلك الموضع رفعا اليه تعالى لانه رفع عن أن يجري عليه حكم العباد ومن
هذا القبيل قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله وكانت الهجرة الى المدينة وقوله
انى ذاهب الى ربي أي الى موضع لا يمنعني أحد من عبادة ربي والحكمة في الرفع أنه تعالى أراد
به صحبة الملائكة ليحصل لهم بركته لانه كلمة الله وروحه كما حصل للملائكة بركة صحبة آدم أبي
البشر من تعلم الاسماء والعلم بان مثل عيسى عند الله كمثل آدم كما ذكر في الآية وقيل رفع الى
السماء لما لم يكن دخوله الى الوجود الدنيوي من باب الشهوة وخروجه لم يكن من باب المنية بل
دخل من باب القدرة وخرج من باب العزة (وكان الله عزيزا) لا يغالب فيما يريده فعزة الله تعالى
عبارة عن كمال قدرته فان رفع عيسى عليه السلام الى السموات وان كان متعذرا بالنسبة الى
قدرة البشر لكنه سهل بالنسبة الى قدرة الله تعالى لا يغلبه عليه أحد (حكيما) في جميع أفعاله
فيدخل فيها تدبيراته تعالى في أمر عيسى عليه السلام دخولا أوليا ولما رفع الله عيسى عليه
السلام كساه الريش وألبسه النور وقطعه عن شهوات المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو
معهم حول العرش فكان انسيا ملكيا سماويا أرضيا قال وهب بن منبه بعث عيسى على رأس
ثلاثين سنة ورفعه الله وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وكانت نبوته ثلاث سنين فان قيل لم يرد الله
تعالى عيسى الى الدنيا بعد رفعه الى السماء قيل أخر رده ليكون علما للساعة وخاتما للولاية العامة
لانه ليس بعده ولي يختم الله به الدورة المحمدية تشريفا لها بختم نبي مرسل يكون على شريعة

محمدية يؤمن بها اليهود والنصارى ويجدد الله تعالى به عهد النبوة على الامة ويخدمه المهدى وأصحاب الكهف ويتزوج ويولد له ويكون فى أمة محمد عليه السلام وخاتم أوليائه ووارثه من جهة الولاية وأخرج السيوطى فى تفسير الدر المنثور فى سورة الكهف عن ابن شاهين أربعة من الانبياء أحياء اثنان فى السماء عيسى وادريس واثنان فى الارض الخضر والياس فأما الخضر فانه فى البحر وأما صاحبه فانه فى البر قال الامام السخاوى رحمه الله حديث أخى الخضر لو كان حيا لزارنى من كلام بعض السلف ممن أنكر حياة الخضر واعلم ان الارواح المهيمة التى من العقل الاول كلها صف واحد حصل من الله ليس بعضها بواسطة بعض وان كانت الصفوف الباقية من الارواح بواسطة العقل الاول كما أشار صلى الله عليه وسلم أنا أبو الارواح وأنا من نور الله والمؤمنون فيض نورى فأقرب الارواح فى الصف الاول الى الروح الاول والعقل الاول روح عيسوى لهذا السر شاركه بالمعراج الجسمانى الى السماء وقرب عهده بعهده فالروح العيسوى مظهر الاسم الاعظم وفائض من الحضرة الالهية فى مقام الجمع بلا واسطة اسم من الاسماء وروح من الارواح فهو مظهر الاسم الجامع الالهى ووارثه أولية ونبينا عليه السلام اصالة كذا فى شرح الفصوص ثم اعلم ان قوما قالوا على مريم فرموها بالزنا وآخرين جاوزوا الحد فى تعظيمها فقالوا ابنها ابن الله وكلتا الطائفتين وقعتا فى الضلال ويقال مريم كانت ولية الله فشقى بها فرقتان أهل الافراط وأهل التفريط وكذلك كل ولى له تعالى فمنكرهم شقى بترك احترامهم وطلب أذيتهم والذين يعتقدون فيهم مالا يستوجبون يشقون بالزيادة فى اعظامهم وعلى هذه الجملة درج الاكثرون من الاكابر كذا فى التأويلات النجمية (وفى المثنوى) تا تو بينى تو ولى در جهد خويشى * الله الله باشنه در جهد بيش * جهل عالم زين سبب گمراه شد * كم كسى زابدال هم آگاه شد * دير بايد تا كه سر آدمى * آشكارا گردد از بيش و كمى * زير ديوار بدن گنجست يا * خانه مارست ومور واژدها (وان من أهل الكتاب) أى ما من اليهود والنصارى أحد (الا ليؤمنن به) أى بعيسى (قبل موته) أى قبل موت ذلك الاحد من أهل الكتاب يعنى اذا عاين اليهودى أمر الآخرة وحضرته الوفاة ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالت أتاك عيسى عليه السلام نبيا فكذبت به فيؤمن حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وتقول للنصرانى أتاك عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله فزعمت أنه هو الله وابن الله فيؤمن بأنه عبد الله حين لا ينفعه ايمانه قالوا لا يموت يهودى ولا صاحب كتاب حتى يؤمن بعيسى وان احترق أو غرق أو تردى أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو أى ميتة كانت حتى قيل لابن عباس رضى الله عنه لو خر من بيته قال يتكلم به فى الهواء قيل أرأيت لو ضرب عنق أحدهم قال يتلجلج به لسانه وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل أن يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى وما من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى من السماء أحد الا ليؤمنن به قبل موته (وروى) عن النبى عليه السلام انه قال أنا أولى الناس بعيسى لانه لم يكن بينى وبينه نبى ويوشك أنه ينزل فيكم حكما عدلا فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض وكان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقتل الخنزير ويريق الخمر ويكسر الصليب ويذهب الجزية ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك الله فى زمانه الملل كلها

غير ملة الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله فى زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال حتى لا يبقى أحد من أهل الكتاب وقت نزوله الا يؤمن به وتقع الامنة فى زمانه حتى ترتع الابل مع الاسود والبقر مع النمور والغنم مع الذئاب وتلعب الصبيان بالحيات لا يؤذى بعضهم بعضا ثم يلبث فى الارض أربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه وفى الحديث ان المسيح جائى فمن لقيه فليقرئه منى السلام (ويوم القيامة يكون) أى عيسى عليه السلام (عليهم) أى على أهل الكتاب (شهيدا) فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا) أى بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عن اليهود (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) ولمن قبلهم لا لشئ غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصى التى اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات التى كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من أسلافهم عقوبة لهم كلحوم الابل وألبانها والشحوم * وفى التأويلات النجمية نكتة قال لهم حرمنا عليهم طيبات وقال لنا ويحل لهم الطيبات وقال كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فلم يحرم علينا شيأ بذنوبنا وكما أمنا من تحريم الطيبات فى هذه الآية نرجوا أن يؤمننا فى الآخرة من العذاب الاليم لانه جمع بينهما فى الذكر فى هذه الآية وقال أهل الاشارة ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات وأنا أقول الاسراف فى ارتكاب المباحات يوجب حرمان المناجاة انتهى كلام التأويلات (قال السعدى) مى ورد ولى هر جه دل خواهدت * كه تمكين تن نور جان كاهدت (وبصدهم عن سبيل الله) أى بسبب منعهم عن دين الله وهو الاسلام ناسا (كثيرا) أو صدا كثيرا (وأخذهم الربا وقد) أى والحال أنهم قد (نهوا عنه) فان الربا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهى يدل على حرمة المنهى عنه (وأكلهم أموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (وأعتدنا) أى خلقنا وهيأنا (للكافرين منهم) أى للمصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم (عذابا أليما) وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم يسيد وقوته فى الآخرة كما ذاقوا فى الدنيا عقوبة التحريم (لكن الراسخون فى العلم منهم) أى الثابتون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه وسماهم راسخين فى العلم لثباتهم فى العلم وتجردهم فيه لا يضطربون ولا تميل بهم الشبه بمنزلة الشجرة الراسخة بعروقها فى الارض (والمؤمنون) أى من غير أهل الكتاب من المهاجرين والانصار (يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) خبر المبتدأ وهو الراسخون وما عطف عليه * قال فى التأويلات النجمية كان عبد الله بن سلام عالما بالتوراة وقد قرأ فيها صفة النبى عليه السلام فلما كان راسخا فى العلم اتصل علم قراءته بعلم المعرفة فقال لما رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت انه ليس بوجه كذاب فآمن به ولما لم يكن للاحبار رسوخ فى العلم وان قرؤا صفة النبى عليه السلام فى التوراة فلما رأوا النبى عليه السلام ما عرفوه فكفروا به انتهى ونعم ما قيل فى حق الشرفاء

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

(و) أعنى (المقيمين الصلاة) فنصبه على المدح لبيان فضل الصلاة (و) هم (المؤتون الزكاة) فرفعه على المدح أيضا وكذا رفع قوله تعالى (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) قدم عليه

الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية (أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً) أي ثواباً وافراً في الجنة على جمعهم بين الايمان والعمل الصالح وهو ما أريد به وجه الله تعالى ومن أفاضل الاعمال الصلوات الخمس واقامتها وفي الحديث من حافظ منكم على الصلوات الخمس حيث كان وأينما كان جاز الصراط يوم القيامة كالبرق اللامع في أول زمرة السابقين وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان له كل يوم وليلة حافظ عليهن أجر شهيد وسر هذا الحديث مفهوم من لفظ الصلاة ووجه تسميتها بها لان اشتقاقها من الصلي وهو النار والخشبة المعوجة اذا أرادوا تقويمها يعرضونها على النار فتقوم وفي العبد اعوجاج لوجود نفسه الامارة فيه وسبحات وجه الله الكريم حارة بحيث لو كشف حجابها لاحرقت تلك السبحات من أدركته ومن انتهى اليه البصر كما ورد في الحديث فبدخول المصلي في الصلاة يستقبل تلك السبحات فيصيب المصلي من وهج السطوة الالهية والعظمة الربانية ما يزول به اعوجاجه بل يتحقق به معراجه فالمصلي كالمصطلي بالنار ومن اصطلى بها زال بها اعوجاجه فلا يعرض على نار جهنم الا تحلة القسم وبذلك المقدار من المرور يذهب أثر درنه ولا يبقى له احتياج الى المكث على الصراط فيمر كالبرق اللامع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ان أولياء الله المصلون ومن يقيم الصلوات الخمس التي كتبهن الله عليه ويصوم رمضان ويحتسب صومه ويؤتي الزكاة محتسباً طيبة بها نفسه ويجتنب الكبائر التي نهى الله عنها فقال رجل من أصحابه يا رسول الله وكم الكبائر فقال تسع أعظمهن الاشراك بالله وقتل المؤمن بغير حق والفرار من الزحف وقذف المحصنة والسحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين واستحلال البيت العتيق الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً لا يموت رجل لم يعمل هؤلاء الكبائر ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة الا رافق محمداً في بحبوحة جنة أبوابها مصاريع الذهب واعلم ان الراسخين في العلم هم الذين رسخوا بقدمي العمل والعلم الى أن بلغوا معادن العلوم فاتصلت علومهم المكسبية بالعلوم العطائية اللدنية وفي الحديث اطلعت ليلة المعراج على النار فرأيت أكثر أهلها الفقراء قالوا يا رسول الله من المال قال لا من العلم وفي الحديث العلم امام العمل والعمل تابعه قال حجة الاسلام الغزالي رحمه الله في منهاج العابدين ولقد صرت من علماء أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الراسخين في العلم ان أنت عملت بعلمك وأقبلت على عمارة معادك وكنت عبداً عالماً عاملاً لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد غير غافل فلك الشرف العظيم ولعلمك القيمة الكثيرة والثواب الجزيل وبناء أمر العبادة كله على العلم سيما علم التوحيد وعلم السر فلقد روي ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع قال الهي وما العلم النافع قال أن تعرف جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شئ فان هذا الذي يقربك الي وعن علي رضي الله عنه ما يسرني أن لو مت طفلاً فأدخلت الجنة ولم أكبر فأعرف ربي فان أعلم الناس بالله أشدهم خشية وأكثرهم عبادة وأحسنهم في الله نصيحة (انا أوحينا اليك) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء واحتجاج عليهم بأنه ليس بدعاً من الرسل وانما شأنه في حقيقة الارسال وأصل الوحي كشأن سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحدهم في نبوتهم والوحي والايحاء كالاعلام في خفاء وسرعة أي أنزلنا جبريل عليك يا محمد بهذا

القرآن

القرآن (كما أوحينا) أي ايحاء مثل ايحائنا (الى نوح والنبيين من بعده) بدأ بذكر نوح لانه أبو البشر وأول نبي عذبت أمته لردهم دعوته وقد أهلك الله بدعائه أهل الارض قيل ان نوحا عليه السلام عمر ألف سنة لم ينقص له سن ولا قوة ولم يشب له شعر ولم يبالغ أحد من الانبياء في الدعوة ما بالغ ولم يصبر على أذى قومه ما صبر وكان يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا وكان يضرب من قومه حتى يغمى عليه فاذا أفاق عاد وبلغ وقيل هو أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وأوحينا الى ابراهيم) عطف على أوحينا الى نوح داخل معه في حكم التشبيه أي كما أوحينا الى ابراهيم (واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم أولاد يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر رجلا (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان) خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تشريفا لهم واظهارا لفضلهم فان ابراهيم أول أولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين أشراف الانبياء ومشاهيرهم وقدم ذكر عيسى على من بعده لان الواو للجمع دون الترتيب فتقديم ذكره في الآية لا يوجب تقديمه في الخلق والارسال والفائدة في تقديمه في الذكر رد على اليهود لغلوهم في الطعن فيه وفي نسبه فقدمه الله في الذكر لان ذلك أبلغ في كبت اليهود في تبرئته مما رمي به ونسب اليه (وآتينا) أي كما آتينا (داود زبورا) فالجملة عطف على أوحينا داخلة في حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء والزبور هو الكتاب مأخوذ من الزبر وهو الكتابة قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء على الله عز وجل وكان داود يبرز الى البرية ويقرأ الزبور فيقوم معه علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس وتجيء الدواب التي في الجبال اذا سمعت صوت داود فيقمن بين يديه تعجبا لما يسمعن من صوته وتجيء الطير حتى يظللن على داود في خلائق لا يحصيهن الا الله يرفرفن على رأسه وتجيء السباع حتى تحيط بالدواب والوحش لما يسمعن فلما قارف الذنب وهو تزوج امرأة أوريا من غير انتظار الوحي بجبريل ولم يروا ذلك فقيل ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية وعن أبي موسى الاشعري قال قال لي رسول الله لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود قال فقلت أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته تحبيرا وعن أبي عثمان قال ما سمعت قط بربطا ولا مزمارا ولا عودا أحسن من صوت أبي موسى وكان يؤمنا في صلاة الغداة فنود أنه يقرأ سورة البقرة من حسن صوته (قال السعدي) به از روى زيباست آواز خوش * كه آن حظ نفس است واين قوت روح

وعند هبوب الناشرات على الحمى * تميل غصون البان لا الحجر الصلد

(ورسلا) نصب بمضمر يدل عليه أوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قيل أي وكما أرسلنا رسلا (قد قصصناهم عليك) أي سميناهم لك (من قبل) متعلق بقصصنا أي من قبل هذه السورة أو اليوم وعرفناك قصتهم فعرفتهم (ورسلا لم نقصصهم عليك) أي لم نسمهم لك والرسل هم الذين أوحي اليهم بجبريل والانبياء هم الذين لم يوح اليهم بجبريل وانما أوحي اليهم بملك آخر أو برؤيا في المنام أو بشيء آخر من الالهام وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله كم كانت الانبياء وكم كان المرسلون قال كانت الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا وكان المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر وفي رواية سئل عن عدد الانبياء فقال مائتا ألف وأربعة

وعشرون أنفسا والاولى أن لا يقتصر على عدد فى التسمية لهذه الآية وخبر الواحد لا يفيد الا الظن ولا عبرة بالظن فى الاعتقاديات (وكلم الله موسى تكليما) عطف على انا أوحينا اليك عطف القصة على القصة وتأكيد كلم بالمصدر يدل على أنه عليه السلام سمع كلام الله حقيقة لا كما يقوله القدرية من أن الله تعالى خلق كلاما فى محل فسمع موسى ذلك الكلام لان ذلك لا يكون كلام الله القائم به والافعال المجازية لا تؤكد بذكر المصادر لا يقال أراد الحائط أن يسقط ارادة قال الفراء العرب تسمى ما وصل الى الانسان كلاما بأى طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا أكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحى خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا فى نبوة سائر الانبياء فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه جملة قادحا فى صحة من أنزل عليه الكتاب منفصلا مع ظهور أن نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها ان بنى اسرائيل كانوا فى العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها الا بعد اللتيا والتى وقد فضل الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم (قال العطار) كرده در شب سوى معراجش روان * سر كل با او نهاده در ميان * رفت موسى بر بساط آن جناب * خلع نعلين آمدش از حق خطاب * چون بنزديكى شد از نعلين دور * گشت در وادى المقدس غرق نور * باز در معراج شمع ذو الجلال * مى شنود آواز نعلين بلال * موسى عمران اگر چه بود شاه * هم نبرد انجاش بانعلين راه * اين عنايت بين كه بهر جاه او * كرد حق پاپاكرد درگاه او * چاكرش را كرد مرد كوى خويش * داد با نعلين راهش سوى خويش * موسى عمران چو آن رتبت بديد * چاكر او را چنان قربت بديد * گفت يا رب امت او كن مرا * در طفيل همت او كن مرا * اوست سلطان وطفيل او همه * اوست دائم شاه وخيل او همه * (روى) أن موسى عليه السلام لما أتى طور سيناء أنزل الله الظلمة على سبع فراسخ وطرد عنه الشيطان وطرد عنه الهوام ونحى عنه الملكين وكشف له السماء فرأى الملائكة قياما فى الهواء ورأى العرش بارزا وكلمه الله وناجاه حتى أسمعه كلامه من غير واسطة وكيفية وصوت وحرف (رسلا) نصب على المدح أى أعنى رسلا (مبشرين) لاهل الطاعة بالجنة (ومنذرين) للعصاة بالنار (لئلا يكون) اللام متعلقة بأرسلنا (للناس) خبر يكون (على الله) متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله (حجة) أى كائنة على الله وحجة اسم يكون والمعنى لئلا يكون للناس على الله معذرة يوم القيامة يعتذرون بها قائلين لولا أرسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من أحكامك وينبهنا من سنة الغفلة لقصور القوة البشرية عن ادراك الجزئيات المصالح وعجز أكثر الناس عن ادراك كلياتها ففيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة وانما سميت المعذرة حجة مع استحالة أن يكون لاحد عليه سبحانه حجة فى فعل من أفعاله بل له أن يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة فى القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التى لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبى صلى الله عليه وسلم ما أحد أغير من الله عز وجل ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما أحد أحب اليه المدح من الله تعالى ولذلك مدح نفسه وما أحد أحب اليه العذر من الله تعالى ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتاب

(بعد الرسل) أي بعد ارسالهم وتبليغ الشرائع الى الامم على ألسنتهم متعلق بحجة (وكان الله
عزيزا) لايغالب في أمر من الامور ومن قضيته الامتناع عن الاجابة الى مسئلة المتعنتين
(حكيما) في جميع أفعاله التي من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب (لكن الله) استدراك
على مفهوم ماقبله من سؤالهم على وجه التعنت أن ينزل عليهم ماوصفوه من الكتاب فهو بمنزلة
قولهم لانشهد بأن الله تعالى بعثك الينا رسولا حتى ينزل ماسألناه فقال تعالى انهم لايشهدون
بصدقك في دعوى الرسالة لكن الله (يشهد بما انزل اليك) من القرآن المعجز الدال على نبوتك ان
جحدوك وكذبوك فان انزال هذا القرآن البالغ في الفصاحة الى حيث عجز الاولون والآخرون
عن معارضته واتيان مايدانيه شهادة له عليه السلام بنبوته وصدقه في دعوى الرسالة من الله
تعالى فمعنى شهادة الله تعالى بما أنزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى
بالبينات (أنزله بعلمه) حال من الفاعل أي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لايعلمه غيره وهو تأليفه على
نظم بديع يعجز عنه كل بليغ أو بعلمه بحال من أنزل عليه واستعداده لاقتباس الانوار القدسية
(والملائكة يشهدون) أيضا بنبوتك فان قلت من أين يعلم شهادة الملائكة قلت من شهادة الله
تعالى لان شهادتهم تبع لشهادته (وكفى بالله شهيدا) على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات
باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها كأنه تعالى قال يامحمد ان كذبك هؤلاء اليهود
فلاتبال بهم فان الله تعالى وهو اله العالمين يصدقك في دعواك وملائكة السموات أيضا
يصدقونك في ذلك ومن صدقه رب العالمين والملائكة أي ملائكة العرش والكرسي والسموات
السبع أجمعون لاينبغي له أن يلتفت الى تكذيب أخس الناس وهم هؤلاء اليهود (ان الذين
كفروا) أي بما أنزل الله ويشهد به وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) وهو دين الاسلام من
أراد سلوكه بقولهم مانعرف صفة محمد في كتابنا (قد ضلوا) بمافعلوا من الكفر والصد عن طريق
الحق (ضلالا بعيدا) لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون أعرق في الضلال
وأبعد من الانقلاع عنه (ان الذين كفروا) أي بماذكر آنفا (وظلموا) أي محمدا صلى الله عليه
وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها أو الناس بصدهم عما فيه صلاحهم
في المعاش والمعاد (لم يكن الله) مريدا (ليغفر لهم) لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر (ولا ليهديهم
طريقا الا طريق جهنم) لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التي هي طريق
الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلق الله لاعمالهم السيئة المؤدية
بهم الى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها أو سوقهم اليها يوم القيامة بواسطة
الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع
(خالدين فيها) حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها مادل عليه الاستثناء دلالة واضحة
كأنه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها أبدا (أبدا) نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود
على المكث الطويل (وكان ذلك) أي جعلهم خالدين فيها (على الله يسيرا) لاستحالة أن يتعذر
عليه شيء من مراداته تعالى واعلم أن من كان فيه ذرة من النور المرشوش على الارواح يوم
خلقتها يخرج به من النار كما قال عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه ذرة من الايمان
ومن لم يكن فيه ذلك النور يخلد في النار لانه وقع في ظلمة عظيمة لايمكن الخروج منها وقد [illegible]

ضلالا بعيدا أى من يوم رش النور ولا ضلالا قريبا من هذا اليوم لان ضلال اليوم من نتائج ضلال
ذلك اليوم ومثل هذا لا يهتدى الى طريق الحق والقربة الى الله تعالى فيحترق فى عذاب القطيعة
أبدا ولا يخرج من نار الفرقة سرمدا فعلى العبد أن يشهد بما شهد الله تعالى به ويقبل قول الله
وقول الرسول وقول ورثته من العلماء العاملين فانهم ينطقون عن الله وعن الرسول قال شقيق
رحمه الله الناس يقومون من مجلسى على ثلاثة أصناف كافر محض ومنافق محض ومؤمن محض
وذلك لانى أفسر القرآن وأقول عن الله عز وجل وعن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فمن
لا يصدقنى فهو كافر محض ومن ضاق قلبه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم على أنه لا يذنب
كان مؤمنا مخلصا وأول الامر الاعتقاد وذلك يحتاج الى العلم أولا والعمل ثانيا لانه ثمرته وسئل
النبى عليه السلام عن العلم فقال دليل العمل قيل فما العقل قال عليه السلام قائد الخير قيل فما
الهوى قال مركب المعاصى قيل فما المال قال رداء المتكبرين قيل فما الدنيا قال سوق الآخرة
(يا أيها الناس) خطاب لعامة الخلق (قد جاءكم الرسول) يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
ملتبسا (بالحق) وهو القرآن المعجز الذى شهد باعجازه على حقيته أو بالدعوة الى عبادة الله وحده
والاعراض عما سواه فان العقل السليم يشهد على أنه الحق (من) عند (ربكم) متعلق بجاء أى جاء
من عند الله وانه مبعوث مرسل غير متقول له (فآمنوا) بالرسول وبما جاءكم به من الحق والفاء
للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها (خيرا لكم) منصوب على انه مفعول لفعل واجب الاضمار
أى اقصدوا أو ائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر أو على انه نعت لمصدر محذوف أى
آمنوا ايمانا خيرا لكم وهو الايمان باللسان والجنان (وان تكفروا) أى ان تصروا وتستمروا على
الكفر (فان لله ما فى السموات والارض) من الموجودات سواء كانت داخلة فى حقيقتهما
وبذلك يعلم حال أنفسهما على أبلغ وجه وآكده أو خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم
فيدخل فى جملتهم المخاطبون دخولا أوليا أى كلها له عز وجل خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من
ملكوته وقهره شئ منها فمن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة أو فمن كان كذلك
فهو غنى عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم أو فمن كان كذلك فله عبيد
يعبدونه وينقادون لامره (وكان الله عليما) مبالغا فى العلم فهو عالم بأحوال الكل فيدخل
فى ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا أوليا (حكيما) مراعيا الحكمة فى جميع أفعاله التى من جملتها
تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم واعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم صورة النور الغيبى المرسل الى
الاجساد فمن كان قابلا للافاضة نور دعوته فقد اهتدى ومن أخطأ فقد ضل واتفق المشايخ على
ان من ألقى زمامه فى يد كلب مثلا حتى لا يكون تردده بحكم طبعه ونفسه أقوم ان يتول الرياضة عن
جعل زمامه فى حكم نفسه يسترسل بها حيث شاء كالبهائم فلما تيقنت أن الواجب عليك أن تكون
تابعا لا مسترسلا فلأن تتبع سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم الذى آدم ومن دونه من الاولياء
والانبياء تحت لوائه خير لك بل واجب عليك وما أعظم حماقة من يحتاط بقول المنجم فى الاختلاج
والفال وينقاد الى الاحتمالات البعيدة ثم اذا آل الامر الى خبر النبوة عن الغيب أنكر فلا
ترضى لنفسك أن تصدق ابن البيطار فيما ذكره فى العقاقير والاحجار فتبادر الى امتثال ما أمرك
به ولا تصدق سيد البشر صلى الله عليه وسلم فيما يخبر عنه وتتوانى بحكم الكسل عن الاتيان بما

أمر به أو فعل واعلم انك لما أخرجك الله من صلب آدم فى مقام ألست رددت الى أسفل السافلين
ثم منه دعيت لترتقع بسعيك وكسبك الى أعلى عليين حيث ما قدر لك على حسب قابليتك ولا
يمكنك ذلك الا بأمرين أحدهما محبته صلى الله عليه وسلم بان تؤثر حبه على نفسك وأهلك ومالك
والثانى متابعته صلى الله عليه وسلم فى جميع ما أمر به ونهى عنه وبذلك تستحكم مناسبتك به
وبكمال متابعتك يحصل لك الارتفاع الى اوج الكمال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان مثلى
ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم انى رأيت الجيش بعينى) فيه اشارة الى ان
هذا المثل مختص بالنبى عليه السلام لان ما أنذر به من الاهوال هى التى رآها بعينيه وأما سائر
الانبياء عليهم السلام فلم يكن لهم معراج ظاهر حتى يعاينوا تلك الاهوال (وانى أنا النذير) وهو
الذى يخوف غيره بالاعلام (العريان) وهو الذى لقى العدو فسلبوا ما عليه من الثياب فأتى
قومه يخبرهم فصدق بعضهم لما عليه من آثار الصدق فنجوا وهذا القول مثل يضرب لشدة الامر
وقرب المحذور وبراءة المخبر من التهمة والكل موجود فى النبى عليه السلام (فالنجاء) بالمد
نصب على الاغراء أى اطلبوا النجاء وهو الاسراع (فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا) أى ساروا
من أول الليل (فانطلقوا على مهلهم) وهو بفتح الميم والهاء ضد العجلة (وكذبت طائفة منهم
فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش) أى أتاهم صباحا ليغير عليهم (فأهلكهم واجتاحهم) أى
أهلكهم بالكلية (فذلك) أى المثل المذكور وهذا بيان لوجه المشابهة (مثل من أطاعنى
واتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق) وفيه اشارة الى أن مطلق
العصيان غير مستأصل بل العصيان مع التكذيب بالحق كذا فى شرح المشارق لابن الملك رحمه
الله تعالى (قال السعدى) خلاف پيمبر كسى ره گزيد * كه هرگز بمنزل نخواهد رسيد * محالست
سعدى كه راه صفا * توان رفت جز در پى مصطفى * (يا أهل الكتاب) الخطاب للنصارى خاصة
(لا تغلوا فى دينكم) أى لا تجاوزوا الحد فى دينكم بالافراط فى رفع شأن عيسى وادعاء ألوهيته
والغلو مجاوزة الحد واعلم ان الغلو والمبالغة فى الدين والمذهب حتى يجاوز حده غير مرضى كما
ان كثيرا من هذه الامة غلوا فى مذهبهم فمن ذلك مذهب الغلاة من الشيعة فى أمير المؤمنين على
ابن أبى طالب كرم الله وجهه حتى ادعوا الهية وكذلك المعتزلة غلوا فى التنزيه حتى نفوا
صفات الله وكذا المشبهة غلوا فى اثبات الصفات حتى جسموه تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا ولدفع الغلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا تطرونى كما اطرت النصارى
عيسى ابن مريم) أى لا تجاوزوا عن الحد فى مدحى كما بالغ النصارى فى مدح عيسى حتى ضلوا
وقالوا انه ولد الله (وقولوا عبد الله ورسوله) أى قولوا فى حقى انه عبد الله ورسوله وفى تقديم
العبد على الرسول كما فى التحيات أيضا نفى لقول اليهود والنصارى فان اليهود قالوا عزير ابن الله
والنصارى والمسيح ابن الله فنحن نقول عبده ورسوله والغلو من العصبية وهى من صفات النفس
المذمومة والنفس هى أمارة بالسوء لا تأمر الا بالباطل * مرو طاعت نفس شهوت پرست * كه هر
ساعتش قبله ديگر است (ولا تقولوا على الله الا الحق) أى لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من
الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك قوله الا الحق استثناء مفرغ
ونصبه على انه مفعول به لتقولوا لانه تضمن معنى القول نحو قلت خطبة أو نعت مصدر محذوف أى الا القول الحق وهو قريب

المعنى الاول (انما المسيح) مبتدأ وهو لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله
بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك (عيسى) بدل منه معرب من ايشوع (ابن مريم) صفة له مفيدة
لبطلان ما وصفوه به من بنوته له تعالى ومريم بمعنى العابدة وسميت مريم مريم ليكون فعلها مطابقا
لاسمها ولكون عيسى عليه السلام منسوبا الى أمه تدعى الناس يوم القيامة باسماء أمهاتهم
ويدل عليه حديث التلقين بعد الدفن حيث يقال يا فلان ابن فلانة وفى النسبة الى الامهات ستر
منه تعالى للعباد أيضا (رسول الله) خبر للمبتدا أى انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها
وهذا هو القول الحق (وكلمته) عطف على رسول الله أى تكون بكلمته وأمره الذى هو كن
من غير واسطة اب ولا نطفة فان تكوين الخلق كله وان كان بكلمة كن ولكن بالوسائط فان
تعلق كن بتكوين الآباء قبل تعلقه بتكوين الابناء فلما كان تعلق أمر كن بعيسى فى رحم
مريم من غير تعلقه بتكوين أب له تكون عيسى بكلمة كن وكن هى كلمة الله فعبر عن ذلك بقوله
وكلمته ألقاها الى مريم يدل عليه قوله ان مثل عيسى عند الله يعنى فى التكوين كمثل آدم خلقه
من تراب يعنى سوى جسمه من تراب ثم قال له يعنى عند بعث روحه الى القالب كن فيكون وانما
ضرب مثله بآدم فى التكوين لانه أيضا تكون بكلمة كن من غير واسطة أب (القاها الى مريم)
أى أوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام (وروح منه) عطف على كلمته ومنه
صفة لروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى لاستحالة التجزى على الله
تعالى (وروى) انه كان لهرون الرشيد طبيب نصرانى وكان غلاما حسن الوجه جدا وكان
كامل الادب جامعا للخصال التى يتوصل بها الى الملوك وكان الرشيد مولعا بأن يسلم وهو يمتنع
وكان الرشيد يمنيه الامانى ان أسلم فأبى فقال له ذات يوم ما لك لا تؤمن قال ان فى كتابكم حجة
على من أنتحله قال وما هى قال قوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فعنى بهذا ان عيسى
عليه السلام جزء منه فضاق قلب الرشيد وجمع العلماء فلم يكن فيهم من يزيل شبهته حتى قيل له قد
وفد حجاج من خراسان وفيهم رجل يقال له على بن الحسين بن واقد من أهل مرو وهو امام فى علم
القرآن فدعاه فجمع بينه وبين الغلام فسأله الغلام عن ذلك فاستعجم عليه الجواب فى الوقت
وقال قد علم الله يا أمير المؤمنين فى سابق علمه ان هذا الخبيث يسألنى فى مجلسك هذا وانه لم يخل
كتابه عن جوابه وانه ليس يحضرنى الآن ولله على أن لا أطعم ولا أشرب حتى أؤدى الذى يجب
من الحق ان شاء الله تعالى ودخل بيتا مظلما وأغلق عليه بابه واندفع فى قراءة القرآن حتى بلغ من
سورة الجاثية وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فصاح بأعلى صوته افتحوا
الباب فقد وجدت الجواب ففتحوا ودعا الغلام فقرأ عليه الآية بين يدى الرشيد وقال ان كان
قوله وروح منه يوجب أن يكون عيسى بعضا منه وجب أن يكون ما فى السموات وما فى الارض
بعضا منه فانقطع النصرانى وأسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل على بن الحسين الواقدى
المروزى بصلة جيدة فلما عاد على بن الحسين الى مرو صنف كتابا سماه كتاب النظائر فى القرآن
وهو كتاب لا يوازيه كتاب قيل معنى كونه روحا انه ذو روح صادر منه تعالى كسائر ذوى
الارواح الا انه تعالى أضاف روحه الى نفسه تشريفا وقيل المراد بالروح هو الذى نفخ جبريل
عليه السلام فى درع مريم فدخلت تلك النفخة بطنها فحملت باذن الله من ذلك النفخ سمى النفخ

وروحالانه كان ريحا يخرج من الروح وأضاف تعالى نفخة جبريل الى نفسه حيث قال وروح
منه بناء على ان ذلك النفخ الواقع من جبريل كان باذن الله تعالى وأمره فهو منه وعن أبى بن
كعب انه قال ان الله تعالى لما أخرج الارواح من ظهر آدم لاخذ الميثاق عليهم ثم ردهم الى صلبه
أمسك عنده روح عيسى الى أن أراد خلقه ثم أرسل ذلك الروح الى مريم فدخل فى فيها فكان
منه عيسى عليه السلام قيل خلق عيسى عليه السلام من ماء مريم ومن النفخ لامن أحدهما
فقط وهو الاصح عند المحققين قيل خرج فى ساعة النفخ وقيل بعد المدة الكاملة بعد ثمانية أشهر
والاول هو الاصح * وفى التأويلات النجمية ان شرف الروح على الاشياء بأنه أيضا كعيسى
تكوّن بأمر كن بلا واسطة شئ آخر فلما تكوّن الروح بأمر كن وتكوّن عيسى بأمر كن سمى
روحا منه لان الامر منه تعالى كما قال قل الروح من أمر ربى فكما ان احياء الاجسام الميتة من
شأن الروح اذ ينفخ فيها فكذلك كان عيسى من شأنه احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص باذن
الله وكذلك كان ينفخ فى الطين فيكون طيرا باذن الله تعالى واعلم ان هذا الاستعداد الروحانى
الذى هو من كلمة الله مركوز فى جبلة الانسان وخلق منه أى من الامر وانما أظهره الله فى
عيسى من غير تكلف منه فى السعى لاستخراج هذا الجوهر من معدنه لان روحه لم يركز فى أصلاب
الآباء وأرحام الامهات كأرواحنا فكان جوهره ظاهرا فى معدن جسمه غير مختفى ببشرية أب
وجوهرنا مختفى فى معدن جسمنا ببشرية آبائنا الى آدم فمن ظهور أنوار جوهر روحه كان الله
تعالى يظهر عليه أنواع المعجزات فى بدء طفوليته ونحن محتاج فى استخراج الجوهر الروحانى من
المعدن الجسمانى الى نقل صفات البشرية المتولدة من بشرية الآباء والامهات عن معادننا
بأوامر أستاذ هذه الصنعة ونواهيه وهو النبى عليه السلام كما قال تعالى وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فمن تخلص جوهر روحانيته من معدن بشريته وانسانيته يكون
عيسى وقته فيحيى الله بانفاسه القلوب الميتة ويفتح به آذانا صما وعيونا عميا فيكون فى قومه
كالنبى فى أمته فافهم جدا (وفى المثنوى) عيسى اندر مهد دارد صد نفير * كه جوان نا كشته
ما شيخيم وپير * پير پير عقل باشد اى پسر * نى سفيدى موى اندر ريش وسر * چون كرفتى پير
هين تسليم شو * همچو موسى زير حكم خضر رو * دست را مسپار جز در دست پير * پير حكمت
كو عليمست وخبير * ثم اعلم انه لما كان النافخ جبريل والولد سرأبيه كان الواجب أن يظهر
عيسى على صورة الروحانيين والجواب انه انما كان على صورة البشر ولم يظهر على صورة الروحانيين
لان الماء المحقق عند التمثل كان فى أمه وهى بشر ولاجل تمثل جبريل أيضا عند النفخ بالصورة
البشرية لانها أكمل الصور كما أشار صلى الله تعالى عليه وسلم فى تجلى الربوبية بصورة شاب قطط
وظهور جبريل بصورة دحية فافهم والصورة التى تشهدها الام وتخيلها حال المواقعة لها تأثير
عظيم فى صورة الولد حتى قيل ونقل فى الاخبار ان امرأة ولدت ولدا صورته صورة البشر وجسمه
جسم الحية فلما سئلت عنها أخبرت انها رأت حية عند المواقعة وسمع ان امرأة ولدت ولدا له أعين
أربع ورجلاه كرجلى الدب وكانت قبطية جامعها زوجها وهى ناظرة الى دبين كانا عند زوجها
ولله أسرار فى تكوين الاجساد كيف يشاء وهو على كل شئ قدير كذا فى حل الرموز (فآمنوا
بالله) وخصوه بالالوهية (ورسله) أجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم

بوصفهم بالالوهية يعنى ان عيسى من رسله فآمنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه الها (ولا تقولوا ثلاثة) أى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله أو الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثانى العلم وبالثالث الحياة (انتهوا) أى عن التثليث (خيرا لكم) أى انتهاء خيرا لكم أو ائتوا خيرا لكم من القول بالتثليث (انما الله اله واحد) أى واحد بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ واله خبره وواحد نعت أى منفرد فى الهيته (سبحانه ان يكون له ولد) أى اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد أو سبحوه تسبيحا من ذلك فانه يتصور فيمن يتصور له مثل ويتطرق اليه فناء فان التوالد انما هو لحفظ النوع من الانقراض فلذلك لم تتوالد الملائكة ولا أهل الجنات فمن كان نشأته وتكونه للبقاء اذا لم يكن له ولد مع كونه حادثا ذا امثال فبالاولى أن لا يتخذ الله تعالى ولدا وهو أزلى منزه عن الامثال والاشباه (وفى المثنوى) لم يلد لم يولد است او از قدم * نى بدر دارد نه فرزند ونه عم (له ما فى السموات وما فى الارض) مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره أى له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته شئ من الاشياء التى من جملتها عيسى فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى قال ابن الشيخ فى حواشيه انه تعالى فى كل موضع نزه نفسه عن الولد ذكر أن جميع ما فى السموات والارض مختص به خلقا وملكا للاشارة الى ان مازعمه المبطلون انه ابن الله وصاحبته مملوك مخلوق له لكونه من جملة ما فى السموات وما فى الارض فلا تتصور المجانسة والمماثلة بين الخالق والمخلوق والمالك والمملوك فكيف يعقل مع هذا توهم كونه ولدا له وزوجة (وكفى بالله وكيلا) اليه يكل كل الخلق أمورهم وهو غنى عن العالمين فانى يتصور فى حقه اتخاذ الولد الذى هو شأن العجزة المحتاجين فى تدبير أمورهم الى من يخلفهم ويقوم مقامهم أو يعينهم دلت الآية على التوحيد

كل شئ ذاته لى شاهد * انما الله اله واحد

ومطلب أهل التوحيد أعلى المطالب وهو وراء الجنات وذوقهم لا يعادله نعيم (حكى) ان وليا يقال له سكرى بابا يكون له فى بعض الاوقات استغراق أياما حتى يظنونه ميتا ويضعون على فمه قداما فانتبه يوما فاراد أن يطلق زوجته ويترك أولاده وقال كنت فى مجلس النبى عليه السلام فى الملكوت مع الارواح وكان النبى عليه السلام يفسر قوله تعالى والهكم اله واحد يتكلم فى مراتب التوحيد على كرسى قوائمه أربع من الانوار الاربعة على حسب المراتب الاربع أى من النور الاسود فى مرتبة الطبيعة ومن النور الاحمر فى مرتبة النفس ومن النور الاخضر فى مرتبة الروح ومن النور الابيض فى مرتبة السر وقيل لى فى العرش أرسلوا سكرى بابا فان أولاده يبكون فلاجل ذلك أريد أن أترك الكل فتضرعوا وحلفوا بأن لا يفعلوا مثل ذلك أبدا فنزع ووجه التسمية بذلك انه كان يعطى سكرا الكل من يطلبه منه حتى طلبوا فى الحمام امتحانا له فضرب برجله رخام الحمام قال خذوه فانقلب سكرا فاعتقدوه وزالت شبهتهم قال حضرة الشيخ الشهير بافتادة قدس سره الملكوت ليس فى الفوق بل الملك والملكوت عندك ههنا فان الله تعالى منزه عن الزمان والمكان والذهاب والاياب وهو معكم أينما كنتم فللسالك مرتبة ينظر فيها الى الله

والى

والى الحق ويسمى تلك بالمعية ثم بعد ذلك اذا وصل الى الفناء الكلي واضمحل وجوده يسمى ذلك بمقام الجمع ففي ذلك المقام لايرى السالك ماسوى الله تعالى كمن أحاطه نور ولايرى الظلمة ألا يرى ان من نظر الى الشمس لايرى غيرها وتلك الرؤية ليست بحاسة البصر ولا كرؤية الاجسام بل كما ذكره العلماء وكمل الاولياء والانبياء صلوات الله عليهم أجمعين والموحد اذا كان موحدا يوصله التوحيد الى الملكوت والجبروت واللاهوت اعني الموحد يتخلص من الاثنينية ومن التقيد بالاكوان والاجسام والارواح فيشاهد عند ذلك سر قوله تعالى انما الله اله واحد اللهم اجعلنا من الواصلين (لن يستنكف المسيح) في اساس البلاغة استنكف منه ونكف امتنع وانقبض انفا وحمية (ان يكون عبدا لله) أي من أن يكون عبد الله تعالى فان عبوديته شرف يتباهى بها وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره (روى) ان وفد نجران قالوا يارسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شئ أقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى بعار فنزلت (ولا الملائكة المقربون) عطف على المسيح أي ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيدا والمراد بهم الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم (ومن يستنكف) أي يترفع (عن عبادته) أي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى (ويستكبر) الاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق (فسيحشرهم اليه) أي فسيجمعهم اليه يوم القيامة (جميعا) المستنكف والمستكبر والمقر والمطيع فيجازيهم (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم) أي ثواب أعمالهم من غير أن ينتقص منها شيأ أصلا (ويزيدهم من فضله) بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (واما الذين استنكفوا) أي عن عبادته تعالى (واستكبروا فيعذبهم) بسبب استنكافهم واستكبارهم (عذابا أليما) وجيعا لا يحيط به الوصف (ولا يجدون لهم من دون الله) أي غيره تعالى (وليا) يلي أمورهم ويدبر مصالحهم (ولا نصيرا) ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه واحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي أن يكون المعطوف وهو ولا الملائكة المقربون أعلى درجة من المعطوف عليه وهو المسيح حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليه السلام وأجيب بأن مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه عن سائر أفراد البشر بالولادة من غير أب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته عدم استنكاف من هو أعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير أب ولا أم وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقامهم السموات العلا ولا نزاع لاحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات كذا في الارشاد * قال في التأويلات النجمية عند قوله تعالى ولا الملائكة المقربون ماذكرهم للفضيلة على عيسى وانما ذكرهم لان بعض الكفار قالوا الملائكة بنات الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله قال تعالى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذن قسمة ضيزى بل فضل الله

المسيح عليهم بتقديم الذكر لان المسيح نسب اليه بالبنوة ونسبت الملائكة اليه بالبنتية وللذكر فضيلة وتقدم على الاناث كقوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين فقدم الله الذكر على الانثى وجعل له سهمين وللانثى واحدا فكما أن للذكر فضيلة على الانثى فكذلك للمسيح فضيلة على الملائكة وفضيلته على الملائكة أكبر وأعظم يدل عليه ما صح عن جابر رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يارب كما خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة قال الله تعالى لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان وأنا أقول ومن فضيلة عيسى على الملائكة أنه اجتمع فيه ما كان شرفا لآدم لانه من ذريته من قبل الام وما كان شرفا للملائكة اذ قال له أيضا كن فكان فقد وجد في عيسى ما لم يوجد في الملائكة ولم يوجد في الملائكة شئ لا يوجد في عيسى فافهم جدا انتهى كلام التأويلات واعلم ان أعظم الاستنكاف عن عبادة الله تعالى الشرك والاعراض عن توحيده كما ان أصل الاعمال التوحيد والايمان ثم ان الكبر من أكبر السيآت ولذا ورد في بعض الاحاديث مقابلا للايمان قال عليه السلام لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان (قال السعدى) تراشهوت وكبر وحرص وحسد * چو خون در رگند وچو جان در جسد * گر اين دشمنان تقويت يافتند * سر از حكم ورأى تو بر تافتند * (حكى) ان قاضيا جاء الى أبي يزيد البسطامي رحمه الله يوما فقال نحن نعرف ما تعرفه ولكن لا نجد تأثيره فقال أبو يزيد خذ مقدارا من الجوز وعلق وعاءه في عنقك ثم ناد في البلد كل من يلطمني أدفع له جوزة حتى لا يبقى منه شئ فاذا فعلت ذلك تجد التأثير فاستغفر القاضي فقال أبو يزيد قد أذنبت لانى أذكر ما يخلصك من كبر نفسك وأنت تستغفر منه (قال السعدى) كسى را كه پندار در سر بود * مپندار هرگز كه حق بشنود * ز علمش ملال آيد از وعظ ننگ * شقايق بباران نرويد ز سنگ * فعلى العاقل أن يتواضع فان الرفعة في التواضع وهو من أفضل العبادة (يا أيها الناس) خطاب لعامة المكلفين (قد جاءكم برهان) كائن (من ربكم وانزلنا اليكم) بواسطة النبي عليه السلام (نورا مبينا) عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن أى جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة والبرهان ما يبرهن به المطلوب وسمى القرآن نورا لكونه سببا لوقوع نور الايمان في القلوب ولانه تتبين به الاحكام كما تتبين بالنور الاعيان (فاما الذين آمنوا بالله) حسبما يوجبه البرهان الذى أتاهم (واعتصموا به) أى امتنعوا به عن اتباع النفس الامارة وتسويلات الشيطان (فسيدخلهم في رحمة منه) ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب (وفضل) احسان زائد عليه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ويهديهم اليه) أى الى الله (صراطا مستقيما) هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وهو مفعول ثان ليهدى لانه يتعدى الى مفعولين بنفسه كما يتعدى الى الثاني بالى يقال هديته الطريق وهديته الى الطريق ويكون اليه حالا منه مقدما عليه ولو أخر عنه كان صفة له والمعنى ويهديهم الى صراط الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في العقبى مؤديا ومنتهيا اليه تعالى * والاشارة في الآية ان الله تعالى أعطى لكل نبى آية وبرهانا بالبينة به الحجة على الامة وجعل نفس النبي عليه السلام برهانا منه وذلك لان

برهان الانبياء كان فى الاشياء غير أنفسهم مثل ما كان برهان موسى فى عصاه وفى الحجر الذى انفجرت منه اثنتا عشرة عينا وكان نفس النبى عليه السلام برهانا بالكلية فكان برهان عينيه ما قال عليه السلام (لاتسبقونى بالركوع والسجود فانى أراكم من خلفى كما أراكم من امامى) وبرهان بصره ما زاغ البصر وما طغى وبرهان أنفه قال (انى لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن) وبرهان لسانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وبرهان بصاقه ما قال جابر رضى الله عنه انه أمر يوم الخندق لاتخبزن عجينكم ولا تنزلن برمتكم حتى اجئ فجاء فبصق فى العجين وبارك ثم بصق فى البرمة وبارك فأقسم بالله انهم لأكلوا وهم ألف حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط أى تغلى وان عجيننا ليخبز كما هو وبرهان تفله أنه تفل فى عين على كرم الله وجهه وهى ترمد فبرئ باذن الله يوم خيبر وبرهان يده ما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وأنه سبح الحصى فى يده (قال العطار) داعى ذرات بود ان بالذات * در كفش تسبيح ازان كفتى حصات * وبرهان اصبعه انه أشار باصبعه الى القمر فانشق فلقتين حتى رؤى حراء بينهما * ماه را انكشت او بشكافته * مهر از فرمانش از پس تافته * وبرهان ما بين أصابعه انه كان الماء ينبع من بين أصابعه حتى شرب منه رفعه خلق عظيم وبرهان صدره انه كان يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء وبرهان قلبه أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه وقال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال ألم نشرح لك صدرك وقال نزل به الروح الامين على قلبك وأمثال هذه البراهين كثيرة فمن أعظمها انه عرج به الى السماء حتى جاوز قاب قوسين وبلغ أو أدنى وذلك برهان لنفسه بالكلية وما أعطى نبى قبله مثله قط وكان بعد أن أوحى اليه أفصح العرب والعجم وكان من قبل أميا لايدرى ما الكتاب ولا الايمان وأى برهان أقوى وأظهر وأوضح من هذا والله أكرم هذه الامة به ومن عليهم فمن آمن به ايمانا حقيقيا بنور الله لابالتقليد فتجذبه العناية وتدخله فى عالم الصفات فان رحمته وفضله صفته ويهديه بنور القرآن وحقيقة الخلق بخلقه الى جنابه تعالى فبالاعتصام يصعد السالك من الصراط المستقيم الى حضرة الله الكريم ولابد للعبد من الاعمال والاكتساب فى البداية اتباعا للاوامر الواردة فى الكتب الالهية والسنن النبوية حتى ينتهى الى محض فضل الله تعالى فيكون هو المتصرف فى أموره ولذلك كان النبى عليه السلام يقول اللهم لاتكلنى الى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك وقد قال بعض الكبار المريد من لامذهب له يعنى تمسك بأشق الاقوال والمذاهب من جميع المذاهب فيتوضأ من الرعاف والفصد مثلا وان كان شافعيا ومن المس وان كان حنفيا وتنوير الباطن لايحصل الا بأنوار الذكر والعبادة والمعرفة ونعين على ذلك العبادة الخالصة اذا أديت على وجه الكمال والخدمة بمقتضى السنة تصقله بازالة خبث الشهوات والاخلاق المذمومات والتوحيد أفضل الاعمال الموصلة الى السعادة وفى الحديث ان الذين لاتزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله يدخلون الجنة وهم يضحكون وفى الحديث ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم كأنى أنظر اليهم عند الصيحة ينفضون التراب عنهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وعلى هذا الحديث أول المشايخ هذه الآية الكريمة والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لايخرج الا نكدا اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين ولا تجعلنا من الغافلين آمين (يستفتونك) أى يطلبون منك

الفتوى فى حق الكلالة (قل الله يفتيكم فى الكلالة) الافتاء تبيين المبهم وتوضيح المشكل والكلالة فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها فى الاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين والمراد هنا الثانى أى الذى مات ولم يرثه أحد من الوالدين ولا أحد من الاولاد لما روى أن جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة أى لا يخلفنى ولد ولا والد فكيف أصنع فى مالى فنزلت (ان امرؤ هلك) استئناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله (ليس له ولد) صفة له أى ان هلك امرؤ غير ذى ولد ذكرا كان أو أنثى (وله أخت) عطف على قوله تعالى ليس له ولد أو حال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس فقط (فلها نصف ما ترك) أى بالفرض والباقى للعصبة أولها بالرد ان لم يكن له عصبة (وهو) أى المرء المفروض (يرثها) أى أخته المفروضة ان فرض هلاكها مع بقائه (ان لم يكن لها ولد) ذكرا كان أو أنثى فالمراد بارثه لها احراز جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها فى الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها (فان كانتا اثنتين) عطف على الشرطية الاولى أى اثنتين فصاعدا (فلهما الثلثان مما ترك) الضمير لمن يرث بالاخوة والتأنيث والتثنية باعتبار المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين مع دلالة ألف التثنية على الاثنينية التنبيه على أن المعتبر فى اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما (وان كانوا) أى من يرث بطريق الاخوة (اخوة) أى مختلطة (رجالا ونساء) بدل من اخوة والاصل وان كانوا اخوة وأخوات فغلب المذكر على المؤنث (فللذكر) أى فللذكر منهم (مثل حظ الانثيين) يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما نزل فى كتاب الله من الاحكام روى أن الصديق رضى الله عنه قال فى خطبته ان الآية التى أنزلها الله تعالى فى سورة النساء فى الفرائض أولها فى الولد والوالد وثانيها فى الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية التى ختم بها السورة فى الاخت لابوين أو لاب والآية التى ختم بها سورة الانفال أنزلها فى أولى الارحام (يبين الله لكم) أى حكم الكلالة أو أحكامه وشرائعه التى من جملتها حكمها (أن تضلوا) أى كراهة أن تضلوا فى ذلك فهو مفعول لاجله على حذف المضاف وهو أشيع من حذف لا النافية بتقدير لئلا تضلوا (والله بكل شئ) من الاشياء التى من جملتها أحوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم (عليم) مبالغ فى العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم * والاشارة فى الآية ان الله تعالى لم يكل بيان قسمة التركات الى النبى صلى الله عليه وسلم مع أنه تعالى وكل بيان أركان الاسلام من الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج اليه وأحكام الشريعة وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وولاه بيان القرآن العظيم وقال لتبين للناس ما نزل اليهم وتولى قسمة التركات بنفسه تعالى كما قال عليه السلام ان الله لم يرض بملك مقرب ولا نبى مرسل حتى تولى قسمة التركات وأعطى كل ذى حق حقه الا فلا وصية لوارث وانما تولى قسمة التركات لان الدنيا مزينة للناس والمال محبوب الى الطباع وجبلت النفس على الشح فلو لم ينص الله تعالى على مقادير الاستحقاق وكان القسمة موكولا الى النبى عليه السلام لكان الشيطان أوقع فى بعض النفوس كراهة النبى عليه الصلاة والسلام لذلك فيكون كفرا لقوله عليه السلام

لا يكون أحدكم مؤمنا حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين كما أوقع
فى نفوس بعض شبان الانصار يوم حنين اذ أفاء الله على رسوله أموال هوازن فطفق النبى عليه
السلام يعطى رجالا من قريش المائة من الابل كل رجل منهم فقالوا يغفر الله لرسوله يعطى
قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس فحدث رسول الله بمقالتهم فأرسل الى الانصار
فجمعهم فى قبة من أدم ولم يدع معهم أحدا من غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله فقال
ما حديث بلغنى عنكم فقال الانصار أما ذوو رأينا فلم يقولوا شيأ وأما أناس حديثة أسنانهم
فقالوا كذا وكذا للذى قالوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما أعطى رجالا حديثى عهد بكفر
فأتألفهم أو قال استألفهم أفلا ترضون أن يذهب الناس بالاموال وترجعوا برسول الله الى
رحالكم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا أجل يا رسول الله قد رضينا فالنبى عليه
السلام أزال ما أوقع الشيطان فى نفوسهم بهذه اللطائف فلو كان قسم التركات اليه لكان
للشيطان مجال الى آخر الدنيا فى أن يوقع الشر فى نفوس الامة ولم يمكن ازالته من النفوس
لتعذر الوصول الى الخلق كلهم فى حال الحياة وبعد الوفاة فتولى الله ذلك لانه بكل شئ عليم
ولعباده غفور رحيم * بر وعليك ذره پوشيده نيست * كه پنهان وپيدا بنزدش يكيست *
فرومانده كان را برحمت قريب * تضرع كنان را بدعوت مجيب * ختم الكلامة بما نص على المقادير
فى الميراث فضلا منه وقطعا للمواد الخصومات بين ذوى الارحام ورحمة على النسوان فى التوريث
لضعفهن وعجزهن عن الكسب واظهار التفضيل الذكور عليهن لنقصان
عقلهن ودينهن وتبيانا للمؤمنين لئلا يضلوا بظن السوء بالنبى
عليه السلام كما قال يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شئ
عليم كذا فى التأويلات النجمية على صاحبها
النفحات القدسية والبركات
القدوسية

م

تمت سورة النساء فى أواسط جمادى الآخرة من سنة تسع وتسعين بعد الالف

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله سورة المائدة

To: www.al-mostafa.com